إتحاف القاري

باختصار فتح الباري

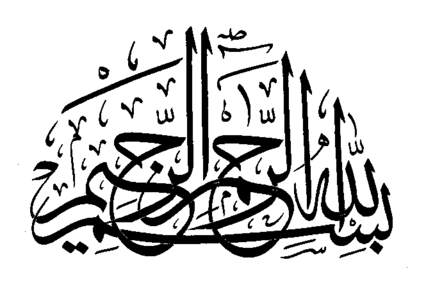
للحافظ ابن حجر العسقلاني

الجزء الثالث

اختصره وعلق عليه
وعمل إحالته وقابل نسخ الصحيح

أبو صهيب

صفاء الضوي أحمد العدوي


بسم الله الرحمن الرحيم

إتحاف القاري

باختصار فتح الباري

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ ـــ ١٩٩٣م

توزيـع



المملكة العربية السعودية

الدمام : شارع ابن خلدون . الرمز البريدي : ٣١٤٦١ ص.ب : ٢٩٨٢
هاتف: ٨٤٢٨١٤٦ فاكس ٨٤١٢١٠٠

الرياض : هاتف وفاكس : ٤٣٥١٠٠٢

جدة : هاتف وفاكس : ٦٥١٦٥٤٩

الاحساء : الهفوف ـ شارع الجامعة هاتف : ٥٨٣١٢٢ صب ١٧٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٦٠ - كتاب أحاديث الأنْبياء

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم: كتاب أحاديث الأنبياء) وقع في ذكر الأنبياء حديث أبي ذر مرفوعا «إنهم مائة ألفا وأربعة وعشرون ألف، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر» صححه ابن حبان. والنبوة نعمة يمن بها على من يشاء ولا يبلغها أحد بعلمه ولا كشفه ولا يستقها باستعداد ولايته، ومعناها الحقيقي شرعا من حصلت له النبوة.

١ - باب خَلقِ آدَمَ وذُرِّيَّتِه

{صلصال}: طينٌ خُلطَ برمل، فصلْصَلَ كما يصلصل الفخَّار، ويقال مُنتنٌ يريدون به صلّ، كما يقال صرّ البابُ وصَرْصَر عند الإغلاق، مثل كَبْكَبْتُهُ يعني كببتُه.{فمرَّت به}: استمرَّ بها الحمل فأتَمَّتْهُ. {أن لا تَسجُدَ}: أن تسجد. وقول الله تعالى [٣٠ البقرة]: {وإذْ قالَ ربُّكَ للملائكة إني جاعلٌ في الأرْضِ خليفةً} قال ابنُ عبَّاسٍ {لمَّا عليها حافظ}: إلا عليها حافظ. {في كبَد} في شدَّة خلق. {ورياشاً}: المال. وقال غيرهُ الرِّياش والرِّيشُ واحد وهوَ ما ظهرَ من اللباس. {ماتُمْنونَ}: النُّطفَةُ في أرحامِ النِّساءِ. وقال مجاهد {إنهُ على رجْعهِ لقادرٌ}: النطفة في الإحْليل. كل شيءٍ خلقه فهو {شفع}: السماءُ شفع. {والوَتْرُ} الله عزَّ وجلَّ. {في أحسَنِ تقويم} في أحسن خلق، {أسفَلَ سافلينَ} إلا من آمَن. {خُسْرٍ}: ضلال، ثمَّ استثنىٰ فقالَ إلا من آمن. {لازب} لازم. {ننشئكم} في أي خلقٍ نشاء. {نُسبِّحُ بحمدك}: نعظِّمُكَ. وقال أبو العالية {فتلقَّى آدمُ من ربِّه كلمات}: فهو قولهُ {ربَّنا ظلمنَا أنفسنا}. {فأزلَّهما}: فاستزلَّهما. و {يتسنَّهْ} يتغيَّر. {آسِن}: متغيِّر. و {المسْنون}: المتغيِّر. {حَمأٍ} جمع حَمْأة وهو الطين المتغيِّر. {يخصِفان}: أخْذُ الخصاف {من ورق الجنة} يؤلِّفان الورق ويخصفان بعض إلى بعض. {سوآتهما}: كناية عن فرجيهما. {ومتَاع إلى حين} ها هنا إلى يوم القيامة، الحين عند العرب: من ساعة إلى مالايُحْصَى عدده. {قَبيلُه} جيلُهُ الذي هو منهم.

٣٣٢٦ - عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «خَلَقَ اللهُ آدَم وطولهُ ستُّونَ ذراعًا، ثم قالَ: اذْهب فسلِّمْ عَلَى أولئكَ منَ المَلائكَة فاستَمع ما يُحيُّونَكَ، تَحيَّتُك وتَحيَّةُ ذُرِّيتكَ. فقالَ: السَّلامُ عليكمْ فقالُوا: السلام عليك ورحمةُ الله . فزَادُوهُ ورحْمَةُ اللهِ فكلُّ من يَدْخُلُ الجنَّةَ على صُورَةِ آدَمَ، فلمْ يَزَلِ الخَلْقُ ينقُصُ حتى الآن».

[الحديث ٣٣٢٦ - طرفه في: ٦٢٢٧]

٣٣٢٧ - عن أبي هريرةَ رضي الله عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أولُ زُمْرَةٍ يدخُلُون الجنَّة على صورةِ القَمَرِ ليلَةَ البدْرِ، ثم الَّذين يلونَهمْ على أشَدِّ كوكبٍ درِّيٍّ في السَّماءِ إضاءَةً، لا يبولُونَ ولا يَتغَوَّطُونَ ولا يَتفُلُونَ ولا يَمْتخطُون، أمْشاطُهُمْ الذَّهَبُ ورشْحُهُمْ

المسكُ ومجامرُهُمْ الألوَّةَ، الألنجُوجُ عودُ الطِّيب، وأزْواجهمُ الحُورُ العينُ على خلْقِ رجُلٍ واحدٍ على صورَة أبِيهِمْ آدمَ ستُّون ذراعاً في السَّماءِ».

٣٣٢٨ - عن أمِّ سُلَيم قالتْ: يا رسولَ اللهِ إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيي مِنَ الحَقِّ، فَهَلْ عَلَى المرْأة الغُسْلُ إذا احْتَلَمَتْ؟ قالَ: نعمْ، إذا رَأَتِ الماءَ. فضحكَتْ أمُّ سلمَةَ فقالتْ: تَحْتَلِمَ المرأة ؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ بِما يُشْبِهُ الوَلَدَ؟».

٣٣٢٩ - عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «بَلَغَ عبْدَ اللهِ بنَ سلامٍ مقدَمُ النَّبيِّ ﷺ المدينة، فأتَاهُ فقالَ: إنِّي سائِلُكَ عن ثلاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلا نَبيّ، قالَ ما أوَّلُ أشْرَاط السَّاعَة؟ وما أوَّلُ طعامٍ يأكُلُهُ أهْل الجَنَّة؟ ومنْ أيِّ شيءٍ ينزِعُ الولد إلى أبيهِ ومنْ أيِّ شيءٍ يَنْزِعُ إلى أخْواله؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: خبَّرَني بِهِنَّ آنفاً جبريلُ. قال فقالَ عبدُ الله: ذاكَ عدُوُّ اليَهود من الملائكة فقالَ رسولُ الله ﷺ: أمّا أوَّلُ أشراطِ السَّاعةِ فنارٌ تحشُرُ الناسَ من المشرقِ إلى المغرِب. وأمَّا أولُ طعامٍ يأكلُهُ أهلُ الجنَّة فزيادةُ كبدِ حُوتٍ وأما الشَّبَهُ في الوَلَد فإنَّ الرَّجُل إذا غَشِيَ المرأةَ فسبقها ماؤُهُ كانَ الشَّبَهُ لَهُ، وإذا سَبَقَ ماؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لهَا. قالَ: أشْهَدُ أنَّكَ رسولُ الله. ثم قال: يا رسولَ اللهِ، إنَّ اليهودَ قومٌ بُهتٌ، إنْ علمُوا بإسْلامي قَبْلَ أنْ تسْألَهُمْ بهتُوني عندك فجَاءَتْ اليهودُ، ودخل عبْدُ الله البَيْتَ، فقال رسُولُ الله ﷺ: أيُّ رجُلٍ فيكُمْ عبدُالله بنُ سلامٍ؟ قالوا: أعلمُنَا وابنُ أعلمِنا، وأخْبَرُنَا وابنُ أخبرِنا. فقالَ رسولُ الله ﷺ: أفَرَأيْتم إنْ أسْلَمَ عبدُ الله؟ قالُوا: اعاذَهُ اللهُ منْ ذلكَ. فَخَرَجَ عبْدُ الله إليهِمْ فقال: أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وَأشْهَدُ أنَّ مُحمَّداً رسولُ اللهِ. فقالُوا: شَرُّنا وابنُ شَرِّنَا. ووقَعُوا فيه».

[الحديث ٣٣٢٩- أطرافه في :٣٩١١، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠]

٣٣٣٠ - عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ نَحْوَهُ، يعني «لَوْلا بَنُو إسْرائيلَ لَمْ يخْنَزِ اللَّحْمُ، ولَوْلا حوَاءُ لمْ تَخُنْ أنْثى زَوْجَهَا».

٣٣٣١ - عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «استَوْصُوا بالنِّساءِ، فَإنَّ المَرْأةَ خلقتْ منْ ضلعٍ، وإنَّ أعْوجَ شيءٍ في الضِّلَعِ أعْلاهُ، فَإن ذَهَبْتَ تُقيمَه كسرْتَهُ، وإنْ تركْتَهُ لمْ يَزَلْ أعْوَجَ، فاستَوْصُوا بالنِّساءِ»

[الحديث ٣٣٣١- طرفاه في:٥١٨٤، ٥١٨٦]

٣٣٣٢ - عَنْ عبدِ الله «حدَّثنَا رسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادقُ المَصْدُوقُ: إنَّ أحَدَكُمْ يَجْمَعَ فِي بَطْنِ أمِّهِ أرْبَعينَ يَوْمًا، ثم يكونُ عَلَقَةً مثلَ ذلكَ ثُمَّ يكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثم يبعثُ اللهُ إليهِ ملكًا بأربعِ كلمَاتٍ: فَيُكْتَب عَمَلَهُ، وَأجَلَهُ ورزْقَهُ، وشقيٌّ أمْ سعيدٌ. ثُمَّ يُنْفخُ فيه الرُّوحُ. فإنَّ الرَّجُل ليَعْمَلُ بعملِ أهْلِ النَّارِ حتَّى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وبينَهَا إلا

ذراعٌ، فيَسبقُ عَليه الكتابُ فيعْمَلُ بعملِ أهلِ الجَنَّةِ فيَدْخُلُ الجنةَ، وإنَّ الرَّجُلَ ليَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ حتَّى ما يكونُ بينَهُ وبَيْنَهَا إلا ذراعٌ، فَيَسْبِقُ عليهِ الكتاب فَيَعْمَلُ بعمل أهلِ النَّار فيدْخُلُ النَّارَ».

٣٣٣٣ ـ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنهُ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ وكلَ في الرَّحمِ ملَكًا فيقولُ: يا ربِّ نطفةٌ، يا ربِّ علقةٌ يا ربِّ مضغَةٌ. فإذا أرادَ أنْ يخلُقَها قال: يا رَبِّ أذكرٌ أمْ أنثى؟ يا ربِّ أشقيٌّ أم سعيدٌ؟ فما الرِّزْقُ؟ فَمَا الأجلُ؟ فيُكْتَبُ كذلكَ في بطنِ أمِّهِ».

٣٣٣٤ ـ عَنْ أنَسٍ يَرْفَعُهُ «إنَّ اللهَ يقولُ لأهْونِ أهل النَّارِ عذاباً: لو أنَّ لكَ مَا في الأرْضِ من شيءٍ كُنْتَ تفتَدي بهِ؟ قالَ: نَعَمْ. قالَ: فقَدْ سَألْتُكَ ماهُوَ أهْوَنُ من هذا وأنْتَ في صُلْبِ آدَمَ: أنْ لا تُشْرِكَ بي، فَأبَيْتَ إلا الشِّرْكَ».

[الحديث ٣٣٣٤ - طرفاه في: ٦٥٣٨، ٦٥٥٧]

٣٣٣٥ ـ عَنْ عبدِ الله رضي اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ لا تقْتَلُ نفْسٌ ظلمًا إلا كانَ على ابن آدم الأوَّلِ كِفلٌ من دَمِها، لأنَّهُ أوَّلُ من سنَّ القَتْلَ».

[الحديث ٣٣٣٥ - طرفاه في: ٦٨٦٧، ٧٣٢١]

ثم ذكر المصنف في الباب أحد عشر حديثا .

الحديث الأول: حديث أبي هريرة «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا» وقد رواه عبد الرزاق عن معمر «خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا»، وهذه الرواية تأتي في أول الاستئذان، وقدتقدم الكلام على معنى هذه اللفظة في أثناء كتاب العتق، وهذه الرواية تؤيد قول من قال ان الضمير لآدم، والمعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولا تردد في الأرحام أطوارا كذريته بل خلقه الله رجلا كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح، ثم عقب ذلك بقوله «وطوله ستون ذراعا» فعاد الضمير أيضاً على آدم، وقيل معنى قوله «على صورته» أي لم يشاركه في خلقه أحد إبطالاً لقول أهل الطبائع. وخص بالذكر تنبيهًا بالأعلي على الأدنى، والله أعلم.

قوله (فكل من يدخل الجنة على صورة آدم) أي على صفته، وهذا يدل على أن صفات النقص من سواد وغيره تنتفي عند دخول الجنة.

قوله (فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) أي أن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله، فانتهى تناقص الطول إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك.وقال ابن التين قوله «فلم يزل الخلق ينقص» أي كما يزيد الشخص شيئاً فشيئا، ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين حتى إذا كثرت الأيام تبين، فكذلك هذا الحكم في النقص، ويشكل

على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السالفة كديار ثمود فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق، ولا شك أن عهدهم قديم، وأن الزمان الذي بينهم وبين آدم دون الزمان الذي بينهم وبين أول هذه الأمة، ولم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال.

قوله (لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم) يخنز أي ينتن، والخنز التغير والنتن، قيل أصله أن بني إسرائيل ادخروا لحم السلوى وكانوا نهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك حكاه القرطبي وذكره غيره عن قتادة. وقال بعضهم: معناه لولا أن بني إسرائيل سنوا ادخار اللحم حتى أنتن لما ادخر فلم ينتن.

قوله (ولولا حواء) أي امرأة آدم قيل سميت بذلك لأنها أم كل حي.

قوله «لم تخن أنثى زوجها» فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم اشبهنها بالولادة ونزع العرق فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها. وقريب من هذا حديث «جحد آدم فجحدت ذريته» وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى، وأن ذلك من طبعهن فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل الندور، وينبغي لهن أن لا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النوع بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن، والله المستعان.

قوله (استوصوا) معناه اقبلوا وصيتي فيهن واعملوا بها وارفقوا بهن وأحسنوا عشرتهن.

قوله (وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه) قيل فيه إشارة إلى أن أعوج ما في المرأة لسانها.

قوله (فإن ذهبت تقيمه كسرته) قيل هو ضرب مثل للطلاق أي ان أردت منها أن تترك اعوجاجها أفضى الأمر إلى فراقها، ويؤيده قوله في رواية الأعرج عن أبي هريرة عند مسلم «وان ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها».

قوله (إن الله تعالى[١] يقول لأهون أهل النار عذابا) يقال هو أبو طالب، وسيأتي شرحه في أواخر كتاب الرقاق[٢] إن شاء الله تعالى، ومناسبته للترجمة من قوله «وأنت في صلب آدم» فإن فيه إشارة إلى قوله تعالى {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم} الآية.

الحديث العاشر حديث عبد الله وهو ابن مسعود «لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها» وسيأتي شرحه في القصاص.

٢ ـ باب الأرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ

٣٣٣٦ ـ عَنْ عائِشَةَ رضي الله عنهَا قالتْ: «سَمِعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: الأرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».

قوله (الأرواح جنود مجندة إلخ) قال الخطابي: يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر والصلاح والفساد، وإن الخير من الناس يحن إلى شكله والشرير نظير ذلك يميل إلى نظيره فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جبلت عليها من خير وشر، فإذا اتفقت تعارفت، وإذا اختلفت تناكرت.

قوله «جنود مجندة» أي أجناس مجنسة أو جموع مجمعة، قال ابن الجوزي: ويستفاد من هذا الحديث أن الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة ممن له فضيلة أو صلاح فينبغي أن يبحث عن المقتضى لذلك ليسعى في إزالته حتى يتخلص من الوصف المذموم.

٣ ـ باب قَولِ اللّهِ عزَّ وَجَلَّ /هود: ٢٥/: {وَلَقَدْ أرْسَلْنَا نُوحاً إلَى قومِهِ}

قال ابن عبَّاسٍ: {باديَ الرأيِ}: ما ظَهرَ لنا. {أقْلعي}: أمسكي. {وفار التَّنُّورُ}: نبع الماء. وقال عكرمة: وجهُ الأرْض. وقال مجاهدٌ {الجُوديّ}: جبلٌ بالجزيرة. {دأب} مثل حال.{إنَّا أرسَلْنَا نُوحاً إلى قومهِ أنْ أنْذرْ قومكَ من قَبْل أنْ يَأتيَهُمْ عذابٌ أليمٌ} إلى آخر السورة [نوح ١-٢٨]: {واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأَ نُوحٍ إذْ قالَ لقومه يا قومِ إنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامي وتَذْكيري بآيَات الله -إلى قوله- منَ المسلمينَ}

٣٣٣٧ ـ قال ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «قام رسُولُ الله ﷺ في النَّاس فأثنى على الله بما هو أهْلُهُ، ثمَّ ذكَرَ الدَّجالَ فقال: إنِّي لأنذركموهُ، وما منْ نبيٍّ إلا أنْذرَه قومه، لَقَدْ أنْذَرَ نُوحٌ قومَه، ولكنِّي أقولُ لكُمْ فيهِ قولاً لَمْ يَقُلْهُ نبيٌّ لقَوْمه: تعلَمُونَ أنهُ أعْوَرُ، وأنَّ اللهَ ليسَ بأعْوَرَ».

٣٣٣٨ ـ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عَنْهُ قالَ: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ ألا أحدِّثُكمْ حديثًا

(١) رواية الباب واليونينية بدون "تعالى"
(٢) كتاب الرقاق باب / ٥١ ح ٦٥٥٧ - ٥ / ٧٦

عن الدَّجالَ ما حَدَّثَ بِهِ نبيٌّ قومهُ: إنَّهُ أعْوَرُ، وإنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمثالِ الْجَنَّة والنَّارِ، فالَّتي يقولُ إنَّها الجنَّةُ هي النَّارُ، وإنِّي أنذركُمْ كَمَا أنْذَرَ بِهِ نوحٌ قومَهُ».

٣٣٣٩ ـ عن أبِي سعيدٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يَجيءُ نُوحٌ وأمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللهُ تعالى: هَلْ بلَّغْتَ؟ فَيَقولُ: نعمْ أيْ ربِّ. فيقولُ لأمَّتِه: هَلْ بلَّغَكُمْ؟ فيقُولُونَ: لا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبيٍّ. فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يشْهَدُ لك؟ فَيَقُول: محمدٌ ﷺ وأمَّتُهُ، فنَشْهدُ أنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قولُهُ جَلَّ ذكْرُه [١٤٣ البقرة]: {وكَذلكَ جعلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لتَكُونُوا شُهداءَ عَلَى النَّاسِ} والوَسَطُ العَدْلُ».

[الحديث ٣٣٣٩ - طرفاه في: ٤٤٨٧، ٧٣٤٩]

٣٣٤٠ ـ عنْ أبِي هريرةَ رضِيَ اللهُ عنْهُ قالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوَةٍ، فَرُفِعَتْ إليهِ الذِّرَاعُ -وكَانَتْ تُعْجِبُهُ- فَنَهَسَ منْها نَهْسَةً وقالَ أنَا سيِّدُ النَّاسِ يومَ القيامةِ. هل تدرون بِمن يَجْمَعُ اللهُ الأوَّلِينَ والآخرينَ فِي صعيدٍ واحدٍ، فيُبْصِرُهُمُ النَّاظرُ، ويسمعهُمُ الدَّاعي، وتدْنو منْهمُ الشَّمْسُ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: ألا تَرَوْنَ إلَى مَا أنْتُمْ فيهِ، إلَى مَا بَلَغَكمْ؟ ألا تَنْظُرونَ إلى مَنْ يَشفَعُ لكُمْ إلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بعْضُ النَّاسِ: أبوكمْ آدَمُ: فَيَأْتونهُ فيقولونَ يا آدم أنتَ أبو البشَر، خلقكَ اللهُ بيَده، وَنفَخَ فيكَ من رُوحه، وأمَرَ المَلائكَةَ فسَجَدُوا لكَ، وَأسْكَنَكَ الجَنَّةَ. ألا تشفَعُ لَنا إلَى ربِّكَ؟ ألا تَرَى مَا نَحْنُ فيهِ وَمَا بَلغنَا؟ فَيَقُولُ: ربِّي غَضبَ غضبًا لم يغضبْ قبلهُ مثلهُ، ولا يغضبْ بعدهُ مثْلَهُ، وَنَهَاني عَن الشَّجَرَة فعصَيْتُ. نَفْسي نفسي. اذْهَبُوا إلَى غَيْرِي، اذْهبوا إلَى نوحٍ فيأتون نُوحًا فيقُولُونَ: يانوحُ أنت أوَّلُ الرُّسُل إلى أهل الأرض؛ وسَمَّاكَ اللهُ عَبْداً شَكُوراً. أمَا تَرَى إلى ما نحنُ فيه؟ ألاتَرَى إلَى مَا بَلغنَا؟ ألا تَشْفعُ لنَا إلَى ربِّكَ؟ فَيَقُولُ: ربِّي غَضبَ اليَومَ غضبًا لمْ يغْضَبْ قبلَهُ مثْلَهُ، وَلا يَغْضَبُ بعدَهُ مثْلَهُ. نفْسي نفْسي، ائْتُوا النَّبيَّ ﷺ. فيأتونِي، فأسْجُدُ تَحتَ العَرْش، فيُقالُ: يَا مُحَمَّدُ ارفع رَأسَكَ، واشْفَعْ تُشفعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ. قالَ مُحَمَّدُ بنُ عُبَيدٍ: لا أحْفَظُ سَائرهُ».

[الحديث ٣٣٤٠- طرفاه في: ٣٣٦١، ٤٧١٢]

٣٣٤١ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنْهُ «أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ {فَهَلْ منْ مُدَّكر} مثل قِرَاءَةِ العَامَّةِ».

[الحديث ٣٣٤١ - أطرافه في: ٣٣٤٥، ٣٣٧٦، ٤٨٦٩، ٤٨٧٠، ٤٨٧١، ٤٨٧٢، ٤٨٧٣، ٤٨٧٤]

قوله (باب قول الله تعالى[1]: ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) وقد ذكر ابن جرير أن مولد نوح كان بعد وفاة آدم بمائة وستة وعشرين عاما، وأنه بعث وهو ابن ثلاثمائة وخمسين وقيل

(١) في الباب واليونينية (باب قول الله عزوجل)

غير ذلك، وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين، وقيل أن مدة عمره ألف سنة إلاخمسين عاما قبل البعثة وبعدها وبعد الغرق فالله أعلم. وصحح ابن حبان من حديث أبي أمامة «أن رجلا قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم. قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون».

قوله (أنا سيد الناس يوم القيامة) خصه بالذكر لظهور ذلك له يومئذ حيث تكون الأنبياء كلهم تحت لوائه ويبعثه الله المقام المحمود كما سيأتي بيانه في الرقاق مع تتمة شرح الحديث إن شاء الله تعالى. والغرض منه هنا قوله «فيقولون يانوح أنت أول الرسل» إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكورا» فإما كونه أول الرسل فقد استشكل بأن آدم كان نبيا وبالضرورة تعلم أنه كان على شريعة من العبادة وأن أولاده أخذوا ذلك عنه فعلى هذا فهو رسول إليهم فيكون هو أول رسول، فيحتمل أن تكون الأولية في قول أهل الموقف لنوح مقيدة بقولهم إلى أهل الأرض لأنه في زمن آدم لم يكن للارض أهل أو لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد، ويحتمل أن يكون المراد أنه رسول أرسل إلى بنيه وغيرهم من الأمم الذين ارسل اليهم مع تفرقهم في عدة بلاد، وآدم إنما أرسل إلى بنيه فقط وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة.

٤ ـ باب {وإنَّ إلياس لمنَ المُرْسَلِينَ، إذْ قالَ لِقومه ألا تتقون -إلى- وتركْنَا عَليه فِي الآخِرِينَ} [٢٣ الصافات]. قال ابنُ عبَّاسٍ: يُذكَرُ بِخَيرٍ. {سَلامٌ على إِلياسِين، إنَّا كَذلِكَ نَجْزِي المُحْسنَين، إنَّهُ من عبادنَا المؤمنيْن} [١٣٠ الصافات]. يُذكرُ عنْ ابن مَسْعُودٍ وابن عبَّاسٍ أنَّ إلياسَ هُوَ إدْرِيسُ.

٥ ـ باب ذِكْرِ إِدرِيسَ عَلَيهِ السَّلام. وَهُوَ جَدُّ أبِي نُوحٍ، ويقالُ جَدُّ نُوحٍ عَلَيهمَا السَّلامُ وقَوْلِ اللهِ تَعَالى [٥٧ مريم]: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًا}

٣٣٤٢ ـ عنْ أبي ذَرٍّ رضي اللهُ عنهُ يحدِّث أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: فُرِجَ عنْ سَقْف بَيتي وأنا بِمكَّةَ، فنَزَلَ جبريلُ ففرَجَ صدْري، ثم غسلهُ بِماءِ زمزَم، ثُمَّ جاء بطَسْتٍ من ذهَب مُمْتلئٍ حكمةً وإيْماناً فأفْرَغَهَا في صدْري، ثم أطبقَهُ، ثم أخذَ بيدي فعرَجَ بِي إلى السَّماءِ، فلما جاءَ إلى السَّماءِ الدُّنْيا قال جبريلُ لخازن السَّماءِ: افْتَحْ. قالَ: مَنْ هذا؟ قالَ هذا جبريلُ، قالَ: معك أحدٌ؟ قالَ: معي محَمَّدٌ، قالَ: أرْسِلَ إليه؟ قالَ: نَعَمْ، فافْتَحْ. فلمَّا علونْا السَّماءَ إذا رجُلٌ عنْ يَمينه أسْودةٌ وعنْ يَسارة أسْودةٌ، فإذا نَظَرَ قِبل يَمينه ضَحِكَ، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقالَ مرحبًا بالنبيِّ الصَّالح والابن الصَّالح. قلتُ: منْ هذا يا جبريلُ؟ قالَ هذا آدَمُ، وهَذه الأسْودَةُ عنْ يَمينه وعنْ شماله نسَمُ بنيه، فأهْلُ اليمين منهُمْ أهلُ الجنة، والأسودَةُ التي عنْ شماله أهل النَّار، فإذا نظرَ قِبَلَ يَمينه ضحكَ وإذا

نظرَ قِبَلَ شمَاله بكَى. ثم عرجَ بِي جبريلُ حتى أتى السَّماءَ الثَّانيةَ فقالَ لخازنهَا: افتَحْ، فقالَ لَهُ خازنهَا مثلَ مَا قالَ الأوَّلُ، ففتَحَ . قالَ أنَسٌ فذكرَ أنهُ وجدَ في السَّماوَات إدْريس وموسى وعيسَى وإبْراهيم، ولَمْ يُثْبتْ لِي كَيْفَ منَازِلُهُمْ، غَيْرَ أنَّهُ قد ذكَرَ أنَّهُ وجَدَ آدَمَ في السَّماءِ الدُّنْيَا وإبْراهِيمَ في السَّادسَة. وقالَ أنسٌ: فلمَّا مرَّ جبْريلُ بإدْريسَ قال: مرحباً بالنَّبيِّ الصَّالحِ والأخِ الصَّالح، فقلتُ: منْ هذَا؟ قالَ: هذَا إدْريسُ. ثُمَّ مَرَرْتُ بمُوسَى فقالَ: مرحبًا بالنبيِّ الصالح والأخ الصالح، وقلتُ من هذَا؟ قالَ: هذَا موسى. ثم مرَرْت بعيسَى فَقَالَ مَرْحباً بالنبيِّ الصَّالحِ والأخِ الصَّالحِ. قلتُ: من هذَا؟ قالَ: عيسَى. ثُمَّ مررْتُ بإبراهيمَ فقالَ: مرحبًا بالنبيِّ الصَّالحِ والابنِ الصَّالحِ، قلتُ: منْ هذَا؟ قالَ: هذَا إبْراهيمُ -قالَ وأخْبرنِي ابن حزمٍ أنَّ ابن عبَّاسٍ وأبَا حَيَّةَ الأنْصاريَّ كانَا يقُولانِ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: ثم عُرِجَ بِي حتَّى ظَهَرْتُ لمُسْتَوى أسمَعُ صريفَ الأقْلام. قالَ ابنُ حزمٍ وأنسُ بن مالكٍ رضي الله عنهما قالَ النبيُّ ﷺ: ففرَضَ اللهُ عليَّ خَمْسينَ صلاة فرَجَعت بذلك حتى أمُرَّ بِموسَى فقالَ: موسَى ماالَّذي فُرِضَ على أُمَّتك؟ قلتُ: فَرَضَ عَلَيهِمْ خمسين صلاة، قال: فراجعْ ربَّكَ، فإن أُمَّتَكَ لا تُطيقُ ذلكَ، فَرَجعْتُ فَراجعْتُ ربِّي، فوضعَ شَطْرَهَا فرجعْتُ إلى موسى فقال: رَاجعْ ربَّكَ، فذَكَرَ مثلَهُ فوضَعَ شَطْرها، فرجعتُ إلى موسَى فأخبرتُهُ فقالَ: راجعْ ربَّكَ، فإن أُمَّتَكَ لا تطيقُ ذلكَ، فرجعْتُ فراجعتُ ربِّي فقالَ: هِيَ خَمْسٌ وخَمْسونَ، لا يُبدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إلى موسَى فقالَ: راجعْ ربَّكَ، فقلتُ قد اسْتحيَيْتُ منْ ربِّي. ثُمَّ أنطلقَ حتَّى أتى السِّدْرَةَ المُنْتهى، فغَشِيَهَا ألوانٌ لا أدْرِي ماهيَ. ثُمَّ أُدْخلتُ الجنة فإذَا فيهَا جَنَابِذُ اللُّؤلُؤ، وإذَا ترابها المسكُ».

٦ ـ باب قَوْل الله تعالى:

{وإلَى عادٍ أخاهُمْ هوداً قالَ يَا قَومِ اعبُدُوا اللّه} /٥٠ هود/

وقوله [٢١ الأحقاف]: {إذ أنْذر قومَهُ بالأحْقاف -إلى قوله- كذلكَ نَجزِي القَوْمَ المجْرِمين} فيه عن عطاءٍ وسُليمانَ عن عائشةَ عن النبيِّ ﷺ. وقولِ الله عزَّ وجلَّ [٨ - الحاقَّة]: {وأمَّا عادٌ فأهْلكُوا بريحٍ صَرْصَرٍ} شديدةٍ {عَاتية}. قالَ ابن عُيَيْنَةَ: عتَتْ على الخُزَّانِ {سخَّرهَا عليهِمْ سبْعَ لَيَالٍ وثَمانيةَ أيامٍ حُسُومًا} مُتَتَابعةً {فترى القَوْمَ فيهَا صَرْعَى كأنَّهُمْ أعْجازُ نخلٍ خاويةٍ} أصُولُها، {فهَلْ تَرَى لَهُمْ منْ باقية} بقيَّة.

٣٣٤٣ ـ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهُمَا عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «نُصِرْتُ بالصَّبَا، وأُهْلكَتْ عَادٌ بالدَّبُورِ».

٣٣٤٤ ـ عن أبي سعيدٍ رضي الله عنهُ قالَ: «بَعثَ عَليٌّ رضي الله عنهُ إلى النبيِّ ﷺ بذُهيبةٍ، فقَسمها بينَ الأربَعَة، الأقْرعِ بن حابِسٍ الحَنْظليِّ ثم المجاشعِيِّ، وعُيينَةَ بن بدرٍ

الفَزَارِيُّ، وزَيْدٍ الطَّائِيِّ ثُمَّ أحَدِ بَني نبْهانَ، وعلْقَمةَ بن عُلاثةَ العامريِّ أحدَ بَني كلاب. فغضبَتْ قُرَيشٌ والأنصارُ قالوا: يُعْطي صَنَاديد أهْل نَجْدٍ ويَدَعُنا. قالَ: إنَّما أتألَّفُهُمْ. فأقبَلَ رجلٌ غائرُ العينَيْن مُشرِفُ الوجْنتَيْنِ نَاتِئُ الجبين كثُّ اللِّحْية محلوقٌ فقالَ: اتَّقِ اللهَ يا محَمَّدُ، فقال: من يطع اللهَ إذا عصَيتُ أيأمَنُني اللهُ على أهل الأرض ولا تأمنُوني؟ فسأله رجلٌ قتلهُ -أحسبُهُ خالدَ بنَ الوَليد- فمنعَهُ، فلمَّا ولَّى قالَ: إنَّ منْ ضِئضِئِ هذا -أو في عقبِ هذا- قوم يقرءونَ القُرآنَ لا يُجَاوِزُ حنَاجرهُمْ، يَمرُقُونَ من الدِّين مُرُوقَ السَّهْمِ منَ الرَّميَّةِ، يقتُلونَ أهلَ الإسلام ويَدعون أهلَ الأوثانِ، لئنْ أنَا أدرَكتُهم لأقتُلَنَّهم قَتْلَ عادٍ».

[الحديث ٣٣٤٤ - أطرافه في: ٣٦١٠، ٤٣٥١، ٤٦٦٧، ٥٠٥٨، ٦١٦٣، ٦٩٣١، ٦٩٣٣، ٧٤٣٢، ٧٥٦٢]

٣٣٤٥ ـ عن عبدِ اللهِ قالَ: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يَقرأ {فهَلْ منْ مُدَّكرٍ}».

قوله (باب قول الله تعالى: وإلى عاد أخاهم هودا) وسماه أخا لهم لكونه من قبيلتهم لا من جهة أخوة الدين.

قوله {إذ أنذر قومه بالأحقاف -إلى قوله- كذلك نجزي القوم المجرمين} الأحقاف جمع حقف وهو المعوج من الرمل، والمراد به هنا مساكن عاد.

ثانيها حديث أبي سعيد الخدري في ذكر الخوارج.

قوله (وقال ابن كثير عن سفيان) سيأتي الكلام عليه مستوفى في المغازي إن شاء الله تعالى. والغرض منه هنا قوله «لئن أنا أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد» أي قتلا لا يبقي منهم أحدا، إشارة إلى قوله تعالى {فهل ترى لم باقية} ولم يرد أنه يقتلهم بالآلة التي قتلت بها عاد بعينها.

١٧ *[1] ـ باب قَوْلِ اللهِ تعالى [٧٣ الأعراف]: {وإلَى ثَمُودَ أخاهُمْ صالحًا}

وقوله/الحجر:٨٠/ {كذَّب أصْحَاب الحِجْر}: الحجر موضع ثمود. وأما {حرث حجر}: حرام، وكلُّ ممنوع فهو حجر، ومنهُ «حجر محجور». والحِجر كلُّ بِنَاءٍ بَنَيْتَه، وما حجرت عليه من الأرض فهو حجر، ومنه سمي حطيم البيت حجراً، كأنَّهُ مشتقٌ من محطُوم، مثلُ قتيل من مقتول، ويقالُ للأنثَى من الخيلِ حجْر، ويقالُ للعَقْلِ: حجر وحِجىً وأمَّا حجرُ اليمامة فهُوَ المنزل.

---

(١) قدم الحافظ ابن حجر الباب (١٧) من كتاب الأنبياء فوضعه هنا (قبل الباب السابع) ليكون الكلام على نبي الله صالح عليه السلام وقومه من ثمود بعد الكلام على نبي الله شعيب وقومه من عاد، فاقتضى ذلك أن تكون الأحاديث المرقمة في صحيح البخاري من رقم ٣٣٧٧ الى ٣٣٨١ متقدمة عن ترتيبها المتسلسل. فنحن في ترتيب طبع الشرح راعينا ترتيب الشارح، وفي ترتيب ترقيم أحاديث صحيح البخاري راعينا ترتيب هذه الأحاديث في النسخ المتداولة من صحيح البخاري.

٣٣٧٧ ـ عن عبدِ الله بن زَمْعَةَ قال:«سمعت النبيَّ ﷺ -وذكَرَ الَّذي عقرَ النَّاقَةَ- قالَ: انْتَدَبَ لَها رجلٌ ذو عِزٍّ ومَنَعَةٍ في قومِه كأبي زمْعَةَ».

[الحديث ٣٣٧٧ - أطرافه في : ٤٩٤٢، ٥٢٠٤، ٦٠٤٢]

٣٣٧٨ ـ عن ابن عُمَرَ رضيَ اللَّه عنهمَا «أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ لَمَّا نزلَ الحِجْرَ في غزوة تبوكَ أمرهُمْ أن لا يَشْرَبُوا من بئْرِهَا ولا يَسْتَقُوا منها، فقالوا: قدْ عَجَنَّا منها واسْتَقَيْنَا، فأمرهُمْ أن يطْرَحُوا ذلك العجينَ ويُهْرِيقوا ذلك الماءَ». عن أبِي الشُّمُوس« أنَّ النبيَّ ﷺ أمَرَ بالْقاءِ الطعام» وقال أبو ذرٍّ عنِ النبيِّ ﷺ:«مَنِ اعتَجَنَ بِمائِهِ».

[الحديث ٣٣٧٨ - طرفه في: ٣٣٧٩]

٣٣٧٩ ـ عن عبدِ الله بن عُمَرَ رضيَ اللَّه عنهما «أن النَّاسَ نزلُوا معَ رسولِ اللهِ ﷺ أرْضَ ثَمُود، الْحجرَ، واستَقَوا من بئْرِها واعْتَجَنُوا به، فأمَرَهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ أن يُهْرِيقُوا ما استقَوْا من بِئَارِهَا وأن يعْلفُوا الإبلَ الْعَجِينَ، وأَمَرَهُمْ أن يسْتَقُوا منَ الْبِئْرِ الَّتي كانَ تَرِدُها النَّاقةُ».

٣٣٨٠ ـ عنْ سالمِ بن عبدِ الله عنْ أبيهِ رضي اللَّه عنهُ «أن النبيَّ ﷺ لَمَّا مرَّ بالْحجرِ قالَ: لا تدْخُلُوا مساكنَ الَّذينَ ظَلَمُوا، إلا أنْ تكونُوا باكِينَ أن يُصيبَكمْ مَا أصابَهُم. ثم تَقَنَّعَ بردائه وهُوَ على الرَّحْلِ».

٣٣٨١ ـ عن ابن عُمَرَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا تدخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذين ظَلَمُوا أنْفسَهُمْ -إلا أنْ تكونوا باكِينَ- أنْ يُصيبَكُمْ مثلَ مَا أصَابَهُمْ».

قوله (في آخر حديث نافع (وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كان تردها الناقة) وسئل شيخنا الإمام البلقيني: من أين علمت تلك البئر؟ فقال: بالتواتر، إذ لا يشترط فيه الإسلام انتهى. والذي يظهر أن النبي ﷺ علمها بالوحي، ويحمل كلام الشيخ على من سيجيء بعد ذلك. وفي الحديث كراهة الاستقاء من بيار ثمود، ويلتحق بها نظائرها من الآبار والعيون التي كانت لمن هلك بتعذيب الله تعالى على كفره. واختلف في الكراهة المذكورة هل هي للتنزيه أو للتحريم؟ وعلى التحريم هل يمتنع صحة التطهر من ذلك الماء أم لا؟ وقد تقدم كثير من مباحث هذا الحديث في «باب الصلاة[١] في مواضع الخسف والعذاب» من أوائل الصلاة.

قوله (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا) زاد في رواية الكشميهني «أنفسهم» وهذا يتناول مساكن ثمود وغيرهم ممن هو كصفتهم وإن كان السبب ورد فيهم.

(١) كتاب الصلاة باب / ٥٣ ح ٤٣٣ - ١ / ٢٨٤

٧ ـ باب قصة يأجوجَ ومأجوجَ

وقولِ اللَّه تعالى [٩٤ الكهف]: {قالُوا ياذَا القَرْنَين إِنَّ يَأجوجَ ومأجوجَ مُفْسدونَ فِي الأرضِ} وقولِ اللَّه تعالى [٨٣ الكهف]: {وَيَسْألونَكَ عن ذي القرنين -إلى قوله- سَبَبًا} سبباً طريقًا. إلى قوله {آتوني زُبَرَ الحديد} واحدها زُبرة وهي القطع {حتى إذا ساوَى بينَ الصدَفَين} يقال عن ابن عبَّاسٍ الجبلين. والسدَّين: الجبلين. خرجاً أجراً. {قال انفُخوا حتَّى إذَا جعله ناراً قالَ آتوني أفرغ عليه قِطْرا} أصبُبْ عليهِ رَصاصا، ويقال الحديد، ويقال الصُّفْر، وقال ابن عباس: النُّحاسُ {فما اسْطاعوا أن يَظْهروه} يعلوه، اسطاع: استفعل من طُعْتُ له، فلذلك فُتح أسطاعَ يسطيعُ، وقال بعضهم استطاعَ يستطيعُ. {وَمَا استطاعُوا لهُ نَقبا. قال هذا رحمةٌ من ربي، فإذَا جاء وعدُ ربي جعلَهُ دكاءَ} ألزقَهُ بالأرض. وناقة دكاءُ: لاسنامَ لَهَا. وَالدَّكْداكُ من الأرض مثلهُ حتى صلُبَ وتلبَّدَ. {وكان وعدُ ربي حقًا. وتركنا بعضهم يومئذٍ يَمُوجُ في بعضٍ، حتى إذا فُتحَت يَأجوجُ ومأجوجُ وهم من كلِّ حدبٍ ينسِلون} قال قتادةُ: حدبٌ أكمة. «قالَ رجلٌ للنبيِّ ﷺ : رَأيتُ السدَّ مثل البُرد المحبَّر. قال: قد رأيتَه».

٣٣٤٦ ـ عنْ زينَب بنْت جَحْشٍ رضي اللَّه عنها «أنَّ النبيَّ ﷺ دخل عليها فَزِعًا يقول: لا إله إلا اللَّه، ويلٌ للعرَب من شرٍّ قد اقترب، فُتح اليومَ من ردْمِ يأجوجَ ومأجوج مثلُ هذه -وحلَّقَ بإصبَعهِ الإبهام والَّتي تَليها- فقالت زينبُ بنت جَحشٍ: فقلتُ يا رسولَ اللَّه أنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذَا كثُرَ الخَبَث».

[الحديث ٣٣٤٦ - أطرافه في: ٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥]

٣٣٤٧ ـ عنْ أبي هُريرَة رضي اللَّهُ عنْهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «فَتح اللَّهُ من ردْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثلَ هذه، وعقد بيدهِ تِسعين».

[الحديث ٣٣٤٧ - طرفه في: ٧١٣٦]

٣٣٤٨ ـ عَنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي اللَّهُ عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «يقولُ اللَّهُ تعالى: يا آدمُ. فيقول: لبَّيكَ وسَعدَيكَ، وَالخيرُ في يدَيك. فيقول أخْرِجْ بعثَ النَّار. قالَ: ومَا بعثُ النَّار؟ قال: من كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةً وتعسين. فعندَهُ يشيبُ الصغير، «وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حمل حَملها، وترَى النَّاسَ سُكارَى وما هم بسُكارَى، ولكنَّ عذابَ اللَّه شديد». قالوا: يا رسولَ اللَّه، وأيُّنا ذلكَ الواحد؟ قال: أبشروا فإنَّ منكم رجلاً ومن يأجوجَ ومأجوجَ ألف. ثم قال: والذي نفسي بيدهِ إني أرجو أن تكونوا ربُعَ أهل الجنة. فكبَّرنا. فقال: أرجو أن تكونوا ثلُثَ أهل الجنة. فكبَّرنا. فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبَّرنا. فقالَ: ما أنتُمْ في النَّاس إلا كالشَّعْرةِ السوداء في جلد ثورٍ أبيضَ، أو كشعرةٍ بيضاء في جلدِ ثورٍ أسودَ»

[الحديث ٣٣٤٨ - أطرافه في: ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣]

قوله (باب قول الله تعالى {ويسألونك عن ذي القرنين -إلى قوله- سببا) وفي إيراد المصنف ترجمة ذي القرنين قبل إبراهيم إشارة إلى توهين قول من زعم أنه الإسكندر اليوناني، لأن الإسكندر كان قريبا من زمن عيسى عليه السلام، وبين زمن ابراهيم وعيسى أكثر من ألفي سنة، والذي يظهر أن الإسكندر المتأخر لقب بذي القرنين تشبيها بالمتقدم لسعة ملكه وغلبته على البلاد الكثيرة، أو لأنه لما غلب على الفرس وقتل ملكهم انتظم له ملك المملكتين الواسعتين الروم والفرس فلقب ذا القرنين لذلك، والحق أن الذي قص الله نبأه في القرآن هو المتقدم، وقد اختلف في ذي القرنين فقيل كان نبيا كما تقدم، وهذا مروي أيضاً عن عبدالله بن عمرو بن العاص وعليه ظاهر القرآن، ثم ذكر المصنف في الباب ثلاثة أحاديث موصولة: أحدها: حديث زينب بنت جحش في ذكر ردم يأجوج ومأجوج، وسيأتي شرحه مستوفى في آخر كتاب الفتن[١]. ثانيها: حديث أبي هريرة نحوه باختصار ويأتي هناك أيضا. ثالثها: حديث أبي سعيد في بعث النار، وسيأتي شرحه في أواخر الرقاق[٢]. والغرض منه هنا ذكر يأجوج ومأجوج والإشارة إلى كثرتهم وأن هذه الأمة بالنسبة إليهم نحو عشر عشر العشر وأنهم من ذرية آدم ردا على من قال خلاف ذلك.

٨ ـ باب قول اللّه تعالى /١٦٥ النساء/: {واتَّخَذَ اللّهُ إبراهيمَ خليلاً}

وقوله [١٢٠ النحل]: {إنَّ إبراهيمَ كانَ أمةً قانتا للّه}، وقوله [١١٤ التوبة]: {إن إبراهيمَ لأوّاه حليم}. وقال أبو مَيسرَةَ: الرحيمُ بلسانِ الحبشة.

٣٣٤٩ ـ عن ابن عبّاس رضي اللّهُ عنهما عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «إنكم محشورونَ حُفاةً عُراةً غرلاً. ثم قرأ {كما بدَأنا أولَ خلقٍ نُعيدهُ، وعداً علينا إنا كنّا فاعلين}. وأوَّلُ مَن يُكسَى يومَ القيامةِ إبراهيمُ. وإنَّ أناسًا من أصحابي يؤخَذُ بهم ذات الشمالِ، فأقولُ: أصحابي، أصحابي. فيقال: إنهم لم يَزالوا مرتدِّين على أعقابهم منذُ فارقتَهم فأقول كما قال العبدُ الصالح {وكنتُ عليهم شهيداً مادمتُ فيهم -إلى قوله- الحكيم} [المائدة ١١٧] الآية.

[الحديث ٣٣٤٩ - أطرافه في: ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠، ٦٥٢٤، ٦٥٢٥، ٦٥٢٦]

٣٣٥٠ ـ عن أبي هريرة رضي اللّهُ عنهُ عنِ النّبيِّ ﷺ قالَ: «يَلْقَى إبراهيمُ أباهُ آزَرَ يومَ القيامةِ وعلى وجهِ آزَرَ قترَةٌ وغَبَرةٌ، فيقول لهُ إبراهيمُ: ألم أقُل لكَ لا تَعصِني؟ فيقولُ أبوهُ: فاليومَ لا أعصيكَ. فيقولُ إبراهيمُ: يا رب إنكَ وعَدتَني أن لا تُخزِيَني يومَ يُبْعثون، فأيُّ خِزْيٍ أخزى من أبي الأبعَد؟ فيقولُ اللّه تعالى: إني حرّمتُ الجنة على الكافرين. ثمَّ يقالُ: يا إبراهيمُ ما تحتَ رجليكَ، فيَنظرُ فإذا هو بذِيخٍ مُلْتطِخٍ، فيُؤخذُ

(١) كتاب الفتن باب / ٢٨ ح ٧١٣٥ - ٥ / ٤١٠
(٢) كتاب الرقاق باب / ٤٦ ح ٦٥٣٠ - ٥ / ٦٦

بقوائمه فيُلْقَى في النار».

[الحديث ٣٣٥٠ - طرفاه في: ٤٧٦٨، ٤٧٦٩]

٣٣٥١ ـ عن ابن عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهُمَا قالَ: «دَخَلَ النبيُّ ﷺ البيتَ فوَجَدَ فيه صورةَ إبراهيمَ وصورةَ مريم فقال ﷺ: أمَّا هم فقد سمِعوا أنَّ الملائكةَ لا تدخُلُ بَيْتًا فيهِ صورة، هذا إبراهيمُ مصوَّرٌ، فماله يستَقسِم».

٣٣٥٢ ـ عن ابن عبَّاسٍ رضي اللهُ عَنهُمَا «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما رَأى الصُّوَرَ فِي البيت لم يَدخُلْ حتى أمَرَ بهَا فمُحِيَت. ورأى إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلامُ بأيدِيهما الأزْلامَ فقالَ: قاتَلَهمُ الله، واللهِ إن استَقْسَمَا بالأزْلامِ قطُّ».

٣٣٥٣ ـ عن أبي هريرة رضي اللهُ عنْهُ «قيل يارسولَ الله منْ أكرمُ النَّاسِ؟ قالَ: أتْقاهُمْ . فقالوا: ليسَ عنْ هذا نسألكَ، قالَ: فَيُوسف نبيُّ الله ابن نبيِّ الله ابن خليل الله. قالُوا: لَيْس عنْ هذا نسألكَ. قالَ: فعَن معادنِ العَرَبِ تَسْألُونَ؟ خيَارُهُمْ فِي الجَاهليَّةِ خيَارُهُمْ في الإسلامِ إذا فَقِهُوا».

[الحديث ٣٣٥٣ - أطرافه في: ٣٢٧٤، ٣٣٨٣، ٣٤٩٠، ٤٦٨٩]

٣٣٥٤ ـ عَنْ سمُرَة قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «أتَانِي اللَّيلَةَ آتيانِ، فأتَيْنَا عَلَى رَجُل طويلٍ لا أكَادُ أرَى رَأسَهُ طُولاً، وإنَّهُ إبراهيمُ ﷺ».

٣٣٥٥ ـ عنْ مجاهدٍ أنهُ سمعَ ابنَ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهمَا -وذَكَرُوا لَهُ الدَّجَّال بين عينَيهِ مكْتُوبٌ كافرٌ أوْ ك ف ر- قالَ: لمْ أسمَعْهُ، ولكنَّهُ قالَ: أمَّا إبْراهيمُ فانْظروا إلَى صاحِبِكمْ، وأمَّا موسَى فجَعْدٌ آدمُ على جَمَلٍ أحْمَرَ مخْطومٍ بخُلْبة، كأنِّي أنْظُرُ إليه انحَدَرَ فِي الوَادي».

٣٣٥٦ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «اخْتَتَنَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ وهُوَ ابنُ ثمانينَ سنةً بالقَدُّومِ» وقال أبو الزِّناد «بالقَدُومِ» مخففة.

[الحديث ٣٣٥٦ - طرفه في: ٦٢٩٨]

٣٣٥٧ ـ عنْ أبي هريرةَ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَمْ يكذب إبراهيمُ عليه السَّلامُ إلا ثلاثَ كذباتٍ».

٣٣٥٨ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: «لَمْ يَكذِب إبراهيمُ عليه السَّلامُ إلا ثلاثَ كذبات: ثنتيْنِ منهنَّ في ذاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ: قوله {إني سَقيم} وقوله {بل فَعلهُ كبيرُهم هذا} وقال: بَينا هو ذات يومٍ وسارةُ إذ أتى على جَبَّارٍ منَ الجبابرةِ، فقيلَ لهُ: إن هاهنا رجلاً معهُ امرأة من أحسَنِ الناسِ، فأرسلَ إليهِ فسألهُ عنْهَا فقالَ: من هذه؟ قالَ: أختي. فأتى سارةَ قال: يا سارةُ ليس على وَجهِ الأرض مؤمنٌ غيري وغيركِ، وإن هذا سألني عنكِ

فأخبرتهُ أنَّكِ أختي، فلا تكذِّبيني. فأرسلَ إليهَا، فلمَّا دخلَتْ عليهِ ذَهبَ يتَناولُها بيدِه فأخِذ. فقال: ادْعِي اللهَ لي ولا أضرُّكِ، فدعَتِ الله فَأطلِقَ. ثُمَّ تناولها الثانية فأخِذَ مِثلَها أو أشدَّ، فقال: ادعي اللهَ لي ولا أضُرُّكِ، فدعَت فأطلِقَ. فَدعَا بعضَ حجَبَتِه فقال: إنكم لم تأتوني بإنسانٍ، إنما أتيتُموني بشيطان، فأخدَمَها هاجَرَ. فأتَتْهُ وَهُوَ قائمٌ يُصلي، فأومأ بيده: مَهْيَمْ؟ قالَتْ: ردَّ الله كيدَ الكافرِ -أوِ الفاجرِ- فِي نَحرِه، وأخدَمَ هاجر. قال أبو هريرة: تلكَ أُمُّكم يا بني ماءِ السَّماءِ».

٣٣٥٩ - عَنْ أمِّ شُرَيكٍ رضيَ اللهُ عَنْهَا «أنَّ رسُولَ الله ﷺ أمَرَ بقتلِ الوَزَغِ وقال: كان ينفُخ على إبراهيمَ عليهِ السَّلام».

٣٣٦٠ - عنْ عبدِ الله رضي الله عنْهُ قالَ: «لمَّا نَزلَتْ {الَّذينَ آمَنُوا ولَمْ يَلبِسوا إيْمانَهُمْ بظلم} قلنا: يا رسولَ الله، أينا لا يَظلِمُ نفسَه؟ قال: ليس كما تقولون، {لم يلبَسُوا إيْمانهُمْ بظلم}: بشِرك. أوَ لم تَسمَعوا إلى قولِ لقمانَ لابنهِ {يا بنيَّ لا تُشرِكْ باللهِ؛ إن الشِركَ لظلمٌ عظيم} ».

قوله (باب قولِ الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلا، وقوله: إن إبراهيم كان أمة قانتا لله، وقوله إن إبراهيم لأواه حليم) وكأنه أشار بهذه الآيات إلى ثناء الله تعالى على إبراهيم عليه السلام، وإبراهيم بالسريانية معناه أب راحم، والخليل من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله، وهذا صحيح بالنسبة إلى ما في قلب إبراهيم من حب الله تعالى.وأما إطلاقه في حق الله تعالى فعلى سبيل المقابلة، وقيل الخلة أصلها الاستصفاء وسمى بذلك لأنه يوالي ويعادي في الله تعالى، وخلة الله له نصره وجعله إماما[١]

وسيأتي شرح حديث الباب مستوفى في أواخر الرقاق إن شاء الله تعالى.

ثانيها: حديث أبي هريرة «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة» وسيأتي شرحه في تفسير الشعراء إن شاء الله تعالى.

خامسها: حديث سمرة في المنام الطويل الذي تقدم مع بعض شرحه في آخر الجنائز، ذكر منه هنا طرفًا وهو قوله «فأتينا على رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا وإنه إبراهيم عليه السلام. وسيأتي شرحه مستوفى إن شاء الله تعالى في كتاب التعبير[٢].

سادسها: حديث ابن عباس وقد سبق في الحج .

سابعها: حديث أبي هريرة «اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة بالقَدُوم»

(١) هذا خلاف قول أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون لله سبحانه صفة الخلة وهي فوق المحبة على ما يليق بجلاله وعظمته.

(٢) كتاب التعبير باب / ٤٨ ح ٧٠٤٧ - ٥ / ٣٥٨

واختلف في المراد به فقيل: هو اسم مكان، وقيل اسم آلة النجار.

والراجح أن المراد في الحديث الآلة، فقد روى أبو يعلى من طريق علي بن رباح قال «أمر إبراهيم بالختان، فاختتن بقدوم فاشتد عليه، فأوحى الله إليه أن عجلت قبل أن نأمرك بآلته، فقال: يارب كرهت أن أؤ خر أمرك».

قوله (لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة[١] السلام إلا ثلاث كذبات)

قوله {إني سقيم} يحتمل أن يكون أراد إني سقيم أي سأسقم واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيرا، ويحتمل أنه أراد أني سقيم بما قدر عليَّ من الموت أو سقيم الحجة على الخروج معكم، وحكى النووي عن بعضهم أنه كان تأخذه الحمي في ذلك الوقت، هو بعيد لأنه لو كان كذلك لم يكن كذبا لا تصريحا ولا تعريضا، وقوله {بل فعله كبيرهم} قال القرطبي هذا قاله تمهيدا للاستدلال على أن الأصنام ليست بآلهة وقطعا لقومه في قولهم أنها تضر وتنفع، قال ابن عقيل: دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقا به ليعلم صدق ما جاء به عن الله،ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه، وإنما أطلق عليه ذلك ولكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام -يعني إطلاق الكذب على ذلك- إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه، وإلا فالكذب المحض و في مثل تلك المقامات يجوز،وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعا لأعظمهما، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تذم فإن الكذب وإن كان قبيحا مخلا لكنه قد يحسن في مواضع وهذا منها .

قوله (ثنتين منهن في ذات الله) خصهما بذلك لأن قصة سارة وإن كانت أيضا في ذات الله لكن تضمنت حظا لنفسه ونفعا له بخلاف الثنتين الأخيرتين فإنهما في ذات الله محضا.

قوله (فأرسل إليه فسأله عنها فقال[٢] من هذه؟ قال أختي، فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض الخ) هذا ظاهر في أنه سأله عنها أولاً ثم أعلمها بذلك لئلا تكذبه عنده، وفي رواية هشام بن حسان أنه قال لها:«إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي، وإنك أختي في الإسلام، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي أن تكون إلا لك، فأرسل إليها» الحديث فيمكن أن يجمع بينهما بأن إبراهيم أحس بأن الملك سيطلبها منه فأوصاها بما أوصاها، فلما وقع ما حسبه أعاد عليها الوصية. واختلف في السبب الذي حمل إبراهيم على هذه الوصية مع أن ذلك الظالم يريد اغتصابها على نفسها أختا كانت أو زوجة، فقيل: كان من دين ذلك الملك أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج، كذا قيل، ويحتاج إلى تتمة وهو إن

(١) رواية الباب واليونينية بدون "الصلاة"
(٢) رواية الباب واليونينية "قال".

إبراهيم أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفهما، وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة، لكن إن علم أن لها زوجا في الحياة حملته الغيرة على قتله وإعدامه أو حبسه وإضراره، بخلاف ما إذا علم أن لها أخا فإن الغيرة حينئذ تكون من قبل الأخ خاصة لا من قبل الملك فلا يبالي به. وقيل أراد إن علم أنك امرأتي ألزمني بالطلاق، والتقرير الذي قررته جاء صريحا عن وهب بن منبه فيما أخرجه عبد بن حميد في تفسيره من طريقه، وذكر المنذري في «حاشية السنن» عن بعض أهل الكتاب أنه كان من رأى الجبار المذكور أن من كانت متزوجة لا يقربها حتى يقتل زوجها فلذلك قال إبراهيم هي أختي، لأنه إن كان عادلا خطبها منه ثم يرجو مدافعته عنها، وإن كان ظالما خلص من القتل، وليس هذا ببعيد مما قررته أولا، وهذا أخذ من كلام ابن الجوزي في «مشكل الصحيحين» فإنه نقله عن بعض علماء أهل الكتاب أنه سأله عن ذلك فأجاب به.

قوله (فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ) وفي رواية مسلم «فقام إبراهيم إلى الصلاة، فلما دخلت عليه أي على الملك لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة.

قوله (فقال ادعي الله لي ولا أضرك) في رواية مسلم «فقال لها ادعي الله أن يطلق يدي ففعلت».

قوله (فأخذ مثلها أو أشد) في رواية مسلم «فقبضت أشد من القبضة الأولى»، والمراد بالشيطان المتمرد من الجن، وكانوا قبل الإسلام يعظمون أمر الجن جدا ويرون كل ما وقع من الخوارق من فعلهم وتصرفهم.

قوله (فأخدمها هاجر[(١)]) أي وهبها لها لتخدمها لأنه أعظمها أن تخدم نفسها. وفي رواية مسلم «فأخرجها من أرضي وأعطها آجر».

قوله (قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء) كأنه خاطب بذلك العرب لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بهامواقع القطرة لأجل رعي دوابهم، وقيل أراد بماء السماء زمزم لأن الله انبعها لهاجر فعاش ولدها بها فصاروا كأنهم أولادها، وفي الحديث مشروعية أخوة الإسلام وإباحة المعاريض، والرخصة في الانقياد للظالم والغاصب، وقبول صلة الملك الظالم، وقبول هدية المشرك، وإجابة الدعاء بإخلاص النية، وكفاية الرب لمن أخلص في الدعاء بعمله

---

(١) في المتن واليونينية "وأخدم هَاجَرَ"

الصالح. وسيأتي نظيره في قصة أصحاب الغار[١] وفيه ابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم، وفيه أن من نابه أمر مهم من الكرب ينبغي له أن يفزع إلى الصلاة. وفيه أن الوضوء كان مشروعا للأمم قبلنا وليس مختصا بهذه الأمة ولا بالأنبياء، لثبوت ذلك عن سارة، والجمهور على أنها ليست بنبية.

٩ - باب يَزِفُّون: النَّسَلانُ في المَشْيِ

٣٣٦١ - عنْ أبي هُريرَةَ رضيَ اللّهُ عنْهُ قالَ: «أُتِيَ النبيُّ ﷺ يوماً بلحمٍ، فقالَ: إنَّ اللّه يَجْمَعُ يومَ القِيامَة الأوَّلينَ والآخرينَ في صعيدٍ واحدٍ، فيُسمعهُمْ الدَّاعي ويُنْفذُهمْ البصرُ، وتدنُو الشَّمْس منهُمْ -فَذكرَ حديثَ الشَّفَاعَة- فيأتُونَ إبراهيمَ فيقولُونَ: أنْت نبيُّ اللّه وخليلُه منَ الأرض، اشْفعْ لنَا إلى ربِّكَ، فيقولُ -فذكَرَ كَذباته-: نفْسي نفْسِي، اذْهبُوا إلى موسَى». تابعهُ أنسٌ عن النَّبيِّ ﷺ.

٣٣٦٢ - عنْ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللّه عنهما عن النبيِّ ﷺ قالَ: «يَرْحَمُ اللّهُ أمَّ إسْمَاعيلَ، لولا أنَّها عَجلَت لكانَ زَمْزَمُ عيناً معينًا».

٣٣٦٣ - قال الأنصاريُّ حدثنا ابن جريج قال: أما كثير بن كثير فحدثني قال «أني وعثمانَ بن أبي سليمان جلوسٌ مع سعيد ابن جريج فقال: ما هكذا حدثني ابن عبَّاسٍ، ولكنَّهُ قالَ: أقْبَلَ إبْراهيمُ بإسماعيلَ وأمِّه عليهِمُ السَّلامُ -وهيَ تُرْضعُهُ- معهَا شَنَّةٌ لمْ يرْفَعهُ، ثُمَّ جاءَ بهَا إبراهيمُ وبابنها إسْماعيلَ».

٣٣٦٤ - عن سعيدِ بن جُبَيرٍ قال ابنُ عبَّاسٍ: «أوَّلُ ما اتَّخذَ النِّساءُ المِنطقَ من قبل أمِّ إسماعيلَ اتَّخذتْ منِطقاً لتُعَفِّيَ أثَرَهَا على سارَةَ، ثمَّ جاءَ بِها إبراهيمُ وبابْنها إسْماعيلَ -وهيَ تُرْضعهُ- حتى وَضَعَهَا عندَ البيت عنْدَ دوْحةٍ فوقَ زمْزم فِي أعلى المسجد، وليسَ بمَكَّةَ يومئذٍ أحَدٌ، وليسَ بها ماءٌ فوضعهُما هنالكَ، ووضَعَ عندهُمَا جرَاباً فيه تَمْرٌ وسِقاءً فيه ماءٌ، ثمَّ قفَّى إبراهيمُ منطلقًا، فتبعَتْهُ أمُّ إسماعيلَ فقالتْ: يا إبراهيمُ أيْنَ تَذْهَبُ وتتْرُكنَا بهذَا الوادي الَّذي ليْسَ فيه إنْسٌ ولا شيءٌ، فقالتْ لَهُ ذلكَ مرَاراً وجعلَ لا يَلْتفتُ إليْهَا. فقالَتْ لهُ: آللّهُ أمركَ بهذَا ؟ قالَ: نعم. قالتْ: إذنْ لا يضيِّعُنَا. ثمَّ رجَعَتْ. فانْطلَقَ إبراهيمُ حتى إذَا كانَ عندَ الثَّنيَّة حيثُ لا يَرَوْنَهُ اسْتَقبَلَ بوَجْهه البَيْتَ ثمَّ دعَا بهؤلاءِ الكلمَاتِ ورَفعَ يديه فقالَ {ربَّنَا إنِّي أسْكَنْتُ من ذُرِّيَّتي بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ -حتَّى بلغَ- يشكرُونَ} وجعلتْ أمُّ إسْماعيلَ تُرْضعُ إسماعيلَ وتَشْرَبُ من ذلكَ الماءِ، حتَّى إذَا نَفدَ ما فِي السِّقَاءِ عَطشَت وعَطشَ ابْنُها، وجعلتْ تنْظرُ إليهِ يَتَلوَّى -أوْ قالَ: يَتَلبَّطُ- فانْطلَقَتْ كراهيةَ أنْ تنْظرُ إليه، فوَجَدت الصَّفَا أقْرَبَ جبَلٍ فِي الأرْضِ يليهَا، فقامَتْ

---

(١) كتاب أحاديث الأنبياء باب / ٥٣ ح ٣٤٦٥ - ٣ / ٧٢

عليهِ، ثُمَّ استقبلت الوادي تنظُرُ هلْ تَرَى أحداً، فلَمْ ترَ أحداً، فهبَطت من الصَّفا، حتى إذا بَلَغَتِ الوادي رفعَتْ طرَفَ درْعهَا، ثمَّ سعَتْ سعْيَ الإنسانِ المجْهود حتى جاوزَتِ الوادي، ثمَّ أتَت المرْوَةَ فقامَتْ عليْهَا فَنظرَتْ هل تَرَى أحداً؛ فلَمْ ترَ أحداً، ففعلَتْ ذلكَ سبْعَ مرَّاتٍ. قالَ ابن عبَّاسٍ قالَ النبي ﷺ: فذلِكَ سعيُ النَّاسِ بينهُمَا. فلمَّا أشْرفَت على المرْوةِ سمعَتْ صوتًا فقالتْ: صَهٍ -تريدُ نفسَهَا- ثُمَّ تَسَمَّعَتْ أيْضًا فقالتْ: قدْ أسْمَعْتَ إنْ كانَ عندكَ غِوَاثٌ، فإذَا هيَ بالْملكِ عندَ موضعِ زمزَمَ، فبحَثَ بعَقِبه -أوْ قالَ بجَنَاحه- حتَّى ظهَرَ الماءُ، فجعلَت تحوضُهُ وتقولُ بيدهَا هكذَا، وجعلَتْ تغرِفُ من الماءِ في سقَائهَا وهُوَ يَفُورُ بعْدَ ما تغرِفْ. قالَ ابن عبَّاسٍ قالَ النبيُّ ﷺ: يَرْحم الله أمَّ إسْمَاعيلَ لوْ تركتْ زمْزَمَ -أوْ قالَ: لو لم تَغرِفْ منِ الماءِ- لكانَتْ زَمْزَمُ عينًا مَعينًا. قالَ فَشرِبَتْ وأرْضعَتْ ولَدَهَا، فقالَ لهَا الملكُ: لا تخافُوا الضَّيعَةَ، فإنَّ هَا هُنَا بيتَ الله يبني هذَا الغُلامُ وأبوهُ، وإنَّ الله لا يضيِّعُ أهْلَهُ. وكانَ البَيتُ مرتَفعًا من الأرضِ كالرَّابِيةِ، تأتيه السُّيُول فتَأخُذُ عنْ يَمينه وشمَاله، فكانتْ كذلكَ حتَّى مرَّتْ بهِمْ رُفْقةٌ منْ جُرْهُمٍ -أوْ أهل بَيْتٍ منْ جرْهُمٍ- مُقْبلينَ من طريقِ كداءٍ، فَنزَلُوا في أسْفَل مكَّةَ، فَرَأوْا طائراً عائفاً، فقالوا: إنَّ هذَا الطَّائرَ ليَدُورُ على ماءٍ، لعَهْدُنا بهذَا الوَادي ومَا فيه ماءٌ، فأرْسلوا جرِيًّا أوْ جَرِيَّينِ فإذَا همْ بالماءِ، فرجعُوا فأخْبرُوهُمْ بالماءِ، فأقبلُوا - قالَ وأمُّ إسماعيلَ عند الماءِ - فقالوا أتَأذَنِينَ لَنَا أنْ ننزلَ عندك؟ فقالتْ: نعمْ، ولكن لا حَقَّ لكُمْ في الماءِ. قالُوا: نَعَمْ. قالَ ابنُ عبَّاسٍ قالَ النبيُّ ﷺ: فألفَى ذلكَ أمُّ إسماعيل وهيَ تُحبُّ الإنسَ، فنزلُوا، وأرْسلُوا إلى أهليهِمْ فنزلُوا معَهُمْ، حتَّى إذَا كانَ بهَا أهْلُ أبياتٍ منهم، وشَبَّ الغُلامُ وتعلَّمَ العربيَةَ منْهُمْ، وأنْفسَهُمْ و أعْجَبَهُمْ حيْنَ شبَّ، فلمَّا أدركَ زوَّجُوهُ امْرَأةً منهم، وماتَتْ أمُّ إسمَاعيلَ، فَجَاءَ إبْراهيمُ بعْد مَا تَزوَّجَ إسماعيلُ يُطالِعُ تَركتَهُ، فَلَمْ يَجدْ إسماعيل، فسألَ امرأتَهُ عنه فقالت: خرَجَ يَبتغي لنا، ثم سألها عن عَيشهم وهَيئتهم فقالت: نحنُ بشرٍّ، نحنُ في ضيقٍ وشدَّةٍ. فشكَتْ إليه. قالَ: فإذَا جاءَ زوجُكِ فاقرَئِي عليه السلامَ وقولي لهُ يغَيِّرْ عَتبةَ بابه. فلما جاءَ إسماعيلُ كأنَّهُ آنسَ شيئاً فقال: هل جاءكم من أحدٍ؟ قالت: نعم، جاءنا شيخٌ كذا وكذا، فسألَنَاعنك فأخبرتُه، وسألني كيف عَيشُنا، فأخبرتُه أنَّا في جَهدٍ وشدَّةٍ. قال: فهل أوصاك بشيءٍ؟ قالت: نعم، أمرَني أن أقرأ عليكَ السلام، ويقول: غيِّرْ عتبةَ بابكَ. قال: ذاكِ أبي، وقد أمرني أن أفارقَكِ، الحقي بأهْلكِ، فَطلَّقَهَا، وتَزوَّجَ منهُم أخرى. فلبثَ عنهُمْ إبْراهيمُ ما شاءَ اللهُ، ثمَّ أتاهُمْ بعدُ فلم يَجدْهُ، فَدَخَلَ على امْرأتَهُ فسألَهَا عنْهُ فقالَتْ خَرجَ يبتَغي لنا. قال: كيفَ أنتُمْ؟ وسألَهَا عنْ عَيْشهِمْ وهيئتهِم فقالت: نحن بخيرٍ وسَعَةٍ، وأثنَتْ على الله. فقالَ: ما طعامُكم؟ قالتْ: اللحمُ. قال: فما شرابُكم؟ قالتْ: الماءُ قال: اللَّهُمَّ بارك لهم في اللحمِ

والماء. قالَ النبيُّ ﷺ: ولمْ يكُنْ لهُمْ يَوْمَئذٍ حَبٌّ، ولوْ كانَ لَهُمْ دعا لهم فيه، قال: فهما لا يَخْلو عليهمَا أحدٌ بغيرِ مكةَ إلا لم يُوافقاهُ. قالَ: فإذَا جاءَ زوجُكِ فاقرئي عليهِ السَّلامَ، ومُريهِ يُثبتُ عتبةَ بابه. فلما جاءَ إسماعيلُ قال: هل أتاكم من أحَدٍ؟ قالت: نعم، أتانا شَيخٌ حسنُ الهيئة-وأثنَتْ عليه- فسألني عنكَ فأخبرته، فسألني كيف عيشُنا فأخبرتُهُ أنَّا بخيرٍ. قالَ: فأوصاكِ بشيءٍ؟ قالتْ: نعم، هو يقرأُ عليكَ السلام، ويَأمُركَ أنْ تُثبتَ عتبةَ بابِك.قال: ذاكِ أبي، وأنتِ العتبةُ، أمَرَني أنْ أمسكَكِ. ثم لَبِثَ عنهم ماشاءَ اللهُ، ثمَّ جاء بعْدَ ذلك وإسماعيلُ يَبْري نَبْلاً له تحتَ دَوْحَةٍ قريباً من زمْزمَ، فلما رآه قامَ إليه، فصنَعا كما يَصنَعُ الوالدُ بالوَلَد والوَلَدُ بالوالد. ثم قال: يا إسماعيلُ، إن اللّهَ أمَرَني بأمر. قال:فاصْنَعْ ما أمَرَكَ رَبُّكَ. قالَ، وتُعينني؟ قالَ: وأُعينُكَ. قالَ: فإن اللّهَ أمرني أن أبْنيَ ها هنا بيتا -وأشارَ إلى أكمة مُرتفعةٍ على ما حولَهَا- قال: فعندَ ذلكَ رفَعا القواعدَ منَ البيتِ، فجعَلَ إسماعيلُ يَأتي بالحجارةِ وإبراهيمُ يَبني. حتى إذا ارتَفَعَ البناءُ جاءَ بهذا الحجَرِ فَوضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عليْه وهُوَ يَبْني وإسماعيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارةَ، وهُما يقولانِ {ربَّنا تقبَّلْ منَّا، إنَّكَ أنتَ السميعُ العليم} قالَ: فَجعَلا يبنيانِ حتى يدُورا حَولَ البيتِ وهُما يَقولان: {ربَّنا تقبَّلْ منَّا، إنَّكَ أنتَ السميعُ العَليم}».

٣٣٦٥ ـ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: «لمَّا كانَ بَيَن إبراهيمَ وبين أهلهِ ما كان خرجَ بإسماعيلَ، ومعهم شنَّةٌ فيهَا ماءٌ، فَجعَلَتْ أمُّ إسماعيلَ تشربُ منَ الشَّنَّة فيَدِرُّ لَبَنُها على صبيِّها حتَّى قَدِمَ مكة فَوضَعها تَحتَ دوحةٍ، ثمَّ رَجع إبراهيمُ إلى أهْلِهِ، فأتبعَتْه أمُّ إسْماعِيلَ حتى لما بَلغوا كداءَ نادتهُ من ورائه: يا إبراهيمُ إلى مَنْ تَتركنَا؟ قالَ: إلى اللهِ. قالتْ: رضيتُ باللهِ. قالَ فرجَعَتْ فَجعَلَتْ تشرِبُ من الشَّنَّة ويدرُّ لبَنُها عَلى صبيِّها، حتى لما فَنِيَ المَاءُ قالت: لو ذَهبتُ فنَظرْتُ لعلّي أحسُّ أحداً. قال: فَذَهَبَتْ فصعدَت الصَّفا فنظرت ونظرت هل تُحسُّ أحداً؟ فلم تَحسَّ أحداً. فلما بلغتِ الوادي سَعَت وأتت المَروةَ، ففعلَتْ ذلكَ أشواطاً، ثمَّ قالَتْ: لوْ ذَهبْتُ فنظرتُ مافعل -تعني الصبيَّ- فذهبَتْ فنظرتْ فإذَا هُوَ على حاله كأنَّهُ ينْشَغُ للموت، فلم تُقرُّها نفسُهَا، فقالَتْ لَوْ ذَهبْتُ فَنَظرتُ لعلّي أحسُّ أحداً، فذهبتْ فصعدتِ الصفا فنظرتُ ونظرت فلم تحسَّ أحداً، حتّى أتمتْ سبعاً، ثم قالت: لو ذهبتُ فنظرتُ ما فعل، فإذَا هيَ بِصوْتٍ، فقالت أغِثْ إن كان عندكَ خيرٌ، فإذَا جبريلُ، قالَ فقالَ بعَقِبه هكذا، وغَمَزَ عَقِبَهُ على الأرضِ، قالَ فانْبَثَقَ المَاءُ، فدهشَت أمُّ إسْماعيلَ فَجعَلَتْ تَحفِزُ، قالَ فقالَ أبُو القاسمِ: النبيُّ ﷺلو تركتْهُ كانَ المَاءُ ظاهراً، قال فَجعَلَتْ تَشربُ منِ الماءِ ويَدِرُّ لبنُها على صبيِّها قالَ فمرَّ ناسٌ من جُرهُمَ ببطنِ الوادي فإذَا همْ بطيرٍ، كأنهم أنكروا ذاك، وقالوا ما يكونُ الطيرُ إلا على ماءٍ، فَبعثُوا رسُولهم فَنظَرَ، فإذَا هُمْ بِالمَاءِ، فأتَاهُمْ فأخْبَرَهُمْ، فأتَوا إليهَا فقالُوا:

يا أمَّ إسماعيلَ أتأذنينَ لنَا أن نكونَ معك، أونَسكُنَ معك؟ فبلغَ ابنُها فنكحَ فيهم امرأةً. قالَ: ثُمَّ إنه بدا لإبراهيمَ فقالَ لأهْلِه: إنِّي مُطَّلِعٌ تَركَتِي. قال فَجَاءَ فسلَّم فقالَ: أين إسماعيلُ؟ فقالتْ امرأَتَهُ: ذَهَبَ يَصيدُ. قالَ: قولي لهُ إذا جاءَ: غيِّرْ عتبةَ بابِكَ. فلمَّا جاءَ أخبَرَته، قالَ أنْتِ ذاكِ، فاذهَبي إلى أهلِكِ. قال ثمَّ إنهَ بَدا لإبراهيمَ فقالَ لأهلِه إني مطَّلِعٌ تركَتِي. قال فجاء فقالَ: أين إسماعيلُ؟ فقالتْ إمْرأَتُهُ: ذَهَبَ يَصيدُ، فقالت: ألا تَنزلُ فتطعَمَ وتَشرَبَ؟ فقال: وما طعامُكُمْ وما شرابُكُمْ؟ قالتْ طعامُنا اللحمُ وشرابُنا الماء. قالَ: اللَّهُمَّ باركْ لهم فِي طعَامِهِمْ وشَرابِهِمْ. قالَ فقالَ أبُو القاسمِ ﷺ: بركةٌ بدعوةِ إبراهيم. قالَ: ثُمَّ إنَّهُ بَدَا لإبراهيمَ فقالَ لإهْلِه: إني مُطَّلِع تركَتِي، فجاء فَوافقَ إسماعيلَ من وراء زَمْزَمَ يصلِحُ نَبلاً لَهُ، فقالَ: يا إسماعيلُ إنَّ ربَّك أمرنِي أن أَبْنِيَ لَهُ بيتًا. قالَ: أطِعْ ربَّكَ. قالَ: إنَّهُ أمرني أن تُعينَنِي عليه، قالَ: إذَن أفعَلُ - أو كما قال. قال فقامَا فجعَلَ إبراهيمُ يبني وإسماعيلُ يُناوِلهُ الحجارةَ، ويقولان {ربَّنَا تقبَّلْ منَّا، إنَّكَ أنْتَ السميعُ العليم}.

قال الله تعالى {فأقبلوا إليه يزفون} قال مجاهد: الوزيف النسلان أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق السدي قال: «رجع إبراهيم عليه السلام إلى آلهتهم فإذا هي في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى جنب بعض، فإذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي الأصنام وقالوا: إذا رجعنا وجدنا الآلهة بركت في طعامنا فأكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم قال: {ألا تأكلون؟ مالكم لا تنطقون} فأخذ حديدة فبقر كل صنم في حافتيه ثم علق الفأس في الصنم الأكبر ثم خرج، فلما رجعوا جمعوا لإبراهيم الحطب حتى ان المرأة لتمرض فتقول لئن عافاني الله لأجمعن لإبراهيم حطبا. فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب وأرادوا إحراقه قالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا خليلك إبراهيم يحرق؟ قال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه. فقال إبراهيم: اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس أحد في الأرض يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل». انتهى.

قوله (عند دوحة) الشجرة الكبيرة.

قوله (فوق الزمزم) في رواية الكشميهني «فوق زمزم» وهو المعروف، وسيأتي شرح أمرها في أوائل السيرة النبوية[١].

قوله (ثم قفى إبراهيم) أي ولى راجعا إلى الشام.

قوله (ثم سعت سعي الإنسان المجهود) أي الذي أصابه الجهد وهو الأمر المشق.

قوله (فجعلت تحوضه) أي تجعله مثل الحوض.

---

(١) كتاب المناقب باب / ١١ ح ٣٥٢٢ - ٣ / ٩٠

قوله (عينا معينا) أي ظاهرا جاريا على وجه الأرض.

قال ابن الجوزي: كان ظهور زمزم نعمة من الله محضة بغير عمل عامل، فلما خالطها تحويط هاجر داخلها كسب البشر فقصرت على ذلك.

قوله (لاتخافوا الضيعة) أي الهلاك.

قوله (حتى مرت بهم رفقة) وهم الجماعة المختلطون سواء كانوا في سفر أم لا.

قوله (من جرهم) هو ابن قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وقيل ابن يقطن، قال ابن إسحق «وكان جرهم وأخوه قطورا أول من تكلم بالعربية عند تبلبل الألسن.

قوله (وهي تحب الأنس) ضد الوحشة.

قوله (وشبّ الغلام) أي إسماعيل.

قوله (وتعلم العربية منهم) فيه إشعار بأن لسان أمه وأبيه لم يكن عربيا، وفيه تضعيف لقول من روى أنه أول من تكلم بالعربية، وقد وقع ذلك من حديث ابن عباس عند الحاكم في «المستدرك» بلفظ أول من نطق بالعربية إسماعيل» وروى الزبير بن بكار في النسب من حديث علي بإسناد حسن قال «أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل» وبهذا القيد يجمع بين الخبرين فتكون أوليته في ذلك بحسب الزيادة في البيان لا الأوليه المطلقة فيكون بعد تعلمه أصل العربية من جرهم ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة فنطق بها، ويشهد لهذا ماحكاه ابن هشام عن الشرقي بن قطامي «أن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم »ويحتمل أن تكون الأولية في الحديث مقيدة بإسماعيل بالنسبة إلى بقية إخوته من ولد إبراهيم فإسماعيل أول من نطق بالعربية من ولد إبراهيم.

قوله (زوجوه امرأة منهم) حكى الأزرقي عن ابن اسحق أن اسمها عمارة بنت سعد بن أسامة.

قوله (وماتت) هاجر أي في خلال ذلك.

قوله (يطالع تركته) أي يتفقد حال ما تركه هناك

قال ابن التين: هذا يشعر بأن الذبيح إسحق لأن المأمور بذبحه كان عندما بلغ السعي، وقد قال في هذا الحديث «إن إبراهيم ترك إسماعيل رضيعا وعاد إليه وهو متزوج» فلو كان هو المأمور بذبحه لذكر في الحديث أنه عاد إليه في خلال ذلك بين زمان الرضاع والتزويج، وتعقب بأنه ليس في الحديث نفي هذا المجيء، فيحتمل أن يكون جاء وأمر بالذبح ولم يذكر في الحديث. قلت: وقد جاء ذكر مجيئه بين الزمانين في خبر آخر، ففي حديث أبي جهم «كان

إبراهيم يزور هاجر كل شهر على البراق يغدو غدوة فيأتي مكة ثم يرجع فيقيل في منزله بالشام» وروى الفاكهي من حديث علي بإسناد حسن نحوه وإن إبراهيم كان يزور إسماعيل وأمه على البراق، فعلى هذا فقوله «فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل» أي بعد مجيئه قبل ذلك مرارا والله أعلم.

قوله (فقالت خرج يبتغي لنا) أي يطلب لنا الرزق.

قوله (ثم سألها عن عيشهم) زاد في رواية عطاء بن السائب «وقال هل عندك ضيافة».

قوله (فقالت: نحن بشرّ، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه) في حديث أبي جهم «فقال لها:هل من منزل؟ قالت: لا ها الله إذن، قال: فكيف عيشكم؟ قال فذكرت جهدا فقالت: أما الطعام فلا طعام، وأما الشاء فلا تحلب الا المصر -أي الشخب- وأما الماء فعلى ما ترى من الغلظ» انتهى.

قوله (عتبة بابك) كناية عن المرأة، وسماها بذلك لما فيها من الصفات الموافقة لها وهو حفظ الباب وصون ما هو داخله وكونها محل الوطء، ويستفاد منه أن تغيير عتبة الباب يصح أن يكون من كنايات الطلاق كأن يقول مثلا غيرت عتبة بابي أو عتبة بابي مغيرة وينوي بذلك الطلاق فيقع، أخبرت بذلك عن شيخنا الإمام البلقيني، وتمامه التفريع على شرع من قبلنا إذا حكاه النبي ﷺ ولم ينكره.

قوله (نحن بخير وسعة) في حديث أبي جهم «نحن في خير عيش بحمد الله، ونحن في لبن كثير ولحم كثير وماء طيب».

قوله (اللهم بارك لهم في اللحم والماء) في رواية إبراهيم بن نافع «اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم، قال قال أبو القاسم ﷺ بركة بدعوة إبراهيم» وفيه حذف تقديره في طعام أهل مكة وشرابهم بركة.

قوله (فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه) قال ابن القوطية: خلوت بالشيء وأختليت إذا لم أخلط به غيره.

قوله (هل أتاكم من أحد) في رواية عطاء بن السائب «فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت نعم شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا».

قوله (دوحة) هي التي نزل إسماعيل وأمه تحتها أول قدومهما كما تقدم.

قوله (فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد) يعني من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك.

قوله (جاء بهذا الحجر) يعني المقام، وفي رواية إبراهيم بن نافع «حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام» زاد في حديث عثمان «ونزل عليه

الركن والمقام فكان إبراهيم يقوم على المقام يبنى عليه ويرفعه له إسماعيل، فلما بلغ الموضع الذي فيه الركن وضعه يومئذ موضعه وأخذ المقام فجعله لاصقا بالبيت، فلما فرغ إبراهيم من بناء الكعبة جاء جبريل فأراه المناسك كلها، ثم قام إبراهيم على المقام فقال: يا أيها الناس أجيبوا ربكم، فوقف إبراهيم وإسماعيل تلك المواقف، وحجه إسحق وسارة من بيت المقدس، ثم رجع إبراهيم إلى الشام فمات بالشام» وروى الفاكهي بإسناد صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: «قام إبراهيم على الحجر فقال: يا أيها الناس كتب عليكم الحج، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن ومن كان سبق في علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك» وفي حديث أبي جهم «ذهب إسماعيل إلى الوادي يطلب حجرا، فنزل جبريل بالحجر الأسود، وقد كان رفع إلى السماء حين غرقت الأرض، فلما جاء إسماعيل فرأى الحجر الأسود قال: من أين هذا، من جاءك به: قال إبراهيم: من لم يكلني إليك ولا إلى حجرك».

١٠ - باب * ٣٣٦٦ - عنْ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «قُلتُ: يَا رَسُولَ الله أيُّ مسْجدٍ وُضعَ في الأرْض أوَّلَ؟ قال: المسجدُ الحرامُ. قالَ قلتُ: ثمَّ أيٌّ، قالَ: المسجدُ الأقْصَى، قلتُ: كمْ كانَ بينَهُمَا؟ قالَ: أربَعونَ سنَةً. ثم أينَمَا أدرَكَتْكَ الصَّلاةُ بعدُ فصلِّهْ، فإنَّ الفَضْلَ فيهِ».

[الحديث ٣٣٦٦ - طرفه في: ٣٤٢٥]

٣٣٦٧ - عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ «أنَّ رسُولَ الله ﷺ طلَعَ لهُ أُحُدٌ فقالَ: هذَا جَبلٌ يُحبُّنَا ونُحبُّهُ، اللَّهُمَّ إنَّ إبراهيمَ حرَّم مكةَ، وإنِّي أحرِّمُ ما بين لابتَيهَا».

٣٣٦٨ - عنْ عائشَةَ رضيَ اللهُ عنْها زوْجِ النبيِّ ﷺ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «ألَمْ تَرَى أنَّ قومكِ لمَّا بنوا الكعبَةَ اقتصرُوا عنْ قَوَاعد إبراهيمَ. فقلتُ يا رسولَ الله ألا تردُّهَا على قَوَاعد إبراهيمَ؟ فقالَ: لوْلا حدْثانُ قومكِ بالكُفْرِ. فقالَ عبدُ الله بن عُمَرَ: لئن كانَتْ عائشَةُ سمعَتْ هذا منْ رسُولِ الله ﷺ مَا أرَى أنَّ رسولَ الله ﷺ تركَ استِلامَ الرُّكْنَينِ اللَّذين يَلِيَانِ الحِجْرَ إلا أنَّ البَيْتَ لمْ يُتَمَّمْ على قواعد إبْراهيمَ».

٣٣٦٩ - عنْ أبي حُميدٍ السَّاعديِّ رضيَ اللهُ عنهُ «أنَّهُمْ قالُوا: يا رسُولَ الله كيْفَ نُصَلِّي عليكَ؟ فقالَ رسُولُ الله ﷺ: قولوا: اللَّهُمَّ صل على مُحَمَّدٍ وأزْوَاجِه وذُرِّيَّته كمَا صلَّيتَ على آل إبْراهيمَ، وبَارِكْ على مُحَمَّدٍ وأزواجِه وذُرِّيَّتِه كمَا باركْتَ عَلَى آلِ إبْراهيمَ، إنَّك حَميدٌ مَجيدٌ».

[الحديث ٣٣٦٩ - طرفه في: ٦٣٦٠]

٣٣٧٠ - عنْ عَبْدِ الرَّحْمن بن أبِي لَيْلى قالَ: «لقيَني كعْبُ بنُ عُجْرَةَ فقالَ: ألا أُهْدِي لكَ هديةً سمعْتُها منَ النبيِّ ﷺ؟ فقلتُ: بَلى فأهْدِهَا لِي، فقالَ: سألْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا: يا رسُولَ اللهِ كيفَ الصَّلاةُ عليْكمْ أهلَ البيتِ، فإنَّ اللهَ قدْ علَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ. قالَ: قولُوا اللَّهُمَّ صلِّ على مُحمَّدٍ وعلى آل مُحَمَّدٍ كمَا صلَّيْتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبْراهيمَ إنَّكَ حَميدٌ مجيدٌ، اللهُمَّ بَارك على مُحمدٍ وعلى آل محمَّدٍ كما باركْت على إبرَاهيمَ وعلى آل إبراهيمَ إنَّك حَميدٌ مجيدٌ».

[الحديث ٣٣٧٠-طرفاه في : ٤٧٩٧، ٦٣٥٧]

٣٣٧١ - عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ النبيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحسن والحسين ويقول: إنَّ أباكُمَا كانَ يُعوِّذُ بهما إسماعيل وإسْحَاق: أعوذُ بكلمات الله التَّامَّة، منْ كلِّ شيطَانٍ وهامَّةٍ، ومنْ كلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ».

قوله (ثم أي) بالتنوين وتركه كما تقدم في حديث ابن مسعود «أي الأعمال أفضل» وهذا الحديث يفسر المراد بقوله تعالى {إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة} ويدل على أن المراد بالبيت بيت العبادة لا مطلق البيوت، وقد ورد ذلك صريحا عن علي أخرجه إسحق بن راهويه وابن أبي حاتم وغيرهما بإسناد صحيح عنه قال: «كانت البيوت قبله، ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله».

قوله (المسجد الأقصى) يعني مسجد بيت المقدس، قيل له الأقصى لبعد المسافة بينه وبين الكعبة، وقيل لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة، وقيل لبعده عن الأقذار والخبائث، والمقدس المطهر عن ذلك.

قوله (أربعون سنة) قال ابن الجوزي: فيه إشكال، لأن إبراهيم بَنَى الكعبة وسليمان بَنَى بيت المقدس وبينهما أكثر من ألف سنة انتهى، ومستنده في أن سليمان عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى ما رواه النسائي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعا بإسناد صحيح «أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلاثا» الحديث، وفي الطبراني من حديث رافع بن عميرة «أن داود عليه السلام ابتدأ ببناء بيت المقدس، ثم أوحى الله إليه: إني لأقضي بناءه على يد سليمان» وفي الحديث قصة، قال: وجوابه أن الإشارة إلى أول البناء ووضع أساس المسجد وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس، فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم ثم انتشر ولده في الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن، وكذا قال القرطبي: إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدآ وضعهما لهما،

بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما.

قوله (فإن الفضل فيه) أي في فعل الصلاة إذا حضر وقتها، وفي «جامع سفيان بن عيينة» عن الأعمش «فإن الأرض كلها مسجد أي صالحة للصلاة فيها. ويخص هذا العموم بما ورد فيه النهي والله أعلم.

قوله (بكلمات الله) قيل المراد بها كلامه على الإطلاق، وقيل أقضيته، وقيل ما وعد به كما قال تعالى: {وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل} والمراد بها قوله تعالى {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض} المراد بالتامة الكاملة وقيل النافعة وقيل الشافية وقيل المباركة وقيل القاضية التي تمضي وتستمر ولا يردها شيء ولا يدخلها نقص ولا عيب، قال الخطابي: كان أحمد يستدل بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق، ويحتج بأن النبي ﷺ لا يستعيذ بمخلوق.

قوله (من كل شيطان) يدخل تحته شياطين الإنس والجن.

قوله (وهامة) بالتشديد واحدة الهوام ذوات السموم، وقيل المراد كل نسمة تهم بسوء.

قوله (ومن كل عين لامة) قال الخطابي: المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل

١١ - باب قولِ الله عزَّ وجلَّ {ونَبِّئْهُمْ عن ضيفِ إبراهيمَ إذْ دخلُوا عليه} الآية /الحجر:٥١/ {وَإذا قالَ إبراهيمُ: ربِّي أرنى كَيفَ تُحْيِ الْموتى} الآية /البقرة:٢٦٠/

٣٣٧٢ - عن أبي هريرةَ رضِيَ اللّهُ عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: نحْنُ أحقُّ بالشّكِّ من إبراهيمَ إذْ قالَ: {ربِّ أرني كيفَ تُحْيِ الموتى. قال: أو لَمْ تُؤْمِنْ؟ قالَ بلى ولكن لِيَطْمَئِنَّ قلبي} وَيرْحمُ اللّهُ لُوطاً لقَدْ كان يَأْوِي إلى ركنٍ شديدٍ، ولو لبثتُ في السِّجْنِ طولَ مالبثَ يوسُفُ لأجبْتُ الدّاعِيَ».

[الحديث ٣٣٧٢ - أطرافه في: ٣٣٧٥، ٣٣٨٧، ٤٥٣٧، ٤٦٩٤، ٦٩٩٢]

قوله (نحن أحق بالشك من إبراهيم) واختلف السلف في المراد بالشك هنا، فحمله بعضهم على ظاهره وقال: كان ذلك قبل النبوة، وحمله أيضا الطبري على ظاهره وجعل سببه حصول وسوسة الشيطان، لكنها لم تستقر ولا زلزلت الإيمان الثابت، واستند في ذلك إلى ما أخرجه هو وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والحاكم من طريق عبد العزيز الماجشون عن محمد بن المنكدر عن ابن عباس قال: «أرجى آية في القرآن هذه الآية {وإذ قال إبراهيم ربي أرني كيف تحي الموتى} الآية، قال ابن عباس: هذا لما يعرض في الصدور ويوسوس به الشيطان

فرضى الله من إبراهيم عليه السلام بأن قال: بلى. ثم اختلفوا في معنى قوله ﷺ: «نحن أحق بالشك» فقال بعضهم: معناه نحن أشد اشتياقًا إلى رؤية ذلك من إبراهيم، وقيل معناه إذا لم نشك نحن فإبراهيم أولى أن لا يشك، أني لو كان الشك متطرقا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به منهم، وقد علمتم أنى لم أشك فاعلموا أنه لم يشك. وإنما قال ذلك تواضعا منه، أو من قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم، وهو كقوله في حديث أنس عند مسلم «أن رجلا قال للنبي ﷺ: يا خير البرية، قال ذاك إبراهيم» وقيل أن سبب هذا الحديث أن الآية لما نزلت قال بعض الناس: شك إبراهيم ولم يشك نبينا فبلغه ذلك فقال: نحن أحق بالشك من إبراهيم، وأراد ما جرت به العادة في المخاطبة لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئاً قال: مهما أردت أن تقوله لفلان فقله لي، ومقصوده لا تقل ذلك. وقيل: أراد بقوله نحن أمته الذين يجوز عليهم الشك وإخراجه هو منه بدلالة العصمة. وقيل: معناه هذا الذي ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك إنما هو طلب لمزيد البيان. وحكى بعض علماء العربية أن أفعل ربما جاءت لنفي المعنى عن الشيئين بنحو قوله تعالى {أهم خير أم قوم تبع} أي لا خير في الفريقين، ونحو قول القائل: الشيطان خير من فلان أي لا خير فيهما، فعلى هذا فمعنى قوله «نحن أحق بالشك من إبراهيم» لاشك عندنا جميعا.

قوله (بلى ولكن ليطمئن قلبي) أي ليزيد سكونا بالمشاهدة المنظمة إلى اعتقاد القلب، لأن تظاهر الأدلة أسكن للقلوب، وكأنه قال أنا مصدق، ولكن للعيان لطيف معنى وقال عياض: لم يشك إبراهيم بأن الله يحي الموتى، ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه، وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته، ويحتمل أنه سأل زيادة اليقين وإن لم يكن في الأول شك لأن العلوم قد تتفاوت في قوتها فأراد الترقي من علم اليقين إلى عين اليقين والله أعلم.

قوله (ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي) أي لأسرعت الإجابة في الخروج من السجن ولما قدمت طلب البراءة، فوصفه بشدة الصبر حيث لم يبادر بالخروج وإنما قاله ﷺ تواضعا، والتواضع لا يحط مرتبة الكبير بل يزيده رفعة وجلالا، وقيل هو من جنس **قوله** «لا تفضلوني على يونس» وقد قيل إنه قاله قبل أن يعلم أنه أفضل من الجميع، وسيأتي تكملة لهذا الحديث في قصة يوسف[١].

(١) كتاب التفسير "يوسف" باب / ٥ ح ٤٦٩٤ - ٣ / ٥٧١

١٢ ـ باب قول اللّه تعالى

{واذكُرْ فِي الكتابِ إسْماعيلَ إنَّهُ كَانَ صادقَ الْوعْدِ} /مريم:٥٤/

٣٣٧٣ ـ عنْ سلَمَةَ بنِ الأكوعِ رضيَ اللّه عنهُ قالَ: «مَرَّ النبيُّ ﷺ على نفرٍ منْ أسْلَم ينْتضلونَ، فقالَ رسولُ اللّه ﷺ: ارمُوا بني إسماعيلَ فإنَّ أباكمْ كانَ راميًا، ارمُوا وأنَا معَ بنِي فُلان. قالَ: فأمْسَكَ أحدُ الفريقينِ بأيديهمْ، فقالَ رسولُ اللّه ﷺ: مالكم لا تَرْمُونَ؟ فقالوا: يا رسُولَ اللّه نرمِي وأنْتَ معهُمْ؟ قالَ ارموا وأنَا معكُمْ كلِّكُمْ».

١٣ ـ باب قصَّة إسحاقَ بن إبراهيمَ عليهمَا السَّلام

فيهِ ابن عمرَ وأبو هريرة عنِ النبيِّ ﷺ.

قوله (قصة[١] إسحق بن إبراهيم النبي ﷺ ذكر ابن إسحاق أن هاجر لما حملت بإسماعيل غارت سارة فحملت بإسحق فوضعتا معا فشب الغلامان.

١٤ ـ باب {أمْ كنتُمْ شُهَدَاءَ إذْ حَضَرَ يعقوبَ الْموتُ - إلَى قوله - ونحْنُ لهُ مُسْلمُون} /البقرة:١٣٣/

٣٣٧٤ ـ عن أبِي هريرَةَ رضيَ اللّهُ عنه قالَ: «قيلَ للنبيِّ ﷺ: منْ أكرَمُ النَّاسِ؟ قالَ: أكْرَمُهُمْ أتقَاهُمْ. قالوا: يا نَبِيَّ اللّه لَيْسَ عنْ هذَا نسْألُكَ. قالَ: فأكْرَمُ النَّاس يُوسفُ نبيُّ اللّهِ ابن نَبيُّ اللّهِ ابن نَبيِّ اللّه ابن خليلِ اللّه. قالوا: لَيْسَ عنْ هذَا نَسْألُكَ. قالَ: أفعَنْ معادن العَرَب تسْألُونَني؟ قالُوا: نعمْ. قالَ: فخيَارُكمْ فِي الجاهلية خيارُكُمْ فِي الإسْلامِ إذَا فَقهُوا».

قوله (باب أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه الآية) أورد فيه حديث أبي هريرة، ومناسبته لهذه الترجمة من جهة موافقة الحديث الآية في سياق نسب يوسف عليه السلام، فإن الآية تضمنت أن يعقوب خاطب أولاده عند موته محرضا لهم على الثبات على الإسلام، وقال له أولاده إنهم يعبدون إلهه وإله آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحق، ومن جملة أولاد يعقوب يوسف عليهم السلام، فنص الحديث على نسب يوسف وأنه ابن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم وزاد أن الأربعة أنبياء في نسق.

قوله (قالوا يا نبي الله ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرم الناس يوسف)الجواب الأول من جهة الشرف بالأعمال الصالحة، والثاني من جهة الشرف بالنسب الصالح.

قوله (أفعن معادن العرب) أي أصولهم التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها، وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعداد المتفاوت، أو شبههم بالمعادن لكونهم أوعية الشرف كما أن المعادن اوعية للجواهر.

---

(١)في المتن واليونينية "باب قصة إسحق بن إبراهيم عليهما السلام"

قوله (فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا) يحتمل أن يريد بقوله «خياركم» جمع خير، ويحتمل أن يريد أفعل التفضيل تقول في الواحد خير وأخير ثم القسمة رباعية، فإن الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية والشرف في الإسلام وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع ومنافرته خصوصا بالانتساب إلى الآباء المتصفين بذلك، ثم الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة شرعا، ثم أرفعهم مرتبة من أضاف إلى ذلك التفقه في الدين، ومقابل ذلك من كان مشروفا في الجاهلية واستمر مشروفا في الإسلام فهذا أدنى المراتب؛والقسم الثالث من شرف في الإسلام وفقه ولم يكن شريفا في الجاهلية، ودونه من كان كذلك لكن لم يتفقه، والقسم الرابع من كان شريفا في الجاهلية ثم صار مشروفا في الإسلام فهذا دون الذي قبله، فإن تفقه فهو أعلى رتبة من الشريف الجاهل.

١٥ - باب {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرونَ، أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِن دُونِ النِّسَاءِ، بَلْ أَنْتُم قَوْمٌ تَجْهَلونَ. فَمَا كَانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ. فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الغَابِرِينَ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ} /النمل:٥٤-٥٨/

٣٣٧٥ - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «يَغْفِرُ اللَّه لِلُوطٍ إِنْ كان لَيأْوِي إلى رُكنٍ شديد».

قوله (باب ولوطًا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة -إلى قوله- فساء مطر المنذرين) يقال أنه لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن أخي إبراهيم عليه السلام، وقد قص الله تعالى قصته مع قومه في الأعراف وهود والشعراء والنمل والصافات وغيرها وحاصلها أنهم ابتدعوا وطء الذكور فدعاهم لوط إلى التوحيد وإلى الإقلاع عن الفاحشة فأصروا على الامتناع، ولم يتفق أن يساعده منهم أحد، وكانت مدائنهم تسمى سدوم وهي بغور زغر من البلاد الشامية، فلما أراد الله إهلاكهم بعث جبريل وميكائيل وإسرافيل إلى إبراهيم فاستضافوه فكان ما قص الله في سورة هود، ثم توجهوا إلى لوط فاستضافوه فخاف عليهم من قومه وأراد أن يخفي عليهم خبرهم فنمت عليهم امرأته فجاءوا إليه وعاتبوه على كتمانه أمرهم وظنوا أنهم ظفروا بهم، فأهلكهم الله على يد جبريل فقلب مدائنهم بعد أن خرج عنهم لوط بأهل بيته، إلا امرأته فإنها تأخرت مع قومها أو خرجت مع لوط فأدركها العذاب، فقلب جبريل المدائن بطرف جناحه فصار عاليها سافلها وصار مكانها بحيرة منتنة لا ينتفع بمائها ولا بشيء مما حولها.

قوله (يغفر الله للوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد) أي إلى الله سبحانه وتعالى، يشير ﷺ إلى قوله تعالى {لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد} ويقال إن قوم لوط لم يكن فيهم أحد يجتمع معه في نسبه نهم من سدوم وهي من الشام وكان أصل إبراهيم ولوط من العراق، فلما هاجر إبراهيم إلى الشام هاجر معه لوط، فبعث الله لوطا إلى أهل سدوم فقال: لو أن لي منعة وأقارب وعشيرة لكنت أستنصر بهم عليكم ليدفعوا عن ضيفاني.

وقال النووي: يجوز أنه لما اندهش بحال الأضياف قال ذلك، أو أنه التجأ إلى الله في باطنه وأظهر هذا القول للأضياف اعتذاراً، وسمى العشيرة ركنا لأن الركن يستند إليه ويمتنع به فشبههم بالركن من الجبل لشدتهم ومنعتهم.

١٦ ـ باب {فلمَّا جاءَ آلَ لوطٍ الْمرسلونَ، قالَ إنَّكُمْ قومٌ مُنْكرُونَ}

/الحجر:٦٢/

{بركْنه}: بمن معَهُ لأنَّهمْ قوتُه. {تَركنوا}: تَميلوا. فأنكَرَهُمْ ونَكرهم واستنْكرهم واحد. {يُهْرعون}: يُسرعون {دابر}: آخر. {صَيحة}: هلكة. {للمتوسِّمين}: للناظرين. {لَبِسبيل}: لَبطَريق .

٣٣٧٦ ـ عنْ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «قَرأَ النبيُّ ﷺفهل مِنْ مُدَّكِرٍ».

١٨ ـ باب {أَمْ كُنْتُمْ شهداءَ إِذْ حَضَر يعقُوبَ الْموتَ} /البقرة:١٣٣/

٣٣٨٢ ـ عَن ابنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهما عنِ النبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «الكريمُ ابنُ الكَريمِ ابن الكريمِ ابن الكريم : يُوسفُ ابنُ يعقُوبَ بن إسْحاقَ بن إبْراهيمَ عليهِمْ السَّلامَ».

[الحديث ٣٣٨٢-طرفاه في:٣٣٩٠،٤٦٨٨]

١٩ ـ باب قول الله تعالى
{لقَدْ كان في يوسُفَ وإخوته آياتٌ للسائلين} /يوسف:٧/

٣٣٨٣ ـ عنْ أبي هُرَيرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ «سُئِلَ رسُولُ الله ﷺ: منْ أكْرَمُ النَّاسِ؟ قال: أتقاهم للهِ. قالوا: ليسَ عن هذا نسألُكَ. قالَ: فأكْرَمُ النَّاسِ يوسُفُ نبيُّ اللهِ ابنُ نبيِّ اللهِ ابنُ نبيِّ اللهِ ابنِ خليلِ اللهِ. قالوا: ليسَ عن هذا نسألُك. قال: فعن معادنِ العرب تسألونني؟ النَّاسُ معادن، خيارُهم في الجاهليةِ خيارُهُمْ في الإسلام إذا فقهُوا».

٣٣٨٤ ـ عن عائِشَةَ رضيَ اللهُ عنهَا أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لَهَا: «مُري أبا بكرٍ يُصلِّي بالناس. قالت: إنَّهُ رجلٌ أسِيف، متى يَقُم مقامَك رقَّ. فعادَ، فعادَت. قال شعبة:فقال في الثالثة -أو الرابعةِ -: إنكُن صواحبُ يوسُفَ، مُروا أبَا بَكْر .....»

٣٣٨٥ ـ عنْ أَبِي بردةَ بن أبِي مُوسى عنْ أَبيهِ قالَ: «مَرضَ النبيُّ ﷺ فَقال: مُرُوا أبا بكرٍ فلْيُصَلِّ بالناس. فقالت عائشة: إن أبا بكرٍ رجلٌ كذا -فقال مثلَهُ، فقالت مثلَهُ-

فقالَ: مُروا أبَا بَكْرٍ، فإنكن صَواحبُ يوسُفَ. فأمَّ أبو بكرٍ في حياةِ رسولِ الله ﷺ».

٣٣٨٦ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «قالَ رسولُ الله ﷺ: اللهُمَّ أنجِ عيّاش بن أبي ربيعةَ، اللهُمَّ أنجِ سَلَمةَ بن هِشامٍ، اللهُمَّ أنج الوَليد بن الوليد، اللهُمَّ أنجِ المسْتَضْعَفِينَ مِنَ المؤمِنِينَ. اللهُمَّ اشدُدْ وطأتَكَ على مُضَرَ، اللهُمَّ اجْعَلْها سنِينَ كسني يوسُفَ».

٣٣٨٦ ـ عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه قال: «قالَ رسولُ الله ﷺ: يرْحَمُ الله لوطًا، لقدْ كانَ يأوِي إلى رُكنٍ شديد، ولو لبِثتُ في السجنِ ما لبِثَ يوسُفُ ثمَّ أتاني الداعي لأجَبْتهُ».

٣٣٨٨ ـ عنْ مسروقٍ قالَ: «سَألتُ أمَّ رومانَ وهيَ أمُّ عائشةَ لما قِيلَ فيها ما قيل قالتْ: بيْنَمَا أنَا مَعَ عائِشَةَ جالستانِ، إذ ولجت عَلَيْنَا امْرأةٌ من الأنْصارِ وهِيَ تقُولُ: فَعَلَ الله بِفُلان وَفَعَل. قالتْ: فقلتُ: لم؟ قالتْ: إنَّهُ نَمى ذِكرَ الحديث، فقالت عائشةُ: أي حديثٍ؟ فأخْبَرْتهَا. قالتْ: فسمعَهُ أبو بكْر ورسولُ اللهِ ﷺ؟ قالتْ: نَعَم، فخرَّت مغشياً عليها، فما أفاقَتْ إلا وعَلَيهَا حُمّى بِنَافِض. فجاءَ النبيُّ ﷺ فقال: مَا لهذه؟ قُلتُ حُمّى أخَذتهَا منْ أجْلِ حديثٍ تُحُدِّثَ به. فَقَعَدت فقالت: واللهِ لئن حلفتُ لا تُصدِّقونني، ولئِنْ اعتذَرتُ لا تعذرونني، فَمَثَلي ومَثَلُكُمْ كَمَثلِ يعقُوبَ وبَنيه، والله المسْتَعانُ على ما تصِفون. فانصرَفَ النبيُّ ﷺ، فأنزَلَ اللهُ ما أنزَل، فأخبَرها فقالتْ: بِحمدِ اللهِ لا بحمدِ أحدٍ».

[الحديث ٣٣٨٨ – أطرافه في: ٤١٤٣، ٤٦٩١، ٤٧٥١]

٣٣٨٩ ـ عَنْ عَرْوَةَ أنَّهُ سأل عائشَةَ رضيَ الله عنها زوْجَ النبيِّ ﷺ: أرأيتِ قولَ اللهِ {حتّى إذَا استَيأسَ الرُّسُل وظَنُّوا أنَّهُمْ قدْ كذِّبُوا} أوْ كُذبوا؟ قالتْ بَلْ كذَّبهم قومهم، فقلتُ واللهِ لقَدْ استيقنوا أنَّ قومَهم كذَّبوهم وما هو بالظنّ. فقالت: يا عُرَيّة، لقدِ استيقنوا بذلكَ. قلتُ فلعلها «أوْ كُذِبوا» قالت: معاذَ الله، لَمْ تكن الرُّسُل تظنُّ ذلكَ بربها، وأما هذه الآية قالت: هم أتباعُ الرُّسُلِ الَّذينَ آمنُوا بربهم وصدَّقوهم وطال عليهم البلاء واستأخَرَ عنهُمْ النصرُ، حتى إذا استيأسَتْ ممَّنْ كذَّبَهُمْ من قومِهِمْ وظنُّوا أنَّ أتباعَهم كذبوهم جاءَهم نصرُ اللهِ». قالَ أبو عبدِالله: {استيأسوا} استفعلوا من يئستُ. {منه} من يوسفَ {ولا تَيأسوا من رَوحِ اللهِ} معناه من الرجاء

[الحديث ٣٣٨٩ – أطرافه في: ٤٥٢٥، ٤٦٩٥، ٤٦٩٦]

٣٣٩٠ ـ عنْ ابن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُمَا أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «الكريم ابنِ الكريم ابن الكريم ابنِ الكرِيم يوسُفُ بنُ يعقوبَ بن إسْحَاقَ بن إبْراهيمَ عليهِم السلام».

قوله (باب قول الله تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) اسم إخوة يوسف: روبيل وهو أكبرهم، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وداني، ونفتالي، وكاد، وأشير وأيساجر، ورايلون، وبنيامين وهم الأسباط. وقد اختلف فيهم فقيل: كانوا أنبياء، ويقال لم يكن فيهم نبي وإنما المراد بالأسباط قبائل من بني إسرائيل، فقد كان فيهم من الأنبياء عدد كثير.

قوله (ولا تيأسوا من روح الله معناه من الرجاء) وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن بشير عن قتادة «لا تيأسوا من روح الله أي من رحمة الله».

٢٠ - باب قولِ اللّه تعالى{وأيوبَ إذْ نادَى ربَّهُ أني مَسَّنِيَ الضرُّ وأنتَ أرحَمُ الرَّاحمين}. {اركُض} /الأنبياء:٨٣/: اضرِب. {يَركُضون}: يَعْدون

٣٣٩١ - عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «بَيْنَمَا أيوبُ يغتسلُ عُريانًا خرَّ عليه رِجلُ جرادٍ من ذَهب، فجعلَ يَحثِي في ثوبه فنادَى ربُّهُ: يَا أيوبُ ألم أكُنْ أغنيتُكَ عمَّا تَرَى؟ قالَ: بَلَى يارب، ولَكنْ لا غنى لِي عنْ بَركتِك».

قوله (باب قول الله تعالى {وأيوب إذ نادى ربه}) الآية

وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط عليه السلام وأن أباه كان ممن آمن بإبراهيم وعلى هذا فكان قبل موسى. وقال ابن إسحق: الصحيح أنه كان من بني إسرائيل ولم يصح في نسبه شيء إلا أن إسم أبيه أمص والله اعلم. وقال الطبري: كان بعد شعيب. وقال ابن أبي خيثمة: كان بعد سليمان.

قوله (اركض اضرب، يركضون يعدون) روى ابن جرير من طريق شعبة عن قتادة في قوله {اركض برجلك} قال: ضرب برجله الأرض فإذا عينان تنبعان فشرب من إحداهما واغتسل من الأخرى.

قوله (خر عليه) أي سقط عليه، وقوله (رجل جراد) أي جماعة جراد، والجراد اسم جمع واحده جرادة.

قوله (يحثي) أي يأخذ بيديه جميعا، وفي الحديث جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه بالشكر عليه، وفيه تسمية المال الذي يكون من هذه الجهة بركة، وفيه فضل الغني الشاكر وسيأتي بقية مباحث هذه الخصلة الأخيرة في الرقاق[1] إن شاء الله تعالى. واستنبط منه الخطابي جواز أخذ النثار في الإملاك، وتعقبه ابن التين فقال: هو شيء خص الله به نبيه أيوب، وهو بخلاف النثار فإنه من فعل الآدمي فيكره لما فيه من السرف، ورد عليه بأنه أذن فيه من قبل الشارع إن ثبت الخبر، ويستأنس فيه بهذه القصة والله أعلم. (تنبيه): لم يثبت عند البخاري في قصة أيوب شيء، فاكتفى بهذا الحديث الذي

(١) كتاب الرقاق باب / ١٦ ح ٦٤٤٧ - ٥ / ٢٠

على شرطه. وأصح ماورد في قصته ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جريج وصححه ابن حبان والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس «أن أيوب عليه السلام ابتلي فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه فكانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنبا عظيما وإلا لكشف عنه هذا البلاء، فذكره الآخر لأيوب، يعني فحزن ودعا الله حينئذ فخرج لحاجته وأمسكت امرأته بيده فلما فرغ أبطأت عليه، فأوحى الله إليه أن اركض برجلك، فضرب برجله الأرض فنبعت عين فاغتسل منها فرجع صحيحا، فجاءت امرأته فلم تعرفه، فسألته عن أيوب فقال: إني أنا هو؛ وكان له أندران: أحدهما للقمح، والآخر للشعير، فبعث الله له سحابة فأفرغت في أندر القمح الذهب حتى فاض، وفي أندر الشعير الفضة حتى فاض» وذكر وهب بن منبه ومحمد بن إسحق في «المبتدأ» قصة مطولة جدا وحاصلها أنه كان بحوران، وكان له البثنية سهلها وجبلها، وله أهل ومال كثير وولد، فسلب ذلك كله شيئا فشيئا وهو يصبر ويحتسب، ثم ابتلي في جسده بأنواع من البلاء حتى ألقي خارجا من البلد، فرفضه الناس إلا امرأته، فبلغ من أمرها أنها كانت تخدم بالأجرة وتطعمه إلى أن تجنبها الناس خشية العدوى فباعت إحدى ضفيرتيها من بعض بنات الأشراف وكانت طويلة حسنة فاشترت له به طعاما طيبا، فلما أحضرته له حلف أن لا يأكله حتى تخبره من أين لها ذلك، فكشفت عن رأسها، فاشتد حزنه وقال حينئذ {رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين} فعافاه الله تعالى.

٢١ ـ باب . {واذكُرْ في الكتاب موسى إنَّهُ كانَ مخلصًا وكانَ رسُولاً نبيا. وناديْناهُ من جانبِ الطُّورِ الأيْمَنِ وقرَّبناهُ نَجِيًا} /مريم:٥١/ كلمَهُ. {ووَهَبْنَا لهُ من رحمتِنا أخاهُ هارُونَ نبيا} يقال للواحدِ والاثنين والجميع: نَجِيّ. ويُقال: خَلَصُوا نَجِيًّا اعتزَلوا نجِيّاً، والجميعُ أنْجيةٌ يتناجَونَ. {وقالَ رجُلٌ مؤمنٌ منْ آل فِرْعَوْنَ يَكتُمُ إيْمانَه -إلى- منْ هُوَ مُسرِفٌ كذَّاب} /غافر:٢٨/

٣٣٩٢ ـ قالت عائشةُ رضِيَ اللَّهُ عنْهَا «فرَجَعَ النبيُّ ﷺ إلى خديجةَ يرجُفُ فؤادهُ، فانطَلَقَتْ بِهِ إلى ورَقَةَ بنِ نوفلٍ -وكانَ رجلاً تَنصَّرَ، يَقرأُ الإنْجيل بالعربيةِ - فقال ورقَة: ماذَا ترَى؟ فأخْبَرَهُ، فقال ورقةُ: هذا الناموسُ الذي أنزَلَ اللَّهُ على مُوسى، وإن أدركَني يومُكَ أنصرْكَ نَصْراً مُؤزَّراً».

النامُوسُ : صاحب السرِّ الذي يُطْلِعَهُ بِمَا يَسْتُرُهُ عن غيرِه.

وموسى هو ابن عمران بن لاهب بن عازر بن لاوي بن يعقوب عليه السلام لا اختلاف في نسبه، ذكر السدي في تفسيره بأسانيده أن بدء أمر موسى أن فرعون رأى كأن نارا أقبلت

من بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط إلا دور بني إسرائيل، فلما استيقظ جمع الكهنة والسحرة فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء يكون خراب مصر على يده، فأمر بقتل الغلمان، فلما ولد موسى أوحى الله إلى أمه أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم، قالوا فكانت ترضعه، فإذا خافت عليه جعلته في تابوت وألقته في البحر وجعلت الحبل عندها، فنسيت الحبل يوما فجرى به النيل حتى وقف على باب فرعون فالتقطه الجواري فأحضروه عند امرأته، ففتحت التابوت فرأته فأعجبها، فاستوهبته من فرعون فوهبه لها، فربته حتى كان من أمره ما كان.

٢٢ ـ باب قولِ اللّه عزَّ وجَلَّ {وهَلْ أتَاكَ حديثُ موسَى إذْ رَأى نَاراً -إلى قوله- بالوادِ المقدَّس طُوَى}/طه: ٩-١٢/

{آنستُ} أبصَرْتُ {نَاراً لعلى آتيكم منها بقبس} الآية. قالَ ابنُ عبَّاسٍ {المقدَّس}: المبارك {طُوَى}: اسم الوادي. {سيرَتها}: حالَتُها. {والنُّهى} التُّقى. {بِملكِنا} بأمرنا. {هَوَى}: شَقِيَ. {فارغاً} إلا مِنْ ذكرِ موسَى. {ردْءًا} كي يُصدِّقَني، ويقال: مُغيثًا أوْ مُعِينا. {يَبطُش، ويَبطِش}. {يَأتَمِرون}، يتَشاورُونَ. والجِذوة: قطعةٌ غليظةٌ منَ الخشب ليس فيها لهب. {سنَشُدُّ}: سنُعينُكَ، كلما عزَّزت شَيئًا فَقَدْ جَعَلْتَ لَهُ عَضُدا. وقال غيرُهُ: كلما لم يَنطقْ بحرفٍ أوْ فيه تَمْتَمةٌ أو فيهِ فأفأةٌ فهي {عُقدة}. {أزري}: ظَهري. {فيُسحتَكم} فيُهلِكَكُمْ. {المثْلى} تأنيث الأمْثل، يقول: بدِينكمْ، يقال: خُذِ المثْلى خُذِ الأمْثَل. {ثم ائتوا صَفًا} يقال: هل أتيتَ الصفَّ اليومَ؟ يعني المصلَّى الذي يُصلَّى فيه. {فأوجَسَ}: أضمرَ خوفاً، فذَهَبَتِ الواوُ من {خِيفة} لكسرةِ الخاء. {في جُذوعِ النخل}: على جُذوع. {خطْبُكَ} بالك. {مساس} مصدرُ ماسَّه مِساسا. {لنَنْسِفنَّهُ} لنُذرِينَّهُ {الضَّحاءُ}: الحرُّ. {قُصِّيهِ}: اتبعي أثرَهُ، وقد يكون أنْ نقُصَّ الكلامَ {نحنُ نقُصُّ عليك}، {عن جُنُبٍ} عن بعدٍ، وعن جَنابةٍ وعن اجتِنَابٍ واحدٌ. قالَ مجاهد {على قَدَرٍ} موعدٍ. {لاتنِيا}: لا تضعُفا. {يَبَسًا} يابسًا. {من زينةِ القوم}: الحُليِّ الذي استَعاروا من آل فِرعَوْنَ. {فقذفتها}: ألقيتها. {ألقى}: صَنَعَ {فنَسِيَ موسى} هم يقولونَهُ أخطأ الرَّبُّ أن لا يَرجِعَ إليهم قولا في العجلِ.

٣٣٩٣ ـ عنْ مالكِ بن صَعْصعةَ «أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ حدَّثهم عن ليلةِ أسْرِيَ بِهِ، حتَّى أتَى السماءَ الخامسةَ فَإذَا هارُونُ، قالَ: هذَا هَارونُ فسَلِّمْ عليهِ، فَسَلَّمتُ عَليهِ، فرَدَّ ثُمَّ قالَ: مَرْحبًا بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح».

٢٣ ـ باب
{وقالَ رجُلٌ مؤمنٌ من آلِ فرعَوْنَ يكتُمُ إيْمانَه -إلى قولِه- مُسرِفٌ كذّاب}

قوله (باب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه إلى قوله هو مسرف كذاب) واختلف في اسم هذا الرجل .

وعن ابن عباس اسمه حبيب وهو ابن عم فرعون أخرجه عبد بن حميد.

٢٤ ـ باب قول الله تعالى
{هلْ أتَاكَ حديثُ موسى -وَكلَّمَ اللهُ موسى تَكْليما}

٣٣٩٤ ـ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنْهُ قالَ: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: لَيلَةَ أسْرِيَ بي رأيتُ موسى وإذا هوَ رجُلٌ ضَربٌ رَجِلٌ كأنَّهُ من رجالِ شنوءَة، ورأيتُ عيسى فإذا هو رجلٌ رَبعة أحمرُ كأنما خرجَ من ديماس، وأنَا أشبَهُ ولدِ إبراهيم ﷺ به. ثمَّ أتيتُ بإناءَينِ في أحدِهما لبنٌ وفي الآخَرِ خمرٌ فقالَ: اشرَبْ أيَّهُمَا شئت، فأخذتُ اللبن فشرِبتُه، فقيل: أخذتَ الفطْرة، أما إنَّكَ لَوْ أخَذتَ الخمرَ غَوَتْ أمتُكَ».

[الحديث : ٣٣٩٤-أطرافه في: ٣٤٣٧، ٤٧٠٩، ٥٥٧٦، ٥٦٠٣]

٣٣٩٥ ـ عنْ ابن عم نبِّيكم -يعني ابن عبَّاسٍ- عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونسَ بن متَّى. ونسبَهُ إلى أبيهِ».

[الحديث ٣٣٩٥ - أطرافه في: ٣٤١٣، ٤٦٣٠، ٧٥٣٩]

٣٣٩٦ ـ وذكَر النبيُّ ﷺ ليلةَ أسريَ بِهِ فقال: «مُوسى آدَمُ طُوالٌ كأنَّهُ من رِجَالِ شَنوءة وقالَ: عيسَى جَعدٌ مَربوعٌ، وذكر مالكاً خازِنَ النَّارِ، وذكر الدجّال».

٣٣٩٧ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهُمَا «إنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا قدمَ المدينةَ وجدَهم يَصومونَ يومًا -يعني يومَ عاشوراءَ- فقالُوا: هذا يومٌ عظيم، وهو يومٌ نجّى اللهُ فيه موسى، وأغرَقَ آل فِرْعَوْنَ، فَصَامَ مُوسى شُكْراً لله. فقَالَ: أنَا أولَى بِموسى منهم، فصَامَه وأمَرَ بصيامِهِ».

قوله (رجل) بفتح الراء وكسر الجيم أي دهين الشعر مسترسله.

قوله (كأنه من رجال شنوءة) حي من اليمن ينسبون إلى شنوءة وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، قال الداودي رجال الأزد معروفون بالطول انتهى.

قوله (وأنا أشبه ولد إبراهيم به[1]) أي الخليل عليه السلام.

---

(١) في المتن واليونينية وافق الشرح "... إبراهيم "(ﷺ)به اليونينية توافق الشرح

قوله (ثم أتيت بإناءين) سيأتي الكلام عليه في حديث الإسراء في السيرة النبوية[١] إن شاء الله تعالى

٢٥ - باب قولِ اللَّهِ تعالى:

{وواعَدْنَامُوسى ثلاثِين لَيْلَةً وأتممْناها بعشرٍ فتمَّ ميقاتُ ربِهِ أربعينَ ليلة، وقال موسى لأخيه هارونَ اخلُفْنِي في قومي وأصلحْ، ولا تتبعْ سبيلَ المفسدين. ولمَّا جاءَ موسى لِميقاتِنَا وكلمهُ ربُّه قالَ: رب أرِني أنْظر إليكَ، قالَ: لن تراني -إلى قوله- وأنَا أوَّلُ المؤْمِنِينَ}. يُقَال دكَّهُ: زلزلَهُ فدكَّتا، فَدُكِكْنَ جعلَ الجبال كالواحدةِ كمَا قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ {إن السماواتِ والأرضَ كانتا رَتقا} ولم يَقل كُنَّ رتقاً: مُلتَصِقتَين. {أشرِبوا} ثَوبٌ مشربٌ مصبوغٌ. قالَ ابن عبَّاسٍ {انبجَسَت: انفجرَت. {وإذْ نَتَقْنَا الْجبل}: رفعنا.

٣٣٩٨ - عن أبي سعيدٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «النَّاسُ يَصعَقونَ يومَ القِيامَةِ فأكونُ أوَّلَ مَن يُفيقُ، فإذا أنَا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائم العرشِ، فلا أدرِي أفاقَ قبلي أم جُوزِيَ بصَعقةِ الطُّورِ».

٣٣٩٩ - عنْ أبِي هريرةَ رضِيَ اللَّهُ عنْهُ قال: قالَ النبيُّ ﷺ: «لولا بنُو إسرائيلَ لم يَخنزِ اللحم، ولولا حوَّاءُ لم تخنْ أنثى زوجَهَا الدَّهر».

قوله (وأتممناها بعشر) فيه إشارة إلى أن المواعدة وقعت مرتين.

قوله (صعقا) أي مغشيا عليه.

قوله (أشربوا، ثوب مشرب مصبوغ) يشير إلى أنه ليس من الشرب، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى {وأشربوا في قلوبهم العجل} أي سقوه حتى غلب عليهم، وهو من مجاز الحذف أي أشربوا في قلوبهم حب العجل. ومن قال إن العجل أحرق ثم ذري في الماء فشربوه فلم يعرف كلام العرب، لأنها لاتقول في الماء: أشرب فلان في قلبه.

٢٦ - باب طُوفانٍ منَ السَّيْلِ

ويقال للموتِ الكثيرِ طوفان {القُمَّلُ} الحمنانُ يشبهُ صِغَارَ الحلم. {حَقِيق} حقٌّ. {سُقِطَ} كل مَن نَدِمَ فقد سُقِطَ فِي يدهِ.

٢٧ - باب حديثُ الخضرِ معَ موسى عليهما السَّلام

٣٤٠٠ - عنِ ابن عبَّاسٍ أنَّهُ تمارَى هو والحرُّ بن قيسٍ الفَزاريُّ في صاحبِ موسى، قال ابنُ عبَّاسٍ: هُوَ خَضِرٌ، فمرَّ بهما أُبيُّ بن كعبٍ، فدَعا ابنُ عبَّاسٍ فقالَ: إنِّي تماريتُ أنَا وصَاحِبِي هذَا في صاحبِ موسى الذي سأَلَ السبيلَ إلى لقيِّه، هل سمعتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَذكرُ شأنه؟ قالَ: نَعَمْ، سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: بينَمَا مُوسى فِي مَلاءٍ من بني

(١) كتاب أحاديث الأنبياء باب / ٤٨ ح ٣٤٣٧ - ٣ / ٥٩

إسرائيلَ جَاءَهُ رجُلٌ فقال: هل تعلمُ أحداً أعلمَ منك؟ قال: لا. فأوْحى اللهُ إلى مُوسى: بَلْ عبدُنا خَضِرٌ، فسأل مُوسى السبيلَ إليه، فجُعِلَ لهُ الحوتُ آية، وقيل له: إذا فَقَدْتَ الحوت فَارجعْ فإنَّكَ سَتلقاهُ، فَكَانَ يتبعُ الحوتَ في البحر، فقالَ لموسى فتاهُ: أرأيتَ إذ أوَينا إلى الصخرةِ فإني نسيتُ الحوتَ وما أنسانيه إلا الشيطانُ أن أذكُرَهُ. فَقَالَ مُوسَى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي، فَارتدَّا على آثارِهما قَصَصا، فَوَجَدَا خَضِراً، فَكَانَ من شأنِهما الذي قصَّ اللهُ في كتابه».

٣٤٠١ ـ عنْ سَعِيد بن جُبَيرٍ قالَ: «قلتُ لابنِ عبَّاسٍ إنَّ نَوفًا البكاليَّ يزعُمُ أنَّ مُوسَى صاحبَ الخضرِ لَيسَ هُوَ موسى بَنِي إسْرائيل، إنما هُوَ مُوسى آخر، فقالَ: كذبَ عدوُّ اللهِ، حدَّثنا أبيُّ بنُ كعبٍ عنِ النبيِّ ﷺ أنَّ موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل فسُئِلَ: أيُّ الناس أعْلمُ؟ فَقَالَ: أنا. فعتَبَ اللهُ عليْهِ إذْ لَمْ يَرُدَّ العلْمَ إليهِ فقال لَهُ: بَلى، لِي عبدٌ بمَجمعِ البحرَين هوَ أعْلمُ منك. قال: أي رب ومن لي بهِ؟ -وربَّما قال سفيان: أي رب وكيف لي بهِ؟- قالَ: تَأخذُ حوتًا فتجعَلَهُ في مكتَلٍ، حَيثما فَقَدْتَ الحوتَ فهوَ ثَمَّ -وربما قال: فهو ثمَّه- وأخذَ حوتاً فجعلهُ في مِكتَلٍ ثمَّ انطلَقَ هُوَ وَفتاهُ يوشَعُ بن نونٍ حتَّى إذا أتيا الصخرةَ وضَعا رُءوسَهما، فرَقدَ موسى، واضْطرَبَ الحوتُ فَخَرَجَ فسقطَ في البحرِ، فاتَّخذ سبيلَهُ في البحر سَرَبا، فأمسكَ اللهُ عنْ الحوتِ جِريةَ الماءِ فصار مثلَ الطاقِ - فقالَ هكذا مثلُ الطاقِ- فانطلَقا يَمشيانِ بقيةَ ليلتِهما ويومَهما، حتّى إذا كَانَ منَ الغد قال لفتاهُ. آتنا غداءَنا لقدْ لقينا من سَفرِنا هَذا نَصَبا. ولَمْ يَجد موسى النَّصبَ حتَّى جاوزَ حيثُ أمرهُ اللهُ. قالَ لهُ فتاهُ: أرَأيتَ إذْ أوينا إلى الصخرةِ فإني نَسيتُ الحوتَ، وما أنسانيهِ إلا الشيطانُ أن أذكره، واتَّخذَ سبيلَهُ في البحرِ عجبَا، فَكانَ للحوت سَرَبا ولهما عجَبَا. قالَ لهُ موسَى: ذلِكَ مَا كُنَّا نبغي، فارتَدَّا عَلَىَ آثارِهِمَا قَصَصا -رَجَعا يَقُصَّانِ آثارَهِمَا- حتَّى انتهَيا إلى الصخرةِ، فإذا رجُلٌ مُسَجًى بثوْبٍ، فَسلَّمَ موسى، فرد عليه فقالَ: وأنَّى بأرضِكَ السَّلام قالَ: أنَا مُوسى، قالَ: موسى بَنِي إسْرائيلَ؟ قالَ: نعم، أتيتُكَ لِتُعَلِّمَني مما عُلِّمتَ رُشدا. قالَ: يا موسى إني على علم من عِلمِ اللهِ علَّمنَيه اللهُ لا تعلَمُه، وأنتَ على علمٍ من علم الله علَّمَكَهُ اللهُ لا أعلمهُ. قَالَ هَلْ أتَّبِعُك؟ قال: إنَّكَ لن تَستَطيعَ معيَ صَبرا، وكَيف تَصبرُ عَلَى مَالَمْ تُحِطْ بِهِ خُبرا -إلى قوله- إمْراً. فانَطلقا يمشيانِ على ساحِلِ البحرِ فمرَّتْ بهما سفينةٌ كلموهم أن يَحْمِلوهم، فعرفوا الخضرَفحملوهُ بغيرِ نولٍ. فلمَّا ركبا في السفينةِ جاءَ عُصفورٌ فوقَعَ عَلَى حرفِ السفينةِ، فنقَرَ فِي البحر نَقرةً أوْ نقرتَيْنِ، قال له الخضِرُ: يَا مُوسى، مَا نَقصَ عِلمي وعلمُكَ من علمِ الله إلا مثلَ

مَا نقصَ هذَا العُصفورُ بمنقارِ منَ البحر. إذ أخذَ الفأس فَنزَعَ لوْحًا، قالَ فَلَم يفجَأ مُوسى إلا وقد قَلعَ لوحاً بالقَدُّوم، فقال له موسى: ما صَنَعتَ؟ قومٌ حَمَلونا بغيرِ نولٍ عَمَدْتَ إلى سفينتِهِمْ فَخَرقْتَها لتغرقَ أهْلَهَا، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْرا. قال: ألم أقُلْ لكَ إنَّك لَن تستطيعَ معِيَ صَبرا؟ قال لا تُؤاخِذْنِي بِمَا نسيتُ، ولا ترهقني مِن أمري عسرا. فكانتِ الأولى من موسى نسياناً. فَلَمَّا خَرَجا من البحرِ مرُّوا بِغُلامٍ يلعب مع الصِّبيان، فأخَذَ الخضر برأسِهِ فقلعَه بِيَدِهِ هكَذَا -وأومأ سفيانُ بأطرافِ أصابعهِ كأنهُ يَقطف شيئا- فقالَ لهُ موسى: أقتلت نفساً زكيَّة بغير نفس؟ لقد جِئْتَ شيئاً نُكرا. قال: ألم أقُلْ لكَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صبرا؟ قالَ إن سألتكَ عن شيءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي، قَدْ بَلغتَ من لَدُنِّي عُذرا. فانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قريةٍ استَطْعما أهْلَهَا، فأبوا أن يُضيِّفوهما، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أن يَنْقَضَّ مائلا -أومأ بيدهِ هكَذا، وأشَارَ سفيانُ كأنَّهُ يمسَحُ شيئاً إلى فوق، فلم أسمع يذكر «مائلا» إلا مرَّةً- قالَ: قَوْمٌ أتيناهم فلم يُطعِمونا ولم يضيِّفونا، عَمَدْتَ إلى حائطهم، لو شئتَ لاتخَذتَ عليهِ أجرا. قال هذا فِراقُ بيني وبَينك، سَأُنَبِّئُكَ بِتَأويلِ ما لم تَسْتَطعْ عليه صبرا. قال النبيُّ ﷺ: وددْنا أنَّ موسَى كانَ صبَرَ فقَصَّ اللهُ علَيْنَا من خبرِهما. قال سفيان: قال النبيُّ ﷺ: يرحمُ اللهُ موسى لو كان صبَرَ يُقصُّ عَلَينا من أمرهِما: وقرأ ابن عبَّاس: أمَامَهُمْ مَلِكٌ يأخذُ كلَّ سفينة صالحةٍ غصبًا. وأما الغلامُ فكان كافراً وكان أبواهُ مؤمنين. ثم قال لي سفيانُ: سمعتُهُ منهُ مرَّتين وحفظتهُ منه. قيل لسفيان: حفظتَهُ قبلَ أن تَسْمَعَهُ من عمرو أو تحفَّظتَهُ من إنسان؟ فَقَالَ: مِمَّنْ أتحفَّظهُ، ورواهُ أحدٌ عن عمرٍو غيري سمعتُه منه مرَّتين أو ثلاثًا وحفظتهُ منه».

٣٤٠٢ - عنْ أبِي هريرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «إنَّما سُمِّيَ الخضرَ لأنَّهُ جَلسَ عَلَى فروةٍ بيضاء، فإذا هِيَ تهتزُّ مِنْ خلفهِ خضراء»: قال الحَمَوِيُّ قال محمدُ بن يوسفَ بن مطر الفربريُّ: حدثنا عليُّ بن خَشرَمٍ عن سفيانَ بطوله.

قوله (باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام) ذكر فيه حديث ابن عباس عن أبي بن كعب من وجهين، وسيأتي أولهما بأتم من سياقه في تفسير سورة الكهف[1] ونستوفي شرحه هناك، وقال الحربي: الفروة من الأرض قطعة يابسة من حشيش. وعن ابن الأعرابي: الفروة أرض بيضاء ليس فيها نبات، وبهذا جزم الخطابي ومن تبعه، وحكى ابن عطية البغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا؟، وقال القرطبي: هو نبي عند الجمهور والآية تشهد بذلك، لأن النبيَّ ﷺ لا يتعلم ممن هو دونه، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء، وقال ابن الصلاح هو حي عند جمهور العلماء والعامة معهم في

(١) كتاب التفسير "الكهف" باب / ٣ ح ٤٧٢٦ - ٣ / ٥٩٣

ذلك، وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين. وتبعه النووي وزاد أن ذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أن تحصر انتهى. والذي جزم بأنه غير موجود الآن البخاري وابراهيم الحربي وأبو جعفر بن المنادي وأبو يعلى بن الفراء وأبو طاهر العبادي وأبو بكر ابن العربي وطائفة، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي ﷺ قال في آخر حياته: «لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد» قال ابن عمر: أراد بذلك انخرام قرنه. وأجاب من أثبت حياته بأنه كان حينئذ على وجه البحر، أو هو مخصوص من الحديث كما خص منه إبليس بالاتفاق. ومن حجج من أنكر ذلك قوله تعالى {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} وحديث ابن عباس «مابعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه» أخرجه البخاري ولم يأت في خبر صحيح أنه جاء إلى النبي ﷺ ولا قاتل معه، وقد قال: ﷺ يوم بدر «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» فلو كان الخضر موجودا لم يصح هذا النفي، وقال ﷺ «رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما» فلو كان الخضر موجودا لما حسن هذا التمني ولأحضره بين يديه وأراه العجائب وكان أدعى لإيمان الكفرة لا سيما أهل الكتاب.

٢٨ باب * ٣٤٠٣ ـ عن أبي هُرَيرَةَ رضِيَ اللهُ عنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«قِيلَ لبني إسرائيلَ ادخُلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطّة، فبدَّلوا ودخلوا يزحَفونَ عَلَى أستاهِهم وقالوا حَبَّة في شَعرة».

[الحديث ٣٤٠٣ - طرفاه في: ٤٤٧٩، ٤٦٤١]

٣٤٠٤ ـ عَنْ أبِي هُريرَةَ رضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ «إنَّ موسَى كَانَ رجُلا حيِيّاً ستِّيراً لا يُرَى من جلدهِ شيء استحياءً منه، فآذاهُ من آذاهُ من بني إسرائيلَ فقالوا: مَا يَستَتِرُ هذا التَستُّرَ إلا من عَيبٍ بجلدِه: إمَّا بَرص وإما أدرَة، وإما آفة. وإنَّ اللهَ أرادَ أن يُبَرِّئَه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وَحدَهُ فوضَعَ ثيابهُ على الحجَرِ ثُمَّ اغتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أقبَلَ إلى ثيَابِهِ ليأخذَها، وإنَّ الحجر عَدَا بثَوبِه، فأخذ مُوسى عَصَاهُ وطَلَبَ الحَجَر فَجَعَلَ يقُولُ: ثوبِي حَجَر، ثوبي حَجَر. حتى انتهى إلى ملأ مِنْ بني إسرائيلَ فرَأوهُ عُريَانًا أحْسَنَ ماخلق الله وأبرأهُ مما يقولونَ وقَامَ الحجرُ، فأخذَ ثوبَهُ فلبِسَه ، وطفِقَ بالحجرِ ضرباً بعصاهُ ، فواللهِ إنَّ بالحجرِ لندباً من أثرِ ضربِه ثلاثاً أوْ أربَعًا أوْ خَمْسًا فذلكَ قَولُهُ : {يا أيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَكونُوا كالَّذِينَ آذَوا مُوسَى فبرَّأهُ اللهُ مِمَّا قالُوا، وكَان عِنْدَ اللهِ وجِيهًا}.[٦٩ ـ الأحزاب]

٣٤٠٥ ـ عنْ عَبْدِ اللّهِ رضيَ اللّهُ عنهُ قالَ: «قَسَمَ النَّبيُّ ﷺ قسمًا، فقالَ رجُلٌ: إنَّ هذهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُريدَ بهَا وجهُ اللّهِ. فأتيْتُ النبيَّ ﷺ فأخْبَرْتُهُ، فغضِبَ حتّى رأيْتُ الغَضَبَ في وجْهِهِ، ثُمَّ قالَ: يَرْحَمُ اللّهِ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بأكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ».

قوله (لا يرى من جلده شيء استحياء منه) هذا يشعر بأن اغتسال بني إسرائيل عراة بمحضر منهم كان جائزا في شرعهم. وإنما اغتسل موسى وحده استحياء.

قوله (وإما أدرة) تقدم بيانه في كتاب الغسل.

قوله (فخلا يوما وحده فوضع ثيابه) وظاهره أنه دخل الماء عريانا.

قوله (عدا بثوبه) أي مضى مسرعا.

قوله (ثوبي حجر، ثوبي حجر) هو بفتح الياء الأخيرة من ثوبي أي أعطني ثوبي، أو رد ثوبي، وحجر بالضم على حذف حرف النداء، وتقدم في الغسل بلفظ ثوبي يا حجر، وفي الحديث جواز المشي عريانا للضرورة، وقال ابن الجوزي: لما كان موسى في خلوة وخرج من الماء فلم يجد ثوبه تبع الحجر بناء على أن لا يصادف أحداً وهو عريان، فاتفق أنه كان هناك قوم فاجتاز بهم، كما أن جوانب الأنهار وإن خلت غالبا لا يؤمن وجود قوم قريب منها، فبنى الأمر على أنه لا يراه أحد لأجل خلاء المكان، فاتفق رؤية من رآه. والذي يظهر أنه استمر يتبع الحجر على ما في الخبر حتى وقف على مجلس لبني إسرائيل كان فيهم من قال فيه ما قال. وبهذا تظهر الفائدة، وإلا فلو كان الوقوف على قوم منهم في الجملة لم يقع ذلك الموقع. وفيه جواز النظر إلى العورة عند الضرورة الداعية لذلك من مداواة أو براءة من عيب، كما لو ادعى أحد الزوجين على الآخر البرص ليفسخ النكاح فأنكر. وفيه أن الأنبياء في خَلقهم وخلقهم على غاية الكمال، وأن من نسب نبيا من الأنبياء إلى نقص في خلقته فقد آذاه ويخشى على فاعله الكفر. وفيه معجزة ظاهرة لموسى عليه السلام، وأن الآدمي يغلب عليه طباع البشر، لأن موسى علم أن الحجر ما سار بثوبه إلا بأمر من الله، ومع ذلك عامله معاملة من يعقل حتى ضربه. ويحتمل أنه أراد بيان معجزة أخرى لقومه بتأثير الضرب بالعصا في الحجر. وفيه ما كان في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الصبر على الجهال واحتمال أذاهم، وجعل الله تعالى العاقبة لهم على من آذاهم.

٢٩ ـ باب يَعكفُونَ على أَصْنَامٍ لهُمْ

/الأعراف: ١٣٨/ {متبَّرٌ}: خُسرانٌ. {وليُتَبِّروا}: يُدمِّروا. {ماعَلَوْا}: ما غلبوا

٣٤٠٦ ـ عن جَابِرِ بن عبْدِ اللّهِ رضيَ اللّهُ عنهُمَا قالَ: «كنَّا مَع رَسولِ اللّهِ ﷺ نَجْني الكَبَاثَ، وإنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قالَ: عَلَيكُمْ بالأسْوَدِ منْه فإنَّهُ أطْيَبَهُ. قَالوا: أَكُنْتَ تَرْعَى

الْغَنَمَ؟ قالَ: وهَلْ من نبيٍّ إلا وقدْ رعَاهَا»؟.

[الحديث ٣٤٠٦ - طرفه في: ٥٤٥٣]

قوله (الكباث) هو ثمر الأراك ويقال ذلك للنضيج منه، كذا نقله النووي عن أهل اللغة.

ومناسبة حديث جابر لقصص موسى من جهة عموم قوله «وهل من نبي إلا وقد رعاها» فدخل فيه موسى، بل وقع في بعض طرق هذا الحديث «ولقد بعث موسى وهو يرعى الغنم» وذلك فيما أخرجه النسائي في التفسير من طريق أبي إسحق عن نصر بن حزن قال: «افتخر أهل الإبل والشاء، فقال النبي ﷺ: بعث موسى وهو راعي غنم» الحديث. ورجال إسناده ثقات، والذي قاله الأئمة أن الحكمة في رعاية الأنبياء للغنم ليأخذوا أنفسهم بالتواضع، وتعتاد قلوبهم بالخلوة، ويترقوا من سياستها إلى سياسة الأمم.

٣٠ - باب {وإذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إنَّ اللهَ يأمُرُكُم أنْ تذْبَحُوا بَقَرَةً} الآية [٦٧ البقرة] قالَ أبُو العاليةِ: العَوانُ النِّصَفُ بينَ البِكْرِ والهَرِمَة.{فاقعٌ}: صافٍ. {لاذلُولٌ} لم يُذلها العملُ {تُثير الأرضَ}: ليْستْ بذَلُولٍ تثيرُ الأرْضَ ولا تَعْمَلُ في الحرث. {مُسَلَّمَةٌ}: من العيُوب. {لاشيَةَ} بياضٌ. {صفْراءُ}: إنْ شئْتَ سوْدَاءُ وَيُقالُ صَفْرَاءُ كَقَوْلِه {جمَالاتٌ صفْرٌ}. {فادَّارَأْتُمْ}: اخْتَلَفْتُمْ .

قوله (باب وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الآية) وقصة البقرة أوردها آدم بن أبي إياس في تفسيره قال: حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى {إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة} قال: كان رجل من بني إسرائيل غنيا ولم يكن له ولد وكان له قريب وارث فقتله ليرثه ثم ألقاه على مجمع الطريق، وأتى موسى فقال إن قريبي قتل وأتى إلى أمر عظيم، وإني لا أجد أحدا يبين لي قاتله غيرك يا نبي الله، فنادى موسى في الناس: من كان عنده علم من هذا فليبينه، فلم يكن عندهم علم، فأوحى الله إليه: قل لهم فليذبحوا بقرة، فعجبوا وقالوا: كيف نطلب معرفة من قتل هذا القتيل فنؤمر بذبح بقرة؟ وكان ما قصه الله تعالى قال: {إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر} يعني لا هرمة ولا صغيرة {عوان بين ذلك} أي نصف بين البكر والهرمة {قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها، قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها} أي صاف {تسر الناظرين} أي تعجبهم {قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي} الآية {قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول -أي لم يذلها العمل- تثير الأرض} يعني ليست بذلول فتثير الأرض {ولا تسقي الحرث} يقول: ولا تعمل في الحرث {مسلمة} أي من العيوب، {لا شية فيها -أي لا بياض- قالوا الآن جئت بالحق} قال ولو أن القوم حين أمروا بذبح بقرة استرضوا أي بقرة

كانت لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا فشدد عليهم، ولولا أنهم استثنوا فقالوا {وإنا إن شاء الله لمهتدون} لما اهتدوا إليها أبدا، فبلغنا أنهم لم يجدوها إلا عند عجوز، فأغلت عليهم في الثمن، فقال لهم موسى: أنتم شددتم على أنفكسم فأعطوها ما سألت، فذبحوها، فأخذوا عظمًا منها فضربوا به القتيل فعاش فسمى لهم قاتله، ثم مات مكانه فأخذ قاتله، وقريبه الذي كان يريد أن يرثه فقتله الله على أسوأ عمله.

٣١ - باب وفاة مُوسى، وذِكْرُهُ بعدُ

٣٤٠٧ - عنْ أبِي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: «أرْسلَ مَلكُ المَوْت إلى مُوسَى عَليهمَا السلامُ، فلمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إلى ربِّه فقالَ: أرْسلْتَني إلى عَبْدٍ لا يُريدُ الموْتَ. قالَ: ارْجعْ إليهِ فَقُلْ لهُ يَضَعْ يَدَهُ على متْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بمَا غَطَّى يَدُهُ بكُلِّ شَعْرةٍ سنَةٌ. قالَ: أيْ ربِّ، ثمَّ ماذا؟ قالَ: ثُم المَوْتُ. قالَ: فالآن. قالَ فَسَألَ الله أنْ يُدْنيهُ منَ الأرْض المُقَدَّسَة رميَةً بِحجرٍ. قالَ أبو هريرَةَ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: لوْ كُنْتُ ثَمَّ لأرَيْتُكُمْ قبرَهُ إلى جَانب الطَّريقِ تحْتَ الكَثيب الأحْمَرِ.

٣٤٠٨ - عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «استَبَّ رجُلٌ منَ المُسْلمينَ ورَجُلٌ من اليَهود، فقالَ المُسْلمُ: والَّذي اصْطَفَى مُحَمَّداً ﷺ عَلى العَالمِين -في قَسَمٍ يُقْسمُ به- فقالَ اليَهوديُّ: والَّذي اصْطَفَى مُوسى عَلى العالمين. فَرَفَعَ المُسْلم عنْدَ ذَلكَ يدهُ فَلَطَمَ اليَهُوديَّ، فَذَهَبَ اليهوديُّ إلى النبيِّ ﷺ فأخْبَرَهُ الَّذي كَانَ منْ أمْرِه وَأمْر المُسْلمِ، فقالَ: لا تُخيِّروني على مُوسى، فإنَّ النَّاسَ يصْعَقُونَ فأكُونَ أوَّلَ منْ يُفيقُ، فإذَا مُوسى باطِشٌ بجَانِبِ العَرْشِ، فَلا أدْرِي أكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فأفَاقَ قبْلي، أوْ كانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَى اللهُ».

٣٤٠٩ - عنْ أبِي هُرَيْرَةَ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «احتَجَّ آدَمُ ومُوسَى، فقالَ لهُ مُوسى: أنْتَ آدَمُ الَّذي أخْرَجَتْكَ خطيئَتُكَ منَ الجَنَّة. فقالَ لهُ آدَمُ: أنْتَ مُوسَى الَّذي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالاته وَبِكلامه ثُمَّ تَلُومُني على أمْرٍ قُدِّرَ عليَّ قَبْلَ أنْ أخْلَقَ؟ فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَحَجَّ آدَم مُوسَى مرَّتَيْنِ».

[الحديث ٣٤٠٩ - أطرافه في: ٤٧٣٦ ٤٧٣٨، ٦٦١٤، ٧٥١٥]

٣٤١٠ - عنِ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا قالَ: «خَرَجَ عَلَينَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: عُرِضَتْ عليَّ الأمَمُ، وَرَأيتُ سَوَاداً كَثيراً سَدَّ الأفقَ، فَقيلَ: هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ».

[الحديث ٣٤١٠ - أطرافه في: ٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٤٧٢، ٦٥٤١]

قوله (أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه) أي ضربه على عينه، وفي رواية همام عن أبي هريرة عند أحمد ومسلم «جاء ملك الموت إلى موسى فقال: أجب

ربك، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها».

قوله (لا يريد الموت) زاد همام «وقد فقأ عيني فرد الله عليه عينه» وفي رواية عمار «فقال يا رب عبدك موسى فقأ عيني، ولولا كرامته عليك لشققت عليه».

قوله (على متن) هو الظهر.

قوله (فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر) قد تقدم شرح ذلك وبيانه في الجنائز[1].

قوله (فلو كنت ثم[2]) أي هناك.

قوله (تحت الكثيب الأحمر) والكثيب: الرمل المجتمع.

قال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه؟ والجواب أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه إليه اختباراً وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدميا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء،ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه. وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى فلم يقتص له؟ ولخص الخطابي كلام ابن خزيمة وزاد فيه أن موسى دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الحدة» وأن الله رد عين ملك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند الله فلهذا استسلم حينئذ. وقال النووي لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحانا للملطوم. وقال غيره إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره، لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير، فلهذا لما خيره في المرة الثانية أذعن، قيل: وهذا أولى الأقوال بالصواب، وفيه نظر لأنه يعود أصل السؤال فيقال: لم أقدمَ ملك الموت على قبض نبي الله وأخل بالشرط؟ فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحانًا.

وفيه أن الملك يتمثل بصورة الإنسان، وقد جاء ذلك في عدة أحاديث. وفيه فضل الدفن في الأرض المقدسة.

قوله (فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودي) أي عند سماعه قول اليهودي «والذي اصطفى موسى على العالمين» وإنما صنع ذلك لما فهمه من عموم لفظ العالمين فدخل فيه محمد ﷺ، وقد تقرر عند المسلم أن محمد أفضل، وقد جاء ذلك مبينا في حديث أبي سعيد أن

---

(١) كتاب الجنائز باب / ٦٨ ح ١٣٣٩ - ١ / ٦٧٤

(٢) رواية الباب واليونينية "لو كنتم ثم"

الضارب قال لليهودي حين قال ذلك «أي خبيث على محمد» فدل على أنه لطم اليهودي عقوبة له على كذبه عنده.

قوله (فأخبره الذي كان من أمر المسلم) وفي رواية ابن الفضل «فقال -أي اليهودي- يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهدا فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: لم لطمت وجهه؟ -فذكره- فغضب النبي ﷺ حتى رؤي في وجهه».

قوله (فإذا موسى باطش بجانب العرش) أي آخذ بشيء من العرش بقوة، والبطش الأخذ بقوة.

(تكميل): زعم ابن حزم أن النفخات يوم القيامة أربع: الأولى: نفخة إماتة يموت فيها من بقي حيا في الأرض، والثانية: نفخة إحياء يقوم بها كل ميت وينشرون من القبور ويجمعون للحساب، والثالثة: نفخة فزع وصعق يفيقون منها كالمغشي عليه لا يموت منها أحد، والرابعة: نفخة إفاقة من ذلك الغشي. وهذا الذي ذكره من كون الثنتين أربعا ليس بواضح بل هما نفختان فقط، ووقع التغاير في كل واحدة منهما باعتبار من يستمعها، فالأولى يموت بها كل من كان حيا ويغشى على من لم يمت ممن استثنى الله، والثانية يعيش بها من مات ويفيق بها من غشي عليه والله أعلم. قال العلماء في نهيه ﷺ عن التفضيل بين الأنبياء: إنما نهى عن ذلك من يقوله برأيه لا من يقوله بدليل أو من يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع، أو المراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضيلة، فالإمام مثلا إذا قلنا إنه أفضل من المؤذن لا يستلزم نقص فضيلة المؤذن بالنسبة إلى الأذان، وقيل النهي عن التفضيل إنما هو في حق النبوة نفسها كقوله تعالى {لا نفرق بين أحد من رسله} ولم ينه عن تفضيل بعض الذوات على بعض لقوله {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض}. وقال الحليمي الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايرة، لأن المخايرة، إذا وقعت بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى الازدراء بالآخر فيفضي إلى الكفر، فأما إذا كان التخيير مستنداً إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان فلا يدخل في النهي، وفيه أن أمة موسى أكثر الأمم بعد أمة محمد ﷺ.

٣٢ ـ باب قول الله تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مثلاً للَّذين آمَنُوا امْرَأَةَ فرْعَوْنَ إلى قوله- وكانَتْ منَ الْقَانتينَ} /١١ التحريم/

٣٤١١ ـ عنْ أبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عنْهُ قال: «قالَ رسولُ اللَّه ﷺ «كَمَلَ منَ الرِّجَالِ كَثيرٌ، ولَمْ يَكمُلْ منَ النِّسَاءِ إلا آسيةُ إمْرَأَةُ فرْعَوْنَ ومريمُ بنْتُ عمْرَانَ، وإنَّ فضْلَ

عائشةَ على النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائرِ الطَّعامَ».

[الحديث ٣٤١١ - أطرافه في: ٣٤٣٣، ٣٧٦٩، ٥٤١٨]

قوله (باب قول الله تعالى: {وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون -إلى قوله- وكانت من القانتين}) والغرض من هذه الترجمة ذكر آسية وهي بنت مزاحم امرأة فرعون، قيل إنها من بني إسرائيل وإنها عمة موسى، وأما مريم فسيأتي ذكرها مفردا بعد.

قوله (ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران) استدل بهذا الحصر على أنهما نبيتان لأن أكمل النوع الإنساني الأنبياء ثم الأولياء والصديقون والشهداء، فلو كانتا غير نبيتين للزم ألا يكون في النساء ولية ولا صديقة ولا شهيدة، والواقع أن هذه الصفات في كثير منهن موجودة فكأنه قال ولم ينبأ من النساء إلا فلانة وفلانة، ولو قال لم تثبت صفة الصديقة أو الولاية أو الشهادة إلا لفلانة وفلانة لم يصح لوجود ذلك في غيرهن، إلا أن يكون المراد في الحديث كمال غير الأنبياء فلا يتم الدليل على ذلك لأجل ذلك والله أعلم. وعلى هذا فالمراد مَنْ تقدم زمانه ﷺ ، ولم يتعرض لأحد من نساء زمانه إلا لعائشة، وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة رضي الله عنها على غيرها لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المؤنة وسهولة الإساغة، وكان أجل أطعمتهم يومئذ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل جهة، فقد يكون مفضولا بالنسبة لغيره من جهات أخرى.

قال القرطبي الصحيح أن مريم نبية لأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك، وأما آسية فلم يرد ما يدل على نبوتها. وقال الكرماني: لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوتها لأنه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في بابه، فالمراد بلوغها النهاية في جميع الفضائل التي للنساء. قال: وقد نقل الإجماع على عدم نبوة النساء، كذا قال، وقد نقل عن الأشعري أن من النساء من نبيء وهن ست: حواء وسارة وأم موسى وهاجر وآسية ومريم، والضابط عنده أن من جاءه الملك عن الله بحكم من أمر أو نهي أو بإعلام مما سيأتي فهو نبي، وقد ثبت مجيء الملك لهؤلاء بأمور شتى من ذلك من عند الله عز وجل، ووقع التصريح بالإيحاء لبعضهن في القرآن. وذكر ابن حزم في «الملل والنحل» أن هذه المسألة لم يحدث التنازع فيها إلا في عصره بقرطبة، وحكى عنهم أقوالا ثالثها الوقف، قال: وحجة المانعين قوله تعالى {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا} قال: وهذا لا حجة فيه فإن أحدا لم يدع فيهن الرسالة، وإنما الكلام في النبوة فقط. قال: وأصرح ما ورد في ذلك قصة مريم، وفي قصة أم موسى ما يدل على ثبوت ذلك لها من مبادرتها بإلقاء ولدها في البحر بمجرد الوحي إليها

بذلك، قال: وقد قال الله تعالى بعد أن ذكر مريم والأنبياء بعدها {أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين} فدخلت في عمومه والله أعلم.

٣٣ ـ باب {إنَّ قارونَ كانَ من قومِ موسى} الآية /٧٦ القصص/

{لَتَنُوءُ} لتثقُلَ. قالَ ابن عباسٍ {أولِي القوةِ}: لا يَرفَعُها العُصبَةُ منَ الرِّجالِ. يُقال {الفَرِحينَ}: المرِحينَ. {ويْكأنَّ الله} مثلُ {ألَمْ تَرَ أنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يشاءُ وَيَقْدِرُ} ويُوسِّعُ عَلَيهِ ويُضَيِّق.

قوله (باب إن قارون كان من قوم موسى الآية) هو قارون بن يصفد بن يصهر ابن عم موسى، واختلف في تفسير بغي قارون فقيل: الحسد، لأنه قال: ذهب موسى وهارون بالأمر فلم يبق لي شيء. وقيل الكبر، لأنه طغى بكثرة ماله.

قوله (الفرحين: المرحين) هو تفسير ابن عباس، والمعنى أنهم يبطرون فلا يشكرون الله على نعمه، وقد أخرج ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس قال كان موسى يقول لبني إسرائيل إن الله يأمركم بكذا حتى دخل عليهم في أموالهم فشق ذلك على قارون فقال لبني إسرائيل إن موسى يقول: من زنى رجم، فتعالوا نجعل لبغي شيئاً حتى تقول إن موسى فعل بها فيرجم فنستريح منه، ففعلوا ذلك، فلما خطبهم موسى قالوا له: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا. فقالوا: فقد زنيت، فجزع. فأرسلوا إلى المرأة فلما جاءت عظم عليها موسى، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل إلا صدقت، فأقرت بالحق، فخر موسى ساجدا يبكي، فأوحى الله إليه: إني أمرت الأرض أن تطيعك فأمرها بما شئت، فأمرها فخسفت بقارون ومن معه.

٣٤ ـ باب قَوْلِ اللهِ تعالَى:

/ ٨٥ الأعراف، ٨٤ هود، ٣٦ العنكبوت/ {وإلى مَدْيَنَ أخاهُمْ شُعَيباً} إلى أهْلِ مَدْيَنَ، لأنَّ مَدْيَنَ بلدٌ، وَمِثْلُهُ {واسألِ القَرْيَةَ، وَاسْألِ العيرَ} يَعني أهْلَ القَرْيَةَ وأهْلَ العِيرِ، {وراءَكُمْ ظِهْرِيًا} لم يَلتَفِتوا إليهِ يُقالُ إذَا لمْ تُقْضَ حَاجتهُ ظَهَرْتَ حَاجَتي ، وجَعَلْتَني ظِهرِيًا. قالَ: الظِّهْرِيُّ أنْ تأخُذَ معَكَ دابَّةً أوْ وِعاءً تَسْتَظْهِرُ بهِ. {مَكانَتُهُمْ} ومَكانَهُمْ واحدٌ. {يَغْنَوا} يَعيشُوا {يَأيَسُ} يَحزنُ {آسَى}: أحْزَنُ. وَقَالَ الحسن {إنك لأنت الحليم} يستهزئون به. وقال مجاهد {ليكة}: الأيكة. {يوم الظلة}: إظلال الغمامِ العذابَ عليهم.

قوله (باب قول الله تعالى: وإلى مدين أخاهم شعيبا) وكان مدين ممن آمن بإبراهيم لما أحرق. وروى ابن حبان في حديث أبي ذر الطويل «أربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ومحمد» فعلى هذا هو من العرب العاربة.

٣٥ ـ باب قول الله تعالى:

{وإنَّ يُونُسَ لَمنَ المُرْسَلين -إلى قوله- فمتعناهم إلى حِينَ} -إلى قَوْلِهِ- وَهُوَ مُليم} قالَ مُجَاهد: مذنب. المشحون: الموقر. {فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ من المُسبِّحين} الآية /١٣٩ الصافات/: {فنَبَذْناهُ بالعَرَاءِ} بوجه الأرض {وهُوَ سقيم وأنْبَتْنَا عَليه شَجَرَةً من يَقْطين} منْ غَيْر ذات أصل، الدباء ونحوهُ. {وأرْسَلْنَاهُ إلى مَائَةِ ألفٍ أوْ يَزِيدُونَ، فآمنوا فمتعناهم إلى حين}.

/٤٨ القلم/: {ولا تكُنْ كصَاحب الحُوت إذْ نادى وَهُوَ مكْظُومٌ}، {كظيمٌ}: وهُوَ مَغْمُومٌ

٣٤١٢ ـ عنْ عبدِ الله رضيَ اللهُ عنْهُ عنِ النبيِّ ﷺقالَ: «لا يَقُولَنَّ أحَدكُمْ إنِّي خَيرٌ منْ يُونُسَ» زَادَ مُسَدَّدٌ «يُونُس بن مَتَّى».

[الحديث ٣٤١٢ - طرفاه في: ٤٦٠٣، ٤٨٠٤]

٣٤١٣ ـ عَنْ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «مَا يَنْبَغي لعَبْدٍ أنْ يَقولَ إنّي خَيْرٌ منْ يُونُس بن مَتَّى. ونَسَبَهُ إلى أبيه».

٣٤١٤ ـ عنْ أبي هُريرَةَ رضي اللهُ عنْهُ قالَ: «بَيْنَمَا يَهُوديٌّ يَعْرِضُ سلْعَتَهُ أعْطي بِهَا شَيئًا كَرِهَهُ، فقالَ: لا وَالّذي إصْطفَى موسَى على البَشرِ، فَسَمعَهُ رجُلٌ منَ الأنْصارِ فقامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ وقَالَ: تَقُولُ والّذي اصْطفى موسَى على البَشَرِ والنبيُّ ﷺ بَيْنَ أظهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إليهِ فَقَالَ. أبَا القَاسِمْ، إنَّ لِي ذِمَّةً وعهْداً، فَمَا بَالُ فلانٍ لطَمَ وجْهي؟ فقالَ: لِمَ لَطَمْتَ وجْهَهُ؟ فذَكَرَهُ، فَغَضبَ النبيُّ ﷺ حتّى رُؤيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قالَ لا تُفَضّلوا بَيْنَ أوْليَاءِ اللهِ، فإنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فيَصْعَقُ من في السَّماوات ومَنْ في الأرْضَ إلا مَنْ شاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيهِ أُخْرَى فأكُونُ أوّلَ من بُعِثَ، فإذَا مُوسَى آخِذٌ بالعَرْشِ، فَلا أدْرِي أحُوسِبَ بصَعْقَتِهِ يومَ الطُّور، أمْ بُعِثَ قبلي».

٣٤١٥ ـ «ولا أقول إن أحَداً أفْضَلَ مِنْ يُونُسُ بن متّى».

[الحديث ٣٤١٥ - أطرافه في: ٣٤١٦، ٤٦٠٤، ٤٦٣١، ٤٨٠٥]

٣٤١٦ ـ عنْ أبِي هُرَيرَةَ عنِ النبي ﷺ قالَ: «لا يَنْبَغِي لعبْدٍ أنْ يَقُولَ أنَا خَيرٌ منْ يُونُسَ بن مَتّى».

قوله (من يقطين: من غير ذات أصل، الدباء ونحوه) وكذا قال أبو عبيدة: كل شجرة لا تقوم على ساق فهي يقطين نحو الدباء والحنظل والبطيخ، والمشهور أنه القرع، وقبل التين وقيل الموز.

قال العلماء: إنما قال ﷺ ذلك تواضعا إن كان قاله بعد أن أعلم أنه أفضل الخلق، وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال، وروى ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن ميمون عن ابن

مسعود بإسناد صحيح إليه نحو ذلك وفيه «وأصبح يونس فأشرف على القرية فلم ير العذاب وقع عليهم، وكان في شريعتهم من كذب قتل، فانطلق مغاضبًا حتى ركب سفينة -وقال فيه- فقال لهم يونس إن معهم عبداً آبقا من ربه وإنها لا تسير حتى تلقوه، فقالوا: لا نلقيك يا نبي الله أبداً، قال فاقترعوا فخرج عليه ثلاث مرات، فألقوه فالتقمه الحوت فبلغ به قرار الأرض، فسمع تسبيح الحصى فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت» الآية.

٣٦ ـ باب {وَاسْأَلْهُمْ عنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ حاضرةَ الْبَحْرِ إذْ يَعدُون فِي السَّبت}

/١٦٣ الأعراف/: يتعَدَّونَ، يُجَاوِزُون فِي السَّبْت {إذْ تَأْتيهم حيتانُهم يومَ سبْتهم شُرَّعًا -شَوَارِعَ، إلَى قَوْله- كُونُوا قِرَدَةً خَاسئِين}.

قوله (باب قوله تعالى[١]: واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الجمهور أن القرية المذكورة أيلة وهي التي على طريق الحاج الذاهب إلى مكة من مصر، وحكى ابن التين عن الزهري أنها طبرية، وكذا قال قتادة: إن أصحاب السبت كانوا من أهل أيلة وأنهم لما تحيلوا على صيد السمك بأن نصبوا الشباك يوم السبت ثم صادوها يوم الأحد فأنكر عليهم قوم ونهوهم فأغلظوا لهم، فقالت طائفة أخرى دعوهم واعتزلوا بنا عنهم، فأصبحوا يوما فلم يروا الذين إعتدوا، فتحوا أبوابهم فأمروا رجلا أن يصعد على سلم فأشرف عليهم فرآهم قد صاروا قردة، فدخلوا عليهم فجعلوا يلوذون بهم، فيقول الذين نهوهم: ألم نقل لكم، ألم ننهكم؟ فيشيرون برءوسهم. وروى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس «أنهم لم يعيشوا إلا قليلا وهلكوا» وروى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس «صار شبابهم قردة وشيوخهم خنازير.

٣٧ ـ باب قوله تعالى:

{وآتينَا دَاوُدَ زَبُوراً} {الزُّبُر} /١٦٢ النساء، ٥٥ الإسراء/: الْكُتُبُ واحدُها زبورٌ، زبَرْتُ: كتبْتُ. {ولَقَدْ آتينَا دَاوُدَ منَّا فضْلا، يَا جبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ} /١٠ - ١١ سبأ/: قالَ مُجاهد: سبِّحي معه {والطَّيرَ، وألَنَّا لَهُ الحديد، أن اعمَلْ سابغَات}: الدُّرُوعَ {وقدِّرْ فِي السَّرْد} المساميرِ والحلَقِ، ولا يُرِقَّ المسمارَ فيَسلس، ولَا يعظِّم فينْفَصمُ. {أفرغْ}: أنزلْ. {بسطةً} زيادةً وفضلا واعملوا صالحاً إني بما تعملونَ بصير}.

٣٤١٧ ـ عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: خُفِّفَ على داودَ عليه السَّلامُ القرآنُ، فكان يأمُرُ بدوابِّه فتُسْرَجُ، فيقرأُ القُرآن قبْلَ أنْ تُسرَجَ دَوَابُّهُ، ولَا يَأكُلُ إلا من عَمَلِ يده».

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "قوله تعالى"

٣٤١٨ - عنْ عبدِ اللهِ بن عمْرو رضيَ اللهُ عنهُمَا قالَ: «أخبرَ رسولُ اللهِ ﷺ أني أقولُ: واللهِ لأصُومَنَّ النَّهَار ولأقُومَنَّ اللَّيلَ مَا عِشْتُ، فقالَ لهُ رسُولُ اللهِ ﷺ: أنْتَ الَّذي تقُولُ: واللهِ لأصُومَنَّ النَّهارَ ولأقُومَنَّ اللَّيلَ مَا عِشْتُ؟ قُلتُ: قَدْ قُلتُهُ. قالَ: إنَّكَ لا تَسْتَطيعُ ذلِكَ، فَصُمْ وأفطِرْ، وقُمْ ونَمْ، وصُمْ من الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أيَّام فإنَّ الحسنة بعَشْرِ أمْثالِهَا، وذلِكَ مثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ. فَقُلْتُ: إنِّي أُطيقُ أفضَلَ من ذلِكَ يَا رسولَ اللهِ. قالَ: فصُم يومًا وأفطِرْ يومَين. قالَ قُلْتُ: إنِّي أُطيقُ أفضَلَ منْ ذَلِكَ. قالَ: فَصُمْ يَوْمًا وأفطِرْ يَوْمًا، وذَلِكَ صِيَامُ داودَ وَهُوَ أعدَلُ الصِّيَام. قُلتُ: إنِّي أُطيقُ أفضَلَ منْهُ يا رسولَ اللهِ، قالَ: لا أفضَلَ منْ ذَلِكَ».

٣٤١٩ - عنْ عبدِ الله بن عمْرو بنِ العَاص قال: «قالَ لي رسولُ الله ﷺ ألَمْ أُنبَأْ أنَّكَ تَقُومُ اللَّيلَ وتَصُومُ النَّهَارَ؟ فَقُلْتُ: نعَمْ. فقالَ: فإنَّكَ إذَا فَعَلْتَ ذلكَ هجَمَتِ العَيْنُ، ونفِهَتْ النَّفْسُ، صُمْ منْ كُلِّ شهْرٍ ثلاثَةَ أيَّامٍ، فذَلكَ صومُ الدَّهْرِ، أوْ كصَوْم الدَّهْر. قُلْتُ: إنِّي أجدُ بي -قالَ مِسْعَرٌ: يَعْني قُوَّةً- قالَ: فصم صوم دَاوُدَ عَلَيه السَّلامُ، وكانَ يصُومُ يَوْمًا ويُفْطِرُ يومًا، ولَا يَفِرُّ إذَا لاقى».

وفي الحديث أن البركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير.

قوله (ولا يأكل إلا من عمل يده) تقدم شرحه في أوائل البيوع وأن فيه دليلا على أنه أفضل المكاسب، وقد استدل به على مشروعية الإجارة من جهة أن عمل اليد أعم من أن يكون للغير أو للنفس، والذي يظهر أن الذي كان يعمله داود بيده هو نسج الدروع، وألان الله له الحديد، فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع كونه كان من كبار الملوك، قال الله تعالى {وشددنا ملكه}، وفي حديث الباب أيضا ما يدل على ذلك، وأنه مع سعته بحيث أنه كان له دواب تسرج إذا أراد أن يركب ويتولى خدمتها غيره، ومع ذلك كان يتورع ولا يأكل إلا مما يعمل بيده.

٣٨ - باب أحبُّ الصلاة إلى اللَّه صلاةُ داودَ

وأحبُّ الصيام إلى اللهِ صيَامُ داودَ: كان ينَامُ نصفَ الليلِ، ويقُومُ ثلثَه ويَنامُ سُدُسَهُ، ويَصُوم يومًا ويُفطِرُ يومًا.

قالَ عَليٌّ: وَهُو قَولُ عَائشَةَ: «مَا ألفاهُ السحَرُ عندي إلا نائمًا».

٣٤٢٠ - عنْ عبدِ الله بن عمْرو قالَ: «قالَ لِي رسولُ الله ﷺ: أحبُّ الصيام إلى الله صيامُ داودَ، كانَ يصومُ يومًا ويُفطِرُ يومًا. وأحبُّ الصَّلاة إلى اللهِ صلاةُ داودَ، كانَ ينامُ نصفَ الليل ويقُوم ثُلثَه وينامُ سُدسَه».

٣٩ ـ باب {واذكر عبدَنا داودَ ذا الأيْدِ إنه أوّاب -إلى قوله- وفصلَ الخطاب}

ص:١٧ - ٢٠، قالَ مُجاهد: الفهمُ في القضاءِ. {ولا تُشطِط}: لا تُسرِف. {واهْدنا إلى سواءِ الصِّراط. إنَّ هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجةً -يُقال للمرأة نَعجة، ويُقال لها أيضا شاةٌ- ولي نعجةٌ واحدة، فقال أكفلنيها -مثلُ {وكفلها زكرياء}: ضمَّها- وعزَّني} غلبني، صارَ أعزَّ مني، أعزَزْته: جعلتهُ عزيزا {في الخطاب} يقالُ المحاورة. {قال لقد ظلمك بسؤال نعجتِكَ إلى نعاجِه، وإن كثيراً من الخُلَطاءِ ليبغي -إلى قوله-أنما فَتنَّاه} قال ابن عبَّاس: اختبرناه. وقرأ عمر (فتَّناه - بتشديد التاء-فاستغفر ربَّهُ وخرَّ راكعًا وأناب»).

٣٤٢١ ـ عنْ مُجاهدٍ قالَ: «قلتُ لابن عبّاسٍ أنسجدُ في ص؟ فقرأ {ومن ذرِّيته داودَ وسليمانَ -حتى أتى- فبهُداهُم اقتَدِه} فقالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهُمَا: نبيُّكمْ ﷺ ممَّن أمرَ أن يَقتديَ بهم».

[الحديث ٣٤٢١ - أطرافه في: ٤٦٣٢، ٤٨٠٦، ٤٨٠٧]

٣٤٢٢ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا قالَ: «ليسَ (ص) مِنْ عَزائم السُّجودِ، ورأيْتُ النبيَّ ﷺ يَسجدُ فيها».

قوله (باب واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب -إلى قوله- وفصل الخطاب) الأيد القوة، وكان داود موصوفا بفرط الشجاعة، والأواب يأتي تفسيره قريبا.

وسيأتي شرح الحديث في التفسير إن شاء الله تعالى.

٤٠ ـ باب قولِ اللّه تعالى:

{ووَهَبنا لداودَ سليمانَ، نعمَ العبدُ إنَّهُ أوَّاب} /ص:٣٠ الراجعُ المنيب.

وقوله [ص:٣٥] {هَب لي مُلكًا لا يَنْبغي لأحدٍ من بعْدي}. وقولهِ [البقرة:١٠٢] {واتَّبعوا ما تتلوا الشياطينُ على مُلكِ سُليمانَ}، /١٢ سبأ/: {ولِسُليمَانَ الرِّيحَ غدُوُّها شهرٌ ورواحُها شهرٌ، وأسَلْنا لهُ عَينَ القطرِ -أذبْنَا له عين الحديد- ومن الجنِّ من يعملُ بين يديهِ -إلى قوله- من محاريبَ} قال مجاهدٌ بُنيانٌ ما دون القُصور {وتماثيلَ وجفان كالجَوابِ} كالحياضِ للإبلِ، وقال ابن عباسٍ: كالجَوبةِ من الأرض {وقُدورٍ راسياتٍ -إلى قوله- الشَّكُور. فلما قضينا عليه الموتَ مادلَّهم على موتهِ إلا دابَّةُ الأرضِ -الأرضةُ- تأكلُ مِنسَأتَه} عصاه {فلما خرَّ -إلى قوله- المهين}. [ص:٣٢-٣٣]: {حُبَّ الخير عن ذكرِ ربِّي......فطفقَ مسحًا بالسُّوق والأعناق} يمسحُ أعرافَ الخيل وعَراقيبَهَا. {الأصفاد} الوَثاق. قال مجاهد {الصافنات}: صَفَنَ الفرسُ رفع إحدى رجليه حتى تكونَ على طرف الحافر. {الجيادُ: السِّراعُ {جَسَدا}: شيطانا. {رُخَاءً}: طيِّبةً. {حيث أصاب}: حيثُ شاء. {فامنُن}: أعط. {بغير حساب}: بغير حَرَج.

٣٤٢٣ - عن أبي هريرةَ عنِ النبيِّ ﷺ «إنَّ عفريتًا من الجنِّ تفلَّتَ البارحةَ ليقطعَ عليَّ صلاتي، فأمكنني اللهُ منهُ، فأخذتهُ، فأردتُ أن أربطهُ على ساريةٍ من سَواري المسجد حتى تَنظُروا إليه كلُّكم، فذكرتُ دعوةَ أخي سُليمانَ {رب هَبْ لي مُلْكًا لا يَنْبَغي لأحدٍ من بعدي} فردَدْتُهُ خاسئًا» عفريتٌ: متمردٌ من إنسٍ أو جانٍّ، مثلُ زِبْنية جماعتُها الزَّبانية.

٣٤٢٤ - عن أبي هريرةَ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «قالَ سُليمانُ بن داودَ: لأطوفنَّ الليلةَ على سبعينَ امرأةً تحملُ كلُّ امرأةٍ فارسًا يُجاهدُ في سبيل الله. فقال له صاحبهُ: إنْ شاءَ اللهُ. فلم يَقُلْ، ولم تَحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحدُ شقَّيه. فقالَ النبيُّ ﷺ لو قالَها لجاهَدوا في سبيل الله».

قال شعيب وابن أبي الزِّنادِ {تسعين} وهو أصح.

٣٤٢٥ - عنْ أبي ذَرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «قُلْتُ يا رسولَ اللهِ أيُّ مسجدٍ وُضعَ أول؟ قال: المسجدُ الحرام. قلت: ثمَّ أيٌّ؟ قال: ثم المسجدُ الأقصى قلتُ: كم كان بينهما؟ قالَ: أربعونَ. ثم قال: حيثما أدركتكَ الصلاةُ فصلِّ والأرضُ لكَ مسجد».

٣٤٢٦ - عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ سَمع رسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «مَثلي ومَثَلُ النَّاس كمثل رجل استوقَدَ ناراً، فجعلَ الفَراشُ وهذه الدَّوابُّ تقعُ في النار».

٣٤٢٧ - «وقالَ: كانَتْ امرأتانِ معهما ابناهما، جاءَ الذئبُ فذهبَ بابنِ إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهبَ بابنكِ، وقالت الأخرى: إنما ذهبَ بابنك. فتحاكمتا إلى داودَ فقضى به للكُبرى، فخرَجتا على سُليمانَ بن داودَ فأخبَرَتاه فقال: أئتوني بالسكين أشقُّهُ بينهما. فقالت الصغرى لا تَفعَلْ يرحمُكَ اللهُ، هُوَ ابنُها، فقضى بهِ للصغرى. قالَ أبو هُرَيْرَةَ: وَاللهِ إنْ سَمِعتُ بالسكين إلا يومَئذٍ، ومَا كُنَّا نقول إلا المُدْيةُ».

[الحديث ٣٤٢٧- طرفه في: ٦٧٦٩]

قوله (نعم العبد إنه أواب الراجع المنيب) هو تفسير الأواب. وقد أخرج ابن جريج من طريق مجاهد قال: الأواب الرجاع عن الذنوب. ومن طريق قتادة قال المطيع.

وقال أبو عبيدة: الجوابي جمع جابية، وهو الحوض الذي يجبى فيه الماء.

قوله (دابة الأرض) الأرضة.

قوله (فطفق مسحا بالسوق والأعناق، يمسح أعراف الخيل وعراقيبها) هو قول ابن عباس أخرجه ابن جرير، وروى من طريق الحسن قال: كشف عراقيبها وضرب أعناقها وقال لا تشغلني عن عبادة ربي مرة أخرى.

قوله (الأصفاد الوثاق) روى ابن جرير من طريق السدي قال: مقرنين في الأصفاد: أي يجمع اليدين إلى العنق بالأغلال.

قوله (البارحة) أي الليلة الخالية الزائلة.

قوله (فذكرت دعوة أخي سليمان) أي قوله {وهَبْ لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي} وفي هذه إشارة إلى أنه تركه رعاية لسليمان عليه السلام، ويحتمل أن تكون خصوصية سليمان استخدام الجن في جميع ما يريده لا في هذا القدر فقط، واستدل الخطابي بهذا الحديث على أن أصحاب سليمان كانوا يرون الجن في أشكالهم وهيئتهم حال تصرفهم، قال: وأما قوله تعالى {إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم} فالمراد الأكثر الأغلب من أحوال بني آدم، وتعقب بأن نفي رؤية الإنس للجن على هيئتهم ليس بقاطع من الآية بل ظاهرها أنه ممكن، فإن نفي رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا ولا ينفي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة، ويحتمل العموم، وهذا الذي فهمه أكثر العلماء حتى قال الشافعي: من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته، واستدل بهذه الآية. والله أعلم.

قوله (قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة) كناية عن الجماع.

قوله (تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله) هذا قاله على سبيل التمني للخير، وإنما جزم به لأنه غلب عليه الرجاء، لكونه قصد به الخير وأمر الأخرة لا لغرض الدنيا. قال بعض السلف: نبه ﷺ في هذا الحديث على آفة التمني والإعراض عن التفويض، قال: ولذلك نسي الإستثناء ليمضي فيه القدر.

قوله (فقال له صاحبه: إن شاء الله) في رواية معمر عن طاوس الآتية «فقال له الملك».

وقال القرطبي في قوله «فقال له صاحبه أو الملك» إن كان صاحبه فيعني به وزيره من الإنس والجن، وإن كان الملك فهو الذي كان يأتيه بالوحي.

قوله (فلم يقل) قال عياض: بين في الطريق الأخرى بقوله «فنسي».

قوله (إلا واحدا ساقطا أحد شقيه) في رواية شعيب «فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل».

قوله (لو قالها لجاهدوا في سبيل الله) والمراد أنه كان يحصل له ما طلب ولا يلزم من إخباره ﷺ بذلك في حق سليمان في هذه القصة أن يقع ذلك لكل من استثنى في أمنيته، بل في الاستثناء رجو الوقوع وفي ترك الاستثناء خشية عدم الوقوع، وبهذا يجاب عن قول موسى للخضر {ستجدني إن شاء الله صابرا} مع قول الخضر له آخراً {ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا} وفي الحديث فضل فعل الخير وتعاطي أسبابه، وأن كثيرا من المباح والملاذ يصير مستحبا بالنية والقصد. وفيه استحباب الاستثناء لمن قال سأفعل كذا، وأن إتباع المشيئة

اليمين يرفع حكمها، وهو متفق عليه بشرط الاتصال، وسيأتي بيان ذلك في الأيمان والنذور[١] مع بسط فيه، وفيه الاستثناء لا يكون إلا باللفظ ولا يكفي فيه النية. وهو اتفاق إلاما حكي عن بعض المالكية. وفيه ما خص به الأنبياء من القوة على الجماع الدال ذلك على صحة البنية وقوة الفحولية وكمال الرجولية مع ما هم فيه من الاشتغال بالعبادة والعلوم. وقد وقع للنبي ﷺ من ذلك أبلغ المعجزة لأنه مع اشتغاله بعبادة ربه وعلومه ومعالجة الخلق كان متقللا من المآكل والمشارب المقتضية لضعف البدن على كثرة الجماع، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في ليلة بغسل واحد وهن إحدى عشرة إمرأة، وقد تقدم في كتاب الغسل، ويقال إن كل من كان أتقى لله فشهوته أشد لأن الذي لا يتقي يتفرج بالنظر ونحوه، وقال القرطبي: لا يظن بسليمان عليه السلام أنه قطع بذلك على ربه إلا من جهل حال الأنبياء وأدبهم مع الله تعالى. وقال ابن الجوزي: فإن قيل من أين لسليمان أن يخلق من مائه هذا العدد في ليلة؟ لا جائز أن يكون بوحي لأنه ما وقع، ولا جائز أن يكون الأمر في ذلك إليه لأن الأرادة لله. والجواب أنه من جنس التمني على الله والسؤال له أن يفعل والقسم عليه كقول أنس بن النضر «والله لا يكسر سنها» ويحتمل أن يكون لما أجاب الله دعوته أن يهب له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده كان هذا عنده من جملة ذلك فجزم به. وأقرب الاحتمالات ما ذكرته أولا وبالله التوفيق. قلت: ويحتمل أن يكون أوحى إليه بذلك مقيدا بشرط الاستثناء فنسي الاستثناء فلم يقع ذلك لفقدان الشرط، وفيه جواز السهو على الأنبياء، وأن ذلك لا يقدح في علو منصبهم.

قوله (أي مسجد وضع أول) تقدم التنبيه عليه في أثناء قصة إبراهيم عليه السلام. وقوله «أدركتك الصلاة» أي وقت الصلاة، وفيه إشارة إلى المحافظة على الصلاة في أول وقتها، ويتضمن ذلك الندب إلى معرفة الأوقات. وفيه إشارة إلى أن المكان الأفضل للعبادة إذا لم يحصل لا يترك المأمور به لفواته بل يفعل المأمور في المفضول لأنه ﷺ كأنه فهم عن أبي ذر من تخصيصه السؤال عن أول مسجد وضع أنه يريد تخصيص صلاته فيه فنبه على أن إيقاع الصلاة إذا حضرت لا يتوقف على المكان الأفضل، وفيه فضيلة الأمة المحمدية لما ذكر أن الأمم قبلهم كانوا لا يصلون إلا في مكان مخصوص وقدتقدم التنبيه عليه في كتاب التيمم[٢]، وفيه الزيادة على السؤال في الجواب لا سيما إذ كان للسائل في ذلك مزيد فائدة.

---

(١) كتاب كفارات الأيمان باب / ٩ ح ٦٧١٨،٦٧٢٠ - ٥ / ١٢٦
(٢) كتاب التيمم باب /١ ح ٣٣٥ - ١ / ٢٢٨

قوله (مثلي) أي في دعائي الناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار ومثل ما تزين لهم أنفسهم من التمادي على الباطل.

قال النووي: مقصود الحديث أنه ﷺ شبه المخالفين له بالفراش وتساقطهم في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه إياهم، والجامع بينهما اتباع الهوى وضعف التمييز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه، وقال القاضي أبوبكر بن العربي : هذا مثل كثير المعاني ، والمقصود أن الخلق لا يأتون ما يجرهم إلى النار على قصد الهلكة، وإنما يأتونه على قصد المنفعة واتباع الشهوة، كما أن الفراش يقتحم النار لا ليهلك فيها بل لما يعجبه من الضياء. وقد قيل إنّها لا تبصر بحال وهو بعيد، وإنما قيل إنها تكون في ظلمة فإذا رأت الضياء اعتقدت أنها كوة يظهر منها النور فتقصده لأجل ذلك فتحترق وهي لا تشعر، وقال الغزالي: التمثيل وقع على صورة الإكباب على الشهوات من الأنسان بإكباب الفراش على التهافت في النار، ولكن جهل الآدمي أشد من جهل الفراش، لأنها بإغترارها بظواهر الضوء إذا احترقت انتهى عذابها في الحال، والآدمي يبقى في النار مدة طويلة أو أبدا والله المستعان.

قوله (فقضى به للكبرى الخ) قيل كان ذلك على سبيل الفتيا منهما لا الحكم، ولذلك ساغ لسليمان أن ينقضه. وتعقبه القرطبي بأن في لفظ الحديث أنه قضى بأنهما تحاكما، وبأن فتيا النبي وحكمه سواء في وجوب تنفيذ ذلك. وقال الداودي: إنما كان منهما على سبيل المشاورة فوضح لداود صحة رأي سليمان فأمضاه. وقال ابن الجوزي: والذي ينبغي أن يقال إن داود عليه السلام قضى به للكبرى لسبب اقتضى به عنده ترجيح قولها، إذ لابَيِّنَة لواحدة منهما ، وكونه لم يعين في الحديث اختصارا لا يلزم منه عدم وقوعه، فيحتمل أن يقال: إن الولد الباقي كان في يد الكبرى وعجزت الأخرى عن إقامة البينة قال: وهذا تأويل حسن جار على القواعد الشرعية وليس في السياق ما يأباه ولا يمنعه، فإن قيل فكيف ساغ لسليمان نقض حكمه؟ فالجواب أنه لم يعمد إلى نقض الحكم، وإنما احتال بحيلة لطيفة أظهرت ما في نفس الأمر، وذلك أنهما لما أخبرتا سليمان بالقصة فدعا بالسكين ليشقه بينهما ، ولم يعزم على ذلك في الباطن، وإنما أراد استكشاف الأمر، فحصل مقصوده لذلك لجزع الصغرى الدال على عظيم الشفقة، ولم يلتفت إلى إقرارها بقولها هو ابن الكبرى لأنه علم أنها آثرت حياته، ودلت هذه القصة على أن الفطنه والفهم موهبة من الله لا تتعلق بكبر سن ولا صغره، وفيه أن الحق في جهة واحدة، وأن الأنبياء يسوغ لهم الحكم بالاجتهاد

وإن كان وجود النص ممكنا لديهم بالوحي، لكن في ذلك زيادة في أجورهم ولعصمتهم من الخطأ في ذلك إذ لا يقرون لعصمتهم على الباطل. وقال النووي: إن سليمان فعل ذلك تحيلا على إظهار الحق، فكان كما لو اعترف المحكوم له بعد الحكم أن الحق لخصمه. وفيه استعمال الحيل في الأحكام لإستخراج الحقوق، ولا يتأتى ذلك إلا بمزيد الفطنة وممارسة الأحوال.

٤١ ـ باب قول الله تعالى:

/١٢ - ١٨ لقمان/: {وَلَقَدْ آتَينا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أنِ اشكُر لله -إلى قولِه- إنَّ اللّه لا يحبُّ كلَّ مُختالٍ فخُور}. {ولا تُصَعِّرْ} الإعراضُ بالوجه

٣٤٢٨ ـ عنْ عَبْدِ اللّه قالَ: «لمَّا نَزَلَت {الّذينَ آمنُوا ولَم يَلبِسُوا إيمانَهم بظلْمٍ} /٨٢ الأنعام/ قالَ أصْحَابُ النبيِّ ﷺ : أيُّنَا لَمْ يَلبِسْ إيمانَهُ بظلمٍ؟ فنزلت /١٣ لقمان/: {لا تُشْرِكْ باللّهِ، إنَّ الشرْكَ لظُلْمٌ عَظيم}.

٣٤٢٩ ـ عنْ عبْدِ اللّه رضيَ اللّهُ عنهُ قالَ: «لمَّا نزلت {الّذينَ آمنُوا ولَم يَلبِسُوا إيمانَهم بظلْم} شقَّ ذلكَ على المسلمين فقالوا: يا رسولَ اللّه أيُّنَا لايظلِمُ نفسَهُ؟ قالَ لَيس ذلِكَ، إنّما هُوَالشِّرْكُ، ألمْ تسمعُوا ما قالَ لُقمانُ لابْنهِ وهُوَ يَعِظُه {يابني لا تُشْرِكْ بِاللّهِ، إنَّ الشركَ لظُلْمٌ عَظيم}».

قوله (باب قول الله تعالى: ولقد آتينا لقمان الحكمة -إلى قوله- عظيم) اختلف في لقمان فقيل كان حبشيا، وقيل كان نوبيا. واختلف هل كان نبيا، وروى الثوري في تفسيره عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان لقمان عبدا حبشياً نجارا وفي «مصنف ابن أبي شيبة» عن خالد بن ثابت الربعي أحد التابعين مثله، وروى الطبري من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر، أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة. وفي «المستدرك» بإسناد صحيح عن أنس قال: كان لقمان عند داود وهو يسرد الدرع، فجعل لقمان يتعجب ويريد أن يسأله عن فائدته فتمنعه حكمته أن يسأل وهذا صريح في أنه عاصر داود عليه السلام.

قال شعبة عن الحكم عن مجاهد كان صالحا ولم يكن نبيا. ويقال أن عكرمة تفرد بقوله كان نبيا، وقد روى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى: {ولقد آتينا لقمان الحكمة} قال التفقه في الدين ولم يكن نبيا، وقد تقدم تفسير المراد بالحكمة في أوائل كتاب العلم في شرح حديث ابن عباس «اللهم علمه الحكمة» وقيل كان خياطا وقيل نجاراً.

٤٢ ـ باب قوله تعالى:
{واضْرِبْ لهم مَثَلاً أصْحاب اَلْقَرية} الآية /يس:١٣/

{فعزَّزْنا} قال مُجَاهدٌ: شدَّدْنا. وقال ابْنُ عبَّاسٍ {طَائِرُكُمْ}: مَصَائِبُكُمْ.

والقرية المراد بها أنطاكية ولعلها كانت مدينة بالقرب من هذه الموجودة، لأن الله أخبره أنه أهلك أهلها، وليس لذلك أثر في هذه المدينة الموجودة الآن.

٤٣ ـ باب قولِ اللَّه تَعالى:

{ذِكْرُ رحمَة ربِّكَ عبْدَهُ زكَرِيَّا، إذْ نَادَى ربَّه نداءً خفيّاً. قال ربِّ إنِّي وهنَ العظْمُ منِّي واشْتَعَلَ الرَّأسُ شَيْبًا -إلى قوله- لم نجْعَلْ لهُ من قبلُ سمِيّاً} /مريم:٣-٧/، قالَ ابن عبَّاسٍ: مثلاً. يقال {رضيّاً} مرضيّاً. {عتيّاً}: عصيّاً، عتا يَعتو. {قالَ ربِّ أنَّى يكونُ لي غلامٌ -إلى قوله- ثلاثَ ليالٍ سَوِيًّا} ويُقال صحيحا {فخرجَ على قوْمِه منَ المحرابِ، فأوْحى إليهمْ أنْ سَبِّحوا بُكرَةً وعشيّاً}. { فأوْحى}: فأشارَ. {يَا يَحْيى خُذِ الكتابَ بقُوَّةٍ -إلى قولهِ- ويَوْم يُبْعثُ حيّاً}. {حفِيًّا}: لطيفًا. {عاقراً} الذَّكَرُ والأنثى سواءٌ .

٣٤٣٠ ـ عنْ مالكِ بن صعْصَعَةَ «أنَّ نَبيَّ اللّه ﷺ حَدَّثَهُمْ عنْ ليْلَة أُسْرِيَ بهِ: ثمَّ صَعِدَ حتَّى أتَى السَّماءَ الثَّانيةَ، فاستَفْتَحَ، قيلَ من هذا؟ قالَ: جبريلُ. قيل: ومنْ معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ. قيلَ: وقَدْ أرسِلَ إليهِ؟ قالَ: نَعَمْ. فلمَّا خلصْتُ فإذَا يَحْيى وعِيسَى وهُمَا ابْنَا خَالةٍ. قالَ هذَا يَحْيى وعيسى، فسلِّم عليهِمَا، فسلَّمْتُ، فَرَدَّا، ثُمَّ قالا: مرحبًا بالأخِ الصَّالِحِ والنَّبيِّ الصَّالِح».

قوله (حفيا: لطيفا) وقال أبو عبيدة في قوله (إنه كان بي حفيا) أي محتفيا، يقال تحفيت بفلان.

٤٤ ـ باب قولِ اللَّه تَعالى:

{واذْكُر في الكتَاب مريمَ إذْ انتبذَتْ من أهلِها مكاناً شرقيّاً} /١٦ - مريم/. {إذْ قالَتِ الملائكة يا مريمُ إنَّ اللّهَ يُبشِّرُكِ بكلمةٍ} /آل عمران:٤٥/. {إنَّ اللّهَ اصْطفى آدمَ ونوحًا وآل إبْراهيم وآل عمرانَ على العالمِينَ -إلى قوله- يَرزقُ مَنْ يشاءُ بغيرِ حساب} /آل عمران:٣٣/. قال ابنُ عبَّاسٍ {وآل عمران}. المؤمنونَ من آل إبراهمَ وآل عمرانَ وآلِ ياسينَ وآلِ محمدٍ ﷺ يقولُ {إنَّ أولى النَّاسِ بإبراهيمَ للَّذين اتَّبَعوه}/آل عمران:٦٨/ وهُم المؤمنون. ويُقال {آل يعقوبَ} أهل يعقُوب. فإذَا صغَّروا «آل» ثمَّ ردُّوهُ

٣٤٣١ ـ عن سعيدِ بن المسيَّبِ قال: قالَ أبُو هُرَيرَةَ رضيَ اللّه عنهُ :«سمعْتُ رسولَ اللّه ﷺ يقول: ما من بني آدمَ مولودٌ إلا يَمسُّهُ الشيطانُ حينَ يُولد فيَستَهلُّ صارخًا من مَسِّ الشيطان، غيرَ مريمَ وابنِها. ثمَّ يقُولُ أبو هريرَةَ {وإنِّي أُعيذُها بكَ وذُرِّيَّتَهَا من الشيطانِ الرجيم} [٣٦ آل عمران]».

قوله (ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد) في رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة الماضية في «باب صفة إبليس» بيان المس المذكور لفظه «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد، غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب» أي في المشيمة التي فيها الولد قال القرطبي: هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط، فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت {إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم} ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى.

قوله (فيستهل صارخا من مس الشيطان) في رواية معمر المذكورة «من نخسة الشيطان» أي سبب صراخ الصبي أول ما يولد الألم من مس الشيطان إياه، والاستهلال الصياح.

٤٥ ـ باب ـ {وإذْ قالت الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللهَ اصْطفاكِ وطهَّركِ واصطفاكِ على نساءِ العالمين. يا مريمُ اقنُتِي لربِّكِ واسجُدِي واركعِي معَ الرَّاكعين. ذلكَ من أنباءِ الغيب نُوحيهِ إليكَ، وما كنت لدَيهم إذْ يُلقونَ أقلامَهُمْ أيُّهم يكفُلُ مريمَ، وما كنتَ لدَيْهِمْ إذْ يَخْتَصِمُونَ} /آل عمران:٤٢/ يقالُ {يكفُلُ}: يضُمُّ كفَلَها: ضَمَّها، مخفَّفة، ليس من كفالة الدُّيون وشبهها.

٣٤٣٢ ـ عن عليٍّ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: «سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقول: خيرُ نسائها مريم ابنةُ عمرانَ، وخيرُ نسائها خديجةُ».

[الحديث ٣٤٣٢ – طرفه في: ٣٨١٥]

قوله (باب وإذا قالت الملائكة: يا مريم إن الله اصطفاك واستدل بقوله تعالى {إن الله اصطفاك} على أنها كانت نبية وليس بصريح في ذلك، وأيد بذكرها مع الأنبياء في سورة مريم، ولا يمنع وصفها بأنها صديقة فقد وصف يوسف بذلك. وقد نقل عن الأشعري إنَّ في النساء عدة نبيات، وحصرهن ابن حزم في ست: حواء وسارة وهاجر وأم موسى وآسية ومريم، وأسقط القرطبي سارة وهاجر، ونقله في «التمهيد» عن أكثر الفقهاء. وقال القرطبي: الصحيح أن مريم نبية. وقال عياض: الجمهور على خلافه. ونقل النووي في «الأذكار» أن الإمام (١) نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية. وعن الحسن ليس في النساء نبية ولا في الجن. وقال السبكي الكبير: لم يصح عندي في هذه المسألة شيء، ونقله السهيلي في آخر «الروض» عن أكثر الفقهاء.

قوله (وخير نسائها خديجة) أي نساء هذه الأمة، قال القاضي أبو بكر بن العربي: خديجة أفضل نساء الأمة مطلقا لهذا الحديث، وقد تقدم في آخر قصة موسى حديث أبي موسى في ذكر مريم وآسية وهو يقتضي فضلهما على غيرهما من النساء، ودل هذا الحديث على أن مريم أفضل من آسية وأن خديجة أفضل نساء هذه الأمة.

٤٦ ـ باب قوله تعالى {إذْ قالَتِ الملائكةُ يامريمُ -إلى قوله- فإنَّما يقول لهُ كُنْ فيكُون} /آل عمران:٤٥ - ٤٨/.

{يُبَشِّرُكِ} ويُبْشرك واحد. {وجيهًا} شريفًا. وقال إبراهيم: المسيحُ الصدِّيق. وقالَ مُجاهدٌ: الكهل. الحليم. والأكْمَهُ من يُبْصرُ بالنهار ولا يُبْصرُ بالليل. وقالَ غيرهُ: من يولدُ أعمى.

٣٤٣٣ ـ عنْ أبِي موسى الأشعريِّ رضي اللّه عنْهُ قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ: فضلُ عائشةَ على النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّريدِ على سائرِ الطعامِ. كَمُلَ من الرجالِ كثير. ولم يكمُلْ من النساء إلا مريمُ بنتُ عمرانَ وآسيةُ امرأةُ فرعونَ».

٣٤٣٤ ـ عنْ أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «سَمِعْتُ رسولَ اللّهُ ﷺ يقول: «نساءُ قريشٍ خيرُ نساءٍ ركبْنَ الإبلَ: أحناهُ على طِفلٍ، وأرعاهُ على زوجٍ في ذات يدِهِ». يقولُ أبو هُرَيْرَةَ عَلى إثر ذلكَ: ولمْ تركبْ مريمُ بنت عمرانَ بعيراً قط».

[الحديث ٣٤٣٤ - طرفاه في: ٥٠٨٢، ٥٣٦٥]

قال الطبري: مراد إبراهيم بذلك أن الله مسحه فطهره من الذنوب، فهو فعيل بمعنى مفعول. قلت: وهذا بخلاف تسمية الدجال المسيح فإنه فعيل بمعنى فاعل يقال إنه سمي بذلك لكونه يمسح الأرض وقيل سمي بذلك لأنه ممسوح العين فهو بمعنى مفعول، قيل في المسيح عيسى أيضاً إنه مشتق من مسح الأرض لأنه لم يكن يستقر في مكان، ويقال سمي بذلك لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، وقيل لأنه كان جميلا يقال: مسحه الله أي خلقه خلقا حسنا ومنه قولهم به مسحة من جمال.

قوله (وقال مجاهد: الكهل الحليم) وقد قال أبو جعفر النحاس: إن هذا لا يعرف في اللغة، وإنما الكهل عندهم من ناهز الأربعين أو قاربها، وقيل من جاوز الثلاثين وقيل ابن ثلاث وثلاثين انتهى. والذي يظهر أن مجاهدا فسره بلازمه الغالب، لأن الكهل غالبا يكون فيه وقار وسكينة.

قوله (أحناه) أشفقه والحانية التي تقوم بولدها بعد موت الأب، قال: وحنت المرأة على ولدها إذا لم تتزوج بعد موت الأب. قال ابن التين: فإن تزوجت فليست بحانية.

قوله (يقول أبو هريرة على أثر ذلك: ولم تركب مريم بنت عمران بعيرا قط) أراد أبو هريرة بذلك أن مريم لم تدخل في النساء المذكورات بالخيرية لأنه قيدهن بركوب الإبل ومريم لم تكن ممن يركب الإبل، وكأنه كان يرى أنها أفضل النساء مطلقا.

٤٧ ـ باب قوله {يا أهلَ الكتابِ لا تَغلوا في دينكم ولا تَقولُوا على اللّه إلا الحقَّ إنَّما المسيحُ عيسى بن مريمَ رسولُ اللّه وكلمته ألقاهَا إلى مريمَ وروحٌ منه، فآمنُوا باللّه ورسُله ولا تقُولوا ثلاثةٌ انتهُوا خيراً لكُمْ إنَّما اللّه إلهٌ واحد سبحانَهُ أنْ يكونَ له ولَد، لهُ ما في السماوات وما في الأرْض، وكفى باللّهِ وكيلا} /النساء:١٧١/.

قال أبُو عُبيد{كلمته كنْ فكَان. وقالَ غيرهُ {ورُوحٌ منهُ}: أحياهُ فجعلَهُ روحًا {ولا تقولوا ثَلاثة}.

٣٤٣٥ ـ عنْ عُبَادةَ رضِيَ اللّهُ عنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «من شهدَ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ لهُ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسُوله، وأنَّ عيسى عبدُ اللّه ورسُوله وكلمتهُ ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منهُ، والجنةُ حقٌّ والنارُ حقٌّ، أدخلَهُ اللّهُ الجنَّةَ على مَا كانَ من العَمل».

قال القرطبي: مقصود هذا الحديث التنبيه على ما وقع للنصارى من الضلال في عيسى وأمه، ويستفاد منه ما يلقنه النصراني إذا أسلم، قال النووي: هذا حديث عظيم الموقع، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنه جمع فيه ما يخرج عنه جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم. وقال غيره: في ذكر عيسى تعريض بالنصارى وايذان بأن إيمانهم مع قولهم بالتثليث شرك محض، وكذا قوله «عبده» وفي ذكر «رسوله تعريض باليهود في إنكارهم رسالته وقذفه بما هو منزه عنه وكذا أمه، وفي قوله «وابن أمته» تشريف له، وكذا تسميته بالروح ووصفه بأنه «منه» كقوله تعالى {وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه} [الجاثية ١٣] الآية. فالمعنى أنه كائن منه كما أن معنى الآية الأخرى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه، أي أنه مكون كل ذلك وموجده بقدرته وحكمته. وقوله {وكلمته} إشارة إلى أنه حجة الله على عباده أبدعه من غير أب وأنطقه في غير أوانه وأحيى الموتى على يده.

قوله (عن جنادة وزاد) ومعنى قوله «على ما كان من العمل» أي من صلاح أو فساد، لكن أهل التوحيد لابدَّ لهم من دخول الجنة، ويحتمل أن يكون معنى قوله «على ما كان من العمل» أي يدخل أهل الجنة الجنة على حسب أعمال كل منهم في الدرجات.

قال البيضاوي في قوله «على ما كان عليه من العمل» دليل على المعتزلة من وجهين: دعواهم أن العاصي يخلد في النار وأن من لم يتب يجب دخوله في النار، لأن قوله «على ما كان من العمل» حال من قوله «أدخله الله الجنة» والعمل حينئذ غير حاصل، ولا يتصور ذلك في حق من مات قبل التوبة إلا إذا أدخل الجنة قبل العقوبة. وأما ما ثبت من لازم أحاديث الشفاعة أن بعض العصاة يعذب ثم يخرج فيخص به هذا العموم، وإلا فالجميع تحت الرجاء،

كما أنهم تحت الخوف. وهذا معنى قول أهل السنة: إنهم في خطر المشيئة.

٤٨ ـ باب قولِ الله

{واذكُرْ في الكتابِ مريمَ إذ انتبَذَتْ من أهلِها} /مريم:١٦/.

نبذناهُ: ألقيناهُ اعتزلَت شرقياً: مما يلي الشرق. فأجَاءَها: أفعَلتُ من جئتُ، ويقال: ألجأها اضطرها، تَسَّاقَطْ: تَسقُطْ. قصياً: قاصياً. فريًا عظيما. قال ابنُ عبَّاسٍ: نسياً: لم أكُن شيئًا. وقالَ غيرهُ النَّسيُ: الحقير. وقالَ أبو وائلٍ علمتْ مريمُ أنَّ التَّقيَّ ذو نُهْيةٍ حينَ قالت {إن كنتَ تقيًا}. وقالَ وكيعٌ عن إسرائيلَ عن أبي إسحاقَ عن البراءِ {سريًا} نهرٌ صغير بالسُّريانية.

٣٤٣٦ ـ عن أبِي هريرَةَ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «لمْ يَتكلمْ في المهد إلا ثلاثة: عيسى وكانَ في بَني إسْرائيل رَجُلٌ يُقالَ لَهُ جُرَيج كانَ يُصلّي، فَجَاءَتْهُ أمُّه فدعَتْهُ، فقالَ: أجيبُها أو أصلّي؟ فقالت: اللَّهُمَّ لا تُمتهُ حتَّى تُريَهُ وُجوهُ المومِسات، وكانَ جُرَيجٌ في صَوْمَعته، فتعرَّضَتْ له امرأةٌ وكلَّمَتْهُ فأبى، فأتَتْ راعيًا فأمكنَتْهُ من نفسِها، فوَلَدَت غلامًا، فقالَتْ: من جُرَيج، فأتَوهُ فكسروا صَومعتَهُ وأنزلوهُ وسبُّوه، فتوضَّأ وصلَّى، ثمَّ أتى الغُلامَ فقالَ: من أبُوكَ يَا غُلامُ؟ قال: الراعي، قالوا: نَبْني صَومعتَكَ من ذهبٍ؟ قالَ: لا، إلا من طِين. وكانَت امرأة تُرضعُ ابنًا لها من بني إسرائيلَ، فمرَّ رجل راكبٌ ذو شارة، فقالت: اللهمَّ اجعل ابني مثلَهُ، فَتركَ ثديَها وأقبلَ على الرَّاكب فقالَ: اللهمَّ لا تجعلْني مثله، ثمَّ أقبل على ثَديها يمصُّه، قالَ أبو هُرَيْرَةَ: كأني أنظرُ إلى النبيِّ ﷺ يَمُصُّ إصْبَعَه، ثمَّ مُرَّ بأمة فقالت: اللهمَّ لا تجعَلْ ابني مثل هذه، فتركَ ثَديَها فقال: اللَّهُمَّ اجعلْني مثلها، فقالت: لم ذاك؟ فقالَ: الرَّاكبُ جبَّارمن الجبابرة، وهذه الأمة يقولُونَ سرَقتِ زنيتِ ولم تفعَل».

٣٤٣٧ ـ عنْ أبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللّهُ عنهُ قالَ: « قالَ النبيُّ ﷺ لَيْلَةَ أسريَ به: لقيتُ موسى، قالَ فنعتَه فإذا رجلٌ حسبتُهُ قالَ مُضْطَربٌ رَجِل الرأس كأنهُ من رجال شَنُوءة. قال ولقيتُ عيسى، فنعتَه النبيُّ ﷺ فقال: ربعةٌ أحمرُ، كأنَّما خَرَجَ من ديماس -يعني الحمام- ورأيتُ إبراهيمَ وأنا أشبَه ولده به. قال: وأتيتُ بإناءَين أحدُهما لبَن والآخرُ فيه خمر، فقيلَ لي: خذ أيَّهما شئتَ، فأخذتُ اللبن فشربْتُهُ، فَقيلَ لِي: هُدِيْتَ الفِطرةَ -أوْ أصبْتَ الفطرة- أمَا إنَّكَ لَوْ أخَذْتَ الخمرَ غوَتْ أمَّتُك».

٣٤٣٨ ـ عنْ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللّهُ عنهُمَا قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «رأيتُ عيسى وموسى وإبراهيمَ، فأمَّا عيسى فأحمرُ جعدٌ عريضُ الصدرِ، وأمَّا مُوسى فآدمُ جَسيمٌ سبطٌ كأنَّهُ من رجال الزُّطِّ».

٣٤٣٩ ـ عنْ عبدِ اللهِ «ذكرَ النبيُّ ﷺ يومًا بيْنَ ظَهري الناس المسيحَ الدجّال فقال: إنَّ اللهَ ليس بأعور، ألا إنَّ المسيح الدَّجَال أعورُ العين اليُمنى، كأنَّ عينَهُ عنبةٌ طافية».

٣٤٤٠ ـ وأراني الليلةَ عند الكعبةِ في المنام، فإذَا رجل آدَمُ كأحسن ما يُرَى من أُدْمِ الرجال، تضربُ لمّتُهُ بينَ مَنكِبَيه، رَجِلُ الشَّعرِ يقطرُ رأسُه ماءً، واضعًا يَدَيه على مَنْكبي رجُلَين يَطوفُ بالبيت، فقلتُ: من هَذا؟ فَقالُوا: هَذا المسيحُ بن مريمَ. ثم رأيتُ رجلاً وراءَهُ جَعداً قططاً أعورَ عين اليُمنى كأشبَه من رأيتُ بابن قَطَن، واضعاً يَدَيه على منكبي رجُل يطوفُ بالبيت، فقلتُ من هذا؟ قالوا: المسيحُ الدجال».

[الحديث ٣٤٤٠ - أطرافه في: ٣٤٤١، ٥٩٠٢، ٦٩٩٩، ٧٠٢٦، ٧١٢٨]

٣٤٤١ ـ عنْ سالمٍ عن أبيه قال: «لا واللهِ، ما قالَ النبيُّ ﷺ لعيسى أحمرُ، ولكن قال: بينما أنا نائم أطوفُ بالكعبة، فإذا رجل آدَمُ سبطُ الشعر يهادَى بين رجُلَين يَنطفُ رأسه ماءً -أو يُهراقُ رأسهُ ماءً- فقلتُ: من هذا؟ قالوا: ابنُ مريمَ، فَذَهبتُ فإذا رجلٌ أحمرُ جسيمٌ جعدُ الرأس أعورُ عينه اليمنى كأنَّ عينه عنبة طافية، قلت: مَن هذا؟ قالوا: هذا الدَّجال، وأقربُ النَّاس به شَبَهًا ابنُ قَطَن. قال الزُّهريُّ: رجُلٌ من خُزاعةَ هلك في الجاهلية».

٣٤٤٢ ـ عنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللّهُ عنْهُ قالَ: «سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: أنَا أُولى النَّاس بابن مريمَ، والأنبياءُ أولادُ علاَّت ليسَ بيني وبينَهُ نبيٌّ».

[الحديث ٣٤٤٢ - طرفه في: ٣٤٤٣]

٣٤٤٣ ـ عنْ أَبِي هريْرَةَ قالَ: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: أنَا أولى النَّاسِ بعيسى بن مريمَ في الدُّنيا والآخرة، والأنبياء إخْوة لعَلاَّت أمَّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحد».

٣٤٤٤ ـ عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللّهُ عنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «رأَىٰ عيسىٰ بن مريمَ رجُلاً يَسرق، فقالَ لهُ: أسرقتَ؟ قالَ: كلا والله الذي لا إلهَ إلا هو. فقال عيسىٰ: آمنتُ باللهِ، وكذَّبْتُ عيني».

٣٤٤٥ ـ عن عمرَ رضيَ اللّهُ عنْهُ قال على المنبر: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: لا تُطْروني كما أَطْرَتِ النصارَى ابنَ مريمَ، فإنما أنَا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله».

٣٤٤٦ ـ عنْ أبي موسىٰ الأشعريِّ رضيَ اللّهُ عنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «إذَا أدَّبَ الرَّجلُ أمَتَهُ فأحسنَ تأدِيبَها، وعلَّمها فأحسنَ تعليمَها، ثمَّ أعتقَها فَتزوَّجَها كان لهُ أجران، وإذا آمَنَ بعيسى ثم آمن بي فله أجران، والعبدُ إذا اتَّقى ربَّهُ وأطاع مواليَهُ فله أجران».

٣٤٤٧ ـ عنِ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهِ عنهُمَا قالَ: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «تُحشَرُونَ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً. ثمَّ قرأ {كما بَدَأنَا أوَّلَ خلقٍ نُعيدُه وعداً علينا إنَّا كنا فاعلين} فأوَّلُ مَن يُكسىٰ إبراهيمُ. ثُمَّ يؤخَذُ برجالٍ من أصحابي ذاتَ اليمين وذات الشمالِ، فأقولَ أصحابي، فيقال: إنهم لم يَزالوا مُرتدِّين على أعقابهم مُنذ فارقتَهُمْ، فأقول كما قال العبدُ الصالح عيسىٰ بن مريمَ {وكنتُ عليهم شهيداً ما دُمتُ فيهم، فلما تَوَفَّيتَني كنتَ أنتَ الرَّقيبَ عليهم وأنْتَ عَلَى كُلِّ شيء شهيد. إن تُعذِّبْهم فإنهم عبادُك، وإن تغفرْ لَهُمْ فإنَّكَ أنْتَ العزيزُ الحكيم}

قال محمد بن يوسف الفِرَبْريُّ: ذُكِرَ عند أبي عبد الله عن قبيصةَ قال: همُ المرتَدُّون الذين ارتدُّوا على عهدِ أبي بكرٍ، فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه»

قوله (وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج).

والصومعة هي البناء المرتفع المحدد أعلاه.

قوله (فدعته فقال أجيبها أو أصلي) زاد المصنف في المظالم بالإسناد الذي ذكره هنا «فأبي أن يجيبها، ومعنى قوله أمي وصلاتي أي اجتمع على إجابة أمي وإتمام صلاتي فوفقني لأفضلهما، وفي رواية أبي رافع «فصادفته يصلي، فوضعت يدها على حاجبها فقالت: يا جريج، فقال: يارب أمي وصلاتي، فاختار صلاته،فرجعت. ثم أتته فصادفته يصلي فقالت: ياجريج أنا أمك فكلمني فقال مثله» فذكره. وفي حديث عمران بن حصين أنها جاءته ثلاث مرات تناديه في كل مرة ثلاث مرات، وفي رواية الأعرج عند الإسماعيلي «فقال أمي وصلاتي لربي، أؤثر صلاتي على أمي، ذكره ثلاثا».

وقد قدمت في أواخر الصلاة ذكر حديث يزيد ابن حوشب عن أبيه رفعه«لو كان جريج عالما لعلم أن إجابة أمه أولى من صلاته».

قوله (فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات) وفي حديث عمران بن حصين «فغضبت فقالت: اللهم لا يموتن جريج حتى ينظر في وجوه المومسات» والمومسات جمع مومسة وهي الزانية.

قوله (قالوا نبني صومعتك من ذهب، قال: لا إلا من طين) وفي رواية وهب بن جرير «ابنوها من طين كما كانت» وفي رواية أبي رافع «فقالوا نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة، قال: لا ولكن أعيدوه كما كان ففعلوا»، زاد في رواية أبي سلمة «فردوها فرجع في صومعته، فقالوا له: بالله مم ضحكت؟ فقال ما ضحكت إلا من دعوة دعتها علي أمي» وفي الحديث إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع لأن الاستمرار فيها نافلة وإجابة الأم وبرها واجب. قال النووي وغيره: إنما دعت عليه فأجيبت لأنه كان يمكنه أن يخفف ويجيبها، لكن

لعله خشي أن تدعوه إلى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا وتعلقاتها، كذا قال النووي، وفيه نظر لما تقدم من أنها كانت تأتيه فيكلمها، والظاهر أنها كانت تشتاق إليه فتزوره وتقتنع برؤيته وتكليمه، وكأنه إنما لم يخفف ثم لم يجيبها لأنه خشي أن ينقطع خشوعه. وقد تقدم في أواخر الصلاة من حديث يزيد بن حوشب عن أبيه «أن النبي ﷺ قال: لو كان جريج فقيها لعلم أن إجابة أمه أولى من عبادة ربه» أخرجه الحسن بن سفيان، وهذا إذا حمل على إطلاقه استفيد منه جواز قطع الصلاة مطلقا لإجابة نداء الأم نفلا كانت أو فرضا، وهو وجه في مذهب الشافعي حكاه الروياني، وقال النووي تبعا لغيره: هذا محمول على أنه كان مباحا في شرعهم، وفيه نظر قدمته في أواخر الصلاة، والأصح عند الشافعية أن الصلاة إن كانت نفلا وعلم تأذي الوالد بالترك وجبت الإجابة وإلا فلا، وإن كانت فرضا وضاق الوقت لم تجب الإجابة، وإن لم يضق وجب عند إمام الحرمين. وخالفه غيره لأنها تلزم بالشروع، وعند المالكية أن إجابة الوالد في النافلة أفضل من التمادي فيها، وحكى القاضي أبو الوليد أن ذلك يختص بالأم دون الأب، وفي الحديث أيضا عظم بر الوالدين وإجابة دعائهما ولو كان الولد معذورا؛ لكن يختلف الحال في ذلك بحسب المقاصد. وفيه الرفق بالتابع إذا جرى منه ما يقتضي التأديب لأن أم جريج مع غضبها منه لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة، ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل. وفيه أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن. وفيه قوة يقين جريج المذكور وصحة رجائه، لأنه استنطق المولود مع كون العادة أنه لا ينطق؛ ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه. وفيه أن الأمرين إذا تعارضا بدئ بأهمهما، وأن الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيبا وزيادة لهم في الثواب وفيه إثبات كرامات الأولياء، ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم، وفيه أن مرتكب الفاحشة لا تبقى له حرمة، وأن المفزع في الأمور المهمة إلى الله يكون بالتوجه إليه في الصلاة، وفيه أن الوضوء لا يختص بهذه الأمة خلافا لمن زعم ذلك، وإنما الذي يختص بها الغرة والتحجيل في الآخرة، وقد تقدم في قصة إبراهيم أيضا مثل ذلك في خبر سارة مع الجبار والله أعلم.

قوله (ذو شارة) أي صاحب حسن وقيل صاحب هيئة ومنظر وملبس حسن يتعجب منه ويشار إليه.

قوله (فقالت له ذلك[1]) أي سألت الأم ابنها عن سبب كلامه، وفي الحديث أن نفوس أهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر فتخاف سوء الحال، بخلاف أهل التحقيق فوقوفهم مع الحقيقة الباطنة فلا يبالون بذلك مع حسن السريرة كما قال تعالى حكاية عن أصحاب قارون حيث خرج عليهم {ياليت لنا مثل ما أوتي قارون وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله

(١) رواية الباب واليونينية "فقالت: لم ذاك"

خير}. وفيه أن البشر طبعوا على إيثار الأولاد على الأنفس بالخير لطلب المرأة الخير لابنها ودفع الشر عنه ولم تذكر نفسها.

قوله (كأنه من رجال الزط) جنس من السودان.

قوله (إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية) أي بارزة.

قوله (آدم) بالمد أي أسمر.

قوله (تضرب لمته) بكسر اللام أي شعر رأسه.

قوله (قططا) والمراد به شدة جعودة الشعر.

قوله (عن سالم) هو ابن عبد الله بن عمر.

قوله (لا والله ما قال رسول[1] الله ﷺ لعيسى أحمر) اللام في قوله «لعيسى» بمعنى عن وهي كقوله تعالى {وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه}.

قوله (بينا أنا نائم أطوف بالكعبة) هذا يدل على أن رؤيته للانبياء في هذه المرة غير المرة التي تقدمت في حديث أبي هريرة، فإن تلك كانت ليلة الإسراء وإن كان قد قيل في الإسراء إن جميعه منام، لكن الصحيح أنه كان في اليقظة.

قوله (يهادي) أي يمشي متمايلا بينهما.

قوله (ينطف) أي يقطر.

قوله (أنا أولى الناس بابن مريم) في رواية عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة «بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، أي أخص الناس به وأقربهم إليه لأنه بشر بأنه يأتي من بعده.

قوله (والأنبياء أولاد علات) في رواية عبد الرحمن المذكورة «والأنبياء إخوة لعلات» والعلات بفتح المهملة الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها، والعلل الشرب بعد الشرب، وأولاد العلات الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى، ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع، وقيل المراد أن أزمنتهم مختلفة.

قوله (ليس بيني وبينه نبي) هذا أورده كالشاهد لقوله أنه أقرب الناس إليه. واستدل به على أنه لم يبعث بعد عيسى أحد إلا نبينا ﷺ.

قوله (وكذبت عيني) وقال القرطبي: ظاهر قول عيسى للرجل «سرقت» أنه خبر جازم عما

---

(١) في المتن واليونينية "ما قال النبي ﷺ"

فعل الرجل من السرقة لكونه رآه أخذ مالا من حرز في خفية. وقول الرجل كلا نفي لذلك ثم أكده باليمين، وقول عيسى «آمنت بالله وكذبت عيني» أي صدقت من حلف بالله وكذبت ماظهر لي من كون الأخذ المذكور سرقة فإنه يحتمل أن يكون الرجل أخذ ماله فيه حق، أو ما أذن له صاحبه في أخذه، أو أخذه ليقلبه وينظر فيه ولم يقصد الغصب والاستيلاء. قال ويحتمل أن يكون عيسى كان غير جازم بذلك، وإنما أراد استفهامه بقوله سرقت؟ وتكون أداة الاستفهام محذوفة وهو سائغ كثير انتهى. واحتمال الاستفهام بعيد مع جزمه ﷺ بأن عيسى رأى رجلا يسرق، واحتمال كونه يحل له الأخذ بعيد أيضًا بهذا الجزم بعينه، والأول مأخوذ من كلام القاضي عياض، وقد تعقبه ابن القيم في كتابه «إغاثه اللهفان» فقال: هذا تأويل متكلف، والحق أن الله كان في قلبه أجَلَّ مِنْ أن يحلف به أحد كاذبا، فدار الأمر بين تهمة الحالف وتهمة بصره فرد التهمة إلى بصره، كما ظن آدم صدق إبليس لما حلف له أنه له ناصح. قلت: وليس بدون تأويل القاضي في التكلف، والتشبيه غير مطابق والله أعلم. واستدل به على درء الحد بالشبهة، وعلى منع القضاء بالعلم، والراجح عند المالكية والحنابلة منعه مطلقا، وعند الشافعية جوازه إلا في الحدود وهذه الصورة من ذلك، وسيأتي بسطه في كتاب الأحكام(١) إن شاء الله تعالى.

قوله (لا تطروني) والإطراء المدح بالباطل.

قوله (كما أطرت النصارى ابن مريم) أي في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك.

قوله (إذا أدب الرجل(٢) أمته) يأتي الكلام عليه في النكاح(٣).

قوله (وإذا آمن الرجل بعيسى ثم آمن بي فله أجران) تقدم مباحث ذلك في كتاب العلم(٤) مستوفاة، وفيه إشارة إلى أنه لم يكن بين عيسى وبين نبينا ﷺ نبي.

٤٩ ـ باب نُزولِ عيسىٰ بن مريم عليهما السلام

٣٤٤٨ ـ عن أبي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «والَّذي نَفْسي بيَدِهِ، ليُوشِكَنَّ أن ينزلَ فيكُمْ ابنُ مريمَ حكمًا عدلاً، فيكسرَ الصليبَ، ويقْتلَ الخنزيرَ، ويَضَعَ الحرب، ويفيضَ المالُ حتى لا يقبَلَهُ أحد، حتى تكونَ السجدةُ الواحدة خيراً منَ الدنيا وما فيها. ثمَّ يقولُ أبو هريرَةَ: واقْرَءُوا إن شئْتم {وإنْ مِن أهلِ الكتابِ إلا لَيُؤمنَنَّ بهِ قبلَ موتهِ، ويومَ القيامةِ يكونُ عليهم شهيدا}.

(١) كتاب الأحكام باب / ١٤ ح ٧١٦١ - ٥ / ٤٢٨
(٢) رواية الباب واليونينية بدون "الرجل"
(٣) كتاب النكاح باب / ١٣ ح ٥٠٨٣ - ٤ / ٤٥
(٤) كتاب العلم باب / ٣١ ح ٩٧ - ١ / ١٠٧

٣٤٤٩ ـ عنْ أبِي هُرَيرَةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أنْتُمْ إذا نَزَلَ ابنُ مريمَ فيكم وإمامُكم منكم»

قوله (ليوشكن) أي ليقربن أي لابد من ذلك سريعا.

قوله (أن ينزل فيكم) أي في هذه الأمة، فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله.

قوله (حكما) أي حاكما، والمعنى أنه ينزل حاكما بهذه الشريعة فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ، بل يكون عيسى حاكما من حكام هذه الأمة. وفي رواية الليث عن ابن شهاب عند مسلم «حكما مقسطا» وله من طريق ابن عيينة عن ابن شهاب «إماما مقسطا» والمقسط العادل بخلاف القاسط فهو الجائر.

قوله (فيكسر الصليب ويقتل الخنزير) أي يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة ويبطل ماتزعمه النصارى من تعظيمه، ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم أكله وأنه نجس، لأن الشيء المنتفع به لا يشرع إتلافه، وقد تقدم ذكر شيء من ذلك في أواخر البيوع[١]، ويستفاد منه أيضا تغيير المنكرات وكسر آلة الباطل.

قوله (ويضع الحرب) والمعنى أن الدين يصير واحداً فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية، وقيل معناه أن المال يكثر حتى لا يبقى من يمكن صرف مال الجزية له فتترك الجزية استغناء عنها، وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بوضع الجزية تقريرها على الكفار من غير محاباة، ويكون كثرة المال بسبب ذلك. وتعقبه النووي وقال: الصواب أن عيسى لا يقبل إلا الإسلام.

قال النووي: ومعنى وضع عيسى الجزية مع أنها مشروعة في هذه الشريعة أن مشروعيتها مقيدة بنزول عيسى لما دل عليه هذا الخبر،وليس عيسى بناسخ لحكم الجزية بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ بقوله هذا، قال ابن بطال: وإنما قبلناها قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد، ويحتمل أن يقال إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم، فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم.هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالا والله أعلم.

قوله (ويفيض المال) أي يكثر وسبب كثرته نزول البركات وتوالي الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم وحينئذ تخرج الأرض كنوزها وتقل الرغبات في اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعة.

---

(١) كتاب البيوع باب ١٠٢ ح ٢٢٢٢ - ٢ / ٢٨٦

قوله (حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها) أي أنهم حينئذ لا يتقربون إلى الله إلا بالعبادة،لا بالتصدق بالمال، وقيل معناه أن الناس يرغبون عن الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها.

قوله (ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته} الآية) {وإن} بمعنى ما، أي لا يبقى أحد من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى إذا نزل عيسى إلا آمن به، وهذا مصير من أبي هريرة إلى أن الضمير في قوله {إلا ليؤمنن به} وكذلك في قوله {قبل موته} يعود على عيسى، أي إلا ليؤمن بعيسى قبل موت عيسى، وبهذا جزم ابن عباس فيما رواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عنه بإسناد صحيح.

قال العلماء: الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم، وروى مسلم من حديث ابن عمر في مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله أنها سبع سنين .

وقد اختلف في موت عيسى عليه السلام قبل رفعه، والأصل فيه قوله تعالى {إني متوفيك ورافعك} فقيل على ظاهره، وعلى هذا فإذا نزل إلى الأرض ومضت المدة المقدرة له يموت ثانيا. وقيل معنى قوله {متوفيك} من الأرض، فعلى هذا لايموت إلا في آخر الزمان.

قوله (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)، وقال أبو الحسن الخسعي الابدي في مناقب الشافعي: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه.وقال أبو ذر الهروي: حدثنا الجوزقي عن بعض المتقدمين قال: معنى قوله «وإمامكم منكم» يعني أنه يحكم بالقرآن لا بالإنجيل. وقال ابن التين: معنى قوله «وإمامكم منكم» أن الشريعة المحمدية متصلة إلى يوم القيامة، وأن في كل قرن طائفة من أهل العلم. وهذا والذي قبله لا يبين كون عيسى إذا نزل يكون إمامًا أو مأموما، وعلى تقدير أن يكون عيسى إماما فمعناه أنه يصير معكم بالجماعة من هذه الأمة. قال الطيبي: المعنى يؤمكم عيسى حال كونه في دينكم، ويعكر عليه قوله في حديث آخر عند مسلم «فيقال له: صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة لهذه الأمة: وقال ابن الجوزي، لو تقدم عيسى إمامًا لوقع في النفس إشكال ولقيل: أتراه تقدم نائبا أو مبتدئا شرعا، فصلى مأموما لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله «لانبي بعدي».وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة. والله أعلم.

٥٠ ـ باب ما ذُكرَ عن بني إسرائيل

٣٤٥٠ ـ قالَ عُقبة بنُ عمرو لحذيفةَ: ألا تحدّثنا ما سمعتَ من رسولِ الله ﷺ؟ قالَ: إني سمعتُه يقول: إن معَ الدجالِ إذا خَرَجَ ماءً وناراً، فأما التي يَرَى الناسُ أنها النارُ فماءٌ بارد، وأما الذي يرى الناس أنه ماءٌ بارد فنارٌ تحرق. فمن أدركَ مِنكم فليَقعْ في الذي يرى أنها نار، فإنه عذبٌ بارد».

[الحديث ٣٤٥٠ - طرفه في: ٧١٣٠]

٣٤٥١ ـ قالَ حذيفة: وسمعته يقول: إن رجُلا كان فيمَن كان قبلكم أتاهُ الملكُ ليَقبِضَ رُوحَه، فقيل لَهُ: هلْ عملتَ من خير؟ قال: ما أعلمُ. قيل له: انظر. قال ما أعلم شيئًا، غيرَ أني كنتُ أبايعُ الناسَ فِي الدنيا وأجازِيهم، فأنظِرُ الموسرَ وأتجاوزُ عنِ المعسرِ. فأدخَلَهُ الله الجنة».

٣٤٥٢ ـ قالَ: «وسمعته يقول: إن رجلا حَضَرَهُ الموتُ، فلما يَئسَ منَ الحياة أوصى أهله: إذا أنا مُت فاجمَعوا لي حَطَبًا كثيراً وأوقدوا فيه ناراً، حتى إذا أكلتْ لحمي وخَلصَتْ إلى عظمي فامتحَشَتْ، فخذوها فَاطْحَنُوها ثم انظروا يومًا راحاً فاذروه في اليمِّ: فَفَعَلوا. فجمعَه الله فقال لَهُ: لم فعلتَ ذلك؟ قال: من خَشيتكَ. فَغَفرَ الله له». قالَ عُقبة بن عمرو (وأنا سمعتهُ يقول ذاكَ وكان نبَّاشاً)

[الحديث ٣٤٥٢-طرفاه في: ٣٤٧٩، ٦٤٨٠]

٣٤٥٣، ٣٤٥٤ ـ عَنْ عائشةَ وابن عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهم قالا: «لَمَّا نُزلَ برسولِ الله ﷺ طفِقَ يطرَحُ خميصةً على وجهه، فإذا اغتمَّ كشفَها عن وَجهِه فقالَ وهو كذلك لعنةُ الله على اليهود والنصارَى، اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ. يُحذِّرُ مَا صَنَعوا».

٣٤٥٥ ـ عن أبِي حازمٍ قال: قاعَدْتُ أبا هريرةَ خَمس سنينَ، فسمعتُه يُحدِّث عن النبيِّ ﷺ قالَ: «كَانتْ بنو إسْرائيلَ تَسوسُهُمْ الأنبياءُ، كلما هلكَ نبيٌّ خَلَفه نبيّ، وإنهُ لا نبيَّ بعدي، وسيكونُ خُلفَاءُ فيَكثُرون. قالوا: فما تَأمُرنا؟ قال: فُوا ببيعة الأوَّل فالأوَّل، أعطوهم حقَّهم، فإنَّ الله سائلُهم عَمَّا استَرعاهم».

٣٤٥٦ ـ عنْ أبِي سَعيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنّ النبيَّ ﷺ قالَ: «لَتتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قبلَكُمْ شبراً بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ، حتى لو سَلَكوا جُحرَ ضَبٍّ لسَلكتُموهُ. قلنا: يا رسولَ اللهِ، اليهود والنصارَى؟ قال: فمن؟».

[الحديث ٣٤٥٦ - طرفه في: ٧٣٢٠]

٣٤٥٧ ـ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «ذكروا النارَ والناقوسَ فذكروا اليهودَ والنصارى، فأمرَ بلالٌ أن يَشفَعَ الأذان وأن يُوترَ الإقامة».

٣٤٥٨ ـ عنْ عائِشَةَ رضيَ اللهُ عنهَا كانَتْ تَكرَهُ أن يجعلَ المصلّي يدَهُ في خاصرته وتقول: إنَّ اليهودَ تَفعله».

٣٤٥٩ ـ عنِ ابن عُمَرَ رضيَ الله عنهما عن رسولِ الله ﷺ قالَ: «إنما أجَلُكم -في أجَل من خَلا من الأمم- ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس. وإنما مثلكم ومَثَلُ اليهود والنصارَى كرجُل استعملَ عُمالاً فقال: من يَعملُ لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهودُ إلى نصف النهار على قيراط قيراط. ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراطٍ قيراطٍ؟ فعمِلَتِ النصارَى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط. ثُمَّ قال: مَن يَعمل لي من صلاة العصر إلى مَغرِب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذينَ يَعملونَ من صلاة العصر إلى مَغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكُمْ الأجرُ مرَّتين. فغضِبَت اليهودُ والنصارى فقالوا: نحنُ أكثرُ عملاً وأقلُّ عَطاءً، قال الله: هل ظلمتُكم من حقِّكم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فإنه فضلي، أعطِيه من شئتُ».

٣٤٦٠ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ «سَمِعْتُ عمرَ رضيَ اللهُ عَنْهُ يقُولُ: قَاتلَ اللهُ فُلاناً، ألم يَعلَم أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: لعنَ اللهُ اليهودَ، حُرِّمَتْ عَلَيهِم الشحومُ فجمَّلوها فباعوها».

٣٤٦١ ـ عنْ عبدِ الله بن عَمْرو أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «بَلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَج، ومَن كذَبَ عليَّ مُتَعمِّداً فليتَبوأْ مَقعدَهُ منَ النَّار».

٣٤٦٢ ـ عنْ أبِي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: «إنَّ رسُولَ اللهِ ﷺقالَ: «إنَّ اليهودَ والنَّصارَى لا يَصبغون، فخالفوهم».

[الحديث ٣٤٦٢ – طرفه في: ٥٨٩٩]

٣٤٦٣ ـ عن الحسنِ حدَّثنا جُندبُ بن عبدِ اللهِ في هذا المسجدِ، وما نَسينا منذُ حدَّثنا، وما نَخشى أن يكونَ جُندبٌ كذبَ على النبيِّ ﷺ قال: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «كانَ فيمَن كان قبلَكم رجُلٌ به جُرحٌ فجزعَ فأخذَ سكينًا فحَزَّ بها يده، فما رقأَ الدمُ حتى مات، قال الله تعالى بادرَني عبدي بنفسه، حَرَّمتُ عليه الجنة» .

قوله (باب ما ذكر عن بني إسرائيل) أي ذرية يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، وإسرائيل لقب يعقوب، أي من الأعاجيب التي كانت في زمانهم.

قوله (إن مع الدجال إذا خرج ماء) الحديث يأتي الكلام عليه مستوفى في كتاب الفتن[1].

---

(١) كتاب الفتن باب / ٢٦ ح ٧١٣٠ – ٥ / ٤٠٦

قوله (فامتحشت) أي احترقت .

قوله (ثم انظروا يوما راحا) أي شديد الريح.

قوله (تسوسهم الأنبياء) أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبيا يقيم لهم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة، وفيه إشارة إلى أنه لابد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم.

قوله (وأنه لانبي بعدي) أي فيفعل ما كان أولئك يفعلون.

قوله (وسيكون خلفاء) أي بعدي.

قوله (فوا) فعل أمر بالوفاء، والمعنى أنه إذا بويع الخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة، قال النووي: سواء عقدوا للثاني عالمين بعقد الأول أم لا ، سواء كانوا في بلد واحد أو أكثر. سواء كانوا في بلد الإمام المنفصل أم لا.هذا هو الصواب الذي عليه الجمهور.

وقال القرطبي: في هذا الحديث حكم بيعة الأول وأنه يجب الوفاء بها ، وسكت عن بيعة الثاني. وقد نصب عليه في حديث عرفجة في صحيح مسلم حيث قال: «فاضربوا عنق الآخر».

قوله (أعطوهم حقهم) أي أطيعوهم وعاشروهم بالسمع والطاعة، فإن الله يحاسبهم على ما يفعلونه بكم، وستأتي تتمة القول في ذلك في أوائل كتاب الفتن[١] .

قوله (فإن الله سائلهم عما استرعاهم) وفي الحديث تقديم أمر الدنيا لأنه ﷺ أمر بتوفية حق السلطان لما فيه من إعلاء كلمة الدين وكف الفتنة والشر، وتأخير أمر المطالبة بحقه لا يسقطه، وقد وعده الله أنه يخلصه ويوفيه إياه ولو في الدار الآخرة.

قوله (قال النبي[٢] ﷺ: فمن) أي ليس المراد غيرهم.

قوله (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار، وقيل المراد ببني إسرائيل أولاد إسرائيل نفسه وهم أولاد يعقوب، وقال مالك المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا، وقال الشافعي: من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب، فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا

(١) كتاب الفتن باب / ٢ ح ٧٠٥٢ - ٥ / ٣٦٢
(٢) رواية الباب واليونينية بدون "النبي ﷺ"

حرج عليكم في التحدث به عنهم وهو نظير قوله «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه.

قوله (ومن كذب عليَّ متعمداً) تقدم شرحه مستوفى في كتاب العلم[١]، وقد اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ وأنه من الكبائر، حتى بالغ الشيخ أبو محمد الجويني فحكم بكفر من وقع منه ذلك، وكلام القاضي أبي بكر بن العربي يميل إليه.

قوله (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) يقتضي مشروعية الصبغ، والمراد به صبغ شيب اللحية والرأس، ولا يعارضه ما ورد من النهي عن إزالة الشيب لأن الصبغ لا يقتضي الإزالة ثم إن المأذون فيه مقيد بغير السواد، لما أخرجه مسلم من حديث جابر أنه ﷺقال: «غيروه وجنبوه السواد»، ويستثنى من ذلك المجاهد اتفاقا. وسيأتي بسط القول في ذلك في كتاب اللباس[٢] إن شاء الله تعالى.

قوله (فما رقأ الدم) أي لم ينقطع.

قوله (قال الله عز وجل[٣]: بادرني عبدي بنفسه) هو كناية عن استعجال المذكور الموت، ودل ذلك على أنه حزها لإرادة الموت لا لقصد المداواة التي يغلب على الظن لانتفاع بها. وقد استشكل قوله «بادرني بنفسه» وقوله «حرمت عليه الجنة» لأن الأول يقتضي أن يكون من قتل فقد مات قبل أجله لما يوهمه سياق الحديث من أنه لو لم يقتل نفسه كان قد تأخر عن ذلك الوقت وعاش، لكنه بادر فتقدم، والثاني يقتضي تخليد الموحد في النار. والجواب عن الأول أن المبادرة من حيث التسبب في ذلك والقصد له والاختيار» وأطلق عليه المبادرة لوجود صورتها، وإنما استحق المعاقبة لأن الله لم يطلعه على انقضاء أجله فاختار هو قتل نفسه فاستحق المعاقبة لعصيانه، والجواب عن الثاني من أوجه: أحدها: أنه كان استحل ذلك الفعل فصار كافرا. ثانيها كان كافرا في الأصل وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفره. ثالثها أن المراد أن الجنة حرمت عليه في وقت ما كالوقت الذي يدخل فيه السابقون أو الوقت الذي يعذب فيه الموحدون في النار ثم يخرجون. رابعها: أن المراد جنة معينة كالفردوس مثلا. خامسها: أن ذلك ورد على سبيل التغليظ والتخويف وظاهره غير مراد. سادسها: أن التقدير حرمت عليه الجنة إن شئت استمرار ذلك. سابعها: قال النووي يحتمل أن يكون ذلك شرع من مضى أن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها. وفي الحديث تحريم قتل النفس سواء كانت نفس القاتل أم غيره، وفيه الوقوف عند حقوق الله ورحمته بخلقه حيث حرم

---

(١) كتاب العلم باب / ٣٨ ح ١١٠ - ١ / ١١٢
(٢) كتاب اللباس باب / ٦٧ ح ٥٨٩٩ - ٤ / ٣٩٦
(٣) رواية الباب واليونينية "قال الله تعالى"

عليهم قتل نفوسهم وأن الأنفس ملك الله. وفيه التحديث عن الأمم الماضية وفضيلة الصبر على البلاء وترك التضجر من الآلام لئلا يفضي إلى أشد منها. وفيه تحريم تعاطي الأسباب المفضية إلى قتل النفس.

٥١ ـ باب حديث أبرَصَ وأعمىٰ وأقرعَ في بني إسرائيلَ.

٣٤٦٤ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن ثلاثةً في بني إسرائيلَ أبرصَ وأقرعَ وأعمىٰ بدا لله عزَّ وجلَّ أن يَبتَليَهم فبَعثَ إليهِمْ مَلكاً، فأتى الأبرصَ فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسَنٌ وجلدٌ حسَن، قد قَذرَني الناس. قال فمسحهُ فذَهَب عنه، فأعطِيَ لوناً حسناً وجلداً حسناً. فقال: أيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبلُ -أو قال البقرُ، هو شَكَّ في ذلك: إن الأبرصَ والأقرعَ قالَ أحدُهما الإبلُ، وقال الآخر البقر- فأُعطيَ ناقةً عُشَراءَ، فقالَ: يُباركُ لك فيها. وأتى الأقرعَ فقالَ: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شعرٌ حسنٌ ويذهَبُ هذا عنّي، قد قَذرَني الناس. قال فمسحَهُ فذهبَ، وأُعطيَ شعراً حسناً. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقرُ. قال فأعطاه بقرةً حاملاً، وقال: يُباركُ لك فيها. وأتى الأعمى فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: يرُدُّ اللهُ إليَّ بصري فأبصِرُ به الناسَ. قال فمسحَهُ، فردَّ الله إليه بصره. قال فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنمُ، فأعطاه شاةً والداً، فأُنتِجَ هذان وولَّدَ هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من بقر، ولهذا وادٍ منَ الغنم. ثُمَّ إنَّهُ أتى الأبرصَ في صورته وهيئته فقال: رجلٌ مسكينٌ تقطَّعتْ به الحبالُ في سفره فلا بلاغَ اليومَ إلا بالله ثمَّ بكَ، أسألكَ -بالذي أعطاكَ اللونَ الحسن والجلدَ الحسن والمالَ- بعيراً أتبلَّغُ به في سفري. فقال له: إنَّ الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرصَ يقذَرُكَ الناس فقيراً فأعطاكَ اللهُ؟ فقال: لقد ورِثتُ لكابر عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيَّركَ اللهُ إلى ما كنتَ. وأتى الأقرعَ في صورته وهيئته، فقال له مثلَ ما قال لهذا، فردَّ عليه هذا، فقال: إن كنتَ كاذباً فصيَّركَ اللهُ إلى ماكنتَ. وأتى الأعمى في صورته فقال: رجلٌ مسكينٌ وابنُ السبيل وتقطَّعَت به الحبالُ في سفره، فلا بلاغَ اليوم إلا بالله ثُمَّ بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرَك شاةً أتبلغُ بها في سفري. وقال له: قد كنتُ أعمى فردَّ اللهُ بصري وفقيراً فقد أغناني، فخذْ ما شئتَ، فو الله لا أجهَدُكَ اليومَ بشيءٍ أخذتَهُ لله. فقال أمسكْ مالك، فإنَّما ابتُليتُمْ، فقد رضي الله عنك وسَخط َعلى صاحبيك».

(الحديث ٣٤٦٤-طرفه في:٦٦٥٣)

قوله (بدا لله) أي سبق في علم الله فأراد إظهاره، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافيا لأن ذلك محال في حق الله تعالى، وفي الحديث جواز ذكر ما اتفق لمن مضى ليتعظ به من سمعه ولا يكون ذلك غيبة فيهم، ولعل هذا هو السر في ترك تسميتهم، ولم يفصح بما

اتفق لهم بعد ذلك، والذي يظهر أن الأمر فيهم وقع كما قال الملك. وفيه التحذير من كفران النعم والترغيب في شكرها والاعتراف بها وحمد الله عليها، وفيه فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم مآربهم، وفيه الزجر عن البخل، لأنه حمل صاحبه على الكذب وعلى جحد نعمة الله تعالى.

٥٢ ـ باب {أم حسبتَ أنَّ أصحابَ الكهفِ والرَّقيم}

{الكهف}: الفتحُ في الجبل. {والرَّقيم}: الكتاب. {مرقوم}: مكتوب، منَ الرقْم {ربَّطنا على قلوبهم}: ألهمناهم صبراً. {شَطَطا}: إفراطا. {الوَصِيد}: الفِنَاءُ، وجمعهُ وصائدُ ووُصد، ويقال: الوصيد الباب. {مُؤصَدَة} مُطبَقة، آصَدَ البابَ وأوصدَ. {بَعثناهم} أحييناهم. {أزكَى}: أكثرُ ريْعاً. {فضرَبَ اللهُ على آذانهم}: فناموا. {رجْمًا بالغيب}: لم يَستَبِن. وقال مجاهد {تقرِضُهم}: تتركهم.

(تنبيه): لم يذكر المصنف في هذه الترجمة حديثا مسندا. وقد روى عبد بن حميد بإسناد صحيح عن ابن عباس قصة أصحاب الكهف مطولة غير مرفوعة، وملخص ما ذكر أن ابن عباس غزا مع معاوية الصائفة فمروا بالكهف الذي ذكرالله في القرآن، فقال معاوية أريد أن أكشف عنهم، فمنعه ابن عباس، فصمم وبعث ناسا، فبعث الله ريحا فأخرجتهم، قال فبلغ ابن عباس فقال: إنهم كانوا في مملكة جبار يعبد الأوثان فلما رأوا ذلك خرجوا منها فجمعهم الله على غير ميعاد، فأخذ بعضهم على بعض العهود والمواثيق، فجاء أهاليهم يطلبونهم ففقدوهم، فأخبروا الملك فأمر بكتابة أسمائهم في لوح من رصاص وجعله في خزانته، فدخل الفتية الكهف فضرب الله على آذانهم فناموا. فأرسل الله من يقلبهم وحول الشمس عنهم فلو طلعت عليهم لأحرقتهم، ولولا أنهم يقلبون لأكلتهم الأرض. ثم ذهب ذلك الملك وجاء آخر فكسر الأوثان وعبد الله وعدل، فبعث الله أصحاب الكهف فأرسلوا واحدا منهم يأتيهم بما يأكلون فدخل المدينة مستخفيًا فرأى هيئة وناسًا أنكرهم لطول المدة، فدفع درهما إلى خباز فاستنكر ضربه وهم بأن يرفعه إلى الملك، فقال أتخوفني بالملك وأبي دهقانه؟ فقال: من أبوك؟ قال فلان، فلم يعرفه، فاجتمع الناس فرفعوه إلى الملك فسأله فقال عليَّ باللوح وكان قد سمع به فسمى أصحابه فعرفهم من اللوح، فكبر الناس وانطلقوا إلى الكهف وسبق الفتى لئلا يخافوا من الجيش، فلما دخل عليهم عمى الله على الملك ومن معه المكان فلم يدر أين ذهب الفتى، فاتفق رأيهم على أن يبنواعليهم مسجدا فجعلوا يستغفرون لهم ويدعون لهم.

٥٣ ـ باب. حديثُ الغارِ

٣٤٦٥ ـ عن ابن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُمَا أنَّ رسولَ الله ﷺ قَال«بينَما ثلاثةُ نَفرٍ مِمَّن كان قبلَكم إذ أصابهم مَطر، فأوَوا إلى غارٍ فانطبَقَ عليهم، فقال بعضُهم لبعض: إنهُ واللهِ

يا هؤلاء لا يُنجيكم إلا الصِّدق، فليَدْعُ كلُّ رجُل منكم بما يعلم أنهُ قد صدَقَ فيه. فقال واحدٌ منهم: اللَّهُمَّ إن كنتَ تعلَمُ أنه كان لي أجيرٌ عمِلَ لي على فرقٍ من أرُزٍّ، فذهب وتركهُ، وأني عمَدْتُ إلى ذلك الفرقِ فزرعتهُ، فصار من أمرِهِ أنى اشتريتُ منهُ بقراً، وأنَّهُ أتاني يطلبُ أجره، فقلت له: اعمَدْ إلى تلك البقرِ فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرزٍّ. فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من ذلكَ الفرقِ. فساقَها. فإن كنتَ تعلم أني فعلت ذلكَ من خَشيَتك ففرِّج عنا فَانْسَاخَتْ عنهمُ الصخرة. فقال الآخرُ: اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أنهُ كان لي أبوانِ شيخانِ كبيران، وكنتُ آتيهما كلَّ ليلةٍ بلبنِ غنمٍ لي، فأبطأتُ عنهما ليلةً فجئتُ وقد رقَدا وأهلي وعيالي يتَضاغَوْنَ منَ الجوع، وكنت لا أسقيهم حتى يَشربَ أبوايَ، فَكرِهتُ أن أوقظهما، وكرهتُ أن أدَعَهما فيَستَكنَّا لشَربتهما، فلم أزلْ أنتظرُ حتى طلعَ الفجر. فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك من خَشيتَكَ ففرِّجْ عنَّا. فَانْسَاخَتْ عنهمُ الصخرةُ حتى نَظروا إلى السماءِ . فقال الآخر: اللهمَّ إن كنتَ تَعلم أنَّهُ كانَ لِي ابنةُ عمٍّ من أحبِّ الناس إليَّ، وأنّي راودتُها عن نفسها فأبَتْ إلا إنْ آتِيهَا بمائةِ دينارٍ، فطلبتُها حتى قدَرْتُ، فأتيتُها بها فدفَعْتُهَا إليها، فأمكنَتْني مِن نفسِها، فلما قعَدْتُ بينَ رجليها فقالت اتَّق الله ولا تَفُضَّ الخاتَمَ إلا بحقِّه، فقُمْتُ وتركتُ المائةَ الدَّنيار فإنْ تَعلمُ أني فعلتُ ذلكَ من خَشيَتِكَ ففرِّج عنَّا، ففرَّجَ اللهُ عنهُمْ فَخرجُوا».

قوله (اللهم أن كنت تعلم) فيه إشكال لأن المؤمن يعلم قطعا أن الله يعلم ذلك، وأجيب بأنه تردد في عمله ذلك هل له اعتبار عند الله أم لا. وكأنه قال: إن كان عملي ذلك مقبولا فأجب دعائي.

قوله (على فرق) بفتح الفاء والراء بعدها قاف وقد تسكن الراء. وهو مكيال يسع ثلاثة آصع.

قوله (يتضاغون) الصياح ببكاء، وقوله «من الجوع» أي بسبب الجوع.

قوله (ولا تفض) أي لا تكسر، والخاتم كناية عن عذرتها، وكأنها كانت بكرا وكنّت عن الإفضاء بالكسر، وعن الفرج بالخاتم، وفي هذا الحديث استحباب الدعاء في الكرب، والتقرب إلى الله تعالى بذكر صالح العمل، واستنجاز وعده بسؤاله. واستنبط منه بعض الفقهاء إستحباب ذكر ذلك في الاستسقاء، واستشكله المحب الطبري لما فيه من رؤية العمل، والاحتقار عند السؤال في الاستسقاء أولى لأنه مقام التضرع وأجاب عن قصة أصحاب الغار بأنهم لم يستشفعوا بأعمالهم وإنما سألوا الله إن كانت أعمالهم خالصة وقبلت أن يجعل جزاءها الفرج عنهم، فتضمن جوابه تسليم السؤال لكن بهذا القيد وهو حسن، وفيه فضل الإخلاص في العمل، وفضل بر الوالدين وخدمتهما وإيثارهما على الولد وتحمل المشقة

لأجلهما، وفيه فضل العفة والانكفاف عن الحرام مع القدرة، وأن ترك المعصية يمحو مقدمات طلبها، وأن التوبة تجبُّ ما قبلها. وفيه جواز الإجارة بالطعام المعلوم بين المتآجرين، وفضل أداء الأمانة، وإثبات الكرامة للصالحين. واستدل به على جواز بيع الفضولي، وقد تقدم البحث فيه في البيوع[١]. وفيه أن المستودع إذا اتجر في مال الوديعة كان الربح لصاحب الوديعة. قاله أحمد.

وقال الخطابي: خالفه الأكثر فقالوا: إذا ترتب المال في ذمة الوديع وكذا المضارب كأن تصرف فيه بغير ما أذن له فيلزم ذمته أنه إن اتجر فيه كان الربح له، وعن أبي حنيفة الغرامة عليه، وأما الربح فهو له لكن يتصدق به، وفصل الشافعي فقال: إن اشترى في ذمته ثم نقد الثمن من مال الغير فالعقد له والربح له، وإن اشترى بالعين فالربح للمالك، وقد تقدم نقل الخلاف فيه في البيوع أيضا. وفيه الإخبار عما جرى للأمم الماضية ليعتبر السامعون بأعمالهم فيعمل بحسنها ويترك قبيحها» والله أعلم.

٥٤ ـ باب * ٣٤٦٦ ـ عن أبي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «بَينا امرأةٌ تُرضعُ ابنَها إذ مرَّ بها راكبٌ وهيَ تُرضِعهُ فقالت: اللهمَّ لا تُمتْ ابني حتى يكونَ مثلَ هذا، فقال: اللهمَّ لا تجعَلْني مثلَهُ. ثمَّ رجعَ في الثَّدْيِ ومُرَّ بامرأةٍ تُجَرَّرُ ويُلعَبُ بها، فقالت: اللَّهمَّ لا تَجعل ابني مثلَها، فقال اللهمَّ اجعَلْني مثلَها. فقال: أما الراكبُ فإنَّهُ كافر، وأمَّا المرأةُ فإنهم يقولون لهَا: تَزني، وتقول: حسبي الله. ويقولونَ: تَسرق، وتقول حسبيَ الله».

٣٤٦٧ ـ عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ «بَينَما كلبٌ يُطيفُ بركيَّةٍ كادَ يَقتلُهُ العطشُ، إذ رأته بَغِيٌّ من بغايا بني إسرائيلَ، فنزعَتْ مُوقَها فسقَتْه، فَغُفر لها به»

٣٤٦٨ ـ عَنْ حُمَيد بنِ عبدِ الرحمنِ أنَّهُ «سمعَ مُعاويةَ بن أبي سُفيان -عامَ حجٍّ- على المنبَرِ، فتناوَلَ قُصَّةً من شعرٍ -وكانت في يد حرسِيٍّ- فقال: يا أهلَ المدينةِ، أين عُلَمَاؤكم؟ سمعتُ النبيَّ ﷺ يَنهى عن مثلِ هذه ويقول: إنما هلكَتْ بنو إسرائيلَ حين اتَّخذَ هذه نساؤُهم».

[الحديث ٣٤٦٨ - أطرافه في: ٣٤٨٨، ٥٩٣٢، ٥٩٣٨]

٣٤٦٩ ـ عن أبي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ «قالَ: إنَّهُ قَدْ كانَ فيما مضى قبلكم من الأمم محدَّثون، وإنهُ إنْ كانَ في أُمَّتي هذه منهم فإنهُ عمرُ بن الخطاب».

[الحديث ٣٤٦٩ - طرفه في: ٣٦٨٩]

---

(١) كتاب الإجارة باب / ١٢ ح ٢٢٧٢ - ٢ / ٣٠٦

٣٤٧٠ - عنْ أبِي سعيدٍ الخُدريِّ رضي اللهُ عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «كانَ فِي بني إسرائيلَ رجُلٌ قتلَ تسعةً وتسعينَ إنسانا، ثمَّ خَرجَ يَسأَلُ، فأتى راهبًا فسألَهُ فقال له: هل من تَوبةٍ؟ قال: لا، فقتله. فجعلَ يسأل، فقال له رجلٌ ائت قريةَ كذا وكذا، فأدركَهُ الموتُ فناءَ بصدره نحوَها، فاختصمَتْ فيه ملائكةُ الرحمة وملائكةُ العذاب، فأوحى[1] اللهُ إلى هذه أنْ تَقرَّبي، وأوحى اللهُ إلى هذه أن تَباعَدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوُجدَ إلى هذه أقربَ بشِبرٍ، فغُفِرَ لَهُ».

٣٤٧١ - عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنهُ قال: «صلَّى رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبحِ ثمَّ أقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فقال: بَينا رجلٌ يسوقُ بقرةً إذ ركِبَها فضربَهَا، فقالَتْ: إنَّا لَمْ نُخلَقْ لهذا، إنما خُلِقنا للحَرْثِ. فقال الناسُ: سُبحانَ الله، بقرةٌ تكلَّمُ؟ فقال: فإني أُومِنُ بهذا أنا وأبو بكرٍ وعمرُ. وما هما ثَمَّ. وبينما رجلٌ في غنمه إذ عَدا الذِّئبُ فذهبَ منها بشاةٍ، فطلَبَ حتى كأنَّهُ استنقذَها منه، فقال له الذئبُ: هذا استنقَذْتَها مني، فمن لها يومَ السَّبُعِ، يومَ لاراعيَ لها غيري؟ فقال الناسُ: سُبحانَ الله، ذِئبٌ يتكلم؟ قال: فإني أومنُ بهذا أنا وأبو بكر وعمرُ ما هما ثمَّ».

٣٤٧٢ - عنْ أبي هريرةَ رضي اللهُ عنْهُ قال: قالَ النبيُّ ﷺ: «اشترَى رجلٌ من رجل عَقاراً له، فَوجدَ الرجلُ الذي اشترَى العَقارَ في عَقاره جَرَّةً فيها ذهب؛ فقال له الذي اشترى العَقارَ: خُذ ذهبَك مني، إنما اشتريتُ منكَ الأرْضَ ولم أَبْتعْ منك الذهب. وقال الذي له الأرضُ إنما بعتُكَ الأرضَ ومَا فيها، فَتَحاكما إلى رجلٍ، فقال الذي تحاكما إليه ألَكُمَا ولدٌ؟ قالَ أحدهما: لي غُلامٌ، وقال الآخرُ: لي جاريةٌ، قال أنكحوا الغُلامَ الجاريةَ، وأنفقوا على أنفُسهما منه، وتصدَّقا».

٣٤٧٣ - عن عامرِ بنِ سعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ عن أبيه أنَّهُ سمعهُ يسألُ أُسامةَ بن زيدٍ: ماذا سمعتَ من رسول الله ﷺ في الطاعون؟ فقال أُسامة: «قال رسولُ الله ﷺ الطاعون رِجسٌ أُرْسِلَ على طائفةٍ من بني إسرائيل -أو على من كان قبلكم- فإذا سمعتم به بأرضٍ فلا تَقْدَموا عليه، وإذا وقعَ بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرُجوا فراراً منه» قال أبو النضر «لا يُخرِجكم إلا فراراً منه».

[الحديث ٣٤٧٣-طرفاه في:٥٧٢٨، ٦٩٧٤]

٣٤٧٤ - عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنْهَا زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: «سألتُ رسولَ الله ﷺ عنِ الطاعون، فأخبرَني أنهُ عذابٌ يَبعثُه اللهُ على من يشاء، وأنَّ اللهَ جعَلَهُ رحمةً للمؤمنين، ليسَ من أحدٍ يَقعُ الطاعون فيمكثُ في بلده صابِراً محتَسِبًا يعلَمُ أنهُ لا يُصيبُهُ إلا ما

(١) رواية الباب واليونينية "وأوحى الله ..."

كتبَ اللهُ له إلا كان له مثلُ أجر شهيد».

[الحديث ٣٤٧٤ - طرفاه في: ٥٧٣٤، ٦٦١٩]

٣٤٧٥ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنهَا «أنَّ قريشًا أهمَّهم شأنُ المرأة المخزومية التي سَرقَت، فقالوا: ومَن يكلِّمُ فيها رسولَ الله ﷺ؟ فقالوا ومن يَجْتَرئُ عليه إلا أسامةُ بنُ زيد حِبُّ رسولِ اللهِ ﷺ؟ فكلَّمَهُ أسامةُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أتَشْفَعُ في حدٍّ من حدودِ اللهِ؟ ثم قامَ فاختطَبَ ثم قال: إنما أهلكَ الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرَقَ فيهمُ الشريفُ تَركوه، وإذا سرقَ فيهمُ الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ. وايمُ الله لو أنَّ فاطمةَ بنت محمدٍ سَرقَت لقَطعتُ يدها».

٣٤٧٦ ـ عن ابن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «سمعتُ رجلاً قرأ آيةً وسمعت النبيَّ ﷺ يَقرأ خلافَها، فجئتُ به النبيَّ ﷺ فأخبَرْتهُ، فعرفتُ في وَجهه الكراهيةَ وقالَ: كِلا، كُما مُحْسِنٌ، ولا تختَلفوا، فإنَّ مَن كانَ قبلكم اختَلَفُوا فهلكوا».

٣٤٧٧ ـ قالَ عبدُ اللهِ: «كأني أنظرُ إلى النبيِّ ﷺ يَحكي نبياً منَ الأنبياءِ ضربَهُ قومُهُ فأدمَوْه، وهو يَمسَحُ الدَّمَ عن وجهه ويقول: اللّهُمَّ اغفرْ لقومي فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ».

[الحديث ٣٤٧٧ - طرفه في: ٦٩٢٩]

٣٤٧٨ ـ عنْ أبِي سعيدٍ رضي اللهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ «أنَّ رجُلاً كانَ قبلكم رَغَسَهُ اللهُ مالا، فقال لبنيه لما حُضِرَ: أيَّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خيرَ أبٍ. قال فإني لم أعمَلْ خيراً قطُّ، فإذا مُتُّ فأحرقوني، ثمَّ اسْحَقُوني ثم ذَرُّوني في يومٍ عاصِف، فَفَعلوا فجمَعَهُ اللهُ عزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حملكَ؟ قالَ: مخافتُك فتلقَّاهُ برحمته».

[الحديث ٣٤٨٧ - طرفاه في: ٦٤٨١، ٧٥٠٨]

٣٤٧٩ ـ قالَ عُقبةُ لحُذَيفةَ: ألا تُحدِّثُنا ما سمعتَ من النبيِّ ﷺ؟ قالَ: سمعته يقول: إنَّ رجلاً حضَرَهُ الموتُ لما أَيِسَ من الحياةِ أوصى أهلَهُ: إذَا مُتُّ فاجمَعوا لي حطباً كثيراً، ثم أَوْرُوا ناراً، حتى إذا أكلتْ لحمي وخلَصَت إلى عظمي فخُذوها فاطحَنوها فذرُّوني في اليَمِّ في يوم حارٍّ -أو راحٍ- فَجمَعَهُ الله فقال: لم فعلتَ؟ قالَ: خَشْيتَكَ فغفرَ له».

٣٤٨٠ ـ عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «كانَ الرَّجُلُ يُداينُ الناسَ، فكان يقولُ لفَتاهُ: إذا أتيتَ مُعسِراً فتجاوَزْ عنه، لعلَّ اللهَ أن يَتجاوَزَ عنا. قال: فلَقِيَ الله فَتجاوَزَ عنه».

٣٤٨١ ـ عنْ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «كانَ رجُلٌ يُسرِفُ على نفسه فلما حضرَهُ الموتُ قال لبنيه: إذا أنا مُتُّ فأحرِقوني، ثم اطحَنوني، ثمَّ ذرُّوني في الريحِ، فو الله لئن قدَرَ اللهُ عليَّ ليُعذِّبَنِّي عذاباً ما عذَّبَهُ أحداً. فلما مات فُعلَ به ذلك، فأمرَ اللهُ الأرضَ فقال: اجمَعي ما فيكِ منه، ففعلَتْ، فإذا هو قائم، فقال: ما حملَكَ

على ما صنعت؟ قال: يا رب خَشْيتُكَ. فغفرَله». وقال غيرهُ «مخافَتُكَ يا ربِّ».

[الحديث ٣٤٨١ - طرفه في: ٧٥٠٦]

٣٤٨٢ - عنْ عبدِ الله بن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُمَا أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: «عُذِّبَت امرأةٌ في هرَّةٍ ربَطتْها حتى ماتَتْ فدخلَتْ فيها النارَ لا هِيَ اطْعَمَتْهَا وَلَا سقَتْها إذ حبَسَتْها ولا هيَ تركتها تأكلُ من خَشاشِ الأرضِ».

٣٤٨٣ - عنْ عُقبة قال: «قال النبيُّ ﷺ «إنَّ مما أدركَ الناسُ من كلامِ النبوَّة: إِذَا لَمْ تَسْتَحيِ فافعلْ ما شئت».

[الحديث ٣٤٨٣ - طرفاه في: ٣٤٨٤، ٦١٢٠]

٣٤٨٤ - عن أبِي مسعودٍ قالَ النبيُّ ﷺ «إنَّ مما أدركَ الناسُ من كلامِ النُبُوَّة: إذا لم تَسْتَحِي فَاصنَعْ ما شئت».

٣٤٨٥ - عنِ ابنِ عمر أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يجرُّ إِزارَهُ من الخُيَلاءِ خُسفَ به، فهو يُجَلجَل في الأرض إلى يومِ القيامة».

[الحديث ٣٤٨٥ - طرفه في: ٥٧٩٠]

٣٤٨٦ - عن أبِي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «نَحْنُ الآخرونَ السابقونَ يوم القيامةِ، بَيْدَ كلُّ أمّةٍ أُوتوا الكتابَ من قبلنا وأُوتينا من بعدِهم، فهذا اليومُ الذي اختلفُوا فيه، فَغَداً لليهود، وبعد غَدٍ للنصارى».

٣٤٨٧ - «عَلَى كُلِّ مسلم في كلِّ سبعةِ أيامٍ يومٌ يغسلُ رأسه وجسدَه»

٣٤٨٨ - قدمَ معاويةُ بن أبِي سفيانَ المدينةَ آخرَ قَدْمَةٍ قَدِمَها فخطَبَنا فَأخْرَجَ كُبَّةً من شَعَرٍ فقال: ما كنتُ أرَى أن أحداً يفعلُ هذا غيرَ اليهود، وإنَّ النبيَّ ﷺ سمَّاه الزُّورَ. يعني الوصالَ في الشَّعر».تابعه غُندرٌ وعن شعبة.

قوله (فتناول قصة) هي شعر الناصية، والحرسي: واحد الحراس.

قوله (أين علماؤكم) فيه إشارة إلى أن العلماء إذ ذاك فيهم كانوا قد قلوا، وهو كذلك لأن غالب الصحابة كانوا يومئذ قد ماتوا، وكأنه رأى جهال عوامهم صنعوا ذلك فأراد أن يذكر علماءهم ويُنَبِّهَهُم بما تركوه من إنكار ذلك.

قوله (فأتى راهبا) فيه إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسى عليه السلام، لأن الرهبانية إنما ابتدعها أتباعه كما نص عليه في القرآن .

قوله (فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا) زاد في رواية هشام «فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا كان نصف

الطريق أتاه ملك الموت».

قوله (فناءَ) أي بَعُد.

قوله (فاختصمت فيه) في رواية هشام من الزيادة «فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب أنه لم يعمل خيرا قط، فأتاه ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أدنى فهولها».

قوله (فأوحى[1] الله إلى هذه أن تباعدي) أي إلى القرية التي خرج منها (وإلى هذه أن تقربي) أي قرية التي قصدها، وفي الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل الأنفس ويحمل على أن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضا خصمه، وفيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية، لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك، إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه، ولهذا قال له الأخير: ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي إعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها والاشتغال بغيرها، وفيه فضل العالم على العابد لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير، وأما الثاني فغلب عليه العلم فأفتاه بالصواب ودله على طريق النجاة، قال عياض: وفيه أن التوبة تنفع من القتل كما تنفع من سائر الذنوب، واستدل به على أن في بني آدم من يصلح للحكم بين الملائكة إذا تنازعوا، وفيه حجة لمن أجاز التحكيم، وأن من رضي الفريقان بتحكيمه فحكمه جائز عليهم.

قوله (وما هما ثم) أي ليسا حاضرين، وهو من كلام الراوي.

قوله (عقارا) العقار في اللغة المنزل والضيعة وخصه بعضهم بالنخل، ويقال للمتاع النفيس الذي للمنزل عقار أيضاً.

قوله (فوجد الرجل الذي اشترى العقار[2] في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له: خذ ذهبك فإنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع الذهب). في رواية إسحق بن بشر أن المشتري قال إنه اشترى دارا فعمرها فوجد فيها كنزا، وأن البائع قال له لما دعاه إلى أخذه ما دفنت ولا علمت، وأنهما قالا للقاضي: ابعث من يقبضه وتضعه حيث رأيت، فامتنع، وعلى هذا فحكم هذا المال حكم الركاز في هذه الشريعة إن عرف أنه من دفين الجاهلية، وإلا فان عرف أنه من دفين المسلمين فهو لقطة، وإن جهل فحكمه حكم المال الضائع يوضع في بيت المال،

---

(١) رواية الباب واليونينية "وأوحى الله"

(٢)رواية الباب واليونينية " فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع

ولعلهم لم يكن في شرعهم هذا التفصيل فلهذا حكم القاضي بما حكم به، وجزم القرطبي بأنه لم يصدر منه حكم على أحد منهما، وإنما أصلح بينهما لما ظهر له أن حكم المال المذكور حكم المال الضائع، فرأى أنهما أحق بذلك من غيرهما لما ظهر له من ورعهما وحسن حالهما وارتجى من طيب نسلهما وصلاح ذريتهما.

قوله (كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه) لم أقف على اسم هذا النبي صريحاً، ويحتمل أن يكون هو نوح عليه السلام.

وأما النووي فقال: هذا النبي الذي جرى له ما حكاه النبي ﷺ من المتقدمين. وقد جرى لنبينا نحو ذلك يوم أحد.

قوله (رغسه الله) أي كثر ماله.

قوله (فوالله لئن قدر الله علي) قال الخطابي: قد يستشكل هذا فيقال كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟ والجواب أنه لم ينكر البعث وإنما جهل فظن أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله. قال ابن قتيبة: قد يغلط في بعض الصفات قوم من المسلمين فلا يكفرون بذلك، ورده ابن الجوزي وقال: جحده صفة القدرة كفر اتفاقا، وإنما قيل إن معنى قوله «لئن قدر الله عليٌّ» أي ضيق وهي كقوله {ومن قدر عليه رزقه} أي ضيق، وأما قوله «لعلي أضل الله» فمعناه لعلي أفوته، يقال ضل الشيء إذا فات وذهب، وهو كقوله {لا يضل ربي ولاينسى} ولعل هذا الرجل قال ذلك من شدة جزعه وخوفه كما غلط ذلك الآخر فقال أنت عبدي وأنا ربك» أو يكون قوله «لئن قدّر عليّ» بتشديد الدال أي قدر على أن يعذبني ليعذبني، أو على أنه كان مثبتا للصانع وكان في زمن الفترة فلم تبلغه شرائط الإيمان، وأظهر الأقوال أنه قال ذلك في حال دهشته وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله لما يقوله، ولم يقله قاصدا لحقيقة معناه بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسي الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه.

قوله (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة) الناس بالرفع في جميع الطرق ويجوز النصب أي مما بلغ الناس، وقوله «من كلام النبوة» أي مما اتفق عليه الأنبياء، أي أنه مما ندب إليه الأنبياء ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم، لأنه أمر أطبقت عليه العقول.

قوله (فاصنع ما شئت) هو أمر بمعنى الخبر، أو هو للتهديد أي اصنع ما شئت فإن الله يجزيك، أو معناه انظر إلى ما تريد أن تفعله فإن كان مما لا يستحى منه فافعله وإن كان مما يستحى منه فدعه، أو المعنى أنك إذا لم تستح من الله من شيء يجب أن لا تستحى منه من أمر الدين فافعله ولا تبال بالخلق، أو المراد الحث على الحياء والتنويه بفضله، أي لما لم يجز صنع جميع ما شئت لم يجز ترك الاستحياء.

بسم الله الرحمن الرحيم

٦١ - كتابُ المناقبْ

١ - باب قولِ اللّهِ تعالى /الحجرات:١٣/:

{يَا أيُّهَا النَّاسُ إنا خلقْناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلْناكم شعُوباً وقبائلَ لتعَارفُوا، إنَّ أكرمَكم عندَ الله أتقاكم}. وقوله [١ النساء]: {واتقُوا اللّهَ الذي تَساءَلونَ به والأرحامَ، إنَّ اللّهَ كان عليكم رَقيبا}.

وما يُنْهَى عن دعوى الجاهلية. الشُعُوبُ: النسبُ البعيد، والقبائل دونَ ذلكَ.

٣٤٨٩ - عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللّهُ عنهُمَا {وَجَعَلْنَاكمْ شعوباً وقبائلَ لتعارَفوا} قال: الشعوبُ القبائلُ العظام. والقبائلُ: البطونُ».

٣٤٩٠ - عنْ أبي هُريرةَ رضيَ اللّهُ عنهُ قالَ: «قيلَ: يَا رسُولَ اللّهِ من أكرمُ الناس؟ قالَ: أتقاهم. قالوا: ليسَ عن هذا نسألك. قال: فيوسف نبيُّ اللّه».

٣٤٩١ - عنْ رَبيبةِ النبيِّ ﷺ زينبُ ابنة أبي سَلمةَ قالَ: «قلتُ لها: أرأيتِ النبيَّ ﷺ أكان من مُضَرَ؟ قالتْ: فممَّن كان إلا من مُضَرَ؟ من بني النضر بن كنانة».

[الحديث ٣٤٩١ - طرفه في: ٣٤٩٢]

٣٤٩٢ - عنْ رَبيبةِ النبيِّ ﷺ - وأظنُّها زينبَ- قالت: نَهى رسولُ اللّهِ ﷺ عن الدُّبَّاء والحنتم والمقيَّر والمزفَّت. وقلتُ لها: أخبريني، النبيُّ ﷺ ممَّن كان، من مُضَرَ كانَ؟ قالت: فممَّن كان إلا من مُضَرَ؟ كانَ من ولَد النَّضر بن كنانة».

٣٤٩٣ - عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللّه عنهُ عن رسولِ اللّه ﷺ قال: «تَجدونَ الناسَ مَعَادنَ: خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلامِ إذا فَقِهُوا، وتَجدون خيرَ النَّاسِ في هذا الشأنِ أشدَّهم له كراهيةً».

[الحديث ٣٤٩٣ - طرفاه في: ٣٤٩٦، ٣٥٨٨]

٣٤٩٤ - «وتَجِدُونَ شرَّ النَّاسِ ذَا الوجْهَيْنِ: الذي يأتِي هؤلاءِ بوجهٍ، ويأتي هؤلاءِ بوَجْهٍ».

[الحديث ٣٤٩٤ - طرفاه في: ٦٠٥٨، ٧١٧٩]

٣٤٩٥ - عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللّهُ عنهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «النَّاسُ تبعٌ لقُريشٍ في هذا الشأن: مُسلِمُهم تبعٌ لمسلمِهم، وكافِرُهم تبعٌ لكافرِهِمْ».

٣٤٩٦ - «والناسُ معادنُ :خِيارُهم في الجاهليةِ خِيارُهم في الإسلام إذا فقِهوا، تجدونَ

مِن خيرِ الناسِ أشدَّ الناسِ كراهيةً لهذا الشأنِ حتى يَقعَ فيه»

٣٤٩٧ - عنِ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا {إلا المودَّةَ في القُربَى} قال فقال سعيدُ بن جُبَيرٍ: قُربى محمدٍ، فقال: إن النبيَّ ﷺ لم يكن بطنٌ من قريشٍ إلا ولهُ فيه قَرابة، فنزلت عليه فيه، إلا أن تَصِلوا قرابةً بيني وبينكم».

[الحديث ٣٤٩٧ - طرفه في: ٤٨١٨]

٣٤٩٨ - عنْ أبِي مسعودٍ يَبْلُغُ به النبيَّ ﷺ قالَ: «مِنْ ها هُنا جاءَت الفِتَنُ نحو المشرقِ، والجَفاءُ وغِلَظُ القلوبِ في الفدَّادينَ أهلِ الوَبَرِ عند أُصولِ أذنابِ الإبلِ والبَقرِ في ربيعةَ ومُضَرَ».

٣٤٩٩ - عنْ أبِي هُرَيرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقولُ: الفخر والخُيَلاءُ في الفدَّادينَ أهل الوَبَر، والسَّكينةُ في أهلِ الغنم، والإيمانُ يمان والحِكمةُ يمانية». قال أبو عبد الله: سميت اليمنَ لأنها عن يمينِ الكعبة، والشَّأمَ عن يَسارالكعبة، والمشأمة الميسرة، واليد اليُسرَى الشؤْمى، والجانبُ الأيسرُ الأشْأم.

قوله (بسم الله الرَّحْمن الرحيم. باب[1] المناقب) قصد به سياق الترجمة النبوية بأن يجمع فيه أمور النبي ﷺ من المبدأ إلى المنتهى، فبدأ بمقدماتها من ذكر ما يتعلق بالنسب الشريف فذكر أشياء تتعلق بالأنساب ومن ثم ذكر أمورا تتعلق بالقبائل، ثم النهي عن دعوى الجاهلية لأن معظم فخرهم كان بالأنساب ثم ذكر صفة النبيص وشمائله ومعجزاته، واستطرد منها لفضائل أصحابه، ثم أتبعها بأحواله قبل الهجرة وما جرى له بمكة فذكر المبعث، ثم إسلام الصحابة وهجرة الحبشة والمعراج ووفود الأنصار والهجرة إلى المدينة، ثم ساق المغازي على ترتيبها عنده ثم الوفاة، فهذا آخر هذا الباب وهو من جملة تراجم الأنبياء وختمها بخاتم الأنبياء ﷺ

قوله (وقول الله عز وجل[2]: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى} الآية) يشير إلى ما تضمنته هذه الآية من أن المناقب عند الله إنما هي بالتقوى بأن يعمل بطاعته ويكف عن معصيته.

وروى أحمد والحارث وابن أبي حاتم من طريق أبي نضرة «حدثني من شهد خطبة النبي ﷺ بمنى وهو على بعير يقول: يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، خيركم عندالله أتقاكم».

---

(١) في المتن كتاب المناقب وفي اليونينية «المناقب» فقط
(٢) في المتن واليونينية «قول الله تعالى»

قوله (لتعارفوا) أي ليعرف بعضكم بعضا بالنسب يقول فلان ابن فلان وفلان ابن فلان.

قوله (وقوله[١] تعالى: {واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام} قال ابن عباس: أي اتقوا الأرحام وصلوها، والمراد بذكر هذه الآية الإشارة إلى الاحتياج إلى معرفة النسب أيضاً لأنه يعرف به ذوو الأرحام المأمور بصلتهم، وذكر ابن حزم في مقدمة «كتاب النسب» له فصلا في الرد على من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر بأن في علم النسب ما هو فرض على كل أحد، وما هو فرض على الكفاية، وما هو مستحب. قال: فمن ذلك أن يعلم أن محمدا رسول الله ﷺ هو ابن عبد الله الهاشمي، فمن زعم أنه لم يكن هاشميا فهو كافر، وأن يعلم أن الخليفة من قريش، وأن يعرف من يلقاه بنسب في رحم محرمة ليجتنب تزويج ما يحرم عليه منهم، وأن يعرف من يتصل به ممن يرثه أو يجب عليه بره من صلة أو نفقة أو معاونة وأن يعرف أمهات المؤمنين وأن نكاحهن حرام على المؤمنين، وأن يعرف الصحابة وأن حبهم مطلوب، وأن يعرف الأنصار ليحسن إليهم لثبوت الوصية بذلك ولأن حبهم إيمان وبغضهم نفاق، قال: ومن الفقهاء من يفرق في الجزية وفي الاسترقاق بين العرب والعجم فحاجته إلى علم النسب آكد، وكذا من يفرق بين نصارى بني تغلب وغيرهم في الجزية وتضعيف الصدقة. قال: وما فرض عمر رضي الله عنه الديوان إلا على القبائل، ولو لا علم النسب ما تخلص له ذلك، وقد تبعه على ذلك عثمان وعلي وغيرهما.

قوله (مضر) هو ابن نزار ابن معد بن عدنان والنسب ما بين عدنان إلى إسماعيل بن إبراهيم مختلف فيه كما سيأتي، وأما من النبي ﷺ إلى عدنان فمتفق عليه. وقال ابن سعد في «الطبقات» حدثنا هشام بن الكلبي قال: «علمني أبي وأنا غلامٌ نَسَبَ النبيِّ ﷺ فقال: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وهو شيبة الحمد ابن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وإليه جماع قريش، وما كان فوق فهر فليس بقرشي بل هو كناني، ابن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانه بن خزيمة بن مدركة واسمه عمرو بن إلياس بن مضر.

قوله (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام) وأما قوله إذا فقهوا ففيه إشارة إلى أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه في الدين، والمراد بالخيار والشرف وغير ذلك من كان متصفا بمحاسن الأخلاق، كالكرم والعفة والحلم وغيرها. متوقيالمساويها كالبخل والفجور والظلم وغيرها.

قوله (ويجدون[٢] خير الناس في هذا الشأن) أي الولاية والإمرة، وقوله «أشدهم له كراهية» أي أن الدخول في عهدة الإمرة مكروه من جهة تحمل المشقة فيه، وإنما تشتد

---

(١) في المتن واليونينية «قوله» بدون ذكرتعالى

(٢) في المتن واليونينية "وتجدو..."

الكراهة له ممن يتصف بالعقل والدين، لما فيه من صعوبة العمل بالعدل وحمل الناس على رفع الظلم، ولما يترتب عليه من مطالبة الله تعالى للقائم به من حقوقه وحقوق عباده، ولا يخفى خيرية من خاف مقام ربه، وأما قوله «حتى يقع فيه» فاختلف في مفهومه فقيل: معناه أن من لم يكن حريصا على الإمرة غير راغب فيها إذا حصلت له بغير سؤال تزول عنه الكراهة فيها لما يرى من إعانة الله له عليها، فيأمن على دينه ممن كان يخاف عليه منها قبل أن يقع فيها، ومن ثم أحب من أحب استمرار الولاية من السلف الصالح حتى قاتل عليها وصرح بعض من عزل منهم بأنه لم تسره الولاية بل ساءه العزل.

قوله (الناس تبع لقريش) قيل هو خبر بمعنى الأمر، ويدل عليه قوله في رواية أخرى «قدموا قريشا ولا تقدموها» أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح، لكنه مرسل وله شواهد.

قوله (كافرهم تبع لكفارهم) وقع مصداق ذلك لأن العرب كانت تعظم قريشا في الجاهلية بسكناها الحرم، فلما بعث النبيُّ ﷺ ودعا إلى الله توقف غالب العرب عن اتباعه وقالوا ننظر ما يصنع قومه، فلما فتح النبي ﷺ مكة وأسلمت قريش تبعتهم العرب ودخلوا في دين الله أفواجا، واستمرت خلافة النبوة في قريش فصدق أن كافرهم كان تبعا لكافرهم وصار مسلمهم تبعا لمسلمهم .

قوله (والإيمان يمان والحكمة يمانية) ظاهره نسبة الإيمان إلى اليمن .

واختلف في المراد به فقيل معناه نسبة الإيمان إلى مكة لأن مبدأه منها، ومكة يمانية بالنسبة إلى المدينة. وقيل: المراد نسبة الإيمان إلى مكة والمدينة وهما يمانيتان بالنسبة للشام بناء على أن هذه المقالة صدرت من النبي ﷺ وهو حينئذ بتبوك، ويؤيده قوله في حديث جابر عند مسلم «والإيمان في أهل الحجاز» وتعقبه ابن الصلاح بأنه لا مانع من إجراء الكلام على ظاهره، وأن المراد تفضيل أهل اليمن على غيرهم من أهل المشرق، والسبب في ذلك إذعانهم إلى الإيمان من غير كبير مشقة على المسلمين، بخلاف أهل المشرق وغيرهم، ولامانع من إجراء الكلام على ظاهره وحمل أهل اليمن على حقيقته. ثم المراد بذلك الموجود منهم حينئذ لا كل أهل اليمن في كل زمان، فإن اللفظ لا يقتضيه. قال: والمراد بالفقه الفهم في الدين، والمراد بالحكمة العلم المشتمل على المعرفة بالله انتهى.

٢ ـ باب مناقب قُرَيشٍ

٣٥٠٠ ـ عنْ عَبْدِ اللّه بنِ عمْرِو بن العاصِ يُحدِّثُ أنَّهُ سيكون مَلِكٌ من قحطانَ، فغضِبَ معاوية، فقام فأثنىٰ على اللّهِ بِمَا هُوَ أهْلُهُ ثم قال: أما بعدُ فإنه بلغني أنَّ رجالا منكم يتحدَّثون أحاديثَ ليست في كِتابِ اللّه، ولا تُؤثَرُ عن رسولِ اللّه ﷺ، فأولئكَ جُهَّالُكم، فإيَّاكم والأمانيَّ التي تُضِلُّ أهْلَهَا، فإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ: إن هذا

الأمرَ فِي قرَيش، لا يُعادِيهم أحدٌ إلا كبَّهُ اللهُ على وجهِه، ما أقاموا الدِّين».

[الحديث ٣٥٠٠ - طرفه في: ٧١٣٩]

٣٥٠١ - عن ابنِ عمَرَ رضيَ اللهُ عنهُمَا عن النبيِّ ﷺ قال« لا يزال هذا الأمرُ في قُريش ما بَقيَ منهمُ اثنان».

[الحديث ٣٥٠١ - طرفه في: ٧١٤٠]

٣٥٠٢ - عنْ جُبيرِ بن مُطعمٍ قال: «مَشَيتُ أنا وعثمانُ بن عفّانَ فقال: يَا رسُولَ اللهِ أعْطيتَ بني المطّلِبِ وتركتنا، وإنما نحنُ وهم منكَ بمنزلةٍ واحدةٍ. فقال النبيُّ ﷺ: إنما بنو هاشمٍ وبنو المطلب شيءٌ واحدٌ».

٣٥٠٣ - عن عروةَ بن الزبيرِ قال: ذهبَ عبدُ الله بن الزُّبيرِ معَ أناسٍ من بني زُهرةَ إلى عائشةَ، وكانت أرقَّ شيءٍ عليهم، لقرابتهم من رسولِ الله ﷺ».

[الحديث ٣٥٠٣ - طرفاه في: ٣٥٠٥، ٦٠٧٣]

٣٥٠٤ - عنْ أبِي هُرَيرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قُرَيشٌ والأنصارُ وجُهَينةُ وأسلمُ وأشجَعُ وغفارٌ مالي، ليس لهم مولًى دُونَ اللهِ ورسولِه».

٣٥٠٥ - عن عروة بن الزبير قال: كانَ عبدُ الله بن الزُّبيرِ أحب البَشَرِ إلى عائشةَ بعدَ النبيِّ ﷺ وأبي بَكْرٍ، وكان أبرَّ الناسِ بها، وكانت لا تُمسك شيئًا مما جاءَها من رزق اللهِ تصدَّقت. فقال ابنُ الزُّبيرِ: ينبغي أن يُؤْخَذُ على يديها فقالت: أيؤخذ على يدَي؟ عليَّ نذرٌ إن كلّمتُه. فاستشفَعَ إليها برجالٍ من قُريشٍ، وبأخوالِ رسُولِ الله ﷺ خاصةً، فامتَنَعَت. فقالَ لهُ الزُّهريون أخوالُ النبيِّ ﷺ-منهم عبدُ الرحمنِ بنُ الأسودِ بن عبدِ يَغوثَ والمِسْوَرُ بن مخرَمَةَ-: إذا استأذنَّا فاقتحِمِ الحجابَ، فَفَعَل، فأرسلَ إليها بعَشرِ رقاب، فأعتَقَتهم، ثم لم تَزَل تُعتِقُهم حتى بلغَت أربعين، فقالت: ودِدْتُ أنّي جعلت -حينَ حلفْتُ- عملاً أعمله فأفرُغَ منه».

قوله (باب مناقب قريش) هم ولد النضر بن كنانة، وبذلك جزم أبو عبيدة أخرجه ابن سعد عن أبي بكر ابن الجهم، وروي عن هشام بن الكلبي عن أبيه: كان سكان مكة يزعمون أنهم قريش دون سائر بني النضر حتى رحلوا إلى النبي ﷺ فسألوه: من قريش؟ قال: من ولد النضر بن كنانة. وقيل: إن قريشا هم ولد فهر بن مالك ابن النضر، وهذا قول الأكثر وبه جزم مصعب قال: ومن لم يلده فهر فليس قرشيا، وقد قدمت مثله عن ابن الكلبي. وقيل: أول من نسب إلى قريش قصي بن كلاب.

وروى ابن سعد من طريق المقداد: لما فرغ قصي من نفي خزاعة من الحرم تجمعت إليه قريش فسميت يومئذ قريشاً لحال تجمعها، والتقرش التجمع. وقيل لتلبسهم بالتجارة.

وقال المطرزي: سميت قريش بدابة في البحر هي سيدة الدواب البحرية، وكذلك قريش سادة الناس.

قوله (من قحطان) هو جماع اليمن، وفي إنكار معاوية ذلك نظر لأن الحديث الذي استدل به مقيد بإقامة الدين فيحتمل أن يكون خروج القحطاني إذا لم تقم قريش أمرَ الدين وقد وجد ذلك، فإن الخلافة لم تزل في قريش والناس في طاعتهم إلى أن استخفوا بأمر الدين فضعف أمرهم وتلاشى إلى أن لم يبق لهم من الخلافة سوى اسمها المجرد في بعض الأقطار دون أكثرها.

الحديث الثالث حديث ابن عمر «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان» قال الكرماني: ليست الحكومة في زمننا لقريش فكيف يطابق الحديث؟ وأجاب عن ذلك بأن في بلاد الغرب خليفة من قريش وكذا في مصر، وتعقب بأن الذي في الغرب هو الحفصي صاحب تونس وغيرها وهو منسوب إلى أبي حفص رقيق عبد المؤمن صاحب ابن تومرت الذي كان على رأس المائة السادسة ادعى أنه المهدي ثم غلب أتباعه على معظم الغرب وسموا بالخلافة وهم عبد المؤمن وذريته، ثم انتقل ذلك إلى ذرية أبي حفص ولم يكن عبد المؤمن من قريش؛ وقد تسمى بالخلافة هو وأهل بيته، وأما الأقصى فمع بني الأحمر وهم منسوبون إلى الأنصار، وأما الأوسط فمع بني مرين وهم من البربر. وأما قوله «فخليفة من مصر» فصحيح ، ولكنه لا حل بيده ولا ربط وإنما له من الخلافة الاسم فقط، وحينئذ هو خبر بمعنى الأمر وإلا فقد خرج هذا الأمر عن قريش في أكثر البلاد.

٣ - باب نزَلَ القرآنُ بلسانِ قُرَيشٍ

٣٥٠٦ - عنْ أنَسٍ «أنَّ عُثْمانَ دعا زيدَ بن ثابتٍ وعبدَ الله بن الزُّبيرِ وسعيدَ بن العاصِ وعبدَ الرَّحمنِ بنَ الحارثِ بن هشامٍ فنَسخوها في المصاحفِ، وقال عثمانُ للرهْطِ القرَشيِّينَ الثلاثةِ: إذا اختلفتم أنتم وزيدُ بن ثابتٍ في شيءٍ منَ القرآنِ فاكتبُوهُ بلسانِ قريشٍ فإنما نزلَ بلسانهم. ففعلوا ذلك».

[الحديث ٣٥٠٦ - طرفاه في: ٤٩٨٤، ٤٩٨٧]

قوله (باب نزل القرآن بلسان قريش) أورد فيه طرفا من حديث أنس في أمر عثمان بكتابة المصاحف، وسيأتي مبسوطا مشروحا في فضائل القرآن[١].

---

(١) كتاب فضائل القرآن باب / ٣ ح ٤٩٨٧ - ٤ / ٤

٤ - باب نِسبةِ اليمنِ إلى إسماعيلَ

منهم أسلمُ بن أفْصَى بن حارثةَ بن عمرِو بن عامر من خُزاعةَ

٣٥٠٧ - عنْ سلمةَ رضيَ اللَّهُ عنْهُ قالَ: «خَرَجَ رسُولُ اللَّه ﷺ عَلَى قومٍ من أسلمَ يَتناضلونَ بالسوقِ فقال: ارموا بني إسماعيلَ، فإنَّ أباكم كان رامياً، وأنا معَ بني فلان -لأحدِ الفريقَيْنِ- فأمسَكوا بأيديهم. فقَالَ: مَالهم؟ قالوا: وكيفَ نرمِي وأنتَ مع بني فلان؟ قال: أرموا، وأنا معكم كلِّكم».

قوله (باب نسبة اليمن إلى إسماعيل) أي ابن إبراهيم الخليل، ونسبة مضر وربيعة إلى إسماعيل متفق عليها، وأما اليمن فجماع نسبهم ينتهي إلى قحطان، ويقال أن قحطان أول من تكلم بالعربية وهو والد العرب المتعربة، وأما إسماعيل فهو والد العرب المستعربة، وأما العرب العاربة فكانوا قبل ذلك كعاد وثمود وطسم وجديس وعمليق وغيرهم. وقيل إن قحطان أول من قيل له أبيت اللعن وعم صباحا، وزعم الزبير بن بكار إلى أن قحطان من ذرية إسماعيل وأنه قحطان بن الهميسع بن تيم بن نبت بن إسماعيل عليه السلام، وهو ظاهر قول أبي هريرة المتقدم في قصة هاجر حيث قال وهو يخاطب الأنصار «فتلك أمكم يا بني ماء السماء» هذا هو الذي يترجح في نقدي.

٥ - باب * ٣٥٠٨ - عَنْ أبِي ذرٍّ رضيَ اللَّهُ عنْهُ أنَّهُ سَمعَ النبيَّ ﷺ يقول: «ليس منْ رجُل ادَّعىٰ لغير أبيه -وهو يَعلمهُ- إلا كفرَ باللّه، ومن ادَّعىٰ قوماً ليس لهُ فيهم نسبٌ فليَتَبَوّأ مقعدهُ منَ النَّارِ».

[الحديث ٣٥٠٨ - طرفه في: ٦٠٤٥]

٣٥٠٩ - عن واثلةَ بن الأسقَعِ يقول: قال رسولُ اللّه ﷺ:«إن من أعظم الفِرى أن يَدَّعِيَ الرجلُ إلى غير أبيه، أو يُري عينَهُ ما لم ترَ، أو يقول على رسولِ اللّه ﷺ يقل».

٣٥١٠ - عن ابن عبَّاسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُمَا قال:«قدمَ وفدُ عبد القيس على رسولِ اللّه ﷺ فقالُوا: يَا رسُولَ اللّهِ إنَّا هذَا الحيَّ من ربيعةَ، قدْ حالَتْ بيننا وبينَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، فلسنا نخلُصُ إليكَ إلاَّ في كلِّ شهرِ حرامٍ، فلو أمرتَنا بأمر نَأخُذُه عنك، ونُبلِّغه مَن وراءَنا. قال ﷺ: آمركم بأربعةٍ وأنهاكم عن أربعة: الإيمانِ باللّه شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللّهُ، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وأن تُؤدُّوا إلى اللّهِ خُمُسَ ما غنِمتُم. وأنهاكم عنِ الدُّباءِ، والحنتَم، والنَّقير، والمزفَّت».

٣٥١١ - عنْ عبدِ اللّه بنِ عمَرَ رضيَ اللَّهُ عنهُمَا قالَ: «سمعْتُ رسولَ اللّه ﷺ يَقُولُ: وَهُوَ على المنبر: ألا إن الفتنةَ ها هنا -يشيرُ إلى المشرقِ- من حيثُ يطلعُ قرنُ الشيطانِ».

وفي الحديث تحريم الانتفاء من النسب المعروف والادعاء إلى غيره، وقيد في الحديث بالعلم ولابد منه في الحالتين إثباتا ونفيا لأن الإثم إنما يترتب على العالم بالشيء المتعمد له، وفيه جواز إطلاق الكفر على المعاصي لقصد الزجر كما قررناه، ويؤخذ من رواية مسلم تحريم الدعوى بشيء ليس هو للمدعى، فيدخل فيه الدعاوى الباطلة كلها مالا وعلما وتعلما ونسبا وحالا وصلاحا ونعمة وولاء وغير ذلك؛ ويزداد التحريم بزيادة المفسدة المترتبة على ذلك.

قوله (أن من أعظم الفرا[١]) جمع فرية والفرية الكذب والبهت، وفي الحديث تشديد الكذب في هذه الأمور الثلاثة وهي الخبر عن الشيء أنه رآه في المنام ولم يكن رآها، والإدعاء إلى غير الأب، والكذب على النبي ﷺ، فأما هذا الأخير فتقدم البحث فيه في كتاب العلم[٢]، وأما ما يتعلق بالمنام فيأتي في التعبير[٣]، وأما الادعاء فتقدم قريباً فيما قبله.

٦ ـ باب ذِكر أَسْلَمَ وغِفارَ ومُزينةَ وجُهَينةَ وأشجَع

٣٥١٢ ـ عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ «قُريشٌ والأنصارُ وجُهَينة ومُزَينة وأسلم وغِفارُ وأشجَعُ مواليّ، ليْس لهم مَولى دُونَ اللهِ ورسوله».

٣٥١٣ ـ عن نافعٍ عنْ عبدِ اللهِ «أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ على المنبر: غِفارُ غفرَ اللهُ لها، وأسلمُ سالمها اللهُ، وعُصَيَّةُ عصَتِ اللهَ ورسوله».

٣٥١٤ ـ عنْ أبي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «أسلمُ سالمها الله، وغِفارُ غفرَ اللهُ لها».

٣٥١٥ ـ عنْ عبْدِ الله بن أبي بَكْرة عنْ أبيهِ «قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: أرَأيتم إن كان جُهَينةُ ومُزَينة وأسلمُ وغِفارُ خيراً من بني تميمٍ وبني أسدٍ ومن بني عبدِ الله بن غطَفَانَ ومن بني عامرِ بن صَعصعةَ؟ فقال رجلٌ: خابوا وخَسِروا. فقال: هم خيرٌ من بني تميم ومن أسدٍ ومن بني عبد الله بن غَطَفان ومن بني عامرِ بن صَعصَعةَ».

[الحديث ٣٥١٥ - طرفاه في: ٣٥١٦، ٦٦٣٥]

٣٥١٦ ـ عنْ عبدِ الرَّحْمن بن أبي بكرةَ عنْ أبيه «أن الأقرعَ بنَ حابسٍ قال للنبيِّ ﷺ: إنّما بَايعَكَ سُرَّاقُ الحجيج من أسلمَ وغِفار ومُزَينةَ -وأحسِبه وجُهَينةَ، ابن أبي يعقوب شك- قالَ النبيُّ ﷺ: أرأيْتَ إن كانَ أسلمُ وغِفارُ ومُزَينة وأحسِبهُ وجُهينة خيراً من بني تميمٍ

(١) في المتن واليونينية "الفرَى"
(٢) كتاب العلم باب / ٣٨ ح ١٠٦- ١ / ١١٢
(٣) كتاب التعبير باب / ٤٥ ح ٧٠٤٢ - ٥ / ٣٥٥

وبني عامرٍ وأسدٍ وغطفَانَ خابوا وخَسِروا؟ قال: نعم. قال: والذي نفسي بيدهِ إنَّهمْ لأخْيَرُ مِنْهُمْ».

٣٥٢٣ - عنْ أبِي هُرَيرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: «قالَ: أسلم وغِفار وشيءٌ من مزَينةَ وجهَينةَ أو قال: شيءٌ من جُهينةَ أو مزَينة- خيرٌ عندَ الله -أوْ قالَ: يومَ القِيامةِ- من أسدٍ وتميمٍ وهَوازِنَ وغَطفانَ».

قوله (باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع) هذه خمس قبائل كانت في الجاهلية في القوة والمكانة دون بني عامر بن صعصعة وبني تميم بن مر وغيرهما من القبائل، فلما جاء الإسلام كانوا أسرع دخولا فيه من أولئك فانقلب الشرف إليهم بسبب ذلك.

قوله (مواليَّ) بتشديد التحتانية إضافة إلى النبي ﷺ أي أنصاري، وهذا هو المناسب هنا وإن كان للمولى عدة معان. وهذه فضيلة ظاهرة لهؤلاء القبائل، والمراد من آمن منهم، والشرف يحصل للشيء إذا حصل لبعضه.

قوله (غفار غفر الله لها) هو لفظ خبر يراد به الدعاء.

٧ - باب ذِكر قَحطانَ

٣٥١٧ - عن أبِي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «لا تَقومُ الساعةُ حتَّى يخرجَ رجلٌ من قحطانَ يسوقُ الناسَ بعصاهُ».

[الحديث ٣٥١٧ - طرفه في: ٧١١٧]

قوله (باب ذكر قحطان تقدم القول فيه وهل هو من ذرية إسماعيل أم لا؟ وإلى قحطان تنتهي أنساب أهل اليمن من حمير وكندة وهمدان وغيرهم.

قوله (لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان) لم أقف على اسمه ولكن جوز القرطبي أن يكون جهجاه الذي وقع ذكره في مسلم من طريق أخرى عن أبي هريرة بلفظ «لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له جهجاه».

قوله (يسوق الناس بعصاه) هو كناية عن الملك، شبهه بالراعي وشبه الناس بالغنم. وهذا الحديث يدخل في علامات النبوة من جملة ما أخبربه ﷺ قبل وقوعه ولم يقع بعد، وقد روى نعيم بن حماد في الفتن من طريق أرطاة بن المنذر-أحد التابعين من أهل الشام- أن القحطاني يخرج بعد المهدي ويسير على سيرة المهدي. وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الفتن[١] إن شاء الله تعالى.

(١) كتاب الفتن باب / ٢٣ ح ٧١١٧ - ٥ / ٤٠٢

٨ ـ باب ما ينهى مِنَ دَعوَى الجاهلية

٣٥١٨ ـ عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقُولُ: «غزَوْنا معَ النبيِّ ﷺ وقَد ثابَ معهُ ناسٌ من المهاجرينَ حتى كثُروا، وكان من المهاجرينَ رجلٌ لعّابٌ فكسَعَ أنصارياً، فغضبَ الأنصاريُّ غضباً شديداً حتّىٰ تَداعَوا، وقال الأنصاريُّ: يا للأنصار، وقال المهاجريُّ: يَا للمهاجرين. فخرجَ النبيُّ ﷺ فقَالَ: مَا بالُ دَعوَى أهلِ الجاهلية؟ ثم قالَ: مَا شأنهم؟ فأخبرَ بكَسْعَةِ المهاجريِّ الأنصاريَّ. قالَ فقالَ النبيُّ ﷺ: دَعُوها فإنّها خَبيثة. وقال عبدُ الله بن أبيٍّ بن سلولَ: أقَدْ تَداعَوْا علينا؟ لئن رجَعنا إلى المدينة ليُخرِجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. فقال عمرُ: ألا نقتُلُ يا نبي الله هذا الخبيثَ؟ لعبد الله. فقال النبيُّ ﷺ: لا يتحدَّثُ النّاسُ أنّهُ كانَ يقتُل أصحابه».

[الحديث ٣٥١٨ - طرفاه في: ٤٩٠٥، ٤٩٠٧]

٣٥١٩ ـ عنْ عَبْدِ الله عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «ليْسَ منّا مَن ضربَ الخُدود وشَقَّ الجُيوبَ ودَعا بدَعوَى الجاهلية».

قوله (باب ما ينهى من دعوى الجاهلية) ينهى بضم أوله ودعوى الجاهلية الإستغاثة عند إرادة الحرب. كانوا يقولون: يا آل فلان، فيجتمعون فينصرون القائل ولو كان ظالما، فجاء الإسلام بالنهي عن ذلك.

قوله (غزونا) هذه الغزوة هي غزوة المريسيع

قوله (ثاب معه) أي اجتمع .

قوله (رجل لعاب) أي بطال، وقيل كان يلعب بالحراب كما تصنع الحبشة، وهذا الرجل هوجهجاه بن قيس الغفاري وكان أجيرعمربن الخطاب، والأنصاري هو سنان ابن وبرة حليف بني سالم الخزرجي، وسيأتي بيان ذلك في تفسير سورة المنافقين[١].

قوله (فكسع) أي ضربه على دبره.

قوله (دعوها فإنها خبيثة) أي دعوى الجاهلية.

٩ ـ باب قصة خُزاعةَ

٣٥٢٠ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «عمْرو بن لُحَيِّ بن قمعةَ بن خِندِفَ أبو خُزاعةَ».

٣٥٢١ ـ عنْ سعيدِ بنَ المسيَّبِ قال: «البَحيرةُ التي يُمنعُ دَرُّها للطَّواغيت ولا يَحلُبها

(١) كتاب التفسير "المنافقون" باب/ ٥ح ٤٩٠٥ - ٧١٩/٣.

أحدٌ من النَّاسِ. والسائبة التي يُسيِّبونها لآلهتِهم فلا يُحملُ عليها شيء» وقال أبو هريرةَ قالَ النبيُّ ﷺ: «رأيتُ عمرَو بن عامرِ بن لُحَيٍّ الخزاعيَّ يَجُرُّ قُصْبَه في النار، وكان أولَ من سيَّبَ السوائب».

[الحديث ٣٥٢١ -طرفه في: ٤٦٢٣]

قوله (باب قصة خزاعة) اختلف في نسبهم مع الاتفاق على أنهم من ولد عمرو بن لحي وهو ابن حارثة بن عمرو بن عامر بن ماء السماء، وقد تقدم نسبه في أسلم وأسلم هو عم عمرو بن لحي، وذكرابن إسحق أن سبب عبادة عمرو بن لحي الأصنام أنه خرج إلى الشام وبها يومئذ العماليق وهم يعبدون الأصنام فاستوهبهم واحدا منها وجاء به إلى مكة فنصبه إلى الكعبة وهو هبل، وكان قبل ذلك في زمن جرهم قد فجر رجل يقال له أساف بامرأة يقال لها نائله في الكعبة فمسخهما الله جل وعلا حجرين، فأخذهما عمرو بن لحي فنصبهما حول الكعبة، فصار من يطوف يتمسح بهما، يبدأ بأساف ويختم بنائلة.

١٠ ـ باب قصةِ إسلامِ أبي ذَرٍّ الغِفاريِّ رضيَ اللهُ عنه

١١ ـ باب قصة زَمزَمَ

٣٥٢٢ ـ عن أبي جمرةَ قال : «قال لنا ابن عبَّاسٍ: «ألا أخبركم بإسلام أبي ذرٍ؟ قال قلنا: بلى. قال قال أبو ذَرٍ: كنتُ رجلاً من غِفارٍ، فبلغَنا أنَّ رجلاً قد خرَجَ بمكةَ يزعُمُ أنَّهُ نبيٌّ ، فقلتُ لأخي : انطلقْ إلى هذا الرجل، كلمهُ وأتني بخبره. فانطلَقَ فلقيَه ثمَّ رجَعَ ، فقلت: ما عندك؟ فقال: والله لقد رأيتُ رجلاً يأمُرُ بالخير، وينهى عن الشَّرِ. فقلت له: لم تَشفني منَ الخبر، فأخذتُ جِراباً وعَصاً. ثمَّ أقبَلت إلى مكةَ فجعلت لا أعرفهُ ، وأكرَهُ أن أسألَ عنه، وأشرَبُ من ماءِ زمزَمَ وأكونُ في المسجد. قال: فمرَّ بي عليٌّ فقال: كأنَّ الرجُلَ غَريب؟ قال قلت: نعم. قال: فانطلِقْ إلى المنزِلِ ، قال فانطلَقْتُ معهُ لا يَسألني عن شيءٍ ولا أخبِرُه ، فلما أصبَحْتُ غَدَوتُ إلى المسجد لأسألَ عنهُ ، وليس أحدٌ يخبرُني عنه بشيءٍ. قال فمرَّ بي عليٌّ فقال: أما نالَ للرجُلِ يعرِفُ منزِله بعد؟ قال قلت: لا. قال: انطلقْ معي، قال فقال: ما أمرك، وما أقدَمَكَ هذه البلدةَ؟ قال قلتُ له: إن كتمتَ عليَّ أخبرتُك . قال: فإني أفعلُ. قال قلتُ له: بَلَغَنا أنه قد خرَجَ ها هنا رجل يزعُمُ أنهُ نبيّ ، فأرسلتُ أخي ليكلمَهُ ، فرجعَ ولم يَشفني منَ الخبر، فأردتُ أن ألقاهُ. فقال له : أما إنَّكَ قد رَشدْتَ. هذا وَجهي إليه، فاتَّبِعني، أدخُلْ حيثُ ادخُلُ، فإني إن رأيتُ أحداً أخافهُ عليكَ قمتُ إلى الحائط كأني أصلح نَعلي، وامض أنتَ. فَمضى ومضَيتُ معه، حتى دَخلَ ودَخلتُ معه على النبيِّ ﷺ، فقلتُ له: اعرضْ عليَّ الإسلامَ ، فعرَضَهُ ، فأسلمتُ مَكاني. فقال لي: يا أبا ذَرٍّ، اكتُمْ هذا الأمرَ، وارجعْ إلى بلدِكَ،فإذا بَلَغَكَ ظهورُنا فأقبِل.

فقلتُ: والذي بَعَثَكَ بالحقِّ لأصرُخَنَّ بها بينَ أظهُرهم. فجاءَ إلى المسجد وقرَيشٌ فيه فقال: يا مَعشرَ قرَيش، إني أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسوله. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابيء، فقاموا، فضُربتُ لأموتَ، فأدركَني العباسُ فأكبَّ عليَّ، ثمَّ أقبلَ عليهم فقال: وَيلكم تقتلونَ رجلاً من غِفارَ، ومَتجَركم ومَمرُّكم على غِفار؟ فأقلَعوا عني. فلمَّا أن أصبَحتُ الغدَ رجعتُ فقلت مثلَ ما قلتُ بالأمس. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابىء، فصُنع بي مثل ما صُنعَ بالأمسِ، وأدركَني العباسُ فأكبَّ عليَّ وقال مثل مقالته بالأمس. قال: فكان هذا أوّلَ إسلامِ أبي ذَرٍّ رحمه الله».

[الحديث ٣٥٢٢- طرفه في : ٣٧٦١]

١٢ ـ باب قصةِ زمزمَ وجهلِ العربِ

٣٥٢٣ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال: «قال: أسلم وغفارُ وشيءٌ من مُزَينةَ وجُهينةَ - أو قال: شيءٌ من جُهينةَ أو مُزَينة- خيرٌ عندَ اللهِ -أو قال: يومَ القيامةِ- من أسدٍ وتميمٍ وهَوازنَ وغَطفَان».

٣٥٢٤ ـ عنِ ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: «إذا سرَّكَ أن تَعلم جهلَ العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام {قد خَسر الذين قَتلوا أولادَهم سَفَهاً بغيرِ علمٍ -إلى قوله- قد ضلُّوا وما كانوا مُهتدين}

قوله (باب قصة زمزم وجهل العرب)

قوله (قد خسر الذين قتلوا أولادهم) أي بناتهم، وسيأتي بيان ذلك في التفسير إن شاء الله تعالى.

١٣ ـ باب مَنِ انتَسَبَ إلى آبائه في الإسلامِ والجاهليةِ

وقال ابنُ عمرَ وأبو هريرةَ عنِ النبيِّ ﷺ:«أنَّ الكريمَ ابنَ الكريمَ ابنَ الكريمَ ابنَ الكريمَ يُوسُفُ ابن يَعقُوبَ بن إسحقَ بن إبراهيمَ خليلَ الله». وقال البَراءُ عن النبي ﷺ:«أنا ابنُ عبدِ المطَّلب».

٣٥٢٥ ـ عنِ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللّه عنهما قال: «لما نَزَلَتْ [٢١٤ الشعراء]: {وأنذرِ عَشيرتَكَ الأقرَبين} جَعلَ النبيُّ ﷺ يُنادي: يا بَني فِهْرٍ، يا بَني عَديّ، لبُطون قُرَيشٍ».

٣٥٢٦ ـ عنِ ابن عبَّاسٍ قال:«لما نَزَلَت {وأنذرِ عَشيرتَكَ الأقرَبين} جعل النبيُّ ﷺ يَدعوهم قَبائلَ قَبائلَ » .

٣٥٢٧ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يا بَني عبدِ مَناف، اشترُوا أنفُسَكم منَ الله. يا بني عبدِ المطَّلب، اشتروا أنفُسَكم منَ الله يا أمَّ الزُّبَير بن العوَّام

عمةَ رسولِ الله، يا فاطمةُ بنتَ محمد، اشتَريا أنفُسكما منَ الله، لا أملك لكما منَ الله شيئاً سَلاني من مالي ما شئتُما».

قوله (باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية) أي جواز ذلك خلافا لمن كرهه مطلقا فان محل الكراهة ما إذا أورده على طريق المفاخرة والمشاجرة.

١٤ ـ باب ابنُ أختِ القومِ منهم، ومَولى القومِ منهم

٣٥٢٨ ـ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال: «دَعا النبيُّ ﷺ الأنصارَ فقال: هل فيكم أحدٌ من غيركم؟ قالوا: لا إلاَّ ابنُ أخت لنا فقال رسولُ اللهُ ﷺ: «ابنُ أختِ القومِ منهم».

قوله (باب ابن أخت القوم منهم، ومولى القوم منهم) أي فيما يرجع إلى المناظرة والتعاون ونحو ذلك، وأما بالنسبة إلى الميراث ففيه نزاع، كما سيأتي بسطه في كتاب الفرائض(١).

١٥ ـ باب قصةِ الحبَش

وقولِ النبي ﷺ :« يابني أرفِدة»

٣٥٢٩ ـ عن عائشةَ أنَّ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنه دخلَ عليها وعندَها جاريتان في أيام مِنىً تُدَفِّفانِ وتَضربانِ، والنبيُّ ﷺ مُتَغَشٍّ بثَوبهِ، فانتَهَرَهما أبو بكر، فَكَشَفَ النبيُّ ﷺ عن وجههِ فقال: دعْهما يا أبَا بكرٍ، فإنَّها أيامُ عيدٍ. وتلكَ الأيامُ أيامُ مِنى».

٣٥٣٠ ـ وقَالَتْ عائشةُ: «رأيتُ النبيَّ ﷺ يَستُرني وأنَا أنظرُ إلى الحبشةِ وهم يلعبونَ في المسجدِ، فَزَجَرَهُمْ عمرُ فقالَ النبيُّ ﷺ : دَعهم، أمناً بني أرفِدة. يعني منَ الأمنِ».

قوله (باب قصة الحبش وقول النبي ﷺ يا بني أرفدة) اسم لجد لهم والحبش هم الحبشة. وهم مجاورون لأهل اليمن يقطع بينهم البحر، وقد غلبوا على اليمن قبل الإسلام وملكوها، وغزا أبرهة من ملوكهم الكعبة ومعه الفيل، وقد ذكر ابن إسحق قصته مطولة.

١٦ ـ باب من أحبَّ أن لا يُسبَّ نسبُه

٣٥٣١ ـ عن هشام عن أبيه عنْ عائِشَة رضيَ اللهُ عنْهَا قالتْ: «إستأذنَ حسَّانُ النبيَّ ﷺ في هِجاءِ المشركينَ، قالَ: كَيفَ بنَسبي؟ فقال حسَّانُ: لأسُلَّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشعرةُ منَ العجين».

وعنْ أبيهِ قالَ:«ذهبتُ أسبُّ حسانَ عندَ عائشةَ فقالت: لاتَسبُّهُ، فإنَّهُ كان يُنافحُ عن النبيِّ ﷺ»

[الحديث ٣٥٣١ - طرفاه في: ٤١٤٥، ٦١٥٠]

---

(١) كتاب الفرائض باب / ٢٤ ح ٦٧٦٢ - ٥ / ١٧٨

قوله (استأذن حسان بن ثابت[١]) أي ابن المنذر بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي، وسبب هذا الاستئذان مبين عند مسلم من طريق أبي سلمة عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: اهجوا المشركين فإنه أشد عليهم من رشق النبل، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجهم، فهجاهم فلم يرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان فقال: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه. ثم أدلع لسانه فجعل يحركه ثم قال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم، قال لا تعجل» وروى أحمد من حديث كعب بن مالك قال: «قال لنا رسول الله: ﷺ: اهجوا المشركين بالشعر، فإن المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحونهم بالنبل».

قوله (كيف بنسبي فيهم[٢]) أي كيف تهجو قريشاً مع اجتماعي معهم في نسب واحد؟ وفي هذا إشارة إلى أن معظم طرق الهجو العض بالآباء.

قوله (لأسلنك منهم) أي لأخلصن نسبك من نسبهم بحيث يختص الهجو بهم دونك.

قوله (كما تسل الشعرة من العجين أشار بذلك إلى أن الشعرة إذا أخرجت من العجين لا يتعلق بها منه شيء لنعومتها، بخلاف ما إذا سلت من العسل مثلا فإنه قد يعلق بها منه شيء، وأما إذا سلت من الخبز فإنها قد تنقطع قبل أن تخلص.

قوله (كان ينافح) ومعناها يدافع أو يرامي.

ووقع في رواية أبي سلمة المذكورة «قالت عائشة: فسمعت النبي ﷺ يقول لحسان: إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله» قالت: وسمعته يقول:« هجاهم حسان فشفى وأشفى» وقد تقدم في أوائل الصلاة ما يدل على أن المراد بروح القدس جبريل عليه السلام، ويأتي الكلام على الشعر وأحكامه في كتاب الأدب[٣] إن شاء الله تعالى.

١٧ ـ باب مَا جاءَ في أسماءِ رسول الله ﷺ

وقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ {محمدٌ رسولُ الله، والذين معهُ أشِدّاءُ عَلَى الكفّار} /الفتح:٢٩ /، وقوله {من بَعدي اسمهُ أحمد} /الصَّف:٦/

٣٥٣٢ ـ عنْ مُحمد بن جُبَيرِ بن مُطعمٍ عن أبيهِ رضيَ اللّهُ عنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «لِي خَمْسةُ أسماء: أنا محمد، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يَمحُو اللّهُ بي الكفرَ، وأنا الحاشرُ الذي يُحشرُ الناسُ على قَدَمِي، وَأنا العاقِب».

[الحديث ٣٥٣٢ - طرفه في: ٤٨٩٦]

(١) في المتن واليونينية "استأذن حسان" فقط
(٢) رواية الباب واليونينية بدون "فيهم"
(٣) كتاب الأدب باب / ٩٠ ح ٦١٤٥ - ٤ / ٤٨٧

٣٥٣٣ ـ عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «ألا تَعجَبون كيفَ يَصرِفُ اللهُ عني شَتْمَ قُرَيشٍ ولعْنَهم؟ يَشتِمونَ مُذَمَّمًا، ويَلعَنونَ مُذَمَّمًا، وأنَا محمدٌ».

قوله (باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ وقوله عز وجل[١] {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار} وقوله {من بعدي اسمه أحمد} كأنه يشير إلى أن هذين الأسمين أشهر أسمائه، وأشهرهما محمد، وقد تكرر في القرآن وأما أحمد فذكر فيه حكاية عن قول عيسى عليه السلام، فأما محمد فمن باب التفعيل للمبالغة، وأما أحمد فمن باب التفضيل، وقيل سمي أحمد لأنه علم منقول من صفة وهي أفعل التفضيل ومعناه أحمد الحامدين، وسبب ذلك ماثبت في الصحيح أنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله، وقيل الأنبياء حمادون وهو أحمدهم، أي أكثرهم حمداً أو أعظمهم في صفة الحمد، وأما محمد فهو منقول من صفة الحمد أيضاً وهو بمعنى محمود وفيه معنى المبالغة، والمحمد الذي حمد مرة بعد مرة كالممدح.

قال عياض: كان رسول الله ﷺ أحمد قبل أن يكون محمدا كما وقع في الوجود لأن تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة، وتسميته محمدا وقعت في القرآن العظيم، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وكذلك في الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس. وقدخص بسورة الحمد وبلواء الحمد وبالمقام المحمود، وشرع له الحمد بعد الأكل وبعد الشرب وبعد الدعاء وبعد القدوم من السفر، وسميت أمته الحمادين، فجمعت له معاني الحمد وأنواعه ﷺ.

قوله (وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر) قيل المراد إزالة ذلك من جزيرة العرب، وفيه نظر لأنه وقع في رواية عقيل ومعمر «يمحو بي الله الكفرة» ويجاب بأن المراد إزالة الكفر بإزالة أهله، وإنما قيد بجزيرة العرب لأن الكفر ما انمحى من جميع البلاد، وقيل أنه محمول على الأغلب أو أنه ينمحي بسببه أولاً فأولاً إلى أن يضمحل في زمن عيسى بن مريم فإنه يرفع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام، وتعقب بأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس؛ ويجاب بجواز أن يرتد بعضهم بعد موت عيسى وترسل الريح فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة فحينئذ فلا يبقى إلا الشرار.

قوله (وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي) أي على أثري أي أنه يحشر قبل الناس، واستشكل التفسير بأنه يقضي بأنه محشور فكيف يفسر به حاشر وهو اسم فاعل، وأجيب بأن إسناد الفعل إلى الفاعل إضافة والإضافة تصح بأدنى ملابسة، فلما كان لا أمة بعد أمته لأنه لا نبي بعده نسب الحشر إليه لأنه يقع عقبه.

---

(١) في المتن "وقول الله عز وجل" وفي اليونينية "وقول الله تعالى"

قوله (يشتمون مذمما) كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده فيقولون مذمم، وإذا ذكروه بسوء قالوا فعل الله بمذمم، ومذمم ليس هو اسمه ولا يعرف به فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفا إلى غيره. قال ابن التين: استدل بهذا الحديث من أسقط حد القذف بالتعريض وهم الأكثر خلافا لمالك، وأجاب بأنه لم يقع في الحديث أنه لا شيء عليهم في ذلك بل الواقع أنهم عوقبوا على ذلك بالقتل وغيره انتهى. والتحقيق أنه لا حجة في ذلك إثباتا ولا نفيا، والله أعلم.

١٨ ـ باب خاتَمِ النَّبيّين ﷺ

٣٥٣٤ ـ عنْ جَابرِ بن عبْدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُمَا قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ «مَثَلي ومَثَلُ الأنبياءِ كرجلٍ بنى داراً فأكمَلَها وأحسَنَها، إلا مَوضعَ لَبِنَةٍ، فجعلَ الناسُ يَدخُلونها ويتعجَّبُون ويقولون: لَولاَ مَوضِعُ اللَّبِنةِ».

٣٥٣٥ ـ عنْ أبي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إنَّ مثلي ومثل الأنبياءِ من قبلي كمثَلِ رجلٍ بَنى بيتاً فأحسنَهُ وأجملَهُ، إلا مَوْضعَ لَبِنةٍ من زاويةٍ، فجعلَ الناسُ يطوفونَ به ويعجَبونَ له ويقولون: هَلا وُضعَت هذه اللبنةُ؟ قال: فأنا اللَّبِنَةُ؛ وأنا خاتمُ النَّبيينَ».

قوله (باب خاتم النبيين) أي أن المراد بالخاتم في أسمائه أنه خاتم النبيين.

وزعم ابن العربي أن اللبنة المشار إليها كانت في أس الدار المذكورة وأنها لولا وضعها لانقضت تلك الدار، قال: وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور انتهى. وهذا إن كان منقولا فهو حسن وإلا فليس بلازم.

١٩ ـ باب وفاةِ النبيِّ ﷺ

٣٥٣٦ ـ عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها «أنَّ النبيَّ ﷺ تُوُفِّيَ وهُوَ ابنُ ثلاثٍ وستينَ».

وقال ابن الشهاب: وأخبرني سعيد بن المسيب مثله.

[الحديث٣٥٣٦ - طرفه في: ٤٤٦٦]

٢٠ ـ باب كُنْيةِ النبيِّ ﷺ

٣٥٣٧ ـ عنْ أنَسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «كانَ النبيُّ ﷺ في السُّوقِ، فقال رجلٌ: يا أبا القاسمِ، فالتفتَ النبيُّ ﷺ فقال: سمُّوا باسمي، ولا تكْتَنوا بكُنْيَتي».

٣٥٣٨ ـ عنْ جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «تَسمُّوا باسمي، ولا تَكتَنوا بكنْيتي».

٣٥٣٩ ـ عنِ ابن سيرينَ قال سمعتُ أبا هريرةَ يقول قال أبوُ القاسمِ ﷺ سمُّوا باسمي، ولاتكتنوا بكنيتي»

قوله (باب كنية النبي ﷺ) الكنية بضم الكاف وسكون النون مأخوذة من الكناية تقول: كنيت عن الأمر بكذا إذا ذكرته بغير ما يستدل به عليه صريحا. وقد اشتهرت الكنى للعرب حتى ربما غلبت على الأسماء كأبي طالب وأبي لهب وغيرهما، وقد يكون للواحد كنية واحدة فأكثر، وقد يشتهر باسمه وكنيته جميعا، فالاسم والكنية واللقب يجمعها العلم بفتحتين، وتتغاير بأن اللقب ما أشعر بمدح أو ذم، والكنية ما صدرت بأب أو أم، وما عدا ذلك فهو اسم. وكان النبي ﷺ يكنى أبا القاسم بولده القاسم وكان أكبر أولاده، واختلف هل مات قبل البعثة أو بعدها، وقد ولد له إبراهيم في المدينة من مارية، ومضى شيء من أمره في الجنائز. وفي حديث أنس أن جبريل قال للنبي ﷺ :«السلام عليكم يا أبا إبراهيم».

وقد اختلف في جواز التكني بكنيته ﷺ فالمشهور عن الشافعي المنع على ظاهر هذه الأحاديث، وقيل يختص ذلك بزمانه، وقيل بمن تسمى باسمه، وسيأتي بسط ذلك وتوجيه هذه المذاهب في كتاب الأدب[1] إن شاء الله تعالى.

٢١ ـ باب * ٣٥٤٠ ـ عن الجُعَيدِ بنِ عبْدِ الرَّحمن «رأيتُ السائبَ بنَ يزيدَ ابن أربعٍ وتسعينَ جلداً مُعتَدلاً فقال: قد علمتُ ما مُتِّعْتُ به - سمعي وبصري- إلا بدُعاءِ رسولِ الله ﷺ. إنَّ خالتي ذَهَبت بي إليه فقالت: يا رسولَ اللهَ إنَّ ابن أُختي شاكٍ، فادعُ الله لهُ. قالَ فَدَعا لي ﷺ.

٢٢ ـ باب خاتمِ النُّبُوَّةِ

٣٥٤١ ـ عنِ السائبَ بنَ يزيدَ قالَ: «ذَهَبَتْ بِي خالتي إلى رسولِ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ اللّه إنَّ ابن أُختي وَقع، فمسحَ رأسي، ودعا لي بالبركةِ، وتَوَضأَ فشربتُ من وَضوئه، ثمَّ قمتُ خلف ظهرِهِ فَنَظرتُ إلى خاتمِ النُّبوَّةِ بينَ كَتِفَيه».

قوله (باب خاتم النبوة) أي صفته، وهو الذي كان بين كتفي النبي ﷺ، وكان من علاماته التي كان أهل الكتاب يعرفونه بها.

قوله (وَقِع) أي وجع والمراد أنه كان يشتكي رجله كما ثبت في غير هذا الطريق.

قوله (فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه) في حديث عبد الله بن سرجس عند مسلم أنه كان إلى جهة كتفه اليسرى، وقد وردت في صفة خاتم النبوة أحاديث منها عند مسلم عن جابر بن سمرة «كأنه بيضة حمامة»، وعند الترمذي «كبضعة ناشزة من اللحم».

قال القرطبي: اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزا أحمر عند كتفه الأيسر قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة وإذا كبر جمع اليد والله أعلم.

(١) كتاب الأدب باب ١٠٦ ح ٦١٨٧ - ٤ / ٥٠٢

٢٣ - باب صفة النبيِّ ﷺ

٣٥٤٢ - عن عُقبةَ بن الحارث قال: «صلَّى أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ العصرَ ثُمَّ خرج يمشي، فرأى الحَسن يَلعبُ معَ الصبيانِ، فحمَلَهُ على عاتقه وقال: بأبي شَبيهٌ بالنبيِّ، لا شبيهٌ بعليٍّ، وعليٌّ يَضحكُ».

[الحديث ٣٥٤٢ - طرفه في: ٣٧٥٠]

٣٥٤٣ - عنْ أبِي جُحَيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «رأيتُ النبيَّ ﷺ، وكان الحسنُ يُشبِهُهُ».

[الحديث ٣٥٤٣ - طرفه في: ٣٥٤٤]

٣٥٤٤ - عنْ أبِي جُحَيفَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «رأيتُ النبيَّ ﷺ وكَانَ الحسنُ بن عليٍّ عليهما السَّلامُ يُشْبِهه. قلتُ لأبي جُحيفةَ: صِفْهُ لي. قال: كان أبيضَ قد شمِط. وأمرَ لنا النبيُّ ﷺ بثلاثَ عشرةَ قَلوصاً. قال فقُبِضَ النبيُّ ﷺ قبلَ أن نَقبِضَها».

٣٥٤٥ - عنْ وَهبٍ أبِي جُحَيْفَةَ السوائيِّ قال: «رأيتُ النبيَّ ﷺ، وَرأيت بياضًا من تحتِ شَفَتَهِ السُّفْلى العَنْفَقة».

٣٥٤٦ - عن حريزِ بن عثمان أنه سَأل عبدَ الله بنَ بُسْرٍ صاحبَ النبيِّ ﷺ قال: أرأيتُ النبيَّ ﷺ كانَ شيخًا؟ قال: كان في عَنفقته شعراتٌ بِيض».

٣٥٤٧ - عنْ ربيعةَ بن أبِي عَبْد الرحمنِ قالَ: «سمعتُ أنَسَ بنَ مالكٍ يصفُ النبيَّ ﷺ قال: كان ربعةً من القومِ، ليسَ بالطويل ولا بالقَصير، أزهرَ اللّون، ليس بأبيضَ أمْهَق ولا آدَمَ، ليس بجَعْد قطط ولا سبطٍ رَجِل. أُنزِلَ عليه وهو ابن أربَعينَ، فَلَبِثَ بمكةَ عشرَ سنينَ يُنزَلُ عليه، وبالمدينة عشرَ سنين، وقُبِضَ وليس في رأسِهِ ولحيته عشرون شعرةً بيضاء. قال ربيعة: فرأيتُ شعراً من شعره فإذا هو أحمرُ، فسألت، فقيل: أحمرُ من الطِّيبِ».

[الحديث ٣٥٤٧ - طرفاه في: ٣٥٤٨، ٥٩٠٠]

٣٥٤٨ - عَنْ أنَسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ سمعه يقول: «كان رسولُ الله ﷺ ليس بالطويل البائنِ ولا بالقصيرِ، ولا بالأبيض الأمهَق وليس بالآدم، وليس بالجعْد القَطط ولا بالسَّبط. بعثَهُ الله على رأس أربعينَ سنةً، فأقامَ بمكةَ عشر سنينَ وبالمدينة عشرَسنين، فتوفَّاه اللهُ وليس في رأسه ولحيته عشرونَ شعرةً بيضاءَ».

٣٥٤٩ - عنْ أبِي إسْحاقَ قالَ: سمعتُ البَراءَ يقولُ: «كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ أحسنَ النَّاسِ وجهاً، وأحسنَه خَلقا، ليس بالطويل البائنِ ولا بالقصيرِ».

٣٥٥٠ - عن قَتَادةَ قالَ: «سألتُ أنساً: هل خَضَبَ النبيُّ ﷺ؟ قالَ: لا، إنَّما كانَ شيءٌ في صُدْغَيه».

[الحديث ٣٥٥٠ - طرفاه في: ٥٨٩٤، ٥٨٩٥]

٣٥٥١ ـ عنْ البراءِ بن عازبٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: «كان النبيُّ ﷺ مربوعاً بعيدَ ما بينَ المنكِبين، لهُ شعرٌ يبلغُ شحمةَ أذُنيه، رأيتُهُ في حُلّةٍ حمراءَ لمْ أرَ شيئاً قطُّ أحسَنَ منه». وقالَ يوسفُ بن أبي إسحقَ عنْ أبيهِ (إلى منكِبيه)

[الحديث ٣٥٥١ - طرفاه في: ٥٨٤٨، ٥٩٠١]

٣٥٥٢ ـ سُئل البَراءُ: أكانَ وجهُ النبيِّ ﷺ مثلَ السَّيفِ؟ قال: لا، بل مثلَ القمر».

٣٥٥٣ ـ عن الحكمِ قال سمعتُ أبا جُحَيفةَ قال: «خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ بالهاجِرةِ إلى البَطحاءِ فتوَضَأَ ثمَّ صلّى الظُّهرَ ركعتينِ والعصرَ ركعتينِ وبينَ يديهِ عنزةٌ» وزادَ فيه عونٌ عن أبيهِ أبي جحيفة قال: «كان يَمرُّ من ورائها المرأةُ. وقام الناسُ فجعلوا يأخذونَ يدَيه فيمسحونَ بهما وُجوهَهم، قال: فأخذتُ بيدِهِ فوضَعتُها على وَجهي، فإذا هي أبردُ من الثّلج وأطيبُ رائحةً منَ المِسْكِ».

٣٥٥٤ ـ عنِ ابن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهمَا قالَ: «كانَ النبيُّ ﷺ أجودَ الناسِ، وأجودُ ما يكونُ في رمضانَ حينَ يلقاهُ جبريلُ، وكان جبريلُ عليه السلام يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ من رمضانَ فيُدارِسهُ القرآنَ. فلَرَسولُ اللهِ ﷺ أجوَدُ بالخيرِ منَ الرِّيحِ المرسَلة».

٣٥٥٥ ـ عنْ عائشة رضيَ اللهُ عنهَا «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عليْهَا مَسروراً تبرقُ أساريرُ وَجهِهِ فقال: ألم تَسمعي ما قال المُدلِجيُّ لزيدٍ وأسامةَ -ورأى أقدامَهما-: إنَّ بعضَ هذه الأقدامَ مِن بعض».

[الحديث ٣٥٥٥ - أطرافه في: ٣٧٣١، ٦٧٧٠، ٦٧٧١]

٣٥٥٦ ـ عن عبْدِ اللهِ بن كعبٍ قالَ: «سمعتُ كعبَ بن مالكٍ يُحدِّثُ حينَ تخلّفَ عن تبوكَ قالَ: فلما سلّمتُ على رسولِ الله ﷺ وهو يبرُقُ وجهُهُ من السُّرورِ، وكان رسولُ اللهِ ﷺ إذا سُرَّ استنارَ وجهُهُ حتّى كأنّه قِطعةُ قمر، وكنّا نعرفُ ذلك منه».

٣٥٥٧ ـ عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «بُعِثْتُ من خير قرونِ بني آدمَ قرناً فقرناً حتى كنتُ منَ القرن الذي كنتُ منه».

٣٥٥٨ ـ عنْ ابن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَسْدُلُ شعرَه، وكان المشركون يفرُقونَ رءُوسَهم، وكان أهلُ الكتاب يَسدِلونَ رءُوسهم، وكان رسولُ اللهِ ﷺ يحبُّ مُوافقةَ أهلِ الكتاب فيما لم يُؤمَرْ فيه بشيءٍ، ثمَّ فرَقَ رسولُ اللهِ ﷺ رأسَه».

[الحديث ٣٥٥٨ - طرفاه في: ٣٩٤٤، ٥٩١٧]

٣٥٥٩ ـ عنْ عبدِ اللهِ بن عمْروٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ: «لمْ يَكنِ النبيُّ ﷺ فاحِشاً ولا متفحِّشاً، وكان يقول: إنَّ من خياركم أحسنكم أخلاقا».

[الحديث ٣٥٥٩ - أطرافه في: ٣٧٥٩، ٦٠٢٩، ٦٠٣٥]

٣٥٦٠ - عنْ عائشة رضي اللّهُ عنْهَا أنها قالت: «ما خُيِّر رسولُ اللّهِ ﷺ بين أمرَين إلا أخَذَ أيسرَهما مالم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناسِ منه، وما انتقم رسولُ اللّه ﷺ لنفسهِ، إلا أن تُنْتَهكَ حُرمةُ اللّهِ فينْتَقِمَ للّهِ بهَا».

[الحديث ٣٥٦٠ - أطرافه في: ٦١٢٦، ٦٧٨٦، ٦٨٥٣]

٣٥٦١ - عن أنسٍ رضي اللّه عنه قال «مامَسِسْتُ حريراً ولاديباجاً ألينَ من كفِّ النبيِّ ﷺ، ولا شَمِمْتُ ريحاً قطُّ -أو عَرْفا قطُّ- أطيبَ من ريحِ -أو عَرفِ- النبيِّ ﷺ.

٣٥٦٢ - عنْ أبِي سعيدٍ الخدريِّ رضيَ اللّهُ عنْهُ قالَ: «كانَ النبيُّ ﷺ أشدَّ حياءً منَ العَذراء في خِدْرِها».

[الحديث ٣٥٦٢ - طرفاه في: ٦١٠٢، ٦١١٩]

عنْ شُعبة مثلَه، «وإذا كرِهَ شيئاً عُرِفَ في وجهه».

٣٥٦٣- عنْ أبِي هُريرَةَ رضيَ اللّه عنْهُ قالَ: «مَا عابَ النبيُّ ﷺ طعامًا قطُّ، إن اشتهاهُ أكلَه، وإلا تركَه».

[الحديث ٣٥٦٣ - طرفه في: ٥٤٠٩]

٣٥٦٤ - عنْ عبدِ اللّه بن مالكٍ بن بُحَينةَ الأسديِّ قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا سجَدَ فرَّجَ بينَ يدَيه حتى نَرَى إبطيهِ».

قالَ: وقال ابنُ بُكير حدثنا بكرٌ «بياضَ إبطَيه».

٣٥٦٥ - عَنْ قتادةَ أنَّ أنساً رضيَ اللّهُ عنْهُ حدَّثَهم «أنَّ رسولَ اللّه ﷺ كان لا يرفَعُ يديه في شيءٍ من دُعائه إلا في الاستسقاءِ فإنَّهُ كانَ يرفَعُ يديه حتى يُرَى بياضُ إبطَيْه». وقال أبو موسى «دعا النبيُّ ﷺ ورفعَ يدَيه».

٣٥٦٦ - عنْ عونَ بنَ أبي جُحَيفةَ ذكرَ عن أبيه قال: «دُفعتُ إلى النبيِّ ﷺ وهو بالأبطح في قُبةٍ كان بالهاجرةِ، فخرجَ بلال فنادى بالصلاة، ثُمَّ دَخَلَ فأخرجَ فضل وَضُوءِ رسولِ اللّهِ ﷺ فوقعَ الناسُ عليه يأخذونَ منه، ثمَّ دخلَ فأخرجَ العنزَةَ، وخرجَ رسولُ اللّه ﷺ، كأني أنظرُ إلى وَبِيص ساقيهِ، فركزَ العنزَةَ ثمَّ صلَّى الظهر ركعَتَين، والعصرَ ركعتَين، يَمرُّ بينَ يدَيه الحمارُ والمرأةُ».

٣٥٦٧ - عنْ عروةَ عنْ عائشةَ رضيَ اللّهُ عنها «أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يُحدِّثُ حديثاً لو عَدَّهُ العادُّ لأحصاه».

[الحديث ٣٥٦٧ - طرفه في: ٣٥٦٨]

٣٥٦٨ - عنْ عائِشَةَ أنَّهَا قَالتْ: «ألا يَعْجِبُكَ أبو فلان جاءَ فجلس إلى جانبِ حجرتي يُحَدِّثُ عن رسولِ اللّه ﷺ يُسْمِعني ذلك، وكنت أسبِّحُ، فقام قبلَ أن أقضيَ سُبحتي، ولو

أدركتُهُ لردَدْتُ عليه، إنَّ رسولَ اللّه ﷺ لم يكن يسردُ الحديثَ كسَرْدِكم».

قوله (باب صفة النبي ﷺ) أي خلقه وخلقه.

قوله (كان أبيض قد شَمِط) أي صار سواد شعره مخالطا لبياضه.

قوله (وأمر لنا) أي له ولقومه، وكان أمر لهم بذلك على سبيل جائزة الوفد.

قوله (قلوصًا) هي الأنثى من الإبل، وقيل الشابة، وقيل الطويلة القوائم، وقوله (قبض النبي ﷺ قبل أن نقبضها) فيه إشعار بأن ذلك كان قرب وفاته ﷺ، وقد شهد أبو جحيفة ومن معه من قومه حجة الوداع كما في الرواية التي بعد هذه، فالذي يظهر أن أبا بكر وفَّى لهم بالوعد المذكور كما صنع بغيرهم. ثم وجدت ذلك منقولا صريحا، ففي رواية الإسماعيلي من طريق محمد بن فضيل بالإسناد المذكور «فذهبنا نقبضها فأتانا موته فلم يعطونا شيئاً، فلما قام أبو بكر قال: من كانت له عند رسول الله ﷺ عدة فليجيء، فقمت إليه فأخبرته فأمر لنا بها» وقد تقدم البحث في هذه المسألة في الهبة[1].

قوله (وكان ربعة) وقد فسره في الحديث المذكور بقوله «ليس بالطويل البائن ولا بالقصير» والمراد بالطويل البائن المفرط في الطول مع اضطراب القامة، ووقع في حديث أبي هريرة عند الذهلي في «الزهريات» بإسناد حسن «كان ربعة وهو إلى الطول أقرب».

قوله (أزهر اللون) أي أبيض مشرب بحمرة، المراد أنه ليس بالأبيض الشديد البياض.

قوله (فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه) مقتضى هذا أنه عاش ستين سنة، وأخرج مسلم من وجه آخر عن أنس «أنه ﷺ عاش ثلاث وستين» وهو موافق لحديث عائشة الماضي قريبا وبه قال الجمهور.

قوله (بعيد ما بين المنكبين) أي عريض أعلى الظهر، ووقع في حديث أبي هريرة عند ابن سعد «رحب الصدر».

قوله (مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر) كأن السائل أراد أنه مثل السيف في الطول، فرد عليه البراء فقال: «بل مثل القمر» أي في التدوير، ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف في اللمعان والصقال؟ فقال: بل فوق ذلك، وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان.

---

(١) كتاب الهبة باب / ١٨ ح ٢٥٩٨ - ٢ / ٤٥٠

قوله (استنار وجهه كأنه[١] قطعة قمر) أي الموضع الذي يبين فيه السرور، وهو جبينه.

قوله (وكان[٢] يحب موافقة أهل الكتاب) أي حيث كان عباد الأوثان كثيرين.

قوله (فيما لم يؤمر فيه بشيء) أى فيما لم يخالف شرعه لأن أهل الكتاب في زمانه كانوا متمسكين ببقايا من شرائع الرسل فكانت موافقتهم أحب إليه من موافقة عباد الأوثان، فلما أسلم غالب عباد الأوثان أحب ﷺ حينئذ مخالفة أهل الكتاب.

قوله (فاحشا ولا متفحشا) أي ناطقًا بالفحش، وهو الزيادة على الحد في الكلام السيء، والمتفحش المتكلف لذلك أي لم يكن له الفحش خلقا ولا مكتسبا، ووقع عند الترمذي من طريق أبي عبد الله الجدلي قال: «سألت عائشة عن خلق النبي ﷺ فقالت: لم يكن فاحشا ولا متفحشا، ولا سخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح». وقد روى المصنف في الأدب من حديث أنس «لم يكن رسول الله ﷺ سبابًا ولا فحاشا ولا لعانا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: ماله تربت جبينه» ولأحمد من حديث أنس «أن النبي ﷺ كان لا يواجه أحد في وجهه بشيء يكرهه» ولأبي داود من حديث عائشة «كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون».

قوله (بين أمرين) أي من أمور الدنيا، يدل عليه قوله «مالم يكن إثما» لأن أمور الدين لا إثم فيها.

قوله (وما انتقم لنفسه) أي خاصة، فلا يرد أمره بقتل عقبة بن أبي معيط وعبدالله ابن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله، وقيل أرادت أنه لا ينتقم إذا أوذي في غير السبب الذي يخرج إلى الكفر، كما عفا عن الأعرابي الذي جفا في رفع صوته عليه، وعن الآخر الذي جبذ بردائه حتى أثر في كتفه، وفي الحديث الحث على ترك الأخذ بالشيء لعسر، والاقتناع باليسر، وترك الإلحاح فيما لا يضطر إليه. ويؤخذ من ذلك الندب إلى الأخذ بالرخص ما لم يظهر الخطأ، والحث على العفو إلا في حقوق الله تعالى، والندب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحل ذلك ما لم يفض إلى ما هو أشد منه. وفيه ترك الحكم للنفس وإن كان الحاكم متمكنا من ذلك بحيث يؤمن منه الحيف على المحكوم عليه، لكن لحسم المادة والله أعلم.

قوله (ولا ديباجا) هو من عطف الخاص على العام، لأن الديباج نوع من الحرير.

قوله (أو عَرْفا) والعرف الريح الطيب.

قوله (أشد حياء من العذراء)أي البكر، ومحل وجود الحياء منه ﷺ في غير حدود الله.

---

(١) في المتن واليونينية "استنار وجهه حتى كأنه قطعه قمر"
(٢) في المتن واليونينية "وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه"

قوله (ما عاب رسول الله[١] ﷺ طعاما قط) وهو محمول على الطعام المباح كما سيأتي تقرير ذلك في كتاب الأطعمة[٢] إن شاء الله تعالى.

قوله (لو عده العاد لاحصاه) أي لو عد كلماته أو مفرداته أو حروفه لأطاق ذلك وبلغ آخرها، والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم.

قوله (وكنت أسبح) أي أصلي نافلة.

قوله (ولو أدركته لرددت عليه) أي لأنكرت عليه وبينت له أن الترتيل في التحديث أولى من السرد.

قوله (لم يكن يسرد الحديث كسردكم) أي يتابع الحديث استعجالا بعضه إثر بعض، لئلا يلتبس على المستمع.

٢٤ ـ باب كانَ النبيُّ ﷺ تنامُ عينُهُ ولا ينامُ قلبُه

رواهُ سعيد بن ميناءَ عن جابرٍ عن النبيِّ ﷺ

٣٥٦٩ ـ عنْ أبِي سَلَمةَ بن عبدِالرَّحمنِ «أنَّهُ سألَ عائشةَ رضيَ اللَّه عنْهَا: كيفَ كانت صلاةُ رسولِ اللَّه ﷺ في رمضانَ؟ قالت: ما كانَ يزيد في رمضانَ ولا غيرهِ علَى إحدَى عشرةَ ركعة: يُصلِّي أربعَ ركعاتٍ فلا تسألْ عن حُسنهنَّ وطُولهنَّ، ثم أربعاً فلا تسألْ عن حسنهنَّ وطولهنَّ، ثم يُصلِّي ثلاثاً. فقلتُ: يا رسولَ اللَّه تنامُ قبلَ أن تُوترَ؟ قال: تَنامُ عيني ولا يَنامُ قلبي».

٣٥٧٠ ـ عنْ شريكِ بن عبدِ اللَّه بن أبي نَمرٍ «سمعتُ أنسَ بن مالكٍ يُحدِّثنا عن ليلةِ أسرِيَ بالنبيِّ ﷺ من مسجدِ الكعبةِ: جاءَه ثلاثةُ نَفرٍ قَبل أن يُوحى إليه -وهو نائمٌ في المسجدِ الحرام- فقال أوَّلهم: أيُّهم هو؟ فقال أوسَطُهم: هو خيرُهم. وقال آخرُهم: خذوا خيرَهم فكانَتْ تلك. فلَمْ يَرَهم حتى جاءُوا ليلةً أخرى فيما يرَى قلبُه، والنبيُّ ﷺ نائمةٌ عيناه ولايَنام قلبُه، وكذلكَ الأنبياءُ تنام أعينُهم ولا تَنَامُ قلوبُهم. فتَولاّهُ جبريل، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إلى السماءِ».

[الحديث ٣٥٧٠ - أطرافه في: ٤٩٦٤، ٥٦١٠، ٦٥٨١، ٧٥١٧]

قوله (جاءه ثلاثة نفر) هم ملائكة، ولم أتحقق أسماءهم.

قوله (فقال أولهم: أيهم) هو مشعر بأنه كان نائما بين اثنين أو أكثر، وقد قيل أنه كان نائما بين عمه حمزة وابن عمه جعفر بن أبي طالب.

٢٥ ـ باب علاماتِ النُّبُوَّةِ في الإسلامِ

٣٥٧١ ـ عن عمرانَ بن حُصَينٍ أنهم كانوا معَ النبيِّ ﷺ في مَسِيرٍ فأدلَجوا ليلتَهمْ، حتّى إذَا كانَ وجْهُ الصُّبح عَرَّسوا، فغَلَبَتهم أعينُهم حتى ارتفعت الشمسُ، فكانَ أولَ منِ استيقظَ من منامه أبو بكرٍ -وكان لا يوقَظُ رسولُ اللَّه ﷺ مِنْ منامهِ حتى يستيقِظَ-

(١) في المتن واليونينية "وما عاب النبي ﷺ"
(٢) كتاب الأطعمة باب / ٢١ ح ٥٤٠٩ - ٩ / ٥٤٧

فاستيقَظَ عمرُ، فقعدَ أبو بكرٍ عند رأسهِ فجعلَ يكبِّرُ ويرفع صوته حتى استيقظَ النبيُّ ﷺ فنزَلَ وصلّى بنا الغداةَ، فاعتزَلَ رجلٌ من القوم لم يصلِّ معنا، فلمَّا انصرفَ قالَ: يا فلانُ ما يمنَعكَ أن تصلِّي معنا؟ قال: أصابتني جَنابة، فأمرَه أن يَتيمَّمَ بالصَّعيدِ ثمَّ صلَّى وجعَلني رسولُ الله ﷺ في ركوبٍ بينَ يديَه وقد عَطِشنا عطَشاً شديداً، فبينما نحنُ نسيرُ إذا نحن بامرأةٍ سادلةٍ رجليها بينَ مزادتَين، فقلنا لها: أين الماءُ؟ فقالت: إنه لا ماءَ. فقلنا: كم بينَ أهلكَ وبينَ الماءِ؟ قالتْ: يومٌ وليلةٌ. فقلنا: انطلقي إلى رسولِ الله ﷺ؟ قالت: وما رسولُ الله؟ فلم نُملِّكها حتى استقبلنا بها النبيَّ ﷺ، فحدَّثَتْهُ بمثل الذي حدَّثَتْنا، غير أنها حدثته أنها مُؤتِمة، فأمر بمزادتيها فمسح في العَزلاوَين، فشَرِبنا عِطاشاً أربعون رجلا حتى رَوِينا، فملأنا كلَّ قربةٍ معَنا وإداوةٍ غيرَ أنهُ لم نسقِ بعيراً، وهي تكادُ تَنِضُّ منَ الملْءِ. ثم قال: هاتوا ما عندكم، فجمَعَ لها من الكِسَرِ والتمر حتى أتَت أهلَها قالت: لقيتُ أسْحرَ الناسِ، أو هوَ نبيٌّ كما زَعموا. فهدَى اللهُ ذاك الصِّرمَ بتلكَ المرأة فأسلمتْ وأسلموا».

٣٥٧٢ - عن أنَسٍ رضيَ الله عنه قالَ: «أُتيَ النبيُّ ﷺ بإناءٍ وهو بالزَّوْراءِ، فوضعَ يدهُ في الإناءِ فجعلَ الماءَ ينبعُ من بين أصابعهِ، فتوضَّأَ القومُ. قالَ قَتادةُ قلتُ لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة، أو زُهاءَ ثلاثمائةٍ».

٣٥٧٣ - عنْ أنَسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ: «رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وحانَتْ صلاةُ العصر، فالتُمِسَ الوَضوء فلم يَجدوه، فأتِيَ رسولُ الله ﷺ بوَضُوءٍ فوَضعَ رسولُ الله ﷺ يدهُ في ذلك الإناءِ فأمر الناسَ أن يَتوضَّئوا منه، فرأيتُ الماءَ يَنبعُ من تحتِ أصابعهِ، فتوضأ الناسُ حتى توضئوا من عندِ آخرِهم».

٣٥٧٤ - عن أنَسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «خَرَجَ النبيُّ ﷺ في بعضِ مخارجهِ ومعهُ ناسٌ من أصحابهِ، فانطلقوا يَسيرون، فحضرتِ الصلاةُ فلم يَجدوا ماءً يَتوضئون. فانطلقَ رجلٌ منَ القوم فجاءَ بقدَحٍ من ماءٍ يسيرٍ، فأخذَهُ النبي ﷺ فتوضأ، ثمَّ مدَّ أصابعَهُ الأربع على القدَحِ، ثم قال: قوموا فتَوضئوا، فتوضأ القومُ حتى بلغوا فيما يُريدونَ من الوضوء وكانوا سبْعين أو نحوَه».

٣٥٧٥ - عنْ أنَسٍ رضي اللهُ عنهُ قالَ: «حضرتِ الصلاةُ، فقام من كان قريبَ الدار منَ المسجدِ يتوضأ، وبقيَ قومٌ. فأُتيَ النبيُّ ﷺ بمِخْضَبٍ من حجارةٍ فيه ماءٌ، فوضعَ كفَّه فصغُرَ المِخضَبُ أن يبسُطَ فيهِ كفَّهُ، فضمَّ أصابعَهُ فوضعَها في المِخْضَب، فتوضأ القومُ كلُّهم جميعًا. قلتُ: كم كانوا؟ قال: ثمانون رجلا».

٣٥٧٦ - عنْ جابِرِ بن عَبْدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهما قالَ: «عَطِشَ الناسُ يومَ الحُديبيةِ والنبيُّ ﷺ بينَ يديهِ رِكْوةٌ، فتوضأ فجَهِشَ الناسُ نحوهُ فقال: مالكم؟ قالوا: ليس عندنا ماءٌ نَتوَضأُ ولا نشرَبُ إلا ما بين يدَيك. فوضعَ يدهُ في الرَكوةِ، فجعل الماء يَثورُ بين أصابعهِ كأمثال العُيون. فشربنا وتوضأنا. قلتُ: كم كنتم. قال: لو كنَّا مائةَ ألفٍ لكفانا، كنَّا خمسَ عشرةَ مائة».

[الحديث ٣٥٧٦-أطرافه في: ٤١٥٢، ٤١٥٣، ٤١٥٤، ٤٨٥٤، ٥٦٣٩]

٣٥٧٧ - عن البراءِ رضي اللهُ عنهُ قالَ: «كُنَّا يَوْمَ الحُديبية أربعَ عشرة مائةً، والحُديبيةُ بئرٌ، فنزَحْناها حتى لم نترُكْ فيها قطرةً، فجلس النبيُّ ﷺ على شَفيرِ البئرِ، فدعا بماءٍ فمَضْمَضَ ومجَّ في البئرِ، فمكَثْنا غير بعيدٍ، ثم استَقَينا حتى رَوِينا ورَوَتْ -أو صدَرَتْ- ركائبُنا».

[الحديث ٣٥٧٧ - طرفاه في: ٤١٥٠، ٤١٥١]

قوله (باب علامات النبوة في الإسلام) العلامات جمع علامة، وعبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة، والفرق بينهما أن المعجزة أخص لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبي من يكذبه بأن يقول: إن فعلت كذلك أتصدق بأني صادق؟ أو يقول من يتحداه: لا أصدقك حتى تفعل كذا. ويشترط أن يكون المتحدَّى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة. وقد وقع النوعان للنبي ﷺ في عدة مواطن، وسميت المعجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها وأشهر معجزات النبي ﷺ القرآن لأنه ﷺ تحدى به العرب -وهم أفصح الناس لسانا وأشدهم اقتدارا على الكلام- بأن يأتوا بسورة مثله فعجزوا مع شدة عداوتهم له وصدهم عنه، حتى قال بعض العلماء: أقصر سورة في القرآن {إنا أعطيناك الكوثر} فكل قرآن من سورة أخرى كان قدر {إنا أعطيناك الكوثر} سواء كان آية أو أكثر أو بعض آية فهو داخل فيما تحداهم به، وعلى هذا فتصل معجزات القرآن من هذه الحيثية إلى عدد كثير جدا. ووجوه إعجاز القرآن من جهة حسن تأليفه والتئام كلماته وفصاحته وإيجازه في مقام الإيجاز، وبلاغته ظاهرة جدا مع ما انضم إلى ذلك من حسن نظمه وغرابة أسلوبه، مع كونه على خلاف قواعد النظم والنثر هذا إلى ما اشتمل عليه من الإخبار بالمغيبات مما وقع من أخبار الأمم الماضية مما كان لا يعلمه إلا أفراد من أهل الكتاب، ولم يُعلم أن النبي ﷺ اجتمع بأحد منهم ولا أخذ عنهم، هذا مع الهيبة التي تقع عند تلاوته والخشية التي تلحق سامعه وعدم دخول الملال والسآمة على قارئه وسامعه، مع تيسر حفظه لمتعلميه وتسهيل سرده لتاليه، ولا ينكر شيئاً من ذلك إلا جاهل أو معاند، ولهذا أطلق الأئمة أن معظم معجزات النبي ﷺ القرآن، ومن أظهر معجزات القرآن إبقاؤه مع استمرار الإعجاز.

وأما ماعدا القرآن من نبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام وانشقاق القمر ونطق الجماد، فمنه ما وقع التحدي به ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحد، ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده ﷺ من خوارق العادات شيء كثير.

قوله (في الإسلام) أي من حين المبعث وهلم جرا دون ما وقع قبل ذلك، ومما ظهر من علامات نبوته عند مولده وبعده ما أخرجه الطبراني عن عثمان ابن أبي العاص الثقفي عن أمه أنها حضرت آمنة أم النبي ﷺ فلما ضربها المخاض قالت: فجعلت أنظر إلى النجوم تدلى حتى أقول لتقعن علي، فلما ولدت خرج منها نور أضاء له البيت والدار، وروى ابن حبان والحاكم في قصة رضاعه ﷺ من طريق ابن إسحق بإسناده إلى حليمة السعدية الحديث بطوله، وفيه من العلامات كثرة اللبن في ثدييها، ووجود اللبن في شارفها بعد الهزال الشديد، وسرعة مشى حمارها، وكثرة اللبن في شياهها بعد ذلك، وخصب أرضها، وسرعة نباته، وشق الملكين صدره. وهذا الأخير أخرجه مسلم من حديث أنس.

قوله (فشربنا عطاشا أربعون رجلا) أي ونحن حينئذ أربعون.

قال عياض: هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير عن الجم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجمع العساكر، ولم يرد عن أحد منهم إنكار على راوي ذلك، فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاته. وقال القرطبي: قضية نبع الماء من بين أصابعه ﷺ تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي.

قال القرطبي: ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه، وقد نقل ابن عبد البر عن المزني أنه قال: «نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه، لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم انتهى.

قوله (وهو بالزوراء) مكان معروف بالمدينة عند السوق.

قوله (عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة) سيأتي شرح الحديث مستوفى في غزوة الحديبية[١] إن شاء الله تعالى.

٣٥٧٨ ـ عن أَنَسِ بن مالكٍ قال: «قالَ أبُو طَلحةَ لأُمِّ سُلَيم: لقد سمعتُ صوتَ رسولِ اللّه ﷺ ضعيفاً أعرِف فيه الجوعَ، فهل عندكِ من شيء؟ قالت: نعم. فأخرجَتْ أقراصاً من شعير، ثُمَّ أخرَجَتْ خماراً لها فلفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِه، ثُمَّ دسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي ولاثتني ببَعْضه ثُمَّ أرْسَلَتْني إلى رسولِ اللّه ﷺ، قال فذهبتُ به فوجدْتُ رسولَ اللّه ﷺ في المسجد ومَعَهُ الناسُ، فقمت عليهم، فقال لي رسولُ اللّه ﷺ: آرسلك أبو طلحة؟ فقلتُ: نعم. قالَ: بطعام؟

(١) كتاب المغازي باب / ٣٥ ح ٤١٥٢ - ٣ / ٣٣٥

قلتُ: نعم. فقال رسولُ الله ﷺ لمن معهُ: قوموا. فانطلق وانطلقتُ بينَ أيديهم حتى جئتُ أبا طلحةَ فأخبرتهُ، فقال أبو طلحةَ: يا أمَّ سليمٍ قد جاءَ رسولُ الله ﷺ بالنَّاسِ، وليس عندنَا ما نُطعمُهم. فقالت: اللهُ ورسولُهُ أعلم. فانطلقَ أبو طلحةَ حتى لقيَ رسولَ الله ﷺ، فأقبَلَ رسولُ الله ﷺ وأبو طلحَةَ معَهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: هَلُمي يا أمَّ سُليمٍ مَا عندكِ، فأتَتْ بذلكَ الخبزِ، فأمَرَ به رسولُ الله ﷺ ففُتَّ، وعصرَتْ أمُّ سُليمٍ عُكَّةً فأدَمَتْهُ، ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ فيه ما شاءَ اللهُ أن يقولَ. ثم قال: ائْذَنْ لعَشَرةٍ، فأذِنَ لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ائْذَنْ لعشرةٍ، فأذِنَ لَهُم، فأكلوا حتى شبعوا ثُمَّ خرجوا، ثُمَّ قالَ: ائْذن لعشرةٍ، فأذن لهم، فأكلوا حتَّى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: ائْذَنْ لعشرةٍ، فأكلَ القومُ كلُّهم حتى شبعوا، والقومُ سبعونَ أو ثمانونَ رجُلا».

٣٥٧٩ ـ عنْ عبدِ الله قالَ: «كُنَّا نعدُّ الآياتِ بركةً، وأنتم تعُدُّونها تخويفاً، كنَّا معَ رسولِ اللهِ ﷺ في سفرٍ فقلَّ الماء، فقال: اطلبُوا فضلةً من ماءٍ، فجاءُوا بإناءٍ فيه ماءٌ قليلٌ، فأدخلَ يدَهُ في الإناءِ ثم قالَ: حيَّ على الطَّهورِ المبارَكِ، والبركةُ منَ اللهِ، فلقد رأيتُ الماءَ ينبُعُ من بينِ أصابعِ رسولِ اللهِ ﷺ، ولقَد كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطعامِ وهوَ يُؤكَل».

٣٥٨٠ ـ عنْ جَابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ «أنَّ أبَاهُ تُوفِّيَ وعليه دينٌ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: إنَّ أبي ترك عليه ديناً، وليس عندي إلا ما يُخرجُ نخلهُ، ولا يبلُغُ ما يُخرجُ سنينَ ما عليه، فانطلِقَ معي لكيْ لا يُفحِشَ عليَّ الغُرَماءُ، فمشى حَولَ بَيْدرٍ من بَيادرِ التمرِ فدَعا، ثُمَّ آخَرَ، ثم جلسَ عليهِ فقالَ: انزعوهُ، فأوفاهُمْ الَّذي لهم، وبَقِيَ مثلُ ما أعطاهم».

٣٥٨١ ـ عنْ عبْدِ الرَّحْمن بنِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا «أنَّ أصْحَابَ الصُّفَّةِ كانوا أناساً فُقَراءَ، وأنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: مرةً: مَن كان عندَهُ طعامُ اثنين فلْيذهَبْ بثالثٍ، ومَنْ كَانَ عِنْدَهُ طعَامُ أربعةٍ فليَذْهَبْ بخامسٍ أو سادسٍ. أو كما قال. وأنَّ أبا بكرٍ جاء بثلاثةٍ، وانطلقَ النبيُّ ﷺ بعشرة، وأبوبكر ثلاثة، قال: فهو أنا وأبي وأمي، ولا أدري هل قال امرأتي وخادمي بينَ بيتنا وبين بيت أبي بكر، وأنَّ أبَا بكرٍ تَعشى عنْد النبيِّ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حتَّى صلَّى العِشاءَ، ثمَّ رجع فلَبِثَ حتَّى تَعشَى رسولُ الله ﷺ فجاءَ بَعْد مَا مَضَى منَ الليل ما شاءَ الله. قالت له امرأتُهُ ماحبَسَكَ عن أضيافك -أو ضيفك-؟ قال أوَ عشَّيتِهم؟ قالت: أبَوْا حتَّى تجيءَ، قد عرَضوا عليهم فَغَلَبوهم. قال: فذهبتُ فاختبأتُ. فقال: يا غُنْثَر -فجدَّعَ وسبَّ- وقال: كلوا. وقال: لا أطعَمُهُ أبداً. قالَ: وايمُ اللهِ ما كنَّا نَأخذ من اللُّقمة إلا رَبا من أسفلها أكثرُ منها، حتى شَبِعوا وصارت أكثرَ مما كانت قبلُ.

فَنَظَر أبُو بَكْر فإذَا شَيءٌ أو أكثرُ. فقال لأمرأته: يا أختَ بني فراس. قالت: لا وقُرَّةِ عيني، لَهْيَ الآن أكثرُ مما قبل بثلاث مرار. فأكلَ منها أبو بكر وقال: إنما كان الشيطانُ -يعني يمينَه- ثم أكل منها لقمةً، ثم حملها إلى النبيِّ ﷺ فأصبحَتْ عندَه. وكان بيننا وبين قومٍ عهدٌ، فمضى الأجلُ ففرَّقنا اثنا عشرَ رجُلاً مع كل رجل منهم أناسٌ اللّهُ أعلم كم معَ كلِّ رجل، غيرَ أنَّهُ بعثَ معهم، قال: أكَلُوا منها أجمعون، أو كما قال» وغيرُهُ يقولُ «فعرفناه» من العِرافة.

٣٥٨٢ ـ عنْ أنَسٍ رضيَ اللّهُ عنْهُ قالَ: «أصابَ أهلَ المدينةِ قحطٌ على عهدِ رسولِ اللّه ﷺ، فبينا هوَ يخطُبُ يومَ جمعة إذ قام رجلٌ فقال: يا رسولَ اللّه، هَلكَتِ الكُراعُ، هَلكَتِ الشاءُ، فادعُ اللّه يَسقينا. فمدَّ يدَهُ ودَعا. قال أنسٌ: وإنَّ السماءَ كمِثلِ الزُّجاجةِ. فهاجَت ريحٌ أنشأتْ سحاباً، ثم اجتمعَ، ثم أرسلتِ السماءُ عَزاليها، فَخَرجنا نخوضُ الماءَ حتى أتَينا منازلَنا، فلم نزَل نُمطَرُ إلى الجمعةِ الأخرى. فقامَ إليهِ ذلكَ الرجلُ -أو غيرُهُ- فقال: يا رسولَ اللّهِ، تهدَّمَتِ البُيوتُ، فادعُ اللّه يَحبِسْهُ. فتبسَّمَ ثُمَّ قالَ: حَوالَينا ولا علَينا. فنظَرْتُ إلى السحابِ يتصدَّعُ حولَ المدينةِ كأنه إكليل».

قوله (قال أبو طلحة) هو زيد بن سهل الأنصاري زوج أم سليم والدة أنس، والمراد بالمسجد الموضع الذي أعده النبي ﷺ للصلاة فيه حين محاصرة الأحزاب للمدينة في غزوة الخندق.

قوله(ولاثتنى ببعضه) أي لفتني به والمراد أنها لفت بعضه على رأسه وبعضه على إبطه.

قوله(فقال لي رسول الله ﷺ آرسلك أبو طلحة؟ فقلت: نعم، قال: بطعام؟ قلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا) ظاهره أن النبي ﷺ فهم أن أبا طلحة استدعاه إلى منزله فلذلك قال لمن عنده قوموا، وأول الكلام يقتضي أن أم سليم وأبا طلحة أرسلا الخبز مع أنس، فيجمع بأنهما أرادا بإرسال الخبز مع أنس أن يأخذه النبي ﷺ فيأكله، فلما وصل أنس ورأى كثرة الناس حول النبي ﷺ استحيى وظهر له أن يدعو النبي ﷺ ليقوم معه وحده إلى المنزل فيحصل مقصودهم من إطعامه، ويحتمل أن يكون ذلك عن رأى من أرسله، عهد إليه إذا رأى كثرة الناس أن يستدعي النبي ﷺ وحده خشية أن لا يكفيهم ذلك الشيء هو ومن معه، وقد عرفوا إيثار النبي ﷺ وأنه لا يأكل وحده، وقد وجدت أن أكثر الروايات تقتضي أن أبا طلحة استدعى النبي ﷺ في هذه الواقعة.

قوله (وعصرت أم سليم عكة فأدمته) أي صيرت ما خرج من العكة له إداما، والعكة بضم المهملة وتشديد الكاف إناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالبا والعسل.

قوله (كنا نعد الآيات) أي الأمور الخارقة للعادات.

قوله (بركة، وأنتم تعدونها تخويفا) الذي يظهر أنه أنكر عليهم عد جميع الخوارق تخويفا، وإلا فليس جميع الخوارق بركة، فإن التحقيق يقتضي عد بعضها بركة من الله كشبع الخلق الكثير من الطعام القليل وبعضها بتخويف من الله ككسوف الشمس والقمر، كما قال ﷺ«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده».

قوله (حي على الطهور المبارك) أي هلموا إلى الطهور.

قوله (ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) أي في عهد رسول الله ﷺ غالباً.

قوله (أن أباه) هو عبد الله بن عمرو بن حرام.

قوله (وليس عندي إلا ما يخرج نخله) يعني أنه لم يترك مالا إلا البستان المذكور.

قوله (ولا يبلغ ما يخرج نخله سنين) أي في مدة سنين (ما عليه) أي من الدين.

قوله (فانطلق معي لكيلا يفحش عليَّ الغرماء، فمشى) فيه حذف تقديره: فقال نعم، فانطلق فوصل إلى الحائط فمشى، وفي الحديث من الفوائد جواز الاستنظار في الدين الحال، وجواز تأخير الغريم لمصلحة المال الذي يوفَّى منه، وفيه مشي الإمام في حوائج رعيته، وشفاعته عند بعضهم في بعض. وفيه علم ظاهر من أعلام النبوة لتكثير القليل إلى أن حصل به وفاء الكثير وفضل منه.

قوله (إن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء) سيأتي ذكرهم في كتاب الرقاق، وأن الصفة مكان في مؤخر المسجد النبوي مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل، وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر، وقد سرد أسماءهم أبو نعيم في «الحلية» فزادوا على المائة.

قوله (فقال: يا غنثر فجدع وسب) في رواية الجريري فقال: «يا غنثر أقسمت عليك إن كنت تسمع صوتي لما جئت، قال فخرجت فقلت والله مالي ذنب، هؤلاء أضيافك فسلهم. قالوا صدقك قد أتانا، وقوله (فجدع وسب) أى دعا عليه بالجدع وهو قطع الأذن أو الأنف أو الشفة.

قال القرطبي: ظن أبو بكر أن عبد الرحمن فرط في حق الأضياف.

قوله (وقال لا أطعمه أبدا) قال ابن التين: لم يخاطب أبو بكر أضيافه بذلك إنما خاطب أهله.

قوله (إلا ربا) أي زاد. وقوله (من أسفلها) أي الموضع الذي أخذت منه.

قوله (قالت لا وقرة عيني) قرة العين يعبر بها عن المسرة ورؤية ما يحبه لإنسان ويوافقه.

قوله (فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان الشيطان، يعني يمينه) كذا هنا وفيه حذف

تقدمها تقديره: وإنما كان الشيطان الحامل على ذلك، يعني الحامل على يمينه التي حلفها في قوله «والله لا أطعمه» ووقع عند مسلم والإسماعيلي «وإنما كان ذلك من الشيطان» يعني يمينه. لأنه قصد بتزيينه له اليمين إيقاع الوحشة بينه وبين أضيافه، فأخزاه أبو بكر بالحنث الذي هو خير.

قوله (ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده) أي الجفنة على حالها، وإنما لم يأكلوا منها في الليل لكون ذلك وقع بعد أن مضى من الليل مدة طويلة.

قوله (ففرقنا اثنا عشر رجلا مع كل رجل منهم أناس) كذا هو هنا من التفريق أى جعلهم اثنى عشر فرقة.

قوله (الله أعلم كم مع كل رجل غير أنه بعث معهم) يعني أنه تحقق أنه جعل عليهم اثنا عشر عريفا لكنه لا يدري كم كان تحت يد كل عريف منهم لأن ذلك يحتمل الكثرة والقلة، غير أنه يتحقق أنه بعث معهم -أي مع كل ناس- عريفا.

قوله (قال أكلوا منها أجمعون، أو كما قال) فالحاصل أن جميع الجيش أكلوا من تلك الجفنة التي أرسل بها أبو بكر إلى النبي ﷺ، وظهر بذلك أن تمام البركة في الطعام المذكور كانت عند النبي ﷺ لأن الذي وقع فيها في بيت أبي بكر ظهور أوائل البركة فيها، وأما انتهاؤها إلى أن تكفي الجيش كلهم فما كان إلا بعد أن صارت عند النبي ﷺ على ظاهر الخبر، والله أعلم، وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم التجاء الفقراء إلى المساجد عند الاحتياج إلى المواساة إذا لم يكن في ذلك إلحاح ولا إلحاف ولا تشويش على المصلين وفيه استحباب مواساتهم عند اجتماع هذه الشروط، وفيه التوظيف في المخمصة، وفيه جواز الغيبة عن الأهل والولد والضيف إذا أعدت لهم الكفاية، وفيه تصرف المرأة فيما تقدم للضيف والإطعام بغير إذن خاص من الرجل، وفيه جواز سب الوالد للولد على وجه التأديب والتمرين على أعمال الخير وتعاطيه، وفيه جواز الحلف على ترك المباح، وفيه توكيد الرجل الصادق لخبره بالقسم، وجواز الحنث بعد عقد اليمين، وفيه التبرك بطعام الأولياء والصلحاء[(١)]، وفيه عرض الطعام الذي تظهر فيه البركة على الكبار وقبولهم ذلك، وفيه ما يقع من لطف الله تعالى بأوليائه وذلك أن خاطر أبي بكر تشوش وكذلك ولده وأهله وأضيافه بسبب امتناعهم من الأكل، وتكدر خاطر أبي بكر من ذلك حتى احتاج إلى ما تقدم ذكره من الحرج بالحلف وبالحنث وبغير ذلك، فتدارك الله ذلك ورفعه عنه بالكرامة التي أبداها له، فانقلب ذلك الكدر صفاء والنكد سرورا ولله الحمد والمنة.

---

(١) هذا من خصائص النبي ﷺ ، ولذلك لم ينقل أن الصحابة فعلوه مع غيره ﷺ ولا أن التابعين فعلوه مع أحد من الصحابة رضوان الله عليهم.

قوله (هلكت الكراع) والمراد به الخيل، وقد يطلق على غيرها من الحيوان.

قوله (كمثل الزجاجة) أي من شدة الصفاء ليس فيها شيء من السحاب.

قوله (إكليل) هي العصابة التي تحيط بالرأس.

٣٥٨٣ - عنْ ابن عمرَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «كَانَ النبيُّ ﷺ يَخْطُبُ إلى جذعٍ، فلمَّا اتخذَ المنبرَ تحوَّلَ إليه، فحنَّ الجذعُ، فأتاهُ فمسح يدهُ عليه».

٣٥٨٤ - عن جابرِ بنِ عبْدِ اللَّه رضيَ اللَّهُ عنهُمَا «أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَقُوم يَوْمَ الجمعةِ إلى شجرةٍ أو نخلةٍ، فقالتِ امرأةٌ من الأنصار -أو رجلٌ-: يا رسولَ اللهِ ألا نجعلُ لك مِنبَرًا؟ قال: إن شئتم. فجعلوا لهُ مِنبَراً. فلما كان يوم الجمعةِ دُفع إلى المنبر، فصاحت النخلةُ صِياحَ الصبيِّ، ثمَّ نزل النبيُّ ﷺ فضمَّهُ إليه، يئنُّ أنين الصبيِّ الذي يسكَّنُ. قال كانَتْ تَبْكِي على مَاكانَتْ تَسْمعُ من الذكر عندها».

٣٥٨٥ - عن جابرِ بن عبْدِ اللهِ رضيَ اللَّهُ عنهُمَا يَقُولُ: «كانَ المسجد مسقوفاً على جُذُوعٍ من نخل، فكان النبيُّ ﷺ إذا خطبَ يقوم إلى جذعٍ منها، فلما صُنِعَ لَهُ المنبرُ فكان عليهِ فسمعنا لذلكَ الجذعِ صوتاً كصوتِ العِشارِ، حتَّى جاءَ النبيُّ ﷺ فوضعَ يدَهُ عليها، فسكَنَتْ».

قوله (فأتاه فمسح يده عليه) في رواية الإسماعيلي من طريق يحيى بن السكن عن معاذ «فأتاه فاحتضنه فسكن فقال: لو لم أفعل لما سكن»، ووقع في حديث الحسن عن أنس: كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث يقول: يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقا إلى لقائه فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

قوله (كصوت العشار) جمع عشراء والعشراء الناقة التي انتهت في حملها إلى عشرة أشهر، وفي الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكا كالحيوان بل كأشرف الحيوان، وفيه تأييد لقول من يحمل {وإن من شيء إلا يسبح بحمده} على ظاهره.

٣٥٨٦ - عنْ حذيفةَ «أنَّ عمرَ بن الخطابِ رضيَ اللَّهُ عنْهُ قالَ: أيُّكُمْ يَحفظ قولَ رسولِ اللهِ ﷺ فِي الْفتنةِ؟ فقال حُذَيفَةُ: أنَا أحفَظُ كَمَا قالَ. قالَ: هَات، إنَّكَ لجريء. قال رسولُ اللهِ ﷺ: فتنةُ الرجلِ فِي أهْله وماله وجاره تُكفِّرُها الصلاةُ والصدقة والأمرُ بالمعروف والنهي عنِ الْمنكرِ قال: ليست هذه، ولكنِ التي تموجُ كموجِ البحر، قال: يا أميرَ المؤمنين لا بأسَ عليكَ منها، إن بينَكَ وبينها باباً مغلقاً. قالَ: يُفتحُ الْبابُ أوْ يُكْسَرَ؟ قال: لا، بل يكسر، قالَ: ذلِكَ أحرَى أن لا يُغلق. قلنا: علمَ البابَ؟ قال: نعم، كما أنَّ دُونَ غدٍ الليلة. إني حدَّثتُهُ حديثاً ليسَ بالأغاليط. فهِبنا أن نسألَهُ وأمَرْنَا مَسروقاً فسألَهُ فقَالَ: مَنِ البابُ؟ قال: عمر».

٣٥٨٧ - عنْ أبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَقَاتِلوا قَوْماً نِعالُهم الشَّعَر، وحتى تُقاتِلوا التركَ صغارَ الأعيُن حُمر الوُجوهِ ذُلفَ الأنُوفِ كأن وجوهَهُمْ المجانُّ المطْرَقة».

٣٥٨٨ - «وتجِدونَ من خيرِ النَّاسِ أشدَّهُمْ كَرَاهِيةً لهذا الأمر حتَّى يَقعَ فيه. والنَّاسُ مَعادِنُ: خِيارُهم في الجاهليةِ خيارُهم في الإسلامِ».

٣٥٨٩ - «ولَيَأتِيَنَّ على أحدِكم زمانٌ لأنْ يراني أحبُّ إليهِ من أن يكونَ لهُ مثلُ أهلِه وَمَالِهُ».

٣٥٩٠ - عنْ أبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «لاَ تقومُ السَّاعةُ حتى تُقاتِلوا خُوزاً وكرمانَ من الأعاجم، حُمرَ الوجوهِ فُطْس الأنوفِ صِغَارَ الأعيُنِ كأنَّ وجوهَهُمُ المجانُّ المطرقة، نعالهمُ الشَّعَر».

٣٥٩١ - عنْ قيسٍ قال: أتَينا أبَا هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ فقالَ: صحبتُ رسولَ اللهِ ﷺ ثلاث سنينَ لم أكنْ فِي سِنِيَّ أحرَصَ على أن أعيَ الحديثَ مني فيهنَّ، سمعتهُ يقولُ -وقال هكذا بيده-: بينَ يدَيِ الساعة تقاتلونَ قَوْماً نعالُهم الشَّعَر، وهو هذا البارِزِ وقالَ سفيان مرَّةً: وهم أهلُ البازر».

٣٥٩٢ - عن عمرِو بن تَغلبَ قالَ: «سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: بين يدي الساعة تُقاتلونَ قوماً ينتَعلونَ الشَّعرَ، وتقاتلونَ قوماً كأنَّ وجوهَهم المجانُّ المطْرَقة».

٣٥٩٣ - عَنْ عَبْدِ الله بن عمرَ رضيَ اللهُ عنْهُمَا قالَ: «سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: تقاتِلُكم اليهودُ، فتُسلَّطونَ عليهم، حتى يقولَ الحجرُ: يا مسلمُ، هذا يهوديٌّ ورائي فاقتُلْه».

قوله (تكفرها الصلاة والصدقة) وقال الزين بن المنير: الفتنة بالأهل تقع بالميل إليهن أو عليهن في القسمة والإيثار حتى في أولادهن، ومن جهة التفريط في الحقوق الواجبة لهن، وبالمال يقع الاشتغال به عن العبادة أو بحبسه عن إخراج حق الله، والفتنة بالأولاد تقع بالميل الطبيعي إلى الولد وإيثاره على كل أحد، والفتنة بالجار تقع بالحسد والمفاخرة والمزاحمة في الحقوق وإهمال التعاهد، ثم قال وأسباب الفتنة بمن ذكر غير منحصرة فيما ذكرت من الأمثلة، وأما تخصيص الصلاة وما ذكر معها بالتكفير دون سائر العبادات ففيه إشارة إلى تعظيم قدرها لانفي أن غيرها من الحسنات ليس فيها صلاحية التكفير، ثم إن التكفير المذكور يحتمل أن يقع بنفس فعل الحسنات المذكورة، ويحتمل أن يقع بالموازنة، والأول أظهر، والله أعلم.

قوله (تموج كموج البحر) أي تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه، وكنى بذلك عن شدة المخاصمة وكثرة المنازعة وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة.

قوله (يا أمير المؤمنين لا بأس عليك منها).

قوله (إن بينك وبينها بابا مغلقا) أي لا يخرج منها شيء في حياتك، قال ابن المنير: آثر حذيفة الحرص على حفظ السر ولم يصرح لعمر بما سأل عنه، وإنما كنى عنه كناية، وكأنه كان مأذونا له في مثل ذلك. وقال النووي: يحتمل أن يكون حذيفة علم أن عمر يقتل، ولكنه كره أن يخاطبه بالقتل لأن عمر كان يعلم أنه الباب فأتى بعبارة يحصل بها المقصود بغير تصريح بالقتل انتهى.

قوله (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا) قوم من العجم.

قوله (حمر الوجوه فطس الأنوف) الفطس الانفراش

قوله (لم أكن في سني) أي في سني عُمري.

قوله (تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم) في رواية أحمد «ينزل الدجال هذه السبخة -أي خارج المدينة- ثم يسلط الله عليه المسلمين فيقتلون شيعته، حتى أن اليهودي ليختبىء تحت الشجرة والحجر فيقول الحجر والشجرة للمسلم: هذا يهودي فاقتله» وعلى هذا فالمراد بقتال اليهود وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى، وكما وقع صريحا في حديث أبي أمامة في قصة خروج الدجال ونزول عيسى وفيه «وراء الدجال سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلّى، فيدركه عيسى عند باب لدّ فيقتله وينهزم اليهود، فلا يبقى شيء مما يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء فقال :ياعبد الله -للمسلم- هذا يهودي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنها من شجرهم» أخرجه ابن ماجة مطولا وأصله عن أبي داود، ونحوه في حديث سمرة عن أحمد بإسناد حسن، وفيه الحديث ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجرة وحجر، وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة، وفي أن الإسلام يبقى إلى يوم القيامة. وفي قوله ﷺ «تقاتلكم اليهود» جواز مخاطبة الشخص والمراد من هو منه بسبيل، لأن الخطاب كان للصحابة والمراد من يأتي بعدهم بدهر طويل، لكن لما كانوا مشتركين معهم في أصل الإيمان ناسب أن يخاطبوا بذلك.

٣٥٩٤ - عن أَبِي سعيدٍ رضيَ اللَّهُ عنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «يأتي على النّاسِ زمانٌ يَغزُونَ، فيقال: فيكم من صحبَ الرسولَ ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتَحُ عليهِمْ، ثُمَّ يَغزونَ، فيقال لهم: هل فيكم من صحِبَ منْ صحِبَ الرسولَ ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفْتَحْ لهم».

٣٥٩٥ - عنْ عديٍّ بن حاتمٍ قالَ: «بَينا أنا عندَ النبيِّ ﷺ إذا أتاهُ رجلٌ فشكا إليه الفاقَةَ، ثُمَّ أتاهُ آخرُ فشكا إليه قَطعَ السبيل، فقال: ياعَديُّ، هل رأيتَ الحيرةَ؟ قلت: لم أرَها، وقد أُنبِئتُ عنها. قال: فإن طالَتْ بك حياةٌ لترَيَنَّ الظَّعينة تَرتَحل من الحيرة حتى تَطوفَ بالكعبة لا تخافُ أحداً إلا اللَّه -قُلْتُ فِيمَا بَيني وبَينَ نَفْسِي فأينَ دُعَّار طيء

الذينَ قد سَعَّروا البلادَ؟-ولئنْ طالت بك حياةٌ لتُفتَحنَّ كُنوزُ كسرَى. قلتُ: كسْرَى بن هُرمُز؟ قالَ: كسرَى بن هُرمُزَ. ولئن طالت بكَ حياةٌ لَترينَّ الرجلَ يخرجُ ملءَ كفِّه من ذهبٍ أو فضةٍ يطلُبُ من يقبلُهُ منهُ فلا يَجدُ أحداً يقبلُه منه. وليلقينَّ اللهَ أحدكُمْ يومَ يلقاهُ ولَيْسَ بينَهُ وبينهُ ترجمانٌ يُترجمُ لهُ، فيقولنَّ: ألم أبعَثْ إليكَ رسولاً فيُبلِّغك؟ فيقولُ: بلى. فيقول: ألم أعطكَ مالاً وأفضِلْ عليكَ؟ فيقول بلى. فَيَنظرُ عن يَمينه فلا يَرى إلا جهنَّم، وينظرُ عن يَساره فلا يرَى إلا جهنَّمَ. قالَ عديٌّ سمعتُ النبي ﷺ يقول: اتَّقُوا النارَ ولو بشِقِّ تمرة، فمن لم يَجِدْ شِقَّ تمرةٍ فبكلمةٍ طيِّبةٍ. قال عديٌّ: فرأيتُ الظعينة ترتحلُ من الحيرةِ حتى تطوفُ بالكعبةِ لا تخافُ إلا اللهُ، وكنتُ فيمن افتتحَ كنوزَ كسرَى بنِ هُرمُزَ، ولئن طالت بكم حياةٌ لَتَروُنَّ ما قال النبيُّ أبو القاسم ﷺ: يُخرجُ ملءَ كفه».

٣٥٩٦ - عنْ عقبةَ بن عامرٍ «عن النبيِّ ﷺ خَرَجَ يَوْماً فصَلّى على أهل أُحُدٍ صلاتَه على الميّتِ، ثمَّ انصرفَ إلى المنبر فقال: إنِّي فرطُكم، وأنَا شهيدٌ عليكم. إني واللهِ لأنظرُ إلى حَوضي الآن، وإني قد أُعطيتُ خزائنَ مَفاتيح الأرض، وإني واللهِ ما أخاف بَعدي أن تُشرِكوا، ولكن أخافُ أنْ تَنافَسوا فيها».

٣٥٩٧ - عنْ أُسامةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «أشرفَ النبيُّ ﷺ على أُطمٍ من الآطام فقال: هل تَرونَ ما أرَى؟ إنِّي أرَى الفِتَنَ تقعُ خلالَ بيوتِكم مواقِعَ القطْرِ».

٣٥٩٨ - عنْ زينب بنتِ جَحش «أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عليهَا فزِعاً يقول: لا إله إلااللهُ، ويلٌ للعربِ من شرٍّ قدِ اقترَب: فُتِحَ اليومَ من رَدم يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذا. وحلَّقَ بإصبعه وبالتي تليها. فقالت زينبُ: فقلتُ يا رسولَ الله أنهلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثُرَ الخَبَثُ».

٣٥٩٩ - عنْ أمِّ سلمةَ قالت: «استيقَظَ النبيُّ ﷺ فقالَ: سبحان الله ماذا أُنزِلَ من الخزائنِ، وماذا أُنزل من الفتَنِ».

٣٦٠٠ - عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «قالَ لِي: إني أراكَ تحبُّ الغَنَم وتتخذُها، فأصلحْها وأصلِحْ رُعاتَها، فإني سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: يأتي على الناس زمانٌ تكونُ الغنمُ فيه خيرَ مالِ المسلم يَتبعُ بها شَعَفَ الجبال -أو سَعفَ الجبال- في مواقع القَطْرِ، يفرُّ بدينه منَ الفتَنِ».

٣٦٠١ - عنْ أبي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ :«ستكونُ فتَنٌ القاعدُ فيها خيرٌ منَ القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن

تَشرَّفَ لها تَستَشرفْهُ، وَمن وجَد ملجأً أوْ معاذاً فليَعُذْ به».

[الحديث ٣٦٠١ - طرفاه في: ٧٠٨١، ٧٠٨٢]

٣٦٠٢ - مثل حديث أبي هُريرَة هذا، إلا أنَّ أبا بكرٍ يزيدُ: «منَ الصلاة صلاةٌ من فاتَتْهُ فكأنَّما وُتِرَ أهلهُ وماله».

٣٦٠٣ - عنْ ابن مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «ستكونُ أثرةٌ وأمورٌ تُنكرونها. قالوا: يا رسولَ اللهِ فما تأمُرنا؟ قال: تُؤدُّونَ الحقَّ الذي عليكم، وتسألونَ اللهَ الذي لكم».

[الحديث ٣٦٠٣ - طرفه في: ٧٠٥٢]

٣٦٠٤ - عنْ أبي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ :«يُهلِكُ الناسَ هذا الحيُّ من قُريش. قالوا: فما تأمُرنا؟ قال: لو أنَّ الناسَ أعتزَلوهم».

[الحديث ٣٦٠٤ - طرفاه في: ٣٦٠٥، ٧٠٥٨]

٣٦٠٥ - عن أبي هُريرَةَ قال: سمعت الصادقَ المصدوقَ يقول: هلاكُ أمَّتي على يَدَي غِلمةٍ من قُريش. فقال مَروان: غلمة؟ قال أبو هريرةَ: إن شئتَ أن أسمِّيهم بني فلان وبني فلان».

قوله (الظعينة) المرأة في الهودج.

قوله (الحيرة) كانت بلد ملوك العرب الذين تحت حكم آل فارس.

قوله (فاين دعار طيء) الدعار جمع داعر وهو الشاطر الخبيث المفسد. والمراد قطاع الطريق. وطيء قبيلة مشهورة، منها عدي بن حاتم المذكور، وبلادهم ما بين العراق والحجاز، وكانوا يقطعون الطريق على من مر عليهم بغير جواز، ولذلك تعجب عدي كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة.

قوله (قد سعروا البلاد) أي أوقدوا نار الفتنة، أي ملؤا الأرض شراً وفساداً، وهو مستعار من استعار النار وهو توقدها.

قوله (كنوز كسرى) وهو علم على من ملك الفرس، لكن كانت المقالة في زمن كسرى بن هرمز ولذلك استفهم عدي بن حاتم عنه، وإنما قال ذلك لعظمة كسرى في نفسه إذ ذاك.

قوله (فلا يجد أحداً يقبله منه) أى لعدم الفقراء في ذلك الزمان.

قوله (ولكني[1] أخاف أن تنافسوا فيها) فيه إنذار بما سيقع فوقع كما قال ﷺ، وقد فتحت عليهم الفتوح بعده وآل الأمر إلى أن تحاسدوا وتقاتلوا ووقع ماهو المشاهد المحسوس لكل أحد مما يشهد بمصداق خبره ﷺ، ووقع من ذلك في هذا الحديث إخباره بأنه فرطهم أي

(١) في المتن واليونينية "ولكن أخاف..."

سابقهم وكان كذلك، وأن أصحابه لا يشركون بعده فكان كذلك، ووقع ما أنذر به من التنافس في الدنيا، وتقدم في معنى ذلك حديث عمرو بن عوف مرفوعا «ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم ان تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم».

٣٦٠٦ ـ عن حُذَيفة بن اليمانِ يقول: «كان الناسُ يسألونَ رسولَ الله ﷺ عنِ الخير، وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافة أنْ يُدرِكَني. فقلتُ: يا رسولَ الله، إنّا كُنّا في جاهليةٍ وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعدَ هذا الخيرِ من شرٍّ؟ قال: نعم. قلتُ: وهل بعد هذا الشرّ من خيرٍ؟ قال: نعم وفيه دَخن. قلتُ: وما دخَنُه؟ قال: قوم يهدون بِغير هَدْيي، تعرفُ منهم وتُنكِر. قلتُ فهل بعدَ ذلك الخير من شرٍّ؟ قال: نعم، دُعاةٌ إلى أبوابِ جهنَّم، من أجابهم إليها قَذَفوه فيها. قلتُ: يا رسولَ الله صفهم لنَا، فقالَ: هم مِن جِلدتِنَا؛ ويتكلمون بألسِنتِنا. قلتُ: فما تأمرُني إن أدركَني ذلك؟ قال: تَلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهم. قلت فإن لمْ يكنْ لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: فاعتزلْ تلكَ الفِرَق كلَّها، ولو أنْ تَعضَّ بأصل شجرةٍ حتى يُدرِكَكَ الموتُ وأنت على ذلك».

[الحديث ٣٦٠٦ - طرفاه في: ٣٦٠٧، ٧٠٨٤]

٣٦٠٧ ـ عنْ حُذَيفةَ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: «تَعلَّمَ أصحابي الخيرَ، وتعلَّمتُ الشرَّ».

٣٦٠٨ ـ عنْ أبِي هُريرَةَ رضيَ الله عنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ :«لا تقُومُ السَّاعةُ حتىٰ يَقتَتِلَ فئتانِ دعواهُمَا واحدة».

٣٦٠٩ ـ عنْ أبي هريرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «لاَ تقومُ السَّاعةُ حتى يَقتَتِلَ فئتانِ فيكونُ بينهما مَقتَلَةٌ عظيمة، دَعواهما واحدة. ولا تقومُ السَّاعة حتى يُبعثَ دجالون كذَّابونَ قريباً من ثلاثين، كلهم يزعُمُ أنه رسولُ الله».

الحديث التاسع والعشرون حديث حذيفة «كان الناس يسألون عن الخير» يأتي في الفتن[1] مع شرحه مستوفى إن شاء الله تعالى.

الحديث الثلاثون حديث أبي هريرة «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان» الحديث.

والمراد بهما من كان مع علي ومعاوية لما تحاربا بصفين، وقوله «دعواهما واحدة» أي دينهما واحد لأن كلاً منهما كان يتسمى بالإسلام، أو المراد أن كلا منهما كان يدَّعي أنه

(١) كتاب الفتن ج ٥ / ٣٦٦.

الحق، وذلك أن عليا كان إذ ذاك إمام المسلمين وأفضلهم يومئذ باتفاق أهل السنة، ولأن أهل الحل والعقد بايعوه بعد قتل عثمان، وتخلف عن بيعته معاوية في أهل الشام، ثم خرج طلحة والزبير ومعهما عائشة إلى العراق فدعوا الناس إلى طلب قتلة عثمان لأن الكثير منهم انضموا إلى عسكر علي، فخرج علي إليهم فراسلوه في ذلك فأبى أن يدفعهم إليهم إلا بعد قيام دعوى من ولي الدم وثبوت ذلك على من باشره بنفسه، وكان بينهم ما سيأتي بسطه في كتاب الفتن[١] إن شاء الله تعالى. ورحل علي بالعساكر طالبا الشام، داعيا لهم إلى الدخول في طاعته، مجيباً لهم عن شبههم في قتلة عثمان بما تقدم، فرحل معاوية بأهل الشام فالتقوا بصفين بين الشام والعراق فكانت بينهم مقتلة عظيمة كما أخبر به ﷺ، وآل الأمر بمعاوية ومن معه عند ظهور علي عليهم إلى طلب التحكيم، ثم رجع علي إلى العراق، فخرجت عليه الحرورية فقتلهم بالنهروان ومات بعد ذلك، وخرج ابنه الحسن بن علي بعده بالعساكر لقتال أهل الشام وخرج إليه معاوية فوقع بينهم الصلح كما أخبر به ﷺ في حديث أبي بكرة الآتي في الفتن «إن الله يصلح به بين فئتين من المسلمين» وسيأتي بسط جميع ذلك هناك إن شاء الله تعالى.

قوله (حتى يبعث) بضم أوله أي يخرج، وليس المراد بالبعث معنى الإرسال المقارن للنبوة، بل هو كقوله تعالى {إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين} .

قوله (دجالون كذابون) الدجل التغطية والتمويه، ويطلق على الكذب أيضاً.

وروى أبو يعلى بإسناد حسن عن عبد الله بن الزبير تسمية بعض الكذابين المذكورين بلفظ «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً منهم مسيلمة والعنسي والمختار». قلت: وقد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي ﷺ فخرج مسيلمة باليمامة، والأسود العنسي باليمن، ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة وسجاح التميمية في بني تميم، وفيها يقول شبيب بن ربعي وكان مؤدبها:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها   وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وقتل الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ، وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر، وتاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح في خلافة عمر، ونقل أن سجاح أيضاً تابت، وأخبار هؤلاء مشهورة عند الأخباريين. ثم كان أول من خرج منهم المختار بن أبي عبيد الثقفي غلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير فأظهر محبة أهل البيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين فتبعهم فقتل كثيراً ممن باشر ذلك أو أعان عليه فأحبه الناس، ثم إنه زين له الشيطان أن ادعى النبوة وزعم أن جبريل يأتيه، فروى أبو داود الطيالسي بإسناد صحيح عن رفاعة بن

---

(١) كتاب الفتن باب / ٢٧ ح ٧١٣٢ - ٥ / ٣٦٦.

شداد قال: «كنت أبطن شئاً بالمختار فدخلت عليه يوما فقال: دخلت وقد قام جبريل قبل من هذا الكرسي» وروى يعقوب بن سفيان بإسناد حسن عن الشعبي أن الأحنف بن قيس أراه كتاب المختار إليه يذكر أنه نبي.

وقتل المختار سنة بضع وستين، وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقا فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت له شبهة كمن وصفنا، وقد أهلك الله تعالى من وقع له ذلك منهم وبقي منهم من يلحقه بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر، وسيأتي بسط كثير من ذلك في كتاب الفتن[1] إن شاء الله تعالى.

٣٦١٠ - عنْ أبِي سعيدٍ الخدريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قال: «بينَمَا نحن عندَ رسولِ اللهِ ﷺ -وهو يَقسمُ قسماً- إذ أتاهُ ذو الخُوَيصرةِ وهو رجلٌ من بني تميمٍ فقالَ: يَا رسولَ الله اعدل. فقالَ: ويلكَ، ومن يعدلُ إذا لم أعدِل، قد خِبت وخسرت إنْ لم أكن أعدِل. فقال عمر: يا رسولَ اللهِ، ائذَنْ لي فيه فأضرِبَ عُنقَه، فقال: دعهُ فإن لهُ أصحاباً يحقِرُ أحدكم صلاتَهُ مع صلاتهم، وصيامَهُ معَ صيامهم، يقرءُونَ القرآنَ لا يُجاوزُ تراقيَهُم، يَمرُقونَ من الدينِ كما يَمرُقُ السهمُ من الرميّة: يُنظرُ إلى نصلهِ فلا يوجَدُ فيهِ شيء، ثم يُنظرُ إلى رِصافهِ فما يوجدُ فيهِ شيء ثمَّ يُنظرُ إلى نضيِّهِ -وهُوَ قِدْحهُ- فلا يوجَدُ فيه شيء، ثم يُنظرُ إلى قُذَذِهِ فلا يوجدَ فيهِ شيء، قد سبَقَ الفرثَ والدَّمَ، آيتُهم رجلٌ أسودُ إحدَى عَضُدَيهِ مثلُ ثَدْيِ المرأة، أو مثلُ البَضْعةِ تدَرْدَرُ ويخرُجونَ على حينِ فُرقةٍ منَ الناس. قال أبو سعيدٍ: فأشهدُ أني سمعتُ هذا الحديثَ من رسولِ اللهِ ﷺ، وأشهدَ أنَّ علي بنَ أبي طالب قاتلَهم وأنا معَه، فأمَرَ بذلكَ الرَّجُلُ فالتُمسَ فأُتِيَ بِهِ، حتى نظرتُ إليهِ على نعتِ النبيِّ ﷺ الذي نَعتَه».

٣٦١١ - قالَ عليٌ رضيَ اللهُ عنهُ: إذا حدَّثتُكم عن رسولِ اللهِ ﷺ فلأنْ أخِرَّ من السماءِ أحَبُّ إليَّ من أن أكذِبَ عليه، وإذا حدَّثتُكم فيما بيني وبينَكم فإنَّ الحربَ خدْعة. سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: يأتي في آخرِ الزمانِ قومٌ حُدَثاءُ الأسنانِ، سُفَهاءُ الأحلامِ، يقولونَ مِن خَير قول البريَّة، يَمرُقون من الإسلام كما يَمْرُقُ السهم منَ الرميَّة لا يُجاوزُ إيمانُهم حَناجرَهم فأينما لقيتُموهم فاقتلُوهم، فإنَّ في قتلهم أجراً لمن قتلَهم يومَ القِيامة».

[الحديث ٣٦١١ - أطرافه في: ٥٠٥٧، ٦٩٣٠]

وقوله (يمرقون من الدين) إن كان المراد به الإسلام فهو حجة لمن يكفر الخوارج ويحتمل أن

(١) كتاب الفتن باب / ٢٧ ح ٧١٣٢ - ٥/ ٤٠٩

يكون المراد بالدين الطاعة فلا يكون فيه حجة وإليه جنح الخطابي.

٣٦١٢ ـ عنْ خَبابِ بن الأرَتِّ قالَ: «شَكَونا إلى رسولِ اللهِ ﷺ -وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُردَةً له في ظلِّ الكعبةِ- قلنا له: ألا تستنصرُ لنا، ألا تَدعوا اللهَ لَنا؟ قال: كان الرَّجلُ فيمن قبلَكم يُحفَرُ له في الأرْضِ فيُجعَلُ فيه، فيُجاء بالميشارِ فيوضعُ على رأسهِ فيُشَقُّ باثنتينِ، وما يصُدُّهُ ذلكَ عن دينه، ويُمشَطُ بأمشاطِ الحديدِ مادونَ لحمهِ من عظمٍ أو عَصَب، وما يَصدُّهُ ذلكَ عن دينه. واللهِ ليُتمَّنَّ هذا الأمرَ حتى يسيرَ الراكب من صنعاءَ إلى حَضرَموتَ لا يخافُ إلا اللهَ، أو الذئبَ على غنَمه، ولكنَّكم تَستَعجلونَ».

[الحديث ٣٦١٢ - طرفاه في: ٣٨٥٢، ٦٩٤٣]

قوله (حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت) يحتمل أن يريد صنعاء اليمن وبينها وبين حضرموت من اليمن أيضاً مسافة بعيدة نحو خمسة أيام، ويحتمل أن يريد صنعاء الشام والمسافة بينهما أبعد بكثير، والأول أقرب، قال ياقوت: هي قرية على باب دمشق عند باب الفراديس تتصل بالعقيبة. قلت: وسميت باسم من نزلها من أهل صنعاء اليمن.

٣٦١٣ ـ عنْ أنَسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنْهُ «أنَّ النبيَّ ﷺ افتقدَ ثابتَ بنَ قَيسٍ، فقال رجلٌ: يا رَسولَ اللهِ أنَا أعلَمُ لك عِلمَه. فأتاهُ فوجدَهُ جالساً في بيتهِ منكساً رأسه، فقال: ما شأنُكَ؟ فقالَ: شرٌّ، كانَ يرفَعُ صوتَهُ فوقَ صوتِ النبيِّ ﷺ فقد حَبِطَ عملُهُ وَهُوَ من أهلِ الأرض. فأتى الرجل فأخبره أنهُ قال كذا وكذا. فقال موسى بن أنسٍ: فرجَعَ المرَّةَ الآخرةَ بِبِشارةٍ عظيمةٍ، فقالَ: اذهبْ إليهِ فقل لهُ: إنَّكَ لستَ من أهل النار، ولكنْ من أهلِ الجنَّةِ».

[الحديث ٣٦١٣- طرفه في:٤٨٤٦]

قوله (افتقد ثابت بن قيس) أي ابن شماس خطيب رسول الله ﷺ، ووقع عند مسلم من وجه آخر عن أنس قال: «كان ثابت بن قيس ابن شماس خطيب الأنصار.

قوله (ولكن من أهل الجنة) قال الإسماعيلي: إنما يتم الغرض بهذا الحديث أي من إيراده في «باب علامة النبوة» بالحديث الآخر أي الذي مضى في كتاب الجهاد في «باب التحنط عند القتال» فإن فيه أنه قتل باليمامة شهيداً يعني وظهر بذلك مصداق قوله ﷺ «أنه من أهل الجنة» لكونه استشهد.

٣٦١٤ ـ عن البراء بنِ عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما «قَرَأ رجلٌ الكهفَ وفي الدارِ الدابَّةُ، فجعلتْ تَنفِرُ، فسلَّمَ، فإذا ضَبابةٌ غَشيَتْهُ، فذكرَهُ للنبيِّ ﷺ فقال: اقرأْ فُلانُ، فإنها السَّكينةُ نزَلَت للقرآن، أو تنزَّلت للقرآن».

[الحديث ٣٦١٤ - طرفاه في: ٤٨٣٩، ٥٠١١]

٣٦١٥ ـ عن براءَ بنَ عازبٍ قال: «جَاءَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنْهُ إلى أبي في منزله فاشترى منهُ رحلاً، فقال لعازبٍ: ابعثْ ابنكَ يحملْهُ معي، قال فحملتُه معه، وخَرَجَ أبي يَنتقدُ ثمنَهُ، فقال له أبي: يا أبا بكرٍ حدِّثني كيف صنعتما حينَ سَرَيتَ مَعَ رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، أسرَينا ليلتَنا ومنَ الغَد حتى قامَ قائمُ الظهيرةِ، وخلا الطريقُ لا يَمرُّ فيه أحد، فرُفعَت لنا صخرةٌ طويلةٌ لها ظلٌ لم تَأت عليه الشمسُ فنزلنا عندَه، وسَوَّيتُ للنبيِّ ﷺ مكَانا بيدي يَنامُ عليه، وبَسطتُ عليه فروةً وقلتُ لهُ: نَمْ يارسولَ الله وأنا أنفُضُ لك ما حولك. فنامَ. وخرجتُ أنفضُ ما حولهُ، فإذا أنا براعٍ مُقبلٍ بغنمه إلى الصخرةِ يُريدُ منها مثلَ الذي أردْنا. فقلت: لمن أنتَ يا غُلامُ؟ فقال لرجلٍ من أهلِ المدينة -أو مكةَ- قلتُ: أفي غنمكَ لبَنٌ؟ قال: نعم. قلتُ أفتحلبُ؟ قال: نعم. فأخذَ شاةً، فقلتُ: انفُض الضَّرعَ منَ التُّراب والشَّعَر والقذَى. قال فرأيتُ البراءَ يضربُ إحدَى يديه على الأخرى ينفُضُ. فحلبَ في قعبٍ كُثْبةً من لبنٍ، ومعي إداوةٌ حملتُها للنبيِّ ﷺ يَرتَوي منها يَشربُ ويَتوَضأ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ، فكَرهتُ أن أوقظَهُ، فوافَقْتهُ حينَ استيقَظَ، فصَبَبتُ منَ الماءِ على اللبنِ حتى بَرَدَ أسفَله، فقلتُ: اشرَبْ يا رسولَ الله، فشربَ حتَّى رضيتُ، ثمَّ قال: ألم يَأنِ للرَّحيل؟ قلتُ: بلى. قال فارتحلْنا بعدَ ما مالَتِ الشمسُ، واتَّبعَنا سُراقةُ بن مالكٍ، فقُلت: أُتينا يا رسولَ الله، فقال: لا تحزَنْ، إنَّ اللهَ معنا. فدَعا عليه النبيُّ ﷺ فارتطَمَتْ بهِ فرسُهُ إلى بطنِهَا -أرَى في جَلَدٍ من الأرض، شكَّ زُهَيرٌ- فقال: إنِّي أراكما قد دعَوتما عليَّ فادعُوا لي، فاللهُ لكما أن أردَّ عنكما الطلَبَ. فدَعا لهُ النبيُّ ﷺ، فنَجا. فجعلَ لايَلقَى أحداً إلا قال: كفَيتُكمْ ما هُنا، فلا يَلقَى أحداً إلا ردَّهُ، قال: ووَفَى لنا».

قوله (فرفعت لنا صخرة) أي ظهرت.

قوله (لرجل من أهل المدينة أو مكة) هو شك من الراوي أي اللفظين قال.

والمراد بالمدينة مكة ولم يرد بالمدينة النبوية لأنها حينئذ لم تكن تسمى المدينة وإنما كان يقال له يثرب، وأيضاً فلم تجر العادة للراعاة أن يبعدوا في المراعي هذه المسافة البعيدة.

قوله (أفتحلب؟ قال نعم) الظاهر أن مراده بهذا الاستفهام أمعك إذن في الحلب لمن يمر بك على سبيل الضيافة؟ وبهذا التقرير يندفع الإشكال الماضي في أواخر اللقطة وهو كيف استجاز أبو بكر أخذ اللبن من الراعي بغير إذن مالك الغنم؟ ويحتمل أن يكون أبو بكر لما عرفه عرف رضاه بذلك بصداقته له أو إذنه العام لذلك.

قوله (فقلت انفض الضرع) أي ثدي الشاة.

قوله (كثبة) أي قدر قدح وقيل حلبة خفيفة.

قوله (فارتطمت) أي غاصت قوائمها.

قوله (أرى) بضم الهمزة (في جلد من الأرض شك زهير) والجلد بفتحتين الأرض الصلبة. وفي الحديث معجزة ظاهرة.

٣٦١٦ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللَّهُ عنهما «أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أعرابيٍّ يعودهُ، قال وكان النبيُّ ﷺ إذا دَخَلَ عَلَى مَريضٍ يعودهُ قالَ: لا بَأسَ، طهورٌ إن شاءَ الله. فقال له: لا بَأسَ، طهورٌ إن شاءَ اللَّهُ. قالَ: قُلْت طهورٌ؟ كلا، بل هي حُمَّى تفُور -أو تَثور- على شيخ كبير، تزيرُه القُبور. فقال النبيُّ ﷺ: فَنَعَم إذاً».

[الحديث ٣١٦٦١٦ – أطرافه في: ٥٦٥٦، ٥٦٦٢، ٧٤٧٠]

٣٦١٧ ـ عنْ أنَسٍ رضيَ الله عَنْهُ قالَ: «كانَ رجلٌ نَصرانياً فأسلم وقرأ البقرةَ وآل عمران، فكان يكتُبُ للنبيِّ ﷺ، فعادَ نصرانيًا، فكان يقول: مايدري محمدٌ إلا ما كتبتُ له، فأماتَهُ الله، فدفنوه، فأصبحَ وقد لفظَتْهُ الأرض، فقالوا: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابه لما هَربَ منهم نَبَشوا عن صاحبِنَا فألقُوهُ. فحفَروا لهُ فأعمقوا، فأصبحَ وقد لفظَتْهُ الأرض، فقالوا: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابه نَبشوا عن صاحبِنا لما هربَ منهم فألقوهُ خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فاصبحَ قدْ لفظَتْه الأرْض، فعلموا أنَّه ليس من النَّاس، فألقوهُ».

الحديث الثامن والثلاثون حديث ابن عباس في قصة الأعرابي الذي أصابته الحمى فقال: «حمى تفور على شيخ كبير» الحديث، وسيأتي شرحه في كتاب الطب، ووجه دخوله في هذا الباب أن في بعض طرقه زيادة تقتضي إيراده في علامات النبوة، أخرجه الطبراني وغيره من رواية شرحبيل والد عبد الرحمن فذكر نحو حديث ابن عباس، وفي آخره «فقال النبي ﷺ أما إذا أبيت فهي كما تقول قضاء الله كائن، فما أمسى من الغد إلا ميتا» وبهذه الزيادة يظهر دخول هذا الحديث في هذا الباب.

٣٦١٨ ـ عنْ أبِي هُريرةَ أنَّهُ قال: «قال رسولُ اللَّه ﷺ: إذا هَلك كسرَى فلا كسرى بعدهُ، وإذَا هلكَ قيصَرَ فلا قيصَرَ بعدَه. والَّذِي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لتُنْفقُنَّ كنوزَهما في سبيل اللّه».

٣٦١٩ ـ عن جابرِ بن سمُرةَ رفعهُ قالَ: «إذا هلك كسرَى فلا كسرَى بعده -وذكرَ وقالَ-: لتُنفِقُنَّ كنوزَهما في سبيل اللّهِ».

قوله (كسرى) هو لقب لكل من ولي مملكة الفرس، وقيصر لقب لكل من ولي مملكة الروم، وقد استشكل هذا مع بقاء مملكة الفرس لأن آخرهم قتل في زمان عثمان، واستشكل أيضاً مع بقاء مملكة الروم، وأجيب عن ذلك بأن المراد لا يبقي كسرى بالعراق ولا قيصر

بالشام، وهذا منقول عن الشافعي قال: وسبب الحديث أن قريشاً كانوا يأتون الشام والعراق تجارا، فلما أسلموا خافوا انقطاع سفرهم إليهما لدخولهم في الإسلام فقال النبي ﷺ ذلك لهم تطييبًا لقلوبهم وتبشيراً لهم بأن ملكهما سيزول عن الاقليمين المذكورين.

٣٦٢٠ ـ عنْ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا قالَ: «قَدِمَ مُسيلمةُ الكذَّابُ على عهد رسول الله ﷺ فجعلَ يقولُ: إن جَعل لِي محمدٌ الأمرَ من بعده تبعْته، وقَدِمها في بَشَرٍ كثير من قومه، فأقبلَ إليهِ رسولُ الله ﷺ ومَعهُ ثابتُ بنُ قيسِ بن شمّاسٍ -وفي يدِ رسولِ الله ﷺ قطعةُ جريدٍ- حتى وقفَ على مُسيلمةَ في أصحابهِ فقال: لو سألتَني هذه القطعةَ ما أَعْطيتُكها، ولن تعدُوَ أمرَ اللهِ فيك، ولئن أدبرتَ ليعقِرَنَّك الله، وإني لأراكَ الذي أُريتُ فيكَ ما رأيتُ».

[الحديث ٣٦٢٠- أطرافه في ٤٣٧٣، ٤٣٧٨، ٧٠٣٣، ٧٤٦١]

٣٦٢١ ـ عنْ أبِي هُريرةَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «بينَمَا أنَا نائمٌ رأيتُ في يديَّ سوارَين من ذهب فأهمَّني شأنُهما، فأوحِيَ إلِي فِي المنام أنِ انفُخْهما، فنَفختُهما، فطارا، فأوَّلتُهما كذَّابينَ يَخرُجان بَعدي فكان أحدُهما العَنسيَّ، والآخرُ مُسيلمةَ الكذّابِ صاحبَ اليمامة».

[الحديث ٣٦٢١ ـ أطرافه في: ٤٣٧٤، ٤٣٧٥، ٤٣٧٩، ٧٠٣٤، ٧٠٣٧]

٣٦٢٢ ـ عنْ أبِي موسى أراهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «رأيتُ فِي المنام أنّي أهاجرُ من مكةَ إلى أرضٍ بها نخلٌ، فذهب وَهَلي إلى أنها اليمامةُ أو هَجَرٌ، فإذا هي المدينةُ يثرب، ورأيتُ في رؤيايَ هذه أني هزَزْتُ سيفاً فانقطعَ صَدرهُ، فإذا هو ما أُصيبَ من المؤمنينَ يوم أُحُد، ثمَّ هززْتهُ أخرى فعادَ أحسنَ ما كان، فإذا هو ما جاءَ اللهُ به منَ الفتح واجتماع المؤمنين. ورأيت فيها بقراً والله خيرٌ، فإذا هُمْ المؤمنونَ يوم أحد، وإذا الخيرُ ما جاءَ الله به منَ الخير وثوابِ الصدقِ الذي آتانا الله بعدَ يوم بدر».

[الحديث ٣٦٢٢ – أطرافه في: ٣٩٨٧، ٤٠٨١، ٧٠٣٥، ٧٠٤١]

٣٦٢٣ ـ عن عَائشةَ رضيَ اللهُ عنهَا قالتْ: «أقبَلَت فاطمةُ تمشي كأنَّ مِشْيَتَها مشيُ النبيِّ ﷺ، فقالَ النبيُّ ﷺ: مرحباً يا أبنَتي، ثمَّ أجلسَها عن يَمينه -أو عن شماله- ثم أسرَّ إليهَا حديثاً فبكت، فقلتُ لها: لم تَبكينَ؟ ثُمَّ أسرَّ إليها حديثاً فضحكت، فقلتُ: ما رأيتُ كاليوم فرحاً أقربَ من حزن، فسألتُها عما قال: فقالت: ما كنتُ لأفشيَ سِرَّ رسولِ الله ﷺ، حتَّى قُبض النبيُّ ﷺ فسألتُها».

[الحديث ٣٦٢٣ ـ أطرافه في: ٣٦٢٥، ٣٧١٥، ٤٤٣٣، ٦٢٨٥]

٣٦٢٤ ـ «فقالَتْ: أسرَّ إليَّ إنَّ جبريلَ كانَ يُعارضني القرآنَ كلَّ سنةٍ مرَّة، وإنه عارضَني

العام مرَّتين ولا أراهُ إلا حضرَ أجلي، وإنَّكِ أوَّلُ أهْلِ بَيتِي لحاقاً بي، فبكيت. فقال: أما ترضَين أن تكوني سيدة نساءِ أهل الجَنَّة -أوْ نساءِ المؤمنين- فضحكت لذلك».

[الحديث ٣٦٢٤ - أطرافه في: ٣٦٢٦، ٣٧١٦، ٤٤٣٤، ٦٢٨٦]

٣٦٢٥ - عنْ عَائشَةَ رضيَ اللَّهُ عنْهَا قالَتْ: «دَعا النبيُّ ﷺ فاطمةَ ابنتَهُ في شكواهُ التي قُبِضَ فيها، فسارَّها بشيءٍ فبكَتْ، ثمَّ دعاها فسارَّها فضَحكت، قالت فسألْتُها عن ذلك».

٣٦٢٦ - «فقالت: «سارَّني النبيُّ ﷺ فأخبرني أنهُ يُقبض في وَجعه الذي تُوُفِّيَ فيه فبكَيتُ، ثمَّ سارَّني فأخبرَني أني أوَّلُ أهل بيته أتبَعُهُ فضحكتُ».

٣٦٢٧ - عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: «كانَ عمرَ بنِ الخطَّاب رضيَ اللَّهُ عنه يُدنى ابنَ عبَّاسٍ، فقال له عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ: إنَّ لنا أبناءَ مثلَهُ؛ فقالَ: إنَّهُ من حيث تعلم ، فسأل عمرُ ابنَ عبَّاس عن هذهِ الآية {إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفَتح} فقالَ: أجَلُ رسولِ اللهِ ﷺ أعلمَهُ إيَّاهُ، قالَ: مَا أعْلم منها إلا ماتَعلم».

[الحديث ٣٦٢٧ - أطرافه في: ٤٢٩٤، ٤٤٣٠، ٤٩٦٩، ٤٩٧٠]

٣٦٢٨ - عنِ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللَّهُ عنهما قال: «خَرَجَ رسولُ الله ﷺ في مرضهِ الذي مات فيه بِمِلْحفةٍ قد عَصَّبَ بعصابة دَسماءَ حتى جلس على المنبرِ فحمدَ الله وأثنى عليه ثمَّ قال: أما بعدُ فإنَّ النَّاسَ يَكثرون ويقلُّ الأنصارُ، حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام، فمن وَلِي منكم شيئاً يضرُّ فيه قوماً ويَنفعُ آخرين فلْيقبلْ من مُحسنهم ويتجاوزْ عن مُسيئِهم. فكان آخرَ مجلسٍ جلس فيه النبيُّ ﷺ.

٣٦٢٩ - عنْ أبي بكرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ «أخرجَ النبيُّ ﷺ ذاتَ يومٍ الحسنَ فصَعدَ به على المنبرِ فقال: ابني هذا سيِّد، ولعلَّ اللهَ أن يُصلحَ به بينَ فِئتَين منَ المسلمين».

٣٦٣٠ - عنْ أنَسِ بن مالكٍ رضيَ اللَّهُ عنْهُ «أنَّ النبيَّ ﷺ نعى جَعفراً وزيداً قبلَ أن يَجيءَ خبرُهم، وعيناه تَذرِفان».

٣٦٣١ - عنْ جابرٍ رضيَ اللَّهُ عنه قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ: هلْ لكم من أنماط؟ قلت: وأنَّى يكون لنا الأنماط؟ قال: أما وإنها ستكون لكم الأنماط. فأنا أقول لها -يعني امرأتَهُ- أخِّري عنا أنماطَكِ، فتقول: ألم يَقُلِ النبيُّ ﷺ: إنها ستكون لكُمْ الأنماط، فأدَعُها».

[الحديث ٣٦٣١ - طرفه في: ٥١٦١]

٣٦٣٢ - عنْ عَبْدِ الله بنِ مسْعودٍ رضيَ اللَّهُ عنْهُ قالَ: «انطلقَ سعدُ بن مُعاذٍ مُعتمراً، قال فنزلَ على أميَّةَ ابن خلفٍ أبي صفوانَ، وكان أميةُ إذا انطلقَ إلى الشام فمرَّ بالمدينَةَ

نزلَ على سعدٍ، فقال أميةُ لسعد: ألا انتَظِرْ حتى إذَا انتصفَ النهارُ وغَفَلَ النَّاسَ انطلَقتَ فطفت؟ فبينا سعدٌ يطوف إذا أبو جهلٍ، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فقال سعدٌ: أنا سعد. فقال أبو جهل: تطوفُ بالكعبة آمناً وقد آويتم محمداً وأصحابَه؟ فقال: نعم. فتَلاحَيا بينهما. فقال أميةُ لسعدٍ: لا ترفع صوتَكَ على أبي الحكم، فإنَّهُ سيِّدُ أهلِ الوادي. ثم قال سعد: واللّه لئن منعتَني أن أطوفَ بالبيت لأقطعنَّ متجركَ بالشام. قال فجعلَ أميةُ يقول لسعدٍ: لا ترفَعْ صوتَك -وجعلَ يُمسكهُ- فغضبَ سعدٌ فقال: دعْنا عنك، فإني سمعتُ محمداً ﷺ يزعم أنَّهُ قاتِلُك. قال: إيَّايَ؟ قالَ: نعم. قالَ: وَاللّه ما يكذبُ محمد إِذَا حدَّث. فرجعَ إلى امرأته فقال: أمَا تعلمينَ ما قالَ لِي أخِي اليَثربيُّ؟ قالت وما قال؟ قال: زعمَ أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي. قالت: فواللّه ما يكذبُ محمدٌ. قالَ: فلمَّا خرجوا إلى بدرٍ وجاءَ الصريخُ قالت له امرأتهُ: أما ذكرتَ ما قال لك أخوك اليثربيُّ؟ قال فأرادَ أن لا يخرُجَ فقال له أبو جهلٍ: إنكَ من أشراف الوادي، فسرْ يوماً أو يومَين، فسار معهم يومَين، فقتلَهُ اللّه».

[الحديث ٣٦٣٢ - طرفه في: ٣٩٥٠]

٣٦٣٤ - عنْ أبي عثمانَ قال: «أُنبئتُ أن جبريلَ عليه السلامُ أتى النبيُّ ﷺ وعند أمِّ سلمةَ فجعلَ يحدِّثُ ثم قام، فقال النبيُّ ﷺ لأمِّ سلمةَ: من هذا -أو كما قال- قالت: هذا دِحية. قالت أمُّ سلمةَ. ايمُ اللّه ما حسبتُه إلا إياهُ، حتى سمعتُ خطبة نبيِّ اللّه ﷺ يخبرُ عن جبريلَ، أو كما قال. قال فقلتُ لأبي عثمانَ: ممن سمعتَ هذا؟ قال: من أسامةَ بن زيد».

[الحديث ٣٦٣٤ - طرفه في: ٤٩٨٠]

٣٦٣٣ - عنْ عبدِ اللّه رضيَ اللّهُ عنْهُ أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قالَ: «رَأيتُ النَّاسَ مجتمعين في صعيدٍ فقام أبو بكرٍ فنزَعَ ذَنوباً أو ذَنوبَين وفي بعضِ نَزعِه ضعف واللّهُ يغفرُ له، ثم أخذَها عمرُ فاستحالَتْ بيده غَرْباً. فلم أرَ عبقرِياً في النَّاسِ يَفري فريَّه، حتى ضَرَبَ النَّاسَ بعَطَنٍ».

[الحديث ٣٦٣٣ - أطرافه في: ٣٦٧٦، ٣٦٨٢، ٧٠١٩، ٧٠٢٠]

الحديث التاسع والأربعون حديث جابر في ذكر الأنماط، وهي جمع نمط بفتحات والنمط بساط له خمل رقيق، وسيأتي شرحه في النكاح(١)، وأن النبي ﷺ قال له ذلك لما تزوج.

٢٦ - باب قوله تعالى /البقرة: ١٤٦/

{يَعْرِفونَهُ كما يعرفونَ أبناءَهم، وإنَّ فريقاً منهم ليَكتُمونَ الحقَّ وهم يَعلمون} ٣٦٣٥ - عن عبدِ اللّه بنِ عمرَ رضيَ اللّهُ عنهما «أنَّ اليهودَ جاءُوا إلى رسولِ اللّه ﷺ فذكروا له أنَّ رجلاً منهم وامرأةً زنَيا. فقال لهم رسولُ اللّهِ ﷺ: ما تجدون في التَّوراةِ في شأنِ الرجم؟ فقالوا: نفضَحُهم ويُجلدون. فقال عبدُ اللّهِ بن سلام: كذبتم، إنَّ

(١) كتاب النكاح باب / ٦٢ ح ٥١٦١ - ٤ / ٨٣

فيها الرَّجم. فأتوا بالتوراةِ فنشَروها، فوضعَ أحدُهم يدَهُ على آيةِ الرَّجم، فقرأ ما قبلها وما بعدَها. فقال له عبدُ اللهِ بن سَلام: ارفَعْ يدك، فرفعَ يدَهُ، فإذا فيها آيةُ الرَّجم فقالو: صدَقَ يا محمدُ، فيها آية الرجم. فأمر بهما رسولُ اللهِ ﷺ فرُجما. قال عبد الله: فرأيتُ الرجلَ يَجنأ على المرأةِ يَقيها الحجارةَ».

قوله (باب قول الله تعالى: يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) أورد فيه حديث ابن عمر في قصة اليهود بين اللذين زنيا، وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب الحدود[1] إن شاء الله تعالى.

٢٧ ـ باب سُؤالِ المشركينَ أن يُريهم النبيُّ ﷺآيةً، فأراهُمْ انشقاقَ القمر

٣٦٣٦ ـ عنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: «انشقَّ القمرُ على عهدِ النبيِّ ﷺ شقَّتينِ، فقال النبيُّ ﷺ: اشهَدوا».

[الحديث ٣٦٣٦ – أطرافه في: ٣٨٦٩، ٣٨٧١، ٤٨٦٤، ٤٨٦٥]

٣٦٣٧ ـ عنْ أنَسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنْهُ أنَّهُ حدَّثهم «أنَّ أهل مكةَ سألوا رسولَ اللهِ ﷺأنْ يُريَهم آيةً، فأراهُمْ انشقاق القمر».

[الحديث ٣٦٣٧ أطرافه في: ٣٨٦٨، ٤٨٦٧، ٤٨٦٨]

٣٦٣٨ ـ عن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما «أنَّ القمرَ انشق في زمانِ النبيِّ ﷺ».

[الحديث ٣٦٣٨ – طرفاه في: ٣٨٧٠، ٤٨٦٦]

٢٨ ـ باب

* ٣٦٣٩ ـ عنْ أنَسٍ رضيَ اللهُ عنْهُ «أنَّ رجُلَين من أصحاب النبيِّ ﷺ خرجا من عند النبيِّ ﷺ في ليلةٍ مُظلمةٍ ومعهما مثلُ المصباحَين يُضيئانِ بينَ أيديهما، فلما افترَقا صار مع كلِّ واحدٍ منهما واحدٌ حتى أتى أهله».

٣٦٤٠ ـ عنْ المغيرةِ بن شُعبةَ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «لايَزالُ ناسٌ من أُمَّتي ظاهرينَ حتى يأتيَهم أمرُ اللهِ وهم ظاهرون».

[الحديث ٣٦٤٠ – طرفاه في: ٧٣١١، ٧٤٥٩]

٣٦٤١ ـ عن معاويةَ يقول: «سمعتُ النبيُّ ﷺ يقولُ: لا يزالُ من أُمَّتي أمةٌ قائمةٌ بأمرِ اللهِ لا يضرُّهم من خذَلَهم ولا مَن خالَفَهم، حتى يأتيَهم أمرُ اللهِ وهم على ذلك». قال عمير: فقال مالك بن يخامر قالَ مُعاذٌ «وهم بالشام»، فقال معاويةُ: هذا مالكٌ يزعمُ أنه سمعَ مُعاذاً يقول: «وهم بالشام».

٣٦٤٢ ـ عنْ عُروةَ «أن النبيُّ ﷺ أعطاهُ ديناراً يَشتري له به شاةً، فاشترى له به شاتَيْن، فباع إحداهما بدينارٍ، فجاءَ بدينارٍ وشاةٍ، فدَعا لَهُ بالبركة في بيعه، وكان لو اشتَرى الترابَ لرَبِح فيه».

---

(١) كتاب الحدود باب / ٢٤ ح ٦٨١٩ – ٥ / ٢٠٩

٣٦٤٣ ـ ولكنْ سمعتهُ يقول: «سمعتُ النبيُّ ﷺ يقولُ: الخيرُ معقودٌ بنواصي الخيلِ إلى يوم القيامة». قال: وقد رأيتُ في داره سبعينَ فرساً. قال سفيانُ «يَشتري لهُ شاةً كأنَّها أضْحيَّة».

٣٦٤٤ ـ عنْ ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة».

٣٦٤٥ ـ عنْ أنَسِ بن مالكٍ عنِ النبيُّ ﷺ قالَ: «الخَيلُ معقودٌ في نواصيها الخير».

٣٦٤٦ ـ عنْ أبِي هُرَيرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «الخيلُ لثلاثة: لرجُلٍ أجرٌ، ولرجلٍ سترٌ، وعلى رجُلٍ وزرٌ. فأما الذي له أجر فرجلٌ ربطها في سبيلِ اللهِ، فأطالَ لها في مَرج أو روضة، فمَا أصابَتْ في طيَلها من المرجِ أوِ الرَّوضةِ كانت له حسَنات، ولو أنها قطعَتْ طِيَلَها فاستنَّتْ شرفاً أو شرفَين كانت أرواثُها حسنَاتٍ له، ولو أنَّهَا مرَّت بنهر فشربَت ولم يُردْ أن يَسقيها كان ذلك له حسنات. ورجلٌ ربَطها تغنِّياً وتعفُّفاً ولم يَنسَ حقَّ اللهِ في رقابها وظُهورِها، فهي لهُ كذلكَ ستر. ورجلٌ ربَطَها فخراً ورياءً ونواءً لأهل الإسلامِ فهيَ وِزر. وسُئلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن الحُمرِ فقالَ: ما أُنزِلَ عليَّ فيها إلا هذهِ الآية الجامعة الفاذَّة /الزلزلة:٧-٨/ {فمن يَعْمَلْ مثقالَ ذرَّةٍ خيراً يَرَه، ومن يَعمل مثقال ذرَّةٍ شراً يرَه}».

٣٦٤٧ ـ عن أنَسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال: «صبَّحَ رسولُ الله ﷺ خَيبر بُكرةً وقد خرَجوا بالمسَاحي، فلما رأوهُ قالوا: محمدٌ والخَميسُ، فأجالوا إلى الحِصْنِ يَسعونَ، فرفَعَ النبيُّ ﷺ يدَيهِ وقالَ: اللهُ أكبرُ، خَربَتْ خَيبَرُ، إنا إذا نزَلْنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المنذَرين».

٣٦٤٨ ـ عنْ أبِي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «قُلتُ: يا رسولَ اللهِ إنِّي سمِعْتُ منكَ حديثاً كثيراً فأنساهُ. قال: ابسُطْ رِداءَكَ، فبسطتُهُ، فغرَفَ بيدَيهِ فيه ثم قال: ضُمَّهُ، فضمَمْتهُ، فما نَسيتُ حديثاً بَعد».

قوله (أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ) هما أسيد بن حضير وعباد بن بشر، وسيأتي بيان ذلك في فضائل الصحابه قريباً إن شاء الله تعالى.

قوله (فدعا له بالبركة في بيعه) واستدل به على جواز بيع الفضولي، وتوقف الشافعي فيه فتارة قال: لا يصح لأن هذا الحديث غير ثابت، وهذه رواية المزني عنه، وتارة قال: إن صح الحديث قلت به.

بسم الله الرحمن الرحيم

٦٢ - كتاب فضائلْ أصحاب النبي ﷺ

١ - باب فضائلِ أصحاب النبيِّ ﷺ

ومَنْ صَحِبَ النبيَّ أو رآهُ مِنَ المُسلمِينَ فَهُوَ مِنْ أَصْحابِهِ

٣٦٤٩ - عَنْ أبِي سَعيدِ الخُدْريِّ قالَ: قالَ رسولَ اللهِ ﷺ «يَأتي عَلى النَّاسِ زَمانٌ فَيَغْزو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيَقولُونَ: فيكم مَنْ صاحَبَ رسولَ الله ﷺ؟ فيقولونَ لهم: نعم، فَيُفْتحُ لهم. ثُمَّ يَأتي عَلى النَّاس زمانٌ فَيَغزو فِئامٌ مِنَ الناسِ فَيُقالُ: فيكُم مَنْ صاحَبَ أَصْحابَ رَسولِ اللهِ ﷺ فَيَقولون: نَعَم فيُفْتحُ لهم. ثُمَّ يَأتي على النَّاس زَمانٌ فَيَغْزو فِئامُ مِنَ الناسِ فيُقالُ: هل فيكُمْ مَنْ صاحَبَ مَنْ صاحَبَ أَصْحابَ رَسولِ الله ﷺ؟ فَيَقولون: نَعَم، فيُفْتحُ لهم».

٣٦٥٠ - عن عِمرانَ بن حصينٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «خَيرُ أُمَّتي قَرْني، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذين يَلُونَهُمْ. قال عِمرانُ: فَلا أَدْري أذكر بَعْدَ قَرْنِه قَرْنَيْنِ أو ثلاثاً ثُمَّ إنَّ بَعْدَكم قَوْماً يَشْهَدُون ولا يُسْتَشْهدون ويخونونَ ولا يُؤْتَمنُون، ويَنذُرونَ ولا يَفون، ويَظْهَرُ فِيهم السِّمَن».

٣٦٥١ - عنْ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْني، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهم، ثم الَّذينَ يَلُونَهم، ثُمَّ يَجيءُ قومٌ تَسبِقُ شَهادَةُ أَحَدِهم يَمينَهُ، ويَمينُهُ شهادتَه»، قالَ قالَ إبراهيم: وكانُوا يَضْرِبونَنا على الشَّهادَةِ والعَهْدِ ونَحْنُ صِغارٌ.

قوله (باب فضائل أصحاب رسول الله[1] ﷺ أي بطريق الإجمال ثم التفصيل، أما الإجمال فيشمل جميعهم لكنه اقتصر فيه على شيء مما يوافق شرطه، وأما التفصيل فلمن ورد فيه شيء بخصوصه على شرطه.

قوله (ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه) يعني أن اسم صحبة النبي ﷺ مستحق لمن صحبه أقل ما يطلق عليه اسم صحبة لغة وإن كان العرف يخص ذلك ببعض الملازمة، ويطلق أيضاً على من رآه رؤية ولو على بعد، وهذا الذي ذكره البخاري هو الراجح، والذي جزم به البخاري هو قول أحمد والجمهور من المحدثين، وقول البخاري «من المسلمين» قيد يخرج به من صحبه أو من رآه من الكفار، فأما من أسلم بعد موته منهم فإن كان قوله: «من المسلمين» حالاً خرج مَنْ هذه صفته وهو المعتمد. ويرد على التعريف من

(١) رواية الباب واليونينية "أصحاب النبي ﷺ".

صحبه أو رآه مؤمناً به ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد إلى الإسلام فإنه ليس صحابياً اتفاقاً، فينبغي أن يزاد فيه «ومات على ذلك».

قوله (يأتي على الناس زمان فيغزو فئام) أي جماعة. ويستفاد منه بطلان قول من ادعى في هذه الأعصار المتأخرة الصحبة، لأن الخير يتضمن استمرار الجهاد والبعوث إلى بلاد الكفار وأنهم يسألون: هل فيكم أحد من أصحابه؟ فيقولون لا، وكذلك في التابعين وفي أتباع التابعين، وقد وقع كل ذلك فيما مضى وانقطعت البعوث عن بلاد الكفار في هذه الأعصار، بل انعكس الحال في ذلك على ما هو معلوم مشاهد من مدة متطاوله ولا سيما في بلاد الأندلس، وضبط أهل الحديث آخر من مات من الصحابة، وهو على الإطلاق أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم في صحيحه، وكان موته سنة مائة وقيل سنة سبع ومائة وقيل سنة عشر ومائة، وهو مطابق لقوله ﷺ قبل وفاته بشهر (على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد».

قوله (خير أمتي قرني) أي أهل قرني، والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، ويقال إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل، ويطلق القرن على مدة من الزمان، واختلفوا في تحديدها من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين، والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة، وقد سبق في صفة النبي ﷺ قوله «وبعثت في خير قرون بني آدم».

واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشيا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رءوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن، وظهر قوله ﷺ «ثم يفشو الكذب» ظهوراً بيِّنًا حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات والله المستعان.

قوله (ثم الذين يلونهم) أي القرن الذي بعدهم وهم التابعون (ثم الذين يلونهم) وهم أتباع التابعين، واقتضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين والتابعون أفضل من أتباع التابعين، لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد؟ محل بحث، وإلى الثاني نحا الجمهور، والأول قول ابن عبد البر، والذي يظهر أن من قاتل مع النبي ﷺ أو في زمانه بأمره أو أنفق شيئاً من ماله بسببه لا يعدله في الفضل أحد بعده كائناً من كان، وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث، والأصل في ذلك قوله تعالى {لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا} الآية، واحتج ابن عبد البر بحديث (مثل أمتي مثل المطر لا يدرى اوله خير أم آخره» وهو

حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة.

واحتج أيضاً بأن السبب في كون القرن الأول خيرالقرون أنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار حينئذ وصبرهم على أذاهم وتمسكهم بدينهم، قال: فكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن كانوا أيضاً عند ذلك غرباء، وزكت أعمالهم في ذلك الزمان كما زكت أعمال أولئك. ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» وقد تعقب كلام ابن عبد البر بأن مقتضى كلامه أن يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة وبذلك صرح القرطبي، لكن كلام ابن عبد البر ليس على الإطلاق في حق جميع الصحابة، فإنه صرح في كلامه باستثناء أهل بدر والحديبية. نعم والذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ، ، وأما من انفق له الذب عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة وضبط الشرع المتلقي عنه وتبليغه لمن بعده فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلا والذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر فضلهم. ومحصل النزاع يتمخض فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة كما تقدم، فإن جمع بين مختلف الأحاديث المذكورة كان متجها.

قوله (ثم إن بعدهم(١) قوما)

استدل بهذا الحديث على تحديد أهل القرون الثلاثة وإن تفاوتت منازلهم في الفضل، وهذا محمول على الغالب والأكثرية، واستدل به على جواز المفاضلة بين الصحابة قاله المازري، وقد تقدم باقي شرحه في الشهادات(٢).

٢ ـ باب مَناقب المهاجرينَ وفَضْلهم

مِنهم أبو بَكْر عَبدُ اللهِ بن أبِي قُحافَةَ التَّيْميُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وَقَوْلِ اللهِ تعالى/الحشر: ٨/: {لِلفُقَراءِ المهاجِرينَ الَّذين أُخْرِجوا مِنْ دِيارِهم وأمْوالِهم يَبْتَغونَ فَضْلاً من اللهِ ورِضْواناً ويَنْصُرونَ اللهَ ورسولَهُ، أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}

وقالَ /التوبة: ٤٠/: {إلاَّ تَنْصُروهُ فَقَد نَصَرَهُ اللهُ -إلى قَوله- إن اللهَ معنا}

قالَتْ عَائِشَةُ وأَبُو سعيدٍ وابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ «وكانَ أبُو بَكْرٍ مَعَ النبيِّ ﷺ في الغارِ»

٣٦٥٢ ـ عنِ البراءِ قالَ: «اشْتَرى أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ عازبٍ رَحْلاً بثلاثة عَشرَ دِرْهَماً، فَقالَ أبو بَكْر لِعازبٍ: مُرِ البَراءَ فَلْيَحمِل إليَّ رَحْلي، فَقالَ عازِبٌ: لا حَتَّى

(١) رواية الباب واليونينية "بعدكم"

(٢) كتاب الشهادات باب / ٩ ح ٢٦٥١ - ٢ / ٤٧٢

تُحدِّثنا كَيفَ صَنعتَ أنتَ ورسولُ الله ﷺ حِينَ خَرَجْتُما مِنْ مَكَّةَ والمُشركونَ يَطْلُبونكُمْ. قالَ: ارتَحَلْنا مِنْ مَكَّةَ فَأحيَيْنا -أو سَرَينا- لَيْلَتَنا ويَوْمَنا حَتَّى أظْهَرْنا وقامَ قائمُ الظَّهيرةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصَري هَلْ أرَى مِنْ ظِلٍّ فآوِي إليه، فإذا صَخْرَةٌ أتَيْتُها، فَنَظرتُ بَقيةَ ظِلٍّ لها فَسَوَّيتُه، ثُمَّ فرشْتُ للنبيِّ ﷺ فيه، ثُمَّ قُلْتُ له: اضْطَجِعْ يانَبيَّ الله فاضْطَجَعَ النَّبيُّ ﷺ، ثُمَّ انطلَقْتُ أنْظُرُ مَا حَولي: هَلْ أرَى مِنَ الطَّلَبِ أحداً؟ فإذا أنَا بِراعي غَنَم يَسوقُ غَنَمهُ إلى الصَّخْرةِ، يُريدُ مِنْها الذي أردنا، فَسألتهُ فَقُلْتُ له: لِمَن أنتَ يا غُلامُ؟ فقالَ لرجُلٍ مِنْ قُرَيشٍ سَمَّاهُ فَعرَفْتُه، فَقُلْتُ: هَلْ في غَنَمِكَ من لَبَنٍ؟ قالَ نَعَم. قلتُ: فَهَل أنتَ حالِبٌ لنا؟ قال: نَعَم. فأمَرْتُهُ فاعتَقَل شاةً مِنْ غَنَمِه، ثُمَّ أمَرتُه أنْ يَنفُضَ ضَرْعها مِنَ الغُبارِ، ثُمَّ أمَرتُه أنْ يَنفُضَ كَفَّيه فقالَ هكذا، ضَرَبَ إحْدَى كَفَّيه بالأخرى فَحلَبَ لي كُثبةً مِنْ لَبَنٍ، وقد جَعَلتُ لرسولِ اللهِ ﷺ إداوةً على فَمِها خِرقَةٌ، فَصَبَبْتُ على اللبَنِ حتَّى بَرَدَ أسْفَلُهُ، فانطَلَقْتُ به إلى النبيِّ ﷺ فَوافَقْتُهُ قَد استَيقَظ، فَقُلْتُ: اشرَبْ يا رسولَ الله، فشربَ حتَّى رَضيت. ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحيلُ يا رَسول الله، قال: بَلى. فارتَحَلْنا والقَوْمُ يَطْلُبونَنا، فَلَم يُدْرِكْنا أحدٌ مِنهُمْ غَيْرُ سُراقةَ بن مالك بن جُعْشُم على فَرَسٍ له فقلتُ: هذا الطَّلَب قد لَحِقَنا يا رسولَ اللهِ فقالَ: لاَ تَحزَنْ إن اللهَ مَعَنا».

{تريحون} بالعشي، {تسرحون} بالغداة.

٣٦٥٣ - عَنْ أبِي بَكرٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «قلتُ للنبيِّ ﷺ وأنَا فِي الغارِ: لو أن أحدَهم نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيه لأبصرَنا. فقال: ما ظَنُّكَ يا أبا بَكْرٍ باثْنَينِ اللهُ ثالثُهُما».

[الحديث ٣٦٥٣ - طرفاه في: ٣٩٢٢، ٤٦٦٣]

قوله (باب مناقب المهاجرين وفضلهم)، والمراد بالمهاجرين من عدا الأنصار ومن أسلم يوم الفتح وهلم جرا، فالصحابة من هذه الحيثية ثلاثة أصناف، والأنصار هم الأوس والخزرج وحلفاؤهم ومواليهم.

قوله (منهم أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة التيمي)

ولُقِّب الصديق لسبقه إلى تصديق النبي ﷺ وقيل كان ابتداء تسميته بذلك صبيحة الإسراء.

قوله (وقال الله[١] تعالى { إلا تنصروه فقد نصره الله} الآية) وأشار المصنف بها إلى ثبوت فضل الأنصار فإنهم امتثلوا الأمر في نصره، وكان نصر الله له في حال التوجه إلى المدينة بحفظه من أذى المشركين الذين اتبعوه ليردوه عن مقصده، وفي الآية أيضاً فضل أبي بكر الصديق لأنه انفرد بهذه المنقبة حيث صاحب رسول الله ﷺ في تلك السفرة ووقاه بنفسه، وشهد الله له فيها بأنه صاحب نبيه، وفي الحديث من الفوائد: خدمة التابع الحر المتبوع في

(١) رواية الباب واليونينية "وقال" فقط.

يقظته والذب عنه عند نومه، وشدة محبة أبي بكر للنبي ﷺ وأدبه معه وإيثاره له على نفسه، وفيه أدب الأكل والشرب واستحباب التنظيف لما يؤكل ويشرب، وفيه استصحاب آلة السفر كالإداوة والسفرة ولا يقدح ذلك في التوكل وستأتي قصة سراقة في الهجرة[١] مستوفاة إن شاء الله تعالى.

٣ ـ باب قولِ النبيِّ ﷺ:

«سدُّوا الأبوابَ إلا بابَ أبي بكر» قاله ابنُ عبَّاسٍ عن النبيِّ ﷺ.

٣٦٥٤ ـ عنْ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «خَطَبَ رسولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ وقال: إن اللهَ خَيَّر عبداً بيْنَ الدُّنيا وبيْن مَا عنده، فَاختارَ ذلك العبدُ ما عند اللهِ. قالَ فبكى أبو بكرٍ، فَعَجِبْنا لبُكائهِ أنْ يُخبِّر رسولُ اللهِ ﷺ عن عبدٍ خُيِّرَ، فكان رسولُ اللهِ ﷺ هُوَ المُخَيَّرُ، وكان أبو بكرٍ أعلمنا. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: إنْ أَمَنَّ الناس عليَّ في صُحْبَتِهِ وماله أبو بكرٍ ولو كنت متَّخِذاً خليلاً غير ربي لاتخذتُ أبا بكرٍ، ولكن. أخوَّةُ الإسلامِ ومودَّتهُ لا يَبْقَيَنَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ، إلا بابَ أبي بكرٍ».

قوله (وكان أبو بكر أعلمنا) في رواية مالك «وكان أبو بكر هو أعلمنا به» أي بالنبي ﷺ، أو بالمراد من الكلام المذكور.

قوله (أن أمنَّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر)، وقوله «أمنَّ» أفعل تفضيل من المن بمعنى العطاء والبذل، بمعنى أن أبذل الناس لنفسه وماله، لا من المنة التي تفسد الصنيعة.

قوله (ولكن أخوة الاسلام ومودته) أي حاصلة.

قوله (إلا سد) بضم المهملة، وفي رواية مالك (خوخة) بدل «باب» والخوخة طاقة في الجدار تفتح لأجل الضوء ولا يشترط علوها وحيث تكون سفلى يمكن الاستطراق منها لاستقراب الوصول إلى مكان مطلوب، وهو المقصود هنا، ولهذا أطلق عليها باب، وقيل لا يطلق عليها باب إلا إذا كانت تغلق.

قوله (إلا باب أبي بكر) هو استثناء مفرغ، والمعنى لا تبقوا بابا غير مسدود إلا باب أبي بكر فاتركوه بغير سد، قال الخطابي وابن بطال وغيرهما: في هذا الحديث اختصاص ظاهر لأبي بكر، وفيه إشارة قوية إلى استحقاقه الخلافة. ولا سيما وقد ثبت أن ذلك كان في آخر حياة النبي ﷺ في الوقت الذي أمرهم فيه أن لا يؤمهم إلا أبو بكر. وقد ادعى بعضهم أن الباب كناية عن الخلافة، والأمر بالسد كناية عن طلبها كأنه قال: لا يطلبن أحد الخلافة إلا أبا بكر فإنه لا حرج عليه في طلبها، وإلى هذا جنح ابن حبان فقال بعد أن أخرج هذا

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٤٥ ح ٣٩٠٦ - ٣ / ٢٣٣

الحديث: في هذا دليل على أنه الخليفة بعد النبي ﷺ، لأنه حسم بقوله سدوا عني كل خوخة في المسجد» أطماع الناس كلهم عن أن يكونوا خلفاء بعده.

وفي حديث الباب من الفوائد غير ما تقدم فضيلة ظاهرة لأبي بكر الصديق وأنه كان متأهلا لأن يتخذه النبي ﷺ خليلا لولا المانع المتقدم ذكره، ويؤخذ منه أن للخليل صفة خاصة تقتضي عدم المشاركة فيها، وأن المساجد تصان عن التطرق إليها لغير ضرورة مهمة، والإشارة بالعلم الخاص دون التصريح لإثارة أفهام السامعين وتفاوت العلماء في الفهم وأن من كان أرفع في الفهم استحق أن يطلق عليه أعلم، وفيه الترغيب في اختيار ما في الآخرة على ما في الدنيا، وفيه شكر المحسن والتنويه بفضله والثناء عليه، وقال ابن بطال: فيه أن المرشح للإمامة يخص بكرامة تدل عليه كما وقع في حق الصديق في هذه القصة.

٤ - باب فَضْلِ أبي بَكْرٍ بَعد النبيِّ ﷺ

٣٦٥٥ - عنِ ابنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عَنهُمَا قالَ: «كُنَّا نَخيرُ بَيْنَ النَّاس في زمَنِ النبيِّ ﷺ فنُخيِّرُ أبا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ، ثمَّ عُثْمانَ بنَ عَفَّانَ رضِيَ اللهُ عَنهُمْ».

[الحديث ٣٦٥٥ - طرفه في: ٣٦٩٧]

قوله (باب فضل أبي بكر - بعد النبي ﷺ أي رتبة الفضل، وليس المراد البعدية الزمانية فإن فضل أبي بكر كان ثابتاً في حياته ﷺ كما دل عليه حديث الباب.

قوله (كنا نخير بين الناس في زمان[1] رسول الله ﷺ) أي نقول: فلان خير من فلان الخ، وفي رواية عبيد الله بن عمر عن نافع الآتية في مناقب عثمان «كنا لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ فلا نفاضل بينهم» .وقوله (لا نعدل بأبي بكر) أي لا نجعل له مثلا، ولأبي داود من طريق سالم عن ابن عمر «كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان» زاد الطبراني في رواية «فيسمع رسول الله ﷺ ذلك فلا ينكره»، وفي الحديث تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر، كما هو المشهور عند جمهور أهل السنة، وذهب بعض السلف إلى تقديم علي على عثمان، وممن قال به سفيان الثوري ويقال إنه رجع عنه، وقال به ابن خزيمة وطائفة قبله وبعده، وقيل لا يفضل أحدهما على الآخر، وحديث الباب حجة للجمهور، ونقل البيهقي في «الاعتقاد» بسنده إلى أبي ثور عن الشافعي أنه قال: أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.

٥ - باب قَوْلِ النبيِّ ﷺ «لَو كُنْتُ مُتَّخذاً خَليلا» قاله أبو سَعيد

٣٦٥٦ - عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عَنهُمَا عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخذاً خليلاً

(١) رواية الباب واليونينية كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ.

لاتَّخذتُ أبا بَكْرٍ، ولكن أخي وصاحبي».

٣٦٥٧ ـ عَنْ أيّوبَ وقالَ: «لو كُنْتُ مُتَّخِذاً خليلاً لاتَّخذْتُهُ خليلا، ولكِن أخُوَّةُ الإسلام أفْضَل»

٣٦٥٨ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بن أبي مُلَيْكَةَ قالَ: كَتَبَ أهلُ الكوفةِ إلى ابنِ الزُّبَيْرِ في الجَدِّ، فقالَ: أمّا الّذي قالَ رسولُ الله ﷺ: «لو كُنْتُ مُتَّخِذاً من هذه الأمّةِ خليلا لاتَّخذته، أنزله أباً، يعني أبا بَكْرٍ».

٣٦٥٩ ـ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ جُبَيْر بنِ مُطْعِمٍ عن أبيهِ قالَ: «أتَتِ امْرَأَةٌ لنبيٍّ ﷺ فأمَرَها أن تَرجِعَ إليه قالَتْ: أرأيت إن جِئْتُ ولم أجِدْكَ -كأنها تقولُ الموتَ- قال ﷺ: إنْ لم تَجِديني فأتى أبا بَكْرٍ».

[الحديث ٣٦٥٩ - طرفاه في: ٧٢٢٠، ٧٣٦٠]

٣٦٦٠ ـ عن عَمّارٍ قال: «رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وما مَعَهُ إلا خَمْسَةُ أعْبُدٍ وامْرَأتانِ وأبو بَكْرٍ».

[الحديث ٣٦٦٠ - طرفه في: ٣٨٥٧]

٣٦٦١ ـ عَنْ أبِي الدَّرْداءِ رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كُنْتُ جَالِساً عند النبيِّ ﷺ، إذْ أقْبَلَ أبُوبَكْرٍ آخذاً بِطرَفِ ثَوْبِه حَتى أبْدى عَنْ رُكْبَتِه، فقالَ النبيُّ ﷺ: أمّا صاحِبُكُم فَقَد غامَرَ فَسَلَّم وقالَ: يا رسولَ الله، إنّي كانَ بَيْني وبيْنَ ابنِ الخَطّابِ شيءٌ، فأسرعْتُ إليه ثم نَدِمْتُ، فَسَأَلته أنْ يَغفِرَ لي فَأبى عليَّ، فأقْبَلْتُ إلَيكَ. فقالَ: يغفرُ الله لكَ يَا أبَا بَكْرٍ (ثلاثاً). ثُمَّ إنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأتى مَنْزِلَ أبي بَكْرٍ فَسألَ: أثَمَّ أبو بَكْرٍ؟ فقالوا: لا. فَأتى إلى النَّبيِّ ﷺ، فَجَعَل وَجْهُ النَّبيِّ ﷺ يَتَمعَّرُ، حتّى أشْفَقَ أبو بكرٍ فَجَثا على رُكْبَتَيه فقالَ: يا رسولَ الله، والله أنا كنتُ أظلَم (مَرَّتَيْن) فقالَ النبيُّ ﷺ: إنَّ الله بعثني إلَيْكُم، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وقالَ أبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وواساني بِنَفْسِهِ ومالِهِ فَهَلْ أنْتُمْ تاركولي صاحِبي؟ (مَرَّتَيْن)، فما أوذِيَ بَعْدَها».

[الحديث ٣٦٦١ - طرفه في: ٤٦٤٠]

٣٦٦٢ ـ عَنْ عَمْرِو بن العاصِ رَضِيَ الله عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلى جَيْشِ ذاتِ السَّلاسِلِ، فَأتَيْتُهُ فقلتُ: أيُّ الناسِ أحَبُّ إلَيْكَ؟ قالَ: عائشَة. فقُلْتُ مِنَ الرِّجالِ؟ قالَ: أبوها: قُلْتُ ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخطابِ، فَعَدَّ رِجالاً».

[الحديث ٣٦٦٢ - طرفه في: ٤٣٥٨]

٣٦٦٣ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: بَيْنَما راعٍ في غَنَمِهِ عدا عليهِ الذِّئبُ فأخَذَ مِنْها شاةً فَطَلَبَهُ الرّاعي، فَالْتَفَتَ إلَيْهِ الذِّئْبُ فقال:

مَنْ لها يَوْمَ السبُع، يَوْمَ لَيْسَ لها راعٍ غَيْري؟ وبَيْنَما رجُلٌ يَسوقُ بقرةً قد حَمَلَ عَلَيْهَا، فَالتفتَتْ إليهِ فكَلَّمَتْهُ فقالت: إنّي لم أُخْلَقْ لهذا، ولكنّي خُلِقْتُ للحَرْثِ. فقالَ الناسُ: سُبْحانَ الله، قالَ النبيُّ ﷺ: فإنّي أُومِنُ بذلِكَ وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ بنُ الخطّابِ رضيَ الله عَنْهُمَا».

٣٦٦٤ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «بَيْنَا أنا نائمٌ رَأيتُني على قَليبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنها ما شاء الله. ثُمَّ أخَذَها ابنُ أبي قُحافَةَ فَنَزَعَ بها ذَنوباً أو ذَنُوبَيْنِ، وفي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، واللهُ يَغْفِرُ له ضَعْفَهُ. ثُمَّ اسْتَحالَتْ غَرباً فأخذها ابنُ الخطّابِ، فَلَم أرَ عَبْقَرِياً مِنَ النّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ، حَتى ضَرَبَ الناسُ بِعَطَنٍ».

[الحديث ٣٦٦٤ - أطرافه في: ٧٠٢١، ٧٠٢٢، ٧٤٧٥]

٣٦٦٥ ـ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «مَنْ جَرَّ ثَوبهُ خُيَلاءَ لم يَنْظُرِ اللهُ إليهِ يَوْمَ القِيامَةِ. فقالَ أبو بَكْرٍ إنَّ أحَدَ شِقَّي ثَوبي يَسْترخي، إلا أنْ أتَعَاهَدَ ذلك مِنْه. فَقالَ رسولُ الله ﷺ: إنَّكَ لَسْتَ تَصنَعُ ذلك خُيلاءَ» قال موسى: فقُلْتُ لِسالِمٍ أذكَرَ عَبْدُ الله «مَنْ جَرَّ إزارَهُ»؟ قالَ لم أسْمَعْهُ ذكَرَ إلا «ثَوبَهُ».

[الحديث ٣٦٦٥ - أطرافه في: ٥٧٨٣، ٥٧٨٤، ٥٧٩١، ٦٠٦٢]

٣٦٦٦ ـ عَنْ أبي هُرَيرَةَ قالَ: «سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: مَن أنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شيءٍ مِن الأشياءِ في سبيل الله دُعِيَ مِنْ أبوابِ - يَعْني الجَنَّة - يا عَبدَ الله هذا خَيرٌ فَمَنْ كانَ مِنْ أهلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بابِ الصَّلاة، ومَنْ كان من أهل الجِهادِ دُعِيَ مِنْ باب الجِهادِ، ومن كانَ من أهل الصَّدَقَةِ دعِيَ مِنْ باب الصَّدَقَة ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الصيَّامِ دُعِيَ مِنْ باب الصيَّامِ وباب الرَّيانِ. فَقَالَ أبو بكرٍ: ما على هذا الذي يُدْعى مِنْ تلك الأبوابِ مِنْ ضَرُورَةٍ. وقالَ هَلْ يُدْعى منها كُلِّها أحدٌ يا رسولَ الله؟ قال: نعم، وأرْجو أنْ تكونَ مِنْهم يا أبا بَكْرٍ».

٣٦٦٧ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا زوجَ النبيِّ ﷺ «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ماتَ وأبُو بكرٍ بالسُّنْحِ - قال إسماعيلُ: يَعني بالعالِيَةِ - فَقامَ عُمَرُ يقولُ واللهِ ما ماتَ رسولُ الله ﷺ. قالَتْ وقالَ عُمَرُ: والله ما كانَ يقعُ في نَفْسي إلا ذاكَ، ولَيَبْعَثَنَّهُ الله فَليقْطَعَنَّ أيْدِيَ رِجالٍ وأرْجُلَهم. فجاءَ أبو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ فقالَ: بأبي أنْتَ وأمي، طِبتَ حَياً ومَيْتاً والذي نَفْسي بِيَدِه لايُذيقُك اللهُ المَوتَتَين أبداً ثُمَّ خرجَ فقالَ: أيُّها الحالِفُ، عَلى رِسْلِك. فَلمّا تَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ».

٣٦٦٨ - «فَحَمِدَ اللهَ أبو بكرٍ وأثنى عَلَيه وقال: ألا مَنْ كان يعبُدُ مُحمَّداً ﷺ فإن مُحمَّداً قد مَاتَ، ومَنْ كان يَعبُدُ الله فإنَّ الله حَيٌّ لا يموتُ وقال /الزمر: ٣٠/: {إنَّك مَيِّتٌ وإنَّهم مَيِّتون} وقال /آل عمران: ١٤٤/: {وما مُحمَّدٌ إلا رسولٌ قَد خَلَتْ مِنْ قَبْلِه الرُّسُلُ، أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ انقلَبْتم على أعقابِكم؟ ومَنْ يَنْقَلِبْ على عَقِبَيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً، وسَيَجْزي اللهُ الشاكرين} قالَ فَنَشَجَ الناسُ يَبْكونَ. قال واجْتَمَعتِ الأنصارُ إلى سَعدِ بن عُبادةَ في سَقيفةِ بني ساعِدةَ فقالوا: مِنَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ؛ فذَهَبَ إليهم أبو بَكْرٍ وعُمَرُ ابنُ الخَطَّابِ وأبُو عُبيدةَ بنُ الجَرَاحِ، فذهَبَ عُمَرُ يَتكَلَّمُ، فأسْكَتَهُ أبو بكْرٍ، وكانَ عُمَرُ يقولُ: واللهِ ما أرَدْتُ بذلكَ إلا أنِّي قَدْ هَيَّأتُ كَلاماً قَدْ أعْجَبَني خَشيتُ أنْ لا يَبْلُغَهُ أبو بكرٍ، ثُمَّ تَكلَّمَ أبو بكرٍ فتَكَلَّم أبلَغَ الناسِ فقالَ في كلامِهِ نَحْنُ الأمَراءُ وأنْتُمُ الوزَراءُ، فقالَ حبابُ بنُ المُنْذرِ لا واللهِ لا نَفعَلُ مِنَّا أميرٌ ومِنْكم أميرٌ فقالَ أبو بَكْرٍ: لا، ولكنَّا الأمَراءُ وأنتُمُ الوُزَراءُ، هُم أوسطُ العَرَبِ داراً وأعْرَبُهم أحْساباً، فَبايِعوا عُمَرَ أو أبَا عُبَيْدَةَ. فقالَ عمرُ: بل نُبايعُكَ أنتَ، فأنْتَ سيِّدُنا وخَيْرُنا وأحَبُّنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأخَذَ عمَرُ بيدِهِ فبايعَهُ وبايعَهُ النَّاسُ، فقالَ قائِلٌ: قتلتم سعد بن عبادة، فقالَ عُمَرُ: قتلهُ اللهُ».

٣٦٦٩ - عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهَ عنهَا قالَتْ: «شَخَصَ بَصرُ النبيِّ ﷺ ثُمَّ قالَ: في الرَّفيقِ الأعلى (ثلاثا) وقَصَّ الحَديثَ. قالَتْ: فما كانَ مِنْ خُطبتِهما من خُطبَةٍ إلا نفعَ اللهُ بها، لَقَد خَوَّفَ عُمَرُ الناسَ وإنَّ فيهم لِنفاقا فَرَدَّهُمُ اللهُ بذلكَ».

٣٦٧٠ - «ثُمَّ لَقَد بَصَّرَ أبو بَكْرٍ النَّاسَ الهُدَى، وعَرَّفَهُمُ الحقَّ الذي عَلَيْهِم وخرجوا بِهِ يَتْلونَ {وما مُحَمَّدٌ إلاَّ رسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قبلهِ الرُّسُلُ -إلى- الشَّاكرين}».

٣٦٧١ - عنْ مُحَمَّد بن الحَنَفِيَّةِ قالَ: «قُلْتُ لأبي: أيُّ الناسِ خَيْرٌ بَعْدَ رسولِ اللهِ ﷺ؟ قالَ: أبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وخَشيتُ أنْ يقولَ عُثْمانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أنْتَ؟ قالَ: ما أنا إلا رَجُلٌ منَ المُسْلمين».

٣٦٧٢ - عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عنهَا أنَّهَا قالَتْ: «خَرَجْنَا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ في بعض أسْفارِهِ، حتى إذا كُنَّا بالبَيْداءِ -أو بذاتِ الجَيْشِ- انْقطَعَ عِقْدٌ لي، فأقامَ رسولُ اللهِ ﷺ على التِماسِهِ، وأقامَ الناسُ مَعَهُ، وليْسوا عَلى ماءٍ، ولَيْسَ مَعَهُمْ ماءٌ. فَأتى النَّاسُ أبَا بَكْرٍ فَقالوا: ألا تَرَى ما صَنَعَتْ عائِشَةُ؟ أقامَتْ بِرَسولِ اللهِ ﷺ وبالنَّاسِ مَعَهُ، وليْسوا على ماءٍ، وليْسَ مَعَهم ماءٌ. فجاءَ أبو بَكْرٍ ورَسولُ اللهِ ﷺ واضِعٌ رَأسَهُ على فَخِذي قَدْ نامَ فقالَ: حَبَسْتِ رسولَ اللهِ ﷺ والنَّاسَ، وليسوا على ماءٍ ولَيْسَ معَهُمْ ماءٌ. قالَتْ فَعاتبني وقالَ مَا شاءَ اللهُ أنْ يَقولَ، وجَعَلَ يَطعُنُني بيدهِ في خاصِرَتي فلا يَمْنَعُني مِنَ

التَّحَرُّكِ إلا مَكان رَسولِ الله ﷺ على فَخِذي، فَنامَ رَسولُ الله ﷺ حَتَّى أصْبحَ على غيْر ماءٍ، فأنزلَ اللهُ آيةَ التَّيَمُّم {فتيمَّموا} [٤٣: النساء]، فقالَ أُسَيْدُ بنُ الحَضير: ما هِي بأوَّلِ بركَتِكُم يا آلَ أبي بَكْرٍ فقالتْ عائِشَةُ: فَبَعَثْنَا البَعيرَ الذي كُنْتُ عليهِ فَوَجدنَا العقدَ تحته».

٣٦٧٣ ـ عَنْ أبِي سَعيدٍ الخدريِّ رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ النبيُّ ﷺ «لا تَسُبُّوا أصْحابِي، فَلَو أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أحَدِهم ولا نَصيفَه».

٣٦٧٤ ـ عَنْ أبِي مُوسَى الأشْعَرِيِّ أنَّهُ تَوَضَّأَ في بَيْتِه ثُمَّ خَرَجَ فَقُلْتُ: لألْزَمَنَّ رسولَ الله ﷺ ولأكونَنَّ مَعَهُ يَوْمي هذا. قالَ فَجاءَ المَسْجِدَ فَسَألَ عنِ النبيِّ ﷺ فقالوا: خَرَجَ ووَجَّهَ ها هنا، فَخَرجْتُ على إثْرِهِ أسْألُ عَنْه حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أريسٍ، فَجَلستُ عِنْدَالبابَ -وبابُها مِنْ جريدٍ- حتَّى قَضَى رسولُ الله ﷺ حاجَتَه فَتَوَضَّأَ، فَقُمْتُ إلَيْه، فَإذا هُوَ جالِسٌ على بئرِ أريسٍ وتَوسَّطَ قُفَّها وكَشَفَ عَنْ ساقَيه ودَلاَّهُمَا في البِئرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيه ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عندَ البابِ فقلتُ: لأكونَنَّ بوَّابَ رسولِ الله ﷺ اليَومَ، فَجاءَ أبوبَكْرٍ فَدَفَعَ البابَ، فقُلْتُ مَن هذا؟ فقالَ: أبو بَكْرٍ. فقُلْتُ: على رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقلت: يا رسولَ الله هذا أبو بكرٍ يَستأذِن، فقَالَ: ائذَن له وبَشِّرْهُ بالجَنَّة. فأقْبَلْتُ حتى قُلتُ لأبِي بكر: أدخل ورسول الله ﷺ يُبَشِّرُكَ بالجَنَّة. فَدَخَلَ أبو بكرٍ فَجَلَسَ عَن يَمينِ رسولِ الله ﷺ مَعَهُ في القُفِّ ودَلَّى رِجْلَيْهِ في البِئرِ كمَا صَنَعَ النبيُّ ﷺ وكشَفَ عن ساقَيهِ. ثم رَجَعتُ فَجَلَسْتُ وقَد تَرَكْتُ أخي يَتَوَضَّأُ ويَلحَقني، فَقُلْتُ إن يُرِدِ الله بِفُلانٍ خَيْراً -يُريدُ أخاهُ- يَأْتِ بِهِ. فَإذا إنْسانٌ يُحَرِّكُ البابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هذا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بن الخطاب، فقلتُ على رِسْلك ثُمَّ جِئْتُ إلى رسولِ الله ﷺ فسلمت عَليهِ فقلتُ: هذا عُمَرُ بن الخَطابِ يَسْتَأذِنُ. فقالَ: ائْذَن لهُ وبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ فجِئتُ فقلتُ: ادخُلْ وبَشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بالجَنَّة. فَدَخَلَ فَجَلسَ معَ رسولِ الله ﷺ في القُفِّ عَنْ يَسارِهِ ودَلَّى رِجْلَيه في البِئرِ. ثُمَّ رَجَعْتُ فجلست فقُلْتُ: إنْ يُرِدِ الله بفُلانٍ خيراً يَأتِ بِهِ، فَجاءَ إنْسانٌ يُحَرِّكُ البابَ، فقُلتُ: من هذا؟ فقالَ: عُثْمانُ بنُ عَفَّانَ قلتُ: على رِسلكَ، فَجِئْتُ إلى رسولِ الله ﷺ فَأخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ائْذَنْ لَهُ وبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ على بَلْوَى تُصيبهُ، فَجِئتُهُ فقُلْتُ لهُ: ادخُلْ، وبَشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بالجَنَّةِ على بَلْوَى تُصيبُكَ. فَدَخَلَ فَوَجَدَ القُفَّ قَد مُلِئَ، فَجَلَسَ وِجاهَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ. قالَ شَريكُ بنُ عَبدِ اللهِ قالَ سعيد بن المسيَّب: فأوَّلتها قبورهم».

[الحديث ٣٦٧٤ - أطرافه في: ٣٦٩٣، ٦٢١٦، ٧٠٧٩، ٧٢٦٢]

٣٦٧٥ ـ عَنْ أنَسِ بنِ مَالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ صَعِدَ أحداً وأبو بكر وعمرُ وعُثْمَانُ فَرَجَفَ بهم، فقالَ: اثْبُتْ أحدُ، فإن عليكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشَهيدانِ».

[الحديث ٣٦٧٥ - طرفاه في: ٣٦٨٦، ٣٦٩٩]

٣٦٧٦ - عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «بَيْنَمَا أَنَا على بئرٍ أنزعُ منها جاءني أبو بكرٍ وعمرُ، فأخَذَ أبو بكر الدَّلْوَ فنزع ذَنُوباً أو ذَنُوبَيْن وفي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، واللهُ يَغْفِرُ له. ثم أخذها ابن الخطَّاب مِنْ يَد أبي بَكْرٍ فاسْتَحالَتْ في يدهِ غربا، فلَم أرَ عَبْقَرِيّاً مِن الناسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ، فَنَزَعَ حتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ» قالَ وهْبٌ: العَطَنُ مَبْرَكُ الإبِلِ، يقولُ حَتَّى رَوِيَتِ الإبِلُ فأنَاخَت.

٣٦٧٧ - عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «إنِّي لَوَاقِفٌ في قَوْمٍ فَدَعَوُا اللهَ لِعُمَرَ بن الخَطَّابِ - وقد وُضِعَ على سَرِيرِه - إذا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَد وَضَعَ مِرفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي يقولُ: رحِمكَ اللهُ، إن كُنْتُ لأرْجو أنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، لأنّي كَثيراً ما كُنْتُ أسْمَعُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: كُنْتُ وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ، وفَعَلْتُ وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ - وانْطَلَقْتُ وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ، فإنْ كنتُ لأرْجو أنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا. فَالْتَفتُّ فإذَا هُوَ عَلِيُّ بنُ أبي طالبٍ».

٣٦٧٨ - عَنْ عُرْوَةَ بْن الزُّبَيْرِ قَالَ: سألْتُ عبدَ اللهِ بن عَمْرٍو عَنْ أشَدِّ مَا صَنَعَ المُشركونَ برسولِ اللهِ ﷺ، قالَ: رأيتُ عُقْبَةَ بنَ أبي مُعَيطٍ جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ وهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رداءً في عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ به خَنْقاً شَديداً، فَجاءَ أبو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنه فَقَالَ: {أتَقْتُلونَ رجُلاً أنْ يَقولَ رَبِّيَ اللهُ وقَدْ جاءَكُمْ بالبَيِّناتِ من رَبِّكُمْ} /غافر: ٢٨/.

[الحديث ٣٦٧٨ - طرفاه في: ٣٨٥٦، ٤٨١٥]

قوله (إن جئت ولم أجدك، كأنها تقول الموت).

وفي الحديث أن مواعيد النبي ﷺ كانت على من يتولى الخلافة بعده تنجيزها. وفيه رد على الشيعة في زعمهم أنه نص على استخلاف علي والعباس، وسيأتي شيء من ذلك في «باب الاستخلاف» من كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى.

قوله (إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر) أما الأعبد فهم بلال وزيد بن حارثة وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر، فإنه أسلم قديما مع أبي بكر، وروى الطبراني من طريق عروة أنه كان ممن كان يعذب في الله فاشتراه أبو بكر وأعتقه، وأبو فكيهة مولى صفوان بن أمية بن خلف ذكر ابن إسحق أنه أسلم حين أسلم بلال فعذبه أمية فاشتراه أبو بكر فأعتقه. وأما الخامس فيحتمل أن يفسر بشقران، وأما المرأتان فخديجة والأخرى أم أيمن أو سمية، وفي هذا الحديث أن أبا بكر أول من أسلم من الأحرار مطلقا، ولكن مراد عمار بذلك ممن أظهر إسلامه، وإلا فقد كان حينئذ جماعة ممن أسلم لكنهم كانوا يخفونه من أقاربهم.

قوله (يتمعر أي نضارته من الغضب).

قوله (حتى أشفق أبو بكر) زاد محمد بن المبارك «أن يكون من رسول الله ﷺ إلى عمر مايكره».

قوله (فجثا) أى برك، وفي الحديث من الفوائد فضل أبي بكر على جميع الصحابة، وأن الفاضل لا ينبغي له أن يغاضب من هو أفضل منه، وفيه جواز مدح المرء في وجهه، ومحله إذا أمن عليه الافتتان والاغترار، وفيه ما طبع عليه الإنسان من البشرية حتى يحمله الغضب على ارتكاب خلاف الأولى، لكن الفاضل في الدين يسرع الرجوع إلى الأولى كقوله تعالى: {إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف(١)من الشيطان تذكروا} وفيه أن غير النبي ولو بلغ من الفضل الغاية ليس بمعصوم. وفيه استحباب سؤال الاستغفار والتحلل من المظلوم، وفيه أن من غضب على صاحبه نسبه إلى أبيه أو جده ولم يسمه باسمه وذلك من قول أبي بكر لما جاء وهو غضبان من عمر «كان بيني وبين ابن الخطاب» فلم يذكره باسمه، ونظيره، قوله ﷺ «إلا إذا كان ابن أبي طالب يريد أن ينكح ابنتهم». و فيه أن الركبة ليست عورة.

قوله (يوم السبع) المراد به الحيوان المعروف.

قال ابن الجوزي: فالمعنى إذا أخذها السبع لم يقدر على خلاصها منه فلا يرعاها حينئذ غيري، أي أنك تهرب منه وأكون أنا قريبا منه أرعى مايفضل لي منها. وقال الداودي: معناه من لها يوم يطرقها السبع - أي الاسد- فتفر أنت منه فيأخذ منها حاجته وأتخلف أنا لاراعي لها حينئذ غيري، وقيل إنما يكون ذلك عند الاشتغال بالفتن فتصير الغنم هملا فتنهبها السباع فيصير الذئب كالراعي لها لانفراده بها.

قوله (وبينما رجل يسوق بقرة) تقدم الكلام عليه في المزارعة(١).

قوله (وأرجو أن تكون منهم) قال العلماء: الرجاء من الله ومن نبيه واقع، وبهذا التقرير يدخل الحديث في فضائل أبي بكر، وفي الحديث من الفوائد أن من أكثر من شيء عرف به، وأن أعمال البر قل أن تجتمع جميعها لشخص واحد على السواء، وأن الملائكة يحبون صالحي بني آدم ويفرحون بهم، فإن الإنفاق كلما كان أكثر كان أفضل، وأن تمني الخير في الدنيا والآخرة مطلوب.

قوله (لا يذيقك الله الموتتين) تقدم شرحه في أوائل الجنائز، وقد تمسك به من أنكر الحياة في القبر، وأجيب عن أهل السنة المثبتين لذلك بأن المراد نفي الموت اللازم من الذي أثبته عمر بقوله «وليبعثه الله في الدنيا ليقطع أيدي القائلين بموته» وليس فيه تعرض لما يقع في البرزخ، وأحسن من هذا الجواب أن يقال: إن حياته ﷺ في القبر لا يعقبها موت بل يستمر

(١) كتاب الحرث والمزارعة باب / ٤ ح ٢٣٢٤ - ٢ / ٣٣٧

حيا، والأنبياء أحياء في قبورهم، ولعل هذا هو الحكمة في تعريف الموتتين حيث قال لا يذيقك الله الموتتين أي المعروفتين المشهورتين الواقعتين لكل أحد غير الأنبياء.

وفيه بيان رجحان علم أبي بكر على عمر فمن دونه، وكذلك رجحانه عليهم لثباته في مثل ذلك الأمر العظيم.

قوله (أيها الحالف على رسلك) أي هينتك ولا تستعجل وتقدم في الطريق الذي بالجنائز أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس فقال: اجلس، فأبى، فتشهد أبو بكر، فمال الناس إليه وتركوا عمر.

قوله (فنشج الناس) أي بكوا بغير انتحاب.

قوله (فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ) قد أفرد بعض الرواة هذا القدر من هذا الحديث، فأخرجه الترمذي.

«أن عمر قال لأبي بكر أنت سيدنا الخ،، وأخرجه ابن حبان، وهو أوضح ما يدخل في هذا الباب من هذا الحديث.

قوله (فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة) أي كدتم تقتلونه، وقيل هو كناية عن الإعراض والخذلان، ويرده ماوقع في رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب «فقال قائل من الأنصار: أبقوا سعد بن عبادة لا تطئوه، فقال عمر: اقتلوه قتله الله»، نعم لم يرد عمر الأمر بقتله حقيقة، وأما قوله «قتله الله» فهو دعاء عليه، وعلى الأول هو إخبار عن إهماله والإعراض عنه، وفي حديث مالك «فقلت وأنا مغضب قتل الله سعدا فإنه صاحب شر وفتنة» قال ابن التين: إنما قالت الأنصار: «منا أمير ومنكم أمير» على ما عرفوه من عادة العرب أن لا يتأمر على القبيلة إلا من يكون منها، فلما سمعوا حديث «الائمة من قريش» رجعوا عن ذلك وأذعنوا. قلت حديث «الأئمة من قريش» سيأتي ذكر من أخرجه بهذا اللفظ في كتاب الأحكام، واستُدل بقول الأنصار: «منا أمير ومنكم أمير» على أن النبي ﷺ لم يستخلف، وبذلك صرح عمر كما سيأتي.

قال القرطبي في «المفهم»: لو كان عند أحد من المهاجرين والأنصار نص من النبي ﷺ على تعيين أحد بعينه للخلافة لما اختلفوا في ذلك ولا تفاوضوا فيه، قال: وهذا قول جمهور أهل السنة، واستند من قال إنه نص على خلافة أبي بكر بأصول كلية وقرائن حالية تقتضي أنه أحق بالإمامة وأولى بالخلافة. قلت: وقد تقدم بعضها في ترجمته، وسيأتي بعضها في الوفاة النبوية[١] آخرالمغازي إن شاء الله تعالى.

قوله (قلت لأبي: أي الناس خير)؟ في رواية محمد بن سوقة عن منذر عن محمد بن علي

(١) كتاب المغازي باب /٨٣ ح ٤٤٤٥ - ٣ / ٤٣٥

«قلت لأبي: يا أبتي من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أو ما تعلم يابني؟ قلت: لا، قال: أبو بكر» أخرجه الدار قطني، وفي رواية الحسن بن محمد بن الحنفية عن أبيه «قال: سبحان الله يا بني، أبوبكر».

قال القرطبي في «المفهم» ما ملخصه: الفضائل جمع فضيلة، وهي الخصلة الجميلة التي يحصل لصاحبها بسببها شرف وعلو منزلة ،إما عند الحق وإما عند الخلق، والثاني لا عبرة به إلا إن أوصل إلى الأول، فإذا قلنا فلان فاضل فمعناه أن له منزلة عند الله، وهذا لاتوصل إليه إلا بالنقل عن الرسول، فإذا جاء ذلك عنه إن كان قطعيًا قطعنا به أو ظنيا عملنا به، وإذا لم تجد الخير فلا خفاء أنا إذا رأينا من أعانه الله على الخير ويسر له أسبابه أنا نرجو حصول تلك المنزلة له لما جاء في الشريعة من ذلك، قال: وإذا تقرر ذلك فالمقطوع به بين أهل السنة بأفضلية أبي بكر ثم عمر، ثم اختلفوا فيمن بعدهما فالجمهور على تقديم عثمان، وعن مالك التوقف، والمسألة اجتهادية، ومستندها أن هؤلاء الأربعة اختارهم الله تعالى لخلافة نبيه وإقامة دينه فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة والله أعلم.

قوله (فلو أن أحدكم) فيه إشعار بأن المراد بقوله أولا «أصحابي» أصحاب مخصوصون، وإلا فالخطاب كان للصحابة، وقد قال: «لو أن أحدكم أنفق» وهذا كقوله تعالى {لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل} الآية، ومع ذلك فنهى بعض من أدرك النبي ﷺ وخاطبه بذلك عن سب من سبقه يقتضي زجر من لم يدرك النبي ﷺ ولم يخاطبه عن سب من سبقه من باب الأولى، وغفل من قال إن الخطاب بذلك لغير الصحابة وإنما المراد من سيوجد من المسلمين المفروضين في العقل تنزيلا لمن سيوجد منزلة الموجود للقطع بوقوعه، ووجه التعقب عليه وقوع التصريح في نفس الخبر بأن المخاطب بذلك خالد بن الوليد وهو من الصحابة الموجودين إذ ذاك بالاتفاق.

قال البيضاوي: معنى الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه. وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية. قلت: وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية عظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه، وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال كما وقع في الآية {من أنفق من قبل الفتح وقاتل} فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذي ذكرته، وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيما لشده الحاجة إليه وقلة المعتني به بخلاف ما وقع بعد ذلك لأن المسلمين كثروا بعد الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا فإنه لا يقع ذلك الموقع المتقدم. والله أعلم.

(تكملة) اختلف في ساب الصحابي، فقال عياض: ذهب الجمهور إلى أنه يعزر، وعن بعض المالكية يقتل، وخص بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسنين فحكى القاضي حسين في ذلك وجهين، وقواه السبكي في حق من كفَّر الشيخين، وكذا من كفَّر من صرح النبي ﷺ بإيمانه أو تبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر بذلك عنه لما تضمن من تكذيب رسول الله ﷺ.

قوله (حتى دخل بئر أريس) بستان بالمدينة معروف يجوز فيه الصرف وعدمه، وهو بالقرب من قباء، وفي بئرها سقط خاتم النبي ﷺ من إصبع عثمان (رضى الله عنه).

قوله (وتوسط قفها) هو الداكة التي تجعل حول البئر.

قوله (وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني) كان لأبي موسى أخوان أبو رهم وأبو بردة، وقيل إن له أخا آخر اسمه محمد، وأشهرهم أبو بردة واسمه عامر.

قوله (فاذا إنسان يحرك الباب) فيه حسن الأدب في الاستئذان، وسيأتي في آخر مناقب عمر من طريق أبي عثمان النهدي عن أبي موسى بلفظ «فجاء رجل فاستفتح» فعرف أن قوله: «يحرك الباب» إنما حركه مستأذنا لا دافعا له ليدخل بغير إذن.

قوله (فجلس وجاهه) أي مقابله.

قوله (أنزع منها) أي أملأ الماء بالدلو.

قوله (فنزع ذنوبا أو ذنوبين) الدلو الكبيرة إذا كان فيها الماء واتفق من شرح هذا الحديث على أن ذكر الذنوب إشارة إلى مدة خلافته وفيه نظر لأنه ولي سنتين وبعض سنة، فلو كان ذلك المراد لقال ذنوبين أو ثلاثة، والذي يظهر لي أن ذلك إشارة إلى ما فتح في زمانه من الفتوح الكبار وهي ثلاث، ولذلك لم يتعرض في عمر إلى عدد ما نزعه من الدلاء وإنما وصف نزعه بالعظمة إشارة إلى كثرة ما وقع في خلافته من الفتوحات والله أعلم. وقد ذكر الشافعي تفسير هذا الحديث في «الأم» فقال بعد أن ساقه: ومعنى قوله «وفي نزعه ضعف» قصر مدته وعجلة موته وشغله بالحرب لأهل الردة عن الافتتاح والازدياد الذي بلغه عمر في طول مدته، انتهى.

قوله (وفي نزعه ضعف) أي أنه على مهل ورفق .

قوله (والله يغفر له).

قلت: ويحتمل أن يكون فيه إشارة إلى أن قلة الفتوح في زمانه لاصنع له فيه، لأن سببه قصر مدته، فمعنى المغفرة له رفع الملامة عنه.

قوله (فاستحالت في يده غربا) أي دلوا عظيمة.

قوله (فلم أر عبقريا) والمراد به كل شيء بلغ النهاية.

قوله (يفري) معناه يعمل عمله البالغ.

قوله (حتى ضرب الناس بعـ ن) هو مناخ الإبل إذا شربت ثم صدرت.

(فائدة): مات أبو بكر رضي الله عنه بمرض السل على ماقاله الزبير بن بكار، وعن الواقدي انه اغتسل في يوم بارد فخم خمسة عشر يوما، وقيل بل سمته اليهود في حريرة أو غيرها وذلك على الصحيح لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، فكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وأياما، وقيل غير ذلك، ولم يختلفوا أنه استكمل سن النبي ﷺ فمات وهو ابن ثلاث وستين، والله أعلم.

٦ ـ باب مَناقِبِ عُمَرَ بنِ الخَطّاب أبي حَفْصٍ القُرَشِيِّ العَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٣٦٧٩ ـ عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ الله رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «رَأَيتُني دخَلْتُ الجَنَّةَ، فإذَا أنا بالرُّمَيْصاءِ امْرَأةِ أبي طَلحَةَ، وسَمِعْتُ خَشْفَةً فقُلْتُ مَنْ هذا؟ فَقَالَ: هذا بلالٌ. ورَأَيتُ قَصْراً بفنائه جاريَةٌ فقُلْتُ: لِمَنْ هذا؟ فَقالَ: لِعُمَر. فأرَدْتُ أنْ أدْخُلَهُ فأنْظُرَ إلَيْهِ فَذَكَرتُ غَيْرَتَكَ. فَقَالَ عُمَرُ: بأبي وأمّي يا رَسولَ الله أعَلَيْكَ أغارُ؟».

[الحديث ٣٦٧٩ - طرفاه في: ٥٢٢٦، ٧٠٢٤]

٣٦٨٠ ـ عَنْ أبي هُرَيرَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذ قالَ: بَيْنَا أنَا نائمٌ رأيتُني في الجَنَّةِ، فإذا امْرَأةٌ تَتَوضَّأُ إلى جانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هذا القَصْرُ؟ قالوا: لِعُمَرَ فَذكَرْت غَيْرَتَهُ فوَلَّيتَ مُدبِراً، فَبَكى عُمَرُ وقالَ: أعَلَيكَ أغارُ يا رسولَ اللهِ؟».

٣٦٨١ ـ عَنْ حَمْزَةَ عَنْ أبيهِ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «بَيْنَا أنَا نائِمٌ شَرِبْتُ - يَعْني اللَّبَنَ- حَتى أنْظُرَ إلى الرِّيِّ يَجْرِي في ظُفُري - أو في أظفاري- ثُمَّ ناوَلْتُ عُمَرَ. قالوا: فَمَا أوَّلْتَهُ يا رَسولَ الله، قالَ: العِلْمُ».

٣٦٨٢ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّ النبيَّ ﷺ قالَ: «أُرِيتُ في المَنَامِ أنّي أنْزِعُ بِدَلْوِ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ، فَجَاءَ أبو بَكْرٍ فنزع ذَنُوباً أو ذَنُوبَيْنِ نَزعاً ضَعِيفاً واللهُ يَغْفِرُ لَهُ. ثُمَّ جاءَ عُمَرُ بن الخطاب فاسْتَحالَتْ غَرْباً، فَلم أرَ عَبْقَرِيّاً يَفْرِي فَرِيَّه، حَتى رَوِيَ النَّاسُ وضَرَبُوا بعطنٍ» قالَ ابنِ جُبَيرٍ: العَبْقَرِيُّ عِتاقُ الزَّرابِيّ، وقالَ يَحيى: الزرابيُّ الطنافِسُ لها خَمْلٌ رَقِيقٌ. {مَبْثُوثَة}: كَثيرة.

٣٦٨٣ ـ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ سَعْدِ بن أبي وقّاص عَنْ أبيهِ قالَ: «اسْتَأذَنَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ عَلَى رسولِ الله ﷺ وعِندَهُ نِسْوَةٌ من قُرَيشٍ يُكَلِّمنَهُ ويَسْتَكثِرْنَهُ، عاليَةً أصْواتُهنّ على صَوْتِه فَلَمَّا اسْتَأذَنَ عُمَرُ بنُ الخَطابِ قُمْنَ فَبادَرنَ الحِجابَ، فأذِنَ لَهُ رسولُ الله ﷺ،

فَدَخَلَ عُمَرُ ورَسولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يا رسولَ اللهِ، فقالَ النبيُّ ﷺ: عَجِبْتُ مِنْ هؤلاءِ اللاتي كُنَّ عِنْدي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجابَ. قالَ عُمَرُ: فأنتَ أحَقُّ أنْ يَهَبْنَ يا رسولَ اللهِ. ثُمَّ قالَ عُمَرُ: يا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي ولا تَهَبْنَ رسولَ اللهِ ﷺ؟ فقُلْنَ: نَعَمْ، أنْتَ أَفَظُّ وأَغْلَظُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: إيها يا ابنَ الخطّاب، والذي نَفسي بِيَدِهِ، مالَقِيَكَ الشَّيْطانُ سالِكاً فَجّاً قَطُّ إلا سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ».

٣٦٨٤ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ «مازِلْنا أعِزَّةً مُنْذُ أسْلَمَ عُمَرُ».

[الحديث ٣٦٨٤ – طرفه في: ٣٨٦٣]

٣٦٨٥ ـ عن ابن عَبَّاسٍ قال: «وُضِعَ عُمَرُ على سَرِيرِهِ، فَتَكَنَّفَهُ الناسُ يَدْعونَ ويُصَلُّونَ قَبْلَ أنْ يُرْفَعَ – وأنَا فيهم – فلم يَرُعْنِي إلا رَجُلٌ آخِذٌ مَنْكِبِي فإذا عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، فَتَرَحَّمَ على عمر وقالَ: ما خَلَّفْتَ أحَداً أحَبَّ إليَّ أنْ ألقى اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ وايمُ اللهِ إنْ كُنْتُ لأظُنُّ أنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وحَسِبْتُ إنّي كَثيراً أسْمَعُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «ذَهَبْتُ أنا وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ، ودخلت أنَا وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ، وخَرَجْتُ أنا وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ».

٣٦٨٦ ـ عَنْ أنَسِ بنِ مَالِكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «صَعِدَ النبيُّ ﷺ أحداً ومَعَهُ أبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وقالَ: اثْبُتْ أُحُدُ، فما عَلَيكَ إلاَّ نَبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شَهيدان».

٣٦٨٧ ـ عَن زَيْدِ بنَ أسْلَمَ عَنْ أبيهِ قالَ: «سَألني ابنُ عُمَرَ عَنْ بَعْضِ شَأْنِهِ -يَعْني عُمَرَ- فأخْبَرْتُه، فَقَالَ: ما رَأيتُ أحَداً قَطُّ بَعْدَ رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ حين قُبِض كانَ أجَدَّ وأجْوَدَ حَتَّى انتهى مِن عُمَرَ بنِ الخَطّابِ».

٣٦٨٨ ـ عَنْ أنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أنَّ رجلاً سَألَ النبيَّ ﷺ عَن السَّاعَةِ فقالَ: مَتى السَّاعَةُ؟ قالَ: وماذا أعددْتَ لها؟ قالَ: لا شَيءَ، إلاَّ أنّي أُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ ﷺ. فقال: أنت مَعَ مَنْ أحْبَبْتَ. قالَ أنَس: فَمَا فَرِحْنَا بِشيءٍ فَرَحْنا بقولِ النبيِّ ﷺ: أنْتَ مَعَ مَنْ أحْبَبْتَ. قالَ أنَسٌ: فأنا أُحِبُّ النبيَّ ﷺ وأبَا بَكْرٍ وعُمَرَ، وأرْجو أنْ أكونَ مَعَهم بِحُبِّي إيّاهُمْ، وإنْ لم أعْمَلْ بِمِثْلِ أعْمالِهم».

[الحديث ٣٦٨٨-أطرافه: في ٦١٦٧، ٦١٧١، ٧١٥٣]

٣٦٨٩ ـ عن أبِي هُرَيرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ كانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأمَمِ ناسٌ مُحَدَّثون، فإنْ يَكُ في أُمَّتي أحَدٌ فإنَّهُ عُمَرُ».

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قال: قالَ النبيُّ ﷺ: «لَقَدْ كانَ فِيمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ من بَني إسْرائيلَ

رِجَالٌ يُكَلَّمونَ مِنْ غيرِ أنْ يكونُوا أنبياءَ، فإنْ يَكُنْ في أُمَّتي مِنهُمْ أحَدٌ فعُمَرُ».

قالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا «مِنْ نَبِيٍّ ولا مُحَدَّثٍ».

٣٦٩٠ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: بَيْنَمَا رَاعٍ في غَنَمِه عَدا الذِّئبُ فأخَذَ منْهَا شاةً، فطَلَبَها حتى اسْتَنْقَذَها، فالتَفَتَ إليْهِ الذِّئبُ فقالَ لهُ: مَن لها يوْمَ السَّبُعِ ليْسَ لها راعٍ غيْري؟ فقالَ الناسُ: سُبْحانَ اللهِ؟ فقَالَ النبيُّ ﷺ: فإنِّي أومِنُ بِهِ وأبُو بَكرٍ وعُمَرُ. ومَا ثم أبو بَكرٍ وعُمَرُ».

٣٦٩١ ـ عَنْ أَبِي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: بَيْنَا أنَا نَائِمٌ رَأيتُ الناسَ عُرِضوا عَلَيَّ وعَلَيهم قُمُصٌ، فَمِنْهَا ما يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، ومِنْها ما يَبْلُغُ دُونَ ذلِكَ، وعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وعَلَيْهِ قَميصٌ اجْتَرَّهُ، قالوا: فما أوَّلْتَهُ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: الدِّينَ».

٣٦٩٢ ـ عَنِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ قالَ: «لما طُعِنَ عُمَرُ جَعَلَ يألَمُ، فَقَالَ لَهُ ابن عبَّاسٍ - وكأنه يُجَزِّعُهُ -: يا أميرَ المُؤْمنين، ولَئِنْ كانَ ذاكَ، لقد صَحبتَ رسولَ اللهِ ﷺ فأحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ راضٍ، ثُمَّ صحِبْتَ أبَا بَكرٍ فأحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ راضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ صَحَبَتَهُمْ فأحْسَنْتَ صُحبتهم، ولئن فارَقتَهم لتُفارِقَنَّهم وهم عَنْكَ راضون. قالَ: أمَّا ما ذكَرتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ ورِضاهُ فإنَّما ذاكَ مَنٌّ مِنَ اللهِ تَعالَى مَنَّ به عليَّ، وأمَّا ما ذكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أبي بَكرٍ ورِضاهُ فإنَّما ذاكَ مَنٌّ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَنَّ به عَلَيَّ، وأمَّا ما تَرَى مِنْ جَزَعي فَهُوَ مِنْ أجْلِكَ وأجْلِ أصْحابِكَ. واللهِ لو أنَّ لي طِلاعَ الأرْضِ ذَهَباً لأفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذابِ اللهِ عزَّ وجلَّ قبْلَ أنْ أراهُ».

عَنْ أبي مُلَيْكَةَ عن ابنِ عبّاسٍ «دَخَلتُ عَلى عُمَرَ» بهذا

٣٦٩٣ ـ عَنْ أبي مُوسَى رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «كُنْتُ مَعَ النبيِّ ﷺ في حائطٍ مِنْ حيطانِ المدينة، فَجاءَ رجُلٌ فاستَفْتَحَ، فقالَ النبيُّ ﷺ: افْتَحْ لَهُ وبَشِّرْهُ بالجَنَّة، فَفَتَحْتُ لَهُ، فإذا هُوَ أبُو بَكرٍ، فَبَشَّرْتُهُ بما قالَ رسولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ. ثُمَّ جاءَ رجُلٌ فاستَفْتَحَ، فقالَ النبيُّ ﷺ: افتَحْ لهُ وبَشِّرْهُ بالجَنَّة، فَفَتَحْتُ لهُ فإذا هُوَ عُمَرُ فأخبَرتُه بمَا قالَ النبيُّ ﷺ فَحمِدَ اللهَ. ثُمَّ استَفْتَحَ رَجُلٌ، فقالَ لي: افتَحْ لَهُ وبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ على بَلْوَى تُصيبُهُ فإذا عُثْمانُ، فأخْبَرْتُهُ بمَا قالَ رسولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ قالَ: اللهُ المُستَعانُ».

٣٦٩٤ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ هشامٍ قالَ: «كُنَّا مَعَ النبيِّ ﷺ وهُوَ آخذٌ بِيَدِ عُمَرَ بنِ الخَطابِ».

[الحديث ٣٦٩٤-طرفاه في: ٦٢٦٤، ٦٦٣٢]

قوله (أبي حفص القرشي العدوي) أما كنيته فجاء في السيرة لابن إسحق أن النبي ﷺ كناه بها، وكانت حفصة أكبر أولاده، وأما لقبه فهو الفاروق باتفاق، فقيل أول من لقبه به النبي ﷺ رواه أبو جعفر بن أبي شيبة في تاريخه عن طريق ابن عباس عن عمر، ورواه ابن سعد من حديث عائشة.

قوله (وسمعت خشفة) أي حركة.

قال أبو عبيد: الخشفة الصوت ليس بالشديد، ومعنى الحديث هنا ما يسمع من حس وقع القدم.

قوله (فذكرت غيرتك) في الرواية التي في النكاح «فأردت أن أدخله فلم يمنعني إلا علمي بغيرتك» وقوله «أعليك أغار» معدود من القلب، والأصل أعليها أغار منك؟ قال ابن بطال: فيه الحكم لكل رجل بما يعلم من خلقه، وبكاء عمر يحتمل أن يكون سرورا، ويحتمل أن يكون تشوقا أو خشوعا، وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من مراعاة الصحبة، وفيه فضيلة ظاهرة لعمر، وفي الحديث فضيلة الرميصاء.

قوله (قالوا فما أولته) أي عبرته (قال العلم) أي أولته العلم، وفي الحديث فضيلة عمر وأن الرؤيا من شأنها أن لا تحمل على ظاهرها وإن كانت رؤيا الأنبياء من الوحي، لكن منها ما يحتاج إلى تعبير ومنها ما يحمل على ظاهره، وسيأتي تقرير ذلك في كتاب التعبير إن شاء الله تعالى. والمراد بالعلم هنا العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، واختص عمر بذلك لطول مدته بالنسبة إلى أبي بكر، وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان، فإن مدة أبي بكر كانت قصيرة فلم يكثر فيها الفتوح التي هي أعظم الأسباب في الاختلاف، ومع ذلك فساس عمر فيها - مع طول مدته - الناس بحيث لم يخالفه أحد، ثم ازدادت اتساعاً في خلافة عثمان فانتشرت الأقوال واختلفت الآراء ولم يتفق له ما اتفق لعمر من طواعية الخلق له فنشأت من ثم الفتن، إلى أن أفضى الأمر إلى قتله ، واستخلف علي فما ازداد الأمر إلا اختلافا والفتن الا انتشارا.

قوله (قال ابن جبير: العبقري عتاق الزرابي) والمراد بالعتاق: الحسان، والزرابي جمع زربية وهي البساط العريض الفاخر، قال في «المشارق: العبقري النافذ الماضي الذي لا شيء يفوقه، قال أبو عمر: وعبقري القوم سيدهم وقيمهم وكبيرهم.

قوله (الطنافس) هي جمع طنفسة وهي البساط.

قوله (لها خمل) أي أهداب.

قوله (استأذن عمر[١] على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش) هن من أزواجه،

(١) رواية الباب واليونينية "عمر بن الخطاب"

ويحتمل أن يكون معهن من غيرهن لكن قرينة قوله «يستكثرنه» يؤيد الأول، والمراد انهن يطلبن منه أكثر مما يعطيهن.

قوله (أضحك الله سنك) لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك بل لازمه وهو السرور

قوله (فجاً) أي طريقا واسعا.

قوله (إلا سلك فجاً غير فجك) فيه فضيلة عظيمة لعمر تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه، لا أن ذلك يقتضي وجود العصمة إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه في طريق يسلكها، ولا يمنع ذلك من وسوسته له بحسب ما تصل إليه قدرته فإن قيل عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة لأنه إذا منع من السلوك في طريق فأولى أن لا يلابسه بحيث يتمكن من وسوسته له فيمكن أن يكون حفظ من الشيطان، ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له لأنها في حق النبي واجبة وفي حق غيره ممكنة.

قوله (مازلنا أعزة منذ أسلم عمر) أي لما كان فيه من الجلد والقوة في أمر الله.

قوله (وضع عمر على سريره) أي لما مات

قوله (فلم يرعني) أي لم يفزعني، والمراد أنه رآه بغتة.

قوله (أحب) وفي هذا الكلام أن عليا كان لا يعتقد أن لأحد عملا في ذلك الوقت أفضل من عمل عمر .

قوله أجدّ أفعل من جد إذا اجتهد، وأجود أفعل من الجود.

قوله (بعد رسول الله ﷺ هو محمول على وقت مخصوص وهو مدة خلافته ليخرج النبي ﷺ وأبو بكر من ذلك).

قوله (حتى انتهى) أي إلى آخر عمره.

قوله (محدَّثون) بفتح الدال جمع محدث، واختلف في تأويله فقيل: مُلْهَم، قاله الأكثر.

وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، ويؤيده حديث «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر.

قوله (قالوا فما أولت[١] ذلك) سيأتي في التعبير أن السائل عن ذلك أبو بكر، ويأتي بقية شرحه هناك إن شاء الله تعالى. وقد استشكل هذا الحديث بأنه يلزم منه أن عمر أفضل من أبي بكر الصديق، والجواب عنه تخصيص أبي بكر من عموم قوله: «عرض عليّ الناس» فلعل الذين عرضوا إذ ذاك لم يكن فيهم أبو بكر، وأن كون عمر عليه قميص يجره لا

(١) رواية الباب واليونينية "أوَّلْتَه بدون ذلك"

يستلزم أن لا يكون على أبي بكر قميص أطول منه وأسبغ، فلعله كان كذلك إلا أن المراد كان حينئذ بيان فضيلة عمر فاقتصر عليها، والله أعلم.

قوله (وكأنه يجزّعه) أي ينسبه إلى الجزع ويلومه عليه أو معنى يجزعه يزيل عنه الجزع، وهو كقوله تعالى {حتى إذا فزّع عن قلوبهم} أي أزيل عنهم الفزع .

٧ - باب مَناقِبِ عُثْمانَ بنِ عَفّانَ أبي عَمْرٍو القُرْشِيِّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ

وقالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ يَحْفِرُ بِئْرَ رُومةَ فَلَه الجَنَّة. فَحَفَرَهَا عُثْمانُ»

وقالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّة. فَجَهَّزَهُ عُثْمانُ»

٣٦٩٥ - عَنْ أبي مُوسَى رضِيَ اللّهُ عَنْهُ «أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ حائطاً وأمَرَني بِحِفْظِ بابِ الحائطِ، فَجَاءَ رجلٌ يَسْتَأذِنُ فقالَ: ائذن لَهُ وبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ فإذا أبو بَكْرٍ، ثم جاءَ آخَرَ يَسْتَأذِنُ فقال: ائذن لَهُ وبَشِّرْهُ بالجَنَّة، فإذا عُمَرُ. ثُمَّ جاءَ آخَرُ يَسْتَأذِنُ، فَسَكَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قالَ: ائْذَنْ لهُ وبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ على بَلْوَى سَتُصيبُهُ، فإذا عُثْمانُ بنُ عَفّانَ».

عَن أبي مُوسى بِنَحْوِهِ، وزادَ فيهِ عاصِمٌ «أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ قاعِداً في مَكانٍ فيهِ ماءٌ قَد كَشَفَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ -أو رُكْبَتِه- فَلَمَّا دَخَلَ عُثْمانُ غَطاها».

٣٦٩٦ - عَنِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ وعَبدِ الرَّحمنِ بْنِ الأسْوَدِ بن عَبْدِ يَغوثَ قالا: «ما يَمْنَعُكَ أنْ تُكَلِّمَ عُثْمانَ لأخيهِ الوَليدِ فَقَدْ أكْثَرَ الناسُ فيهِ؟ فَقَصَدْتُ لِعُثْمانَ حَتّى خَرَجَ إلى الصَّلاةِ، قُلْتُ: إنَّ لي إلَيْكَ حاجَةً، وهِيَ نَصيحَةٌ لكَ. قالَ: يا أيُّها المَرْءُ مِنْكَ - قالَ مَعْمَرُ: أراهُ قالَ: أعوذُ باللهِ مِنْكَ - فَانْصَرَفْتُ فَرَجعتُ إليْهِما، إذ جاءَ رسول عُثْمانَ، فأتيته فقالَ: مَا نصيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: إنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بالحَقِّ، وأنْزَلَ عَلَيْهِ الكتابَ، وكُنْتَ مِمَّنِ اسْتَجابَ للهِ ولرسولِهِ ﷺ، فَهاجَرتَ الهِجْرَتَيْنِ، وصَحِبْتَ رسولَ اللهِ ﷺ ورأيْتَ هَدْيَه. وقَدْ أكثَرَ النّاسُ في شَأنِ الوَليدِ، قالَ: أدرَكْتَ رسولَ اللهِ ﷺ؟ قُلْتُ: لا، ولكن خَلَصَ إليَّ مِنْ عِلْمِهِ ما يَخْلُصُ إلى العَذْراءِ في سِتْرِها، قالَ أما بَعْدُ فَإنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بالحَقِّ، فَكُنْتُ مِمن اسْتَجابَ للهِ ولرسولِهِ، وآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ وهاجَرْتُ الهِجْرَتَيْنِ -كما قُلْتَ- وصَحِبْتُ رسولَ اللهِ ﷺ وبايَعْتُهُ، فواللهِ ما عَصَيْتُهُ ولا غَشَشْتُهُ حتّى تَوَفّاهُ اللهُ، ثُمَّ أبو بَكْرٍ مِثْلُه. ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ، أفَلَيْسَ لي مِنَ الحَقِّ مِثْلُ الذي لَهُمْ قُلْتُ: بَلى، قالَ: فَما هذهِ الأحاديثُ التي تَبْلُغُني عَنْكُم؟ أمّا ما ذَكَرتَ مِنْ شَأنِ الوَليدِ فَسَنَأخُذُ فيهِ بالحَقِّ إنْ شاءَ اللهُ. ثُمَّ دَعا عَلِيّاً فأمَرَهُ أنْ يَجْلِدَ، فَجَلَدَهُ ثَمانينَ».

[الحديث ٣٦٩٦ - طرفاه في: ٣٨٧٢، ٣٩٢٧]

٣٦٩٦ ـ عَنْ قَتادَةَ أنَّ أنَساً رَضِيَ الله عَنْهُ حَدَّثَهُمْ قالَ: «صَعِدَ النبيُّ ﷺ أحُداً ومَعَهُ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمانُ، فَرَجَفَ، فقالَ: اسْكُنْ أحُدُ - أظُنُّه ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ - فَلَيْسَ عَلَيْكَ إلا نَبِيٌّ وصِدِّيقٌ وشَهيدانِ».

٣٦٩٧ ـ عَنِ ابنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «كُنَّا فِي زَمَنِ النبيِّ ﷺ لا نَعْدِلُ بأبي بَكْرٍ أحداً، ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أصْحابَ النبيِّ ﷺ لا نُفاضِلُ بَيْنَهم».

٣٦٩٨ ـ عَنْ عُثْمان هُوَ ابن مَوْهَبٍ قالَ: «جاءَ رجُلٌ مِنْ أهْلِ مِصْرَ وحَجَّ البَيْتَ، فَرأى قَوْماً جُلوساً فقالَ: مَنْ هؤلاءِ القَوْمُ؟ فقالوا: هؤلاءِ قريشٌ، قالَ فمنِ الشَّيْخُ فيهم؟ قالوا: عبدُالله بنُ عمرَ. قال: يا ابن عمر إنِّي سائِلُكَ عَنْ شَيءٍ فَحَدِّثْني عَنْهُ: هَلْ تَعْلَمُ أنَّ عُثْمانَ فرَّ يومَ أحُدٍ؟ قالَ: نعم. فقالَ: تعلمُ أنهُ تغيَّبَ عَنْ بَدْرٍ ولم يَشْهَدْ؟ قالَ: نَعَم، قالَ الرَّجُلُ: هَلْ تَعْلَمُ أنَّه تَغَيَّب عَنْ بَيْعَة الرِّضْوانِ فَلَم يَشْهَدْهَا؟ قالَ: نَعَم، قالَ: اللهُ أكْبَرُ، قالَ ابنُ عُمَرَ: تعالَ أُبَيِّن لكَ أمّا فِرارُهُ يَوْمَ أحُدٍ فَأشْهَدُ أنَّ الله عَفا عَنْهُ وغَفَرَ لَهُ، وأمّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإنَّهُ كانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رسولِ الله ﷺ وكانَتْ مَرِيضَةً، فقالَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ إنَّ لكَ أجْرَ رجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً وسَهْمَهُ، وأمّا تَغَيُّبُه عَنْ بَيْعةِ الرِّضْوانِ فَلَو كانَ أحَدٌ أعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمانَ لَبَعَثَه مَكانَهُ، فَبَعَثَ رسولُ الله ﷺ عُثْمانَ، وكانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوانِ بَعْدَ ماذَهَب عُثْمانُ إلى مَكَّةَ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ بيدهِ اليُمْنى: هذهِ يدُ عُثْمانَ. فضَرَبَ بِها على يَده فقالَ: هذهِ لِعُثْمانَ، فقالَ لَهُ ابنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِها الآنَ مَعَك».

قوله (باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يجتمع مع النبي ﷺ في عبد مناف، وعدد ما بينهما من الآباء متفاوت، فالنبي ﷺ من حيث العدد في درجة عفان كما وقع لعمر سواء، وأما كنيته فهو الذي استقر عليه الأمر، وقد نقل يعقوب بن سفيان عن الزهري أنه كان يكنى أبا عبد الله بابنه عبد الله الذي رزقه من رقية بنت رسول الله ﷺ، ومات عبد الله المذكور صغيراً، وله ست سنين، وحكى ابن سعد أن موته كان سنة أربع من الهجرة، وماتت أمه رقية قبل ذلك سنة اثنتين والنبي ﷺ في غزوة بدر، وقد اشتهر أن لقبه ذو النورين.

قوله (وقال النبي ﷺ: (من يحفر بئر رومة فله الجنة فحفرها عثمان.) وقال النبي ﷺ: من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان) هذا التعليق تقدم ذكر من وصله في أواخر كتاب الوقف[1] وبسطت هناك الكلام عليه. والمراد بجيش العسرة تبوك كما سيأتي في المغازي.

قوله (فسكت هنيهة) بالتصغير أي قليلا.

(١) كتاب الوصايا باب / ٢٣ ح ٢٧٧٨ - ٢ / ٥٣٧

قوله (وزاد فيه عاصم أن النبي ﷺ كان قاعداً في مكان فيه ماء قد كشف عن ركبته، فلما دخل عثمان غطاها) قال ابن التين: أنكر الداودي هذه الرواية وقال: هذه الزيادة ليست من هذا الحديث بل دخل لرواتها حديث في حديث، وإنما ذلك الحديث أن أبابكر أتى النبي ﷺ وهو في بيته قد انكشف فخذه فجلس أبوبكر، ثم دخل عمر، ثم دخل عثمان فغطاها الحديث. قلت: يشير إلى حديث عائشة «كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيته كاشفا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحالة» الحديث، وفيه «ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة».

قوله (الوليد) أي ابن عقبة، وعقبة هو ابن أبي معيط بن أبي عمرو بن امية بن عبد شمس» وكان أخا عثمان لأمه، وكان عثمان ولاه الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص، فإن عثمان كان ولاه الكوفة لما ولي الخلافة بوصية من عمر كما سيأتي في آخر ترجمة عثمان في قصة مقتل عمر، ثم عزله بالوليد وذلك سنة خمس وعشرين، وكان سبب ذلك أن سعدا كان أميرها وكان عبد الله بن مسعود على بيت المال فاقترض سعد منه مالا، يتقاضاه فاختصما، فبلغ عثمان فغضب عليهما وعزل سعدا، واستحضر الوليد وكان عاملا بالجزيرة على عسر بها فولاه الكوفة.

قوله (فقد أكثر الناس فيه) أي في شأن الوليد أي من القول ووقع في رواية معمر وكان أكثر الناس فيما فعل به، أي من تركه إقامة الحد عليه، وإنكارهم عليه عزل سعد بن أبي وقاص به مع كون سعد أحد العشرة ومن أهل الشورى واجتمع له من الفضل والسن والعلم والدين والسبق إلى الإسلام مالم يتفق شيء منه للوليد بن عقبة، والعذر لعثمان في ذلك أن عمر كان عزل سعداً كما تقدم بيانه في الصلاة وأوصى عمر من يلي الخلافة بعده أن يولي سعداً قال: «لأني لم أعزله عن خيانة ولا عجز» كما سيأتي ذلك في حديث مقتل عمر قريبا، فولاه عثمان امتثالاً لوصية عمر، ثم عزله للسبب الذي تقدم ذكره وولى الوليد لما ظهر له من كفايته لذلك وليصل رحمه، فلما ظهر له سوء سيرته عزله، وإنما أخر إقامة الحد عليه ليكشف عن حال من شهد عليه بذلك، فلما وضح له الأمر أمر بإقامة الحد عليه.

قوله (خلص) وأراد ابن عدي بذلك أن علم النبي ﷺ لم يكن مكتوما ولا خاصا بل كان شائعاً ذائعًا حتى وصل إلى العذراء المستترة، فوصوله إليه مع حرصه عليه أولى.

قوله (فأمره أن يجلد) في رواية الكشميهني «أن يجلده».

قوله (فجلده ثمانين) في رواية معمر «فجلد الوليد أربعين جلدة» وهذه الرواية أصح من رواية يونس، ويرجع رواية معمر ما أخرجه مسلم من طريق أبي ساسان قال «شهدت عثمان أتى بالوليد وقد صلى الصبح ركعتين ثم قال أزيدكم، فشهد عليه رجلان أحدهما حمران يعني

مولى عثمان أنه قد شرب الخمر، فقال عثمان يا علي قم فاجلده، فقال علي قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: ول حارها من تولى قارها، فكأنه وجد عليه فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده، وعلي يعد حتى بلغ أربعين فقال أمسك. ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين وأبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكان ذلك سنة، وهذا أحب اليّ انتهى.

قوله (ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ لا نفاضل بينهم).

قال الخطابي: إنما لم يذكر ابن عمر عليا لأنه أراد الشيوخ وذوي الأسنان الذين كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر شاورهم، وكان علي في زمانه ﷺ حديث السن. قال ولم يرد ابن عمر الازدراء به ولا تأخيره عن الفضيلة بعد عثمان انتهى، وما اعتذر به من جهة السن بعيد لا أثر له في التفضيل المذكور، وقد اتفق العلماء على تأويل كلام ابن عمر هذا لما تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم علي بعد عثمان ومن تقديم بقية العشرة المبشرة على غيرهم ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدها وغير ذلك، فالظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل، فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهورا بينا فيجزمون به ولم يكونوا حينئذ اطلعوا على التنصيص، ويؤيده ماروى البزار عن ابن مسعود قال:«كنا نتحدث أن أفضل أهل المدينة علي بن أبي طالب، رجاله موثقون، وقد حمل أحمد حديث ابن عمر على ما يتعلق بالترتيب في التفضيل، واحتج في التربيع بعلي بحديث سفينة مرفوعا: «الخلافة ثلاثون سنة ثم تصير ملكا» أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره.

قوله (هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد الخ) الذي يظهر من سياقه أن السائل كان ممن يتعصب على عثمان فأراد بالمسائل الثلاث أن يقرر معتقده فيه.

قوله (قال ابن عمر: تعال أبين لك) كأن ابن عمر فهم منه مراده لما كبر، وإلا لو فهم ذلك من أول سؤاله لقرن العذر بالجواب، وحاصله أنه عابه بثلاثة أشياء فأظهر له ابن عمر العذر عن جميعها: أما الفرار فبالعفو، وأما التخلف فبالأمر، وقد حصل له مقصود من شهد من ترتب الأمرين الدنيوي وهو السهم والأخروي وهو الأجر، وأما البيعة فكان ماذونا له في ذلك أيضا، ويد رسول الله ﷺ خير لعثمان من يده.

قوله (فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له) يريد قوله تعالى {إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا، ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم}.

قوله (وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ) هي رقية.

قوله (فبعث النبي ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان) أي بعد أن بعثه والسبب في ذلك أن النبي ﷺ بعث عثمان ليعلم قريشاً أنه إنما جاء معتمراً لا محاربا، ففي غيبة عثمان شاع عندهم أن المشركين تعرضوا لحرب المسلمين، فاستعد المسلمون للقتال وبايعهم النبي ﷺ حينئذ

تحت الشجرة على أن لا يفروا وذلك في غيبة عثمان. وقيل بل جاء الخبر بأن عثمان قتل، فكان ذلك سبب البيعة، وسيأتي إيضاح ذلك في عمرة الحديبية من المغازي.

قوله (فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى) أي أشاربها.

قوله (فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك) أي اقرن هذا العذر بالجواب حتى لا يبقى لك فيما أجبتك به حجة على ماكنت تعتقده من غيبة عثمان.

٨ - باب قِصَّةُ البَيْعَة، والاتِّفاقُ عَلَى عُثْمانَ بن عفانَ رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ

وَفيهِ مَقْتَلُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ رضيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا

٣٧٠٠ - عَنْ عَمْرِو بنِ مَيْمونٍ قالَ: «رأيتُ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ رضيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَبْلَ أنْ يُصابَ بأيّامٍ بِالْمَدينَة وَوَقَفَ عَلَى حُذَيفَةَ بنِ اليَمانِ وعُثمانَ بن حُنَيْفٍ قالَ: كَيْفَ فَعَلْتما؟ أتَخافانِ أنْ تكونا حَمَّلْتما الأرْضَ مالا تُطيقُ؟ قالا: حَمَّلْنَاها أمْراً هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ، ما فِيهَا كَبيرُ فَضْلٍ. قالَ: انظُرا أنْ تَكونا حَمَّلْتُما الأرْضَ ما لا تُطيقُ، قالا: لا، فَقَالَ عُمَرُ: لَئِنْ سَلَّمَني اللّٰهُ لأدَعَنَّ أرامِلَ أهْلِ العِراقِ لا يَحْتَجْنَ إلى رجُلٍ بَعْدي أبَداً، قالَ فَما أتَتْ عليه إلا رابِعَة حتى أُصيبَ، قالَ: إنِّي لقائِمٌ ما بَيْني وبَيْنَهُ إلا عَبْدُ اللّٰه بنُ عَبّاسٍ غَداةَ أُصيبَ -وكانَ إذا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ قال: اسْتَوُوا، حَتى إذا لم يَرَ فيهم خَلَلاً تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، ورُبَّما قَرَأَ سورَةَ يوسُفَ أوِ النَّحْلِ أو نَحْوَ ذلك في الرَّكْعَةِ الأولى حَتَّى يَجْتَمِعَ النّاسُ- فَمَا هوَ إلا أنْ كَبَّرَ فسمِعْتُهُ يقولُ: قَتَلني -أو أكَلني- الكَلْبُ، حِينَ طعَنَه، فَطارَ العِلجُ بسكّينٍ ذات طَرَفَيْنَ، لا يَمُرُّ عَلَى أحَدٍ يَميناً ولا شِمالاً إلا طَعَنَهُ، حَتّى طعَنَ ثَلاثَةَ عَشرَ رجُلاً ماتَ مِنهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمّا رَأي ذلك رجُلٌ مِنَ المُسْلِمينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُساً، فَلَمّا ظَنَّ العِلجُ أنّه مأخوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عبد الرَّحْمنِ بن عَوْفٍ فَقَدَّمَه، فَمَنْ يَلي عُمَرَ فَقَد رَأى الّذي أرَى، وأما نَواحِي المَسْجِدِ فإنَّهُمْ لا يَدْرونَ غَيْرَ أنَّهُمْ قَدْ فَقَدوا صَوْتَ عُمَرَ وهُمْ يَقولونَ: سُبْحانَ اللّٰه، فَصَلّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمنِ صَلاةً خَفيفةً، فَلما انْصرَفوا قالَ: يا ابنَ عَبّاسٍ، انظُرْ مَنْ قَتَلَني، فجالَ ساعَةً ثُمَّ جاءَ فقالَ: غلامُ المُغيرَةِ قالَ: الصَّنَعُ؟ قالَ: نَعَم، قالَ: قاتَله الله، لَقد أمَرْتُ بِهِ مَعْروفاً، الحَمْدُ لله الّذي لم يَجْعَلْ مِيتَتي بيدَ رجُلٍ يدَّعى الإسلام، قَدْ كُنْتَ أنتَ وأبوكَ تُحبانِ أنْ تَكثُرَ العلوجُ بالْمَدينَة، وكانَ العَبّاسُ أكثَرَهم رَقيقاً، فقالَ: إنْ شِئْتَ فَعَلْتُ -أيْ إنْ شِئْتَ قَتَلْنا-، قالَ: كَذَبْتَ، بَعْدَ ما تَكَلَّموا بِلِسانِكُمْ، وصَلّوا قِبْلَتَكُمْ، وحَجُّوا حَجَّكم؟ فاحْتُمِلَ إلى بيتِهِ، فانْطَلَقْنا معهُ، وكَأنَّ الناسَ لم تُصبهم مُصيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ: فَقائِلٌ يقولُ: لا بَأسَ، وقَائِلٌ يقولُ: أخافُ عَلَيْه، فأُتِيَ بِنَبيذ فَشَرِبَهُ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بلَبَنٍ فَشَرِبَهُ، فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ، فَعَلِموا أنَّه مَيِّتٌ، فَدَخَلْنا عَلَيْه، وجاءَ النّاسُ

فَجَعَلوا يُثْنونَ عَلَيْهِ، وجاءَ رَجُلٌ شابٌّ فقالَ: أَبْشِرْ يا أميرَ المُؤْمِنينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لكَ، مِنْ صُحْبَةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقَدَمٍ في الإسْلامِ ما قد علِمتَ، ثُمَّ وَلِّيتَ فعدَلتَ، ثُمَّ شَهادَةٌ، قالَ: وَدِدْتُ أنَّ ذلكَ كَفافٌ لا عَلَيَّ ولا لي، فَلَمَّا أدبَرَ إذا إزارُه يَمَسُّ الأرضَ، قالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الغُلامَ، قالَ: يا ابنَ أخي، ارفَعْ ثَوْبَكَ، فإنه أَبْقَى لِثَوْبِكَ وأتْقَى لِرَبِّك، يا عَبْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ، انظُرْ ما عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فوَجَدوهُ سِتَّةً وثمانينَ ألفاً أو نَحْوَه، قالَ: إن وَفَى له مالُ آلِ عمرَ فأدِّهِ مِنْ أموالِهِم، وإلا فَسَلْ في بَني عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ فإنْ لَمْ تَفِ أمْوالُهم فَسَلْ في قُرَيْشٍ ولا تَعْدُهم إلى غَيْرِهم، فأدِّ عَنِّي هذا المال، انْطَلِقْ إلى عائِشَةَ أمِّ المُؤْمِنينَ فَقُلْ: يقرأ عَلَيكِ عُمَرُ السَّلامَ - ولا تَقُلْ أميرُ المُؤمِنين، فإنِّي لَسْتُ اليَوْمَ للمُؤْمِنينَ أميراً- وقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بن الخطابِ أن يُدْفَنَ مَعَ صاحِبَيْهِ، فَسَلَّمَ واسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْها فَوَجَدَها قاعِدَةً تَبْكي، فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بن الخَطَّابِ السلام ويَسْتَأْذِنُ أنْ يُدْفَنَ مَعَ صاحِبَيْهِ، فَقالَتْ: كُنْتُ أُريدُه لِنَفسي، ولأوثِرَنَّه بِهِ اليَوْمَ عَلى نَفْسي، فَلَما أقْبَلَ قِيلَ: هذا عَبْدُ اللَّه بنُ عُمَرَ قد جاءَ، قالَ: ارْفَعوني، فأسْنَدَهُ رجُلٌ إلَيْهِ فقالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قالَ: الَّذي تُحِبُّ يا أميرَ المُؤْمِنين، أذِنَتْ، قال: الحَمْدُ لله، ما كانَ مِنْ شَيْءٍ أهَمُّ إليَّ مِنْ ذلِكَ، فإذا أنَا قَضَيْتُ فاحْمِلوني، ثُمَّ سَلِّمْ فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، فإنْ أذِنَتْ لي فأدْخِلوني، وإنْ رَدَّتْني رُدُّوني إلى مَقابِرِ المُسْلمين، وجاءَتْ أُمُّ المُؤْمِنين حفصَةُ والنِّساءُ تَسيرُ مَعَها، فلمَّا رَأيْناها قُمْنا، فَوَلَجتْ عَلَيْهِ فَبَكَتْ عِنْدَه ساعَةً، واسْتَأذَنَ الرِّجالُ، فَوَلَجَتْ داخِلاً لهُمْ، فَسَمِعْنا بُكاءَها مِنَ الداخِلِ، فَقالوا: أَوْصِ يا أميرَ المُؤْمِنين، اسْتَخْلِفْ، قالَ: ما أجِدُ أحَقَّ بِهذا الأمْرِ مِنْ هؤلاءِ النَّفَرِ - أو الرَّهْطِ - الَّذينَ تُوُفِّيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهم راضٍ: فَسَمَّى عَلِيّاً وعُثْمانَ والزُّبَيْرَ وطَلْحَةَ وسَعداً وعَبْدَ الرَّحمنِ، وقالَ: يَشْهَدُكُم عَبْدُ اللَّهِ بنُ عمَرَ، ولَيْسَ لَهُ مِنَ الأمْرِ شيءٌ - كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لهُ - فإنْ أصابَتِ الإمْرَةُ سَعْداً فَهُوَ ذاكَ، وإلا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُم ما أُمِّرَ، فإنِّي لم أعزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ ولا خِيانَةٍ، وقالَ: أُوصي الخَليفَةَ مِنْ بَعْدي بالمُهاجِرِينَ الأوَّلين، أنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، ويَحْفَظَ لهم حُرْمَتَهم، وأُوصيه بالأنصارِ خَيْراً، الَّذينَ تَبَوَّءُوا الدارَ والإيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ، أنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهم، وأنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهم، وأوصيه بأهْلِ الأمْصارِ خيراً فإنَّهُمْ رِدْءُ الإسْلام، وجُباةُ المالِ وغَيْظُ العدُوِّ، وأنْ لا يُؤْخَذَ مِنْهم إلا فَضْلُهم عَنْ رِضاهم، وأوصيه بالأعْرابِ خَيْراً، فإنَّهُمْ أصْلُ العَرَبِ، ومادَّةُ الإسْلامِ، أنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَواشي أمْوالِهم، ويُرَدَّ عَلى فُقَرائِهِمْ، وأوصيه بذِمَّةِ اللَّهِ وذِمَّةِ رسولِهِ ﷺ، أنْ يُوفَى لهم بِعَهْدِهم، وأنْ يُقاتَلَ مِنْ وَرائِهِمْ، ولا يُكَلَّفوا إلا طاقَتَهم فلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنا به فانْطَلَقْنا نَمْشي فَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ قالَ: يَسْتَأذِنُ عُمَرُ بنُ

الخطابِ: قالتْ: أدْخِلوه، فأدْخِلَ، فَوُضِعَ هُنالِكَ مَعَ صاحِبَيْهِ فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِه اجْتَمَعَ هؤلاء الرَّهْطُ، فقالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ: اجعَلوا أمْرَكم إلى ثَلاثَةٍ مِنْكُمْ، فَقَالَ الزُّبيرُ: قَدْ جَعَلْتُ أمْري إلى عَليٍّ، فقالَ طلحةُ: قد جَعَلْتُ أمْري إلى عُثْمانَ وقالَ سَعْدٌ: قَدْ جَعَلْتُ أمْري إلى عَبدِ الرَّحمنِ بن عَوْفٍ، فَقَالَ عبدالرَّحمنِ: أيُّكما تَبَرَّأ مِنْ هذا الأمْرِ فَنَجْعَلُهُ إليه، واللهُ عَلَيهِ والإسْلامُ لَيَنْظُرَنَّ أفْضَلَهُمْ في نَفْسِه؟ فأسْكِتَ الشَّيْخانِ، فقالَ عبدُ الرَّحمنِ: أفَتَجْعَلونَهُ إليَّ واللهُ عليَّ أن لا آلو عن أفْضَلِكم؟ قالا: نَعَم، فأخَذَ بيَدِ أحَدِهما فقالَ: لكَ قَرابَةٌ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ والقَدَمُ في الإسْلامِ ما قَدْ عَلِمْتَ، فاللهُ عَلَيْكَ لئِنْ أمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، ولَئِنْ أمَّرتُ عثمان لَتَسْمَعَنَّ ولَتُطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلا بالآخَرِ فَقالَ مِثْلَ ذلِكَ، فَلَمَّا أخَذَ الميثاقَ قالَ: ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمانُ، فَبايَعَهُ، فَبايَعَ لهُ عَليٌّ، وَوَلَجَ أهْلُ الدارِ فَبايَعُوهُ». **قوله** (باب قصة البيعة) أي بعد عمر.

قوله (رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب) أي قبل أن يقتل (بأيام) أي أربعة كما سيأتي.

قوله (بالمدينة) أي بعد أن صدر من الحج وكان ذلك سنة ثلاث وعشرين بالاتفاق.

قوله (ووقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال: كيف فعلتما، أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق) الأرض المشار إليها هي أرض السواد، وكان عمر بعثهما يضربان عليها الخراج وعلى أهلها الجزية، بين ذلك أبو عبيد في «كتاب الأموال».

قوله (إنى لقائم) أي في الصف ننتظر صلاة الصبح.

قوله (ما بيني وبينه) أي عمر (إلا عبد الله بن عباس).

قوله (وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهن[1]) أي في الصفوف، أي في أهلها (خللا تقدم فكبر)، وفي رواية أبي إسحق عن عمرو بن ميمون شهدت عمر يوم طعن، فما منعني أن أكون في الصف الأول إلا هيبته، وكان رجلا مهيبا، وكنت في الصف الذي يليه، وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المقدم بوجهه، فإن رأى رجلا متقدما من الصف أو متأخرا ضربه بالدرة، فذلك الذي منعني منه».

قوله (قتلني - أو أكلني- الكلب، حين طعنه)، في رواية جرير « فتقدم فما هو إلا أن كبر فطعنه أبو لؤلؤة فقال: قتلني الكلب» في رواية أبي إسحق المذكورة «فعرض له أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، فتأخر عمر غير بعيد، ثم طعنه ثلاث طعنات، فرأيت عمر قائلا بيده هكذا يقول: دونكم الكلب فقد قتلني» واسم أبي لؤلؤة فيروز كما سيأتي، فروى ابن سعد بإسناد صحيح إلى الزهري قال «كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة،

(١) رواية الباب "فيهم" وما في الشرح موافق لليونينية.

حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صانعا ويستأذنه أن يدخله المدينة ويقول: إن عنده أعمال تنفع الناس، إنه حداد نقاش نجار، فأذن له، فضرب عليه المغيرة كل شهر مائة، فشكى إلى عمر شدة الخراج، فقال له: ما خراجك بكثير في جنب ما تعمل، فانصرف ساخطا، فلبث عمر ليالي، فمر به العبد فقال ألم أحدث أنك تقول لو أشاء لصنعت رحي تطحن بالريح؟ فالتفت إليه عابسا فقال: لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها، فأقبل عمر على من معه فقال: توعدني العبد، فلبث ليالي ثم اشتمل على خنجر ذي رأسين نصابه وسطه فكمن في زاوية من زوايا المسجد في الغلس حتى خرج عمر يوقظ الناس: الصلاة الصلاة، وكان عمر يفعل ذلك، فلما دنا منه عمر وثب إليه فطعنه ثلاث طعنات إحداهن تحت السرة قد خرقت الصفاق وهي التي قتلته»، وعند مسلم من طريق معدان بن أبي طلحة «أن عمرخطب فقال: رأيت ديكا نقرني ثلاث نقرات، ولا أراه إلاحضور أجلي»،

قوله (مات منهم سبعة) أي وعاش الباقون).

قوله (وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه) أي للصلاة بالناس.

قوله (فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة)، وزاد في رواية ابن شهاب المذكورة «ثم غلب عمر النزف حتى غشي عليه، فاحتملته في رهط حتى أدخلته بيته فلم يزل في غشيته حتى أسفر فنظر في وجوهنا فقال: أصلى الناس؟ فقلت: نعم، قال: لا إسلام لمن ترك الصلاة، ثم توضأ وصلى».

قوله (فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس انظر من قتلني) في رواية أبي إسحق «فقال عمر يا عبد الله بن عباس أخرج فناد في الناس: أعن ملأ منكم كان هذا؟ فقالوا: معاذ الله، ما علمنا ولا اطلعنا» وزاد مبارك بن فضالة «فظن عمر أن له ذنبا إلى الناس لا يعلمه فدعا ابن عباس -وكان يحبه ويدنيه- فقال: أحب أن تعلم أعن ملأ من الناس كان هذا؟ فخرج لا يمر بملأ من الناس إلا وهم يبكون، فكأنما فقدوا أبكار أولادهم، قال ابن عباس: فرأيت البشر في وجهه.

قوله (رجل يدعى الإسلام) في رواية ابن شهاب «فقال الحمد الله الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند الله بسجدة سجدها له قط» وفي رواية مبارك بن فضالة يحاجني يقول لا إله إلا الله»، ويستفاد من هذا أن المسلم إذا قتل متعمداً ترجى له المغفرة خلافا لمن قال إنه لا يغفر له أبدا، وسيأتي بسط ذلك في تفسير سورة النساء[١].

قوله (إن شئت فعلت) قال ابن التين: إنما قال له ذلك لعلمه بأن عمر لا يأمر بقتلهم.

قوله (كذبت) هو على ما ألف من شدة عمر في الدين، لأنه فهم من ابن عباس من قوله

(١) كتاب التفسير "النساء" باب / ١٦ ح ٤٥٩٠ - ٣ / ٥٠٩

«إن شئت فعلنا» أي قتلناهم فأجابه بذلك وأهل الحجاز يقولون «كذبت» في موضع أخطأت، وإنما قال له: «بعد أن صلوا» لعلمه أن المسلم لا يحل قتله، ولعل ابن عباس إنما أراد قتل من لم يسلم منهم.

قوله (فأتى بنبيذ فشربه) زاد في حديث أبي رافع «لينظر ما قدر جرحه» وفي رواية أبي إسحاق «فلما أصبح دخل عليه الطبيب فقال: أي الشراب أحب إليك؟ قال النبيذ، فدعا بنبيذ فشرب فخرج من جرحه، فقال: هذا صديد أئتوني بلبن، فأتي بلبن فشربه فخرج من جرحه فقال الطبيب: أوص فإني لا أظنك إلا ميتا من يومك أو من غد.

(تنبيه): المراد بالنبيذ المذكور تمرات نبذت في ماء أي نقعت فيه، كانوا يصنعون ذلك لاستعذاب الماء، وسيأتي بسط القول فيه في الأشربة.

قوله (وقدم) بفتح القاف وكسرها فالأول بمعنى الفضل والثاني بمعنى السبق.

قوله (يا عبد الله بن عمر، أنظر ماذا عليّ من الدين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه) في حديث جابر «ثم قال: يا عبد الله، أقسمت عليك بحق الله وحق عمر إذا مت فدفنتني أن لا تغسل رأسك حتى تبيع من رباع آل عمر بثمانين ألفا فتضعها في بيت مال المسلمين، فسأله عبد الرحمن بن عوف، فقال أنفقتها في حجج حججتها، وفي نوائب كانت تنوبني» وعرف بهذا جهة دين عمر، قال ابن التين: قد علم عمر أنه لا يلزمه غرامة ذلك، إلا أنه أراد أن لا يتعجل من عمله شيء في الدنيا.

قوله (بإني لست اليوم للمؤمنين أميرا) قال ابن التين: إنما قال ذلك عندما أيقن بالموت، إشارة بذلك إلى عائشة حتى لا تحابيه لكونه أمير المؤمنين، وسيأتي في كتاب الأحكام ما يخالف ظاهره ذلك فيحمل هذا النفي على ما أشار اليه ابن التين أنه أراد أن يعلمه أن سؤاله لها بطريق الطلب لا بطريق الأمر.

قوله (فسمى عليًا وعثمان الخ)، واقتصار عمر على الستة من العشرة لا إشكال فيه لأنه منهم، وكذلك أبوبكر ومنهم أبو عبيدة وقد مات قبل ذلك وأما سعيد بن زيد فهو ابن عم عمر فلم يسمه عمر فيهم مبالغة في التبري من الأمر، وقد صرح في رواية المديني بأسانيده أن عمر عد سعيد بن زيد فيمن توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض، إلا أنه استثناه من أهل الشورى لقرابته منه.

قوله (وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم) أي إلا ما فضل عنهم.

قوله (من حواشي أموالهم) أي التي ليست بخيار، والمراد بذمة الله أهل الذمة، والمراد «بالقتال من ورائهم» أي إذا قصدهم عدو لهم، وقد استوفى عمر في وصيته جميع الطوائف لأن الناس إما مسلم وإما كافر، فالكافر إما حربي ولا يوصى به وإما ذمي وقد ذكره،

والمسلم إما مهاجري وإما أنصاري أو غيرهما، وكلهم إما بدوي وإما حضري، وقد بين الجميع، وقوله (ولا يكلفوا إلا طاقتهم) أي من الجزية.

قوله (فقال عبد الرحمن) هو ابن عوف.

قوله (اجعلوا أمركم إلى ثلاثة) أي في الاختيار ليقل الاختلاف.

قوله (فأسكِت) بالشيخين علي وعثمان.

قوله (فأخذ بيد أحدهما) هو علي وبقية الكلام يدل عليه، زاد المدايني أنه قال له: «أرأيت لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر من كنت ترى أحق بها من هؤلاء الرهط؟ قال: عثمان».

قوله (ثم خلا بالآخر فقال له[1] مثل ذلك) زاد المدايني أنه قال له كما قال لعلي فقال علي وزاد فيه أن سعداً أشار عليه بعثمان، وأنه دار تلك الليالي كلها على الصحابة ومن وافى المدينة من أشراف الناس لا يخلو برجل منهم إلا أمره بعثمان، وفي قصة عمر هذه من الفوائد شفقته على المسلمين، ونصيحته لهم، وإقامته السنة فيهم، وشدة خوفه من ربه، واهتمامه بأمر الدين أكثر من اهتمامه بأمر نفسه، وأن النهي عن المدح في الوجه مخصوص بما إذا كان غلو مفرط أو كذب ظاهر، ومن ثم لم ينه عمر الشاب عن مدحه له مع كونه أمره بتشمير إزاره، والوصية بأداء الدين، والاعتناء بالدفن عند أهل الخير والمشورة في نصب الإمام وتقديم الأفضل، وأن الإمامة تنعقد بالبيعة وغير ذلك مما هو ظاهر بالتأمل، والله الموفق.

٩ ـ باب ـ مَناقبُ عَليٍّ بن أبي طالب القُرَشيِّ الهاشميِّ أبي الحَسَنِ رَضيَ اللّهُ عَنْهُ

وقال النبيُّ ﷺ لعليّ «أنْتَ مِنّي وأنا مِنْكَ» وقالَ عمرُ: «تُوُفِّي رسولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُ راضٍ».

٣٧٠١ ـ عن سهل بن سعدٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لأعْطِيَنَّ الرايَةَ غداً رجُلاً يَفْتَحُ الله على يَدَيْه، قالَ فباتَ النّاسُ يَدوكونَ لَيْلَتَهم أيُّهم يُعْطاها، فَلَمَّا أصبَحَ الناسُ غَدَوا عَلى رسولِ اللهِ ﷺ كُلُّهم يَرْجو أنْ يُعْطاها، فَقالَ: أينَ عَلِيُّ بن أبي طالِبٍ؟ فقالوا: يَشْتَكي عَيْنَيه يارسولَ الله، قالَ: فأرْسِلوا إليهِ فَأتوني به، فلمَّا جاءَ بَصَقَ في عَيْنَيْه ودَعا لَهُ، فَبرأَ حَتى كأنْ لم يَكُنْ به وجَعٌ، فأعْطاهُ الرايَةَ، فقالَ عليٌّ: يَا رسولَ اللهِ أقاتِلُهُمْ حَتّى يكونُوا مِثْلَنا، فَقالَ: انْفُذْ على رِسْلِكَ حَتّى تَنْزِلَ بساحَتِهم، ثُمَّ ادْعُهم إلى الإسْلامِ، وأخْبِرْهم بما يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فيهِ، فَوَاللهِ لأنْ يَهْدِيَ اللّهُ بكَ رجُلاً واحداً خَيرٌ لكَ مِنْ أنْ يكونَ لكَ حُمرُ النَّعَمِ».

(١) رواية الباب بدون "له" واليونينية توافق الشرح ليست في الأصل والسياق يقتضي وجودها.

٣٧٠٢ ـ عَنْ سَلَمَةَ قال: «كان عليٌّ قد تخلف عن النبيِّ ﷺ في خيبرَ وكانَ به رمَدٌ فقال: أنا أتَخَلَّفُ عَنْ رسولِ الله ﷺ؟ فَخرَجَ عليٌّ فَلحقَ بالنبيِّ ﷺ، فلما كانَ مساءَ اللَّيْلَةِ التي فَتَحَها اللهُ في صباحِها قالَ رسولُ الله ﷺ: لأعْطِيَنَّ الرَّايَةَ -أو ليأخُذَنَّ الرَّايَةَ- غَداً رجُلا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسولُهُ أو قال يحب الله ورسوله يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْه، فإذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وما نَرْجوهُ، فَقالوا: هذا عَلِيٌّ، فأعْطاهُ رسولُ الله ﷺ الرَّايَةَ فَفتَحَ اللهُ عَلَيْهِ».

٣٧٠٣ ـ عن أبِي حازمٍ عن أبيه «أنَّ رجُلا جاءَ إلَى سَهْلِ بن سَعْدٍ فقالَ: هذا فُلانٌ -لأميرِ المدينَة- يَدْعو علياً عندَ المِنْبَر، قالَ فيقولُ ماذا؟ قالَ: يقولُ له: أبو تُراب، فَضَحِكَ، قالَ: واللهِ ماسمَّاهُ إلا النبيُّ ﷺ، وما كانَ له اسْمٌ أحَبَّ إليهِ مِنْهُ فاسْتَطْعَمْتُ الحديثَ سَهْلا وقُلْتُ: يا أبَا عَبَّاسٍ كَيْفَ ذلِكَ؟ قال: دَخَلَ عليٌّ على فاطِمَةَ، ثُمَّ خَرَجَ فاضْطَجَعَ في المَسْجِدِ، فقالَ النبيُّ ﷺ أينَ ابنُ عَمِّكِ؟ قالَتْ: في المَسْجِدِ، فَخرَجَ اليه فَوَجَدَ رِداءَهُ قَدْ سَقَطَ عَنْ ظَهْرِهِ وخَلَصَ التُّرابُ إلى ظَهْرِهِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ التُّرابَ عَنْ ظَهْرِهِ فيقولُ: اجْلِسْ يا أبا تُرابٍ، مَرَّتَيْنِ».

٣٧٠٤ ـ عَنْ سَعْدِ بنِ عُبَيْدَةَ قالَ «جاءَ رجُلٌ إلى ابنِ عُمَرَ فَسَألَهُ عَنْ عُثْمانَ؛ فَذَكَرَ عن مَحَاسِنَ عَمَلِه، قالَ: لَعَلَّ ذلِكَ يَسوؤكَ؟ قالَ: نَعَم، قالَ: فأرْغَمَ اللهُ بأنْفِكَ، ثُمَّ سألَهُ عنْ عليٍّ، فَذكر مَحَاسنَ عَمَلِهِ قال: هو ذاك، بيته أوْسَطُ بيوتِ النبيِّ ﷺ ،ثُمَّ قالَ: لَعَلَّ ذاكَ يَسوؤكَ؟ قالَ: أجل، قال: فأرْغَمَ اللهُ بأنْفِكَ، انْطَلِقْ فاجْهَدْ عَلى جَهدِكَ».

٣٧٠٥ ـ عن ابن أبِي لَيْلى قالَ: «حدَّثَنا عليٌّ أن فاطمَةَ عَلَيها السَّلامُ شكَتْ ما تَلْقى من أثَرِ الرَّحى، فأتِيَ النبيُّ ﷺ بِسَبيٍ، فانْطَلَقَتْ، فَلَم تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عائِشَةَ فأخْبَرَتْها، فَلَمَّا جاءَ النبيُّ ﷺ أخْبَرَتْهُ عائِشَةُ بمجيءِ فاطِمَةَ، فَجاءَ النبيُّ ﷺ إلَيْنا - وقَدْ أخَذْنا مَضاجعنَا، فَذَهَبْتُ لأقومَ فقالَ: عَلى مكانِكما، فَقعَدَ بَيْنَنَا حتى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَميهِ على صَدْري، وقالَ: ألا أعَلِّمُكما خَيْراً مِمَّا سَألْتُماني؟ إذا أخَذْتُما مَضاجِعَكُما تُكَبِّرانِ أرْبعاً وثلاثينَ، وتُسَبِّحانِ ثلاثاً وثَلاثينَ، وتَحْمَدانِ ثلاثاً وثَلاثينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خادِمٍ».

٣٧٠٦ ـ عَنْ سَعْدٍ قالَ سَمِعْتُ إبْراهيمَ بنَ سَعْدٍ عَنْ أبيهِ قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ لِعَليٍّ: أما تَرْضى أنْ تَكونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارونَ مِنْ موسى»؟.

[الحديث ٣٧٠٦ طرفه في: ٤٤١٦]

٣٧٠٧ ـ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ «اقْضوا كَمَا كُنْتُم تَقْضون، فإنِّي أكْرَهُ الاخْتِلافَ، حَتى يكونَ الناسُ جَماعَةً؛ أو أموتَ كما ماتَ أصْحابي، فكانَ ابنُ سِيرِينَ يَرَى أنَّ عامَّةَ ما يُرْوَى عَنْ عَلِيٍّ الكَذِبُ».

قوله: (باب مناقب علي بن أبي طالب) أي ابن عبد المطلب (القرشي الهاشمي أبي الحسن) وهو ابن عم رسول الله ﷺ شقيق أبيه، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الراجح وكان قد رباه النبي ﷺ من صغره لقصة مذكورة في السيرة النبوية، فلازمه من صغره فلم يفارقه إلى أن مات، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وقد أسلمت وصحبت وماتت في حياة النبي ﷺ، قال أحمد وإسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي وكأن السبب في ذلك أنه تأخر، ووقع الاختلاف في زمانه وخروج من خرج عليه، فكان ذلك سببا لانتشار مناقبه من كثرة من كان بينها من الصحابة رداً على من خالفه، فصار الناس في حق علي ثلاثة: أهل السنة والمبتدعة من الخوارج والمحاربين له من بني أمية وأتباعهم، فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله فكثر الناقل لذلك لكثرة من يخالف ذلك، وإلا فالذي في نفس الأمر أن لكل من الأربعة من الفضائل إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلا، وروى يعقوب بن سفيان بإسناد صحيح عن عروة قال: «أسلم علي وهو ابن ثمان سنين» وقال ابن إسحق: «عشر سنين» وهذا أرجحها.

قوله (ثم سأله عن علي فذكر محاسن أعماله) كأنه ذكر له شهوده بدرا وغيرهما وفتح خيبر على يديه وقتله مرحب ونحو ذاك.

قوله (فأرغم الله بأنفك) معناه أوقع الله بك السوء.

قوله (يرى) أي يعتقد (أن عامة) أي أكثر(ما يروى) بضم أوله (عن علي الكذب) والمراد بذلك ما ترويه الرافضة عن علي من الأقوال المشتملة على مخالفة الشيخين، ولم يُرِد ما يتعلق بالأحكام الشرعية فقد روى ابن سعد بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: «إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لم نتجاوزها.

قوله (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى) أي نازلا مني منزلة هارون من موسى، وفي رواية سعيد بن المسيب عن سعد: «فقال علي: رضيت رضيت» أخرجه أحمد، ولابن سعد من حديث البراء وزيد بن أرقم في نحو هذه القصة «قال: بلى يارسول الله، قال: فإنه كذلك» وفي أول حديثهما أنه عليه الصلاة والسلام قال لعلي: «لابد أن أقيم أو تقيم، فأقام علي فسمع ناسا يقولون: إنما خلفه لشيء كرهه منه، فاتبعه فذكر له ذلك، فقال له» الحديث، وإسناده قوي، وقد أخرج المصنف من مناقب علي أشياء في غير هذا الموضع، منها حديث عمر «علي أقضانا» وسيأتي في تفسير البقرة، وله شاهد صحيح من حديث ابن مسعود عند الحاكم، ومنها حديث قتاله البغاة وهو في حديث أبي سعيد «تقتل عمارا الفئة الباغية» وكان عمار مع علي، ومنها حديث قتاله الخوارج، وأوعب من جمع مناقبه من

الأحاديث الجياد النسائي في كتاب «الخصائص» وأما حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جدا، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان.

١٠ ـ باب مَناقب جَعْفَرِ أبي طالبٍ الهاشِميِّ رضِيَ اللّهُ عَنْهُ

وقالَ له النَّبيُّ ﷺ «أشْبَهْتَ، خُلُقي وخَلْقي»

٣٧٠٨ ـ عن أبي هُريرَةَ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قال: «أنَّ النّاسَ كانوا يَقولونَ: أكْثَرَ أبو هُرَيْرَةَ، وإنِّي كُنْتُ ألْزَمُ رسولَ الله ﷺ بِشِبَعِ بَطْني حَتّى لا آكُلُ الخميرَ ولا ألْبَسُ الحَبيرَ ولا يَخْدُمُني فُلانٌ ولا فُلانَةُ، وكُنْتُ ألْصِقُ بَطْني بالحَصْباءِ مِنَ الجوعِ، وإنْ كُنْتُ لأستَقْرِئُ الرَّجُلَ الآية هِيَ مَعَي كي يَنْقلِبَ بي فَيُطعِمني، وكانَ أخيرَ الناسِ للمسَاكين جَعْفَرُ بنُ أبي طالِبٍ: كانَ يَنْقَلِبُ بِنا فَيُطْعِمُنا ما كانَ في بَيْتِهِ، حَتّى إنْ كانَ لَيُخرِجُ إلَيْنا العُكَّةَ التي لَيْسَ فيهَا شيْءٌ، فَيَشُقُّها فَنَلْعَقُ ما فيها».

[الحديث ٣٧٠٨- طرفه في:٥٤٣٢]

٣٧٠٩ ـ عن الشَّعْبِيِّ :«أنَّ ابنَ عُمَرَ رَضي اللّهُ عَنهُمَا كانَ إذا سَلَّمَ عَلى ابن جَعْفَرٍ قال: السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابنَ ذي الجَناحَيْنِ».

قالَ أبُو عَبْدِ اللّهِ: الجَناحان كلُّ نَاحِيَتَيْن

[الحديث ٣٧٠٩ - طرفه في: ٤٢٦٤]

قوله (باب مناقب جعفر بن أبي طالب الهاشمي)، وجعفر هو أخو علي شقيقه، وكان أسن منه بعشر سنين، واستشهد بمؤتة كما سيأتي بيان ذلك في المغازي[1] وقد جاوز الأربعين.

قوله (ولا ألبس الحبير)والحبير من البرد ما كان موشى مخططا.

قوله (العكة) ظرف السمن.

قوله (أن ابن عمر كان إذا سلم على ابن جعفر) يعني عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقع في رواية الإسماعيلي من طريق هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد قال: قلنا للشعبي كان ابن جعفر يقال له: ابن ذي الجناحين؟ قال: نعم، رأيت ابن عمر أتاه يوما أو لقيه فقال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين.

قوله (السلام عليك يا ابن ذي الجناحين) كأنه يشير إلى حديث عبد الله بن جعفر قال: «قال لي رسول الله ﷺ: هنيئاً لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء» أخرجه الطبراني بإسناد حسن.

(١) كتاب المغازي باب / ٤٤ ح ٤٢٦١ - ٣ / ٣٦٧

١١ - باب ذِكْرِ العَبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلب رضيَ اللهُ عَنْهُ

٣٧١٠ عنْ أَنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أَنَّ عُمَرَ بن الخَطَّابِ كانَ إذا قَحَطوا استَسْقَى بالعَبَّاسِ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ فقالَ: اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إليْكَ بِنَبِيِّنا ﷺ فَتَسقِينا، وإنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنا فاسْقِنا، قالَ فَيُسقون».

[الحديث ٣٧١٠ - طرفه في ١٠١٠]

قوله (باب ذكر العباس بن عبد المطلب) ذكر فيه حديث أنس.

وكان العباس أسن من النبي ﷺ بسنتين أو بثلاث، وكان إسلامه على المشهور قبل فتح مكة، وقيل قبل ذلك وليس ببعيد، ولأجل أنه لم يهاجر قبل الفتح لم يدخله عمر في أهل الشورى مع معرفته بفضله واستسقائه به، وسيأتي حديث عائشة في إجلال النبي ﷺ عمه العباس في آخر المغازي في الوفاة النبوية، وكنية العباس أبو الفضل، ومات العباس في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين وله بضع وثمانون سنة.

١٢ - باب مَناقِب قَرَابَة رسول اللّه ﷺ ومَنْقَبَة فاطمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بنتَ النبيِّ ﷺ

وقالَ النبيُّ ﷺ «فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نساءِ أهلِ الجَنَّة».

٣٧١١ - عن عَائِشَةَ قالت «أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَرْسَلَتْ إلى أبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ ميراثَها مِنَ النبيِّ ﷺ مِمَّا أفاءَ اللهُ عَلَى رسولِهِ ﷺ تَطْلُبُ صَدَقَةَ النبيِّ ﷺ التي بِالْمَدِينَةِ وفَدَكَ، ومَا بَقِيَ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ».

٣٧١٢ - «فقالَ أبُو بَكْرٍ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: لا نُورَثُ، ما تَركنا فُهو صَدَقَةٌ، إنَّمَا يَأكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هذا المالِ -يَعْنِي مالَ اللهِ- لَيْسَ لهم أنْ يزيدُوا على المأكَلِ، وإنِّي واللهِ لا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صدقاتِ رسولِ الله ﷺ الَّتي كانَتْ عليهَا في عَهْدِ النبيِّ ﷺ، ولأعْمَلَنَّ فيها بما عَمِلَ فيها رَسولُ اللهِ ﷺ، فَتَشَهَّدَ عليٌّ ثُمَّ قالَ: إنَّا قد عَرَفنا يا أبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ -وذَكَرَ قَرَابَتهم مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ وحَقَّهُمْ- فَتَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ فَقَالَ: والَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ لَقَرابَةُ رسولِ اللهِ ﷺ أحَبُّ إلَيَّ أنْ أصِلَ مِنْ قَرابَتي».

٣٧١٣ - عن ابن عمَرَ «عَنْ أبِي بَكْرٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمْ قالَ: ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ في أهْلِ بَيْتِهِ».

[الحديث ٣٧١٣ - طرفه في: ٣٧٥١]

٣٧١٤ - عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ «أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: فاطمة بِضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أغْضَبَها أغْضَبَني».

٣٧١٥ ـ وحديث عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: «دَعَا النبيُّ ﷺ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ في شَكْواه الَّذي قُبِضَ فيها، فَسارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعاها فَسارَّها فَضَحِكَتْ قالَتْ فَسَأَلْتُها عَنْ ذلِكَ»،

٣٧١٦ ـ فَقَالَتْ: سَارَّنِي النبيُّ ﷺ فأخْبَرني أَنَّهُ يُقبضُ في وَجَعِهِ الَّذي تُوُفِّيَ فِيهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سارَّني فأخْبرَني أنّي أولُ أَهْلِ بَيْتِهِ أتْبعُهُ فَضَحِكْتُ».

قوله (باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ)، وقوله: «قرابة النبي ﷺ يريد بذلك من ينسب إلى جده الأقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي ﷺ منهم، أو من رآه من ذكر وأنثى، وهم علي وأولاده والحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم من فاطمة عليها السلام، وجعفر وأولاده عبد الله وعون ومحمد، ويقال أنه كان لجعفر بن أبي طالب ابن اسمه أحمد، وعقيل بن أبي طالب وولده مسلم بن عقيل، وحمزة بن عبد المطلب وأولاده يعلى وعمارة وأمامة، والعباس ابن عبد المطلب وأولاده الذكور عشرة وهم الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحارث ومعبد وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام، وفيه يقول العباس:

تموا بتمام فصاروا عشره يارب فاجعلهم كراما برره

ويقال لكل منهم رواية، وكان له من الإناث أم حبيب وآمنة وصفية وأكثرهم من لبابة أم الفضل، ومعتب بن أبي لهب، والعباس بن عتبة بن أبي لهب وكان زوج آمنة بنت العباس، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وأخته ضباعة وكانت زوج المقداد بن الأسود، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه جعفر ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وابناه المغيرة والحارث، وأمية وأروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب أسلمت صفية وصحبت.

قوله (ارقبوا محمد في أهل بيته) يخاطب بذلك الناس ويوصيهم به، والمراقبة للشيء المحافظة عليه، يقول احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم، ثم ذكر حديث المسور «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني» وهو طرف من قصة خطبة علي ابنة أبي جهل، وسيأتي مطولا في ترجمة أبي العاص بن الربيع[١] قريبا، وحديث عائشة «أن النبي ﷺ سارها بشيء فبكت» الحديث، وسيأتي شرحه في الوفاة النبوية آخر المغازي[٢].

١٣ ـ باب مَنَاقِبِ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ

وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ «هُوَ حَوارِيُّ النبيِّ ﷺ»، وَسُمِّيَ الحوارِيّون لِبياضِ ثِيابِهِم

٣٧١٧ ـ عن مَرْوانُ بنُ الحَكَمِ قالَ: «أصابَ عُثْمانَ بنَ عَفّانَ رضي اللهُ عَنْهُ رُعافٌ شديدٌ سَنَةَ الرُّعافِ حَتّى حَبَسَهُ عَنِ الحَجِّ وأوصى، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رجل مِنْ قُرَيْشٍ قالَ:

(١) كتاب فضائل الصحابة باب / ١٦ ح ٣٧٢٩ - ٣ / ١٦٣
(٢) كتاب المغازي باب / ٨٣ ح ٤٤٣٣ - ٣ / ٤٣٥

استَخْلِفْ، قالَ: وقالوا؟ قالَ: نعم، قالَ: ومن؟ فسكت، فدخل عليه رجلٌ آخرُ -أحسبهُ الحارثَ- فقال: استَخلِفْ، فقال عثمانُ: وقالوه؟ فقال: نعم، قالَ ومن هو؟ فَسَكَتَ، قالَ: فَلَعَلّهم قالوا إنّه الزُّبَيْرُ؟ قال: نعم، قال: أما والذي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّهُ لخَيرُهم ما عَلِمْتُ، وإنْ كانَ لأحَبَّهم إلى رسولِ اللهِ ﷺ».

[الحديث ٣٧١٧ - طرفه في: ٣٧١٨]

٣٧١٨ - وَعَنْ مَرْوانِ بنِ الحَكَمِ: «كُنْتُ عِنْدَ عُثْمانَ أتاهُ رجُلٌ فَقَالَ: اسْتَخْلِفْ، قالَ: وقيلَ ذاك؟ قالَ: نَعَم، الزُّبَيْرُ، قالَ: أما واللهِ إنَّكُمْ لتَعلَمونَ أنَّهُ خَيْرُكم، ثلاثاً».

٣٧١٩ - وَعَنْ جَابِرٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ: إن لِكُلِّ نَبِيٍّ حوارِياً، وإنَّ حَوارِيَّ الزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ».

٣٧٢٠ - عن عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ قالَ: «كُنْتُ يَوْمَ الأحْزابِ جُعِلْتُ أنَا وعُمَرُ بن أبي سَلَمَةَ فِي النِّساءِ، فَنَظَرْتُ فإذَا أنا بالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إلى بني قُرَيْظَةَ مَرَّتَينِ أوثَلاثًا، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ: يا أبَتِ رأيتُكَ تَخْتَلِف، قالَ: أو هَلْ رَأَيْتَني يا بُنَيَّ؟ قُلْتُ نعمَ، قالَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ قالَ: مَنْ يَأتِ بَني قُرَيْظَةَ فَيَأتيني بِخَبَرِهم؟ فانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رجَعْتُ جَمَعَ لِي رسولُ اللهِ ﷺ أبَوَيهِ فَقَالَ: فِداكَ أبي وأمِّي».

٣٧٢١ - عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أبيهِ «أنَّ أصْحابَ النبيِّ ﷺ قالوا للزُّبَيْرِ يَوْمَ وَقْعَةِ اليرموك: ألا تشُدُّ فنشدّ مَعَكَ؟ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَضَرَبُوه ضَرْبَتَيْنِ عَلى عاتِقِهِ بيْنَهُما ضَرْبَةٌ ضُرِبَها يَوْمَ بَدْرٍ، قالَ عُرْوَةُ: فَكُنْتُ أُدْخِلُ أصابِعِي فِي تِلْكَ الضرباتِ ألْعَبُ وأنَا صَغيرٌ».

[الحديث ٣٧٢١ - طرفاه في: ٣٩٧٣، ٣٩٧٥]

قوله (باب مناقب الزبير بن العوام) أي ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، يجتمع مع النبي ﷺ في قصي، وعدد ما بينهما من الأباء سواء، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، وكان يكنى أبا عبد الله، وروى الحاكم بإسناد صحيح عن عروة قال أسلم الزبير وهو ابن ثمان سنين».

قوله (يختلف إلى بني قريظة) أي يذهب ويجيء.

١٤ - باب ذِكْرُ طَلْحَةَ بنِ عُبَيدِ اللهِ

وقالَ عُمَرُ: تُوُفِّيَ النبيُّ ﷺ وَهُوَ عَنْهُ راضٍ

٣٧٢٢، ٣٧٢٣ - عَنْ أبي عُثْمانَ قالَ: «لم يَبْقَ مَعَ النبيِّ ﷺ في بَعْضِ تلك الأيام الّتي قاتَلَ فيهِنَّ رسولُ اللهِ ﷺ غَيْرُ طَلْحَةَ وسَعْدٍ، عَنْ حَدِيثِهِما».

[الحديث ٣٧٢٢ طرفه في: ٤٠٦٠]

[الحديث ٣٧٢٣ طرفه في: ٤٠٦١]

٣٧٢٤ - عن قيس بن أبي حازمٍ قالَ: «رَأيتُ يَدَ طَلحَةَ الَّتي وَقَى بِهَا النبيَّ ﷺ قَدْ شَلَّتْ».

قوله (ذكر طلحة بن عبيد الله) أي ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب، يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب ومع أبي بكر الصديق في تيم بن مرة، وعدد ما بينهم من الآباء سواء، يكنى أبا محمد وأمه الصعبة بنت الحضرمي أخت العلاء، أسلمت وهاجرت وعاشت بعد أبيها قليلاً، وقتل طلحة يوم الجمل سنة ست وثلاثين، رمى بسهم، جاء من طرق كثيرة أن مروان بن الحكم رماه فأصاب ركبته فلم يزل ينزف الدم منها حتى مات، وكان يومئذ أول قتيل، واختلف في سنه على أقوال: أكثرها أنه خمس وسبعون، وأقلها ثمان وخمسون.

قوله (التي وقى بها) أي يوم أحد.

١٥ - باب مَناقِبِ سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ الزُّهرِيِّ

وبَنو زُهْرَةَ أخْوالُ النبيِّ ﷺ، وَهُوَ سَعْدُ بنُ مالِكٍ

٣٧٢٥ - عَنْ سعيدِ بنِ المُسَيَّب قالَ: سمِعْتُ سَعْداً يقولُ: «جَمَعَ لِي النبيُّ ﷺ أبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ».

[الحديث ٣٧٢٥ - أطرافه في: ٤٠٥٥، ٤٠٥٦، ٤٠٥٧]

٣٧٢٦ - عَنْ عامرِ بنِ سَعْدٍ عن أبيه قالَ: «لقَد رأيتني وأنَا ثُلُثُ الإسْلامِ».

[الحديث:٣٧٢٦ -أطرافه في: ٣٧٢٧،٣٨٥٨]

٣٧٢٧ - عَنْ عُتْبَة بنِ أبي وقاص قالَ سمعتُ سعيدَ بن المُسَيَّب يقولُ: سمعْتُ سَعْدَ بنَ أبي وقّاصٍ يقولُ «مَا أسْلَمَ أحَدٌ إلا في اليَوْمِ الذي أسْلَمْتُ فيهِ، ولَقَد مَكَثْتُ سَبْعَةَ أيَامٍ وإنِّي لَثُلُثُ الإسلامِ».

٣٧٢٨ - عَنْ إسْمَاعيلَ عَنْ قَيْس قالَ: سمعتُ سعداً رضيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ: « إنِّي لأوَّلُ العَرَبِ رَمى بِسَهْمٍ فِي سبيلِ اللهِ، وكُنَّا نَغْزو مَعَ النبيِّ ﷺ وما لنا طعامٌ إلا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتى إنَّ أحَدَنا لَيَضَعُ كما يضع البَعيرُ أوِ الشّاةُ مالَهُ خِلطٌ، ثُمَّ أصْبَحَتْ بنو أسَدٍ تُعَزِّرُني عَلى الإسْلامِ لَقَد خِبْتُ إذاً وضل عَمَلي، وكانوا وَشَوا بِهِ إلى عُمَرَ قالوا: لا يُحْسِنُ يُصَلِّي».

[الحديث ٣٧٢٨ - طرفاه في: ٥٤١٢، ٦٤٥٣]

قوله (مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري) أي أحد العشرة يكني أبا إسحاق.

قوله (وبنو زهرة أخوال النبي ﷺ أي لأن أمه آمنة منهم، وأقارب الأم أخوال.

قوله (وهو سعد بن مالك) أي اسم أبي وقاص مالك بن وهيب -ويقال أهيب-بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، يجتمع مع النبي ﷺ في كلاب بن مرة، وعدد ما بينهما من الآباء متقارب، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس لم تسلم، مات بالعقيق سنة خمس وخمسين وقيل بعد ذلك إلى ثمانية وخمسين، وعاش نحو من ثمانين سنة.

قوله (جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم أحد) أي في التفدية، وهي قوله «فداك أبي وأمي»

قوله (وإني لثلث الإسلام) قال ذلك بحسب اطلاعه، والسبب فيه أن من كان أسلم في ابتداء الأمر كان يخفي إسلامه، ولعله أراد بالاثنين الآخرين خديجة وأبا بكر، أو النبي ﷺ وأبا بكر، وقد كانت خديجة أسلمت قطعا فلعله خص الرجال.

قوله (اني لأول العرب رمى) كان ذلك في سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب، وكان القتال فيها أول حرب وقعت بين المشركين والمسلمين، وهي أول سرية بعثها رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة، بعث ناسا من المسلمين إلى رابغ ليلقوا عيراً لقريش فتراموا بالسهام ولم يكن بينهم مسايفة، فكان سعد أول من رمى، ذكر ذلك الزبير بن بكار بسند له وقال فيه عن سعد أنه أنشد يومئذ:

ألا هل أتى رسول الله أني حميت صحابتي بصدور نبلي

قوله (ماله خلط) أي لا يختلط بعضه ببعض من شدة جفافه وتفتته.

قوله (تعزرني على الإسلام) أي تؤدبني، والمعنى تعلمني الصلاة، أو تعيرني بأني لا أحسنها ،

قوله (خبت) أي إن كنت محتاجا إلى تعليمهم، وقد تقدمت قصته مع الذين زعموا أنه لا يحسن يصلي في صفة الصلاة.

١٦ ـ باب ذِكْرِ أَصْهارِ النبيِّ ﷺ مِنْهُمْ أبو العاصِ بنُ الرَّبيعِ

٣٧٢٩ ـ عن المسوَر بن مَخرَمَة قال: «إنَّ عَلياً خطب بِنْتَ أبي جَهل، فسمعَتْ بذلكَ فاطِمَةُ، فأتَتْ رسولَ اللهِ ﷺ فقالتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أنَّك لا تَغْضَبُ لِبنَاتِكَ، وهذا عليٌّ ناكِحٌ بِنْتَ أبي جَهْل، فَقَامَ رسولُ اللهِ ﷺ، فَسَمِعْتُهُ حينَ تَشَهَّدَ يقولُ: أمَّا بَعدُ أنْكَحْتُ أبا العاصِ بنَ الرَّبيعِ فحدَّثني وصَدَقَني، وإنَّ فاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وإني أكْرَهُ أنْ يَسوءَها، واللهِ لا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رسولِ اللهِ وبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ عِنْدَ رَجُلٍ واحِدٍ، فَتَرَكَ عَلِيٌّ الخِطْبَةَ».

وعَنْ مِسْوَرٍ «سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ وذكَرَ صِهرًا لَهُ مِنْ بني عَبْدِ شَمْسٍ فأثنى عليهِ في مُصاهَرَتِهِ فَأحْسَنَ، قالَ: حَدَّثَني فصَدَقَني، وَوَعَدَني فَوَفى لي».

قوله (ذكر أصهار النبي ﷺ أي الذين تزوجوا إليه، والصهر يطلق على جميع أقارب المرأة والرجل ومنهم من يخصه بأقارب المرأة.

قوله (منهم أبو العاص بن الربيع)وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة فكان ابن أختها.

وقال النووي: الصهر يطلق على أقارب الزوجين، والمصاهرة مقاربة بين المتباعدين، وعلى هذا عمل البخاري فإن أبا العاص بن الربيع ليس من أقارب نساء النبي ﷺ إلا من جهة كونه ابن أخت خديجة، وليس المراد هنا نسبته إليها بل إلى تزوجه بابنتها، وتزوج زينب بنت رسول الله ﷺ قبل البعثة وهي أكبر بنات النبي ﷺ، وقد أسر أبو العاص ببدر مع المشركين وفدته زينب فشرط عليه النبي ﷺ أن يرسلها إليه فوفى له بذلك، فهذا معنى قوله في آخر الحديث: «ووعدني فوفى لي»، ثم أسر أبو العاص مرة أخرى فأجارته زينب فأسلم، فردها النبي ﷺ إلى نكاحه، وولدت أمامة التي كان النبي ﷺ يحملها وهو يصلي كما تقدم في الصلاة، وولدت له أيضا ابنا اسمه علي كان في زمن النبي ﷺ مراهقا، فيقال إنه مات قبل وفاة النبي ﷺ، وأما أبو العاص فمات سنة اثنتي عشرة، وأشار المصنف بقوله «منهم» إلى من لم يذكره ممن تزوج إلى النبي ﷺ كعثمان وعلي، وقد تقدمت ترجمة كل منهما، ولم يتزوج أحد من بنات النبي ﷺ غير هؤلاء الثلاثة، إلا ابن أبي لهب فإنه كان تزوج رقية قبل عثمان ولم يدخل بها، فأمره أبوه بمفارقتها، ففارقها، فتزوجها عثمان.

قوله (أن عليا خطب بنت أبي جهل) اسمها جويرية كما سيأتي، ويقال العوراء ويقال جميلة، وكان علي قد أخذ بعموم الجواز، فلما أنكر النبي ﷺ أعرض علي عن الخطبة، فيقال تزوجها عتاب بن أسيد، وإنما خطب النبي ﷺ ليشيع الحكم المذكور بين الناس ويأخذوا به إما على سبيل الإيجاب وإما على سبيل الأولوية، وسيأتي بسط ما يتعلق بذلك في كتاب النكاح إن شاء الله تعالى.

قوله (حدثني فصدقني) لعله كان شرط على نفسه أن لا يتزوج على زينب، وكذلك علي، فان لم يكن كذلك فهو محمول على أن عليا نسي ذلك الشرط فلذلك أقدم على الخطبة، أو لم يقع عليه شرط إذ لم يصرح بالشرط لكن كان ينبغي له أن يراعي هذا القدر، فلذلك وقعت المعاتبة، وكان النبي ﷺ قل أن يواجه أحد بما يعاب به، ولعله إنما جهر بمعاتبة علي مبالغة في رضا فاطمة عليهاالسلام، وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة، ولم يكن حينئذ تأخر من بنات النبي ﷺ غيرها، وكانت أصيبت بعد أمها بإخوتها فكان إدخال الغيرة عليها مما يزيد حزنها.

١٧ - باب مَناقب زَيْد بن حارِثَةَ مَوْلَى النبيِّ ﷺ

وقالَ البَراءُ عن النبيِّ ﷺ «أنتَ أخونا ومَوْلانا».

٣٧٣٠ - عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: «بَعَثَ النبيُّ ﷺ بَعْثاً وأمَّرَ عَلَيْهم أسامَةَ بنَ زَيْدٍ، فَطعَنَ بَعْضُ الناسِ في إمارَتِه، فَقالَ النبيُّ ﷺ: إنْ تَطعَنوا في إمارَتِهِ فَقد كُنْتُم تطعَنون في إمارَةِ أبيه مِنْ قَبْلُ، وأيمُ الله إن كانَ لَخَليقًا للإمارَةِ، وإنْ كانَ لَمِنْ أحَبِّ الناسِ إليَّ، وإنَّ هذا لَمِنْ أحَبِّ النَّاسِ إليَّ بَعْدَهُ».

[الحديث ٣٧٣٠- أطرافه في: ٤٢٥٠، ٤٤٦٨، ٤٤٦٩، ٦٦٢٧، ٧١٨٧]

٣٧٣١ - عَن عائِشَةَ رضي الله عَنْهَا قالت: دخَلَ عليَّ قائف والنبيُّ ﷺ شاهدٌ، وأسامةُ بن زيدٍ وزيد بن حارثةَ مُضْطَجِعانِ فقالَ: إنَّ هذهِ الأقدامَ بعضُهَا من بعض، قالَ فُسرَّ بذلك النبيُّ ﷺ وأعجبهَ، فأخبرَ بهِ عَائِشَةَ».

قوله (مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ وهو من بني كلب، أسر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فاستوهبه النبي ﷺ منها، ذكر قصته محمد بن إسحق في السيرة وأن أباه وعمه أتيا مكة فوجداه فطلبا أن يفدياه فخيره النبي ﷺ بين أن يدفعه إليهما أو يثبت عنده فاختار أن يبقى عنده، واستشهد زيد بن حارثة في غزوة مؤتة، ومات أسامة بن زيد بالمدينة أو بوادي القرى سنة أربع وخمسين وقيل قبل ذلك، وكان قد سكن المزة من عمل دمشق مدة.

قوله (بعث النبي ﷺ بعثاً) هو البعث الذي أمر بتجهيزه في مرض وفاته وقال «أنفذوا بعث أسامة» فأنفذه أبو بكر رضي الله عنه بعده، وسيأتي بيانه في أواخر الوفاة النبوية[1] إن شاء الله تعالى.

قوله (فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل) يشير إلى إمارة زيد بن حارثة في غزوة مؤتة.

عن عائشة قالت «ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم» وفيه جواز إمارة المولى وتولية الصغار على الكبار والمفضول على الفاضل، لأنه كان في الجيش -الذي كان عليهم أسامة- أبو بكر وعمر، ثم ذكر حديث عائشة في قصة القائف، وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب الفرائض وفيه تسمية القائف المذكور.

١٨ - باب - ذِكرُ أسامَةَ بن زَيْد

٣٧٣٢ - عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عنهَا «أنْ قُرَيشاً أهَمَّهم شأنُ المَخْزومِيَّةِ فَقالوا: مَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيهِ إلا أسامَةُ بنُ زَيْدٍ حِبُّ رسولِ اللهِ ﷺ».

٣٧٣٣ - عَنْ سُفْيانُ قالَ: ذهبتُ أسألُ الزُّهْرِيَّ عَنْ حديثِ المَخْزوميَّةِ فصاحَ بي، قُلْتُ لِسُفْيَانَ: فَلَم تَحْمِلهُ عَنْ أحَدٍ؟ قالَ: وَجَدْتُهُ في كتابٍ كانَ كَتَبَهُ أيوبُ بنُ موسى عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا «أنَّ امْرَأةً مِنْ بَني مَخْزوم سَرَقَتْ،

فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فيها النبيَّ ﷺ؟ فَلَم يَجْتَرِئْ أَحَدٌ أَنْ يُكَلِّمَهُ فكلَّمَهُ أسامَةُ بن زَيْدٍ، فقالَ: إنَّ بَني إسْرائيل كانَ إذا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوه، وإذا سَرَقَ فيهمُ الضَّعيفُ قَطَعُوه، لَو كانَتْ فاطِمَة لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

٣٧٣٤ - عَنْ عَبْدِ اللهِ بن دينارٍ قال: «نَظَرَ ابنُ عُمَرَ يَوْماً - وَهُوَ فِي المسجِدِ - إلى رجُلٍ يَسْحَبُ ثِيَابَهُ فِي نَاحِيةٍ مِنَ المَسْجِدِ فَقَالَ: انظُرْ مَنْ هذا؟ لَيْتَ هذا عِنْدي، قالَ لَهُ إنْسانٌ: أما تَعْرِفُ هذا يا أبَا عَبْدِ الرَّحمنِ؟ هذا مُحمدُ بنُ أسامَة، قالَ فطَأطَأَ ابنُ عُمَرَ رأْسَهُ ونَقَرَ بِيدَيْهِ في الأرْضِ، ثُمَّ قالَ: لو رَآهُ رسولُ اللهِ ﷺ لأحَبَّهُ».

٣٧٣٥ - عَنْ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا حَدثَ عنِ النبي ﷺ «إنَّهُ كانَ يَأْخُذُه والحَسَنَ فيقولُ: اللّهم أحِبَّهما فإنِّي أُحِبُّهُما».

[الحديث:٣٧٣٥- طرفاه في:٣٧٤٧، ٦٠٠٣]

٣٧٣٦ - وقالَ نُعَيْمٌ عَنِ ابن المُبارَكِ أخْبَرَنا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهريِّ أخْبرَني مَوْلى لأسامَةَ بنِ زَيْدٍ أن الحَجّاجَ ابنَ أيْمَنَ بنِ أمِّ أيْمَنَ - وكانَ أيْمَنُ بنُ أمِّ أيْمَنُ أخا أسَامَةَ بن زيدٍ لأمِّه- وهُوَ رجلٌ من الأنْصارِ، فَرَآهُ ابنُ عُمَرَ لم يُتِمَّ ركُوعَهُ ولا سُجودَهُ فَقَالَ: أعِدْ».

[الحديث ٣٧٣٦- طرفه في ٣٧٣٧]

٣٧٣٧ - عَنْ حَرْمَلة مَوْلى أسَامَةَ بن زيدٍ أنَّهُ بينَمَا هُوَ معَ عبدِ اللهِ بن عُمَرَ إذْ دَخَلَ الحَجّاجُ ابنُ أيْمَنَ، فَلَمْ يُتِمَّ ركوعَهُ ولا سُجودهِ فقالَ: أعِدْ. فَلَمَّا وَلَّى قالَ لي ابنُ عُمَرَ: مَنْ هذا؟ قُلْتُ: الحَجاجُ بنُ أيْمَنَ بنِ أمِّ أيْمَنَ، فَقَالَ ابنُ عُمَرَ: لو رَأى هذا رسولُ اللهِ ﷺ لأحَبَّهُ، فَذَكَرَ حُبَّهُ وَمَا وَلَدَتْهُ أمُّ أيْمَنَ».

قالَ: وزادَني بعض أصحابي عن سُليمانَ «وكانت حاضنَةَ النبيِّ ﷺ».

قوله (ذكر أسامة بن زيد) ذكر فيه حديث المخزومية التي سرقت، وسيأتي شرحه مستوفى في الحدود، والغرض منه قوله في بعض طرقه «ومن يجترئ أن يكلمه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، وكانوا يسمون أسامة حب رسول الله ﷺ بكسر المهملة أي محبوبه لما يعرفونه من منزلته عنده، لأنه كان يحب أباه قبله حتى تبناه فكان يقال له زيد بن محمد، وأمه أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يقول «هي أمي بعد أمي».

قوله (ليت هذا عندي) أي قريبا مني حتى أنصحه وأعظه.

قوله (لو رآه رسول الله ﷺ لأحبه) إنما جزم عمر بذلك لما رأى من محبة النبي ﷺ لزيد بن حارثة وأم أيمن وذريتهما فقاس ابن أسامة على ذلك.

قوله (اللهم أحبهما فإني أحبهما) هذا يشعر بأنه ﷺ ما كان يحب إلا لله وفي الله،

ولذلك رتب محبة الله على محبته، وفي ذلك أعظم منقبة لأسامة والحسن.

قوله (وهو رجل من الأنصار) أي أيمن ابن أم أيمن، وأبوه هو عبيد بن عمرو بن هلال من بني الحبلى من الخزرج، ويقال إنه كان حبشيا من موالي الخزرج وتزوج أم أيمن قبل زيد بن حارثة فولدت له أيمن، واستشهد أيمن يوم حنين مع النبي ﷺ. ونسب أيمن إلى أمه لشرفها على أبيه وشهرتها عند أهل البيت النبوي، وتزوج زيد بن حارثة أم أيمن، وكانت حاضنة النبي ﷺ ورثها من أبيه، فولدت له أسامة بن زيد وعاشت أم أيمن بعد النبي ﷺ قليلا.

قوله (فقال أعد) أي أعد صلاتك، وفي رواية الإسماعيلي «فقال: أي ابن أخي، أتحسب أنك قد صليت؟ إنك لم تصل، فأعد صلاتك».

١٩ - باب - مَناقبُ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا

٣٧٣٨ - عنِ ابنِ عُمَرَ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قالَ: «كانَ الرَّجُلُ فِي حَياةِ النبيِّ ﷺ إذا رأى رُؤيا قصَّها عَلى النبيِّ ﷺ، فَتَمَنَّيْتُ أنْ أرى رؤيا أقُصُّها على النبيِّ ﷺ، وكُنْتُ غلاماً أعزَبَ، وكُنْتُ أنامُ في المَسْجدِ عَلى عَهْدِ النبيِّ ﷺ، فَرأيتُ في المَنامِ كأنَّ مَلَكيْنِ أخَذاني فَذَهَبا بي إلى النار، فإذَا هِيَ مَطْويَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ، وإذَا لها قَرْنَان كَقَرْنَيِ البِئْرِ، وإذا فيهَا ناسٌ قد عَرَفتهُم، فَجَعَلْتُ أقولُ: أعُوذُ باللهِ مِنَ النّارِ، أعوذُ باللهِ مِنَ النّارِ، فَلَقِيهُما مَلَكٌ آخَرُ فَقالَ لِي: لَنْ تُراعَ، فَقَصَصْتُها عَلى حَفْصَةَ».

٣٧٣٩ - فَقَصَّتْها حَفْصَةُ عَلَى النبيِّ ﷺ فقالَ: نِعْمَ الرَّجُل عَبْدُ اللهِ، لَوْ كانَ يُصَلّي مِنَ اللَّيْلِ، قالَ سالِمٌ: فَكَانَ عبدُ اللهِ لا ينامُ مِنَ اللَّيْلِ إلا قَليلا».

٣٧٤٠، ٣٧٤١ - عن ابن عمر عَنْ أُخْتِهِ حَفْصَةَ «أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لَهَا: إن عَبْدَ اللهِ رَجُلٌ صَالِحٌ».

قوله (مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب) وهو أحد العبادلة وفقهاء الصحابة والمكثرين منهم، وأمه زينب ويقال رائطة بنت مظعون أخت عثمان وقدامة ابني مظعون، للجميع صحبة، وكان مولده في السنة الثانية أو الثالثة من المبعث، لأنه ثبت أنه كان يوم بدر ابن ثلاث عشرة سنة، وكانت بدر بعد البعثة بخمس عشرة سنة، وقد تقدم تاريخ وفاته في الصلاة و أنها كانت بسبب من دسه عليها الحجاج فمس رجله بحربة مسمومة فمرض بها إلى أن مات أوائل سنة أربع وسبعين.

٢٠ - باب - مَناقبُ عَمّارٍ وحُذَيْفَةَ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا

٣٧٤٢ - عَنْ علقَمَةَ قالَ: «قَدِمْتُ الشّامَ، فَصَلَّيْتُ ركْعَتَيْنِ ثُمَّ قُلتُ اللّهم يَسِّرْ لي جَليساً صَالِحًا، فَأتَيتُ قَوْماً فَجَلَسْتُ إليْهِم، فإذَا شَيْخٌ قَدْ جاءَ حتى جلس إلى جَنْبي، قُلتُ مَنْ هذا؟ قالوا: أبو الدَّرْداءِ، فَقُلْتُ: إنِّي دعوت الله أن ييسِّر لي جليساً صالحاً،

فَيَسَّرَكَ لِي، قالَ: مِمَّنْ أنتَ؟ قُلتُ: مَنْ أهل الكُوفَة، قالَ: أوَلَيْسَ عِنْدَكُمْ ابن أمِّ عَبْدٍ صاحبُ النَّعْلَيْن والوسادِ والمِطْهَرَة؟ أفيكُمْ الذي أجارَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطانِ، يَعْني على لِسانَ نَبِيِّهِ ﷺ؟ أوَلَيْسَ فيكُمْ صَاحِبُ سِرِّ النبيِّ ﷺ الذي لا يَعْلَمُ أحَدٌ غَيْرُه؟ قالَ: كَيْفَ يَقْرَأُ عَبْدُالله {واللَّيلِ إذا يَغْشى} فَقَرَأْتُ عليهِ {واللَّيْلِ إذَا يَغْشى والنَّهارِ إذا تَجَلَّى والذَّكَرِ والأنثى} قال: واللهِ لَقَد أقرأنيها رسولُ اللهِ ﷺ مِن فِيهِ إلى فِيَّ».

٣٧٤٣ - عَنْ مُغيرَةَ عَنْ إبْراهيمَ قالَ: «ذَهَبَ عَلْقَمَةُ إلى الشَّأمِ، فَلَمَّا دَخَلَ المَسْجِدَ قالَ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لي جَليساً صالحاً، فَجَلَسَ إلى أبي الدَّرْداءِ، فَقالَ أبُو الدَّرْداءِ: مِمَّن أنت؟ قالَ: مِنْ أهْلِ الكوفَة، قالَ ألَيْسَ فيكُمْ - أو مِنكُمْ- صاحِبُ السرِّ الذي لا يَعْلَمهُ غَيْرُه؟ يَعْني حُذَيفَةَ، قالَ: قُلتُ: بَلى، قالَ: ألَيْسَ فيكُم -أو مِنْكُم- الَّذي أجارَهُ الله عَلَى لِسانِ نَبِيِّهِ ﷺ؟ يَعْني مِنَ الشَّيْطانِ، يَعْني عماراً، قُلْتُ بلى، قالَ: ألَيْسَ فِيكُمْ -أو مِنكُمْ- صاحِبُ السِّواك، والوسادِ أو السِّرار؟ قال: بلى، قالَ: كَيْفَ كانَ عَبْدُ اللهِ يَقْرَأُ {واللَّيْلِ إذا يَغْشى والنَّهارِ إذا تَجَلّى}؟ قُلتُ: {والذَّكَرِ والأُنثى}، قالَ: مازالَ بي هؤلاءِ حَتَّى كادُوا يَسْتَنْزِلونَني عَنْ شيءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النبيِّ ﷺ».

قوله (باب مناقب عمار وحذيفة) أما عمار هو ابن ياسر، يكنى أبا اليقظان العنسي بالنون، وأمه سُمَيّة بالمهملة مصغر، أسلم هو وأبوه قديما، وعذبوا لأجل الاسلام، وقتل أبو جهل أمه فكانت أول شهيدة في الإسلام ومات أبوه قديما، وعاش هو إلى أن قتل بصفين مع علي رضي الله عنهم، وكان قد وليّ شيئاً من أمور الكوفة لعمر فلهذا نسبه أبو الدرداء إليها، وأما حذيفة فهو ابن اليمان بن جابر بن عمرو العبسي بالموحدة حليف بني عبد الأشهل من الأنصار، وأسلم هو وأبوه اليمان كما سيأتي وولي حذيفة بعض أمور الكوفة لعمر، وولي إمرة المدائن، ومات بعد قتل عثمان بيسير بها، وكان عمار من السابقين الأولين، وحذيفة من القدماء في الإسلام أيضاً إلا أنه متأخر فيه عن عمار، وإنما جمع المصنف بينهما في الترجمة لوقوع الثناء عليهما من أبي الدرداء في حديث واحد.

قوله (قال أو ليس عندكم ابن أم عبد) يعني عبد الله بن مسعود، وأراد بذلك أنه فهم منهم أنهم قدموا في طلب العلم، فبين لهم أن عندهم من العلماء من لا يحتاجون معهم إلى غيرهم، ويستفاد منه أن المحدث لا يرحل عن بلده حتى يستوعب ما عند مشايخها.

قوله (صاحب النعلين) أي نعلي رسول الله ﷺ، وكان ابن مسعود يحملهما ويتعاهدهما،

قوله (والوساد)،وقد روى مسلم عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال له: «اذنك علي أن ترفع الحجاب وتسمع سوادي» أي سراري، وهي خصوصية لابن مسعود، أن المراد الثناء عليه بخدمة النبي ﷺ وأنه لشدة ملازمته له لأجل هذه الأمور ينبغي أن يكون عنده من العلم ما

يستغني طالبه به عن غيره.

قوله (الذي أجاره الله من الشيطان، يعني على اسان نبيه)، زعم ابن التين أن المراد بقوله «على لسان نبيه» قول النبي ﷺ «ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» وهو محتمل، ويحتمل أن يكون المراد بذلك حديث عائشة مرفوعا «ما خير عمار بين أمرين الا اختار أرشدهما» أخرجه الترمذي، فكونه يختار أرشد الأمرين دائما يقتضي أنه قد أجير من الشيطان الذي من شأنه الأمر بالغي، وروى البزار من حديث عائشة: «سمعت رسول ﷺ يقول: «ملئ إيمانا إلى مشاشه» يعني عماراً وإسناده صحيح، ولابن سعد في «الطبقات» من طريق الحسن قال: «قال عمار: نزلنا منزلا فأخذت قربتي ودلوي لأستقي، فقال النبي ﷺ: سيأتيك من يمنعك من الماء، فلما كنت على رأس الماء إذا رجل أسود كأنه مرس، فصرعته» فذكر الحديث، وفيه قول النبي ﷺ «ذاك الشيطان» فلعل ابن مسعود أشار إلى هذه القصة، ويحتمل أن تكون الإشارة بالإجارة المذكورة إلى ثباته على الإيمان لما أكرهه المشركون على النطق بكلمة الكفر، فنزلت فيه {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان} وقد جاء في حديث آخر «أن عمارا ملئ إيمانا إلى مشاشه» أخرجه النسائي بسند صحيح.

قوله (أوليس فيكم صاحب سر النبي ﷺ الذي لا يعلم أحد غيره)، والمراد بالسر ما أعلمه به النبي ﷺ من أحوال المنافقين.

٢١ ـ باب ـ مَناقِبُ أبي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرّاحِ رضيَ اللّهُ عَنْهُ

٣٧٤٤ ـ عنْ أنَسِ بنِ مَالِكٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «إنَّ لِكُلِّ أمَّةٍ أميناً، وإن أمينَنا أيَّتُها الأمَّةُ أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ».

[الحديث ٣٧٤٤ - طرفاه في ٤٢٨٢، ٧٢٥٥]

٣٧٤٥ ـ عَنْ حُذَيْفَةَ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ لأهْلِ نَجْرانَ: لأبْعَثَنَّ -يَعْني عَلَيْكُمْ، يعني- أميناً حَقَّ أمين، فأشْرَفَ أصْحابُهُ، فَبَعَثَ أباء عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ».

[الحديث ٣٧٤٥ - أطرافه في: ٤٣٨٠، ٤٣٨١، ٧٢٥٤]

قوله (باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح)

وأبو عبيدة اسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك، وعدد ما بينهما من الآباء متفاوت جدا بخمسة آباء، فيكون أبو عبيدة من حيث العدد في درجة عبد مناف.

قوله (إن لكل أمة أمينا وإن أميننا أيتها الأمة)

الأمين هو الثقة الرضى وهذه الصفة وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره لكن السياق يشعر بأن له مزيدا في ذلك، لكن خص النبي ﷺ كل واحد من الكبار بفضيلة ووصفه بها، فأشعر

بقدر زائد فيها على غيره، كالحياء لعثمان، والقضاء لعلي ونحو ذلك.

قوله (لأهل نجران) هم أهل بلد قريب من اليمن، ذكر ابن سعد أنهم وفدوا على النبي ﷺ في سنة تسع وسماهم، وسيأتي شرح ذلك مطولا في أواخر المغازي حيث ذكره المصنف إن شاء الله تعالى، ووقع في حديث أنس عند مسلم: «إن أهل اليمن قدموا على النبي ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام، فأخذ بيد أبي عبيدة وقال: هذا أمين هذه الأمة».

قوله (فأشرف أصحابه) في رواية مسلم والإسماعيلي «فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ، أي تطلعوا للولاية ورغبوا فيها حرصا على تحصيل الصفة المذكورة وهي الأمانة، لا على الولاية من حيث هي، والله أعلم.

باب ذِكْرُ مُصعَبِ بن عُمَير

قوله (ذكر مصعب بن عمير) أي ابن هاشم بن عبد الدار بن عبد مناف، وقع كذلك في غير رواية أبي ذر الهروي وكأنه بيض لهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ من فضائله في كتاب الجنائز أنه لما استشهد لم يوجد له ما يكفن فيه.

٢٢ ـ باب ـ مَنَاقبُ الْحَسَنِ والْحُسَيْنِ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا

٣٧٦٤ ـ عنْ الحسنِ سَمِعَ أبَا بَكْرَةَ «سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ على المِنْبَرِ والحَسَنُ إلى جَنْبِهِ، يَنْظُرُ إلى الناسِ مرةً وإليهِ مرةً ويَقول: ابْني هذا سَيِّدٌ ولعلَّ الله أنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمين».

٣٧٤٧ ـ عَنْ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ رضِيَ الله عَنهُمَا عنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ كانَ يَأْخُذُهُ والحَسَنَ ويقولُ : اللهمَّ إنِّي أُحِبُّهما فأحِبَّهما، أوكما قالَ».

٣٧٤٨ ـ عَنْ أنَس بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ « أُتِيَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زِيَادٍ برأسِ الحُسَيْن بنِ عَلي فَجُعِلَ في طَستٍ فَجَعَل يَنْكُتُ وقال في حُسْنِه شيئًا، فَقَالَ أنَسٌ: كَانَ أشْبَهَهم برسولِ الله ﷺ وكانَ مَخْضوبًا بالوسْمَةِ».

٣٧٤٩ ـ عنِ البَراءِ رضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ « رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ والْحَسَنُ بنُ عَليٍّ عَلَى عاتِقهِ يقولُ: اللهمَّ إنِّي أُحِبُّه فَأحِبَّه».

٣٧٥٠ ـ عَنْ عُقبةَ بنِ الحارثِ قالَ « رَأيتُ أبا بَكرٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ وَحَمَلَ الحَسَنَ وَهُوَ يَقولُ : بِأبي شَبِيهٌ بالنَّبيِّ، ليْسَ شبيهٌ بعليٍّ، وعَليٌّ يَضْحَكُ».

٣٧٥١ ـ عَن ابنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ « قالَ أبو بكرٍ: ارْقُبوا محمدا ﷺ في أهْلِ بَيْتِهِ».

٣٧٥٢ - عن أنَسٍ قَالَ «لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أحدٌ أشْبَهَ بالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الحَسَنِ بنِ عليٍّ».

٣٧٥٣ - عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ وَسَأَلَهُ عَنِ المُحْرِمِ - قالَ شُعْبَةُ أَحْسِبُهُ يَقْتُلُ الذُّبابَ - فَقَالَ: أهلُ العِراقِ يسألون عنِ الذُّبابِ وقَدْ قَتَلوا ابنَ ابنةِ رسولِ اللّه ﷺ، وقَالَ النبيُّ ﷺ: هما ريحانتاي منَ الدنيا».

[الحديث ٣٧٥٣- طرفه في:٥٩٩٤]

قوله (باب مناقب الحسن والحسين) كأنه جمعهما لما وقع لهما من الاشتراك في كثير من المناقب، وكان مولد الحسن في رمضان سنة ثلاث من الهجرة عند الأكثر، وقيل بعد ذلك، ومات بالمدينة مسموما سنة خمسين ويقال قبلها ويقال بعدها، وكان مولد الحسين في شعبان سنة أربع في قول الأكثر وقتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكربلاء من أرض العراق، وكان أهل الكوفة لما مات معاوية واستخلف يزيد كاتبوا الحسين بأنهم في طاعته، فخرج الحسين إليهم، فسبقه عبيد الله بن زياد إلى الكوفة فخذّل غالب الناس عنه فتأخروا رغبة ورهبة، وقتل ابن عمه مسلم بن عقيل، وكان الحسين قد قدمه قبله ليبايع له الناس، ثم جهز إليه عسكراً فقاتلوه إلى أن قتل هو وجماعة من أهل بيته، والقصة مشهورة فلا نطيل بشرحها، وعسى أن يقع لنا إلمام بها في كتاب الفتن.

قوله (أتي عبيد الله بن زياد) هو التصغير، وزياد هو الذي يقال له ابن أبي سفيان وكان أمير الكوفة عن يزيد بن معاوية وقتل الحسين في إمارته كما تقدم فأتي برأسه،

قوله (وقال في حسنه شيئا) في رواية الترمذي «وقال ما رأيت مثل هذا حسنا»،

قوله (كان أشبههم برسول الله ﷺ) أي أشبه أهل البيت.

قوله (لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي) هذا يعارض رواية ابن سيرين الماضية في الحديث الثالث، فإنه قال في حق الحسين بن علي «كان أشبههم بالنبي ﷺ»، ويحتمل أن يكون كل منهما كان أشد شبها به في بعض أعضائه؛ والذين كانوا يشبهون بالنبي ﷺ غير الحسن والحسين جعفر بن أبي طالب وابنه عبد الله بن جعفر وقثم-بالقاف - ابن العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وسلم بن عقيل بن أبي طالب، ومن غير بني هاشم السائب بن يزيد المطلبي الجد الأعلى للإمام الشافعي وعبد الله بن عامر بن كريز العبشمي وكابس بن ربيعة بن عدي.

قوله (فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب) أورد ابن عمر هذا متعجبا من حرص أهل العراق على السؤال عن الشيء اليسير وتفريطهم في الشيء الجليل.

٢٣ - باب - مَناقبُ بلالِ بن رَباحٍ مَولى أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا

وقالَ النبيُّ ﷺ: «سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيك بَيْنَ يدَيَّ في الجنَّة»

٣٧٥٤ - عَنْ جَابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «كانَ عُمَرُ يقولُ: أبو بَكْرٍ سَيِّدُنا، وأعتَقَ سيِّدنَا ، يَعْنِي بلالاً».

٣٧٥٥ - عن قيس «أنْ بلالا قالَ لأبِي بَكْرٍ: إنْ كُنْتَ إمَّا اشتريتَني لِنَفْسِكَ فأمْسَكْنِي، وإنْ كُنْتَ إنَّمَا اشْتَرَيْتَنِي للهِ فَدَعْنِي وعملَ اللهِ».

قوله (مناقب بلال بن رباح) ذكر ابن سعد أنه كان من مولدي السراة، واسم أمه حمامة وكانت لبعض بني جمح، وجاء عن أنس عند الطبراني وغيره أنه حبشي وهو المشهور، وقيل نوبي.

قوله (مولي أبي بكر) روى أبو بكر بن أبي شيبة باسناد صحيح عن قيس بن أبي حازم قال: «اشترى أبو بكر بلالا بخمس أواق، وهو مدفون بالحجارة».

قوله (كان عمر يقول: أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا ، يعني بلالا) قال ابن التين: يعني أن بلالا من السادة، ولم يرد أنه أفضل من عمر، وقال غيره: السيد الأول حقيقة والثاني قاله تواضعا على سبيل المجاز، أو أن السيادة لا تثبت الأفضلية، فقد قال ابن عمر «ما رأيت أسود من معاوية» مع أنه رأي أبا بكر وعمر.

قوله (أن بلالا قال لأبي بكر) كان قوله ذلك لأبي بكر في خلافة أبي بكر.

قوله (فدعني وعمل الله) في رواية الكشميهني «وعملي لله» وفي رواية أبي أسامة «فذرني أعمل لله» وذكر ابن سعد في «الطبقات» في هذه القصة من الزيادة «أنه قال: رأيت أفضل عمل المؤمن الجهاد ، فأردت أن أرابط في سبيل الله، وأن أبابكر قال: لبلال أنشدك الله وحقي فأقام معه بلال حتى توفي، فلما مات أذن له عمر فتوجه إلى الشام مجاهدا فمات بها في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة، وقيل سنة عشرين» والله أعلم.

٢٤ - باب - ذِكْرُ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا

٣٧٥٦ - عنِ ابن عَبَّاسٍ قالَ «ضَمَّنِي النبيُّ ﷺ إلى صدرِهِ وقالَ: اللَّهُمَّ عَلِّمه الحكمة.» حدَّثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث « وقالَ: اللَّهُمَّ علِّمه الكتاب»: حدَّثَنَا مُوسى حدَّثَنَا وُهَيبٌ عَنْ خالِدٍ ، مِثْله، والحِكْمَةُ الإصابةُ في غير النبوَّة.

قوله (ذكر ابن عباس) أي عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم النبي ﷺ ، يكنى أبا العباس، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ومات بالطائف سنة ثمان وستين، وكان من علماء الصحابة حتى كان عمر يقدمه مع الأشياخ وهو شاب، أورد فيه حديثه قال: «ضمني النبي ﷺ إليه وقال اللهم علمه الحكمة» وفي لفظ «علمه الكتاب»، واختلف في

المراد بالحكمة هنا فقيل: الإصابة في القول، وقيل الفهم عن الله وقيل ما يشهد العقل بصحته، وقيل نور يفرق به بين الإلهام والوسواس، وقيل سرعة الجواب بالصواب، وقيل غير ذلك، وكان ابن عباس من أعلم الصحابة بتفسير القرآن، وروى يعقوب بن سفيان في تاريخه بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال: «لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل» وكان يقول: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس» وروى هذه الزيادة ابن سعد من وجه آخر عن عبد الله بن مسعود».

٢٥ ـ باب ـ مَنَاقبُ خالد بنِ الوَليد رضيَ اللّهُ عَنْهُ

٣٧٥٧ ـ عَنْ أنَسٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ «أنَّ النَّبيَّ ﷺ نَعى زيداً وجَعفراً وابنَ رَوَاحَةَ للنَّاسِ قَبْلَ أنْ يَأتيَهم خَبَرُهم فقال: أخَذَ الرَّايةَ زيدٌ فأصيبَ، ثُمَّ أخَذَها جَعْفَرٌ فأصيبَ، ثُمَّ أخَذَها ابنُ رواحَةَ فأصيبَ -وعَيْناهُ تَذرِفَانِ- حَتَّى أخَذَهَا سيفٌ مِنْ سيُوفِ الله حَتَّى فَتَحَ اللّهُ عَلَيْهِمْ».

قوله (مناقب خالد بن الوليد) أي ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، يجتمع مع النبي ﷺ، ومع أبي بكر جميعا في مرة بن كعب، يكنى أبا سليمان، وكان من فرسان الصحابه، أسلم بين الحديبية والفتح، ويقال قبل غزوة مؤته بشهرين، وكانت في جمادي سنة ثمان.

٢٦ ـ باب مَنَاقب سَالمٍ مَولى أبي حُذَيفَةَ رضيَ اللّهُ عَنْهُ

٣٧٥٨ ـ عَنْ مَسْرُوقٍ قالَ: «ذُكِرَ عَبْدُ اللهِ عِنْدَ عَبْدِ الله بن عمرو فَقالَ: ذاكَ رجُلٌ لا أزالُ أحِبُهُ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: استَقْرِئوا القرآن مِنْ أرْبعةٍ: مِنْ عَبدِ اللهِ بن مَسْعُود فَبَدَأ بِهِ، وسَالمٍ مَوْلَى أبي حُذَيفةَ، وأبيِّ بنِ كَعْبٍ ، ومُعَاذِ بن جَبَلٍ قَالَ: لا أدْرِي، بَدَأ بِأبيٍّ أوْ بِمعَاذٍ».

[الحديث ٣٧٥٨ ـ أطرافه في: ٣٧٦٠، ٣٨٠٦، ٣٨٠٨، ٤٩٩٩]

قوله (باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة) أي ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان مولاه أبو حذيفة ابن عتبة من أكابر الصحابة وشهد بدرا مع النبي ﷺ، وقتل أبوه يومئذ كافرا فساءه ذلك فقال: «كنت أرجو أن يسلم، لما كنت أرى من عقله» واستشهد أبو حذيفة باليمامة، وأما سالم فكان من السابقين الأولين، وقد أشير في هذا الحديث إلى أنه كان عارفاً بالقرآن، وسبق في كتاب الصلاة أنه كان يؤم المهاجرين بقباء لما قدموا من مكة، وشهد سالم بدرا وما بعدها، ويقال أن اسم أبيه معقل، وكان مولى لامرأة من الأنصار فتبناه أبو حذيفة لما تزوجها فنسب إليه، وسيأتي بيان ذلك في الرضاع، واستشهد سالم باليمامة أيضا.

٢٧ ـ باب ـ مَنَاقِبُ عبد اللهِ بن مَسْعُودٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ

٣٧٥٩ ـ عَنْ أبي وائِلٍ قالَ سَمِعتُ مَسْرُوقاً قالَ: قالَ عَبْدُ اللهِ بنِ عَمْرو: «إنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ فاحِشاً ولامُتَفَحِّشاً، وقالَ: إنَّ مِنْ أحَبِّكم إليَّ أحْسَنَكُمْ أخْلاقًا».

٣٧٦٠ ـ وقالَ: اسْتَقْرِئوا القُرآن مِنْ أرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ، وسَالمٍ مَوْلى أبي حُذَيْفَةَ، وأبيِّ ابن كَعْبٍ، ومُعاذِ بنِ جَبَلٍ».

٣٧٦١ ـ عَنْ عَلْقَمَةَ «دَخلتُ الشامَ فَصلَّيْتُ ركعتَين فقلتُ: اللّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَليساً، فَرَأيتُ شَيْخاً مُقْبلا، فلمَّا دَنا قُلْتُ: أرْجُو أنْ يكونَ استجَابَ الله، قالَ: مَنْ أينَ أنْتَ؟ قُلْتُ: مَنْ أهل الكُوفَة، قالَ: أفَلَمْ يَكُنْ فِيكُمْ صَاحِبُ النَّعْلَينِ وَالوِسادِ والمِطْهَرَةِ؟ أوَ لَمْ يَكُنْ فيكُمْ الَّذِي أجِيرَ مِنَ الشَّيْطان؟ أوَ لَمْ يَكن فِيكُمْ صاحِبُ السرِّ الَّذي لا يَعْلَمُهُ غيْره؟ كيفَ قرأ ابنُ أمِّ عبد {والليل} فقرأتُ {واللَّيْلِ إذا يَغْشى، والنَّهارِ إذَا تَجلَّى، والذَّكَرِ والأنثى} قالَ: أقرَأنيها النبيُّ ﷺ فاهُ إلى فيَّ، فمازالَ هؤلاءِ حتَّى كَادُوا يَرُدُّونني».

٣٧٦٢ ـ عن عَبْدِ الرَّحمنِ بنِ يزيد قال سَألْنَا حُذَيْفَةَ عَنْ رجُل قريبِ السَّمْت والهَدْيِ مِنَ النبيِّ ﷺ حتَّى نَأخذَ عنهُ، فقالَ: ما أعرِفُ أحَداً أقربَ سَمْتاً وهَدْياً ودلاً بالنبيِّ ﷺ مِنِ ابنِ أمِّ عَبْدٍ».

[الحديث ٣٧٦٢- طرفه في:٦٠٩٧]

٣٧٦٣ ـ عَنِ الأسودِ بنِ يزيدَ قال: سمعتُ أبا مُوسى الأشعريَّ رضيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ: «قَدِمْتُ أنَا وأخِي مِنَ اليمنِ، فمكثنا حيناً ما نَرى إلاَّ أنَّ عَبْدَ الله بن مسعودٍ رجُلٌ من أهل بيتِ النبيِّ ﷺ، لِمَا نَرَى من دخُولِهِ ودخولِ أمِّه على النبيِّ ﷺ».

[الحديث ٣٧٦٣ – طرفه في: ٤٣٨٤]

قوله (باب مناقب عبد الله بن مسعود) وهو ابن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، مات أبوه في الجاهلية وأسلمت أمه وصحبت، فلذلك نسب اليها أحيانا، وكان هو من السابقين، وقد روى ابن حبان من طريقه أنه كان سادس ستة في الإسلام، وهاجر الهجرتين، وسيأتي في غزوة بدر شهوده إياها، وولي بيت المال بالكوفة لعمر وعثمان، وقدم في أواخر عمره المدينة، ومات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين وقد جاوز الستين، وكان من علماء الصحابة، وممن انتشر علمه بكثرة أصحابه والآخذين عنه، ثم أورد المصنف فيه حديث حذيفة «ما أعلم أحدا أقرب سمتا» أي خشوعا «وهديا» أي طريقة «ودلا» بفتح المهملة والتشديد أي سيرة وحالة وهيئة وكأنه مأخوذ مما يدل ظاهر حاله على حسن فعاله.

قوله (من ابن أم عبد) هو عبد الله بن مسعود، وكانت أمه تكنى أم عبد، وقد روى الحاكم وغيره من طريق أبي وائل عن حذيفة قال: «لقد علم المحفظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابن ام عبد من أقربهم إلى الله وسيلة يوم القيامة».

٢٨ ـ باب ـ ذِكْرُ مَعَاوِيَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ

٣٧٦٤ ـ عن ابن أبي مليكةَ قالَ: «أوترَ معَاويةُ بَعْدَ العشاءِ بركعةٍ وعندَهُ مَولىً لابنِ عبّاسٍ، فأتى ابنَ عبّاسٍ، فقالَ: دَعْهُ فإنَّهُ قدصحِبَ رسولَ اللهِ ﷺ».

[الحديث ٣٧٦٤ طرفه في:٣٧٦٥]

٣٧٦٥ ـ عَنِ ابنِ أبِي ملكيةَ «قيلَ لابن عبّاسٍ: هَلْ لَكَ فِي أميْرَ المُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةَ فإنَّهُ مَا أوتَرَ إلا بواحدة، قالَ: إنَّهُ فقيه».

٣٧٦٦ ـ عن مَعاويةَ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «إنَّكُمْ لتُصلُّونَ صلاةً لَقَدْ صَحِبْنا النبيَّ ﷺ فَمَا رَأيناهُ يُصلِّيها، ولَقَدْ نَهى عَنْهُمَا، يَعْنِي الرَّكعَتينِ بَعدَ العصر».

قوله (باب ذكر معاويه) أي ابن أبي سفيان واسمه صخر ويكني أيضاً أبا حنظلة ابن حرب بن أمية بن عبد شمس، أسلم قبل الفتح، وأسلم أبواه بعده، وصحب النبي ﷺ وكتب له، وولي إمرة دمشق عن عمر بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان سنة تسع عشرة واستمر عليها بعد ذلك إلى خلافة عثمان، ثم زمان محاربته لعلي وللحسن، ثم اجتمع عليه الناس في سنة إحدى وأربعين إلى أن مات سنة ستين، فكانت ولايته بين إمارة ومحاربة ومملكة أكثر من أربعين سنة متوالية.

قوله (وعنده مولى لابن عباس) هو كريب.

قوله (فقال دعه) أي اترك القول فيه والإنكار عليه «فإنه قد صحب» أي فلم يفعل شيئاً إلا بمستند.

(تنبه): عبر البخاري في هذه الترجمة بقوله ذكر ولم يقل فضيلة ولا منقبة لكون الفضيلة لا تؤخذ من حديث الباب، لأنه ظاهر شهادة ابن عباس له بالفقه والصحبة دالة على الفضل الكثير.

٢٩ ـ باب مناقبُ فاطمة عليها السلام

وقال النبيُّ ﷺ «فاطِمَةُ سيِّدةُ نساءِ أهلِ الجنَّة»

٣٧٦٧ ـ عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسولَ اللّه قال: «فاطمةُ بضعةٌ منِّي فمن أغضبها أغضبَنَي».

قوله (باب مناقب فاطمة) أي بنت رسولَ اللّه ﷺ رضيَ اللّهُ تعالى عَنْهَا، وأمّها خديجةُ عليها السلام، ولدت فاطمة في الإسلام، وقيل قبل البعثة، وتزوجها علي رضي الله

عنه بعد بدر في السنة الثانية، وولدت له وماتت سنة إحدى عشرة بعد النبي ﷺ بستة أشهر وقد ثبت في الصحيح من حديث عائشة، ولها أربع وعشرون سنة، وأقوى ما يستدل به على تقديم فاطمة على غيرها من نساء عصرها ومن بعدهن ما ذكر من قوله ﷺ إنها سيدة نساء العالمين إلا مريم وأنها رزئت بالنبي ﷺ دون غيرها من بناته فإنهن متن في حياته فكن في صحيفته ومات هو في حياتها فكان في صحيفتها،

قوله (بضعة) أي قطعة لحم.

قوله (فمن أغضبها أغضبني) استدل به السهيلي على أن من سبها فإنه يكفر، وتوجيهه أنها تغضب ممن سبها، وقد سوى بين غضبها وغضبه ومن أغضبه ﷺ يكفر، وفي هذا التوجيه نظر لا يخفى، وسيأتي بقية ما يتعلق بفضلها في ترجمة والدتها خديجة إن شاء الله تعالى، وفيه أنها أفضل بنات النبي ﷺ.

٣٠ ـ باب فضل عَائِشَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهَا

٣٧٦٨ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قالَ: «رسولُ اللهِ ﷺ يوما: يَا عَائِشُ هذا جِبريلُ يُقرِئُكِ السلامَ، فقلتُ: وعليهِ السلامُ ورحمة الله وبركاته، تَرَى مالا أرَى، تريدُ رسولَ اللهِ ﷺ».

٣٧٦٩ ـ عن أبي مُوسَى الأشعريِّ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «كَمُلَ منَ الرِّجال كثيرٌ، ولم يَكمُلْ منَ النساءِ إلاّ مريمُ بنت عمران وآسية امرأةُ فِرعونَ، وفضلُ عائشةَ على النساء كفضل الثَّريدِ على سائرِ الطعام».

٣٧٧٠ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَبْدِ الرَّحمن أنه سمعَ أنسَ بن مالكٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ يقولُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «فضلُ عائشةَ على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

[الحديث ٣٧٧٠ - طرفاه في: ٥٤١٩، ٥٤٢٨]

٣٧٧١ ـ عَن القاسم بن محمدٍ «أنَّ عائشةَ اشتكَت، فجاء ابنُ عبّاس فقالَ: يا أمَّ المؤمنين، تَقْدَمينَ على فَرَطِ صدق، على رسولِ اللهِ ﷺ وعلى أبي بكر».

[الحديث ٣٧٧١ - طرفاه في: ٤٧٥٣، ٤٧٥٤]

٣٧٧٢ ـ عَنْ أبي وائلٍ قال: «لما بَعَثَ عليٌّ عَمّاراً والحسنَ إلى الكوفةِ ليستَنفِرَهم، خَطبَ عمّارٌ فقالَ: إني لأعلم أنها زوجتُهُ في الدنيا والآخرة، ولكنَّ الله ابتلاكم لتتبِعوهُ أو إيّاها».

[الحديث ٣٧٧٢ -طرفاه في: ٧١٠٠،٧١٠١]

٣٧٧٣ ـ عن عَائِشَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّهَا استعارَتْ من أسماءَ قِلادةً فَهَلَكَت، فأرسلَ

رسولُ الله ﷺ ناساً من أصحابِهِ في طلَبِها، فأدركتْهُمُ الصلاة فصلوا بغير وُضوء، فلما أتَوُا النبيَّ ﷺ شكَوا ذلكَ إليه، فنزلت آيةُ التيمُّم، فقال أُسَيدُ بن حُضَير: جَزاكِ الله خيرا، فوَ الله مانَزَلَ بكِ أمرٌ قَطُّ إلاَّ جعل الله لك منه مَخْرَجًا، وجَعَلَ فيهِ للمسلمين بَركة».

٣٧٧٤ ـ عَنْ هشامٍ عن أبيه «أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا كانَ في مرضِه جَعلَ يَدورُ في نِسائِه ويقول: أينَ أنا غداً؟ حِرصاً على بيتِ عائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا كانَ يَومي سَكَنَ».

٣٧٧٥ ـ عن هشام عن أبيهِ قال « كان الناسُ يتحرَّون بهدَايَاهم يومَ عائشةَ، قالت عائشةُ فاجتمعَ صواحِبي إلى أمِّ سلمةَ فُقلن: ياأمَّ سلمةَ ، واللهِ إنَّ الناسُ يتحرَّونَ بهداياهم يومَ عائشةَ، وإنا نريدُ الخيرَ كما تريدُهُ عائشة، فمري رسولَ الله ﷺ أن يأمُرَ الناس أن يُهدوا إليه حيثُ كان أو حيثُ مادار، قالت : فذكرَتْ ذلك أمُّ سلمة للنبيِّ ﷺ، قالت: فأعرضَ عني، فلما عادَ إليَّ ذكَرْتُ له ذلك فأعرضَ عني، فلما كان في الثالثة ذكرتُ له فقال: ياأمَّ سلمةَ لاتؤذِيني في عائشة ، فإنه والله مانزلَ عليَّ الوحيُ وأنا في لحاف امرأةٍ منكن غيرها»

قوله (باب فضل عائشة رضي الله عنها) هى الصديقة بنت الصديق وأمها أم رومان تقدم ذكرها في علامات النبوة، وكان مولدها في الإسلام قبل الهجرة بثمان سنين أو نحوها، ومات النبي ﷺ ولها نحو ثمانية عشر عاما، وقد حفظت عنه شيئاً كثيرا وعاشت بعده قريبا من خمسين سنة، فأكثر الناس الأخذ عنها، ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئا كثيرا حتى قيل أن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها رضي الله عنها، وكان موتها في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين وقيل في التي بعدها، ولم تلد للنبي ﷺ شيئا على الصواب، وسألته أن تكتني فقال: اكتني بابن اختك فاكتنت أم عبد الله وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة أنه كناها بذلك لما أحضر إليه ابن الزبير ليحنكه فقال: «هو عبد الله وأنت أم عبد الله ، قالت: فلم أزل أكنى بها».

قوله (أن عائشة اشتكت) أي ضعفت، (على فرط) وهو المتقدم من كل شيء، قال ابن التين: فيه أنه قطع لها بدخول الجنة إذا لا يقول ذلك إلا بتوقيف، الحديث الثامن حديثها في أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وفيه «والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها» وقد تقدم الكلام عليه مستوفى في كتاب الهبة، وفي هذا الحديث منقبةَ عظيمة لعائشة، وقد استدل به على فضل عائشة على خديجة، وليس ذلك بلازم لأمرين: أحدهما احتمال أن لا يكون أراد إدخال خديجة في هذا، وأن المراد بقوله: «منكن»

المخاطبة وهي أم سلمة ومن أرسلها أو من كان موجودا حينئذ من النساء؛ والثاني على تقدير إرادة الدخول فلا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق كحديث «أقرؤكم أبي وأفرضكم زيد» ونحو ذلك، ومما يسأل عنه الحكمة في اختصاص عائشه بذلك، فقيل لمكان أبيها، وأنه لم يكن يفارق النبي ﷺ في أغلب أحواله، فسرى سره لابنته مع ما كان لها من مزيد حبه ﷺ، وسيأتي مزيد لهذا في ترجمة خديجة إن شاء الله تعالى، قال السبكي الكبير: الذي ندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة، والخلاف شهير ولكن الحق أحق أن يتبع، وقال ابن تيمية: جهات الفضل بين خديجة وعائشة متقاربة، وكأنه رأى التوقف، وقال ابن القيم: إن أريد بالتفضيل كثرة الثواب عند الله فذاك أمر لا يطلع عليه، فإن عمل القلوب أفضل من عمل الجوارح، وان أريد كثرة العلم فعائشة لا محالة؛ وإن أريد شرف الأصل ففاطمة لا محالة، وهي فضيلة لا يشاركها فيها غير أخواتها، وإن أريد شرف السيادة فقد ثبت النص لفاطمة وحدها، قلت: امتازت فاطمة عن أخواتها بأنهن متن في حياة النبي ﷺ كما تقدم، وأما ما امتازت به عائشة من فضل العلم فإن لخديجة ما يقابله وهي أنها أول من أجاب إلى الإسلام ودعا إليه وأعان على ثبوته بالنفس والمال والتوجه التام؛ فلها مثل أجر من جاء بعدها ولا يقدر قدر ذلك إلا الله، وقيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة، وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة.

بسم الله الرحمن الرحيم

٦٣ ـ كتابُ مناقب الأنصار

١ ـ باب مَناقب الأنصَار

{والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ والإيمانَ من قبلهم يُحبُّونَ مَن هاجَرَ إليهم ولا يَجِدونَ في صُدورهم حاجةً مما أوتوا} /الحشر: ٩/

٣٧٧٦ ـ عن غيلان بن جَرِيرٍ قال: «قلتُ لأنسٍ: أرأيتَ اسمَ الأنصار كُنْتُمْ تُسمُّونَ به، أم سمَّاكُمُ اللهُ؟ قال: بل سَمَّانا الله، كنَّا ندخُل على أنَسٍ فيحدِّثنا بمناقبِ الأنصار ومَشاهِدهم، ويُقبِلُ عليَّ أو على رجلٍ من الأَزْدِ فيقول: فعل قومُكَ يومَ كذا وكذا كذا وكذا».

[الحديث ٣٧٧٦ - طرفه في: ٣٨٤٤]

٣٧٧٧ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ: «كانَ يَوْمُ بعاثَ يوماً قدَّمَهُ الله لرسولِهِ ﷺ، فقَدِمَ رسولُ الله ﷺ وقد افترقَ مَلأُهُمْ، وقُتِلت سَرَواتُهُمْ وجُرحوا، فقدَّمَهُ الله لرسولِهِ ﷺ في دُخولهم في الإِسلام.

[الحديث ٣٧٧٧- طرفاه في: ٣٨٤٦، ٣٩٣٠]

٣٧٧٨ ـ عَنْ أَبِي التَّيَّاح قال سمعتُ أنساً رضيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ: «قالَت الأنصارُ يومَ فتح مكة - وأعطى قريشاً -: واللهِ إنَّ هذا لهَو العجَبُ، إنَّ سيوفَنا تَقطرُ من دِماءِ قُرَيشٍ، وغنائمنا تُرَدُّ عليهم، فبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ فدَعا الأنصارَ، قال فقال: ماالذي بلَغني عنكم؟ - وكانوا لا يكذِبون - فقالوا: هوَ الذي بَلَغكَ، قالَ: أوَ لا ترضَونَ أن يَرجعَ الناسُ بالغَنائم إلى بُيوتهم، وترجعون برسولِ اللهِ ﷺ إلى بُيوتِكم؟ لو سَلَكَتِ الأنصارُ وادِيًا أو شِعباً لسلكتُ واديَ الأنصار أو شِعبَهم».

قوله (باب مناقب الأنصار) هو اسم إسلامي، سمى به النبي ﷺ الأوس والخزرج وحلفاءهم كما في حديث أنس، والأوس ينسبون إلى أوس بن حارثة، والخزرج ينسبون إلى الخزرج بن حارثة، وهما ابنا قيلة، وهو اسم أمهم وأبوهم هو حارثة بن عمرو بن عامر الذي يجتمع اليه أنساب الأزد، وقوله {والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم} الآية تقدم شرحها في أول مناقب عثمان.

قوله (كنا ندخل) كذا في هذه الرواية بغير أداة العطف، وهو من كلام غيلان لا من كلام أنس.

قوله (كنا ندخل على أنس) أي بالبصرة.

قوله (ويقبل علي) أي مخاطبًا لي.

قوله (فعل قومك كذا) أي يحكي ما كان من مآثرهم في المغازي ونصر الإسلام.

قوله (كان يوم بعاث) وهو مكان -ويقال حصن وقيل مزرعة- عند بني قريظة على ميلين من المدينة، كانت به وقعة بين الأوس والخزرج، فقتل فيها كثير منهم، وكان رئيس الأوس فيه حضير والد أسيد بن حضير وكان يقال له حضير الكتائب وبه قتل، وكان رئيس الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضي فقتل فيها أيضا، وكان النصر فيها أولا للخزرج ثم ثبتهم حضير فرجعوا وانتصرت الأوس وجرح حضير يومئذ فمات فيها وذلك قبل الهجرة بخمس سنين.

قوله (سرواتهم) أي خيارهم، والسروات جمع سراة، والسراة جمع سري وهو الشريف.

قوله (يوم فتح مكة) أي عام فتح مكة، لأن الغنائم المشار إليها كانت غنائم حنين، وكان ذلك بعد الفتح بشهرين.

٢ ـ باب قَولِ النبيِّ ﷺ
«لولا الهجرةُ لكنتُ امرَءاً من الأنْصَارِ»

قالهُ عبدُ اللّه بن زيدٍ عنِ النبيِّ ﷺ.

٣٧٧٩ ـ عَنْ أبِي هُرَيرَةَ رضيَ اللّهُ عَنْهُ عَنِ النبيِّ ﷺ، أو قالَ أبو القاسم ﷺ «لو أنَّ الأنصارَ سَلَكوا وادياً أو شِعباً لسَلكتُ في وادِي الأنصار، ولو لا الهجرةُ لكنتُ امرَءاً من الأنصار، فقال أبو هريرةَ: ما ظَلَم -بأبي وأميّ- آوَوْهُ ونَصَرُوهُ أو كلمة أخرى».

[الحديث ٣٧٧٩- طرفه في: ٧٢٤٤]

قال الخطابي: أراد ﷺ بذلك استطابة قلوب الأنصار حيث رضي أن يكون واحدا منهم لو لا مامنعه من سمة الهجرة،

قوله (فقال أبو هريرة ما ظلم) أي ما تعدى في القول المذكور ولا أعطاهم فوق حقهم، ثم بين ذلك بقوله «آووه ونصروه».

قوله (أو كلمة أخرى) لعل المراد وواسوه وواسوا أصحابه بأموالهم، وقوله (السلكت في وادي الأنصار» أراد بذلك حسن موافقتهم له لما شاهده من حسن الجوار والوفاه بالعهد، وليس المراد أنه يصير تابعا لهم، هو المتبوع المطاع المفترض الطاعة على كل مؤمن.

٣ ـ باب إخاءُ النبيِّ ﷺ بينَ المهاجرينَ والأنصار

٣٧٨٠ ـ عَنْ إبراهيم بن سعدٍ عن أبيهِ عن جَدِّهِ قالَ: «لمَّا قَدِموا المدينة آخى رسولُ اللهِ ﷺ بينَ عبدِ الرحمنِ وسعدِ بن الرَّبيع ، قال لعبدِ الرحمن إني أكثرُ الأنصار مالاً، فاقسم مالي نصفَين، ولي امرأتان، فانظرْ أعجبَهما إليك فسَمِّها لي أطلِّقْها، فإذا انقضَتْ عدتُّها فَتزَوَّجْهَا، قال: باركَ اللهُ لك في أهلك ومالك، أينَ سُوقُكم؟ فدلُّوهُ على سوق بني قينُقاعَ، فما انقلبَ إلا ومعَهُ فضلٌ من أقِطٍ وسَمن، ثمَّ تابعَ الغدُوَّ، ثم جاءَ يوماً وبه أثرُ صُفْرَةٍ، فقال النبيُّ ﷺ: مَهْيَم؟ قال: تَزَوَّجْتُ، قال: كم سُقت إليها؟ قال: نَواةً من ذهب -أو وَزنَ نواةٍ من ذهب- شَكَّ إبراهيم».

٣٧٨١ ـ عَنْ أنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ أنَّهُ قالَ: «قَدِمَ علينا عبد الرحمنِ بنُ عوفٍ وآخى النبي ﷺ بينَه وبين سعدِ بن الربيع -وكان كثيرَ المال- فَقَالَ سعدٌ: قد علِمَت الأنصارُ أني من أكثرها مالا، سأقِسمُ مالي بيني وبينك شَطرَين، ولي امرأتانِ فانظرْ أعجبهما إليكَ فأطلِّقُها حتى إذا حَلَّتْ تزوجتَها، فقال عبدُ الرحمن: باركَ اللهُ لك في أهلكَ، فلمَ يَرجع يَومَئذٍ حتى أفضلَ شيئاً من سَمنٍ وأقِطٍ، فلم يَلبَثْ إلا يَسيراً حتى جاءَ رسولَ اللهِ ﷺ وعليه وَضَرٌ من صُفْرة، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: مَهْيَم؟ قال: تزوجتُ امرأةً من الأنصار؟ قال: ما سُقتَ فيها؟ قال: وَزَنَ نواة من ذَهب -أو نواةً من ذهب- فقال: أوْلِمْ ولو بشاة».

٣٧٨٢ ـ عَنْ أبِي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ «قالَتِ الأنصارُ: أقسِمْ بينَنا وبينهُمُ النخلَ، قال: لا، قال: يَكفونَنا المَئونةَ ويَشركونَنَا في الثَمر، قالوا: سمعْنا وأطعنا»

قوله (باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار) سيأتي بسط القول فيه في أبواب الهجرة قبيل المغازي.

قوله (لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع) أي ابن عمرو بن أبي زهير الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء، استشهد بأحد، وسيأتي شرح قصة تزويج عبد الرحمن بن عوف في الوليمة من كتاب النكاح.

قوله (قالت الأنصار: اقسم بيننا وبينهم النخل) أي المهاجرين، وقد سبق الكلام عليه في المزارعة وفيه فضيلة ظاهرة للأنصار.

٤ ـ باب حبُّ الأنْصَار من الإيمان

٣٧٨٣ ـ عن البراء رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ - أو قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ- «الأنصارُ لا يُحبُّهم إلا مؤمن، ولا يبْغضهُم إلا منافق، فمن أحبَّهم أحبَّهُ الله، ومَن أبغضهم أبغضَه الله».

٣٧٨٤ ـ عن أنَسٍ بن مالكٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «آية الإيمانِ حُبُّ الأنصار، وآية النِّفاق بُغضُ الأنصار».

قوله (باب حب الأنصار) أي فضله، ذكر فيه حديث البراء « لا يحبهم إلا مؤمن» وحديث أنس «آية الإيمان حب الأنصار» قال ابن التين: المراد حب جميعهم وبغض جميعهم، لأن ذلك إنما يكون للدين، ومن أبغض بعضهم لمعنى يسوغ البغض له فليس داخلا في ذلك، وهو تقرير حسن، وقد سبق الكلام على شرح الحديث في كتاب الإيمان.

٥ ـ باب قَول النبيِّ ﷺ للأنصار: أنْتُمْ أحَبُّ النَّاس إليَّ

٣٧٨٥ ـ عن أنَسٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: رَأى النبيُّ ﷺ النساء والصِّبْيان مُقبِلِينَ -قالَ حسِبتُ أنهُ قال من عُرْسٍ- فقامَ النبيُّ ﷺ مُمَثِّلاً فقال: اللّهمَّ أنتم من أحبِّ الناسِ إليَّ، قالها ثلاثَ مِرار».

[الحديث ٣٨٧٥ طرفه :٥١٨٠]

٣٧٨٦ ـ وعنه أيضًا رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «جاءَتِ امرأةٌ من الأنصار إلى رسولِ الله ﷺ ومعه صبيٌّ لها، فكلمها رسولُ الله ﷺ فقال: والذي نفسي بيده، إنكم أحبُّ الناسِ إليَّ، مرتين».

[الحديث ٣٧٨٦ - طرفاه في ٥٢٣٤، ٦٦٤٥]

قوله (باب قول النبي ﷺ للأنصار أنتم أحب الناس إليَّ) هو على طريق الإجمال، أي مجموعكم أحب إليَّ من مجموع غيركم، فلا يعارض قوله في الحديث الماضي في جواب «من أحب الناس إليك؟ قال: أبو بكر» الحديث.

قوله (فقام النبي ﷺ ممثلا).

قال ابن التين: كذا وقع رباعيا، والذي ذكره أهل اللغة: مثل الرجل بفتح الميم وضم المثلثة مثولا إذا انتصب قائما، ثلاثي، انتهى.

قوله (فكلمها رسول الله ﷺ) أي أجابها عما سألته، أو ابتدأها بالكلام تأنيسا).

٦ ـ باب أتْبَاع الأنْصَارِ

٣٧٨٧ ـ عن زيد بن أرقمَ « قالت الأنصار: يارسولَ اللّه، لكلِّ نبيِّ أتباع، وإنَّا قد اتَّبعناك، فادعُ اللّه أن يَجعلَ أتباعَنا منَّا، فدَعا به، فَنَمَيْتُ ذلك إلى ابن أبي ليلى، فقالَ: قد زَعم ذلكَ زيدٌ».

[الحديث ٣٧٨٧- طرفه في: ٣٧٨٨]

٣٧٨٨ ـ عن عمرو بن مرَّةَ قالَ سمعتُ أبا حمزةَ رجلاً منَ الأنصار «قالتِ الأنصارُ: إن لكلِّ قومٍ أتباعاً، وإنَّا قد اتَّبعناك، فادعُ اللّه أن يَجعل أتباعَنا منا، قال النبيُّ ﷺ: اللهم

اجعَلْ أتباعَهم منهم، قال عمرُو: فذكَرْتُه لابن أبي ليلى قالَ: قد زَعَمَ ذاك زيدٌ، قال شعبة: أظُنُّهُ زيدَ بنَ أرقمَ».

قوه (باب أتباع الأنصار) أي من الحلفاء والموالي.

قوله (أن يجعل أتباعنامنا) أي يقال لهم الأنصار حتى تتناولهم الوصية بهم بالإحسان إليهم ونحو ذلك.

قوله (فدعا به) أي بما سألوا، وبين ذلك في الرواية التي تليها بلفظ « فقال اللهم اجعل أتباعهم منهم».

قوله (فنميت ذلك) أي نقلته.

٧ ـ باب فَضْلِ دُورِ الأَنْصَارِ

٣٧٨٩ ـ عن أبي أُسَيدٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ «خيرُ دُورِ الأنصارِ بنو النّجار، ثمَّ بنو عبد الأشهل، ثُمَّ بنو الحارث بن الخَزْرَج، ثمَّ بَنو ساعدةَ، وفي كلِّ دُورِ الأنصار خير، فقال سعدٌ: ما أرَى النبيَّ ﷺ إلا قد فَضَّلَ علينا، فقيل: قد فضَّلكم على كثير».

[الحديث ٣٧٨٩ - أطرافه في: ٣٧٩٠، ٣٨٠٧، ٦٠٥٣]

٣٧٩٠ ـ وعنه أيضًا رضي الله عنه أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول « خيرُ الأنصار -أو قالَ: خيرُ دُورِ الأنصار - بنو النّجار وبنو عبدِ الأشْهَل، وبنو الحارث، وبنو ساعدة».

٣٧٩١ ـ عن أبي حُمَيدٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إن خيرَ دُور الأنصار دارُ بني النَّجار، ثُمَّ عبد الأشَهل، ثم دارُ بني الحارث، ثم بني ساعدةَ، وفي كلِّ دورُ الأنصار خير، فَلحقنا سعد بن عبادة، فقال أبا أسَيدٍ: ألم تَرَ أن نبيَّ الله ﷺ خيَّرَ الأنصارَ فجعلَنا أخيراً؟ فأدركَ سعدُ النبيَّ ﷺ فقالَ: يارسولَ الله خُيِّرَ دورُ الأنصار فجُعِلْنا آخِراً، فقال: أوَ ليسَ بحَسْبِكم أن تكونوا منَ الخِيار».

قوله (باب فضل دور الأنصار) أي منازلهم.

قوله (عن أبي أسيد) بالتصغير وهوالساعدي، وهو مشهور بكنيته، ويقال اسمه مالك.

قوله (خير دور الأنصار بنو النجار) هم من الخزرج، والنجار هم تيم الله، وسمى بذلك لانه ضرب رجلا فنجره فقيل له النجار، وهو ابن ثعلبة بن عمرو من الخزرج.

قوله (ثم بنو عبد الأشهل) هم من الأوس، وهو عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة.

قوله (ثم بنو الحارث بن الخزرج) أي الأكبر أي ابن عمرو بن مالك بن الأوس المذكور ابن حارثة.

قوله (ثم بنو ساعدة) هم الخزرج أيضا، وساعدة هو ابن كعب بن الخزرج الأكبر.

قوله (خير دور الأنصار وفي كل دور الأنصار خير) خير الأولى بمعنى أفضل والثانية اسم أي الفضل حاصل في جميع الأنصار وإن تفاوتت مراتبه.

قوله (فقال سعد) أي ابن عبادة، وهو من بني ساعدة أيضا، وكان كبيرهم يومئذ.

قوله (أوليس بحسبكم) أي كافيكم.

قوله (من الخيار) أي الأفاضل لأنهم بالنسبة إلى من دونهم أفضل، وكأن المفاضلة بينهم وقعت بحسب السبق إلى الإسلام، وبحسب مساعيهم في إعلاء كلمة الله، ونحو ذلك.

٨ ـ باب قَوْلِ النبيِّ ﷺ

لِلأنصَارِ «اصبرُوا حتّى تَلقوني على الحوض» قَالهُ عبدُ الله بنُ زيدٍ عن النبيِّ ﷺ

٣٧٩٢ ـ عن أسيد بن حُضَيرٍ رضيَ اللهُ عَنْهم«أنَّ رجُلاً من الأنصارِ قال: يارسولَ اللهِ، ألا تستعمِلُني كما استعملتَ فلاناً؟ قالَ: ستَلقَونَ بعدي أثَرَةً، فاصبروا حتى تَلقَوني على الحوض».

[الحديث ٣٧٩٢ ـ طرفه في: ٧٠٥٧]

٣٧٩٣ ـ عن أنَسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: «قالَ النبيُّ ﷺ للأنصار: إنَّكُمْ ستلقونَ بعد أثرةً، فاصبروا حتى تَلقَوني، ومَوعِدُكم الحَوض».

٣٧٩٤ ـ عن يحيى بن سعيدٍ أنه سمع أنسَ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ حِيْنَ خرجَ مَعَهُ إلَى الوليدِ قالَ: «دعَا النبيُّ ﷺ الأنصار إلَى أنْ يقطعَ لَهُمْ البحَرين، فقالوا: لا، إلا أن تُقطِعَ لإخواننا من المهاجرينَ مِثلَهَا، قال: إمَّا لا فاصبروا حتَّى تَلقَوني، فإنَّهُ سيُصيبُكم بَعدي أثرة».

قوله (باب قول النبي ﷺ للأنصار اصبروا حتى تلقوني على الحوض) أي مخاطبا للأنصار بذلك.

قوله (قاله عبد الله بن زيد) أي ابن عاصم المازني، وحديثه هذا وصله المؤلف بأتم من هذا في غزوة حنين كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

قوله (ألا تستعملني) أي تجعلني عاملا على الصدقة أو على بلد.

قوله (ستلقون بعدي أثرة) وأشار بذلك إلى أن الأمر يصير في غيرهم فيختصون دونهم بالأموال، وكان الأمر كما وصف ﷺ، وهو معدود فيما أخبر به من الأمور الآتية فوقع كما قال: وسيأتي مزيد في الكلام عليه في الفتن.

قوله (وموعدكم الحوض) أي حوض النبي ﷺ يوم القيامة.

قوله (حين خرج معه) أي سافر.

قوله (إلى الوليد) أي ابن عبد الملك بن مروان، وكان أنس قد توجه من البصرة حين آذاه الحجاج إلى دمشق يشكوه إلى الوليد بن عبد الملك فأنصفه منه.

٩ ـ باب دُعاءِ النبيِّ ﷺ «أصْلِحَ الأنصارَ والمهَاجرة»

٣٧٩٥ ـ عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا عيشَ إلا عيش الآخِرة، فأصلحِ الأنصارَ والمهاجِرة»، وعن قَتادةَ عن أنسٍ عنِ النبيِّ ﷺ مثله،، وقالَ: «فاغفِر للأنصار».

٣٧٩٦ ـ عن حُمَيدٍ الطويلِ سمِعْتُ أنسَ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «كَانتِ الأنصارُ يَوْمَ الخَنْدَقِ تقول:

نحنُ الذينَ بايَعوا محمداً على الجِهادِ ما حَيينَا أبدا

فأجابهم: اللّهمَّ لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة، فأكرِم الأنصارَ والمهاجرة»

٣٧٩٧ ـ عنْ سهلٍ قال: «جَاءَنَا رسولُ اللهِ ﷺ وَنحن نحفرُ الخندق ونَنقلُ التُّراب عَلَى أكتادِنا، فقالَ رسولُ اللهُ ﷺ: «اللّهُمَّ لا عَيْشَ إلاَّ عيشُ الآخِرَة فاغْفر للمهاجرينَ والأنْصار».

[الحديث ٣٧٩٧ - طرفاه في: ٤٠٩٨، ٦٤١٤]

قوله (باب دعاء النبي ﷺ : أصلح الأنصار والمهاجرة) أي قائلا ذلك، ذكر فيه حديث أنس، قوله «على أكتادنا» جمع كتد وهو ما بين الكاهل إلى الظهر.

١٠ ـ باب قول اللهِ عَزَّ وجلَّ

{ويُؤْثِرون على أنفُسِهِمْ ولو كَانَ بِهم خَصَاصَةٌ} / الحشر:٩/

٣٧٩٨ ـ عن أَبِي هُرَيرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إلى نِسَائِهِ، فقلنَ: مَا مَعَنَا إلا الماء، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: مَنْ يَضُمُّ -أو يضيفَ- هذا؟ فقالَ رجُلٌ من الأنصار: أنَا، فانطلَقَ به إلى امرأتِهِ فقال: أكرِمي ضيفَ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالت: ما عندَنا إلا قُوتُ صبياني، فقالَ: هَيِّئي طعامَكِ، وأصْبِحي سِراجَكِ، ونَوِّمي صبيانَكِ إذا أرادوا عَشاءً، فَهيَّأتْ طعامَها، وأصبَحَتْ سِرَاجَها، ونَوَّمَتْ صبيانَها، ثمَّ قامَتْ كأنَّهَا تُصلِحُ سِراجَها فأطفأتْهُ، فجعَلا يُريانِه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبحَ غَدا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: ضَحِك الله الليلة -أو عَجِبَ- من فَعالِكما، فأنزلَ الله {ويُؤْثِرونَ على أنفُسِهِم ولو كان بهم خَصاصة، ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسهِ فأولئك همُ المُفلِحُونَ}.

[الحديث ٣٧٩٨ - طرفه في:٤٨٨٩]

قوله (أن رجلا أتى النبي ﷺ) لم أقف على اسمه وسيأتي أنه أنصاري.

قوله (فبعث إلى نسائه) أي يطلب منهم ما يضيفه به.

قوله (فقلن ما معنا) أي ما عندنا (إلا الماء) وفيه ما يشعر بأن ذلك كان في أول الحال قبل أن يفتح الله لهم خيبر وغيرها.

قوله (من يضم أو يضيف) أي من يؤوي هذا فيضيفه، وفي رواية أبي أسامة «ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله».

قوله (فقال رجل من الأنصار) زعم ابن التين أنه ثابت بن قيس بن شماس.

قوله (إلا قوت صبياني) يحتمل أن يكون هو وامرأته تعشيا وكان صبيانهم حينئذ في شغلهم أو نياما فأخروا لهم ما يكفيهم، أو نسبوا العشاء إلى الصبية لأنهم إليه أشد طلبا، وهذا هو المعتمد لقوله في رواية أبي أسامة «ونطوي بطوننا الليلة» وفي آخر هذه الرواية أيضا «فأصبحا طاويين».

قوله (وأصبحي سراجك) أي أوقديه.

قوله (نومي صبيانك) في رواية لمسلم «علليهم بشيء».

قوله (ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما) نسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية والمراد بهما الرضا بصنيعهما[1]، وفي الحديث دليل على نفوذ فعل الأب في الابن الصغير وإن كان مطويا على ضرر خفيف إذا كان في ذلك مصلحة دينية أو دنيوية، وهو محمول على ما إذا عرف بالعادة من الصغير الصبر على مثل ذلك، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) ليت المصنف نزه كتابه عن بيان غير بيان رسول الله ﷺ، واكتفى بأن قال: ضحك وعجب يليق بجلاله عز وجل، والكلام في الصفات كالكلام في الذات: اثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} وهذا هو مذهب الصحابة والتابعين، وتابعيهم إلى يوم الدين. (الشيخ محب الدين الخطيب)

١١ - باب قولِ النبيِّ ﷺ «اقبَلوا من مُحسِنِهم، وتجاوَزوا عن مسيئِهِم».

٣٧٩٩ - عن هشامِ بن زيدٍ قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقول «مَرَّ أبو بكر والعباسُ رضيَ الله عنهما بمجلس من مَجالس الأنصار وهم يَبكون، فقال: مايُبكيكم؟ قالوا: «ذكرنا مجلسَ النبيِّ ﷺ منّا، فدخَلَ على النبيِّ ﷺ فأخْبَرَهُ بذلك، قال فخَرَجَ النبيُّ ﷺ وقد عصَبَ على رأسه حاشيةَ بُرد، قال فصعِدَ المنبرَ، ولمَ يَصعَدْهُ بعدَ ذلك اليوم فحمِدَ الله وأثنى عليهِ ثمَّ قال: أوصيكم بالأنصار، فانهم كَرِشي وعَيبَتي، وقد قَضوا الذي عليهم وبَقيَ الذي لهم، فاقبَلوا من مُحسنِهم، وتجاوزوا عن مُسيئِهم».

[الحديث ٣٧٩٩ طرفه في: ٣٨٠١]

٣٨٠٠ - عن ابنِ عبّاسٍ رضيَ الله عنهما قال «خَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ وعليه مِلْحفةٌ مُتَعَطِّفاً بها على مَنكِبَيْه، وعليه عِصابةٌ دسْماءُ حتى جلس على المنبر فحمِدَ الله وأثنى عليه ثمَّ قال: أما بعد أيُّها الناس إنَّ الناسَ يكثُرون وتَقِلُّ الأنصارُ حتى يكونوا كالملح في الطعام، فَمن ولي منكم أمراً يَضُرُّ فيه أحدا أو يَنفعهُ فليَقبَلْ من مُحسِنِهم ويَتجاوزْ عن مُسيئِهم».

٣٨٠١ - عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «الأنصارُ كَرِشي وعَيبَتي، والناسُ سيكثرون ويِقلّون، فاقبلوا من محسنهم وتجاوَزوا عن مُسيئِهم».

قوله (باب قول النبي ﷺ: اقبَلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم) يعني الأنصار.

قوله (مر أبو بكر) أي الصديق (والعباس) أي ابن عبد المطلب، وكان ذلك في مرض النبي ﷺ وهم يبكون.

قوله (فقال ما يبكيكم)؟ لم أقف على اسم الذي خاطبهم بذلك هل هو أبو بكر أو العباس، ويظهر لي أنه العباس.

قوله (أوصيكم بالأنصار) استنبط منه بعض الأئمة أن الخلافة لا تكون في الأنصار لأن من فيهم الخلافة يوصون ولا يوصى بهم، ولا دلالة فيه إذ لا مانع من ذلك.

قوله (كرشي وعيبتي) أي بطانتي وخاصتي، ويقال: لفلان كرش منثورة أي عيال كثيرة والعيبة ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده، يريد أنهم موضع سره وأمانته.

قوله (وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم) يشير إلى ماوقع لهم ليلة العقبة من المبايعة، فانهم بايعوا على أن يؤوا النبي ﷺ وينصروه على أن لهم الجنة فوفّوا بذلك.

قوله (متعطفا بها) أي متوشحا مرتديا .

قوله (دسماء) أي لونها كلون الدسم وهو الدهن.

قوله في حديث أنس (وإن الناس[1] سيكثرون ويقلون) أي أن الأنصار يقلون، وفيه إشارة

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "وإن"

إلى دخول قبائل العرب والعجم في الإسلام وهم أضعاف أضعاف قبيلة الأنصار، فمهما فرض في الانصار من الكثرة كالتناسل فرض في كل طائفة من أولئك، فهم أبدا بالنسبة إلى غيرهم قليل، ويحتمل أن يكون ﷺ اطلع على أنهم يقلون مطلقا فأخبرهم بذلك فكان كما أخبر لأن الموجودين الآن من ذرية علي بن أبي طالب ممن يتحقق نسبه إليه أضعاف من يوجد من قبيلتي الأوس والخزرج ممن يتحقق نسبه وقس على ذلك، وقوله «حتى يكونوا كالملح في الطعام» أي في القلة .

قوله (ويتجاوز عن مسيئهم) أي في غير الحدود وحقوق الناس.

١٢ ـ باب مناقبِ سعدِ بن مُعاذ رضيَ الله عنه

٣٨٠٢ ـ عن البراءِ رضيَ اللهُ عنه قال: «أُهْدِيَتْ للنبيِّ ﷺ حُلَّةُ حَريرٍ، فجعلَ أصحابهُ يَمسُّونها ويَعجَبونَ من لِينها، فقال: أتَعجَبونَ من لِين هذه؟ لَمَناديلُ سعد بن مُعاذٍ خيرٌ منها أو ألْيَن»

٣٨٠٣ ـ عن جابرٍ رضيَ الله عنه سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «اهتزَّ العرش لموتِ سعدِ بن مُعاذ» وعن جابرٍ عن النبيِّ ﷺ مثله « فقال رجلٌ لجابر: فإن البَراءَ يقول اهتزَّ السَّرير فقال. إنه كان بينَ هذين الحيَّين ضغائنُ، سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: اهتزَّ عرشُ الرحمنِ لموت سعدِ بن مُعاذ »

٣٨٠٤ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه« أنَّ أناسا نزَلوا على حكم سعدِ بن مُعاذٍ، فأرسلَ إليهَ فجاءَ على حمارٍ، فلمّا بلغَ قريباً منَ المسجِد قال النبيُّ ﷺ: قوموا إلي خيركم -أو سيدكم- فقال: يا سعدُ، إنَّ هؤلاءِ نزَلوا على حُكمِك قال: فإني أحكم فيهم أن تُقتَلَ مُقاتِلتُهم، وتُسبى ذراريهم. قال: حكمتَ بحكم اللهِ، أو بحكمِ الملك».

قوله (باب مناقب سعد بن معاذ) أي ابن النعمان بن امرىء القيس بن عبد الأشهل، وهو كبير الأوس، كما أن سعد بن عبادة كبير الخزرج.

قوله (أهديت للنبي ﷺ حلة حرير) الذي أهداها له أكيدر دومة.

قوله (فإن البراء يقول: اهتز السرير) أي الذي حمل عليه.

قوله (انه كان بين هذين الحيين) أي الأوس والخزرج.

قوله (ضغائن) وهي الحقد، قال الخطابي: انما قال جابر ذلك لأن سعدا كان من الأوس والبراء خزرجي والخزرج لا تقر للأوس بفضل، كذا قال وهو خطأ فاحش، فإن البراء أيضا أوسي لأنه ابن عازب بن الحارث بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، يجتمع مع سعد بن معاذ في الحارث بن الخزرج والد الحارث بن

الخزرج، وليس هو الخزرج الذي يقابل الأوس وإنما سمى على اسمه. نعم الذي من الخزرج الذين هم مقابلو الاوس جابر؛ وإنما قال جابر ذلك إظهاراً للحق واعترافا بالفضل لأهله فكأنه تعجب من البراء كيف قال ذلك مع أنه أوسي، ثم قال: أنا وإن كنت خزرجيا وكان بين الأوس والخزرج ما كان، لا يمنعني ذلك أن أقول الحق، فذكر الحديث. والعذر للبراء أنه لم يقصد تغطية فضل سعد ابن معاذ، وإنما فهم ذلك فجزم به، هذا الذي يليق أن يظّن به، وهو دال على عدم تعصبه. ولما جزم الخطابي بما تقدم احتاج هو ومن تبعه إلى الاعتذار عما صدر من جابر في حق البراء وقالوا في ذلك ما محصله: إن البراء معذور لأنه لم يقل ذلك على سبيل العداوة لسعد، وإنما فهم شيئاً محتملا فحمل الحديث عليه، والعذر لجابر أنه ظن أن البراء أراد الغض من سعد فساغ له أن ينتصر له، والله أعلم، والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدوم روحه، يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتز له، ومنه اهتزت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت.

قوله (إن أناسا نزلوا على حكم سعد) هم بنو قريظة (وسيأتي شرح ذلك في المغازي[1]).

١٣ ـ باب مَنقبة أُسَيْدِ بن حُضَير وعبّادِ بن بِشر رضيَ الله عنهما

٣٨٠٥ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه (إنَّ رجُلَين خَرجا من عندِ النبيِّ ﷺ في ليلة مُظلمة، وإذا نورٌ بين أيديهما حتى تفرّقَا فتفرّقَ النور معَهما) وقال مَعْمرٌ عن ثابتٍ عن أنس «إنَّ أسَيدَ بن حُضَيرٍ ورجُلا من الأنصار»، وقال حماد أخبرنا ثابت عن أنس «كان أُسَيدُ بن حُضَير وعُبّادُ بن بِشْرٍ عند النبي ﷺ».

قوله (باب منقبة أسيد بن حضير وعبّاد بن بشر) هو أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي الأشهلي، يكنى أبا يحيى وقيل غير ذلك، ومات في سنة عشرين في خلافة عمر على الأصح. وعبادة بن بشر هو ابن وقش كما سأبينه، وفي تاريخ البخاري ومسند أبي يعلى وصححه الحاكم من طريق ابن اسحق عن يحيى بن عباد عن أبيه عن عائشة قالت «ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلا كلهم من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر».

قوله (إن رجلين) ظهر من رواية معمر أن أسيد بن حضير أحدهما، ومن رواية حماد أن الثاني عباد بن بشر ولذلك جزم به المؤلف في الترجمة وأشار إلى حديثهما.

١٤ ـ باب مَناقبِ معاذِ بن جبَل رضيَ الله عنه

٣٨٠٦ ـ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو رضيَ الله عنهما سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «استقرِئوا

(١) كتاب المغازي باب / ٣٠ ح ٤١٢١ - ٣ / ٣٢٠

القرآنَ من أربعة: منِ ابن مسعود، وسالمٍ مولى أبي حُذَيفة، وأُبَيٍّ، ومُعاذِ بن جَبَل»

قوله (مناقب معاذ بن جبل) أي ابن عمرو بن أوس، من بني أسد بن شاردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الخزرجي، يكنى أبا عبد الرحمن، شهد بدرا والعقبة، وكان أميراً للنبي ﷺ على اليمن، ورجع بعده إلى المدينة، ثم خرج إلى الشام مجاهداً فمات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة. ذكر فيه حديث عبد الله بن عمرو «استقرئوا القرآن» وقد تقدم شرحه قريبا، وقد أخرج ابن حبان والترمذي من حديث أبي هريرة رفعه «نعم الرجل معاذ بن جبل» كان عقبيا بدريا من فقهاء الصحابة، وقد أخرج الترمذي وابن ماجه عن أنس رفعه «أرحم أمتي أبوبكر -وفيه- وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ» ورجاله ثقات، وصح عن عمر أنه قال: «من أراد الفقه فليأت معاذا»، (وسيأتي له ذكر في تفسير سورة النحل) وعاش معاذ ثلاثا وثلاثين سنة على الصحيح.

١٥ ـ باب مَنقبة سعد بن عُبَادَة رضيَ الله عنه

وقالت عائشة «وكان قبل ذلك رجُلاً صالحاً»

٣٨٠٧ ـ عن أبي أُسَيدٍ قال: رسولُ اللهِ ﷺ «خَيْر دورِ الأنصار بنو النجّار، ثمَّ بنو عبدِ الأشهَلِ، ثم بنو الحارثِ بن الخَزرجِ، ثم بنو ساعدة، وفي كلِّ دُور الانصار خير. فقال سعدُ بن عبادةَ -وكان ذا قدَم في الإِسلام-: أرَى رسولَ الله ﷺ قد فضَّلَ علينا. فقيل له: قد فضَّلكم على ناس كثير».

قوله (منقبة سعد بن عبادة) أي ابن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة يكنى أبا ثابت، وهو والد قيس بن سعد أحد مشاهير الصحابة، وكان سعد كبير الخزرج وأحد المشهورين بالجود ومات بحوران من أرض الشام سنة أربع عشرة أو خمس عشرة في خلافة عمر. ثم ذكر فيه حديث أبي أسيد في دور الأنصار وقد تقدم قريبا وأورده هنا لقوله في هذه الطريق «وكان ذا قدم في الإسلام» .

قوله (وقالت عائشة: وكان قبل ذلك رجلا صالحا) هذا طرف من حديث الإفك الطويل، وسيأتي بتمامه في تفسير سورة النور إن شاء الله تعالى، وذكرت عائشة فيه ما دار بين سعد بن عبادة وأسيد بن حضير حيث قال: «وإن كان من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك، فقال له سعد بن عبادة: لا تستطيع قتله،» فثار بينهم الكلام إلى أن أسكتهم النبي ﷺ، فأشارت عائشة إلى أن سعد بن عبادة كان قبل أن يقول تلك المقالة رجلا صالحا، ولا يلزم من ذلك أن يكون خرج عن هذه الصفة له إذ ليس في الخبر تعرض لما بعد تلك المقالة، والظاهر استمرار ثبوت تلك الصفة له لأنه معذور في تلك المقالة لأنه كان فيها متأولا، فلذلك

أوردها المصنف في مناقبه، ولم يبد منه ما يعاب به قبل هذه المقالة وعذر سعد فيها ظاهر، لأنه تخيل أن الأوسي أراد الغض من قبيلة الخزرج لما كان بين الطائفتين فرد عليه.

١٦ ـ باب مَناقب أُبَيٍّ بن كعبٍ رضيَ الله عنه

٣٨٠٨ ـ عن مَسروقٍ قال: «ذُكرَ عبدُ اللهِ بن مسعودٍ عندَ عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجُلٌ لا أزالُ أحبُّه، سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: خُذوا القرآن من أربعةٍ من عبد الله بن مسعودٍ -فبدأ به- وسالمٍ مولى أبي حُذَيفةَ ومُعاذِ بن جَبَلٍ، وأُبَيٍّ بن كعب».

٣٨٠٩ ـ عن أنس بن مالك رضيَ الله عنه «قال النبيُّ ﷺ لأبيٍّ: إنَّ الله أمرني أن أقرأ عليك {لم يكن الذين كفروا من أهلِ الكتاب} قال: وسمّاني؟ قال: نعم. فبكى».

[الحديث ٣٨٠٩ أطراه في:٤٩٥٩،٤٩٦٠،٤٩٦١]

قوله (باب مناقب أبيٍّ بن كعب) أي ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي النجاري، يكنى أبا المنذر وأبا الطفيل، كان من السابقين من الأنصار، شهد العقبة وبدرا وما بعدهما، مات سنة ثلاثين وقيل غير ذلك، ذكر فيه حديث عبد الله بن عمرو المتقدم قريبا في مناقب عبدالله بن مسعود.

قوله (قال وسمّاني)؟ أي هل نص عليٍّ باسمي، أو قال اقرأ على واحد من أصحابك فاخترتني أنت؟ فلما قال له: «نعم» بكى إما فرحا وسرورا بذلك، وإما خشوعا وخوفا من التقصير في شكر تلك النعمة، ويؤخذ من هذا الحديث مشروعية التواضع في أخذ الإنسان العلم من أهله وإن كان دونه. وقال القرطبي: خص هذه السورة بالذكر لما اشتملت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص، والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء وذكر الصلاة والزكاة والمعاد وبيان أهل الجنة والنار مع وجازتها.

١٧ ـ باب مَناقبِ زيد بن ثابتٍ رضيَ الله عنه

٣٨١٠ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه «جَمَع القرآنَ على عهدِ النبيِّ ﷺ أربعةٌ كلهم من الأنصار: أُبَيٌّ ومُعاذُ بن جبَلٍ وأبو زيدٍ وزيدُ بن ثابت. قلتُ لأنسٍ: مَن أبو زيدٍ؟ قال: أحدُ عُمومتي»

[الحديث ٣٨١٠ ـ أطرافه في: ٣٩٩٦، ٥٠٠٣، ٥٠٠٤]

قوله (باب مناقب زيد بن ثابت) أي ابن الضحاك بن زيد بن لوذان، من بني مالك بن النجار، كاتب الوحي وأحد فقهاء الصحابة. مات سنة خمس وأربعين

قوله (جمع القرآن) أي استظهره حفظا.

١٨ - باب مناقِب أبي طلحة رضيَ الله عنه

٣٨١١ - عن أنسٍ رضي الله عنه قال «لما كان يومُ أُحُدٍ انهزمَ الناسُ عن النبيِّ ﷺ، وأبو طَلحةَ بينَ يدَي النبيِّ ﷺ مُجوِّبٌ به عليه بحَجَفة له، وكان أبو طلحةَ رجُلاً رامياً شديدَ القدِّ يَكسِرُ يومئذٍ قوسَين أو ثلاثا، وكان الرجُلُ يَمرُّ معَهُ الجُعْبةُ من النَّبلِ، فيقول: انثرها لأبي طلحةَ، فأشرَفَ النبيُّ ﷺ يَنظرُ إلى القوم، فيقولُ أبو طلحةَ: يا نبيَّ الله، بأبي أنت وأمي لا تُشرِفْ يُصيبُك سهم من سِهامِ القوم، نَحري دونَ نحرِك ولقد رأيتُ عائشةَ بنتَ أبي بكرٍ وأمَّ سُلَيم وإنهما لمشمِّرتانِ أرَى خَدَمَ سوقِهما تُنقِزانِ القِرَبَ على مُتونِهما، تُفرِغانه في أفواهِ القوم، ثمَّ تَرجعانِ فتملآنها، ثمَّ تجيئانِ فتُفرِغانهِ في أفواهِ القوم. ولقد وَقعَ السيفُ من يدِ أبي طلحةَ إما مرَّتين وإما ثلاثا».

قوله (باب مناقب أبي طلحة) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري الخزرجي النجاري، هو زوج أم سليم والدة أنس وقد تقدم بيان وفاته وتاريخها في الجهاد .

قوله (مُجوِّب) أي مترس عليه يقيه بها .

وسيأتي بقية ما يتعلق بهذا الحديث في المغازي[1] إن شاء الله تعالى .

١٩ - باب مَناقبِ عبدِ الله بن سَلامٍ رضيَ الله عنه

٣٨١٢ - عن عامرِ بن سعدِ بن أبي وقاصٍ عن أبيه قال: «ما سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول لأحدٍ يَمشي عَلى الأرضِ : إنهُ من أهلِ الجنةِ، إلاّ لعبدِ الله بن سَلام. قال: وفيه نزَلت هذه الآية {وشَهِدَ شاهِدٌ من بني إسرائيل عَلى مثلِه} الآية. قال: لا أدري قال مالكٌ الآيةَ أو في الحديث».

٣٨١٣ - عن قيسِ بن عُبادٍ قال: «كنتُ جالساً في مسجِد المدينةِ، فدخَلَ رجلٌ على وجهِهِ أثرُ الخشوعِ، فقالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنةِ، فصلى ركعتَين تَجوَّزَ فيهما، ثمَّ خرج وتبِعتُه فقلتُ : إنكَ حينَ دخلت المسجد قالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنة، قال: والله ما ينبغي لأحدٍ أن يقولَ مالا يَعلم. وسأحدِّثُكَ لمَ ذاك . رأيتُ رُؤيا على عهدِ النبيِّ ﷺ، فقصَصتُها عليه، ورأيتُ كأني في رَوضةٍ -ذكرَ مِن سَعَتِها وخُضرَتِها- وسْطها عمودٌ من حديدٍ أسفلهُ في الأرض وأعلاهُ في السماءِ، في أعلاهُ عُروةٌ، فقيل لي: ارقَهْ . قلتُ : لا أستَطيعُ . فأتاني مِنصَفٌ فرَفعَ ثيابي من خلفي فرَقيتُ حتى كنتُ في أعلاها، فأخذتُ في العُروةِ، فقيلَ له استمسكْ . فاستيقَظتُ وإنها لفي يدي. فقَصصتُها على النبيِّ ﷺ فقال: تلك الرَّوضةُ الإسلام، وذلكَ العمودُ عمودُ الإسلام، وتلك العُروةُ عُروةُ الوثقى، فأنت على

(١) كتاب المغازي باب / ١٨ ح ٤٠٦٤ - ٣ / ٢٩٥

الإسلامِ حتى تموتَ . وذلكَ الرجلُ عبدُ اللّهِ بن سَلام » وعن قيس بن عُباد عن ابن سَلام قال: «وصَيفٌ» بدلَ «مِنصَف»

[الحديث ٣٨١٣ - طرفاه في: ٧٠١٠، ٧٠١٤]

٣٨١٤ ـ عن سعيدِ بن أبي بُردةَ عن أبيهِ قال: «أتيتُ المدينةَ فلقِيتُ عبدَ اللّه بن سلام رضيَ اللّه عنه فقال: ألا تجيء فأطعِمكَ سَويقاً وتمراً وتدخلُ في بيت؟ ثم قال: إنكَ في أرضٍ الرِّبا بها فاش، إذا كان لكَ على رجل حقٌ فأهدَى إليكَ حمل تِبن أو حملَ شعيرٍ أو حملَ قَتٍّ فإنه ربا» [الحديث ٣٨١٤ - طرفه في: ٧٣٤٢]

قوله (باب مناقب عبد الله بن سلام) بتخفيف اللام أي ابن الحارث من بني قينقاع، وهم من ذرية يوسف الصديق، وكان اسم عبد الله بن سلام في الجاهلية الحصين فسماه النبي ﷺ عبدالله أخرجه ابن ماجه، وكان من حلفاء الخزرج من الأنصار، أسلم أول ما دخل النبي ﷺ المدينة (وسيأتي شرح ذلك في أوائل الهجرة[١])، ومات عبد الله بن سلام سنة ثلاث وأربعين.

قوله (ما سمعت الخ) استشكل بأنه ﷺ قد قال لجماعة إنهم من أهل الجنة غير عبد الله بن سلام، ويبعد أن لا يطلع سعد على ذلك. وأجيب بأنه كره تزكية نفسه لأنه أحد العشرة المبشرة بذلك، وتعقب بأنه لا يستلزم ذلك أن ينفى سماعه مثل ذلك في حق غيره، ويظهر لي في الجواب أنه قال ذلك بعد موت المبشرين، لأن عبد الله بن سلام عاش بعدهم ولم يتأخر معه من العشرة غير سعد وسعيد، ويؤخذ هذا من قوله «يمشي على الأرض» ووقع في رواية إسحق بن الطباع عن مالك عند الدارقطني «ماسمعت النبي ﷺ يقول لحي يمشي إنه من أهل الجنة» الحديث، وقد أخرج ابن حبان من طريق مصعب بن سعد عن أبيه سبب هذا الحديث بلفظ «سمعت النبي ﷺ يقول: يدخل عليكم رجل من أهل الجنة، فدخل عبد الله بن سلام».

قوله (فأتاني منصف) هو الخادم

قوله (إنك بأرض) يعني أرض العراق (الربا بها فاش) أي شائع .

قوله (حمل قَتّ) وهو علف الدواب.

قوله (فإنه ربا) يحتمل أن يكون ذلك رأي عبد الله بن سلام، وإلاَّ فالفقهاء على أنه إنما يكون ربا إذا شرطه، نعم الورع تركه.

٢٠ ـ باب تزويج النبي ﷺ خديجةَ وفضلِها رضيَ اللّه عنها

٣٨١٥ ـ عن عليٍّ بن أبي طالب رضيَ اللّه عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «خَيرُ نسائها مريمُ،

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٥١ ح ٣٩٣٨ - ٣ / ٢٥٤

وخير نسائها خَديجة».

٣٨١٦ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: ما غِرْتُ على امرأةٍ للنبيِّ ﷺ ماغِرتُ على خَديجةَ، هَلَكَتْ قبلَ أن يَتَزَوَّجَني، لما كنتُ أسمعه يَذكرُها، وأمَرَه الله أن يَبشِّرَها ببيتٍ من قَصَب. وإنْ كان ليَذبَحُ الشاةَ فيُهدِي في خَلائلِها منها مايَسَعَهُنَّ»

[الحديث ٣٨١٦ - أطرافه في: ٣٨١٧، ٣٨١٨، ٥٢٢٩، ٦٠٠٤، ٧٤٨٤]

٣٨١٧ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ماغِرتُ على امرأةٍ ما غرتُ على خَديجَة من كثرةِ ذِكرِ رسول الله ﷺ إياها. قالت: وتزوَّجَني بعدَها بثلاثِ سنينَ، وأمَرَهُ رَبُّهُ عزَّ وجلَّ -أو جبريلُ عليهِ السلامُ- أن يُبشِّرَها ببيتٍ في الجنةِ من قَصَب».

٣٨١٨ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «ماغرتُ على أحَدٍ من نساء النبيِّ ﷺ ماغرتُ على خديجةَ وما رأيتُها، ولكنْ كان النبيُّ ﷺ يُكثِرُ ذكرَها، ورُبما ذبحَ الشاةَ ثمَّ يُقَطِّعُها أعضاءً ثمَّ يَبعثُها في صَدائقِ خديجةَ، فربَّما قلتُ له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأةٌ إلاّ خديجةُ ؟ فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولَدَ ».

٣٨١٩ ـ عن إسماعيلَ قال: قلتُ لعبدِ الله بن أبي أوفى رضيَ الله عنهما بَشَّرَ النبيُّ ﷺ خديجَةَ؟ قال: نعم، ببيتٍ من قَصَب، لا صَخَب فيهِ ولا نصَب».

٣٨٢٠ ـ عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: «أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، هذهِ خديجة قد أتَتْ مَعها إناءٌ فيه إدامٌ أو طعام أو شراب، فإذا هيَ أتَتْكَ فاقرأ عليها السلامَ من ربِّها ومنّي، وبشِّرْها ببيتٍ في الجنةِ من قَصَب، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب».

[الحديث ٣٨٢٠ طرفه في:٧٤٩٧]

٣٨٢١ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «استأذَنَتْ هالةُ بنتُ خُوَيلد -أختُ خديجةَ - على رسولِ الله ﷺ، فعَرَفَ استئذانَ خديجةَ، فارتاعَ لذلك فقال: اللهمَّ هالةَ . قالت: فغِرتُ فقلت: ما تذكُر من عجوزٍ من عجائزِ قريش حمراءِ الشِّدقَين هلكَت في الدهر، قد أبدَلَكَ الله خيراً منها».

قوله (خديجة) هي أول من تزوجها ﷺ، وهي بنت خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي، تجتمع مع النبي ﷺ في قصي، وهي من أقرب نسائه إليه في النسب؛ ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها إلا أم حبيبة، وتزوجها سنة خمس وعشرين من مولده في قول الجمهور، زوجه إياها أبوها خويلد، وكانت قبله عند أبي هالة بن النباش بن زرارة التميمي حليف بني عبد الدار، وكان النبي ﷺ قبل أن يتزوج خديجة قد سافر في مالها مقارضا إلى الشام، فرأى منه ميسرة غلامها ما رغبها في تزوجه، قال الزبير وكانت خديحة تدعى في الجاهلية

الطاهرة، وماتت على الصحيح بعد المبعث بعشر سنين في شهر رمضان، فأقامت معه ﷺ خمسا وعشرين سنة على الصحيح، وقد تقدم في أبواب بدء الوحي بيان تصديقها للنبي ﷺ في أول وهلة ومن ثباتها في الأمر ما يدل على قوة يقينها ووفور عقلها وصحة عزمها، لا جرم كانت أفضل نسائه على الراجح، وقد تقدم في ذكر مريم من أحاديث الأنبياء بيان شيء من هذا .

قوله (خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة) الذي يظهر لي أن قوله «خير نسائها» خبر مقدم والضمير لمريم فكأنه قال مريم خير نسائها أي نساء زمانها، وكذا في خديجة. وقد جزم كثير من الشراح أن المراد نساء زمانها.

وقد أخرج النسائي بإسناد صحيح وأخرجه الحاكم من حديث ابن عباس مرفوعا «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية» وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل.

قوله (ما غرت على امرأة للنبي ﷺ) فيه ثبوت الغيرة وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلا عمن دونهن، وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي ﷺ لكن كانت تغار من خديجة أكثر، وقد بينت سبب ذلك وأنه لكثرة ذكر النبي ﷺ إياها.

قوله (في خلائلها) جمع خليلة أي صديقة.

قوله (ما يسعهن) أي ما يكفيهن.

قوله (إنها كانت وكانت) أي كانت فاضلة وكانت عاقلة ونحو ذلك.

قوله (وكان لي منها ولد) وكان جميع أولاد النبي ﷺ من خديجة، إلا إبراهيم فإنه كان من جاريته مارية، والمتفق عليه من أولاده منها القاسم وبه كان يكنى، مات صغيرا قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع: زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة، وقيل كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة، وعبد الله ولد بعد المبعث، وماتت الذكور صغارا باتفاق، ومما كافأ النبي ﷺ به خديجة في الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها، فروى مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت» وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين، لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاما انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما وهي نحو الثلثين من المجموع ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها. ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت

«أن من سن سنة حسنة» وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل. وقال النووي: في هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا، وإكرام معارف ذلك الصاحب.

قوله (من قصب) قال ابن التين المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف.

قال السهيلي: لذكر البيت معنى لطيف لأنها كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي ﷺ بيت إسلام إلا بيتها، وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضا غيرها. قال: وجزاء الفعل يذكر غالبا بلفظه وإن كان أشرف منه، فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر انتهى. وفي ذكر البيت معنى آخر، لأن مرجع أهل بيت النبي ﷺ إليها، لما ثبت في تفسير قوله تعالى: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت} قالت أم سلمة: «لما نزلت دعا النبي ﷺ فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي» الحديث أخرجه الترمذي وغيره، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة، لأن الحسنين من فاطمة وفاطمة بنتها، وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها.

قوله (لا صخب فيه ولا نصب) الصخب: الصياح والمنازعة برفع الصوت، والنصب: التعب.

قوله (فاقرأ عليها السلام من ربها ومني) وللنسائي من حديث أنس قال: «قال جبريل: للنبي ﷺ إن الله يقرىء خديجة السلام» يعني فأخبرها «فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام وعليك يارسول الله السلام ورحمة الله وبركاته».

قال العلماء في هذه القصة دليل على وفور فقهها، لأنها لم تقل « وعليه السلام» كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون في التشهد «السلام على الله فنهاهم النبي ﷺ وقال: «ان الله هو السلام، فقولوا التحيات لله» فعرفت خديجة لصحة فهمها أن الله لا يُرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين، لأن السلام اسم من أسماء الله، وهو أيضا دعاء بالسلامة، وكلاها لا يصلح أن يرد به على الله فكأنها قالت: كيف أقول عليه السلام والسلام اسمه، ومنه يطلب، ومنه يحصل. فيستفاد منه أنه لا يليق بالله إلا الثناء عليه فجعلت مكان رد السلام عليه الثناء عليه، ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره فقالت: «وعلى جبريل السلام» ثم قالت: «وعليك السلام» ويستفاد منه رد السلام على من

أرسل السلام وعلى من بلغه.

قوله (فعرف استئذان خديجة) أي صفته لشبه صوتها بصوت أختها فتذكر خديجة بذلك .وفي الحديث أن من أحب شيئا أحب محبوباته وما يشبهه وما يتعلق به.

قوله (حمراء الشدقين) الذي يتبادر أن المراد بالشدقين ما في باطن الفم فكنت بذلك عن سقوط أسنانها حتى لايبقى داخل فمها إلا اللحم الأحمر من اللثة وغيرها، وبهذا جزم النووي وغيره.

قوله (أبدلك الله خيرا منها) الواقع أنه صدر منه رد لهذه المقالة، ففي رواية أبي نجيح عن عائشة عند أحمد والطبراني في هذه القصة « قالت: عائشة فقلت أبدلك الله بكبيرة السن حديثة السن، فغضب حتى قلت: والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير».

٢١ ـ باب ذكرُ جرير بن عبدِ اللهِ البَجَليِّ رضي الله عنه

٣٨٢٢ ـ عن جريرِ بن عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنه قال : ما حجَبَني رسولُ اللهِ ﷺ منذُ أسلمت، ولا رآني إلاّ ضَحِك».

٣٨٢٣ ـ عن جريرِ بن عبدِ الله قال: «كان في الجاهلية بيتٌ يُقال لهُ ذو الخَلَصَة، وكان يُقال له الكعبةُ اليمانية أو الكعبة الشامية. فقال لي رسولُ اللهِ ﷺ: هل أنتَ مُريحي مِن ذي الخَلصة؟ قال فنَفَرتُ إليهِ في خَمسينَ ومائة فارسٍ من أحْمَسَ، قال: فكسرناه، وقتلْنا مَن وَجَدْنا عندَه، فأتَيناهُ فأخبرناه، فدَعا لنا ولأحمسَ ».

قوله (باب ذكر جرير بن عبد الله البجلي) أي ابن جابر بن مالك من بني أنمار بن أراش، نسبوا إلى أمهم بجيلة، يكنى أبا عمرو على المشهور، واختلف في إسلامه والصحيح أنه في سنة الوفود سنة تسع وكان موت جرير سنة خمسين وقيل بعدها.

قوله (ما حجبني رسول الله ﷺ) ما منعني من الدخول إليه إذا كان في بيته فاستأذنت عليه.

قوله (ولا رآني إلا ضحك) في رواية الحميدي عن إسماعيل «إلا تبسم في وجهي» وروى أحمد وابن حبان من طريق المغيرة بن شبيل عن جرير قال: «لما دنوت من المدينة أنخت ثم لبست حلتي فدخلت، فرماني الناس بالحدق، فقلت: هل ذكرني رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم، ذكرك بأحسن ذكر فقال: يدخل عليكم رجل من خير ذي يمن، على وجهه مسحة ملك».

٢٢ ـ باب ذِكْرُ حذيفةَ بن اليمانِ العبْسِيِّ رضيَ الله عنه

٣٨٢٤ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «لما كان يوم أُحُد هُزِمَ المشرِكون هزيمةً بَيِّنة، فصاح إبليسُ : أيْ عبادَ اللهِ أُخْراكم، فرجَعَت أولاهُم على أخراهم، فاجتَلَدَتْ مع أخراهم.

فنظرَ حُذَيفةُ فاذا هو بأبيه، فنادَى : أيْ عبادَ الله أبي، أبي. فقالت: فواللّه ما احتَجَزوا حتى قتلوه. فقال حُذيفةُ: غفرَ الله لكم. قال أبي فوالله مازالَت في حُذَيفةَ منها بقيةُ خيرٍ حتى لقيَ الله عزَّ وجلّ».

قوله (باب ذكر حذيفة بن اليمان العبسي) بالموحدة، واسم اليمان حسل بمهملتين وكسر أوله وسكون ثانيه ثم لأم ابن جابر له ولأبيه وصحبة.

قوله (لما هزم)، وقوله «وأخراكم» أي اقبلوا أخراكم أو احذروا أخراكم أو انصروا أخراكم.

قوله (احتجزوا) أي انفصلوا من القتال وامتنع بعضهم من بعض وسيأتي بقية شرح هذه القصة في كتاب المغازي، وقوله (مازالت في حذيفة منها) أي من هذه الكلمة أي بسببها.

وقوله (بقية خير) يؤخذ منه أن فعل الخير تعود بركته على صاحبه في طول حياته.

٢٣ ـ بابُ ذكرُ هندَ بنتِ عُتبةَ رضي الله عنها

٣٨٢٥ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «جاءت هَندُ بنتُ عُتبةَ فقالت: يارسولَ الله، ما كان على ظهرِ الأرض من أهلِ خِباء أحبُّ إليّ أن يَذلُّوا من أهلِ خِبائك، ثمَّ ما أصبحَ اليومَ على ظهر الأرضِ أهلُ خباءٍ أحبُّ إليّ أن يَعزُّوا من أهلِ خِبائك. قال: وأيضاً والذي نفسي بيدهِ قالت: يارسولَ الله، إنَّ أبا سُفيانُ رجلٌ مِسِّيك، فهل عليَّ حَرج أن أطعِمَ منَ الذي له عِيالَنا؟ قال: لا أراهُ إلاَّ بالمعروف».

قوله (باب ذكر هند بنت عتبة بن ربيعة[١]) أي ابن عبد شمس، وهي والدة معاوية، قتل أبوها ببدر (كما سيأتي في المغازي) وشهدت مع زوجها أبي سفيان أحدا، وحرضت على قتل حمزة عم النبي ﷺ لكونه قتل عمها شيبة وشرك في قتل أبيها عتبة فقتله وحشي بن حرب (كما سيأتي بيان ذلك في حديث وحشي) ثم أسلمت هند يوم الفتح وكانت من عقلاء النساء، وكانت قبل أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة المخزومي ثم طلقها في قصة جرت. فتزوجها أبو سفيان فأنتجت عنده، وهي القائلة للنبي ﷺ لما شرط على النساء المبايعة ولا يسرقن ولا يزنين «وهل تزني الحرة»؟ وماتت هند في خلافة عمر .

قوله (خباء) هي خيمة من وبر أو صوف، ثم أطلقت على البيت كيف ما كان.

قوله (قال وأيضا والذي نفسي بيده) قال ابن التين: فيه تصديق لها فيما ذكرته، كأنه رأى أن المعنى: وأنا أيضاً بالنسبة إليك مثل ذلك. وتعقب من جهة طرفي البغض والحب، فقد كان في المشركين من كان أشد أذى للنبي ﷺ من هند وأهلها، وكان في المسلمين بعد

---

(١) رواية الباب "ابن ربيعة" واليونينية توافق الشرح.

أن أسلمت من هو أحب إلى النبي ﷺ منها ومن أهلها فلا يمكن حمل الخبر على ظاهره. وقال غيره: المعنى بقوله «وأيضاً» ستزيدين في المحبة كلما تمكن الإيمان من قلبك وترجعين عن البغض المذكور حتى لا يبقى له أثر.

قوله (إن أبا سفيان رجل مسِّيك) (سيأتي شرحه في كتاب النفقات[1] إن شاء الله تعالى) وفي الحديث دلالة على وفور عقل هند وحسن تأتيها في المخاطبة، ويؤخذ منه أن صاحب الحاجة يستحب له أن يقدم بين يدي نجواه اعتذارا إذا كان في نفس الذي يخاطبه عليه موجدة، وأن المعتذر يستحب له أن يقدم ما يتأكد به صدقه عند من يعتذر إليه، لأن هندا قدمت الإعتراف بذكر ما كانت عليه من البغض ليعلم صدقها فيما ادعته من المحبة، وقد كانت هند في منزلة أمهات نساء النبي ﷺ لأن أم حبيبة إحدي زوجاته بنت زوجها أبي سفيان.

٢٤ ـ باب حديثُ زيدِ بن عمرِو بن نُفَيل

٣٨٢٦ ـ عن عبد الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما « أنَّ النبيَّ ﷺ لقِيَ زيدَ بن عمرِو بن نُفَيلٍ بأسفل بَلْدَح قبلَ أن ينزلَ على النبيِّ ﷺ الوَحيُ، فقُدِّمَت الى النبيِّ ﷺ سُفرةٌ، فأبى أن يأكلَ منها. ثمَّ قال زيدٌ : إني لستُ آكلُ مما تذبَحون على أنصابِكم، ولا آكلُ إلاَّ ماذُكِرِ اسمُ الله عليه. وأنَّ زيدَ بن عمرٍو كانَ يعيبُ على قُريش ذبائحهم ويقول: الشاةُ خَلَقها الله، وأنزلَ لها من السماء الماء، وأنبتَ لها منَ الأرض، ثمَّ تذبحونها على غير اسم الله، إنكاراً لذلك وإعظاماً له».

[الحديث ٣٨٢٦ - طرفه في: ٥٤٩٩]

٣٨٢٧ ـ عن ابن عمرَ- أنَّ زيدَ بن عمرِو بن نُفَيلٍ خرَجَ إلى الشام يسأل عنِ الدِّين ويَتْبعُهُ، فلقِيَ عالماً منَ اليهود فسألهُ عن دينهم فقال: إني لعلِّيَ أن أدينَ دِينَكم فأخبرني. فقال: لا تكونُ على دِيننا حتى تأخُذَ بنصيبكَ من غضبِ الله. قال زيدٌ : ما أفِرُّ إلاَّ من غَضَبِ الله، ولا أحْمِلُ من غَضبِ الله شيئاً أبدا وأنّى أستطيعه؟ فهل تدلُّني على غيرِه؟ قال: ما أعلمه إلاَّ أن يكونَ حَنيفاً. قال زيد: وما الحَنيفُ ؟ قال: دينُ إبراهيمَ ؛ لم يَكن يهوديًا ولا نصرانيًا ولا يَعبُدُ إلاَّ الله. فخرجَ زيدٌ فلقِيَ عالماً من النصارى فذكر مثلَه فقال: لن تكونَ على دِيننا حتى تأخُذَ بنصيبك من لعنةِ الله. قال: ما أفِرُّ إلاَّ من لعنةِ الله، ولا أحمِلُ من لعنةِ الله ولا من غضبهِ شيئاً أبدا، وأنَّى أستطيع؟ فهل تدلُّني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلاَّ أن يكونَ حَنيفاً. قال: وم االحنيف؟ قال: دينُ إبراهيم، لم يكن

(١) كتاب النفقات باب / ٩ ح ٥٣٦٤ - ٤ / ١٩٦

يهوديًا ولا نصرانيًا ولا يَعبدُ إلاّ الله. فلما رأى زيدٌ قولهم في إبراهيم عليه السلام خرَجَ، فلما برزَ رفع يديه فقال: اللّهُمَّ إني أشهدُ أني على دين إبراهيم».

٣٨٢٨ - عن أسماءَ بنت أبي بكرٍ رضيَ الله عنهما قالت: «رأيتُ زيدَ بن عمرو بن نُفَيل قائماً مُسنِداً ظَهرَهُ إلى الكعبةِ يقول: يا مَعشَر قُريش، والله ما منكم على دين إبراهيمَ غيري. وكان يُحْيِيْ الموءودَةَ، يقول للرجُل إذا أرادَ أن يَقتُل ابنَتهُ: لا تَقتُلْها، أنا أكفيكَ مُؤْنتها، فيأخذها فإذا ترعْرَعت قال لأبيها. إن شئتَ دفعتُها إليك، وإن شئت كفيتُك مَؤُنَتَها.

(باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل) هو ابن عم عمر بن الخطاب بن نفيل. وهو والد سعيد بن زيد أحد العشرة؛ وكان ممن طلب التوحيد وخلع الأوثان وجانب الشرك، لكنه مات قبل المبعث، وروى البزار والطبراني من حديث سعيد بن زيد قال: «خرج زيد بن عمرو وورقة ابن نوفل يطلبان الدين حتى أتيا الشام، فتنصر ورقة وامتنع زيد، فأتى الموصل فلقي راهباً فعرض عليه النصرانية فامتنع» وذكر الحديث نحو حديث ابن عمر الآتي في ترجمته وفيه «قال سعيد بن زيد فسألت أنا وعمر رسول الله ﷺ عن زيد فقال: غفر الله له ورحمه، فإنه مات على دين إبراهيم».

قوله (يسأل عن الدين) أي دين التوحيد.

قوله (وأنا استطيع) أي والحال أن لي قدرة على عدم حمل ذلك، وفي رواية بتشديد النون(١)بمعنى الاستبعاد، والمراد بغضب الله إرادة إيصال العقاب[1].

قوله (فلما برز) أي خارج أرضهم.

قوله (وكان يُحْيِيْ الموءودة) هو مجاز، والمراد بإحيائها إبقاؤها. وقد فسره في الحديث. ووقع في رواية ابن أبي الزناد «وكان يفتدي الموءودة أن تقتل»، وكان أهل الجاهلية يدفنون البنات وهن بالحياة، ويقال كان أصلها من الغيرة عليهن لما وقع لبعض العرب حيث سبى بنت آخر فاستفرشها، فأراد أبوها أن يفتديها منه فخيرها فاختارت الذي سباها، فحلف أبوها ليقتلن كل بنت تولد له، فتبع على ذلك. وقد شرحت ذلك مطولا في كتابي في «الأوائل». وأكثر من كان يفعل ذلك منهم من الإملاق كما قال الله تعالى: {ولا تقتلوا أولادكم من إملاق، نحن نرزقكم وإياهم} وقصة زيد هذه تدل على هذا المعنى الثاني، فيحتمل أن يكون كل واحد من الأمرين كان سببا.

---

(١) الصواب إثبات صفة الغضب لله تعالى على ما يليق بجلاله عزو جل، والقول في الصفات كالقول في الذات اثبات بلا تأويل وتنزيه بلا تعطيل "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٢٥ - باب بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ

٣٨٢٩ - عن جابرِ بن عبدِ الله رضيَ الله عنهما قال: « لما بُنيَتِ الكعبة ذهبَ النبيُّ ﷺ وعبّاسٌ يَنقلانِ الحِجارةَ، فقال عبّاسٌ للنبيِّ ﷺ: اجعَل إزارَكَ على رقَبتكَ يَقِكَ من الحجارة، فخرَّ إلى الأرض، وطَمَحتْ عَيناهُ إلى السماءِ، ثمَّ أفاقَ فقال: إزاري إزاري، فشدَّ عليه إزاره».

٣٨٣٠ - عن عمرو بنِ دينارٍ وعُبيد الله بن أبي يزيدَ قالا: لم يكنْ على عهدِ النبيِّ ﷺ حولَ البيتِ حائط، كانوا يصلّون حولَ البيت، حتى كان عمرُ فبنى حَولَهُ حائطاً. قال عبيدُ الله: جَدرُهُ قصير، فبناهُ ابنُ الزُّبير.

قوله (باب بنيان الكعبة) أي على يد قريش في حياة النبي ﷺ قبل بعثته، وقد تقدم ما يتعلق ببناء إبراهيم عليه السلام قبل بناء قريش، وما يتعلق ببناء عبد الله بن الزبير في الإسلام، وذكر ابن إسحق وغيره أن قريشا لما بنت الكعبة كان عمر النبي ﷺ خمسا وعشرين سنة. وروى إسحق بن راهويه من طريق خالد بن عرعرة عن علي في قصة بناء إبراهيم البيت قال: «فمر عليه الدهر فانهدم، فبنته العمالقة، فمر عليه الدهر فانهدم فبنته جرهم، فمر عليه الدهر فانهدم فبنته قريش، ورسول الله ﷺ يومئذ شاب، فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا: نحكم بيننا أول من يخرج من هذه السكة، فكان النبي ﷺ أول من خرج منها، فحكم بينهم أن يجعلوه في ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل».

٢٦ - باب أيَّامُ الْجَاهِلِيَّةِ

٣٨٣١ - عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «كان عاشوراءُ يوماً تَصومهُ قريشٌ في الجاهلية، وكان النبيُّ ﷺ يصومه، فلما قدِمَ المدينةَ صامَهُ وأمرَ بصيامه، فلما نزلَ رمضانُ كانَ من شاءَ صامه، ومن شاء لا يَصومهُ ».

٣٨٣٢ - عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «كانوا يَرَونَ أنَّ العمرةَ في أشهُر الحج منَ الفجور في الأرض، وكانوا يسمُّونَ المحرَّم صَفَراً ويقولون: إذا بَرَأَ الدَّبَرْ، وعَفا الأثَر، حلَّت العمرةُ لمنِ اعتمَر، قال فقَدِمَ رسولُ الله ﷺ وأصحابه رابعةً مُهلّين بالحجِّ، وأمرهمُ النبيُّ ﷺ أن يَجعلوها عمرة، قالوا: يارسول الله، أيُّ الحِلّ؟ قال: الحِلُّ كله».

٣٨٣٣ - عن سعيدِ بن المسيَّبِ عن أبيه عن جَدِّه قال: «جاء سيلٌ في الجاهليةِ فكَسا ما بينَ الجبَلَين. قال سفيانُ ويقول: إنَّ هذا لَحديثٌ لهُ شأن».

٣٨٣٤ - عن قيسِ بن أبي حازمٍ قال: «دخلَ أبو بكرٍ على امرأةٍ من أحمسَ يقال لها زينبُ، فرآها لا تكلَّمُ فقال مالها لا تَكلَّمُ؟ قالوا: حَجَّتْ مُصمتةً. قال لها: تَكلَّمي، فإنَّ

هذا لا يحلُّ، هذا من عَملِ الجاهلية. فتكلمتْ فقالت : مَن أنت ؟ قال : امرؤٌ منَ المهاجرين، قالت: أيُّ المهاجرين ؟ قال: من قريش. قالت: من أيِّ قريشٍ أنتَ؟ قال: إنكِ لَسئول، أنا أبو بكر. قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمرِ الصالح الذي جاءَ الله به بعدَ الجاهلية؟ قال: بقاؤكم عليه ما استقامتْ بكم أئمَّتُكم. قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رءوسٌ وأشراف يأمرونهم فيُطيعونهم؟ فقالت: بلى. قال: فهم أولئكَ على الناس».

٣٨٣٥ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «أسلمتِ امرأةٌ سوداءُ لبعض العرب، وكان لها حِفْشٌ في المسجد، قالت فكانت تأتينا فتحدَّثُ عندَنا، فإذا فرَغَت من حديثها قالت:

ويومُ الوِشاحِ من تَعاجيب ربِّنا ألا إنهُ من بلدةِ الكفرِ نجّاني

فلمّا أكثرَتْ قالت لها عائشة: وما يومُ الوِشاح؟ قالت: خرجَت جُوَيريةٌ لبعضِ أهلي وعليها وِشاحٌ من أدَم، فسقطَ منها، فانحطَّتْ عليهِ الحُدَيّا وهي تحسبه لحماً، فأخذت. فاتَّهموني به، فعذَّبوني، حتى بلغَ من أمري أنهم طَلبوا في قُبُلي، فبيناهم حَولي وأنا في كَربي إذ أقبلَتِ الحُدَيّا حتى وازَت برءُوسِنا، ثمَّ ألقَتْه فأخَذوهُ، فقلتُ لهم: هذا الذي اتَّهمتموني به وأنا منه بَريئة».

٣٨٣٦ ـ عن ابنِ عمرَ رضيَ الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «ألا مَن كان حالفاً فلا يَحلفْ إلاّ بالله، فكانت قُرَيشُ تحلفُ بآبائها فقال : لاتحلفوا بآبائكم».

٣٨٣٧ ـ عن عبدِ الرحمن بنِ القاسمِ أن القاسمَ كان يَمشي بينَ يدَي الجنازةِ ولا يقومُ لها، ويخبرُ عن عائشةَ قالت : كان أهلُ الجاهليةِ يقومون لها يقولون إذا رأوْها: كنتِ في أهلِكِ ما أنتِ مرَّتين».

٣٨٣٨ ـ عن عمرُو بن مَيمونٍ قال: «قال عمرُ رضيَ الله عنه: إنَّ المشركينَ كانوا لا يُفيضونَ مِن جمعٍ حتى تشرقَ الشمسُ على ثَبير، فخالَفَهُم النبيُّ ﷺ فأفاضَ قبلَ أن تَطلُعَ الشمس».

٣٨٣٩ ـ عن عكرِمَةَ {وكأساً دِهاقاً} قال: مُلأى مُتَتابعة».

٣٨٤٠ ـ قال: «وقال ابن عباس: سمعتُ أبي يقول في الجاهلية: اسقِنا كأساً دهاقا».

٣٨٤١ ـ عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «أصدق كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمةُ لَبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل. وكاد أُميَّةُ بن أبي الصَّلْت أن يُسلمَ ».

[الحديث ٣٨٤١ - طرفاه في: ٦١٤٧، ٦٤٨٩]

٣٨٤٢ ـ عن عائشةَ رضَي الله عنها قالت: «كان لأبي بكرٍ غلامٌ يخرجُ له الخَراجَ، وكان أبو بكرٍ يأكلُ من خَراجِه، فجاء يوماً بشيءٍ فأكلَ منه أبو بكر، فقال له الغُلامُ : أتدري ما

هذا؟ فقال أبو بكرٍ وما هو؟ قال: كنتُ تكهَّنْتُ لإنسان في الجاهلية، وما أُحسِنُ الكهانة، إلا أني خَدَعتهُ فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ منه، فأدخَلَ أبو بكرٍ يدَهُ فقاءَ كلَّ شيءٍ في بطنه».

٣٨٤٣ ـ عن ابن عمرَ رضيَ اللّه عنهما قال: «كان أهلُ الجاهليةِ يَتَبايعونَ لحومَ الجَزورِ إلى حَبَلِ الحبلة. قال: وحَبلُ الحَبَلةِ أن تُنتَج الناقةُ مافي بطنها، ثمَّ تَحمِلَ الّتي نُتِجَت. فنهاهمُ النبيُّ ﷺ عن ذلك».

٣٨٤٤ ـ عن غيلانِ بنِ جَريرٍ «كنّا نأتي أنسَ بنَ مالكٍ فيحدِّثنا عنِ الأنصار، وكان يقول لي: فعلَ قومُك كذا وكذا يوم كذا وكذا، وفعلَ قومُك كذا وكذا يومَ كذا وكذا».

قوله (باب أيام الجاهلية) أي مما كان بين المولد النبوي والمبعث، هذا هو المراد به هنا، ويطلق غالبا على ما قبل البعثة ومنه {يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية}

وقوله {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} ومنه أكثر أحاديث الباب.

قوله (فإن هذا لا يحل) يعني ترك الكلام. ووقع عند الإسماعيلي من وجه آخر عن أبي بكر الصديق أن المرأة قالت له «كان بيننا وبين قومك في الجاهلية شر، فحلفت إن الله عافانا من ذلك أن لا أكلم أحداً حتى أحج، فقال: إن الإسلام يهدم ذلك.

وقد استدل بقول أبي بكر هذا من قال بأن من حلف أن لا يتكلم استحب له أن يتكلم ولا كفارة عليه، لأن أبا بكر لم يأمرها بالكفارة، وقياسه أن من نذر أن لا يتكلم لم ينعقد نذره، لأن أبا بكر أطلق أن ذلك لا يحل وأنه من فعل الجاهلية وأن الإسلام هدم ذلك ولا يقول أبو بكر مثل هذا إلا عن توقيف فيكون في حكم المرفوع.

قوله (ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح) أي دين الإسلام وما اشتمل عليه من العدل واجتماع الكلمة ونصر المظلوم ووضع كل شيء في محله.

قوله (أئمتكم) أي لأن الناس على دين ملوكهم، فمن حاد من الإئمة عن الحال مال وأمال.

قوله (وكان لها حِفْش) هو البيت الضيق الصغير.

قوله (وازت) أي قابلت. وقد تقدم شرح هذه القصة في أبواب المساجد من كتاب الصلاة[1]، ووجه دخولها هنا من جهة ما كان عليه أهل الجاهلية من الجفاء في الفعل والقول.

قوله (كان أهل الجاهلية يقومون لها) ظاهره أن عائشة لم يبلغها أمر الشارع بالقيام لها، فرأت أن ذلك من الأمور التي كانت في الجاهلية وقد جاء الإسلام بمخالفتهم، وقد قدمت في الجنائز[2]بيان الاختلاف في المسألة وهل نسخ هذا الحكم أم لا؟ وعلى القول بأنه

---

(١) كتاب الصلاة باب / ٥٧ ح ٤٣٩ - ١ / ٢٨٧

(٢) كتاب الجنائز باب / ٤٨ ح ١٣١٠ - ١ / ٦٦٠

نسخ هل نسخ الوجوب وبقي الاستحباب أم لا؟ أو مطلق الجواز؟ واختار بعض الشافعية الأخير، وأكثر الشافعية على الكراهة، وادعى المحاملي فيه الاتفاق، وخالف المتولي فقال: يستحب، واختاره النووي وقال: هذا من جملة الأحكام التي استدركتها عائشة على الصحابة لكن كان جانبهم فيها أرجح.

قوله (أصدق كلمة قالها الشاعر) المراد بقول الشاعر ماعدا الله أي ماعداه وعدا صفاته الذاتيه والفعلية من رحمته وعذابه وغير ذلك، فلذلك ذكر الجنة والنار، أو المراد في البيت بالبطلان الفناء لا الفساد، فكل شيء سوى الله جائز عليه الفناء لذاته حتى الجنة والنار، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما وخلق الدوام لأهلهما، والحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال، ولعل هذا هو السر في إثبات الألف واللام في قوله «أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق» وحذفهما عند ذكر غيرهما والله اعلم.

قوله (يخرج له الخراج) أي يأتيه بما يكسبه، والخراج ما يقرره السيد على عبده من مال يحضره له من كسبه.

قوله (فأعطاني بذلك) أي عوض تكهني له، قال ابن التين: إنما استقاء أبو بكر تنزها لأن أمر الجاهلية وضع ولو كان في الإسلام لغرم مثل ما أكل أوقيمته ولم يكفه القيء، كذا قال، والذي يظهر أن أبا بكر إنما قاء لما ثبت عنده من النهي عن حلوان الكاهن، وحلوان الكاهن ما يأخذه على كهانته، والكاهن من يخبر بما سيكون عن غير دليل شرعي، وكان ذلك قد كثر في الجاهلية خصوصا قبل ظهور النبي ﷺ. الحديث الثاني عشر حديث ابن عمر في حبل الحبلة، وقد تقدم شرحه مستوفى في البيوع[1]، والغرض منه قوله «إنهم كانوا يتبايعون في الجاهلية».

٢٧ ـ باب القَسَامَةُ في الجَاهلية

٣٨٤٥ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ اللّه عنهما قال: «إنّ أوّلَ قَسامةٍ كانت في الجاهلية لَفينا بني هاشم : كان رجلٌ من بني هاشم استأجرَهُ رجُلٌ مِن قريشٍ من فَخذٍ أخرى، فانْطَلقَ معهُ في إبله، فمرَّ به رجُلٌ من بني هاشم قدِ انقطعَتْ عُروةُ جُوالقِه فقال: أغثْني بِعقالٍ أشُدُّ به عُروةَ جُوالقي لا تَنفر الإبلُ، فأعطاهُ عقالاً فشدَّ به عروةَ جُوالقِهِ. فلما نَزَلوا عُقِلَتِ الإبلُ إلا بعيراً واحداً، فقال الذي استأجرهُ : ما شأنُ هذا البعير لم يُعقَلْ من بين الإبل؟ قال: ليس له عقال. قال: فأين عِقالهُ ؟ قال فحذَفَهُ بعصاً كان فيها أجله. فمرَّ به رجلٌ من أهلِ اليمن، فقال: أتشهدُ الموسم؟ قال: ما أشهدُ وربّما شهِدتهُ. قال: هل أنت مُبْلِغٌ عني رسالةً

(١) كتاب البيوع باب / ٦١ ح ٢١٤٣ - ٢ / ٢٥٩

مرةً منَ الدهر؟ قال: نعم. قال فكتب: إذا أنتَ شهدتَ الموسم فنادِ يا آل قريش، فاذا أجابوك فناديا آل بني هاشم، فان أجابوك فاسأل عن أبي طالب فأخبرْه أن فلاناً قَتَلني في عقال. ومات المستأجَر. فلما قدمَ الذي استأجَرَه أتاهُ أبو طالب فقال: ما فعل صاحبُنا؟ قال: مرضَ فأحسنتُ القِيامَ عليه، فوَلِيتُ دفْنَه. قال: قد كان أهلَ ذاك منك، فمكَث حيناً ثمَّ إن الرجُلَ الذي أوصى إليه أن يُبلغ عنه وافى الموسمَ فقال: يا آل قريش، قالوا: هذهِ قريش. قال يابني هاشم، قالوا: هذهِ بنو هاشم. قال: أين أبو طالب؟ قالوا: هذا أبو طالب. قال: أمرَني فلان أن أبْلِغَك رسالةً أنَّ فلاناً قتله في عقال. فأتاهُ أبو طالب فقال له: اخترْ منَّا إحدى ثلاث: إن شئت أن تؤدِّي مائةً من الإبل فإنكَ قَتلتَ صاحبَنا، وإن شئتَ حلف خمسون من قومِك إنك لم تقتُله، وإن أبيت قتلناك به. فأتى قومهُ فقالوا نحلفُ، فأتته امرأة من بني هاشم كانت تحت رجلٍ منهم قد ولَدَت له فقالت: يا أبا طالبٍ أحبُّ أن تُجيزَ ابني هذا برجُل من الخمسين ولا تُصْبِرُ يمينَهُ حيثُ تُصبَرُ الأيمان، ففعل. فأتاهُ رجلٌ منهم فقال: يا أبا طالب أردتَ خمسينَ رجلاً أن يَحلِفوا مكان مائةٍ منَ الإبل، يصيبُ كلَّ رجلٍ بَعيران، هذانِ بعيران فاقْبلهما مني ولا تصبِرْ يَميني حيث تُصبَرُ الأيمان، فقبلهما، وجاء ثمانيةٌ وأربعون فحلفوا. قال ابنُ عبّاس: فوَ الذي نفسي بيدِه ما حال الحولُ ومن الثمانيةِ وأربعينَ عينٌ تَطرِف».

٣٨٤٦ - عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «كان يومُ بُعاث يوماً قدَّمهُ الله لرسولِه ﷺ، فقدِم رسول الله ﷺ وقدِ افترقَ ملأهم، وقُتِلت سَرَواتهم وجُرِّحوا، قدَّمَه الله لرسولِه ﷺ في دخولهم في الإسلام».

٣٨٤٧ - عن ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: «ليسَ السعيُ ببطنِ الوادي بينَ الصَّفا والمروةِ سُنَّة، إنما كان أهلُ الجاهليةِ يَسعَونها ويقولون لا نُجيزُ البَطحاءَ إلاّ شداً».

٣٨٤٨ - عن ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: «يا أيُّها الناس، اسمعوا مني ما أقول لكم، وأسمعوني ما تقولون ولا تذهبوا فتقولوا: قال ابنُ عباس، قال ابن عباس. من طاف بالبيت فلْيطفْ من وراء الحِجرْ، ولا تقولوا الحَطيم، فإنَّ الرجُل في الجاهلية كان يحلِفُ فيلقي سوطَهُ أو نعلَهُ أو قوسهُ».

٣٨٤٩ - عن عمرِو بن مَيمونٍ قال: «رأيتُ في الجاهليةِ قِردةً اجتمعَ عليها قِرَدةٌ قد زَنَت فرَجموها، فرَجمتها معهم».

٣٨٥٠ - عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال «خِلالٌ من خِلالِ الجاهلية: الطعنُ في الأنساب، والنِّياحة -ونسيَ الثالثةَ- قال سفيانُ: ويقولون إنها الاستِسقاءُ بالأنواء».

قوله (إن أول قسامة) اليمين، وهي في عرف الشرع حلف معين عند التهمة بالقتل على الإثبات أو النفي. وقيل: هي مأخوذة من قسمة الأيمان على الحالفين.

وسيأتي بيان الاختلاف في حكمها في كتاب الديات[١] إن شاء الله تعالى.

قوله (كان رجل من بني هاشم) هو عمرو بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف.

فكأنه نسب هذه الرواية إلى بني هاشم مجازا لما كان بين بني هاشم وبني المطلب من المودة والمؤاخاة والمناصرة.

قوله (فمر به) أي بالأجير.

قوله (عروة جوالقه) الوعاء من جلود وثياب، والعقال الحبل.

قوله (كان فيها أجله) أي أصاب مقتله. وقوله «فمات» أي أشرف على الموت، بدليل.

قوله «فمر به رجل من أهل اليمن قبل أن يقضي (١).

قوله (أتشهد الموسم) أي موسم الحج.

قوله (قتلني في عقال) أي بسبب عقال.

قوله (فأتته امرأة من بني هاشم) هي زينب بنت علقمة أخت المقتول.

قوله (حيث تصبر الايمان) أي بين الركن والمقام.

قوله (فو الذي نفسي بيده) قال ابن التين: كأن الذي أخبر ابن عباس بذلك جماعة اطمأنت نفسه إلى صدقهم حتى وسعه أن يحلف على ذلك. قلت: يعني أنه كان حين القسامة لم يولد، ويحتمل أن يكون الذي أخبره بذلك هو النبي ﷺ، وهو أمكن في دخول هذا الحديث الصحيح.

قوله (فما حال الحول) أي من يوم حلفوا.

قوله (يوم بعاث) تقدم شرحه في أول مناقب الأنصار[٢] وأنه كان قبل البعث على الراجح.

قوله (يا أيها الناس اسمعوا مني ما أقول لكم وأسمعوني) أي أعيدوا عليَّ قولي لأعرف أنكم حفظتموه، كأنه خشي أن لا يفهموا ما أراد فيخبروا عنه بخلاف ما قال، فكأنه قال: اسمعوا مني سماع ضبط وإتقان، ولا تقولوا «قال» من قبل أن تضبطوا.

قوله (رأيت في الجاهلية قردة) وقد ساق الإسماعيلي هذه القصة من وجه آخر مطولة من طريق عيسى بن حطان عن عمرو بن ميمون قال: «كنت في اليمن في غنم لأهلي وأنا على شرف، فجاء قرد مع قردة فتوسد يدها، فجاء قرد أصغر منه فغمزها، فسلت يدها من تحت

(١) كتاب الديات باب / ٢٢ ح ٦٨٩٩ - ٥ / ٢٥٨
(٢) كتاب مناقب الأنصار باب / ١ ح ٣٧٧٧ - ٣ / ١٧٩

رأس القرد الأول سلا رفيقا وتبعته، فوقع عليها وأنا أنظر، ثم رجعت فجعلت تدخل يدها تحت خد الاول برفق، فاستيقظ فزعا، فشمها فصاح، فاجتمعت القرود، فجعل يصيح ويومئ إليها بيده، فذهب القرود يمنة ويسرة، فجاءوا بذلك القرد أعرفه، فحفروا لهما حفرةً فرجموهما، فلقد رأيت الرجم في غير بني آدم» قال ابن التين: لعلَّ هؤلاء كانوا من نسل الذين مسخوا فبقى فيهم ذلك الحكم. ثم قال: أن الممسوخ لا ينسل. قلت: وهذا هو المعتمد، لما ثبت في صحيح مسلم «أن الممسوخ لا نسل له» وعنده من حديث ابن مسعود مرفوعا «إن الله لم يهلك قوما فيجعل لهم نسلا».

قوله (خلال من خلال الجاهلية) أي من خصال.

قوله (الطعن في الأنساب) أي القدح من بعض الناس في نسب بعض بغير علم.

قوله (والنياحة) أي على الميت.

قوله (ويقولون إنها الاستسقاء بالنواء) أي يقولون: مطرنا بنوء كذا، وقد تقدم شرح ذلك في كتاب الاستسقاء.

٢٨ ـ باب مَبْعَثِ النبيِّ ﷺ

محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبد المطَّلِب بنِ هاشم بنِ عبدِ مناف بن قُصَيِّ بنِ كِلاب بن مُرَّةَ بن كعبِ بنِ لُؤَيِّ بن غَالِب بن فِهْر بن مالك بن النَّضرِ بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مَضَر بن نزارِ بن مَعَدِّ بن عدنان .

٣٨٥١ ـ عن ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: «أُنزلَ على رسولِ اللهِ ﷺ وهوَ ابن أربعين، فمكثَ بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً ؛ ثمَّ أُمِرَ بالهِجرةِ، فهاجرَ إلى المدينة، فمكثَ بها عشرَ سنين، ثمّ توفِّيَ ﷺ».

[الحديث ٣٨٥١ - اطرافه في: ٣٩٠٢، ٣٩٠٣، ٤٤٦٥، ٤٩٧٩]

قوله (باب مبعث النبيِّ ﷺ) المبعث من البعث، وأصله الإثارة، ويطلق على التوجيه في أمر ما.

قوله (محمد) ذكر البيهقي في «الدلائل» بإسناد مرسل «أن عبد المطلب لما ولد النبي ﷺ عمل له مأدبة، فلما أكلوا سألوا ما سميته؟ قال محمدا، قالوا فما رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض».

قوله (ابن عبد الله) لم يختلف في اسمه، واختلف متى مات؟ فقيل مات قبل أن يولد النبي ﷺ، وقيل بعد أن ولد، والأول أثبت. واختلف في مقدار عمره ﷺ لما مات أبوه، والراجح أنه دون السنة .

قوله (بن عبد المطلب) اسمه شيبة الحمد عند الجمهور.

قوله (أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين) هذا هو المقصود من هذا الحديث في هذا الباب، وهو متفق عليه، وقد مضى في صفة النبي ﷺ حديث أنس «أنه ﷺ بعث على رأس أربعين» وتقدم في بدء الوحي أنه أنزل عليه في شهر رمضان، فعلى الصحيح المشهور أن مولده في شهر ربيع الأول يكون حين أنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر.

٣٩ ـ باب ما لَقِيَ النبيُّ ﷺ وأصحابُه منَ المشركين بمكة

٣٨٥٢ ـ عن خبّابٍ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو مُتوسِّدٌ بُردةً وهو في ظل الكعبة -وقد لقينا منَ المشركينَ شدَّةً- فقلت: يارسولَ الله، ألا تَدْعوا اللهَ لنا؟ فقعَد وهو محمرٌّ وجهه فقال: لقد كان من قَبلَكم ليُمشَط بمشاطِ الحديد، ما دُون عظامهِ من لحمٍ أو عَصَب، ما يَصرفهُ ذلك عن دينهِ، ويوضَع المِيشَارُ على مفرِق رأسهِ فيُشَقُّ باثنين، ما يصرفه ذلكَ عن دينه. وَليُتمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتى يَسيرَ الراكبُ مِن صنَعاءَ إلى حَضر مَوتَ ما يَخافُ إلاّ الله» زاد بيانٌ «والذِّئبُ عَلَى غنَمه».

٣٨٥٣ ـ عن عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنه قال: «قرأ النبيُّ ﷺ النجمَ فسجد، فما بقيَ أحدٌ إلاّ سجد، إلاّ رجلٌ رأيتُه أخذ كفّاً من حَصًى فرفعهُ، فسجد عليهِ وقال: هذا يكفيني. فلقد رأيتهُ بعدُ قُتلَ كافراً باللهِ»

٣٨٥٤ ـ عن عبد الله رضيَ الله عنه قال: «بَينا النبُّي ﷺ ساجدٌ وحولَهُ ناسٌ من قريش جاء عُقْبةُ بن أبي مُعَيطٍ بَسلى جَزورٍ فقذَفَه على ظهرِ النبيِّ ﷺ، فلم يَرفَعْ رأسَه، فجاءت فاطمةُ عليها السلامُ فأخذَتْهُ من ظهرِهِ ودَعتْ على من صنع فقال النبيُّ ﷺ: اللّهمَّ عليكَ الملأ من قريش: أبا جهلِ بن هشامٍ وعتبةَ بن ربيعةَ وشَيبةَ بن ربيعة وأميةَ بن خَلَفٍ -أو أبيَّ بن خلف، شعبةُ الشاكُّ- فرأيتهم قُتِلوا يوم بدرٍ، فألقوا في بئرٍ، غير أميةَ بن خَلَف أو أبيّ تَقَطّعتْ أوصاله فلم يُلقَ في البئر».

٣٨٥٥ ـ عن سعيدِ بن جُبيرٍ - قال: «أمرني عبدُ الرحمن بن أبْزَي قال: سلِ ابن عباسٍ عن هاتينِ الآيتينِ ما أمرُهما؟ (الأنعام ١٥١، الإسراء ٣٣): {ولا تقتلوا النفسَ التي حرَّمَ الله}، /٩٣ النساء/: {ومن يَقتُل مؤمناً متعمِّدا} فسألتُ ابن عباس، فقال: لما أنزلت التي في الفرقان [٦٨] قال مشركو أهل مكةَ: فقد قتلنا النفس التي حرَّمَ الله، ودَعونا مع الله إلها آخر، وقد أتينا الفَواحِش، فأنزل الله [الفرقان ٧٠] {إلا مَن تاب وآمن} الآية، فهَذهِ لأولئك، وأما التي في النساء [٩٣] الرجلُ إذا عرف الإسلامَ وشرائعَه ثمَّ قَتلَ فجزاؤهُ جهنَّم، فذكرته لمجاهد فقال: إلا من نَدم».

[الحديث ٣٨٥٥ - أطرافه في: ٤٥٩٠، ٤٧٦٢، ٤٧٦٣، ٤٧٦٤، ٤٧٦٥، ٤٧٦٦]

٣٨٥٦ - عن عُروة بن الزُّبير قال سألتُ ابنَ عمرِو بن العاص: أخبِرْني بأشدِّ شيءٍ صنعَه المشركون بالنبيِّ ﷺ. قال: بينا النبيُّ ﷺ يصلِّي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي مُعَيطٍ فوضعَ ثوبَهُ في عنقهِ فخَنَقَهُ خَنقاً شديداً، فأقبلَ أبو بكرٍ حتى أخذَ بمنكبِهِ ودفعه عن النبيِّ ﷺ قالَ {أتقتُلونَ رجُلاً أن يقولَ ربِّيَ اللهُ} الآية /٢٨ غافر/.

قوله (فقعد وهو محمر وجهه) أي من أثر النوم، ويحتمل أن يكون من الغضب وبه جزم ابن التين.

قوله (ويوضع الميشار) تقول وشرت الخشبة وأشرتها، ويقال فيه بالنون وهي أشهر في الاستعمال.

قال ابن التين: كان هؤلاء الذي فعل بهم ذلك أنبياء أو أتباعهم، قال: وكان في الصحابة من لو فعل به ذلك لصبر، إلى أن قال: وما زال خلق من الصحابة وأتباعهم فمن بعدهم يؤذون في الله، ولو أخذوا بالرخصة لساغ لهم.

قوله (وليتمن الله هذا الأمر) المراد بالأمر الإسلام، الحديث الرابع حديث ابن عباس في توبة القاتل، وسيأتي شرحه في تفسير سورة النساء إن شاء الله تعالى، والغرض منه هنا الإشارة إلى أن صنع المشركين بالمسلمين من قتل وتعذيب وغير ذلك سقط عنهم بالإسلام.

قوله (وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة حدثني عمرو بن العاص)، وقد أخرج أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح عن أنس قال: «لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشي عليه، فقام أبو بكر فجعل ينادي: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فتركوه وأقبلوا على أبي بكر» وهذا من مراسيل الصحابة، وقد أخرجه أبو يعلى بإسناد حسن مطولا من حديث أسماء بنت أبي بكر أنهم «قالوا لها ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ»؟ فذكر نحو سياق ابن اسحق المتقدم قريبا وفيه« فأتى الصريخ إلى أبي بكر فقال: أدرك صاحبك، قالت: فخرج من عندنا وله غدائر أربع وهو يقول: ويلكم، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فلهوا عنه، وأقبلوا إلى أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا رجع معه». ولقصة أبي بكر هذه شاهد من حديث علي أخرجه البزار من رواية محمد بن علي عن أبيه أنه خطب فقال: «من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت. قال: أما إني ما بارزني أحد إلا أنصفت منه، ولكنه أبو بكر، لقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش فهذا يجؤه وهذا يتلقاه ويقولون له أنت تجعل الآلهة إلها واحدا، فو الله مادنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم بكى علي ثم قال: أنشدكم الله

أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال علي والله لساعة من أبي بكر خير منه، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا يعلن بإيمانه»

٣٠ ـ باب إسلامِ أبي بكرِ الصدِّيق رضيَ اللّه عنه

٣٨٥٧ ـ عن عمار بن ياسرٍ قال: رأيت رسولَ الله ﷺ وَمَا معه إلا خمسةُ أعبُدٍ وامرأتانِ وأبو بكر».

قوله (باب إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه) ذكر فيه حديث عمار، وقد تقدم شرحه.

وفيه دلالة على قدم إسلام أبي بكر اذا لم يذكر عمار أنه رأى مع النبي ﷺ من الرجال غيره، وقد اتفق الجمهور على أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال، وذكر ابن اسحق أنه كان يتحقق أنه سيبعث، لما كان يسمعه ويرى من أدلة ذلك، فلما دعاه بادر إلى تصديقه من أول وهلة.

٣١ ـ باب إسلام سَعْدِ بْنِ أبي وقاصٍ رضيَ اللهُ عنه

٣٨٥٨ ـ عن سعيد بن المسيَّبِ قال سمعتُ أبا إسحاق سعدَ بن أبي وَقَّاصٍ قالَ: «ما أسلم أحدٌ إلا في اليوم الذي أسلمتُ فيه، ولقد مكثتُ سبعة أيامٍ وإنّي لثُلثُ الإسلام».

قوله (باب إسلام سعد) ذكر فيه حديثه، وقد تقدم شرحه في مناقبه مستوفى، ومناسبته لما قبله، واجتماعهما في أن كلا منهما يقتضى سبق من ذكر فيه إلى الإسلام خاصة، لكنه محمول على ما اطلع عليه، وإلا فقد أسلم قبل إسلام بلال وسعد خديجة وسعد بن حارثة وعلي بن أبي طالب وغيرهم.

٣٢ ـ باب ذِكْرِ الجنِّ

وقولِ الله تعالى {قل أوحِيَ إليَّ أنهُ استَمَعَ نفرٌ مِنَ الجنِّ}

٣٨٥٩ ـ عن مَعنِ بن عبدِ الرحمنِ قالَ سمعتُ أبي قال: «سألتُ مَسروقا: من آذنَ النبيَّ ﷺ بالجنِّ ليلةَ استمعوا القرآنَ؟ فقال: حدَّثني أبوك -يعني عبدَ اللّه- أنه آذنَتْ بهم شجرة».

٣٨٦٠ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أنَّهُ كانَ يَحْملُ معَ النبيِّ ﷺ إداوَةً لِوَضوئِه وحاجته. فبينما هوَ يَتبعهُ بها فقالَ: من هذا؟ فقال: أنَا أبو هريرة. فقالَ: ابغني أحجاراً أستنفِض بها، ولا تأتني بعظمٍ ولا بروثةٍ. فأتيته بأحجار أحملِها في طرَفِ ثوبي حتى وَضعتُ إلى جَنبهِ، ثُمَّ انصرَفت، حتى إذا فَرغ مَشيتُ معهُ فقلت: ما بال العظم والرَّوثةِ؟

قال: هُما من طَعامِ الجنّ، وإنه أتاني وَفدُ جنّ نَصيبينَ -ونِعمَ الجنُّ- فسألوني الزادَ، فدعَوتُ الله لهم أن لا يُمُرّوا بعظمٍ ولا بروثةٍ إلا وَجَدوا عليها طُعماً».

قوله (باب ذكر الجن) تقدم الكلام على الجن في أوائل بدء الخلق بما يغني عن إعادته.

قوله (عن معن بن عبد الرحمن) أي ابن عبد الله بن مسعود.

قوله (من آذن) بالمد أي أعلم.

قوله (وإنه أتاني وفد جن نصيبين) ونصيبين بلدة مشهورة بالجزيرة.

٣٣ ـ باب إسْلام أَبي ذَرٍّ الغفاريّ رضي الله عنه

٣٨٦١ ـ عَنِ ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهُمَا قالَ: «لمَّا بَلَغَ أَبَاذر مَبعثُ النبيِّ ﷺ قال لأخيهِ: اركبْ إلى هذا الوادي فاعلمْ لي عِلمَ هذا الرجلِ الذي يَزعمُ أنهُ نبيٌّ يأتيهِ الخبَر من السَّمَاءِ، واسمَعْ من قولهِ ثمَّ ائتِنِي، فانطلق الأخُ حتى قدمَه وسمعَ من قوله، ثمَّ رجعَ إلى أبي ذَر فقال له: رأيته يأمُرُ بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشِّعر، فقال: ما شفيتَني مما أردتُ. فتزوَّدَ وحملَ شَنَّةً له فيها ماءٌ حتى قدمِ مكةَ، فأتى المسجدَ، فالتمسَ النبيَّ ﷺ ولا يَعرِفه، وكرِهَ أن يَسألَ عنه» حتى أدركَهُ بعضُ الليل، فَرآهُ عليٌّ فعرفَ أنه غريب، فلما رآه تَبِعَهُ، فلم يَسأل واحدٌ منهما صاحبَهُ عن شيء حتى أصبحَ، ثُمَّ احتملَ قربتَهُ وزادهُ إِلى المسجد، وظلَّ ذلكَ اليومَ ولا يَراهُ النبيُّ ﷺ حتى أمسى فعادَ إلى مضجَعه، فمرَّ بهِ عليٌّ فقالَ: أما نالَ لِلرَّجُلِ أن يَعلمَ منزله؟ فأقامَهُ، فذهَبَ به معه، لا يَسألُ واحدٌ منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يومُ الثالثِ فعاد عليٌّ على مثلِ ذلك، فأقامَ معه ثمَّ قال: ألا تحدِّثني مالذي أقدمَك؟ قال: إن أعطيتني عَهداً وميثاقاً لَتُرشِدَنِّني فعلتُ. ففعَلَ، فأخبرَهُ، قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رسولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا أصبحتَ فاتَّبِعْنِي، فَإِنِّي إن رَأيتُ شيئاً أخافُ عليك قمتُ كأني أريقُ الماءَ، فإن مَضَيتُ فاتبَعْني حتى تدخُلَ مَدْخَلي، ففعلَ، فانطلق يقفوهُ، حَتَّى دخل على النبيِّ ﷺ، ودخل معهُ فسمِعَ من قولهِ وأسلم مَكانَه. فَقال له النبيُّ ﷺ: ارجعْ إلى قَومِكَ فأخبِرْهم حتى يأتيكَ أمري. قال: والذي نفسي بيده لأصرُخَنَّ بها بينَ ظهرانَيْهم. فخرجَ حتى أتى المسجدَ، فنادَى بأعلى صَوتهِ: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله. ثمَّ قام القومُ فضرَبوهُ حتى أوجَعوهُ. وأتى العبّاسُ فأكبَّ عليه قال: وَيلَكم، ألستم تعلمونَ أنَّه مِن غِفار، وأنَّ طريقَ تجارِكم إلى الشَّام؟ فأنقذه منهم. ثُمَّ عادَ منَ الغَدِ لمثلِها فَضرَبوه وثارُوا إليه فأكبَّ العباسُ عليه».

قوله (باب إسلام أبي ذر الغفاري) هو جندب بن جنادة ابن سفيان بن عبيدة بن حرام بالمهملتين ابن غفار وغفار من بني كنانة.

قوله (وكره أن يسأل عنه) لأنه عرف أن قومه يؤذون من يقصده أو يؤذونه بسبب قصد من يقصده، أو لكراهتهم في ظهور أمره لا يدلون من يسأل عنه عليه، أو يمنعونه من الاجتماع به، أو يخدعونه حتى يرجع عنه.

قوله (فرآه علي بن أبي طالب) وهذا يدل على أن قصة أبي ذر وقعت بعد المبعث بأكثر من سنتين بحيث يتهيأ لعلي أن يستقل بمخاطبة الغريب ويضيفه، فان الأصح في سن علي حين المبعث كان عشر سنين وقيل أقل من ذلك، وهذا الخبر يقوي القول الصحيح في سنه.

قوله (أما نال للرجل) أي أما حان.

قوله (فانطلق يقفوه) أي يتبعه.

قوله (ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري) في رواية أبي قتيبة «اكتم هذا الأمر، وارجع إلى قومك فأخبرهم، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل» وفي رواية عبد الله بن الصامت «إنه قد وجهت لي أرض ذات نخل، فهل أنت مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك» فذكر قصة إسلام أخيه أنيس وأمه وأنهم توجهوا إلى قومهم غفار فأسلم نصفهم، الحديث.

قوله (لأصرخن بها) أي بكلمة التوحيد، والمراد أنه يرفع صوته جهارا بين المشركين، وكأنه فهم أن أمر النبي ﷺ له بالكتمان ليس على الإيجاب بل على سبيل الشفقة عليه، فأعلمه أن به قوة على ذلك، ولهذا أقره النبي ﷺ على ذلك، ويؤخذ منه جواز قول الحق عند من يخشى منه الأذية لمن قاله وإن كان السكوت جائزا، والتحقيق أن ذلك مختلف باختلاف الأحوال والمقاصد، وبحسب ذلك يترتب وجود الأجر وعدمه.

قوله (ثم قام القوم) في رواية أبي قتيبة «فقالوا قوموا إلى هذا الصابي» «فقاموا» وكانوا يسمون من أسلم صابيا لأنه من صبا يصبو إذا انتقل من شيء إلى شيء.

قوله (فضربوه حتى أوجعوه) في رواية أبي قتيبة «فضربت لأموت» أي ضربت ضربا لا يبالي من ضربني أن لو أموت منه.

قوله (فأقلعوا عني) أي كفوا.

قوله (فأكب العباس عليه) في رواية أبي قتيبة«فقال مثل مقالته بالأمس» وفي الحديث مايدل على حسن تأتي العباس وجودة فطنته حيث توصل إلى تخليصه منهم بتخويفهم من قومه أن يقاصوهم بأن يقطعوا طرق متجرهم، وكان عيشهم من التجارة، فلذلك بادروا إلى الكف عنه. وفي الحديث دلالة على تقدم إسلام أبي ذر، لكن الظاهر أن ذلك كان بعد المبعث بمدة طويلة لما فيه من الحكاية عن علي كما قدمنا.

٣٤ ـ باب إسلام سَعيدِ بنِ زيدٍ رضيَ اللّه عَنْهُ

٣٨٦٢ ـ عن قيسٍ قال سمعت سعيدَ بن زيد بن عمرو بن نُفَيلٍ في مسجد الكوفة يقول: والله لقد رأيتُني وإنَّ عُمرَ لموثِقي على الإسلامِ قبلَ أن يُسلمَ عمر، ولو أَنَّ أحداً أرفضَّ لِلَّذي صَنَعتم بعثمانَ لكان مَحْقوقاً أن يَرفَضَّ».

[الحديث ٣٨٦٢ - طرفاه في: ٣٨٦٧، ٦٩٤٢].

قوله (باب إسلام سعيد بن زيد) أي ابن عمرو بن نفيل، وأبوه تقدم ذكره وأنه ابن ابن عم عمر بن الخطاب.

قوله (لقد رأيتني) والمعنى رأيت نفسي (وان عمر لموثقي على الاسلام) اي ربطه بسبب إسلامه إهانة له وإلزاما بالرجوع عن الاسلام.

قوله (ولوأن أحدا ارفضّ) أي زال من مكانه

قوله (لكان) في الرواية الآتية «لكان محقوقا أن ينقض» وفي رواية الأسماعيلي «لكان حقيقا» أي واجبا تقول حق عليك أن تفعل كذا وأنت حقيق أن تفعله، وانما قال ذلك سعيد لعظم قتل عثمان، وهو مأخوذ من قوله تعالى {تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، أن دعوا للرحمن ولد} قال ابن التين: قال سعيد: ذلك على سبيل التمثيل، وقال الداودي: معناه لو تحركت القبائل وطلبت بثار عثمان لكان أهلا لذلك، وهذا بعيد من التأويل.

٣٥ ـ باب إسلامِ عمرَ بن الخطَّابِ رضيَ اللّه عَنهُ

٣٨٦٣ ـ عن عبدِاللّهِ بن مسعودٍ رضيَ اللّه عنه قالَ «مازلنا أعزَّةً منذ أسلمَ عمر».

٣٨٦٤ ـ عن عبدِ اللّهِ بنِ عمرَ عن أبيهِ قالَ: «بينما هو في الدارِ خائفاً إذ جاءَهُ العاصِ بنُ وائلٍ السَّهميُّ أبو عمرٍو عليه حلَّةُ حِبَرٍ وقميصٌ مكفوفٌ بحريرٍ - وَهُوَ من بني سَهم وهم حُلفاؤنا في الجاهلية - فقال: ما بالُكَ؟ قال: زعمَ قومك أنَّهُمْ سيقتُلونني أن أسلمتُ. قالَ: لا سبيل إليكَ. بعدَ أن قالها أمِنتُ. فخرجَ العاصِ فلقِيَ الناسَ قد سالَ بهمُ الوادي، فقال: أينَ تريدون؟ فقالوا: نريدُ هذا ابنَ الخطّاب الذي صَبَأ. قالَ: لا سبيل إليه فَكَرَّ الناسُ».

[الحديث ٣٨٦٤ - طرفه فيه ٣٨٦٥]

٣٨٦٥ ـ عن عمرُو بن دينارٍ سمعته قال: قال عبدُ اللّهِ بن عمرَ رضيَ اللّه عنهما «لمَّا أسلم عمرُ، اجتمع الناسُ عند دارهِ وقال: صَبَأ عمر -وأنَا غلامٌ فوقَ ظهرِ بيتي- فجاءَ رجلٌ عليه قباءٌ من دِيباجٍ فَقَالَ: قد صبأ عمرُ، فَما ذاك؟ فأنا له جارٌ. قالَ: فرأيت الناسَ تَصدَّعوا عنه فقلتُ من هذا؟ قالوا: العاصِ بن وائل».

٣٨٦٦ ـ عن عبدِ الله بنِ عمرَ قال: ما سمعتُ عمر لشَيْءٍ قطُّ يقول إني لأظنُّهُ كذا إلا كان كما يَظنّ. بينما عمرُ جالسٌ إذ مرَّ به رجلٌ جميلٌ فقالَ عمرُ: لقد أخطأ ظني، أو إنَّ هذا على دينهِ في الجاهلية، أو لقد كان كاهنَهم، عليَّ الرَّجُلَ. فَدُعِيَ لهُ، فقال له ذلك. فقال: ما رأيتُ كاليوم استُقبِلَ به رجلٌ مسلم. قال: فإنِّي أعزِمُ عليكَ إلا مَا أخبرتَني. قال: كنتُ كاهنَهم في الجاهلية. قال : فما أعجبُ ما جاءتكَ به جنِّيَّتُكَ؟ قال: بَينما أنا يوماً في السوقِ، جاءَتني أعرِفُ فيها الفَزَع فَقالت: ألم تَر الجنَّ وإبلاسَها، ويأسَها من بعد إنكاسِها

ولحوقَها بالقلاصِ وأحلاسها. قال عمر: صدق، بينما أنا نائمٌ عند آلهتِهم، إذا جاء رجلٌ بعِجْلٍ فذبحَهُ، فصَرَخَ به صارخٌ لم أسمَعْ صارخاً قَطُّ أشدَّ صوتاً منه يقول: يا جَليح، أمرٌ نَجيح، رجُل فصيح، يقول: لا إله إلا أنت. فوثبَ القومُ. قلتُ لا أبرَحُ حتى أعلمَ ما وراءَ هذا. ثم نادى: يا جَليحْ، أمرٌ نَجيح، رجُل فصيح، يقول: لا إلهَ إلا الله. فقمتُ فما نَشِبْنا أن قيلَ: هذا نبيٌّ».

٣٨٦٧ ـ عن قيسٍ قَالَ « سمعتُ سعيدَ بن زيدٍ يقول للقوم: لو رأيتُني مُوثِقي عُمَرُ على الإسلام أنَا وأُختهُ، وما أسلم، ولو أنَّ أحداً انقضَّ لما صَنَعتم بعثمانَ لكان مَحْقوقاً أن يَنقضَّ».

قوله ([1]وعليه حلة حبر) وهو برد مخطط بالوشي

قوله (أن اسلمت) أي لأجل إسلامي.

قوله (فما ذاك) أي فلا بأس، أولا قتل أو لا يعترض له، وقوله (أنا له جار) أي أجرته من أن يظلمه ظالم، وقوله (تصدعو) أي تفرقوا عنه.

قوله (إلا كان كما يظن) هو موافق لما تقدم في مناقبه أنه كان محدثا.

قوله (لقد أخطأ ظني) في رواية ابن عمر عند البيهقي «لقد كنت ذا فراسة، وليس لي الآن رأي إن لم يكن هذا الرجل ينظر في الكهانة».

قوله (أو) بسكون الواو (لقد كان كاهنهم) أي كان كاهن قومه. وحاصله أن عمر ظن شيئاً مترددا بين شيئين أحدهما يتردد بين شيئين كأنه قال: هذا الظن إما خطأ أو صواب فان كان صوابا فهذا الآن إما باق على كفره وإما كان كاهنا. وقد أظهر الحال القسم الأخير، وكأنه ظهرت له من صفة مشية أو غير ذلك قرينة أثرت له ذلك الظن، فالله أعلم

قوله (فإني أعزم عليك) أي ألزمك، وفي رواية محمد بن كعب «ماكنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك».

قوله (إلا أخبرتني[2]) أي ما أطلب منك إلا الإخبار.

قوله (كنت كاهنهم في الجاهلية) الكاهن الذي يتعاطى الخبر من الأمور المغيبة، وكانوا في الجاهلية كثيرا، فمعظمهم كان يعتمد على تابعه من الجن، وبعضهم كان يدعى معرفة ذلك بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله، وهذا الأخير يسمى

---

(١) في رواية الباب واليونينية بدون "و".
(٢) رواية الباب واليونينية "إلا ما أخبرتني".

العراف بالمهملتين، وسيأتي حكم ذلك واضحاً في كتاب الطب[١].

٣٦ - باب انشِقَاقِ القَمَر

٣٨٦٨ - عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه «أنَّ أهلَ مكةَ سألوا رسولَ الله ﷺ أن يريهم آيةً، فأراهم القَمَر شِقَّتَين، حتى رأوا حِراءً بينهما».

٣٨٦٩ - عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قالَ: «انشقَّ القمرُ ونحن مع النبيِّ ﷺ بِمنىً فقال: اشهَدوا، وذَهبت فِرقة نحوَ الجبل».

وقال أبو الضُّحى عن مسروقٍ عن عبد الله «انشقَّ بمكة»

وتابعَهُ محمدُ بن مسلمٍ عن ابن أبي نَجيحٍ عن مجاهدٍ عن أبي مَعمرٍ عن عبدِ الله.

٣٨٧٠ - عن عبدِ الله بنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما «إنَّ القمرَ انْشَقَّ على زمانِ رسولِ الله ﷺ».

٣٨٧١ - عَنْ عبدِ اللهِ رضيَ الله عنه قالَ: «انشقَّ القمر».

قوله (باب انشقاق القمر) أي في زمان النبي ﷺ على سبيل المعجزة له، وقد ترجم بمعنى ذلك في علامات النبوة.

قوله (شقتين) بكسر المعجمة أي نصفين، وأخرجه مسلم من الوجه الذي أخرجه منه البخاري من حديث سعيد عن قتادة بلفظ «فأراهم انشقاق القمر مرتين»، ووقع في نظم السيرة لشيخنا الحافظ أبي الفضل: وانشق مرتين بالإجماع ولا أعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه ﷺ، ولم يتعرض لذلك أحد من شراح الصحيحين وتكلم ابن القيم عى هذه الرواية فقال: المرات يراد بها الأفعال تارة والأعيان أخرى، والأول أكثر. ومن الثاني «انشق القمر مرتين» وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط فانه لم يقع إلا مرة واحدة. وقد قال العماد بن كثير: في الرواية التي فيها «مرتين» نظر، ولعل قائلها أراد فرقتين. قلت: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات. ثم راجعت نظم شيخنا فوجدته يحتمل التأويل المذكور، ولفظه:

فصار فرقتين فرقة علت ... وفرقة للطود منه نزلت
وذاك مرتين بالإجماع ... والنص والتواتر السماع

فجمع بين قوله «فرقتين» وبين قوله «مرتين» فيمكن أن يتعلق قوله بالإجماع بأصل الانشقاق لا بالتعدد، مع أن في نقل الإجماع في نفس الانشقاق نظراً سيأتي بيانه.

(١) كتاب الطب باب / ٤٦ ح ٥٧٥٨ - ٤ / ٣٤٣

قوله (حتى رأوا حراء بينهما) أي بين الفرقتين، وحراء تقدم ضبطه في بدء الوحي وهو على يسار السائر من مكة إلى منى، وقال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر.

٣٧ - باب هِجْرَةِ الحَبَشَةِ

وقالت عائِشَةُ: قالَ النبيُّ ﷺ: «أُريتُ دارَ هجرتكم ذات نخلٍ بين لابَتَين» فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينة، ورجعَ من كان هاجرَ بأرضِ الحبَشةِ إلى المدينة فيه عن أبي موسى وأسماءَ عن النبيِّ ﷺ

٣٨٧٢ - عن عُروة بن الزُّبير «أنَّ عُبيدَ الله بن عَديٍّ بن الخيار أخبرَه أن المِسْوَرَ بن مَخْرَمةَ وعبدَ الرحمنِ بن الأسودِ بن عبد يغوثَ قالا له: ما يَمْنعُك أن تُكلِّم خالَكَ عثمانَ في أخيهِ الوليد بن عُقبةَ، وكان أكثرَ الناسُ فيما فَعلَ به. قال عُبيدُ الله: فانتَصَبْتُ لعثمانَ حينَ خَرَجَ إلى الصلاةِ فقلت له: إنَّ لي إليكَ حاجةً، وهي نَصيحة. فقال: أيها المرءُ، أعوذ بالله منك. فانصرفْتُ. فَلمَّا قَضَيتُ الصلاة جلستُ إلى المِسْوَر وإلى ابن عبد يَغوث فحَدَّثْتُهما بما قلتُ لعثمان وقال لي. فقالا: قد قَضَيتَ الذي كان عليك. فبينما أنا جالسٌ معهما إذ جاءني رسولُ عثمانَ، فقالا لي: قد ابتَلاكَ الله. فانطلقتُ حتى دخلتُ عليه، فقال: ما نَصيحتُكَ التي ذكرتَ آنفاً؟ قال فتشهدتُ ثم قلت: إن الله بعثَ محمداً ﷺ وأنزلَ عليه الكتاب، وكنتَ ممنِ استجابَ للهِ ورسوله ﷺ وآمنتَ به، وهاجَرتَ الهجرتينَ الأولين، وصَحبتَ رسولَ الله ﷺ ورأيتَ هَدْيَه. وقد أكثرَ الناسُ في شأنِ الوَليدِ بن عقبةَ، فحقٌّ عليكَ أنْ تُقيمَ عليه الحدَّ. فقال لي: يا ابنَ أخي، أدركتَ رسول الله ﷺ؟ قال: قلت لا، ولكن قد خَلَصَ إليَّ من علمِهِ ما خَلَصَ إلى العَذراءِ في سِترها. قال فتشَهَّدَ عثمانُ فقال: إنَّ الله قد بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتابَ، وكنتُ ممن استجابَ لله ورسولهِ، وآمنتُ بما بُعثَ به محمدٌ ﷺ، وهاجرتُ الهجرتينَ الأوليَين -كما قلتَ- وصحبتُ رسول الله ﷺ وبايَعتُه. والله ما عَصَيتُه، ولا غَشَشْتُهُ حتى توفاهُ الله ثم استُخلف الله أبَا بكرٍ، فو الله مَا عصيته ولا غَشَشتُه. ثم استُخلِف عمر، فو الله مَا عصيتُهُ ولا غَشَشتُه. ثم استخلفتُ، أفليس لي عليكم مثلُ الذي كان لهم عليٌّ؟ قال: بلى. قال: فما هذه الأحاديثُ التي تبلُغني عنكم؟ فَأمَّا مَا ذكرتَ من شأنِ الوليد بن عُقبةَ فسنأخُذُ فيهِ إن شاء الله بالحقِّ. قال فجَلَدَ الوليدَ أربعين جلدة، وأمرَ علياً أن يَجلِدَه، وكان هو يَجلِدُه»، وقال يونسُ

وابنُ أخي الزُّهريِّ عن الزُّهريِّ «أفليس لي عليكم من الحقِّ مثل الذي كان لهم».

قال أبو عبد الله: {بلاءٌ من ربكم} ما ابتُليتم به من شدَّة. وفي موضع: البلاءُ الابتلاء والتمحيص، من بَلَوتهُ ومحَّصتُه أي استخرجتُ ما عندَه. يبلوا: يختبر، مُبتليكم: مُختبِركم. وأما قوله {بلاء عظيم} النعَم، وهي مِن أبْلَيْتُه، وتلك من ابْتَلَيتُهُ.

٣٨٧٣ - عَنْ عَائِشَة رضيَ الله عنها «أن أمَّ حبيبةَ وأم سلمةَ ذكرَتا كنيسةً رأينَها بالحبشةِ فيها تصاويرُ، فذكرتا للنبيِّ ﷺ، فقال: إن أولئكَ إذا كان فيهمُ الرجلُ الصالحُ فماتَ بنوا على قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تيكَ الصور، أولئك شِرارُ الناسِ عند الله يَوْمَ القيامة».

٣٨٧٤ - عَنْ أمِّ خالد بنت خالدٍ قالت: «قَدِمتُ من أرضِ الحبشةِ وأنا جُويرية، فكساني رسولُ الله ﷺ خَمِيصةً لها أعلامٌ، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يَمسَحُ الأعلامَ بيده ويقول: سَناه سَناه. قال الحميدي: يعني حسَنٌ حسَنٌ».

٣٨٧٥ - عن عبدِ اللهِ رضيَ الله عنهُ قالَ: «كُنَّا نُسَلِّمُ على النبيِّ ﷺ وَهُوَ يُصلِّي فيَرُدُّ علينا، فلما رجَعنا من عندِ النَّجاشيِّ سلَّمنا عليه فلم يَردَّ علينا، فقلنا: يارسولَ الله، إنَّا كنا نُسلمُ عليكَ فتردُّ علينا، قال: إنَّ في الصلاةِ شُغلاً. فقلتُ لإبراهيمَ كيفَ تَصنعُ أنت؟ قال: أردُّ في نفسي».

٣٨٧٦ - عَنْ أبِي موسى رضي الله عنه «بلغنا مَخرج النبيِّ ﷺ ونحن باليمن، فركبنا سفينة، فألقتْنا سفينتُنا إلى النجاشيِّ بالحبشة، فوافَقْنا جَعفرَ بن أبي طالبٍ، فأقَمنا معهُ حتى قدِمْنا، فوافَقْنا النبيَّ ﷺ حينَ افتتحَ خَيبرَ، فقال النبيُّ ﷺ: لكم أنتم يا أهلَ السفينةِ هِجرَتان».

قوله (باب هجرة الحبشة) أي هجرة المسلمين من مكة إلى أرض الحبشة، وكان وقع ذلك مرتين، وذكر أهل السير أن الأولى كانت في شهر رجب من سنة خمس من المبعث، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة، وقيل وامرأتان وقيل كانوا اثنى عشر رجلا وقيل عشرة، وأنهم خرجوا مشاة إلى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار. وذكر ابن إسحق أن السبب في ذلك أن النبي ﷺ قال لأصحابه لما رأي المشركين يؤذونهم ولا يستطيع أن يكفهم عنهم: «ان بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد، فلو خرجتم اليه حتى يجعل الله لكم فرجا، فكان أول من خرج منهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وأبطأ على رسول الله وأخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول إلى أنس قال «أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما، فقدمت امرأة فقالت له: لقد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار، فقال: صحبهما الله، إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط». قلت: وبهذا تظهر النكتة في

تصدير البخاري الباب بحديث عثمان، وقد سرد ابن إسحق أسماءهم، فأما الرجال فهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وأبو حذيفة بن عتبة ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الأسد وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبي رهم العامري.

قال: فهؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى الحبشة. قال ابن هشام: وبلغني أنه كان عليهم عثمان بن مظعون، وأما النسوة فهن رقية بنت النبي ﷺ وسهلة بنت سهل امرأة أبي حذيفة وأم سلمة بنت أبي أمية امرأة أبي سلمة وليلى بنت أبي حثمة امرأة عامر بن ربيعة، ووافقه الواقدي في سردهن وزاد اثنين عبد الله بن مسعود وحاطب بن عمرو، وسرد ابن إسحق أسماء أهل الهجرة الثانية وهم زيادة على ثمانين رجلا. وقال ابن جرير الطبري: كانوا اثنين وثمانين رجلا سوى نسائهم وأبنائهم، وشك في عمار بن ياسر هل كان فيهم وبه تتكمل العدة ثلاثة وثمانين، وقيل إن عدة نسائهم كانت ثماني عشرة امرأة.

٣٨ ـ باب موت النجاشيِّ

٣٨٧٧ ـ عَنْ جابرٍ رضِيَ اللّهُ عنهُ «قالَ النبيُّ ﷺ حين مَاتَ النجاشيُّ: مات اليوم رجلٌ صالح، فقوموا فصلُّوا على أخيكم أصْحَمَة»

٣٨٧٨ ـ عَنْ جابرِ بنِ عبدِ الله الأنصاريِّ رضيَ الله عنهما أنَّ نبيَّ الله ﷺ صلَّى على النجاشيِّ، فصَفَّنا وراءهُ، فكنتُ في الصَّفِّ الثَّاني أوِ الثَّالث».

٣٨٧٩ ـ عَنْ جَابرِ بنِ عبدِ الله رضيَ الله عنهما «أنَّ النبيَّ ﷺ صَلَّى على أصْحَمَةَ النجاشيِّ فكبَّرَ عليه أربعًا» تابعه عبدُ الصَّمَد

٣٨٨٠ ـ عَنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَعى لهمُ النجاشيَّ صَاحِبَ الحَبَشَةِ في اليَوم الذي مات فيه، وقال: استَغفِروا لأخيكم».

٣٨٨١ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه «أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ صَفَّ بهم في المُصلَّى فصلَّى عليه وكبَّرَ أربعاً».

(باب موت النجاشي) تقدم ذكر اسمه واسم أبيه في الجنائز[1]، وأن النجاشي لقب من ملك الحبشة، وذكر موته هنا استطراداً لكون المسلمين هاجروا إليه، وإنما وقعت وفاته بعد الهجرة سنة تسع عند الأكثر، وقيل سنة ثمان قبل فتح مكة كما ذكره البيهقي في «دلائل النبوة» وقد استشكل كونه لم يترجم بإسلامه وهذا موضعه وترجم بموته، وإنما مات بعد ذلك بزمن طويل، والجواب أنه لما لم يثبت عنده القصة الواردة في صفة إسلامه وثبت عنده الحديث الدال على إسلامه وهو صريح في موته ترجم به ليستفاد من الصلاة عليه أنه كان قد أسلم.

(١) كتاب الجنائز باب / ٦٤ ح ١٣٣٤ - ٣ / ٢٠٢ ص ١٩١

وقد تقدم الكلام على مباحث حديثي الباب في كتاب الجنائز[١].

٣٩ - باب تَقَاسُم المُشرِكِينَ على النبيِّ ﷺ

٣٨٨٢ - عن أبِي هريرةَ رضيَ الله عنه قالَ: «قالَ رسولُ الله ﷺ حينَ أراد حُنَيْناً: مَنْزِلُنَا غداً -إن شاء الله- بِخَيفِ بَنِي كِنَانَةَ حيثُ تقاسَمُوا على الكُفرِ».

قوله (باب تقاسم المشركين على النبي ﷺ) كان ذلك أول يوم من المحرم سنة سبع من البعثة وكان النجاشي قد جهز جعفرا ومن معه، فقدموا والنبي ﷺ بخبير وذلك في صفر منها[٢]، فلعله مات بعد أن جهزهم، وفي «الدلائل» للبيهقي أنه مات قبل الفتح وهو أشبه، قال ابن اسحق وموسى بن عقبة وغيرهما من أصحاب المغازي: لما رأت قريش أن الصحابة قد نزلوا أرضا أصابوا بها أمانا وأن عمر أسلم وأن الإسلام فشا في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله، فأجابوه إلى ذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية، فلما رأت قريش ذلك أجمعوا أن يكتبوا بينهم وبين بني هاشم والمطلب كتابا أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، ففعلوا ذلك وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فشُلَّت أصابعه.

قال ابن اسحق: فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فكانوا معه كلهم إلا أبا لهب فكان مع قريش، وقيل كان ابتداء حصرهم في المحرم سنة سبع من المبعث، قال ابن اسحق: فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا، وجزم موسى بن عقبة بأنها كانت ثلاث سنين حتى جهدوا ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلا خفية، حتى كانوا يؤذون من اطلعوا على أنه أرسل إلى بعض أقاربه شيئاً من الصلات، إلى أن قام في نقض الصحفية نفر من أشدهم في ذلك صنيعا هشام بن عمرو بن الحارث العامري، وكانت أم أبيه تحت هاشم بن عبد مناف قبل أن يتزوجها جده، فكان يصلهم وهم في الشعب، ثم مشى إلى زهير بن أبي أمية وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فكلمه في ذلك فوافقه، ومشيا جميعا إلى المطعم بن عدي وإلى زمعة بن الأسود فاجتمعوا على ذلك، فلما جلسوا بالحجر تكلموا في ذلك وأنكروه وتواطئوا عليه فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل. وفي آخر الأمر أخرجوا الصحيفة فمزقوها وأبطلوا حكمها وذكر ابن هشام انهم وجدوا الأرضة قد أكلت جميع ما فيها إلا اسم الله تعالى، وذكر الواقدي أن خروجهم من الشعب كان في سنة عشر من المبعث، وذلك قبل الهجرة بثلاث

(١) كتاب الجنائز باب / ٥٤ ح ١٣١٨ - ١ / ٦٧٢
(٢) كتاب الجنائز باب / ٥٤ ح ١٣١٨ - ١ / ٦٦٥

سنين، ومات أبو طالب بعد أن خرجوا بقليل. قال ابن اسحق ومات هو وخديجة في عام واحد، فنالت قريش من رسول الله ﷺ مالم تكن تنله في حياة أبي طالب. ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفى بايراد حديث أبي هريرة فيه دلالة على أصل القصة.

وسيأتي شرح الحديث في غزوة الفتح من كتاب المغازي[1] إن شاء الله تعالى.

٤٠ ـ باب قِصَّةِ أبي طالب

٣٨٨٣ ـ عن العباسِ بن عبدِ المطلبِ رضيَ الله عنه «قالَ للنبيِّ ﷺ: ما أغنيتَ عن عمِّكَ، فإنَّه كانَ يحوطُكَ ويَغْضَبُ لك، قال: هو في ضَحضاحٍ من نارٍ، ولولا أنا لكان في الدَّرْكِ الأسفل مِنَ النَّار».

[الحديث ٣٨٨٣- طرفاه في:٦٢٠٨،٦٥٧٢]

٣٨٨٤ ـ عن ابن المسَيَّب عن أبيهِ «أنَّ أبا طالبٍ لما حضَرَتْهُ الوفاةُ دخلَ عليه النبيُّ ﷺ -وعندَهُ أبو جَهلٍ- فَقَالَ: أي عَمِّ، قل لا إله إلا الله كَلِمَةً أحاجُّ لكَ بها عندَ اللّه. فقالَ أبو جهلٍ وعبدُ الله بن أبي أمَيَّة: يَا أبَا طَالب، تَرغَبُ عن ملة عبدِ المطلب؟ فَلَمْ يَزالا يَكلِّمانه حتى قال آخرَ شيء كلَّمَهم به: على مِلّة عبد المطلب. فَقَالَ النبيُّ ﷺ: لأستغفرنَّ لكَ، مالم أنه عنه. فنزلَت {ما كان للنبيِّ والذينَ آمَنُوا أن يَستغفروا للمشركينَ ولَوْ كانوا أولي قربى من بعد ما تبينَ لهم أنهم أصحابُ الجحيم} /١١٣ التوبة/، ونزلت {إنكَ لا تَهدي مَن أحبَبْت} ٥٦ القصص/

٣٨٨٥ ـ عن أبِي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه «أنَّهُ سَمِعَ النبيَّ ﷺ - وذُكِرَ عندهُ عمُّهُ فَقَالَ: لعلَّهُ تنفعهُ شفاعتي يومَ القيامةِ فيُجعَلَ في ضحضاحٍ من النَّارِ يَبْلُغُ كعبيهِ يَغلي منهُ دِماغُهُ».

[الحديث ٣٨٨٥ - طرفه في: ٦٥٦٤]

قوله (باب قصة أبي طالب) واسمه عند الجميع عبد مناف.

وكان شقيق عبد الله والد رسول الله ﷺ، ولذلك أوصى به عبد المطلب عند موته إليه فكفله إلى أن كبر، واستمر على نصره بعد أن بعث إلى أن مات أبو طالب، وقد ذكرنا أنه مات بعد خروجهم من الشعب، وذلك في آخر السنة العاشرة من المبعث، وكان يذب عن النبي ﷺ ويرد عنه كل من يؤذيه، وهو مقيم مع ذلك على دين قومه. وقد تقدم قريبا حديث ابن مسعود «وأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه» وأخباره في حياطته والذب عنه معروفة مشهورة، ومما اشتهر من شعره في ذلك قوله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

(١) كتاب المغازي باب / ٤٨ ح ٤٢٨٤ - ٣ / ٣٧٣

قوله (كان يحوطك) من الحياطة وهي المراعاة، وفيه تلميح إلى ما ذكره ابن اسحق قال: « ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكانت خديجة له وزيرة صدق على الإسلام يسكن إليها، وكان أبو طالب له عضدا وناصرا على قومه، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا: فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال: فدخل رسول الله ﷺ بيته يقول ما نالتني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب».

قوله (هو في ضحضاح) فإن الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب، والمعنى أنه خفف -عنه العذاب، ووقع في حديث ابن عباس عند مسلم إن أهون أهل النار عذابا أبو طالب له نعلان يغلي منهما دماغه»، ووقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الأحاديث الواهية الدالة على إسلام أبي طالب ولا يثبت من ذلك شيء، وبالله التوفيق. وقد لخصت ذلك في ترجمة أبي طالب من كتاب الاصابة.

قوله (أن أبا طالب لما حضرته الوفاة) أي قبل أن يدخل في الغرغرة.

قوله (أحاج) وأصله أحاجج، وقد تقدم في أواخر الجنائز بلفظ «أشهد لك بها عند الله» وكأنه عليه الصلاة والسلام فهم من امتناع أبي طالب من الشهادة في تلك الحالة أنه ظن أن ذلك لا ينفعه لوقوعه عند الموت أو لكونه لم يتمكن من سائر الأعمال كالصلاة وغيرها، فلذلك ذكر له المحاججة. وأما لفظ الشهادة فيحتمل أن يكون ظن أن ذلك لا ينفعه إذا لم يحضره حينئذ أحد من المؤمنين مع النبي ﷺ، فطيب قلبه بأن يشهد له بها فينفعه. وفي رواية أبي حازم عن أبي هريرة عند أحمد «فقال أبو طالب: لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حمله عليه إلا جزع الموت لأقررت بها عينك»، وفي الحديث جواز زيارة القريب المشرك وعيادته، وأن التوبة مقبولة ولو في شدة مرض الموت، حتى يصل إلى المعاينة فلا يقبل، لقوله تعالى: {فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا}، وأن الكافر إذا شهد شهادة الحق نجا من العذاب لأن الإسلام يجُبّ ما قبله، وأن عذاب الكفار متفاوت، والنفع الذي حصل لأبي طالب من خصائصه ببركة النبي ﷺ. وإنما عرض النبي ﷺ عليه أن يقول لا إله إلا الله ولم يقل فيها محمد رسول الله لأن الكلمتين صارتا كالكلمة الواحدة، ويحتمل أن يكون أبو طالب كان يتحقق أنه رسول الله ولكن لا يقر بتوحيد الله، ولهذا قال في الأبيات النونية :

ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت قبل أمينا

(تكملة): من عجائب الاتفاق أن الذين ادركهم الإسلام من أعمام النبي ﷺ أربعة: لم يسلم منهم اثنان. وأسلم اثنان. وكان اسم من لم يسلم ينافي أسامي المسلمين، وهما أبو طالب واسمه عبد مناف وأبو لهب واسمه عبد العزى، بخلاف من أسلم وهما حمزة والعباس.

٤١ ـ باب حديثِ الإسراء

وقولِ اللّه تعالى {سُبحان الذي أسَرى بعبدِهِ ليلاً منَ المسجِدِ الحرام إلى المسجدِ الأقصى}

٣٨٨٦ ـ عن جابر بنِ عبدِ اللهِ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا أنَّهُ سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: لما كذَّبني قرَيش قمتُ في الحِجر فجلى الله لي بيتَ المقدسِ، فطفقْتُ أخبِرُهم من آياته، وأنا أنظرُ إليه».

[الحديث ٣٨٨٦ - طرفه في ٤٧١٠]

قوله (حديث الإسراء، وقول الله تعالى: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) سيأتي البحث في لفظ {أسرى} في تفسير سورة سبحان[1] إن شاء الله تعالى. قال ابن دحية: جنح البخاري إلى أن ليلة الإسراء كانت غير ليلة المعراج، لأنه أفرد لكل منهما ترجمة. قلت: ولا دلالة في ذلك على التغاير عنده، بل كلامه في أول الصلاة ظاهر في اتحادهما، وذلك أنه ترجم «باب كيف فرضت الصلاة ليلة الإسراء» والصلاة إنما فرضت في المعراج، فدل على اتحادهما عنده، وإنما أفرد كلا منهما بترجمة لأن كلا منهما يشتمل على قصة مفردة وإن كانا وقعا معا، وقد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة: فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، و إلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل .

قوله (سبحان) أصلها للتنزيه وتطلق في موضع التعجب، فعلى الأول المعنى تنزه الله عن أن يكون رسوله كذابا، وعلى الثاني عجب الله عباده بما أنعم به على رسوله، ويحتمل أن تكون بمعنى الأمر أى سبحوا الذي أسرى.

قوله (أسرى) مأخوذ من السري وهو سير الليل.

قوله (لما كذبني) في حديث ابن عباس عند أحمد والبزار بإسناد حسن قال: «قال رسول الله ﷺ: لما كان ليلة أسرى بي وأصبحت بمكة مر بي عدو الله أبو جهل فقال: هل كان من شيء؟ قال رسول الله ﷺ: إني أسري بي الليلة إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين أظهرنا ؟ قال: نعم، قال فإن دعوت قومك أتحدثهم بذلك؟ قال: نعم. قال يا معشر بني كعب بن لؤي. قال فانفضت إليه المجالس حتى جاءوا إليهما فقال: حدث قومك بما حدثتني، فحدثتهم، قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا، قالوا وتستطيع أن تنعت لنا المسجد الحديث، ووقع في غير هذه الرواية بيان ما رآه ليلة الإسراء، فمن ذلك

---

(١) كتاب التفسير "الإسراء" باب / ٣ ح ٤٧٠٩ - ٣ / ٥٨٢

ماوقع عند النسائي من رواية يزيد بن أبي مالك عن أنس قال «قال رسول الله ﷺ: أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل» الحديث وفيه «فركبت ومعي جبريل، فسرت فقال: انزل فصل، ففعلت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة»، وفيه أنه مر في رجوعه بعير لقريش فسلم عليهم فقال بعضهم: هذا صوت محمد، وفيه أنه أعلمهم بذلك وأن عيرهم تقدم في يوم كذا؛ فقدمت الظهر يقدمهم الجمل الذي وصفه، وزاد في رواية يزيد بن أبي مالك «ثم دخلت بيت المقدس، فجمع لي الأنبياء، فقدمني جبريل حتى أممتهم» وفي رواية عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة عن أنس عند البيهقي في «الدلائل» أنه مر بشيء يدعوه متنحيا عن الطريق، فقال له جبريل: سر، وأنه مر على عجوز فقال: ماهذه: فقال سر، وأنه مر بجماعة فسلموا فقال له جبريل اردد عليهم وفي آخره فقال له: الذي دعاك إبليس، والعجوز الدنيا، والذين سلموا إبراهيم وموسى وعيسى. وفي حديث أبي هريرة عند الطبراني والبزار أنه «مر بقوم يزرعون ويحصدون، كلما حصدوا عاد كما كان، قال جبريل: هؤلاء المجاهدون. ومر بقوم ترضخ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت، قال: هؤلاء الذين تثاقل رءوسهم عن الصلاة. ومر بقوم على عوراتهم رقاع يسرحون كالأنعام، قال: هؤلاء الذين لا يؤدون الزكاة. ومر بقوم يأكلون لحما نيئا خبيثا ويدعون لحمًا نضيجًا طيبا قال: هؤلاء الزناة. ومر برجل جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها ثم هو يضم إليها غيرها، قال: هذا الذي عنده الأمانة لا يؤديها وهو يطلب أخرى. ومر بقوم تقرض ألسنتهم وشفاههم، كلما قرضت عادت قال: هؤلاء خطباء الفتنة. ومر بثور عظيم يخرج من ثقب صغير يريد أن يرجع فلا يستطيع، قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة فيندم فيريد أن يردها فلا يستطيع».

قوله (فجلى الله لي بيت المقدس) قيل معناه كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء إرادة إظهار الحق لمعاندة من يريد إخماده، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره، فكان ذلك زيادة في إيمان المؤمن، وزيادة في شقاء الجاحد والمعاند، انتهى ملخصا.

٤٢ ـ باب المِعْرَاجِ

٣٨٨٧ ـ عن أنسِ بن مالكٍ بن صَعْصَعَةَ رضي الله عنهُ «أنَّ نبيَّ الله ﷺ حدَّثهُ عن

ليلةِ أسريَ به قال: بينما أنا في الحَطيم -وربَّما قال في الحِجر- مضطجعًا، إذ أتاني آتٍ فقَدَّ -قال وسمعتُهُ يقول: فشقَّ- ما بين هذه إلى هذه. فقلتُ للجارود وهوَ إلى جَنبي: مَا يعني به؟ قال: من ثُغرةِ نحرهِ إلى شعرَته -وسمعتُهُ يقول من قَصِّهِ إلى شِعرته- فاستخرج قلبي، ثمَّ أُتيتُ بطستٍ من ذهبٍ مملوءةٍ إيماناً، فغُسِلَ قلبي، ثم حُشي، ثُمَّ أُعيدَ، ثمَّ أُتيتُ بدابة دُونَ البَغل وفوقَ الحمار أبيضَ. -فقال له الجارودُ: هوَ البُراقُ يَا أَبَا حمزةَ؟ قالَ أنسٌ: نعم يَضَعُ خَطوَهُ عندَ أقصى طرْفه، فحُملتُ عليه، فانطلقَ بِي جبريلُ حتَّى أتى السماءَ الدُّنيا فاستفتحَ، فقيل: مَن هذا؟ قال: جِبريل. قيلَ: وَمن معك؟ قال: محمد. قيلَ: وقد أرسِلَ إليهِ؟ قالَ: نَعم، قيلَ: مَرحباً به، فنِعمَ المجيء جاء. فَفُتِحَ فلما خَلَصتُ فإذا فيها آدمُ، فقال: هذا أبوك آدمُ، فسلِّمْ عليه. فسلَّمتُ عليه، فردَّ السلامَ ثم قال: مَرحَباً بالابنِ الصالح والنبيِّ الصالح. ثم صَعِدَ بي حَتَّى أتى السماءَ الثانية فاستَفتح. قيلَ: من هذا؟ قالَ جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسِلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مَرحباً به، فنعمَ المجيء جاء. ففُتح فلما خَلَصتُ إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة. قال: هذا يحيى وعيسى فسلّم عليهما، فسلَّمت، فردَّا، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح. ثم صعِدَ بي إلى السماء الثالثة فاستَفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن مَعَكَ؟ قالَ: محمد. قيلَ: وقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعمَ المجيء جاء ففتح، فلما خلصتُ إذا يوسف، قال: هذا يوسُف فسلِّمْ عليه، فسلَّمتُ عليه، فردَّ ثمَّ قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح. ثم صعِدَ بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتَح، قيلَ: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوَ قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح. فلما خلصتُ فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلِّم عليه، فسلَّمتُ عليه، فردَّ ثمَّ قالَ: مَرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح. ثم صعِدَ بِي حتَّى أتى السَّمَاء الخامسة فاستَفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيلَ: ومن معك؟ قالَ: محمد ﷺ، قيل: وقد أُرسِلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعمَ المجيء جاء. فلما خلصتُ فإذا هارونُ. قالَ: هذا هارونُ فسلِّمْ عليه، فسلَّمتُ عليه، فردَّ ثم قالَ: مَرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح. ثم صَعِد بي حتى أتى السماء السادسة فاستَفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معكَ؟ قالَ: محمد. قيلَ: وقَدْ أُرسِلَ اليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء فلما خلصتُ فاذا موسى، قال: هذا موسى فسلِّمْ عليه، فسلَّمتُ عليه، فَردَّ ثُمَّ قالَ: مَرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح. فلمَّا تجاوزت بكى. قيل له: ما يبكيك؟ قالَ: أَبْكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمَّتِه أكثرُ ممن يدخُلها من أمَّتي. ثم صَعِدَ بي إلى السماء السابعة،

فاستَفتحَ جبريل، قِيل: مَن هذا؟ قال: جبريل قيلَ: ومَنْ مَعَكَ؟ قالَ: محمد. قيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إليهِ؟ قالَ: نعم. قالَ: مرحباً به، ونعمَ المجيء جاء. فلما خلصتُ فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلِّمْ عليه. قال فسلَّمتُ عليهِ، فردَّ السلام، ثُمَّ قالَ مَرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح. ثُمَّ رُفِعَت لي سِدرةُ المنتهى، فإذا نَبقُها مثل قِلالِ هَجَر، وإذا وَرَقُها مثلُ آذانِ الفِيَلة. قال: هذه سِدرة المنتهى، وإذا أربعةُ أنهارٍ: نهرانِ باطنان، ونهرانِ ظاهران. فقلتُ: ما هذانِ يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهرانِ في الجنة، وأما الظاهرانِ فالنِّيلُ والفُرات. ثم رُفِعَ لي البيتُ المعمور. ثمَّ أُتيتُ بإناء من خَمر وإناء من لبن وإناء من عَسل، فأخذتُ اللبنَ، فقالَ: هيَ الفِطرةُ التي أنت عليها وأمَّتُكَ. ثُمَّ فُرِضت عليَّ الصلاةُ خمسينَ صلاة كلَّ يوم، فرجَعْتُ فمررت على موسى، فَقَالَ: بِمَا أمِرْتَ؟ قال: أمِرْتُ بخمسينَ صلاة كل يوم. قالَ: إنَّ أمتك لا تَستطيعُ خمسينَ صلاة كل يوم، وإني والله قد جربتُ الناسَ قبلك، وعالجتُ بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربِّك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعتُ، فوضَعَ عني عشراً، فرجعت إلى موسى فَقَالَ مثله. فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عني عشراً فرجعت إلى مُوسَى فقالَ مثله. فرجعتُ فَوَضَعَ عني عشراً، فَرَجَعْت إِلَى مُوسَى فَقَالَ مثله. فَرَجعت فأمِرتُ بعَشرِ صلوات كلَّ يوم، فرجعتُ فَقَالَ مثله. فرجعتُ فأمِرتُ بخمس صلواتٍ كل يوم، فرجعتُ إلى موسى فَقَالَ: بِمَا أمِرْتَ؟ قلتُ: أمِرتُ بخمسِ صلوات كل يوم. قال: إن أمتكَ لا تَستطيع خمسَ صلواتٍ كل يوم، وإني قد جَربتُ الناسَ قبلك، وعالجتُ بني إسرائيلَ أشد المعالجة، فارجعْ إِلَى ربِّكَ فاسألهُ التخفيف لأمتك. قالَ سألت رَبي حتى استحيَيتُ، ولكن أرضى وأسلم. قالَ فَلما جاوَزتُ نادَى مُنادٍ: أمضَيتُ فريضتي، وخَفَّفتُ عن عبادي».

٣٨٨٨ - عن ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عَنهُمَا فِي قَولِهِ تعالَى [٦٠ الإسراء]: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيا التي أرَيناكَ إلاَّ فتنة للناس} قال: هي رؤيا عين أرِيَهَا رسولُ اللهِ ﷺ ليلةَ أسرى به إلى بيتِ المقدِس. قال: والشجرةَ الملعونةَ في القرآنِ هي شجرةُ الزقُّوم»

[الحديث ٣٨٨٨ - طرفاه في: ٤٧١٦، ٦٦١٣]

قوله (باب المعراج) من عرج بفتح الراء يعرج بضمها إذا صعد. وقد اختلف في وقت المعراج فقيل كان قبل المبعث، وهو شاذ إلاّ إن حُمِل على أنه وقع حينئذ في المنام كما تقدم، وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث. ثم اختلفوا فقيل قبل الهجرة بسنة قاله ابن سعد وغيره وبه جزم النووي، وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه، وهو مردود فإن في ذلك اختلافا كثيرا يزيد على عشرة أقوال، منها ما حكاه ابن الجوزي أنه كان قبلها بثمانية أشهر، وقيل بستة أشهر. وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الأثير، وحكى عياض وتبعه

القرطبي والنووي عن الزهري أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين ورجحه عياض ومن تبعه واحتج بأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث أو نحوها وإما بخمس، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء. قلت: في جميع ما نفاه من الخلاف نظر.

قوله (في الحطيم وربما قال في الحجر) والمراد بالحطيم هنا الحجر.

قوله (إذ أتاني آت) هو جبريل كما تقدم.

قوله (إيمانا) زاد في بدء الخلق «وحكمة».

قال النووي: معناه أن الطست كان فيها شيء يحصل به زيادة في كمال الإيمان وكمال الحكمة وهذا الملء يحتمل أن يكون على حقيقته، وتجسيد المعاني جائز كما جاء أن سورة البقرة تجيء يوم القيامة كأنها ظلة، والموت في صورة كبش، وكذلك وزن الأعمال وغير ذلك من أحوال الغيب.

قوله (فغسل قلبي) في رواية مسلم «فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم» وفيه فضيلة ماء زمزم على جميع المياه.

قوله (بالابن الصالح والنبي الصالح) قيل اقتصر الأنبياء على وصفه بهذه الصفة وتواردوا عليها لأن الصلاح صفة تشمل خلال الخير، ولذلك كررها كل منهم عند كل صفة، والصالح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد، فمن ثم كانت كلمة جامعة لمعاني الخير.

قوله في قصة موسى (فلما تجاوزت بكى، قيل له ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي.

قال العلماء: لم يكن بكاء موسى حسدا، معاذ الله، فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى، بل كان أسفا على مافاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم لتنقيص أجره، لأن لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه، ولهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع نبينا ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة. وأما قوله «غلام» فليس على سبيل النقص، بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه إذ اعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعطه أحدا قبله ممن هو أسنُّ منه، وقال القرطبي: الحكمة في تخصيص موسى بمراجعة النبي ﷺ في أمر الصلاة لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلوات بما لم تكلف به غيرها من الأمم، فثقلت عليهم، فأشفق موسى على أمة محمد من مثل ذلك. ويشير إلى ذلك، قوله (إني قد جربت الناس قبلك) انتهى.

قوله (ثم رفعت إليّ [١] سدرة المنتهى) المراد أنه رفع إليها أي ارتقى به وظهرت له ووقع بيان سبب تسميتها سدرة المنتهى في حديث ابن مسعود عند مسلم ولفظه «لما أسري برسول الله ﷺ قال: انتهى بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط فيقبض منها»

قوله (فإذا نبقها) والنبق معروف وهو ثمر السدر

قوله (مثل قلال هجر) قال الخطابي: القلال بالكسر جمع قلة بالضم هي الجرار، يريد أن ثمرها في الكبر مثل القلال

قوله (وأما الظاهران فالنيل والفرات)

قال النووي: في هذا الحديث أن أصل النيل والفرات من الجنة، وأنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى، ثم يسيران حيث شاء الله، ثم ينزلان إلى الأرض، ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها، وهذا لا يمنعه العقل، وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد. وأما قول عياض: إن الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهى في الأرض لكونه قال: إن النيل والفرات يخرجان من أصلها وهما بالمشاهدة يخرجان من الأرض فيلزم منه أن يكون أصل السدرة في الأرض، وهو متعقب، فإن المراد بكونهما يخرجان من أصلها غير خروجهما بالنبع من الأرض. والحاصل أن أصلها في الجنة وهما يخرجان أولا من أصلها ثم يسيران إلى أن يستقرا في الأرض ثم ينبعان. واستدل به على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة، وكذا سيحان وجيحان.

قوله (ثم أتيت بإناءٍ من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة التي أنت عليها) أي دين الإسلام.

قوله (ثم فرضت علي الصلاة) والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الإسراء أنه ﷺ لما عرج به رأى في تلك الليلة تعبد الملائكة وأن منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد، فجمع الله له ولأمته تلك العبادات كلها في كل ركعة يصليها العبد، بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص، أشار إلى ذلك ابن أبي جمرة، وقال: وفي اختصاص فرضيتها بليلة الإسراء إشارة إلى عظيم بيانها.

قوله (فلما جاوزت ناداني [١] مناد: أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي) هذا من أقوى ما استدل به على أن الله سبحانه وتعالى كلم نبيه محمداً ﷺ ليلة الاسراء بغير واسطة، وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم: أن للسماء أبوابا حقيقة وحفظة موكلين بها، وفيه إثبات الاستئذان، وأنه ينبغي لمن يستأذن أن يقول أنا فلان، ولا يقتصر على أنا لأنه ينافي

(١) رواية الباب واليونينية "لي".

مطلوب الاستفهام، وأن المار يسلم على القاعد وإن كان المار أفضل من القاعد، وفيه استحباب تلقي أهل الفضل بالبشر والترحيب والثناء والدعاء، وجواز مدح الإنسان المأمون عليه الافتتان في وجهه، وفيه جواز الإستناد إلى القبلة بالظهر وغيره مأخوذ من إستناد إبراهيم إلى البيت المعمور وهو كالكعبة في أنه قبلة من كل جهة، وفيه جواز نسخ الحكم قبل وقوع الفعل، وقد سبق البحث فيه في أول الصلاة، وفيه فضل السير بالليل على السير بالنهار لما وقع من الإسراء بالليل، ولذلك كانت أكثر عبادته ﷺ بالليل، وكان أكثر سفره ﷺ بالليل، وقال: ﷺ «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل» وفيه أن التجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة، يستفاد ذلك من قول موسى عليه السلام للنبي ﷺ أنه عالج الناس قبله وجربهم، ويستفاد منه تحكيم العادة، والتنبيه بالأعلى على الأدنى لأن من سلف من الأمم كانوا أقوى أبدانا من هذه الأمة، وقد قال موسى في كلامه إنه عالجهم على أقل من ذلك فما وافقوه، أشار إلى ذلك ابن أبي جمرة قال: ويستفاد منه أن مقام الخلة مقام الرضا والتسليم، ومقام التكليم مقام الإدلال والانبساط، ومن ثم استبد موسى بأمر النبي ﷺ بطلب التخفيف دون ابراهيم عليه السلام، مع أن للنبي ﷺ من الاختصاص بإبراهيم أزيد مما له من موسى لمقام الأبوة ورفعة المنزلة والاتباع في الملة.

وفيه استحباب الإكثار من سؤال الله تعالى وتكثير الشفاعة عنده، لما وقع منه ﷺ في إجابته مشورة موسى في سؤال التخفيف. وفيه فضيلة الاستحياء، وبذل النصيحة لمن يحتاج إليها وإن لم يستشر الناصح في ذلك.

٤٣ - باب وُفُودِ الأنْصارِ إلى النبيِّ ﷺ بِمَكةَ، وبَيعةِ العَقَبة

٣٨٨٩ - حدّثنا يحيى بن بُكَيرٍ حدّثنا الليثُ عن عُقيلٍ عن ابنِ شهاب وحدّثنا أحمدُ بن صالح حدّثنا عَنبَسةُ حدّثنا يونُسُ عن ابن شهاب قال أخبرَني عبدُ الرحمن بن بن عبد الله بن كعب بن مالكٍ أن عبدَ الله بن كَعبٍ -وكانَ قائد كعبٍ حين عَمِيَ- قالَ: سمعتُ كعبَ بن مالكٍ يُحدِّثُ حين تَخلّفَ عنِ النبيِّ ﷺ في غزوةِ تبوكَ بطوله، قالَ ابن بُكيرٍ في حديثه «ولقد شَهِدتُ مع النبيِّ ﷺ ليلةَ العقبةِ حينَ تواثَقْنا على الإسلام، وما أُحِبُّ أنَّ لي بها مَشهدَ بدَر، وإن كانت بَدْرٌ أذكَرَ في الناسِ منها».

٣٨٩٠ - عن جابرَ بن عبدِ الله رضيَ اللهُ عَنْهُمَا يقول: «شَهِدَ بي خالايَ العقبةَ».

[الحديث ٣٨٩٠ - طرفه في: ٣٨٩١]

٣٨٩١ - عن جابر قال: «أنا وأبي وخالايَ من أصحابِ العقَبة»

(١) رواية الباب واليونينية "نادى"

٣٨٩٢ ـ عن عائذُ الله بن عبد الله «أنّ عُبادة بن الصامت - منَ الذين شهدوا بدراً مع رسولِ الله ﷺ ومن أصحابِهِ ليلة العقَبة - أخبره ان رسولَ الله ﷺ قالَ وحوله عِصابةٌ من أصحابِهِ: تعالَوا بايعوني على أن لا تُشركوا باللّه شيئاً، ولا تَسرِقوا، ولا تَزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببُهتانٍ تفترَونه بينَ أيديكم وأرجُلِكم، ولا تَعصوني في مَعروف. فمن وَفى منكم فأجرُهُ على الله، ومن أصَابَ من ذلكَ شيئًا فعوقبَ بهِ في الدنيا فهو له كفّارة، ومن أصابَ من ذلكَ شيئاً فستَرهُ الله فأمرُهُ إلى اللّه: إن شاءَ عاقَبهُ، وإن شاء عَفا عنه قال: فبايَعْناه على ذلك».

٣٨٩٣ ـ عن عُبادةَ بن الصامتِ رضيَ اللّه عَنْهُ أنّهُ قالَ: «إنّي من النُّقَباءِ الذين بايَعوا رسولَ الله ﷺ، وقالَ: بَايَعناهُ عَلى أن لا نُشرِكَ باللّه شيئا، ولا نَسرِقَ، ولا نَزْني، ولا نقتُلَ النفسَ التي حرَّمَ الله إلا بالحقّ، ولا نَنْتَهِبَ، ولا نَقضي بالجنّة إن فعلنا ذلك، فان غَشينا من ذلك شَيْئًا كان قضاءُ ذلك إلى اللّهِ».

قوله (باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة) ذكر ابن إسحق وغيره أن النبي ﷺ كان بعد موت أبي طالب قد خرج الى ثقيف بالطائف يدعوهم إلى نصره، فلما امتنعوا منه كما تقدم في بدء الخلق شرحه[1] رجع إلى مكة فكان يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج، وذكر بأسانيد متفرقة أنه أتى كندة وبني كعب وبني حذيفة وبني عامر بن صعصعة وغيره فلم يجبه أحد منهم إلى ما سأل، وقال موسى بن عقبة عن الزهري «فكان في تلك السنين -أي التي قبل الهجرة- يعرض نفسه على القبائل، ويكلم كل شريف قوم، لا يسألهم الا أن يؤوه ويمنعوه، ويقول: لا أكره احدا منكم على شيء، بل أريد أن تمنعوا من يؤذيني حتى أبلغ رسالة ربي، فلا يقبله أحد بل يقولون: قوم الرجل أعلم به»، وقد أخرج الحاكم وأبو نعيم والبيهقي في «الدلائل» بإسناد حسن عن ابن عباس «حدثني علي بن أبي طالب قال: لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى، حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، وتقدم أبو بكر وكان نسابة فقال: من القوم؟ فقالوا: من ربيعة. فقال من أي ربيعة أنتم؟ قالوا: من ذهل -فذكروا حديثا طويلا في مراجعتهم وتوقفهم أخيرا عن الإجابة- قال ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، وهم الذين سماهم رسول الله ﷺ الانصار لكونهم أجابوه إلى إيوائه ونصره، قال: فما نهضوا حتى بايعوا رسول الله ﷺ» انتهى. وذكر ابن إسحق أن أهل العقبة الأولى كانوا ستة نفر وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة النجاري ورافع بن مالك بن العجلان العجلاني وقطبة بن عامر بن

---

(١) كتاب بدء الخلق باب / ٧ ح ٣٢٣١ - ٢ / ٧٢٩

حديدة وجابر بن عبد الله بن رئاب، وعقبة بن عامر -وهؤلاء الثلاثة من بني سلمة- وعوف بن الحارث بن رفاعة من بني مالك بن النجار.

قال ابن إسحق «حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قال لما رآهم النبي ﷺ قال: من أنتم؟ قالوا من الخزرج. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: نعم. فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن وكان مما صنع الله لهم أن اليهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب، وكان الأوس والخزرج أكثر منهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا: إن نبيا سيبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه، فنقتلكم معه، فلما كلمهم النبي ﷺ عرفوا النعت، فقال بعضهم لبعض: لا تسبقنا إليه يهود. فآمنوا وصدقوا، وانصرفوا إلى بلادهم ليدعوا قومهم، فلما أخبروهم لم يبق دور من قومهم إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الموسم وافاه منهم اثنا عشر رجلا».

قال ابن اسحق «حدثني معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبد الله -وكان من أعلم الانصار- حدثه أن أباه كعبا حدثه، وكان ممن شهد العقبة وبايع بها قال: خرجنا حجاجا مع مشركي قومنا وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراد بن معرور سيدنا وكبيرنا - فذكر شأن صلاته إلى الكعبة قال: فلما وصلنا إلى مكة ولم نكن رأينا رسول الله ﷺ قبل ذلك، فسألنا عنه فقيل: هو مع العباس في المسجد، فدخلنا فجلسنا إليه، فسأله البراء عن القبلة، ثم خرجنا إلى الحج، وواعدناه العقبة ومعنا عبد الله بن عمرو والد جابر ولم يكن اسلم قبل فعرفناه أمر الإسلام فأسلم حينئذ وصار من النقباء، قال فاجتمعنا عند العقبة ثلاثة وسبعين رجلا، ومعنا امرأتان أم عمارة بنت كعب إحدى نساء بني مازن وأسماء بنت عمرو بن عدي إحدى نساء بني سلمة، قال فجاء ومعه العباس فتكلم فقال: إن محمد منا من حيث علمتم، وقد منعناه وهو في عز، فان كنتم تريدون إنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنت وذاك، والا فمن الآن. قال فقلنا: تكلم يارسول الله، فخذ لنفسك ما أحببت. فتكلم فدعا إلى الله وقرأ القرآن ورغب في الإسلام ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، قال فأخذ البراء بن معرور بيده فقال: نعم» فذكر الحديث وفيه فقال رسول الله ﷺ: أسالم من سالمتم، وأحارب من حاربتم. ثم قال: أخرجوا إلي منكم اثنى عشر نقيبا» وذكر ابن إسحق النقباء وهم أسعد بن زرارة ورافع بن مالك والبراء بن معرور وعبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو بن حبيش وأسيد بن حضير وسعد بن خيثمة وابو الهيثم بن التيهان. قال ابن إسحق «حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن رسول الله ﷺ قال للنقباء: أنتم كفلاء

على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، قالوا: نعم» وذكر أيضاً أن قريشا بلغهم أمر البعية فأنكروا عليهم، فحلف المشركون منهم وكانوا أكثر منهم -قيل كانوا خمسمائة نفس- إن ذلك لم يقع، وذلك لأنهم ما علموا بشيء مما جري، وذكر ابن إسحق أن النبي ﷺ بعث مع الإثنى عشر رجلا مصعب بن عمير العبدري، وقيل بعثه اليهم بعد ذلك بطلبهم ليفقههم ويقرئهم، فنزل على أسعد بن زرارة، فروى أبو داود من طريق عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: «كان أبي إذا سمع الآذان للجمعة استغفر لأسعد بن زرارة، فسألته، فقال: كان أول من جمع بنا بالمدينة» وللدارقطني من حديث ابن عباس «أن النبي ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير أن أجمع بهم» اهـ. فأسلم خلق كثير من الأنصار على يد مصعب بن عمير بمعاونة اسعد بن زرارة حتى فشا الإسلام بالمدينة، فكان ذلك سبب رحلتهم في السنة المقبلة، حتى وأفى منهم العقبة سبعون مسلما وزيادة، فبايعوا كما تقدم.

٤٤ - باب تَزْوِيجِ النبيِّ ﷺ عائشَةَ، وقُدُومِهَا المدينةَ، وبِنَائه بهَا

٣٨٩٤ - عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «تزوجَني النبيُّ ﷺ وانا بنتُ ستِّ سنينَ، فقَدِمنا المدينةَ فنزلْنا في بني الحارثِ بن الخزرج، فَوعِكْتُ فتمزَّقَ شعري، فَوفى جُمَيْمَةً، فأتتني أمِّي أمُّ رُومَانَ -وإني لفي أرجوحةٍ ومَعيَ صواحبُ لِي - فصَرَخَت بي فأتيتُها، لا أدري ما تُريدُ بي، فأخذَتْ بيدي حتى أوقفَتْني على باب الدارِ، وإني لأنْهَجُ حتى سَكنَ بعضُ نَفَسي. ثمَّ أخذَتْ شيئاً من ماءٍ فمسحَتْ به وَجهِي ورأسي، ثُمَّ أدخلَتْني الدارَ، فاذا نسوة من الأنصار في البيتِ، فقُلْنَ: على الخَيْرِ والبركة، وعَلَى خَيْرِ طائرٍ. فأسلَمَتْني إليهنَّ، فأصلحْنَ من شأني، فَلَمْ يَرُعْنِي إلا رسول الله ﷺ ضُحًى، فأسلَمَتْني إليه، وأنَا يَوْمئذٍ بنتُ تسعِ سنينَ».

[الحديث ٣٨٩٤ - أطرافه في: ٣٨٩٦، ٥١٣٤، ٥١٥٦، ٥١٥٥، ٥١٥٨]

٣٨٩٥ - عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا «أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لها أُريتُكِ في المنام مرَّتَين: أرَى أنكِ فِي سرقَةٍ من حريرٍ ويقول: هذهِ امرَأتُكَ فَاكشِفْ، فَإذَا هِيَ أنْتِ، فأقول: إن يكُ هذا من عندِ اللهِ يُمْضِهِ».

[الحديث ٣٨٩٥ - أطرافه في ٥٠٧٨، ٥١٢٥، ٧٠١١، ٧٠١٢]

٣٨٩٦ - عن هشامٍ عن أبيهِ قالَ: «تُوُفِّيَتْ خديجةُ قبل مَخرجِ النبيِّ ﷺ إلَى المدينةِ بثلاثِ سنين، فلبثَ سنَتينِ أو قريباً من ذلك، ونكحَ عائشة وهِيَ بنتُ ست سنين، ثم بنى بها وهي بنتُ تسعِ سنين».

قوله (وقدومها المدينة) أي بعد الهجرة.

قوله (وبنائه بها) أي بالمدينة. وكان دخولها عليه في شوال من السنة الأولى وقيل من الثانية.

قوله (فوفى) أي كثر، وفي الكلام حذف تقديره ثم فصلت من الوعك فتربى شعري فكثر، وقولها «جميمة» بالجيم مصغر الجمة بالضم وهي مجتمع شعر الناصية، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين جمة، وإذا كان إلى شحمة الأذنين وفرة، وقولهن «على خير طائر» أي على خير حظ ونصيب، وقولها «فلم يرعني» أي لم يفزعني شيء إلا دخوله عليّ، وكنّت بذلك عن المفاجأة بالدخول على غير عالم بذلك فإنه يفزع غالبا.

قوله (سرقة) أي قطعة، أي يريه صورتها.

قوله (فإذا هي أنت) سيأتي الكلام على شرحه في كتاب النكاح[١]إن شاء الله تعالى، وقد روى أحمد والطبراني بإسناد حسن عن عائشة قالت: «لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: نعم، فما عندك؟ قالت: بكر وثيب، البكر بنت أحب خلق الله إليك عائشة، والثيب سودة بنت زمعة. قال: فاذهبي فاذكريهما علي فدخلت على أبي بكر فقال: إنما هي بنت أخيه، قال: قولي له أنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي. فجاءه فأنكحه ثم دخلت على سودة فقالت لها: أخبري أبي، فذكرت له، فزوجه»، وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن عائشة قالت: لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر خلفنا بمكة، فلما استقر بالمدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع، وبعث أبو بكر عبد الله بن أريقط وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر أن يحمل معه أم رومان وأم أبي بكر وأنا وأختي أسماء، فخرج بنا، وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة، وأخذ زيد امرأته أم أيمن وولديها أيمن وأسامة، واصطحبنا، حتى قدمنا المدينة فنزلت في عيال أبي بكر، ونزل آل النبي ﷺ عنده، وهو يومئذ يبني المسجد وبيوته، فأدخل سودة بنت زمعة أحد تلك البيوت، وكان يكون عندها، فقال له أبو بكر: ما يمنعك أن تبني بأهلك؟ فبنى بي» الحديث. قال الماوردي: الفقهاء يقولون: تزوج عائشة قبل سودة، والمحدثون يقولون: تزوج سودة قبل عائشة، وقد يجمع بينهما بأنه عقد على عائشة ولم يدخل بها ودخل بسودة. قلت: والرواية التي ذكرتها عن الطبراني ترفع الاشكال وتوجه الجمع المذكور، والله أعلم.

---

(١) كتاب النكاح باب / ٣٥ ح ٥١٢٥ - ٤ / ٦٥

٤٥ ـ باب هجرة النبيِّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة

وقال عبدُ الله بن زيدٍ وأبو هريرةَ رضي اللهُ عنهما عن النبيِّ ﷺ «لولا الهجرةُ لكنت امرءاً من الأنصار».

وقال أبو موسى عن النبيِّ ﷺ «رأيتُ في المنام أني أهاجرُ من مكة إلى أرضٍ بها نخل، فذهبَ وَهَلي إلى أنها اليمامة أو هَجَر، فإذا هي المدينةُ يَثرب»

٣٨٩٧ ـ عن الأعمشِ قال: سمعتُ أبا وائلٍ يقول: «عُدْنا خَبَّاباً فقال هاجَرْنا مع النبيِّ ﷺ نُريد وجهَ الله، فوقعَ أجرُنا على الله، فمنّا مَن مضى لم يأخذْ من أجرِه شيئاً منهم مُصعَبُ ابن عُمير، قُتِل يومَ أُحُدٍ وتركَ نَمِرَةً، فكنّا إذا غطَّينا بها رأسَهُ بَدَت رجلاهُ، وإذا غطَّينا رجليهِ بدا رأسُه، فأمَرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أن نُغطّيَ رأسَهُ ونجعل على رجْليهِ شيئاً من إذخرٍ. ومنّا مَن أينَعتَ له ثمرتهُ فهوَ يَهدِبُها».

٣٨٩٨ ـ عن عَلقمةَ بن وَقّاصٍ قال: سمعتُ عمر رضيَ اللهُ عنه قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ أراه يقول: الأعمالُ بالنِّيَّة، فمن كانت هجرتهُ إلى دُنيا يصيبها أو امرأةٍ يتزوَّجها، فهجرتهُ إلى ما هاجرَ إليه، ومن كانت هجرتهُ إلى الله ورسولهِ فهجرتهُ إلى اللهِ ورسولِه ﷺ».

٣٨٩٩ ـ عن مجاهدِ بن جَبرٍ المكيِّ «أنَّ عبدَ الله بن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما كان يقول: لا هِجرةَ بعد الفتح».

[الحديث ٣٨٩٩ – أطرافه في: ٤٣٠٩، ٤٣١٠، ٤٣١١].

٣٩٠٠ ـ عن عطاءِ بن أبي رباحٍ قال: زُرتُ عائشةَ مع عبيدِ بنِ عميرٍ الليثي، فسألناها عن الهجرةِ فقالت: لا هجرةَ اليوم، كان المؤمنونَ يَفِرُّ أحدُهم بدينهِ إلى اللهِ تعالى وإلى رسولهِ ﷺ مخافةَ أن يُفتَنَ عليه، فأما اليومَ فقد أظهرَ الله الإسلام، واليومَ يعبدُ ربَّهُ حيث شاء، ولكن جهادٌ ونِّية».

٣٨٩٠١ ـ عن عائشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا أن سعداً قال: اللهمَّ إنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ أن أجاهِدَهم فيك من قوم كذَّبوا رسولَك ﷺ وأخرجوه، اللهمَّ فإني أظنُّ أنك قد وضعتَ الحربَ بيننا وبينهم».

وقال أبانُ بن يزيدَ حدَّثَنا هشامٌ عن أبيهِ أخبرَتني عائشةُ «من قومٍ كذَّبوا نبيَّك وأخرجوهُ من قريش».

٣٩٠٢ـ عن ابن عباسٍ رضيَ اللهِ عنهما قال: «بُعثَ رسولُ الله ﷺ لأربعينَ سنةً، فمكثَ بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً يُوحى إليه، ثم أُمِرَ بالهجرَة فهاجر عَشرَ سنينَ، ومات وهو ابن ثلاثٍ وستين».

٣٩٠٣ ـ عن ابن عباسٍ قالَ: «مكثَ رسولُ اللهِ ﷺ بمكة ثلاث عشرةَ، وتُوُفِّيَ وهو ابن ثلاثٍ وستين»

٣٩٠٤ ـ عن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه «أنَّ رسولَ الله ﷺ جلسَ على المنبرِ فقال: إنَّ عبداً خيَّرَهُ الله بين أن يُؤتيهُ من زهرةِ الدنيا ماشاء وبينَ ما عندَه، فاختار ما عندَه. فبكى أبو بكرٍ وقال: فدَيناكَ بآبائنا وأمَّهاتِنا. فعجِبْنا لهُ. وقال الناسُ: انْظروا إلى هذا الشيخِ، يُخبِرُ رسولُ اللهِ ﷺ عن عبدٍ خيَّرَهُ الله بين أن يُؤتِيَه من زهرةِ الدنيا وبينَ ما عندَه ، وهو يقول: فدَيناكَ بآبائنا وأمَّهاتنا ، فكان رسولُ اللهِ ﷺ هوَ المخير، وكان أبو بكر هو أعلمُنا به. وقال رسولُ الله ﷺ: إنَّ من أمنِّ النّاسِ عليَّ في صُحبتهِ ومالهِ أبا بكرٍ، ولو كنتُ مُتَّخذاً خليلاً من أمتي لاتخذتُ أبا بكرٍ، إلا خُلَّةَ الإسلام، لا يَبقينَّ في المسجد خَوخةٌ إلا خَوخةُ أبي بكر»

قوله (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة) أما النبي ﷺ فجاء عن ابن عباس أنه أذن له في الهجرة إلى المدينة بقوله تعالى: {وقل رب أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا} أخرجه الترمذي وصححه هو والحاكم، وذكر الحاكم أن خروجه ﷺ من مكة كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريبا منها، وأما أصحابه فتوجه معه منهم أبو بكر الصديق وعامر بن فهيرة، وتوجه قبل ذلك بين العقبتين جماعة منهم ابن أم مكتوم، ويقال إن أول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأشهل المخزومي زوج أم سلمة، وذلك أنه أوذي لما رجع من الحبشة، فعزم على الرجوع إليها، فبلغه قصة الإثني عشر من الأنصار فتوجه إلى المدينة، ثم توجه مصعب بن عمير كما تقدم آنفا ليفقه من أسلم من الأنصار.

قوله (لا هجرة اليوم) أي بعد الفتح .

قوله (كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه الخ) أشارت عائشة إلى بيان مشروعية الهجرة وأن سببها خوف الفتنة، والحكم يدور مع علته، فمقتضاه أن من قدر على عبادة الله في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه وإلا وجبت، ومن ثم قال الماوردي: إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في أوائل الجهاد في «باب وجوب النفير» في الجمع بين حديث ابن عباس «لا هجرة بعد الفتح» وحديث عبد الله بن السعدي «لا تنقطع الهجرة» وقال الخطابي: كانت الهجرة أي إلى النبي ﷺ في أول الإسلام مطلوبة، ثم افترضت لما هاجر إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع

الدين، وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال تعالى: {والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا} فلما فتحت مكة ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقى الاستحباب. وقال البغوي في «شرح السنة»: يحتمل الجمع بينهما بطريق أخرى بقوله «لا هجرة بعد الفتح» أي من مكة إلى المدينة، وقوله «لا تنقطع» أى من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام، وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ «انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار» أي مادام في الدنيا دار كفر، فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن عن دينه، ومفهومه أنه لو قُدّر أن {لا} يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها والله اعلم، وقوله هنا (فهاجر عشر سنين) أي أقام مهاجرا عشر سنين.

٣٩٠٥ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: «لم أعقلْ أبويَّ قطُّ إلا وهُمَا يَدينان الدِّين ولم يَمرَّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طرَفَي النهار: بُكرةً وعَشيَّة. فلمَّا ابتُلي المسلمون، خرَجَ أبو بكرٍ مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغَ بَرْكَ الغماد لَقيَهُ ابن الدَّغنَة -وسيِّدُ القارة- فقال: أين تُريدُ يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجَني قومي فأريدُ أن أسيحَ في الأرضِ وأعبُدَ ربي، قال ابنُ الدَّغِنَة: فان مِثلَكَ يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، إنك تكسِبُ المعدوم، وتَصِلُ الرحم، وتحمِلُ الكَلّ، وتَقري الضَّيف، وتُعين على نوائبِ الحقّ. فأنا لك جار، ارجِعْ واعبُد ربَّك ببلدك. فرجع، وارتحلَ معهُ ابنُ الدَّغِنة، فطافَ ابنُ الدغِنةِ عَشيَّةً في أشراف قُرَيش فقال لهم: إن أبا بكرٍ لا يَخرُج مثلُهُ ولا يُخرجَ، أتُخرجونَ رجلاً يكسِبُ المعدوم، ويصِلُ الرَّحمِ، ويَحمِلُ الكَلَّ، ويَقري الضيف، ويُعينُ على نَوائبِ الحقّ؟ فلم تكذِّب قُريش بجوارِ ابنِ الدَّغِنة، وقالوا لابن الدَّغنة: مُرْ أبا بكرٍ فَلْيَعبُد ربَّهُ في دارِه، فَليُصَلّ فيها وليَقرَأ ما شاءَ؛ ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلِنْ به، فإنا نخشى أن يَفتِنَ نِساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابنُ الدَّغِنة لأبي بكر، فلَبِثَ أبو بكرٍ بذلك يعبُدُ ربهُ في دارِهِ ولا يَستعلِنُ بصلاتِه ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتني مسجدا بفِناءِ دارِهِ وكان يُصلِّي فيه ويقرأ القرآن فيتقذَّفُ عليه نساء المشركينَ وأبناؤُهُمْ وهُمْ يَعجَبونَ منه وينظُرون إليه. وكان أبو بكرٍ رجُلاً بكّاءً لا يملِكُ عينيهِ إذا قرأ القرآنَ؛ فأفزَعَ ذلكَ أشرافَ قريشٍ منَ المشركين، فأرسَلوا إلى ابنِ الدغنة، فقدِمَ عليهِمْ، فقالوا: إنَّا كُنَّا أجَرنا أبا بكرٍ بجوارِكَ على أن يعبُدَ ربهُ في داره، فقد جاوَزَ ذلك فابتَنى مسجداً بفِناءِ دارِهِ فأعلنَ بالصلاةِ والقراءةِ فيه، وإنَّا قد خَشينا أن يفتِنَ نساءنا وأبناءنا، فانهَهُ؛ فإن أحبَّ أن

يقتَصِرَ على أن يعبُدَ ربهُ في داره فعلَ، وإن أبى إلا أن يُعلِنَ بذلك فسَلْهُ أن يردَّ إليكَ ذِمَّتَكَ، فإنّا قد كرهنا أن نُخفِرك، ولسنا بمقرِّين لأبي بكرٍ الاستِعلان. قالت عائشة: فأتى ابنُ الدغنةِ إلى أبي بكرٍ فقال: قد علمتَ الذي عاقَدْتُ لك عليه، فإمّا ان تَقْتَصِرَ على ذلك وإما أن تَرجعَ إليَّ ذِمتي، فإني لا أحبُّ أن تَسمعَ العربُ أني أُخفِرتُ في رجلٍ عقدتُ له. فقال أبو بكر: فإني أَرُدُّ إليك جوارك، وأرضَى بجوار اللهِ عزَّ وجلَّ، والنبيُّ ﷺ يومئذ بمكة، فقال النبيُّ ﷺ للمسلمين: إني أُريتُ دارَ هجرتِكم ذاتَ نخلٍ بينَ لابَتَين، وهما الحرَّتان، فهاجرَ من هاجرَ قِبَلَ المدينة، ورجعَ عامةُ من كان هاجرَ بأرضِ الحبشة إلى المدينة، وتجهَّزَ أبو بكرٍ قبل المدينة فقال لهُ رسولُ اللهِ ﷺ: على رِسْلِك، فإني أرجو أن يُؤْذَنَ لي. فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم. فحبسَ أبو بكرٍ نفسَهُ على رسول الله ﷺ ليَصحبَه، وعلفَ راحلتين كانتا عندَه ورقَ السَّمُر -وهو الخَبط- أربعةَ أشهر، قال ابنُ شهابٍ قال عروةُ قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جُلوسٌ في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائلٌ لأبي بكر هذا رسول الله ﷺ متقنعاً -في ساعة لم يكن يأتينا فيها- فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاءَ به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسولُ اللهِ ﷺ فاستأذنَ، فأذِنَ لهُ، فَدَخَلَ. فقالَ النبيُّ ﷺ لأبي بكرٍ: أخرجَ مَن عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يارسول الله، قال: فإني قد أُذِنَ لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يارسول اللهِ قال رسول الله ﷺ: نعم. قال أبو بكر: فُخذ بأبي أنت يارسول الله إحدَى راحلتيَّ هاتين قال: رسولُ اللهِ ﷺ: بالثمن. قالت عائشة: فجهَّزناهما أحثَّ الجهاز، وصنَعْنا لهما سُفرةً في جرابٍ، فقطعَت أسماء بنتُ أبي بكرٍ قِطعةً من نِطاقها فربطَت به على فم الجراب، فبذلِكَ سميت ذات النطاق. قالت: ثمَّ لحقَ رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ بغار في جبل ثور، فكَمَنا فيه ثلاثَ ليال، يبيتُ عندَهما عبدُ الله بن أبي بكر وهو غلام شابٌ ثَقِفٌ لَقِن، فيُدلجُ من عندهما بسَحَر، فيُصبح معَ قريشٍ بمكةَ كبائتٍ، فلا يَسمعُ أمراً يُكتادانِ به إلا وَعاهُ حتى يأتيَهما بخبر ذلك حين يَختلطُ الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فُهَيرةَ مولى أبي بكر مِنحةً من غَنَم فيُريحها عليهما حينَ تذهبُ ساعةٌ من العِشاءِ فيبيتانِ في رِسلٍ -وهو لبن مِنحتِهما ورَضيفهما- حتى ينعِقَ بها عامرُ بنُ فهيرة بغَلَسٍ، يفعلُ ذلك في كلِّ ليلةٍ من تلك الليالي الثلاث. واستأجرَ رسول اللهِ ﷺ وأبو بكر رجُلا من بني الدِّيل، وهو من بني عبدِ بن عدي هادياً خرِّيتا ،والخرِّيت الماهر بالهداية - قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي، وهو علي دين كفار قريش، فأمِناهُ ، فدَفَعا إليه راحِلتَيهما، وواعداهُ غار ثورٍ بعد ثلاثِ ليال براحِلَتَيهما صبحَ ثلاث، وانطلقَ معهما عامرُ

بنُ فُهَيرةَ والدِّليل، فأخذَ بهم طريقَ السواحل».

قوله (لم أعقل أبوي) يعني أبا بكر وأم رومان.

قوله (يدينان الدين) أي يدينان بدين الإسلام.

قوله (فلما ابتلي المسلمون) أي بأذى المشركين لما حصروا بني هاشم والمطلب في شعب أبي طالب وأذن النبي ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة كما تقدم بيانه.

قوله (خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة) أي ليلحق بمن سبقه إليها من المسلمين، وقد قدمت أن الذين هاجروا إلى الحبشة أولا ساروا إلى جدة وهي ساحل مكة ليركبوا منها البحر الى الحبشة.

قوله (برك الغماد) موضع على خمس ليال من مكة إلي جهة اليمن.

قوله (وهو سيد القارة) وهي قبيلة مشهورة من بني الهُون.

قوله (أخرجني قومي) أي تسببوا في إخراجي.

قوله (فأريد أن أسيح) بالمهملتين؛ لعل أبا بكر طوى عن ابن الدغنة تعيين جهة مقصده لكونه كان كافرا، وإلا فقد تقدم أنه قصد التوجه إلى أرض الحبشة، ومن المعلوم أنه لا يصل إليها من الطريق التي قصدها حتى يسير في الأرض وحده زمانا فيصدق أنه سائح، لكن حقيقة السياحة أن لا يقصد موضعا بعينه يستقر فيه.

قوله (وأنا لك جار) أي مجير أمنع من يؤذيك.

قوله (فرجع) أي أبو بكر (وارتحل معه ابن الدغنة) وقع في الكفالة «وارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبي بكر»

قوله (لا يَخرج مثله) أي من وطنه باختياره على نية الإقامة في غيره مع ما فيه من النفع المتعدي لأهل بلده (ولا يُخرج) أي ولا يخرجه أحد بغير اختياره للمعنى المذكور، واستنبط بعض المالكية من هذا أن من كانت فيه منفعة متعدية لا يمكن من الانتقال عن البلد إلى غيره بغير ضرورة راجحة.

قوله (فلم تكذب قريش) أي لم ترد عليه قوله في أمان أبي بكر.

قوله (فأفزع ذلك) أي أخاف الكفار لما يعلمونه من رقة قلوب النساء والشباب أن يميلوا إلى دين الإسلام.

قوله (نخفرك) أي نغدر بك.

قوله (مقرين[١] لأبي بكر الاستعلان) أي لانسكت عن الإنكار عليه للمعنى الذي ذكروه من الخشية على نسائهم وأبنائهم أن يدخلوا في دينه.

---

(١) رواية الباب "لسنا بمقرين" واليونينية توافق الشرح.

قوله (وأرضى بجوار الله) أي أمانه وحمايته، وفيه جواز الأخذ بالأشد في الدين، وقوة يقين أبي بكر.

قوله (والنبي ﷺ يومئذ بمكة) في هذا الفصل من فضائل الصديق أشياء كثيرة قد امتاز بها عمن سواه ظاهرة لمن تأملها.

قوله (على رسلك) بكسر أوله أي على مهلك، والرسل السير الرفيق.

قوله (فحبس نفسه) أي منعها من الهجرة .

قوله (في نحر الظهيرة) أي أول الزوال وهو أشد ما يكون في حرارة النهار، والغالب في أيام الحر القيلولة فيها.

قوله (هذا رسول الله متقنعا) أي مغطيا رأسه.

قوله (إنما هم أهلك) أشار بذلك إلى عائشة وأسماء كما فسره موسى بن عقبة، ففي روايته قال: «أخرج من عندك، قال: لا عين عليك، إنما هما ابنتاي».

قوله (إحدى راحلتي هاتين، قال[1]بالثمن) زاد ابن إسحق «قال: لا أركب بعيراً ليس هو لي، قال: فهو لك، قال: لا ولكن بالثمن الذي ابتعتها به، قال: أخذتها بكذا وكذا، قال: أخذتها بذلك، قال: هي لك» وفي حديث أسماء بنت أبي بكر عند الطبراني «فقال: بثمنها يا أبا بكر فقال: بثمنها إن شئت» ونقل السهيلي في «الروض» عن بعض شيوخ المغرب أنه سئل عن امتناعه من أخذ الراحلة مع أن أبا بكر أنفق عليه ماله، فقال: أحب أن لا تكون هجرته إلا من مال نفسه.

قوله (وصنعنا لهما سفرة في جراب) أي زادا في جراب.

قوله (ذات النطاق) النطاق ما يشد به الوسط.

قوله (قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور)، وقال الحاكم تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الإثنين ودخوله المدينة كان يوم الإثني، وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: فرقد علي على فراش رسول الله ﷺ يوري عنه، وباتت قريش تختلف وتأتمر أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه، حتى أصبحوا فإذا هم بعلي؛ فسألوه، فقال لا علم لي فعلموا أنه فر منهم، وذكر ابن إسحق نحوه وزاد «أن جبريل أمره لا يبيت على فراشه فدعا عليا فأمره أن يبيت على فراشه ويسجي ببرده الأخضر، ففعل، ثم خرج النبي ﷺ على القوم ومعه حفنة من تراب، فجعل ينثرها على رءوسهم وهو يقرأ يس إلى {فهم لا يبصرون}. وذكر أحمد من حديث ابن عباس بإسناد حسن في قوله تعالى {وإذ يمكر بك الذين كفروا} الآية، قال: «تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون

(١) رواية الباب واليونينية "قال رسول الله ﷺ الثمن"

النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه على ذلك فبات علي على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ، يعني ينتظرونه حتى يقوم فيفعلون به ما اتفقوا عليه، فلما أصبحوا ورأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال».

قوله (فكمنا فيه) أي اختفيا

قوله (ثقف) الحاذق، قوله (لقن) السريع الفهم

قوله (فيدلج) أي يخرج بسحر إلى مكة.

قوله (منحة) تقدم بيانها في الهبة[1]، وتطلق أيضا على كل شاة.

قوله (في رسل) اللبن الطري.

قوله (ورضيفهما) أي اللبن المرضوف أي التي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته.

قوله (قد غمس) (حلفا) أي كان حليفا، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم في دم أو خلوق أو في شيء يكون فيه تلويث فيكون ذلك تأكيداً للحلف.

٣٩٠٦ ـ عن عبدِ الرَّحمنِ بن مالك المُدْلجيِّ -وهُوَ ابن أخي سُراقةَ بن مالك ابن جعشم- أن أباه أخبره أنه سمعَ سُراقةَ بن جُعشُمٍ يقول «جاءنا رُسُل كفَّارِ قريشٍ يجعلونَ في رسولِ اللهِ ﷺ وأبي بكرٍ ديةَ كلِّ واحدٍ منهما لمن قَتلَهُ أو أسرهَ. فبينما أنا جَالسٌ في مجلسٍ من مجالسِ قومي بني مُدلج إذا أقبلَ رجل منهم حتى قام علينا ونحن جُلوس فقال: يا سُراقة، إني قد رأيتُ آنفاً أسودةً بالساحِلِ أراها محمداً وأصحابه. قال سُراقة: فعرفتُ أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنَّكَ رأيتَ فلاناً وفلانا انطلقوا بأعيُنِنا، ثمَّ لبثتُ في المجلسِ ساعةً، ثمَّ قمتُ فدخلتُ فأمرت جاريتي أن تخرُج بفرسي - وهي مِن وراءِ أكَمة- فتَحبِسَها عليَّ وأخذتُ رُمحي فخرجتُ بهِ من ظهر البيت فخَططت بزُجِّهِ الأرضَ، وخَفَضْتُ عاليه، حتى أتيت فرَسي فركبتُها، فرفعتُها تقرِّب بي، حتى دنوتُ منهم، فعَثَرَتْ بي فرسي، فخررتُ عنها، فقُمتُ فأهوَيت يدي إلى كِنانتي فاستخرجتُ منها الأزلامَ، فاستَقسَمت بها: أضرُّهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبتُ فرسي - وعصيتُ الأزلامَ- تقرِّب بي، حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسولِ اللهِ ﷺ وهُوَ لا يلتفتُ، وأبو بكرٍ يُكثرُ الالتِفاتَ، ساخَتْ يَدا فرَسي

(١) كتاب الهبة باب / ٣٥ ح ٢٦٢٩ - ٢ / ٤٦٢

في الأرض حتى بَلغَتا الرُّكبَتين، فَخَررتُ عنها، ثم زجرتها، فنهضَت فلم تكَد تُخرِجُ يدَيها، فَلَمَّا استَوتْ قائمةً إذا لأثر يدَيها عُثانٌ ساطِعٌ في السماءِ مثلُ الدُّخان، فاستقسمتُ بالأزلام فخرجَ الذي أكرَه فنادَيتهم بالأمان، فوَقَفوا، فركِبْتُ فرسي حتى جئتهم. ووقعَ في نفسي حينَ لقيتُ مالقيتُ من الحبس عنهم أن سيَظهَرُ أمرُ رسولِ اللهِ ﷺ، فقلتُ له: إنَّ قومَكَ قد جعلوا فيكَ الدِّيَة. وأخبَرتهم أخبار ما يُريدُ الناسُ بهم، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاعَ، فلم يَرْزَآني، ولم يسألاني إلا أن قال: أخفِ عنّا فسألتهُ إن يكتُبَ لي كتابَ أمنٍ، فأمرَ عامرَ بنَ فُهَيرةَ فكتبَ في رُقعةٍ من أدم، ثُمَّ مضى رسولُ الله ﷺ».

قالَ ابنُ شهابٍ: فأخبرَني عُروةُ بن الزُّبيرِ «أنَّ رسولَ الله ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ في ركبٍ منَ المسلمينَ كانوا تِجاراً قافلينَ من الشام، فكسا الزُّبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكرٍ ثيابَ بَياض. وسمعِ المسلمون بالمدينةِ مَخرجَ رسولِ اللهِ ﷺ من مكة، فكانوا يَغدونَ كلَّ غداةٍ إلى الحرَّةِ فيَنتظِرونه، حتى يردُّهم حرُّ الظهيرَةِ، فانقلبوا يوماً بعدَ ما أطالوا انتِظارَهم، فلما أوَوْا إلى بيوتهم أوفى رجلٌ من يهودَ على أُطُمٍ من آطامهم لأمرٍ يَنظرُ إليه، فبصُرَ برسول الله وأصحابِه مُبيَّضينَ يَزولُ بهم السَّرابُ، فلم يملِكِ اليهوديُّ أن قالَ بأعلى صَوتِه: يا معاشرَ العرب، هذا جَدُّكم الذي تنتَظِرون. فثار المسلمون إلى السلاحِ، فتلقَّوا رسولَ اللهِ ﷺ بظهرِ الحرة، فعدَلَ بهم ذاتَ اليَمينِ حتى نزلَ بهم في بني عمرو بن عوف، وذلكَ يومَ الإثنينِ من شهر ربيعِ الأول، فقام أبو بكرٍ للناس، وجلسَ رسولُ الله ﷺ صامتا، فطفِقَ من جاءَ مَن الأنصار ممن لم يَرَ رَسولَ اللهِ ﷺ - يُحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمسُ رسولَ الله ﷺ فأقبَلَ أبو بكرٍ حتى ظلَّلَ عليه بردائه، فعرفَ الناسُ رسولَ اللهِ ﷺ عندَ ذلك ، فَلَبِثَ رسولُ اللهِ ﷺ في بني عمرو بن عَوف بضعَ عشرةَ ليلة، وأُسِّسَ المسجدُ الذي أُسِّسَ على التقوى، وصلى فيه رسولُ الله ﷺ، ثمَّ ركب راحلته، فسارَ يمشي معه الناسُ، حتى بَرَكَتْ عند مسجدِ الرسولِ ﷺ بالمدينة، وهُوَ يُصلِّي فيه يومئذٍ رجالٌ منَ المسلمين، وكان مِرْبَداً للتمرِ لسهيلٍ وسهلٍ غلامَين يَتيمين في حَجْر سَعد بن زُرارةَ، فقال رسول الله ﷺ حِين بَركت به راحلته: هذا إنْ شاء اللهُ المنزل. ثُمَّ دعا رسولُ الله ﷺ الغُلامَين فساوَمَهما بالمِربَدِ ليتَّخِذَهُ مسجداً، فقالا: لا، بل نَهَبُهُ لك يارسولَ الله، فأبى رسولُ اللهِ ﷺ أن يَقبلَهُ منهما هِبةً حتى ابتاعَهُ منهما، ثمَّ بناهُ مسجداً، وطفِقَ رسولُ اللهِ ﷺ ينقل معَهمُ اللبنَ في بُنيانهِ ويقول: وهوَ ينقلُ اللبن:

هذا الحِمالُ لا حِمال خَيبر هذا أبرُّ ربنـا وأطهـر

ويقول : اللهم إن الأجر أجرُ الآخرة ارحَم الأنصارَ والمهـاجرَة

فتمثلَ بشعر رجُل من المسلمين لم يُسَمَّ لي

قال ابنُ شهاب: ولم يَبْلغْنا - في الأحاديث - أن رسولَ الله ﷺ تمثلَ ببيتِ شعرٍ تام غير هذهِ الأبيات

٣٩٠٧ - عن هشامٍ عن أبيهِ وفاطمةَ عن أسماءَ رضيَ الله عنها «صنعتُ سُفرةً للنبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ حينَ أرادا المدينةَ، فقلتُ لأبي: ما أجِد شيئاً أربطه إلا نطاقي، قال: فشُقِّيهِ، ففعلتُ، فسمِّيتُ ذاتَ النِّطاقَين».

وقالَ ابن عباس «أسماءُ ذات النِّطاق»

٣٩٠٨ - عن البَراء رضيَ اللهُ عنه قال: «لما أقبلَ النبي ﷺ إلى المدينة تَبِعَهُ سُراقة بن مالك بن جُعشُم، فدَعا عليهِ النبيُّ ﷺ فساخَتْ به فرسُهُ. قال: ادعُ اللهَ لي ولا أضُرُّك، فدعا له، قال فعطِشَ رسولُ الله ﷺ فمرَّ براعٍ، قالَ أبو بكر: فأخذتُ قدحًا فحلبتُ فيه كُثْبةً من لبَن فشرِبَ حتى رَضيت».

قوله (دية كل واحد) أي مائة من الإبل.

قوله (رأيت آنفا) أي في هذه الساعة،

قوله (أسودة) أي أشخاصا.

قوله (بزجه) الحديدة التي في أسفل الرمح

قوله (وخفضت) أي أمسكه بيده وجر زجه على الأرض فخطها به لئلا يظهر بريقه لمن بعد منه، لأنه كره أن يتبعه منهم أحد فيشركوه في الجعالة.

قوله (ساخت) أي غاصت.

قوله (عثان) أي دخان وذكر أبو عبيد في غريبه قال: وإنما أراد بالعثان الغبار نفسه، شبه غبار قوائمها بالدخان.

قوله (فلم يرزآني) أي لم ينقصاني مما معي شيئاً

قوله (أوفى رجل من يهود) أي طلع إلى مكان عال فأشرف منه، هو الحصن، ويقال: كان بناء من حجارة كالقصر.

قوله (فقام أبو بكر للناس) أي يتلقاهم.

قوله (فطفق) أي جعل (من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يُحَيي أبا بكر) أي يسلم عليه.

قلت: ظاهر السياق يقتضي أن الذي يحيي ممن لا يعرف النبي ﷺ يظنه أبابكر فلذلك يبدأ بالسلام عليه، ويدل عليه قوله في بقية الحديث «فأقبل أبو بكر يظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ».

قوله (وأسس المسجد الذي أسس على التقوى) أى مسجد قباء وروى ابن أبي شيبة عن

جابر قال: «لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله ﷺ بسنين نعمر المساجد ونقيم الصلاة» وقد اختلف في المراد بقوله تعالى: {لمسجد أسس على التقوى من أول يوم} فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء هذا وهو ظاهر الآية.

وروى مسلم من طريق عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه «سألت رسول الله ﷺ عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال: هو مسجدكم هذا» ولأحمد والترمذي من وجه آخر عن أبي سعيد «اختلف رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما: هو مسجد النبي ﷺ، وقال الآخر: هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال: هو هذا، وفي ذلك -يعني مسجد قباء خير كثير»، قال الداودي وغيره: ليس هذا اختلافا، لأن كلا منهما أسس على التقوى

قوله (ثم ركب راحلته)، وعند الحاكم من طريق إسحاق بن أبي طلحة عن أنس «جاءت الانصار فقالوا إلينا يا رسول الله، فقال: دعوا الناقة فإنها مأمورة، فبركت على باب أبي أيوب».

قوله (حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة) في حديث البراء عن أبي بكر «فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه فقال: إني أنزل على أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك» وعند ابن عائذ عن الوليد بن مسلم وعند سعيد بن منصور كلاهما عن عطاف بن خالد «أنها استناخت به أولا فجاءه ناس فقالوا: المنزل يا رسول الله، فقال دعوها، فانبعثت حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد، ثم تحلحلت فنزل عنها، فأتاه أبو أيوب فقال: إن منزلي أقرب المنازل فأذن لي أن أنقل رحلك، قال: نعم، فنقل وأناخ الناقة في منزله» وذكر ابن سعد أن أبا أيوب لما نقل رحل النبي ﷺ إلى منزله قال النبي ﷺ «المرء مع رحله» وأن سعد بن زرارة جاء فأخذ ناقته فكانت عنده، قال وهذا أثبت.

قوله (وكان) أي موضع المسجد (مربدا) هو الموضع الذي يجفف فيه التمر. وقال الأصمعي: المربد كل شيء حبست فيه الإبل أو الغنم.

قوله (وطفق رسول الله ﷺ) أي جعل (ينقل معهم اللبن) أي الطوب المعمول من الطين الذي لم يحرق، وفي الحديث جواز قول الشعر وأنواعه خصوصا الرجز في الحرب، والتعاون على سائر الأعمال الشاقة، لما فيه من تحريك الهمم وتشجيع النفوس وتحركها على معالجة الأمور الصعبة.

٣٩٠٩ - عن أسماء رضي الله عنها أنها حملت بعبدِ اللهِ بن الزُّبيرِ، قالت: فخرجتُ وأنا مُتِمٌّ، فأتيتُ المدينةَ، فنزلتُ بقُباءَ فولَدتهُ بقباء، ثمَّ أتيتُ به النبيَّ ﷺ فوَضعتُهُ في حَجْرِهِ، ثمَّ دعا بتمرةٍ فمضَغَها ثُمَّ تفلَ في فيه، فكان أولَ شيءٍ دخلَ جَوفَهُ ريقُ رسولِ اللهِ

ﷺ، ثمَّ حنَّكَهُ بتمرةٍ، ثمَّ دعا له وبرَّكَ عَلَيْهِ، وكانَ أولَ مولود وُلِدَ في الإسلام».

وعن أسماء رضي الله عنها «أنها هاجرت إلى النبي ﷺ وهي حبلى»

[الحديث ٣٩٠٩ - طرفه في: ٥٤٦٩]

٣٩١٠ - عن عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ: «أولُ مولودٍ وُلِدَ في الإسلام عبدُ الله بن الزُّبير. أتوا به النبيَّ ﷺ، فأخذَ النبيُّ ﷺ تمرةً فلاكَها، ثمَّ أدخلَها في فيهِ، فأولُ ما دخلَ بطنَهُ ريقُ النبيِّ ﷺ».

الحديث السابع عشر حديث أسماء بنت أبي بكر أنها حملت بعبد الله بن الزبير يعني بمكة.

قوله (وأنا متم) أي قد أتممت مدة الحمل الغالبة وهي تسعة أشهر، ويطلق «متم» أيضاً على من ولدت لتمام.

قوله (ثم حنكه) أي وضع في فيه التمرة، ودلك حنكه بها.

قوله (وبرك عليه) أي قال بارك الله فيه، أو اللهم بارك فيه.

قوله (وكان أول مولود ولد في الإسلام) أي بالمدينة من المهاجرين، فأما من ولد بغير المدينة من المهاجرين فقيل عبد الله بن جعفر بالحبشة؛ وأما من الأنصار بالمدينة فكان أول مولود ولد لهم بعد الهجرة مسلمة بن مخلد كما رواه ابن أبي شيبة وقيل النعمان بن بشير. وفي الحديث أن مولد عبد الله بن الزبير كان في السنة الأولى وهو المعتمد.

٣٩١١ - عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «أقبلَ نبيُّ الله ﷺ إلى المدينة وهوَ مُردِفٌ أبا بكر، وأبو بكر شيخ يُعرَف ونبي الله ﷺ شابٌّ لا يُعرَف. قال فَيلقى الرجلُ أبا بَكْر فيقولُ: يا أبا بكر مَنْ هذا الرجل الَّذي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيقولُ: هَذَا الرَّجُل يَهديني السبيل، قالَ فيحسبُ الحاسبُ أنهُ إنما يَعني الطريقَ، وإنما يعني سبيل الخير. فالتفتَ أبو بكر فإذا هُوَ بفارسٍ قد لَحِقهم، قال: يارسولَ اللهِ، هذا فارسٌ قد لحقَ بنا، فالتفتَ نبيُّ الله ﷺ فقالَ: اللَّهُمَّ اصرَعْهُ؛ فصرعه الفرَس، ثم قامت تُحمحمُ، فقال: يا نبيَّ الله مرني بمَا شئتَ.قال فقفْ مكانَكَ، لا تَتْرُكَنَّ أحداً يَلحقُ بنا. قال فكان أوَّلَ النهار جاهداً على نبيِّ اللهِ ﷺ، وكانَ آخرَ النَّهار مَسْلحةً له فنَزَل رسولُ اللهِ ﷺ جانبَ الحرَّة، ثُمَّ بَعَثَ إلى الأنصار فَجَاءوا إلى نبيِّ الله ﷺ وأبي بكر فسلَّموا عليهما وقالوا: اركبا آمنين مُطاعَين. فركبَ نبيُّ الله ﷺ وأبو بكرٍ وحَفُّوا دونَهما بالسلاح، فقيل في المدينة: جاءَ نبيُّ الله، جاءَ نبي الله ﷺ، فأشرَفوا ينظرونَ ويقولون: جاء نبيُّ اللهِ. فأقبلَ يسيرُ حتي نزل جانب دارِ أبي أيوب، فإنَّهُ ليحدث أهله إذ سَمِعَ بهِ عَبْدُ الله بن سلام وهُوَ في نخلٍ لأهله يَختَرِف لهم، فَعَجِلَ أن يَضعَ الذي يَختَرِف لهم فيها، فجاءَ وهيَ معَهُ، فسمعَ من نبيِّ اللهِ

ﷺ ثُمَّ رجعَ إلى أهْلِهِ، فقالَ نبيُّ اللهِ ﷺ: أيُّ بيوتِ أهلِنا أقربُ؟ فقال أبو أيوب: أنا يا نبيَّ اللهِ، هذهِ داري وهذا بابي. قال: فانطلقْ فهيِّءْ لنا مَقيلا، قالَ: قُوْما على بركةِ اللهِ. فلما جاء نبيُّ اللهِ ﷺ جاءَ عبْدُ اللهِ بنِ سلامٍ فقال: أشهدُ أنكَ رسولُ اللهِ، وأنكَ جئتَ بحقّ، وقد علمتْ يهودُ أني سيِّدُهم وابنُ سيدِهم وأعلمُهم وابنُ أعلمِهم، فادعُهم فاسألهم عني قبلَ أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليسَ فِيَّ فأرْسل نبيُّ الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهُمْ رسول الله ﷺ: يا مَعشَر اليهود، ويْلَكم اتقوا اللهَ، فو اللهِ الذي لا إلهَ إلاّ هوَ إنكم لتعلمونَ أني رسولُ اللهِ حقًّا، وأني جئتكم بحق، فأسلِموا. قالوا: ما نَعلمه -قالوا للنبيِّ ﷺ قالها ثلاثَ مِرار - قالَ: فَأيُّ رجل فيكم عَبْدُ اللهِ بن سَلام؟ قالوا: ذاك سيدُنا وابنُ سيدنا، وأعلَمُنا وابنُ أعلمنا. قال: أفرأيتم إن أسلمَ؟ قالوا: حاشا للّهِ ما كانَ ليُسلِمَ. قالَ: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا حاشا للّهِ ما كانَ ليُسلِمَ. قالَ: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا للّه ما كانَ ليُسلِمَ. قالَ: يا ابنَ سَلام اخرُجْ عليهم. فخرج، فقالَ: يا معشرَ اليهود، اتقوا اللهَ، فَوَ اللهِ الَّذي لا إلهَ إلا هُوَ إنَّكُمْ لتعلمون أنه رسولُ اللهِ، وأنه جاء بحق. فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسولُ اللهِ ﷺ».

قوله (وأبوبكر شيخ) يريد أنه قد شاب، وقوله «يعرف» أي لأنه كان يمر على أهل المدينة في سفر التجارة، بخلاف النبي ﷺ في الأمرين، فإنه كان بعيد العهد بالسفر من مكة، ولم يشب وإلا نفي نفس الأمر كان هو عليه الصلاة والسلام أسنَّ من أبي بكر.

قوله (ونبي الله شاب لا يعرف)، وأما أبو بكر فثبت في صحيح مسلم عن معاوية أنه عاش ثلاثاً وستين سنة، وكان قد عاش بعد النبي ﷺ سنتين وأشهرا فيلزم على الصحيح في سن أبي بكر أن يكون أصغر من النبي ﷺ بأكثر من سنتين.

قوله (يهديني السبيل)

بين سبب ذلك ابن سعد في رواية له «أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: إلْهِ الناس عني، فكان إذا سئل من أنت قال: باغي حاجة، فإذا قيل: من هذا معك؟ قال: هاد يهديني».

يريد الهداية في الدين ويحسبه الآخر دليلا.

قوله (فهيء لنا مقيلاً) أي مكانا تقع فيه القيلولة.

٣٩١٢ ـ عن عُمَرَ بنِ الخطاب رضيَ اللهُ عنهُ قال: «كانَ فرَض للمهاجرين الأوَّلين أربعة آلاف في أربعة، وفَرضَ لابن عمرَ ثلاثة آلاف وخمسَمائةٍ. فقيل له: هو منَ المهاجرين، فلم نَقَصتَه من أربعةِ آلاف؟ فقال: إنما هاجرَ به أبَواه. يقول: ليس هوَ كَمن هاجرَ بنفسه».

٣٩١٣ ـ عن خبّابٍ قال: «هاجرنا معَ رسولِ اللهِ ﷺ....» ح

٣٩١٤ ـ عن خبّابٍ قالَ «هاجرنَا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ نَبْتَغي وَجْهَ الله ووجَبَ أجرُنا

على اللهِ، فمنا مَن مضى لم يأكلْ من أجرهِ شيئاً، منهم مُصعَبُ بن عُمير قُتِلَ يومَ أُحُد فلم نجِدْ شيئاً نكفنهُ فيه إلا نَمرةً كنّا إذا غطَّيْنا بها رأسَهُ خرَجَت رجلاه، فإذا غطينا رجليهِ خرَجَ رأسُه ، فأمرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أن نُغطيَ رأسَهَ بها، ونجعلَ على رجليه من إذخِر. ومنّا من أينَعَت له ثمرته فَهُوَ يَهدبُها».

٣٩١٥ ـ عن ابن أبي مُوسَى الأشْعَرِيِّ قالَ: «قالَ لِي عَبْدُ اللهِ بن عمر: هل تدري ما قال أبي لأبيك؟ قال قلت: لا. قالَ: فإن أبي قالَ لأبيك: يا أبَا موسى، هل يسرُّكَ إسلامُنا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ وَهجرتُنَا مَعَهُ وجهادُنا معه وعملُنا كلهُ معهُ بَرَد لنا، وأنَّ كلَّ عملٍ عملناهُ بعدَهُ نَجونا منه كَفافاً رأساً برأس؟ فقال أبي: لا واللهِ، قد جاهَدنا بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ وصَلَّينا وصُمنا وعَمِلنا خيراً كثيراً وأسلمَ على أيدينا بَشَرٌ كثيرٌ، وأنا لنَرجو ذلك. فقال أبي: لكنِّي أنا والذي نفسُ عمرَ بيده لوددتُ أن ذلكَ بَرَدَ لنا وأن كلَّ شيء عملناهُ بعدُ نَجَونا منه كَفافاً رأساً برأس. فقلتُ: إنَّ أباكَ واللهِ خيرٌ من أبي».

قوله (بَرَد لنا) أي ثبت لنا ودام.

قوله (فقلت) القائل هو أبو بردة، وخاطب بذلك ابن عمر فأراد أن عمر خير من أبي موسى، وأراد من الحيثية المذكورة وإلا فمن المقرر أن عمر أفضل من أبي موسى عند جميع الطوائف، لكن لا يمتنع أن يفوق بعض المفضولين بخصلة لا تستلزم الأفضلية المطلقة، ومع هذا فعمر في هذه الخصلة المذكورة أيضاً أفضل من أبي موسى، لأن مقام الخوف أفضل من مقام الرجاء، فالعلم محيط بأن الآدمي لا يخلو عن تقصيرٍ ما في كل ما يريد من الخير، وإنما قال عمر ذلك هضما لنفسه، وإلا فمقامه في الفضائل والكمالات أشهر من أن يذكر.

٣٩١٦ ـ عن أبي عثمان قالَ «سَمِعْتُ ابنَ عُمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا إذَا قِيلَ لَهُ هَاجَرَ قَبْلَ أبِيهِ يغضبُ. قال: وقدِمتُ أنا وعمرُ على رسول اللهِ ﷺ فَوَجدناهُ قائلاً فرجَعنا إلى المنزل، فأرسلني عُمرُ وقال: اذهَبْ فانظرْ هلِ استيقظَ؟ فأتيتُهُ فدخلتُ عليهِ فبايعتهُ، ثُمَّ انطلقتُ إلى عمرَ فأخبرتهُ أنه قدِ استيقظ، فانطلقْنَا إليهِ نُهَرْوِلُ هَرولَةً حتى دَخَلَ عَلَيْهِ فَبَايعَهُ، ثمَّ بايعتُه»

[الحديث ٣٩١٦ - طرفاه في: ٤١٨٦، ٤١٨٧]

٣٩١٧ ـ عن أبي إسحاقَ قالَ: «سمعتُ البراءَ يحدِّث قال: ابتاعَ أبو بكرٍ من عازبٍ رحْلاً» فحملته معه. قال: فسألهُ عازبٌ عن مَسير رسول اللهِ ﷺ، قالَ: أخِذَ علينا بالرَّصَدِ، فخَرجنا ليلاً، فأحثَثْنا ليلتَنا ويومَنَا حتَّى قامَ قائمُ الظهيرةِ، ثمَّ رفعت لنا صخرة، فأتَيْنَاهَا ولَهَا شيء من ظِل. قال: ففرَشتُ لرسولِ اللهِ ﷺ فروَةً معي، ثُمَّ اضطجَعَ عليها النبيُّ ﷺ، فانطلَقْتُ أنفُضُ ماحولَهُ، فإذا أنا براعٍ قد أقبلَ في غنيمةٍ يُريدُ من الصخرةِ

مثلَ الذي أرَدْنا، فسألتهُ: لِمَنْ أنتَ يا غلامُ؟ فقال: أنا لفلان. فقلتُ له: هَلْ في غنمكَ مِنْ لبَن؟ قال: نعم. فقلتُ له: هل أنتَ حالبٌ؟ قال: نعم. فأخَذَ شاةً من غَنمه، فقلتُ له: انْفض الضَّرعَ، قال فحلبَ كُثْبةً من لبنٍ، ومعي إداوةٌ من ماء عليها خرقة قد رَوَّأتها لرسولِ الله ﷺ، فصببَتُ على اللبنِ حتى بَرَدَ أسفلَهُ، ثمَّ أتيتُ بهِ النبيَّ ﷺ فقلتُ: اشرَبْ يارسولَ اللهِ. فشرَبَ رسولُ اللهِ ﷺ حتَّى رضَيتُ، ثُمَّ ارتحلْنا والطلبُ في إثرنا».

٣٩١٨ ـ قالَ البراءُ: فدخلتُ مع أبي بكرٍ على أهلِهِ، فإذَا عائشةُ ابنتُه مُضْطجعة قد أصابَتْها حُمَّى، فرأيتُ أباها يُقبِّلُ خَدَّها وقال: كيفَ أنتِ يا بنيَّة».

قوله (إذا قيل له هاجر قبل أبيه يغضب) يعني أنه لم يهاجر إلا صحبة أبيه كما تقدم.

قوله (قدمت أنا وعمر على رسول الله ﷺ) يعني عند البيعة، ولعلها بيعة الرضوان.

قوله (نهرول) الهرولة ضرب من السير بين المشي على مهل والعدْو.

قوله (قال البراء: فدخلت مع أبي بكر على أهله فإذا بنته عائشة مضطجعة قد أصابتها حمى، فرأيت أباها يقبل خدها وقال كيف أنت يا بنية) كان دخول البراء على أهل أبي بكر قبل أن ينزل الحجاب قطعا، وأيضا فكان حينئذ دون البلوغ وكذلك عائشة.

٣٩١٩ ـ عن أنَسٍ خادمِ النبي ﷺ قالَ: «قَدِمَ النبيُّ ﷺ وليس في أصحابِهِ أشمَطُ غَيرَ أبي بكر، فَغَلَفَها بالْحِنَّاءِ والكَتَم»

[الحديث ٣٩١٩ – طرفه في: ٣٩٢٠]

٣٩٢٠ ـ عن أنَسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: «قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ فكانَ أسنَّ أصحابِهِ أبو بكرٍ فغَلَفها بالحنَّاء والكتَم حتى قَنَأ لونُها».

٣٩٢١ ـ عن عائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا « أن أبَا بَكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ تَزَوَّجَ امرأةً من كلبٍ يقال لها أمُّ بكرٍ، فلما هاجَر أبو بكرٍ طلَّقَها فتزوَّجها ابن عمِّها هذا الشاعرُ الذي قال هذه القصيدةَ رثى كُفَّارَ قرَيش:

وماذا بالقَليب قليب بــــدرٍ	من الشِّـيزَى تُزَيَّنُ بالسَّـنام
وماذَا بالقَليب قليبِ بـــدرٍ	منَ القَينات والشَّربِ الكرام
تحيِّينا السـلامةَ أمُّ بكـر	هل لي بعدَ قَوْمي من سَلام
يُحدِّثُنا الرسولُ بأنْ سنحيـا	وكيف حياة أصـــداءٍ وهام

٣٩٢٢ ـ عن أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عَنهُ قالَ «كُنْتُ مَعَ النبيِّ ﷺ في الْغَارِ، فرفعت رأسي فإذَا أنَا بأقدام القَومِ، فقلت: يا نبيَّ الله لَوْ أن بَعْضَهُمْ طَأطأ بصَرَهُ رآنا. قال: اسكُتْ يا أبا بكر، اثنانِ اللهُ ثالثُهما».

٣٩٢٣ ـ عن أبي سعيدٍ رضيَ اللهُ عَنهُ قالَ: «جاءَ أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فسألهُ عَنِ

الهجرةَ، فقالَ: ويحَكَ، إنَّ الهجرةَ شأنها شديد، فهل لك من إبل؟ قال: نعم. قالَ فَتُعطي صدقتَها؟ قال: نَعَم. قال: فهل تَمنحُ منها؟ قال: نعم. قال: فتحلبُها يومَ ورودِها؟ قال: نعم. قال: فاعمل من وراء البحار، فإنَّ اللهَ لن يَترِكَ من عملك شيئاً».

قوله (فغلفها) أي خضبها، والمراد اللحية.

قوله (والكتم) ورق يخضَّب به كالآس من نبات ينبت في أصغر الصخور فيتدلى خيطانا لطافا، ومجتناه صعب ولذلك هو قليل.

قوله (فكان أسن أصحابه أبو بكر) أي الذين قدموا معه حينئذ وقبله كما تقدم.

قوله (حتى قنأ) أي اشتدت حمرتها.

قوله (رثى كفار قريش) يعني يوم بدر لما قتلوا وألقاهم النبي ﷺ في القليب، وهي البئر التي لم تطو.

قوله (من الشيزي) وهو شجر يتخذ منه الجفان والقصاع الخشب التي يعمل فيها الثريد.

كأنه قال: ماذا بالقليب من أصحاب الجفان الملأى بلحوم أسنمة الإبل، وكانوا يطلقون على الرجل المطعام «جفنة» لكثرة إطعامه الناس فيها.

قوله (القينات) جمع قينة هي المغنية.

قوله (أصداء) أراد الشاعر إنكار البعث بهذا الكلام كأنه يقول: إذا صار الإنسان كهذا الطائر كيف يصير مرة أخرى إنسانا.

٤٦ ـ باب مَقْدَمِ النبيِّ ﷺ وأصحابه المدينةَ

٣٩٢٤ ـ عن البراءِ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «أولُ من قَدِمَ علينا مُصعَبُ بن عُمير وابن أمِّ مكتومٍ. ثمَّ قَدِمَ علَيْنَا عَمارُ بن ياسرٍ وبلالُ رضيَ اللهُ عَنْهُمْ».

٣٩٢٥ ـ عن البراءِ بنِ عازبٍ رضيَ الله عنهما قالَ: «أولُ من قدمَ علينا مُصعَبُ بن عُمير وابنُ أمِّ مكتومٍ وكانوا يُقرئونَ النَّاسَ، فقدِمَ بلال وسعد وعمَّارُ بن ياسرٍ. ثمَّ قدمَ عمرُ بن الخطَّابِ في عشرينَ من أصحاب النبيِّ ﷺ، ثُمَّ قدمَ النبيُّ ﷺ، فَمَا رأيتُ أهل المدينةِ فرحوا بشيء فرحَهم برسولِ الله ﷺ، حتَّى جعَلَ الإماءُ يَقُلْنَ: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ، فما قَدِمَ حتَّى قرأتُ {سبِّحِ اسمَ ربِّك الأعلى} في سُوَرٍ منَ المفصَّل».

قوله (فما قدم حتى حفظت[1] سبح اسم ربك الأعلى في سورة من المفصل) أي مع سور ومقتضاه أن {سبح اسم ربك الأعلى} مكية، وفيه نظر لأن ابن أبي حاتم أخرج من طريق حيدة أن قوله تعالى {قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى} نزلت في صلاة العيد وزكاة الفطر، وسنده حسن. وكل منهما شرع في السنة الثانية، فيمكن أن يكون نزول هاتين منها وقع

---

(١) في رواية الباب واليونينية "حتى قرأت".

بالمدينة. وأقوى منه أن يتقدم نزول السورة كلها بمكة، ثم بين النبي ﷺ أن المراد «بصلى» صلاة العيد ويتزكى زكاة الفطر، فإن تأخير البيان عن وقت الخطاب جائز والجواب عن الإشكال من وجهين: أحدهما احتمال أن تكون السورة مكية إلا هاتين الآيتين، وثانيهما -وهو أصحهما- فيه يجوز نزولها كلها بمكة. ثم بين النبي ﷺ المراد بقوله {قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى} صلاة العيد وزكاة الفطر، فليس من الآية إلا الترغيب في الذكر والصلاة من غير بيان للمراد، فبينته السنة بعد ذلك.

٣٩٢٦ ـ عن عائِشَةَ رضيَ اللّهُ عَنْها أنها قالت: «لما قدمَ رسولُ اللّهِ ﷺ المدينة وُعِكَ أبو بكر وبلالٌ. قالت: فدخلتُ عليهما فقلت يا أبتِ كيف تَجِدُك؟ ويا بلال كيفَ تجِدُك؟ قالت: فكان أبوبكرٍ إذا أخَذَتهُ الحمَّى يقول:

كلُّ امريءٍ مُصبَّحٌ في أهلِهِ والموتُ أدنى من شِراكِ نعلِه.

وكان بلالٌ إذا أقلعَ عنهُ الحمَّى يَرفَعُ عقيرتَه ويقول:

ألا ليت شِعري هـل أبِيتَنَّ ليلةً بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليـــلُ

وهل أرِدَنْ يَوماً مياهَ مجَنَّـــةٍ وهل يبدُوَنَ لي شامةٌ وطفيلُ

قالت عائشةُ: فجئتُ رسولَ اللّهِ ﷺ فأخبرتهُ، فقال: اللّهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكةَ أو أشدَّ، وصحِّحْها، وبارِكْ لنا في صاعِها ومُدِّها، وانقُلْ حُمَّاهَا فاجعَلْها بالجحْفَة».

قوله (قدمنا[١]المدينة) في رواية أبي أسامة عن هشام «وهي أوبأ أرض الله» وفي رواية محمد بن إسحق عن هشام بن عروة نحوه وزاد «قال: هشام وكان وباؤها معروفا في الجاهلية، وكان الإنسان إذا دخلها وأراد أن يسلم من وبائها قيل له انهق، فينهق كما ينهق الحمار.

قوله (وعك) أي أصابه الوعك وهي الحمى.

٣٩٢٧ ـ عن عروة بن الزبير أن عُبيدَ الله بنَ عَديٍّ بن الخِيار أخبرَهُ قال «دخلتُ على عثمانَ، فتشهَّدَ ثم قال: أما بعدُ فإن اللّه بعثَ محمداً ﷺ بالحقّ، وكنتُ ممن استجابَ للّهِ ورسولهِ وآمنَ بما بُعثَ به محمدٌ ﷺ ثم هاجَرتُ هجرتين ، وكنتُ صِهرَ رسولِ اللّه ﷺ ، وبايعتُه، فو اللّه ما عَصيتُهُ ولاغشَشتُه حتَّى توفاه اللّه»

٣٩٢٨ ـ عن ابن شهابٍ قال أخبرَني عُبَيدُ اللّه بن عبدِ اللّهِ أن ابن عبَّاسٍ أخبرهُ «أن عبدالرحمنِ بنَ عوف رجعَ إلى أهلهِ وهو بمِنىً في آخر حجة حَجها عمر، فَوجَدَني فقال: عبد الرحمن. فقلتُ يا أميرَ المؤمنين إن الموسمَ يجمعُ رَعاعَ الناس وغوغاءهم، وإني أرَى أن

(١) رواية الباب واليونينية "لما قدم رسول الله ﷺ المدينة".

تُمهِلَ حتَّى تَقدَمَ المدينةَ، فإنها دارُ الهجرةِ والسُّنَّة والسلامة، وتخلصَ لأهلِ الفقهِ وأشراف الناس وذوي رأيهِمْ. قال عمر: لأقومنَّ في أولِ مقام أقومُه بالمدينة».

٣٩٢٩ ـ عن خارجةَ بن زيد بن ثابتٍ «أن أمَّ العلاء امرأةً من نسائهم بايعَت النبيَّ ﷺ - أخبرَتْهُ أن عثمانَ بنَ مَظعونٍ طارَ لهم في السُّكنى حينَ اقترَعتِ الأنصارُ على سُكنى المهاجرينَ. قالت أمُّ العلاءِ: فاشتكى عثمانُ عندَنا، فمرَّضْتهُ حتى تُوفِّيَ، وجعلناهُ في أثوابه. فَدَخَلَ عَلينا النبيُّ ﷺ، فقلتُ: رحمة الله عَلَيْكَ أبا السائب، شهادتي عليك لقد أكرمَكَ اللهُ. فقَالَ النبيُّ ﷺ: ومَا يُدْرِيكِ أنَّ اللهَ أكْرَمَهُ؟ قالت: قلتُ لا أدري، بأبي أنْت وأمي يا رسولَ الله، فَمَنْ؟ قالَ: أما هوَ فقد جاءَهُ واللهِ اليقينُ، واللهِ إني لأرجو لَهُ الخيرَ، وما أدري واللهِ -وأنا رسولُ اللهِ- مَا يُفعل بِي. قالتْ: فَوَ اللهِ لا أُزكِّي أحداً بعدهُ. قالتْ: فأحْزنني ذلك، فنمتُ، فرأيتُ لعُثمانَ عَينا تجري، فجئتُ رسولَ اللهِ ﷺ وأخبرتُه، فقال: ذلك عمله».

٣٩٣٠ ـ عن عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كانَ يَوْمُ بُعاثٍ يوما قدَّمه الله عزَّ وجلَّ لرسولهِ ﷺ، فقدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينة وقَدْ افترقَ مَلأهم، وقُتِلَت سَرَاتهم في دخولهم في الإسلام».

٣٩٣١ ـ «عَنْ عَائِشَةَ أن أبا بكرٍ دخَلَ عَلَيْهَا والنبي ﷺ عندهَا يومَ فطرٍ -أو أضحىً- وعندهَا قينَتانِ تغنِّيان بما تعازَفت الأنصارُ يومَ بُعاثٍ. فقال أبو بكر: مِزمارُ الشيطانِ - مرَّتَينِ- فقال النبيُّ ﷺ: دعهُمَا يا أبا بكر، إنَّ لكل قومٍ عيداً، وإن عيدَنا هذا اليومُ».

٣٩٣٢ ـ عن أنَسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «لمَّا قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المَدينةَ نزلَ في عُلوِّ المدينةِ، في حَيٍّ يُقال لهم بنو عمرو بن عَوف، قال: فأقامَ فيهم أربعَ عشرةَ ليلةً، ثم أرسلَ إلى ملأ بني النجار، قال: فجاءوا متقلِّدي سيوفَهم. قال وكأني أنظرُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ على راحلته وأبو بكرٍ ردْفَه ومَلأ بني النجار حولهُ حتى ألقى بفناء أبي أيوبَ، قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة ويُصلي في مرابضِ الغنم. قالَ: ثُمَّ إنَّهُ أمرَ ببناء المسجدِ، فأرسلَ إلى مَلأ بني النجارِ، فجاءوا. فقال: يا بني النجَّار ثامنوني بحائطكم هذا، فقالوا: لا واللهِ لا نطلُبُ ثمنَهُ إلا إلى اللهِ. قالَ: فكانَ فيهِ ما أقول لَكُمْ: كَانت فيهِ قبورُ المُشْرِكِيْنَ، وكانَتْ فيهِ خِرَبٌ، وكان فيه نخلٌ. فأمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ بقبورِ المشركين فَنُبشت، وبالخِربِ فسويت، وبالنخل فقطعَ، قال: فصفوا النخلَ قبلةَ المسجد؛ قال: وجعلوا عِضادَتَيهِ حجارةً. قالَ: جَعلوا ينقلون ذاكَ الصخرَ وهم يَرتجزون ورسولُ اللهِ ﷺ مَعَهُمْ يقولونَ:

اللَّهُمَّ إنَّهُ لا خَيْرَ إلا خَيْرَ الآخِرَةْ فانْصر الأنصار والمهاجرة»

قوله (ثامنوني) ساوموني بثمنه.

قوله (بحائطكم) أي بستانكم.

قوله (فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت) قال ابن بطال: لم أجد في نبش قبور المشركين لتتخذ مسجدا نصاً عن أحد من العلماء، نعم اختلفوا هل تنبش بطلب المال؟ فأجازه الجمهور ومنعه الأوزاعي، وهذا الحديث حجة للجواز، لأن المشرك لا حرمة له حيا ولا ميتا، وقد تقدم في المساجد[1] البحث فيما يتعلق بها.

قوله (يرتجزون) أي يقولون رَجْزا، وهو ضرب من الشعر على الصحيح .

٤٧ ـ باب إقامة المهاجرِ بمكةَ، بعدَ قضاءِ نُسكه

٣٩٣٣ ـ عن عبد الرَّحْمن بنِ حُمَيدٍ الزُّهري قال: سمعتُ عمرَ بن عبد العزيز يَسألُ السائبَ ابنَ أخت النَّمِر: ما سمعتَ في سُكْنى مكة؟ قالَ: سمعتُ العلاءَ بن الحضرَميَّ قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «ثلاثٌ للمهاجِرِ بَعدَ الصَّدَر».

قوله (باب إقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه) أي من حج أو عمرة.

قوله (العلاء بن الحضرمي) اسمه عبد الله بن عماد، وكان حليف بني أمية، وكان العلاء صحابيا جليلا، ولاه النبي ﷺ البحرين، وكان مجاب الدعوة، ومات في خلافة عمر، وما له في البخاري إلا هذا الحديث.

قوله (ثلاث للمهاجر بعد الصَّدَر) أي بعد الرجوع من منى، وفقه هذا الحديث أن الإقامة بمكة كانت حراما على من هاجر منها قبل الفتح، لكن أبيح لمن قصدها منهم بحج أو عمرة أن يقيم بعد قضاء نسكه ثلاثة أيام لا يزيد عليها ولهذا رثى النبي ﷺ لسعد بن خولة أن مات بمكة، ويستنبط من ذلك أن إقامة ثلاثة أيام لا تخرج صاحبها عن حكم المسافر، وفي كلام الداودي اختصاص ذلك بالمهاجرين الأولين، ولا معنى لتقييده بالأولين، قال النووي: معنى هذا الحديث أن الذين هاجروا يحرم عليهم استيطان مكة، وحكى عياض أنه قول الجمهور، قال: وأجازه لهم جماعة يعني بعد الفتح، فحملوا هذا القول على الزمن الذي كانت الهجرة المذكورة واجبة فيه، قال: واتفق الجميع على أن الهجرة قبل الفتح كانت واجبة عليهم، وأن سكنى المدينة كان واجبا لنصرة النبي ﷺ ومواساته بالنفس، وأما غير المهاجرين فيجوز له سكنى أي بلد أراد سواء مكة وغيرها بالاتفاق، انتهى كلام القاضي، ويستثنى من ذلك من أذن له النبي ﷺ بالإقامة في غير المدينة، واستدل بهذا الحديث على أن طواف الوداع عبادة مستقلة ليست من مناسك الحج، وهو أصح الوجهين في المذهب، لقوله في هذا

(١) كتاب الصلاة باب / ٤٨ ح ٤٢٨ - ١ / ٢٧٨

الحديث «بعد قضاء نسكه» لأن طواف الوداع لا إقامة بعده، ومتى أقام بعده خرج عن كونه طواف الوداع، وقال القرطبي: المراد بهذا الحديث من هاجر من مكة إلى المدينة لنصر النبي ﷺ ولا يعني به من هاجر من غيرها لأنه خرج جوابا عن سؤالهم لما تحرجوا من الإقامة بمكة إذ كانوا قد تركوها لله تعالى، فأجابهم بذلك وأعلمهم أن إقامة الثلاث ليس بإقامة، قال: والخلاف الذي أشار إليه عياض كان فيمن مضى، وهل ينبني عليه خلاف فيمن فر بدينه من موضع يخاف أن يفتن فيه في دينه فهل له أن يرجع إليه بعد انقضاء تلك الفتنة؟ يمكن أن يقال إن كان تركها لله كما فعل المهاجرون فليس له أن يرجع لشيء من ذلك، وإن كان تركها فرارا بدينه ليسلم له ولم يقصد إلى تركها لذاتها فله الرجوع إلى ذلك انتهى. وهو حسن متجه، إلا أنه خص ذلك بمن ترك رباعا أو دورا، ولا حاجة إلى تخصيص المسألة بذلك، والله أعلم.

٤٨ ـ باب التاريخ. مِن أينَ أرَّخوا التاريخ؟

٣٩٣٤ ـ عن سَهْلِ بن سعدٍ قالَ: «ما عَدُّوا من مَبعَث النبيِّ ﷺ ولا من وفاته، ما عدُّوا إلا من مَقدَمِه المدينةَ».

٣٩٣٥ ـ عن عائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا قالتْ: «فُرِضتِ الصلاةُ ركعتَيْن، ثُمَّ هاجَرَ النبيُّ ﷺ فُفرِضَت أربعاً وتركت صلاةُ السفرِ من الأولى».

قوله (باب التاريخ) قال الجوهري: التاريخ تعريف الوقت.

قوله (من أين أرخوا التاريخ) كأنه يشير إلى اختلاف في ذلك، وأفاد السهيلي أن الصحابة أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله تعالى {لمسجد أسس على التقوى من أول يوم} لأنه من المعلوم أنه ليس أول الأيام مطلقا، فتعين أنه أضيف إلى شيء مضمر وهو أول الزمن الذي عز فيه الإسلام، وعبد فيه النبي ﷺ ربه آمنا، وابتدأ بناء المسجد، فوافق رأي الصحابة ابتداء التاريخ من ذلك اليوم ، وفهمنا من فعلهم أن قوله تعالي {من أول يوم} أنه أول أيام التاريخ الإسلامي، كذا قال، والمتبادر أن معنى قوله {من أول يوم} أي دخل فيه النبي ﷺ وأصحابه المدينة والله أعلم.

قوله (مقدمه) أي زمن قدومه،ولم يرد شهر قدومه لأن التاريخ إنما وقع من أول السنة. وقد أبدى بعضهم للبداءة بالهجرة مناسبة فقال: كانت القضايا التي اتفقت له ويمكن أن يؤرخ بها أربعة: مولده ومبعثه وهجرته ووفاته، فرجح عندهم جعلها من الهجرة لأن المولد والمبعث لا يخلوا واحد منهما من النزاع في تعيين السنة، وأما وقت الوفاة فأعرضوا عنه لما توقع بذكره من الأسف عليه، فانحصر في الهجرة، وإنما أخروه من ربيع الأول إلى المحرم لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم، إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة وهي مقدمة

الهجرة، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال المحرم فناسب أن يجعل مبتدأ، وهذا أقوى ماوقفت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم.

٤٩ ـ باب قولِ النبيِّ ﷺ «اللهمَّ أمضِ لأصحابي هجرَتهم» ومرثيَتِه لِمن مات بمكة

٣٩٣٦ ـ عن عَامرِ بن سعدِ بنِ مالكٍ عن أبيهِ قالَ «عَادني النبيُّ ﷺ عامَ حجَّةِ الوَداع من مَرَضٍ أشفيتُ منه على الموت فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، بَلَغَ بي منَ الوَجع ما تَرى، وأنا ذو مال، ولا يَرِثني إلا ابنةٌ لي واحدة، أفأتَصدَّقُ بثُلُثي مالي؟ قال: لا، قال: فأتصدَّق بشطرِهِ؟ قال: الثُلثُ يَا سعد، والثلث كثير، إنكَ أن تَذرَ وَرثَتَكَ أغنياءَ خيرٌ من أن تذرَهم عالةً يتكفَّفون الناس - قال أحمد بن يونسَ عن إبراهيم: أن تَذَرَ ذُريتَك- ولستَ بنافقٍ نفقةً تَبتَغي بها وجهَ اللهِ إلا آجركَ اللهُ بِهَا، حتَّى اللقمةَ تجعلها في في امرأتك، قلت: يارسول الله، أخلَفُ بعد أصحابي؟ قال: إنكَ لن تخلَّفَ فتعمل عملاً تبتغي به وجهَ اللهِ إلا ازددتَ به درجةً ورفعة، ولعلَّكَ تخلَّفُ حتى يَنتَفِعَ بك أقوام ويُضَرَّ بك آخرون، اللَّهُمَّ أمضِ لأصحابي هجرتَهم، ولا تَرُدَّهُمْ على أعقابهم، لكنِ البائسُ سعدُ بن خَولةَ. يَرثي لهُ رسولُ اللهِ ﷺ أن تُوفيَ بمكة». وقال أحمدُ بن يونسَ وموسى عن إبراهيمَ «أن تَذرَ وَرَثَتكَ»

قوله (باب قول النبي ﷺ: اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ومرثيته لمن مات بمكة) والمراد هنا التوجع له لكونه مات في البلد التي هاجر منها.

٥٠ ـ باب كيف آخى النبيُّ ﷺ بينَ أصحابه؟

وقالَ عَبْد الرَّحمنِ بن عوفٍ «آخى النبيُّ ﷺ بيني وبين سعدِ بن الربيع لما قَدمنا المدينة»

وقالَ أبو جُحَيفة «آخى النبيُّ ﷺ بينَ سلمانَ وأبي الدرداء».

٣٩٣٧ ـ عن أنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «قَدِمَ عبدُ الرحمن بن عوفٍ فآخى النبيُّ ﷺ بينه وبين سعدِ بن الربيع الأنصاريِّ، فعرَضَ عليهِ أن يُناصِفَهُ أهلَهُ ومالَه، فقال عبدُ الرحمن: باركَ اللهُ لكَ فِي أهلك ومَالكَ، دُلَّني على السوق. فربحَ شيئاً من أقطٍ وسمنٍ، فرآه النبيُّ ﷺ بعد أيامٍ وعليهِ وضرٌ من صُفرةٍ، فقالَ النبيُّ ﷺ: مَهْيَمْ يا عبد الرحمن؟ قال: يا رسُولَ الله، تَزَوَّجْتُ امرأةً من الأنصار، قال: فما سُقتَ فيها؟ فقال: وزْنَ نواةٍ من ذهب. فقال النبيُّ ﷺ أوْلِمْ ولو بشاة».

قوله (باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه) قال ابن عبد البر كانت المؤاخاة مرتين: مرة بين المهاجرين خاصة وذلك بمكة، ومرة بين المهاجرين والأنصار فهي المقصودة هنا، وذكر ابن سعد بأسانيد الواقدي إلى جماعة من التابعين قالوا: لما قدم النبي ﷺ المدينة آخى بين

المهاجرين، وآخى بين المهاجرين والأنصار على المواساة، وكانوا يتوارثون، وكانوا تسعين نفسا بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار، وقيل كانوا مائة، فلما نزل {وأولو الأرحام} بطلت المواريث بينهم بتلك المؤاخاة. قلت: وسيأتي في الفرائض من حديث ابن عباس «لما قدموا المدينة كان يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه بالأخوة التي آخى رسول الله ﷺ بينهم، فنزلت».

قال السهيلي: آخى بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة الغربة ويتأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد بعضهم إزر بعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث وجعل المؤمنين كلهم إخوة وأنزل {إنما المؤمنون إخوة} يعني في التوادد وشمول الدعوة، وذكر محمد بن إسحق المؤاخاة فقال «قال رسول الله ﷺ لأصحابه بعد أن هاجر: تآخوا أخوين أخوين، فكان هو وعلي أخوين، وحمزة وزيد بن حارثة أخوين، وجعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين» وفي تفسير سنيد: آخي بين معاذ وابن مسعود، وأبوبكر وخارجة بن زيد أخوين، وعمر وعتبان بن مالك أخوين، وقد تقدم في أوائل الصلاة قول عمر «كان لي أخ من الأنصار» وفسر بعتبان، ويمكن أن يكون أخوته له تراخت كما في أبي الدرداء وسلمان. ومصعب ابن عمير وأبو أيوب أخوين، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين، وحاطب بن أبي بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين وسلمان وأبو الدرداء أخوين، وكان ابتداء المؤاخاة أوائل قدومه المدينة، واستمر يجددها بحسب من يدخل في الإسلام أو يحضر إلى المدينة، وأخرج الحاكم وابن عبد البر بسند حسن عن أبي الشعثاء عن ابن عباس «أخى النبي ﷺ بين الزبير وابن مسعود» وهما من المهاجرين. قلت: وأخرجه الضياء في المختارة من المعجم الكبير للطبراني وابن تيمية يصرح بأن أحاديث المختارة أصح وأقوي من أحاديث المستدرك، وقصة المؤاخاة الأولى أخرجها الحاكم من طريق جميع بن عمير عن ابن عمر «آخي رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عبدالرحمن بن عوف وعثمان - وذكر جماعة قال -فقال علي: يارسول الله إنك آخيت بين أصحابك فمن أخي؟ قال أنا أخوك» وإذا انضم هذا إلى ماتقدم تقوى به.

٥١ - باب - * ٣٩٣٨ - عَنْ أَنَسٍ «أَنَّ عَبْدَ اللهِ بن سَلامٍ بلغهُ مَقْدَمُ النبيِّ ﷺ المدينةَ، فأتاهُ يَسألهُ عن أشياءَ فقالَ: إني سائلُكَ عن ثلاثٍ لا يَعلمهُنَّ إلا نبيٌّ: ما أولُ أشراطِ الساعة، وما أول طعامٍ يأكلُه أهلُ الجنَّةِ، ومَا بالُ الولدِ ينزع إلى أبيهِ أو إلى أمهِ؟ قال: أخبرَني بهِ جبريلُ آنِفاً. قال ابنُ سَلام: ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة. قال: أما

أولُ أشراطِ الساعةِ فنارٌ تحشُرهم من المشرقِ إلى المغرب. وأما أولُ طعامٍ يأكله أهلُ الجَنَّةِ فزيَادة كبدِ الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولدَ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرَّجُلِ نزعت الولد. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. قالَ: يارسولَ اللهِ، إنَّ اليهودَ قوم بُهت، فاسألهم عني قبل أن يَعلموا بإسلامي. فجاءت اليهود، فقال النبيُّ ﷺ: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالو: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا. فقال النبيُّ ﷺ أرأيتم إن أسلم عبدُ اللهِ بنِ سلام؟ قالوا: أعاذهُ اللهُ من ذلك. فأعادَ عليهم فقالُوا مثل ذلك، فخرجَ إلَيْهِمْ عبدُ اللهِ فقالَ: أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللهِ. قالُوا: شرُّنا وابن شرِّنا، وتنقَّصوه. قال: هذا كنتُ أخافُ يارسولَ اللهِ».

٣٩٣٩، ٣٩٤٠ ـ عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بن مُطعِم قال: «باعَ شَرِيكٌ لي دراهمَ في السوق نسيئةً، فقلتُ: سبحانَ اللهِ، أيصلحُ هذا؟ فقال: سبحان اللهِ، واللهِ لقد بعتُها في السوقِ فما عابهُ أحد. فسألت البَراءَ بن عازبٍ فقالَ: قَدِمَ النبيُّ ﷺ ونحنُ نَتَبايعُ هذا البيعَ فقال: ما كانَ يداً بيد فَلَيْسَ بِهِ بَأسَ، ومَا كَانَ نَسيئةً فَلا يَصلحُ، والْقَ زيدَ بن أرقمَ فاسأله فإنه كان أعظمنَا تِجَارةً. فسألتُ زيدَ بن أرقم فقالَ مِثله». وقال سفيانُ مرةً «فقال قَدِمَ علينَا النبيُّ ﷺ المدينةَ ونحنُ نتبايعُ، وقال: نسيئةً إلى الموسم أو الحج».

قوله (أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب) [وسيأتي الكلام على ذلك مستوفى في أواخر كتاب الرقاق.]

قوله (وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت) الزيادة هي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد، وهي في المطعم في غاية اللذة، ويقال إنها أهنأ طعام وأمرأه.

قوله (نزع الولد) ووقع عند مسلم من حديث عائشة «إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أشبه أعمامه، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه أخواله».

قوله (قوم بهت) وهو الذي يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب.

قوله (باع شريك لي دراهم في السوق نسيئة) قد تقدم شرحه في كتاب الشركة[1]، والغرض منه هنا قوله «قدم علينا المدينة ونحن نتبايع» فإنه يستفاد منه أنه ﷺ أقرهم على ما وجدهم عليه من المعاملات إلا ما استثناه فبينه لهم.

٥٢ ـ باب إتيانِ اليهود النبيَّ ﷺ حينَ قدمَ المدينةَ

هادوا: صاروا يهوداً. وأما قوله هُدْنَا: تُبْنا، هائد: تائب

٣٩٤١ ـ عَنْ أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «لو آمَنَ بي عشرةٌ من اليَهود لآمَنَ بي اليَهود».

(١) كتاب الشركة باب / ١٠ ح ٢٤٩٧ - ٢ / ٤٠٧

٣٩٤٢ - عَنْ أبي موسى رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: «دخَلَ النبيُّ ﷺ المدينةَ وإذا أُناسٌ من اليهود يُعظمونَ عاشوراءَ ويصومونَهُ، فقال النبيُّ ﷺ: نحنُ أحقُّ بصومِه. فأمر بصومِه».

٣٩٤٣ - عنِ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قالَ: «لمَّا قدمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ وجد اليهودَ يصومون عاشوراءَ، فسُئلوا عن ذلك فقالوا: هذا اليومُ الذي أظفرَ اللهُ فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، ونحن نصومُه تعظيماً له، فقال رسولُ الله ﷺ: نحن أولى بموسى منكم. فأمر بصومه».

٣٩٤٤ - عنْ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما «أن النبيَّ ﷺ كانَ يَسدِلُ شعرَهُ، وكانَ المشركون يَفرقونَ رءُوسَهم وكان أهلُ الكتاب يَسدِلون رؤسَهم، وكان النبيُّ ﷺ يحبُّ مُوافَقةَ أهلِ الكتاب فيما لم يؤمَر فيه بشيءٍ، ثمَّ فَرَقَ النبيُّ ﷺ رأسَه».

٣٩٤٥ - عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قالَ: «هُمْ أهل الكتابِ جَزَّءوهُ أجزاءً، فآمَنوا ببعضِه وكفروا ببعضِه».

[الحديث ٣٩٤٥ - طرفاه في: ٤٧٠٥، ٤٧٠٦]

قوله (باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة) وروى أبو سعيد في «شرف المصطفى» من طريق سعيد بن جبير «جاء ميمون بن يامين وكان رأس اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله ابعث إليهم فاجعلني حكما فإنهم يرجعون إليّ، فأدخله داخلا، ثم أرسل إليهم فأتوه فخاطبوه فقال: اختاروا رجلا يكون حكما بيني وبينكم، قالوا قد رضينا ميمون بن يامين. فقال: اخرج إليهم فقال: أشهد أنه رسول الله، فأبوا أن يصدقوه. وذكر ابن إسحق أن النبي ﷺ وادع اليهود لما قدم المدينة وامتنعوا من اتباعه، فكتب بينهم كتابا، وكانوا ثلاث قبائل: قينقاع والنضير وقريظة، فنقض الثلاثة العهد طائفة بعد طائفة، فمَنَّ على بني قينقاع وأجلى بني النضير واستأصل بني قريظة، وسيأتي بيان ذلك كله مفصلا إن شاء الله تعالى.

قوله (لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود) في رواية الإسماعيلي «لم يبق يهودي إلا أسلم» وكذا أخرجه أبو سعيد في «شرف المصطفى» وزاد في آخره قال: «قال كعب: هم الذين سمّاهم الله في سورة المائدة» فعلى هذا فالمراد عشرة مختصة وإلا فقد آمن به أكثر من عشرة، والذي يظهر أنهم الذين كانوا حينئذ رؤساء في اليهود ومن عداهم كان تبعا لهم، فلم يسلم منهم الا القليل كعبد الله بن سلام وكان من المشهورين بالرياسة في اليهود عند قدوم النبي ﷺ، ومن بني النضير أبو ياسر بن أخطب وأخوه حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ورافع بن أبي الحقيق، ومن بني قينقاع عبد الله بن حنيف وفنحاص

ورفاعة بن زيد، ومن بني قريظة الزبير بن باطيا وكعب بن أسد وشمويل بن زيد، فهؤلاء لم يثبت إسلام أحد منهم، وكان كل منهم رئيسا في اليهود ولو أسلم لاتبعه جماعة منهم، فيحتمل أن يكونوا المراد.

٥٣ ـ باب إِسلام سَلمانَ الفارسيِّ رضي اللّهُ عَنْهُ

٣٩٤٦ ـ عَنِ أبي عثمان «عن سلمان الفارسيّ أنه تداولَه بضعةَ عشرَ من ربٍ إلى رب».

٣٩٤٧ ـ عَنْ أبِي عُثْمانَ قال سمعتُ سلمانَ رضي اللّهُ عَنْهُ يقولُ: «أنَا من رامَ هُرْمُز».

٣٩٤٨ ـ عَنْ سلمان قالَ: «فترة بين عيسى ومحمدٍ صلى الله عليهما وسلم سِتُّمائةِ سنة».

قوله (تداوله بضعة عشر من رب إلى رب) أي من سيد إلى سيد، وكأنه لم يبلغه حديث أبي هريرة في النهي عن إطلاق رب على السيد، وقد مر في البيوع، وقد تقدم تفسير البضع وأنه من الثلاث إلى العشر على المشهور.

قوله (أنا من رام هرمز) مدينة معروفة بأرض فارس بقرب عراق العرب.

قوله (فترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ستمائة سنة) والمراد بالفترة المدة التي لايبعث فيها رسول من الله، ولا يمتنع أن ينبأ فيها من يدعو إلى شريعه الرسول الأخير.

بسم الله الرحمن الرحيم

٦٤ - كتاب المغازي

١ - باب غَزوة العُشَيرة، أو العُسَيرة

قال ابنُ إسحاقَ «أولُ ما غزا النبيُّ ﷺ الأبْواء، ثم بُواطَ، ثم العُشَيرة»

٣٩٤٩ - عن أبي إسحاق كنتُ إلى جنبِ زيد بن أرقمَ، فقيل له: كم غزا النبيُّ ﷺ من غزوة؟ قال: تِسعَ عشرةَ. قال: كم غَزَوتَ أنت معه؟ قال: سبعَ عشرةَ. قلتُ: فأيُّهُمْ كانَتْ أوَّلَ؟ قالَ العُشَير. أوِ العُسَيرة. فذكرتُ لقتادةَ فقال: العُشَيرة».

[الحديث ٣٩٤٩ - طرفاه في: ٤٤٠٤، ٤٤٧١]

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب المغازي. باب غزوة العشيرة):

مكانها عند منزل الحج بينبع، ليس بينها وبين البلد إلا الطريق. وخرج في خمسين ومائة وقيل مائتين، واستخلف فيها أبا سلمة بن عبد الأسد.

والمراد بالمغازي هنا ماوقع من قصد النبي ﷺ الكفار بنفسه أو بجيش من قبله، وقصدهم أعم من أن يكون إلى بلادهم أو إلى الأماكن التي حلوها حتى دخل مثل أحد والخندق.

قوله (قال ابن إسحاق أول ما غزا النبي ﷺ الأبواء ثم بواط ثم العشيرة)

قال: وهي أول غزوات النبي ﷺ خرج من المدينة في صفر على رأس اثنى عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد قريشا، فوادع بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة من كنانة، وادعه رئيسهم مجدي بن عمرو الضمري ورجع بغير قتال، قال ابن هشام: وكان قد استعمل على المدينة سعد بن عبادة اهـ. وليس بين ما وقع في السيرة وبين ما نقله البخاري عن ابن إسحق اختلاف، لأن الأبواء ودان مكانان متقاربان بينهما سته أميال أو ثمانية.

قوله (تسع عشرة) كذا قال ومراده الغزوات التي خرج النبي ﷺ فيها بنفسه سواء قاتل أو لم يقاتل، لكن روى أبو يعلى من طريق أبي الزبير عن جابر أن عدد الغزوات إحدى وعشرون وإسناده صحيح وأصله في مسلم، فعلى هذا ففات زيد بن أرقم ذكر ثنتين منها ولعلهما الأبواء وبواط، وكأن ذلك خفي عليه لصغره.

٢ - باب ذكرِ النبيِّ ﷺ من يُقتَلُ ببَدْر

٣٩٥٠ - عَنْ أبي إسحاق قالَ حدَّثني عمرُو بن مَيمون أنهُ سمعَ عبدَ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ حدَّثَ «عَنْ سعدَ بن مُعاذٍ أنَّهُ قالَ: كانَ صَديقاً لأميةَ بن خَلَف، وكان أميةُ إذا مرَّ بالمدينة نزلَ على سعدٍ، وكان سعدٌ إذا مرَّ بمكةَ نزلَ على أميةَ. فلما قَدمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ انطلَقَ سعدٌ مُعتمِراً، فنزلَ على أميةَ بمكةَ، فقالَ لأميةَ: انظُرْ لي ساعةَ خلوةٍ

لعلِّي أن أطوفَ بالبيت، فخرجَ به قريباً من نصفِ النهار، فلقيَهما أبو جهلٍ فقالَ: يَا أبا صفوانَ، من هذا معَك؟ فقال: هذا سعدٌ، فقال له أبو جهل: ألا أراكَ تطوف بمكة آمناً وقد أوَيتُم الصُّبَاةَ وزعمتم أنكم تنصرُونَهم وتُعينونَهم، أما واللّه لولا أنكَ مع أبي صَفوانَ مَا رجَعتَ إلى أهلك سالما فقالَ لهُ سعد - ورفَعَ صوتَهُ عليه -: أما واللّه لئن مَنَعتَني هذا لأمنعنَّكَ ما هو أشدُّ عليكَ منه: طريقَكَ على المدينة، فقال له أمية: لا تَرفعْ صوتكَ يا سعدُ على أبي الحكم سيدِ أهل الوادي، فقال سعدٌ: دَعْنَا عنكَ يا أمية، فو اللّهِ لقد سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول إنهم قاتِلوك. قال: بمكة؟ قال: لا أدري، ففَزِع لذلكَ أميةُ فزعاً شديداً. فلما رجعَ أمية إلى أهله قال يا أمَّ صفوانَ، ألم تَري ما قال لي سعدٌ؟ قالت: وما قالَ لك؟ قالَ: زعمَ أنَّ محمداً أخبرهم أنهم قاتليَّ. فقلت له: بمكة؟ قال لا أدري. فقال أميةُ: واللّه لا أخرجُ من مكةَ. فلما كان يومُ بدرٍ استَنفَرَ أبو جهلٍ الناسَ قال: أدركوا عيركُمْ. فكَرِهَ أميةُ أن يَخرُجَ، فأتاهُ أبوجهلٍ فقال يا أبا صفوان إنكَ متى ما يَراكَ الناسُ قد تخلَّفتَ وأنتَ سيدُ أهل الوادي تخلَّفوا معك. فلم يَزَلْ به أبو جهلٍ حتى قال: أما إذ غلبْتني فو اللّه لأشتَرِيَنَّ أجود بعير بمكة، ثُمَّ قال أمية: يا أمَّ صفوانَ جهِّزيني، فقالت له: يا أبا صفوانَ وقد نَسيتَ ما قال لك أخوكَ اليَثْرِبيُّ؟ قال: لا، ما أريدُ أن أجوزَ معَهم إلا قَريباً، فَلَمَّا خَرَجَ أميةُ أخذ لا يتركُ منزِلاً إلا عَقَلَ بعيرَه، فلم يزَلْ بذلكَ حتى قتله اللّهُ عَزَّ وجَلَّ ببَدر».

قوله (باب ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر) أي قبل وقعة بدر بزمان، فكان كما قال، ووقع عند مسلم من حديث أنس عن عمر قال: «أن النبي ﷺ ليرينا مصارع أهل بدر يقول: هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى، وهذا مصرع فلان، فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا تلك الحدود» الحديث.

قوله (على أبي الحكم) هي كنية أبي جهل، والنبي ﷺ هو الذي لقبه بأبي جهل.

قوله (فو الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنهم قاتلوك) والمراد المسلمون، أو النبي ﷺ، وذكره بهذه الصيغة تعظيما.

قوله (ففزع لذلك أمية فزعا شديدا) بين سبب فزعه في رواية إسرائيل ففيها «قال: فوالله ما يكذب محمد إذا حدَّث».

قوله (فلما كان يوم بدر) زاد إسرائيل «وجاء الصريخ»، وعرف ان اسم الصريخ ضمضم بن عمرو الغفاري، وذكر ابن إسحق بأسانيده أنه لما وصل إلى مكة جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وصرخ: يا معشر قريش أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد، الغوث الغوث.

قوله (أدركوا عيركم) أي القافلة التي كانت مع أبي سفيان.

قوله (وأنت سيد أهل الوادي) أي وادي مكة، قد تقدم أن أمية وصف بها أبا جهل لما خاطب سعدا بقوله «لا ترفع صوتك على أبي الحكم وهو سيد أهل الوادي» فتقارضا الثناء وكان كل منهما سيدا في قومه.

قوله (فلم يزل به أبو جهل) بين ابن إسحق الصفة التي كاد بها أبو جهل أمية حتى خالف رأي نفسه في ترك الخروج من مكة فقال: «حدثني ابن أبي نجيح أن أمية بن خلف كان قد أجمع على عدم الخروج، وكان شيخا جسيما، فأتاه عقبة بن أبي معيط بمجمرة حتى وضعها بين يديه فقال: إنما أنت من النساء، فقال: قبحك الله ». وكأن أبا جهل سلط عقبة عليه حتى صنع به ذلك، وكان عقبة سفيها.

قوله (لأشترين أجود بعير بمكة) يعني فأستعد عليه للهرب إذا خفت شيئا.

وفي الحديث معجزات للنبي ﷺ ظاهرة، وما كان عليه سعد بن معاذ من قوة النفس واليقين. وفيه أن شأن العمرة كان قديما، وأن الصحابة كان مأذونا لهم في الاعتمار من قبل أن يعتمر النبي ﷺ بخلاف الحج، والله أعلم.

٣ ـ باب قصةِ غزوة بدرٍ

وقول الله تعالى /١٢٣ - ١٢٦ آل عمران/ {ولقد نَصركم اللّه ببدرٍ وأنتم أذلة، فاتقوا اللّه لعلكم تَشكرون، إذ تقولُ للمؤمنين ألن يَكفيَكم أن يُمِدكم ربُّكم بثلاثة ألافٍ من الملائكةِ مُنزَلين. بلى إن تَصبروا وتَتَّقوا ويأتوكم من فَورِهم هذا يُمددكم ربكم بخمسةِ آلافٍ من الملائكةِ مُسوِّمين، وما جَعلهُ اللّه إلا بُشْرى لكم ولتَطمئنَّ قلوبكم به، وما النصرُ إلا مِن عندِ اللّه العزيز الحكيم، لِيَقطعَ طرَفاً من الذين كفروا أو يَكبِتهم فينقَلبوا خائبين}

وقالَ وحشِيٌّ: قَتلَ حمزةُ طعيمةَ بن عديّ بنِ الخيار يومَ بدر

وقوله تعالى /٧ الأنفال/: {وإذ يَعِدُ كم اللّه إحدى الطائفَتين أنَّها لكم} الآية

٣٩٥١ ـ عَنْ عبدِ الرحمن بنِ عبدِ اللّه بنِ كعبٍ أن عبدَ اللّه بن كعبٍ قالَ: «سمعتُ كعبَ بن مالكٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ يقولُ: لم أتخلَّفْ عن رسولِ اللّهِ ﷺ في غزوةٍ غزاها إلا في غزوةِ تبوكَ؛ غير أني تخلَّفتُ عن غزوةِ بَدرٍ ولم يُعاتَبْ أحدٌ تخلفَ عنها، إنما خَرَجَ رسولُ اللّهِ ﷺ يُريد عِير قريش، حتى جمعَ اللّه بينهم وبينَ عدُوِّهم على غير مِيعاد».

قوله (ببدر) هي قرية مشهورة. ويقال بدر اسم البئر التي بها، سميت بذلك لاستدارتها أو ل ﷺفاء مائها فكان البدر يرى فيها.

قوله (وأنتم أذلة) أي قليلون بالنسبة إلى من لقيهم من المشركين، ومن جهة أنهم كانوا

مشاة إلا القليل منهم، ومن جهة أنهم كانوا عارين من السلاح وكان المشركون على العكس من ذلك، والسبب في ذلك أن النبي ﷺ ندب الناس إلى تلقي أبي سفيان لأخذ ما معه من أموال قريش، وكان من معه قليلا فلم يظن أكثر الأنصار أنه يقع قتال فلم يجز معه منهم إلا القليل، ولم يأخذوا أهبة الاستعداد كما ينبغي، بخلاف المشركين فإنهم خرجوا مستعدين ذابين عن أموالهم.

قوله {وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم} هذه الآية نزلت في قصة بدر بلا خلاف، بل جميع سورة الأنفال أومعظمها نزلت في قصة بدر، وسيأتي في تفسير قول سعيد بن جبير «قلت لابن عباس سورة الأنفال قال نزلت في بدر» والمراد بالطائفتين العير والنفير، فكان في العير أبو سفيان ومن معه كعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وما معه من الأموال، وكان في النفير أبو جهل وعتبة بن ربيعة وغيرهما من رؤساء قريش مستعدين بالسلاح متأهبين للقتال، وكان ميل المسلمين إلى حصول العير لهم، وهو المراد بقوله {وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم} والمراد بذات الشوكة الطائفة التي فيها السلاح.

٤ ـ باب قول الله تعالى:

{إذ تستغيثون ربَّكم فاستَجابَ لكم أني مِمدكم بألفٍ منَ الملائكةِ مُردفين، وما جَعلهُ الله إلا بُشرَى ولتطمئنَّ به قُلوبُكم، وما النصرُ إلا من عندِ الله، إنَّ الله عزيز حكيم، إذ يُغَشِّيكمُ النُّعاس أمَنَةً منه، وينزِّلُ عليكم من السماءِ ماءً ليُطهركم به، ويُذهِبَ عنكم رجزَ الشيطان، وليربط على قلوبكم ويثبِّت به الأقدام، إذ يوحي ربُّك إلى الملائكةِ أني مَعكم فَثَبِّتوا الذين آمَنوا سألقي في قُلوبِ الذينَ كفروا الرُّعبَ، فاضربوا فَوقَ الأعناقِ واضربوا منهم كلَّ بَنان، ذلك بأنهم شاقُّوا الله ورسولَه، ومَن يُشاقِقِ اللهُ ورسوله فإنَّ الله شديدُ العِقاب}.

٣٩٥٢ ـ عن طارقِ بن شهابٍ قال: «سمعتُ ابنَ مسعودٍ يقول: شَهِدتُ من المقدادِ بن الأسودِ مشهداً لأن أكون صاحِبهُ أحبُّ اليَّ مما عُدِلَ به: أتى النبيَّ ﷺ وهو يَدعو على المشركينَ فقال: لا نقولُ كما قال قومُ موسى {اذهَبْ أنتَ وربُّك فقاتلا} ولكنّا نقاتلُ عن يَمينكَ وعن شمالكَ وبين يَديكَ وخَلْفَك. فرأيتُ النبيَّ ﷺ: أشرق وجهُهُ وسرَّه، يَعني قولَه».

[الحديث ٣٩٥٢ - طرفه في: ٤٦٠٩]

٣٩٥٣ ـ عَنْ عكرِمَةَ عنِ ابن عبَّاسٍ قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ يومَ بدرٍ: اللَّهُمَّ إني أنشُدُكَ عهدكَ ووعدك. اللهم إن شئت لم تُعبَدْ. فأخذ أبو بكرٍ بيدهِ فقال: حَسبك. فخرج وهو يقول: {سَيُهزمُ الجمعُ ويُولون الدُّبر}.

قوله (مما عدل به) أي وزن أي من كل شيء يقابل ذلك من الدنيويات، وقيل من الثواب، أو المراد الأعم من ذلك، والمراد المبالغة في عظمة ذلك المشهد، وأنه كان لو خير بين أن يكون صاحبه وبين أن يحصل له ما يقابل ذلك كائنًا ماكان لكان حصوله له أحب إليه.

قوله (عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ) هذا من مراسيل الصحابة فإن ابن عباس لم يحضر ذلك، ولعله أخذه عن عمر أو عن أبي بكر، ففي مسلم. عن ابن عباس قال: «حدثني عمر: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وتسعة عشر، فاستقبل القبلة ثم مد يديه، فلم يزل يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه» الحديث، وعن سعيد بن منصور قال: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وتكاثرهم وإلى المسلمين فاستقلهم، فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه، فقال رسول الله ﷺ وهو في صلاته: اللهم لا تودع مني، اللهم لا تخذلني، اللهم لا تترني، اللهم أنشدك ما وعدتني». وعند ابن إسحق أنه ﷺ قال: «اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني».

قوله (اللهم إني أنشدك) أي أطلب منك. وعند الطبراني بإسناد حسن عن ابن مسعود قال: «ما سمعنا مناشداً ينشد ضالةً أشد مناشدة من محمد لربه يوم بدر: اللهم إني أنشدك ما وعدتني» قال السهيلي: سبب شدة اجتهاد النبي ﷺ ونصبه في الدعاء لأنه رأى الملائكة تنصب في القتال، والأنصار يخوضون غمار الموت، والجهاد تارة يكون بالسلاح وتارة بالدعاء، ومن السنة أن يكون الإمام وراء الجيش لأنه لا يقاتل معهم فلم يكن ليريح نفسه، فتشاغل بأحد الأمرين وهو الدعاء.

قوله (اللهم إن شئت لم تعبد) في حديث عمر «اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، وإنما قال ذلك لأنه علم أنه خاتم النبيين فلو هلك هو ومن معه حينئذ لم يبعث أحد ممن يدعو إلى الإيمان، ولاستمر المشركون يعبدون غير الله، فالمعنى لا يعبد في الأرض بهذه الشريعة.

قوله (فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك) زاد في رواية مسلم المذكورة «فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه فقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عزوجل {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم} الآية فأمده الله بالملائكة» اهـ .

قال الخطابي لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحال؛ بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم، لأنه كان أول

مشهد شهده، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة، فلما قال له أبو بكر ما قال كف عن ذلك وعلم أنه استجيب له لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة، فلهذا عقب بقوله «سيهزم الجمع» انتهى ملخصا.

٥ ـ باب * ٣٩٥٤ ـ «عنِ ابنِ عبَّاسٍ قال: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين} عن بدرٍ والخارجون إلى بدرٍ».

[الحديث ٣٩٥٤ طرفه في ٤٥٩٥]

٦ ـ باب عدة أصحاب بدر

٣٩٥٥ ـ عن أبي إسحاقَ عنِ البراءِ قال: «استُصغرتُ أنا وابن عمر.....»

[الحديث ٣٩٥٥ - طرفه في: ٣٩٥٦]

٣٩٥٦ ـ عن البراء قال «استصغرت أنا وابن عمر يومَ بدرٍ، وكانَ المهاجِرونَ يومَ بدرٍ نيِّفًا على ستين، والأنصارُ نيِّفا وأربعينَ ومائتين».

٣٩٥٧ ـ عَنْ أبي إسحاق قالَ: «سمعتُ البراءَ رضيَ الله عنه يقول حدَّثني أصحابُ محمدٍ ﷺ ممن شهدَ بدراً أنهم كانوا عدَّةَ أصحاب طالوتَ الذين جازوا معه النهرَ: بضعةَ عشرَ وثلاثَمائةٍ. قال البراءُ: لا والله ما جاوزَ معهُ النهرَ إلا مُؤمن»

[الحديث ٣٩٥٧ - طرفاه في: ٣٩٥٨، ٣٩٥٩]

٣٩٥٨ ـ عَنِ البراء قال: «كنا أصحابَ محمدٍ ﷺ نتحدَّثُ أنَّ عِدَّةَ أصحاب بدرٍ على عدَّةِ أصحاب طالوتَ الذين جاوَزُوا معه النهرَ، ولم يُجاوِزَ معهَ إلا مؤمنٌ، بضعةَ عشرَ وثلاثَمائة».

٣٩٥٩ ـ عنِ البراء رضي اللهُ عنهُ قالَ: «كنا نتحدَّثُ أنَّ أصحابَ بدر ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشرَ بعدَّةِ أصحاب طالوتَ الذين جاوَزوا مَعهُ النهرَ، وما جاوَزَ معه إلا مؤمن».

قوله (باب عدة أصحاب بدر) أي الذين شهدوا الواقعة مع النبي ﷺ، ومن ألحق بهم.

قوله (استصغرت) ومراد البراء أن ذلك وقع عند حضور القتال فعرض من يقاتل فرد من لم يبلغ، وكانت تلك عادة النبي ﷺ في المواطن، وسيأتي بيان ذلك في غزوة الخندق(١) إن شاء الله تعالى.

قوله (أجازوا(٢)) وفي رواية إسرائيل التي بعدها «جاوزوا».

قوله (لا والله) وقد ذكر الله قصة طالوت وجالوت في القرآن في سورة البقرة، وذكر

---

(١) كتاب المغازي باب / ٢٩ ح ٤٠٩٧ - ٣ / ٣١٢

(٢) رواية الباب واليونينية "جازوا"

أهل العلم في الأخبار أن المراد بالنهر نهر الأردن، وأن جالوت كان رأس الجبارين، وأن طالوت وعد من قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويقاسمه الملك فقتله داود، فوفى له طالوت وعظم قدر داود في بني إسرائيل حتى استقل بالمملكة بعد أن كانت نية طالوت تغيرت لداود وهَمَّ بقتله فلم يقدر عليه، فتاب وانخلع من الملك وخرج مجاهدا هو ومن معه من ولده حتى ماتوا كلهم شهداء.

٧ ـ باب دُعاء النبيِّ ﷺ على كفَّارِ قُريش:

شيبةَ وعُتبةَ والوَليدِ وأبي جهلِ بن هشامٍ، وهَلاكهم

٣٩٦٠ ـ عن عبدِ الله بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: «استقبَل النبيُّ ﷺ الكعبةَ فدَعا على نَفَرٍ من قريش: على شيبةَ بن ربيعةَ، وعُتبةَ ابن ربيعةَ، والوَليد بن عتبة، وأبي جهلِ بن هشام، فأشهَدُ باللّه لقد رأيتُهم صرْعَى قد غَيَّرتهم الشمسُ، وكان يوماً حاراً».

قوله (وأبي جهل بن هشام وهلاكهم) المراد دعاؤه ﷺ السابق وهو بمكة، وقد مضى بيانه في كتاب الطهارة، وأورده في الطهارة لقصة سلى الجزور ووضعه على ظهر المصلي فلم تفسد صلاته، وقوله في هذه الرواية «فأشهد بالله» أي أقسم، وإنما حلف على ذلك مبالغة في تأكيد خبره (قد غيرتهم الشمس) أي غيرت ألوانهم إلى السواد، أو غيرت أجسادهم بالانتفاخ، وقد بين سبب ذلك بقوله «وكان يوما حارا».

٨ ـ باب قتلِ أبي جهلٍ

٣٩٦١ ـ عَنْ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنْهُ أنَّهُ أتى أبا جهل وبهِ رمَقٌ يوم بدرٍ فقالَ أبو جهل: هل أعمَدُ مِن رجُل قَتلتُموه».

٣٩٦٢ ـ عن أنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ النبيُّ ﷺ: مَنْ يَنْظرُ ما صَنَع أبو جهل؟ فانطلَقَ ابنُ مسعود فوجَدَهُ قد ضربَهُ ابنا عَفراء حتى بَردَ، قالَ: أأنت أبو جهل؟»قال فأخذَ بلحيتهِ قال: وهل فوقَ رجل قَتَلتموه؟ أو رجُلٍ قتلَه قَومه»؟

[الحديث ٣٩٦٢ - طرفاه في: ٣٩٦٣، ٤٠٢٠]

٣٩٦٣ ـ عنْ أنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ يومَ بدر: من ينظر ما فعل أبو جهل؟ فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برَد، فأخذَ بلحيتهِ فقال: أنتَ أبا جهل؟ قال: وهل فوقَ رجُل قتلهُ قومُه؟ أو قال: قَتَلتموه».

٣٩٦٤ ـ عنْ صالح بن إبراهيمَ عن أبيه عن جَدِّهِ فِي بدرٍ. يعني حديثَ ابنَي عَفراء

قوله (عن عبد الله) هو ابن مسعود.

قوله (أنه أتى أبا جهل) وبه رمق، كأن أبا جهل قد ضرب في المعركة بالسيوف حتى خر

صريعا كما سيأتي بيانه .

قوله (فقال أبو جهل هل أعمد) قيل معناه هل زاد على سيد قتله قومه قاله أبو عبيدة. ويؤيده ماوقع في حديث أنس بعده بلفظ، وهل فوق رجل قتلتموه.

قوله (أنت أبا جهل) كذا للأكثر، والمستملي وحده «أنت أبو جهل»، وفي حديث ابن عباس عند ابن اسحق والحاكم «قال ابن مسعود: فوجدته بآخر رمق، فوضعت رجلي على عنقه فقلت: أخزاك الله يا عدو الله، قال: وبما أخزاني؟ هل أعمد رجل قتلتموه» قال وزعم رجال من بني مخزوم أنه قال له «لقد ارتقيت يارويع الغنم مرتقى صعبا» قال: «ثم احتززت رأسه فجئت به رسول الله ﷺ فقلت: هذا رأس عدو الله أبي جهل، فقال: والله الذي لا إله إلاهو؟ فحلف له» وفي زيادة المغازي «فحلف له، فأخذ رسول الله ﷺ بيده ثم انطلق حتى أتاه فقام عنده فقال: الحمد لله الذي أعز الإسلام وأهله ثلاث مرات».

٣٩٦٥ ـ عَنْ عليٍّ بن أبي طالب رضيَ اللّهُ عنهُ أنه قالَ: «أنا أولُ مَن يجثو بينَ يدَيِ الرحمنِ للخُصومَةِ يوم القيامة». وقال قَيس بن عُباد وفيهم أُنزلت {هذانِ خَصمانِ اختَصَموا في ربهم} قال: هُم الذين تَبارَزوا يومَ بدر، حمزةُ وعلي وعُبَيدة أو أبو عُبَيدةَ - بنُ الحارثِ وشيبة بنُ ربيعةَ وعتبة بن ربيعةَ والوَليدُ بن عتبة».

[الحديث ٣٩٦٥ - طرفاه في: ٣٩٦٧، ٤٧٤٤]

٣٩٦٦ ـ عنْ أبي ذَرٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «نزلَت {هذانِ خَصمانِ اختصموا في ربِّهم} في ستة مِن قريش: عليٍّ وحمزةَ وعبَيدةَ بن الحارثِ وشيبةَ بن ربيعةَ وعُتبةَ بن ربيعة والوَليدِ بن عُتبةَ».

[الحديث ٣٩٦٦ - أطرافه في: ٣٩٦٨، ٣٩٦٩، ٤٧٤٣]

٣٩٦٧ ـ عن قَيسِ بنِ عُباد قال: قالَ عليٌّ رضيَ اللّهُ عنه: فِينا نزَلَت هذه الآية {هذانِ خَصمانِ اختصَموا في ربِّهم} / الحج:١٩/

٣٩٦٨ ـ عَنْ قَيسِ بن عُبادٍ «سمعتُ أبا ذَرّ رضيَ اللّهُ عَنْهُ يُقسِمُ: لنزلَتْ هؤلاء الآياتُ في هؤلاء الرَّهطِ الستة يومَ بدرٍ...» نحوه

٣٩٦٩ ـ عَنْ قَيْس بن عُباد قال: «سمعتُ أبا ذَرٌ يُقسِمُ قَسَما إنّ هذهِ الآيةِ {هذانِ خَصمانِ اختصَموا في ربهم} نزلَتْ في الذينَ برزُوا يومَ بَدرٍ: حمزةَ وعلّي وعُبَيدةَ بنِ الحارث، وعتبةَ وشيْبةَ ابني ربيعة والوَليدِ بن عتبةَ».

٣٩٧٠ ـ عَنْ أبي إسحاق سأل رجُلٌ البراء وأنا أسمعُ قال أشَهِدَ عليٌّ بدراً؟ قال: بارزَ وظاهرَ».

قوله (من يجثو) أي يقعد على ركبتيه مخاصما، والمراد بهذه الأولية تقييده بالمجاهدين

من هذه الأمة، لأن المبارزة المذكورة أول مبارزة وقعت في الإسلام.

قوله (في ستة من قريش) يعني ثلاثة من المسلمين من بني عبد مناف: اثنين من بني هاشم، وواحد من بني المطلب، وثلاثة من المشركين من بني عبد شمس بن عبد مناف.

قوله (علي وحمزة) أي ابن عبد المطلب بن هاشم وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.

قوله (و شيبة بن ربيعة) أي ابن عبد شمس، وعتبة هو أخوه، والوليد بن عتبة ولده.

وذكر ابن إسحق أن عبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة كانا أسن القوم، فبرز عبيدة لعتبة، وحمزة لشيبة، وعلي للوليد، ثم اتفقا فقتل علي الوليد، وقتل حمزة الذي بارزه، واختلف عبيدة ومن بارزه بضربتين فوقعت الضربة في ركبة عبيدة فمات منها لما رجعوا بالصفراء، ومال حمزة وعلي إلى الذي بارز عبيدة فأعاناه على قتله، وفي الحديث جواز المبارزة خلافا لمن أنكرها كالحسن البصري، وشرط الأوزاعي والثوري وأحمد وإسحق للجواز إذن الأمير على الجيش، وجواز إعانة المبارز رفيقه، وفيه فضيلة ظاهرة لحمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم.

٣٩٧١ ـ عَنْ صالح بن إبراهيمَ بن عبد الرحمنِ بن عوف عن أبيهِ عن جَدِّهِ عبد الرحمنِ قالَ: «كاتبتُ أميةَ بنَ خَلفٍ، فلما كان يومَ بدرٍ - فذكرَ قَتْلَهُ وقَتلَ ابنه- فقال: بلال: لانجوتُ إن نجا أميَّة».

٣٩٧٢ ـ عنْ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنْهُ «عنِ النبيِّ ﷺ أنهُ قرأ {والنجم} فسجَدَ بها وسجدَ من معَهُ، غيرَ أنَّ شيخاً أخذ كفًا من ترابٍ فرفَعهَ الى جَبهتهِ فقال: يكفِيني هذا. قال عبدُ الله: فَلقَد رأيتهُ بعدُ قتلَ كافراً».

٣٩٧٣ ـ عَنْ عروةَ قال: كان في الزُّبيرِ ثلاثُ ضربَات بالسيف إحداهنَّ في عاتقه قال: إن كنتُ لأدخِلُ أصابعي فيها. قالَ: ضُرِبَ ثنتين يومَ بدر، وواحدة يوم اليرموك. قال عُروة: وقال لي عبدُ الملكِ بن مروانَ حين قُتِلَ عبد الله بن الزُّبير: يا عروةُ هل تَعرِفُ سيفَ الزُّبير؟ قلت: نعم. قال: فما فيهِ قلتُ: فَلَّةٌ فُلَّها يومَ بدر، قال: صدقت «بهنَّ فُلولٌ من قراعِ الكتائبِ» ثمَّ رَدَّهُ على عروةَ. قال هِشامٌ: فأقَمناهُ بيننا ثلاثةَ آلاف، وأخذه بعضُنا ولوددِتُ أني كنت أخذتُه».

٣٩٧٤ ـ عنْ هشامٍ عن أبيه قال: «كان سيفُ الزُّبيرِ مُحلى بِفضة، قال هِشامٌ: وكانَ سيفُ عُروةَ محلى بِفضَّة».

٣٩٧٥ ـ عَنْ هشامِ بن عروة عن أبيه «أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ قالوا للزُّبير يومَ اليَرموك: ألا تَشدُّ فنشد معك؟ فقال: إنى إن شَدَدتُ كذَبتم. فقالوا: لا نفعلُ، فحملَ عليهم حتى شقَّ صفوفهم، فجاوَزَهم وما معهُ أحد، ثم رجَع مُقبلا، فأخذوا بلجامهِ، فضربوه ضربتين

على عاتِقه بينهما ضربةٌ ضربها يوم بدر، قال عروة: كنت أُدخِل أصابِعي في تلكَ الضَّرباتِ ألعبُ وأنا صغير، قال عروة وكان معَه عبدُ الله بن الزُّبيرِ يومئذٍ، وهو ابنُ عَشرِ سنين، فحملَه على فَرَس ووكّل به رجلا».

قوله (ضرب ثنتين يوم بدر وواحدة يوم اليرموك)، ووقعة اليرموك كانت أول خلافة عمر بين المسلمين والروم بالشام سنة ثلاثة عشر وقيل سنة خمسة عشر، واليرموك موضع من نواحي فلسطين، ويقال إنه نهر، والتحرير أنه موضع بين أذرعات ودمشق كانت به الواقعة المشهورة، وقتل في تلك الوقعة من الروم سبعون ألفا في مقام واحد، لأنهم كانوا سلسلوا أنفسهم لأجل الثبات، فلما وقعت عليهم الهزيمة قتل أكثرهم، وكان اسم أمير الروم من قبل هرقل باهان، وكان أبو عبيدة الأمير على المسلمين يومئذ، ويقال أنه شهدها من أهل بدر مائة نفس والله أعلم.

قوله (ووكل به رجلا) لم أقف على اسمه وكأن الزبير آنس من ولده عبد الله شجاعة وفروسية فأركبه الفرس وخشي عليه أن يهجم بتلك الفرس على مالا يطيقه فجعل معه رجلاً ليأمن عليه من كيد العدو إذا اشتغل هو عنه بالقتال، وروى ابن المبارك في الجهاد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير أنه كان مع أبيه يوم اليرموك، فلما انهزم المشركون حمل فجعل يجهز على جرحاهم، أي يكمل قتل من وجده مجروحا، وهذا مما يدل على قوة قلبه وشجاعته من صغره.

٣٩٧٦ ـ عن قَتادةَ قالَ: «ذكرَ لنا أنَس بن مالكٍ عن أبي طلحةَ أن نبيَّ الله ﷺ أمرَ يومَ بدرٍ بأربعةٍ وعشرين رجلاً من صَناديدِ قريشٍ فقُذِفوا في طَوِىً من أطواءِ بدر خَبيثٍ مُخْبِث. وكان إذا ظَهرَ على قومٍ أقامَ بالعَرْصة ثلاثَ ليالٍ. فلما كان ببدرٍ اليومَ الثالثَ أمرَ براحِلته فشُدَّ عليها رحلُها، ثم مَشى واتَّبَعهُ أصحابه وقالوا: ما نرَى يَنطلِقُ إلا لبعضِ حاجته، حتى قامَ على شَفَةِ الرَّكيِّ، فجعلَ يُنادِيهم بأسمائهم وأسماءِ آبائهم: يافلانُ ابنَ فلان، ويا فلان ابنَ فلان، أيسرُّكم أنكم أطعتمُ اللهَ ورسوله؟ فانا قد وَجدْنا ما وعدنا ربُّنا حقًّا، فهل وَجدْتم ما وعدَ ربُّكم حقًّا. قالَ فقالَ عمرُ: يا رسولَ اللهِ، ما تُكلمُ من أجسادٍ لا أرواحَ لها، فقال رسولُ الله ﷺ: والَّذي نَفْسُ مُحمدٍ بيده، ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم» قال قَتادة: أحياهُمْ الله حتى أسمعَهُم قوله، تَوبيخاً وتَصغيراً ونَقيمة وحَسرةً ونَدَما.

٣٩٧٧ ـ عنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا {الَّذينَ بَدَّلوا نعمةَ الله كفراً} قالَ: هم والله كفّارُ قريش. قال عمرٌو: هم قُريش، ومحمدٌ ﷺ نعمةُ الله. {وأحَلُّوا قومَهم دارَ البَوار} قال: النارَ يومَ بِدر

[الحديث ٣٩٧٧ - طرفه في: ٤٧٠٠]

٣٩٧٨ - عَنْ هشام عن أبيهِ قال: «ذُكِرَ عندَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أن ابنَ عمرَ رَفَعَ إلى النبيِّ ﷺ: إنَّ الميِّتَ يُعذَّبُ في قبرِهِ ببكاء أهله. فقالت: وَهِلَ، إنما قالَ رسولُ الله ﷺ: إنَّه ليُعذَّبُ بخطيئته وذَنْبه، وإنَّ أهلَه لَيَبكونَ عليه الآن».

٣٩٧٩ - قالتْ «وذلك مثل قوله: إنَّ رسولَ الله ﷺ قام على القَليبِ وفيه قتلى بدرٍ منَ المشركين فقال لهم، ما قال: إنهم ليسمعون ما أقول، إنما قال: إنهم الآن لَيعلمون أن ما كنتُ أقول لهم حق. ثم قرأتْ /النمل:٨٠/: {إنكَ لا تُسمِعُ الموتى، وما أنت بمسمعٍ مَن في القبور} يقول: حينَ تبوَّءوا مقاعدَهم منَ النار».

٣٩٨٠، ٣٩٨١ - عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما قالَ «وقفَ النبيُّ ﷺ على قليبِ بدر فقال: هل وَجدْتم ما وَعدَ ربُّكم حقّاً؟ ثم قال إنهم الآنَ يسمعون ما أقول. فذُكرَ لعائشةَ فقالت: إنما قال النبيُّ ﷺ: إنهم الآنَ لَيعلمون أن الذي كنتُ أقول لهم هو الحق. ثم قرأتْ {إنكَ لا تُسمعُ الموتى} حتى قرأتِ الآية».

قوله (بأربعة وعشرين رجلا من صناديد) جمع صنديد بوزن عفريت وهو السيد الشجاع.

قوله (على شفة الركى) أي طرف البئر.

قوله (وهل) أي غلط وزنا ومعنى.

قوله (إن الميت ليعذب(١) في قبره) الحديث تقدم شرحه في الجنائز(٢).

قوله (يقول حين تبوءوا مقاعدهم من النار) القائل «يقول» هو عروة، يريد أن يبين مراد عائشة فأشار إلى أن إطلاق النفي في قوله {إنك لا تسمع الموتى} مقيد باستقرارهم في النار، وعلى هذا فلا معارضة بين إنكار عائشة وإثبات ابن عمر كما تقدم توضيحه في الجنائز، لكن الرواية التي بعد هذه تدل على أن عائشة كانت تنكر ذلك مطلقا لقولها إن الحديث إنما هو بلفظ «إنهم ليعلمون» وأن ابن عمر وهم في قوله «ليسمعون» قال البيهقي: العلم لا يمنع من السماع والجواب عن الآية أنه لا يسمعهم وهم موتى ولكن الله أحياهم حتى سمعوا كما قال قتادة، قال الإسماعيلي: كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه، لكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبته غيرها ممكن، لأن قوله تعالى {إنك لا تسمع الموتى} لا ينافي قوله ﷺ «إنهم الآن يسمعون»

---

(١) رواية الباب واليونينية "يعذب" بدون "لام" التأكيد.
(٢) كتاب الجنائز باب / ٣٢ ح ١٢٨٨ - ١ / ٧٤٦

لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع، فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيه ﷺ بذلك. وأما جوابها بأنه إنما قال إنهم ليعلمون فإن كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيدها، وقال السهيلي ما محصله: إن في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك للنبي ﷺ، لقول الصحابة له «أتخاطب أقواما قد جيفوا؟ فأجابهم» قال: وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين، وذلك إما بآذان رءوسهم على قول الأكثر أو بآذان قلوبهم، قال: وقد تمسك بهذا الحديث من يقول: إن السؤال يتوجه على الروح والبدن، ورده من قال: إنما يتوجه على الروح فقط بأن الإسماع يحتمل أن يكون لأذن الرأس ولأذن القلب فلم يبق فيه حجة، قلت: إذا كان الذي وقع حينئذ من خوارق العادة للنبي ﷺ حينئذ لم يحسن التمسك به في مسألة السؤال أصلا.

٩ - باب فضلِ مَن شهدَ بَدراً

٣٩٨٢ - عَنْ حُميدٍ قال سمعت أنساً رضيَ اللهُ عَنْهُ يقول «أُصيبَ حارثةُ يومَ بَدر وهوَ غلامٌ، فجاءت أمُّه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرَفتَ منزلةَ حارثَة مني، فإن يَكنْ في الجنَّةِ أصبرْ وأحتسبْ، وإن تكُنِ الأخرَى تَرَ ما أصنعُ. فقالَ: وَيَحكِ أو هَبِلتِ أوَ جَنةٌ واحدةٌ هي؟ إنها جِنانٌ كثيرة؛ وإنهُ في جنةِ الفردَوس».

٣٩٨٣ - عَنْ علي رضيَ اللهُ عنهُ قال: «بَعثَني رسولُ اللهِ ﷺ وأبا مَرثَدٍ والزبيرَ -وكلنا فارسٌ- قال: انطلقوا حتى تأتوا رَوضةَ خاخ فإن بها امرأةً منَ المشركين معها كتابٌ من حاطِبِ بن أبي بَلتَعةَ إلى المشركين. فأدركناها تَسيرُ على بَعير لها حيثُ قال رسولُ اللهِ ﷺ، فقلنا: الكتاب فقالت: مَا مَعَنَا كتاب، فأنخناها، فالتمسْنا فلم نَرَ كتابًا، فقلنا: ما كذبَ رسولُ اللهِ ﷺ، لتُخرجِنَّ الكتابَ أو لنجرِّدَنَّكِ، فلما رأتِ الجدَّ أهوَت إلى حُجزَتها -وهي محتجزةٌ بكساء- فأخرجَتْه. فانطلَقنا بها إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: عمر يارسولَ اللهِ، قَد خانَ اللهَ ورسولَه والمؤمنين، فدَعني فلأضرِب عنقَه، فقال النبيُّ ﷺ: ما حَمَلَكَ عَلَى مَا صنعتَ؟ قال حاطب: واللهِ ما بي أن لا أكونَ مؤمنا بالله ورسولِه ﷺ، أردتُ أن تكون لي عندَ القوم يدٌ يدفعُ الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابِكَ إلا له هناك من عشيرتِه من يدفَعُ اللهُ به عن أهلِه ومالِه. فقال النبيُّ ﷺ، صدَق، ولا تقولوا لهُ إلا خيرا، فقال: عمر إنه قد خانَ اللهَ والمؤمنين، فدَعني فلأضرِبْ عُنُقَه، فقال: أليسَ من أهل بَدر؟ فقال: لعلَّ اللهَ اطلعَ على أهل بدر فقالَ: اعملوا ما شئتم فقد وجبَتْ لكم الجنة -أو فقد غَفَرتُ لكم- فدمعَت عينا عمر وقالَ: اللهُ ورسولُه أعلم».

قوله (باب فضل من شهد بدرا أي مع النبي ﷺ من المسلمين مقاتلا للمشركين، وكأن المراد بيان أفضليتهم لامطلق فضلهم.

قوله (أصيب حارثة يوم بدر) هو ابن سراقة بن الحارث بن عدي الأنصاري بن عدي بن النجار، وأبوه سراقة له صحبة واستشهد يوم حنين.

قوله (هبلت) بضم الهاء أي ثكلت وهو بوزنه، وقد تفتح الهاء يقال هبلته أمه.

وسيأتي شرح القصة في فتح مكة مستوفى

١٠ - باب * ٣٩٨٤ - عنْ أبي أسيدٍ رضيَ اللّهُ عنهُ قال: «قالَ لنَا رسولُ اللهِ ﷺ يَوْم بدر: إذا أكثبوكم فارموهم، استَبْقوا نَبلكم».

٣٩٨٥ - عن أبي أسيدٍ رضي اللّهُ عنه قال: «قال لنا رسولُ اللهِ ﷺ يوم بدر: إذا أكْثبوكم -يعني أكثروكم- فارموهم، واستَبْقوا نَبلكم».

قوله (إذا أكثبوكم) أي إذا قربوا منكم.

قوله (فارموهم واستبقوا نبلكم) قال الداودي معنى قوله «ارموهم» أي بالحجارة لأنها لا تكاد تخطئ إذا رمى بها في الجماعة، قال، ومعنى قوله «استبقوا نبلكم» أي إلى أن تحصل المصادمة، كذا قال. وقال غيره: المعنى ارموهم ببعض نبلكم لا بجميعها، والذي يظهر لي أن معنى قوله «واستبقوا نبلكم» لا يتعلق بقوله «ارموهم وإنما هو كالبيان للمراد بالأمر بتأخير الرمي حتى يقربوا منهم، أي أنهم إذا كانوا بعيدا لا تصيبهم السهام غالبا، فالمعنى استبقوا نبلكم في الحالة التي إذا رميتم بها لا تصيب غالبا، وإذا صاروا إلى الحالة التي يمكن فيها الإصابة غالبا فارموا.

٣٩٨٦ - عَنْ أبي إسحاق قالَ سَمِعْتُ البَراءَ بن عازبٍ رضيَ اللّهُ عنهما قال «جعَل النبيُّص علي الرماةِ يوم أحدٍ عبدَ الله بن جُبَير، فأصابوا منّا سبعين، وكان النبيُّ ﷺ وأصحابه أصابوا منَ المشركين يومَ بدرٍ أربعين ومائة: سبعين أسيراً، وسبعين قتيلا. قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحربُ سِجال».

٣٩٨٧ - عَنْ أبي مُوسى -أراه عن النبيِّ ﷺ- قال: «وإذا الخيرُ ما جاءَ الله به من الخير بعدُ، وثوابُ الصدقِ الذي آتانا بعدَ يوم بدر».

٣٩٨٨ - عن عبدِ الرحمنِ بن عوفٍ قال: إني لَفي الصفِّ يومَ بدرٍ إذ التَفتُّ فإذا عن يميني وعن يَساري فَتَيانِ حديثا السنِّ. فكأني لم آمَنْ بمكانهما، إذ قالَ لِي أحدُهما سراً من صاحبه: يا عَمِّ أرني أبا جهل، فقلت: يا ابنَ أخي وما تصنَعُ به؟ قال: عاهدتُ الله إن رأيته أن أقتُلَه أو أموتَ دونَه، فقال لي الآخرُ سراً من صاحبهِ مِثلَه قال: فما سرَّني أني بين رجلَين مكانَهما، فأشرتُ لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرَين حتى ضرَباه، وهما ابنا عَفراء».

٣٩٨٩ - عنْ أبي هريرَةَ رضي اللّهُ عَنْهُ قال: «بعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ عَشرةً عَيْناً

وأمَّرَ عليهم عاصمَ بن ثابت الأنصاريَّ جدَّ عاصمِ بنِ عمرَ بن الخطاب، حتى إذا كانوا بالهدةِ بينَ عُسفان ومكةَ ذُكروا لحيٍّ من هُذَيل يقال لهم بنو لِحيانَ، فنفَروا لهم بقريبٍ من مائة رجلٍ رامٍ، فاقتصُّوا آثارهم حتى وَجدوا مأكلهم التمرَ فِي منزلٍ نزلوه، فقالوا: تمرُ يَثرب، فاتَّبعوا آثارَهم. فلما حسَّ بهم عاصمٌ وأصحابُه لجأوا الى مَوضعٍ. فأحاطَ بهم القومُ فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم، ولكمُ العهدُ والميثاق أن لا نقتلَ منكم أحداً. فقالَ عاصمُ بن ثابت: أيها القومُ، أما أنا فلا أنزِل في ذِمةِ كافر، ثمَّ قال: اللهمَّ أخبِرْ عنّا نبيَّك ﷺ، فرمَوهم بالنبل فقتَلوا عاصما، ونزَل إليهم ثلاثةُ نفر على العهدِ والميثاق، منهم خُبَيبٌ وزيدُ بنُ الدَّثِنَة ورجل آخر. فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتارَ قسيِّهم فربطوهم بها، قال الرجلُ الثالث: هذا أوَّل الغدر، والله لا أصحبُكم، إن لي بهؤلاء أسوة -يريدُ القتلى- فجرَّروهُ وعالجوه، فأبى أن يصحبَهم. فانطُلقَ بخبيبٍ وزيدِ ابنِ الدَّثِنَة حتى باعوهما بعدَ وقعة بدر، فابتاعَ بنو الحارثِ بن عامر بن نوفَل خُبَيباً - وكان خبيبٌ هو قتلَ الحارثَ بن عامرٍ يومَ بدر- فلبثَ خبيبٌ عندَهم أسيراً حتى أجمعوا قتلَه، فاستعارَ من بعض بنات الحارثِ موسى يستحدُّ بها، فأعارَتْه، فدَرجَ بُنيٌّ لها وهي غافلةٌ حتى أتاهُ، فوجدَتْهُ مُجلِسَهُ على فخذِهِ والموسى بيده. قالت: ففزِعْت فَزعةً عرفَها خُبيب، فقال: أتخشَيْنَ أن اقتُلَه؟ ما كنتُ لأفعلَ ذلك، قالتْ: واللهِ مَا رَأيت أسيراً قطُّ خيراً من خُبَيب، والله لقد وجَدتُه يوماً يأكلُ قِطفاً من عِنبٍ في يدِهِ وإنه لموثقٌ بالحديد، وما بمكةَ من ثمرة. وكانت تقول: إنهُ لرزقٌ رزَقه الله خبيباً. فلما خرجوا بهِ من الحرَم ليقتُلوه في الحِلِّ قال لهم خبيبٌ: دعُوني أصلِّي ركعتَين، فتركوهُ فركع ركعتَين فقال: والله لولا أن تحسبوا أنَّ ما بي جَزَعٌ لَزدتُ، ثم قال: اللهُمَّ أحصِهم عَدداً، واقتُلهم بدَدا، ولا تُبق منهم أحداً، ثمَّ أنشأ يقول:

فلستُ أبالي حينَ أُقتَلُ مسلماً ... على أي جنبٍ كان لله مَصْرعَي
وذلك في ذاتِ الإله وإن يَشأ ... يُبارِكْ على أوصالِ شِلوٍ ممزَّعِ

ثم قام أليهِ أبو سِروَعة عُقبةُ بن الحارث. فقتله وكان خبيبٌ هو سَنَّ لكلِّ مسلمٍ قُتِل صبراً الصلاةَ. وأخبرَ -يعني النبيُّ ﷺ - أصحابه يوم أصيبوا خبرَهم. وبَعثَ ناسٌ من قريشٍ الى عاصم بن ثابت حين حُدِّثوا أنه قتل أن يؤتَوا بشيء منه يُعرف -وكانَ قتلَ رجلا عظيمًا من عظمائهم- فَبعثَ اللهُ لعاصم مثلَ الظُّلةِ منَ الدَّبْر فحمَتْهُ من رُسُلهم، فلم يَقدروا أن يَقطعوا منه شيئاً»، وقال كعبُ بن مالك «ذكروا مُرارةَ ابن الرَّبيع العَمْريَّ وهلال ابن أميَّة الواقفيَّ رجُلَين صالحينَ قد شَهدا بدراً».

٣٩٩٠ ـ عَنْ نافعٍ «أنَّ ابنَ عمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا ذُكرَ له أن سعيدَ ابن زيد بن عمرو

ابن نفيل -وكان بَدريّاً- مَرِض في يوم جمعة، فركبَ إليهِ بعد أن تعالى النهارُ واقتربَتِ الجمعة، وتركَ الجمعةَ».

٣٩٩١ ـ عَن عُبَيدِ الله بن عبدِ الله بن عُتبةَ «أنَّ أباهُ كتب إلى عمرَ بن عبدِ الله بن الأرقم الزُّهريِّ يأمرهُ أن يدخُلَ على سُبَيعةَ بنتِ الحارثِ الأسلميةِ فيسألها عن حديثها وعن ما قال لها رسول الله ﷺ حينَ استفْتَتْهُ. فكتب عمرُ بن عبد الله بن الأرقم إلى عبدِ الله بن عتبةَ يخبرهُ أن سُبَيعةَ بنتَ الحارث أخبرَته أنها كانت تحتَ سعدِ بن خولةَ - وهو من بني عامرِ بن لُؤَيّ وكان ممن شهدَ بدراً -فتُوُفّيَ عنها في حَجَّة الوداع وهي حامل، فلم تنشَبْ أن وضَعَت حملَها بعدَ وَفاته، فلما تَعَلَّت من نِفاسِها تجمَّلت للخُطّاب، فدخلَ عليها أبو السَّنابل بنُ بَعْكَك -رجلٌ من بني عبدِ الدار- فقال لها: مالي أراكِ تجمَّلت للخُطّاب ترَجِّين النكاحَ؟ فإنَّكَ واللهِ ما أنت بناكحٍ حتى تمرَّ عليكِ أربعةُ أشهر وعشر. قالت سُبَيعةُ: فلما قال لي ذلك جَمعت عليَّ ثِيابي حين أمسيتُ وأتَيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فسألتُه عن ذلك، فأفتاني بأني قد حَللتُ حينَ وضعتُ حَملي، وأمرني بالتزوُّج إن بدا لي».

[الحديث ٣٩٩١ - طرفه في: ٥٣١٩]

الحديث الخامس حديث أبي هريرة في قصة أصحاب بئر معونة وسيأتي شرحه بتمامه في غزوة الرجيع، والغرض منه هنا قوله فيه (وكان قد قتل عظيماً من عظمائهم) فإنه سيأتي التصريح بأن ذلك كان يوم بدر.

١١ ـ باب شهود الملائكة بَدراً

٣٩٩٢ ـ عَن مُعاذِ بن رفاعة بن رافع الزُّرَقيِّ عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر- قال: «جاءَ جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: ما تَعدُّونَ أهلَ بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين -أو كلمة نحوها - قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة».

[الحديث ٣٩٩٢ - طرفه في: ٣٩٩٤]

٣٩٩٣ ـ عَنْ مُعاذِ بن رِفاعةَ بن رافع، وكان رفاعة من أهل بدرٍ وكان رافع من أهلِ العقبة، فكان يقول لابنه: ما يَسرُّني أني شهدتُ بدراً بالعقبة، قال: سألَ جبريلُ النبيَّ ﷺ .... بهذا».

٣٩٩٤ ـ عن يحيى سمع معاذَ بن رِفَاعةَ «أنَّ مَلَكا سأل النبيَّ ﷺ، وعن يحيى أنَّ يزيدَ بن الهاد أخبرَهُ أنه كان معه يومَ حدَّثهُ مُعاذٌ هذا الحديث فقال يزيد «فقال مُعاذٌ إن السائلَ هو جبريلُ عليه السلام».

٣٩٩٥ ـ عَنْ عَكرمة عن ابن عباسٍ رضي اللهُ عنهما «أن النبيَّ ﷺ قال يوم بدر: هذا

جبريلُ آخذ برأسِ فرَسِه عليهِ أداةُ الحرب».

[الحديث ٣٩٩٥ - طرفه في: ٤٠٤١]

قوله (باب شهود الملائكة بدرا) وأخرج يونس بن بكير في زيادات المغازي والبيهقي من طريق الربيع بن أنس قال: «كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة من قتلى الناس بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل وسم النار»، وعند مسلم من حديث ابن عباس «بينما رجل مسلم يشتد في إثر رجل مشرك إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس، الحديث وفيه «فقال النبي ﷺ: ذلك مدد من السماء الثالثة».

قوله (بدرا بالعقبة) أي بدل العقبة، يريد أن شهود العقبة عنده أفضل من شهود بدر،.

ساق الإسماعيلي لفظ يزيد من طريق محمد بن شجاع عنه بلفظ «أن ملكا من الملائكة أتى رسول الله ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال يحيى بن سعيد: حدثني يزيد بن الهاد أن السائل هو جبريل، والذي يظهر أن رافع بن مالك لم يسمع من النبي ﷺ التصريح بتفضيل أهل بدر على غيرهم فقال ما قال باجتهاد منه، وشبهته أن العقبة كانت منشأ نصرة الإسلام وسبب الهجرة التي نشأ منها الاستعداد للغزوات كلها، لكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله أعلم.

قال الشيخ تقي الدين السبكي: سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم.

١٢- باب - ٣٩٩٦- عن أنسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «ماتَ أبُو زيدٍ ولم يتركْ عَقِبًا، وكان بدرياً».

٣٩٩٧ - عَنِ ابن خَبّابٍ «أن أبا سعيدِ بن مالكٍ الخُدريَّ رضيَ اللّه عنه قَدِمَ من سفرٍ، فقدَّمَ إليه أهلهُ لحماً من لُحوم الأضحى فقال: ما أنا بآكلهِ حتى أسألَ. فانطلقَ إلى أخيهِ لأمهِ وكان بَدرياً قتادةَ بنِ النُّعمانِ فسأله فقال: إنهُ حدث بعدَك أمرٌ نقضٌ لما كانوا يُنهونَ عنه من أكلِ لحوم الأضحى بعدَ ثلاثةِ أيام».

[الحديث ٣٩٩٧ - طرفه في: ٥٥٦٨]

٣٩٩٨ - عن هشام بن عُروةَ عن أبيه قال: «قال الزُّبيرُ: لقيتُ يومَ بدرٍ عُبيدةَ بن سعيدِ بن العاص وهو مُدَجَّجٌ لا يُرَى منه إلاّ عَيناهُ وهو يُكنى أبا ذاتِ الكَرِش فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملتُ عليه بالعَنَزةِ فطعَنْتهُ في عينهِ فمات، قال هشامٌ: فأُخبرتُ أنَّ الزُّبيرَ قال: لقد وضَعتُ رِجلي عليه ثمَّ تمطَّأتُ فكان الجَهدَ أن نَزعتُها وقد انثنى طرَفاها، قال عروة: فسألهُ إيّاها رسولُ اللهِ ﷺ فأعطاهُ، فلما قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ أخذَها، ثمَّ طلبها أبوبكر فأعطاهُ، فلما قُبضَ أبوبكرٍ سألها إياه عمرُ فأعطاهُ إياها، فلما قُبضَ عمرُ أخذَها، ثمَّ طلبها عثمانُ منه فأعطاه إيّاها، فلما قُتِلَ عثمانُ وقعَتْ عندَ آلِ عليٍّ فطلبَها عبدُ اللهِ بن الزُّبير، فكانت عندَهُ حتى قُتِلَ».

٣٩٩٩ - عَنْ أبي إدريسَ عائذُ اللهِ بن عبدِ اللهِ أنَّ عُبادةَ بن الصامت -وكان شَهِدَ بدراً- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «بايِعوني».

٤٠٠٠ - عَنْ عائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النبيِّ «أن أبا حذَيفة - وكان ممن شهد بدراً مع رسولِ اللهِ ﷺ - تبنَّى سالماً وأنكحَهُ بنتَ أخيه هنداً بنتَ الوَليد بن عتبة - وهو مولى لامرأةٍ منَ الأنصار- كما تبنى رسولُ اللهِ ﷺ زيداً، وكان من تَبنّى رجلاً في الجاهلية دَعاهُ الناسُ إليه، ووَرِثَ من ميراثه، حتى أنزلَ اللهُ تعالى /الأحزاب:٥/: {ادعوهم لآبائهم}، فجاءت سَهلةُ النبيَّ ﷺ ...» فذكر الحديث.

[الحديث ٤٠٠٠ - طرفه في : ٥٠٨٨]

قوله (مدجج) أي مغطي بالسلاح ولا يظهر منه شيء

٤٠٠١ - عن الرُّبَيِّع بنت مُعوِّذٍ قالت« دخَلَ عليَّ النبيُّ ﷺ غَداةَ بُنيَ عليَّ، فجلسَ على فِراشي كمجلِسك مني، وجُوَيرياتٌ يَضرِبنَ بالدُّفِّ يندُبنَ مَن قُتِلَ من آبائهنَّ يومَ بدر، حتى قالت جاريةٌ: وفينا نبيٌّ يَعلمُ ما في غَدٍ، فقال النبيُّ ﷺ: لا تقولي هكذا وقولي ما كنتِ تقولين».

[الحديث ٤٠٠١ - طرفه في:٥١٤٧]

٤٠٠٢ - عن ابن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «أخبرني أبو طلحة رضيَ اللهُ عنه صاحبُ رسول اللهِ ﷺ - وكان قد شَهِد بدراً مع رسولِ اللهِ ﷺ - أنه قال: لا تَدخلُ الملائكةُ بيتا فيه كلبٌ ولا صورة يريدُ التماثيلَ التي فيها الأرواح».

٤٠٠٣ - عن عليٍّ رضي الله قال: «كانت لي شارِفٌ من نَصيبي منَ المغنم يومَ بدرٍ، وكان النبيُّ ﷺ أعطاني ممّا أفاءَ اللهُ عليه منَ الخُمُسِ يومَئذٍ؛ فلما أردت أن أبتني بفاطمةَ عليها السلام بنتِ النبيِّ ﷺ واعَدْتُ رجلاً صوّاغًا في بني قَينقاعَ أن يَرتحل معي فنأتِيَ

بإذخرِ فأردتُ أن أبيعهُ منَ الصَّوَّاغينَ فنستعينَ به في وَليمةِ عُرسي، فبينا أنا أجمعُ لشارِفيَّ من الأقتابِ والغرائرِ والحِبالِ، وشارِفايَ مُناخانِ إلى جنبِ حُجرةِ رجلٍ منَ الأنصار، حتى جمعتُ ما جمعت، فإذا أنا بشارفيَّ قد أُجِبَّتْ أسنِمَتهما، وبُقِرَت خَواصِرُهما، وأُخذَ من أكبادهما، فلم أملكْ عينيَّ حين رأيتُ المنظرَ قلتُ: من فَعل هذا؟ قالوا: فعلهُ حمزةُ بن عبدِ المطَّلبِ وهو في هذا البيتِ في شَرْبٍ من الأنصار، وعندهُ قَيْنَةٌ وأصحابهُ، فقالت في غِنائها «ألا يا حمزة للشُرُفِ النِّواءِ» فوثبَ حمزةُ إلى السيف فأجَبَّ أَسْنِمتَهما وبقَرَ خواصِرَهما وأخذَ من أكبادهما، قال عليٌّ: فانطلَقْتُ حتى أدخُلَ على النبيِّ ﷺ وعندهُ زيدُ بن حارثةَ، وعرَف النبيُّ ﷺ الذي لقيتُ، فقال: مالك؟ قلتُ يا رسولَ الله مَا رَأيتُ كاليوم، عدا حمزةُ على ناقتيَّ فأجَبَّ أسنِمتَهما وبقرَ خواصِرهَما، وها هو ذا في بيت معهُ شَرْبٌ، فدعا النبيُّ ﷺ بردائه فارتدى، ثمَّ انطلقَ يَمشي واتَّبَعْتُه أنا وزيدُ بن حارثةَ حتى جاءَ البيتَ الذي فيهِ حمزةُ، فاستأذن عليه، فأذِنَ له، فطفِقَ النبيُّ ﷺ يَلُوم حمزةَ فيما فعلَ، فإذا حمزةُ ثَمِلٌ محمرَّةٌ عيناهُ، فنظرَ حَمْزَةُ إلى النبيِّ ﷺ ثمَّ صعَّد النظر: فنظرَ إلى رُكبته، ثمَّ صعَّد النظر فنظر إلى وجهه، ثم قال حمزة: وهل أنتم إلا عَبيدٌ لأبي؟ فعرفَ النبيُّ ﷺ أنَّه ثَمِلٌ، فَنكصَ رسولُ الله ﷺ على عَقِبَيهِ القهقَرَى، فخرجَ وخَرجنا معَهُ».

قوله (يندبن من قتل من آبائي[1]) كان الذي قتل ببدر ممن يدخل في هذه العبارة ولو بالمجاز أبوها وعمها عوف أو عوذ ومن يقرب لهما من الخزرج كحارثة بن سراقة، وقولها «يندبن» الندب دعاء الميت بأحسن أوصافه، وهو مما يهيج التشوق إليه والبكاء عليه، والدف معروف وداله مضمومة ويجوز فتحها، وفيه جواز سماع الضرب بالدف صبيحة العرس، وكراهة نسبة علم الغيب لأحد من المخلوقين.

٤٠٠٤ ـ عن ابن معقلٍ أنَّ عليًّا رضيَ اللهُ عَنْهُ كبَّرَ على سهلِ بنِ حُنَيْفٍ فقالَ: إنَّهُ شهدَ بدراً».

٤٠٠٥ ـ عَنْ سالِمِ بنِ عبدِ الله أنَّهُ سمِعَ عبدَ الله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا يُحدِّثُ أن عُمَرَ بن الخطَّابِ حين تأيَّمتْ حَفصةُ بنت عمر من خُنَيس بن حُذافة السَّهميِّ -وكان من أصحابِ رسولِ الله ﷺ قد شهدَ بدراً - تُوفِّيَ بالمدينة، قال عمرُ: فلقيتُ عثمان بن عفَّانَ، فعرضْتُ عليه حفصةَ فقلت: إن شئتَ أنكَحْتُكَ حفصةَ بنتَ عمر؛ قال: سأنظرُ في أمري، فلبِثتُ ليالي، فقال: قد بَدالي أن لا أتزوَّج يومي هذا، قال عمرُ: فلقيتُ أبا بكرٍ فقلتُ: إن شئتَ أنكَحْتُكَ حفصةَ بنتَ عمر، فصَمتَ أبو بكر فلم يَرجعْ إليَّ شيئاً، فكنتُ عليه أوجدَ منِّي على عثمان، فلبِثتُ لياليَ ثمَّ خَطبَها رسولُ الله ﷺ فأنكحتُها إيَّاه، فلقيني أبو بكرٍ فقال: لعلكَ وَجَدْت عليَّ حين عرضْتَ عليَّ حفصةَ فلم أرجِعْ إليك قلتُ: نعم، قال: فإنَّه لم

(١) رواية الباب واليونينية [أبائهن]

يَمْنَعْني أن أرجعَ إليك فيما عرضتَ إلا أنّي قد عَلمت أنّ رسولَ الله ﷺ قَدْ ذكرَها، فلم أكُنْ لأفشيَ سِرَّ رسول الله ﷺ، ولو تَرَكَها لقبلْتُهَا».

[الحديث ٤٠٠٥ - أطرافه في: ٥١٢٢، ٥١٢٩، ٥١٤٥]

٤٠٠٦ - عَنْ عبدِ الله بنِ يزيد سمعَ أبا مسعودٍ البدريَّ عن النبيِّ ﷺ قال: «نَفَقَةُ الرّجل على أهلهِ صدَقة».

٤٠٠٧ - عنِ الزُّهريِّ «سمعت عروةَ بن الزُّبَيْرِ يُحدِّثُ عمرَ بن عبدِ العزيز في إمارتِه أخَّرَ المغيرةُ بن شُعْبَةَ العَصْرَ وهو أميرُ الكوفةِ، فدخلَ أبو مسعودٍ عقبةُ بن عمروٍ الأنصاريُّ جدُّ زيدَ بن حسنٍ شهدَ بدراً فقال: لقد علمتَ نزلَ جبريلُ فصلَّى، فصلَّى رسولُ الله ﷺ خمسَ صلواتٍ ثم قال: هكذا أمِرْتُ، كذلك كان بَشيرُ بن أبي مسعودٍ يحدِّثُ عن أبيهِ».

٤٠٠٨ - عَنْ أبِي مسعودٍ البدريِّ رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: الآيتانِ من آخر سورة البقرةِ من قرأهُما في ليلةٍ كفتَاهُ، قال عبدُ الرحمنِ: فلقيتُ أبا مسعودٍ وهو يطوفُ بالبيت، فسألته، فحدَّثنيه».

[الحديث ٤٠٠٨ - أطرافه في: ٥٠٠٨، ٥٠٠٩، ٥٠٤٠، ٥٠٥١]

قوله (كبر على سهل بن حنيف) أي الأنصاري.

قوله (فقال لقد[1]شهد بدرا)، وكذا أخرجه سعيد بن منصور عن ابن عيينة وأورده بلفظ «خمسا» زاد في رواية الحاكم «التفت إلينا فقال إنه من أهل بدر» وقول علي رضي الله عنه «لقد شهد بدرا يشير إلى أن لمن شهدها فضلا على غيرهم في كل شيء حتى في تكبيرات الجنازة، وهذا يدل على أنه كان مشهورا عندهم أن التكبير أربع وهو قول أكثر الصحابة، وعن بعضهم التكبير خمس، وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم حديث مرفوع في ذلك وقد تقدم في الجنائز أن أنسا قال: «إن التكبير على الجنازة ثلاث، وإن الأولى للاستفتاح وروى ابن أبي خيثمة من وجه آخر مرفوعا «أنه كان يكبر أربعا وخمسا وستا وسبعا وثمانيا، حتى مات النجاشي فكبر عليه أربعا، وثبت على ذلك حتى مات» وقال أبو عمر: انعقد الإجماع على أربع، ولا نعلم من فقهاء الأمصار من قال بخمس إلا ابن أبي ليلى، انتهى، وفي «المبسوط» للحنفية عن أبي يونس مثله، وقال النووي في «شرح المهذب» كان بين الصحابة خلاف ثم انقرض وأجمعوا على أنه أربع، لكن لو كبر الإمام خمسا لم تبطل صلاته إن كان ناسيا، وكذا إن كان عامدا على الصحيح لكن لا يتابعه المأموم على الصحيح، والله أعلم، الحديث العاشر، حديث عمر حين تأيمت حفصة، أي صارت أيما، وهي من مات زوجها، وسيأتي

(١) رواية الباب واليونينية "إنه شهد"

شرح هذا الحديث مستوفى في كتاب النكاح.

٤٠٠٩ - عنِ ابن شهابٍ أخبرني محمودُ بن الرَّبيع «أنَّ عِتبانَ بن مالكٍ - وكان من أصحابِ النبيِّ ﷺ ممن شَهدَ بدراً من الأنصار- أنه أتى رسولَ الله ﷺ ...».

٤٠١٠ - قالَ ابنُ شهابٍ: ثمَّ سألتُ الحصينَ بن محمد وهو أحدُ بني سالمٍ وهو من سَراتِهم عن حديث محمودِ بن الرَّبيع عن عِتبانِ بن مالكٍ فصَدَّقَه.

٤٠١١ - عَنِ الزُّهريِّ قال أخبرني عبدُ الله بن عامرِ بن رَبيعةَ -وكان من أكبر بني عديٍّ وكان أبوه شهدَ بدراً مع النبيِّ ﷺ - «أن عمرَ استعملَ قُدامةَ بن مظعونٍ على البحرين وكان شهد بدراً، وهُوَ خال عبدِ الله بن عمرَ وحفصةَ رضي الله عنهم».

٤٠١٢، ٤٠١٣ - عن الزُّهري أن سالم بن عبدِ الله أخبرَهُ قال: «أخبرَ رافعُ بن خَديج عبدَ الله بن عمر أن عَمَّيْهِ -وكانا شهدا بدراً- أخبراه أن رسولَ الله ﷺ نهى عن كِراءِ المزارع، قلتُ لسالمٍ: فتُكريها أنت؟ قال: نعم، إنَّ رافعاً أكثرَ على نفسه».

٤٠١٤ - عن حُصينِ بْنِ عبدِ الرحمن قال سمعت عبدَ الله بن شَدَّاد بن الهادِ اللَّيثيَّ قال: «رأيتُ رِفاعة بن رافعِ الأنصاريَّ وكان شهد بدراً».

٤٠١٥ - عنِ الزُّهريِّ عن عُروة بن الزُّبير أنه أخبرَهُ أن المسوَرَ بن مخرمَةَ أخبَرَهُ «أن عمرَو بن عوف - وهو حليفٌ لبني عامرِ بنِ لُؤيٍّ وكان شهدَ بدراً مع النبيِّ ﷺ - أن رسول الله ﷺ بعثَ أبَا عُبيدةَ بن الجرَاح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسولُ الله ﷺ هوَ صالحَ أهل البحرَين وأمَّر عليهم العَلاءَ بن الحضرمَيِّ، فقدمَ أبو عبيدةَ بمال من البحرَين فسمعَتِ الأنصار بقدُوم أبي عبيدةَ، فوافَوا صلاةَ الفَجرِ معَ النبيِّ ﷺ، فلمَّا انصرف تعرَّضوا له، فتبسَّم رسولُ الله ﷺ حين رآهم ثم قال: أظُنُّكم سمعتم أنَّ أبا عُبيدةَ قدمَ بشيء؟ قالوا: أجل يارسول الله، قال: فأبشروا وأمِّلوا ما يَسرُّكم، فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسطَ عليكم الدُّنيا كما بُسِطَت على من قبلَكم، فتَنافسوها كما تَنَافسوها، وتُهلككم كما أهلكتهم».

٤٠١٦ - عَنْ نافعٍ «أن ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما كان يَقْتُلُ الحيَّاتِ كلها».

٤٠١٧ - حتى حدَّثهُ أبو لُبابه البَدريُّ «أنَّ النبيَّ ﷺ نهى من قتل جِنَّانِ البيوت، فأمسَك عنها».

قوله (أن عمر استعمل قدامة بن مظعون) أي ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي، وهو أخو عثمان بن مظعون أحد السابقين، ولم يذكر البخاري القصة لكونها موقوفة ليست على شرطه، لأن غرضه ذكر من شهد بدرا فقط، وقد أوردها عبد الرزاق في مصنفه

عن معمر عن الزهري فزاد «فقدم الجارود العقدي على عمر فقال: إن قدامة سكر، فقال: من يشهد معك؟ فقال: أبو هريرة، فشهد أبو هريرة أنه رآه سكران يقيء، فأرسل إلى قدامة، فقال له الجارود: أقم عليه الحد، فقال له عمر: أخصم أنت أم شاهد؟ فصمت، ثم عاوده فقال: لتمسكن أو لأسوأنك، فقال ليس في الحق أن يشرب ابن عمك وتسوءني، فأرسل عمر إلى زوجته هند بنت الوليد فشهدت على زوجها فقال عمر لقدامة: إني أريد أن أحدك، فقال: ليس لك ذلك لقول الله عزوجل {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا} الآية، فقال: أخطأت التأويل، فان بقية الآية {إذا ما اتقوا} فانك إذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله عليك، ثم أمر به فجلد، فغاضبه، قدامة، ثم حجا جميعا، فاستيقظ عمر من نومه فزعا فقال: عجلوا بقدامة، أتاني آت فقال: صالح قدامة فإنه أخوك، فاصطلحا.

٤٠١٨ ـ عن أنس بن مالكٍ «أنَّ رجالاً من الأنصار استأذَنوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: ائذَنْ لنا فلنَتْرك لابن أختِنا عبّاسٍ فِداءَهُ، قال: واللّه لا تَذَرونَ منه دِرهما».

٤٠١٩ ـ عَنْ عطاء بن يزيد الليثيُّ ثم الجُندَعيُّ أن عُبيدَ الله بن عديٍّ بن الْخِيار أخبرَهُ «أن المقدادَ بن عمروٍ الكنديَّ -وكان حليفاً لبني زُهرةَ وكان ممن شهدَ بدراً مع رسولِ اللّه ﷺ أخبرَهُ أنَّهُ قالَ لرسولِ الله ﷺ أرأيتَ إن لَقيتُ رجلاً من الكفّارِ فَاقْتَتَلْنَا، فضرَبَ إحدَى يديَّ بالسيف فقطعَها ثمَّ لاذَ مِنِي بشجرةٍ فقال: أسلمت لله، أأقتلهُ يا رسولَ الله بعدَ أن قالها؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: لا تَقتله، فقال: يارسولَ الله إنَّهُ قطعَ إحدى يديَّ ثم قال ذلك بعدَ مَا قطعَها، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: لا تقتلهُ، فإن قتلتَهُ فإنه بمنزِلتكَ قبل أن تَقْتُلَهُ، وإنك بمنزِلته قبلَ أن يقولَ كلمتَهُ التي قال».

[الحديث ٤٠١٩ ـ طرفه في: ٦٨٦٥]

٤٠٢٠ ـ عن سليمان التَّيْميُّ عنْ أَنَسٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قال: «قالَ رسولُ الله ﷺ يومَ بدر: مَن ينظرُ ما صَنعَ أبوجهلٍ؟ فانطلقَ ابنُ مسعودٍ فوجدَهُ قد ضرَبَهُ ابنا عفراءَ حتى بَرَدَ، فقال: آنتَ أبا جهلٍ؟ قال ابنُ عُلَيَّةَ قال سليمانُ هكذا قالها أنسٌ قال: آنت أبا جهلٍ؟ قال: وهل فوقَ رَجُلٍ قتلتموهُ، قال سليمانُ: أو قال: قتله قومه، قال وقال أبو مِجلزٍ قال أبو جهلٍ: فلو غيرُ أكّارٍ قتَلني».

٤٠٢١ ـ عن ابنِ عبّاسٍ عنْ عمر رضيَ اللّهُ عنهُمْ «لَمّا توفِّيَ النبيُّ ﷺ قلتُ لأبي بكرٍ: انطلقْ بنا إلى إخواننا منَ الأنصار، فلقينَا منهم رجلان صالحان شهدا بدراً، فحدَّثتُ عُروةَ بن الزُّبير فقال: هما عُويْمُ بن ساعدةَ ومَعْنُ بن عَدِيٍّ».

قوله (إن رجالا من الأنصار) أي ممن شهد بدرا، لأن العباس كان أسر ببدر كما سيأتي، وكان المشركون أخرجوه معهم إلى بدر، فأخرج ابن إسحق من حديث ابن عباس «أن النبي ﷺ

قال لأصحابه يوم بدر: قد عرفت أن رجالا من بني هاشم قد أخرجوا كرها، فمن لقي أحدا منهم فلا يقتله» وروى أحمد من حديث البراء قال: «جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره، فقال العباس: ليس هذا أسرني بل أسرني رجل أنزع، فقال النبي ﷺ للأنصاري أيدك الله بملك كريم» واسم هذا الأنصاري أبو اليسر وهو كعب بن عمرو الأنصاري، ومن حديث ابن عباس قلت «لأبي كيف أسرك أبو اليسر؟ ولو شئت لجعلته في كفك، قال: لا تقل ذلك يابني»، وأخرج ابن اسحق من حديث ابن عباس « أن النبي ﷺ قال: يا عباس أفد نفسك وابن أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة ابن عمرو فإنك ذو مال، قال إني كنت مسلما، ولكن القوم استكرهوني، قال: الله أعلم بما تقول إن كنت ما تقول حقا إن الله يجزيك، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا».

قوله (لا تذرون) أي لاتتركون من الفداء شيئا، أي للعباس، قيل والحكمة في ذلك أنه خشي أن يكون في ذلك محاباة له لكونه عمه لا لكونه قريبهم من النساء فقط، وفيه إشارة إلى أن القريب لا ينبغي له أن يتظاهر بما يؤذي قريبه وإن كان في الباطن يكره ما يؤذيه، ففي ترك قبول ما يتبرع له الأنصار به من الفداء تأديب لمن يقع له مثل ذلك.

٤٠٢٢ - عنْ قيسٍ « كان عطاءُ البدريِّين خمسةَ آلافٍ خمسة آلاف، وقال عمرُ: لأُفضِّلَنَّهُم عَلى مَن بعدَهم».

٤٠٢٣ - عَنْ محمَّد بن جُبير عن أبيهِ قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يَقرأُ في المغرب بالطُّور، وذلكَ أول ما وَقَرَ الإيمانُ في قلبي».

٤٠٢٤ - عنْ محمد بن جُبيرِ بن مُطعمٍ عن أبيه «أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ فِي أسارىَ بدرٍ: لو كان المُطعمُ بن عديٍّ حياً ثمَّ كلَّمني في هؤلاء النَّتْنَى لتركتهم له».

عن سعيدِ بن المسيَّبِ «وقعَتِ الفتنةُ الأولى - يعني مقتلَ عثمان- فلم تُبقِ من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية -يعني الحرَّةَ- فلم تُبقِ من أصحاب الحُدَيبية أحداً، ثم وقعتِ الثالثةُ فلم ترتَفِعْ والناس طَباخ».

٤٠٢٥ - عنْ يونس بن يزيد قالَ سمعتُ الزُّهريَّ قالَ سمعتُ عروةَ بن الزُّبير وسعيدَ بن المسيَّبِ وعلقمةَ بن وقّاصٍ وعُبيدَ الله بنَ عبد الله عن حديث عائشةَ رضيَ اللّهُ عنهَا زوجِ النبيِّ ﷺ، كلٌّ حدثني طائفةً مِنَ الحديث قالت: «فأقبَلْتُ أنا وأم مِسطح فعثرتْ أمُّ مسطحٍ في مِرْطِها فقالت: تَعِسَ مِسطحٌ، فقلتُ: بِئْسَ ما قلتِ، تَسُبِّينَ رجلاً شهدَ بدراً»، فذكر حديث الإفك.

٤٠٢٦ - عَنْ ابنِ شهابٍ قال «هذه مغازي رسول الله ﷺ» فذكرَ الحديثَ «فقال رسول الله ﷺ وهو يُلقيهم: هل وَجَدْتم ماوعدكم ربُّكم حقاً» قال موسى قال نافع قال عبد الله

«قال ناسٌ من أصحابه: يارسولَ الله، تُنادِي ناساً أمواتًا؟ قال رسولُ الله ﷺ، ما أنتم بأسمعَ لما قلتُ منهم» قال أبو عبدِ الله: فجميع من شهدَ بدراً من قرَيش ممن ضُربَ له بسهمِهِ أحدٌ وثمانونَ رجلاً، وكان عروةُ بن الزبير يقول قال الزُّبَيرُ «قُسِمَتْ سُهمانهم فكانوا مائةً»، والله أعلم.

٤٠٢٧ ـ عن الزُّبير قال «ضُرِبَتْ يوم بدر للمهاجرينَ بمائة سهم»

قوله (كان عطاء البدريين خمسة آلاف) أي المال الذي يعطاه كل واحد منهم في كل سنة من عهد عمر فمن بعده.

قوله (وقال عمر لأفضلنهم) أي على غيرهم في زيادة العطاء، وفي حديث مالك بن أوس عن عمر «أنه أعطى المهاجرين خمسة آلاف خمسة آلاف، والأنصار أربعة آلاف أربعة آلاف، وفضل أزواج النبي ﷺ فأعطى كل واحدة اثني عشر ألفا»، وروى الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح عن علي قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ يوم بدر فقال: خير أصحابك في الأسرى: إن شاءوا القتل وإن شاءوا الفداء على أن يقتل منهم عاما مقبلا مثلهم، قالوا: الفداء ويقتل منا»، وأخرج مسلم هذه القصة مطولة من حديث عمر ذكر فيها السبب، هو أنه ﷺ قال ما ترون في هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر: أرى أن نأخذ منهم فدية تكون قوة لنا، وعسى الله أن يهديهم، فقال عمر: أرى أن تمكنا منهم فتضرب أعناقهم، فإن هؤلاء أئمة الكفر، فهوى رسول الله ﷺ ما قال ابو بكر» الحديث، وفيه نزول قوله تعالى {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض} وقد تقدم نقل خلاف الأئمة في جواز فداء أسرى الكفار بالمال في باب {فإما منًّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها} من كتاب الجهاد، وقد اختلف السلف في أي الرأيين كان أصوب؟ فقال بعضهم كان رأي أبي بكر لأنه وافق ما قدر الله في نفس الأمر ولما استقر الامر عليه، ولدخول كثير منهم في الإسلام إما بنفسه وإما بذريته التي ولدت له بعد الوقعة، ولأنه وافق غلبة الرحمة على الغضب كما ثبت ذلك عن الله في حق من كتب له الرحمة، وأما العتاب على الأخذ ففيه إشارة إلى ذم من آثر شيئاً من الدنيا على الآخرة ولو قَلَّ، والله اعلم.

قوله (وقعت الفتنة الأولى) يعني مقتل عثمان فلم تبق من أصحاب بدر أحدا، أي أنهم ماتوا منذ قامت الفتنة بمقتل عثمان إلى أن قامت الفتنة الأخرى بوقعة الحرة، وكان آخر من مات من البدريين سعد بن أبي وقاص، ومات قبل وقعة الحرة ببضع سنين.

قوله (ثم وقعت الفتنة الثانية يعني الحرة الخ) كانت الحرة في آخر زمن يزيد بن معاوية، وسيأتي شيء من خبرها في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى، وقوله (طباخ)أي قوة.

١٣ ـ باب تسمية من سمِّيَ من أهل بدر

في الجامع الذي وضعَهُ أبو عبدِ الله ، على حروف المُعْجَم

النبيُّ محمدُ بن عبدِ الله الهاشميُّ ﷺ ، إياسُ بن البُكير، بلالُ بن رَبَاح مولى أبي بكرٍ القُرشيِّ، حمزةُ بن عبد المطَّلب الهاشميُّ، حاطبُ بن أبي بلتعةَ حليفُ لقُرَيش، أبو حُذَيفةَ بن عتبةَ بن ربيعةَ القرشيِّ، حارثة بن الربيع الأنصاري قُتِلَ يوم بدر وهو حارثةُ بن سُراقة كان في النظَّارة، خُبَيبُ بن عديٍّ الأنصاريِّ، خُنَيسُ بن حُذافةَ السَّهميُّ، رفاعة بن رافعٍ الأنصاريُّ، رفاعة بن عبد المنذر أبو لُبابةَ الأنصاري، الزُّبيرُ بن العَوَّام القُرشي، زيدُ بن سهل أبو طلحة الأنصاريُّ، أبو زيد الأنصاريُّ، سعدُ بنُ مالك الزهريُّ، سعدُ بن خَولةَ القرشيُّ، سعيدُ بن زيدِ بن عمرو بن نفيل القرشي، سهلُ بن حُنَيفٍ الأنصاري، ظُهيرُ بن رافعٍ الأنصاري وأخوه عبدُ الله بن عثمان أبو بكرٍ الصديق القرشيّ، عبدُ الله بن مسعود الهُذَلي، عُتبةُ بن مسعود الهُذَليُّ، عبدُ الرحمن بن عوف الزهري، عبيدةُ بن الحارثة القرشي، عُبادةُ بن الصامتِ الأنصاري، عمرُ بن الخطّاب العَدَويّ، عثمان بن عفان القرشيُّ خلَّفهُ النبيُّ ﷺ على ابنتهِ وضربَ له بسهمهِ، علي بن أبي طالب الهاشمي، عمروِ بن عوف حليف بن عامر بن لؤيّ، عقبة بن عمرِو الأنصاري، عامر بن ربيعةَ العَنزيّ، عاصمُ بن ثابت الأنصاريّ، عويمُ بن ساعدةَ الأنصاريّ، عِتبانُ بن مالك الأنصاري، قدامة بن مظعونٍ، قتادة بن النعمانِ الأنصاري، مُعاذ بن عمرِو بن الجَموح، معوِّذ بن عفراءَ وأخوه، مالكُ بنُ ربيعة أبو أسيدٍ الأنصاري، مرارة بن الربيع الأنصاري، معنُ بن عَدِيّ الأنصاري، مِسطحُ بن أُثاثةَ بن عبَّادِ بن المطَّلبِ بن عبدِ مَناف، مِقداد بن عمروِ الكنديّ حَليفُ بني زهرةَ، هِلالُ بن أمية الأنصاريّ رضيَ الله عنهم.

قوله (باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع) أي دون من لم يسم فيه، ودون من لم يذكر فيه أصلا والمراد بالجامع هذا الكتاب، والمراد بمن سمي من جاء ذكره فيه برواية عنه أو عن غيره بأنه شهدها لا بمجرد ذكره دون التنصيص على أنه شهدها، وبهذا يجاب عن ترك إيراده مثل أبي عبيدة بن الجراح فإنه شهدها باتفاق، وذكر في الكتاب في عدة مواضع، إلا أنه لم يقع فيه التنصيص على أنه شهد بدرا.

قوله (النبي محمد بن عبد الله الهاشمي ﷺ) قلت بدأ به تبركاً وتيمناً بذكره، وإلا فذلك من المقطوع به.

١٤ ـ باب حديث بني النَّضير

ومخرَجِ رسول الله ﷺ في ديةِ الرَّجُلَين، وما أرادوا منَ الغدر برسولِ الله ﷺ ، قالَ الزُّهريُّ عن عُروةَ: كانت على رأسِ ستةِ أشهُرِ من وقعة بدر قبلَ وقعةِ أُحُد، وقول الله

تعالى: {هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتابِ من ديارِهم لأوَّلِ الحشر} /٢ الحشر/، وجعلهُ ابنُ إسحاق بعدَ بئرِ مَعونةَ وأُحُدٍ.

٤٠٢٨ - عَنِ ابنِ عمر رضيَ اللّه عَنْهُمَا قالَ: «حاربت قُرَيظة والنَّضير، فأجلى بني النظير وأقرَّ قرَيظةَ ومَنَّ عليهم حتى حاربَتْ قرَيظةُ، فقَتل رجالَهم، وقسمَ نساءَهم وأولادَهم وأموالَهم بين المسلمين، وإلا بعضَهم لحقوا بالنبيِّ ﷺ فآمنهم وأسلموا، وأجلى يهودَ المدينةِ كلَّهم: بني قينُقاعَ وهم رَهط عبدِ اللّه بن سلام، ويهودَ بني حارثة، وكلَّ يهود المدينة».

٤٠٢٩ - عنْ سعيد بن جُبَير قال: «قلتُ لابن عباس: سورة الحشر، قال: قل سورة النَّضير» تابَعهُ هُشَيم عن أبي بشر.

[الحديث ٤٠٢٩ - أطرافه في: ٤٦٤٥، ٤٨٨٢، ٤٨٨٣]

٤٠٣٠ - عنْ أنسِ بن مالك رضيَ اللّه عنه قال «كانَ الرجلُ يجعلُ للنبيِّ ﷺ النَخلات، حتى افتتحَ قُرَيظةَ والنَّضيرَ، فكان بعدَ ذلك يَرُدُّ عليهم».

٤٠٣١ - عن ابن عمرَ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قالَ: «حرَّق رسولُ اللّه ﷺ نخل بني النَّضير وقطعَ، وهي البُوَيرةُ، فنزلَت /٥٩ الحشر/: {ما قَطعتم من لِينةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولها فبإذنِ اللّه}.

٤٠٣٣ - عَنِ ابنِ عمر رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا «أنَّ النبيَّ ﷺ حرَّق نخلَ بني النَّضير، قال: ولها يقول حسَّانُ بن ثابت:

وهانَ على سراة بني لؤَي ... حَريقُ بالبُويرةِ مُستطيرُ

قال فأجابه أبو سفيان بن الحارث:

أدام الله ذلك من صنيعٍ ... وحَرَّق في نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بُنزَهٍ ... وتعلم أيَّ أرضينا تَضير

قوله (حديث بني النضير) هم قبيلة كبيرة من اليهود، وقد مضت الإشارة إلى التعريف بهم في أوائل الكلام على أحاديث الهجرة[١]، وكان الكفار بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة أقسام: قسم وادعهم على أن لا يحاربوه ولا يمالئوا عليه عدوه، وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة والنضير وقينقاع، وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش، وقسم تاركوه وانتظروا مايئول إليه أمره كطوائف من العرب، فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة، وبالعكس كبني بكر، ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا وهم المنافقون،

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٥٢ ح ٣٩٤١ - ٣ / ٢٥٥.

فكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم في شوال بعد وقعة بدر فنزلوا على حكمه، وأراد قتلهم فاستوهبهم منه عبد الله بن أبيّ وكانوا حلفاءه فوهبهم له، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات، ثم نقض العهد بنو النضير كما سيأتي، وكان رئيسهم حيي بن أخطب، ثم نقضت قريظة كما سيأتي شرح حالهم بعد غزوة الخندق[١] إن شاء الله تعالى.

قوله (وقال الزهري عن عروة بن الزبير: كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد) وصله عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري أتم من هذا ولفظه عن الزهري وهو في حديثه عن عروة «ثم كانت غزوة بني النضير، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكانت منازلهم ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال لا الحلقة يعني السلاح فأنزل الله فيهم {سبح لله -إلى قوله- لأول الحشر} وقاتلهم حتى صالحهم على الجلاء فأجلاهم إلى الشام، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا، وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسباء، وقوله {لاول الحشر} فكان جلاؤهم أول حشر حشرا في الدنيا إلى الشام.

قوله {وقول الله عزوجل[٢]: هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب -إلى قوله- أن يخرجوا} وقد أورد ابن إسحق تفسيرها لما ذكر هذه الغزوة، واتفق أهل العلم على أنها نزلت في هذه القصة، قاله السهيلي، قال: ولم يختلفوا في أن أموال بني النضير كانت خاصة برسول الله ﷺ وأن المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب وأنه لم يقع بينهم قتال أصلا وقد ذكر ابن إسحق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيره من أهل العلم أن عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية لما قتل أهل بئر معونة عن رقبة كانت على أمه، فخرج عمرو إلى المدينة فصادف رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو، فقال لهما عمرو ممن أنتما؟ فذكروا أنهما من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما عمرو وظن أنه ظفر ببعض ثأر أصحابه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: لقد قتلت قتيلين لأودينهما، إنتهى، وسيأتي خبر غزوة بئر معونة بعد غزوة أحد، وفيها عن عروة «أن عمرو بن أمية الضمري كان مع المسلمين، فأسره المشركون» قال ابن إسحق «فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في ديتهما فيما حدثني يزيد بن رومان، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم يستعينهم قالوا: نعم، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوه على مثل هذه الحال، قال: وكان جالسا إلى جانب جدار لهم، فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش

(١) كتاب المغازي باب / ٣٠ ح ٤١٢١ - ٣ / ٣٢٠
(٢) رواية الباب واليونينية "قول الله تعالى"

ابن كعب فأتاه الخبر من السماء، فقام مظهرا أنه يقضي حاجة وقال لأصحابه : لا تبرحوا، ورجع مسرعا إلى المدينة، واستبطأه أصحابه فأخبروا أنه توجه إلى المدينة، فلحقوا به، فأمر بحربهم والمسير إليهم، فتحصنوا، فأمر بقطع النخل والتحريق، وذكر ابن إسحق أنه حاصرهم ست ليال، وكان ناس من المنافقين بعثوا إليهم أن اثبتوا وتمنعوا، فإن قوتلتم قاتلنا معكم، فتربصوا، فقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم، فسألوا أن يجلوا عن أرضهم على أن لهم ما حملت الأبل فصولحوا على ذلك.

قوله (فنزل[١]: ما قطعتم من لينة) هي صنف من النخل.

قوله (ستعلم أينا منها بنزه) أي ببعد .

٤٠٣٣ ـ عَنِ الزُّهريِّ قال: «أخبرني مالكُ بن أوسِ بن الحَدَثان النَّصريُّ أن عمرَ بن الخطابِ رضيَ اللّه عنه دعاهُ، إذ جاءه حاجبهُ يَرْفأ فقال: هل لك في عثمانَ وعبدِ الرحمن والزُّبير وسعدٍ يستأذنون؟ فقال: نعم فأدخِلْهم، فلبثَ قليلاً ثمَّ جاء فقال: هل لكَ في عبّاسٍ وعلي يستأذِنان؟ قال: نعم، فلما دَخَلا قال عبّاسٌ: يا أميرَالمؤمنين، اقض بيني وبين هذا - وهما يختصمانِ في الذي أفاءَ الله على رسولهِ ﷺ من بني النَّضير - فاستبَّ عليٌّ وعباسٌ، فقال الرَّهطُ: يا أمير المؤمنين اقضِ بينَهما وأرح أحدَهما من الآخر. فقال عمرُ: اتَّئدوا، أنشُدُكم باللّه الذي بإذنهِ تقوم السماءُ والأرض، هل تعلمونَ أن رسول الله ﷺ قالَ: لا نورَثُ، ما تركنا صَدَقة، يُريدُ بذلك نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك، فأقبلَ عمرُ على عباسٍ وعليّ فقال: أنشدُ كما باللّه هل تعلمانِ أنَّ رسولَ الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: نعم، قال: فإني أحدِّثكم عن هذا الأمر، إنَّ اللّه سبحانه قد خَصَّ رسولهُ ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يُعطهِ احداً غيرَه، فقال جَلَّ ذكرهُ /٦ الحشر/ {وما أفاءَ الله على رسولهِ منهم فما أوجَفتُم عليهِ من خيلٍ ولا ركابٍ -إلى قوله- قَدير} فكانت هذه خالصة لرسولِ الله ﷺ، ثمَّ والله مَا احتازها دُونَكُمْ ولا استأثرها عليكُمْ، لَقَدْ أعْطَاكُمُوهَا وقسَمها فيكم حتى بقيَ هذا المالُ منها، فكانَ رسولُ الله ﷺ يُنفقُ على أهله نفقةَ سنتِهم من هذا المال، ثم يأخذُ ما بقي فيجعلهُ مجعَلَ مال الله، فعمل ذلك رسول الله ﷺ حياته، ثم تُوفُيَّ النبيُّ ﷺ فقال أبو بكر: فأنا وليُّ رسولِ الله ﷺ ، فقبضَهَ أبوبكرٍ فعملَ فيه بما عملَ به رسولُ الله ﷺ وأنتم حينئذٍ - فأقبلَ على عليٍّ وعبّاسٍ وقال- تذكرانِ أنَّ أبا بكر عملَ فيه كمَا تقولان، والله يعلم إنه فيه لصادقٌ بارٌّ راشد تابع للحقّ، ثمَّ توفَّى الله أبا بكر فقلتُ: أنا وليُّ رسولِ الله ﷺ وأبِي بَكْر، فقبضتهُ سنتين من إمارتي أعملُ فيه بما عملَ رسولُ الله ﷺ وأبوبكر، والله يعلم إني فيه صادقٌ بارٌّ راشدٌ تابعٌ للحق، ثمَّ جِئتماني كِلاكما وكلَمتكما واحدة وأمركما

---

(١) رواية الباب واليونينية فنزلت.

جميع، فجئتَني -يعني عباسًا- فقلتُ لكما: إنَّ رسول الله ﷺ قالَ: لا نُورثُ، ما تركنا صَدَقَة، فلما بد الي أن أدفعهُ إليكما قلتُ: إن شئتما دفعتهُ إليكما على أنَّ عليكما عهدَ الله وميثاقَهُ لتعملانِ فيه بما عمل فيه رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وما عملتُ فيه مُذ وَلِيتُ، وإلا فلا تُكلماني، فقلتُما: أدفَعْهُ إلينا بذلك، فدفعته إليكما، أفتَلْتمِسان مني قضاءً غيرَ ذلك؟ فوَ الله الذي بإذنه تقوم السماءُ والأرض لا أقضي فيه بقَضاءٍ غيرِ ذلك حتى تقومَ الساعة، فإن عجَزْتُما عنه فادفَعا إليَّ، فأنا أكفيكُماه».

٤٠٣٤ ـ قالَ فحدَّثت هذا الحديث عُروةَ بن الزُّبير فقال: «صدقَ مالكُ بن أوسٍ، أنا سمعتُ عائشةَ رضيَ الله عنها زوجَ النبيِّ ﷺ تقول: أرسلَ أزواجُ النبيِّ ﷺ عثمانَ إلى أبي بكر يَسألنَهُ ثُمنَهنَّ مما أفاءَ الله على رسولِهِ ﷺ ، فكنتُ أنا أردُّهنَّ، فقلت لهنَّ: آلا تَتَّقينَ الله؟ ألم تَعلمن أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول لا نورَث، ما تركنا صَدَقة - يريدُ بذلك نفسه- إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال، فانتهى أزواجُ النبيِّ ﷺ إلى ما أخبَرَتْهنَّ، قال: فكانت هذه الصدقةُ بيدِ عليٍّ، منَعَها عليٌّ عبّاسًا فغلَبَهُ عليها، ثمَّ كان بيدِ حسنِ بنِ عليٍّ، ثمَّ بيد حُسين بن عليٍّ، ثمَّ بيد عليِّ بن حسينٍ وحسنِ بن حسن كلاهما كانا يَتداولانِها، ثم بيد زيدِ بن حسن وهي صدَقة رسول الله ﷺ حَقًّا».

[الحديث ٤٠٣٤ - طرفاه في: ٦٧٢٧، ٦٧٣٠]

٤٠٣٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ «أنَّ فاطمة عليها السلامُ والعباسَ أتَيا أبا بكرٍ يَلتَمِسانِ ميراثَهما: أرضه من فَدك، وسَهمَهُ من خَيبر».

٤٠٣٦ ـ فَقَال أبو بكر: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: لا نُورَثُ، ما تركْنا صدَقة، إنما يأكُل آل محمدٍ في هذا المال، والله لَقَرابةُ رسولِ الله ﷺ أحبّ إليَّ أن أصِلَ مِن قرابَتي».

١٥ ـ باب قَتلِ كعب بنِ الأشرف

٤٠٣٧ ـ عَنْ عمروٍ سمعتُ جابرَ بن عبدِ الله رضيَ اللهُ عَنْهُمَا يقول: «قال رسولُ الله ﷺ: مَن لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله، فقام محمدُ بن مسلمةَ فقال: يا رسول الله، أتحِبُّ أن أقتلَه؟ قال: نعم، قال: فأذنْ لي أن أقولَ شيئاً، قال: قل، فأتاهُ محمد ابن مسلمةَ فقال: إنَّ هذا الرجلَ قد سألنا صدَقةً، وإنَّهُ قَدْ عنَّانا، وإني قد أتيتُك أستَسْلِفُك، قال: وأيضاً والله لتملُّنَّه، قال: إنا قد اتبعْناهُ، فلا نحبُّ أن نَدَعَهُ حتى ننظرَ إلى أيِّ شيءٍ يصيرُ شأنه، وقد أردْنا أن تُسلِفَنا وسقاً أو وسقَين - وحدَّثنا عمرو غيرَ مرة فلم يذكر «وسقاً أو وسقين» فقلت له: فيه «وسقاً أو وسقين»؟ فقال: أرى فيه «وسقاً أو وسقين» - «فقال: نعم؛ ارهَنوني، قالوا: أيُّ شيءٍ تريد قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنُك نساءنا وأنتَ أجملُ العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنُكَ أبناءَنا

فيُسَبُّ أحدُهم فيقال: رُهنَ بوسق أو وسقَين، هذا عارٌ علينا، ولكنّا نرهَنكَ اللأمة، قال سفيانُ: يعني السلاحَ، فواعَدَه أن يأتيَه، فجاءَهُ ليلاً ومعه أبو نائلةَ -وهو أخو كعب منَ الرضاعة- فدَعاهم إلى الحِصنِ، فنزلَ إليهم، فقالت له امرأتُه: أينَ تخرُجُ هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمدُ بن مَسلمةَ وأخي أبو نائلة، وقال غير عمروٍ: قالت أسمعُ صوتاً كأنهُ يَقطُرُ منه الدّم، قال إنما هو أخي محمدُ بن مَسلمةَ ورضيعي أبو نائلة، إن الكريمَ لو دُعِيَ إلى طعنةٍ بليلٍ لأجاب، قال: ويُدخِلُ محمدُ بن مَسلمةَ معهُ رجلَين -قيل لسفيانَ: سماهم عمرٌو؟ قال: سمى بعضهم، قال عمرٌو: جاء معه برجلَين، وقال غيرُ عمرو: أبو عبسِ بن جَبر والحارثُ بن أوسٍ وعبّاد بن بشر- قال عمرٌو جاء معه برجلَين فقال: إذا ماجاء فإني قائل بشعره فأشُمه، فإذا رأيتموني استمكَنْتُ من رأسه فدونكم فاضربوه، قال مرّةً: ثم أشِمُّكم، فنزَلَ إليهم مُتوشّحاً وهو ينفَحُ منه ريحُ الطيب فقال: ما رأيتُ كاليوم ريحًا -أي أطيبَ- وقال غيرُ عمرو: قال عندي أعطرُ نساء العرب وأكملُ العرب، قال عمرٌو فقال: أتأذن لي أن أشمَّ رأسَك؟ قال: نعم فشمَّهُ، ثم أَشَمَّ أصحابهَ ثم قال أتأذنُ لي؟ قال: نعم، فلما استمكنَ منهُ قال: دونَكم فقتَلوه، ثمَّ أتَوُا النبيَّ ﷺ فأخبروه».

قوله (باب قتل كعب بن الأشرف) أي اليهودي، قال ابن إسحق وغيره كان عربيا من بني نبهان وهم بطن من طيىء، وكان أبوه أصاب دما في الجاهلية فأتى المدينة فحالف بني النضير فشرف فيهم وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعبا، وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة، وهجا المسلمين بعد وقعة بدر، وخرج إلى مكة فنزل على ابن وداعة السهمي والد المطلب، فهجاه حسان وهجا امرأته عاتكه بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية فطردته، فرجع كعب إلى المدينة وتشبَّب بنساء المسلمين حتى آذاهم، وروى أبو داود والترمذي أن كعب بن الأشرف كان شاعرا، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش، وكان النبي ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاط فأراد رسول الله ﷺ استصلاحهم، وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين أشد الأذى، فأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر، فلما أبى كعب أن ينزع عن أذاه أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه، وذكر ابن سعد أن قتله كان في ربيع الأول من السنة الثالثة.

قوله (من لكعب بن الأشرف)؟ أي من الذي ينتدب إلى قتله، وعند ابن إسحق بإسناد حسن عن ابن عباس «أن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم فقال انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم.

قوله (وأنت أجمل العرب) لعلهم قالوا له ذلك تهكما، وإن كان هو في نفسه كان جميلا، زاد ابن سعد من مرسل عكرمة، ولا نأمنك، وأي امرأة تمتنع منك لجمالك».

قوله (وقال مرة فأشمكم[١]) أي أمكنكم من الشم.

قال السهيلي: في قصة كعب بن الأشرف قتل المعاهد إذا سب الشارع، خلافا لأبي حنيفة، قلت: وفيه نظر، وصنيع المصنف في الجهاد يعطى أن كعبا كان محاربا حيث ترجم لهذا الحديث «الفتك بأهل الحرب» وترجم له أيضاً «الكذب في الحرب» وفيه جواز قتل المشرك بغير دعوة إذا كانت الدعوة العامة قد بلغته، وفيه جواز الكلام الذي يحتاج إليه في الحرب ولو لم يقصد قائله إلى حقيقته، وقد تقدم البحث في ذلك مستوفى في كتاب الجهاد[٢]، وفيه دلالة على قوة فطنة امرأته المذكورة وصحة حديثها، وبلا غتها في إطلاقها أن الصوت يقطر منه الدم.

١٦ - باب قتلِ أبي رافع عبدِ الله بن أبي الحُقيق

ويقال سلاَّم بن أبي الحُقيقَ كان بخَيبر، ويقال فِي حصن له بأرض الحجاز، وقال الزُّهري: هو بعدَ كعبِ بن الأشرف.

٤٠٣٨ - عَنْ البراء بن عازب رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «بَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ رَهطاً إلى أبي رافع، فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائمٌ فقتلهَ».

٤٠٣٩ - عنِ البَراء بن عازب قال: «بَعثَ رسولُ الله ﷺ إلى أبي رافعٍ اليهوديِّ رجالاً من الأنصار، فأمَّرَ عليهم عبدَ الله بن عَتيك،وكان أبو رافعٍ يُؤذي رسولَ الله ﷺ ويُعينُ عليهِ، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلمَّا دَنَوا منه -وقد غَرَبَتِ الشمسُ وراحَ الناس بسرحِهم- فقال عبدُ الله لأصحابه: اجلسوا مَكانَكم، فإني منطلق ومُتلطِّفٌ للبوَّاب لَعلّي أن أدخَل، فأقْبَلَ حتَّى دنَا منَ الباب، ثمَّ تَقنَّعَ بثوبه كأنه يَقضي حاجةً، وقد دَخَلَ الناسُ، فهتفَ بهِ البَوَّابُ: يا عبدَ الله إن كنتَ تُريدُ أن تَدخلَ فادخل، فإني أُريدُ أن أُغلِقَ الباب، فدخلتُ فكمنْتُ، فلما دخلَ الناسُ أغلَقَ الباب ثم علقَ الأغاليقَ على وَدٍّ، قال فقمتُ إلى الأقاليدِ فأخذتها ففتحتُ الباب، وكان أبو رافعٍ يُسمَرُ عندَه، وكان في عَلالي لهُ، فلما ذهبَ عنه أهلُ سَمرِه صَعِدتُ إليه فجعلتُ كلما فتحت باباً أغلقت عليَّ من داخل، قلتُ إن القومُ نَذِروا بي لم يَخلُصوا إليَّ حتى أقتُلَه، فانتهيْتُ إليه، فاذا هو في بيتٍ مُظلم وسطَ عيالهِ، لا أدري أينَ هوَ منَ البيت، فقلتُ: أبا رافع، قال: مَنْ هذا؟ فأهوَيتُ نحوَ الصَّوت فأضرِبه ضربةً بالسيفِ وأنا دَهِشٌ فما أغنيتُ شيئا، وصاحَ، فخرَجتُ منَ البيتِ فأمكثُ غيرَ بعيدٍ، ثمَّ دخلتُ إليهِ فقلتُ: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال لأمِّكَ الويلُ، إنَّ رجلاً في البيتِ ضرَبني قبلُ بالسيف، قالَ فأضربهُ ضربةً أثخنَتْه ولم أقتُله، ثمَّ وضعت ضَبيبَ

(١) رواية الباب واليونينية ..... ثم أشمكم
(٢) كتاب الجهاد باب / ١٠١ ح ٢٩٣٨ - ٢ / ٦٠٨

السيف في بطنه حتى أخذَ في ظهره، فعرَفت أني قَتلته، فجعلت أفتحُ الأبوابَ باباً باباً حتى انتهيت إلى درجةٍ له، فوضعتُ رِجلي وأنا أرَى أني قد انتهيتُ إلى الأرضِ فوقعت في ليلة مُقْمرةٍ، فانكسرَتْ ساقي، فعصبْتها بعمامة ثم انطلَقْتُ حتى جَلَستُ على الباب فقلتُ لا أخرجُ الليلةَ حتى أعلم أقتَلته، فلما صاحَ الدِّيك قام الناعي عَلَى السُّور فقال: أنعى أبا رافع تاجرَ أهلِ الحجاز، فانطلَقْتُ إلى أصحابي فقلتُ النَّجاءَ، فَقَدْ قَتَل الله أبا رافع، فانتهيْت إلى النبيِّ ﷺ فحدَّثته، فقال لي: ابسُطْ رِجلَك، فبَسَطْت رِجلي فمسحها، فكأنها لم أشتَكها قطُّ».

٤٠٤٠ ـ عَنْ أبِي إسحاق قال سمعتُ البَراءَ بن عازب رضيَ الله عنهُ قالَ «بَعَثَ رسولُ الله ﷺ إلى أبِي رافعٍ عبدَ الله بن عَتِيك وعبدَ الله بن عُتبةَ في ناس مَعهم، فانطلَقوا حتى دَنَوا من الحصنِ، فقال لهم عبدُ الله بن عَتِيك: امكثوا أنتم حتَّى أنطلق أنَا فأنظرَ، قال: فتلطفْتُ أن أدخُلَ الحصنَ، فَفَقدوا حِمَاراً لهم، قال فخَرجوا بقبَسٍ يَطلبونه قال: فَخشيتُ أن أعرَفَ، قالَ فغطَّيت رأسي كأني أقضي حاجة، ثمَّ نادى صاحب الباب: من أراد أن يَدخلَ فَليَدْخُل قبلَ أن أغلقَه، فدخَلتُ ثمَّ اختبَأت في مربط حِمار عندَ بابِ الحصن، فتعشَّوا عندَ أبي رافعٍ وتحدثوا حتَّى ذهبَتْ ساعة من الليل، ثم رجَعوا إلى بُيوتهم، فلما هَدَأتِ الأصواتُ ولا أسمع حركةً خرَجت، قالَ: ورأيتُ صاحبَ الباب حيث وضَعَ مفتاح الحصن في كوَّة، فأخذته ففتحتُ به بابَ الحصنِ، قال قلت: إن نَذر بي القوم انطلقتُ على مَهَل، ثم عَمدت إلى أبوابِ بيُوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر، ثم صَعدت إلى أبي رافعٍ في سُلم، فإذا البيت مظلم قد طَفِىءَ سراجه فلم أدر أين الرجل، فقلت: يا أبا رافع، قال: مَن هذا؟ قال فَعمدت نحو الصوتِ فأضربه، وصاحَ، فلم تغن شيئا، قال: ثم جئتُ كأني أغيثه فقلت: مالكَ يا أبا رافعٍ؟ وغيرتُ صوتي، فقال: ألا أعجبكَ لأمِّكَ الوَيل، دخلَ عليَّ رجلٌ فضربَني بالسيف، قال فعَمدت له أيضاً فأضربهُ أخرَى، فلم تغن شيئاً، فصاحَ، وقام أهله، قال: ثم جئتُ وغيَّرتُ صوتي كهيئة المغيث، فإذا هو مُستلقٍ عَلَى ظهرهِ فأضعُ السيفَ في بطنه ثمَّ أنكفِىءُ عليه حتى سمعتُ صوتَ العظم، ثمَّ خرجتُ دَهِشاً حتى أتيتُ السُّلَّم أريد أن أنزلَ فأسقُطُ منه، فانخلعَتْ رِجلي فعصبْتها، ثمَّ أتيتُ أصحابي أحجُلُ، فقلت: انطلقوا فبَشروا رسولَ الله ﷺ، فأني لا أبرَحُ حتى أسمَع الناعية، فلما كان في وجهِ الصبْح صَعدَ الناعيةُ فقال: أنعى أبا رافعٍ، قال فقمتُ أمشي ما بي قلبة، فأدركتُ أصحابي قبلَ أن يأتوا النبيَّ ﷺ، فبشرتهُ».

قوله (تقنع بثوبه) أي تغطي به ليخفى شخصه لئلا يعرف،

قوله (فهتف به) أي ناداه،

قوله (فكمنت) أي اختبأت،

قوله (ثم علق الأغاليق على ود) هو الوتد،

قوله (فقمت إلى الأقاليد) هي جمع إقليد وهو المفتاح،

قوله (يسمر عنده) أي يتحدثون ليلا،

قوله (في علالي له) وهي الغرفة،

قوله (نذروا بي) أي علموا

قوله (فما أغنيت شيئا) أي لم أقتله،

قوله (فلم يغن[1]) أي لم ينفع،

قوله (ضبيب السيف) وهو حرف حد السيف،

قوله (فقلت النجاء) أي أسرعوا، وفي هذا الحديث من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر، وقتل من أعان على رسول الله ﷺ بيده أو ماله أو لسانه، وجواز التجسيس على أهل الحرب وتطلب غرتهم، والأخذ بالشدة في محاربة المشركين، وجواز إبهام القول للمصلحة، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين؛ والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته، واعتماده على صوت الناعي بموته، والله أعلم،

١٧ ـ باب غزوة أحد

وقول الله تعالى /آل عمران:١٢١/: {وإذْ غَدَوتَ من أهلِكَ تُبَوِّئُ المؤمنينَ مَقاعدَ للقِتال واللّه سميعٌ عليم} وقوله جل ذِكرُه [١٤٠ آل عمران]: {ولا تَهنوا ولا تحزَنوا وأنتُمَ الأعلونَ إن كنتم مؤمنين، إن يَمسَسْكم قَرح فقد مسَّ القومَ قَرحٌ مثله، وتلكَ الأيامُ نداولِها بينَ الناس وليَعْلَم اللّه الذين آمنوا ويتَّخِذَ منكم شُهَداءَ واللّه لا يحبُّ الظالمين، وليُمحِّصَ اللّه الذين آمنوا ويمحَقَ الكافرين، أم حَسِبتُم أن تَدخلوا الجنَّة ولمَّا يَعلم اللّه الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين، ولقد كنتم تَمنَّونَ الموتَ من قبل أن تَلقَوهُ، فقد رأيتموهُ وأنتم تنظرون} وقوله /آل عمران:١٥٢/: {ولقد صَدَقكم اللّه وعدَه إذ تَحُسُّونهم - تستأصلونَهم قتلاً- بإذنه، حتى إذا فشِلتم وتَنازعتم في الأمرِ وعَصيتم من بعد ما أراكمْ ما تُحبُّونَ، منكم من يُريد الدُّنيا ومنكم من يُريد الآخِرة، ثم صَرَفكم عنهم ليبتَليَكم، ولقد عَفا عنكم، واللّه ذو فضلٍ على المؤمنين ولا تَحسبَنَّ الذين قُتِلوا في سبيلِ اللّهِ أمْواتاً} الآية.

قوله (باب غزوة أحد) و «أحد» جبل معروف بينه وبين المدينة أقل من فرسخ، وهو الذي قال فيه ﷺ «جبل يحبنا ونحبه».

(١) في الباب واليونينية "فلم تغن"

وكانت عنده الوقعة المشهورة في شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور، ورأى رسول الله ﷺ ليلة الجمعة رؤيا، فلما أصبح قال: رأيت البارحة في منامي بقرا تذبح، والله خير وأبقى، ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبته أو قال به فلول فكرهته وهما مصيبتان، ورأيت أني في درع حصينة وأني مردف كبشا، قالوا: وما أولتها؟ قال: أولت البقر بقرا يكون فينا، وأولت الكبش كبش الكتيبة، وأولت الدرع الحصينة المدينة، فامكثوا، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت، فقال أولئك القوم: يا نبي الله كنا نتمنى هذا اليوم، وأبى كثير من الناس إلا الخروج فلما صلى الجمعة وانصرف دعا باللأمه فلبسها، ثم أذن في الناس بالخروج، فندم ذوو الرأي منهم فقالوا: يارسول الله امكث كما أمرتنا، فقال: ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب أن يرجع حتى يقاتل، نزل فخرج بهم وهم ألف رجل وكان المشركون ثلاثة آلاف حتى نزل بأحد، ورجع عنه عبد الله بن أبيّ ابن سلول في ثلثمائة فبقي في سبعمائة، فلما رجع عبد الله سقط في أيدي طائفتين من المؤمنين وهما بنو حارثة وبنو سلمة، وصف المسلمون بأصل أحد، وصف المشركون بالسبخة وتعبّوا للقتال، وعلى خيل المشركين - وهي مائة فرس- خالد بن الوليد، وليس مع المسلمين فرس وصاحب لواء المشركين طلحة بن عثمان، وأمر رسول الله ﷺ عبد الله بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وعهد إليهم أن لا يتركوا منازلهم، وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير، فبارز طلحة بن عثمان فقتله، وحمل المسلمون على المشركين حتى أجهضوهم عن أثقالهم، وحملت خيل المشركين فنضحتهم الرماة بالنبل ثلاث مرات، فدخل المسلمون عسكر المشركين فانتهبوهم، فرأى ذلك الرماة فتركوا مكانهم، ودخل العسكر، فأبصر ذلك خالد بن الوليد ومن معه فحملوا على المسلمين في الخيل فمزقوهم، وصرخ صارخ: قتل محمد أخراكم، فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون، وانهزم طائفة منهم إلى جهة المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل؛ وثبت نبي الله حين انكشفوا عنه وهو يدعوهم في أخراهم، حتى رجع إليه بعضهم وهو عند المهراس في الشعب، وتوجه النبي ﷺ يلتمس أصحابه، فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه وكسروا رباعيته، فمر مصعدا في الشعب ومعه طلحة والزبير، وقيل معه طائفة من الأنصار منهم سهل بن بيضاء والحارث بن الصمة، وشغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا النبي ﷺ وأشراف أصحابه، فقال أبو سفيان يفتخر بآلهته: اعل هبل، فناداه عمر: الله أعلى وأجل، ورجع المشركون إلى أثقالهم فقال النبي ﷺ لأصحابه: إن ركبوا وجعلوا الأثقال تتبع آثار الخيل، فهم يريدون البيوت، وإن ركبوا الأثقال وتجنبوا الخيل فهم يريدون الرجوع، فتبعهم سعد بن ابي وقاص، ثم رجع فقال: رأيت الخيل مجنوبة، فطابت أنفس المسلمين ورجعوا إلى قتلاهم فدفنوهم في ثيابهم ولم يغسلوهم ولم يصلوا عليهم، وبكى

المسلمون على قتلاهم، فسر المنافقون وظهر غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق، فقالت اليهود: لو كان نبيناً ماظهروا عليه، وقالت المنافقون: لو أطاعونا ما أصابهم هذا، قال العلماء: وكان في قصة أحد وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة: منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي، لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لا يبرحوا منه، ومنها أن عادة الرسل أن تبتلى وتكون لها العاقبة كما تقدم في قصة هرقل مع أبي سفيان، والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائما دخل في المؤمنين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين، فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحا، وعرف المسلمون أن لهم عدوا في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم، ومنها أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها، فلما ابتلي المؤمنون صبروا وجزع المنافقون، ومنها أن الله هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم، ففيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها، ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقها اليهم، ومنها أنه أراد إهلاك أعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه، فمحص بذلك ذنوب المؤمنين، ومحق بذلك الكافرين.

{حتى إذا فشلتم} أي جبنتم {وتنازعتم في الأمر} أي اختلفتم، وقوله {ثم صرفكم عنهم} فيه إشارة إلى رجوع المسلمين عن المشركين بعد أن ظهروا عليهم لما وقع من الرماة من الرغبة في الغنيمة، وإلى ذلك الإشارة بقوله {منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة} قال السدي عن عبد خير قال: قال عبد الله بن مسعود «ماكنت أرى أحدا من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية يوم أحد: منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة».

وقوله {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا} الآية أخرج مسلم من طريق مسروق قال: «سألنا عبد الله بن مسعود عن هؤلاء الآيات قال: أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا: إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها» الحديث.

٤٠٤١ ـ عَنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ يومَ أحدٍ: هذا جبريلُ آخذٌ برأس فرسه عليه أداةُ الحرب».

٤٠٤٢ ـ عَنْ عُقْبَةَ بن عامرٍ قال: «صلى رسولُ اللّه ﷺ على قتلى أحدٍ بعد ثماني سنين

كالمودِّع للأحياءِ والأموات، ثم طلعَ المنبرَ فقال: إني بين أيديكم فَرَط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض وإني لأنظرُ إليه من مقامي هذا، وإني لستُ أخشى عليكم أن تُشركوا، ولكنّي أخشى عليكُمُ الدُّنيا أن تَنافَسوها، قال: فكانت آخرَ نظرةٍ نَظرتُها إلى رسول الله ﷺ.

قوله (كالمودع للأحياء والأموات) وتوديع الأحياء ظاهر، لأن سياقه يشعر بأن ذلك كان في آخر حياته ﷺ، وأما توديع الأموات فيحتمل أن يكون الصحابي أراد بذلك انقطاع زيارته الأموات بجسده، لأنه بعد موته وإن كان حيا فهي حياة أخروية لا تشبه الحياة الدنيا، والله أعلم، ويحتمل أن يكون المراد بتوديع الأموات ما أشار إليه في حديث عائشة من الاستغفار لأهل البقيع، وقد سبق شرح هذا الحديث في الجنائز وفي علامات النبوة[1].

٤٠٤٣ - عنِ البراءِ رضيَ اللهُ عَنْه قالَ: «لقينَا المشركين يومئذٍ، وأجلسَ النبيُّ ﷺ جَيشاً من الرُّماةِ، وأمَّرَعليهم عبدَ اللهِ وقال: لا تَبرَحوا، إن رأيتمونا ظهَرْنا عليهم فلا تبرَحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعينُونَا، فلما لَقينا هَربوا، حتى رأيتُ النساءَ يَشتددْنَ في الجبل، رَفعنَ عن سُوقهنَّ قد بدَت خلاخلُهنَّ فأخَذوا يقولون: الغنيمةَ الغنيمة، فقال عبدُ الله عهدَ إليَّ النبيُّ ﷺ أن لا تَبرَحوا، فأبوا، فلما أبوا صُرِفَ وُجوهُهم، فأصيبَ سبعون قَتيلا، وأشرفَ أبوسفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه، فقالَ: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن الخطّاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياءَ لأجابوا، فلم يملك عمرُ نفسه فقال: كذبتَ يا عدوَّالله، أبقى الله عليكَ ما يُخزيك، قال أبو سفيان: اعلُ هُبَل، فقال النبيُّ ﷺ: أجيبوه، قالُوا: مانقول؟ قال قولوا: اللهُ أعلى وأجلّ، قال أبو سفيان:لنا العُزَّى ولا عُزّى لكم، فقال النبيُّ ﷺ: أجيبوه، قالوا: ومَا نقول؟ قالَ: قولوا: اللهُ مَولانا ولا مولى لَكُمْ، قال أبو سفيان يومٌ بيوم بَدر، والحربُ سِجال، وتجِدون مُثْلةً لم آمُرْ بها ولم تَسُؤني».

قوله (فلما أبوا صرفت[2] وجوههم) أي تحيروا فلم يدروا أين يتوجهون، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثنى عشر رجلا، ووقع عند الطبري من طريق السدي قال: «تفرق الصحابة: فدخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل، وثبت رسول الله ﷺ يدعوا الناس إلى الله، فرماه ابن قمئة بحجر فكسر أنفه ورباعيته، وشجه في وجهه فأثقله، فتراجع إلى النبي ﷺ ثلاثون رجلا فجعلوا يذبون عنه، فحمله منهم طلحة وسهل بن حنيف، فرمى طلحة بسهم ويبست يده، وقال بعض من فر إلى الجبل: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي يستأمن لنا من أبي سفيان، فقال أنس بن النضر: ياقوم إن كان محمد قتل فرب محمد لم

(١) كتاب المناقب باب / ٢٥ ح ٣٥٩٦ - ٣ / ١٠٣
(٢) رواية الباب واليونينية صرف.

يقتل، فقاتلوا على ماقاتل عليه» ثم ذكر قصة قتله كما سيأتي قريبا، وقصد رسول الله ﷺ الجبل فأراد رجل من أصحابه أن يرميه بسهم، فقال له: أنا رسول الله فلما سمعوا ذلك فرحوا به واجتمعوا حوله وتراجع الناس، وسيأتي في باب مفرد ما يتعلق بمن شج وجهه عليه الصلاة والسلام.

قوله (فأصيب سبعون قتيلا) في رواية زهير «فأصابوا منها» أي من طائفة المسلمين، وروى سعيد بن منصور من مرسل أبي الضحى قال «قتل يومئذ -يعني يوم أحد- سبعون: أربعة من المهاجرين حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان، وسائرهم من الأنصار».

قوله (أبقى الله عليك ما يحزنك) زاد زهير «إن الذي عددت لأحياء كلهم».

قوله (اعل هبل) قال ابن إسحق: معنى قوله اعل هبل أي ظهر دينك.

قوله (مثلة) بضم الميم وسكون المثلثة.

قال ابن فارس: مثل بالقتيل إذا جدعه، قال ابن اسحق: حدثني صالح بن كيسان قال: «خرجت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى، يجدعن الآذان والأنف، حتى اتخذت هند من ذلك حزما وقلائد، وأعطت حزمها وقلائدها -أي اللاتي كن عليها- لوحشي جزاء له على قتل حمزة، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها».

قوله (لم آمر بها، ولم تسؤني) أي لم أكرهها وإن كان وقوعها بغير أمري، وفي هذا الحديث من الفوائد منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ وخصوصيتهما به بحيث كان أعداؤه لا يعرفون بذلك غيرهما، إذ لم يسأل أبو سفيان عن غيرهما، وأنه ينبغي للمرء أن يتذكر نعمة الله ويعترف بالتقصير عن أداء شكرها، وفيه شؤم ارتكاب النهي، وانه يعم ضرره من لم يقع منه، كما قال تعالى {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة} وأن من آثر دنياه أضر بأمر آخرته ولم تحصل له دنياه، واستفيد من هذه الكائنة أخذ الصحابة الحذر من العود إلى مثلها، والمبالغة في الطاعة، والتحرز من العدو الذين كانوا يظهرون أنهم منهم وليسوا منهم، وإلى ذلك أشار سبحانه وتعالى في سورة آل عمران أيضا {وتلك الأيام نداولها بين الناس -إلى أن قال- وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين}، وقال {ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب}.

٤٠٤٤ ـ عَنْ جابرٍ قالَ: «اصطبَحَ الخمرَ يومَ أُحُدَ ناسٌ ثم قُتِلوا شهداء».

٤٠٤٥ ـ عَنْ سعدِ بن إبراهيمَ عَن أبيهِ إبراهيم أن عبد الرَّحمن بن عوف أُتيَ بطعام -وكانَ صائماً- فقالَ: قُتلَ مُصعَبُ بن عُميرٍ وهو خيرٌ مني، كفِّنَ في بُردةٍ إن غُطِّيَ رأسه بَدَت رِجلاه، وإن غُطيَ رِجلاه بَدا رأسه، وأراهُ قال: وقُتلَ حمزةُ وهو خيرٌ مني، ثم بُسِطَ لنا

من الدنيا مابسط -أو قال: أعطِينا منَ الدُّنيا ما أعطينا- وقد خَشِينا أن تكونَ حسناتنا قد عُجِّلَت لنا، ثم جعلَ يبكي حتى تَرَكَ الطعامَ».

قوله (وهو صائم[١]) ذكر ابن عبد البر أن ذلك كان في مرض موته.

قوله (قتل مصعب بن عمير) تقدم نسبه وذكره في أول الهجرة، وأنه كان من السابقين إلى الإسلام وإلى الهجرة وكان يقرىء الناس بالمدينة قبل أن يقدم النبي ﷺ وكان قتله يوم أحد،

قوله (وهو خير مني) لعله قال ذلك تواضعا، ويحتمل أن يكون ما استقر عليه الأمر من تفضيل العشرة على غيرهم بالنظر إلى من لم يقتل في زمن النبي ﷺ، وقد وقع من أبي بكر الصديق نظير ذلك «فذكر ابن هشام أن رجلا دخل على أبي بكر الصديق وعنده بنت سعد بن الربيع وهي صغيرة فقال: من هذه؟ قال: هذه بنت رجل خير مني، سعد بن الربيع، كان من نقباء العقبة شهد بدرا واستشهد يوم أحد.

قوله (كفن في بردة) تقدم شرحه في كتاب الجنائز[٢].

قوله (ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط) يشير إلى ما فتح لهم من الفتوح والغنائم وحصل لهم من الأموال، وكان لعبد الرحمن من ذلك الحظ الوافر، وفي الحديث فضل الزهد، وأن الفاضل في الدين ينبغي له أن يمتنع من التوسع في الدنيا لئلا تنقص حسناته، وإلى ذلك أشار عبد الرحمن بقوله خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت» وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الرقاق[٣]إن شاء الله تعالى، قال ابن بطال: وفيه أنه ينبغي ذكر سير الصالحين وتقللهم في الدنيا لتقل رغبته فيها قال: وكان بكاء عبد الرحمن شفقا أن لا يلحق بمن تقدمه.

٤٠٤٦ ـ عَنْ عمروٍ سمَع جابرَ بن عبد الله رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ يومَ أحد: أرأيتَ إن قُتِلتُ فأين أنا؟ قال: في الجنة، فألقى تمراتٍ في يدهِ، ثمَّ قاتلَ حتَّى قُتِل».

٤٠٤٧ ـ عن خَبَّابِ بن الأرَتِّ رضيَ اللّه عنه قالَ: «هَاجرنا مع رسولِ اللّه ﷺ نبتغي وجهَ اللّه، فوجب أجرُنا على اللّه، ومنَّا مَن مضى أو ذهبَ لم يأكلْ من أجرِهِ شيئًا، كان منهم مُصعَبُ بن عُمَير قُتِلَ يومَ أحدٍ لم يَترِكْ إلاّ نَمرةً كنّا إذا غطّينا بها رأسَهُ خَرَجَت رِجلاه، وإذا غُطيَ بها رجلاه خرجَ رأسهُ، فقال لنا النبيُّ ﷺ غطُّوا بها رأسهَ، واجعَلوا على رجلهِ الإذخِر، أو قال ألقوا على رِجلهِ منَ الإذخر، ومنّا من أينعت له ثمرَته، فهو يَهدِبُها»،

---

(١) رواية الباب واليونينية وكان صائماً.
(٢) كتاب الجنائز باب / ٢٥ ح ١٢٧٤ - ١ / ٦٤٠
(٣) كتاب الرقاق باب / ١٦ ح ٦٤٤٨ - ٥ / ٢٠

[وفيه ما كان الصحابة عليه من حب نصر الإسلام والرغبة في الشهادة ابتغاء مرضاة الله]

٤٠٤٨ ـ عَنْ أَنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ أن عمهُ غاب عن بدرٍ فقال: غِبتُ عن أوّلِ قتالِ النبيِّ ﷺ، لئن أشهدَني اللهُ مع النبيِّ ﷺ لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أَجِدُّ فلقِيَ يومَ أُحُد فُهزِمَ الناسُ فقال اللهمَّ إني أعتذرِ إليك مما صنَعَ هؤلاء -يعني المسلمين- وأبرأُ إليكَ مما جاء به المشركون، فتقدَّم بسيفه، فلقِيَ سعدَ بن مُعاذٍ فقال أينَ يا سعد؟ إني أجِدُ ريحَ الجنَّةِ دونَ أحد، فمضى فقُتل، فما عُرِفَ حتى عرفَتْهُ أُختهُ بشامةٍ -أو ببَنانهِ- وبه بضعٌ وثمانونَ: من طعنةٍ، وضربة، ورَمية بسهم».

قوله (ليرين الله) ومراده أن يبالغ في القتال ولو زهقت روحه.

قوله (ما أجد) يقال أجد في الشيء يجد إذا بالغ فيه.

قوله (إني أجد ريح الجنة دون أحد) يحتمل أن يكون ذلك على الحقيقة بأن يكون شم رائحة طيبة زائدة عما يعهد فعرف أنها ريح الجنة، ويحتمل أن يكون أطلق ذلك باعتبار ما عنده من اليقين حتى كأن الغائب عنه صار محسوسا عنده، والمعنى أن الموضع الذي أقاتل فيه يئول بصاحبه إلى الجنة.

قوله (فمضى فقتل) دل ذلك على شجاعة مفرطة في أنس بن النضر بحيث أن سعد بن معاذ مع ثباته يوم أحد وكمال شجاعته ما جسر على ما صنع أنس بن النضر.

قوله (وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم) قال أنس: كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى } إلى آخر الآية، وفي الحديث جواز الأخذ بالشدة في الجهاد، وبذل المرء نفسه في طلب الشهادة، والوفاء بالعهد، وتقدمت بقية فوائده في كتاب الجهاد(١).

٤٠٤٩ ـ عن زيدِ بن ثابت رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: «فَقدت آية من الأحزابِ - حينَ نسَخنا المصحفَ- كنت أسمعُ رسولَ الله ﷺ يَقرأ بها، فالتَمَسْناها، فوجدناها معَ خُزَيمةَ بن ثابت الأنصاريِّ {منَ المؤمنين رجالٌ صدَقوا ماعاهَدوا اللهَ عليه، فمنهم مَن قَضى نحبه ومنهم من يَنتظر} فألحَقْناها في سُورَتِها في المصحف».

٤٠٥٠ ـ عَنْ زيدِ بن ثابتٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «لَمَّا خرجَ النبيُّ ﷺ إلى غزوة أُحُد، رجَعَ ناسٌ ممن خرَجَ معه، وكان أصحابُ النبيِّ ﷺ فرقتَين: فرقةٌ تقول نقاتِلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم، فنزلت {فما لَكُمْ في المنافقين فِئتين واللهُ أركَسَهُم بما كسَبوا} وقالَ: إنها طَيْبَة تَنفي الذُّنوب، كما تنفي النارُ خَبَثَ الفِضّة».

---

(١) كتاب الجهاد باب / ١٢ ح ٢٨٠٥ - ٢ / ٥٥٩

قوله (رجع ناس ممن خرج معه) يعني عبد الله بن أبيّ وأصحابه، وقد ورد ذلك صريحا في رواية موسى بن عقبة في المغازي وأن عبد الله بن أبيّ كان وافق رأيه رأى النبي ﷺ على الإقامة بالمدينة، فلما أشار غيره بالخروج وأجابهم النبي ﷺ فخرج قال عبد الله بن أبيّ لأصحابه: أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا؟ فرجع بثلث الناس، قال ابن إسحق في روايته: فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر وكان خزرجيا كعبد الله بن أبيّ فناشدهم أن يرجعوا فأبوا فقال أبعدكم الله.

قوله (وكان أصحاب رسول الله[1] ﷺ فرقتين) أي في الحكم فيمن انصرف مع عبد الله بن أبيّ.

قوله (فنزلت) هذا هو الصحيح في سبب نزولها.

قوله (وقال إنها طيبة تنفي الذنوب) وقد سبق الكلام عليه في أواخر الحج[2] مستوفى.

١٨ - باب {إذ هَمَّتْ طائفتانِ منكم أن تَفْشَلا والله وليُّهما، وعلى الله فليتوكلِ المؤمنون}.

٤٠٥١ - عَنْ جَابرٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «نزلَتْ هذهِ الآية فِينَا /آل عمران: ١٢٢ /: {إذ همتْ طائفتانِ منكم أن تَفشَلا} بني سَلِمةَ وبني حارثة، وما أُحِبُّ أنَّها لم تَنزل والله يقول {والله وليّهما}».

[الحديث ٤٠٥١ طرفه ٤٥٥٨]

٤٠٥٢ - عَنْ جابرٍ قالَ: «قالَ لِي رسولُ الله ﷺ: هل نَكحتَ يا جابرُ؟ قلت: نعم، قال: ماذا، أبكراً أم ثيِّباً؟ قلت: لا، بل ثيباً، قال فهلاَّ جاريةً تلاعبُك قلت: يارسولَ الله، إنَّ أبي قُتلَ يومَ أُحدٍ وتركَ تِسعَ بنات كنَّ لي تسع أخوات، فكرهت أن أجمعَ إليهنَّ جاريةً خرقاءَ مثلهن، ولكن امرأة تمشطُهنَّ وتقومُ عليهن، قال: أصبتَ».

٤٠٥٣ - عَنْ جابرِ بنِ عبدِ الله رضيَ اللهُ عَنْهُمَا أن أباه استُشهِدَ يومَ أُحُدٍ وتركَ عليه دَيناً وترك ستَّ بنات، فلما حضرَ جذاذ النخلِ قال أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: قد علمتَ أنَّ والدي قد استشهِدَ يوم أحُدٍ وترك دَينًا كثيراً، وإني أحِبُّ أن يَراك الغُرَماء، فقال: اذهَبْ فَبيدِرْ كلَّ تمر على ناحية، ففعلتُ، ثمَّ دَعَوتهُ، فلما نظروا إليهِ كأنهم أغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يَصنَعون أطافَ حولَ أعظمها بَيدَراً ثلاثَ مرَّات، ثم جَلسَ عليهِ ثم قال: ادع لكَ أصحابَك، فما زال يكيلُ لهم حتى أدَّى الله عن والدي أمانتَه، وأنا أرضى أن يُؤدِّيَ الله أمانةَ والدي ولا أرجعَ إلى أخَواتي بتمرة، فسلم الله البَيادِرَ كلها، حتى إني

(١) رواية الباب واليونينية أصحاب النبي ﷺ.
(٢) كتاب فضائل المدينة باب /١٠ح ١٨٨٣ - ٢ / ١٤٦.

أنظر إلى البيدر الذي كان عليهِ النبيُّ ﷺ كأنها لم تنقصْ تمرةً واحدة».

قوله (باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما الآية) الفشل الجبن، وقيل الفشل في الرأي العجز، وفي البدن الإعياء وفي الحرب الجبن، والولي الناصر.

قوله (نزلت هذه الآية فينا) أي في قومه بني سلمة وهم من الخزرج، وفي أقاربهم بني حارثة وهم من الأوس.

قوله (وما أحب أنها لم تنزل والله يقول: والله وليهما) أي وأن الآية وإن كان في ظاهرها غض منهم لكن في آخرها غاية الشرف لهم، قال ابن إسحق: قوله {والله وليهما} أي الدافع عنهما ماهموا به من الفشل، لأن ذلك كان من وسوسة الشيطان من غير وهن منهم، وقد تقدم شرح ما تضمنته الرواية الثانية في علامات النبوة[1]، ويأتي شرح ما تضمنته الرواية الأولى في كتاب النكاح، والغرض من إيراده هنا أن عبد الله والد جابر كان ممن استشهد بأحد، وعند الترمذي من طريق طلحة بن خراش «سمعت جابرا يقول لقيني النبي ﷺ فقال: مالي أراك منكسرا؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي بأحد وترك دينا وعيالا، قال: أفلا أبشرك؟ إن الله قد لقي أباك فقال: تمن علي، قال: تحييني فأقتل فيك مرة أخرى، وأنزلت هذه الآية {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء} الاية».

٤٠٥٤ ـ عَنْ سعدِ بن أبي وقّاص رضيَ اللهُ عنهُ قال: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ يومَ أحدٍ ومعه رجلانِ يقاتِلانِ عنه عليهما ثِيابٌ بِيضٌ كأشدِّ القتال، ما رأيتُهما قبلُ ولا بعد».

[الحديث ٤٠٥٤ – طرفه في: ٥٨٢٦]

٤٠٥٥ ـ عَنْ سعدِ بنِ أبي وقاص قال: «نَثَل لي النبيُّ ﷺ كِنانَتَهُ يومَ أحدٍ فقال: ارم فداك أبي وأمّي».

٤٠٥٦ ـ عَنْ يحيى بن سعيدٍ قالَ سمعت سعيدَ بن المسيّب قال: «سمعت سعداً يقول: جمع لي النبيُّ ﷺ أبوَيهِ يومَ أحد».

٤٠٥٧ ـ عَنِ ابن المسيَّبِ أنه قال: «قال سعدُ بن أبي وقاص رضيَ اللهُ عنهُ: جمعَ لِي رسول الله ﷺ يومَ أحدٍ أبوَيهِ كِلَيهما -يريدُ حينَ قال: فِداكَ أبي وأمّي- وهو يقاتل».

٤٠٥٨ ـ عَنِ ابن شدّاد قال: «سمعت عليّاً رضيَ الله عَنْهُ يقولُ: ما سمعت النبي ﷺ يجمع أبويه لأحد غير سعد».

٤٠٥٩ ـ عَنْ علي رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: مَا سمعتُ النبيَّ ﷺ جَمَعَ أبوَيه لأحد إلا لسعدٍ

(١) كتاب المناقب باب / ٢٥ ح ٣٥٨٠ - ٣ / ١٠٣

ابن مالك، فإني سمعتُهُ يقول يومَ أحد: ياسعدُ ارم فداك أبي وأمي».

قوله (ومعه رجلان يقاتلان عنه) هما جبريل وميكائيل كذا وقع في مسلم من طريق أخرى عن مسعر وفي آخره «يعني جبريل وميكائيل».

قوله (وغير سعد) أي ابن أبي وقاص، وهو ابن مالك كما في الرواية الثانية.

٤٠٦٠، ٤٠٦١ ـ عَنْ مُعتَمرٍ عن أبيهِ قال: «زعمَ أبو عثمانَ أنه لم يبقَ معَ النبيِّ ﷺ في بعضِ تلك الأيامِ التي يقاتلُ فيهنَّ غيرُ طلحةَ وسعدٍ عن حديثيهما».

٤٠٦٢ ـ عَنْ مُحمدِ بن يوسفَ قال: سمعت السائب بن يزيدَ قال: «صَحِبتُ عبد الرحمن بن عوفٍ وطلحةَ بن عُبيدِ الله والمقدادَ وسعداً رضيَ اللهُ عنهم، فما سمعت أحداً منهم يُحدِّثُ عنِ النبيِّ ﷺ، إلا أني سمعتُ طلحةَ يحدِّثُ عن يوم أُحدٍ».

٤٠٦٣ ـ عَنْ قيسٍ قال: «رأيتُ يدَ طلحةَ شلاءَ وَقى بها النبيَّ ﷺ يومَ أحد».

٤٠٦٤ ـ عَنْ أنَسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «لمَّا كانَ يوم أُحُدٍ انهزمَ الناسُ عنِ النبيِّ ﷺ وأبوطلحةَ بينَ يدي النبيِّ ﷺ مُجوِّبٌ عليهِ بحجفَةٍ له، وكان أبو طلحةَ رجلاً راميًا شديدَ النزعِ، كسر يومئذ قوسَين أو ثلاثًا، وكان الرجلُ يَمرُّ معه بجعْبةٍ من النَّبل فيقول: انثُرها لأبي طلحةَ، قال ويُشرِفُ النبيُّ ﷺ يَنظُر إلى القوم، فيقولُ أبو طلحة: بأبي أنتَ وأمي، لا تُشرفْ يُصيبُكَ سهمٌ من سِهام القوم، نَحري دُونَ نحرك، ولقد رأيتُ عائشةَ بنتَ أبي بكرٍ وأمَّ سُليم وإنهما لمشَمرَتَان أرَى خَدَمَ سُوقهما تُنقزانِ القرب على متونهما تُفرغانهِ في أفواهِ القوم، ثمَّ ترجعانِ فتَملآنِها، ثم تجيئانِ فتُفرِغانهِ في أفواه القوم، ولقد وَقَعَ السيفُ من يَدَي أبي طلحةَ إما مرتيْن وإما ثلاثًا».

٤٠٦٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالتْ: «لمَّا كانَ يومَ أحُدٍ هُزِمَ المشركون، فصَرَخَ إبليسُ لعنةُ الله عليه: أي عِبادَ الله، أُخْراكم، فرجَعَت أولاهم فاجتَلَدَت هيَ وأخراهم، فبَصُرَ حُذَيفةُ فإذا هوَ بأبيهِ اليمانِ فقال: أي عِبادَ الله، أبي أبي، قال قالت: فو الله ما احتَجَزُوا حتى قتلوه، فقال حذَيفةُ: يغفِرُ اللهُ لكم، قال عروة: فوالله مازالت في حُذَيفةَ بقيةُ خيرٍ حتى لحقَ بالله »، بَصرُتُ: علمت، من البَصيرةِ في الأمر، وأبصرت: من بَصرِ العين، ويقال: بَصُرت وأبصرتُ واحد.

قوله (انهزم الناس) أي بعضهم، أو أطلق ذلك باعتبار تفرقهم كما تقدم بيانه، والواقع أنهم صاروا ثلاث فرق: فرقة استمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل، وهم الذين نزل فيهم [١٥٥ آل عمران]: {إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان}، وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قتل فصار غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه أو يستمر على بصيرته في القتال إلى أن يقتل، وهم أكثر الصحابة، وفرقة ثبتت

مع النبي ﷺ، ثم تراجع إليه القسم الثاني شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه حي كما بينته في الحديث السابع، وبهذا يجمع بين مختلف الأخبار في عدة من بقى مع النبي ﷺ.

قوله (شديد النزع) أي رمي السهم.

قوله (كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا) أي من شدة الرمي.

قوله (لا تشرف) أي لا تطلب الإشراف عليهم.

قوله (يصبك) كأنه قال مثلا لا تشرف فإنه يصيبك.

قوله (نحري دون نحرك) أي أفديك بنفسي.

قوله (ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر) أم المؤمنين (وأم سليم) أي والدة أنس.

قوله (أرى خدم سوقهما) وهي الخلاخيل، وقد تقدم في الجهاد[١].

قوله (لما كان يوم أحد هزم المشركون، فصرخ إبليس[٢]: أي عباد الله أخراكم) أي احترزوا من جهة أخراكم، وهي كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى عند القتال من ورائه، وكان ذلك لما ترك الرماة مكانهم ودخلوا ينتهبون عسكر المشركين كما سبق بيانه.

قوله (فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم) أي وهم يظنون أنهم من العدو، وقد تقدم بيان ذلك، وأنهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا، فوقع القتل على المسلمين بعضهم من بعض، وذكر ابن إسحق قال: «حدثني عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد قال كان اليمان والد حذيفة وثابت بن وقش شيخين كبيرين فتركهما رسول الله ﷺ مع النساء والصبيان، فتذاكرا بينهما ورغبا في الشهادة، فأخذا سيفيهما ولحقا بالمسلمين بعد الهزيمة، فلم يعرفوا بهما، فأما ثابت فقتله المشركون، وأما اليمان فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه.

قوله (قال عروة الخ) وفي رواية ابن إسحق «فقال حذيفة: قتلتم أبي، قالوا، والله ماعرفناه، وصدقوا، فقال حذيفة: يغفر الله لكم، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً».

١٩ ـ باب قولِ اللّه تعالى:

{إنَّ الذينَ تَوَلَّوا منكم يومَ التقى الجمعانِ إنما استزَلَّهمُ الشيطانُ ببعضِ ما كسَبوا، ولقد عفا اللّه عنهم، إن اللّه غفورٌ رحيم}/آل عمران:١٥٥/.

٤٠٦٦ ـ عَنْ عثمانَ بن مَوهَب قال: جاء رجلٌ حَجَّ البيتَ فرأى قومًا جلوساً فقال: من

(١) كتاب الجهاد باب / ٦٥ ح ٢٨٨٠ - ٢ / ٥٨٨

(٢) رواية الباب واليونينية إبليس لعنة الله عليه.

هؤلاء القعود؟ قالوا: هؤلاء قُريش، قال: مَنِ الشيخُ؟ قالوا: ابن عمر، فأتاه فقال: إني سائلُكَ عن شيء أتحدِّثني؟ قال: أنشدُكَ بحرمةِ هذا البيت، أتعلم أنَّ عثمانَ بن عفان فَرَّ يومَ أُحُد؟ قال: نعم قال: فتعلمه تَغيَّبَ عن بَدرٍ فلم يَشهَدْها؟ قال: نعم، قال: فتعلم أنه تخلَّفَ عن بيعةِ الرِّضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: فكبَّر، قال ابن عمر: تعالَ لأخبِرك ولأبيِّن لك عما سألتني عنه: أمّا فرارُه يومَ أحُد فأشهد أن الله عفا عنه، وأما تغيُّبه عن بَدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضةً، فقال له النبيُّ ﷺ: إن لك أجرَ رجلٍ ممن شهدَ بدراً وسهمه، وأما تَغيُّبه عن بيعةِ الرِّضوان فإنه لو كانَ أحَدٌ أعزَّ ببطنِ مكةَ من عثمانَ بن عفّان لبعثَهُ مكانه، فبعث عثمان، وكانت بيعةُ الرِّضوان بعدَ ماذهبَ عثمانُ إلى مكة، فقال النبيُّ ﷺ بيده اليُمنى: هذه يدُ عثمان، فضرَبَ بها على يده فقالَ هذه لعثمان، إذهَبْ بهذا الآن معَك».

قوله {إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان} اتفق أهل العلم بالنقل على أن المراد به هنا يوم أحد، وغفل من قال يوم بدر، لأنه لم يول فيها أحد من المسلمين، نعم المراد بقوله تعالى {وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان} وهي في سورة الانفال يوم بدر، ولا يلزم منه أن يكون حيث جاء {التقى الجمعان} المراد به يوم بدر.

قوله {استزلهم} أي زين لهم أن يزلوا.

قوله (في هذه الرواية أنشدك بحرمة هذا البيت» فيه جواز مثل هذا القسم عند أثر عبد الله بن عمر لكونه لم ينكر عليه، وسيأتي البحث في شيء من هذا في كتاب الأيمان والنذور إن شاء الله تعالى.

٢٠ - باب . {إذ تُصعِدون ولا تَلوُونَ على أحَد، والرسولُ يَدعوكم في أخراكم، فأثابَكم غَمّاً بغمّ، لكيلا تحزَنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم، والله خَبيرٌ بما تعملون} [١٥٣ آل عمران]، تُصعِدون: تذهَبون، أصعَدَ وصَعِدَ فوقَ البيت.

٤٠٦٧ - عن أبي إسحاقِ قال سمعتُ البَراءَ بن عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ: «جَعَلَ النبيُّ ﷺ على الرَّجَّالةِ يوم أحد عبدَ الله بن جُبَير، وأقبلوا مُنهزمين، فذاك {إذ يدعوهمُ الرَّسولُ في أخراهم}.

قوله {فأثابكم غمّا بغم} روى عبد بن حميد من طريق مجاهد قال: «كان الغم الأول حين سمعوا الصوت أن محمد قد قتل، والثاني لما انحازوا إلى النبي ﷺ وصعدوا في الجبل فتذكروا قتل من قتل منهم فاغتموا».

قوله {لكيلا تحزنوا على ما فاتكم} أي من الغنيمة {ولا ما أصابكم} أي من الجراح وقتل إخوانكم.

٢١ ـ باب ـ /آل عمران:١٥٤/: {ثُمَّ أنزَل عليكم من بعدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً يَغشى طائفةً منكم، وطائفةٌ قد أهمتْهم أنفسُهم يَظنُّونَ باللهِ غيرَ الحقِّ ظنَّ الجاهلية، يَقولون هل لنا منَ الأمرِ من شيءٍ؟ قُلْ إنَّ الأمرَ كلهُ لله، يُخفون في أنفسهم مالا يبْدون لك، يقولونَ لو كان لنا منَ الأمر شيء ما قُتِلنا ها هنا، قل لو كنتم في بُيوتِكم لَبَرَز الذين كُتِبَ عليهمُ القتلُ إلى مَضاجعِهم، وليبْتَلِيَ الله مافي صدوركم، وليُمَحِّصَ مافي قلوبكم، والله عليمٌ بذاتِ الصدُور}.

٤٠٦٨ ـ عنْ أنسٍ عَنْ أبي طلحةَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «كُنْتُ فيمن تَغْشاهُ النُّعاسُ يومَ أُحُد، حتى سَقطَ سيفي من يدي مِراراً، يسقطُ وآخذُه، ويَسقط فآخذُه».

[الحديث ٤٠٦٨ – طرفه في: ٤٥٦٢]

قوله باب قوله[1]({ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاسًا}) قال ابن إسحق أنزل الله النعاس أمنةً لأهل اليقين فهم نيام لايخافون والذين أهمتهم أنفسهم أهل النفاق في غاية الخوف والذعر،

٢١ ـ باب ـ {ليس لكَ من الأمرِ شيء أو يَتوبَ عليهم أو يُعذِّبهم فإنهم ظالمون}

/١٢٨ آل عمران/، قال حُمَيدٌ وثابتٌ عن أنسٍ: شُجَّ النبيُّ ﷺ يومَ أحُدٍ فقال كيف يُفلحُ قومٌ شجُّوا نبيَّهم؟ فنزلت ليس لكَ منَ الأمرِ شيء».

٤٠٦٩ ـ عَنْ سالم عن أبيه «أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ إذا رفعَ رأسَه من الركوع منَ الركعةِ الآخرةِ من الفجر يقول: اللهمَّ العَنْ فلاناً وفلاناً وفلانا، بعد َما يقول سمعَ اللهُ لمن حَمِدَه ربَّنا ولك الحمد، فأنزَل الله: ليس لكَ من الأمرِ شيء -إلى قولِه- فإنهم ظالمون».

[الحديث ٤٠٦٩ – أطرافه في: ٤٠٧٠، ٤٥٥٩، ٧٣٤٦]

٤٠٧٠ ـ عنْ حَنظلةَ بن أبي سفيان سمعتُ سالمَ بن عبدِ الله يقول :كان رسولُ الله ﷺ يَدعوا على صَفوانَ بن أميَّةَ وسُهيلِ بن عمروٍ والحارث بن هشام، فنزَلت: ليس لك منَ الأمر شيء -إلى قوله- فإنهم ظالمون».

وذكر ابن هشام في حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي ﷺ السفلى وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في جبهته، وأن عبد الله بن قمئة جرحه في وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده فقال: لن تمسك النار» وروى ابن إسحق من حديث سعد بن أبي وقاص قال: فما حرصت على قتل رجل قط حرصي على قتل

(١) في رواية الباب واليونينية بدون "قوله".

أخي عتبة بن أبي وقاص لما صنع برسول الله ﷺ يوم أحد» وفي الطبراني من حديث أبي أمامة قال: «رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله ﷺ و هو يمسح الدم عن وجه: مالك أقمأك الله، فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة».

٢٢ ـ باب ذِكر أُمِّ سُلَيط

٤٠٧١ ـ عن ثعلبة بن أبى مالك أنَّ عمر بنِ الخطّابِ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قَسَمَ مُروطاً بينَ نِساءٍ من نساءِ أهل المدينة فبقيَ منها مِرْطٌ جيِّد، فقال لهُ بعضُ مَن عندَه: يا أميرَ المؤمنين، أعطِ هذا بنتَ رسولِ الله ﷺ التي عندكَ -يريدونَ أمَّ كلثومٍ بنتَ علي- فقال عمر: أمُّ سُليطٍ أحقَ به، وأمُّ سُليطٍ من نساء الأنصار ممن بايعَ رسولَ الله ﷺ، قال عمرُ: فإنها كانت تُزْفِرُ لنا القرَبَ يوم أُحُد».

قوله (باب ذكر أم سليط) وقد تقدم شرحه في كتاب الجهاد، وأم سليط المذكورة هي والدة أبي سعيد الخدري كانت زوجا لأبي سليط فمات عنها قبل الهجرة فتزوجها مالك بن سنان الخدري فولدت له أبا سعيد.

٢٣ ـ باب قَتلِ حمزةَ بن عبدِ المطلب رضيَ اللّه عنه

٤٠٧٢ ـ عن عمرو بن أميةَ الضَّمْريِّ قال: «خرجتُ معَ عُبيدِ الله بن عَديٍّ بن الخيار، فلما قَدِمنا حمصَ قال لي عبيدُ الله بن عَديّ: هل لكَ في وَحشيٍ نسألهُ عن قتلِ حمزةَ؟ قلتُ: نعم، وكان وَحشيٌّ يَسكنُ حمصَ، فسألنا عنه، فقيلَ لنا: هو ذاكَ في ظلِّ قصرهِ كأنه حَميت، قال فجئنا حتى وقفْنا عليه بيَسير، فسلمنا، فردَّ السلام قال وعبيدُ الله معْتجِرٌ بعمامَتِه مايرى وَحشيٌّ إلا عينيه ورجليه فقال عُبيدُ الله: يا وَحشيُّ أتعرفني؟ قال فنظرَ إليه ثمَّ قال: لا والله، إلا أني أعلمُ أنَّ عَديَّ بن الخيارِ تزوجَ امرأةً يقالُ لها أم قِتالٍ بنتُ أبي العيص، فولَدَت له غلاماً بمكة فكنتُ أسترضِعُ له، فحملتُ ذلكَ الغلامَ معَ أمِّهِ فناولتها إيّاهُ، فلكأني نظرتُ إلى قدَمَيك، قال فكشفَ عُبَيدُ الله عن وَجهه ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزةَ؟ قال: نعم، إن حمزةَ قَتل طُعَيمةَ بن عديَّ بن الخيارِ ببدر، فقال لي مولاي جُبَير بن مُطعِم: إن قتلتَ حمزةَ بعمِّي فأنتَ حرّ قال: فلما أن خَرَجَ الناسُ عام عَينين -وعينَين جبلٌ بحيال أحد، بينَه وبينه واد- خرجتُ معَ الناس إلى القتال، فلمَّا اصطفُّوا للقتال خرجَ سِباعٌ فقال: هل من مُبارز؟ قال: فخرجَ اليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سِباعُ، يا ابنَ أمِّ أنمارٍ مُقطِّعة البُظور، أتحادُّ اللّه ورسوله ﷺ؟ قال ثمَّ شدَّ عليه، فكان كأمسِ الذاهب، قال: وكمنْتُ لحمزةَ تحتَ صخرةٍ، فلما دَنا مني رمَيته بحَرْبَتي فأضَعُها في ثُنَّتِه حتى خرَجَتْ من بينِ وَرِكيه، قال فكان ذاكَ العهدَ به، فلما رجَعَ الناسُ رجعتُ معَهم،

فأقمتُ بمكةَ حتى فَشا فيها الإسلامُ، ثم خرَجتُ إلى الطائفِ، فأرسَلوا إلى رسولِ الله ﷺ رُسُلاً، فقيلَ لي: إنه لا يَهيج الرُّسَل، قال: فخرجتُ معهم حتى قَدِمتُ على رسولِ الله ﷺ فلما رآني قال: آنت وَحشيّ، قلت: نعم، قال: أنت قتلتَ حمزة؟ قلتُ: قد كان من الأمرِ ما بَلَغك، قال: فهل تستطيعُ أن تُغيِّبَ وجهَكَ عني؟ قال فخرجتُ، فلما قُبض رسول الله ﷺ فخَرجَ مُسَيلمةُ الكذابُ قلت لأخرُجَنَّ إلى مُسَيلمةَ لعلّي أقتُله فأكافيءَ به حمزة، قال فخرجت مع الناس فكان من أمرِه ما كان، قال: فإذا رجل قائمٌ في ثَلمةِ جِدارٍ كأنه جملٌ أورقُ ثائر الرأس، قال فرميتُه بحربتي، فأضعها بين ثدييهِ حتى خرجَت من بينَ كَتفَيْه، قال ووَثبَ رجلٌ من الانصار فضربَه بالسيف على هامَتِه».

قالَ قالَ عبدُ الله بن الفضل: فأخبرَني سليمانُ بن يَسارٍ أنه سمعَ عبدَ الله بن عمرَ يقول «فقالت جاريةٌ على ظهرِ بيتٍ: وأأمير المؤمنين، قتَله العبدُ الأسود».

قوله (هل لك في وحشي) أي ابن حرب الحبشي مولى جبير بن مطعم.

قوله (كأنه حميت) بمهملة وزن رغيف، أي زق كبير، وأكثر ما يقال ذلك إذا كان مملوءًا، وفي رواية لابن عائذ «فوجدناه رجلا سمينا محمرة عيناه».

قوله (معتجر) أي لاف عمامته على رأسه من غير تحنيك.

قوله (استرضع له) أي أطلب له من يرضعه، زاد في رواية ابن إسحق «والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى، فإني ناولتكها وهي على بعيرها فأخذتك، فلمعت لي قدمك حين رفعتك، فما هو إلا أن وقفت علي فعرفتها، وهذا يوضح **قوله** في رواية الباب «فكأني نظرت إلى قدميك» يعني أنه شبه قدميه بقدم الغلام الذي حمله فكان هو هو، وبين الرؤيتين قريب من خمسين سنة، فدل ذلك على ذكاء مفرط، ومعرفة تامة بالقيافة.

قوله (فلما أن خرج الناس) أي قريش ومن معهم (عام عينين) أي سنة أحد وقوله «عينين جبل بحيال أحد، أي من ناحية أحد، والسبب في نسبة وحشي العام إليه دون أحد أن قريشا كانوا نزلوا عنده.

قوله (خرجت مع الناس إلى القتال) في رواية الطيالسي «فانطلقت يوم أحد معي حربتي، وأنا رجل من الحبشة ألعب لعبهم، قال: وخرجت ما أريد أن أقتل ولا أقاتل إلا حمزة، وعند ابن إسحق: وكان وحشي يقذف بالحربة قذف الحبشة قلما يخطىء.

قوله (مقطعة البظور) قال ابن إسحق: كانت أمه ختانة بمكة تختن النساء اهـ، والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذمة.

قوله (أُحادُّ) أي أتعاند، وقوله «كأمس الذاهب» هي كناية عن قتله أي صيره عدما، (وكمنت) أي اختفيت.

قوله (فقيل لي إنه لا يهيج الرسل) اي لا ينالهم منه إزعاج، وفي رواية الطيالسي «فأردت الهرب إلى الشام، فقال لي رجل: ويحك، والله ما يأتي محمدا أحد بشهادة الحق إلا خلى عنه، قال فانطلقت فما شعر بي إلا وأنا قائم على رأسه أشهد بشهادة الحق» وعند ابن إسحق «فلم يرعه إلا بي قائما على رأسه».

قوله (قال: أنت قتلت حمزة؟ قلت: قد كان من الأمر ما قد بلغك)، وعند يونس بن بكير في المغازي عند ابن إسحق قال: «فقيل لرسول الله ﷺ هذا وحشي، فقال: دعوه فلإسلام رجل واحد أحب إليَّ من قتل ألف كافر».

قوله (فهل تستطيع ان تغيب وجهك عني) في رواية الطيالسي «فقال غيب وجهك عني فلا أراك».

قوله (قال فخرجت) وعند الطبراني فقال: يا وحشي، اخرج فقاتل في سبيل الله كما كنت تصد عن سبيل الله.

قوله (فقلت لأخرجن إلى مسيلمة) في رواية الطيالسي «فلما كان من أمر مسيلمة ما كان انبعثت مع البعث فأخذت حربتي».

قوله (فأكافىء به حمزة) أي أساويه به، وقد فسره بعد بقوله «فقتلت خير الناس وشر الناس» وقوله «فكان من أمره ما كان» أي من محاربته، وقتل جمع من الصحابة في الوقعة التي كانت بينهم وبينه، ثم كان الفتح للمسلمين بقتل مسيلمة كما سيأتي بيان ذلك في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى.

قوله (جمل أورق) أي لونه مثل الرماد، وكان ذلك من غبار الحرب، وفي حديث وحشي من الفوائد غير ماتقدم ما كان عليه من الذكاء المفرط، ومناقب كثيرة لحمزة، وفيه أن المرء يكره أن يرى من أوصل إلى قريبه أو صديقه أذى، ولا يلزم من ذلك وقوع الهجرة المنهية بينهما، وفيه أن الإسلام يهدم ماقبله، والحذر في الحرب، وأن لا يحتقر المرء منها أحدا، فإن حمزة لابد ان يكون رأى وحشيا في ذلك اليوم لكنه لم يحترز منه احتقارا منه إلى أن أتي من قبله، وذكر ابن إسحق قال: «حدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال خرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة، فوجده ببطن الوادي قد مثل به، فقال: لولا أن تحزن صفيه -يعني بنت عبد المطلب - وتكون سنة بعدي لتركته حتى يحشر من بطون السباع وحواصل الطير» زاد ابن هشام قال: «وقال لن أصاب بمثلك أبدا، ونزل جبريل فقال: إن حمزة مكتوب في السماء أسد الله وأسد رسوله».

٢٤ ـ باب ما أصاب النبيَّ ﷺ منَ الجِراح يومَ أُحُد

٤٠٧٣ ـ عن همامٍ سمعَ أبا هريرةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «اشتدَّ غَضَبُ اللهِ على قومٍ فعلوا بنَبيِّه -يُشير إلى رَباعيَّته- اشتدَّ غضبُ اللهِ على رجلٍ يقتلهُ رسولُ اللهِ ﷺ في سبيلِ اللهِ».

٤٠٧٤ ـ عَنِ ابن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عَنهُمَا قالَ: «اشتدَّ غضبُ اللهِ على من قتله النبيُّ ﷺ في سبيل الله، اشتدَّ غضبُ اللهِ على قومٍ دَمَّوا وجه نبي الله ﷺ .

[الحديث ٤٠٧٤طرفه في ٤٠٧٦]

٤٠٧٥ ـ عَنْ أبي حازمٍ أنه سمعَ سهل بن سعدٍ وهو يسأل عن جرح رسولِ اللهِ ﷺ فقال أما واللهِ إنّي لأعرفُ مَن كان يغسلُ جرحَ رسول الله ﷺ ومَن كان يَسكبُ الماء وبما دُووي، قال: كانت فاطمةُ عليها السلامُ بنتُ رسول الله ﷺ تغسله وعليّ يَسكبُ الماءَ بالمِجَنِّ، فلما رأت فاطمةُ أنَّ الماء لا يَزيدُ الدَّمَ إلا كثرةً أخذت قطعةً من حَصير فأحرقَتْها وألصَقتها فاستمسكَ الدم، وكُسِرَت رَباعيَّته يومَئذ، وجُرحَ وجهُهُ، وكسِرتَ البيضةُ على رأسه».

٤٠٧٦ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: «اشتدَّ غضبُ اللهِ على من قتلهُ نبيّ، واشتدَّ غضبُ اللهِ على من دَمَّى وجهَ رسولِ اللهِ ﷺ .

قوله (باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد) وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: «ضرب وجه النبي ﷺ يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها» وهذا مرسل قوي، ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة في الكثرة، وفي الحديث جواز التداوي، وأن الأنبياء قد يصابون ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والأسقام ليعظم لهم بذلك الأجر وتزداد درجاتهم رفعة، وليتأسى بهم أتباعهم في الصبر على المكاره، والعاقبة للمتقين.

٢٥ ـ باب {الذين استجابوا لله والرسول} /١٧٢ آل عمران/

٤٠٧٧ ـ عنْ عائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا {الذينَ استَجابوا للهِ والرسولِ من بعدِ ما أصابهمُ القَرحُ للذينَ أحسنوا منهم واتَّقَوا أجرٌ عظيم} قالت لِعروةَ: يا ابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصابَ رسولَ اللهِ ﷺ ما أصابَ يومَ أُحُدٍ وانصرفَ عنه المشركون خافَ أن يرجعوا، قال: من يَذهَبُ في أثرهم؟ فانتدبَ منهم سبعون رجلا، قال: كان فيهم أبو بكرٍ والزُّبير».

قوله (باب الذين استجابوا لله والرسول) أي سبب نزولها، وأنها تتعلق بأحد، قال ابن إسحق: كان أحد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد يوم الأحد سادس عشر شوال

أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأن لا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس، فاستأذنه جابر بن عبد الله في الخروج معه فأذن له، وإنما خرج مرهبا للعدو وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم، فلما بلغ حمراء الأسد لقيه سعيد بن أبي معبد الخزاعي فيما حدثني عبد الله بن أبي بكر فعزاه بمصاب أصحابه، فأعلمه أنه لقي أبا سفيان ومن معه وهم بالروحاء، وقد تلوموا في أنفسهم وقالوا: أصبنا جل أصحاب محمد وأشرافهم وانصرفنا قبل أن نستأصلهم، وهموا بالعود إلى المدينة، فأخبرهم معبد أن محمد قد خرج في طلبكم في جمع لم أر مثله ممن تخلف عنه بالمدينة، قال فثناهم ذلك عن رأيهم فرجعوا إلى مكة،

٢٦ ـ باب مَنْ قُتلَ منَ المسلمينَ يوم أحُد

منهم: حمزةُ بن عبدِ المطلبِ، واليمَانُ، وأنسُ بن النَّضر، ومُصعَبُ بن عُمَير

٤٠٧٨ ـ عَنْ قَتادةَ قال: «ما نعلم حَيّاً من أحياء العرب أكثرَ شهيداً أغرَّ يومَ القيامة منَ الأنصار، قال قتادة: وحدَّثنا أنسُ بن مالك أنه قتلَ منهم يوم أحُدٍ سبعونَ، ويومَ بئر مَعونةَ سبعون، ويوم اليمامةِ سبعون، قال: وكان بئرُ معونةَ على عهد رسول الله ﷺ ويومُ اليمامةِ على عهدِ أبي بكر يومَ مُسيلمةَ الكذّاب».

٤٠٧٩ ـ عَنْ جابرِ بنِ عبدِ الله رضيَ اللهُ عَنْهُمَا أخبرهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَجمعُ بين الرجُلين من قَتلى أحُدٍ في ثوبٍ واحدٍ ثمَّ يقول: أيُّهم أكثرُ أخذاً للقرآن؟ فإذا أشيرَ له إلى أحد قدَّمهُ في اللحدِ وقال: أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة، وأمرَ بدفنِهم بدمائهم، ولم يُصلِّ عليهم، ولم يُغَسَّلوا».

٤٠٨٠ ـ عَنْ جابرٍ قالَ: لَمَّا قُتلَ أبي جَعلتُ أبكي وأكشِفُ الثوبَ عن وجههِ، فجعلَ أصحابُ النبيِّ ﷺ ينهونني، والنبيُّ ﷺ لم ينهَ، وقال النبيُّ ﷺ: لا تبكه ما زالتِ الملائكة تظلُّهُ بأجنحَتِها حتى رُفع».

٤٠٨١ ـ عَنْ أبي مُوسى رضيَ اللهُ عَنْهُ -أرى عَنِ النبيِّ ﷺ - قالَ: «رأيتُ فِي رؤيايَ أني هزَزتُ سيفاً فانقطعَ صَدرهُ، فإذا هوَ ما أصيبَ من المؤمنين يومَ أحد، ثُمَّ هززتهُ أخرى فعاد أحسنَ ما كان، فاذا هو ما جاء به الله من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيتُ فيها بَقراً والله خيرٌ، فإذا هم المؤمنون يومَ أحُد».

٤٠٨٢ ـ عَنْ خبّابٍ رضيَ الله عنهُ قال: «هاجرنا مع النبيِّ ﷺ ونحنُ نبتغي وجهَ الله فوجبَ أجرُنا على الله، فمنّا من مضى -أو ذهبَ- لم يأكلْ من أجرهِ شيئاً، كان منهم مُصعَبُ بن عُمَير: قُتِلَ يومَ أحدٍ فلم يترِكْ إلا نَمرَة، كنا إذا غَطينا بها رأسَهُ خرجَت رِجلاه، وإذا غُطِّي بها رجلاه خرج رأسهُ، فقال لنا النبيُّ ﷺ: غطُّوا بها رأسَه، واجعلوا على رِجليه

الإذخِر، أو قال: ألقُوا على رِجلَيه من الإذخِر، ومنّا مَن أينَعَت له ثمرتهُ فهوَ يَهدِبُها».

قوله فيه (ولم يصل عليهم) تقدم الكلام عليه في الجنائز[١].

قوله (والله خير) هذا من جملة الرؤيا كما جزم به عياض وغيره.

قال السهيلي: معناه رأيت بقرا تنحر، والله عنده خير، قلت: في رواية ابن إسحق: «وإني رأيت والله خيراً، رأيت بقرا».

وقد وقع في حديث ابن عباس ومرسل عروة «تأولت البقر التي رأيت بقرا يكون فينا، قال فكان ذلك من أصيب من المسلمين» اهـ، وقوله بقر هو بسكون القاف وهو شق البطن، وهذا أحد وجوه التغيير أن يشتق من الإسم معنى مناسب.

٢٧ ـ باب أُحُدٌ جبل يحبُّنا ونُحبُّه

قاله عباسُ بن سهلٍ عن أبي حُميد عنِ النبيِّ ﷺ

٤٠٨٣ ـ عن قتادة سمعتُ أنساً رضيَ اللهُ عنهُ «إن النبيَّ ﷺ قال هذا جبل يحبُّنا ونحبُّهُ».

٤٠٨٤ ـ عَنْ أنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عَنْه «أن رسولَ الله ﷺ طلعَ له أُحُدٌ فقال: هذا جبل يُحبُّنا ونحبُّه، اللهُم إنَّ إبراهيمَ حرَّمَ مكةَ وإني حرَّمتُ ما بينَ لابَتَيها».

٤٠٨٥ ـ عنْ عُقبةَ «أن النبيَّ ﷺ خرجَ يوما فصلَّى على أهل أُحُدٍ صلاتَهُ على الميت، ثمَّ انصرفَ إلى المنبر فقال: إني فَرَطٌ لكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإني لأنظرُ إلى حَوضي الآن، وإني أعطيتُ مَفاتيحَ خزائن الأرض -أو مَفاتيحَ الأرض- وإني والله ما أخافُ عليكم أن تُشْرِكوا بعدي، ولكني أخافُ عليكم أن تَنافَسوا فيها».

قوله (هذا جبل يحبنا ونحبه) ظهر من الرواية التي بعدها أنه ﷺ قال ذلك لما رآه في حال رجوع من الحج، وللعلماء في معنى ذلك أقوال: أحدها أنه على حذف مضاف والتقدير أهل أحد، والمراد بهم الأنصار لأنهم جيرانه، ثانيها أنه قال ذلك للمسرة بلسان الحال إذا قدم من سفر لقربه من أهله ولقياهم، وذلك فعل من يحب بمن يحب، ثالثها أن الحب من الجانبين على حقيقته وظاهره لكون أحد من جبال الجنة كما ثبت في حديث أبي عبس بن جبر مرفوعا «جبل أحد يحبنا ونحبه وهو من جبال الجنة» أخرجه احمد، ولا مانع في جانب البلد من إمكان المحبة منه كما جاز التسبيح منها، وقد خاطبه ﷺ مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب «اسكن أحد» الحديث، وقال السهيلي: كان ﷺ يحب الفأل الحسن والإسم الحسن ولا اسم أحسن من اسمٍ مشتق من الأحدية، قال ومع كونه مشتقا من الاحدية فحركات حروفه

---

(١) كتاب الجنائز باب / ٧٢ ح ١٣٤٣ - ١ / ٦٧٦

الرفع، وذلك يشعر بارتفاع دين الأحد وعلوه، فتعلق الحب من النبي ﷺ به لفظا ومعنى فخص من بين الجبال بذلك والله أعلم، وقد تقدم شيء من الكلام على قوله «يحبنا ونحبه» في «باب من غزا بصبي للخدمة»، من كتاب الجهاد[1].

٢٨ ـ باب غزوةِ الرَّجيع

ورِعلٍ وذكوان، وبئر مَعونة وحديث عَضل والقارة وعاصم بن ثابت وخُبيبٍ وأصحابه، قال ابنُ إسحاقَ: حدَّثنا عاصمُ بن عمرَ أنها بعد أحدٍ

٤٠٨٦ ـ عنْ أبي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: بعَثَ النبيُّ ﷺ سرِيةً عيناً، وأمَّرَ عليهم عاصم بن ثابت -وهو جدُّ عاصم بن عمرَ بن الخطاب- فانطلقوا، حتى إذا كان بينَ عُسفانَ ومكةَ ذُكروا لحي من هُذَيل يقال لهم بنوا لِحْيانَ، فتَبِعوهم بقريبٍ من مائةِ رامٍ فاقتصُّوا آثارَهم حتي أتَوا منزِلاً نزلوه فوجَدوا فيهِ نَوَى تمر تزَوَّدوهُ من المدينة فقالوا هذا تمرُ يَثرب فتبعوا آثارَهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصمٌ وأصحابه لجأوا إلى فَدْفَدٍ، وجاء القومُ فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهدُ والميثاقُ إن نزلتُم إلينا أن لا نقتُل منكم رجُلاً، فقال عاصمٌ: أما أنا فلا أنزل في ذمةِ كافر، اللهمَّ أخبرْ عنّا نبيّك، فقاتلوهم حتى قَتلوا عاصماً في سبعةِ نفرٍ بالنَّبل، وبقي خُبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجلُ الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحَبَهم، فجرَّرُوهُ وعالجوهُ على أن يَصحبَهم فلم يَفعلْ، فقتلوه، وانطلقوا بخُبَيب وزيد حتى باعوهما بمكةَ، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نَوفل، وكان خبيبٌ هو قتل الحارث يوم بدرٍ، فمكثَ عندهم أسيراً، حتى إذا أجمعوا قتله استعارَ موسى من بعضِ بناتِ الحارثِ ليستحدَّ بها، فأعارتهُ، قالت: فغفلت عن صبي لي، فدرجَ إليه حتى أتاهُ فوضعهُ على فخذِه، فلما رأيته فزِعت فزعةً عرفَ ذاك مني، وفي يدهِ الموسى، فقال: أتخشينَ أن أقتُله؟ ما كنتُ لأفعل ذاك إن شاء الله، وكانت تقولُ ما رأيتَ أسيراً قطُّ خيراً من خبيب، لقد رأيتهُ يأكل من قِطفِ عِنَب وما بمكةَ يومئذٍ ثمرة، وإنه لموثقٌ في الحديد، وماكان إلا رزقٌ رزقهُ الله؛ فخرجوا به من الحرَم ليقتلوه، فقال: دَعوني أصلّي ركعتين، ثمَّ انصرَفَ إليهم فقال: لولا أن تروا أن مابي جَزَعٌ من الموت لزدت، فكان أولَ من سنَّ الركعتين عندَ القتل هو ، ثمَّ قال: اللهمَّ أحصهمْ عَدَداً، ثم قال:

ما ان أبالي حــين أُقتــل مسـلماً   على أيُّ شـقٍ كان لله مَصــرَعي

وذلك في ذاتِ الإله وإن يشَــأ   يُباركْ على أوصال شِــلوٍ مُمزَّع

---

(١) كتاب الجهاد باب / ٧٤ ح ٢٨٩٣ - ٢ / ٥٩٤

ثم قام إليهِ عُقبة بن الحارث فقتله، وبعثَت قريشٌ إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسَدِهِ يعرفونه، وكان عاصم قَتَلَ عظيماً من عظمائهم يومَ بَدر، فبعثَ الله عليهِ مثلِ الظُّلَّةِ من الدَّبْرِ فحمتَه من رُسُلِهم، فلم يَقدِروا منه على شيء».

٤٠٨٧ ـ عنْ عمروٍ سمعَ جابراً يقول «الذي قَتل خُبيباً هو أبو سِرْوَعة».

قوله (باب غزوة الرجيع) والرجيع المراد هنا اسم موضع من بلاد هذيل كانت الوقعة بقرب منه فسميت به.

قوله (وبئر معونة) موضع في بلاد هذيل بين مكة وعسفان، وهذه الوقعة تعرف بسرية القراء، وكانت مع بني رعل وذكوان المذكورين.

قوله (فمكث عندهم أسيرا حتى إذا أجمعوا قتله) في رواية ابن سعد فحبسوهما حتى خرجت الأشهر الحرم، ثم أخرجوهما إلى التنعيم فقتلوهما، وفي رواية بريدة بن سفيان فأساءوا إليه في إساره، فقال لهم: ما تصنع القوم الكرام هذا بأسيرهم، قال فأحسنوا إليه بعد ذلك، وجعلوه عند امرأة تحرسه، وروى ابن سعد من طريق موهب مولى آل نوفل قال: قال لي خبيب وكانوا جعلوه عندي: يا موهب اطلب إليك ثلاثا، أن تسقيني العذب، وأن تجنبني ما ذبح على النصب، وأن تعلمني إذا أرادوا قتلي.

قوله (لقد رأيته يأكل من قطف عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة) وفي رواية ابن إسحق عن ابن أبي نجيح كما تقدم «وإن في يده لقطفا من عنب مثل رأس الرجل».

قوله (وما كان إلاّ رزق رزقه الله) في رواية ابن سعد «رزقه الله خبيبا».

قال ابن بطال: هذا يمكن أن يكون الله جعله آية على الكفار وبرهانا لنبيه لتصحيح رسالته قال: فأما من يدعي وقوع ذلك له اليوم بين ظهراني المسلمين فلا وجه له، إذ المسلمون قد دخلوا في الدين وأيقنوا بالنبوة، فأي معنى لإظهار الآية عندهم، ولو لم يكن في تجويز ذلك إلا أن يقول جاهل إذا جاز ظهور هذه الأيات على يد غير نبي فكيف نصدقها من نبي والفرض أن غيره يأتي بها لكان في إنكار ذلك قطعا للذريعة، إلى أن قال: إلا أن يكون وقوع ذلك مما لا يخرق عادة ولا يقلب عينا، مثل أن يكرم الله عبدا بإجابة دعوة في الحين ونحو ذلك مما يظهر فيه فضل الفاضل وكرامة الولي، ومن ذلك حماية الله تعالى عاصما لئلا ينتهك عدوه حرمته انتهى، والحاصل أن ابن بطال توسط بين من يثبت الكرامة ومن ينفيها فجعل الذي يثبت ما قد تجري به العادة لآحاد الناس أحيانا، والممتنع ما يقلب الأعيان مثلا والمشهور عن أهل السنة إثبات الكرامات مطلقا، لكن استثنى بعض المحققين منهم كأبي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض الأنبياء فقال، ولا يصلون إلى مثل

إيجاد ولد من غير أب ونحو ذلك، وهذا أعدل المذاهب في ذلك، فان إجابة الدعوة في الحال وتكثير الطعام والماء والمكاشفة بما يغيب عن العين والإخبار بما سيأتي ونحو ذلك قد كثر جداً حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة، فانحصر الخارق الأن فيما قاله القشيري، وتعين تقييد قول من أطلق أن كل معجزة وجدت لنبي يجوز أن تقع كرامة لولي، ووراء ذلك كله أن الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى، وهو غلط ممن يقوله، فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق، وأولى ماذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك فإن كان متمسكا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته ومن لا فلا وبالله التوفيق.

قوله (ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله) وفي رواية أبي الأسود عن عروة «فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب نادوه وناشدوه: أتحب أن محمداً مكانك؟ قال: لا والله العظيم، ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه».

قوله (وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر) لعل العظيم المذكور عقبة بن أبي معيط فإن عاصمًا قتله صبراً بأمر النبي ﷺ بعد أن انصرفوا من بدر.

قوله (مثل الظلة من الدبر) الظلة السحاب، والدبر الزنابير، وقيل ذكور النحل.

قوله «فحمته» أي منعته منهم.

قوله (فلم يقدروا منه على شيء) في رواية شعبة «فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيئاً، وفي رواية ابن اسحق عن عاصم بن عمر عن قتادة قال: «كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا، فكان عمر يقول لما بلغه خبر: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته» وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أنه يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن، قال الحسن البصري: لا بأس بذلك، وقال سفيان الثوري: أكره ذلك، وفيه الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله، وإثبات كرامة الأولياء، والدعاء على المشركين بالتعميم، والصلاة عند القتل، وفيه إنشاء الشعر وإنشاده عند القتل ودلالة على قوة يقين خبيب وشدته في دينه، وفيه أن الله يبتلي عبده المسلم بما شاء كما سبق في علمه ليثيبه، ولو شاء ربك ما فعلوه، وفيه استجابة دعاء المسلم وإكرامه حيا وميتا وغير ذلك من الفوائد مما يظهر بالتأمل، وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه

بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه، وفيه ما كان عليه مشركو قريش من تعظيم الحرم والأشهر الحرم.

٤٠٨٨ - عَنْ أنسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قال «بعثَ النبيُّ ﷺ سبعينَ رجُلاً لحاجةٍ يقالُ لهم القرّاء، فعرَض لهم حيّانِ من بني سُليم رِعل وذكوانَ عندَ بئر يقال لها بئرُ مَعونة، فقال القومُ: والله ما إياكم أردنا، إنما نحن مجتازون في حاجة للنبي ﷺ، فقتلوهم، فدعا النبي ﷺ عليهم شهراً في صلاةِ الغداة، وذلكَ بدأ القُنوت، وما كنّا نَقنتُ»، قال عبد العزيز: وسألَ رجلٌ أنساً عن القنوت: أبعدَ الركوع، أو عند فراغٍ من القراءة؟ قال: لا، بل عند فراغٍ من القراءة.

٤٠٨٩ - عن أنَسٍ قال: «قَنتَ رسولُ اللهِ ﷺ شهراً بعدَ الركوع يدعو على أحياءٍ من العرب».

٤٠٩٠ - عَنْ أنَسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنه «أنَّ رعلاً وذكوان وعُصَيَّةَ وبني لحيانَ استمدُّوا رسولَ الله ﷺ على عدوّ، فأمدَّهم بسبعينَ من الأنصار كنّا نسميهمُ القراءَ في زمانهم، كانوا يختطبونَ بالنهار، ويصلون بالليل، حتى كانوا ببئر مَعونةَ قتلوهم وغدروا بهم فبلغَ النبيَّ ﷺ فقنتَ شهراً يدعوا في الصبح على أحياءٍ من أحياء العرب: على رعلٍ وذكوانَ وعُصيَّة وبني لحيانَ، قال أنسٌ فقرأنا فيهم قرآنًا، ثمَّ إن ذلك رُفعَ: بلّغوا عنا قومَنا أنا لقينا ربَّنا فرضيَ عنا وأرضانا» وعن قتادة عن أنس بن مالكٍ حدَّثهُ «أنَّ نبيَّ الله ﷺ قَنتَ شهراً في صلاة الصبح يَدعو على أحياءٍ من أحياءِ العرب: على رعلٍ وذكوان وعُصيَّةَ وبني لحيان»، زادَ خَليفةُ «حدَّثنا ابن زُرَيعٍ حدَّثنا سعيدٌ عن قَتادةَ حدَّثنا أنسٌ أنَّ أولئك السبعينَ من الأنصار قُتلوا ببئر مَعونةَ قرآنا كتابا نحوَه».

٤٠٩١ - عنْ أنسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَ خالهُ -أخٌ لأمِّ سُلَيم - في سبعينَ راكبا، وكان رئيسَ المشركينَ عامرُ بن الطُّفَيل خَيَّرَ بينَ ثلاثِ خصالٍ فقال: يكون لكَ أهلُ السهلِ ولي أهل المدَر، أو أكونَ خليفتَكَ، أو أغزوك بأهل غَطَفان بألفٍ وألف. فطُعِنَ عامرٌ في بيتِ أمِّ فلانٍ فقال: غُدَّةٌ كغدَّةِ البَكر، في بيتِ امرأةٍ من آل بني فلان، ائتوني بفرسي، فماتَ على ظهرِ فرَسه. فانطلق حرامٌ أخو أمِّ سليم -وهو رجلٌ أعرج ورجل من بني فلان قال: كونا قريباً حتى آتيَهم فإن آمَنوني كنتم، وإن قَتلوني أتيتم أصحابَكم. فقال: أتؤمِّنوني أبلِّغْ رسالةَ رسول الله ﷺ؟ فَجعَلَ يُحدِّثهم، وأومئوا إلى رجل فأتاهُ من خلفه فطعَنَه قال همامٌ أحسبهُ حتى أنفَذَهُ بالرُّمح، قال: الله أكبرُ، فُزتُ وربِّ الكعبة. فلُحِقَ الرجل فقُتلوا كلُّهم غير الأعرج كان في رأسِ جبل، فأنزلَ اللهُ علينا ثمَّ كان من المنسوخ «إنا قد لَقينا ربَّنا، فرضي عنّا وأرضانا» فدعا النبي ﷺ عليهم ثلاثين صباحا، على رِعل وذكوانَ وبني لحيانَ

وعُصيَّةَ الذين عصَوا الله ورسولهص».

٤٠٩٢ ـ عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال «لما طُعِنَ حرامُ بن ملحانَ -وكان خالهُ- يومَ بئر مَعونةَ، قال بالدَّم هكذا، فنضَحهُ على وجههِ ورأسهِ ثمَّ قال: فُزتُ وربِّ الكعبة».

قوله (بعث النبي ﷺ سبعين رجلا لحاجة) وقد تقدم في الجهاد من وجه آخر عن سعيد عن قتادة بلفظ «إن النبي ﷺ أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان فزعموا أنهم أسلموا واستمدوا على قومهم، ويحتمل أنه لم يكن استمدادهم لهم لقتال عدو، وإنما هو للدعاء إلى الإسلام، وقد أوضح ذلك ابن إسحق قال: «حدثني أبي عن المغيرة بن عبدالرحمن وغيره قال: قدم أبو براء عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة على رسول ﷺ، فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال: يامحمد، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد رجوت أن يستجيبوا لك وأنا جار لهم، فبعث المنذر بن عمرو في أربعين رجلا منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان ورافع بن بديل بن ورقاء وعروة بن أسماء وعامر بن فهيرة وغيرهم من خيار المسلمين».

قوله (فعرض لهم حيان) تثنية حي أي جماعة من بني سليم.

قوله (غدة كغدة البكر) يجوز فيه الرفع بتقدير أصابتني غدة أو غدة بي، ويجوز النصب على المصدر أي أغده غدة مثل بعيره، والغدة من أمراض الإبل وهو طاعونها.

قوله (ثم كان من المنسوخ) أي المنسوخ تلاوته فلم يبق له حكم حرمة القرآن كتحريمه على الجنب وغير ذلك.

قوله (فزت ورب الكعبة) أي بالشهادة.

٤٠٩٣ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنهَا قالت: «استأذنَ النبيَّ ﷺ أبو بكرٍ في الخروج حين اشتدَّ عليهِ الأذى، فقال له: أقِمْ، فقالَ: يارسولَ الله، أتطمعُ أن يُؤذنَ لك؟ فكان رسولُ الله ﷺ يقول: إنِّي لأرجو ذلك، قالت: فانتظَرَهُ أبوبكرٍ، فأتاه رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم ظُهراً فناداه فقال: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هما ابنتايَ، فقال: أشعَرتَ أنه قد أذِنَ لي في الخروج؟ فقال: يارسولَ الله، الصحبة، فقال النبيُّ ﷺ: الصحبة، قال: يارسولَ الله عندي ناقتان قد كنتُ أعددتهما للخروج، فأعطى النبيّ ﷺ إحداهما -وهي الجَدْعاء- فركبا، فانطلقا حتى أتيا الغارَ وهو بثَوْر فتواريا فيه، فكان عامرُ بن فُهيرةَ غلاماً لعبد الله بن الطفيلِ بن سَخبرةَ أخو عائشةَ لأمِّها، وكانت لأبي بكر منحة فكان يروحُ بها ويَغدو عليهم، ويُصبحُ فيدَّلجُ إليهما، ثم يَسرَحُ فلا يَفطنُ به أحد من الرِّعاء، فلما خرَجَ خرجَ معهما يُعقبانِه حتى قدما المدينة، فقتل عامرُ بنُ فُهيرةَ يومَ بئر مَعونةَ، وعن أبي أسامةَ قال: قال هشامُ بن عروةَ فأخبرَني أبي قال: لما قُتلَ الذين ببئر مَعونة وأُسِرَ عمرُو بن أميَّةَ

الضَّمريّ قال له عامرُ بن الطُّفيل: مَن هذا؟ فأشارَ إلى قتيل، فقال له عمرُو بن أمية: هذا عامرُ بن فُهيرةَ، فقال لقد رأيتُه بعد ما قتل رُفِع إلى السماء حتى إني لأنظرُ إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وُضِعَ، فأتى النبيَّ ﷺ خبرُهم، فَنعاهم فقال: إن أصحابَكم قد أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربَّهم فقالوا: ربنا أخبِرْ عنا إخوانَنا بما رضينا عنك ورضيتَ عنا، فأخبرَهم عنهم، وأصيبَ فيهم يومئذ عُروة بن أسماءَ بن الصلت فسمِّيَ عروة به، ومُنذر بن عمرٍو سمى به منذرا».

٤٠٩٤ ـ عنْ أنسٍ رضيَ اللّهُ عنْهُ قالَ: «قنتَ النبيُّ ﷺ بعد الرُّكوع شهراً يدعو على رِعلٍ وذكوانَ ويقول عُصية عَصَت الله ورسوله».

٤٠٩٥ ـ عَنْ أنسِ بن مالكٍ قالَ: «دعَا النبيُّ ﷺ على الذين قَتلوا أصحابه ببئر مَعونة ثلاثينَ صباحاً حينَ يدعو على رِعل ولحيانَ وعُصية عصَتِ الله ورسوله ﷺ، قال أنس: فأنزلَ اللّهُ تعالى لنبيه في الذين قُتلوا أصحابِ بئر مَعونةَ قرآناً قَرَأناه حتى نُسِخ بعدُ: بلغوا قومَنا، فقد لَقينا ربَّنا، فَرضَي عنا ورضينا عنه».

٤٠٩٦ ـ عَنْ عاصمِ الأحولِ قال: سألتُ أنسَ بن مالك رضي اللّهُ عَنْهُ عنِ القنوتِ في الصلاةِ فقال نعم، فقلتُ كان قبلَ الركوع او بعدَه؟ قال: قبله، قلت فإن فلانًا أخبرَني عنك أنكَ قلتَ بعدَه، قال: كذَب، إنما قنتَ رسولُ الله ﷺ بعدَ الركوع شهراً أنه كان بعث ناساً يقال لهمُ القرّاء -وهم سبعون رجلاً- إلى ناس منَ المشركين وبينهم وبينَ رسولِ الله ﷺ عهد قِبَلَهم، فظهر هؤلاء الذي كان بينهم وبينَ رسولِ الله ﷺ عهد، فقَنت رسولُ الله ﷺ بعد الرُّكوع شهراً يدعوا عليهم».

قوله (عن عائشة قالت: استأذن النبي ﷺ أبوبكر في الخروج) يعني في الهجرة، وقد تقدم شرح الحديث مستوفى بطوله في أبواب الهجرة[1].

٢٩ ـ باب غزوةُ الخندقِ وهي الأحزاب

قال موسى بن عقبةَ: كانت في شوّال سنةَ أربع.

٤٠٩٧ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهُمَا «أنَّ النبيَّ ﷺ عَرَضه يومَ أحُد وهو ابن أربعَ عشرةَ سنة فلم يُجزهُ، وعرضه يومَ الخندق وهو ابنُ خمسَ عشرة سنةً فأجازه».

٤٠٩٨ ـ عَنْ سهلِ بن سعدٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «كُنّا معَ رسولِ اللّهِ ﷺ في الخندق وهم يَحفِرون ونحنُ ننقلُ الترابَ على أكتادِنا، فقال رسولُ الله ﷺ: اللّهمَّ لا عَيشَ إلا عيشُ الآخرة، فاغفِرْ للمهاجرينَ والأنصار».

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٤٥ ح ٣٩٠٥ - ٣ / ٢٣٣

٤٠٩٩ ـ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «خرج رسولُ الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرونَ والأنصارُ يحفِرون في غَداةٍ باردة، فلم يكنْ لهم عبيدٌ يَعملونَ ذلكَ لهم، فلما رأى ما بهم منَ النَّصَبِ والجوع قال: اللّهم إن العيشَ عيشُ الآخرة، فاغفِرْ للأنصارِ والمهاجرة، فقالوا مُجيبين له:

نحنُ الذين بايَعوا محمداً على الجهادِ ما بَقينا أبدا

٤١٠٠ ـ عَنْ أَنَسٍ رضيَ اللّهُ عنهُ قالَ: «جَعَلَ الْمهاجرونَ والأنصارُ يحفِرون الخندق حول المدينة، ويَنقلونَ التراب على متونهم وهم يقولون:

نحنُ الذين بايَعوا محمداً على الإسلام ما بَقينا أبدا

قال يقولُ النبيُّ ﷺ وهوَ يُجيبُهم: اللهم إنه لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة، قال: يؤتَونَ بِملء كفّي من الشعير، فُيصَنعُ لهم بإهالةٍ سَنِخةٍ توضعُ بينَ يَدَيِ القوم والقومُ جياع وهي بَشِعةٌ في الحلقِ ولها ريح منتن».

قوله (باب غزوة الخندق وهي الأحزاب) يعني أن لها اسمين، وهو كما قال، والأحزاب جمع حزب أي طائفة، فأما تسميتها الخندق فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر النبي ﷺ وكان الذي أشار بذلك سلمان فيما ذكر أصحاب المغازي منهم أبو معشر قال: «قال سلمان للنبيﷺ: إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة، وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين، فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه، وجاء المشركون فحاصروهم» وأما تسميتها للأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين، وهم قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم، وقد أنزل الله تعالى في هذه القصة صدر سورة الأحزاب، وذكر موسى بن عقبة في المغازي قال: «خرج حيي بن أخطب بعد قتل بني النضير إلى مكة يحرض قريشاً على حرب رسول الله ﷺ، وخرج كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق يسعى في بني غطفان ويحضهم على قتال رسول الله ﷺ على أن لهم نصف ثمر خيبر، فأجابه عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري إلى ذلك، وكتبوا إلى حلفائهم من بني أسد فأقبل إليهم طلحة بن خويلد فيمن أطاعه، وخرج أبو سفيان بن حرب بقريش فنزلوا بمر الظهران، فجاءهم من أجابهم من بني سليم مددا لهم فصاروا في جمع عظيم، فهم الذين سماهم الله تعالى الأحزاب»، وذكر ابن إسحق بأسانيده أن عدتهم عشرة آلاف، قال: وكان المسلمون ثلاثة آلاف، وقيل كان المشركون أربعة آلاف والمسلمون نحو الألف، وذكر موسى بن عقبة أن مدة الحصار كانت عشرين يوما، ولم يكن بينهم قتال إلا مراماة بالنبل والحجارة، وأصيب منها سعد بن معاذ بسهم فكان سبب موته كما سيأتي، وذكر أهل المغازي سبب رحيلهم، وأن نعيم بن مسعود الأشجعي ألقى بينهم الفتنة فاختلفوا، وذلك بأمر النبي ﷺ له

بذلك، ثم أرسل الله عليهم الريح فتفرقوا، وكفى الله المؤمنين القتال.

قوله (قال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع) هكذا رويناه في مغازيه، قلت: وتابع موسى على ذلك مالك، وأخرجه أحمد عن موسى بن داود عنه، وقال ابن إسحق: كانت في شوال سنة خمس، وبذلك جزم غيره من أهل المغازي، ومال المصنف إلي قول موسى بن عقبة وقواه بما أخرجه أول أحاديث الباب من قول ابن عمر أنه عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة ويوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فيكون بينهما سنة واحدة، وأحد كانت سنة ثلاث، فيكون الخندق سنة أربع.

قوله (عرضه يوم أحد) عرْض الجيش اختبار أحوالهم قبل مباشرة القتال للنظر في هيئتهم وترتيب منازلهم وغير ذلك.

قوله (فأجازه) أي أمضاه وأذن له في القتال.

قوله (ونحن ننقل التراب على أكتادنا) جمع كتد وهو ما بين الكاهل إلى الظهر.

قوله (بإهالة) الدهن الذي يؤتدم به سواء كان زيتا أو سمنا أو شحما.

قوله (سنخة) أي تغير طعمها ولونها من قدمها.

٤١٠١ ـ عَنْ عبدِ الواحدِ بن أيمنَ عن أبيهِ قال: «أتيتُ جابراً رضيَ اللّهُ عَنْهُ فقالَ: إنّا يومَ الخندقِ نحفرُ فعرضَتْ كُدْيَةٌ شديدة، فجاءوا النبيَّ ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضَت في الخندق فقال: أنا نازل، ثم قام وبطنُه مَعصوب بحجَر، ولبِثنا ثلاثةَ أيامٍ لا نذوقُ ذواقًا، فأخذَ النبيُّ ﷺ المِعْوَل فضرب في الكدية، فعاد كثيبًا أهْيلَ أو أهْيَم، فقلت: يارسولَ الله ائذن لي إلى البيت، فقلتُ لامرأتي: رأيتُ بالنبي ﷺ شيئا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعَناق، فذبحتُ العَناقَ، وطحنَتِ الشعيرَ، حتى جَعلنا اللحمَ بالبُرمةِ، ثمَّ جئتُ النبيَّ ﷺ والعجينُ قد انكسرَ، والبرمة بينَ الأثافيِّ قد كادَت أن تَنضجَ، فقلتُ: طُعيِّم لي، فقم أنتَ يارسولَ الله ورجل أو رجلان، قال: كم هو؟ فذكرت له، فقال: كثير طيِّب، قال: قل لها لا تَنزعِ البرمةَ ولا الخُبزَ من التنور حتى آتي، فقال: قوموا، فقام المهاجرونَ والأنصارُ، فلما دَخَلَ على امرأته قال: ويحَكِ، جاء النبي ﷺ بالمهاجرينَ والأنصارِ ومَن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تَضاغَطوا، فجعلَ يَكسرُ الخبزَ ويَجعلُ عليه اللحمَ، ويُخمرُ البرمةَ والتنُّورَ إذا أخذ منه، ويُقرِّبُ إلى أصحابه ثم يَنزع، فلم يَزلْ يكسرُ الخبز ويغرف حتى شَبعوا، وبقيَ بقيةٌ، قال: كلي هذا وأهدي، فإنَّ الناسَ أصابَتْهم مَجاعة».

٤١٠٢ ـ عَنْ جابرِ بنِ عبدِ الله رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قال: «لَمَّا حُفِرَ الخندقُ رأيت بالنبيِّ ﷺ خَمَصاً شديداً، فانكفَيتُ إليَّ امرأتي فقلتُ: هل عندكِ شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ

خَمَصاً شديداً، فأخرجَتْ إليَّ جرابا فيه صاعٌ من شَعير، ولنا بُهيمةٌ داجن فذبحتُها، وطحنَتِ الشعيرَ، ففرَغَتْ إلى فَراغي، وقطعتُها في بُرمَتها، ثم وليتُ إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسولِ الله ﷺ وبمن معهُ، فجئْتُهُ فساررْتهُ فقلت: يارسولَ الله ذبحنا بُهَيمةً لنا وطحنّا صاعاً من شَعير كان عندَنا، فتعالَ أنت ونفر معك، فصاحَ النبيُّ ﷺ: يا أهلَ الخندقِ إن جابراً قد صنع سُوراً، فحيَّ هلا بكم فقال رسولُ الله ﷺ: لا تُنْزِلُنَّ برمتكم، ولا تخبزُنَّ عجينكم حتى أجيء، فجئتُ وجاء رسولُ الله ﷺ يَقدُمُ الناسَ، حتى جئتُ امرأتي فقالت: بكَ وبك، فقلت: قد فعلتُ الذي قلتِ، فأخرجت له عجيناً، فبصقَ فيه وبارك، ثم عمدَ إلى بُرمَتنا فبصق وبارك، ثم قال: ادعُ خابزةً فلتخبزْ معك، واقدَحي من برمتكم ولا تنزلوها، وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوهُ وانحرفوا، وإن برمَتَنا لتغطُّ كما هي وإن عَجينَنا ليُخبزُ كما هو».

قوله (أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر) زاد يونس «من الجوع» وفي رواية أحمد «أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي ﷺ على بطنه حجرا من الجوع» وفائدة ربط الحجر على البطن أنها تضمر من الجوع فيخشى على انحناء الصلب بواسطة ذلك فإذا وضع فوقها الحجر وشد عليها العصابة استقام الظهر.

قوله (فعاد كثيبا) أي رملا.

قوله (هيل أو أهيم) في رواية الاسماعيلي «أهيل»، وفي رواية أحمد «كثيبا يهال» والمعنى أنه صار رملا يسيل ولا يتماسك، قال الله تعالى {وكانت الجبال كثيبا مهيلا} أي رملا سائلا، ووقع عند أحمد والنسائي في هذه القصة زيادة بإسناد حسن من حديث البراء بن عازب قال: «لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا ذلك إلى النبي ﷺ، فجاء فأخذ المعول فقال: بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام؛ والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال: الله، أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة وقال: بسم الله، فقطع بقية الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة».

قوله (وعناق) هي الأنثى من المعز، وفي رواية سعيد «فأخرجت إلي جرابا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن»، أي سمينة، والداجن التي تترك في البيت ولا تفلت للمرعى، ومن شأنها أن تسمن.

قوله (والعجين قد انكسر) أي لان ورطب وتمكن منه الخمير.

قوله (والبرمة بين الأثافي) أي الحجارة التي توضع عليها القدر.

قوله (قالت هل سألك؟ قال:[١]نعم، فقال: ادخلوا) في هذا السياق اختصار، وبيانه في رواية يونس «قال فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله عز وجل وقلت: جاء الخلق على صاع من شعير وعناق، فدخلت على امرأتي أقول: افتضحت، جاءك رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين، فقالت: هل كان سألك كم طعامك؟ فقلت: نعم، فقالت: الله ورسوله أعلم، ونحن قد أخبرناه بما عندنا، فكشفت عني غما شديدا وفي الرواية التي تلي هذه «فجئت امرأتي فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلت»، وكان قد ذكر في أوله أنها «قالت له لا تفضحني برسول الله وبمن معه، فجئت فساررته» ويجمع بينهما بأنها أوصته أولا بأن يعلمه بالصورة، فلما قال لها إنه جاء بالجميع ظنت أنه لم يعلمه فخاصمته، فلما أعلمها أنه أعلمه سكن ما عندها لعلمها بإمكان خرق العادة، ودل ذلك على وفور عقلها وكمال فضلها، وقد وقع لها مع جابر في قصة التمر «أن جابرا أوصاها لما زارهم رسول الله ﷺ أن لا تكلمه، فلما أراد رسول الله ﷺ الانصراف نادته: يارسول الله صلي علي وعلى زوجي، فقال: ﷺ الله عليك وعلى زوجك، فعاتبها جابر، فقالت: له: أكنت تظن أن الله يورد رسوله بيتي ثم يخرج ولا أسأله الدعاء» أخرجه أحمد بإسناد حسن في حديث طويل.

قوله (ولا تضاغطوا) أي لا تزدحموا.

قوله (ويخمر البرمة) أي يغطيها.

قوله (ثم ينزع) أي يأخذ اللحم من البرمة، وفي رواية سعيد التي تلو هذه «فقال ادع خابزة فلتخبز معك» أي تساعدك.

قوله (واقدحي من برمتكم» أي اغرفي، والمقدحة المغرفة.

قوله (كلي هذا وأهدي) وفي رواية أبي الزبير عن جابر «فأكلنا نحن وأهدينا لجيراننا، فلما خرج رسول الله ﷺ ذهب ذلك وقد تقدم في علامات النبوة[٢].

قوله (وانحرفوا) أي مالوا عن الطعام.

قوله (لتغط) أي تغلي وتفور.

٤١٠٣ ـ عَنْ عائِشَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهَا « {إذْ جاءُوكُمْ من فوقِكم ومن أسفلَ منكم وإذ زاغَتِ الأبصارُ وبَلغتِ القلوبُ الحناجِرَ} قالت: كان ذاك يومَ الخندق} الأحزاب.

٤١٠٤ ـ عنِ البراءِ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كانَ النبيُّ ﷺ يَنقُلُ التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنَهُ -أو اغبرَّ بطنُه- يقول:

(١) رواية الباب واليونينية قلت نعم.
(٢) كتاب المناقب باب / ٢٥ ح ٣٥٧٨ - ٣ / ١٠٣

والله لو لا الله ما اهتدَينا ولا تَصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلن سَكينةً علينا وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقَينا
إن الأُلى قد بَغَوا علينا إذا أرادوا فِتنةً أبَينا

ويرفع بها صوته: أبَينا، أبينا

٤١٠٥ - عنِ ابن عباسٍ رضي الله عنهُمَا عن النبي ﷺ قالَ: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبور».

٤١٠٦ - عنِ أبي إسحاق قالَ: سمعتُ البراء يُحدِّثُ قال: «لما كان يومُ الأحزابِ وخندقَ رسولُ الله ﷺ، رأيتهُ ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الترابُ جِلدةَ بطنهِ -وكان كثيرَ الشعر- فسمعتهُ يَرتجزُ بكلماتِ ابن رواحةَ وهو ينقلُ منَ الترابِ يقول:

اللهمَّ لو لا أنتَ ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلينا
فأنزلنْ سكينةً علينا وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقينا
إن الأُلى قد بَغَوا علينا إن أرادوا فتنةً أبَينا

قال: ثمَّ يمدُّ صوتهُ بآخرها».

٤١٠٧ - عنِ ابن عمرَ رضيَ الله عَنهُمَا قالَ: «أولُ يوم شهدتُه يوم الخندق».

وبين ابن إسحق في المغازي صفة نزولهم قال: نزلت قريش بمجتمع السيول في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة، ونزل عيينة في غطفان ومن معهم من أهل نجد إلى جانب أحد بباب نعمان، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف، والخندق بينه وبين القوم، وجعل النساء والذراري في الآطام، قال وتوجه حيي بن أخطب إلى بني قريظة فلم يزل بهم حتى غدروا كما سيأتي بيانه في الباب الآتي، وبلغ المسلمين غدرهم فاشتد بهم البلاء، فأراد النبي ﷺ أن يعطي عيينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا، فمنعه من ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وقالا كنا نحن وهم على الشرك لا يطمعون منا في شيء من ذلك؛ فكيف نفعله بعد أن أكرمنا الله عز وجل بالإسلام وأعزنا بك؟ نعطيهم أموالنا، مالنا بهذا من حاجة، ولا نعطيهم إلا السيف، فاشتد بالمسلمين الحصار، حتى تكلم معتب بن قشير وأوس بن قيظي وغيرهما من المنافقين بالنفاق، وأنزل الله تعالى: {وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا} الآيات قال: وكان الذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ومن أسفل منهم قريش وغطفان، قال ابن إسحق في روايته: ولم يقع بينهم حرب إلا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن عبد ود العامري اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى

صاروا بالسبخة فبارزه علي فقتله، وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي فبارزه الزبير فقتله، ويقال قتله علي، ورجعت بقية الخيول منهزمة.

قوله (نصرت بالصبا) وهي الريح الشرقية، والدبور هي الريح الغربية، وروى أحمد من حديث أبي سعيد قال: «قلنا يوم الخندق: يارسول الله، هل من شيء تقوله؟ قد بلغت القلوب الحناجر، قال: نعم، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، قال فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح، فهزمهم الله عز وجل بالريح».

٤١٠٨ ـ عن ابن عمرَ قال: «دَخلتُ على حفصةَ ونَسْواتها تَنطفُ، قلت: قد كان من أمر الناس ما تَرَين، فلم يُجعَلْ لي من الأمر شيء، قالت: الحقْ فإنهم يَنتظرونك، وأخشى أن يكونَ في احتَباسِكَ عنهم فُرقة، فلم تَدَعْهُ حتى ذهب، فلما تَفرَّقَ الناسُ خَطبَ معاويةُ قال: مَن كان يريدُ أن يَتكلم في هذا الأمر فلْيُطْلِعْ لنا قرنَهَ، فلنحنُ أحقُّ به ومن أبيه، قال حبيبُ بن مَسلمةَ: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللْتُ حُبْوَتي وهممتُ أن أقول: أحقُّ بهذا الأمر منكَ من قاتلكَ وأباكَ على الإسلام، فخشيتُ أن أقولَ كلمة تفرِّقُ بينَ الجَمع وتسفِكُ الدمَ ويُحمل عني غيرُ ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجِنان، قال حبيبٌ حُفِظتَ وعُصمتَ»، قال محمود عن عبدِ الرزّاقِ «ونَوساتها».

قوله (ونسواتها) قال الخطابي: أي ذوائبها، ومعنى تنطف أي تقطر كأنها قد اغتسلت.

قوله (قد كان من أمر الناس ما ترين، فلم يجعل لي من الأمر شيء) مراده بذلك ماوقع بين علي ومعاوية من القتال في صفين يوم اجتماع الناس على الحكومة بينهم فيما اختلفوا فيه، فراسلوا بقايا الصحابة من الحرمين وغيرهما وتواعدوا على الاجتماع لينظروا في ذلك، فشاور ابن عمر أخته في التوجه إليهم أو عدمه فأشارت عليه باللحاق بهم خشية أن ينشأ من غيبته اختلاف يفضي إلى استمرار الفتنة.

قوله (فلما تفرق الناس) أي بعد أن اختلف الحكمان، وهما أبو موسى الأشعري وكان من قبل علي وعمرو بن العاص وكان من قبل معاوية، ووقع في رواية عبد الرزاق عن معمر في هذا الحديث «فلما تفرق الحكمان» وهو يفسر المراد ويعين أن القصة كانت بصفين، والمعتمد ماصرح به في رواية عبد الرزاق، ثم وجدت في رواية حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر قال: «لما كان في اليوم الذي اجتمع فيه معاوية بدومة الجندل قالت حفصة: إنه لا يجمل بك أن تتخلف عن صلح يصلح الله به بين أمة محمد، وأنت صهر رسول الله ﷺ وابن عمر بن الخطاب، قال فأقبل معاوية يومئذ على بختي عظيم فقال: من يطمع في هذا الأمر أو يرجوه أو يمد إليه عنقه» الحديث أخرجه الطبراني.

قوله (أن يتكلم في هذا الأمر) أي الخلافة.

قول (فليطلع لنا قرنه) قال ابن التين يحتمل أن يريد بدعته كما جاء في الخبر الآخر «كلما نجم قرن» أي طلع قرن، ويحتمل أن يكون المعنى فليبد لنا صفحة وجهه، والمعنى فليظهر لنا نفسه ولا يخفيها، ووقع في رواية حبيب بن أبي ثابت أيضاً قال ابن عمر: ما حدثت نفسي بالدنيا قبل يومئذ أردت أن أقول له يطمع فيه من ضربك وأباك على الإسلام حتى أدخلكما فيه، فذكرت الجنة فأعرضت عنه، ومن هنا يظهر مناسبة إدخال هذه القصة في غزوة الخندق، لأن أبا سفيان كان قائد الأحزاب يومئذ.

قوله (من قاتلك وأباك على الإسلام) يعني يوم أحد ويوم الخندق، ويدخل في هذه المقاتلة علي وجميع من شهدها من المهاجرين، ومنهم عبد الله بن عمر، وكان رأي معاوية في الخلافة تقديم الفاضل في القوة والرأي والمعرفة على الفاضل في السبق إلى الاسلام والدين والعبادة، فلهذا أطلق أنه أحق، ورأي ابن عمر بخلاف ذلك، وأنه لا يبايع المفضول إلا إذا خشي الفتنة، ولهذا بايع بعد ذلك معاوية ثم ابنه يزيد ونهى بنيه عن نقض بيعته كما سيأتي في الفتن، وبايع بعد ذلك لعبد الملك بن مروان.

قوله (فذكرت ما أعد الله في الجنان) أي لمن صبر وآثر الآخرة على الدنيا.

٤١٠٩ - عنْ سليمان بن صُرَدٍ قال: «قال النبيُّ ﷺ يومَ الأحزاب: نَغزوهم ولا يَغزوننا».

[الحديث ٤١٠٩ - طرفه في: ٤١١٠]

٤١١٠ - عن سليمان بنَ صرَدٍ قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ حينَ أجْلِيَ الأحزابُ عنه: الآن نَغزوهم ولا يغزوننا نحن نسيرُ إليهم».

٤١١١ - عنْ عليٍّ رضي اللهُ عَنْهُ «عنِ النبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ يومَ الخندقِ: مَلأَ اللهُ عليهم بُيوتَهم وقبورَهم ناراً كما شَغَلونا عن الصلاة الوُسطى حتى غابتِ الشمس».

٤١١٢ - عنْ جابرِ بنِ عبدِ الله «أنَّ عمَرَ بن الخطاب رضيَ اللهُ عَنْهُ جاءَ يومَ الخندق بعدَ ما غرَبَتِ الشمسُ جَعلَ يَسبُّ كفّارَ قُريش وقال: يا رسولَ الله، ما كدتُ أن أصلّيَ حتى كادَتِ الشمسُ أن تَغرُبَ، قال النبيُّ ﷺ: والله ماصلّيتها، فنزَلنا معَ النبيِّ ﷺ بُطحانَ، فتوضأنا لها، فصلّى العصرَ بعدَ مَا غرَبَتِ الشمسُ، ثم ﷺ بعدَها المغرب».

قوله (الصلاة الوسطى) زاد مسلم، «صلاة العصر» وسيأتي الكلام عليها وعلى شرح هذا الحديث مستوفى في تفسير سورة البقرة[١].

قوله (جعل يسب كفار قريش) قد سبق شرح هذا الحديث في المواقيت من كتاب[٢] الصلاة وبينت فيه المذاهب في ترتيب فائتة الصلاة.

(١) كتاب التفسير "البقرة" باب / ٤٢ ح ٤٥٣٣ - ٣ / ٤٧٣.
(٢) كتاب مواقيت الصلاة باب / ٣٦ ح ٥٩٦ - ١ / ٣٥٧

٤١١٣ ـ عن جابرٍ قال: «قال رسولُ الله ﷺ يومَ الأحزاب: مَن يأتينا بخبرِ القوم؟ فقال الزُّبَيرُ: أنا، ثم قال مَن يأتينا بخبرِ القوم؟ فقال الزُّبَيرُ: أنا، ثم قال: من يأتينا بخبرِالقوم؟ فقال الزبيرُ أنا ثم قال إنَّ لكلِّ نبي حَوارِياً، وإنَّ حَواريَّ الزبير».

٤١١٤ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يقولُ: لا إله إلا الله وحدَهُ أعزَّ جُندَه، ونصرَ عبدَه، وغلبَ الأحزابَ وحده، فلا شيء بعده».

٤١١٥ ـ عن عَبْدِ الله بن أبي أوفى رضيَ اللهُ عَنْهُمَا يقول: «دعا رسولُ الله ﷺ على الأحزابِ فقالَ: اللَّهُمَّ مُنزلَ الكتاب سريعَ الحساب، اهزِم الأحزاب، اللهم اهزِمْهم وزلزلهم».

٤١١٦ ـ عَنْ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ إذَا قَفلَ من الغزو أو الحجِّ أو العمرة يبدأ فيكبِّر ثلاثَ مرارٍ ثم يقول: لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، لهُ الملكُ، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيِبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربِّنا حامدون، صَدقَ اللهُ وعدَهُ، ونصرَ عبده، وهزمَ الأحزاب وحده».

قوله (أو الحج أو العمرة) وسيأتي شرحه في الدعوات[1] إن شاء الله تعالى.

٣٠ ـ باب مرجع النبيِّ ﷺ منَ الأحزاب ومخرجه إلى بني قُرَيظة، ومحاصَرته إيّاهم.

٤١١٧ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا قَالت: «لما رجعَ النبيُّ ﷺ منَ الخندقِ ووَضعَ السلاحَ واغتسل، أتاهُ جبريلُ عليه السلام فقال: قد وضعتَ السلاحَ، واللهِ ماوَضعناه، فاخْرج إليهم، قال: فإلى أين؟ قال: ها هنا، وأشار إلى قُريظةَ، فخرج النبيُّ ﷺ إليهم».

٤١١٨ ـ عَنْ أنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «كأني أنظرُ إلى الغُبار ساطعاً في زُقاق بني غَنْم، مَوكب جبريلَ حينَ سار رسولُ الله ﷺ إلي بني قريظة».

٤١١٩ ـ عنِ ابن عمرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ يومَ الأحزاب: لا يصلّينَّ أحدٌ العصرَ إلاّ في بني قريظة، فأدركَ بعضَهُم العصرَ في الطريق فقال بعضُهم: لا نصلِّي حتى نأتيهم، وقال بعضُهم: بل نصلّي، لم يُردْ منا ذلك، فذكر ذلك للنبيِّ ﷺ فلم يعنِّفْ واحداً منهم».

قوله (باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب) أي من الموضع الذي كان يقاتل فيه الأحزاب إلى منزله بالمدينة.

قوله (كأني أنظر إلى الغبار) يشير إلى أنه يستحضر القصة حتى كأنه ينظر إليها مشخصة له بعد تلك المدة الطويلة.

---

(١) كتاب الدعوات باب / ٥٢ ح ٦٣٨٥ - ٥ / ٢٠٦

قوله (ساطعا) أي مرتفعا.

قال ابن إسحق: لما انصرف النبي ﷺ من الخندق راجعا إلى المدينة أتاه جبريل الظهر فقال: إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة، فأمر بلالا فأذن في الناس: من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، وكذلك أخرجه الطبراني والبيهقي في «الدلائل» بإسناد صحيح إلى الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن عمه عبيد الله بن كعب «أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب وجمع عليه اللأمة واغتسل واستجمر تبدى له جبريل فقال: عذيرك من محارب، فوثب فزعا، فعزم على الناس أن لا يصلوا العصر حتى يأتوا بني قريظة، قال فلبس الناس السلاح فلم يأتوا قريظة حتى غربت الشمس، قال فاختصموا عند غروب الشمس فصلت طائفة العصر وتركتها طائفة وقالت: إنا في عزمة رسول الله ﷺ فليس علينا إثم، فلم يعنف واحداً من الفريقين».

قال السهيلي وغيره: في هذا الحديث من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية، ولا على من استنبط من النص معنى يخصصه، وفيه أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب، والمشهور أن الجمهور ذهبوا إلى أن المصيب في القطعيات واحد، وخالف الجاحظ والعنبري، وأما ما لا قطع فيه فقال الجمهور أيضاً: المصيب واحد، وقد ذكر ذلك الشافعي وقرره، وقال بعض الحنفية وبعض الشافعية هو مصيب باجتهاده، وإن لم يصب ما في نفس الأمر فهو مخطئ وله أجر واحد، وسيأتي بسط هذه المسألة في كتاب الأحكام(١) إن شاء الله تعالى، ثم الاستدلال بهذه القصة على أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق ليس بواضح، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد، فيستفاد منه عدم تأثيمه، وقال ابن القيم في الهدى ما حاصله: كل من الفريقين مأجور بقصده، إلا أن من ﷺ حاز الفضيلتين: امتثال الأمر في الإسراع، وامتثال الأمر في المحافظة على الوقت ولا سيما ما في هذه الصلاة بعينها من الحث على المحافظة عليها وأن من فاتته حبط عمله، وإنما لم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الأمر، ولأنهم اجتهدوا فأخروا لامتثالهم الأمر، لكنهم لم يصلوا إلى أن يكون اجتهادهم أصوب من اجتهاد الطائفة الأخرى.

٤١٢٠ ـ عَنْ أَنَسٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كانَ الرجلُ يجعل للنبيِّ ﷺ النخلاتِ، حتى افتتح قَرَيظةَ والنَّضير، وإن أهلي أمروني أن آتيَ النبيَّ ﷺ فأسألهُ الذي كانوا أعطَوهُ أو بعضهُ، وكان النبيُّ ﷺ قد أعطاهُ أمَّ أيمنَ، فجاءت أمُّ أيمنَ فجعلَتِ الثوبَ في عُنقي تقول: كلاَّ والذي لا إلهَ إلاّ هو، لا يُعطيكم وقد أعطانيها -أو كما قالت- والنبيُّ ﷺ يقول: لكِ كذا، وتقول: كلا واللهِ، حتى أعطاها -حسِبتُ أنه قال- عشرةَ أمثالِه، أو كما قال».

(١) كتاب الأحكام باب / ٢٩ ح ٧١٨١ - ٥ / ٤٤٥

حاصله أن الأنصار كانوا واسوا المهاجرين بنخيلهم لينتفعوا بثمرها، فلما فتح الله النضير ثم قريظة قسم في المهاجرين من غنائمهم فأكثر، وأمرهم برد ما كان للأنصار لاستغنائهم عنه، ولأنهم لم يكونوا ملكوهم رقاب ذلك، وامتنعت أم أيمن من رد ذلك ظنا أنها ملكت الرقبة، فلاطفها النبيُّ ﷺ لما كان لها عليه من حق الحضانة حتى عوضها عن الذي كان بيدها بما أرضاها، وفي الحديث مشروعية هبة المنفعة دون الرقبة، وفرط جود النبي ﷺ وكثرة حلمه وبره، ومنزلة أم أيمن عند النبي ﷺ ورضي الله عنهما وهي والدة أسامة بن زيد، وابنها أيمن أيضا له صحبة واستشهد بحنين، وهو أسنُّ من أسامة، وعاشت أم أيمن بعد النبي ﷺ قليلا، رضي الله عنهم.

٤١٢١ ـ عنْ أبِي سعيدٍ الخدريِّ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «نزلَ أهلُ قريظةَ على حكمِ سعدِ بن مُعاذٍ، فأرسلَ النبيُّ ﷺ إلى سعدٍ فأتى علي حمارٍ، فلما دَنا من المسجد قال للأنصار: قوموا إلى سيِّدكم -أو خَيرِكم-، فقال: هؤلاء نزلوا على حُكمك فقال: تقتُلُ مُقاتلتَهم، وتَسبي ذَراريهم، قال: قضيتَ بحكم الله، وربما قال: بحُكْمِ الملِك».

٤١٢٢ ـ عَنْ عَائشَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: «أُصيبَ سعدٌ يومَ الخندق، رماه رجلٌ من قُريشٍ يقال له حِبَّانُ بن العَرِقة، رَماهُ في الأكْحَل، فضَرب النبيُّ ﷺ خَيمةً في المسجد ليَعودَهُ من قريب، فلما رجعَ رسولُ اللهِ ﷺ من الخندقِ وَضعَ السلاحَ واغتسلَ، فأتاهُ جبريلُ عليه السلامُ وهو يَنفُضُ رأسَهُ منَ الغبار فقال: قد وَضعتَ السلاحَ، واللهِ ماوضعتُه، اخرُجْ إليهم، قال النبيُّ ﷺ: فأينَ؟ فأشارَ إلى بني قُرَيظة، فأتاهم رسولُ اللهِ ﷺ فنزَلوا عَلى حكمِه، فردَّ الحكمَ إلى سعدٍ، قالَ: فإني أحكم فيهم أن تُقتلَ المقاتلةُ، وأن تُسبى النساءُ والذُّرِّيَّةُ، وأن تُقسَّم أموالُهم، قال هشامٌ: فأخبرَني أبي عن عائشةَ أن سعداً قال: اللهمَّ إنكَ تعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ أن أجاهدَهم فيكَ من قومٍ كذَّبوا رسولَكَ وأخرَجوه، اللهم فإني أظنُّ أنكَ قد وَضعتَ الحرب بَيننا وبينَهم، فإن كانَ بَقيَ من حرب قريشٍ شيء فأبقني له حتى أجاهدَهم فيك، وإن كنتَ وضعتَ الحربَ فافجرْها واجعَلْ مَوتتي فيها، فانفَجرتْ من لَبَّتِه، فلم يَرُعْهم -وفي المسجدِ خيمةٌ من بني غِفار- إلا الدَّمُ يَسيل إليهم، فقالوا: يا أهلَ الخيمةِ، ما هذا الذي يأتينا من قِبَلكم؟ فإذا سعدٌ يَغذوا جُرحُهُ دماً، فماتَ منها رضيَ اللهُ عَنْهُ».

قوله (فلما دنا من المسجد) قيل المراد المسجد الذي كان النبي ﷺ أعده للصلاة فيه في ديار بني قريظة أيام حصارهم، وليس المراد به المسجد النبوي بالمدينة.

قوله (قوموا إلى سيدكم) يأتي البحث فيه في كتاب الاستئذان إن شاء الله تعالى.

قوله (حكمت[١] فيه بحكم الله، وربما قال: بحكم الملك) وفي حديث جابر عند ابن عائذ «فقال: احكم فيهم ياسعد، قال: الله ورسوله أحق بالحكم، قال: قد أمرك الله تعالى أن تحكم فيهم» وفي رواية ابن إسحق من مرسل علقمة بن وقاص « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» وأرقعة من أسماء السماء.

قال السهيلي: قوله «من فوق سبع سماوات» معناه أن الحكم نزل من فوق، قال ومثله قول زينب بنت جحش «زوجني الله من نبيه من فوق سبع سموات» أي نزل تزويجها من فوق، قال ولا يستحيل وصفه تعالى بالفوق على المعنى الذى يليق بجلاله لا على المعنى الذي يسبق إلى الوهم من التحديد الذي يفضي إلى التشبيه[٢].

قوله (رماه في الأكحل) هو عرق في وسط الذراع، قال الخليل هو عرق الحياة ويقال إن في كل عضو منه شعبة فهو في اليد الأكحل وفي الظهر الأبهر وفي الفخذ النسا إذا قطع لم يرقأ الدم.

قوله (فأتاهم رسول الله ﷺ) أي فحاصرهم، وعند موسى بن عقبة نحوه وزاد «وحاصرهم بضع عشرة ليلة «وعند ابن سعد «خمس عشرة» وفي حديث علقمة بن وقاص المذكور «خمسا وعشرين» ومثلها عند ابن اسحق عن أبيه عن معبد بن كعب قال: «حاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وقذف في قلوبهم الرعب، فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يؤمنوا، أو يقتلوا نساءهم وأبناءهم هم ويخرجوا مستقتلين، أو يبيتوا المسلمين ليلة السبت، فقالوا: لا نؤمن، ولا نستحل ليلة السبت، وأي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟ فأرسلوا إلى أبي لبابة بن عبد المنذر وكانوا حلفاءه فاستشاروه في النزول على حكم النبي ﷺ فأشار إلى حلقه -يعني الذبح- ثم ندم، فتوجه إلى مسجد النبي ﷺ فارتبط به حتى تاب الله عليه».

قوله (فإني أحكم فيهم) أي في هذا الأمر.

قوله (أن تقتل المقاتلة) قد تقدم في الذي قبله بيان ذلك، وذكر ابن إسحق أنهم حبسوا في دار بنت الحارث، وفي رواية أبي الأسود عن عروة في دار أسامة بن زيد، ويجمع بينهما بأنهم جعلوا في بيتين.

قال ابن اسحق: فخندقوا لهم خنادق فضربت أعناقهم فجرى الدم في الخنادق، وقسم أموالهم ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأسهم للخيل فكان أول يوم وقعت فيه السهمان

---

(١) رواية الباب واليونينية "قضيت بحكم الله".

(٢) يقصد نفي الجهة كما تقول المعتزلة ومتأخرو الأشعرية، والحق اثباتها لدلالة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة عليه: يقول الله تعالى: {إليه يصعد الكلم الطيب، ويقول سبحانه {أأمنتم من في السماء..} وغير ذلك من الآيات، أما الأحاديث فمنها حديث الجارية، وحديث ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

لها، واختلف في عدتهم: فعند ابن إسحق أنهم كانوا ستمائة وبه جزم أبو عمرو في ترجمة سعد بن معاذ، وعند ابن عائذ من مرسل قتادة «كانوا سبعمائة» وقال السهيلي: المكثر يقول: إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل، فيحتمل في طريق الجمع أن يقال أن الباقين كانوا أتباعاً، وقد حكى ابن إسحق أنه قيل إنهم كانوا تسعمائة.

قوله (فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم)، والذي يظهر لي أن ظن سعد كان مصيبا، وأن دعاءه في هذه القصة كان مجابا، وذلك أنه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حرب يكون ابتداء القصد فيها من المشركين، فإنه ﷺ تجهز إلى العمرة فصدوه عن دخول مكة وكاد الحرب أن يقع بينهم فلم يقع كما قال تعالى {وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم} ثم وقعت الهدنة واعتمر ﷺ من قابل، واستمر ذلك إلى أن نقضوا العهد، فتوجه إليهم غازيا ففتحت مكة، فعلى هذا فالمراد بقوله «أظن أنك وضعت الحرب» أي أن يقصدونا محاربين.

قوله (فأبقني له) أي للحرب.

قوله (فافجرها) أي الجراحة.

قوله (فانفجرت من لبته) هي موضع القلادة من الصدر، وكان موضع الجرح ورم حتى اتصل الورم إلى صدره فانفجر من ثم.

قوله (فلم يرعهم) بالمهملة أي أهل المسجد، أي لم يفزعهم.

قوله (يغذو) يسيل، وفي قصة بني قريظة من الفوائد وخبر سعد بن معاذ جواز تمني الشهادة، وهو مخصوص من عموم النهي عن تمنى الموت، وفيها تحكيم الأفضل من هو مفضول، وفيها جواز الاجتهاد في زمن النبي ﷺ، وهي خلافية في أصول الفقه، والمختار الجواز سواء كان بحضور النبي ﷺ أم لا، وإنما استبعد المانع وقوع الاعتماد على الظن مع إمكان القطع، ولا يضر ذلك، لأنه بالتقرير يصير قطعيا، وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته ﷺ كما في هذه القصة وقصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قتيل أبي قتادة كما سيأتي في غزوة حنين وغير ذلك، وسيأتي مزيد له في كتاب الاعتصام[1] إن شاء الله تعالى.

٤١٢٣ ـ عن البَراءِ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ لحسّانَ: اهجُهم -أو هاجِهم- وجبريلُ معَك».

٤١٢٤ ـ عنِ البراءِ بنِ عازبٍ قالَ: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ قُرَيظةَ لحسّانِ بن ثابت: اهجُ المشركين، فإن جبريلَ معَك».

---

(١) كتاب الاعتصام باب / ٢٣ ح ٧٣٥٥ - ٥ / ٥٢٧

٣١ ـ باب غزوةِ ذاتِ الرقاع

وهي غزوةُ مُحارب خَصفةَ من بني ثعلبة من غطفانَ فنزلَ نخلاً، وهي بعدَ خيبر، لأن أبا موسى جاء بعدَ خيبرَ.

٤١٢٥ ـ عَنْ جابرِ بن عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا «أنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى بأصحابِه في الخوفِ في غزوةِ السابعةِ غزوةِ ذاتِ الرِّقاع» قال ابنُ عبّاسٍ « ﷺ النبيُّ ﷺ يعني صلاة الخوفِ بذي قَرَد ».

[الحديث ٤١٢٥ – أطرافه في: ٤١٢٦، ٤١٢٧، ٤١٣٠، ٤١٣٧]

٤١٢٦ ـ عَنْ أبِي مُوسَى أنَّ جابراً حَدَّثَهُمْ « ﷺ النبيُّ ﷺ بهم يومَ محاربٍ وثَعلبة ».

٤١٢٧ ـ عن جابرٍ «خَرَجَ النبيُّ ﷺ إلى ذاتِ الرقاع من نخلٍ فلقيَ جمعاً من غَطفانَ فلم يكن قتالٌ، وأخافَ الناسُ بعضُهُم بعضا، فصلَّى النبيُّ ﷺ ركعتيِ الخوف».

وقال يزيدُ عَنْ سلمَةَ «غزوت مَعَ النبيِّ ﷺ يَوْمَ القَرَدِ».

٤١٢٨ ـ عَنْ أبِي مُوسَى رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «خَرجنَا مَعَ النبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ ونحن في ستة نفرٍ بيننا بعيرٌ نَعْتَقِبُه، فنقبَت أقدامُنا ونقبَت قدمايَ وسَقطتْ أظفاري، فكنا نلفُّ عَلَى أرجلِنا الخرَق، فسُمِّيَت غزوةَ ذات الرقاع لما كنا نعصِبُ منَ الْخِرَق على أرجُلنا، وحدَّثَ أبو موسى بهذا الحديث ثم كرهَ ذاك قال: ما كنتُ أصنع بأن أذكرَه كأنه كَرِهَ أن يكون شيء من عمله أفشاه».

قوله (باب غزوة ذات الرقاع) هذه الغزوة اختلف فيها متى كانت، واختلف في سبب تسميتها بذلك، وقد جنح البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر.

قوله (فنزل) أي النبي ﷺ .

قوله (نخلا) هو مكان من المدينة على يومين،

تنبيه: جمهور أهل المغازي على أن غزوة ذات الرقاع هي غزوة محارب كما جزم به ابن إسحق،

قوله (في غزوة السابعة) هي من إضافة الشيء إلى نفسه على رأي، أو فيه حذف تقديره غزوة السفرة السابعة.

قوله (وقال ابن عباس: ﷺ النبي ﷺ - يعني صلاة الخوف- بذي قرد) بفتح القاف والراء هو موضع على نحو يوم من المدينة مما يلي بلاد غطفان.

وقد تقدم حديث ابن عباس في «باب صلاة الخوف»[١]، واستدل به على مشروعية صلاة الخوف في الحضر، وليس كما قال، وصلاة الخوف في الحضر قال بها الشافعي والجمهور إذا حصل الخوف، وعن مالك تختص بالسفر، والحجة للجمهور قوله تعالى {وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة} فلم يقيد ذلك بالسفر، والله أعلم.

قوله (بيننا بعير نعتقبه) أي نركبه عقبة عقبة، وهو أن يركب هذا قليلا ثم ينزل فيركب الآخر بالنوبة حتى يأتي على سائرهم.

قوله (فنقبت أقدامنا) أي رقت، يقال نقب البعير إذا رق خفه.

قوله (لما كنا) أي من أجل ما فعلناه من ذلك.

قوله (كره ذلك) أي لما خاف من تزكية نفسه.

قوله (كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه) وذلك أن كتمان العمل الصالح أفضل من إظهاره، إلا لمصلحة راجحة كمن يكون ممن يقتدى به.

٤١٢٩ ـ عَنْ صالح بن خَواتٍ عمن شهدَ مع رسولِ الله ﷺ يومَ ذاتِ الرِّقاع صلاةَ الخوفِ، أنَّ طائفةً صَفَّتْ معه، وطائفة وُجَاهَ العدوِّ، فصلى بالتي معه ركعةً ثم ثبتَ قائمًا وأتموا لأنفُسهم، ثم انصرَفوا فصفُّوا وُجاهَ العدوِّ وجاءتِ الطائفةُ الأخرى فصلى بهم الركعةَ التي بقيَت من صلاتِه، ثم ثبتَ جالساً وأتموا لأنفُسِهم، ثم سلم بهم».

٤١٣٠ ـ عَنْ جابرٍ قالَ: «كُنَّا مَعَ النبيِّ ﷺ بنخلٍ، فَذكرَ صلاةَ الخوف، قال مالك: وذلك أحسنُ ما سمعتُ في صلاةِ الخوف».

وعن القاسمِ بن محمد «صلَّى النبيُّ ﷺ في غزوة بني أنمار».

٤١٣١ ـ عَنْ سهلِ بن أبِي حَثمةَ قال: «يقومُ الإمام مستقبلَ القبلة وطائفةٌ منهم مَعه، وطائفةٌ من قِبَل العدوِّ وجوهُهم إلى العدوِّ، فيُصلِّي بالذين مَعه ركعةً ثم يقومون فيركعون لأنفسهم ركعة ويسجدونَ سَجدتَين في مكانهم، ثم يَذهَبُ هؤلاء إلى مَقام أولئك فيجيء أولئك فيركعُ بهم ركعةً فله ثنتان، ثم يَركعونَ ويسجدونَ سجدتَين».

عنِ ابنِ عمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «غزوتُ معَ رسولِ الله ﷺ قِبَل نجدٍ فَوازينَا العدو فصافَفْنا لهم».

٤١٣٣ ـ عَنْ سالم بن عبدِ الله بن عمر عن أبيهِ «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بإحدَى الطائفتَين، والطائفة الأخرَى مواجهة العدوِّ، ثم انصرفوا فقاموا في مقام أصحابهم، فجاء أولئك فصلى بهم ركعةً ثم سلم عليهم، ثُمَّ قام هؤلاء فقضَوا ركعتَهم وقام هؤلاء فقضوا ركعتهم».

(١) كتاب صلاة الخوف باب / ٣ ح ٩٤٤ - ١ / ٤٩٣.

قوله (كنا مع النبي ﷺ بنخل فذكر صلاة الخوف) أورده مختصرا معلقا لأن غرضه الإشارة إلى أن روايات جابر متفقة على أن الغزوة التي وقعت فيها صلاة الخوف هي غزوة ذات الرقاع، لكن فيه نظر لأن سياق رواية هشام عن أبي الزبير هذه تدل على أنه حديث آخر في غزوة أخرى، وبيان ذلك أن في هذا الحديث عند الطيالسي وغيره «أن المشركين قالوا: دعوهم فإن لهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم، قال فنزل جبريل فأخبره؛ فصلى بأصحابه العصر، وصفهم صفين» فذكر صفة صلاة الخوف، وهذه القصة إنما هي في غزوة عسفان، وقد أخرج مسلم هذا الحديث.

قوله (وذلك أحسن ما سمعت في صلاة الخوف) يقتضي أنه سمع في كيفيتها صفات متعددة، وهو كذلك، فقد ورد عن النبي ﷺ في صفة صلاة الخوف كيفيات حملها بعض العلماء على اختلاف الأحوال، وحملها آخرون على التوسع والتخيير، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في «باب صلاة الخوف» وما ذهب إليه مالك من ترجيح هذه الكيفية وافقه الشافعي وأحمد وداود على ترجيحها لسلامتها من كثرة المخالفة ولكونها أحوط لأمر الحرب مع تجويزهم الكيفية التي في حديث ابن عمر، ونقل عن الشافعي أن الكيفية التي في حديث ابن عمر منسوخة ولم يثبت ذلك عنه، و ظاهر كلام المالكية عدم إجازة الكيفية التي في حديث ابن عمر.

قوله (أن ابن عمر رضي الله عنهما قال، غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد فوازينا) بالزاي أي قاتلنا.

٤١٣٤ ـ عن سنانٍ وأبو سلمة أنَّ جابراً أخبر «أنه غَزا مع رسولِ الله ﷺ قِبَلَ نجد...».

٤١٣٥ ـ عَنْ جَابِرِ بن عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ «أنَّهُ غَزَا معَ رسولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نجدٍ، فلما قَفلَ رسولُ الله ﷺ قَفلَ معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثيرِ العضاه، فنزلَ رسولُ اللهِ ﷺ وتفرَّقَ الناسُ في العِضاهِ يَستظلّون بالشجَر، ونزلَ رسولُ الله ﷺ تحت سَمُرةٍ فعلَّقَ بها سيفه، قال جابرٌ: فنمنا نومةً فإذا رسولُ الله ﷺ يَدعونا، فجئناهُ، فإذا عندَهُ أعرابيٌّ جالس، فقال رسولُ الله ﷺ: إنَّ هذا اخترَط سيفي وأنا نائم، فاستيقَظتُ وهو في يدهِ صَلتًا، فقال لي: من يَمنعُكَ مني؟ قلتُ: الله، فها هو ذا جالسٌ، ثم لم يُعاقبْهُ رسولُ الله ﷺ.

٤١٣٦ ـ عَنْ جَابِرٍ قالَ: «كُنَّا معَ النبيِّ ﷺ بذاتِ الرِّقاع، فإذا أتينا على شجرةٍ ظليلةٍ تركناها للنبيِّ ﷺ، فجاء رجلٌ من المشركينَ وسيفُ النبيِّ ﷺ معلقٌ بالشجرة، فاخترَطهُ فقال له: تخافني؟ فقال له: لا، قال: فمن يَمنعُكَ مني؟ قال: الله، فتهدَّدَه أصحابُ النبيِّ ﷺ وأقيمت الصلاة فصلى بطائفةٍ ركعتَين، ثم تأخروا، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، وكان للنبيِّ ﷺ أربعٌ وللقوم ركعتان»، وقال مسدَّدٌ عن أبي عوانة عَنْ أَبِي بشر «اسم الرجُلِ

غورَثُ بن الحارثِ، وقاتَلَ فيها محاربَ خَصفَة».

٤١٣٧ ـ عن جابرٍ كُنّا مع النبيِّ ﷺ بنخل فصلى الخوفَ»، وقال أبو هريرةَ «صليتُ مع النبي ﷺ فِي غزوة نجدٍ صلاةَ الخوفِ»، وإنما جاء أبو هريرةَ إلى النبيِّ ﷺ أيامَ خيبرَ.

قوله (فأدركتهم القائلة) أي وسط النهار وشدة الحر.

قوله (كثير العضاه) كل شجر يعظم له شوك.

قوله (فنزل[1] رسول الله ﷺ تحت سمرة) أي شجرة كثيرة الورق.

قوله (فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه، فإذا عنده أعرابي) هذا السياق يفسر رواية يحيى، فإن فيها «فجاء رجل من المشركين الخ».

قوله «وهو في يده صلتا) أي مجردا عن غمده.

قوله (فقال لي: من يمنعك مني)؟ في رواية يحيى «فقال: تخافني؟ قال: لا، قال: فمن يمنعك مني»؟ وكرر ذلك في رواية أبي اليمان في الجهاد ثلاث مرات، وهو استفهام إنكار، أي لا يمنعك مني أحد، لأن الأعرابي كان قائما والسيف في يده والنبي ﷺ جالسا لا سيف معه، ويؤخذ من مراجعة الأعرابي له في الكلام أن الله سبحانه وتعالى منع نبيه ﷺ منه، وإلا فما أحوجه إلى مراجعته مع احتياجه إلى الحظوة عند قومه بقتله، وفي قول النبي ﷺ في جوابه «الله» أي يمنعني منك إشارة إلى ذلك، ولذلك أعادها الأعرابي فلم يزده على ذلك الجواب، وفي ذلك غاية التهكم به وعدم المبالاة به أصلا.

قوله (فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ)، وكأن الأعرابي لما شاهد ذلك الثبات العظيم وعرف أنه حيل بينه وبينه تحقق صدقه وعلم أنه لا يصل إليه فألقى السلاح وأمكن من نفسه، وقد ذكر الواقدي في نحو هذه القصة أنه أسلم وأنه رجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير، ووقع في رواية ابن إسحق التي أشرت إليها «ثم أسلم بعد»، وفي الحديث فرط شجاعة النبي ﷺ وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه عن الجهال، وفيه جواز تفرق العسكر في النزول ونومهم، وهذا محله إذا لم يكن هناك ما يخافون منه.

٣٢ ـ باب غزوةِ بني الْمُصْطَلِق من خُزاعةَ وهي غَزوةُ المريسيع

قال ابنُ إسحاقَ: وذلكَ سنةَ ستٍّ، وقال موسى بنُ عُقبةَ: سنة أربع

وقال النعمانُ بنُ راشد عنِ الزُّهريِّ: كان حديثُ الإفكِ في غزوةِ المُرَيسيع.

٤١٣٨ ـ عنِ ابن مُحيريزٍ أنه قال: «دخلت المسجدَ فرأيتُ أبا سعيدٍ الخُدريَّ فجلست إليه، فسألتهُ عن العزلِ قال أبو سعيد: خَرجنا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ فِي غزوةِ بني المصْطَلِقِ،

---

(١) رواية الباب واليونينية "نزل رسول الله ﷺ.

فأصبنا سَبْياً مِن سَبى العرب، فاشتَهَينا النساءَ واشتدَّتْ علينا العُزْبَة وأحببنا العَزلَ، فأردنا أن نَعزلَ، وقلنا نَعزلُ ورسولُ الله ﷺ بين أظهُرِنا قبل أن نسأله؟ فسألناه عن ذلكَ فقال: مَا عَلَيْكُمْ أنْ لا تفعلوا، مَا مِنْ نَسَمَةٍ كائنةٍ إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة».

٤١٣٩ - عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ: «غَزَوْنَا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ غزوةَ نجد، فلما أدركَتْهُ القائلة وهو في وادٍ كثيرِ العِضاهِ فنزل تحت شجرة واستظلَّ بها وعلَّقَ سيفَه، فتفرَّقَ الناس في الشجر يستظِلُّون، وَبينا نحنُ كذلك إذ دعانا رسولُ اللهِ ﷺ، فجئنا، فإذا أعرابيٌّ قاعد بين يديه فقال: إنَّ هذا أتاني وأنا نائم، فاخترَطَ سيفي، فاستيقَظْتُ وهو قائمٌ على رأسي مخترطٌ سيفي صلتًا، قال: من يَمنعُكَ مني؟ قلت: اللهُ، فشامَه ثمَّ قعد، فهو هذا، قال ولم يُعاقبْهُ رسولُ اللهِ ﷺ ».

٣٣ - باب غزوةِ أنمار

٤١٤٠ - عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريّ قال: «رأيتُ النبيَّ ﷺ في غزوةِ أنمارٍ يُصلي على راحلتِه متوجِّهاً قِبَلَ المشرق متطوِّعًا».

(غزوة بني المصطلق من خزاعة وهي غزوة المريسيع) أما المصطلق وهو لقب بطن من بني خزاعة، وأما المريسيع هو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم.

قوله (وقال النعمان بن راشد عن الزهري كان حديث الإفك في غزوة المريسيع) وبهذا قال ابن إسحق وغير واحد من أهل المغازي أن قصة الإفك كانت في رجوعهم من غزوة المريسيع، وذكر ابن إسحق عن مشايخه عاصم بن عمر بن قتادة وغيره أنه ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار فخرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع قريباً من الساحل، فزاحف الناس واقتتلوا، فهزمهم الله، وقتل منهم، ونفل رسول الله ﷺ نساءهم وأبناءهم وأموالهم، كذا ذكر ابن إسحق بأسانيد مرسلة، والذي في الصحيح كما تقدم في كتاب العتق من حديث ابن عمر يدل على أنه أغار عليهم على حين غفلة منهم فأوقع بهم ولفظه «أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارّون وأنعامهم تستقي على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم» الحديث، فيحتمل أن يكون حين الإيقاع بهم ثبتوا قليلا، فلما كثر فيهم القتل انهزموا بأن يكون لما دهمهم وهم على الماء ثبتوا وتصافوا ووقع القتال بين الطائفتين ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم، وقد ذكر هذه القصة ابن سعد نحو ماذكر ابن إسحق، وأن الحارث كان جمع جموعا وأرسل عينًا تأتيه بخبر المسلمين فظفروا به فقتلوه، فلما بلغه ذلك هلع وتفرق الجمع وانتهى النبي ﷺ إلى الماء وهو المريسيع فصف أصحابه للقتال ورموهم بالنبل ثم حملوا عليهم حملة واحدة فما أفلت منهم إنسان بل قتل منهم عشرة وأسر الباقون رجالا ونساء.

وسيأتي شرحه في كتاب النكاح(١) إن شاء الله تعالى.

٣٤ ـ باب حديث الإفك

والإفَك، بمنزلة النِّجْس والنَّجَس يقال إفكهم أفكُهم وأفَكهم فمن قال {أَفَكَهُم} يقول: صرفهم عن الإيمان وكذبهم، كما قال /٩ الذاريات/: {يُؤْفَكُ عنه من أفِكَ}: يصرف عنه من صرف.

٤١٤١ ـ عن عُروة بن الزُّبير وسعيدِ بن المسيِّب وعلقمةَ بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عنهَا زوجِ النبيِّ ﷺ حينَ قال لها أهلُ الإفك ما قالوا، وكلهم حدَّثني طائفةً من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبتُ له اقتصاصاً، وقد وعيتُ عن كلِّ رجلٍ منهم الحديثَ الذي حدَّثني عن عائشةَ، وبعضُ حديثهم يصدِّقُ بعضاً، وإن كان بعضهم أوعَى لهُ من بعضٍ، قالوا «قالت عائشة: كان رسولُ الله ﷺ إذا أراد سَفَراً أقرَع بين أزواجه، فأيتهن خَرجَ سهمُها خرجَ بها رسولُ الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرَعَ بينَنا في غزوةٍ غزاها فخرجَ فيها سهمي، فخرجتُ معَ رسولِ الله ﷺ بعدَما أنزلَ الحجابُ، فكنتُ أُحملُ في هَودَجي وأُنزلُ فيه، فسرنا؛ حتى إذا فرغَ رسولُ الله ﷺ من غزوتهِ تلكَ وقفلَ، ودَنَونا منَ المدينة قافلينَ، آذن ليلةً بالرَّحيلِ، فقمتُ حينَ آذنوا بالرحيل فمشيتُ حتى جاوَزتُ الجيشَ، فلما قَضيتُ شأني أقبلتُ إلى رحلي فلَمستُ صدري فإذا عِقدٌ لي من جَزع ظَفارٍ قد انقطعَ، فرجعت فالتمست عقدى فحبسني ابتغاؤه، قالت وأقبلَ الرهط الذي كانوا يُرحِّلوني فاحتَملوا هَودَجي فرَحَلوه على بعيري الذي كنت أركبُ عليه وهم يَحسبونَ أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يَهْبُلْنَ ولم يَغشَهنَّ اللحم، إنما يأكلن العُلقةَ من الطعام -فلم يَستنكر القومُ خِفَّةَ الهودج حينَ رفعوه وحملوه، وكنت جاريةً حديثةَ السنِّ، فبعثوا الجملَ فساروا، ووَجدتُ عقدي بعد ما استمرَّ الجيش، فجئتُ منَازِلَهُمْ وليسَ بها منهم داعٍ ولا مجيب، فتيمَّمتُ منزلي الذي كنت به، وظَنَنْت أنهم سيفقدوني فيرجعونَ إليَّ، فبينا أنا جالسةٌ في منزلي غلَبَتْني عيني فنمتُ، وكان صَفوانُ بن المعطَّل السُّلميّ ثم الذَّكوانيّ من وراء الجيش، فأصبحَ عندَ منزلي، فرأى سوادَ إنسانٍ نائم، فعرفَني حينَ رآني، وكان رآني قبلَ الحجاب، فاستيقظتُ باسترجاعهِ حين عَرفني، فخمَّرتُ وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعتُ منه كلمةً غير استرجاعه، وهوَى حتى أناخَ راحِلتَه، فوطئَ على يدها، فقمت إليها فركبتُها، فانطلق يَقود بي الراحلةَ حتى أتينا الجيشَ موغِرين في نحرِ الظهيرة وهم نُزول، قالت: فهلكَ من هلكَ، وكان الَّذي تولَّى كِبرَ الإفك عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلول، قال عروة: أُخبرتُ أنه كان يُشاع ويُتحدَّثُ به عندَه فيُقِرُّه ويَستمعه ويستوشيه، وقال عروة أيضاً: لم يسمَّ من أهل الإفك أيضاً إلا حسَّانُ بن ثابتٍ

(١) كتاب النكاح باب / ٩٦ ح ٥٢١٠ - ٤ / ١١٢.

ومِسْطَحُ بن أُثاثةَ وحَمنة بنت جَحش في ناسٍ آخَرين لا علم لي بهم، غير أنَّهم عُصبةٌ -كما قالَ اللهُ تعالى- وإنَّ كِبرَ ذلك يقال عبدُ الله بن أُبيِّ ابن سَلولَ. قال عروة: كانت عائشة تَكرَه أن يُسَبَّ عندَها حَسانُ وتقول إنه الذي قال:

فإن أبي ووالدَه وعِرضي لِعرضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

قالت عائشة: فقَدِمنا المدينةَ، فاشتكيتُ حينَ قدِمتُ شهراً، والناسُ يُفيضُون في قولِ أصحابِ الإفك، لا أشعُرُ بشيءٍ من ذلك، وهو يريبني في وَجعي أني لا أعرِفُ من رسولِ الله ﷺ اللطفَ الذي كنتُ أرَى منه حينَ أشتكي، إنما يَدخُلُ عليَّ رسول الله ﷺ فيُسلِّم ثم يقول: كيفَ تِيكم؟ ثم ينصرف، فذلكَ يريبني ولا أشعُر بالشرِّ، حتى خرَجتُ حين نَقَهت، فَخرَجتُ معَ أمِّ مِسطحٍ قِبَلَ المَناصعِ -وكان مُتبرَّزَنا، وكنّا لا نخرجُ إلا ليلاً إلى ليلَ-وذلكَ قبلَ أنْ نتَّخذَ الكُنُفَ قريبًا من بيوتِنا قالت وأمرنا أمرُ العربِ الأوَلِ في البريَّة قِبَلَ الغائط وكنا نَتأذَّى بالكنفِ أن نَتَّخذها عندَ بيوتنا، قالت: فانطَلقتُ أنا وأمُّ مِسطحٍ -وهي ابنةُ أبي رُهم بن المطلبِ بن عبدِ مَناف، وأمُّها بنتُ صخرِ بن عامرٍ خالةُ أبي بكر الصدِّيق، وابنها مِسطحُ بن أُثاثةَ بن عبّاد بن المطلب - فأقبلتُ أنا وأمُّ مِسطح قِبَلَ بيتي حينَ فرغنا من شأننا، فعثَرتْ أمُّ مِسطحٍ في مِرْطِها فقالت تَعسَ مسطحٌ، فقلت لها: بئسَ ما قلت، أتسُبِّينَ رجلا شهدَ بَدراً؟ فقالت: أي هَنْتَاهُ، ولم تسمَعي ما قال؟ قالت: وقلتُ ما قال؟ فأخبرَتْني بقولِ أهل الإفك، قالت: فازدَدتُ مَرضاً على مَرضي، فلما رجَعتُ إلي بيتي دَخَلَ عليَّ رسول اللهِ ﷺ، فسلم ثمَّ قالَ: كيفَ تِيكم؟ فقلتُ له: أتأذنُ لي أن آتي أبَويَّ؟ قالت: وأريدُ أن أستَيقنَ الخبرَ من قِبَلهما، قالت: فأذِنَ لي رسولُ الله ﷺ، فقلتُ لأمي: يا أمَّتاهُ، ماذا يَتحدَّثُ الناس؟ قالت يابنية، هَوِّني عليك، فواللهِ لقلما كانَتْ امرأةٌ قُط وَضيئةٌ عندَ رجلٍ يحبُّها لها ضَرائرُ إلا أكثرْنَ عليها، قالت فقلت: سُبحانَ الله، أوَ لقد تحدَّثَ الناسُ بهذا؟ قالت: فبكيت تلكَ الليلةَ حتى أصبحتُ لا يَرقأُ لي دمْعٌ ولا أكتَحلُ بنوم، ثمَّ أصبحتُ أبكي، قالت: ودَعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وأُسامةَ بن زيدٍ حينَ استَلْبَثَ الوحيُ يسألهما ويَستشيرهما في فِراقِ أهلِه، قالت: فأما أُسامة فأشارَ على رسولِ الله ﷺ بالذي يعلم من براءةِ أهله وبالذي يَعلَم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلُكَ، ولا نعلمُ إلا خيراً، وأما عليٌّ فقال: يارسولَ الله، لم يُضيِّقِ الله عليك، والنساءُ سِواها كثير، وسَلِ الجاريةَ تصدُقْك، قالت: فدعا رسولُ اللهِ ﷺ بَريرةَ فقال: أي بَريرة، هل رأيتِ من شيءٍ يَريبكِ؟ قالت له بريرة: والذي بعثَكَ بالحقِّ، ما رأيتُ عليها أمراً قطُّ أغمِصهُ، غيرَ أنها جاريةٌ حديثةُ السنِّ تنامُ عن عَجينِ أهلِها فتأتي الداجنُ فتأكله.

قالت: فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ من يومِه فاستعذَرَ من عبدِ الله بن أُبَيٍّ - وهُوَ على المنبر- فقالَ: يا معشرَ المسلمينَ مَن يَعذِرني من رجلٍ قد بَلَغني عنه أذاهُ في أهلي، والله مَا

علمتُ على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيراً، وما يَدخلُ على أهلي إلا معي، قالت: فقام سعدُ بن مُعاذٍ -أخو بني عبدِ الأشهل- فقال: أنا يارسولَ الله أعذرك، فإن كان منَ الأوس ضربَتُ عُنقه، وإن كان من إخواننا منَ الخزرج أمرْتَنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام رجلٌ منَ الخزرجِ - وكانت أمُّ حسّانَ بنتَ عمه من فخذه وهوَ سعدُ بن عُبادةَ وهو سيِّد الخزرج، قالت: وكان قبلَ ذلكَ رجلاً صالحا، ولكن احتمَلته الحميَّة - فقال لسعد: كذَبتَ لعَمْرُ الله، لا تقتلهُ ولا تقدرُ على قتله، ولو كان من رَهطِكَ ما أحبَبتَ أن يُقتَلَ، فقام أسَيدُ بن حُضير -وهو ابن عم سعد- فقال لسعد بن عُبادةَ: كذبتَ لعمر الله، لنقتلنه، فإنكَ منافقٌ تجادلِ عن المنافقين، قالت: فثارَ الحيّانِ الأوسُ والخزرجُ - حتى همُّوا أن يَقتتلوا ورسولُ الله ﷺ قائمٌ على المنبر، قالت: فلم يَزَل رسولُ الله ﷺ يُخفِّضُهم حتى سكتوا وسكتَ قالت: فبكيتُ يومي ذلكَ كلَّهُ لا يَرقأُ لي دَمعٌ ولا أكتحلُ بنوم، قالت: وأصبحَ أبوايَ عندي وقد بَكيتُ ليلتَين ويوماً لا يرقأُ لي دمعٌ ولا أكتحلُ بنوم، حتى أني لأظنُّ أن البُكاءَ فالقٌ كبِدي، فبينا أبوايَ جالِسان عندي وأنا أبكي فاستَأذنَتْ عليَّ امرأة منَ الأنصار، فأذنتُ لها فجلسَت تبكي معي، قالتْ: فبينا نحن على ذلكَ دخلَ رسولُ الله ﷺ علينا فسلَّم ثمَّ جلس، قالت: ولم يَجلسْ عندي منذ قِيلَ ما قيلَ قَبلَها، ولقد لبث شهراً لا يُوحَى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشَهدَ رسولُ الله ﷺ حِينَ جلسَ ثم قال: أما بعدُ يا عائشة إنَّهُ بلغَني عَنْكِ كَذا وكَذا، فإنْ كُنْتِ بريئة فسيُبَرِّئُكِ الله، وإن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإنَّ العبدَ إذا اعترفَ ثم تابَ تابَ اللهُ عليه، قالت: فلما قضى رسولُ اللهِ ﷺ مقالتَه قَلَصَ دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قَطرة، فقلتُ لأبي: أجِبْ رسولَ الله ﷺ عني فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلتُ لأمي: أجيبي رسوَل الله ﷺ فيما قال، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلتُ -وأنا جاريةٌ حديثةُ السن لا أقرأ من القرآن كثيراً: إني والله لقد علمتُ لقد سمعتم هذا الحديثَ حتى استقرَّ في أنفسِكم وصدقتم به، فلَئن قلت لكم إني بريئة - لا تُصدِّقونني، ولئنِ أعترف لكم بأمرٍ -والله يعلم أني منه بريئة- لتُصدِّقني، فو الله لا أجِدُ لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسفَ حين قال: {فصبرٌ جميل، والله المستعانُ على ماتصفون} ثمَّ تحوَّلتُ فاضطجَعت على فراشي، والله يعلم أني حينئذٍ بريئة، وأنَّ الله مبرِّئي ببراءتي، ولكنْ والله ما كنت أظنُّ أنَّ الله تعالى مُنزِلٌ في شأني وحياً يُتلى، لشأني في نفسي كان أحقرَ من أن يتكلم الله فيَّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يَرى رسولُ الله ﷺ في النوم رُؤيا يُبرِّؤني الله بها، فوالله مارامَ رسولُ الله ﷺ مجلِسَه ولا خَرج أحدٌ من أهل البيت حتى أنزلَ عَليه، فأخَذَه مَا كَانَ يأخذهُ من البُرَحاء، حتى إنه ليتحدَّرُ منهُ العرَق مثلُ الجمان -وهو في يومٍ شاتٍ- من ثِقَلِ القولِ الذي أنزَل عليهِ، قالت: فسُرِّيَ عن رسولِ الله ﷺ وهو

يضحك، فكانت أوّل كلمةٍ تكلم بها أن قال: يا عائشة، أمّا الله فقد برأكِ، قالت فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: لا والله لا أقوم إليه، فإنّي لا أحمد إلا الله عز وجل، قالت: وأنزل الله تعالى /١١ النور/: {إن الذين جاءوا بالإفكِ عُصبةٌ منكم...} العشر الآيات، ثم أنزلَ الله تعالى هذا في براءتي، قال أبوبكرٍ الصدّيق -وكان يُنفِق على مِسطحِ بن أثاثةَ لقرابتهِ منهُ وفقره- : والله لا أنفقُ على مِسطح شيئاً أبداً بعدَ الذي قال لعائشة ما قال، فأنزَلَ الله تعالى [٢٢ النور] {ولا يأتل أولو الفضل منكم -إلى قوله- غفورٌ رحيم} قالَ أبو بكر الصدّيق: بلى والله، إني لأحبُّ أن يغفر الله لِي، فَرَجَعَ إلى مسطحٍ النفقةَ التي كان يُنفِقُ عليه وقال: والله لا أنزعها منهاأبدا، قالتْ عَائِشَةُ: وكانَ رسولُ الله ﷺ سألَ زينبَ بنتَ جحشٍ عن أمري، فقالَ لزينبَ ماذا علمتِ أو رأيتِ؟ فقالت: يارسولَ اللهِ أحمى سمعي وبصري، والله ما علمتُ إلا خيراً، قالت عائشة: وهيَ التي كانت تُساميني من أزواج النبيِّ ﷺ فعصَمَهَا اللهُ بالورع، قالتْ: وطَفِقَت أختُها حمنةُ تحاربُ لها، فهلكَتْ فيمن هلك»، قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرَّهْط، ثم قال عروة «قالتْ عَائِشَةُ: والله إنَّ الرجُل الذي قيلَ له ما قيل ليقول: سُبحانَ الله، فَو الذي نَفْسي بيده مَا كشَفَتُ من كَنَفِ أنثى قطّ، قالت: ثمَّ قُتل بعدَ ذلكَ في سبيل الله».

٤١٤٢ ـ عن الزُّهريِّ قال: قال لي الوليدُ بن عبدِ الملك أبلغَك أنَّ علياً كان فيمن قذفَ عائشَةَ؟ قلت: لا، ولكن قد أخبرَني رجلان من قومكَ -أبو سلمةَ بن عبد الرحمنِ وأبو بكرِ بن عبدِ الرحمن بن الحارث - أنَّ عائشَةَ رضيَ اللهُ عنهَا قالتْ لهُمَا: كَانَ عَليٌّ مسلماً في شأنها، فراجعوه فلم يرجع وقيل: مسلِّماً بلا شك فيه، وعليه كان في أصل العتيقِ كذلك».

٤١٤٣ ـ عَنْ أمِّ رومان وهي أمُّ عائشةَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَتْ: «بينَا أنَا قَاعِدَةٌ أنَا وعائِشَة إذ وَلجتِ امرأةٌ من الأنصار فَقَالت: فَعَل الله بفلانٍ وفَعل بفلان، قالتْ أمُّ رومان: وما ذاك، قالت: ابني فيمَنْ حدَّثَ الحديث، قَالَتْ: ومَاذا؟ قَالَتْ: كَذا وكَذا، قَالَتْ عَائِشَةُ: سَمِعَ رسولُ الله ﷺ؟ قالَتْ: نَعَمْ، قالَتْ: وأبُوبَكْرٍ؟ قَالَتْ: نَعَم، فخرَّت مَغشِيّاً عليها، فما أفاقَت إلا وعليها حُمَّى بنافض، فطرَحْتُ عليها ثيابها فغطّيتها، فجاءَ النبيُّ ﷺ فقال: ما شأن هَذه؟ قُلت: يا رسولَ الله، أخذَتْها الحُمّى بنافض، قالَ: فلعَلَّ في حديث تُحدِّثَ بهِ؟ قالت: نَعَمْ، فَقعدَت عائشَةُ فقالَتْ: والله لئن حَلفتُ لاتُصدِّقوني، ولئن قُلتُ لا تعذروني مَثَلي ومَثلكم كيعقوبَ وبنيه، والله المستعانُ على ماتَصِفون، قالت: وانصرَفَ ولم يقل شيئاً، فأنزَل الله عُذرَها، قالت: بحمد اللهِ، لابحمد أحدٍ ولا بحمدِك».

٤١٤٤ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنهَا «كَانَتْ تَقرأ {إذ تَلِقُونَهُ بألسِنَتِكم} / النور:١٥/ وتقول: الوَلْقُ الكذب، قال ابنُ أبي مُلَيكَةَ: وكانت أعلم من غيرها بذلك لأنه نزَل فيها».

[الحديث ٤١٤٤طرفه في ٤٧٥٢]

٤١٤٥ - عَنْ هشامٍ عن أبيه قال: «ذهبتُ أسبُّ حسّانَ عندَ عائشَةَ فقالَتْ: لا تَسُبَّهُ، فإنَّهُ كانَ يُنَافِحُ عن رسولِ اللهِ ﷺ، وقالَتْ عائشَةُ، استأذنَ النبي ﷺ في هجاء المشركين، قالَ: كيف بنسَبي؟ قال: لأسُلَّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشَّعْرَةُ من العَجين».

عن هشامٍ عنِ أبيهِ قالَ: «سَبَبْتُ حسّان، وكان ممن كثَّرَ عليها...».

٤١٤٦ - عَنْ مسروقٍ قال: «دخلنا على عائِشَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَعندها حسّانُ بن ثابتٍ يُنشِدُها شعراً يُشَبِّبُ بأبياتٍ له وقال:

حصانٌ رزانٌ ما تزن بريبةٍ وتصبحُ غرثى من لحوم الغوافلِ

فقالت له عائشة: لكنّك لستَ كذلك، قال مَسروقٌ: فقلتُ لها: لِمَ تأذني له أن يَدخُل عليكِ وقد قال الله تعالى: /١١ النور/: {والّذي تولى كِبْرَهُ منهم له عذابٌ عظيم} فقالت: وأيُّ عذابٍ أشدُّ من العَمى، قالت له: إنه كان يُنافِحُ -أو يُهاجي- عن رسولِ الله ﷺ».

[الحديث ٤١٤٦ طرفاه في ٤٧٥٥، ٤٧٥٦]

قوله (كان علي مسلّما في شأنها) كذا في نسخ البخاري بكسر اللام الثقيلة وفي رواية الحموي بفتح اللام، وقد ذكر عياض أن النسفي رواه عن البخاري بلفظ «مسيئا» قال: وكذلك رواه أبو علي بن السكن عن الفربري، وقال الأصيلي بعد أن رواه بلفظ «مسلما» كذا قرأناه والأعرف غيره، وإنما نسبته إلى الإساءة لأنه لم يقل كما قال أسامة «أهلك ولا نعلم إلا خيرا» بل ضيق على بريرة وقال: «لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير» ونحو ذلك من الكلام كما سيأتي بسطه في مكانه، وتوجيه العذر عنه، وكأن بعض من لا خير فيه من الناصبة تقرب إلى بني أمية بهذه الكذبة فحرفوا قول عائشة إلى غير وجهه لعلمهم بانحرافهم عن علي فظنوا صحتها، حتى بين الزهري للوليد أن الحق خلاف ذلك، فجزاه الله تعالى خيرا، وقد جاء عن الزهري أن هشام بن عبد الملك كان يعتقد ذلك أيضا، فأخرج يعقوب بن شيبة في مسنده عن الحسن بن علي الحلواني عن الشافعي قال حدثنا عمي قال: «دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك فقال له: يا سليمان الذي تولى كبره من هو؟ قال: عبد الله بن أبيّ، قال: كذبت، هو علي، قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، فدخل الزهري فقال: يا ابن شهاب من الذي تولى كبره؟ قال ابن أبيّ، قال: كذبت هو علي، فقال أنا أكذب لا أبالك والله لو نادى مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت».

٣٥ - باب غزوة الحُدَيبية

وقولِ الله تعالى /١٨ الفتح/:{لَقَدْ رضيَ اللهُ عَنِ المؤمنين إذ يبايعونكَ تحتَ الشجرة}.

٤١٤٧ - عن زيدِ بن خالدٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ عَامَ الحديْبيةَ فأصابنا مطرٌ ذاتَ ليلة فصلّى لنا رسولُ اللهِ ﷺ الصبحَ، ثمَّ أقبلَ علينا فَقَالَ:

أتَدرونَ ماذا قال ربُّكم؟ قلنا: اللهُ ورَسُولُهُ أعلم، فقال: قالَ اللهُ أصبحَ من عبادي مؤمنٌ بي وكَافر بي فأما من قال مُطرنا برحمةِ الله وبرزقِ الله وبفضل الله فهو مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأما من قال مُطرنا بنجم كذا فهو مؤمنٌ بالكوكب كافرٌ بِي».

٤١٤٨ ـ عَنْ قتادَةَ أنَّ أنَساً رضيَ اللهُ عَنْهُ أخْبَرَهُ قال: «اعتمرَ رسولُ اللهِ ﷺ أربعَ عُمَرَ كُلهنَّ في ذي القعدة، إلا التي كانت مع حجته عمرةً من الحديبية في ذي القَعدة، وعمرةً من العام المقبل في ذي القعدة، وعمرةً من الجِعرانة حيث قسم غنائم حُنَين في ذي القعدة، وعمرة مَعَ حَجَّتِه».

٤١٤٩ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ أبي قَتادَة أنَّ أبَاهُ حَدَّثَهُ قال: «انْطَلَقْنا مع النبيِّ ﷺ عام الحُدَيْبية، فأحرَمَ أصحابُه ولم أحرم».

٤١٥٠ ـ عَنْ البراء رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «تَعدُّونَ أنْتُمْ الفتحَ فتحَ مكة، وقد كان فتحُ مَكَّةَ فَتْحاً، ونَحْنُ نَعُدُّ الفتحَ بيعةَ الرِّضوان يومَ الحُدَيبيةَ: كنَّا معَ النبيِّ ﷺ أربعَ عشرةَ مائة، والحديبيةُ بئرٌ، فنزَحناها فلم نتركْ فيها قَطرةً، فبَلغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ، فأتاهَا فجَلَسَ على شَفيرها، ثُمَّ دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مَضْمَضَ ودعا، ثم صَبَّهُ فيها، فتركناها غيرَ بعيد، ثم إنها أصدرَتْنا مَاشِئْنَا نَحْنُ ورِكابَنا».

٤١٥١ ـ عَنْ أبي إسْحاقَ قالَ أنْبَأنَا البَراءُ بن عازبٍ رضيَ اللهُ عَنهُمَا أنَّهُمْ كَانُوا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ يومَ الحُدَيبِيةِ ألفاً وأربعمائةٍ أو أكثرَ، فنزَلوا على بئر فنزحوها، فأتَوا رسولَ اللهِ ﷺ، فأتى البئرَ وقعدَ عَلَى شَفيرها ثم قال ائْتوني بدَلو من مائها، فأتِيَ به، فبصقَ فدَعا، ثم قال دَعوها ساعةً، فأروَوا أنْفُسَهم ورِكابهم حتى ارتحلوا».

٤١٥٢ ـ عَنْ جَابرٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «عَطِشَ النَّاسُ يَومَ الحُدَيْبية، و رسولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ ركوةٌ، فتوضَّأ منها، ثمَّ أقبلَ الناسُ نحوهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: مالكم؟ قالوا: يا رسولَ الله، ليس عندنَا مَاءٌ نَتَوضَّأ به ولا نشرب إلا ما في ركوَتك، قال فوضعَ النبيُّ ﷺ يَده في الرَّكوةِ، فجعل الماء يفور من بين أصَابعه كَأمْثَالِ العُيون، قالَ فشربْنَا وتوضأنا، فقلت لجابرٍ كم كنتم يومئذٍ؟ قال: لو كنَّا مائة ألفٍ لكفانا، كنَّا خمسَ عشرة مائة.

قوله (ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان) يعني قوله تعالى {إنا فتحنا لك فتحا مبينا} وهذا موضع وقع فيه اختلاف قديم، والتحقيق أنه يختلف ذلك باختلاف المراد من الايات، فقوله تعالى {إنا فتحنا لك فتحاً مبينا} المراد بالفتح هنا الحديبية لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين، لما ترتب على الصلح الذي وقع منه الأمن ورفع الحرب وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك كما وقع لخالد بن الوليد وعمرو بن العاص

وغيرهما؛ ثم تبعت الأسباب بعضها بعضا إلى أن كمل الفتح، وقد ذكر ابن اسحق في المغازي عن الزهري قال: لم يكن في الإسلام فتح قبل فتح الحديبية أعظم منه، إنما كان الكفر حيث القتال، فلما أمن الناس كلهم كلم بعضهم بعضا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكن أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا بادر إلى الدخول فيه، فلقد دخل في تلك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر، قال ابن هشام: ويدل عليه أنه ﷺ خرج في الحديبية في ألف وأربعمائة ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكة في عشرة آلاف انتهى.

وأما قوله تعالى في هذه السورة {وأثابهم فتحاً قريبا} فالمراد بها فتح خيبر على الصحيح لأنها هي التي وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين.

وأما قوله تعالى{ إذا جاء نصر الله والفتح} وقوله ﷺ «لا هجرة بعد الفتح» فالمراد به فتح مكة باتفاق.

قوله (والحديبية بئر) يشير إلى أن المكان المعروف بالحديبية سمي ببئر كانت هنالك، هذا اسمها ثم عرف المكان كله بذلك.

قوله (ثم إنها أصدرتنا) أي رجعتنا، يعني أنهم رجعوا عنها وقد رووا.

قوله (ثم فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه) هذا مغاير لحديث البراء أنه صب ماء وضوئه في البئر فكثر الماء في البئر، وجمع ابن حبان بينهما بأن ذلك وقع مرتين، وسيأتي في الأشربة البيان بأن حديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند إرادة الوضوء، وحديث البراء كان لإرادة ما هو أعم من ذلك، ويحتمل أن يكون الماء لما تفجر من أصابعه ويده في الركوة وتوضئوا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصب الماء الذي بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها.

٤١٥٣ ـ عَنْ قتادَةَ «قلتُ لسعيدِ بنِ المسيَّب: بلغني أن جابرَ بن عبد الله كان يقول: كانوا أربعَ عشرة مائة، فقال لي سعيد: حدَّثَني جَابرٌ كانوا خمسَ عشرةَ مائة الذين بايعوا النبيَّ ﷺ يومَ الحُدَيْبية».

٤١٥٤ ـ عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «قالَ لنَا رسولُ اللهِ ﷺ يوم الحُديبية: أنتمْ خَيْرُ أَهْلِ الأرْضَ، وكُنَّا ألفاً وأرْبَعَمَائةً، ولَو كُنْت أبْصرُ اليوْمَ لأريتكم مكانَ الشجرة»، تابعهُ الأعمش «سمع سالماً سمع جابراً ألفاً وأربعمائةً».

٤١٥٥ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ أبي أوفى رضي اللهُ عَنْهُمَا «كَانَ أصْحَابُ الشجرةِ ألفاً وثلاثمائة، وكانت أسلم ثُمنَ المهاجرين».

قوله (قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: أنتم خير أهل الأرض) هذا صريح في فضل أصحاب الشجرة، فقد كان من المسلمين إذ ذاك جماعة بمكة وبالمدينة وبغيرهما، وعند أحمد

بإسناد حسن عن أبي سعيد الخدري قال: «لما كان بالحديبية قال النبي ﷺ: لا توقدوا نارا بليل، فلما كان بعد ذلك قال: أوقدوا واصطنعوا فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم» وعند مسلم من حديث جابر مرفوعا «لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية» وروى مسلم أيضا من حديث أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة».

قوله (ولو كنت أبصر اليوم) يعني أنه كان عمي في آخر عمره.

٤١٥٦ ـ عن قيسٍ أنه «سمعَ مِرداساً الأسلميَّ يقولُ وكان من أصحاب الشجرة: يُقبَضُ الصالحونَ الأول فالأول، وتبقى حُفالةٌ كحفالةِ التمر والشعير لا يَعبأ اللهُ بهم شيئاً».

[الحديث ٤١٥٦ – طرفه في: ٦٤٣٤]

٤١٥٧، ٤١٥٨ ـ عن الزهري عن عروة عَنْ مروانَ والمِسور بن مخرمةَ قالا: «خرجَ النبيُّ ﷺ عام الحُديبية في بضعَ عشرةَ مائة من أصحابه، فلما كان بذي الحُلَيفةِ قَلدَ الهدْيَ وأشعرَ وأحرمَ منها، لا أحصي كم سمعته من سفيانَ، حتى سمعته يقول: لا أحفظ منَ الزُهريِّ الإشعار والتقليد، فلا أدري يعني موضع الإشعار والتقليد، أو الحديثَ كله».

٤١٥٩ ـ عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بنِ أبي لَيْلى «عَنْ كعب بن عُجرة أنَّ رسُولَ الله ﷺ رآهُ وقَملهُ يَسقط على وَجهه فقال: أيؤذيكَ هوامُك؟ قال: نعم، فأمرهُ رسول الله ﷺ أن يَحلق وهوَ بالحُديبية، لم يُبيِّن لهم أنهم يَحلون بها وهم على طمَع أن يَدخلوا مَكة، فأنزَلَ الله الفديةَ، فأمَرهُ رسول الله ﷺ أن يُطعِمَ فَرَقاً بين ستة مَساكِينَ، أوْ يُهْدِيَ شَاةً، أو يصومَ ثلاثةَ أيام».

قوله (سمع مرداسا الأسلمي يقول وكان من أصحاب الشجرة: يقبض الصالحون) كذا ذكره عنه موقوفا هنا، وأورده في الرقاق، مرفوعا، ويأتي شرحه هناك إن شاء الله تعالى، والغرض منه بيان أنه كان من أصحاب الشجرة، والحفالة بمعنى الحثالة والمراد بها الرديء من كل شيء.

٤١٦٠، ٤١٦١ ـ عَنْ زَيْدِ بنِ أسلمَ عن أبيهِ قال: «خرجتُ مع عمرَ بنِ الخطاب رضيَ اللهُ عَنْهُ إلى السوقِ، فَلحقَتْ عمرَ امرأةٌ شابَّة فقالت: يا أميرَ المؤمنين، هلك زوجي وتركَ صِبْيةً صغاراً والله ما يُنضجون كُراعاً ولا لهم زرعٌ ولا ضَرع وخَشيتُ أن تأكلهم الضَّبُع، وأنا بنت خُفاف بن إيماءَ الغِفاريّ وقد شهدَ أبي الحدَيبية مع النبيِّ ﷺ، فوقفَ معها عمرُ ولم يَمض، ثم قال: مَرحباً بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعيرٍ ظهيرٍ كان مربوطاً في الدار فحملَ عليه غرارتين ملأهما طعاماً وحمل بينهما نفقةً وثياباً، ثم ناولها بخِطامهِ ثُمَّ قالَ اقتاديه، فلن يَفنى حتى يأتيَكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها، قال عمر: ثَكِلَتْكَ أمُّك، والله إني لأرى أبا هذهِ وأخاها قد حاصرا حِصناً زماناً فافتتحاهُ، ثمَّ

أصبحنا نَستفِيءُ سهمانَنا فيه».

قوله (كراعا) بضم الكاف هو مادون الكعب من الشاة، قال الخطابي: معناه أنهم لايكفون أنفسهم معالجة ما يأكلونه، ويحتمل أن يكون المراد لاكراع له فينضجونه.

قوله (ليس[1] لهم ضرع) ليس لهم ما يحلبونه، وقوله (ولا زرع) أي ليس لهم نبات.

قوله (وخشيت أن تأكلهم الضبع) أي السنة المجدبة، ومعنى تأكلهم أي تهلكهم.

قوله (ثكلتك أمك) هي كلمة تقولها العرب للإنكار ولا تريد بها حقيقتها.

قوله (نستفيء) أي نسترجع، يقول هذا المال أخذته فيئاً، وقوله «سهماننا» أي أنصباؤنا من الغنيمة،

٤١٦٢ ـ عَنْ سعيدِ بن المسيَّب عن أبِيهِ قالَ: «لَقَدْ رَأيت الشجرةَ، ثمَّ أنسيتها بعدُ فلم أعرِفْها» قالَ محمود: «ثم أُنسيتها بعد».

[الحديث ٤١٦٢ - أطرافه في: ٤١٦٣، ٤١٦٤، ٤١٦٥]

٤١٦٣ ـ عنْ طارقِ بن عبْدِ الرَّحْمنِ قالَ: «انْطَلقتُ حاجًا فَمررتُ بقومٍ يصلُّون، قلت: ماهذا المسجد؟ قالُوا: هذهِ الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعةَ الرِّضوان.

فأتيت سعيد بن المسيَّب فأخبرته، فقال سعيدٌ: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرَةِ، قالَ: فَلَمَّا خَرَجْنَا منَ العام المقبل نَسيناها فلم نقدر عليها، فقال سَعيد: إن أصحاب محمدٍ ﷺ لَمْ يَعلموها، وعلمتموها أنتم؟ فأنتم أعلم!».

٤١٦٤ ـ عَنْ سَعيدِ بنِ المسيَّب عن أبيهِ أنه كانَ ممن بايع تحت الشجرة، فرجَعنا إليها العام المقبل فَعميَت علينا».

٤١٦٥ ـ عَنْ طَارِقٍ قالَ: «ذُكرتْ عند سعيد بن المسيَّب الشجرةُ فضَحِك فقال: أخبرني أبي وكان شَهِدها...».

قوله (لقد رأيت الشجرة) أي التي كانت بيعة الرضوان تحتها.

قوله (فقال سعيد) أي ابن المسيب «إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها وعلمتموها أنتم؟ فأنتم أعلم) قال سعيد هذا الكلام منكرا، وقوله «فأنتم أعلم» هو على سبيل التهكم،

قوله (فعميت علينا) أي أبهمت.

قوله (ذكرت عند سعيد بن المسيب الشجرة فضحك فقال: أخبرني أبي وكان شهدها) زاد الإسماعيلي أنهم أتوها من العام القابل فأنسيناها» وقد قدمت الحكمة في إخفائها عنهم في «باب البيعة على الحرب» من كتاب الجهاد[2] عند الكلام على حديث ابن عمر في معنى

---

(١) رواية الباب واليونينية ولا لهم ضرع...

(٢) كتاب الجهاد باب / ١١٠ ح ٢٩٥٨ - ٢ / ٦١٤.

ذلك، لكن إنكار سعيد بن المسيب على من زعم أنه عرفها معتمدا على قول أبيه إنهم لم يعرفوها في العالم المقبل لايدل على رفع معرفتها أصلا، فقد وقع عند المصنف من حديث جابر الذي قبل هذا «لو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة» هذا يدل على أنه كان يضبط مكانها بعينه، ثم وجدت عند ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع أنَّ عمر بلغه أن قوما يأتون الشجرة فيصلون عندها فتوعدهم، ثم أمر بقطعها فقطعت.

٤١٦٦ ـ عَنْ عَمْرِو بن مُرَّةَ قال: سمعت عبدَ الله بن أبي أوفى وكانَ من أصحاب الشجرةِ قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا أتَاهُ قومٌ بصدقةٍ قال: اللهمَّ صلِّ عَلَيْهِمْ، فَأَتَاهُ أبي بصدقَتِهِ فقال: اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى آل أبي أوفى».

٤١٦٧ ـ عَنْ عبَّادِ بن تميم قال: «لما كان يومُ الْحَرَّةِ -والنَّاسُ يبايِعُونَ لِعَبْدِ اللَّهِ بن حنظلةَ- فقال ابنُ زيدٍ: على ما يبايُع ابنُ حَنظلةَ الناسَ؟ قيل له: على الموت، قال: لا أبايع عَلَى ذلكَ أحداً بَعْدَ رسول اللهِ ﷺ، وكَانَ شهد معهُ الْحُديبية».

قوله (لما كان يوم الحرة) أي لماخلع أهل المدينة بيعة يزيد بن معاوية وبايعوا عبد الله بن حنظلة أي ابن أبي عامر الانصاري.

قوله (لا أبايع على ذلك أحدا بعد رسول الله ﷺ فيه إشعار بأنه بايع النبي ﷺ على الموت «وقد تقدم شرح ذلك مستوفى في «باب البيعة على الحرب» من كتاب الجهاد(١).

٤١٦٨ ـ عَنْ إياسِ بن سلمةَ بن الأكوع قال: حدَّثني أبي وكان من أصحاب الشجرة قال: «كُنَّا نُصَلِّي مَعَ النبيِّ ﷺ الجمعة ثم ننصرفُ وليس للحيطان ظلٌّ نستَظلُّ فيه».

٤١٦٩ ـ عَنْ يزيدَ بن أبي عُبَيدٍ قال: «قلتُ لسَلمةَ بن الأكْوَعِ: على أيِّ شيء بايعتُمْ رسولَ الله ﷺ يومَ الحدَيبيةِ؟ قال: على الموت».

٤١٧٠ ـ عَنْ العَلاء بن المسيَّب عن أبيهِ قالَ: «لقيت البراء بن عازب رضيَ اللهُ عَنْهُمَا فَقلت: طوبى لك، صحبت النبيَّ ﷺ وبايعته تحتَ الشجرة، فقال: يا ابن أخي، أنت لا تَدْرِي مَا أحْدَثْنَا بَعْدَهُ».

٤١٧١ ـ عَنْ أبي قِلابَةَ «أن ثابتَ بن الضحَّاك أخبرَهُ أنه بايع النبيَّ ﷺ تحتَ الشجرة».

قوله (ثم ننصرف وليس للحيطان ظل نستظل فيه) استدل به لمن يقول بأن صلاة الجمعة تجزئ قبل الزوال، لأن الشمس إذا زالت ظهرت الظلال، وأجيب بأن النفي إنما تسلط على وجود ظل يستظل به لا على وجود الظل مطلقا، والظل الذي يستظل به لا يتهيأ إلا بعد الزوال بمقدار يختلف في الشتاء والصيف، وقد تقدم بسط هذه المسألة ونقل الخلاف فيها في كتاب الجمعة.

(١) كتاب الجهاد باب / ١١٠ ح ٢٩٥٩ - ١ / ٦١٤

قوله (طوبى لك صحبت النبي ﷺ) غبطة التابعي بصحبة رسول الله ﷺ، وهو مما يغبط به، لكن سلك الصحابي مسلك التواضع في جوابه، وطوبى في الأصل شجرة في الجنة تقدم تفسيرها في صفة الجنة في بدء الخلق، وتطلق ويراد بها الخير أو الجنة أو أقصى الأمنية، وقيل هي من الطيب أي طاب عيشكم.

قوله (إنك لا تدري ما أحدثناه[1] بعده) يشير إلى ما وقع لهم من الحروب وغيرها فخاف غائلة ذلك، وذلك من كمال فضله.

٤١٧٢ - عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مبينا} قال: الحدَيبية، قال أصحابه: هَنيئاً مَرِيئاً، فما لنا؟ فأنزلَ اللَّهُ {لِيُدخلَ المؤمنينَ والمؤمناتِ جَنات تجري من تحتِها الأنهار}، قال شعبةُ: فقَدِمتُ الكوفة فحدَّثتُ بهذا كله عن قَتادة، ثُمَّ رجَعَتْ فذكَرَتُ لهُ، فَقَالَ: أمَّا {إِنَّا فَتَحْنَا لكَ} فعن أنس، وأمَّا «هَنيئاً مَرِيئاً» فعن عِكرمة.

[الحديث ٤١٧٢- طرفه في: ٤٣٨٤]

٤١٧٣ - عَنْ مَجْزَأَةَ بن زاهر الأَسْلَميِّ عَنْ أَبِيهِ - وكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ الشَّجَرَةَ - قالَ: «إِنِّي لأُوقد تَحْتَ القِدْرِ بلحوم الحُمر، إذ نادَى مُنادِي رسولِ اللَّه ﷺ: إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَنهاكم عن لحومِ الحمر».

٤١٧٤ - وَعَنْ مَجْزَأَةَ عن رجل منهم من أصحابِ الشجرةِ اسمهُ أهبانُ بن أوسٍ، وكان اشتكى ركبَته، وكانَ إذَا سَجَدَ جَعَلَ تَحْتَ ركبتهِ وسادة».

٤١٧٥ - عَنْ سُوَيد بن النُّعمان وكان من أصحابِ الشجرة قال: «كان رسولُ اللَّه ﷺ وأصحابه أُتُوا بسَوِيقٍ فلاكوه».

٤١٧٦ - عَنْ أَبِي جَمرةَ قال: «سألت عائذَ بن عمروٍ رضيَ اللَّه عَنْهُ وكانَ من أصحاب النبيِّ ﷺ من أصحاب الشجرة: هل يُنقض الوترُ؟ قال: إذا أوترتَ من أوّله فلا توتِر من آخرِه».

قوله (هل ينقض الوتر) يعني إذا أوتر المرء ثم نام وأراد أن يتطوع هل يصلي ركعة ليصير الوتر شفعا ثم يتطوع ما شاء ثم يوتر محافظة على قوله «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا» أو يصلي تطوعا ما شاء ولا ينقض وتره ويكتفي بالذي تقدم؟ فأجاب باختيار الصفة الثانية فقال: (اذا أوترت من أوله فلا توتر من آخره)، وهذه المسألة اختلف فيها السلف فكان ابن عمر ممن يرى نقض الوتر، والصحيح عند الشافعية أنه لا ينقض كما في حديث الباب، وهو قول المالكية.

٤١٧٧ - عَنْ زَيْدِ بن أسلم عَنْ أبيه «أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يسيرُ في بعض أسفارهِ

(١) رواية الباب "ما أحدثنا" بدون الهاء.

-وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا- فسألهُ عمر بن الخطاب عَنْ شيء فلم يُجبه رسولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ سألَهُ فَلَمْ يُجبه، وقالَ عمر بن الخطاب ثكلتك أمُك يا عمر، نَزَرتَ رسول الله ﷺ ثلاثَ مراتٍ كل ذلكَ لا يجيبك، قال عمرُ: فحركت بعيري ثمَّ تقدَّمتُ أمامَ المسلمين، وخَشيتُ أن ينزل فيَّ قرآن، فما نَشبتُ أن سمعتُ صارخاً يصرخُ بي، قال فقلت: لقد خَشيت أن يكونَ نزل فيَّ قرآن، وجئت رسولَ الله ﷺ فسلمت عليه، فقالَ: لَقَدْ أنزلتْ عليَّ الليلة سورةٌ لهي أحبُّ إليَّ مما طَلَعتَ عليه الشمس، ثم قرأ {إنَّا فَتَحنا لك فتحاً مبينا}

[الحديث ٤١٧٧ -طرفاه في: ٤٨٣٣، ٥٠١٢]

سيأتي شرح المتن في تفسير سورة الفتح[١] إن شاء الله تعالى.

قوله (نزرت) اي ألححت.

٤١٧٨، ٤١٧٩ ـ عَنِ المِسوَر بن مَخرمة ومروان بن الحكم -يزيد أحدهما على صاحبه- قالا: «خرجَ النبيُّ ﷺ عام الحدَيبية في بضعِ عشرةَ مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحُليفة قلد الهدي وأشعرَه، وأحرَمَ منها بعمرةٍ، وبَعث عيناً لهُ من خُزاعة، وسار النبيُّ ﷺ حتّى كانَ بغَدير الأشطاط أتاهُ عينهُ قال: إن قريشًا جمعوا لك جموعاً، وقد جَمعوا لكَ الأحابيشَ، وهم مُقاتلوك وصادُّوك عن البيتِ ومانعوك، فقال: أشيروا أيُّها الناس عليَّ أترَونَ أن أميلَ إلى عيالهم وذراريِّ هؤلاء الذين يريدونَ أن يَصدُّونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عزوجل قد قطعَ عيناً من المشركين، وإلا تركناهُمْ مَحروبين، قال أبو بكر: يا رسول الله خرجتَ عامداً لهذا البيت لا تريدُ قتل أحدٍ ولا حربَ أحدٍ، فتوجهْ له، فمن صدَّنا عنه قاتلناه، قال: امْضوا على اسم الله».

٤١٨٠، ٤١٨١ ـ عن عروة بن الزبير أنه سمع مَروانَ بن الحكم والمِسْوَر بن مَخرمة يُخبران خبراً من خبرِ رسول الله ﷺ في عمرةِ الحُديبية، فكان فيما أخبرَني عروةُ عنهما أنه «لما كاتبَ رسولُ الله ﷺ سُهيلَ بن عمروٍ يومَ الحُديبية على قَضيةِ المدَّة وكان فيما اشترطَ سُهيل بن عمروٍ أنه قالَ: لا يأتيكَ منّا أحدٌ وإن كان على دينكَ إلا رَدَدْتَهُ إلينا وخَلّيتَ بينَنا وبينَه، وأبى سُهيل أن يُقاضيَ رسولَ الله ﷺ إلا عَلَى ذلكَ، فكَرِهَ المؤمنون ذلك وامَّعضوا فتكلموا فيه، فلمَّا أبى سُهيل أن يقاضَي رسولَ اللهِ ﷺ إلا عَلَى ذلكَ كاتَبَهُ رسولُ الله ﷺ، فردَّ رسولُ الله ﷺ أبا جَندلَ بن سُهيلٍ يومئذٍ إلى أبيه سهيلِ بن عمروٍ، ولم يأت رسولَ اللهِ ﷺ أحدٌ من الرِّجال إلا ردَّهُ في تلك المدَّة وإن كان مسلماً، وجاءَتِ المؤمناتُ مُهاجراتٍ، فكانت أمُّ كلثومٍ بنتُ عُقبة بن أبي مُعَيط ممن خَرَجَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وَهِيَ عاتق، فجاءَ أهلُها يَسألون رسولَ الله ﷺ أن يَرجِعَها إليهم، حتّى أنزل الله تعالى

---

(١) كتاب التفسير "الفتح" باب / ١ ح ٤٨٣٣ - ٣ / ٦٨٥.

في المؤمنات ما أنزل».

قوله (وامّعضوا) وفي رواية الكشميهني «وامتعضوا» والمعنى شق عليهم.

قوله (ولم يأت رسول الله ﷺ أحد من الرجال إلا رده) أي إلى المشركين في تلك المدة وإن كان مسلما.

قوله (فكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ) أي من مكة إلى المدينة مهاجرة مسلمة، فقوله «وهي عاتق» أي بلغت واستحقت التزويج ولم تدخل في السن، وقيل هي الشابة، وقيل فوق المعصر، وقيل استحقت التخدير، وقيل بين البالغ والعانس، وتقدم بسط ذلك في كتاب العيدين(١).

قوله (حتى أنزل الله في المؤمنات ما أنزل) أي من استثنائهن من مقتضى الصلح على رد من جاء منهم مسلما، وسيأتي بيان ذلك مشروحا في أواخر كتاب النكاح إن شاء الله تعالى.

٤١٨٢ ـ عن عروة بن الزبير أن عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النبيِّ ﷺ قالت: «إن رسولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَمتحنُ من هاجرَ من المؤمناتِ بهذه الآية {يا أيُّها النبيُّ إذا جاءكَ المؤمنات يُبايعنكَ} /١٢ الممتحنة/، وعن عمهِ قالَ: «بَلَغَنا حين أمر الله رسولَهُ ﷺ أن يَرُدَّ إلى المشركينَ ما أنفقوا على من هاجرَ من أزواجهم، وبَلغَنا أنَّ أبَا بَصيرٍ ... فذكرهُ بطولهِ».

٤١٨٣ ـ عَنْ نافعٍ أن عَبْدَ اللهِ بنِ عمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا خرجَ مُعتمراً في الفتنة فقال: إن صُددتُ عنِ البيت صَنعنا كما صَنَعنا مع رسولِ اللهِ ﷺ، فأهلَّ بعُمرةٍ من أجل أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ أهلَّ بعُمرة عامَ الحُديبيةِ».

٤١٨٤ ـ عَنِ ابنِ عمرَ أنه أهلَّ وقال: إن حِيلَ بيني وبينه فعلت كما فعلَ النبيُّ ﷺ حين حالَتْ كفّارُ قريشٍ بينَه، وتلا /٢١ الأحزاب/ {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رسولِ اللهِ ﷺ أُسوةٌ حسنة}،

٤١٨٥ ـ عَنْ نَافعٍ «أنَّ بعض بني عبد اللهِ قال له: لو أقمتَ العامَ، فإني أخافُ أن لا تَصِلَ إلى البيت، قالَ: خرَجْنا معَ النبيِّ ﷺ، فحال كفّار قريشٍ دُونَ البيت، فنحر النبيُّ ﷺ هَداياه وحَلقَ وقَصَّرَ أصحابه وقال: أشهِدكم أني أوجَبْتُ عمرةً فإن خُلّيَ بيني وبينَ البيت طُفتُ، وإن حِيلَ بيني وبينَ البيت صَنَعتُ كمَا صَنَعَ رسولُ اللهِ ﷺ، فَسَارَ سَاعةً ثم قالَ: ما أرى شأنَهما إلاّ واحداً، أشهِدكم أني قد أوجَبت حَجةً مع عمرتي، فطاف طوافاً واحداً وسَعياً واحدا حتى حلَّ منهما جميعًا».

(١) كتاب العيدين باب / ٢١ ح ٩٨١ - ١ / ٥١٣

٤١٨٦ - عَنْ نَافعٍ قالَ: «إنَّ الناسَ يتحدَّثون أنَّ ابنَ عمر أسلم قبلَ عمر، ولَيْسَ كذلكَ، ولكنْ عمرُ يومَ الْحُديبيةِ أرسل عبد الله إلى فرسٍ لهُ عند رجلٍ من الأنصار يأتي بهِ ليقاتل عَليه -ورَسولُ الله ﷺ يُبايعُ عندَ الشجرة، وعمرُ لا يدري بذلك- فبايَعَهُ عبدُ الله، ثُمَّ ذهب إلى الفرسَ فجاء به إلى عمرَ وعمرُ يَسْتَلئِمُ للقتال، فأخبرهَ أنَّ رسولَ الله ﷺ يُبايع تحتَ الشجرة قال فانطلق فذهب معه حتّى بايع رسولَ الله ﷺ، فهيَ التي يتحدَّثُ الناسُ أن ابنَ عمر أسلم قبلَ عمَر».

٤١٨٧ - عن ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُمَا «أنَّ الناسَ كانوا معَ النبيَّ يومَ الْحديبيةَ تَفرَّقوا في ظِلالِ الشجر، فإذا الناس مُحدقونَ بالنبيِّ ﷺ فقال ياعبدَ الله، انظرْ ماشأن الناس قد أحدَقوا برسولِ الله (ﷺ) فوجَدَهمْ يُبايعونَ فبايَعَ ثم رجَعَ إلي عمرَ فخرج فبايع»

قوله (وعمر يستلئم للقتال) أي يلبس اللأمة بالهمز وهي السلاح.

قوله (فاذا الناس محدقون بالنبي ﷺ) أي محيطون به ناظرون إليه بأحداقهم.

قوله (فقال: يا عبد الله) القائل يا عبد الله هو عمر.

٤١٨٨ - عن عَبْدِ الله بن أبي أوفَى رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «كُنَّا معَ النبيِّ ﷺ حينَ اعتمر فطافَ فطفنا معه، وصلَّى وصلَّيْنَا مَعَهُ، وسَعَى بَيْنَ الصفا والمروة، فكُنَّا نستره من أهل مكةَ لا يصيبه أحد بشيء».

٤١٨٩ - عن أبي حَصينٍ قال: قال أبو وائلٍ: «لما قَدِمَ سهلُ بن حُنَيف من صِفِّين أتَيناهُ نَستخبِرُه فقالَ: اتهِموا الرأيَ، فلقد رأيتُني يوم أبي جَندل ولو أستطيع أن أرُدَّ على رسولِ الله ﷺ أمرَه لردَدت، والله ورسولهُ أعلم، وما وَضَعنا أسيافنا على عواتقنا لأمرٍ يُفظعُنا إلاّ أسهلْنَ بنا إلى أمرٍ نَعرِفه، قبلَ هذا الأمر: ما نَسُدُّ منها خُصْمًا إلا تَفَجَّر علينا خُصمٌ ماندري كيف نأتي له».

٤١٩٠ - عنِ كعب بنِ عجرةَ رضيَ الله عنهُ قالَ: «أتى عليَّ النبيُّ ﷺ زمنَ الحدَيبيةِ والقملُ يَتَناثرُ على وجهي فقال: أيؤذيكَ هوامُّ رأسِك؟ قلت: نعم، قال فاحلق وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مَساكينَ، أوِ انسكْ نسيكةً. قال أيوب: لا أدري بأيِّ هذا بدأ».

٤١٩١ - عَنْ كعبِ بن عجرةَ قال: «كنَّا مع رسولِ الله ﷺ بالحديبية ونحن محرمون، وقد حَصرَنا المشركون، قال: وكانت لي وفرة فجعلَتِ الهوامُّ تسَّاقط على وجهي، فمر بي النبيُّ ﷺ فقالَ: أيؤذيكَ هوامُّ رأسِك؟ قلت: نعم، وأنزلَتْ هذه الآية /١٩٦ البقرة/: {فمن كانَ منكم مريضاً أو بهِ أذىً من رأسهِ ففِدْيةٌ من صيامٍ أو صدَقَة أو نسُك}.

قوله (لا يصيبه أحد بشيء) أي لئلا يصيبه، وهذا كان في عمرة القضاء وقد تقدم أن عبد الله بن أبي أوفى كان ممن بايع تحت الشجرة وهو في عمرة الحديبية، وكل من شهد

الحديبية وعاش إلى السنة المقبلة خرج مع النبي ﷺ معتمرا في عمرة القضاء، وقد تقدم هذا الحديث في آخر الجهاد.

٣٦ ـ باب قصة عُكلٍ وعُرَينة

٤١٩٢ ـ عن قتادةَ أنَّ أنساً رضِيَ اللهُ عَنْهُ حَدَّثهم أنَّ ناساً من عُكلٍ وعُرَينةَ قَدِموا المدينةَ على النبيِّ ﷺ وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يا نبيَّ الله إنَّا كنَّا أهلَ ضَرْعٍ ولم نكن أهلَ رِيف، واستوخَموا المدينةَ، فأمرَ لهم رسول الله ﷺ بذَودٍ وراعٍ، وأمرَهم أن يَخرُجوا فيه فيشربَوا من ألبانها وأبوالها، فانطلَقوا، حتَّى إذَا كَانُوا نَاحِيةَ الحَرَّةِ كفروا بعدَ إسلامهم، وقتلوا راعيَ النبيِّ، واستاقوا الذَّودَ، فبلغَ النبيَّ ﷺ فَبَعَثَ الطلبَ في آثارهم، فأمرَ بهم فسمَروا أعيُنَهم وقَطعوا أيديَهم، وتُركوا في ناحية الحرَّةِ حتى ماتوا على حالهم».

قال قَتادة: «بَلَغَنا أن النبيَّ ﷺ بعدَ ذلك كان يَحُثُّ على الصدَقةِ وينهى عنِ المُثْلةِ».

٤١٩٣ ـ عن أبي رجاء مولى أبي قِلابة أن عمر بن عبدِ العزيز استشارَ الناس يوماً قال: ماتقولون في هذه القسامة؟ فقالوا: حقٌّ، قضى بها رسول الله ﷺ، وقضت بها الخلفاء قبلك، قال: وأبو قِلابة خلفَ سريَرِه: فقال عنبسة بن سعيدٍ: فأينَ حديث أنسٍ في العُرنيين؟ قال أبو قلابة: إيّاي حدثه أنس بن مالكٍ».

قوله (^(١)وبلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة).

سيأتي شرح المثلة في الذبائح^(٢)إن شاء الله تعالى.

٣٧ ـ باب غزوةُ ذات القَرَد

وهي الغزوةُ التي أغاروا على لِقاحِ النبيِّ ﷺ قبلَ خَيبر بثلاث

٤١٩٤ ـ عن سلمةَ بن الأكوعِ يقول «خَرجتُ قبل أن يُؤَذَّنَ بالأولى، وكانت لِقاحُ رسول الله ﷺ تَرعى بذي قَرد، قال: فلقِيَني غلامٌ لعبدِ الرحمن بن عوفٍ فقال: أخذَت لِقاحُ رسول الله ﷺ، قلتُ: من أخذها؟ قال: غطفَان، قال فصرختُ ثلاثَ صرخات: يَا صبَاحاه، قال فأسمعتُ ما بين لابتيِ المدنية، ثم اندفَعتُ على وَجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يَستقونَ من الماء، فجعلت أرمِيهم بنبلي - وكنتُ رامياً - وأقول: أنا ابن الأكوع، اليومَ يومُ الرُّضَّع، وأرتجز حتى استنقذت اللّقاح منهم، واستَلَبْت منهم ثلاثين بُردةً، قال: وجاء النبيِّ ﷺ والناسُ، فقلت: يا نبيَّ الله، قد حَميتُ القومَ الماء وهم عطاش، فابعث اليهمُ الساعة، فقال: يا ابن الأكوع، مَلكتَ فأسْجِحْ، قال: ثم رجَعنا، ويُردِفني رسولُ الله ﷺ على ناقتهِ حتى دخَلنا المدينة».

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون حرف العطف.

(٢) كتاب الذبائح باب / ٢٥ ح ٥٥١٥ - ٤ / ٢٥٣

قال القرطبي شارح مسلم في الكلام على حديث سلمة بن الأكوع: لا يختلف أهل السير أن غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية، فيكون ماوقع في حديث سلمة من وهم بعض الرواة، قال: ويحتمل أن يجمع بأن يقال: يحتمل أن يكون النبي ﷺ كان أغزى سرية فيهم سلمة بن الأكوع الى خيبر قبل فتحها، فأخبر سلمة عن نفسه وعمن خرج معه يعني حيث قال: «خرجنا إلى خيبر» قال: ويؤيده أن ابن إسحق ذكر أن النبي ﷺ أغزى إليها عبد الله بن رواحة قبل فتحها مرتين انتهى، وسياق الحديث يأبى هذا الجمع، فإن فيه بعد قوله «حين خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ، فجعل عمر يرتجز بالقول» وفيه قول النبي ﷺ «من السائق» وفيه مبارزة علي لمرحب وقتل عامر وغير ذلك مما وقع في غزوة خيبر حين خرج إليها النبي ﷺ، فعلى هذا ما في الصحيح من التاريخ لغزوة ذي قرد أصح مما ذكره أهل السير.

قوله (وكانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد) اللقاح ذوات الدر من الإبل واللقوح الحلوب، وذكر ابن سعد أنها كانت عشرين لقحة، قال: وكان فيهم ابن أبي ذر و امرأته فأغار المشركون عليهم فقتلوا الرجل وأسروا المرأة.

قوله (فأسمعت ما بين لابتي المدينة) فيه إشعار بأنه كان واسع الصوت جدا، ويحتمل ان يكون ذلك من خوارق العادات، ولمسلم «فعلوت أكمة فاستقبلت المدينة فناديت ثلاثا» وللطبراني «فصعدت في سلع ثم صحت: يا صباحاه، فانتهى صياحي إلى النبي ﷺ، فنودي في الناس الفزع الفزع»، وهو عند إسحق بمعناه،

قوله (يا صباحاه[1]) هي كلمة تقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه،

قوله (ثم اندفعت على وجهي) أي لم ألتفت يمينا ولا شمالا بل أسرعت الجري، وكان شديد العدو كما سيأتي بيانه في آخر الحديث.

قوله (وأقول: أنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرضع) جمع راضع وهو اللئيم، فمعناه اليوم يوم اللئام اي اليوم يوم هلاك اللئام، والأصل فيه أن شخصا كان شديد البخل، فكان إذا أراد حلب ناقته ارتضع من ثديها لئلا يحلبها فيسمع جيرانه أو من يمر به صوت الحلب فيطلبون منه اللبن.

قوله (وجاء النبي ﷺ والناس) في رواية مسلم «وأتاني عمي عامر بن الأكوع بسطيحة فيها ماء وسطيحة فيها لبن، فتوضأت وشربت» ثم أتيت النبي ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه، فإذا هو قد أخذ كل شيء استنقذته منهم، ونحر له بلال ناقته.

قوله (قد حميت القوم الماء) أي منعتهم من الشرب.

(١) في الباب واليونينة ... "ياصباحاه" مصدقه على "فأسمعت".

قوله (فابعث إليهم الساعة) في رواية مسلم «فقلت يا رسول الله خلني أنتخب من القوم مائة رجل فأتبعهم فلا يبقي منهم مخبر، قال: فضحك» وعند ابن إسحق «فقلت: يارسول الله لو سرحتني في مائة رجل لأخذت بأعناق القوم».

قوله (فقال يا ابن الأكوع ملكت فأسجح) والمعنى قدرت فاعف، والسجاحة السهولة.

قوله (ثم رجعنا) إلى المدينة (ويردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة) في رواية مسلم «ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء» وذكر قصة الأنصاري الذي سابقه فسبقه سلمة، قال: «فسبقت إلى المدينة، فو الله مالبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر -وفيه- فقال رسول الله ﷺ: خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا اليوم سلمة، قال سلمة ثم أعطاني سهم الراجل والفارس جميعا».

وفي الحديث جواز العدو الشديد في الغزو، والإنذار بالصياح العالي، وتعريف الإنسان نفسه إذا كان شجاعا ليرعب خصمه، واستحباب الثناء على الشجاع ومن فيه فضيلة لا سيما عند الصنع الجميل ليستزيد من ذلك ومحله حيث يؤمن الافتتان، وفيه المسابقة على الأقدام ولا خلاف في جوازه بغير عوض، وأما بالعوض فالصحيح لا يصح، والله أعلم.

٣٨ ـ باب غزوةِ خَيبرَ

٤١٩٥ ـ عن بُشيرِ بن يَسارٍ أنَّ سُوَيدَ بن النعمان أخبرَهُ «أنه خرجَ مع النبيِّ ﷺ عام خَيبرَ حتى إذا كنّا بالصَّهْباء -وهي من أدنى خيبرَ- صلّى العصرَ، ثم دَعا بالأزوادِ فلم يُؤتَ إلاّ بالسَّويق، فأمرَ به فثُرِّي، فأكلَ وأكلنا، ثُمَّ قام إلى المغربِ فمضمضَ ومضمَضْنا ثمَّ صلّى ولم يَتوضّأ».

٤١٩٦ ـ عن سلمةَ بن الأكوع رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «خَرجنا معَ النَّبيِّ ﷺ إلى خيبرَ، فسِرنا ليلاً، فقال رجلٌ من القوم لعامرٍ: ياعامر ألا تُسمِعُنا من هُنَيهاتِك؟ وكان عامرٌ رجلا شاعراً[1]، فنزَلَ يَحدو بالقَوم يقول:

اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتَدينا ولا تَصدَّقنا ولا صلَّينا

فاغفِر فِداءً لك ما اتقينا وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقينا

وَألقيَنْ سَكينةً علينا إنّا إذا صيحَ بنا أبَيْنَا

(١) رواية الباب واليونينية بدون حرف العطف.

وبالصيَّاحِ عَوَّلوا علينــا

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: مَن هذا السائق؟ قالوا: عامرُ بن الأكوع، قال: يَرحمهُ اللهُ، قال رجلٌ من القوم: وَجَبَت يا نبيَّ اللهِ، لولا أمتعْتَنا به، فأتينا خيبرَ فحاصرناهم، حتى أصابتنا مَخْمصةٌ شديدة، ثم إنَّ اللهَ تعالى فتحها عليهم، فلما أمسى الناسُ مساء اليوم الذي فُتِحتْ عليهم أوقدوا نِيراناً كثيرة، فقال النبيُّ ﷺ: ما هذهِ النيرانُ؟ على أيِّ شيء تُوقِدون؟ قالوا: على لحم، قال: على أيِّ لحم؟ قالوا: لحمُ حُمُرِ الإنسيةِ، قال النبيُّ ﷺ: اهريقوها واكسروها، فقال رجلٌ يا رسولَ اللهِ، أو نهرِيقها ونغسلها، قال: أوذاك، فلمَّا تَصافَّ القومُ كان سيفُ عامرٍ قَصيراً، فتناوَل به ساقَ يهوديٍّ ليضربَه، ويرجعُ ذبابُ سَيفِه فأصابَ عَينَ رُكبة عامر فمات منه، قال: فلما قفلوا قال سلمةُ: رآني رسولُ اللهِ ﷺ وهوَ آخذَ بيدي، قال: مالكَ؟ قلتُ له: فداك أبي وأمي، زعموا أن عامراً حَبِط عمله، قال النبيُّ ﷺ: كذَبَ من قاله، إنَّ لهُ لأجرَين -وجمع بي إصبعيه- إنه لجاهدٌ مجاهد، قلَّ عربيٌّ مشى بها مثله»، حدَّثنا قتيبة حدثنا حاتم قال: «نَشأَ بها».

قوله (باب غزوة خيبر) وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام.

قال ابن إسحق: خرج النبي ﷺ في بقية المحرم سنة سبع فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها في صفر، وروى يونس بن بكير في المغازي عن ابن إسحق في حديث المسور ومروان قالا: انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة فأعطاه الله فيها خيبر بقوله {وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه} يعني خيبر، فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم.

قوله (من هنيهاتك) والهنيهات جمع هنيهة وهي تصغير هنة[١].

قوله (وكان عامر رجلا شاعرا) قيل هذا يدل على أن الرجز من أقسام الشعر، لأن الذي قاله عامر حينئذ من الرجز، وسيأتي بسط ذلك في كتاب الأدب إن شاء الله تعالى.

قوله (اللهم لولا أنت ما اهتدينا) وقد تقدم في الجهاد[٢] من حديث البراء بن عازب وأنه من شعر عبد الله بن رواحة، فيحتمل أن يكون هو وعامر تواردا على ما تواردا منه،

---

(١) الهنة: مؤنث الهن والجمع هنات وهنوات، وفي الحديث: "ستكون هنات وهنات" : أي شرور وفساد.
(٢) كتاب الجهاد باب / ١٦١ ح ٣٠٣٤ - ٢ / ٦٤٥.

بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر، أو استعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة.

قوله (فاغفر فداء لك ما اتقينا) وقد استشكل هذا الكلام لأنه لا يقال في حق الله، إذ معنى فداء لك نفديك بأنفسنا وحذف متعلق الفداء للشهرة، وإنما يتصور الفداء لمن يجوز عليه الفناء، وأجيب عن ذلك بأنها كلمة لا يراد بها ظاهرها بل المراد بها المحبة والتعظيم مع قطع النظر عن ظاهر اللفظ، وقيل المخاطب بهذا الشعر النبي ﷺ، والمعنى لا تؤاخذنا بتقصيرنا في حقك ونصرك، وعلى هذا فقوله «اللهم» لم يقصد بها الدعاء، وإنما افتتح بها الكلام، والمخاطب بقول الشاعر «لولا أنت» النبي ﷺ الخ، ويعكر عليه قوله بعد ذلك.

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فإنه دعا الله تعالى ويحتمل أن يكون المعنى فاسأل ربك أن ينزل ويثبت والله أعلم.

قوله (إنا إذا صيح بنا أتينا) أي جئنا إذا دعينا إلى القتال أو إلى الحق.

قوله (وبالصياح عولوا علينا) أي قصدونا بالدعاء بالصوت العالي واستغاثوا علينا.

قوله (قال يرحمه الله) في رواية إياس بن سلمة «قال غفر لك ربك» قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، وبهذه الزيادة يظهر السر في قول الرجل «لولا أمتعتنا به».

قوله (قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به) اسم هذا الرجل عمر سماه مسلم في رواية إياس بن سلمة ولفظه «فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبي الله لولا أمتعتنا بعامر».

قوله (فأتينا خيبرا) أي أهل خيبر.

قوله (حتى أصابتنا مخمصة) أي مجاعة شديدة وسيأتي شرح قصة الحمر الأهلية في كتاب الذبائح إن شاء الله تعالى.

قوله (ويرجع ذباب سيفه) أي طرفه الأعلى وقيل حده.

قوله (فأصاب عين ركبة عامر) أي طرف ركبته الأعلى فمات منه.

قوله (زعموا أن عامرا حبط عمله) في رواية إياس «بطل عمل عامر قتل نفسه» وسمي من القائلين أسيد بن حضير، في رواية قتيبة الآتية في الأدب وعند ابن إسحق «فكان

المسلمون شكوا فيه وقالوا إنما قتله سلاحه».

قوله (كذب من قاله) أي أخطأ.

قوله (إن له أجرين[١]) في رواية ابن إسحق «إنه لشهيد، وصلى عليه».

قوله (قلَّ عربي مشى بها مثله) والضمير للأرض أو المدينة أو الحرب أو الخصلة.

٤١٩٧ ـ عَنْ أنسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أتى خيبرَ ليلاً -وكان إذا أتى قوماً بليلٍ لم يقربهم حتى يُصبح -فلما أصبحَ خرجَتِ اليهود بمساحِيهم وَمكاتِلهم، فلمَّا رأوهُ قالوا: محمدٌ واللهِ، محمد والخميس، فقال النبيُّ ﷺ خَرِبَت خيبرُ، إنا إذا نزَلنا بساحةِ قومٍ فساء صبَاحُ المنذَرين».

٤١٩٨ ـ عَنْ أنَسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «صَبَّحْنَا خَيْبَرَ بُكرةً، فخرجَ أهلُها بالمساحي، فلما بَصُروا بالنبيِّ ﷺ قالوا: محمدٌ واللهِ، محمدٌ والخميسُ، فقال النبيُّ ﷺ: اللهُ أكبرُ، خَرِبَت خيبرُ، إنَّا إذَا نزلنا بساحةِ قومٍ فساء صبَاحُ المنذَرين، فأصَبْنا من لحومِ الحمرِ، فنادي مُنادَى النبيِّ ﷺ: إنَّ اللهَ ورسولهُ يَنْهَيانكم عن لحوم الحمرِ، فإنها رِجس».

٤١٩٩ ـ عنْ أنَسِ بنِ مَالِكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ جاءَهُ جاءٍ فقالَ: أكلتِ الحمرُ، فسكت، ثم أتاهُ الثانيةَ فقال: أكلت الحمرُ فسكت، ثم أتاهُ الثالثة فقال: أفنيتِ الحمرُ، فأمر مُنادياً فنادَى في الناس: إنَّ اللهَ ورسولهُ يَنهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية، فأكفِئَتِ القُدور، وإنَّها لتَفور باللحم».

قوله (أتى خيبر ليلا) أي قرب منها.

قوله (بمساحيهم) وهي من آلات الحرث (ومكاتلهم) جمع مكتل وهو القفة الكبيرة التي يحول فيها التراب وغيره.

قوله (محمد والخميس) «والخميس» يعني الجيش.

قوله (خربت خيبر) زاد في الجهاد فرفع يديه وقال: «الله اكبر، خربت خيبر» قال السهيلي: يؤخذ من هذا الحديث التفاؤل، لأنه ﷺ لما رأى آلات الهدم أخذ منه أن مدينتهم ستخرب، انتهى، ويحتمل أن يكون قال: «خربت خيبر» بطريق الوحي، ويؤيده قوله بعد ذلك «إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

قوله (ينهيانكم) وهو دال على جواز جمع اسم الله مع غيره في ضمير واحد، فيرد به على من زعم أن قوله للخطيب «بئس خطيب القوم أنت» لكونه قال: «ومن يعصمها فقد

(١) رواية الباب واليونينية لأجرين.

غوى» وقد تقدمت الإشارة إلى مباحث ذلك في كتاب الصلاة.

٤٢٠٠ ـ عَنْ أَنَسٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «صَلَّى النبيّ ﷺ الصبحَ قريباً من خَيبرَ بغَلسٍ ثُمَّ قالَ: اللَّه أكبرُ، خَرِبت خيبرُ، إنَّا إذ نَزلنا بساحةِ قومٍ فساء صباحُ المنذَرين، فخرجوا يَسعون في السِّكك، فقتل النبيُّ ﷺ المقاتل، وسبى الذُّرِّية، وكان في السبي صفيةُ فصارت إلى دِحيةَ الكلبيِّ، ثم صارت إلى النبيِّ، فجعل عِتقها صَداقَها، فقال عبدُ العزيزِ بن صُهيبٍ لثابت يا أبا محمدٍ آنت قلت لأنسٍ: ما أصدَقها؟ فحرك ثابتٌ رأسَهُ تَصديقاً لهُ».

٤٢٠١ ـ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سَبى النبيُّ ﷺ صفيةَ فأعتقها وتزوَّجَها، فقال ثابت لأنسٍ: ما أصدقها؟ قالَ: أصدَقها نفسَها فأعتقها».

قوله (وكان في السبي صفية بنت حيي[١]فصارت إلى دحية، ثم صارت إلى النبي ﷺ في رواية عبد العزيز عن أنس «فجاء دحية فقال: أعطني يارسول اللّه جارية من السبي، قال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية، فجاء رجل فقال يا نبي الله أعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك، قال ادعوه بها، فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: خذ جارية من السبي غيرها» وعند ابن إسحق فلما استرجع النبي ﷺ صفية من دحية أعطاه بنت عمها، قال السهيلي: لا معارضة بين هذه الأخبار فإنه أخذها من دحية قبل القسم، والذي عوضه عنها ليس على سبيل البيع بل على سبيل النقل، قلت: وقع في رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عند مسلم أن صفية وقعت في سهم دحية، وعنده أيضا فيه «فاشتراها من دحية بسبعة أرؤس» فالأولى في طريق الجمع أن المراد بسهمه هنا نصيبه الذي اختاره لنفسه، وذلك أنه سأل النبي ﷺ أن يعطيه جارية فأذن له أن يأخذ جارية فأخذ صفية، فلما قيل للنبي ﷺ إنها بنت ملك من ملوكهم ظهر له انها ليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان في الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاص النبي ﷺ بها، فان في ذلك رضا الجميع، وليس ذلك من الرجوع في الهبة من شيء، وأما إطلاق الشراء على العوض فعلى سبيل المجاز، ولعله عوضه عنها بنت عمها أو بنت عم زوجها فلم تطب نفسه فأعطاه من جملة السبي زيادة على ذلك.

ويأتي الكلام على قوله في الحديث «وجعل عتقها صداقها» في كتاب النكاح[٢]إن شاء اللّه تعالى.

(١) رواية الباب واليونينية بدون "بنت حيي".
(٢) كتاب النكاح باب / ١٣ ح ٥٠٨٦ - ٤ / ٤٥.

٤٢٠٥ - عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «لمَّا غزَا رسولُ اللهِ ﷺ خيبرَ -أو قال: لما توجَّهَ رسولُ اللهِ ﷺ - أشرف الناسُ على وادٍ فرفَعوا أصواتَهم بالتكبير، اللهُ أكبر، اللهُ أكبر، لا إله إلاَّ اللهُ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ اربعوا عَلَى أنفسِكُمْ، إنكُمْ لا تدعونَ أصمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم، وأنا خَلْفَ دابةِ رسولِ اللهِ ﷺ، فسمعني وأنا أقول: لا حَولَ ولاَقوةَ إلا باللهِ، فقالَ لِي: يَا عبدَ اللهِ بن قيس، قلتُ: لبيكَ رسول اللهِ، قال: ألا أدُلُّكَ على كلمةٍ من كنزٍ من كنوزِ الجنة؟ قلتُ: بلى يارسول اللهِ، فداك أبي وأمي، قال: لا حَولَ ولا قوةَ إلاَّ باللهِ».

قوله (أشرف الناس على واد -فذكر الحديث إلى قول أبي موسى- فسمعنى وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله) هذا السياق يوهم أن ذلك وقع وهم ذاهبون إلى خيبر، وليس كذلك بل إنما وقع ذلك حال رجوعهم، لأن أبا موسى إنما قدم بعد فتح خيبر مع جعفر كما سيأتي في الباب من حديثه واضحا، وعلى هذ ففي السياق حذف تقديره: لما توجه النبي ﷺ إلى خيبر فحاصرها ففتحها ففرغ فرجع أشرف الناس الخ، وسيأتي شرح المتن في كتاب الدعوات(١) إن شاء الله تعالى.

٤٢٠٢ - عَنْ سَهل بن سعدٍ الساعديِّ رضيَ اللهُ عنه «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ التقى هو والمشركونَ فاقتتَلوا، فلما مالَ رسولُ اللهِ إلى عسكره ومالَ الآخرون إلى عسكرهم - وفي أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ رجلٌ لا يَدَعُ لهم شاذَّةً ولا فاذَّةً إلاَّ اتبعها يَضربها بسيفهِ، فقيل: ما أجزأَ منَّا اليومَ أحدٌ كما أجزأَ فلان، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أما إنه من أهلِ النار، فقال رجلٌ من القوم: أنا صاحبه، قال فخرَجَ معه كلما وقفَ وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال فجُرِحَ الرجلُ جُرحاً شديداً، فاستعجَلَ الموت، فوضع سَيْفَهُ بالأرض وذُبابَهُ بين ثَدْيَيه؛ ثم تحامَل على سيفهِ فقتل نفسه، فخرجَ الرجل إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: أشهدُ أنك رسولُ اللهِ، قال: وما ذاك؟ قالَ: الرجلُ الذي ذكرتَ آنفاً أنَّهُ من أهلِ النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكُمْ بِهِ، فَخَرَجتُ في طلبهِ، ثم جُرِحَ جُرحاً شديداً فاستعجلَ الموتَ، فوضع نصلَ سَيْفَهُ في الأرض وذُبابَهُ بين ثدييْه، ثم تحاملَ عليهِ فقتل نفسَه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ عند ذلك: إن الرجُلَ ليعملُ عَملَ أهلِ الجنةِ فيما يَبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعملَ عمل أهلِ النار فيما يبدو للناس، وهو من أهلِ الجنة».

٤٢٠٣ - عَنْ أبي هُرَيرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «شَهِدنَا خَيْبَرَ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ لرجُلٍ ممن معهُ يدَّعى الإسلامَ: هذا من أهل النار، فلما حضرَ القتالُ قاتل الرجلُ أشدَّ القتالِ حتى كثرت بهِ الجراحة، فكادَ بعضُ الناس يرتابُ، فوجد الرجلُ ألم الجراحةِ، فأهوَى بيده

(١) كتاب الدعوات باب / ٥٠ ح ٦٣٨٤ - ٥ / ٦٠٢

إلى كنانته فاستخرَج منها أسهُما فنحرَ بها نفسَه، فاشتدَّ رجالٌ من المسلمين فقالوا: يارسول اللَّه، صدَّقَ اللَّه حديثَك، انتحر فلان فقتل نفسَه، قال: قم يافلانُ فأذِّنْ أنه لا يدخُلُ الجنةَ إلاَّ مُؤمن، إن اللَّه يؤيِّدُ الدِّينَ بالرجل الفاجر».

٤٢٠٤ ـ عَنْ أبي هُريرَةَ قالَ: «شهدنَا مَعَ النَّبيِّ ﷺ حَنينا».

قوله (فلما مال رسول اللَّه ﷺ إلى عسكره) أي رجع بعد فراغ القتال في ذلك اليوم

قوله (شاذَّةً ولا فاذَّةً) والمعنى أنه لا يلقى شيئاً إلا قتله، وقيل المراد بالشاذ والفاذ ما كبر وصغر، وقيل الشاذ الخارج والفاذ المنفرد.

قوله (وهو من أهل الجنة) زاد في حديث أكثم «تدركه الشقاوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها» وسيأتي شرح الكلام الأخير في كتاب القدر[1] إن شاء اللَّه تعالى، وفي الحديث إخباره ﷺ بالمغيبات، وذلك من معجزاته الظاهرة، وفيه جواز إعلام الرجل الصالح بفضيلة تكون فيه والجهر بها.

٤٢٠٦ ـ عَنْ يَزيد بنِ أبي عُبيدٍ قالَ: «رَأيتُ أثَر ضربةٍ في ساق سَلَمةَ فقلت: يا أبا مُسلمٍ، ماهذه الضربة؟ فقال: هذه ضَربةٌ أصابَتها يومَ خيبرَ، فقال الناسُ: أصيبَ سَلمة، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فنفثَ فيه ثلاثَ نَفَثات، فما اشتكيت حتى الساعة».

٤٢٠٧ ـ عَنْ سهلٍ قالَ: «التقى النبيُّ ﷺ والمشركون في بعض مَغازيه فاقتتلوا، فمال كلُّ قومٍ الى عسكرِهم، وفي المسلمينَ رجلٌ لا يدعُ من المشركينَ شاذَّةً ولا فاذَّةً إلاَّ اتَّبعها فضربَها بسيفه، فقيل: يارسولَ اللَّه، ما أجزَأَ أحدٌ ما أجزَأَ فلان، فقال: إنَّهُ من أهل النار، فقالوا: أيُّنا من أهلِ الجَنة إن كان هذا من أهلِ النار؟ فقال رجلٌ منَ القوم: لأتبعَنَّه، فإذا أسرعَ وأبطأَ كنتُ معه، حتَّى جُرحَ فاستعجلَ الموتَ، فوضعَ نصابَ سيفهِ بالأرض وذُبابهُ بين ثديَيه، ثم تحامَل عليهِ فقتلَ نفسه، فجاء الرجُلُ إلَى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: أشهدُ أنَّكَ رسولُ اللَّه، فقالَ: وَمَا ذَاكَ؟ فأخبرَهَ، فقالَ: إن الرجلَ ليعملُ بعملِ أهل الجنةِ فيما يبدو للناس، وإنَّهُ من أهل النار، ويعمَلُ بعملِ أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة».

٤٢٠٨ ـ عن أبي عمرانَ قالَ«نظر أنسُ إلى الناس يومَ الجمعةِ فرأى طيالسةً فقال: كأنهمُ الساعةَ يهودُ خيبرَ».

قوله (أصابتها يوم خيبر) أي أصابت ركبته.

قوله (فنفث فيه) أي في موضع الضربة، وقد تقدم أنه فوق النفخ ودون النقل.

قوله (فرأى طيالسة) أي عليهم، وفي رواية أن أنسا قال: «ما شبهت الناس اليوم في المسجد وكثرة الطيالسة إلا بيهود خيبر» والذي يظهر أن يهود خيبر كانوا يكثرون من لبس الطيالسة، وكان غيرهم من الناس الذين شاهدهم أنس لا يكثرون منها، فلما قدم البصرة رآهم يكثرون من لبس الطيالسة فشبههم بيهود خيبر، ولا يلزم من هذا كراهية لبس

(١) كتاب القدر باب / ٥ ح ٦٦٠٧ – ٥ / ١٠٢

الطيالسة، وقيل المراد بالطيالسة الأكسية وإنما أنكر ألوانها لأنها كانت صفراء.

٤٢٠٩ - عن سَلمة رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «كانَ عليٌّ رضيَ اللهُ عَنْهُ تخلَّفَ عنِ النبي ﷺ في خيبر، وكان رَمِداً، فقال: أنا أتخلَّفُ عن النبيِّ ﷺ؟ فلَحِقَ به، فلما بِتْنا الليلةَ التي فُتِحَت قال: لأُعطِيَنَّ الرايةَ غداً - أو ليَأخُذَنَّ الراية غداً - رجلٌ يُحبُّهُ الله ورسوله يُفتَح عليه، فنحنُ نرجوها، فقيل: هذا عليٌّ، فأعطاه، ففُتِحَ عليه».

٤٢١٠ - عَنْ سهلِ بنِ سعدٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: لأعطينَّ هذه الرايةَ غداً رجلاً يفتحُ اللهُ على يديه، يُحبُّ اللهَ ورسولَهُ ويحبُّه اللهُ ورسولُهُ، قال: فبات الناسُ يدوكون ليلتهم: أيُّهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسولِ الله ﷺ كلُّهم يَرجو أن يُعطاها، فقال: أينَ عليُّ بن أبي طالب؟ فقيل: هوَ يارسولَ الله يَشتكي عينَيه، قال فأرسَلوا إليه فأُتيَ به فبصقَ رسولُ الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأَ حتى كأنْ لم يكنْ به وَجعٌ، فأعطاهُ الرايةَ، فقال علي: يارسولَ الله، أقاتِلُهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: انفُذْ على رِسلك حتى تنزلَ بساحَتهم، ثمَّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبرْهم بما يَجبُ عليهم من حقِّ الله فيه، فو الله لأنْ يَهديَ الله بك رجُلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم».

قوله (فقال أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ؟ فلحق به) وكأنه أنكر على نفسه تأخره عن النبي ﷺ فقال ذلك، وقوله «فلحق به» يحتمل أن يكون لحق به قبل أن يصل إلى خيبر، ويحتمل أن يكون لحق به بعد أن وصل إليها.

قوله (لأعطين الراية غدا أو ليأخذن الراية غدا) وفي حديث بريدة (إني دافعٌ اللواء غداً إلى رجلٍ يحبه الله ورسوله) والراية بمعنى اللواء وهو العلم الذي في الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش، وقد يحمله أمير الجيش، وقد يدفعه لمقدم العسكر.

قوله (يحبه الله ورسوله) زاد في حديث سهل بن سعد «ويحب الله ورسوله» وفي رواية ابن إسحق «ليس بفرار» وفي حديث بريدة «لا يرجع حتى يفتح الله له».

قوله (فأعطاه ففتح عليه) في حديث سهل «فأعطاه الراية» وفي حديث أبي سعيد عند أحمد «فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها» وقد اختلف في فتح خيبر هل كان عنوة أو صلحا، وفي حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس التصريح بأنه كان عنوة وبه جزم ابن عبد البر، ورد على من قال فتحت صلحا قال: وإنما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما لحقن دمائهم، وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك إلا بحصار وقتال انتهى، والذي يظهر أن الشبهة في ذلك قول ابن عمر «أن النبي ﷺ قاتل أهل خيبر فغلب على النخل وألجأهم إلى القصر فصالحوه على أن يجلوا منها وله الصفراء والبيضاء والحلقة ولهم ما حملت ركابهم على أن لا يكتموا ولا يغيبوا» الحديث وفي آخره «فسبى نساءهم وذراريهم، وقسم أموالهم للنكث الذي نكثوا، وأراد أن يجليهم فقالوا: دعنا في هذه الأرض نصلحها».

قوله (حتى يكونوا مثلنا) أي حتى يسلموا.

قوله (ثم ادعهم إلى الإسلام)، واستدل بقوله «ادعهم» أن الدعوة شرط في جواز القتال، والخلاف في ذلك مشهور فقيل: يشترط مطلقا، وهو عن مالك سواء من بلغتهم الدعوة أو لم تبلغهم قال: إلا أن يعجلوا المسلمين، وقيل لا مطلقًا وعن الشافعي مثله، وعنه لايقاتل من لم تبلغه حتى يدعوهم وأما من بلغته فتجوز الإغارة عليهم بغير دعاء، وهو مقتضى الأحاديث، ويحمل ما في حديث سهل على الاستحباب، بدليل أن في حديث أنس أنه ﷺ أغار على أهل خيبر لمّا لم يسمع النداء، وكان ذلك أول ما طرقهم، وكانت قصة علي بعد ذلك، وعن الحنفية تجوز الإغارة عليهم مطلقا وتستحب الدعوة.

قوله (فوالله لأن يهدي الله بك رجلا الخ) يؤخذ منه أن تألف الكافر حتى يسلم أولى من المبادرة إلى قتله.

قوله (حُمْر النَّعم) وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها، وقيل تقتنيها وتملكها، وكانت مما تتفاخر العرب بها.

٤٢١١ ـ عنْ أنسِ بن مالكٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «قَدِمنا خيبرَ، فلمّا فتح اللّه عليهِ الحصن ذُكر له جمالُ صفيةَ بنت حُيَيٍّ بن أخْطَبَ، وقد قُتلَ زوجها، وكانت عروساً، فاصطفاها النبيُّ ﷺ لنفسه، فخرجَ بها، حتى بلغْنا سدَّ الصهباء حَلّت، فبنى بها رسولُ اللّه ﷺ، ثمَّ صنعَ حَيساً في نِطعٍ صغيرٍ، ثم قال لي: آذنْ من حولَكَ، فكانت تلك وَليمَتَهُ على صفية، ثم خَرجنا إلى المدينةِ، فرأيتُ النبيَّ ﷺ يُحوِّي لها وراءهُ بِعَباءةٍ، ثمَّ يَجلسُ عند بعيره فيَضَعُ ركبتَهُ، وتَضعُ صفيةُ رِجلَها على ركبتهِ حتى تركبَ».

٤٢١٢ ـ عَنْ حُميدٍ الطويل «سمعَ أنسَ بن مالكٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ أقامَ عَلَى صفيةَ بنتِ حُيي بطريقِ خيبرَ ثلاثة أيامٍ حتى أعرسَ بها، وكانت فيمن ضُربَ عليها الحجاب»،

٤٢١٣ ـ عَنْ أنَسٍ رضيَ اللّهُ عنْهُ قال: «أقامَ النبيُّ ﷺ بينَ خَيْبَرَ والْمدينةِ ثلاثَ ليالٍ يُبنى عليهِ بصفيةَ، فدعَوتُ المسلمينَ إلى وَليمتهِ، وما كان فيها من خبزٍ ولا لحم، وما كان فيها إلا أن أمرَ بلالاً بالأنطاع فبُسطت، فألقى عليها التمرَ والأقطَ والسمنَ، فقال المسلمون: إحدَى أمَّهات المؤمنين، أو ما مَلكَتْ يَمينه؟ قالوا: إن حَجبَها فهيَ إحدى أمهَّاتِ المؤمنين، وإن لم يَحجُبْها فهي مما ملكت يمينهُ، فلما ارتحلَ وَطأ لها خَلفَه، ومدَّ الحجاب».

قوله (فاصطفاها [١] لنفسه) روى أبو داود وأحمد وصححه

عن عائشة قالت: «كانت صفية من الصفي»، فسره محمد بن سيرين فيما أخرجه أبو

(١) رواية الباب واليونينية فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه.

داود بإسناد صحيح عنه قال: «كان يضرب للنبي ﷺ بسهم مع المسلمين، والصفي يؤخذ له رأس من الخمس قبل كل شيء».

ومن طريق قتادة «كان النبي ﷺ إذا غزا كان له سهم صاف يأخذه من حيث شاء، وكانت صفية من ذلك السهم» وقيل أن صفية كان اسمها قبل أن تسبى زينب، فلما صارت من الصفي سمّيت صفية.

قوله (حلت) أي طهرت من الحيض.

قوله (فبنى بها) يأتي بيان ذلك وشرح بقية الحديث فيما يتعلق بتزويج صفية في كتاب النكاح[1] إن شاء الله تعالى.

قوله (يحوى لها) أي يجعل لها حوية، وهي كساء محشوة تدار حول الراكب.

قوله (أقام على صفية بنت حيي بطريق خيبر ثلاثة أيام حتى أعرس بها) المراد أنه أقام في المنزلة التي أعرس بها فيها ثلاثة أيام، لا أنه سار ثلاثة أيام ثم أعرس.

٤٢١٤ ـ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ مُغفَّلٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «كُنَّا محاصري خيبرَ، فرمى إنسان بجرابٍ فيه شحم فنزَوتُ لآخذَهُ، فالتفتُّ، فإذا النبيُّ ﷺ فاستحيَيْتُ».

٤٢١٥ ـ عنِ ابن عمرَ رضيَ اللهُ عَنهُمَا «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى يومَ خيبرَ عن أكلِ الثُّوم وعن لحوم الحمرِ الأهلية».

٤٢١٦ ـ عَنْ عَليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى عن متعةِ النساءِ يومَ خيبرَ، وعن أكل لحومِ الحُمرِ الإنسية».

[الحديث ٤٢١٦ - أطرافه في: ٥١١٥، ٥٥٢٣، ٦٩٦١]

٤٢١٧ ـ عَن ابنِ عمَرَ «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى يومَ خيبرَ عن لحوم الحمر الأهلية».

٤٢١٨ ـ عنِ ابن عمرَ رضِيَ اللهُ عَنهُمَا قالَ: «نَهَى النبي ﷺ عن أكل لحوم الحمر الأهلية»

٤٢١٩ ـ عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنهُمَا قالَ: «نَهَى رسولُ اللهِ ﷺ يومَ خيبرَ عن لحوم الحُمر، ورَخَّص في الخيل».

[الحديث ٤٢١٩ - طرفاه في: ٥٥٢٠، ٥٥٢٤]

٤٢٢٠ ـ عنِ ابنِ أبِي أوفي رضِيَ اللهُ عَنهُمَا «أصابَتْنَا مَجاعةٌ يوم خيبرَ، فإنَّ القدورَ لَتغلِي - قال: وبعضُها نَضِجت - فجاء مُنادِي النبيِّ ﷺ: لا تأكلوا من لحوم الحمر شيئًا وأهرِيقوها، قال ابنُ أبي أوفى: فتحدَّثنا أنه إنما نهى عنها لأنها لم تُخمَّس، وقال بعضهم: نهى عنها البتَّةَ لأنَّها كانت تأكلُ العَذرة».

٤٢٢١، ٤٢٢٢ ـ عَنِ البراء وعَبْدِ اللهِ بنِ أبِي أوفى رضيَ اللهُ عنهُمْ «أنَّهُمْ كانُوا

(١) كتاب النكاح باب / ١٣ ح ٥٠٨٦ - ٤ / ٤٥.

مَعَ النبيِّ ﷺ فأصابُوا حُمراً فطبخوها، فنادَى مُنادِي النبيِّ ﷺ: أكفِئوا القُدور».
[الحديث ٤٢٢١ - أطرافه في: ٤٢٢٣، ٤٢٢٥، ٤٢٢٦، ٥٥٢٥]

٤٢٢٣، ٤٢٢٤ - عن البراءِ وابنِ أبي أوفى رضيَ اللّهُ عنهم يُحدِّثان عنِ النبيِّ ﷺ «أنَّهُ قالَ يومَ خَيْبَرَ -وقد نصبوا القُدُورَ-: أكفئوا القُدُورَ».

٤٢٢٥ - عنِ البراءِ قالَ: «غَزَونا معَ النبيِّ ﷺ، نحوه».

٤٢٢٦ - عن البراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قالَ: «أمرَنا النبيُّ ﷺ في غزوةِ خيبرَ أن نُلقِيَ الحُمُرَ الأهليّةَ نِيئةً ونَضيجةً، ثم لم يأمُرنا بأكله بعدُ».

٤٢٢٧ - عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قالَ: «لا أدرِي أنهى عنهُ رسولُ اللّه ﷺ من أجل أنَّهُ كانَ حَمُولةَ الناسِ، فكَرِهَ أن تذهَبَ حَمُولَتُهم، أو حَرَّمَهُ في يوم خيبرَ لحم الحمر الأهلية».

قوله (عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية) قيل إن في الحديث تقديما وتأخيرا والصواب: نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الإنسية وعن متعة النساء، وليس يوم خيبر ظرفا لمتعة النساء لأنه لم يقع في غزوة خيبر تمتع بالنساء، وسيأتي بسط ذلك في مكانه من كتاب النكاح[1] إن شاء الله تعالى.

قوله (وقال بعضهم: نهى عنها البتة لأنها كانت تأكل العذرة) سيأتي شرح ذلك في كتاب الذبائح[2] إن شاء الله تعالى.

قوله فيها (أنه قال يوم خيبر وقد نصبوا القدور: أكفئوا القدور) أي أميلوها ليراق ما فيها.

قوله (ثم لم يأمرنا بأكله بعد) فيه إشارة إلى استمرار تحريمه وسيأتي بسط ذلك في كتاب الذبائح إن شاء الله تعالى.

٤٢٢٨ - عَنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قالَ: «قَسَمَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَومَ خَيْبَرَ للفرسَ سهمين، وللراجل سَهماً» قال: فسَّرَهُ نافعٌ فقال إذا كان مع الرجل فرسٌ فلهُ ثلاثة أسهم، فإن لم يكن له فرسٌ فلهُ سهم.

٤٢٢٩ - عن جُبير بن مُطعمٍ قالَ: «مَشَيتُ أنا وعثمانُ بن عفَّانَ إلى النبيِّ ﷺ فقلنا: أعطيتَ بني المطلب من خُمسِ خيبرَ وتركتنا، ونحنُ بمنزلةٍ واحدة منك، فقال: إنما بنو هاشمٍ وبنو المطلب شيءٌ واحد، قال جُبير: ولم يَقسم النبيُّ ﷺ لبني عبدِ شمسٍ وبني نوفلٍ شيئاً».

٤٢٣٠ - عَنْ أبي مُوسى رضيَ اللّهُ عَنْهُ «بَلَغَنَا مَخرجُ النَّبيِّ ﷺ ونحنُ باليمنِ،

---

(١) كتاب النكاح باب / ٣١ ح ٥١١٥ - ٤ / ٦٢
(٢) كتاب الذبائح باب / ٢٨ ح ٥٥٢١، ٥٥٢٥ - ٤ / ٢٥٥

فخرجْنَا مُهاجرين إليهِ أنا وأخَوانِ لي أنَا أصغَرُهم: أحدهما أبو بُردةَ، والآخر أبو رُهمٍ - إمَّا قال: في بضعٍ، وإما قال: في ثلاثةٍ وخمسينَ، أو اثنين وخمسينَ رجُلاً من قومي - فركِبْنا سفينةً، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشيِّ بالحبشة، فوافَقْنا جعفرَ بن أبي طالبٍ فأقمنا معه، حتى قدمْنَا جميعًا، فوافَقْنا النبيَّ ﷺ حينَ افتتحَ خيبرَ، وكان أناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السَّفِينَةِ - سبَقْناكم بالهجرة، ودخلتْ أسماءُ بنت عُمَيسٍ هي ممن قَدِمَ مَعَنا - على حفصةَ زوج النبيِّ ﷺ زائرةً وقد كانت هاجَرَت إلى النَّجاشيِّ فيمن هاجرَ، فدخَلَ عمرُ على حفصة - وأسماءُ عندها - فقالَ عمر حينَ رأى أسماء: مَن هذهِ؟ قالت: أسماءُ بنتُ عميسٍ، قال عمرُ: آلحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبَقناكم بالهجرةِ، فنحنُ أحقُّ برسولِ اللهِ منكُمْ. فَغضبَت وقالت: كلاَّ واللهِ، كنتم معَ رسولِ اللهِ ﷺ يُطعِمُ جائِعَكم ويَعِظُ جاهلَكم، وكنَّا في دارٍ - أو في أرضٍ - البُعَداءِ البُغَضَاءِ بالحبشة، وذلك في اللهِ وفي رسولهِ ﷺ، وأيمُ اللهِ لا أطعَمُ طعاماً ولا أشرَبُ شراباً حتى أذكر ما قلتَ لرسولِ اللهِ ﷺ، ونحنُ كنّا نُؤْذَى ونُخَافُ، وسأذكرُ ذلكَ للنبيِّ ﷺ وأسأله، واللهِ لا أكذبُ ولا أزيغُ ولا أزيدُ عليه».

٤٢٣١ - «فَلَمَّا جاءَ النبيُّ ﷺ قالت: يا نبيَّ اللهِ، إنَّ عمرَ قال كذا وكذا، قال: فما قلتِ له؟ قالت: قلتُ له كذا وكذا، قالَ: ليسَ بأحقَّ بي منكم، ولهُ ولأصحابهِ هجرةٌ واحدة، ولكم أنتم أهلَ السفينةِ هجرتان قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحابَ السفينةِ يأتونني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث، ما منَ الدنيا شيءٌ هم به أفرَح ولا أعظمُ في أنفُسِهم مما قال لهم النبيُّ ﷺ».

قال أبو بُردةَ «قالت أسماءُ: فلقد رأيتُ أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني».

٤٢٣٢ - عن أبي موسى «قالَ النبيُّ ﷺ: إني لأعرف أصواتَ رُفقة الأشعريينَ بالقرآن حين يَدخلونَ بالليل، وأعرِفُ مَنازِلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنتُ لم أرَ مَنازِلهم حين نزَلوا بالنهار، ومنهم حكيمٌ إذا لقِيَ الخيلَ -أو قال: العدوَّ- قال لهم إنَّ أصحابي يأمُرونَكم أن تنظروهم».

قوله (وذلك في الله وفي رسوله) أي لأجلهما.

قوله (هجرتان) زاد أبو يعلى «هاجرتم مرتين، هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إليَّ» وظاهره تفضيلهم على غيرهم من المهاجرين، لكن لا يلزم منه تفضيلهم على الإطلاق، بل من الحيثية المذكورة.

قوله (أرسالا) بفتح الهمزة أي أفواجا.

قوله (قال لهم إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم) أي تنتظروهم من الانتظار ومعناه أنه لفرط شجاعته كان لا يفر من العدو بل يواجههم ويقول لهم إذا أرادوا الانصراف مثلا انتظروا الفرسان حتى يأتوكم، ليثبتهم على القتال هذا بالنسبة إلى الشق الثاني وهو قوله «أو قال العدو» وأما على الشق الاول وهو قوله «إذا لقي الخيل» فيحتمل أن يريد بها خيل المسلمين، ويشير بذلك إلى أن أصحابه كانوا رجالة فكان هو يأمر الفرسان أن ينتظروهم ليسيروا إلى العدو جميعا، وهذا أشبه بالصواب، قال ابن التين، معنى كلامه أن أصحابه يحبون القتال في سبيل الله ولا يبالون بما يصيبهم.

٤٢٣٣ ـ عَنْ أبِي موسى قالَ «قَدِمنا على النبيِّ ﷺ بعد أنِ افْتَتَحَ خيبرَ، فقسمَ لنا، ولم يَقسم لأحد لم يَشهَدِ الفتحَ غيرنا».

٤٢٣٤ ـ عن أبي هُرَيرَةَ رضي اللّهُ عَنْهُ قال: «افتتحنا خيبرَ ولم نَغْنم ذَهباً ولا فضّةً، إنما غنمنا البقرَ والإبلَ والمتاعَ والحَوائطَ، ثمَّ انصرَفْنا مع رسولِ الله ﷺ إلى وادي القُرَى، ومعَهُ عبد لهُ يقال له مِدْعَمٌ أهداه له أحدُ بني الضِّباب، فبينما هوَ يَحُطُّ رحلَ رسولِ الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد، فقال الناس: هنيئاً له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ : بلى والذي نفسي بيده، إن الشَّمْلَةَ التي أصابها يومَ خيبرَ من المغانم لم تُصِبْها المقاسم لَتشتَعِلُ عليه ناراً، فجاء رجل - حينَ سمعَ ذلك مَن النبيِّ ﷺ - بشِراكٍ أو بشراكَين، فقال: هذا شيء كنتُ أصبتهُ، فقال رسول الله ﷺ : شِراك أو شِراكان من نار».

[الحديث ٤٢٣٤ - طرفه في: ٦٧٠٧]

قوله (سهم عائر) أي لا يدري من رمى به، وقيل هو الحائد عن قصده.

قوله (لتشتعل عليه نارا) يحتمل أن يكون ذلك حقيقة بأن تصير الشملة نفسها نارا فيعذب بها، ويحتمل أن يكون المراد أنها سبب لعذاب النار، وكذا القول في الشراك الآتي ذكره.

قوله (بشراك أو بشراكين) الشراك سير النعل على ظهر القدم، وفي الحديث تعظيم أمر الغلول، وقد مر شرح ذلك واضحاً في أواخر كتاب الجهاد في «باب القليل من الغلول»، وفي الحديث قبول الإمام الهدية، فإن كانت لأمر يختص به في نفسه أن لو كان غير وال فله التصرف فيها بما أراد، وإلا فلا يتصرف فيها إلا للمسلمين، وعلى هذا التفصيل يحمل حديث «هدايا الأمراء غلول» فيخص بمن أخذها فاستبد بها، وخالف في ذلك بعض الحنفية فقال: له

(١) كتاب الجهاد باب / ١٩٠ ح ٣٠٧٤ - ٢ / ٦٦٣

(٢) لا يوجد في الهبة بل في كتاب الأحكام باب / ٢٤ ح ٧١٧٤ - ٥ / ٤٤١

الاستبداد مطلقا بدليل أنه لو ردها على مهديها لجاز، فلو كانت فيئا للمسلمين لما ردها، وفي هذا الاحتجاج نظر لا يخفى، وقد تقدم شيء من هذا في أواخر الهبة.

٤٢٣٥ ـ عن عُمَرَ بن الخطاب رضيَ اللهُ عَنْهُ قال: «أما والذي نفسي بيده، لولا أن أترك آخر الناس بَبَّاناً ليس لهم شيء، ما فُتِحَتْ عليَّ قريةٌ إلاّ قَسَمْتُها كما قسَم النبيُّ ﷺ خيبرَ، ولكنّي أتركها خِزانةً لهم يَقتسِمونها».

٤٢٣٦ ـ عَنْ عمرَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ «لَوْلا آخِرُ المسلمين، مافُتِحَت عليهم قرية إلا قسمتها كما قسمَ النبيُّ ﷺ خيبرَ،».

قوله (لولا أن أترك آخر الناس ببّانا) وقال الأزهري: الببان المعدم الذي لا شيء له، ويقال هم على ببان واحد أي على طريقة واحدة.

قال الطبري: الببان في المعدم الذي لا شيء له، فالمعنى لولا أن أتركهم فقراء معدمين لا شيء لهم أي متساوين في الفقر.

قوله (ولكني أتركها لهم[١]خزانة يقتسمونها) أي يقتسمون خراجها.

٤٢٣٧ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عَنْهُ أتى النبيَّ ﷺ فسألَهُ، قال له بعض بني سعيدِ بن العاص: لاتُعطهِ، فقال أبو هريرة: هذا قاتلُ ابن قَوقَلٍ، فقال: واعجباً لوَبْرٍ تَدلّى من قَدُومِ الضّأنِ».

٤٢٣٨ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ يُخبر سعيدَ بن العاص قال: «بعثَ رسولُ الله ﷺ أبَانَ على سَرِيّةٍ منَ المدينة قِبل نجد، قال أبو هريرة: فقدِمَ أبانُ وأصحابهُ على النبيِّ ﷺ بخيبرَ بعدَما افتَتحها وإنَّ حُزْمَ خَيلِهم لَلِيفٌ، قال أبو هريرة: قلت يارسولَ الله، لا تَقسِمْ لهم، قال أبانُ: وأنتَ بهذا يا وَبْرُ تَحدَّرَ من رأس ضأنٍ فقال النبيُّ ﷺ: يا أبانُ اجلِس، فلم يَقسِمْ لهم».

٤٢٣٩ ـ عن يحيى بن سعيدٍ قالَ أخبرني جدّي «أنَّ أبانَ بن سعيد أقبلَ إلى النبيِّ ﷺ فسلَّمَ عليه ، فقال أبو هريرة: هذا قاتلُ ابن قوقل، وقال أبانُ لأبي هريرة: واعجبًا لك وَبْرٌ تدَأدأ من قَدُومِ ضَأنٍ ،ينعى عليَّ امرأً أكرمَهُ الله بيدي، ومنعَه أن يُهينَني بيده».

قوله (فسأله أي سأل النبي ﷺ أن يعطيه من غنائم خيبر.

قوله (لو بر تدلى من قدوم الضأن) كذا اختصره، وقد مضى في الجهاد[٢]، وسيأتي شرحه في الذي بعده. لـى

قوله (قال بعث رسول الله ﷺ أبان على سرية من المدينة قبل نجد) لم أعرف حال هذه

---

(١) رواية الباب واليونينية بحذف "لهم".

(٢) كتاب الجهاد باب / ٢٨ ح ٢٨٢٧ - ٢ / ٥٦٨

السرية، وأما أبان فهو ابن سعيد بن العاص بن أمية، وهو عم سعيد بن العاص الذي حدثه أبو هريرة، وكان إسلام أبان بعد غزوة الحديبية، وقد ذكرنا أولا في قصة الحديبية في الشروط وغيرها أن أبان هذا أجار عثمان بن عفان في الحديبية حتى دخل مكة وبلغ رسالة رسول الله ﷺ، وتقدم في هذه الغزوة أن غزوة خيبر كانت عقب الرجوع من الحديبية، فيشعر ذلك بأن أبان أسلم عقب الحديبية حتى أمكن أن يبعثه النبي ﷺ في سرية.

قوله (وأنت بهذا) أي وأنت تقول بهذا، أو وأنت بهذا المكان والمنزلة مع رسول الله ﷺ مع كونك لست من أهله ولا من قومه ولا من بلاده.

قوله (يا وبر) دابة صغيرة كالسنور وحشية.

قال الخطابي: أراد أبان تحقير أبي هريرة، وأنه ليس في قدر من يشير بعطاء ولا منع، وأنه قليل القدرة على القتال انتهى.

قوله (تحدر) في الرواية الأولى «تدلى» وهي بمعناها كأنه يقول: تهجم علينا بغتة.

قوله (من رأس ضال) كذا في هذه الرواية باللام، وفي التي قبلها بالنون، وأما قدوم فبفتح القاف للأكثر أي طرف، وأما الضان فقيل هو رأس الجبل لأنه في الغالب موضع مرعى الغنم، وهو جبل لدوس قوم أبي هريرة.

قوله (ينعى) أي يعيب عليٌّ، وقد تقدم بقية شرحه في الجهاد.

٤٢٤٠، ٤٢٤١ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا «أنَّ فَاطِمَةَ عليهَا السَّلامُ بنتَ النبيِّ ﷺ أرسلَتْ إلى أبي بكرٍ تسألهُ مِيراثها من رسولِ الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينةِ وفَدَكٍ وما بقيَ من خُمس خيبرَ، فقال أبو بكر: إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: لا نُورَثُ، ماتركنا صدقة، إنما يأكلُ آل محمد ﷺ من هذا المال، وإني والله لا أغيِّرُ شيئًا من صدقةِ رسولِ الله ﷺ عن حالها التي كانت عليْهَا فِي عهدِ رسول الله ﷺ، ولأعملنَّ فيها بما عملَ بهِ رسولُ اللهِ ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفعَ إلى فاطمةَ منها شيئاً، فوجَدَت فاطمةُ على أبي بكر في ذلك فهجَرَته فلم تُكلمه حتى تُوُفيَتْ وعاشَت بعدَ النبيِّ ﷺ ستةَ أشهرٍ، فلما تُوفِّيَت دَفنها زوجُها عليٌّ ليلاً ولم يُؤْذِن بها أبا بكرٍ، وصلَّى عليها وكان لعليٍّ من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة، فلما تُوفِّيتْ استنكرَ عليٌّ وجوه الناس، فالتمسَ مصالحةَ أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يُبايعُ تلكَ الأشهر، فأرسلَ إلى أبي بكر أنِ ائتنا، ولا يأتنا أحدٌ معك، كراهةً لمحضرِ عمرَ فقال عمرُ: لا والله، لا تدخُلُ عليهم وَحدك، فقال أبو بكر: وما عَسيتَهم أن يفعلوا بي؟ والله لآتيَنهم، فدخلَ عليهم أبوبكر، فتشهَّدَ عليٌّ فقال: إنَّا قد عَرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفَسْ عليك خيراً ساقهُ الله إليك، ولكنَّكَ استبدَدْتَ علينَا بالأمر، وكنا

نَرَى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نَصيباً، حتى فاضَت عينا أبي بكر، فلما تكلّمَ أبو بكر قال: والذي نفسي بيده، لقرابةُ رسولِ الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصلَ من قرابتي، وأما الذي شجرَ بيني وبينَكم من هذه الأموال فلم آلُ فيه عن الخير، ولم أتركْ أمراً رأيت رسولَ الله ﷺ يَصنعُهُ فيها إلا صَنعتهُ، فقال علي لأبي بكر: موعدُكَ العشيَّةَ للبيعة، فلما ﷺ أبو بكر الظُّهرَ رقي على المنبر فتشَهّد، وذكرَ شأنَ عليٍّ وتخلُّفَهُ عن البيعة وعذرَهُ بالذي اعتذرَ إليه، ثم استغفر وتشهّد عليٌّ فعظّمَ حقَّ أبي بكر، وحدَّثَ أنهُ لم يَحملهُ على الذي صنعَ نفاسةٌ علي أبي بكر، ولا إنكاراً للذي فضّلهُ الله به، ولكنّا نَرى لنا في هذا الأمر نصيباً فاستبدَّ علينا، فوَجَدْنا في أنفسنا، فَسُرَّ بذلك المسلمون وقالوا: أصبت وكان المسلمون إلى عليٍّ قريباً حين راجع الأمرَ المعروفَ».

قوله (وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر) هذا هو الصحيح في بقائها بعده.

قوله (دفنها زوجها علي ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكر) روى ابن سعد من طريق عمرة بنت عبد الرحمن أن العباس ﷺ عليها، ومن عدة طرق أنها دفنت ليلا، وكان ذلك بوصية منها لإرادة الزيادة في التستر، ولعله لم يُعلم أبا بكر بموتها لأنه ظن أن ذلك لا يخفى عنه.

وأما الحديث الذي أخرجه مسلم والنسائي وأبو داود من حديث جابر في النهي عن الدفن ليلا فهو محمول على حال الاختيار لأن في بعضه «إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك».

قوله (وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة) أي كان الناس يحترمونه إكرامًا لفاطمة، فلما ماتت واستمر على عدم الحضور عند أبي بكر قصر الناس عن ذلك الاحترام لإرادة دخوله فيما دخل فيه الناس، ولذلك قالت عائشة: في آخر الحديث «لما جاء وبايع كان الناس قريبا إليه حين راجع الأمر بالمعروف» وكأنهم كانوا يعذرونه في التخلف عن أبي بكر في مدة حياة فاطمة لشغله بها وتمريضها وتسليتها عما هي فيه من الحزن على أبيها ﷺ ولأنها لما غضبت من رد أبي بكر عليها فيما سألته من الميراث رأى علي أن يوافقها في الانقطاع عنه.

قوله (فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر) أي في حياة فاطمة، قال المازري: العذر لعلي في تخلفه مع ما اعتذر هو به أنه يكفي في بيعة الإمام أن يقع من أهل الحل والعقد ولا يجب الاستيعاب، ولا يلزم كل أحد أن يحضر عنده ويضع يده في يده، بل يكفي التزام طاعته والانقياد له بأن لا يخالفه ولا يشق العصا عليه، وهذا كان حال علي لم يقع منه إلا التأخر عن الحضور عند أبي بكر، وقد ذكرت سبب ذلك.

قوله (كراهية ليحضر عمر) في رواية الأكثر «لمحضر عمر» والسبب في ذلك ما ألفوه من قوة عمر وصلابته في القول والفعل، وكان أبو بكر رقيقا لينا، فكأنهم خشوا من حضور عمر كثرة المعاتبة التي قد تفضي إلى خلاف ما قصدوه من المصافاة.

قوله (لا تدخل عليهم) أي لئلا يتركوا من تعظيمك ما يجب لك.

قوله (ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك) أي لم نحسدك على الخلافة.

قوله (فلم آل) أي لم أقصر.

قوله (موعدك العشية) أي بعد الزوال.

قوله (وكان المسلمون إلي على قريبا) أي كان ودهم له قريبا (حين راجع الأمر بالمعروف) أي من الدخول فيما دخل فيه الناس قال القرطبي: من تأمل مادار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار وما تضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانا لكن الديانة ترد ذلك والله الموفق.

٤٢٤٢ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ: «لمَّا فتحت خيبرُ قلنا: الآن نشبعُ منَ التمر».

٤٢٤٣ ـ عنِ ابن عمرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «ماشبعنا حتى فتحنا خيبرَ».

قوله (قلنا الآن نشبع من التمر) أي لكثرة ما فيها من النخيل، وفيه إشارة إلى أنهم كانوا قبل فتحها في قلة من العيش.

٣٩ ـ باب استعمال النبيِّ ﷺ على أهلِ خيبر

٤٢٤٤، ٤٢٤٥ ـ عَنْ أبي سعيدِ الخدريِّ وأبي هريرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا« أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ استعملَ رجلاً على خيبرَ، فجاءهُ بتمرٍ جَنيبٍ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : كلُّ تمر خيبرَ هكذا؟ فقال: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ، إنا لنأخذُ الصاعَ من هذا بالصاعَين بالثلاثة، فقال: لا تفعل، بِعِ الجمعَ بالدراهم، ثمَّ ابتَعْ بالدراهم جنيباً».

٤٢٤٦، ٤٢٤٧ ـ عَنْ سعيدٍ أنَّ أبا سعيدٍ وأبا هريرةَ حدَّثاه «أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَ أخا بني عديٍّ من الأنصار إلى خيبرَ، فأمَّرَهُ عليها».

قوله (باب استعمال النبي ﷺ على أهل خيبر) أي بعد فتحها لتنمية الثمار.

٤٠ ـ باب مُعاملةِ النبيِّ ﷺ أهلَ خيبرَ

٤٢٤٨ ـ عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «أعطى النبيُّ ﷺ خَيْبَرَ لليهود أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها».

قوله (باب معاملة النبي ﷺ أهل خيبر) ذكر فيه حديث ابن عمر مختصرا وقد تقدم في المزارعة مع شرحه واضحا.

٤١ ـ باب الشَّاةِ الَّتي سُمَّت للنبيِّ ﷺ بخيبر

رواه عُروةُ عن عائشةَ عن النبيِّ ﷺ .

٤٢٤٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «لمَّا فُتحت خَيْبرُ أهديت لرسول الله ﷺ شاةٌ فيهم سُمٌّ».

قوله (باب الشاة التي سُمَّت للنبي ﷺ بخيبر) أي جعل فيها السم، والسم مثلث السين.

قوله (لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم) قال ابن إسحق: لما اطمأن النبي ﷺ بعد فتح خيبر أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية، وكانت سألت: أي عضو من الشاة أحب إليه؟ قيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها، وأكل معه بشر بن البراء فأساغ لقمته، فذكر القصة، وأنه صفح عنها، وأن بشر بن البراء مات منها، وروى البيهقي من طريق سفيان بن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة «أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومه فأكل، فقال لأصحابه: أمسكوا فإنها مسمومة، وقال لها: ما حملك على ذلك؟ قالت: أردت إن كنت نبيا فيطلعك الله، وإن كنت كاذبا فأريح الناس منك، قال فما عرض لها» ومن طريق أبي نضرة عن جابر نحوه فقال: «فلم يعاقبها» وروى عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري عن أبي بن كعب مثله وزاد «فاحتجم على الكاهل» قال قال الزهري: «فأسلمت فتركها» قال معمر: والناس يقولون قتلها.

قال البيهقي: يحتمل أن يكون تركها أولا ثم لما مات بشر بن البراء من الأكله قتلها، وبذلك أجاب السهيلي وزاد: إنه كان تركها لأنه كان لا ينتقم لنفسه، ثم قتلها ببشر قصاصًا، قلت: ويحتمل أن يكون تركها لكونها أسلمت، وإنما أخّر قتلها حتى مات بشر لأن بموته تحقق وجوب القصاص بشرطه، وقد اشتملت قصة خيبر على أحكام كثيرة: فيها جواز قتال الكفار في أشهر الحرم، والإغارة على من بلغته الدعوة بغير إنذار، وقسمة الغنيمة على السهام، وأكل الطعام الذي يصاب من المشركين قبل القسمة لمن يحتاج إليه بشرط أن لا يدخره ولا يحوله، وأن مدد الجيش إذا حضر بعد انقضاء الحرب يسهم له إن رضي الجماعة كما وقع لجعفر والأشعريين، ولا يسهم لهم إذا لم يرضوا كما وقع لأبان بن سعيد وأصحابه، وبذلك يجمع بين الأخبار، ومنها تحريم لحوم الحمر الأهلية، وأن مالا يؤكل لحمه لا يطهر

بالذكاة، وتحريم متعة النساء، وجواز المساقاة والمزارعة ، ويثبت عقد الصلح والتوثق من أرباب التهم، وأن من خالف من أهل الذمة ما شرط عليه انتقض عهده وهدر دمه، وأن من أخذ شيئا من الغنيمة قبل القسمة لم يملكه ولو كان دون حقه، وأن الإمام مخير في أرض العنوة بين قسمتها وتركها، وجواز إجلاء أهل الذمة إذا استغنى عنهم، وجواز البناء بالأهل بالسفر، والأكل من طعام أهل الكتاب وقبول هديتهم، وقد ذكرت غالب هذه الأحكام في أبوابها، والله الهادي للصواب.

٤٢ ـ باب غزوةِ زيد بن حارثةَ

٤٢٥٠ ـ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللّهُ عنهُمَا قالَ: «أمَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ أسامَةَ على قومٍ فطعنوا في إمارتِه فقال إن تَطعنوا في إمارتِه فَقَدْ طعنتم في إمارةِ أبيه من قبلِه، وأيمُ الله لقد كان خليقاً للإمارة، وإن كان من أحبِّ الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحبِّ الناس إليَّ بعدَه».

قوله (غزوة زيد بن حارثة) مولى النبي ﷺ ووالد أسامة بن زيد، ذكر فيه حديث ابن عمر في بعث أسامة، وسيأتي شرحه في أواخر المغازي[١]، والغرض منه قوله «فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله» وسيأتي قريبا بعد غزوة مؤتة حديث أبي عاصم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال: «غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات، وغزوت مع ابن حارثة، استعمله علينا».

٤٣ ـ باب عُمرة القضاء

ذكرَهُ أنسٌ عن النبيِّ ﷺ

٤٢٥١ ـ عنِ البراءِ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «لمَّا اعتمرَ النبيُّ ﷺ في ذي القَعدةِ فأبى أهلُ مكةَ أن يَدَعوه يدخلُ مكةَ حتى قاضاهم على أن يُقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتابَ كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نقرُّ لك بهذا، لو نعلم أنكَ رسولُ الله ما مَنَعناك شيئاً، ولكنْ أنتَ محمدُ بن عبدِ الله، فقال: أنا رسولُ اللهِ، وأنا محمدُ بن عبدِ الله، ثمَّ قال: لعلي: أمح رسولَ الله، قال عليّ: لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسولُ الله ﷺ الكتاب - وليسَ يحسن يكتب - فكَتَبَ: هذا مَاقَاضى محمدُ بن عبد الله ، لا يُدخِلُ مكةَ السلاحَ إلا السيفَ في القِراب، وأن لا يَخرُجَ من أهلها بأحدٍ إن أراد أن يَتبعهُ، وأن لا يمنعَ من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيمَ بها، فلما دخلها ومضى الأجلُ أتوا علياً فقالوا: قُل لصاحبكَ اخرجْ عنَّا فقد مضى الأجل، فخرج النبيُّ ﷺ ، فتبعَتْه ابنةُ حمزةَ

(١) كتاب المغازي باب / ٨٧ ح ٤٤٦٩ - ٣ / ٤٤٥.

تُنادي: يا عمّ ياعمّ، فتَناوَلَها عليٌّ فأخذَ بيدها وقال لفاطمة عليها السلامُ: دونكِ ابنةَ عمكِ حمِّليها، فاختصم فيها عليٌّ وزيدٌ وجعفرٌ: قال عليٌّ أنا أخذتها وهي بنتُ عمي، وقال جعفرٌ ابنةُ عمي وخالتُها تحتي، وقال زيدٌ ابنة أخي، فقضى بها النبيُّ ﷺ لخالتِها وقال: الخالةُ بمنزلة الأم، وقال لعليٍّ: أنت مني وأنا منك، وقال لجعفر: أشبهت خَلقي وخُلقي، وقال لزيد: أنتَ أخونا ومَولانا، وقال عليٌّ: ألا تتزوَّجُ بنتَ حمزة؟ قال: إنها ابنةُ أخي من الرَّضاعة».

٤٢٥٢ - عن ابنِ عمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرجَ مُعتمراً، فحال كفّارُ قريشٍ بينهُ وبين البيت، فنحرَ هَديه، وحلقَ رأسَهُ بالحديبية، وقاضاهم على أن يَعتمرَ العامَ المقبلَ، ولا يحملَ سلاحاً عليهم إلا سيوفًا، ولا يقيمَ بها إلا ما أحبُّوا، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كانَ صالحهم، فَلَمَّا أن أقام بها ثلاثًا أمروهُ أن يخرُجَ فخرَج».

قوله (باب عمرة القضاء) كذا للأكثر، وللمستملي وحده «غزوة القضاء» والأول أولى، ووجهوا كونها غزوة بأن موسى بن عقبة ذكر في المغازي عن ابن شهاب أنه ﷺ خرج مستعدا بالسلاح والمقاتلة خشية أن يقع من قريش غدر فبلغهم ذلك ففزعوا، فلقيه مكرز فأخبره أنه باق على شرطه وأن لا يدخل مكة بسلاح إلا السيوف في أغمادها، وإنما خرج في تلك الهيئة احتياطا فوثق بذلك، وأخّر النبي ﷺ السلاح مع طائفة من أصحابه خارج الحرم حتى رجع، ولا يلزم من إطلاق الغزوة وقوع المقاتلة، واختلف في سبب تسميتها عمرة القضاء، فقيل المراد ماوقع من المقاضاة بين المسلمين والمشركين من الكتاب الذي كتب بينهم بالحديبية فالمراد بالقضاء الفصل الذي وقع عليه الصلح ولذلك يقال لها عمرة القضية، وقال السهيلي: سميت عمرة القضاء لأنه قاضى فيها قريشا، لا لأنها قضاء عن العمرة التي صد عنها، لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة، ولهذا عدوا عمر النبي ﷺ أربعا كما تقدم تقريره في كتاب الحج، وقال آخرون: بل كانت قضاء عن العمرة الأولى، وعدت عمرة الحديبية في العمر لثبوت الأجر فيها لا لأنها كملت، وهذا الخلاف مبني على الاختلاف في وجوب القضاء على من اعتمر فصد عن البيت، فقال الجمهور: يجب عليه الهدي ولا قضاء عليه، وعن أبي حنيفة عكسه، وعن أحمد رواية أنه لا يلزمه هدي ولا قضاء، وأخرى يلزمه الهدي والقضاء، فحجة الجمهور قوله تعالى { فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي } وحجة أبي حنيفة أن العمرة تلزم بالشروع، فإذا أحصر جاز له تأخيرها، فإذا زال الحصر أتى بها، ولا يلزم من التحلل بين الإحرامين سقوط القضاء، وحجة من أوجبها ما وقع للصحابة فإنهم نحروا الهدي حيث صدوا واعتمروا من قابل وساقوا الهدي.

قوله (حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام) أي من العام المقبل.

قوله (فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله)، النكتة في قوله «فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب» لبيان أن قوله «أرني إياها» أنه ما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التي امتنع علي من محوها إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة، وعلى أن قوله بعد ذلك «فكتب» فيه حذف تقديره فمحاها فأعادها لعلي فكتب، وبهذا جزم ابن التين وأطلق كتب بمعنى أمر بالكتابة، وهو كثير كقوله: كتب إلى قيصر وكتب إلى كسرى.

قوله (دونك) هي كلمة من أسماء الأفعال تدل على الأمر بأخذ الشيء المشار إليه.

قوله (وقال: الخالة بمنزلة الأم) أي في هذا الحكم الخاص لأنها تقرب منها في الحنو والشفقة والاهتداء إلى ما يصلح الولد لما دل عليه السياق، فلا حجة فيه لمن زعم أن الخالة ترث لأن الأم ترث، وفي حديث علي وفي مرسل الباقر «الخالة والدة، وإنما الخالة أم» وهي بمعنى قوله بمنزلة الأم لا أنها أم حقيقة، ويؤخذ منه أن الخالة في الحضانة مقدمة على العمة لأن صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذ، وإذا قدمت على العمة مع كونها أقرب العصبات من النساء فهي مقدمة على غيرها، ويؤخذ منه تقديم أقارب الأم على أقارب الأب، وعن أحمد رواية أن العمة مقدمة في الحضانة على الخالة، وأجيب عن هذه القصة بأن العمة لم تطلب، فإن قيل: والخالة لم تطلب، قيل قد طلب لها زوجها، فكما أن للقريب المحضون أن يمنع الحاضنة إذا تزوجت فللزوج أيضا أن يمنعها من أخذه، فإذا وقع الرضا سقط الحرج، وفيه من الفوائد أيضا تعظيم صلة الرحم بحيث تقع المخاصمة بين الكبار في التوصل إليها، وأن الحاكم يبين دليل الحكم للخصم، وأن الخصم يدلى بحجته، وأن الحاضنة إذا تزوجت بقريب المحضونة لا تسقط حضانتها إذا كانت المحضونة أنثى أخذا بظاهر هذا الحديث قاله أحمد، وعنه لا فرق بين الأنثى والذكر ولا يشترط كونه محرما لكن يشترط أن يكون فيه مأمونا، وأن الصغيرة لا تشتهى، ولا تسقط إلا إذا تزوجت بأجنبي، والمعروف عن الشافعية والمالكية اشتراط كون الزوج جدا للمحضون.

قوله (وقال لعلي: أنت مني وأنا منك) أي في النسب والصهر والمسابقة والمحبة وغير ذلك من المزايا، ولم يرد محض القرابة وإلا فجعفر شريكه فيها.

قوله (وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي)، وهي منقبة عظيمة لجعفر، أما الخلق فالمراد به الصورة فقد شاركه فيها جماعة ممن رأى النبي ﷺ، وقد ذكرت أسماءهم في مناقب الحسن وأنهم عشرة أنفس غير فاطمة عليها السلام، وقد كنت نظمت إذ ذاك بيتين في ذلك ووقفت بعد ذلك في حديث أنس على أن إبراهيم ولد النبي ﷺ كان يشبهه، وكذا في قصة جعفر بن أبي طالب أن ولديه عبد الله وعونا كان يشبهانه فغيرت البيتين الأولين بالزيادة فأصلحتهما

هناك، ورأيت إعادتهما هنا ليكتبهما من لم يكن كتبهما إذ ذاك:

شبه النبي ليج سائب و أبي سفيان والحسنين الخال أمهما

وجعفر ولداه وابن عامر هم ومسلم كابس يتلوه مع قثما

قوله (وقال لزيد: أنت أخونا) أي في الإيمان (ومولانا) أي من جهة أنه أعتقه، وقد تقدم أن مولى القوم منهم، فوقع منه ﷺ تطييب خواطر الجميع وإن كان قضى لجعفر فقد بين وجه ذلك، وحاصله أن المقضي له في الحقيقة الخالة وجعفر تبع لها لأنه كان القائم في الطلب لها،

قوله (قال علي) أي للنبي ﷺ (ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: إنها بنت أخي) أي من الرَّضاعة.

٤٢٥٣ ـ عَنْ مجاهدٍ قال: «دخلتُ أنا وعروةُ بن الزُّبيرِ المسجدَ، فإذا عبدُ الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما جالسٌ إلى حجرةِ عائِشَةَ ثم قال: كم اعتمرَ النبيُّ ﷺ ؟ قال: أربعاً إحداهنَّ في رجب».

٤٢٥٤ ـ ثُمَّ سمعنَا استِنانَ عائشةَ، قال عروةُ: يا أُمَّ المؤمنين؛ ألا تسمعينَ ما يقول أبو عبد الرحمن؟ إنَّ النبيَّ ﷺ اعتمرَ أربعَ إحداهن في رجب، فقالت: ما اعتمرَ النبيُّ ﷺ عمرةً إلا وهُوَ شاهِدُهُ، وما اعتمرَ في رجب قط».

٤٢٥٥ ـ عن ابن أبِي أوفى قال: «لمَّا اعتمرَ رسولُ الله ﷺ سترناه من غِلمانِ المشركينَ ومِنهُمْ أنْ يُؤْذُوا رسولَ الله ﷺ».

٤٢٥٦ ـ عن سعيد بن جبيرٍ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضِيَ اللهِ عَنْهُمَا قالَ: «قدمَ رسولُ اللهِ ﷺ وأصْحابه، فقال المشركون: إنَّهُ يقدم علَيْكُمْ وَفدٌ وَهنَتهم حُمَّى يَثربَ فأمرَهُم النبيُّ ﷺ أن يَرمُلوا الأشواطَ الثلاثةَ وأن يَمشوا مابينَ الرُّكنَين، ولم يَمنَعْهُ أن يأمُرهم أن يَرمُلوا الأشواطَ كلَّها إلا الإبقاءُ عليهم»، وزادَ ابنُ سلمةَ عن أيوبَ عن سعيدِ بن جُبيرٍ عنِ ابن عبَّاس قال: «لمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ لعامه الذي استأمن قال: ارمُلوا ليَرى المشركونَ قوَّتَكم، والمشركونَ من قِبَلِ قُعَيقعانَ»(١).

٤٢٥٧ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عَنهُمَا قالَ: «إنَّمَا سعى النبيُّ ﷺ بالبيت وبَيْنَ الصفا والمروةِ ليُريَ المشركينَ قوَّتَهُ».

٤٢٥٨ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: «تزوجَ النبيُّ ﷺ ميمونةَ وهو محرمٌ، وبنى بها وهو حلال، وماتَت بسرِف».

٤٢٥٩ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ : «تزوجَ النبيُّ ﷺ)(١) ميمونةَ في عُمرةِ القضاء».

---

(١) رواية الباب واليونينية "تزوج النبي ﷺ ميمونة".

قوله (سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ) أي خشية أن يؤذوه.
قوله (إلا الإبقاء عليهم) أي الرفق بهم والإشفاق عليهم.
قوله (تزوج ميمونة وهو محرم) سيأتي البحث فيه في كتاب النكاح[١].

٤٤ ـ باب غزوةِ مُؤتةَ من أرضِ الشَّام

٤٢٦٠ ـ عنِ نافعٍ أنَّ ابن عمرَ أخبرَهُ أنهُ «وقفَ على جعفرٍ يومئذٍ وهوَ قتيلٌ، فَعَدَدْتُ بهِ خمسينَ بينَ طعنةٍ وضربة، ليس منها شيء في دُبرهِ، يعني في ظَهرهِ».
[الحديث ٤٢٦٠ - طرفه في: ٤٢٦١]

٤٢٦١ ـ عنْ نَافِعٍ عنْ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «أمَرَ رسولُ اللهُ ﷺ فِي غزوةِ مؤتةَ زيدَ بن حارثة فقال رسولُ الله ﷺ : إن قُتِلَ زيدٌ فجعفرٌ، وإن قُتلَ جعفرٌ فعبدُ الله بن رواحةَ، قال عبدُ الله: كنتُ فيهم في تلك الغزوةِ، فالتمسْنا جعفرَ بن أبي طالب، فوجَدناهُ في القتلى، ووجدنا ما في جسدهِ بضعاً وتسعينَ من طعنةٍ ورَميةٍ».

٤٢٦٢ ـ عَنْ أَنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أنَّ النبيَّ ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابنَ رواحةَ للنَّاس قبلَ أن يأتيَهم خبرهُم فقال: أخذ الراية زيدٌ فأصيب ثمَّ أخذَ جعفرٌ فأصيب، ثم أخذَ ابن رَواحة فأصيب - وعيناهُ تَذرِفانِ - حتى أخذ الرايةَ سيفٌ من سيوفِ الله حتى فتحَ اللهُ عليهم».

٤٢٦٣ ـ عن عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «لمَّا جاءَ قتَلُ ابنِ حارثة وجعفرِ بن أبي طالب وعبد الله بن رَواحة رضيَ اللهُ عَنْهُمْ جلسَ رسولُ الله ﷺ يُعرَفُ فيه الحُزنُ، قالت عائشة: وأنا أطلعُ من صائر الباب - تعني من شقِّ الباب فأتاهُ رجلٌ فقال: أي رسولَ الله، إن نساء جعفرٍ - وذكرَ بُكاءهن - فأمرهُ أن ينهاهنَّ، قال فذهبَ الرجلُ ثم أتى فقال: قد نهيتهنَّ، وذكر أنه لم يُطعنْه، قال فأمرَ أيضاً، فذهبَ ثُمَّ أتى فقال: والله لقد غَلَبْننا فزعمَتْ أن رسول الله ﷺ قال: فاحثُ في أفواههنَّ من التراب، قالت عائشة فقلتُ: أرْغَمَ الله أنفَك، فوالله ما أنتَ تَفعلُ، وماتركتَ رسولَ الله ﷺ من العَناء».

وفي الحديث جواز الإعلام بموت الميت ولا يكون ذلك من النعي المنهي عنه، وقد تقدم تقرير ذلك في الجنائز، وفيه جواز تعليق الإمارة بشرط، وتولية عدة أمراء بالترتيب، وقد اختلف هل تنعقد الولاية الثانية في الحال أولا؟ والذي يظهر أنها في الحال تنعقد، ولكن بشرط الترتيب، وقيل تنعقد لواحد لا بعينه، وتتعين لمن عينها الإمام على الترتيب، وقيل

(١) كتاب النكاح باب / ٣٠ ح ٥١١٤ - ٤ / ٦١.

تنعقد للأول فقط، وأما الثاني فبطريق الاختيار، واختيار الإمام مقدم على غيره لأنه أعرف بالمصلحة العامة، وفيه جواز التأمر في الحرب بغير تأمير، قال الطحاوي: هذا أصل يؤخذ منه أن على المسلمين أن يقدموا رجلا إذا غاب الإمام يقوم مقامه إلى أن يحضر، وفيه جواز الاجتهاد في حياة النبي ﷺ، وفيه علم ظاهر من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لخالد بن الوليد ولمن ذكر من الصحابة، واختلف أهل النقل في المراد بقوله «حتى فتح الله عليه» هل كان هناك قتال فيه هزيمة للمشركين، أو المراد بالفتح انحيازه بالمسلمين حتى رجعوا سالمين؟

قوله (يعرف فيه الحزن) أي لما جعل الله فيه من الرحمة، ولا ينافي ذلك الرضا بالقضاء، ويؤخذ منه أن ظهور الحزن على الإنسان إذا أصيب بمصيبة لا يخرجه عن كونه صابرا راضيًا إذا كان قلبه مطمئنا، بل قد يقال إن من كان ينزعج بالمصيبة ويعالج نفسه على الرضا والصبر أرفع رتبة ممن لا يبالي بوقوع المصيبة أصلا، أشار إلى ذلك الطبري وأطال في تقريره، وفي الحديث جواز معاقبة من نهى عن منكر فتمادى عليه بما يليق به، وقال النووي: معنى كلام عائشة أنك قاصر عن القيام بما أمرت به من الإنكار فينبغي أن تخبر النبي ﷺ بقصورك عن ذلك ليرسل غيرك وتستريح أنت من العناء، وفي حديث عائشة من الفوائد بيان ما هو الأولى بالمصاب من الهيئات، ومشروعية الانتصاب للعزاء على هيئته، وملازمة الوقار والتثبت، وفيه إطلاق الدعاء بلفظ لا يقصد الداعي إيقاعه بالمدعو به، لأن قول عائشة «أرغم الله أنفك» أي ألصقه بالتراب، ولم ترد حقيقة هذا، وإنما جرت عادة العرب بإطلاق هذ اللفظة في موضع الشماتة بمن يقال له، ووجه المناسبة في قوله «أحث في أفواههن» دون أعينهن مع أن الأعين محل البكاء الإشارة إلى أنّ النهي لم يقع عن مجرد البكاء، بل عن قدر زائد عليه من صياح أو نياحة، والله أعلم.

٤٢٦٤ ـ عن عامرٍ قال: «كانَ ابنُ عمرَ إذا حَيّا ابنَ جعفرٍ قال: السلامُ عليك يا ابنَ ذي الجناحَين»

٤٢٦٥ ـ عَنْ قيسِ بن أبي حازمٍ قال: «سمعتُ خالدَ بن الوَليد يقول: لقد انقطَعَت في يدي يوم مؤتة تسعةُ أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يَمانية».

[الحديث ٤٢٦٥ - طرفه في: ٤٢٦٦]

٤٢٦٦ - عنْ قَيسٍ قالَ: «سمعتُ خالدَ بن الوليد يقول: لقد دُقَّ في يدي يومَ مؤتةَ تسعةُ أسياف، وصبَرت في يدي صفيحةٌ لي يَمانية».

قوله (دُق في يدي) فسره في الرواية الأولى بقوله «انقطعت».

٤٢٦٧ - عنِ النعمانِ بن بَشيرٍ رضي اللهُ عنهما قال: «أغميَ على عبدِ الله بن رَواحة، فجعلتْ أختُهُ عَمرةُ تبكي: واجَبَلاه، واكذا واكذا، تُعدّدُ عليه، فقال حين أفاقَ: ما قلتِ شيئاً إلا قيل لي: آنتَ كذلك».

[الحديث ٤٢٦٧ - طرفه في: ٤٢٦٨]

٤٢٦٨ - عنِ النعمانِ بن البشيرِ قال: «أُغميَ على عبدِ الله بن رواحة،، بهذا، فلما ماتَ لم تَبكِ عليه».

قوله (أغمي على عبد الله بن رواحة) أي ابن ثعلب بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي أحد شعراء النبي ﷺ من الأنصار وأحد النقباء بالعقبة وأحد البدريين.

٤٥ ـ باب بعثِ النبيِّ ﷺ أسامةَ بن زيدٍ إلى الحُرقاتِ من جُهَيْنَة

٤٢٦٩ - عن أسامةَ بن زيدٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «بَعثَنا رسولُ الله ﷺ إلى الحُرَقةِ، فصبَّحْنا القومَ فهزَمْناهم، ولحِقْتُ أنا ورجلٌ من الأنصارِ رجلاً منهم، فلما غَشيناهُ فقال: لا إله إلاَّ الله، فكفَّ الأنصاري، فطعنتُهُ برمحي حتى قتلتُه، فلما قدِمنا بَلغ النبيَّ ﷺ فقال: يا أُسامة أقتلتَهُ بعد ما قال لا إله إلا الله؟ قلتُ: كان متعوذاً، فما زال يُكررُها حتى تمنيْتُ أني لم أكن أسلمت قبلَ ذلك اليوم».

[الحديث ٤٢٦٩ - طرفه في ٦٨٧٢]

٤٢٧٠ - عَنْ يزيد بن أبِي عُبيدٍ قال: «سمعتُ سلمةَ بن الأكوَعِ يقول: غزوتُ مع النبيِّ ﷺ سبعَ غزَواتٍ، وخرجتُ فيما يبعثُ منَ البعوثِ تسعَ غزواتٍ: مرَّةً علينا أبو بكرٍ، ومرَّةً علينا أسامة».

[الحديث ٤٢٧٠ - أطرافه في: ٤٢٧١، ٤٢٧٢، ٤٢٧٣]

٤٢٧١ - عن سلمةَ قال: «غزوتُ معَ النبيِّ ﷺ سبع غزواتٍ، وخرجتُ فيما يَبعثُ من البعث تسعَ غزواتٍ ، مرَّةً علينا أبو بكر، ومرَّةً أسامة».

٤٢٧٢ - عن سلمةَ بن الأكوَع رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «غزوتُ مع النبيِّ ﷺ تِسعَ غزواتٍ، وغزوتُ مع ابن حارثةَ استعملهُ علينا».

٤٢٧٣ - عن سلمةَ بن الأكوع رضي اللهُ عَنْهُ قالَ: «غزوتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ سَبْعَ غزَوات - فذكر خيبرَ والحديبيةَ ويومَ حُنَين ويومَ القَرَد - قال يزيد: ونسيتُ بقيتَهم».

٤٦ - باب غزوة الفتح

وما بعثَ به حاطِبُ بن أبي بلتعةَ إلى أهل مكة يخبرهم بغزوِ النبيِّ ﷺ

٤٢٧٤ - عن عُبيدِ الله بن أبي رافع قال: «سمعتُ علياً رضِيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ: بَعَثَني رسولُ الله ﷺ أنا والزُّبيرَ والمقدادَ فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ، فإنَّ بها ظَعينةً معها كتابٌ فخذوا منها، قال فانطلقنا تَعادَى بنا خيلُنا حتى أتينا الروضةَ، فإذا نحنُ بالظَّعينةِ، قلنا لها: أخرجي الكتابَ، قالت: ما معي كتابٌ، فقلنا: لتُخرِجنَّ الكتاب أوْ لنُلقِينَّ الثيابَ، قالَ فأخرَجَتْهُ من عِقاصِها، فأتَينا بهِ رسولَ الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطبِ بن أبِي بَلتَعةَ - إلى ناسٍ بمكةَ من المشركين - يُخبرهُم ببعضِ أمرِ رسولِ اللهِ ﷺ: فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: يَا حاطبُ ما هذا؟ قال يارسولَ الله، لا تعجَلْ عليَّ، إني كنتُ امرءاً مُلصَقاً في قريش، يقول: كنتُ حَليفًا، ولم أكن من أنفُسِها، وكان مَن معكَ منَ المهاجرين مَن لهم بها قَراباتٌ يحمونَ أهليهم وأموالَهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلكَ منَ النسب فيهم أن أتخِذَ عندهم يداً يَحمُونَ قَرابتي، ولم أفعَلهُ ارتداداً عَنْ دينِي ولا رضاً بالكفر بعدِ الإسلام، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: أما إنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ، فَقَالَ عمر: يارسولَ اللهِ، دعني أضرب عَنَقَ هذا المنافق، فقالَ: إنَّهُ قَدْ شَهِدَ بدراً، وما يُدريكَ لعل اللهُ اطَّلعَ على من شهِدَ بدراً قال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم، فأنزلَ اللهُ السورةَ /الممتحنة: ١/: {يا أيُّها الذين آمنوا لا تتَّخذوا عدُوِّي وعدوكم أولياء تُلقون إليهم بالمودَّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق -إلى قوله - فقد ضَلَّ سواء السبيل}

قوله (باب غزوة الفتح) أي فتح مكة شرفها الله تعالى.

وسيأتي تكملة شرح هذا الحديث في سورة الممتحنة.

٤٧- باب غزوةِ الفتحِ في رمضان

٤٢٧٥-عن عُبيدِ الله بن عبدِ الله بن عُتبة أن ابنَ عباسٍ أخبرهُ «أنّ رسولَ اللهِ ﷺ غزا غَزوةَ الفتح في رمضان».

قال وسمعتُ ابن المسيب يقول مثل ذلك. وعن عُبيدِ اللهِ بن عبد الله أخبره أنّ ابن عباس رضيَ الله عنهما قال «صامَ رسولُ اللهِ ﷺ، حتى إذا بلغَ الكَديدَ، الماء الذي بين قُدَيدٍ وعُسفانَ أفطرَ،فلم يَزلْ مُفطراً حتى انسلخَ الشهر»

٤٢٧٦-عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما «أنّ النبيَّ ﷺ خرجَ في رمضانَ من المدينةِ ومعهُ عشرةُ آلاف، وذلك على رأسِ ثمانِ سنينَ ونصفٍ من مَقْدمه المدينةَ، فسار هوَ ومن معهُ من المسلمين إلى مكة، يصومُ ويصومونَ حتى بلغَ الكَديدَ - وهو ماء بين عُسفانَ وقُدَيد - أفطرَ وأفطروا» قال الزُّهري:وإنما يؤخَذُ مِن أمرِ النبيِّ ﷺ الآخِرُ فالآخِر.

٤٢٧٧-عنِ ابن عباس قال «خرجَ النبيُّ ﷺ في رمضانَ إلى حُنَين والناسُ مُختلِفون :فصائمٌ ومُفطِر، فلما استوَى على راحلتهِ دعا بإناء من لبن أو ماء فوضَعَهُ على راحَتهِ - أو على راحلتِه - ثمَّ نظرَ إلى الناس : فقال المفطِرونَ للصوَّام :أفطروا».

٤٢٧٨-عنِ ابن عباس رضي الله عنهما «خرجَ النبيُّ ﷺ عامَ الفتح».

٤٢٧٩-عنِ ابن عباس قال «سافرَ رسولُ اللهِ ﷺ في رمضانَ، فصامَ حتى بلغَ عُسفانَ، ثمَّ دعا بإناء من ماء فشربَ نهاراً ليراه الناسُ فأفطرَ حتى قَدِمَ مكة قال: وكان ابنُ عباسٍ يقول «صامَ رسولُ الله ﷺ في السفرِ وأفطر، فمن شاء صام ومن شاء أفطر».

قوله (باب غزوة الفتح في رمضان)أي كانت في رمضان سنة ثمان من الهجرة، وقد تقدم بيان ذلك في كتاب الصيام في الكلام على حديث ابن عباس المذكور في هذا الباب، وقد تقدم هناك أنهم خرجوا من المدينة لعشر مضين من رمضان، وزاد ابن إسحق عن الزهري بهذا الإسناد أنه ﷺ استعمل على المدينة أبا رهم الغفاري.

وروى يعقوب بن سفيان من رواية ابن إسحق عن جماعة من مشايخه أن الفتح كان في عشرة بقين من رمضان، فإن ثبت حمل على أن مراده أنه وقع في العشر الأوسط، قبل أن يدخل العشر الأخير.

قوله في الطريق الثانية (ومعه عشرة آلاف) أي من سائر القبائل، وفي مرسل عروة عند ابن إسحق وابن عائذ «ثم خرج رسول الله ﷺ في اثني عشر ألفا من المهاجرين والأنصار وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وسليم» ويجمع بينهما بأن العشرة آلاف خرج بها من المدينة ثم تلاحق بها الألفان.

قوله (وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة)هكذا وقع في رواية معمر، وهو وهم، والصواب على رأس سبع سنين ونصف، وإنما وقع الوهم من كون غزوة الفتح كانت في سنة ثمان، ومن أثناء ربيع الأول إلى أثناء رمضان نصف سنة سواء.

٤٨- باب أينَ ركزَ النبيُّ ﷺ الرايةَ يومَ الفتح؟

٤٢٨٠-عن هشام عن أبيه قال «لما سار رسولُ اللهِ ﷺ عامَ الفتح، فبلغ ذلك قُريشاً، خرجَ أبو سفيانَ بن حرب وحكيمُ بن حِزام وبُديلُ بن ورقاءَ يلتمسون الخبرَ عن رسولِ الله ﷺ، فأقبلوا يسيرونَ حتى أتَوا مرَّ الظَّهرانِ، فإذا هم بنيران كأنها نيرانُ عرفةَ، فقال أبو سفيانَ :ماهذه؟ لكأنها نيرانُ عرفة. فقال بُدَيلُ بن ورقاءَ :نيرانُ بني عمرو، فقال أبو سفيان :عمرٌو أقلُّ من ذلك، فرآهم ناسٌ من حَرَس رسولِ الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسولَ الله ﷺ فأسلَم أبو سفيان، فلما سار قال للعبَّاس :احبِسْ أبا سفيانَ عند خَطْم الجَبل حتى ينظرَ إلى المسلمين، فحَبَسهُ العباسُ، فجعَلت القبائل تمرُّ مع النبي ﷺ :تَمرُّ كتيبة كتيبة على أبي سفيانَ، فمرَّت كتيبة فقال :يا عبَّاسُ من هذه ؟ فقال :هذه غِفار، قال: ما لي ولِغفار. ثمَّ مرَّت جُهَينةُ، قال مثلَ ذلك. ثمَّ مرَّت سعدُ بن هُذَيم، فقال مثل ذلك.ومرَّت سُلَيم، فقال مثل ذلك. حتى أقبلَت كتيبةٌ لم يرَ مثلَها، قال :من هذه ؟ قال :هؤلاء الأنصار : عليهم سعدُ بن عُبادة معهُ الراية، فقال سعدُ بن عُبادة :يا أبا سفيانَ، اليومَ يومُ الملحمة، اليومَ تُستحلُّ الكعبة. فقال أبو سفيان :يا عبَّاس حبَّذا يومُ الذِّمار. ثم جاءت كتيبة - وهي أقلُّ الكتائب - فيهم رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابهُ، ورايةُ النبي ﷺ معَ الزُّبير بن العَوام، فلما مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بأبي سفيانَ قال :ألم تعلم ما قال سعدُ بن عُبادة ؟ قال :ما قال ؟ قال :قال كذا وكذا فقال :كذبَ سعد، ولكنْ هذا يومٌ يُعظِّمُ اللهُ فيه الكعبةَ ويومٌ تُكسى فيه الكعبةُ. قال وأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ أن تُركزَ رايتُهُ بالحَجون» قال عروة :وأخبرني نافع بن جُبير بن مُطعِم قال «سمعتُ العباسَ يقول للزُّبير بن العوَّام :يا أبا عبدِ الله،ها هنا أمركَ رسولُ الله ﷺ أن تَركزَ الراية، قال :وأمرَ رسولُ لله ﷺ يومئذٍ خالدَ بن الوَليد أن يَدخلَ من أعلى مكةَ، من كَداء، ودخلَ النبيُّ ﷺ من كُدا فقُتِلَ من خيلِ خالد بن الوليد رضي الله عنه يومئذٍ رجلان:حُبَيشُ بن الأشعَر، وكُرزُ بن جابر الفِهريّ»

قوله (باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح)أي بيان المكان الذي ركزت فيه راية النبي ﷺ بأمره.

قوله (نيران عرفة) إشارة إلى ما جرت به عادتهم من إيقاد النيران الكثيرة ليلة عرفة، وعند ابن سعد أن النبي ﷺ أمر أصحابه في تلك الليلة فأوقدوا عشرة آلاف نار.

قوله (فرآهم ناس من حرس رسول اللهِ ﷺ فأدركوهم فأخذوهم) في رواية ابن عائذ، كان رسول اللهِ ﷺ بعث بين يديه خيلا تقبض العيون، وخزاعة على الطريق لا يتركون أحدا يمضي، فلما دخل أبو سفيان وأصحابه عسكر المسلمين أخذتهم الخيل تحت الليل».

قوله (احبس أبا سفيان)في رواية موسى بن عقبة أن العباس قال لرسول اللهِ ﷺ لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر، فاحبسه حتى تريه جنود الله، ففعل، فقال أبو سفيان:أغدراً يا بني هاشم ؟ قال العباس لا ولكن لي إليك حاجة فتصبح فتنظر جنود الله للمشركين وما أعد الله للمشركين، فحبسه بالمضيق دون الأراك حتى أصبحوا.

قوله(عند خطم الجبل) أي ازدحامها، وإنما حبسه هناك لكونه مضيقا ليرى الجميع ولا يفوته رؤية أحد منهم.

قوله (معه الراية)أي راية الأنصار.

قوله (فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة)أي يوم حرب لا يوجد منه مخلص، أي يوم قتل، يقال لحم فلان فلاناً إذا قتله.

قوله (اليوم تستحل الكعبة، فقال أبو سفيان: يا عبّاس حبّذا يوم الذّمار) ومراد سعد بقوله يوم الملحمة يوم المقتلة العظمى، ومراد أبي سفيان بقوله يوم الذمار أي الهلاك، قال الخطابي: تمنى أبو سفيان أن يكون له يد فيحمي قومه ويدفع عنهم. وقيل المراد هذا يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم لمن قدر عليه، قال ابن إسحق أن سعدا قال:اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يارسول الله ما آمن أن يكون لسعد في قريش صولة فقال لعلي:أدركه فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها، قال ابن هشام الرجل المذكور هو عمر، قلت: وفيه بعد،لأن عمر كان معروفاً بشدة البأس عليهم، وقد روى الأموي في المغازي أن أبا سفيان قال للنبيِّ ﷺ لما حاذاه:أمرت بقتل قومك؟ قال: لا، فذكر له ما قاله سعد بن عبادة، ثم ناشده الله والرحم، فقال: يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة، اليوم يعز الله قريشاً، وأرسل إلى سعد فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه قيس.

قوله (يوم يعظم[1]فيه الكعبة) يشير إلى ما وقع من إظهار الاسلام وأذان بلال على ظهرها وغير ذلك مما أزيل عنها مما كان فيها من الأصنام ومحو ما فيها من الصور وغير ذلك.

قوله (ويوم تكسى فيه الكعبة)قيل إن قريشاً كانوا يكسون الكعبة في رمضان فصادف ذلك اليوم، أو المراد باليوم الزمان كما قال يوم الفتح، فأشار النبي ﷺ إلى أنه هو الذي يكسوها في ذلك العام، ووقع ذلك.

(١) رواية الباب واليونينية "هذا يوم يعظّم الله فيه الكعبة".

قوله (وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون.)، هو مكان معروف بالقرب من مكة.

قوله (وأمر النبي[١] ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء)أي بالمد، ودخل النبي ﷺ من كدا أي بالقصر، وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة الآتية أن خالدا دخل من أسفل مكة والنبي ﷺ من أعلاها، وكذا جزم ابن إسحق أن خالداً دخل من أسفل ودخل النبي ﷺ من أعلاها وضربت له هناك قبة.

قوله (فقتل من خيل خالد بن الوليد رضي الله عنه يومئذ رجلان: وذكر ابن إسحق أن هذين الرّجلين سلكا طريقا فشذا عن عسكر خالد فقتلهما المشركون يومئذ، وذكر ابن إسحق أن أصحاب خالد لقوا ناسا من قريش، منهم سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية كانوا تجمعوا بالخندمة مكان أسفل مكة ليقاتلوا المسلمين، فناوشوهم شيئا من القتال، فقتل من خيل خالد مسلمة بن الميلاء الجهني، وقتل من المشركين إثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر وانهزموا، وفي ذلك يقول حماس بن قيس بن خالد البكري -قال ابن هشام:ويقال هي للمرعاش الهذلي- يخاطب امرأته حين لامته على الفرار من المسلمين :

إنكِ لو شهدتِ يومَ الخَنْدَمة ... إذ فرَّ صفوان وفر عكرمة

واستقبلَتْنا بالسيوف المسلمة ... يقطعْن كلَّ ساعدٍ وجُمْجمة

ضرباً فلا يُسمع إلا غَمْغمه ... لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

وعند موسى بن عقبة :واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناة وناس من هذيل ومن الأحابيش الذين استنصرت بهم قريش، فقاتلوا خالدا، فقاتلهم، فانهزموا وقتل من بني بكر نحو عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة، حتى انتهى بهم القتل إلى الحزورة إلى باب المسجد حتى دخلوا في الدور، وارتفعت طائفة منهم على الجبال، وصاح أبو سفيان :من أغلق بابه وكف يده فهو آمن، قال :ونظر رسول اللهِ ﷺ إلى البارقة فقال :ما هذا وقد نهيت عن القتال ؟ فقالوا:نظن أن خالداً قوتل وبدىء بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتل،ثم قال: وقال رسول اللهِ ﷺ بعد أن اطمأن لخالد بن الوليد«لمَ قاتلت وقد نَهيتُك عن القتال ؟ فقال: هم بدءونا بالقتال ووضعوا فينا السلاح، وقد كففتُ يديَّ ما استطعت.فقال: قضاء الله خير»

وروى الطبراني من حديث ابن عباس قال وقد كان رسول اللهِ ﷺ أمر أمراءه أن لا يقتلوا إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دم نفر سمَّاهم.

وقد جمعت أسماءهم من مفرقات الأخبار وهم :عبد الرحمن بن خطَل،وعبد الله بن سعد ابن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل، والحويرث بن نُقَيد ومقيس بن صبابه، وهبار بن

(١) رواية الباب واليونينية "وأمر رسول الله صلى يومئذٍ خالد بن الوليد ..."

الأسود، وقينتان كانتا لابن خطل تغنيان بهجو النبي ﷺ، وسارة مولاة بني المطلب وهي التي وجد معها كتاب حاطب. فأما ابن أبي سرح فكان أسلم ثم ارتد ثم شفع فيه عثمان يوم الفتح إلى النبي ﷺ فحقن دمه وقبل إسلامه، وأما عكرمة ففر إلى اليمن فتبعته امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فرجع معها بأمان من رسول الله ﷺ، وأما الحويرث فكان شديد الأذى لرسول الله ﷺ بمكة فقتله علي يوم الفتح،وأما مقيس بن صبابه فكان أسلم ثم عدا على رجل من الأنصار فقتله، وكان الأنصاري قتل أخاه هشاما خطأ، فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الأنصاري ثم ارتد، فقتله نميلة بن عبد الله يوم الفتح وأما هبار فكان شديد الأذى للمسلمين وعرض لزينب بنت رسول الله ﷺ لما هاجرت فنخس بعيرها فأسقطت ولم يزل ذلك المرض بها حتى ماتت، فلما كان يوم الفتح بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه أعلن بالاسلام فقبل منه فعفا عنه، وأما القينتان فاسمهما فرتني وقرينة، فاستؤمن لإحداهما فأسلمت وقتلت الأخرى.وأما سارة فأسلمت وعاشت إلى خلافة عمر، وذكر الحاكم أيضا ممن أهدر دمه كعب بن زهير وقصته مشهورة، وقد جاء بعد ذلك وأسلم ومدح، ووحشي بن حرب وقد تقدم شأنه في عزوة أحد، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان وقد أسلمت، وأرنب مولاة ابن خطل أيضا قتلت. وأم سعد قتلت فيما ذكر ابن إسحق فكملت العدة ثمانية رجال وست نسوة.

وروى أحمد ومسلم والنسائي من طريق عبد الله بن رباح عن أبي هريرة قال «أقبل رسول الله ﷺ، وقد بعث على إحدى الجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الأخرى وبعث أبا عبيدة على الحُسَّر- أي الذين بغير سلاح - فقال لي: يا أبا هريرة اهتف لي بالأنصار، فهتفت بهم فجاءوا فأطافوا به، فقال لهم :أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ؟ ثم قال بإحدى يديه على الأخرى :احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا، قال أبو هريرة :فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحداً منهم إلا قتلناه، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، قال فقال رسول الله ﷺ: من أغلق بابه فهو آمن » وقد تمسك بهذه القصة من قال إن مكة فتحت عَنوة وهو قول الأكثر،وعن الشافعي ورواية عن أحمد أنها فتحت صلحا لما وقع هذا التأمين، ولإضافة الدور إلى أهلها، ولأنها لم تقسم، ولأن الغانمين لم يملكوا دورها وإلا لجاز إخراج أهل الدور منها، وحجة الأولين ما وقع من التصريح من الأمر بالقتال ووقوعه من خالد بن الوليد، وبتصريحه ﷺ بأنها أحلت ساعة من نهار، ونهيه عن التأسي به في ذلك، وأجابوا عن ترك القسمة بأنها لا تستلزم عدم العنوة فقد تفتح البلد عنوة ويمن على أهلها ويترك لهم دورهم وغنائمهم، لأن قسمة الأرض المغنومة ليست متفقا عليها، بل الخلاف ثابت عن الصحابة فمن بعدهم، وقد فتحت أكثر البلاد عنوة

فلم تقسم وذلك في زمن عمر وعثمان مع وجود أكثر الصحابة، وقد زادت مكة عن ذلك بأمر يمكن أن يدعى اختصاصها به دون بقية البلاد، وهي أنها دار النسك ومتعبد الخلق، وقد جعلها الله تعالى حرما سواء العاكف فيه والباد.

ويمكن الجمع بين حديث أبي هريرة في أمره ﷺ بالقتال وبين حديث الباب في تأمينه ﷺ لهم بأن يكون التأمين علق بشرط وهو ترك قريش المجاهرة بالقتال، فلما تفرقوا إلى دورهم ورضوا بالتأمين المذكور لم يستلزم أن أوباشهم الذين لم يقبلوا ذلك وقاتلوا خالد بن الوليد ومن معه فقاتلهم حتى قتلهم وهزمهم أن تكون البلد فتحت عنوة، لأن العبرة بالأصول لا بالأتباع وبالأكثر لا بالأقل، ولا خلاف مع ذلك أنه لم يجر فيها قسم غنيمة ولاسُبي من أهلها ممن باشر القتال أحد، وهو مما يؤيد قول من قال لم يكن فتحها عنوة.

٤٢٨١-عن معاويةَ بن قُرَّة قال «سمعتُ عبدَ الله بن مُغفَّل يقول :رأيتُ رسولَ الله ﷺ يومَ فتح مكة على ناقتهِ وهو يقرأ سورةَ الفتح يُرَجِّعُ وقال :لولا أن يجتمعَ الناسُ حَولي لرجَّعتُ كما رجَّع ».

[الحديث ٤٢٨١- أطرافه في :٤٨٣٥، ٥٠٣٤، ٥٠٤٧، ٧٥٤٠]

٤٢٨٢-عن أسامةَ بن زيد أنهُ قال زمنَ الفتح: يا رسولَ الله،أينَ تَنزِلُ غداً ؟ قال النبي ﷺ :وهل ترك لنا عَقيلٌ من منزل ؟».

٤٢٨٣- «ثمَّ قالَ لاَ يَرِثُ المؤمنُ الكافرَ، ولا الكافرُ المؤمن، قيل للزُّهريِّ: ومَن ورِثَ أبا طالب ؟ قال ورِثَهُ عَقيلٌ وطالب، وقال مَعمر عن الزهريِّ :أينَ ننزِلُ غداً ؟ في حَجَّتهِ، ولم يَقل يونس حَجَّتهِ ولا زمنَ الفتح »

٤٢٨٤-عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال « قال رسولُ اللهِ ﷺ مَنزِلنا إن شاء الله إذا فتح الله - الخيفُ، حيث تَقاسموا على الكفر ».

٤٢٨٥-عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال «قال رسول الله ﷺ حين أراد حنيناً :منزلنا غداً إن شاء اللهُ بخَيفِ بني كِنانة، حيث تَقاسَموا على الكفر ».

قوله (يرجِّع)، والترجيع ترديد القارئ، الحرف في الحلق.

قوله (ورثه عقيل وطالب) تقدم في الحج ومن رواية يونس عن الزهري بلفظ «وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب ولم يرث جعفر ولا علي شيئاً لأنهما كانا مسلمين، وكان عقيل وطالب كافرين انتهى، وهذا يدل على تقدم هذا الحكم في أوائل الإسلام، لأن أبا طالب مات قبل الهجرة، ويحتمل أن تكون الهجرة لما وقعت استولى عقيل وطالب على ما خلفه أبو طالب، وكان أبو طالب قد وضع يده على ما خلفه عبد الله والد النبي ﷺ لأنه كان شقيقه

وكان النبي ﷺ عند أبي طالب بعد موت جده عبد المطلب، فلما مات أبو طالب ثم وقعت الهجرة ولم يسلم طالب وتأخر إسلام عقيل استوليا على ما خلف أبو طالب، ومات طالب قبل بدر وتأخر عقيل، فلما تقرر حكم الاسلام بترك توريث المسلم من الكافر استمر ذلك بيد عقيل فأشار النبي ﷺ إلى ذلك، وكان عقيل قد باع تلك الدور كلها، واختلف في تقرير النبي ﷺ عقيلا على ما يخصه هو فقيل :ترك له ذلك تفضلا عليه، وقيل استمالة له وتأليفًا، وقيل تصحيحا لتصرفات الجاهلية كما تصحح أنكحتهم.

قوله (حيث تقاسموا)يعني قريشاً (على الكفر) أي لما تحالف قريش أن لا يبايعوا بني هاشم ولا يناكحوهم ولا يؤوهم وحصروهم في الشِّعْب.

قوله في الطريق الثانية (قال رسول الله ﷺ حين أراد حنينا) أي في غزوة الفتح لأن غزوة حنين عقب غزوة الفتح.

قيل إنما اختار النبيُّ ﷺ النزول في ذلك الموضع ليتذكر ما كانوا فيه فيشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه من الفتح العظيم وتمكنهم من دخول مكة ظاهرا على رغم أنف من سعى في إخراجه منها ومبالغة في الصفح عن الذين أساءوا ومقابلتهم بالمنِّ والإحسان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

٤٢٨٦-عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه «أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ مكةَ يومَ الفتح وعلى رأسهِ المغفرُ، فلما نزَعَهُ جاء رَجلٌ فقال :ابنُ خَطَلٍ متعلِّقٌ بأستار الكعبة، فقال اقتُلْهُ، قال مالكٌ :ولم يَكنِ النبيُّ ﷺ فيما نرَى - والله أعلمُ - يؤمئذٍ مُحرِماً»

٤٢٨٧-عن عبدِ اللهِ رضيَ الله عنه قال « دخلَ النبيُّ ﷺ مكةَ يومَ الفتح وحولَ البيتِ ستونَ وثلاثمائةِ نُصُب، فجعلَ يَطعنُها بعود في يدهِ ويقول :جاء الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ، جاء الحقُّ وما يُبدِئُ الباطلُ وما يُعيد »

٤٢٨٨-عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهما «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لما قدمَ مكةَ أبى أن يَدخُلَ البيتَ وفيه الآلهةُ، فأمرَ بها فأخرِجَت، فأخرِجَ صورةُ إبرهيمَ وإسماعيلَ في أيديهما منَ الأزْلام، فقال النبيُّ ﷺ قاتلَهمُ اللهُ،لقد علِموا ما استَقْسَما بها قط، ثُم دخلَ البيتَ فكبَّرَ في نواحي البيتِ وخرجَ ولم يُصلِّ فيه».

واستُدل بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة على أن الكعبة لا تعيذ من وجب عليه القتل، وأنه يجوز قتل من وجب عليه القتل في الحرم، وفي الاستدلال بذلك نظر لأن المخالفين تمسكوا بأن ذلك إنما وقع في الساعة التي أحل للنبي ﷺ فيها القتالُ بمكة، وقد صرح بأن حرمتها عادت كما كانت، والساعة المذكورة وقع عند أحمد من حديث عمرو بن

شعيب عن أبيه عن جده أنها استمرت من صبيحة يوم الفتح إلى العصر.

قوله (ستون وثلاثمائة نُصُب) هي واحدة الأنصاب للعبادة من دون الله تعالى.

قوله (بعود في يده ويقول: جاء الحق)، وفعل النبي ﷺ ذلك لإذلال الأصنام وعابديها، ولإظهار أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تدفع عن نفسها شيئا.

قوله (الأزلام)هي السهام التي كانوا يستقسمون بها الخير والشر.

وفي الحديث كراهية الصلاة في المكان الذي فيه صور لكونها مظنة الشرك، وكان غالب كفر الأمم من جهة الصور.

٤٩ -باب دُخولِ النبي ﷺ من أعلى مكة

٤٢٨٩-عنِ عبدِ اللهِ بن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أقبلَ يومَ الفتح من أعلى مكةَ على راحلتهِ مردفاً أسامةَ بن زيد ومعهُ بلالٌ ومعهُ عثمانُ بن طلحةَ منَ الحَجبةِ حتى أناخ في المسجدِ، فأمرَهُ أن يأتيَ بمفتاح البيتِ، فدخلَ رسولُ اللهِ ﷺ ومعهُ أسامة بن زيد وبلالٌ وعثمانُ بن طلحةَ، فمكثَ فيهِ نهاراً طويلاً، ثمَّ خرجَ فاستبقَ الناسُ، فكان عبدُ اللهِ بن عمرَ أولَ من دخلَ، فوجد بلالا وراء البابِ قائماً فسأله :أينَ صلّى رسولُ اللهِ ﷺ ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلّى فيه، قال عبدُ اللهِ :فنسيتُ أن أسألَه : كم صلّى سجدة».

٤٢٩٠-عن هشام بن عروةَ عن أبيهِ «انَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أخبرَتهُ أن النبيَّ ﷺ دخلَ عامَ الفتح من كَداءِ التي بأعلى مكة» تابعه أبو أسامة ووُهَيبٌ «في كَداء»

٤٢٩١-عن هشام عن أبيهِ «دخلَ النبيُّ ﷺ عامَ الفتح من أعلى مكةَ من كَداء»

قوله (باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة) أي حين فتحها، وقد روى الحاكم في «الإكليل» من طريق جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال « دخل رسول اللهِ ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على رحله متخشعا».

قوله (فأمره أن يأتي بمفتاح البيت) روى عبد الرزاق والطبراني من جهته من مرسل الزهري «أن النبي ﷺ قال لعثمان يوم الفتح: ائتني بمفتاح الكعبة، فأبطأ عليه ورسول الله ﷺ ينتظره حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ويقول :ما يحبسه؟ فسعى إليه رجل، وجعلت المرأة التي عندها المفتاح وهي أم عثمان واسمها سلافة بنت سعيد تقول: إن أخذه منكم لا يعطيكموه أبداً، فلم يزل بها حتى أعطت المفتاح، فجاء به ففتح، ثم دخل البيت، ثم خرج فجلس عند السقاية فقال علي: إنا أعطينا النبوةَ والسِّقايةَ والحجابة، ما قوم بأعظمَ نصيبا منّا، فكره النبي ﷺ مقالته، ثم دعا عثمان بن طلحة فدفع المفتاح إليه.

قال ابن إسحق :وحدثني بعض أهل العلم أنه ﷺ قام على باب الكعبة، فذكر الحديث،

وفيه :ثم قال يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم ؟ قالوا :خيرا ،أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

٥٠ - باب منزلِ النبيِّ ﷺ يومَ الفتح

٤٢٩٢-عن عمرو عنِ ابن أبي ليلى قال «ما أخبرَنا أحدٌ أنهُ رأى النبيَّ ﷺ يصلّي الضحى غيرَ أمِّ هانىء، فإنها ذكرَت أنه يومَ فتح مكةَ اغتَسلَ في بيتِها، ثمَّ ﷺ ثمانيَ ركعات، قالت لم أره ﷺ صلاة أخفَّ منها ،غيرَ أنه يتمُّ الركوع والسجود »

قوله (باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح) أي المكان الذي نزل فيه، وقد تقدم قريبا في الكلام على الحديث الثالث أنه نزل بالمحصب، وهنا أنه في بيت أم هانىء، ولا مغايرة بينهما لأنه لم يقم في بيت أم هانئ وإنما نزل به حتى اغتسل و ﷺ ثم رجع إلى حيث ضربت خيمته عند شعب أبي طالب، وهو المكان الذي حصرت فيه قريش المسلمين.

٥١ ـ باب * ٤٢٩٣ -عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت « كان النبيُّ ﷺ يقول في ركوعهِ وسجودهِ سُبحانكَ اللهمَّ ربَّنا وبحمدِك، اللهمَّ اغفرْ لي ».

٤٢٩٤-عنِ ابن عبَّاس رضيَ اللهُ عنهما قال « كان عمرُ يُدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضُهم :لمَ تُدخِلُ هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثلهُ ؟ فقال : إنهُ ممن قد علمتم، فدعاهم ذاتَ يوم ودَعاني معهم، قال :وما أُريتهُ دعاني يومئذ إلا ليريَهم منّي، فقال: ما تقولونَ في {إذا جاء نصرُ اللهِ والفتح ورأيتَ الناسَ يَدخُلونَ في دينِ اللهِ أفواجا} حتى خَتمَ السورة، فقال بعضُهم :أُمِرنا أن نحمدَ الله ونستغفرَهُ إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم، لا ندري، أو لم يقلْ بعضُهم شيئاً، فقال لي :يا ابن عباس أكذلك تقول ؟ قلتُ :لا ،قال فما تقولُ ؟ قلتُ :هو أجَلُ رسولِ الله ﷺ أعلمَهُ اللهُ لهُ إذا جاءَ نصرُ الله، والفتحُ فتح مكةَ فذاكَ علامة أجَلِكَ، فسبِّح بحمد ربِّك واستغفِرهُ، إنهُ كان تَوّابا، قال عمرُ : ما أعلمُ منها إلاّ ما تَعلم »

٤٢٩٥-عن أبي شُرَيح العَدَويِّ أنه قال لعمرِو بنِ سعيد وهو يَبعثُ البعوثَ إلى مكةَ : ائذَن لي أيُّها الأميرُ أُحدِّثكَ قولا قام بهِ رسولُ الله ﷺ الغَدَ من يوم الفتح، سمِعَتْهُ أُذنايَ ووعاهُ قلبي وأبصرَتْهُ عيناايَ حينَ تكلَّمَ به :أنه حَمِدَ اللهَ وأثنى عليهِ ثمَّ قال: إنَّ مكةَ حَرَّمَها اللهُ ولم يحرِّمْها الناسُ، لا يَحِل لامرئ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أن يسفكَ بها دماً، ولا يعضِدَ بها شجراً، فإن أحدٌ ترخَّصَ لقتالِ رسولِ الله فيها فقولوا له: إنَّ اللهَ أذِنَ لرسولهِ ولم يَأذَنْ لكم، وإنما أذِنَ له فيه ساعة من نهار، وقد عادَت حُرمتُها اليومَ كحرمتِها بالأمس وليبلغِ الشاهِدُ الغائبَ، فقيلَ لأبي شُرَيح: ماذا قال لكَ عمرٌو؟ قال: قال

أنا أعلمُ بذلكَ منك يا أبا شُرَيح، إنَّ الحرَمَ لا يُعيذُ عاصيا، ولا فاراً بدَم، ولا فاراً بخَرْبَة» قال أبو عبد الله الخربة البلية.

٤٢٩٦ - عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضيَ اللهُ عنهما «أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ عامَ الفتح وهو بمكةَ :إنَّ اللهَ ورسولَهُ حرَّمَ بيع الخمر »

قوله (ممن قد علمتم) أي فضله، وقوله (ليريهم مني)أي بعض فضيلتي.

٥٢ ـ باب مقام النبيِّ ﷺ بمكةَ زمنَ الفتح

٤٢٩٧-عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ «أقمنا مع النبيِّ ﷺ عَشراً نقصر الصلاةَ»

٤٢٩٨-عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال « أقامَ النبيُّ ﷺ بمكةَ تسعةَ عشرَ يوماً يُصلِّي ركعتين »

٤٢٩٩-عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال «أقمنا معَ النبيِّ ﷺ في سفر تسعَ عشرةَ نقصُرُ الصلاةَ، وقال ابن عباس ونحن نَقصرُ ما بينَنا وبينَ تسعَ عشرةَ، فإذا زدنا أتممنا».

قوله (باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح) الذي أعتقده أن حديث أنس إنما هو في حجة الوداع، فإنها هي السفرة التي أقام فيها بمكة عشراً، لأنه دخل يوم الرابع وخرج يوم الرابع عشر، وأما حديث ابن عباس فهو في الفتح وقد قدمت ذلك بأدلته في باب قصر الصلاة(١).

٥٣ ـ باب * ٤٣٠٠-عنِ ابن شهاب «أخبرَني عبدُ اللهِ بن ثَعلبةَ ابن صُعَير، وكان النبيُّ ﷺ قد مسحَ وَجهَهُ عام الفتح».

[الحديث ٤٣٠٠- طرفه في :٦٣٥٦]

٤٣٠١- عن مَعمَر عن الزُّهريِّ عن سُنَين أبي جميلةَ قال أخبرنا ونحنُ مع ابنِ المسيَّبِ «قال وزعم أبو جميلةَ أنهَ أدركَ النبيَّ ﷺ وخرجَ معهُ عام الفتح.

قوله (باب) كذا في الأصول بغير ترجمة.

٤٣٠٢- عن عمرِو بن سَلِمةَ قال «قال لي أبو قِلابةَ ألا تَلقاهُ فتسألهُ فقال : كنّا بما ممرَّ الناسِ، وكانَ يَمرُّ بنا الرُّكبان فنسألهم : ما الناسِ، ما الناس ؟ ما هذا الرجلُ فيقولون: يَزعمُ أنَّ الله أرسلَهُ، أوحى إليه أو أوحى اللهُ بكذا، فكنتُ أحفظُ ذاكَ الكلام فكأنما يقرُّ في صدري، وكانتِ العربُ تَلوَّمُ بإسلامهم الفتحَ فيقولون اتركوهُ وقومهُ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق، فلما كانت وقعة أهلِ الفتح بادرَ كلُّ قوم بإسلامهم، وبدرَ أبي قومي بإسلامِهم، فلما قدمَ قال: جئتُكم واللهِ من عندِ النبيِّ ﷺ حقاً، فقال: صلُّوا صلاةَ كذا في حينِ كذا، وصلُّوا صلاةَ كذا في حينِ كذا، فإذا حَضرَت الصلاةُ فليُؤذن أحدكم، وليؤُمَّكم

(١) كتاب تقصير الصلاة باب / ١ ح ١٠٨٠ - ١ / ٢٤٥

أكثرُكم قرآناً، فنظَروا، فلم يكن أحدٌ أكثرَ قرآناً مني، لِما كنتُ أتلقّى منَ الرُكبا ، فقدّموني بينَ أيديهم وأنا ابنُ ستّ أو سبع سنينَ، وكانت عليَّ بُردةٌ كنتُ إذا سجدتُ تَقلّصَت عني، فقالتِ امرأةٌ منَ الحيّ : ألا تُغطُّو عنّا إستَ قارِئكم، فاشتَروا، فقطعوا لي قميصاً ، فما فرِحتُ بِشيءٍ فرَحي بذلك القميص ».

قوله (ماهذا الرجل)أي يسألو عن النبي ﷺ وعن حال العرب معه.

قوله (أوحي إليه، أوحى الله بكذا) يريد حكاية ما كانوا يخبرونهم به مما سمعوه من القرآن.

قوله (تقلصت) أي انجمعت وارتفعت وفي رواية أبي داود -تكشفت عني، وفي الحديث حجة للشافعية في إمامة الصبي المميز في الفريضة، وهي خلافية مشهورة ولم ينصف من قال إنهم فعلوا ذلك باجتهادهم، ولم يطلع النبي ﷺ على ذلك لأنها شهادة نفي » ولأن زمن الوحي لا يقع التقرير فيه على ما لا يجوز، كما استدل أبو سعيد وجابر لجواز العزل بكونهم فعلوه على عهد النبي ﷺ ولو كان منهيا عنه لنُهيَ عنه في القرآن، وكذا من استدل به بأن ستر العورة في الصلاة ليس شرطا لصحتها بل هو سنة، ويجزي بدون ذلك لأنها واقعة حال فيحتمل أن يكون ذلك بعد علمهم بالحكم.

٤٣٠٣-عن عائشةَ قالت «كان عُتبَةُ بن أبي وقاص عهدَ إلى أخيهِ سعدٍ أن يقبضَ ابنَ وَليدةِ زَمعةَ ، وقال عتبةُ: إنَّهُ ابني، فلما قدمَ رسولُ الله ﷺ مكةَ في الفتح أخذَ سعدُ بن أبي وقاصٍ ابنَ وَليدةِ زَمعةَ فأقبلَ بهِ إلى رسولِ الله ﷺ وأقبلَ معهُ عبدُ بن زمعةَ فقال سعدُ بن أبي وقاص : هذا ابنُ أخي عَهِد إليَّ أنهُ ابنُه فقال عبدُ بن زمعةَ، يا رسول الله هذا أخي، هذا ابنُ زمعةَ وُلدَ على فراشهِ فنظرَ رسول الله ﷺ إلى ابنِ وَليدة زَمعةَ فإذا أشبَهُ الناس بعتبةَ بن أبي وَقّاص فقال رسولُ اللهِ ﷺ هَو لكَ، هو أخوكَ يا عبدُ بن زَمعة من أجلِ أنه وُلدَ على فراشهِ، وقال رسول الله ﷺ احتَجبي منه يا سَودةُ، لما رأى من شَبَهِ عتبةَ بن أبي وَقّاص» قال ابنُ شهاب قالت عائشةُ قال رسولُ الله ﷺ «الوَلدُ للفراش، وللعاهِر الحَجر» وقال ابنُ شهاب :وكان أبو هريرة يصيحُ بذلك.

٤٣٠٤-عن عروة بن الزُبير «أن امرأةً سرقت في عهدِ رسولِ الله ﷺ في غزوةِ الفتح ففَزِعَ قومُها إلى أسامةَ بن زيدٍ يستشفِعونه قال عروةُ: فلما كلّمهُ أسامةُ فيها تَلوَّنَ وَجهُ رسولِ اللّه ﷺ فقال: أتكلّمُني في حدٍّ من حدودِ الله؟ قال أسامة اِستغفر لِي يا رسولَ اللّه، فَلمّا كانَ العشيُّ قام رسول الله ﷺ خطيبا فأثنى على الله بما هوَ أهله ثم قال: أما بعدُ فإنما أهلكَ الناسَ قبلكم أنّهُمْ كانوا إذا سرقَ فيهم الشريفُ تركوهُ، وإذا سَرقَ فيهمُ

(١) رواية الباب واليونينية "هذا يوم يعظّم الله فيه الكعبة"

الضعيفُ أقاموا عليهِ الحدَّ، والذي نفسُ محمد بيدِه، لو أن فاطمةَ بنتَ محمد سَرَقَتْ لقطعتُ يدَها، ثمَّ أمر رسولُ الله ﷺ بتلك المرأةِ فقُطِعَت يدُها، فحسُنَت توبَتها بعد ذلك وتزوَّجت، قالت عائشة، فكانت تأتيني بعد ذلك فأرفَعُ حاجتَها إلى رسولِ الله ﷺ ».

وسيأتي شرح هذا الحديث في كتاب الحدود[1]، والغرض منه هنا الإشارة إلى أن هذه القصة وقعت يوم الفتح.

٤٣٠٥ . ٤٣٠٦ - عن مجاشعَ قال «أتيتُ النبيَّ ﷺ بأخي بعدَ الفتح، فقلت :يا رسولَ اللهِ، جئتك بأخي لتبايعَه على الهجرة، قال :ذهبَ أهلُ الهجرةِ بما فيها، فقلتُ على أيِّ شيء تبايعهُ؟ قال أبايعهُ على الإسلام والإيمان والجهاد، فلَقيتُ معبداً بعدُ -وكان أكبرهما- فسألتهُ فقال :صدق مجاشع».

٤٣٠٧ . ٤٣٠٨- عن مجاشع بن مسعود «انطلقتُ بأبي مَعبَدٍ إلى النبيِّ ﷺ ليبايعهُ على الهجرة: قال مَضَتِ الهجرةُ لأهلِها أبايعَهُ على الإسلام والجهاد، فلَقيت أبا مَعبدٍ، فسألتهُ فقال: صدقَ مجاشِع» وقال خالدٌ عن أبي عثمان عن مجاشع إنه جاء بأخيه مجالد»

٤٣٠٩- عن مجاهد «قلتُ لابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما :إني أريدُ أن أهاجرَ إلى الشام، قال لا هجرة، ولكن جهادٌ، فانطلقْ فاعرِضْ نفسكَ، فإن وجدتَ شيئاً وإلا رجعت».

٤٣١٠- عن مجاهد «قلت لابن عمرَ، فقال: لا هجرةَ اليومَ -أو بعدَ رسول الله ﷺ- مثله».

٤٣١١-أنَّ عبدَ الله بن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما كان يقولُ: «لا هجرةَ بعد الفتح».

٤٣١٢-عن عطاءِ بن أبي رباح قال زُرت عائشةَ معَ عبَيد بن عمير، فسألها عن الهجرةَ فقالت: لا هجرةَ اليومَ، كان المؤمن يَفرُّ أحدُهم بدينه إلى اللهِ إلى ورسولِهِ ﷺ مخافةَ أن يُفتَنَ عليه، فأما اليومَ فقد أظهرَ اللهُ الإسلامَ، فالمؤمنُ يعبد ربَّهُ حيثُ شاء، ولكن جهادٌ ونيّة ».

٤٣١٣-عن مجاهد «أنَّ رسولَ الله ﷺ قام يومَ الفتح فقال: إنَّ الله حَرَّمَ مكة يومَ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ، فهيَ حَرامٌ بحرام الله إلى يوم القيامة، لم تحلَّ لأحد قبلي ولا تحلُّ بعدي، ولم تحللْ لي قطُّ إلا ساعة من الدهر: لا يُنفَّرُ صيدُها، ولا يعضَدُ شجرها ولا يختلى خلاها، ولاتحلُّ لقطتها إلا لمُنشد، فقال العباس بن عبد المطلب :إلا الإذخِرَ يا رسولَ الله،فإنهُ لا بدَّ منه للقَين والبيوت، فسكتَ ثمَّ قال :إلا الإذخرَ فانَّه حَلال».

وقد تقدم شرح هذا الحديث في كتاب الحج[2].

(١) كتاب الحدود باب / ١٢ ح ٦٧٨٨ - ٥ / ١٩٥

(٢) كتاب جزاء الصيد باب / ١٠ ح ١٨٣٤ - ٢ / ١٢٥.

٥٤ - باب قول الله تعالى /٢٥ التوبة/ {ويَومَ حُنَينٍ إذ أعجَبَتْكم كَثرتُكم فلم تُغْنِ عنكم شيئاً وضاقت عليكُم الأرض بما رَحُبَتْ ثمَّ وليتم مُدبرين، ثمَّ أنزلَ الله سكينتهُ -إلى قولهِ- غفورٌ رَحيم}

قوله (باب قوله تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم -إلى قوله- غفور رحيم) وحنين واد إلى جنب ذي المجاز قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات، قال أهل المغازي :خرج النبي ﷺ إلى حنين لست خلت من شوال وقيل لليلتين بقيتا من رمضان، وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج في أواخر رمضان وسار سادس شوال، وكان وصوله إليها في عاشره، وكان السبب في ذلك أن مالك بن عوف النضري جمع القبائل من هوازن ووافقه على ذلك الثقفيون، وقصدوا محاربة المسلمين، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخرج إليهم، قال عمر بن شبة في «كتاب مكة» عن عروة أنه كتب إلى الوليد: أما بعد فإنك كتبت إليَّ تسألني عن قصة الفتح، فذكر له وقتها، فأقام عامئذ بمكة نصف شهر، ولم يزد على ذلك حتى أتاه أن هوازن وثقيفا قد نزلوا حنينا يريدون قتال رسول الله ﷺ وكانوا قد جمعوا إليه ورئيسهم عوف بن مالك ولأبي داود بإسناد حسن من حديث سهل بن الحنظلية «أنهم ساروا مع النبي ﷺ إلى حنين فأطنبوا السير، فجاء الرجل فقال: إني انطلقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم قد اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله تعالى».

٤٣١٤-عن يزيد بن هارون أخبرنا إسماعيل قال «رأيت بيد ابن أبي أوفى ضربةً، قال ضُربتُها مع النبيِّ ﷺ يوم حُنَين، قلتُ شَهدتَ حُنَيناً؟ قال: قبلَ ذلك ».

٤٣١٥-عن أبي إسحاقَ قال سمعتُ البَراء رضيَ اللهُ عنه، وجاءه رجلٌ فقال :يا أبا عُمارةَ، أتَولَّيت يوم حنين - فقال :أما أنا فأشهدُ على النبيِّ ﷺ أنهُ لم يُوَلِّ، ولكن عَجِلَ سَرعانُ القوم، فرشقَتْهم هَوازنُ -وأبو سفيانَ بن الحارثِ آخِذٌ برأسِ بَغلتِه البيضاء- يقول أنا النبيُّ لا كَذِب أنا ابنُ عبد المطلب».

٤٣١٦-عن أبي إسحاقَ «قيل للبراء وأنا أسمعُ :أوَلَّيتُم معَ النبيِّ ﷺ يومَ حُنَينٍ؟ فقال :أمَّا النبيُّ ﷺ فلا، كانوا رُماةً، فقال النبيُّ ﷺ:أنا النبيُّ لا كَذِب أنا ابنُ عبد المطلب».

٤٣١٧- عن أبي إسحاقَ سمعَ البراء - وسأله رجلٌ من قيس :أفررتم عن رسولِ اللهِ يومَ حنين ؟ فقال لكنَّ رسولَ اللهِ لم يَفِرَّ، كانت هَوازنُ رُماة وإنا لما حملنا عليهم انكَشَفوا فأكبَبْنا على الغَنائم، فاستُقبِلْنا بالسهام، ولقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ على بَغلتهِ البَيضاء، وإنَّ أبا سُفيانَ بن الحارث آخِذٌ بزمامِها وهو يقول أنا النبيُّ لا كَذِب» قال إسرائيلُ وزُهير

« نزل النبيُّ ﷺ عن بغلتهِ »

قوله (أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يولِّ) تضمن جواب البراء إثبات الفرار لهم، لكن لا على طريق التعميم، وأراد أن إطلاق السائل يشمل الجميع حتى النبي ﷺ لظاهر الرواية الثانية.

قال النووي :هذا الجواب من بديع الأدب، لأن تقدير الكلام فررتم كلكم، فيدخل فيهم النبي ﷺ، فقال البراء، لا والله ما فر رسول الله ﷺ ولكن جرى كيت وكيت فأوضح أن فرار من فرَّ لم يكن على نية الاستمرار في الفرار وإنما انكشفوا من وقع السهام.

قوله (ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن) والعذر لمن انهزم من غير المؤلفه أن العدو كانوا ضعفهم في العدد وأكثر من ذلك.

قوله (وأبو سفيان بن الحارث) أي ابن عبد المطلب بن هاشم وهو ابن عم النبي ﷺ، وكان إسلامه قبل فتح مكة لأنه خرج إلى النبي ﷺ فلقيه في الطريق وهو سائر إلى فتح مكة فأسلم وحسن إسلامه، وخرج إلى غزوة حنين فكان فيمن ثبت، وعند ابن أبي شيبه من مرسل الحكم بن عتيبة قال: لما فر الناس يوم حنين جعل النبي ﷺ يقول أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، فلم يبق معه إلا أربعة نفر، ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم :علي والعباس بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان، وابن مسعود من الجانب الأيسر، قال وليس يقبل نحوه أحد إلا قتل.

وروى الترمذي من حديث ابن عمر بإسناد حسن قال « لقد رأيتنا يوم حنين وإن الناس لمولين، وما مع رسول اللهِ ﷺ مائة رجل » وهذا أكثر ما وقفت عليه من عدد من ثبت يوم حنين.

وروى أحمد والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال «كنت مع النبي ﷺ يوم حنين فولّى عنه الناس، وثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والأنصار، فكنّا على أقدامنا، ولم نولّهم الدبر، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة » وأما ما ذكره النووي في شرح مسلم أنه ثبت معه اِثنا عشر رجلا فكأنه أخذه مما ذكره ابن إسحق في حديثه أنه ثبت معه العباس وابنه الفضل وعلي وأبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة وأسامة بن زيد وأخوه من أمه أيمن بن أم أيمن، ومن المهاجرين أبو بكر وعمر، فهؤلاء تسعة، وقد تقدم ذكر ابن مسعود في مرسل الحاكم فهؤلاء عشرة، ووقع في شعر العباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك قوله:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا

وعاشرنا وافى الحمام بنفسه ... لما مسه في الله لا يتوجع

ولعل هذا هو الثبت، ومن زاد على ذلك يكون عجَّل في الرجوع فَعُدَّ فيمن لم ينهزم.

قال الطبري :الانهزام المنهي عنه هو ما وقع على غير نية العود وأما الاستطراد للكثرة فهو كالتحيز إلى فئة.

قوله (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب) وأما نسبته إلى عبد المطلب دون أبيه عبد الله فكأنها لشهرة عبد المطلب بين الناس لما رزق من نباهة الذكر وطول العمر، بخلاف عبد الله فانه مات شابا، ولهذا كان كثير من العرب يدعونه ابن عبد المطلب، كما قال ضمام بن ثعلبة لما قدم: أيكم ابن عبد المطلب؟ وقيل لأنه كان اشتهر بين الناس أنه يخرج من ذرية عبد المطلب رجل يدعو إلى الله ويهدي الله الخلق على يديه ويكون خاتم الأنبياء، فانتسب إليه ليتذكر ذلك من كان يعرفه وقد اشتهر ذلك بينهم، وذكره سيف بن ذي يزن قديما لعبد المطلب قبل أن يتزوج عبد الله آمنه وأراد النبيﷺ تنبيه أصحابه بأنه لا بد من ظهوره وأن العاقبة له لتقوى قلوبهم إذا عرفوا أنه ثابت غير منهزم، وأما قوله «لا كذب» ففيه إشارة إلى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب، فكأنه قال:أنا النبي، والنبي لا يكذب، فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم، وأنا متيقن بأن الذي وعدني الله به من النصر حق، فلا يجوز عليَّ الفرار، وقيل :معنى قوله «لا كذب» أي أنا النبي حقا لا كذب في ذلك.

وفي الحديث من الفوائد حسن الأدب في الخطاب، والإرشاد إلى حسن السؤال بحسن الجواب وذم الإعجاب وفيه جواز الإنتساب إلى الآباء ولو ماتوا في الجاهلية، والنهي عن ذلك محمول على ما هو خارج الحرب، ومثله الرخصة في الخيلاء في الحرب دون غيرها، وجواز التعرض إلى الهلاك في سبيل الله، ولا يقال كان النبي ﷺ متيقنا للنصر لوعد الله تعالى له بذلك وهو حق، لأن أبا سفيان بن الحارث قد ثبت معه آخذ بلجام بغلته وليس هو في اليقين مثل النبي ﷺ وقد استشهد في تلك الحالة أيمن بن أم أيمن كما تقدمت الإشارة إليه في شعر العباس، وفيه ركوب البغلة إشارة إلى مزيد الثبات، لأن ركوب الفحولة مظنة الاستعداد للفرار والتولي، وإذا كان رأس الجيش قد وطَّن نفسه على عدم الفرار وأخذ بأسباب ذلك كان ذلك أدعى لأتباعه على الثبات، وفيه شهرة الرئيس نفسه في الحرب مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو.

٤٣١٨، ٤٣١٩-قال محمدُ بن شهابٍ : وزعمَ عروةُ بن الزُّبير أن مروانَ والمِسوَرَ بن مخرمةَ أخبراهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قام حينَ جاءهُ وفد هوازن مسلمينَ فسألوهُ أن يَرُدَّ إليهم أموالهم وسَبْيهم، فقال لهم رسولُ اللهِ ﷺ :معي مَن تَرَونَ وأَحَبُّ الحديثِ إليَّ أصدَقُهُ، فاختاروا إحدى الطائفتينِ : إما السَّبيَ، وإمّا المالَ، وقد كنتُ استأنيتُ بكم - وكان

أنظرهم رسولُ اللهِ ﷺ بضعَ عشرةَ ليلةً حين قَفَلَ منَ الطائف - فلما تبين لهم أن رسول اللهِ ﷺ غيرُ رادٍّ إليهم إلاّ إحدى الطائفتَين قالوا: فإنّا نختارُ سَبْينا، فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال أما بعدُ فإنَّ إخوانكم قد جاءونا تائبين، إني قد رأيتُ أن أرُدّ إليهم سَبيَهم، فَمن أحبَّ منكم أن يطيِّبَ ذلك فلْيَفعلْ، ومن أحبَّ منكم أن يكونَ على حَظِّهِ حتى نُعطيَهُ إيّاهُ من أوّل ما يُفيءُ الله علينا فلْيَفعلْ. فقال الناسُ : قد طيَّبْنا ذلك يا رسولَ الله، فقال رسولُ اللهِ ﷺ إنّا لا ندري مَن أذِنَ منكم في ذلك مِمَّن لم يأذن، فارجِعوا حتى يَرفَعَ إلينا عُرَفاؤكم أمركم، فرجع الناسُ، فكلّمَهُم عُرَفاؤهم، ثمَّ رجعوا إلى رسول اللهِ ﷺ فأخبَروهُ أنهم قد طيَّبوا وأذِنوا، هذا الذي بلغني عن سَبيِ هوازنَ»

قوله (قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين) ساق الزهريُّ هذه القصة من هذا الوجه مختصرة، وقد ساقها موسى بن عقبة في المغازي مطولة ولفظه « ثم انصرف رسول اللهِ ﷺ من الطائف في شوال إلى الجعرانة وبها السبي يعني سبي هوازن، وقدمت عليه وفد هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر من أشرافهم فأسلموا وبايعوا، ثم كلموه فقالوا : يا رسول الله إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات وهن مخازي الأقوام، فقال :سأطلب لكم، وقد وقعت المقاسم فأي الأمرين أحب إليكم السبي أم المال؟ قالوا خيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال، فالحسب أحب إلينا، ولا نتكلم في شاة ولا بعير، فقال : أما الذي لبني هاشم فهو لكم، وسوف أكلم لكم المسلمين، فكلموهم وأظهروا إسلامكم، فلما صلى رسول الله ﷺ الهاجرة قاموا فتكلم خطباؤهم فأبلغوا ورغبوا إلى المسلمين في رد سبيهم، ثم قام رسول اللهِ ﷺ حين فرغوا فشفع لهم وحض المسلمين عليه وقال :قد رددت الذي لبني هاشم عليهم».

قوله (وقد كنت استأنيت بكم) في رواية الكشميهني «لكم» ومعنى استأنيت استنظرت، أي أخرت قسم السبي لتحضروا فأبطأتم.

قوله (فمن أحب[1]أن يطيب ذلك)أي يعطيه عن طيب نفس منه من غير عوض.

قوله (فقال الناس قد طيبنا ذلك) في رواية موسى بن عقبة «فأعطى الناس ما بأيديهم، إلا قليلا من الناس سألوا الفداء» وفي رواية عمرو بن شعيب المذكورة «فقال المهاجرون: ما كان لنا فهو لرسول الله، وقالت الأنصار كذلك، وقال الأقرع بن حابس :أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينه:أما أنا وبنو فزارة فلا :وقال العباس بن مرداس :أما أنا وبنو سليم فلا:فقالت بنو سليم :بل ما كان لنا فهو لرسول الله، قال فقال رسول اللهِ ﷺ :من تمسك

(١) رواية الباب واليونينية "فمن أحب منكم أن يطيّب ذلك".

منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول فيء نصيبه، فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم ».

٤٣٢٠-عن ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنه قال «لما قَفَلنا من حنَين سألَ عمرُ النبيَّ ﷺ عن نَذرٍ كان نذره في الجاهليةِ اعتكافٍ، فأمرهُ النبيُّ ﷺ بوفائه»

٤٣٢١-عن أبي قتادة قال «خرجْنا معَ النبيِّ ﷺ عامَ حُنَين، فلما التَقَيْنا كانت للمسلمين جَولةٌ، فرأيتُ رجلاً من المشركينَ قد عَلا رجلاً منَ المسلمين، فضربتهُ من ورائهِ على حبل عاتقه بالسيف فقطعتُ الدِّرعَ، وأقبلَ عليَّ فضمَّني ضمَّةً وجدتُ منها ريحَ الموت، ثمَّ أدركهُ الموتُ فأرسلَني، فلحقتُ عمرَ فقلتُ: ما بالُ الناس؟ قال: أمرُ الله عزَّ وجل، ثم رجعوا، وجلسَ النبيُّ ﷺ فقال: من قَتل قَتيلاً لهُ عليه بيِّنةٌ فلهُ سَلَبهُ، فقلتُ مَن يَشهدُ لي؟ ثمَّ جلست، فقال النبيُّ ﷺ مثله، قال :ثم قال النبيُّ ﷺ مثله فقمتُ فقلت: من يشهدُ لي ثم جلستُ، قال ثمَّ قال النبي ﷺ مثلَهُ، فقمتُ، فقال: ما لكَ يا أبا قَتادةَ؟ فأخبرته، فقال رجل؟ صدَقَ وسلَبُهُ عندي، فأرضهِ مني، فقال أبو بكر لاها الله، إذاً لا يعمِدُ إلى أسدٍ من أسدِ الله يُقاتلُ عنِ اللهِ ورسولهِ ﷺ فيُعطيكَ سلبَه، فقال النبيُّ ﷺ: صدقَ فأعطه، فأعطانيه، فابتعتُ به مَخرفاً في بني سَلمةَ، فإنه لأوَّلُ مالٍ تأثَّلته في الإسلام».

٤٣٢٢-عن أبي قَتادةَ أن أبا قتادة قال «لما كان يوم حُنَين نَظرتُ إلى رجلٍ من المسلمين يقاتلُ رجلاً من المشركينَ وآخرُ من المشركين يَختِله من ورائهِ ليقتُله، فأسرعتُ إلى الذي يَختله فرفعَ يدَهُ، ليَضربني، وأضربُ يدهُ فقطعتُها،ثمَّ أخذَني فضمَّني ضمّاً شديداً حتى تخوَّفتُ، ثمَّ بركَ فتحلَّلَ، ودفعتُهُ ثمَّ قتلتهُ، وانهزَمَ المسلمونَ، وانهزمتُ معهم، فإذا بعمرَ بن الخطاب في الناس، فقلتُ له:ما شأنُ الناس ؟ فقال: أمرُ الله، ثم تراجعَ الناسُ إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: من أقامَ بيِّنةً على قتيل قتلَهُ فلهُ سلبه. فقمتُ لألتمسَ بيِّنةً على قتيلي، فلم أرَ أحداً يشهدُ لي فجلستُ،ثم بَدا لي فذكَرْتُ أمرَهُ لرسولِ الله ﷺ ،فقال رجلُ من جُلسائه:سلاحُ هذا القتيل الذي يذكُر عندي، فأرضهِ منه، فقال أبو بكر : كلاَّ لا يعطهِ أُصَيبِغَ من قريشٍ، ويَدَعَ أسداً من أُسْدِ اللهِ يُقاتلُ عنِ الله ورسولهِ، قال فقام رسول اللهِ ﷺ فأدَّاهُ إليَّ فاشتريَتُ منه خَرافاً، فكانَ أوَّلَ مالٍ تأثلته في الإسلام.

قوله (فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين) وفي رواية الليث التي بعدها «نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين يختله» أي يريد أن يأخذه على غِرَّة.

قوله (على حبل عاتقه) حبل العاتق عصبه، العاتق موضع الرداء من المنكب.

قوله (وجدت منها ريح الموت) أي من شدَّتها، وأشعر ذلك بأن هذا المشرك كان شديد القوة جداً.

قوله (ثم أدركه الموت فأرسلني) أي أطلقني.

قوله (أمر الله[١]) أي حكم الله وما قضى به.

قوله (فقال أبو بكر الصديق[٢]: لا ها الله، إذا لا يعمد إلى أسد من أُسْدِ اللهِ يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه).

هو كقولك لمن قال لك أفعل كذا فقلت له : والله إذا لا أفعل، فالتقدير إذا والله لا يعمد إلى أسد الخ.

قوله (لا يعمد الخ)أي لا يقصد رسول اللهِ ﷺ إلى رجل كأنه أسد في الشجاعة يقاتل عن دين الله ورسوله فيأخذ حقه ويعطيكه بغير طيبة من نفسه.

قوله (فيعطيك سلبه) أي سلب قتيله فأضافه إليه باعتبار أنه ملكه.

قوله (مَخْرَفاً) أي بستانا.

قوله (تأثلته) أي أصلته.

قوله (تخوفت) حذف المفعول والتقدير الهلاك.

٥٥- باب غزاة أوطاسٍ

٤٣٢٣- عن أبي موسى رضي الله عنه قال « لما فرَغَ النبيُّ ﷺ من حُنَين بَعث أبا عامرٍ على جيش إلى أوطاس، فلقيَ دُرَيدَ بن الصِّمَّة، فقُتِلَ دُرَيْدٌ، وهزم اللَّهُ أصحابه، قال أبو موسى : وبَعثني معَ أبي عامر، فرُميَ أبو عامرٍ في ركبته، رَماه جُشَميٌّ بسهمٍ فأثبتَهُ في ركبتِه، فانتهيتُ إليهِ فقلتُ :يا عمِّ مَن رَماكَ ؟ فأشارَ إلى أبي موسى فقال :ذاك قاتلي الذي رماني، فقَصَدتُ له، فلحِقته، فلمَّا رآني ولَّى، فأتَّبعتُهُ وجعلتُ أقول له:ألا تستحي، ألا تثبت فكفَّ، فاختلفنا ضربتَين بالسيف فقتلتهُ، ثم قلتُ لأبي عامر :قَتلَ اللهُ صاحبكَ، قال :فانزع هذا السهمَ، فنزَعتهُ فنزا منه الماء، قال :يا ابنَ أخي، أقْرِئ النبي ﷺ السلامَ وقل له: استغفرْ لي: واستَخلفني أبو عامر على الناس، فمكثَ يسيراً ثم مات، فرجعتُ فدخلتُ على النبيِّ ﷺ في بيته على سريرٍ مُرمَّلٍ، وعليه فراشٌ قد أثَّرَ رمالُ السرير بظهرِهِ وجَنبَيْه، فأخبرته بخبرِنا وخبر أبي عامر وقال :قل له استغفرْ لي، فدَعا بماء فتوضأ،ثم رفعَ يدَيهَ فقال : اللهمَّ اغفرْ لعُبيدٍ أبي عامر، ورأيتُ بياضَ إبطيْه، ثمَّ قال: اللهمَّ اجعَلْه يومَ القيامةِ فوق كثير من خلقكَ منَ الناس، فقلتُ ولي فاستغفرْ، فقال اللهمَّ إغفر لعبدِ الله بن

---

(١) رواية الباب واليونينية "أمر الله عز وجل".

(٢) رواية الباب واليونينية بدون "الصديق".

قَيسٍ ذَنْبه، وأدخلْه يومَ القيامةِ مدخلاً كريماً، قال أبو بُردةَ :إحداهما لأبي عامر، والأخرى لأبي موسى».

قوله (باب غزوة[١] أوطاس) قال عياض : «هو واد في دار هوازن، وهو موضع حرب حنين انتهى، وهذا الذي قاله ذهب إليه بعض أهل السير، والراجح أن واديَ أوطاس غير وادي حنين، ويوضح ذلك ما ذكر ابن إسحق أن الوقعة كانت في وادي حنين، وأن هوازن لما انهزموا صارت طائفة منهم إلى الطائف وطائفةٌ إلى بجيلة وطائفة إلى أوطاس، فأرسل النبي ﷺ عسكرا مقدمهم أبو عامر الأشعري إلى من مضى إلى أوطاس كما يدل عليه حديث الباب، ثم توجه هو وعساكره إلى الطائف. قوله (فرُمي أبو عامر في ركبته، رماه جشمي) أي رجل من بني جشم.

قوله (فنزا منه الماء) أي انصب من موضع السهم.

قوله (على سرير مرمل) أي معمول بالرمال، وهي حبال الحصر التي تُضفَّر بها الأسرة.

قوله (فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه) يستفاد منه استحباب التطهير لإرادة الدعاء، ورفع اليدين في الدعاء، خلافا لمن خص ذلك بالاستسقاء، وسيأتي بيان ما ورد من ذلك في كتاب الدعوات[٢].

٥٦- بابُ غَزوةُ الطَّائفِ

في شوال سنة ثمان، قاله موسى بن عُقبة

٤٣٢٤-عن أمّ سلمة رضيَ الله عنها «دخلَ عليَّ النبيُّ ﷺ وعندي مخنَّث، فسمعتُه يقولُ لعبد الله بن أبي أميةَ : يا عبدَ الله أرأيتَ إن فتحَ الله عليكُمُ الطائفَ غداً فعليكَ بابنةِ غَيلانَ فإنها تُقبلُ بأربع وتُدبِر بثمان، فقال النبيُّ ﷺ لا يدخُلنَّ هؤلاء عليكنَّ » قال ابن عُيَيْنةَ وقال ابنُ جُرَيجٍ : المخنَّثُ هيتٌ.

عن هشامٍ بهذا وزاد « وهو محاصرُ الطائفِ يومئذٍ»

[الحديث ٤٣٢٤- طرفاه :٥٢٣٥، ٥٨٨٧]

قوله (باب غزوة الطائف) هو بلد كبير مشهور كثير الأعناب والنخيل، على ثلاث مراحل أو اثنتين من مكة من جهة المشرق، وسار النبي ﷺ إليها بعد منصرفه من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة، وكان مالك بن عوف النضري قائد هوازن لما انهزم دخل الطائف وكان له حصن بلية على أميال من الطائف، فمر به النبي ﷺ وهو سائر إلى الطائف فأمر بهدمه.

قوله (في شوال سنة ثمان قاله موسى بن عقبة) قلت :كذا ذكره في مغازيه، وهو قول

(١) رواية الباب واليونينية "باب غزاة أو طاس".
(٢) كتاب الدعوات باب / ٤٩ ح ٦٣٨٣ - ٥ / ٦٠١

جمهور أهل المغازي.

قوله (أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف) الحديث يأتي شرحه في كتاب النكاح[١]، والغرض منه هنا ذكر حصار الطائف.

٤٣٢٥-عن عبدِ الله بن عمر قال «لما حاصرَ رسولُ اللهِ ﷺ الطائف فلم يَنلْ منهم شيئاً قال: إنا قافلون إن شاء الله، فثقُلَ عليهم وقالوا: نذهَبُ ولا نَفتَحُه؟ وقال مرةً نقفلُ، فقال: اغدوا على القتال، فغدَوا، فأصابهم جِراحٌ، فقال: إنا قافلونَ غداً إن شاء الله فأعجبَهم، فضحِكَ النبيُّ ﷺ وقالَ سفيانُ مرةً فتبسم »

[الحديث ٤٣٢٥- طرفاه في :٦٠٨٦، ٧٤٨٠]

قوله (لما حاصر رسول اللهِ ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئاً) في مرسل ابن الزبير عند ابن أبي شيبة قال«لما حاصر النبي ﷺ الطائف قال أصحابه: يا رسول الله أحرقَتْنا نبال ثقيف فادع الله عليهم، فقال: اللهم اهد ثقيفا» وذكر أهل المغازي أن النبي ﷺ لما استعصى عليه الحصن و كانوا قد أعدوا فيه ما يكفيهم لحصار سنة ورموا على المسلمين سكك الحديد المحماة ورموهم بالنبل فأصابوا قوما، فاستشار نوفل بن معاوية الديلي فقال: هم ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك، فرحل عنهم » وذكر أنس في حديثه عند مسلم أن مدة حصارهم كانت أربعين يوماً .

قوله (إنا قافلون)أي راجعون إلى المدينة.

قوله (فثقل عليهم) بيَّن سبب ذلك بقولهم «نذهب ولا نفتحه» وحاصل الخبر أنهم لما أخبرهم بالرجوع بغير فتح لم يعجبهم، فلما رأى ذلك أمرهم بالقتال فلم يفتح لهم فأصيبوا بالجراح لأنهم رموا عليهم من أعلى السور فكانوا ينالون منهم بسهامهم ولا تصل السهام إلى من على السور، فلما رأوا ذلك تبين لهم تصويب الرجوع، فلما أعاد عليهم القول بالرجوع، أعجبهم حينئذ، ولهذا قال :فضحك».

٤٣٢٦. ٤٣٢٧-عن عاصم قال سمعت أبا عثمانَ قال «سمعتُ سعداً - وهوَ أوَّلُ مَن رمى بسهم في سبيل الله وأبا بكرةَ وكانَ تَسوَّرَ حصْنَ الطائفِ في أناس فجاء إلى النبيِّ ﷺ فقالا :سمعنا النبي ﷺ يقول :من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلمُ فالجنة عليه حَرام» قال عاصمٌ : قلتُ لقد شهدَ عندكَ رجُلان حسبُك بهما، قال :أجل، أما أحدُهما فأوَّل من رمى بسهم في سبيل الله، وأما الآخر فنزَلَ إلى النبيِّ ﷺ ثالثَ ثلاثةٍ وعشرينَ من الطائف».

[الحديث ٤٣٢٦-طرفه في :٦٧٦٦]

[الحديث ٤٣٢٧-طرفه في :٦٧٦٧]

(١٨) كتاب النكاح باب / ١١٣ ح ٥٢٣٥ - ٤ / ١٤٣

٤٣٢٨-عن أبي موسى رضيَ اللهُ عنه قال «كنتُ عندَ النبيِّ ﷺ - وهوَ نازل بالْجعْرانةِ بينَ مكةَ والمدينة - ومعَهُ بلال، فأتى النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ فقال :ألا تُنجزُ لي ما وعَدْتني ؟ فقال له :أبشِرْ، فقال قد أكثرتَ علي من «أبشر» فأقبلَ على أبي موسى وبلالٍ كهيئة الغَضبانِ فقال :ردَّ البُشرَى، فاقبَلا أنتما، قالا: قبِلنا، ثم دَعا بقَدح فيه ماء فغسلَ يدَيهِ ووجهَهُ فيه، ومجَّ فيه ثم قال: اشربَا منهُ، وأفرِغا على وُجوهِكما ونحورِكما وأبشِرا، فأخَذا القَدحَ ففعلا، فنادَت أمُّ سلمةَ من وراء الستر أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منهُ طائفة».

قوله (وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة) أما الجِعرانه فهي بكسر الجيم، وهي بين الطائف ومكة وإلى مكة أقرب قاله عياض.

قوله (ألا تنجز لي ما وعدتني) يحتمل أن الوعد كان خاصا به، ويحتمل أن يكون عاما، وكان طلبه أن يُعجِّل له نصيبه من الغنيمة فإنه ﷺ كان أمر أن تجمع غنائم حنين بالجعرانة وتوجه هو بالعساكر إلى الطائف، فلما رجع منها قسم الغنائم حينئذ بالجعرانة، فلهذا وقع في كثير ممن كان حديث عهدٍ بالإسلام استبطاء الغنيمة واستنجاز قسمتها.

قوله (أبشر) أي بقرب القسمة، أو بالثواب الجزيل على الصبر.

قوله (فنادت أم سلمة) هي زوج النبي ﷺ وهي أم المؤمنين، ولهذا قالت :لأمكما.

قوله (فأفضلا لها منه طائفة) أي بقية، وفي الحديث منقبة لأبي عامر ولأبي موسى ولبلال ولأم سلمة رضي الله عنهم.

٤٣٢٩- عن صفوانَ بن يَعلى بن أميةَ «أنَّ يَعلى كان يقول : ليتني أرَى رسولَ اللهِ ﷺ حينَ يُنزَلُ عليه، قال فبينا النبيُّ ﷺ بالجِعرانة - وعليهِ ثوبٌ قد أظلَّ به معه فيه ناسٌ من أصحابهِ - إذ جاءهُ أعرابيٌّ عليهِ جُبَّةٌ متضمِّخٌ بطيب فقال :يارسولَ الله كيفَ ترَى في رجلٍ أحرمَ بُعمرةٍ في جُبَّة بعدَ ما تضمَّخَ بالطيب ؟ فأشارَ عمرُ إلى يَعلى بيدهِ أن تعالَ، فجاء يَعلى، فأدخَلَ رأسه، فاذا النبيُّ ﷺ مُحمرُّ الوجهِ يَغطُّ كذلك ساعة، ثم سُرِّيَ عنه فقال أينَ الذي يَسألُني عن العمرةِ آنفاً ، فالتُمِسَ الرجلُ فأتيَ به، فقال :أمَّا الطيبُ الذي بكَ فاغسِلْهُ ثلاثَ مرات، وأمَّا الجُبَّة فانزعها، ثم اصنَعْ في عُمرتِك كما تَصنعُ في حَجِّك ».

٤٣٣٠- عن عبدِ الله بن زيد بن عاصم قال «لما أفاء الله على رسولهِ ﷺ يوم حُنَينٍ قسمَ في الناسِ في المؤلفةِ قلوبهم ولم يُعطِ الأنصارَ شيئاً، فكأنهم وَجَدوا إذ لم يُصبهم ما أصابَ الناس، فخطَبهم فقال : يا مَعشَرَ الأنصار، ألم أجِدكم ضُلالاً فهَداكم الله بي، وكنتم متفرِّقينَ فألَّفكم الله بي، وعالةً فأغناكم الله بي ؟ كلَّما قال شيئا قالوا الله ورسولهُ أمنُّ، قال: ما يَمنعُكم أن تجيبوا رسولَ الله ﷺ ، قال كلَّما قال شيئا قالوا :الله ورسوله أمنُّ، قال لو شئتم قلتم :جئتنا كذا وكذا، ألا ترضَونَ أن يذهبَ الناسُ بالشاةِ والبعيرِ، وتذهبونَ

بالنبيِّ ﷺ إلى رِحالِكم ؟ لولا الهجرةُ، لكنتُ امرءاً منَ الأنصار، ولو سلكَ الناسُ وادياً وشعبا لَسلكتُ واديَ الأنصار وشِعبَها، الأنصارُ شِعار، والناسُ دِثار، إنكم ستلقَونَ بعدي أثرةً، فاصبِروا حتى تلقَوني على الحَوض »

[الحديث ٤٣٣٠- طرفه في :٧٢٤٥]

قوله (لما أفاء الله على رسوله[1] يوم حنين) أي أعطاه غنائم الذين قاتلهم يوم حنين، وأصل الفيء الرد والرجوع، ومنه سمي الظل بعد الزوال فيئا لأنه رجع من جانب إلى جانب، فكأن أموال الكفار سميت فيئا لأنها كانت في الأصل للمؤمنين إذ الإيمان هو الأصل والكفر طارىء عليه، فإذا غلب الكفار على شيء فهو بطريق التعدي فإذا غنمه المسلمون منهم فكأنه رجع إليهم ما كان لهم، وقد قدمنا قريبا أنه ﷺ أمر بحبس الغنائم بالجعرانة ،فلما رجع من الطائف وصل إلى الجعرانة في خامس ذي القعدة، وكان السبب في تأخير القسمة ما تقدم في حديث المسور رجاء أن يسلموا و كانوا ستة آلاف نفس من النساء والأطفال وكانت الإبل أربعة وعشرين ألفًا والغنم أربعين ألف شاة.

قوله (قسم في الناس)حذف المفعول والمراد به الغنائم.

قوله (في المؤلفة قلوبهم) المراد بالمؤلفة ناس من قريش أسلموا يوم الفتح إسلاما ضعيفا، وقيل كان فيهم من لم يسلم بعد كصفوان بن أمية، وقد اختلف في المراد بالمؤلفة قلوبهم الذين هم أحد المستحقين للزكاة فقيل: كفار يعطون ترغيبا في الاسلام، وقيل مسلمون لهم أتباع كفار ليتألفوهم، وقيل مسلمون أول ما دخلوا في الإسلام ليتمكن الإسلام من قلوبهم، وأما المراد بالمؤلفة هنا فهذا الأخير لقوله في رواية الزهري في الباب «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم» ووقع في حديث أنس الآتي في «باب قسم الغنائم في قريش» والمراد بهم من فتحت مكة وهم فيها، وفي رواية له «فأعطى الطلقاء والمهاجرين» والمراد بالطلقاء جمع طليق: من حصل من النبي ﷺ المن عليه يوم فتح مكة من قريش وأتباعهم، والمراد بالمهاجرين من أسلم قبل فتح مكة وهاجر إلى المدينة.

وقال ابن القيم: اقتضت حكمة الله أن فتح مكة كان سببا لدخول كثير من قبائل العرب في الإسلام وكانوا يقولون:دعوه وقومه، فإن غلبهم دخلنا في دينه وإن غلبوه كفونا أمره، فلما فتح الله عليه استمر بعضهم على ضلاله فجمعوا له وتأهبوا لحربه، وكان من الحكمة في ذلك أن يظهر أن الله نصر رسوله لا بكثرة من دخل في دينه من القبائل ولا بانكفاف قومه عن قتاله، ثم لما قدر الله عليه من غلبته إياهم قدَّر وقوع هزيمة المسلمين مع كثرة

---

(١) رواية الباب واليونينية بإثبات ﷺ بعد "رسوله".

عددهم وقوة عدتهم ليتبين لهم أن النصر الحقّ إنما هو من عنده لا بقوتهم، ولو قدر أن لا يغلبوا الكفار ابتداء لرجع من رجع منهم شامخ الرأس متعاظما، فقدر هزيمتهم ثم أعقبهم النصر ليدخلوا مكة كما دخلها النبي ﷺ يوم الفتح متواضعا متخشعا، واقتضت حكمته أيضا أن غنائم الكفار لما حصلت ثم قسمت على من لم يتمكن الإيمان من قلبه لما بقي فيه من الطبع البشري في محبة المال فقسمه فيهم لتطمئن قلوبهم وتجتمع على محبته، لأنها جبلت على حب من أحسن إليها، ومنع أهل الجهاد من أكابر المهاجرين ورؤساء الأنصار مع ظهور استحقاقهم لجميعها لأنه لو قسم ذلك فيهم لكان مقصورا عليهم، بخلاف قسمته على المؤلفة لأن فيه استجلاب قلوب أتباعهم الذين كانوا يرضون إذا رضي رئيسهم فلما كان ذلك العطاء سببا لدخولهم في الإسلام ولتقوية قلب من دخل فيه قبل تَبِعهم مَنْ دونهم في الدخول، فكان في ذلك عظيم المصلحة، لذلك لم يقسم فيهم من أموال أهل مكة عند فتحها قليلا ولا كثيرا مع احتياج الجيوش إلى المال الذي يعينهم على ما هم فيه، فحرك الله قلوب المشركين لغزوهم، فرأى كثيرهم أن يخرجوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم فكانوا غنيمة للمسلمين، ولو لم يقذف الله في قلب رئيسهم أن سوقه معه هو الصواب لكان الرأي ما أشار إليه دريد فخالفه فكان ذلك سببا لتصييرهم غنيمة للمسلمين، ثم اقتضت تلك الحكمة أن تقسم تلك الغنائم في المؤلفة ويوكل من قلبه ممتلىء بالإيمان إلى إيمانه، ثم كان من تمام التأليف رد من سبي منهم إليهم، فانشرحت صدورهم للإسلام فدخلوا طائعين راغبين، وجبر ذلك قلوب أهل مكة بما نالهم من النصر والغنيمة عما حصل لهم من الكسر والرعب فصرف عنهم شر من كان يجاورهم من أشد العرب من هوازن وثقيف بما وقع بهم من الكسرة وبما قيض لهم من الدخول في الإسلام، ولولا ذلك ما كان أهل مكة يطيقون مقاومة تلك القبائل مع شدتها وكثرتها، وأما قصة الأنصار وقول من قال منهم فقد اعتذر رؤساؤهم بأن ذلك كان من بعض أتباعهم، ولما شرح لهم ﷺ ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع رجعوا مذعنين ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عود رسول الله ﷺ إلى بلادهم، فسلوا عن الشاة والبعير،والسبايا من الأنثى والصغير، بما حازوه من الفوز العظيم، ومجاورة النبي الكريم لهم حيا وميتا، وهذا دأب الحكيم يعطي كل أحد ما يناسبه، انتهى ملخصا.

قوله (ألم أجدكم ضُلَّالا) جمع ضال والمراد هنا ضلالة الشرك، وبالهداية الإيمان، وقد رتب ﷺ ما منَّ الله عليهم على يده من النعم ترتيبا بالغا فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنى بنعمة الألفة وهي أعظم من نعمة المال لأن الأموال تبذل في تحصيلها وقد لا تحصل، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع لما وقع بينهم من حرب بُعاث وغيرها كما تقدم في أول الهجرة، فزال ذلك كله بالإسلام كما

قال الله تعالى {لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم،ولكنَّ الله ألف بينهم}.

قوله (قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا)، فسر ذلك في حديث أبي سعيد ولفظه «فقال: أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم: أتيتنا مكذَّبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فواسيناك»، وأخرجه أحمد عن أنس بلفظ «أفلا تقولون جئتنا خائفا فآمناك، وطريداً فآويناك ومخذولا فنصرناك، فقالوا: بل المنُّ علينا لله ولرسوله» وإسناده صحيح.

قوله (لولا الهجرة كنتُ امرءا من الأنصار)، قال ابن الجوزي :لم يرد ﷺ تغير نسبه ولا محو هجرته، وإنما أراد أنه لولا ما سبق من كونه هاجر لانتسب إلى المدينة وإلى نصرة الدين، فالتقدير لولا أن النسبة إلى الهجرة نسبة دينية لا يسع تركها لانتسبتُ إلى داركم، وقال القرطبي: معناه لتسميتُ باسمكم وانتسبتُ إليكم كما كانوا ينتسبون بالحِلْف، لكن خصوصية الهجرة وترتيبها سبقت فمنعت من ذلك، وهي أعلى وأشرف فلا تتبدل بغيرها، وقيل معناه لكنت من الأنصار في الأحكام والعداد، وقيل: التقدير لولا أن ثواب الهجرة أعظم لاخترت أن يكون ثوابي ثواب الأنصار.

قوله (الأنصار شِعار والناس دثار) الشعار: الثوب الذي يلي الجلد من الجسد، والدثار: الذي فوقه وهي استعارة لطيفة لفرط قربهم منه وأراد أيضا أنهم بطانته وخاصته وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم، زاد في حديث أبي سعيد «اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا».

قوله (إنكم ستلقون بعدي أثرة) والمعنى أنه يستأثر عليهم بما لهم فيه اشتراك في الاستحقاق.

قوله (فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) أي يوم القيامة، أي اصبروا حتى تموتوا، فإنكم ستجدونني عند الحوض، فيحصل لكم الانتصاف ممن ظلمكم والثواب الجزيل على الصبر، وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم إقامة الحجة على الخصم وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه، وحسن أدب الأنصار في تركهم المماراة، والمبالغة في الحياء، وبيان أن الذي نقل عنهم إنما كان عن شبانهم لا عن شيوخهم وكهولهم، وفيه مناقب عظيمة لهم لما اشتمل من ثناء الرسول البالغ عليهم، وأن الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه، ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق، وفيه المعاتبة واستعطاف المعاتب وإعتابه عن عتبه بإقامة حجة من عتب عليه، والاعتذار والاعتراف، وفيه علَمٌ من أعلام النبوة لقوله «ستلقون بعدي أثرة» فكان كما قال، وقد قال الزهري في روايته عن أنس في آخر الحديث «قال أنس: فلم يصبروا» وفيه أن

للإمام تفضيلَ بعض الناس على بعض في مصارف الفيء،وأن له أن يعطي الغني منه للمصلحة، وأن من طلب حقه من الدينا لا عتب عليه في ذلك، ومشروعية الخطبة عند الأمر الذي يحدث سواء كان خاصا أم عاما، وفيه جواز تخصيص بعض المخاطبين في الخطبة، وفيه تسلية من فاته شيء من الدنيا مما حصل له ثواب الآخرة، والحض على طلب الهداية والألفة والغنى، وأن المنّة لله ورسوله على الإطلاق، وتقديم جانب الآخرة على الدنيا، والصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه في الآخرة، والآخرة خير وأبقى.

٤٣٣١-عنِ الزهري قال أخبرَني أنسُ بن مالك رضيَ الله عنه قال « قال ناسٌ منَ الأنصار -حينَ أفاءَ الله على رسوله ﷺ ما أفاءَ من أموالِ هَوازنَ، فطفقَ النبيّ ﷺ يُعطي رجالاً المائة من الإبل، فقالوا- يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس: فَحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبةٍ من أدَم، ولم يَدْعُ معهم غيرَهم، فلما اجتمعوا قام النبيُّ ﷺ فقال :ماحديثٌ بلغَني عنكم؟ فقال فقَهاء الأنصار: أما رؤساؤنا يا رسولَ الله فلم يقولوا شيئا، وأما ناسٌ منا حَديثةٌ أسنانهم فقالوا يغفرُ الله لرسولِ الله ﷺ يعطي قَريشاً ويَتركنا، وسُيوفنا تقطرُ من دمائهم، فقال النبيُّ ﷺ فإني أعطي رجالاً حَديثي عهدٍ بكفرٍ أتألفهم، أما ترضَوْنَ أن يذهبَ الناسُ بالأموالِ وتَذهبون بالنبيِّ ﷺ إلى رحالكم؟ فوالله لما تنقلبونَ به خيرٌ مما يَنقلبونَ به، قالوا : يارسولَ الله قد رضِينا، فقال لهُم النبيُّ ﷺ ستجدون أثرةً شديدة، فاصبروا حتى تَلقَوُا الله ورسولَهُ ﷺ فإني على الحَوض، قال أنس :فلم يَصبروا ».

٤٣٣٢- عن أنسٍ قال «لما كان يومُ فتح مكةَ قَسم رسول الله ﷺ غنائمَ بين قريش، فغَضِبَتِ الأنصارُ، قال النبيُّ ﷺ: أما ترضَون أن يذهبَ الناسُ بالدنيا، وتذهبونَ برسولِ الله ﷺ ؟ قالوا : بلى، قال : لو سَلكَ الناسُ وادياً أو شِعباً لسَلكتُ واديَ الأنصارِ أو شِعبهم».

٤٣٣٣- عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال «لما كان يومُ حُنَين التقى هَوازنُ ومعَ النبيِّ ﷺ عشرة آلافٍ والطُلقاء، فأدبروا، قال: يا معشر الأنصار، قالوا: لبيكَ يا رسول الله وسَعدَيك، لبيكَ نَحن بينَ يدَيك، فنَزل النبيُّ ﷺ فقال: أنا عبدُ الله ورسوله، فانهزَم المشركون، فأعطى الطُلقاءَ والمهاجرين، ولم يعطِ الأنصار شيئاً فقالوا، فدعاهم فأدخلَهم في قبةٍ فقال: أما ترضون أن يذهبَ الناسُ بالشاةِ والبعير، وتذهبون برسولِ الله ﷺ؟ فقال النبيُّ ﷺ لو سلكَ الناسُ واديا وسَلكَتِ الأنصارُ شِعباً لاخترتُ شعبَ الأنصار».

٤٣٣٤- عن أنسِ بن مالك رضيَ اللهُ عنه قال «جمعَ النبيُّ ﷺ ناساً منَ الأنصار فقال : إنَّ قريشاً حديثُ عهدٍ بجاهليةٍ ومصيبة، وإني أردت أن أجبُرَهم وأتألفهم، أما تَرضون أن

يرجِع الناسُ بالدنيا وترجِعون برسولِ الله ﷺ إلى بُيوتِكم ؟ قالوا بلى، قال لو سَلَك الناسُ وادياً وسَلَكَتِ الأنصار شِعباً لسلكتُ واديَ الأنصارِ أو شِعبَ الأنصار».

٤٣٣٥-عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «لما كان يوم حُنَين أقبلتْ هَوازنُ وغَطَفانُ وغيرُهم بنَعَمهم وذراريهم ومعَ النبي ﷺ عشرة آلاف ومن الطّلقاء، فأدبَرُوا عنه حتى بقيَ وحده، فنادَى يومئذٍ نداءَين لم يَخلِط بينهما :التفتَ عن يمينهِ فقال: يا مَعشرَ الأنصارِ، قالوا: لبيكَ يا رسولَ الله، أبشِرْ نحنُ معكَ، ثم التفتَ عن يَسارهِ فقال: يا مَعشَرَ الأنصارِ، قالوا: لبيكَ يارسولَ الله أبشِرْ نحنُ معك، وهو على بغلةٍ بيضاء، فنزَلَ فقال: أنا عبدُ الله ورسوله، فانهزم المشركون، فأصاب يَومئذ غنائم كثيرةً، فقسَمَ في المهاجرينَ والطُّلقاء ولم يُعطِ الأنصار شيئاً، فقالتِ الأنصارُ: إذا كانت شديدةٌ فنحنُ نُدعَى، ويُعطى الغنيمةَ غيرُنا، فبَلَغَهُ ذلك، فجمَعَهم في قبةٍ فقال: يا معشرَ الأنصار، ما حديثٌ بلغني عنكم؟ فسَكتوا، فقال: يا معشر الأنصار، ألا تَرضَونَ أن يَذهبَ الناسُ بالدنيا وتذهبونَ برسولِ اللهِ ﷺ تحوزونَهُ إلى بُيوتكم؟ قالوا: بلى، فقال النبيُّ ﷺ: لو سَلَكَ الناسُ وادياً وسَلَكَتِ الأنصارُ شِعباً، لأخذتُ شِعبَ الأنصار، وقال هشام : قلت يا أبا حمزةَ وأنت شاهدٌ ذلك قال وأينَ أغيبُ عنه؟».

٤٣٣٦-عن عبد الله قال « لما قَسمَ النبيُّ ﷺ قسمةَ حُنَينٍ قال رجلٌ من الأنصار : ما أراد بها وَجهَ الله فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرْتُه، فتغير وجهُه ثم قال:رحمة الله على موسى، لقد أوذِيَ بأكثَر مِن هذا فصبر».

٤٣٣٧-عن عبد الله رضي الله عنه قال «لما كانَ يومُ حُنَين آثرَ النبيُّ ﷺ ناساً: أعطى مائةً من الإبل، وأعطى عُيَيْنةَ مثلَ ذلك، وأعطى ناساً ، فقال رجلٌ : ما أُريدَ بهذهِ القسمة وجهُ الله، فقلت : لأخبرنَّ النبيَّ ﷺ قال: رَحِم الله موسى، قد أوذِيَ بأكثَر مِن هذا فصبر».

قوله في رواية منصور(فقال رجل) في رواية الأعمش « فقال رجل من الأنصار» وفي رواية الواقدي أنه معتب بن قشير من بني عمرو بن عوف، وكان من المنافقين.

وفي الحديث جواز المفاضلة في القسمة، والإعراض عن الجاهل، والصفح عن الأذى، والتأسي بمن مضى من النظراء.

٥٧- باب السَّريَّة التي قبلَ نجدٍ

٤٣٣٨ - عنِ ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال « بَعثَ النبيُّ ﷺ سَريةً قِبلَ نجدٍ فكنتُ فيها، فبلَغَتْ سِهامُنا اثني عشرَ بعيراً ونُفِّلنا بعيراً بعيراً، فرجَعنا بثلاثةَ عشر بعيراً».

قوله (باب السرية التي قِبَل نجد) أي في جهة نجد، هكذا ذكرها بعد غزوة الطائف،

والذي ذكره أهل المغازي أنها كانت قبل التوجه لفتح مكة.

والسرية، هي التي تخرج بالليل، وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه، وهي من مائة إلى خمسمائة.

٥٨- باب بعث النبيِّ ﷺ خالدَ بن الوليد إلى بني جُذيمة

٤٣٣٩-عن سالمٍ عن أبيهِ قال « بعثَ النبيُّ ﷺ خالدَ بن الوليد إلى بني جُذيمةَ فدَعاهم إلى الإسلام فلم يُحسِنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا، فجعل خالدٌ يقتُلُ منهم ويأسِرُ، ودفع إلى كلِّ رجلٍ منّا أسيرَه، حتى إذا كان يومٌ أمرَ خالدٌ أن يَقتُل كل رجلٍ منّا أسيرَه فقلت : والله لا أقتُلُ أسيري ولا يَقتُل رجلٌ من أصحابي أسيرَه، حتى قدِمنا على النبيِّ ﷺ فذكرناه فرفعَ النبيُّ ﷺ يدَيه فقال : اللهمّ إني ابرأ إليك مما صَنعَ خالد مرّتين».

[الحديث ٤٣٣٩ طرفه في ٧١٨٩]

قوله (باب بَعثَ النبيُّ ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جَذيمة) وهذا البعث كان عقب فتح مكة في شوال قبل الخروج إلى حنين عند جميع أهل المغازي، وكانوا بأسفل مكة من ناحية يلملم، قال ابن سعد: بعث النبي ﷺ إليهم خالد بن الوليد في ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار داعيا إلى الإسلام لا مقاتلا.

قوله (فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا) هذا من ابن عمر راوي الحديث يدل على أنه فهم أنهم أرادو الإسلام حقيقة ويؤيده فهمه أن قريشاً كانوا يقولون لكل من أسلم صبأ حتى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذم.

قوله (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) قال الخطابي: أنكر عليه العجلة وترك التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا.

قوله (مرتين) زاد ابن عسكر عن عبد الرزاق «أو ثلاثة» أخرجه الإسماعيلي، وفي رواية الباقين «ثلاث مرات» وزاد الباقر في روايته «ثم دعا رسول الله ﷺ عليا فقال: اخرج إلى هؤلاء القوم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك، فخرج حتى جاءهم ومعه مال فلم يبق لهم أحد إلا وداه».

٥٩- باب سريةِ عبدِ الله بن حُذافةَ السهمي وعَلقمةَ بن مُجزِّزٍ المدْلجيِّ، ويقال: إنها سريةُ الأنصاريِّ

٤٣٤٠-عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنه قال «بَعثَ النبيُّ ﷺ سَريةً فاستعملَ رجُلاً منَ الأنصار وأمرَهم أن يُطيعوه، فغَضِبَ فقال: أليسَ أمركم النبيُّ ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً فجَمعوا، فقال: أوقِدوا ناراً فأوقَدوها، فقال: ادخُلوها، فهمُّوا، وجعلَ بعضهم يُمسكُ بعضاً ويقولون: فرَرْنا إلى النبيِّ ﷺ من النار، فما زالوا حتى خمَدَتِ النار،

فسكنَ غَضبهُ، فبلغ النبيَّ ﷺ فقال: لو دخَلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، والطاعةُ في المعروف»

[الحديث ٤٣٤٠ طرفاه في: ٧١٤٥، ٧٢٥٧]

قوله (ما خرجوا منها إلى يوم القيامة) يعني أن الدخول فيها معصية، والعاصي يستحق النار، ويحتمل أن يكون المراد لو دخلوها مستحلين لما خرجوا منها أبداً، لأنهم ارتكبوا ما نهوا عنه من قتل أنفسهم.

قوله (الطاعة في المعروف[1]) في رواية حفص « إنما الطاعة في المعروف» وفي الحديث من الفوائد أن الحكم في حال الغضب ينفذ منه ما لا يخالف الشرع، وأن الغضب يغطي على ذوي العقول، وفيه أن الإيمان بالله ينجي من النار لقولهم «إنما فررنا إلى النبي ﷺ من النار» والفرار إلى النبي ﷺ فرار إلى الله والفرار إلى الله يطلق على الإيمان، قال الله تعالى {ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين} وفيه أن الأمر المطلق لا يعم الأحوال لأنه ﷺ أمرهم أن يطيعوا الأمير، فحملوا ذلك على عموم الأحوال حتى في حال الغضب وفي حال الأمر بالمعصية، فبين لهم ﷺ أن الأمر بطاعته مقصور على ما كان منه في غير معصية، وسيأتي مزيد لهذه المسألة في كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى.

٦٠-باب بَعث أبي موسى ومُعاذ إلى اليمن قبلَ حجة الوَداع

٤٣٤١، ٤٣٤٢ ـ عن أَبي بُردةَ قال «بَعثَ رسولُ الله ﷺ أبا موسى ومُعاذ بن جَبل إلى اليمن، قال: وبعث كلَّ واحد منهما على مِخْلاف، قال: واليمنُ مِخلافانِ ثم قال: يَسِّرا ولا تُعسِّرا وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا، فانطلقَ كلُّ واحدٍ منهما إلى عمله، وكان كلُّ واحد منهما إذا سارَ في أرضه كان قريباً من صاحبه أحدثَ به عهداً فسلَّمَ عليه، فسار مُعاذٌ في أرضِه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاءَ يَسيرُ على بغلتِه حتى انتهى إليه، وإذا هوَ جالس وقدِ اجتمعَ إليه الناسُ، وإذا رجُلٌ عندَهُ قد جُمِعَتْ يداهُ إلى عنقِه، فقال له مُعاذ: ياعبدَ الله بن قيس أيمَ هذا؟ قال: هذا رجُلٌ كفر بعدَ إسلامه، قال لا أنزِلُ حتى يقتَلَ، قال: إنما جيءَ به لذلك، فانزِلْ، قال ما أنزلُ حتى يُقتَلَ، فأمَرَ به فقتل، ثم نزلَ فقال: يا عبدَ الله، كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفَوَّقهُ تفوُّقاً قال: فكيف تقرأ أنت يا مُعاذ؟ قال أنامُ أوَّلَ الليل، فأقومُ وقد قضَيتُ جُزئي من النوم فأقرأ ما كتبَ اللهُ لي فأحتسبُ نومتي، كما أحتسِبُ قَومتي».

[الحديث ٤٣٤٢-طرفه في :٤٣٤٥]

قوله (وبعث كل واحد منهما على مخلاف، قال واليمن مخلافان) المخلاف هو بلغة أهل اليمن، وهو الكورة والأقليم والرُّستاق وكانت جهة معاذ العليا إلى صوب عدن وكان من

---

(١) رواية الباب "والطاعة في المعروف" واليونينية توافق الشرح.

عمله الجَنَدُ وله بها مسجد مشهور إلى اليوم، وكانت جهة أبي موسى السفلى، والله أعلم.

قوله (ثم نزل فقال يا عبد الله) وهو اسم أبي موسى (كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوقه تفوقاً) أي ألازم قراءته ليلا ونهاراً شيئا بعد شيء وحينا بعد حين : مأخوذ من فواق الناقة وهو أن تحلب ثم تترك ساعة حتى تدر ثم تحلب هكذا دائما.

قوله (فاحتسبت[١]نومتي كما احتسبت قومتي) ومعناه أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب، لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب (تنبيه) كان بعث أبي موسى إلى اليمن بعد الرجوع من غزوة تبوك،لأنه شهد غزوة تبوك مع النبي ﷺ كما سيأتي بيان ذلك في الكلام عليها فيما بعد إن شاء الله تعالى واستدل به على أن أبا موسى كان عالما فطنًا حاذقا، ولولا ذلك لم يوله النبي ﷺ الإمارة، ولو كان فوض الحكم لغيره لم يحتج إلى توصيته بما وصاه به، ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم علي، وأما الخوارج والروافض فطعنوا فيه ونسبوه إلى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه في التحكيم بصفين، قال ابن العربي وغيره: والحق أنه لم يصدر منه ما يقتضي وصفه بذلك، وغاية ما وقع منه أن اجتهاده أدّاه إلى ما أن يجعل الأمر شورى بين من بقي من أكابر الصحابة من أهل بدر ونحوهم [٢]لما شاهد من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصِفّين، وآل الأمر إلى ما آل إليه.

٤٣٤٣- عن موسى الأشعريِّ رضي الله عنه « أنَّ النبيَّ ﷺ بعثهُ إلى اليمن، فسألَه عن أشربة تُصنَع بها، فقال : وما هي؟ قال: البِتْع والمِزْر، فقلت لأبي بردةَ ما البتع ؟ قال: نبيذ العسل، والمزر نبيذ الشعير فقال كلُّ مسكرٍ حرام».

٤٣٤٤، ٤٣٤٥- عن سعيد بن أبي بردة عن أبيهِ قال « بَعثَ النبيُّ ﷺ جَدَّهُ أبا موسى ومُعاذاً إلى اليمن فقال :يَسِّرا ولا تُعسِّرا وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا ، وتطاوعا فقال أبو موسى يا نبيَّ الله إن أرضَنا بها شرابٌ منَ الشعيرِ :المِزر، وشرابٌ منَ العسَل :البِتعُ، فقال :كلُّ مسكرٍ حرام، فانطلَقا، فقال مُعاذ لأبي موسى: كيف تَقرأ القرآنَ؟ قال: قائماً وقاعداً وعلى راحلتي وأتفوَّقه تفوُّقاً، قال: أما أنا فأنامُ وأقوم، فأحتَسِبُ نومتي، كما أحتسبُ قومتي، وضربَ فسطاطاً فجعلا يَتزاوَران، فزارَ مُعاذٌ أبا موسى فاذا رجلٌ مُوثَق، فقال: ما هذا؟ فقال أبو موسى :يهوديٌّ أسلمَ ثمَّ ارتدَّ، فقال مُعاذ : لأضرِبنَّ عنُقَه».

---

(١) رواية الباب واليونينية "فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي".

(٢) هذا ما اتفق عليه الحكمان، وهو خلاف ما دسته الشيعة في كتب التاريخ وشوهته، فاستقر في الأذهان خطأ، لتداول مؤلفي كتب التاريخ هذا الخطأ وإقرارهم له على غير ما وقع، انظر تحقيق ذلك في كتاب "العواصم من القواصم" للقاضي أبي بكر بن العربي وتعليقات محب الدين الخطيب عليه. الشيخ محب الدين الخطيب

٤٣٤٦- عن أبي موسى الأشعريُّ رضيَ اللهُ عنه قال «بَعثَني رسولُ الله ﷺ إلى أرض قومي، فجئتُ ورسولُ الله ﷺ مُنيخٌ بالأبطح فقال:أحجَجتَ يا عبدَ الله بن قيس؟ قلتُ: نعم يا رسولَ الله، قال كيفَ قلتَ قال قلت لَبَّيكَ إهلالاً كإهلالك، قال :فهل سقتَ معكَ هَدْيا؟ قلتُ لم أسق، قال: فطُف بالبيت، واسْعَ بينَ الصَّفا والمروة، ثمَّ حِلَّ، ففعَلتُ، حتى مَشَطَتْ لي امرأةٌ من نساءِ بني قيس، ومكثْنا بذلك حتى استُخلفَ عمر».

وقد أورده في الحج، وتقدم الكلام عليه هناك مستوفى(١).

٤٣٤٧-عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن يشهَدُوا أن لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فرضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فرضَ عليهم صَدَقةً تؤخذ من أغنيائهم فتُردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياكَ وكرائمَ أموالهم، واتَّقِ دَعوةَ المظلوم فإنهُ ليسَ بينَه وبين الله حجاب».

٤٣٤٨-عن عمرو بن ميمونٍ «أنَّ مُعاذاً رضيَ الله عنه لما قَدِمَ اليمن صَلَّى بهم الصبح، فقرأ {واتَّخذَ الله إبراهيمَ خَليلا} فقال رجلٌ منَ القوم: لقد قَرَّتْ عينُ أمِّ إبراهيمَ».

زادَ مُعاذٌ عن شعبةَ عن حبيبٍ عن سعيدٍ عن عمرو «أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَ مُعاذاً إلى اليمن، فقرأ مُعاذ في صلاةِ الصبح سورةَ النساء، فلما قال {واتَّخذَ الله إبراهيمَ خليلا} قال رجلٌ خلفَهُ : قرَّت عينُ أمِّ إبراهيمَ ».

قوله (عن عمرو بن ميمون) هو الأودي وهو من المخضرمين.

قوله (فقال رجل من القوم: قرت عين أم إبراهيم) أي حصل لها السرور.

وقد استشكل تقرير معاذ لهذا القائل في الصلاة وترك أمره بالإعادة، وأجيب عن ذلك إما بأن الجاهل بالحكم يعذر، وإما أن يكون أمره بالإعادة ولم ينقل، أو كان القائل خلفهم ولكن لم يدخل معهم في الصلاة.

٦١ ـ باب: بعثُ عليٍّ بن أبي طالبٍ عليه السلامُ وخالدِ بن الوَليد إلى اليمن قبل حَجة الوَداع.

٤٣٤٩-عن أبي إسحاقَ سمعتُ البَراءَ رضيَ اللهُ عنه « بَعثَنا رسول الله ﷺ معَ خالدِ بن الوَليد إلى اليمن، قال :ثمَّ بعثَ علياً بعد ذلكَ مكانه فقال :مُرْ أصحابَ خالدٍ من شاءَ منهم أن يُعقِّبَ معك فليُعقِّبْ، ومن شاء فليُقبِل، فكنتُ فيمن عَقَّبَ معه، قال فغنمت أواقيَ ذواتِ عَدَد».

(١) كتاب العمرة باب / ١١ ح ١٧٩٥ - ٢ / ١٠٥

قوله (باب بعث علي بن أبي طالب[١] وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع) وقد أخرج أحمد وأبو داود والترمذي من طريق أخرى عن علي قال «بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء، قال: فوضع يده على صدري وقال :اللهم ثبت لسانه واهد قلبه، وقال: يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر».

قوله (بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن) كان ذلك بعد رجوعهم من الطائف وقسمة الغنائم بالجعرانة.

قوله (أن يعقب معك) أي يرجع إلى اليمن والتعقيب أن يعود بعض العسكر بعد الرجوع ليصيبوا غزوة من الغد، كذا قال الخطابي.

قوله (وكنت أبغض عليا وقد اغتسل فقلت لخالد ألا[٢] ترى) هكذا وقع عنده مختصرا، وقد أورده الإسماعيلي من طرق إلى روح بن عبادة الذي أخرجه البخاري من طريقه فقال في سياقه «بعث عليا إلى خالد ليقسم الخمس» وفي رواية له « ليقسم الفيء، فاصطفى علي منه لنفسه سبيئة» أي جارية من السبي، وفي رواية له « فأخذ منه جارية ثم أصبح يقطر رأسه، فقال خالد لبريدة: ألا ترى ما صنع هذا: قال بريدة: وكنت أبغض عليا » ولأحمد من طريق عبد الجليل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه «أبغضتُ علياً بغضا لم أبغضه أحدا. وأحببت رجلا من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً، قال: فأصبنا سبيا فكتب - أي الرجل - إلى النبي ﷺ ابعث إلينا من يخمسه، قال فبعث إلينا عليا، وفي السبي وصيفة هي أفضل السبي، قال فخمس وقسَّم، فخرج ورأسه يقطر، فقلت؟ يا أبا الحسن ما هذا ؟ فقال ألم تر إلى الوصيفة، فإنها صارت في الخمس، ثم صارت في آل محمد، ثم صارت في آل علي فوقعت بها» .

قوله (فقال يا بريدة أتبغض عليا ؟فقلت: نعم، قال: لا تبغضه) زاد في رواية عبد الجليل «وإن كنت تحبه فازدد له حباً» قوله (فإن له في الخمس أكثر من ذلك)في رواية عبد الجليل «فو الذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة، وزاد «قال فما كان أحد من الناس أحب إليَّ من علي» .

قال أبو ذر الهروي: إنما أبغض الصحابي عليا لأنه رآه أخذ من المغنم، فظن أنه غلَّ، فلما أعلمه النبي ﷺ أنه أخذ أقل من حقه أحبه اهـ، وهو تأويل حسن، لكن يبعده صدر الحديث الذي أخرجه أحمد فلعل سبب البغض كان لمعنى آخر وزال بنهي النبي ﷺ لهم عن

---

(١) رواية الباب واليونينية "علي بن أبي طالب عليه السلام".
(٢) رواية الباب واليونينية "ألا ترى إلى هذا".

بغضه، وقد استشكل وقوع عليّ على الجارية بغير استبراء، وكذلك قسمته لنفسه، فأما الأول فمحمول على أنها كانت بكرا غير بالغ ورأى أن مثلها لا يستبرأ كما صار إليه غيره من الصحابة، ويجوز أن تكون حاضت عقب صيرورتها له ثم طهرت بعد يوم وليلة ثم وقع عليها وليس ما يدفعه، وأما القسمة فجائزة في مثل ذلك ممن هو شريك فيما يقسمه كالإمام إذا قسم بين الرعية وهو منهم، فكذلك من نصبه الإمام قام مقامه، ويؤخذ من الحديث جواز التسرِّي على بنت رسول الله ﷺ بخلاف التزويج عليها لما وقع في حديث المسور في كتاب النكاح[(١)].

٤٣٥١- عَن عبد الرحمنِ بن أبي نُعم قال سمعتُ أبا سعيدٍ الخدريَّ يقول «بعثَ عليٌّ بن أبي طالب رضيَ اللهُ عنه إلى رسول الله ﷺ مِنَ اليمن بذُهيبةٍ في أديم مَقروظ لم تُحصَّل من ترابها، قال فقسمَها بينَ أربعةِ نفر: بين عُيينة بن بدرٍ، وأقرع بن حابس، وزيدِ الخيلِ، والرابعُ إما علقمةُ، وإما عامرُ بن الطفَيل، فقال رجلٌ من أصحابه: كنَّا نحنُ أحقُّ بهذا من هؤلاء فبلغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ فقال: ألا تأمنوني وأنا أمينُ من في السماء، يأتيني خبرُ السماء صباحاً ومَساءً؟ قال فقام رَجلٌ غائرُ العينين، مشرف الوَجنتَين، ناشز الجبهة، كثُّ اللحية، محلوق الرَّأس، مشمَّر الإزار فقال: يا رسول الله اتَّق الله، قال: وَيلك: أوَلستُ أحقُّ أهلِ الأرض أن يتقيَ الله ؟ قال ثم ولَّى الرجل، قال خالدُ بن الوَليد: يا رسول الله ألا أضرب عُنُقه ؟ قال لا، لعلَّه أن يكونَ يُصلِّي، فقال خالد: وكم من مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسولُ الله ﷺ إني لم أومَر أن أنقبَ قلوبَ الناس ولا أشقَّ بطونَهم، قال ثمَّ نظرَ إليهِ وهو مُقَفٍّ فقال: إنه يَخرُجُ مِن ضِئضِيءِ هذا قومٌ يَتلون كتاب الله رَطبا لا يُجاوزُ حَناجرَهم يَمرقونَ من الدِّين كما يمرُقُ السهمُ منَ الرَّميَّة، وأظنُّه قال: لئن أدركتُهم لأقتلَنَّهم قتل ثَمود».

قوله (وزيد الخيل) أي ابن مهلهل الطائي، وقيل له زيد الخيل لكرائم الخيل التي كانت له وسمَّاه النبي ﷺ زيد الخير وأثنى عليه فأسلم فحسن إسلامه ومات في حياة النبي ﷺ.

قوله (محلوق[(٢)]) سيأتي في أواخر التوحيد[(٣)] من وجه آخر أن الخوارج سيماهم التحليق، وكان السلف يوفرون شعورهم لا يحلقونها، وكانت طريقة الخوارج حلق جميع رءوسهم.

قوله (أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله) وفي رواية سعيد بن مسروق «فقال ومن يطع الله إذا عصيته» وهذا الرجل هو ذو الخويصرة التميمي كما تقدم صريحا في علامات

(١) كتاب النكاح باب / ١٠٩ ح ٥٢٣٠ - ٤ / ١٢٠

(٢) رواية الباب واليونينية "محلوق الرَّأس".

(٣) كتاب التوحيد باب / ٢٣ ح ٧٤٣٢ - ٥ / ٥٦٧

النبوة[١] من وجه آخر عن أبي سعيد الخدري، وعند أبي داود اسمه نافع ورجحه السهيلي، وقيل اسمه حرقوص بن زهير السعدي، وسيأتي تحرير ذلك في كتاب استتابة المرتدين[٢].

قوله (أن أنقب) أي إنما أمرت أن آخذ بظواهر أمورهم، قال القرطبي: إنما منع قتله وإن كان قد استوجب القتل لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه ولاسيما من ﷺ، كما تقدم نظيره في قصة عبد الله بن أبيّ .

قوله (يخرج من ضئضىءِ) فالمراد به النسل والعقب .

قوله (لا يجاوز حناجرهم) تقدم شرحه في علامات النبوة[٣].

قوله (يمرقون من الدين) في رواية سعيد بن مسروق «من الإسلام» وفيه رد على من أوَّل الدين هنا بالطاعة، وقال: إن المراد أنهم يخرجون من طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرمية، وهذه صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء، والذي يظهر أن المراد بالدين الإسلام كما فسرته الرواية الأخرى، وخرج الكلام مخرج الزجر وأنهم بفعلهم ذلك يخرجون من الإسلام الكامل، وزاد سعيد بن مسروق في روايتة «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان» وهو مما أخبر به ﷺ من المغيبات فوقع كما قال.

قوله (وأظنه قال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود) في رواية سعيد بن مسروق « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) ولم يتردد فيه وهو الراجح.: وقد استشكل قوله « لئن أدركتهم لأقتلنهم » مع أنه نهى خالدا عن قتل أصلهم، وأجيب بأنه أراد إدراك خروجهم واعتراضهم المسلمين بالسيف، ولم يكن ظهر ذلك في زمانه، و أول ما ظهر في زمان علي كما هو مشهور، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في « علامات النبوة» واستدل به على تكفير الخوارج، وهي مسألة شهيرة في الأصول، وسيأتي الإلمام بشيء منها في استتابة المرتدين.

٤٣٥٢- عن عَطاء قال جابرٌ « أمرَ النبي ﷺ عليا أن يُقيمَ على إحرامهِ » زاد محمدُ بن بكر عن ابن جريج قال عطاء قال جابرٌ « فقدمِ عليٌ بن أبي طالب رضي الله عنه بسعايتهِ، قال له النبي ﷺ بمَ أهللتَ يا عليٌ ؟ قال: بما أهلَّ بهِ النبيُّ ﷺ قال: فأهدِ وأمكُثْ حراما كما أنت، قال: وأهدَى له عليٌ هَدْيا» .

٤٣٥٣، ٤٣٥٤- عن حُميد الطَّويل حدَّثنا بكرٌ أنه « ذكرَ لابن عمرَ أن أنساً حدَّثهم أن النبيَّ ﷺ أهلَّ بعمرةٍ وحَجَّةٍ، فقال: أهلَّ النبي ﷺ بالحجِّ، وأهللنا بهِ معه، فلما قدمْنا مكة قال: مَن لم يكن معهُ هدي فلْيجعلْها عمْرة، وكان مع النبي ﷺ هَدي، فقدمِ علينا

---

(١) كتاب المناقب باب / ٢٥ ح ٢٦١٠ - ٣ / ١٠٣
(٢) كتاب استتابة المرتدين باب / ٧ ح ٦٩٣٣ - ٥ / ٢٨٩
(٣) كتاب المناقب باب / ٢٥ ح ٢٦١٠ - ٣ / ١٠٣

عليٌ بن أبي طالبٍ من اليمن حاجًا فقال النبيُّ ﷺ بمَ أهللتَ ، فإنَّ معنا أهلكَ ؟ قال أهللتُ بما أهلَّ به النبي ﷺ قال: فأمسك فإن معَنا هَدْيا».

٦٢- باب غزوة ذي الخلصة

٤٣٥٥- عن قيسٍ عن جرير قال «كان بيتٌ في الجاهلية يقال له ذو الخَلَصة والكعبةُ اليمانية والكعبةُ الشامية، فقال لي النبيُّ ﷺ ألا تُريحني من ذِي الخلَصة؟ فنَفَرت في مائةٍ وخمسين راكباً فكسَرناه وقَتلنا من وَجَدنا عندَه، فأتيت النبي ﷺ فأخبرتهُ فدَعا لنا ولأحمسَ»

٤٣٥٦-عَن قيس قال: قال لي جرير رضي الله عنه «قال لي النبي ﷺ ألا تُريحُني من ذي الخلَصة - وكان بيتاً في خَثْعَم يُسمى الكعبةَ اليمانية، فانطلقتُ في خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحابَ خيل وكنتُ لا أثبتُ على الخيل، فضربَ في صدري حتى رأيتُ أثرَ أصابعه في صدري وقال اللهّم ثبِّتهُ واجعله هادياً مهديًا، فانطلق إليها فكسَرَها وحرَّقَها ،ثم بعث إلى رسول الله ﷺ فقال رسولُ جرير: والذي بَعثَك بالحقِّ ما جِئتُك حتى تركتُها كأنها جملٌ أجرَب، قال: فبارك في خيلِ أحمسَ ورجالها خمس مرات» .

٤٣٥٧- عن قيس عن جريرٍ قال «قال لي رسولُ الله ﷺ ألا تُريحُني من ذِي الخلَصةِ ؟ فقلتُ بلى فانطلقت في خمسينَ ومائةِ فارس من أحمس، وكانوا أصحابَ خيل وكنتُ لا أثبُتُ على الخيل، فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ فضرب يدَهُ على صدري حتى رأيتُ أثرَ يدِهِ في صدري وقال: اللهمَّ ثَبِّته، واجعلهُ هادياً مَهدياً، قال: فما وقعتُ عن فرسٍ بعدُ، قال: وكان ذو الخلَصة بيتاً باليمن لِخثْعم وبجيلةَ فيه نُصُبٌ تُعبَد، يقال له الكعبة، قال فأتاها فحرَّقَها بالنار وكسرَها، قال: ولما قدمِ جريرٌ اليمن كان بها رجلٌ يستقسِمُ بالأزلام، فقيل له: إنَّ رسولَ رسولِ الله ﷺ هاهنا، فإن قَدَر عليك ضَرَب عُنقكَ، قال فبينما هو يَضربُ بها إذ وقفَ عليهِ جرير فقال لتكسرَنَّها ولَتَشهدَنَّ أن لا إله إلا الله أو لأضرِبنَّ عُنقَك . قال: فكسرَها وشَهِدَ، ثُمَّ بعث جريرٌ رجلاً من أحمسَ يُكنى أبا أرْطاةَ إلى النبي ﷺ يبشّرُه بذلك، فلما أتى النبيَّ ﷺ قال: يا رسولَ الله، والذي بَعثَكَ بالحقِّ ما جئتُ حتى تركتها كأنها جملٌ أجرَب، قال فبرك النبي ﷺ على خيلِ أحمسَ ورجالها خمس مرّات ».

قوله (كانت بيت في الجاهلية يقال له ذو الخلصة) وقد وقع ذكر ذي الخلصة في حديث أبي هريرة عند الشيخين في كتاب الفتن مرفوعاً «لا تقوم الساعة حتى تضطرب آليات نساء دوس حول ذي الخلصة» وكان صنما تعبده دَوس في الجاهلية، والذي يظهر لي أنه غير المراد في حديث الباب .

وذكر ابن دحية أن ذا الخلصة المراد في حديث أبي هريرة كان عمرو بن لحي قد نصبه أسفل مكة، وكانوا يلبسونه القلائد فظهر الافتراق وقوي التعدد، والله أعلم .

قوله (ألا تريحني) طلب يتضمن الأمر وخص جريراً بذلك لأنها كانت في بلاد قومه وكان هو من أشرافهم، والمراد بالراحة راحة القلب، وما كان شيء أتعب لقلب النبي ﷺ من بقاء ما يشرك به من دون الله تعالى.

قوله (فدعا لنا ولأحْمَس) وهم إخوة بجيلة، رهط جرير ينتسبون إلى أحمس بن الغوث بن أنمار.

قوله (وكنت لا أثبت على الخيل فضرب على[1] صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري) كان ذلك للتبرك بيده المباركة.

قوله (فكسرها وحرقها) أي هدم بناءها ورمى النار فيما فيها من الخشب .

قوله في الرواية الثالثة (ولما قدم جرير اليمن الخ) يشعر باتحاد قصته في غزوة ذي الخلصة بقصة ذهابه إلى اليمن، كأنه لما فرغ من أمر ذي الخلصة وأرسل رسوله مبشرا استمر ذاهبا إلى اليمن للسبب الذي سيذكر بعد باب.

قوله (يستقسم) أي يستخرج غيب ما يريد فعله من خير أو شر، وقد حرم الله ذلك بقوله تعالى {وأن تستقسموا بالأزلام}

قوله (كأنها جمل أجرب) هو كناية عن نزع زينتها وإذهاب بهجتها .

وفي الحديث مشروعية إزالة ما يفتتن به الناس من بناء وغيره سواء كان إنسانا أو حيوانا أو جمادا، وفي استمالة نفوس القوم بتأمير من هو منهم والاستمالة بالدعاء والثناء والبشارة في الفتوح، وفضل ركوب الخيل في الحرب، وقبول خبر الواحد، والمبالغة في نكاية العدو، ومناقب لجرير ولقومه، وبركة يد النبي ﷺ ودعائه .

٦٣- باب غزوة ذات السَّلاسل، وهي غزوة لخم وجذام

قاله إسماعيل بن أبي خالد ابن إسحاق عن يزيد عن عروة: هي بلاد بليٍّ وعذرة وبني القين .

٤٣٥٨- عن أبي عثمانَ « أن رسول الله ﷺ بعث عمرَو بن العاص على جيش ذات السلاسِل، قال فأتيتُهُ فقلت: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك ؟ قال: عائشة، قلت مِنَ الرجال ؟ قال أبوها، قلتُ ثمَّ مَن قال: عمر فعدَّ رجالاً، فسكتُّ مخافةَ أن يَجعلَني في آخِرهم » .

قوله (باب غزوة ذات السلاسل) قيل سميت ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا، وذكر ابن سعد أنها وراء وادي وبينها وبين المدينة عشرة أيام،

---

(١) رواية الباب واليونينية "فضرب في صدري"

قال: وكانت في جمادي الآخرة سنة ثمان من الهجرة .

قوله (وقال ابن إسحق عن يزيد عن عروة هي بلاد بلي وعذرة وبني القين) أما يزيد فهو ابن رومان مدني مشهور، وأما عروة فهو ابن الزبير بن العوام، وأما القبائل التي ذكرها فالثلاثة بطون من قضاعة، وذكر ابن سعد أن جمعا من قضاعة تجمعوا وأرادوا أن يدنوا من أطراف المدينة، فدعا النبي ﷺ عمرو بن العاص فعقد له لواءً أبيض وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ثم أمده بأبي عبيدة بن الجراح في مئتين وأمره أن يلحق بعمرو وأن لا يختلفا .

وذكر ابن إسحق أن أم عمرو بن العاص كانت من بلي فبعث النبي ﷺ عمرا يستنفر الناس إلى الإسلام ويستألفهم بذلك، وروي إسحق بن راهوية والحاكم من حديث بريدة أن عمرو بن العاص أمرهم في تلك الغزوة أن لا يوقدوا نارا، فأنكر ذلك عمر، فقال له أبو بكر: دعه فإن رسول الله ﷺ لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب، فسكت عنه .

وروي ابن حبان من طريق قيس بن أبي حازم عن عمرو بن العاص «أن رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل، فسأله أصحابه أن يوقدوا نارا فمنعهم، فكلمُوا أبا بكرا فكلمه في ذلك فقال: لا يوقد أحد منهم نارا إلا قذفته فيها قال فلقوا العدو فهزمهم، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم، فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فسأله فقال: كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد . فحمد أمره .

وفي الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية، ومزية أبي بكر على الرجال وبنته عائشة على النساء، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في المناقب، ومنقبة لعمرو بن العاص لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر وإن كان ذلك لا يقتضي أفضليته عليهما لكن يقتضي أن له فضلا في الجملة .

٦٤- باب ذهاب جرير إلى اليمن

٤٣٥٩-عن قَيس عن جرير قال « كنتُ باليمن فلقيت رجُلَين من أهلِ اليمن - ذا كلاعٍ وذا عمرو- فجعلتُ أحدِّثهم عن رسولِ الله ﷺ فقال لي ذو عمرو: لئن كان الذي تذكر من أمرِ صاحبكَ لقد مرَّ على أجَلِه منذ ثلاثٍ، وأقبلا معي، حتى إذا كنّا في بعض الطريق رُفِعَ لنا ركبٌ من قِبَلِ المدينة، فسألناهم، فقالوا: قُبِض رسول الله ﷺ واستُخلفَ أبو بكر والناسُ صالحون، فقالا: أخبِر صاحبكَ أنا قد جئنا، ولعلّنا سنعود إن شاء الله ورجَعا إلى اليمن، فأخبرتُ أبا بكر بحديثهم، قال: أفلا جئتَ بهم؟ فلما كان بعدُ قال لي ذو عمرو: يا جريرُ إنَّ بك عليَّ كرامةً و إني مُخبرُكَ خبراً: إنكم مَعشرَ العرب لن تَزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أميرٌ تأمَّرتم في آخر، فإذا كانت بالسيف كانوا ملوكاً يَغضبونَ غضب الملوك،

ويرَضون رِضا الملوك».

قوله (لئن كان الذي تذكر من أمر صاحبك) أي حقا.

قوله (لقد مر على أجله) جواب لشرط مقدر، أي إن أخبرتني بهذا أخبرك بهذا، وهذا قاله ذو عمرو عن اطلاع من الكتب القديمة لأن اليمن أقام بها جماعة من اليهود فدخل كثير من أهل اليمن في دينهم وتعلموا منهم، وذلك بَيّن في قوله ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن إنك ستأتي قوما أهل كتاب، وقال الكرماني يحتمل أن يكون سمع من بعض القادمين من المدينة سرا، أو أنه كان في الجاهلية كاهناً أو أنه صار بعد إسلامه محدّثاً، وقد تقدم تفسيره بأنه الملهم، قلت: وسياق الحديث يدل على ما قررته لأنه علق ما ظهر له من وفاته على ما أخبره به جرير من أحواله، ولو كان ذلك مستفادا من غير ما ذكرته لما احتاج إلى بناء ذلك على ذلك لأن الأولين خبر محض والثالث وقوع شيء في النفس عن غير قصد.

قوله (فإذا كانت) أي الإمارة (بالسيف) أي بالقهر والغلبة (كانوا ملوكا) أي الخلفاء، وهذا دليل على ما قررته أن ذا عمرو كان له اطلاع على الأخبار من الكتب القديمة، وإشارته بهذا الكلام تطابق الحديث الذي أخرجه أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره من حديث سفينة أن النبي ﷺ قال «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا».

٦٥- باب غزوةِ سيف البحر وهم يتلقَّون عيراً لقُريش، وأميرهم أبو عبيدة

٤٣٦٠-عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال «بَعثَ رسولُ الله ﷺ بَعثاً قِبَلَ الساحلِ وأمَّر عليهم أبا عبيدةَ بن الجراح وهم ثلاثمائة، فخرجنا وكنّا ببعضِ الطريق فَنِيَ الزّاد، فأمر أبو عبيدةَ بأزواد الجيش فجمعَ، فكان مِزودَي تمرٍ، فكان يقوتُنا كلَّ يوم قليلا قليلا حتى فنِيَ، فلم يكن يصيبُنا إلا تمرةٌ تمرة، فقلتُ: ما تغني عنكم تمرة فقال: لقد وَجَدنَا فقدَها حين فنِيت، ثم انتهينا إلى البحر، فإذا حُوت مثلُ الظَّرِب، فأكل منه القومُ ثمانَ عشرةَ ليلة ثمَّ أمر أبو عبيدةَ بِضِلَعَين من أضلاعه فنُصبا، ثم أمرَ براحلةٍ فرُحِلَت، ثم مرَّت تحتهما، فلم تُصبهما».

٤٣٦١-عن عمرِو بن دينار قال سمعتُ جابرَ بن عبد الله يقول: بَعَثنا رسول الله ﷺ ثلاثمائة راكب، أميرُنا أبو عبيدةَ بن الجراح نرصُدُ عِيرَ قُريش فأقمنا بالساحلِ نصف شهر، فأصابَنا جوع شديدٌ حتى أكلنا الخَبط، فسُميَ ذلك الجيشُ جيش الخَبَط، فألقىَ لنا البحر دابةً يقال لها العنبرُ فأكلنا منه نصف شهر، وادّهنّا من وَدَكهِ حتى ثابَت إلينا أجسامُنا،

فأخذَ أبو عُبيدةَ ضلَعاً من أضلاعه فنصَبَه فعمدَ إلى أطول رجل معه، قال سفيان مرة: ضليعاً من أضلاعه فنصبه، وأخذَ رجُلاً وبعيراً فمرَّ تحتَهُ، قال جابر: وكان رجلٌ منَ القوم نحرَ ثلاثَ جَزائرَ، ثم نحرَ ثلاثَ جَزائرَ ثم نحر ثلاثَ جَزائرَ ثم إنَّ أبا عبيدةَ نهاه » وكان عمرو يقول « أخبرنا أبو صالح أن قيسَ بن سعدٍ قال لأبيه: كنتُ في الجيشِ فجاعوا، قال: انحرْ ، قال: نحرتُ قال: ثم جاعوا قال: انحر، قال نحرتُ قال: ثم جاعوا قال انحر، قال نحرتُ ثم جاعوا قال: انحر، قال نُهيتُ».

٤٣٦٢- عن عمرو أنه سمع جابراً رضي الله عنه يقول « غزونا جَيش الخَبَط، وأُمِّرَ أبو عُبيدةَ فجعنا جوعا شديداً، فألقى البحر حوتاً ميِّتاً لم نَرَ مثلهُ يقال له العنَبر، فأكلنا منه نصفَ شهر، فأخذَ أبو عُبيدةَ عظماً من عظامه، فمرَّ الراكب تحتَه، فأخبرني أبو الزُّبير أنه سمع جابراً يقول: قال أبو عُبيدةَ : كلوا فلما قَدِمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: كلوا رِزقاً أخرجهُ الله، أطعمونا إن كان معكم، فأتاهُ بعضهُم بعضو فأكله».

قوله (باب غزوة سيف البحر) أي ساحل البحر .

قوله في الرواية الثانية (فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط) وهو ورق السلم، في رواية أبي الزبير « وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله، وهذا يدل على أنه كان يابسا .

قوله (فإذا حوت مثل الظرب) أما الحوت فهو إسم جنس لجميع السمك، وقيل هو مخصوص بما عظم منها، والظَّرِب: الجبل الصغير .

ووقع في رواية ابن جريج عن عمرو بن دينار في أواخر الباب « فألقى لنا البحر حوتا ميتا » واستدل به على جواز أكل ميتة السمك، وسيأتي البحث فيه في كتاب الأطعمة إن شاء الله تعالى .

قوله (وادهنا من ودكه) أي شحمه.

وفي الحديث من الفوائد أيضا مشروعية المواساة بين الجيش عند وقوع المجاعة وأن الاجتماع على الطعام يستدعي البركة فيه .

٦٦- باب حجِّ أبي بكرٍ بالناس في سنة تِسْعٍ

٤٣٦٣- عن أبي هريرة « أنَّ أبا بكرٍ الصديقَ رضي الله عنه بَعثَه في الحجّة التي أمَّرهُ النبيُّ ﷺ عليها قبلَ حجةِ الوداع يومَ النحر في رَهطٍ يُؤذِّنُ في الناسِ: لا يحجُّ بعدَ العام مُشرِك، ولا يَطوفُ بالبيتِ عُريان».

٤٣٦٣- عن البراء رضي الله عنه قال «آخرُ سورةٍ نَزلَتْ كاملةً بَراءة، وآخرُ سورةٍ نزلتْ خاتمةُ سورةِ النساء {يَستفتونَكَ قلِ اللهُ يُفتيكم في الكلالة } .

[الحديث ٤٣٦٤- أطرافه في: ٤٦٠٥، ٤٦٥٤، ٦٧٤٤]

قوله (حج أبي بكر بالناس في سنة تسع) كذا جزم به، ونقل المحب الطبري عن صحيح ابن حبان أن فيه عن أبي هريرة « لما قفل النبي ﷺ من حنين اعتمر من الجعرانة وأمر أبا بكر في تلك الحجة» قال المحب: إنما حج أبو بكر سنة تسع والجعرانة كانت سنة ثمان، قال وإنما حج فيها عتاب بن أسيد كذا قال وكأنه تبع الماوردي فإنه قال: إن النبي ﷺ أمر عتَّابا أن يحج بالناس عام الفتح، والذي جزم به الأزرقي في « أخبار مكة» خلافه فقال: لم يبلغنا أنه استعمل في تلك السنة على الحج أحدا، إنما ولَّى عتابا إمرة مكة فحج المسلمون والمشركون جميعا وكان المسلمون مع عتاب لكونه الأمير، قلت والحق أنه لم يختلف في ذلك واستدل بهذا الحديث على أن فرض الحج كان قبل حجة الوداع، والأحاديث في ذلك كثيرة شهيرة .

٦٧- باب وفدُ بني تَميم

٤٣٦٥- عن عِمرانَ بن حصينٍ رضيَ الله عنهما قال أتى نفرٌ من بني تميمٍ النبي ﷺ فقال: اقْبلوا البُشرَى يا بني تَميم . قالوا: يا رسول الله، قد بَشَّرتَنا فأعطِنا . فرئي ذلك في وَجهِهِ ، فجاءَ نفرٌ من اليمن فقال: اقبلوا البُشرَى إذ لم يَقبلْها بنو تَميم . قالوا قد قَبلنا يا رسولَ الله ».

٦٨- باب قال ابن إسحاقَ:يكبّر غزوة عُيَينةَ بن حِصنِ بن حُذَيفةَ بن بدرٍ بني العَنبرِ من بني تَميم بَعثهُ النبي ﷺ إليهم، فأغار وأصاب منهم ناساً وسَبى منهم سباءً .

٤٣٦٦- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال « لا أزالُ أحِبُّ بني تَميم بعدَ ثلاثٍ سمعتهنَّ من رسول الله ﷺ يقولها فيهم: هم أشدُّ أمّتي عَلَى الدجّال، وكانت فيهم سَبِيَّةٌ عندَ عائشةَ فقال: أعتِقيها فإنها من ولَدِ إسماعيل، وجاءت صدقاتهم فقال: هذه صدقاتُ قومٍ أو قومي».

٤٣٦٧- عنِ ابن أبي مُلَيكة أنَّ عبدَ الله بن الزُّبير أخبرَهم أنهُ قدمَ ركب من بنى تميم عَلَى النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمِّرِ القَعْقاعَ بن مَعبْدِ بن زُرارةَ ، فقال عمرُ: بل أمِّرِ الأقرعَ بن حابسٍ، قال أبوبكر: ما أردتَ إلاّ خِلافي، قال عمر: ما أردتُ خِلافَكَ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنَزَلَ في ذلك [الحجرات][يآ أيُها الذين آمنوا لا تُقدِّموا بينَ يدىَ اللهِ ورسوله] حتى انقضَت .

[الحديث ٤٣٦٧-أطرافه في: ٤٨٤٥، ٤٨٤٧، ٧٣٠٢].

ذكر الواقدي أن سبب بعث عيينة أن بني تميم أغاروا على ناس من خزاعة، فبعث النبي ﷺ إليهم عيينة بن حصن في خمسين ليس فيهم أنصاري ولا مهاجري، فأسر منهم أحد عشر

رجلا وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا، فقدم رؤساؤهم بسبب ذلك، قال ابن سعد: كان ذلك في المحرم سنة تسع .

قوله (في حديث عبد الله بن الزبير الآخر، قدم ركب من بني تميم[١] فقال أبو بكر: أمر القعقاع) سيأتي شرح هذا الحديث مستوفى في أول تفسير سورة الحجرات[٢] إن شاء الله تعالى.

٦٩- باب وفد عبدِ القَيس

٤٣٦٨-عن أبي جَمرَةَ « قلتُ لابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما: إنَّ لي جرَّةً تَنتَبَذُ لي نَبيذاً فأشربه حُلواً في جَرٍّ، إن أكثرتُ منهُ فجالستُ القومَ فأطلتُ الجلوسَ خَشيت أن أفتَضِحَ، فقال: قَدِمَ وفد عبدِ القيس على رسولِ الله ﷺ فقال: مرحباً بالقوم غيرَ خَزايا ولا النَّدامى ، فقالوا يا رسول الله إنَّ بينَنا وبينَك المشركين من مُضَر، وإنَّا لا نَصِلُ إليك إلاَّ في أشهُرِ الحرُم، حدِّثنا بجُمَلٍ منَ الأمرِ إن عمِلنا بهِ دخلنا الجنَّة ونَدعو بهِ مَن وراءنا،قال آمركم بأربَع وأنهاكم عن أربَع: الإيمانِ بالله - هل تدرونَ ما الإيمانُ بالله ؟ شهادةُ أن لا إلهَ إلا الله - وإقامُ الصلاةِ، وإيتاء الزكاةِ وصَومُ رمضانَ وأن تُعطوا منَ المغانم الخمسَ - وأنهاكم عن أربع: ما انُتبِذَ في الدُّباء، والنَّقير، والحنتَمِ، والمزفَّت» .

٤٣٦٩-عن أبي جمرةَ قال سمعتُ ابنَ عباس يقول « قَدم وَفدُ عبد القَيسِ على النبي ﷺ فقالوا يا رسولَ الله، إنّ هذا الحيَّ من ربيعةَ، وقد حالَت بيننا وبينك كفَّارُ مُضَر، فلسنا نخلُصُ إليكَ إلا في شهرٍ حَرام فمرنا بأشياء نأخُذُ بها وندعو إليها مَن وراءنا،قال آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمانِ بالله -شهادةِ أن لا إلهَ إلا الله، وعقدَ واحدة- وإقام الصلاةِ وإيتاء الزكاةِ وأن تؤدُّوا لله خمسَ ما غَنِمتم وأنهاكم عن الدبّاء، والنقير والحَنتَم والمزفَّت».

قوله (باب وفد عبد القيس) هي قبيلة كبيرة يسكنون البحرين، وكانت قريتهم بالبحرين أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة كما ثبت في آخر حديث في الباب، وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلا، وفيها سألوا عن الإيمان وعن الأشربة، وكان فيهم الأشج وقال له النبي ﷺ «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» كما أخرج ذلك مسلم من حديث أبي سعيد، وروى أبو داود من طريق أم أبان بنت الوازع بن الزارع عن جدها زارع وكان في

---

(١) رواية الباب واليونينية "قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ قال ...."
(٢) كتاب التفسير "الحجرات" باب / ٢ ح ٤٨٤٧ - ٣ / ٦٩٠

وفد عبد القيس قال «فجعلنا نتبادر من رواحلنا -يعني لما قدموا المدينة- فنقبل يد النبي ﷺ» وانتظر الأشج واسمه المنذر حتى لبس ثوبيه فأتى النبي ﷺ فقال له - إن فيك لخصلتين» الحديث.

قوله (قلت لابن عباس[١] إن لي جرة تنتبذ لي نبيذا) سيأتي الكلام على ذلك في كتاب الأشربة[٢] إن شاء الله تعالى.

٤٣٧٠- عن عمرو بن الحارثِ عن بُكَيرٍ أن كُرَيباً مولى ابن عباسٍ حدَّثهُ أن ابن عباس وعبدَ الرحمنِ بن أزهرَ والمِسوَرَ بن مَخرَمَةَ أرسَلوا إلى عائشةَ رضيَ الله عنها فقالوا: اقرأ عليها السلام منّا جميعا وسَلْها عن الركعتَين بعدَ العصر، فإنا أُخبرنا أنكِ تصلّينهما، وقد بلَغنا أنَّ النبي ﷺ نهى عنهما، قال ابنُ عباس: وكنتُ أضرِب مع عمرَ الناس عنهما، قال كريب: فدخلتُ عليها وبلغتها ما أرسلوني فقالت: سَل أمَّ سلمةَ، فأخبرتهم، فردُّوني إلى أمِّ سلمةَ بمثل ما أرسلوني إلى عائشة، فقالت أمُّ سلمةَ: سمعتُ النبي ﷺ ينهى عنهما، وإنه ﷺ العصر، ثم دخلَ عليٌّ وعندي نِسوة من بني حَرام من الأنصار فصلاهما، فأرسلتُ إليهِ الخادمَ فقلتُ قُومي إلى جَنبه فقولي: تقولُ أمُّ سلمةَ يا رسولَ الله ألم أسمَعك تنهى عن هاتين الركعتَين، فأراك تصلّيهما، فإن أشارَ بيده فاستأخري، ففعلَت الجارية، فأشار بيدهِ فاستأخَرَت عنه فلما انصرفَ قال يا بنتَ أبي أمية، سألتِ عنِ الركعتَينِ بعدَ العصر، إنهُ أتاني أناس من عبدِ القيسِ بالإسلام من قومهِم فشغلوني عن الركعتَينِ اللّتَينِ بعد الظهر، فهما هاتان».

٤٣٧١- عنِ ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال «أولُ جمعةٍ جُمِّعَت -بعدَ جمعةٍ جمعت في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ- في مسجدِ عبدِ القيسِ بجُواثى، يعنى قريةً من البحرَين».

٧٠- باب وفدِ بني حنيفةَ، وحديث ثُمامةَ بن أثال

٤٣٧٢- عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال «بَعثَ النبي ﷺ خيلا قِبلَ نجدٍ، فجاءت برجل من بني حنيفةَ يقال له ثُمامة بن أثال، فربطوهُ بساريةٍ من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال: عندى خيرٌ، يا محمدُ إن تَقتلني تَقتلْ ذا دم، وإن تُنعِم تنعم على شاكر، وإن كنت تريدُ المال فسلْ منه ما شئتَ فُتركَ حتى كان الغَد ثم قال لهُ: ما عندك يا ثمامة فقال: ما اقلتُ لك: إن تُنعِم تنعم على شاكر، فتركهُ حتى كان بعدَ الغدِ فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلَقَ

(١) رواية الباب واليونينية "قلت لابن عباس رضي الله عنهما".
(٢) كتاب الأشربة باب / ٨ ح ٥٥٩٥ - ٤ / ٢٧٨.

إلى نخل قريب من المسجدِ فاغتسلَ، ثم دخل المسجدَ فقال: أشهد أن لا إلهَ إلاّ الله، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله، يا محمد، واللهِ ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليَّ من وَجهك، فقد أصبحَ وَجهُكَ أحبَّ الوجوهِ إليّ، والله ما كان من دِين أبغضَ إليَّ من دِينكَ، فأصبح دينُك أحبَّ الدِّين إليَّ، والله ما كان من بلد أبغضَ إليَّ من بلدك، فأصبحَ بلدُكَ أحبَّ البلاد إليَّ وإن خَيلك أخذَتني، وأنا أُريد العمرةَ، فماذا ترى؟ فبشَّره رسول الله ﷺ، وأمَرَه أن يعتمر، فلما قَدِمَ مكة قال له قائل: صَبوت؟ قال: لا والله ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ولا واللهِ لا يأتيكم من اليمامَةِ حَبةُ حِنطة حتى يأذَن فيها النبي ﷺ».

قوله (باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال) وهي قبيلة كبيرة شهيرة ينزلون اليمامة بين مكة واليمن، وكان وفد بني حنيفة كما ذكره ابن إسحق وغيره في سنة تسع، وذكر الواقدي أنهم كانوا سبعة عشر رجلا فيهم مسيلمة، وأما ثمامة بن أثال ابن النعمان بن مسلمة الحنفي، وهو من فضلاء الصحابة.

قوله (ماذا عندك) أي ما الذي استقر في ظنك أن أفعله بك؟ فأجاب بأنه ظن خيرا فقال: عندي يا محمد خير، أي لأنك لست ممن يظلم، بل ممن يعفو،ويحسن.

قوله (إن تقتلني تقتل ذا دم)، قال النووي: معنى رواية الأكثر إن تقتل تقتل ذا دم أي صاحب دم لدمه موقع يشتفي قاتله بقتله ويدرك ثأره لرياسته وعظمته، ويحتمل أن يكون المعنى أنه عليه دم وهو مطلوب به فلا لوم عليك في قتله.

قوله (فبشَّره) أي بخيري الدنيا والآخرة، أو بشره بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته السابقة.

قوله (قال: لا ولكن[١] أسلمت مع محمد) كأنه قال: لا ما خرجت من الدين، لأن عبادة الأوثان ليست دينا، فإذا تركتها لا أكون خرجت من دين، بل استحدثت دين الإسلام.

قوله (مع محمد) أي وافقته على دينه فصرنا متصاحبين في الإسلام.

---

(١) رواية الباب "لا والله ولكن أسلمت محمد ﷺ واليونينية توافق الشرح.

قوله (لا تأتيكم[1] من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها النبي ﷺ) وفي قصة ثمامة من الفوائد ربط الكافر في المسجد، والمنُّ على الأسير الكافر وتعظيم أمر العفو عن المسيء لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمن بغير مقابل، وفيه الاغتسال عند الإسلام وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب، وأن الكافر إذا أراد عمَل خيرٍ ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير، وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه، وفيه بعث السرايا إلى بلاد الكفار، وأسْر من وجد منهم، والتخيير بعد ذلك في قتله أو الإبقاء عليه.

٤٣٧٣- عنِ ابن عبّاسٍ رضيَ الله عنهما قال «قَدِمَ مُسيلمةُ الكذّابُ على عهدِ رسول الله فجعلَ يقول: إن جعلَ لي محمدٌ الأمرَ من بعدِه تَبعتُه وقَدمَها في بشرٍ كثيرٍ من قومه، فأقبلَ إليهِ رسولُ الله ﷺ ومعهُ ثابتُ بن قيسِ بن شمَّاس-وفي يد رسولِ الله ﷺ قطعةُ جَريد- حتى وَقَفَ على مُسيلمةَ في أصحابهِ فقال: لو سألتَني هذه القطعة ما أعطيتُكها، ولن تَعدُو أمرَ الله فيك، ولئن أدبرتَ ليَعقرنَّكَ الله، وإني لأراكَ الذى أُريتُ فيه مارأيتُ، وهذا ثابتٌ يُجيبُكَ عني،ثم انصرفَ عنه».

٤٣٧٤-قال ابنُ عباسٍ «فسألتُ عن قولِ رسول الله ﷺ: إنكَ أرَى الذي أُريتُ فيه ما أريت، فأخبرَني أبو هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: بينا أنا نائمٌ رأيتُ في يديَّ سِوارَينِ من ذَهب، فأهمَّني شأنُهما فأوحي إليَّ في المنام أنِ انفُخْهما، فنفختُهما فطارا، فأوّلتهما كذابَين يَخرُجانِ بعدي: أحدُهما العَنْسيُّ، والآخرُ مُسيلمة».

٤٣٧٥- عن هَمامٍ أنه سمعَ أبا هريرةَ رضيَ الله عنه يقول» قال رسولُ الله ﷺ بَينا أنا نائم أُتيتُ بخزائنِ الأرض، فوُضعَ في كفَّي سِواران من ذهب، فكَبُرا عليَّ، فأوحيَ إليَّ أن أنفُخْهما فنفختهما فذَهبا فأوَّلتُهما الكذّابَينِ الذين أنا بينهما: صاحبَ صَنعاء، وصاحبَ اليمامة» .

---

(١) رواية الباب واليونينية "لا يأتيكم..."

قوله (قدم مسيلمة الكذاب على عهد النبي[١] ﷺ) أي المدينة، قال ابن إسحق: ادعى النبوة سنة عشر، ويستفاد من هذه القصة أن الإمام يأتي بنفسه إلى من قدم يريد لقاءه من الكفار إذا تعين ذلك طريقا لمصلحة المسلمين .

قوله (ولن تعدو أمر الله) والمراد بأمر الله حكمه، وقوله «ولئن أدبرت» أي خالفت الحق، وقوله «ليعقرنك[٢] » أي يهلكك.

قوله (وهذا ثابت بن[٣]قيس يجيبك عني) أي لأنه كان خطيب الأنصار، وكان النبي ﷺ قد أعطي جوامع الكلم فاكتفى بما قاله لمسيلمة وأعلمه أنه إن كان يريد الإسهاب في الخطاب فهذا الخطيب يقوم عني في ذلك، ويؤخذ منه استعانة الإمام بأهل البلاغة في جواب أهل العناد ونحو ذلك .

قوله (أريت) من رؤيا المنام، وسيأتي شرحه في تعبير[٤]الرؤيا إن شاء الله تعالى.

ويؤخذ منه أن السوار وسائر آلات أنواع الحلي اللائقة بالنساء تعبر للرجال بما يسوؤهم ولا يسرهم، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب التعبير إن شاء الله تعالى.

٤٣٧٦- عن أبي رجاء العطارديَّ يقول: كنَّا نَعبُد الحجرَ، فإذا وجدنا حجراً هوَ أخْيَرُ منه ألقيناهُ وأخَذْنا الآخرَ، فإذا لم نجد حجراً جمعْنا جُثْوَةً من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلَبْناهُ عليه، ثمَّ طُفنا به، فإذا دخلَ شهرُ رجبٍ قلنا: مُنَصِّلُ الأسنَّة ، فلا نَدعُ رمحاً فيه حديدةٌ، ولا سهماً فيه حديدة إلا نَزَعْناه وألقيناهُ شهرَ رجب » .

٤٣٧٧-وسمعتُ أبا رجاء يقول: كنت يومَ بُعث النبي ﷺ غُلاماً أرعى الإبل على أهلي، فلما سمعنا بخروجه فرَرنا إلى النار، إلى مسيلمة الكذَّاب» .

---

(١) رواية الباب واليونينية "على عهد رسول الله ﷺ .

(٢) رواية الباب واليونينية "ليعقرنك الله"

(٣) رواية الباب واليونينية "وهذا ثابت يجيبك عني"

(٤) كتاب التعبير باب / ٤٧ ح ٧٠٣٤ - ٥ / ٣٣٨

قوله (هو أخير منه) في رواية الكشميهني «أحسن، بدل أخير، والمراد بالخيرية الحسية من كونه أشد بياضا أو نعومة أو ذلك من صفات الحجارة المستحسنة .

قوله (كنت يوم بعث النبي ﷺ غلاما أرعى الإبل على أهلي، فلما سمعنا بخروجه فررنا إلى النار، إلى مسيلمة الكذاب الذي يظهر أن مراده بقوله «بعث»أي اشتهر أمره عندهم، ومراده بخروجه أي ظهوره على قومه من قريش بفتح مكة، وليس المراد مبدأ ظهوره بالنبوة ولا خروجه من مكة إلى المدينة لطول المدة بين ذلك وبين خروج مسيلمة، ودلت القصة على أن أبا رجاء كان من جملة من بايع مسيلمة من قومه بني عطارد بن عوف بن كعب بطن من بني تميم، وكان السبب في ذلك أن سجاحا ، وهي امرأة من بني تميم ادعت النبوة أيضا فتابعها جماعة من قومها ثم بلغها أمر مسيلمة فخادعها إلى أن تزوجها واجتمع قومها وقومه على طاعة مسيلمة .

٧١- باب، قصة الأسود العَنْسيِّ

٤٣٧٨- عن ابن عُبيدةَ بن نَشيطٍ - وكان في موضع آخرَ اسمه عبدُ الله أنَّ عُبيدَ الله بن عبدِ الله بن عتبة قال «بلغنا أنَّ مُسيلمةَ الكذاب قدمَ المدينة فنزَل في دارِ بنتِ الحارث، وكانت تحتَهُ بنتُ الحارثِ بن كُرَيز، وهي أمُّ عبدِ الله بن عامر،فأتاه رسولُ الله ومعه ثابتُ بن قَيسِ بن شمّاس، وهو الذي يقال له خطيبُ رسول الله ﷺ وفي يد رسولِ الله ﷺ قَضيبٌ فوقفَ عليه فكلمه، فقال له مسيلمة: إن شئتَ خَلَّينا بينكَ وبين الأمر ثم جَعلتَه لنا بعدَك، فقالَ النبي ﷺ لو سألتَني هذا القضيبَ ما أعطيتُكه، وإني لأراكَ الذي أريت فيه ما أريت، وهذا ثابتُ بن قيسٍ سيُجيبكَ عنِّي، فانصرفَ النبي ﷺ ».

٤٣٧٩- قال عُبيدُ الله بن عبدِ الله: سألتُ عبدَ الله بن عبّاس عن رؤيا رسولِ الله ﷺ التي ذكرَ ، فقال ابنُ عباس: ذُكر لي أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: بَينا أنا نائمٌ أُريتُ أنه وُضعَ في يديَّ سواران من ذهب، ففظعْتُهما وكرِهتهما ، فأذِنَ لي فنفَخْتُهما فطارا ، فأوَّلتهما كذابَين يَخرُجان، فقال عبيدُ الله: أحدهما العنسيُّ الذي قتلهُ فَيروزُ باليمنِ، والآخرُ مسيلمةُ الكذاب».

قوله (فقال عبيد الله أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن، والآخر مسيلمة

الكذاب) أما مسيلمة فقد ذكرت خبره، وأما العنسي وفيروز فكان من قصته أن العنسي وهو الأسود واسمه عبهلة بن كعب وكان يقال له أيضا ذو الخمار بالخاء المعجمة لأنه كان يُخمِّر وجهه، وقيل وهو اسم شيطانه، وكان الأسود قد خرج بصنعاء وادعى النبوة وغلب على عامل صنعاء المهاجر بن أبي أمية، ويقال أنه مر به فلما حاذاه عثر الحمار فادعى أنه سجد له، ولم يقم الحمار حتى قال له شيئاً فقام، وروى يعقوب بن سفيان والبيهقي في «الدلائل» من طريقه من حديث النعمان بن بُزْرُج قال: خرج الأسود الكذاب وهو من بني عَنْس وكان معه شيطانان يقال لأحدهما سحيق والآخر شقيق، وكانا يخبرانه بكل شيء يحدث من أمور الناس، وكان باذان عامل النبي ﷺ بصنعاء فمات، فجاء شيطان الأسود فأخبره، فخرج في قومه حتى ملك صنعاء وتزوج المرزبانة زوجة باذان،فذكر القصة في مواعدتها دادويه وفيروز وغيرهما حتى دخلوا على الأسود ليلا، وقد سقته المرزبانة الخمر صرفا حتى سكر، وكان على بابه ألف حارس، فنقب فيروز ومن معه الجدار حتى دخلوا فقتله فيروز واحتز رأسه، وأخرجوا المرأة وما أحبوا من متاع البيت، وأرسلوا الخبر إلى المدينة فوافى ذلك عند وفاة النبي ﷺ، قال أبو الأسود عن عروة: أصيب الأسود قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة فأتاه الوحي فأخبر به أصحابه،ثم جاء الخبر إلى أبي بكر رضي الله عنه، وقيل وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبي ﷺ.

٧٢- باب، قصةُ أهلِ نَجرانَ

٤٣٨٠- عن حُذَيفةَ قال «جاء العاقبُ والسيِّدُ صاحبا نجرانَ إلى رسول الله ﷺ يُريدانِ أن يُلاعناه، قال فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعلْ، فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلحُ نحن ولا عقبُنا من بَعدنا، قالا: إنّا نعطيكَ ما سألتَنا، وابعَثْ معنا رجُلاً أميناً، ولا تبعَثْ معنا إلاّ أميناً، فقال: لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حقَّ أمين، فاستشرفَ له أصحابُ رسول اللهِ ﷺ، فقال: قم يا أبا عُبيدةَ بن الجرّاح، فلما قام، قال رسول اللهِ ﷺ هذا أمينُ هذهِ الأمّة».

٤٣٨١-عن صلةَ بن زُفَر عن حذيفةَ رضي الله عنه قال «جاءَ أهل نَجرانَ إلى النبي ﷺ فقالوا: ابعَثْ لنا رجلاً أميناً، فقال: لأبعثن إليكم رجلا أميناً حقَّ أمين، فاستشرَفَ له الناس، فبعث أبا عُبيدةَ بن الجرّاح».

٤٣٨٢- عن أنسٍ عنِ النبي ﷺ قال «لكلِّ أمةٍ أمين، وأمين هذه الأمَّة أبو عُبيدةَ بن الجراح».

قوله (١)[1]قصة أهل نجران) بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن يشتمل على ثلاث وسبعين قرية مسيرة يوم للراكب السريع، وذكر ابن إسحق أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ بمكة وهم حينئذ عشرون رجلا، وقال ابن سعد: كان النبي ﷺ كتب إليهم فخرج إليه وفدهم في أربعة عشر رجلا من أشرافهم .

قوله (جاء[2] السيد والعاقب صاحبا نجران) أما السيد فكان اسمه الأيهم ويقال شرحبيل، وكان صاحب رحالهم ومجتمعهم ورئيسهم في ذلك، وأما العاقب فاسمه عبد المسيح وكان صاحب مشورتهم، وكان معهم أيضا أبو الحارث ابن علقمة وكان أسقفهم وحبرهم وصاحب مدراسهم، قال ابن سعد: دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن فامتنعوا، فقال: إن أنكرتم ما أقول فهلم أباهلكم، فانصرفوا على ذلك.

قوله (يريدان أن يلاعناه) أي يباهلاه.

وفي قصة أهل نجران من الفوائد أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام، وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب، وقد تجب إذا تعينت مصلحته، وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة وقد دعا ابن عباس إلى ذلك ثم الأوزاعي، ووقع ذلك لجماعة من العلماء، ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلاً لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة، ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة فلم يقم بعدها غير شهرين، وفيها مصالحة أهل الذمة على ما يراه الإمام من أصناف المال، ويجري ذلك مجرى ضرب الجزية عليهم، فإن كلا منهما مال يؤخذ من الكفار على وجه الصَّغار في كل عام، وفيها بعث الإمام الرجل العالم الأمين إلى أهل الهدنة في مصلحة الإسلام، وفيها منقبة ظاهرة لأبي عبيدة بن الجراح

---

(١) رواية الباب واليونينية "باب قصة أهل نجران"

(٢) رواية الباب واليونينية "جاء العاقب والسيد صاحبا نجران".

رضي الله عنه .

٧٣- باب - قصةُ عُمانَ والبَحرَين .

٤٣٨٣- عن جابرِ بن عبد الله رضيَ الله عنهما قال: «قال لي رسولُ الله ﷺ: لو قد جاءَ مالُ البحرَين لقد أعطيتُكَ هكذا وهكذا (ثلاثا) فلم يَقدَم مالُ البحرين حتى قُبضَ رسولُ الله ﷺ، فلما قدمِ على أبي بكر أمرَ مناديًا فنادَى: مَن كان له عندَ النبيِّ ﷺ دَينٌ أو عِدَةٌ فلْيَأتني، قال جابر: فجئتُ أبا بكرٍ فأخبرته أنَّ النبي ﷺ قال: لو جاء مالُ البَحرَين أعطيتُك هكذا وهكذا (ثلاثا)، قال: فأعطاني، قال جابر: فلقيتُ أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يُعطني، ثم أتيتُه فلم يعطِني، ثم أتيته الثالثةَ فلم يعطِني، فقلتُ له: قد أتيتُكَ فلم تعطني، ثم أتيتُكَ فلم تعطني، ثم أتيتُكَ فلم تعطني، فإمّا أن تعطِني، وإما أن تَبخلَ عني، قال: أقلتَ تبخلُ عني؟ وأيُّ داء أدْوَأ من البخل؟ قالها ثلاثا، ما منعتُكَ من مرةٍ إلا وأنا أُريدُ أن أعطيَكَ».

وعن عمرو عن محمد بن عليٍّ « سمعتُ جابرَ بن عبد الله يقول: جِئتُه فقال لي أبو بكر: عُدَّها، فعددتها فوجدتها خمسَمائة، فقال: خذ مثلَها مرَّتَين» .

قوله (قصة[١]عمان والبحرين) أما البحرين فبلد عبد القيس، وأما عمان قال عياض: هي فرضة بلاد اليمن .

٧٤- باب قدومِ الأشْعريينَ وأهلِ اليمن .

وقال أبو موسى عنِ النبي ﷺ «هم مني وأنا منهم»

٤٣٨٤- عن أبي موسى رضيَ الله عنه قال «قدِمتُ أنا وأخي منَ اليمنِ فمكثنا حِيناً ما نُرى ابنَ مسعودٍ وأمَّهُ إلا من أهلِ البيت، من كثرةِ دُخولهم ولُزومهم له»

٤٣٨٥- عن زَهْدَمَ قال لما قدم أبو موسى أكرمَ هذا الحيَّ من جَرْمٍ ، وإنّا لجلوسٌ عندَهُ وهوَ يَتغدَّى دَجاجاً، وفي القوم رجلٌ جالسٌ، فدعاهُ إلى الغَداء فقال: إني رأيتهُ يأكل شيئاً فقَذِرتهُ، فقال له: هلمَّ ، فإني رأيتُ النبي ﷺ يأكلهُ، فقال: إني

(١) في المتن "باب قصة عمان والبحرين" واليونينية توافق الشرح.

حلفت لا آكلهُ، فقال: هلمَّ أُخبركَ عن يَمينك، إنا أتينا النبي ﷺ نفرٌ منَ الأشعريين، فاستَحمَلناهُ، فأبى أن يَحملنا، فاستحملناهُ، فحلفَ أن لا يحملنا، ثم لم يَلبثِ النبي ﷺ أن أُتيَ بنهبِ أبلٍ فأمرَ لناَ بخمسِ ذَوْدٍ، فلما قَبضْناها قلنا تَغفَّلنا النبيَّ ﷺ يمينَه، لا نُفلحُ بعدَها أبداً، فأتَيته فقلتُ: يا رسولَ الله، إنكَ حَلفت أن لا تحملَنا، وقد حَملتَنا، قال: أجلْ لا أحلِفُ على يَمينٍ فأرَى غيرها خيراً منها إلا أتيتُ الذي هو خيرٌ منها».

قوله (لما قدم أبو موسى) أي إلى الكوفة أميرا عليها في زمن عثمان.

٤٣٨٦- عن عمرانَ بنِ حصَين قال« جاءت بنو تميمٍ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: أبشِروا يا بني تميم، قالوا: أما إذ بَشَّرتَنا فأعطِنا، فتغيَّر وجهُ رسول الله ﷺ فجاء ناسٌ من أهلِ اليمنِ، فقال النبي ﷺ اقبَلوا البُشرَى إذ لم يَقبَلها بنو تميم قالوا: قد قَبلنا يا رسولَ الله».

٤٣٨٧-عن أبي مسعود أنَّ النبي ﷺ قال «الإيمانُ هاهنا - أشار بيدهِ إلى اليمن، والجَفاءُ وغِلظُ القلوبِ في الفدّادِينَ عندَ أصولِ الإبل من حيث يَطلعُ قرنا الشيطانِ ربيعةَ ومُضَر».

٤٣٨٨- عن أبي هريرة رضيَ الله عنه عنِ النبي ﷺ «أتاكم أهلُ اليمنِ هم أرقُّ أفئدةً وألْينُ قلوبا، الإيمانُ يَمان، والحكمة يَمانية، والفخرُ والخيلاءُ في أصحابِ الإبل، والسَّكينة والوقار في أهل الغَنَم».

٤٣٨٩- عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه أن النبيَّ ﷺ قال «الإيمانُ يَمان، والفتنة هاهنا، ها هنا يَطلعُ قرنُ الشيطان»

٤٣٩٠- عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قال أتاكم أهلُ اليمنِ أضعفُ قلوباً وأرقُّ أفئدةً، الفقهُ يمان، والحكمة يَمانية».

قوله (الإيمان يمان) سيأتي شرحه في كتاب الفتن[1] إن شاء الله تعالى.

---

(١) كتاب الفتن باب / ١٦ ح ٧٠٩٢ - ٥ / ٣٨٥.

٤٣٩١- عن علقمةَ قال «كنّا جلوسا معَ ابن مسعودٍ فجاء خبابٌ فقال: يا أبا عبد الرحمن أيستطيعُ هؤلاء الشبابُ أن يقرءوا كما تقرأ ؟ قال: أما إنكَ لو شئتَ أمرتُ بعضَهم يَقرأ عليك، قال: أجل، قال اقرأ يا علقمة فقال زيدُ بن حُدَير - أخو زيادِ بن حُدَير - أتأمرُ علقمةَ أن يقرأ وليس بأقرئنا ؟ قال: أما إنك إن شئتَ أخبرتُك بما قال النبيُّ ﷺ في قومك وقومه، فقرأتُ خمسينَ آيةً من سورةِ مريمَ، فقال عبد الله: كيفَ ترَى ؟ قال: قد أحسنَ ، قال عبدُ الله: ما أقرأُ شيئاً إلا وهوَ يَقرؤه ثمَّ التفتَ إلى خَبابٍ وعليه خاتمٌ من ذهب فقال: ألم يأنِ لهذا الخاتم أن يُلقى ؟ قال: أما إنكَ لن تراهُ عليَّ بعد اليوم، فألقاهُ »

قوله (فجاء خباب) وهو ابن الأرت الصحابي المشهور.

قوله (يا أبا عبد الرحمن) هو كنية ابن مسعود .

قوله (وقال[1] عبد الله كيف ترى) خاطب عبد الله بذلك خبابا لأنه هو الذي سأله أولا قال قد أحسن .

قوله (ثم التفت إلى خباب وعليه خاتم من ذهب فقال: ألم يأن لهذا الخاتم أن يلقى) أي يرمى به .

وفي الحديث منقبة لابن مسعود وحسن تأنيه في الموعظة والتعليم، وأن بعض الصحابة كان يخفى عليه بعض الأحكام فاذا نبه عليها رجع، ولعل خبابا كان يعتقد أن النهي عن لبس الرجال الذهب للتنزيه، فنبهه ابن مسعود على تحريمه، فرجع إليه مسرعا .

٧٥-باب قصةُ دَوس والطُّفَيلِ بن عمرو الدَّوْسيِّ

٤٣٩٢- عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال « جاءَ الطُّفَيلُ بن عمرو إلى النبيِّ ﷺ فقال: إن دَوساً قد هَلَكت، عَصت وأبَت، فادعُ اللهَ عليهم، فقال: اللهمَّ اهدِ دَوساً وائتِ بهم » .

٤٣٩٣- عن أبي هريرةَ قال «لما قدمتُ على النبيِّ ﷺ قلتُ في الطريق:

---

(١) رواية الباب واليونينية "فقال عبد الله كيف ترى".

يالَيلَـةً من طولِها وعَنائهـا على أنها من دارةِ الكفر نَجَّتِ

وأبَقَ غُلامٌ لي في الطريق، فلما قَدِمتُ على النبيِّ ﷺ فبايعتُه فبينا أنا عندَهُ إذ طلعَ الغلامُ، فقال لي النبيُّ ﷺ: يا أبا هريرةَ، هذا غُلامُك، فقلت وهوَ لوجهِ الله، فأعتقته».

قوله (قصة[1] دوس والطفيل بن عمرو الدوسي) والطفيل بن عمرو كان يقال له ذو النور لأنه لما أتى النبي ﷺ وأسلم بعثه إلى قومه فقال: اجعل لي آية فقال: اللهم نور له، فسطع نور بين عينيه، فقال: يا رب أخاف أن يقولوا إنه مثلة فتحول إلى طرف سوطه، وكان يضيء في الليلة المظلمة، ذكره هشام بن الكلبي في قصة طويلة، وفيها أنه دعا قومه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمه، وأجابه أبو هريرة وحده، قلت، هذا يدل على تقدم إسلامه.

وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن الطفيل بن عمرو استشهد بأجنادين في خلافة أبي بكر.

٧٦ - باب قصة وفدِ طيِّئٍ وحديث عَدِيٍّ بن حاتم

٤٣٩٤- عن عَدِيٍّ ابن حاتم قال «أتَينا عمرَ في وَفدٍ، فجعلَ يَدعو رجلاً رجلاً ويُسَمِّيهم، فقلتُ: أما تَعرفُني يا أميرَ المؤمنين؟ قال: بلى، أسلمتَ إذ كفَروا، وأقبلتَ إذ أدبَروا، ووفَيتَ إذ غَدروا، وعرَفتَ إذ أنكروا، فقال عَدِيٌّ: فلا أبالي إذاً».

قوله (أتيت[2] عمر) أي في خلافته.

قوله (فجعل يدعو رجلا رجلاً يسميهم[3]) أي قبل أن يدعوهم.

قوله (بلى أسلمت إذ كفروا الخ)يشير ذلك إلى وفاء عدي بالإسلام والصدقة بعد

---

(١) في المتن "باب قصة دوس ..." واليونينية توافق الشرح.

(٢) رواية الباب واليونينية "أتينا عمر".

(٣) رواية الباب واليونينية "ويسميهم".

موت النبي ﷺ، وأنه منع من أطاعه من الردة، وذلك مشهور عند أهل العلم بالفتوح.

قوله (فقال عدي: فلا أبالي إذا) أي إذا كنت تعرف قدري فلا أبالي إذا قدَّمتَ عليَّ غيري .

٧٧- باب حجَّة الوَداع

٤٣٩٥- عن عائشةَ رضي الله عنها قالت «خرجنا مع رسولِ الله ﷺ في حجَّةِ الوَداع فأهْلَلنا بعُمرة، ثم قال رسولُ الله ﷺ: مَن كان معهُ هَديٌ فلْيُهلل بالحجِّ مع العمرة، ثمَّ لا يَحلُّ حتى يَحلَّ منهما جميعاً ، فقَدمت معهُ مكةَ وأنا حائض، ولم أطُف بالبيتِ ولا بينَ الصَّفا والمَروة، فشكَوتُ إلى رسولِ الله ﷺ فقال انقضي رأسَكِ وامتشِطي وأَهلِّي بالحج ودَعي العمرةَ، ففعلت فلما قَضَينا الحجَّ أرسلني رسولُ الله ﷺ معَ عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق إلى التَّنعيم فاعتَمرت، فقال: هذهِ مكانَ عُمرتك، قالت: فطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت وبينَ الصَّفا والمروة، ثم حَلُّوا، ثم طافوا طَوافاً آخرَ بعدَ أن رجعوا مِنًى: وأما الذين جَمعوا الحجَّ والعمرة فإنما طافوا طَوافاً واحداً».

قوله (باب حجة الوداع) ذكر جابر في حديثه الطويل في صفتها كما أخرجه مسلم وغيره أن النبي ﷺ مكث تسع سنين -أي منذ قدم المدينة- لم يحج، ثم أذّن في الناس في العاشرة أن النبي ﷺ حاج، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله، الحديث، ووقع في حديث أبي سعيد الخدري ما يوهم أنه ﷺ حج قبل أن يهاجر غير حجة الوداع، وعند الترمذي من حديث جابر حج قبل أن يهاجر ثلاث حجج».

وقد أخرج الحاكم بسند صحيح إلى الثوري «أن النبي ﷺ حج قبل أن يهاجر حججا» وقال ابن الجوزي: حج حججا لا يعرف عددها، وقال ابن الأثير في النهاية: كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر، وفي حديث ابن عباس أن خروجه من المدينة كان لخمس بقين من ذي القعدة أخرجه المصنف في الحج .

٤٣٩٦- عنِ ابن عباس « إذا طاف بالبيتِ فقد حلَّ، فقلتُ من أينَ قال هذا ابن عبّاس ؟ قال: من قول الله تعالى [٣٣ الحج] {ثم مَحِلُّها إلى البيت العتيق} ومن أمرِ النبيِّ ﷺ أصحابَه أن يَحِلُّوا في حَجة الوداع، قلتُ إنما كان ذلك بعد المعرَّف قال: كان ابنُ عبّاس يَراهُ قبلُ وبعدُ ».

قوله (عن ابن عباس إذا طاف بالبيت فقد حل فقلت: من أين قال هذا ابن عباس) والمراد بالمعرَّف والوقوف بعرفة وهو ظاهر في أن المراد بذلك من اعتمر مطلقا سواء كان قارنا أو متمتعا، وهو مذهب مشهور لابن عباس، وقد تقدم البحث فيه في أبواب الطواف في « باب من طاف بالبيت إذا قدم » من كتاب الحج(١).

٤٣٩٧- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال « قَدِمتُ على النبي ﷺ بالبطحاء، فقال: أحَجَجْتَ ؟ قلت نعم، قال كيفَ أهللتَ ؟ قلت: لبيّك بإهْلالٍ كإهلال رسول الله ﷺ ، قال طُف بالبيتِ وبالصَّفا والمروة، ثم حِلَّ، فطفتُ بالبيتِ، وبالصَّفا والمروة وأتيتُ امرأةً من قيس ففلَتْ رأسي » .

٤٣٩٨- عن نافع أنَّ ابن عمرَ أخبرَه أن حفصةَ رضي اللهُ عنها زوجَ النبي ﷺ أخبرَتهُ أن النبي ﷺ أمر أزواجَهُ أن يَحْلِلنَ عامَ حَجةِ الوداع فقالت حفصةُ: فما يَمنعُكَ؟ فقال لَبَّدْتُ رأسي، وقَلدْتُ هديي، فلستُ أحِلُّ حتى أنحرَ هَدْيي » .

٤٣٩٩- عنِ ابن عباس رضيَ الله عنهما « انَّ امرأةً من خَثْعم اسْتفتَتْ رسول الله ﷺ في حَجةِ الوداع -والفضلُ بن عباس رَديفُ رسول الله ﷺ- فقالت: يا رسولَ الله إن فريضةَ الله على عبادهِ أدركَتْ أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يَستويَ على الراحلة، فهل يَقضي أن أحجَّ عنه ؟ قال: نعم » .

٤٤٠٠- عنِ ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال « أقبلَ النبيُّ ﷺ عامَ الفتح وهو مُردفٌ أسامةَ على القَصْواء -ومعه بلالٌ وعثمانٌ بن طلحةَ- حتى أناخ عندَ البيت، ثم قال لعثمان: ائتنا بالمفتاح، فجاءه بالمفتاح ففتح له البابَ، فدخلَ النبي ﷺ وأُسامةُ وبلالٌ وعثمانٌ، ثم أغلقوا عليهم البابَ، فمكثَ نهاراً طويلاً، ثم خرجَ

---

(١) كتاب الحج باب / ٦٣ ح ١٦١٤ - ٢ / ٤٣.

وابتدَرَ الناسُ الدخولَ، فسبقتُهم، فوجدتُ بلالاً قائما من وَراء الباب، فقلتُ له: أينَ صلّى رسولُ الله ﷺ ؟ فقال ﷺ بين ذينكَ العمودَين المقدَّمين، وكان البيتُ على ستة أعمدة سَطرَين، صلّى بين العمودين من السطر المقدَّم وجعلَ باب البيتَ خلفَ ظهره، واستقبل بوَجهِه الذي يستقبلكَ حين تلجُ البيت بينهُ وبينَ الجدار، قال: ونسيتُ أن أسألهُ كم صلّى، وعندَ المكان الذي صلّى فيه مَرْمَرةٌ حمراء».

٤٤٠١- عن عُروةُ بن الزُّبيرِ وأبو سَلمةَ بن عبدِ الرحمن « أن عائشةَ زوجَ النبي ﷺ أخبرَتهما أنَّ صفية بنت حُيَي زوجَ النبي ﷺ أفاضَت في حَجةِ الوداع، فقال النبيُّ ﷺ أحابِستُنا هي؟ فقلتُ إنها قد أحاضَتْ يا رسولَ الله وطافَت بالبيت، فقال النبيُّ ﷺ: فَلْتنفرْ».

٤٤٠٢- عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال« كنا نتحدَّثُ بحجَّة الوداع والنبيُّ ﷺ بينَ أظهُرِنا ولا ندري ما حجةُ الوداع، فحمِدَ اللهَ وأثنىَ عليه، ثم ذكرَ المسيحَ الدجّالَ فأطنبَ في ذكرهِ وقال: ما بعثَ اللهُ من نبيَ إلا أنذرَ أمتَهُ، أنذرَهُ نوح والنبيونَ من بعده، وإنه يَخرُجُ فيكم، فما خفي عليكم من شأنهِ فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس على ما يخفى عليكم ثلاثا، إن ربكم ليسَ بأعور، وإنهُ أعورُ عينِ اليمنى كأنَّ عينه عنبةٌ طافية» .

٤٤٠٣- ألا إنَّ اللهَ حرَّم عليكم دماءَكم وأموالكم، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت ؟ قالوا: نعم، قال: اللهمَّ اشهدْ (ثلاثاً) ويلكم - أو ويحكم - انظروا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضربُ بعضكم رِقابَ بعض » .

٤٤٠٤-عن زيد بن أرقمَ « أن النبيَّ ﷺ غزا تسعَ عشرةَ غزوةً، وأنهُ حجَّ بعدما هاجرَ حَجةً واحدة لم يَحجَّ بعدَها: حَجةَ الوداع» قال أبو إسحاقَ : وبمكة أُخرى .

٤٤٠٥-عن جريرٍ« أنَّ النبيَّ ﷺ قال في حَجةِ الوَداع لجريرٍ: استَنصتِ الناسَ ، فقال: لا ترجعوا بعدى كفاراً يَضرب بعضكم رِقابَ بعض » .

٤٤٠٦-عن أبي بكرةَ عن النبي ﷺ قال «الزمانُ قد استدار كهيئه يومَ خلقَ السماواتِ والأرض: السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعةٌ حُرُم: ثلاثة متواليات -ذو القَعدةِ وذو الحجةِ والمحرَّم- ورجبُ مُضَرَ الذي بينَ جُمادَى وشعبان، أي شهرٍ هذا ؟

قلنا: الله ورسولهُ أعلم، فسكتَ حتى ظننَّا أنه سيسمِّيه بغيرِ اسمه، قال أليس ذو الحجَّة؟ قلنا: بلى، قال فأيُّ بلد هذا قلنا: اللهُ ورسولهُ أعلم، فسكتَ حتى ظننَّا أنه سيسمِّيه بغيرِ اسمه قال: أليسَ البلدة؟ قلنا بلى، فأيُّ يومٍ هذا؟ قلنا: الله ورسولهُ أعلم، فسكتَ حتى ظننَّا أنه سيسمِّيه بغيرِ اسمه، قال: أليس يومَ النَّحر؟ قلنا: بلى، قال: فإن دماءكم وأموالكم - قال محمد: وأحسبُهُ قال: وأعراضَكم- عليكم حَرام، كحرمةِ يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهركم هذا، وستَلقَون ربَّكم فسيسألكم عن أعمالِكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يَضربُ بعضكم رِقابَ بعض، ألا ليُبْلغِ الشاهدُ الغائبَ، فلعلَّ بعضَ مَن يُبلغُه أن يكون أوعى له من بعض مَن سَمِعَه -فكان محمدٌ إذا ذكرَهُ يقول: صدقَ محمدٌ ﷺ- ثم قال: ألا هل بلغتُ (مرَّتين)» .

٤٤٠٧- عن طارق بن شهاب «أنَّ أناساً من اليهود قالوا: لو نزلَتْ هذهِ الآية فينا لاتخَذنا ذلكَ اليومَ عيداً، فقال عمرُ: أيَّةُ آية؟ فقالوا [٣ المائدة] {اليومَ أكملتُ لكم دينكم، وأتممتُ عليكم نِعمتي، ورَضيت لكُم الإسلام ديناً} فقال عمر: إني لأعلمُ أيَّ مكان أُنزلت: أُنزلت ورسولُ اللهِ ﷺ واقف بعرَفة».

٤٤٠٨- عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت «خرجنا معَ رسولِ الله ﷺ فمنَّا مَن أهلَّ بعُمرة، ومنَّا من أهلَّ بحجة، ومنَّا من أهلَّ بحجٍ وعمرة، وأهلَّ رسولُ اللهِ ﷺ بالحج، فأما من أهلَّ بالحج أو جمعَ الحجَّ والعمرةَ لم يَحِلُّوا حتى يوم النحر » .

٤٤٠٩- عن عامر بن سعدٍ عن أبيه قال «عادَني النبي ﷺ في حجةِ الوداع من وجَعٍ أشفيتُ منه على الموت، فقلت يا رسولَ الله، بلغَ بي منَ الوجع ما ترَى، وأنا ذو مالٍ، ولا يرثُني إلا ابنةٌ لي واحدة، أفأتصدَّقُ بثُلثي مالي ؟ قال: لا، قلتُ أفأتصدَّقُ بشطره ؟ قال: لا قلت: فالثلث؟ قال والثلث كثير؟ إنك أن تَذَرَ وَرثَتَكَ أغنياءَ خيرٌ من أن تَذرهم عالةً يتكففونَ الناس، ولستَ تنفقُ نفقةً تبتغي بها وجهَ الله إلاَّ أجِرتَ بها، حتى اللقمةَ تجعلُها في في امرأتكَ، قلت: يا رسول الله، أأُخلَّفُ بعدَ أصحابي؟ قال: إنكَ لن تخلَّفَ فتعملَ عملاً تبتغي به وجهَ اللهِ إلا ازدَدْتَ به درجةً ورفعةً، ولعلَّكَ تُخلَّفُ حتى يَنتفعَ بك أقوامٌ ويُضَرَّ بكَ آخرون، اللهمَّ أمضِ لأصحابي هجرتَهم، ولا تردَّهم على أعقابهم، لكنِ البائسُ سعدُ بن خَولة، رثى له رسولُ الله ﷺ أنْ تُوُفِّي بمكة».

٤٤١٠-عن نافع أنَّ ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما أخبرَهم أنَّ رسولَ الله ﷺ حلق رأسَهُ في حجةِ الوَداع » .

٤٤١١- عن ابنِ عمر « أنَّ النبي ﷺ حلقَ في حجة الوداع وأُناسٌ من أصحابهِ، وقصَّر بعضهم » .

٤٤١٢- عن عبيد الله بن عبد الله أنَّ عبد الله بن عباسٍ رضيَ الله عنهما أخبره «أنه أقبل يَسيرُ عَلَى حمارٍ ورسولُ الله ﷺ قائمٌ بمِنًى في حَجة الوَداع يُصلِّي بالناس، فسارَ الحمار بين يدَي بعض الصفّ، ثم نزلَ عنه فصفَّ مع الناس » .

٤٤١٣- عن هشام قال حدَّثني أبي قال «سُئِلَ أُسامةُ وأنا شاهدٌ عن سَيرِ النبيِّ ﷺ في حَجتهِ فقال: العَنَقَ، فإذا وَجدَ فَجوةً نَصَّ».

٤٤١٤-عن عبدِ الله بن يزيدَ الخَطْميِّ «أنَّ أبا أيوبَ أخبرَهُ أنه صلَّى مع رسولِ الله ﷺ في حَجةِ الوداع المغربَ والعِشاءَ جميعاً».

٧٨- باب غزوةِ تَبوكَ، وهي غزوة العسْرة

٤٤١٥-عن أبي موسى رضي الله عنه قال «أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسألهُ الحملانَ لهم إذ هم معه في جيشِ العُسرة وهيَ غزوةُ تَبوك، فقلت: يا نبيَّ الله إنَّ أصحابي أرسلوني إليك لتحملَهم، فقال: واللهِ لا أحملكم عَلَى شيء، ووافقتُهُ وهو غضبانُ ولا أشْعُر، ورجعتُ حزيناً من منع النبيِّ ﷺ ومن مَخافةِ أن يكونَ النبيُّ ﷺ وَجدَ في نفسهِ عليَّ، فرَجعْتُ إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبيُّ ﷺ فلم ألبثْ إلا سُوَيعةً إذ سمعتُ بلالاً ينادي: أي عبدَ الله بن قيس، فأجبتهُ، فقال: أجِبْ رسولَ الله ﷺ يدعوك، فلما أتَيتُه قال: خذ هذين القَرينَين -لستةِ أبعرةٍ ابتاعَهنَّ حينئذٍ من سَعد- فانطلقْ بهنَّ إلى أصحابكَ فقل: إن اللهَ - أو قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ يحملكم عَلَى هؤلاء، فاركبوهن، فانطلقتُ إليهم بهنَّ ، فقلت: إنَّ النبيَّ ﷺ يحملكم عَلَى هؤلاء، ولكني واللهِ لا أدَعكم حتى ينطلقَ معي بعضكم إلى مَن سمعَ مقالةَ رسولِ الله ﷺ لا تظنُّوا أني حدَّثتُكم شيئا لم يَقُلْه رسول الله ﷺ ، فقالوا لي: إنكَ عندنا لَمصدَّق، ولنفعلنَّ ما أحببتَ، فانطلقَ أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قولَ رسولِ الله ﷺ ، مَنعهُ إياهم ثم إعطاءهم بعدُ، فحدَّثوهم بمثل ما

حدثهم به أبو موسى».

قوله (باب غزوة تبوك) هكذا أورد المصنف هذه الترجمة بعد حجة الوداع، وهو خطأ وما أظن ذلك إلا من النساخ، فإن غزوة تبوك كانت في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف.

قوله (وهي غزوة العسرة) مأخوذة من قوله تعالى {الذين اتبعوه في ساعة العسرة} وهي غزوة تبوك، وفي حديث ابن عباس (قيل لعمر حدثنا عن شأن ساعة العسرة، قال: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فأصابنا عطش،» الحديث أخرجه ابن خزيمة وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل قال «خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، فكان ذلك عسرة من الماء وفي الظهر وفي النفقة، فسميت غزوة العسرة .

والحديث المذكور عند مالك ومسلم، أخرجاه من حديث معاذ بن جبل « إنهم خرجوا في عام تبوك مع النبيّ ﷺ فقال: إنكم ستأتون غداً إن شاء الله تعالى عين تبوك، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا، فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء» فذكر الحديث في غسل رسول الله ﷺ وجهه ويديه بشيء من مائها ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس، وبينها وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة، وكان السبب فيها ما ذكره ابن سعد وشيخه وغيره قالوا: بلغ المسلمين من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم جمعت جموعا، وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من متنصرة العرب، و جاءت مقدمتهم إلى البلقاء، فندب النبيُّ ﷺ الناس إلى الخروج، وأعلمهم بجهة غزوهم كما سيأتي في الكلام على حديث كعب بن مالك، وروى الطبراني من حديث عمران بن حصين قال« كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: أن هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم، فبعث رجلا من عظمائهم يقال له قباذ وجهز معه أربعين ألفا، فبلغ النبي ﷺ ذلك ولم يكن للناس قوة، وكان عثمان قد جهز عيرا إلى الشام فقال: يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها، ومائتا أوقية، قال فسمعته يقول: لا يضر عثمان ما عمل بعدها».

قوله (خذ هذين القرينين) أي الجملين المشدودين أحدهما إلى الآخر.

قوله (حينئذ من سعد) لم يتعين لي من هو سعد إلى الآن، إلا أنه يهجس في خاطري أنه سعد بن عبادة، وفي الحديث استحباب حنث الحالف في يمينه إذا رأى غيرها خيرا منها كما سيأتي البحث في الأيمان والنذور[١]، وانعقاد اليمين في الغضب، وسنذكر هناك بقية فوائد حديث أبي موسى إن شاء الله تعالى .

٤٤١٦- عن مُصعَبِ بن سعدٍ عن أبيه « أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ إلى تبوك، واستخلفَ علياً فقال: أتخلِّفُني في الصبيان والنساء ؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمزلة هارون من موسى، إلاّ أنَّه ليس نبيٌّ بعدي» .

٤٤١٧- عن يَعلى بن أمية عن أبيهِ قال «غزَوتُ مع النبيِّ ﷺ العُسرة،قال: كان يَعلى يقول: تلك الغزوة أوثق أعمالي عندي» قال عطاء: فقال صفوانُ قال يَعلى « فكان لي أجيرٌ فقاتلَ إنساناً فَعضَّ أحدُهما يدَ الآخر - قال عطاء: فلقد أخبرَني صفوانُ أيُّهما عضَّ الآخر فنسيته - قال: فانتزعَ المعضوضُ يدَهُ من فيِّ العاضِّ: فانتزعَ إحدَى ثنيتَيه، فأتَيا النبيَّ ﷺ فأهدرَ ثنيتهُ » قال عطاء: وحسبتُ أنه قال « قال النبيُّ ﷺ أفيَدعُ يدَهُ في فيكَ تَقضَمها كأنها في فيِّ فحل يَقضَمها » .

سيأتي البحث في ذلك وتتمة شرح هذا الحديث في كتاب الديات[٢] إن شاء الله تعالى .

٧٩- باب حديثُ كعب بنِ مالك

وقولِ الله عز وجلَّ [١١٨ التوبة] {وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا}

٤٤١٨- عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعبٍ من بنيه حينَ عَميَ- قال سمعتُ كعبَ بن مالك يحدِّث حينَ تخلفَ عن قصةِ تبوكَ، « قال كعب لم أتخلف عن رسولِ الله ﷺ في غزوةٍ غزاها إلا في غزوةِ تبوكَ ، غير أنِّي كنت تخلفتُ في غزوةِ بدرٍ ، ولم يعاتبْ أحداً تخلَّفَ

(١) كتاب الأيمان والنذور باب / ١٨ ح ٦٦٧٨ - ٥ / ١٣٥.

(٢) كتاب الديات باب / ١٨ ح ٦٨٩٢ - ٥ / ٢٥٤.

عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يُريدُ عِيرَ قريشٍ حتى جمعَ اللهُ بينهم وبينَ عدوِّهم على غير ميعاد، ولقد شهدتُ مع رسول الله ﷺ ليلةَ العَقبةِ حين تَواثَقْنا على الإسلام، وما أحبُّ أنَّ لي بها مَشهدَ بدر، وإن كانت بدر أذكرَ في الناسِ منها، كان من خَبَري أني لم أكن قطُّ أقوَى ولا أيسرَ حين تخلَّفتُ عنه في تلك الغزاة، واللهِ ما اجتمعَتْ عندي قبلهُ راحِلَتانِ قطُّ حتى جمعتُهما في تلك الغزوةِ ولم يكن رسولُ الله ﷺ يريدُ غزوةً إلاَّ ورَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوةُ غزاها رسولُ الله ﷺ في حرٍّ شديد، واستقبلَ سفراً بعيداً ومَفازاً، وعدُوّاً كثيراً، فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهَّبوا أُهبةَ غزوهم، فأخبرهم بوجههِ الذي يُريد، والمسلمون مع رسولِ الله ﷺ كثير، ولا يَجمعُهم كتابٌ حافظ -يُريد الدِّيوان- قال كعبٌ: فما رجُلٌ يُريدُ أن يتغيَّب إلاَّ ظنَّ أنْ سيخفى له ما لم ينزِل فيه وحيُ الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوةَ حينَ طابَتِ الثمارُ والظلالُ، وتجهَّزَ رسول الله ﷺ والمسلمونَ معَه، فطفقتُ أغدو لكي أتجهَّزَ مَعهم، فأرجعُ ولم أقضِ شيئاً، فأقولُ في نفسي: أنا قادرٌ عليه، فلم يَزَلْ يَتمادَى بي حتى اشتدَّ بالناسِ الجِدُّ، فأصبحَ رسولُ الله ﷺ والمسلمونَ معه ولم أقضِ من جَهازي شيئاً، فقلتُ أتجهزُ بعدَهُ بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدَوتُ بعدَ أن فصَلوا لأتجهَّزَ، فرجعتُ ولم أقضِ شيئاً ، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقضِ شيئاً فلم يَزَلْ بي حتى أسرَعُوا وتفارَطَ الغزوُ، وهَممتُ أن أرتحلَ فأدرِكهم، وليتَني فعلتُ، فلم يُقدَّر لي ذلك، فكنتُ إذا خرجتُ في الناس -بعدَ خروج رسول الله ﷺ- فطفتُ فيهم، أحزنني أني لا أرَى إلا رجُلاً مَغموصاً عليه النفاقُ، أو رجلاً ممن عَذَر اللهُ منَ الضُّعفاء ولم يَذكرني رسولُ الله ﷺ حتى بلغَ تبوك، فقال وهو جالسٌ في القوم بتبوكَ: ما فعل كعبٌ؟ فقال رجلٌ من بني سَلمة: يا رسولَ الله حَبسَه برداه، ونظرهُ في عِطفه، فقال مُعاذ بن جَبَل: بئسَ ما قلت، والله يا رسولَ الله ما علمنا عليه إلا خيرا، فَسكتَ رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك: فلمَّا بلغَني أنه تَوجَّه قافلاً حَضَرني همِّي، وطَفِقتُ أتذكرُ الكذبَ وأقول: بماذا أخرُجُ من سَخَطه غداً؟ واستعنتُ على ذلك بكل ذي رأيٍ من أهلي، فلما قِيل: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أظلَّ قادماً زاحَ عني الباطِل، وعرَفتُ أني لن أخرُجَ منه أبداً بشيءٍ فيه كذب، فأجْمَعتُ صدْقه و أصبحَ رسولُ الله ﷺ قادماً ، وكان إذا قدِمَ من سفرٍ بدأ بالمسجدِ فيركع فيه ركعتين

ثم جلسَ الناس، فلمَّا فعلَ ذلك جاءه المخلَّفون، فطفقوا يَعتذِرون إليه ويحلفون له -وكانوا بضعةً وثمانينَ رجلاً- فقبِل منهم رسولُ الله ﷺ علانيَتَهم وبايَعهم واستغفرَ لهم، ووكلَ سَرائرهم إلى الله فجئته، فلمَّا سلَّمتُ عليه تَبَسَّم تبسُّم المغضَبِ ثم قال: تعالَ، فجئتُ أمشي حتى جَلست بين يَدَيه، فقال لي: ما خلَّفك ؟ ألم تكن قد ابتَعت ظهرَك ؟ فقلت: بلى، إنِّي واللهِ لو جلست عند غيرِكَ من أهل الدنيا لَرأيت أنْ سأخرُج مِن سَخَطه بعُذْر ولقد أُعطيتُ جَدَلاً ولكنِّي واللهِ لقد علمت لئن حدَّثتُك اليومَ حديثَ كذبٍ تَرضى به عني لَيُوشكنَّ اللهُ أن يُسخِطكَ عليَّ ولئن حدَّثتُكَ حديثَ صِدقٍ تَجدُ عليَّ فيه إني لأرجو فيه عَفوَ الله، لا واللهِ ما كان لي من عذر، والله ما كنتُ قطُّ أقوى ولا أيْسَرَ مني حين تخلفت عنك، فقال رسولُ الله ﷺ: أمَّا هذا فقد صَدَق، فقم حتى يقضيَ اللهُ فيك، فقمت، وثارَ رِجالٌ من بني سَلِمةَ فاتَّبعوني فقالوا لي: واللهِ ما علمناكَ كنتَ أذنبت ذنباً قبلَ هذا، ولقد عَجزتَ أن لا تكون اعتذرتَ إلى رسول الله ﷺ بما اعتذرَ إليه المتخلفون، قد كان كافيَك ذنبَك استغفارُ رسول الله ﷺ لك، فو الله مازالوا يُؤنِّبونني حتى أردتُ أن أرجعَ فأُكذِّب نفسي. ثم قلت لهم: هل لَقي هذا معي أحدٌ ؟ قالوا نعم، رجُلان قالا مثلَ ما قلت، فقيلَ لهما مثل ما قيل لك فقلت مَن هما ؟ قالوا: مُرارةُ بن الرَّبيع العَمريّ وهلالُ بن أميةَ الواقفيّ، فذكروا لي رجُلَين صالحين قد شَهِدا بدراً فيهما أسْوة، فمضَيت حينَ ذكروهما لي ونهى رسولُ الله ﷺ المسلمينَ عن كلامِنا أيُّها الثلاثة مِن بينِ مَن تخلفَ عنه، فاجْتنبَنا الناسُ، وتغيَّروا لنا، حتى تَنكَّرَت في نفسي الأرضُ فما هي التي أعرف، فلبِثنا على ذلك خمسينَ ليلةً، فأمَّا صَاحِبايَ فاستَكانا وقعدا في بُيوتهما يَبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدَهم، فكنت أخرجُ فأشهدُ الصلاةَ مع المسلمين وأطوفُ في الأسواق، ولا يُكلِّمني أحد، وآتي رسولَ الله ﷺ فأسلِّم عليه وهو في مجلسهِ بعدَ الصلاةَ فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتَيه بردِّ السلام عَليَّ أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه، فأُسارِقهُ النَّظر، فإذا أقْبلتُ على صلاتي أقبلَ إليَّ وإذا التفتُ نحوهُ أعرضَ عني حتى إذا طال عليَّ ذلك من جَفوةِ الناس مشَيت حتى تَسوَّرْت جِدار حائطِ أبي قَتادة وهو ابنُ عمي وأحبُّ الناس إليَّ ، فسلمت عليه، فواللهِ ما ردَّ عليَّ السلام، فقلت: يا أبا قَتادة، أنشدُك باللهِ، هل تعلمني أُحبُّ اللهَ

ورسولهُ ؟ فسكت، فعُدتُ له فنَشدْته فسكت، فعُدت له فنَشدْته فقال: اللهُ ورسولهُ أعلم، ففاضَت عيناي، وتوليت حتى تَسوَّرتُ الجدار، قال: فبينا أنا أمشي بسوقِ المدينة إذا نَبَطِيٌّ من أنباطِ أهل الشام ممن قَدم بالطعام يبيعهُ بالمدينة يقول: مَن يدلُّ على كعب بن مالك ؟ فطفقَ الناسُ يُشيرون له: حتى إذا جاءني دَفعَ إليَّ كتاباً من مَلك غسّانَ فإذا فيه: أما بعدُ فإنه بلغني أنَّ صاحبَك قد جَفاك، ولم يَجعلْك اللهُ بدارِ هَوانٍ ولا مَضْيعةٍ، فالْحَقْ بنا نُواسِكَ فقلتُ لما قرأتُها: وهذا أيضاً مِنَ البَلاء، فتيمَّمْت بها التَّنُورَ فسَجَرتُهُ بها، حتى إذا مَضتْ أربعون ليلةً من الخمسين، إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يأمُرُكَ أن تَعتزِلَ امرأتكَ ، فقلتُ أُطلِّقُها أم ماذا أفعلُ؟ قال: لا، بل اعتزِلها ولا تَقربْها، وأرسل إلى صاحبيَّ مثلَ ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلكِ فتكوني عندَهم حتى يقضِيَ اللهُ في هذا الأمر، قال كعبٌ: فجاءَتِ امرأةُ هِلال بن أميةَ رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله إن هلال بن أميةَ شيخٌ ضائع، ليس له خادم، فهل تَكرَهُ أن أخدُمه ؟ قال لا، ولكن لاَ يَقربك قالت: إنه والله ما بهِ حركة إلى شيء، والله ما زالَ يَبكي منذُ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعضُ أهلي لو استأذَنتَ رسولَ الله ﷺ في امرأتكَ كما أذِن لامرأةِ هلال بن أمية أن تخدُمه، فقلت، والله لا أستأذِنُ فيها رسولَ الله ﷺ وما يُدريني ما يقول رسولُ الله ﷺ إذا استأذنتهُ فيها، وأنا رجلٌ شابٌّ، فلَبِثتُ بعدَ ذلكَ عشرَ ليالٍ حتى كملَتْ لنا خمسون ليلةً من حينِ نهى رسولُ الله ﷺ عن كلامِنا فلما صلَّيتُ صلاةَ الفجر صُبحَ خمسينَ ليلة ً، وأنا عَلى ظهرِ بيتٍ من بيوتنا، فبينما أنا جالسٌ على الحالِ التي ذكرَ اللهُ: قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرضُ بما رحُبَت، سمعت صوتَ صارخٍ أوْفَى على جبل سَلعٍ بأعلى صوته: يا كعبَ بن مالك أبشِرْ فخرَرتُ ساجداً وعرفَتُ أن قد جاء فَرَج، وآذنَ رسولُ الله ﷺ بتوبةِ الله علينا حينَ صلَّى صلاةَ الفجر، فذهبَ الناسُ يُبشِّروننا، وذهبَ قِبلَ صاحبيَّ مُبشِّرون وركضَ إليَّ رجلٌ فرساً، وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوتُ أسرعَ من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوتَهُ يُبشِّرُني نزَعت له ثوبيَّ ، فكسَوته إيَّاهما ببُشْراه، والله ما أملكُ غيرهما يومَئذ واستَعَرتُ ثوبَين فلبستهما، وانطَلقت إلى رسولِ الله ﷺ فيتلقَّاني الناسُ فَوجاً فوجاً يهنُّونني بالتوبة

يقولون: لِتَهنك توبة الله عليك، قال كعبٌ حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ حولهُ الناس، فقام إليَّ طلحةُ بن عُبيدِ الله يُهَرولُ حتى صافحني وهنّاني، واللهِ ما قامَ إليَّ رجلٌ منَ المهاجرينَ غيرهُ ، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلمّا سلّمتُ على رسولِ الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهوَ يَبرُقُ وَجهُهُ من السُّرور: أبشر بخير يوم مرَّ عليكَ منذ ولدَتك أمُّك، قال قلت: أمِن عندكِ يا رسولَ الله أم من عندِ الله ؟ قال: لا، بل من عند الله، وكان رسولُ الله ﷺ إذا سُرَّ استنارَ وجههُ حتى كأنهُ قطعة قمرٍ، وكنّا نعرفُ ذلك منه، فلما جلست بينَ يديهِ قلت: يا رسولَ الله، إنَّ من توبتي أن أنخَلعَ من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسولُ الله ﷺ أمسِك عليك بعضَ مَالك، فهو خير لك قلت: فإني أمسِك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسولُ الله إنَّ الله إنما نجاني بالصِّدق وإنَّ من توبتي أن لا أُحدِّثَ إلا صدقاً ما بقيت، فواللهِ ما أعلمُ أحداً من المسلمين أبلاهُ اللهُ في صِدق الحديث - منذُ ذكرتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعمدتُ منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كَذباً، وإني لأرجو أن يَحفظني اللهُ فيما بقيتُ، وأنزلَ اللهُ على رسوله ﷺ [١١٧ التوبة] {لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين - إلى قوله، وكونوا مع الصادقين} فوالله ما أنعمَ اللهُ عليَّ من نعمةٍ قطُّ - بعد أن هداني للإسلام - أعظم، في نفسي مِن صدقي لرسولِ الله ﷺ أن لا أكونَ كذَبتُه فأهلكَ كما هلك الذين كذبوا ،فإنَّ الله قال للذين كذَبوا حينَ أنزَل الوحيَ شرَّ ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى [٩٥ التوبة]{سيَحلفون بالله لكم إذا انقلبتم - إلى قوله - فإنَّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين } قال كعب: وكنّا تُخلّفنا أيُّها الثّلاثة عن أمر أولئك الذين قَبلَ منهم رسولُ الله ﷺ حينَ حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرناَ حتى قضى اللهُ فيه، فبذلك قال الله [١١٨ التوبة] {وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا} وليس الذي ذكرَ اللهُ مما خُلفْنا عنِ الغزو، إنما هو تَخليفهُ إيّانا وإرجاؤُهُ أمرناَ عمَّن حلف واعتذر إليه فقبِلَ منه » .

قوله (مغموصا) أي مطعونا في دينه متهما بالنفاق .

قوله (حبسه برداه والنظر[١]في عطفه) وكنى بذلك عن حسنه وبهجته، والعرب

(١) رواية الباب واليونينية "جسه برداه ونظره في عطفه"

تصف الرداء بصفة الحسن وتسميه عطفا لوقوعه على عطفي الرجل .

قوله (والله لقد أعطيت جدلا[١]) أي فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إليّ بما يقبل ولا يرد .

قوله (تجد عليّ) أي تغضب.

قوله (وثار رجال) أي وثبوا .

قوله (فأسارقه[٢]) أي أنظر إليه في خفية .

قوله (حتى تسورت) أي علوت سور الدار .

قوله (جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ) ذكر أنه ابن عمه لكونهما معا من بني سلمة، وليس هو ابن عمه أخي أبيه الأقرب .

قوله (أنشدك) أي أسألك.

قوله (من أنباط أهل الشام) نسبة إلى استنباط الماء واستخراجه، وهؤلاء كانوا في ذلك الوقت أهل الفلاحة وهذا النبطي الشامي كان نصرانيا .

قوله (فالحق بنا نواسك) وزاد في رواية ابن أبي شيبة «في أموالنا، فقلت: إنا لله، قد طمع فيّ أهل الكفر».

قوله (فتيممت) أي قصدت والتنور ما يخبز فيه وقوله فسجرته، أي أوقدته، ودل صنيع كعب هذا على قوة إيمانه ومحبته لله ولرسوله، وإلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجر ولا سيما مع أمنه من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه، لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب .

---

(١) رواية الباب واليونينية "ولقد أعطيت جدلاً"

(٢) رواية الباب واليونينية "فأسارقه النّظر"

قوله (أن تعتزل امرأتك) هي عميرة بنت جبير بن صخر بن أمية الأنصارية .

قوله (فقال لي بعض أهلي) لعله بعض ولده أو من النساء، ولم يقع النهي عن كلام الثلاثة للنساء اللآتي في بيوتهم.

قوله (فأوفى[1]) أي أشرف واطلع.

قوله (فخررت ساجداً وقد عرفت أنه جاء فرج) وعند ابن عائذ «فخر ساجداً يبكي فرحا بالتوبة» .

قوله (وسعى ساع من أسلم) وعند ابن عائذ أن اللذين سعيا أبو بكر وعمر، لكنه صدره بقوله "زعموا"، وعند الواقدي«وكان الذي أوفى على سلع أبا بكر الصديق فصاح: قد تاب الله على كعب والذي خرج على فرسه الزبير بن العوام، قال: وكان الذي بشرني فنزعت له ثوبي حمزة بن عمرو الأسلمي، قال: وكان الذي بشر هلال بن أمية بتوبته سعيد بن زيد، قال: وخرجت إلى بني واقف فبشرته فسجد، قال سعيد: فما ظننته يرفع رأسه حتى تخرج نفسه » يعني لما كان فيه من الجهد فقد قيل إنه امتنع من الطعام حتى كان يواصل الأيام صائما ولا يفتر من البكاء، وكان الذي بشر مرارة بتوبته سلكان ابن سلامة أوسلمة بن سلامة بن وقش .

قوله (والله ما أملك غيرهما يومئذ) يريد من جنس الثياب، وإلا فقد تقدم أنه كان عنده راحلتان، وسيأتي أنه استأذن أن يَخْرُجَ من ماله صدقة .

قوله (ولا أنساها لطلحة) قالوا سبب ذلك أن النبي ﷺ كان آخى بينه وبين طلحة لما آخى بين المهاجرين والأنصار، والذي ذكره أهل المغازي أنه كان أخا الزبير لكن كان الزبير أخا طلحة في أخوة المهاجرين فهو أخو أخيه .

قوله (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك) استشكل هذا الإطلاق بيوم إسلامه فإنه مر عليه بعد أن ولدته أمه وهو خير أيامه فقيل هو مستثنى تقديرا وإن لم ينطق به لعدم خفائه، والأحسن في الجواب أن يوم توبته مكمل ليوم إسلامه، فيوم إسلامه بداية سعادته ويوم توبته مكمل لها فهو خير جميع أيامه، وإن كان يوم

---

(١) رواية الباب واليونينية "أوفى".

إسلامه خيرها فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خير من يوم إسلامه المجرد عنها، والله أعلم .

وفيه ما كان النبيُّ ﷺ عليه من كمال الشفقة على أمته والرأفة بهم والفرح بما يسرهم.

قوله (فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله) أي أنعم عليه.

وفي قصة كعب من الفوائد غير ما تقدم جواز طلب أموال الكفار من ذوي الحرب، وجواز الغزو في الشهر الحرام، والتصريح بجهة الغزو إذا لم تقتض المصلحة ستره، وأن الإمام إذا استنفر الجيش عموما لزمهم النفير ولحق اللوم بكل فرد أن لو تخلف، وقال السهيلي إنما اشتد الغضب على من تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية لكنه في حق الأنصار خاصة فرض عين لأنهم بايعوا على ذلك، ومصداق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

فكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة لأنها كالنكث لبيعتهم، كذا قال ابن بطال، قال السهيلي: ولا أعرف له وجها غير الذي قال . قلت: وقد ذكرت وجها غير الذي ذكره ولعله أقعد، ويؤيده قوله تعالى {ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله} الآية، وعند الشافعية وجه أن الجهاد كان فرض عين في زمن النبيّ ﷺ ، فعلى هذا فيتوجه العتاب على من تخلف مطلقا، وفيها أن العاجز عن الخروج بنفسه أو بماله لا لوم عليه، واستخلاف من يقوم مقام الإمام على أهله والضعفة، وفيها ترك قتل المنافقين، ويستنبط منه ترك قتل الزنديق إذا أظهر التوبة، وأجاب من أجازه بأن الترك كان في زمن النبي ﷺ لمصلحة التأليف على الإسلام، وفيها عظم أمر المعصية، وقد نبه الحسن البصري على ذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال: يا سبحان الله ما أكل هؤلاء الثلاثة مالا حراما ولا سفكوا دما حراما ولا أفسدوا في الأرض، أصابهم ما سمعتم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر ؟ وفيها أن القوي في الدين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ الضعيف في الدين، وجواز إخبار المرء عن تقصيره وتفريطه وعن سبب ذلك وما آل إليه أمره

تحذيرا ونصيحة لغيره، وجواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة، وتسلية نفسه بما لم يحصل له بما وقع لنظيره وفضل أهل بدر والعقبة، ورد الغيبة وجواز ترك وطء الزوجة مدة، وفيه أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا يسوف بها لئلا يحرمها كما قال تعالى {استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه }

ومثله قوله تعالى {ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة } ونسأل الله تعالى أن يلهمنا المبادرة إلى طاعته، وأن لا يسلبنا ما خولنا من نعمته وفيها جواز تمني ما فات من الخير: وأن الإمام لا يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور بل يذكره ليراجع التوبة .

وفيها أن المستحب للقادم أن يكون على وضوء وأن يبدأ بالمسجد قبل بيته فيصلي ثم يجلس لمن يسلم عليه، ومشروعية السلام على القادم وتلقيه، والحكم بالظاهر، وقبول المعاذير واستحباب بكاء العاصي أسفا على ما فاته من الخير وفيها إجراء الأحكام على الظاهر ووكول السرائر إلى الله تعالى وفيها ترك السلام على من أذنب، وجواز هجره أكثر من ثلاث، وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً .

وفيها فائدة الصدق وشؤم عاقبة الكذب، وأن من عوقب بالهجر يعذر في التخلف عن صلاة الجماعة لأن مرارة وهلالا لم يخرجا من بيوتهما تلك المدة، وفيها مشروعية سجود الشكر والاستباق إلى البشارة بالخير وإعطاء البشير أنفس ما يحضر الذي يأتيه بالبشارة، وتهنئة من تجددت له نعمة، والقيام إليه إذا أقبل، واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة، والتزام المداومة على الخير الذي ينتفع به، واستحباب الصدقة عند التوبة، وأن من نذر الصدقة بكل ماله لم يلزمه إخراج جميعه.

٨٠- باب نزولُ النبيِّ ﷺ الْحِجْرَ

٤٤١٩-عنِ ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما قال « لما مرَّ النبيُّ ﷺ بالحجرِ قال: لا تَدخلوا مَساكنَ الذين ظَلموا أنفُسَهم أن يُصيبَكم ما أصابهم، إلاَّ أن تكونوا باكين، ثم قنَّعَ رأسَهُ وأسرعَ السيرَ حتى أجاز الوادي » .

٤٤٢٠- عنِ ابن عمرَ رضىَ اللهُ عنهما قال « قال رسولُ الله ﷺ لأصحابِ الحِجْرِ: لا تَدخلوا على هؤلاء المعذَّبينَ إلاّ أن تكونوا باكينَ أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابهم »

قوله (باب نزول النبيّ ﷺ الحجر) وهي منازل ثمود .

قوله (أن يصيبكم) أي كراهة الإصابة .

قوله (أجاز الوادي) أي قطعه .

٨١- باب * ٤٤٢١- عن المغيرة بن شُعبةَ قال « ذهبَ النبيُّ ﷺ لبعضِ حاجته فقمتُ أسكُبُ عليهِ الماءَ - لا أعلمه إلا قال في غزوةِ تَبوك - فغسلَ وجهَهُ وذهب يَغسِلُ ذِراعيهِ، فضاقَ عليه كُمَّا الجبّة، فأخرجَهما من تحتِ جبَّتِهِ فغسَلَهما، ثمَّ مَسحَ على خُفَّيه».

٤٤٢٢- عن أبي حُميد قال « أقبلنا مع النبيِّ ﷺ من غزوة تَبوك، حتى إذا أشرفْنا عَلَى المدينة قال: هذهِ طابةُ، وهذا أُحُدٌ جبلٌ يُحبُّنا ونحبُّه » .

٤٤٢٣- عن أنسِ بن مالك رضيَ الله عنه «أنَّ رسولَ الله ﷺ رجعَ من غزوةِ تبوكَ فدَنا من المدينة فقال: إنَّ بالمدينة أقواماً ما سرتم مَسِيراً ولا قَطعتُم وادياً إلاَّ كانوا معَكم، قالوا: يا رسولَ الله، وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة، حَبسَهمُ العُذر».

قوله (عبد الله) هو ابن المبارك، تقدمت مباحث الحديث سندا ومتنا في الجهاد[1] في «باب من حبسه العذر عن الغزو » .

٨٢- باب كتابِ النبيِّ ﷺ إلى كِسْرى وقَيصَر

٤٤٢٤- عن عُبيدُ الله بن عبدِ الله أنَّ ابن عباس أخبره «أنَّ رسول الله ﷺ بعثَ بكتابِهِ إلى كِسْرَى معَ عبدِ الله بن حُذافةَ السهميِّ، فأمَرَهُ أن يدفعه إلى عظيم البحرَين، فدفعَهُ عظيمُ البحرَين إلى كِسرَى، فلما قرَأهُ مزَّقهُ -فحسبتُ أنَّ ابنَ المسيّب قال- فدَعا عليهم رسولُ الله ﷺ أن يُمزَّقوا كل ممزَّق » .

(١) كتاب الجهاد باب / ٣٥ ح ٢٨٣٨، ٢٨٣٩ - ٢ / ٥٧٢.

٤٤٢٥-عن أبي بكرةَ قال « لقد نفَعني اللهُ بكلمةٍ سمعتُها من رسولِ الله ﷺ أيامَ الجمل بعدما كِدتُ أن ألحقَ بأصحابِ الجمل فأُقاتلَ معهم، قال لما بلغَ رسولَ الله ﷺ أن أهل فارسَ قد ملّكوا عليهم بنتَ كِسرَى قال: لن يُفلحَ قومٌ ولّوا أمرَهُم امرأَة» .

[الحديث ٤٤٢٥-طرفه في: ٧٠٩٩]

٤٤٢٦-عن السائبِ بن يَزيدَ قال « أذكرُ أني خرجتُ مع الغلمانِ إلى ثنيَّةِ الوداع نتلقّي رسولَ الله ﷺ » وقال سفيانُ مرّةً «مع الصبيان».

٤٤٢٧-عنِ الزُّهريِّ عن السائب «أذكرُ أني خرجتُ مع الصِّبيانِ نتلقى النبيَّ ﷺ إلى ثنيّةِ الوداع مَقْدَمَهُ من غزوةِ تبوك».

قوله (باب كتاب النبيِّ ﷺ إلى كسرى وقيصر) أما كسرى فهو ابن برويز بن هرمز بن أنو شروان، وهو كسرى الكبير المشهور، وكسرى لقب كل من تملك الفرس، ومعناه بالعربية المظفري .

وأما قيصر فهو هرقل، وقد تقدم شأنه في أول الكتاب.

قوله (إلى عظيم البحرين) هو المنذر بن ساوى العبدي .

قوله (فدعا[١]عليه رسول الله ﷺ) أي على كسرى وجنوده .

قوله (أن يمزقوا كل ممزق) أي يتفرقوا ويتقطعوا وفي حديث عبد الله بن حذافة «فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: اللهم مزق ملكه» وكتب إلى باذان عامله على اليمن: ابعث من عندك رجلين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز . فكتب باذان إلى النبيِّ ﷺ فقال: أبلغا صاحبكما أن ربي قتل ربه في هذه الليلة، قال وكان ذلك ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادي الأولى سنة سبع، وإن الله سلط عليه ابنه شيرويه فقتله، وعن الزهري قال: بلغني أن كسرى كتب إلى باذان بلغني أن رجلا من قريش يزعم أنه نبي، فسر إليه فإن تاب وإلا ابعث برأسه فذكر القصة قال: فلما بلغ باذان أسلم هو ومن معه من الفرس .

---

(١) رواية الباب واليونينية "فدعا عليهم رسول الله ﷺ ...."

وروى الطبراني من حديث المسور بن مخرمة قال «خرج رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال: إن الله بعثني للناس كافة، فأدّوا عني ولا تختلفوا عليّ، فبعث عبد الله بن حذافة إلى كسرى، وسليط بن عمرو إلى هوذة بن علي باليمامة، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى بهجر، وعمرو بن العاص إلى جيفر وعباد إبني الجلندي بعُمان، ودحية إلى قيصر، وشجاع بن وهب إلى ابن أبي شمر الغساني، وعمرو بن أمية إلى النجاشي، فرجعوا جميعاً قبل وفاة النبيّ ﷺ غير عمرو بن العاص » .

قوله (نفعني[١]الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل)، والمراد بأصحاب الجمل العسكر الذين كانوا مع عائشة .

قوله (بعدما كدت ألحق بأصحاب الجمل) يعني عائشة رضي الله عنها ومن معها، وسيأتي بيان هذه القصة في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى، محصلها أن عثمان لما قتل وبويع علي بالخلافة خرج طلحة والزبير إلى مكة فوجدا عائشة وكانت قد حجت، فاجتمع رأيهم على التوجه إلى البصرة يستنفرون الناس للطلب بدم عثمان، فبلغ ذلك عليا فخرج إليهم، فكانت وقعة الجمل، ونسبت إلى الجمل الذي كانت عائشة قد ركبته وهي في هودجها تدعو الناس إلى الإصلاح .

قوله ([٢]ملكوا عليهم بنت كسرى) هي بوران بنت شيرويه بن كسرى بن برويز، وذلك أن شيروية لما قتل أباه كما تقدم كان أبوه لما عرف أن ابنه قد عمل على قتله احتال على قتل ابنه بعد موته فعمل في بعض خزائنه المختصة به حُقا مسموما وكتب عليه: حُقُ الجِماع، من تناول منه كذا جامع كذا، فقرأه شيرويه، فتناول منه فكان فيه هلاكه، فلم يعش بعد أبيه سوى ستة أشهر، فلما مات لم يخلف أخا لأنه كان قتل إخوته حرصا على الملك ولم يخلف ذكرا، وكرهوا خروج الملك عن ذلك البيت فملكوا المرأة وإسمها بُوران ذكر ذلك ابن قتيبة في المغازي، قال الخطابي: في الحديث أن المرأة لا تلي الإمارة ولا القضاء، وفيه أنها لا تزوج نفسها ولا تلي العقد على غيرها كذا قال،وهو متعقب والمنع من أن تلي الإمارة والقضاء قول الجمهور، وأجازه الطبري

(١) رواية الباب واليونينية "ولقد نفعني ....."

(٢) رواية الباب واليونينية "قد ملكوا عليهم ...."

وهي رواية عن مالك، وعن أبي حنيفة تلي الحكم فيما تجوز فيه شهادة النساء، مناسبة هذا الحديث للترجمة من جهة أنه تتمة قصة كسرى الذي مزق كتاب النبيِّ ﷺ فسلط الله عليه إبنه فقتله ثم قتل إخوته حتى أفضى الأمر بهم إلى تأمير المرأة، فجر ذلك إلى ذهاب ملكهم ومزقوا كما دعا به النبي ﷺ .

٨٣- باب مرضِ النبيِّ ﷺ ووفاتِه

وقولِ الله تعالى [٣٠ الزُّمر] {إنَّكَ ميِّتٌ وإنَّهم ميِّتون،ثمَّ إنكم يومَ القيامة عند ربِّكم تختَصمون}

قوله (باب مرض النبي ﷺ ووفاته وقول الله تعالى {إنَّكَ ميِّتٌ وإنَّهم ميِّتون}.

وأما ابتداؤه فكان في بيت ميمونة كما سيأتي، واختلف في مدة مرضه « فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوما، وكانت وفاته يوم الإثنين بلا خلاف من ربيع الأول وكاد يكون إجماعا.

٤٤٢٩- عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما عن أمِّ الفضلِ بنت الحارثِ قالت «سمعتُ النبيَّ ﷺ يَقرأ في المغربِ بالمرسلاتِ عُرفاً ثم ما صلّى لنا بعدَها حتى قَبضهُ اللهُ».

٤٤٣٠- عن ابن عباسٍ قال «كان عمرُ بن الخطّابِ رضي الله عنه يُدْني ابن عبّاسٍ، فقال له عبدُ الرحمن بنُ عَوفٍ: إنَّ لنا أبناءً مِثلهُ، فقال: إنه من حيث تعلم، فسأل عمرُ ابن عَباس عن هذهِ الأية « إذا جاء نصرُ الله والفتح» فقال: أجَلُ رسول الله ﷺ أعلمهُ إيَّاه، فقال: ما أعلم منها إلاّ ما تعلم».

قوله (عن ابن عباس: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدني ابن عباس) وتقدم شرح حديث الباب في غزوة الفتح[١].

وأطلنا بشرحه على تفسير سورة النصر[٢].

---

(١) كتاب المغازي باب / ٥١ ح ٤٢٩٤ - ٣ / ٣٨٠

(٢) كتاب التفسير "النصر" باب / ٤ ح ٤٩٧٠ - ٣ / ٧٦٠.

٤٤٢٨-عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان النبيُّ ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة،ما أزالُ أجِدُ ألم الطعام الذي أكلتُ بخَيبرَ، فَهذا أوان وجدتُ انقطاع أبْهَري مِن ذلك السُّمِّ».

وروى ابن سعد عن شيخه الواقدي بأسانيد متعددة في قصة الشاة التي سمت له بخيبر، فقال في آخر ذلك « وعاش بعد ذلك ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي قبض له فيه، وجعل يقول: مازلت أجد ألم الأكله التي أكلتها بخيبر عدادا حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري» عرق في الظهر وتوفي شهيداً انتهى.

وقوله «عرق في الظهر» من كلام الراوي.

وكذا قوله «وتوفي شهيداً» وقوله «ما أزال أجد ألم الطعام» أي أحس الألم في جوفي بسبب الطعام».

وقد تقدم شرح حال الشاة التي سُمَّت بخيبر في غزوة خيبر مفصلا .

٤٤٣٩- عنِ ابن شهابٍ قال أخبرَني عروةُ أن عائشة رضي اللهُ عنها أخبرته « أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان إذا اشتكى نفثَ على نفسهِ بِالمعوّذات، ومسحَ عنه بيدهِ فلما اشتكى وجعَهُ الذي تُوفّي فيه طَفِقتُ أنفثُ عَلَى نفسهِ بالمعوّذاتِ التي كان يَنفثُ وأمسَحُ بيد النبي ﷺ عنه » .

[الحديث ٤٤٣٩- أطرافه في: ٥٠١٦، ٥٧٣٥، ٥٧٥١]

قوله (اشتكى) أي مرض، و(نفث) أي تفل بغير ريق أو مع ريق خفيف.

قوله (بالمعوذات) أي يقرؤها ماسحا لجسده عند قراءتها، ويحتمل أن المراد بالمعوذات هاتان السورتان مع سورة الإخلاص وأطلق ذلك تغليبا، وهذا هو المعتمد.

قوله (ومسح عنه بيده) في رواية معمر «وأمسح بيد نفسه لبركتها» .

٤٤٣١- عن سعيدِ بن جُبير قال « قال ابن عباس: يومُ الخميس وما يومُ الخميس، اشتدَّ برسول الله ﷺ وجَعهُ فقال: (ائتوني أكتُب لكم كتاباً لن تَضلُّوا بعدَه أبدا)، فتنَازعوا، ولا ينبغي عندَ نبيٍّ تنازعٌ.

فقالوا: ما شأنهُ؟ أهَجَرَ، استَفهِمُوهُ؟

ذَهبوا يردُّون عليه.

فقال: (دَعوني، فالذي أنا فيه خيرٌ مما تدعونني إليه، وأوصاهم بثلاثٍ قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأَجِيزُوا الوفدَ بنحو ما كنتُ أجِيزُهُم، وسكتَ عن الثالثة أو قال فنسيتُهَا » .

٤٤٣٢- عنِ ابن عباس رضي الله عنهما قال « لما حُضِرَ رسولُ الله ﷺ وفي البيت رجال، فقال النبيُّ ﷺ هلُموا أكتُبْ لكم كتاباً لا تضلُّوا بعدَه، فقال بعضُهم إنَّ رسولَ الله ﷺ قد غلبَهُ الوجع، وعندكم القرآن، حسبُنا كتاب الله فاختَلفَ أهلُ البيتِ واختَصَموا، فمنهم مَن يقول: قرِّبوا يكتبْ لكم كتاباً لا تضلُّوا بعدَه ومنهم من يقول غيرَ ذلك، فلما أكثَروا اللَّغو والإختلاف قال رسولُ اللهِ ﷺ: قوموا.

قال عُبيدُ الله: فكان يقول ابنُ عباس: إنَّ الرَّزيةَ كلَّ الرَّزيةِ ما حالَ بين رسول الله ﷺ وبينَ أن يَكتبَ لهم ذلك الكتاب لإختِلافهم ولغطِهم » .

قوله (وما يوم الخميس » يستعمل عند إرادة تفخيم الأمر في الشدة والتعجب منه، زاد في أواخر الجهاد من هذا الوجه « ثم بكى حتى خضب دمعه الحصى ».

وبكاء ابن عباس يحتمل لكونه تذكر وفاة رسول الله ﷺ فتجدد له الحزن عليه.

ويحتمل أن يكون انضاف إلى ذلك ما فات في معتقده من الخير الذي كان يحصل لو كتب ذلك الكتاب.

وقد تقدم في كتاب العلم الجواب عمن امتنع من ذلك كعمر رضي الله عنه .

قوله (فقالوا ما شأنه؟ أهجر) وقد تكلم عياض وغيره على هذا الموضع فأطالوا، ولخصه القرطبي تلخيصا حسنا ثم لخصته من كلامه.

وحاصله أن قوله هجر الراجح فيه إثبات همزة الاستفهام وبفتحات على أنه فعل ماض.

قال: ولبعضهم أهُجْراً على أنه مفعول بفعل مضمر أي قال هجرا.

والهجر بالضم ثم السكون الهذيان والمراد به هنا ما يقع من كلام المريض الذي لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته، ووقوع ذلك من النبي ﷺ مستحيل لأنه معصوم في صحته ومرضه لقوله تعالى {وما ينطق عن الهوى} ولقوله ﷺ «إني لا أقول في الغضب والرضا إلا حقاً».

وإذا عرف ذلك فإنما قاله منكرا على من توقف في امتثال أمره بإحضار الكتف والدواة فكأنه قال: كيف تتوقف أتظن أنه كغيره يقول الهذيان في مرضه ؟ امتثل أمره وأحضره ما طلب فإنه لا يقول إلا الحق، قال: هذا أحسن الأجوبة .

وفي قوله في الرواية الثانية «فاختصموا[1] فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم» ما يشعر بأن بعضهم كان مصمما على الامتثال والرد على من امتنع منهم.

ولما وقع منهم الاختلاف ارتفعت البركة كما جرت العادة بذلك عند وقوع التنازع والتشاجر.

وقد مضى في الصيام أنه ﷺ خرج يخبرهم بليلة القدر فرأى رجلين يختصمان فرفعت.

وقال النووي: اتفق قول العلماء على أن قول عمر« حسبنا كتاب الله» من قوة فقهه ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب أمورا ربما عجزوا عنها فاستحقوا العقوبة لكونها منصوصة، وأراد أن لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء، وفي تركه ﷺ الإنكار على عمر إشارة إلى تصويبه رأيه، وأشار بقوله « حسبنا كتاب الله، إلى قوله تعالى {ما فرطنا في

---

(١) رواية الباب واليونينية "واختصموا فمنهم ....."

الكتاب من شيء} ويحتمل أن يكون قصد التخفيف عن رسول الله ﷺ لما رأى ما هو فيه من شدة الكرب، وقامت عنده قرينة بأن الذي أراد كتابته ليس مما لا يستغنون عنه، إذ لو كان من هذا القبيل لم يتركه ﷺ لأجل اختلافهم، ولا يعارض ذلك قول ابن عباس إن الرزية الخ، لأن عمر كان أفقه منه قطعا، وقال الخطابي: لم يتوهم عمر الغلط فيما كان النبي ﷺ يريد كتابته، بل امتناعه محمول على أنه لما رأى ما هو فيه من الكرب وحضور الموت خشي أن يجد المنافقون سبيلا إلى الطعن فيما يكتبه وإلى حمله على تلك الحالة التي جرت العادة فيها بوقوع بعض ما يخالف الاتفاق فكان ذلك سبب توقف عمر، لا أنه تعمد مخالفة قول النبي ﷺ ولا جواز وقوع الغلط عليه حاشا وكلا، وقد تقدم شرح حديث ابن عباس في أواخر كتاب العلم(١).

قوله (فقال دعوني: فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه) قال ابن الجوزي وغيره: يحتمل أن يكون المعنى دعوني فالذي أعاينه من كرامة الله التي أعدها لي بعد فراق الدنيا خير مما أنا فيه في الحياة، أو أن الذي أنا فيه من المراقبة والتأهب للقاء الله والتفكر في ذلك ونحوه أفضل من الذي تسألونني فيه من المباحثة عن المصلحة في الكتابة أو عدمها.

قوله (وأوصاهم بثلاث) أي في تلك الحالة وهذا يدل على أن الذي أراد أن يكتبه لم يكن أمرا متحتما لأنه لو كان مما أمر بتبليغه لم يكن يتركه لوقوع اختلافهم، ولعاقب الله من حال بينه وبين تبليغه، ولبلغه لهم لفظا كما أوصاهم بإخراج المشركين وغير ذلك، وقد عاش بعد هذه المقالة أياما وحفظوا عنه أشياء لفظا. فيحتمل أن يكون مجموعها ما أراد أن يكتبه والله أعلم .

قوله (أجيزوا الوفد) أي أعطوهم، الجائزة العطية.

قوله (وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها) يحتمل أن يكون القائل ذلك هو سعيد بن جبير، قال الداودي: الثالثة الوصية بالقرآن، وبه جزم ابن التين وقال المهلب: بل هو تجهيز جيش أسامة، وقواه ابن بطال بأن الصحابة لما اختلفوا على أبى بكر في تنفيذ جيش أسامة قال لهم أبو بكر: إن النبي ﷺ عهد ذلك عند موته، وقال عياض: يحتمل أن تكون هي قوله «ولا تتخذوا قبري وثنا» فإنها ثبتت في الموطأ مقرونة بالأمر بإخراج اليهود .

٤٤٣٣، ٤٤٣٤- عن عائشة رضيَ اللهُ عنها قالت «دَعا النبيُّ ﷺ فاطمةَ عليها السلامُ في شكواهُ الذي قُبضَ فيه، فسارَّها بشيء فبَكت، ثم دَعاها فسارَّها بشيء فضحكت، فسألنا عن ذلك فقالت: سارَّني النبيُّ ﷺ أنهُ يُقبَضُ في وَجعهِ الذي تُوفِّيَ فيه فبكَيتُ، ثم سارَّني فأخبرني أنّي أولُ أهله يَتبَعهُ فضحكت »

(١) كتاب العلم باب / ٣٩ ح ١١٤٩ - ١ / ١١٣.

وفي الحديث إخباره ﷺ بما سيقع فوقع كما قال، فإنهم اتفقوا على أن فاطمة عليها السلام كانت أول من مات من أهل بيت النبي ﷺ بعده حتى من أزواجه .

٤٤٣٥- عن عائشة قالت: كنتُ أسمعُ أنهُ: لا يموتُ نبيٌّ حتى يُخَيَّرَ بين الدنيا والآخرة، فسمعتُ النبيَّ ﷺ يقول في مرضهِ الذي مات فيه - وأخَذتهُ بُحَّةٌ - يقول {مع الذين أنعمَ الله عليهم} الآية فظننتُ أنه خُيِّرَ»

[الحديث ٤٤٣٥- أطرافه في: ٤٤٣٦، ٤٤٣٧، ٤٤٦٣، ٤٥٨٦، ٦٣٤٨، ٦٥٠٩]

٤٤٣٦- عن عائشة قالت « لما مرِضَ النبيُّ ﷺ المرضَ الذي مات فيه جعل يقول: في الرَّفيق الأعلى».

٤٤٣٧- عن عائشة قالت « كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: إنه لم يُقبضْ نبيٌّ قطُّ حتى يرَى مَقعدهُ من الجنة، ثمَّ يُحيا - أو يُخيَّر - فلما اشتكى وحضرَهُ القبضُ ورأسُهُ عَلَى فخذِ عائشة، غُشِيَ عليه، فلما أفاقَ شخصَ بَصرُهُ نحوَ سَقفِ البيتِ ثمَّ قال: اللهمَّ في الرفيق الأعلى، فقلتُ إذاً لا يختارُنا، فعرفتُ أنه حديثه الذي كان يحدِّثُنا وهو صحيح » .

قوله (وأخذته بحة) شيء يعرض في الحلق فيتغير له الصوت فيغلظ .

٤٤٣٨- عن عائشة «دخلَ عبد الرحمنِ بن أبي بكر على النبيِّ ﷺ وأنا مُسنِدَتُهُ إلى صدري ومع عبدِ الرحمن سِواكٌ رَطبٌ يَستَنُّ به فأبَدَّهُ رسولُ اللهِ بصرَهُ، فأخذت السِّواكَ فقضِمتُه ونفضتُه وطيَّبته، ثم دفعتهُ إلى النبيِّ ﷺ فاستنَّ به، فما رأيت رسولَ اللهِ ﷺ استنَّ استناناً قطُّ أحسنَ منه، فما عَدَا أن فرَغَ رسولُ اللهِ ﷺ رفعَ يدَهُ أو إصبَعَه ثم قال: (في الرفيق الأعلى)، ثلاثاً، ثم قَضى، وكانت تقول: ماتَ بين حاقِنَتي وذاقِنَتي».

٤٤٤٠- عن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير أن عائشةَ أخبرَته أنها سَمعتِ النبي ﷺ وأصغَتْ إليه قبل أن يموتَ وهو مُسنِدٌ إليَّ ظهرهُ يقول: اللهُمَ اغفِر لي وارحمني وألحِقْني بالرفيق » .

[الحديث ٤٤٤٠- طرفه في: ٥٦٧٤]

قوله (يستن به) أي يستاك .

قوله (فأبدَّة) أي مدَّ نظره إليه .

قوله (فقضمته) أي مضغته والقضم الأخد بطرف الأسنان .

قوله (ثم[1]لينته ثم طيبته) أي بالماء ويحتمل أن يكون طيبته تأكيدا للينته.

قوله (وكانت تقول: مات ورأسه[2]بين حاقنتي وذاقنتي) والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها ﷺ ورضي عنها، وهذا لا يغاير حديثها الذي قبل هذا أن رأسه كان على

(١) رواية الباب واليونينية "وطيَّبته" فقط
(٢) رواية الباب واليونينية "مات بين حاقنتي وذاقنتي"

فخذها، لأنه محمول على أنها رفعته من فخذها إلى صدرها .

٤٤٤١- عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت « قال النبيُّ ﷺ في مرضِه الذي لم يقم منه: لعنَ الله اليهودَ والنصارَى اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ، قالت عائشة: لولا ذلك لأبرزَ قبرُه، خَشيَ أن يُتَّخذ مسجدا » .

٤٤٤٣، ٤٤٤٤- عن عائشة وعبدَ الله بن عباس رضيَ الله عنهم قالا « لما نُزلَ برسولِ الله ﷺ طفقَ يَطرحُ خميصةً له عَلَى وجهِه فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه وهو كذلك يقول: لعنةُ الله علَى اليهود والنصارَى اتخذوا قبورَ أنبيائهم مَساجد، يُحذِّرُ ما صَنَعوا » .

الحديث التاسع في النهي عن اتخاذ القبور مساجد، تقدم شرحه في المساجد من كتاب الصلاة وفي كتاب الجنائز .

٤٤٤٥- عن عائشة قالت « لقد راجعتُ رسولَ الله ﷺ في ذلك، وما حَمَلني عَلَى كثرة مُراجَعَتِه إلاَّ أنه لم يَقعْ في قلبي أنْ يُحبَّ الناسُ بعدَهُ رجلاً قام مقامه أبداً، ولا كنت أرَى أنَّه لن يقومَ أحدٌ مَقامَه إلا تَشاءمَ الناسُ به فأردْتُ أن يَعدلَ ذلك رسولُ الله ﷺ عن أبي بكر».

٤٤٤٦- عن عائشةَ قالت «ماتَ النبيُّ ﷺ وإنه لبين حاقِنَتي وذاقنتي فلا أكرَهُ شدَّةَ الموت لأحدٍ أبداً بعدَ النبيِّ ﷺ».

الحديث العاشر قولها (فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبيِّ ﷺ) وعند أحمد والترمذي وغيرهما من طريق القاسم عن عائشة قالت «رأيته وعنده قدح فيه ماء وهو يموت، فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم أعنِّي على سكرات الموت » وفي رواية شقيق عن مسروق عن عائشة قالت «ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على النبيِّ ﷺ» وسيأتي في الطب[١]، وبين في حديث ابن مسعود في الطب أنّ له بسبب ذلك أجرين، ولأبي يعلى من حديث أبي سعيد « إنا معاشر الأنبياء يضاعَف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر».

٤٤٤٢- عن عائشة زوجَ النبيِّ ﷺ قالت « لما ثَقُلَ رسولُ الله ﷺ واشتدَّ به وجَعُه استأذَنَ أزواجَه أن يمرَّضَ في بيتي، فأذنَّ له، فخرجَ وهو بين الرجلَين تَخط رِجْلاه في الأرض، بين عبّاسِ بن عبد المطلبِ وبين رجلٍ آخر، قال عُبيد الله فأخبرتُ عبدَ الله بالذي قالت عائشة، فقال لي عبد الله بن عباسٍ: هل تدري من الرجلُ الآخرُ الذي لم تُسمِّ عائشة؟ قال قلت لا، قال ابن عباسٍ هو: عليٌّ، وكانت عائشةُ زوج النبي ﷺ تحدِّث أن رسولَ الله ﷺ لما دخلَ بيتي واشتدَّ به وجعهُ قال: هَرِيقوا عليَّ من سبع قِرَب لم تُحْلَلْ أوكيتُهنَّ، لعلِّي أعهدُ إلى الناس، فأجلسناهُ في مِخضَبٍ لحفصةَ زوج النبي ﷺ، ثمَّ طفقْنا نصبُّ عليهِ

(١) لا يوجد في كتاب الطب بل يوجد في كتاب المرضى باب / ٢ ح ٥٦٤٥ - ٤ / ٢٩٦.

من تلك القِرَب حتى طفقَ يُشيرُ إلينا بيدِه أن قد فَعلتنَّ، قالت: ثم خرجَ إلى الناس فصلّى بهم وخطَبهم » .

قوله (من سبع قرب) قيل الحكمة في هذا العدد أن له خاصية في دفع ضرر السم والسحر، وقد ذكر في أوائل الباب « هذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم » وتمسك به بعض من أنكر نجاسة سؤر الكلب وزعم أن الأمر بالغسل منه سبعا إنما هو لدفع السمية التي في ريقه وقد ثبت حديث «من تصبح بسبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر » وللنسائي في قراءة الفاتحة على المصاب سبع مرات وسنده صحيح وفي صحيح مسلم القول لمن به وجع «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات » وفي النسائي «من قال عند مريض لم يحضر أجله: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك، سبع مرات» وفي مرسل أبي جعفر عند ابن أبي شيبة أنه ﷺ قال: أين أكون غدا؟ كررها، فعرفت أزواجه أنه إنما يريد عائشة، فقلن: يا رسول الله قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة».

٤٤٤٧- عن الزُّهري قال أخبرني عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري -وكان كعبُ بن مالكٍ أحدَ الثلاثة الذين تيبَ عليهم- أن عبدَ الله بن عباس أخبرَه «أن عليًّ بن أبي طالبٍ رضيَ الله عنه خرَجَ من عند رسول الله ﷺ في وجعهِ الذي تُوفِّي فيه، فقال الناسُ: يا أبا الحسن، كيف أصبحَ رسولُ الله ﷺ فقال: أصبحَ بحمدِ الله بارئاً، فأخذ بيده عبَّاسُ بن عبد المطلب فقال له: أنتَ والله بعدَ ثلاثٍ عبدُ العصا، إني واللهِ لأرى رسولَ الله ﷺ سوفَ يُتَوفَّى من وجعهِ هذا، إني لأعرف وجوهَ بني عبدِ المطلب عندَ الموت، اذهبْ بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسألْه فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا، فقال عليٌّ: إنا واللهِ لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعنَاها لا يعطيناها الناس بعدَه، وإني والله لا أسألها رسولَ الله ﷺ».

[الحديث ٤٤٤٧- طرفه في: ٦٢٦٦]

قوله (أنت والله بعد ثلاث عبد العصا) هو كناية عمن يصير تابعا لغيره، والمعنى أنه يموت بعد ثلاث وتصير أنت مأمورا عليك، وهذا من قوة فراسة العباس رضي الله عنه .

قوله (هذا الأمر) أي الخلافة .

قوله (لا يعطيناها الناس بعده) أي يحتجون عليهم بمنع رسول الله ﷺ إياهم .

٤٤٤٨- عن أنس بن مالكٍ رضيَ الله عنه « أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجرِ من يوم الإثنين - وأبو بكر يصلي لهم، لم يَفْجَأهُمْ إلا ورسولُ الله ﷺ قد كشفَ سترَ حجرة عائشة، فنظرَ إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسَّم يضحَكُ ، فنكصَ أبو بكرٍ عَلَى عَقِبَيه ليصلَ الصفَّ فرحاً برسول الله ﷺ فأشارَ إليهم بيده رسولُ الله ﷺ أن أتِمُّوا صَلاتَكم ثم دخل

الحجرةَ وأرخى السِّتر» .

٤٤٤٩- عن ذكوانَ مولى عائشةَ «أنّ عائشةَ كانت تقول: إن من نعمِ الله عليّ أن رسُولَ الله ﷺ تُوفيَ في بيتي وفي يومي وبينَ سَحْري ونحري، وأنَّ اللهَ جمعَ بينَ رِيقي وريقه عندَ مَوته: دخلَ عليَّ عبدُ الرحمن وبيده السِّواك وأنا مسندةٌ رسول الله ﷺ، فرأيته يَنظرُ إليه، وعرفتُ أنَّه يحبُّ السِّواك، فقلت: آخُذُهُ لك؟ فأشار برأسِهِ أنْ نعم، فتَناولتُه فاشتدَّ عليه، وقلتُ أليِّنُهُ لك؟ فأشار برأسِه أنْ نعم، فليَّنته فأمَرَّهُ، وبينَ يدَيهِ كوة -أو علبة يشكُّ عمرُ- فيها ماء، فجعلَ يُدخِل يَدَيْهِ في الماء فيمسَح بهما وجههُ يقول: لا إلهَ إلاَّ الله، إنَّ للموت سكراتٍ، ثمَّ نصبَ يدَه فَجَعلَ يقولُ: اللَّهُمَّ في الرَّفيق الأعلى، حتى قُبِضَ ومالت يده».

٤٤٥٠-عن عائشةَ رضي الله عنها « أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يسأل في مرضِه الذي مات فيه يقول: أينَ أنا غداً، أين أنا غداً ؟ يُريدُ يومَ عائشةَ ، فأذِنَ له أزواجُهُ يكونُ حيث شاء، فكان في بيتِ عائشةَ حتى مات عندَها، قالت عائشةُ: فمات في اليوم الذي كان يدورُ عليَّ فيه في بيتي، فقبضهُ الله وإنَّ رأسَه لبينَ نَحْري وسَحري، وخالط ريقَهُ ريقى، ثم قالت: دخلَ عبدُ الرحمن بن أبي بكر ومعهُ سواكٌ يَسْتَنُّ به، فنظرَ إليه رسولُ اللهِ ﷺ، فقلت له: أعطِني هذا السواكَ يا عبدَ الرحمن، فأعطانيهِ ، فقضمته ثم مَضغته، فأعطيته رسولَ الله ﷺ فاستنَّ به وهو مستنِدٌ إلى صدري».

٤٤٥١- عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت «تُوفيَ النبيُّ الله ﷺ في بيتي وفي يومي، وبين سَحْري ونحْري، وكانت إحدانا تُعوِّذُهُ بدعاءٍ إذا مرض، فذهبتُ أعوِّذُهُ فرفعَ رأسَه إلى السماء وقال: في الرَّفيق الأعلى، ومرَّ عبد الرحمن بن أبي بكرٍ وفي يده جَريدةٌ رطبة، فنظرَ إليه النبيُّ ﷺ فظننتُ أنَّ له بها حاجةً فأخذتها فمضغتُ رأسَها ونفضتُها فدفَعتُها إليه، فاستنَّ بها كأحسنِ ما كان مُستنًا، ثمَّ ناوَلنيها، فسقطَتْ يده - أو سقطت من يده - فجمع الله بينَ رِيقي وريقهِ فى آخرِ يومٍ من الدُّنيا وأوَّل يوم من الآخرة » .

٤٤٥٢، ٤٤٥٣- عن عائشةَ أخبرَته «أنَّ أبا بكرٍ رضيَ الله عنه أقبل على فرَسٍ من مَسكنه بالسُّنح، حتَّى نزلَ فدخل المسجد فلم يكلم الناسَ حتى دخلَ عَلَى عائشةَ، فتيمَّم رسولَ الله ﷺ وهو مُغشًى بثوبِ حِبَرةٍ، فكشفَ عن وَجهِهِ، ثمَّ أكبَّ عليه فقبَّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، واللهِ لا يجمع الله عليك موتَتَين، أمَّا الموتَةُ التي كُتِبَتْ عليك فقد مُتَّها».

٤٤٥٤- عن عبد الله بن عباس «أنَّ أبا بكرٍ خرج وعمرُ يُكلِّم الناسَ، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلسَ، فأقبلَ الناسُ إليه وتَركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعدُ مَن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد اللهَ فإنَّ الله حيٌ لا

يموت، قال اللهُ {وما محمدٌ إلاَّ رسولٌ قد خَلَت من قبلِه الرسُل - إلى قوله - الشاكرين} [١٤٤ آل عمران] وقال: والله لكأنَّ الناسَ لم يعلموا أن الله أنزلَ هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقّاها منه الناسُ كلهم، فما أسمعُ بَشراً من الناس إلا يتلوها، فأخبرَني سعيد بن المسيَّب أن عمرَ قال: والله ما هو إلاَّ أن سمعتُ أبا بكر تلاها فَعُقِرْتُ حتى ما تقِلُّني رِجلايَ، وحتى أهويتُ إلى الأرض حين سمعتهُ تلاها، علمت أن النبيَّ ﷺ قد مات».

قوله (وعمر يكلم الناس) أي يقول لهم: ما مات رسول الله ﷺ.

وروى ابن إسحق وعبد الرزاق والطبراني من طريق عكرمة «أن العباس قال لعمر: هل عند أحد منكم عهد من رسول الله ﷺ في ذلك ؟ قال: لا،قال: فإن رسول الله ﷺ قد مات ولم يمت حتى حارب وسالم ونكح وطلق وترككم على محجة واضحة» وهذه من موافقات العباس للصديق في حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة «أن أبا بكر مر بعمر وهو يقول: ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين، وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رءوسهم، فقال: أيها الرجل إنَّ رسول الله ﷺ قد مات، ألم تسمع الله تعالى يقول {إنك ميت وإنهم ميتون } وقال تعالى {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد } ثم أتى المنبر فصعد فحمد الله وأثنى عليه فذكر خطبته .

قوله (فعُقِرْتُ) أي هلكْت، وفي رواية بفتح العين أي دهشت وتحيرت.

قوله (ما تقلني) أي ما تحملني .

٤٤٥٥، ٤٤٥٦، ٤٤٥٧- عن عائشةَ وابن عبّاس «أن أبا بكر رضيَ الله عنه قبَّل النبيَّ ﷺ بعدَ موته».

[الحديث ٤٤٥٦- طرفه في: ٥٧٠٩]

٤٤٥٨- حدّثنا عليٌّ حدثنا يحيى وزاد « قالت عائشة: لدَدْناه في مرضه، فجعل يُشيرُ إلينا أن لا تلدُّوني فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: ألم أنهَكم أن تَلدُّوني؟ قلنا: كراهية المريضِ للدواء، فقال: لايبقى أحدٌ في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظُر، إلا العباس فإنه لم يَشهدكم » .

[الحديث ٤٤٥٨- أطرافه في: ٥٧١٢، ٦٨٨٦، ٦٨٩٧]

قوله (لددناه) أي جعلنا في جانب فمه دواءً بغير اختياره، وهذا هو اللدود، فأما ما يصب في الحلق فيقال له الوجور.

قوله (لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم) قيل: فيه مشروعية القصاص في جميع ما يصاب به الإنسان عمداً ، وفيه نظر، لأن الجميع لم يتعاطوا ذلك، وإنما فعل بهم ذلك عقوبة لهم لتركهم امتثال نهيه عن ذلك، أما من باشره فظاهر،

وأما من لم يباشره فلكونهم تركوا نهيهم عما نهاهم هو عنه، ويستفاد منه أن التأويل البعيد لا يعذر به صاحبه، وفيه نظر أيضا لأن الذي وقع في معارضة النهي، قال ابن العربي: أراد أن لا يأتوا يوم القيامة وعليهم حقه فيقعوا في خطب عظيم، وتعقب بأنه كان يمكن العفو لأنه كان لا ينتقم لنفسه، والذي يظهر أنه أراد بذلك تأديبهم لئلا يعودوا، فكان ذلك تأديبا لا قصاصا ولا انتقاما، قيل وإنما كره اللد مع أنه كان يتداوى لأنه تحقق أنه يموت في مرضه، ومن حقق ذلك كره له التداوي، قلت: وفيه نظر، والذي يظهر أن ذلك كان قبل التخيير والتحقق، وإنما أنكر التداوي لأنه كان غير ملائم لدائه لأنهم ظنوا أن به ذات الجنب فداووه بما يلائمها، ولم يكن به ذلك كما هو ظاهر في سياق الخبر كما ترى، والله أعلم .

٤٤٥٩-عن إبراهيمَ عنِ الأسود قال «ذُكِرَ عند عائشة أن النبيَّ ﷺ أوصى إلى عليّ فقالت: مَن قاله ؟ لقد رأيتُ النبي ﷺ وإني لمسْنِدته إلى صدري، فدَعا بالطَّسْت فانخنَثَ فمات فما شَعَرتُ، فكيفَ أوصى إلى عليٍّ ؟ .

٤٤٦٠- عن طلحةَ قال «سألتُ عبدَ الله بنَ أبي أوفى رضيَ الله عنهما: أوصى النبيُّ ﷺ ؟ فقال: لا، فقلتُ كيفَ كُتبَ عَلَى الناس الوصية أو أُمروا بها ؟ قال أوصى بكتاب الله».

٤٤٦١-عن عمرِو بن الحارث قال «ما تَركَ رسول الله ﷺ ديناراً ولا دِرهما ولا عبداً ولا أمةً، إلاّ بغلتَهُ البيضاءَ التي كان يركبُها وسلاحَهُ، وأرضا جعلَها لابن السبيل صدقةً».

٤٤٦٢-عن أنس قال «لما ثقل النبيُّ ﷺ جعلَ يَتغشّاهُ، فقالت فاطمةُ عليها السلام: واكربَ أباه، فقال لها: ليس على أبيك كرب بعدَ اليوم، فلما مات قالت: يا أبتاهُ أجاب ربًا دَعَاهُ، يا أبتاهُ مَنْ جَنّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يا أبتاه إلى جبريلَ نَنْعَاهُ، فلمَّا دُفِنَ قالت فاطمة عليها السلام: يا أنسُ ، أطابَتْ نفوُسكم أن تُحثوا على رسولِ الله ﷺ الترابَ؟».

قوله (واكرب أباه) وهذا يدل أنها لم ترفع صوتها بذلك وإلا لكان ينهاها .

وأن المراد بالكرب ما كان يجده من شدة الموت، وكان فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الأجر كما تقدم .

قوله (فلما دفن قالت فاطمة[١]: يا أنس الخ) وأشارت عليها السلام بذلك إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك لانه يدل على خلاف ما عرفته منهم من رقة قلوبهم عليه لشدة محبتهم له، وسكت أنس عن جوابها رعاية لها ولسان حاله يقول: لم تطب أنفسنا بذلك إلا أنا قهرناها على فعله امتثالا لأمره.

ويستفاد من الحديث جواز التوجع للميت عند احتضاره بمثل قول فاطمة عليها السلام، «واكرب أباه» وأنه ليس من النياحة لأنه ﷺ أقرها على ذلك .

(١) رواية الباب واليونينية "فاطمة عليها السلام".

٨٤-باب آخرُ ما تكلم به النبيُّ ﷺ

٤٤٦٣-عن عائشةَ قالت « كان النَبيُّ ﷺ يقول وهوَ صحيح: أنه لم يُقبَضْ نبيٌّ حتى يرَى مَقعدهُ من الجنّة، ثم يُخيَّر فلما نَزلَ به ورأسُه على فخذي غُشِيَ عليه، ثم أفاقَ فأشخص بصرَهُ إلى سقف البيت ثم قال: اللهم الرفيقَ الأعلى، فقلت: إذاً لا يَختارُنا، وعرفَت أنه الحديث الذي كان يُحدِّثنا وهو صحيح، قالت: فكان آخر كلمةٍ تكلَّم بها: اللّهمَّ الرفيقَ الأعلى » .

قوله (باب آخر ما تكلم به النبيُّ ﷺ) ذكر فيه حديث عائشة.

وكأن عائشة أشارت إلى ما أشاعته الرافضة أن النبي ﷺ أوصى إلى علي بالخلافة وأن يوفِّيَ ديونَه .

٨٥- باب وفاةِ النبيِّ ﷺ

٤٤٦٤، ٤٤٦٥-عن عائشة وابن عبَّاس رضيَ الله عنهم «أن النبيَّ ﷺ لبث بمكة عشر سنين يُنزَلُ عليه القرآن، وبالمدينةِ عشرا».

[الحديث ٤٤٦٤- طرفه في: ٤٩٧٨]

٤٤٦٦-عن عائشة رضىَ الله عنها « أن رسولَ الله ﷺ تُوفيَ وهو ابن ثلاثٍ وستين».

قوله (باب وفاة النبيَ ﷺ) أي في أي السنين وقعت؟.

قوله (لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرا) هذا يخالف المرويَّ عن عائشة عقبه أنه عاش ثلاثا وستين .

وفي رواية هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس «لبث بمكة ثلاث عشرة وبعث لأربعين ومات وهو ابن ثلاث وستين » وهذا موافق لقول الجمهور .

وقد جمع السهيلي بين القولين المحكيين بوجه آخر، وهو أن من قال مكث ثلاث عشرة عد من أول ما جاءه الملك بالنبوة، ومن قال مكث عشرا أخذ ما بعد فترة الوحي ومجيء الملك بيا أيها المدثر .

٨٦- باب * ٤٤٦٧-عن عائشة رضيَ الله عنها قالت «تُوفيَ النبيُّ ﷺ ودِرعهُ مَرهونةٌ عند يهوديّ بثلاثين، يعني صاعاً من شعير».

٨٧- باب بَعثِ النبيِّ ﷺ أُسامةَ بن زيدٍ رضيَ الله عنهما في مرضه الذي تُوفيَ فيه

٤٤٦٨-عن سالم عن أبيه « استعملَ النَبيُّ ﷺ أُسامةَ فقالوا فيه، فقال النبيُّ ﷺ: قد بلغَني أنكم قلتم في أسامة، وإنه أحبُّ الناس إليَّ».

٤٤٦٩-عن عبدِ الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما «أن رسولَ الله ﷺ بَعثَ بعثاً وأمَّرَ عليهم أسامةَ بن زيدٍ ، فطعن الناس في إمارتهِ، فقام رسول الله ﷺ فقال: إن تَطعنوا في

إمارتهِ فقد كنتم تَطعنونَ في إمارةِ أبيهِ من قبل، وأيم الله إنْ كان لخليقاً للإمارةِ ، وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحبِّ الناس إليَّ بعدَه » .

قوله (باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد[1] في مرضه الذي توفي فيه) إنما أخر المصنف هذه الترجمة لما جاء أنه كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبيِّ ﷺ بيومين وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر، ودعا أسامة فقال: سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش.

فبدأ برسول الله ﷺ وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده، فأخذه أسامة فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف، وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار.

فتكلم في ذلك قوم منهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي، فرد عليه عمر، وأخبر النبيَّ ﷺ فخطب بما ذكر في هذا الحديث، ثم اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: انفذوا بعث أسامة، فجهزه أبو بكر بعد أن استخلف، فسار عشرين ليلة إلى الجهة التي أمر بها، وقتل قاتل أبيه، ورجع بالجيش سالما وقد غنموا .

٨٨- باب * ٤٤٧٠- عن أبي الخير عنِ الصُّنابحيِّ أنه قال له: متى هاجرت ؟ قال: خرجنا منَ اليمن مهاجرين، فقدمْنا الجحفةَ فأقبلَ راكبٌ، فقلتُ له: الخبرَ؟ فقال: دَفَنّا النبيَّ ﷺ منذُ خمس، قلت: هل سمعت في ليلةِ القَدر شيئا ؟ قال: نعم، أخبرَني بلالٌ مؤذنُ النبيِّ ﷺ أنه في السَّبع في العشر الأواخر».

وقد تقدم الكلام على ليلة القدر في كتاب الصيام[2].

٨٩- باب كم غَزا النبي ﷺ ؟

٤٤٧١- عن أبي إسحاق قال «سألتُ زيدَ بن أرقم رضي الله عنه: كم غَزَوتَ مع رسولِ الله ﷺ ؟ قال: سبعَ عشرة، قلتُ: كم غزا النبيُّ ﷺ ؟ قال: تسع عشرة».

٤٤٧٢- عن أبي إسحاقَ حدَّثنا البراءُ رضيَ الله عنه قال «غزَوتُ مع النبيِّ ﷺ خمسَ عشرة».

٤٤٧٣ ـ عن ابن بُرَيدةَ «عن أبيهِ قال: غزا مع رسولِ الله ﷺ ست عشرة غزوة».

---

(١) رواية الباب واليونينية "أسامة بن زيد رضي الله عنهما"

(٢) كتاب فضل ليلة القدر باب /١ح ٢٠١٤ - ٢ / ٢٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٦٥ - كتاب التفسير

الرحمن الرحيم: اسمانِ من الرحمةِ، الرحيم والراحمُ بمعنى واحد كالعليم والعالم

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم كتاب التفسير) والتفسير تفعيل من الفسر وهو البيان.

واختلفوا في التفسير والتأويل، قال أبو عبيدة وطائفة: هما بمعنى.

وقيل التفسير هو بيان المراد باللفظ، والتأويل هو بيان المراد بالمعنى، وقيل في الفرق بينهما غير ذلك.

قوله (الرحمن الرحيم اسمان من الرحمة) أي مشتقان من الرحمة، والرحمة لغة الرقة والانعطاف، وعلى هذا فوصفه به تعالى مجاز عن إنعامه على عباده[١].

١ - باب ما جاء في فاتحة الكتاب

وسُمِّيَت أمَّ الكتاب أنه يُبدَأ بكتابتها في المصاحف، ويُبدَأ بقراءتها في الصلاة

والدِّين الجزاء في الخير والشرّ: كما تَدِين تُدان. وقال مجاهد: بالدِّين بالحساب، مَدينين محاسَبين

قوله (باب ما جاء في فاتحة الكتاب) أي من الفضل، أو من التفسير، أو أعم من ذلك، مع التقييد بشرطه في كل وجه.

قوله (وسميت أم الكتاب أنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة) هو كلام أبي عبيدة في أول «مجاز القرآن» لكن لفظه «ولسور القرآن أسماء: منها أن الحمد لله تسمى أم الكتاب لأنه يبدأ بها في أول القرآن، وتعاد قراءتها فيقرأ بها في كل ركعة قبل السورة، ويقال لها فاتحة الكتاب لأنه يفتتح بها في المصاحف فتكتب قبل الجميع» انتهى. وبهذا تبين المراد مما اختصره المصنف، وقيل سميت أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى والتعبد بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وعلى ما فيها من ذكر الذات والصفات والفعل، واشتمالها على ذكر المبدأ والمعاد والمعاش.

وللفاتحة أسماء أخرى جمعت من آثار أخرى: الكنز والوافية والشافية والكافية وسورة الحمد والحمد لله وسورة الصلاة وسورة الشفاء والأساس وسورة الشكر وسورة الدعاء.

قوله (الدين[٢] الجزاء في الخير والشر، كما تدين تدان) هو كلام أبي عبيدة أيضاً.

وللدين معان أخرى: منها العادة والعمل والحكم والحال والخلق والطاعة والقهر والملة

---

(١) تأويل الحافظ لصفة الرحمة بأنها مجاز عن إنعام الله على عباده، مردود، والصواب ما قاله السلف الصالح ومن سار على منهجهم وعقيدتهم، وهو إثبات الصفات التي وردت دون تأول ولا تشبيه.

(٢) رواية الباب واليونينية "والدِّين...."

والشريعة والورع والسياسة، وشواهد ذلك يطول ذكرها.

٤٤٧٤ ـ عن أبي سعيدِ بن المعلى قال: «كنتُ أصلّي في المسجِد فدعاني رسولُ الله ﷺ فلم أجِبْه، فقلت: يا رسولَ الله إني كنت أصلّي، فقال: ألم يَقُلِ الله «٢٤ الأنفال»: {استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم؟} ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السُّوَر في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورةٍ في القرآن؟ قال: {الحمد لله رب العالمين} هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أتيته».

[الحديث ٤٤٧٤ - أطرافه في: ٤٦٤٧، ٤٧٠٣، ٥٠٠٦]

قوله (لأعلمنك سورة هي أعظم السور) وفي حديث أبي هريرة أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها» قال ابن التين معناه أن ثوابها أعظم من غيرها، واستدل به على جواز تفضيل بعض القرآن على بعض.

ويؤيد التفضيل قوله تعالى {نأت بخير منها أو مثلها} وقد روى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {نأت بخير منها} أي في المنفعة والرفق والرفعة.

قوله (قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم) وفي هذا تصريح بأن المراد بقوله تعالى {ولقد آتيناك سبعاً من المثاني} هي الفاتحة.

وقد روى النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس «إن السبع المثاني هي السبع الطوال» أي السور من أول البقرة إلى آخره الأعراف ثم براءة، وقيل يونس.

وعلى الأول فالمراد بالسبع الآي لأن الفاتحة سبع آيات، وهو قول سعيد بن جبير.

واختلف في تسميتها «مثاني» فقيل لأنها تُثَنَّى في كل ركعة أي تعاد، وقيل لأنها يُثْنَى بها على الله تعالى.

(تنبيه): يستنبط من تفسير السبع المثاني بالفاتحة، أن الفاتحة مكية، وهو قول الجمهور، خلافاً لمجاهد.

ووجه الدلالة أنه سبحانه امتن على رسوله بها، وسورة الحجر مكية اتفاقاً فيدل على تقديم نزول الفاتحة عليها، قال الحسين بن الفضل: هذه هفوة من مجاهد، لأن العلماء على خلاف قوله.

٢ ـ باب {غير المغضوبِ عليهم ولا الضالّين}

٤٤٧٥ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه «أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: إذا قال الإمام {غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضالين} فقولوا: آمين. فَمن وافقَ قولُه قولَ الملائكةِ غُفِرَ له ما تقدم

من ذنبه».

قوله (باب غير المغضوب عليهم ولا الضالين) روى أحمد وابن حبان من حديث عدي بن حاتم «أن النبيَّ ﷺ قال: المغضوب عليهم اليهود، ولا الضالين النصارى»، وأخرجه ابن مردويه بإسناد حسن عن أبي ذر.

وقال ابن أبي حاتم: لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافاً، قال السهيلي: وشاهد ذلك قوله تعالى في اليهود {فباءوا بغضب على غضب} وفي النصارى {قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا} ثم أورد المصنف حديث أبي هريرة في موافقة الإمام في التأمين، وقد تقدم شرحه في صفة الصلاة[١].

(٢) سورة البقرة

١ ـ باب قول الله {وعلَّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها}

٤٤٧٦ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «يجتمعُ المؤمنونَ يومَ القيامةِ فيقولون: لو استَشفَعنا إلى ربنا، فيأتونَ آدمَ فيقولون: أنت أبو الناس، خَلَقكَ الله بيدِه، وأسجدَ لك مَلائكتَه، وعلَّمكَ أسماءَ كلِّ شيء، فاشفَعْ لنا عندَ ربِّك حتى يُريحَنا من مكانِنا هذا. فيقول: لستُ هناك -ويذكرُ ذنبَهُ فيستحيِ- ائتوا نُوحاً فإنه أوَّلُ رسولٍ بَعثَهُ الله إلى أهل الأرض. فيأتونَهُ فيقول: لستُ هُناكم -ويذكرُ سؤالَهُ ربَّه ما ليسَ له بهِ عِلْمٌ فيَستحي فيقولُ: -ائتوا خليلَ الرحمن. فيأتونَهُ، فيقول: لستُ هُناكم ائتوا، موسى عبداً كلَّمهُ اللهُ وأعطاهُ التوراة، فيأتونَه فيقولُ: لستُ هناكم -ويذكرُ قتلَ النفسِ بغيرِ نفس -فيستحي من ربهِ فيقول- ائتوا عيسى عبدَ الله ورسولَه وكلمةَ اللهِ ورُوحَه، فيقول: لستُ هُناكم، ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفرَ اللهَ له ما تقدَّمَ من ذنبِهِ وما تأخَّر، فيأتوني، فأنطلقُ حتى أستَأذِنَ على ربي فيُؤْذَن، فإذا رأيتُ ربي وقعتُ ساجِداً، فيَدَعُني ما شاء الله، ثم يُقال: ارفَعْ رأسَك، وسَلْ تُعطَه، وقُل يُسمَع، واشفعْ تُشفَّع. فأرفَعُ رأسي، فأحمدُهُ بتحميدٍ يُعَلِّمُنيه، ثم أشفعُ، فيَحدُّ لي حَدّاً، فأدخِلُهمُ الجنَّة. ثمَّ أعودُ إليه، فإذا رأيتُ ربي -مِثلَه- ثم أشفعُ، فيحدُّ لي حداً، فأدخِلُهمُ الجنَّة. ثم أعودُ الثالثةَ، ثمَّ أعودُ الرابعةَ فأقول: ما بقيَ في النار إلاَّ من حَبسَهُ القرآن ووجبَ عليه الخلود».

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم سورة[٢] البقرة) واتفقوا على أنها مدنية وأنها أول سورة أنزلت بها، وسيأتي قول عائشة «ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ﷺ» ولم يدخل عليها إلا بالمدينة.

---

(١) كتاب الأذان باب / ١١٣ ح ٧٨٢ - ١ / ٤٢٨

(٢) بدون ذكر البسملة في الباب واليونينية.

قوله (باب قول الله تعالى[١]وعلم آدم الأسماء) وساق المصنف حديث الشفاعة لقول أهل الموقف لآدم وعلمك أسماء كل شيء، واختلف في المراد بالأسماء: فقيل أسماء ذريته، وقيل أسماء الملائكة، وقيل أسماء الأجناس دون أنواعها.

وسيأتي شرح هذا الحديث مستوفى في كتاب الرقاق[٢]إن شاء الله تعالى.

٢ - باب * قال مجاهد: {إلى شياطينهم} أصحابهم منَ المنافقين والمشركين. {محيطٌ بالكافرين} اللهُ جامِعُهم. {على الخاشِعين} على المؤمنينَ حقاً. قال مجاهد: {بقوَّة} يعمل بما فيه. وقال أبو العالية {مرضٌ} شكٌ. {وما خَلْفَها} عِبرة لمن بقى. {لا شِيَة} لا بياض. وقال غيرهُ: {يَسومونَكم} يولونَكم. {الوَلاية} مفتوحة مصدر الوَلاء وهي الرُّبوبية، إذا كُسِرتِ الواو فهيَ الإمارة. وقال بعضُهم، الحبوبُ التي تؤكلُ كلها {فُوم}. وقال قتادةُ: {فباءوا} فانقلبوا. وقال غيرهُ: {يَستفتِحون} يستنصِرون. {شرَوا} باعوا. {راعِنا} من الرُّعونة، إذا أرادوا أن يحمِّقوا إنساناً قالوا راعِنا. {لا يَجزِي} لا يُغنى. {خُطُوات} من الخَطْو، والمعنى آثارَه. {ابتلى} اختبر.

قوله (قال مجاهد إلى آخر ما أورده عنه من التفاسير) ومن طريق ابن عباس قال: كان رجال من اليهود إذا لقوا الصحابة قالوا إنا على دينكم، وإذا خلوا إلى شياطينهم -وهم أصحابهم- قالوا: إنا معكم. والنكتة في تعدية خلوا بإلى مع أن أكثر ما يتعدى بالباء أن الذي يتعدى بالباء يحتمل الانفراد والسخرية تقول: خلوت به إذا سخرت منه، والذي يتعدى بإلى نص في الانفراد، أفاد ذلك الطبري.

ويحتمل أن يكون ضمَّن «خلا» معنى ذهب. وعلى طريقة الكوفيين بأن حروف الجر تتناوب.

قوله (محيط بالكافرين: الله جامعهم) وصله عبد بن حميد بالإسناد المذكور عن مجاهد.

ومن طريق ابن عباس في قوله {محيط بالكافرين} قال منزل بهم النقمة.

قوله (على الخاشعين: على المؤمنين حقا) وروى ابن أبي حاتم من طريق أبي العالية قال في قوله {إلا على الخاشعين} قال: يعني الخائفين، ومن طريق مقاتل بن حبان قال: يعني به المتواضعين.

قوله (بقوة: يعمل بما فيه) وروى ابن أبي حاتم والطبري من طريق أبي العالية قال: القوة: الطاعة، ومن طريق قتادة والسدي قال: القوة الجد والاجتهاد.

قوله (وما خلفها عبرة لمن بقي) وصله ابن أبي حاتم من طريق أبي جعفر الرازي عن أبي العالية في قوله {فجعلناها نكالاً لما بين يديها} أي عقوبة لما خلا من ذنوبهم (وما خلفها}

---

(١) رواية الباب "قول الله" فقط واليونينية توافق الشرح
(٢) كتاب الرقاق باب / ٢٥١ ح ٦٥٦٥ - ٥ / ٧٦

أي عبرة لمن بقي بعدهم من الناس.

قوله (وقال بعضهم: الحبوب التي تؤكل كلها فوم) هذا حكاه الفراء في معاني القرآن عن عطاء وقتادة قال الفوم: كل حب يختبز.

قوله (وقال غيره: يستفتحون يستنصرون) هو تفسير أبي عبيدة، وروى مثله الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس، ومن طريق الضحاك عن ابن عباس قال: أي يستظهرون.

وروى ابن إسحق في السيرة النبوية عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ لهم قالوا: فينا وفي اليهود نزلت، وذلك أنا كنا قد علوناهم في الجاهلية فكانوا يقولون: إن نبياً سيبعث قد أظل زمانه فنقتلكم معه، فلما بعث الله نبيه واتبعناه كفروا به، فنزلت.

قوله (راعنا من الرعونة، إذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا راعنا) قلت هذا على قراءة من نوّن وهي قراءة الحسن البصري وأبي حيوة، ووجهه أنها صفة لمصدر محذوف أي لا تقولوا قولاً راعنا أي قولاً ذا رعونة.

وقرأ الجمهور {راعنا} بغير تنوين على أنه فعل أمر من المراعاة. وإنما نهوا عن ذلك لأنها كلمة تقتضي المساواة، وقد فسرها مجاهد: لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك، وعن عطاء: كانت لغة تقولها الأنصار فنهوا عنها.

٣ ـ باب قوله تعالى {فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلَمون}

٤٤٧٧ ـ عن عبد الله قال: «سألتُ النبيَّ ﷺ: أيُّ الذنبِ أعظم عندَ الله؟ قال: أن تجعلَ للهِ نِداً وهوَ خَلَقكَ. قلتُ: إنَّ ذلك لعظيم، قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قال: وأن تَقتُلَ ولدَكَ تخاف أن يَطعمَ معك، قلتُ: ثم أيُّ؟ قال: أن تُزاني حَليلةَ جارِك».

[الحديث ٤٤٧٧ - أطرافه في: ٤٧٦١، ٦٠٠١، ٦٨١١، ٦٨٦١، ٧٥٢٠، ٧٥٣٢]

قوله (باب قوله تعالى: فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) الأنداد جمع نِدّ وهو النظير.

ثم ذكر المصنف حديث ابن مسعود «أي الذنب أعظم» وسيأتي شرحه في كتاب التوحيد[1] إن شاء الله تعالى.

٤ ـ باب {وظلّلنا عليكم الغَمامَ وأنزلنا عليكم المنَّ والسَّلوَى، كلوا من طيِّباتِ ما رزقناكم، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفُسَهم يَظلمون}

وقال مجاهد: المنُّ صَمغة، والسلوَى الطير.

٤٤٧٨ ـ عن سعيد بن زيد رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: الكمأة من المنّ، وماؤها شفاءٌ للعين».

[الحديث ٤٤٧٨ - طرفاه في: ٤٦٣٩، ٥٧٠٨]

(١) كتاب التوحيد باب / ٤٠ ح ٧٥٢٠ - ٥ / ٦٠٤

قوله (وقال مجاهد: المن صمغة، والسلوى: الطير) وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كان المن ينزل على الشجر فيأكلون منه ما شاءوا.

ومن طريق سعيد بن بشير عن قتادة قال: كان المن يسقط عليهم سقوط الثلج أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل. وهذه الأقوال كلها لا تنافي فيها.

وروى ابن أبي حاتم أيضاً من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباسٍ قال: السلوى طائر يشبه السماني.

ومن طريق عكرمة قال: طير أكبر من العصفور. ثم ذكر المصنف حديث سعيد بن زيد في الكمأة من المن، وسيأتي شرحه في كتاب الطب(١).

٥ ـ باب {وإذ قلنا ادخُلوا هذه القريةَ فكُلوا منها حيثُ شئتم رَغداً، وادخُلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطَّةٌ نَغفِرْ لكم خَطاياكم وسنَزيدُ المحسنين}

رَغداً: واسعٌ كثير.

٤٤٧٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «قيلَ لبني إسرائيلَ {ادخلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حطة} فدخلوا يزحَفون على أستاههم فبدَّلوا، وقالوا حِطة حَبَّةٌ في شَعرة».

قوله (رغدا: واسعاً كثيرا) هو من تفسير أبي عبيدة قال: الرغد الكثير الذي لا يتعب يقال قد أرغد فلان إذا أصاب عيشاً واسعاً كثيرا.

٦ ـ باب: قوله {من كان عدواً لجبريلَ}

وقال عِكرمة: جَبْرَ، ومِيكَ، وسَراف: عبدٌ. إيلْ: اللهُ

٤٤٨٠ ـ عن أنسٍ قال: «سمعَ عبدُ الله بن سَلام بقُدُوم رسولِ الله ﷺ وهو في أرضٍ يَخترَفُ، فأتى النبيَّ ﷺ فقال: إني سائلُكَ عن ثلاثٍ لا يعلَمُهُنَّ إلا نبيٌّ: فما أوَّلُ أشراطِ الساعةِ؟ وما أوَّلُ طعامِ أهلِ الجنة؟ وما يَنزِعُ الولدُ إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرَني بهنَّ جِبريلُ آنِفاً. قال: جِبريل؟ قال: نعم. قال: ذاك عدوُّ اليهودِ من الملائكة. فقرأ هذه الآيةَ {مَن كان عدواً لجبريلَ فإنه نزَّلَهُ على قلبك}، أما أولُ أشراط الساعة فنارٌ تحشُرُ الناسَ منَ المشرقِ إلى المغرب، وأما أولُ طعام أهلِ الجنة فزيادةُ كَبد الحوت، وإذا سبقَ ماءُ الرجلِ ماءَ المرأة نزعَ الولدُ، وإذا سبقَ ماءُ المرأةِ نَزَعت. قال: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أنكَ رسولُ الله. يا رسولَ الله، إنَّ اليهودَ قومٌ بُهْتٌ، وإنهم إن يَعلموا بإسلامي قبلَ أن تسألَهم يَبْهتوني. فجاءتِ اليهودُ، فقال النبيُّ ﷺ: أيُّ رجلٍ عبدُ اللهِ فيكم؟ قالوا: خيرنا وابنُ خَيرِنا، وسيدُنا وابن سيدنا. قال: أرأيتم إن أسلمَ عبدُ اللهِ بن سَلام؟ فقالوا:

(١) كتاب الطب باب / ٢٠ ح ٥٧٠٨ - ٤ / ٣٢٢

أعاذهُ الله من ذلك. فخرج عبدُ الله فقال: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسولُ الله. فقالوا: شرُّنا وابن شرِّنا، وانتقَصوه. قال: فهذا الذي كنتُ أخافُ يا رسولَ الله».

قوله (من كان عدواً لجبريل) قيل سبب عداوة اليهود لجبريل أنه أمر باستمرار النبوة فيهم فنقلها لغيرهم، وقيل لكونه يطلع على أسرارهم.

قلت: وأصح منهما ما سيأتي بعد قليل لكونه الذي ينزل عليهم بالعذاب.

قوله (قال عكرمة: جبر ومِيك وسَرَاف: عبد، إيل: الله) وصله الطبري من طريق عاصم عنه قال: جبريل عبد الله، وميكائيل عبد الله، إيل الله. ومن وجه آخر عن عكرمة جبر عبد، وميك عبد، وإيل الله.

وقال الطبري وغيره: في جبريل لغات، فأهل الحجاز يقولون بكسر الجيم بغير همز وعلى ذلك عامة القراء، وبنو أسد مثله لكن آخره نون، وبعض أهل نجد وتميم وقيس يقولون جبريل بفتح الجيم والراء بعدها همزة وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر وخلف واختيار أبي عبيد.

ثم ذكر حديث أنس في قصة عبد الله بن سلام وقد تقدم قبيل كتاب المغازي[1]، وتقدم معظم شرحها هناك.

وروى الطبري من طريق الشعبي «أن عمر كان يأتي اليهود فيسمع من التوراة فيتعجب كيف تصدق ما في القرآن، قال فمر بهم النبي ﷺ فقلت نشدتكم بالله أتعلمون أنه رسول الله؟ فقال له عالمهم: نعم نعلم أنه رسول الله، قال: فلم لا تتبعونه؟ قالوا: إن لنا عدواً من الملائكة وسلما، وإنه قرن بنبوته من الملائكة عدونا» فذكر الحديث وأنه لحق النبي ﷺ فتلا عليه الآية.

٧ ـ باب قوله {ما نَنْسَخ من آيةٍ أو نَنْسأها}

٤٤٨١ ـ عن ابن عباسٍ قال: «قال عمرُ رضيَ اللهُ عنه: أقرَؤُنا أبيٌّ، وأقضانا عليٌّ، وإنّا لنَدَعُ من قول أبيّ، وذاك أن أبياً يقول: لا أدَعُ شيئاً سمعتهُ من رسولِ الله ﷺ وقد قال الله تعالى: {ما نَنسَخ مِن آيةٍ أو نَنسَأها}».

[الحديث ٤٤٨١ - طرفه في: ٥٠٠٥]

قوله (سمعته من رسول الله ﷺ) في رواية صدقة «أخذته مِن في رسول الله ﷺ ولا أتركه لشيء) لأنه بسماعه من رسول الله ﷺ يحصل له العلم القطعي به، فإذا أخبره غيره عنه بخلافه لم ينتهض معارضاً له حتى يتصل إلى درجة العلم القطعي، وقد لا يحصل ذلك غالباً.

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٥١ ح ٣٩٣٨ - ٣ / ٢٥٤.

قوله (وقد قال الله تعالى الخ) هو مقول عمر محتجاً به على أبي بن كعب ومشيرا إلى أنه ربما قرأ ما نُسخت تلاوته لكونه لم يبلغه النسخ، واحتج عمر لجواز وقوع ذلك بهذه الآية. وقد أخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «خطبنا عمر فقال: إن الله يقول: {ما ننسخ من آية أو ننسأها} أي نؤخرها» وهذا يرجح رواية من قرأ بفتح أوله وبالهمز، وأما قراءة من قرأ بضم أوله فمن النسيان، وكذلك كان سعيد بن المسيب يقرؤها، فأنكر عليه سعد بن أبي وقاص، أخرجه النسائي وصححه الحاكم، وكانت قراءة سعد «أو تنساها» بفتح المثناة خطاباً للنبيِّ ﷺ واستدل بقوله تعالى {سنقرئك فلا تنسى}.

٨ ـ باب {وقالوا اتخذَ الله ولَداً سُبحانَه}

٤٤٨٢ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما عنِ النبيِّ ﷺ قال: «قال الله كذّبني ابنُ آدمَ ولم يكنْ له ذلك، وشتَمَني ولم يكنْ له ذلك. فأما تكذيبهُ إيايَ فزعمَ أني لا أقدِرُ أن أُعيدَهُ كما كان، وأما شتمُه إيايَ فقوله: لي ولَد، فسُبحاني أن أتَّخذَ صاحبةً أو ولَدا».

قوله (باب وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه) كذا للجميع وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن عامر «قالوا» بحذف الواو، واتفقوا على أن الآية نزلت فيمن زعم أن لله ولداً من يهود خيبر ونصارى نجران، ومن قال من مشركي العرب الملائكة بنات الله، فرد الله تعالى عليهم.

قوله (قال الله تعالى[1]) هذا من الأحاديث القدسية.

قوله (وأما شتمه أياي فقوله لي ولد) إنما سماه شتماً لما فيه من التنقيص لأن الولد إنما يكون عن والدة تحمله ثم تضعه ويستلزم ذلك سبق النكاح، والناكح يستدعى باعثاً له على ذلك. والله سبحانه منزه عن جميع ذلك، ويأتي شرحه في تفسير سورة الإخلاص.

٩ ـ باب قوله {واتخِذوا من مَقام إبراهيمَ مُصلى}

{مثابةً} يثوبون: يرجعون.

٤٤٨٣ ـ عن أنسٍ قال: «قال عمرُ: وافقتُ اللهَ في ثلاثة -أو وافقَني ربي في ثلاث- قلتُ: يا رسولَ الله، لوِ اتخذْتَ مقامَ إبراهيمَ مصلّي. وقلت: يا رسولَ الله، يَدخُلُ عليكَ البَرُّ والفاجر، فلو أمرتَ أمَّهاتِ المؤمنينَ بالحجاب، فأنزلَ اللهُ آيةَ الحجاب. قال وبلَغني مُعاتبةُ النبيِّ ﷺ بعضَ نسائه، فدخلتُ عليهنَّ، قلتُ: إنِ انتَهيتُنَّ أو ليُبَدِّلَنَّ اللهُ رسولَهُ

(١) رواية الباب واليونينية "قال الله" فقط.

خيراً منكنّ، حتى أتيتُ إحدَى نسائه قالت: يا عمر، أما في رسول الله ﷺ ما يَعظُ نساءَهُ حتى تَعظهنَّ أنت؟ فأنزلَ الله {عسى ربه إن طلّقكنَّ أن يُبدِلَه[1] أزواجاً خيراً منكنَّ مسلمات} الآية.

قوله (باب[2] واتخذوا من مقام إبراهيم م ﷺ) كذا لهم، والجمهور على كسر الخاء من قوله {واتخذوا} بصيغة الأمر، وقرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء بصيغة الخبر، والمراد من اتبع «إبراهيم». وهو معطوف على قوله {جعلنا} فالكلام جملة واحدة، وتوجيه قراءة الجمهور أنه معطوف على ما تضمنه قوله {مثابة} كأنه قال ثوبوا واتخذوا، أو معمول لمحذوف أي وقلنا اتخذوا، ويحتمل أن يكون الواو للإستئناف.

قوله (مثابة يثوبون: يرجعون) قال أبو عبيدة: قوله تعالى {مثابة} مصدر يثوبون أي يصيرون إليه.

قال الفراء: المثابة والمثاب بمعنى واحد كالمقام والمقامة، وقد تقدم في أوائل الصلاة، وتأتي قصة الحجاب في تفسير الأحزاب[3]، والتخيير في تفسير التحريم. وقوله في الحديث «فانتهيت إلى إحداهن» يأتي الكلام عليه في «باب غيرة النساء» من أواخر كتاب النكاح[4].

تكملة: قال ابن الجوزي: إنما طلب عمر الاستنان بإبراهيم عليه السلام مع النهي عن النظر في كتاب التوراة لأنه سمع قول الله تعالى في حق إبراهيم {إني جاعلك للناس إماما} وقوله تعالى {أن اتبع ملة إبراهيم} فعلم أن الائتمام بإبراهيم من هذه الشريعة، ولكون البيت مضافاً إليه وأن أثر قدميه في المقام كرقم الباني في البناء ليذكر به بعد موته، فرأى الصلاة عند المقام كقراءة الطائف بالبيت اسم من بناه. انتهى، وهي مناسبة لطيفة، ثم قال: ولم تزل آثار قدمي إبراهيم حاضرة في المقام معروفة عند أهل الحرم، حتى قال أبو طالب في قصيدته المشهورة:

وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة ‏ ‏ ‏ ‏ على قدميه حافياً غير ناعل

وأخرج البيهقي عن عائشة بسند قوي ولفظه «أن المقام كان في زمن أبي بكر ملتصقاً بالبيت ثم أخّره عمر».

---

(١) قراءة حفص عن عاصم "أن يُبد له" بالتخفيف

(٢) رواية الباب "باب قوله واتخذواً ...الخ" وفي اليونينية بدون التبويب.

(٣) كتاب الصلاة باب / ٣٢ ح ٤٠٢ - ١ / ٢٦٧

(٤) كتاب التفسير "الاحزاب" باب / ٨ ح ٤٧٩٠ - ٣ / ٤٥٦

١٠ ـ باب قوله تعالى {وإذا يرفَعُ إبراهيمُ القواعِدَ من البيتِ وإسماعيلُ ربّنا تَقبَّل منا إنك أنتَ السميعُ العليم}

القواعد: أساسه، واحدتها قاعدة. والقواعدُ من النساءِ: واحدُها قاعد.

٤٤٨٤ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها زوج النبيِّ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «ألم ترَيْ أنَّ قومَكِ بَنَوُا الكعبةَ واقتصروا عن قواعد إبراهيمَ. فقلت: يارسولَ الله ألا تردُّها على قواعِدِ إبراهيم؟ قال: لولا حِدثانُ قومِك بالكفر. فقال عبدُ الله بن عمرَ: لئن كانت عائشة سمعتَ هذا من رسولِ الله ﷺ ما أُرَى رسولَ الله ﷺ ترك استلامَ الرُّكنَينِ اللذَين يَلِيان الحِجْرَ إلا أنَّ البيتَ لم يُتَمَّمْ على قواعدِ إبراهيم».

قال الطبري: اختلفوا في القواعد التي رفعها إبراهيم وإسماعيل أهما أحدثاها أم كانت قبلهما ثم روى بسند صحيح عن ابن عباس قال: «كانت قواعد البيت قبل ذلك» ومن طريق عطاء قال: قال آدم أي رب لا أسمع أصوات الملائكة، قال: ابن لي بيتاً ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف ببيتي الذي في السماء. فيزعم الناس أنه بناه من خمسة أجبل حتى بناه إبراهيم بعد، وقد تقدم بزيادة في قصة إبراهيم عليه السلام من أحاديث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

١١ ـ باب {قولوا آمنا باللهِ وما أُنزِلَ إلينا}

٤٤٨٥ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «كان أهلُ الكتاب يَقرءون التوراةَ بالعِبرانية ويُفَسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسولُ الله ﷺ: لا تُصدِّقوا أهلَ الكتاب ولا تُكذِّبوهم، وقولوا {آمنا بالله وما أُنزِل....} الآية.

[الحديث ٤٤٨٥ - طرفاه في: ٧٣٦٢، ٧٥٤٢]

قوله (كان أهل الكتاب) أي اليهود.

قوله (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه، أو كذباً فتصدقوه فتقعوا في الحرج.

ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه، نبه على ذلك الشافعي رحمه الله.

ويؤخذ من هذا الحديث التوقف عن الخوض في المشكلات والجزم فيها بما يقع في الظن، وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف من ذلك.

١٢ ـ باب {سيقولُ السُّفهاءُ من النَّاس، ما ولاَّهم عن قِبلتِهمُ التي كانوا عليها؟ قل لله المَشرقُ والمغربُ، يَهدِي مَن يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم} /١٤٢/

٤٤٨٦ ـ عن البَراءِ رضيَ الله عنه «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ صلَّى إلى بيتِ المقدس ستَّةَ عشرَ شهراً أو سبعةَ عشرَ شهراً، وكان يُعجبهُ أن تكون قبلتُهُ قِبَلَ البيت، وإنه ﷺ -أو صلاها- صلاةَ العصرِ، وصلَّى معه قومٌ فخرجَ رجلٌ ممن كان صلَّى معه فمرَّ على أهل المسجدِ وهم راكعونَ قال أشهدُ بالله لقد صلَّيتُ مع النبيِّ ﷺ قِبلَ مكة، فداروُا كما هم قِبَلَ البيت. وكان الذي ماتَ على القبلةِ قبل أن تُحوَّلَ قِبلَ البيتِ، رجالٌ قُتلوا لم نَدرِ ما نقولُ فيهم، فأنزلَ اللهُ {وما كان اللهُ لِيضيعَ إيمانكم، إنَّ اللهَ بالناس لرءُوفٌ رحيم}».

قوله (باب[١] قوله تعالى {سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم} الآية) والسفهاء جمع سفيه وهو خفيف العقل. واختلف في المراد بالسفهاء فقال البراء في حديث الباب وابن عباس ومجاهد: هم اليهود، وأخرج ذلك الطبري عنهم بأسانيد صحيحة. والمراد بالسفهاء الكفار وأهل النفاق واليهود، أما الكفار فقالوا لما حولت القبلة: رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا، فإنه علم أنا على الحق، وأما أهل النفاق فقالوا: إن كان أولاً على الحق فالذي انتقل إليه باطل وكذلك بالعكس، وأما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء ولو كان نبياً لما خالف، فلما كثرت أقاويل هؤلاء السفهاء أنزلت هذه الآيات من قوله تعالى {ما ننسخ من آية -إلى قوله تعالى- فلا تخشوهم واخشوني} الآية.

قوله (ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً) تقدم الكلام عليه وعلى شرح الحديث في كتاب الإيمان[٢].

١٣ ـ باب {وكذلك جعلناكم أمةً وسَطاً لتكونوا شُهداءَ على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً}

٤٤٨٧ ـ عن أبي سعيد الخدريِّ قال: «قال رسولُ اللهِ ﷺ: يُدعى نوحٌ يومَ القيامةِ فيقول: لبَّيكَ وسَعدَيك يا ربِّ، فيقول: هل بَلَّغْتَ؟ فيقول: نعم. فيقال لأمتِه: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نَذير، فيقول: مَن يَشهدُ لك؟ فيقول: محمدٌ وأمتُه. فيشهدون أنه قد بلَّغ، ويكونَ الرسولُ عليكم شَهيداً فذلك قوله جلَّ ذِكرهُ: {وكذلك جعلناكم أمةً وسَطاً لتكونوا شُهَداءَ على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيدا}. والوَسَط العدل».

(١) والمتن "باب سيقول السفهاء بدون ذكره قوله تعالى"
(٢) كتاب الإيمان باب / ٣٠ ح ٤٠ - ١ / ٤٥

قوله (باب[١]قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداءَ على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} سيأتي الكلام على الآية في كتاب الاعتصام[٢]إن شاء الله تعالى.

قوله (والوسط العدل) قال الطبري: الوسط في كلام العرب الخيار، يقولون فلان وسط في قومه وواسط إذا أرادوا الرفع في حسبه.

قال: والذي أرى أن معنى الوسط في الآية الجزء الذي بين الطرفين، والمعنى أنهم وسط لتوسطهم في الدين فلم يغلوا كغلو النصارى ولم يقصروا كتقصير اليهود، ولكنهم أهل وسط واعتدال.

قلت: لا يلزم من كون الوسط في الآية صالحاً لمعنى التوسط أن لا يكون أريد به معناه الآخر كما نص عليه الحديث، فلا مغايرة بين الحديث وبين ما دل عليه معنى الآية، والله أعلم.

١٤ ـ باب {وما جَعلنا القبلةَ التي كنتَ عليها إلاّ لنعلَم مَن يَتبعُ الرسولَ ممن ينقلبُ على عَقبَيه وإن كانت لكبيرةً إلا على الذين هدَى الله، وما كان اللهُ ليُضيعَ إيمانَكم إنَّ اللهَ بالناس لرءوف رحيم} /١٤٣/

٤٤٨٨ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما «بينا الناسُ يُصلُّونَ الصبحَ في مسجدِ قُباء إذ جاء جاءٍ فقال: أنزلَ اللهُ على النبيِّ ﷺ قُرآناً أن يَستقبلَ الكعبة، فاستقبِلوها. فتوَجَّهوا إلى الكعبة».

قوله (باب[٣]قول الله تعالى {وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول} الآية) ثم أورد ابن عمر في تحويل القبلة، تقدم شرحه في أوائل[٤]الصلاة مستوفى.

١٥ ـ باب {قد نرَى تَقلُّبَ وجهِكَ في السماء -إلى- عما تَعملون}

٤٤٨٩ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «لم يَبقَ ممَّن صلَّى القبلتَين غيري».

قوله (لم يبق ممن ﷺ القبلتين غيري) يعني الصلاة إلى بيت المقدس وإلى الكعبة، وفي هذا إشارة إلى أن أنساً آخر من مات ممن ﷺ إلى القبلتين، والظاهر أن أنساً قال ذلك وبعض الصحابة ممن تأخر إسلامه موجود، ثم تأخر أنس إلى أن كان آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله ﷺ، قاله علي بن المديني والبزار وغيرهما.

بل قال ابن عبد البر: هو آخر الصحابة موتاً مطلقاً، لم يبق بعده غير أبي الطفيل، كذا

---

(١) لم يذكر "قوله تعالى" في المتن واليونينية.
(٢) كتاب الاعتصام باب / ١٩ ح ٧٣٤٩ - ٥ / ٥٢٤
(٣) رواية المتن "باب وما جعلنا ...." بدون ذكر قول الله تعالى وبدون التبويب في اليونينية.
(٤) كتاب الصلاة باب / ٣٢ ح ٤٠٣ - ١ / ٢٦٧

قال وفيه نظر، فقد ثبت لجماعة ممن سكن البوادي من الصحابة تأخرهم عن أنس وكانت وفاة أنس سنة تسعين أو إحدى أو ثلاث وهو أصح ما قيل فيها، وله مائة وثلاث سنين على الأصح أيضاً، وقيل أكثر من ذلك، وقيل أقل.

وقوله تعالى {فلنولينك قبلة ترضاها} هي الكعبة، وروى الحاكم من حديث ابن عمر في قوله {فلنولينك قبلة ترضاها} قال: نحو ميزاب الكعبة، وإنما قال ذلك لأن تلك الجهة قبلة أهل المدينة.

١٦ ـ باب {ولئن أتيتَ الذين أوتوا الكتابَ بكلِّ آيةٍ ما تَبعوا قِبْلتَك -إلى قوله- إنكَ إذاً لَمنَ الظالمين}

٤٤٩٠ ـ عن ابن عمرَ رضيَ اله عنهما «بَينما الناس في الصبح بقُباءٍ جاءهم رجلٌ فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أُنزلَ عليه الليلةَ قرآن، وأُمرَ أن يَستقبلَ الكعبة، ألا فاستقبِلوها. وكانَ وجهُ الناسِ إلى الشام، فاستَداروا بوُجوههم إلى الكعبة».

١٧ ـ باب {الذين آتيناهمُ الكتابَ يَعرفونه كما يعرفونَ أبناءَهم؛ وإنَّ فريقاً منهم ليَكتُمون الحقَّ -إلى قولهِ من الممتَرين}

٤٤٩١ ـ عن ابن عمرَ قال: «بَينا الناسُ بقُباءٍ في صلاةِ الصبح إذ جاءهم آتٍ فقال: إنَّ النبيَّ ﷺ قد أُنزلَ عليهِ الليلةَ قرآنٌ، وقد أُمرَ أن يَستقبلَ الكعبة فاستقبلوها. وكانت وُجوهُهم إلى الشام، فاستَداروا إلى الكعبة».

١٨ ـ باب {ولكلٍ وجهةٌ هوَ مُوَلِّيها، فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يَأتِ بكُم اللهُ جميعا، إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قَدير}

٤٤٩٢ ـ عن البَراء رضيَ الله عنه قال: «صلَّينا مع النبيِّ ﷺ نحو بيت المقدسِ ستةَ عشرَ -أو سبعةَ عشرَ- شهراً، ثمَّ صرَفَهُ نحو القبلة».

١٩ ـ باب {ومن حيثُ خرجتَ فولِّ وَجهكَ شَطرَ المسجدِ الحرام، وإنهُ لَلْحقُّ من ربِّك، وما اللهُ بغافلٍ عما تَعملونَ}

شطرُهُ: تِلقاؤه.

٤٤٩٣ ـ عن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما يقول: «بَينا الناسُ في الصبح بقباءٍ إذ جاءهم رجلٌ فقال: أُنزلَ الليلةَ قرآن، فأُمرَ أن يَستقبلَ الكعبةَ، فاستقبِلوها. واستَداروا كهيئتِهم فتوجهوا إلى الكعبة، وكان وجهُ الناسِ إلى الشام».

٢٠ ـ باب {ومن حيثُ خَرَجتَ فولِّ وجهَكَ شطرَ المسجدِ الحرام وحيثُما كنتم -إلى قوله- ولعلكم تَهتَدون}

٤٤٩٤ ـ عن ابن عمرَ قال: «بينما الناسُ في صلاة الصبح بقباءٍ إذ جاءهم آتٍ فقال: إن

رسولَ اللهِ ﷺ قد أُنزِلَ عليهِ الليلةَ، وقد أُمِرَ أن يَستقبلَ الكعبةَ، فاستقبِلوها. وكانت وجوهُهم إلى الشام فاستَداروا إلى القبلة».

٢١ - باب قوله {إنَّ الصَّفا والمروةَ من شَعائرِ الله فمن حجَّ البيتَ أوِ اعتمرَ فلا جُناحَ عليهِ أن يَطوَّفَ بهما، ومن تطوَّعَ خيراً فإنَّ اللهَ شاكرٌ عَليم}

شعائر: عَلامات، واحدتها شَعيرة. وقال ابن عباسٍ: الصَّفوانُ: الحجر، ويقال: الحجارةُ الملس التي لا تُنبتُ شيئاً، والواحدةُ صَفوانة بمعنى الصفا، والصفا للجميع.

٤٤٩٥ - عن هشام بن عروةَ عن أبيهِ أنه قال: «قلتُ لعائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ -وأنا يومَئذٍ حديثُ السنّ-: أرأيتِ قولَ الله تباركَ وتعالى {إنَّ الصفا والمروةَ مِن شعائر الله، فمن حجَّ البيتَ أوِ اعتمرَ فلا جُناحَ عليه أن يَطوَّفَ بهما} فما أُرَى على أحدٍ شيئاً أن لا يطَّوَّف بهما. فقالت عائشة: كلا، لو كانت كما تقول كانت فلا جُناحَ عليه أن لا يَطوَّفَ بهما، إنما أنزلَت هذه الآية في الأنصار: كانوا يُهلُّونَ لمناةَ، وكانت مَناةُ حَذْوَ قُدَيدٍ، وكانوا يَتحرَّجونَ أن يَطوفوا بينَ الصَّفا والمروة، فلما جاءَ الإسلامُ سألوا رسولَ اللهِ ﷺ عن ذلك، فأنزلَ اللهُ {إن الصَّفا والمروةَ من شَعائرِ الله، فمن حجَّ البيتَ أو اعتمرَ فلا جُناحَ عليه أن يَطَّوَّف بهما}».

٤٤٩٦ - عن عاصم بن سليمان قال: «سألتُ أنسَ بن مالكٍ رضيَ الله عنه عن الصفا والمروة فقال: كنّا نرَى أنهما من أمرِ الجاهلية، فلما كان الإسلامُ أمسكنا عنهما، فأنزلَ اللهُ تعالى {إن الصفا والمروةَ -إلى قوله- أن يَطوَّفَ بهما}».

قوله (وقال ابن عباس: الصفوان الحجر) وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

ثم ساق حديث عائشة في سبب نزول {إن الصفا والمروة من شعائر الله} وقد تقدم شرحه في كتاب الحج[١].

٢٢ - باب {ومنَ الناسِ من يتَّخذُ من دونِ الله أنداداً}

أضداداً، واحدُها نِدّ

٤٤٩٧ - عن عبدِ الله «قال النبيُّ ﷺ كلمةً وقلت أخرَى: قال النبيُّ ﷺ: من ماتَ وهوَ يَدعو من دون الله نِدّاً دخلَ النار. وقلتُ أنا: من مات وهو لا يدعو لله نِدّاً دخلَ الجنة».

قوله (باب[٢] قوله تعالى {ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله} وذكر هنا أيضاً حديث ابن مسعود «من مات وهو يجعل لله نداً» وقد مضى شرحه في أوائل كتاب الجنائز[٣].

---

(١) كتاب الحج باب / ٧٩ ح ١٦٤٣ - ٢ / ٥٤.
(٢) رواية المتن "باب ومن الناس ...." بدون ذكر "قوله وبدون التبويب في اليونينية.
(٣) كتاب الجنائز باب / ١ ح ١٢٣٨ - ١ / ٦٢٥.

٢٣ ـ باب {يا أيها الذين آمنوا كتبَ عليكم القصاصُ في القتلى: الحرُّ بالحرِّ -إلى قوله- عذابٌ أليم}

عُفِيَ: تُرك

٤٤٩٨ ـ عن ابن عباس رضيَ الله عنهما قال «كان في بني إسرائيلَ القِصاصُ، ولم تكن فيهمُ الدية، فقال اللهُ تعالى لهذه الأمة {كُتبَ عليكم القِصاصُ في القتلى: الحرُّ بالحرِّ، والعبدُ بالعبد، والأنثى بالأنثى، فمن عُفِيَ له من أخيهِ شيءٌ} فالعَفو أن يقبل الديةَ في العمدِ {فاتِّباعٌ بالمعروف، وأداءٌ إليهِ بإحسان} يتبعُ بالمعروف ويؤدِّي بإحسان {ذلك تخفيفٌ من ربِّكم ورحمة} مما كُتبَ على مَن كان قبلكم {فمنِ اعتدَى بعدَ ذلك فله عذابٌ أليم} قتل بعدَ قَبول الدية».

[الحديث ٤٤٩٨ - طرفه في: ٦٨٨١]

٤٤٩٩ ـ عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «كتابُ اللهِ القصاص».

٤٥٠٠ ـ عن أنسٍ أن الرُّبَيِّعَ عمتَهُ كسرَت ثَنيةَ جاريةٍ، فطَلبوا إليها العَفوَ، فأبَوا. فعرَضوا الأرشَ، فأبَوا. فأتَوا رسولَ اللهِ ﷺ وأبَوا إلا القِصاصَ، فأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ بالقِصاص، فقال أنسُ بن النَّضرِ: يا رسولَ الله، أتُكسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّع؟ لا والذي بَعثَك بالحق لا تُكسَرُ ثنيَّتُها. فقال رسولُ الله ﷺ: يا أنسُ. كتابُ اللهِ القِصاصُ. فرَضيَ القومُ، فعَفَوا. فقال رسولُ الله ﷺ: إنَّ من عبادِ الله مَن لو أقسمَ على الله لأبرَّه».

قوله (كان في بني إسرائيل القصاص) سيأتي شرحه في كتاب الديات(١).

قال الخطابي: في قوله {فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع} الخ ويحتاج إلى تفسير لأن العفو يقتضي إسقاط الطلب فما هو الاتباع؟ وأجاب بأن العفو في الآية محمول على العفو على الدية، فيتجه حينئذ المطالبة بها، ويدخل فيه بعض مستحقي القِصاص فإنه يسقط وينتقل حق من لم يعف إلى الدية فيطالب بحصته.

٢٤ ـ باب {يا أيها الذينَ آمنوا كتبَ عليكم الصيامُ كما كُتبَ على الذين من قبلِكم لعلكم تتقون}.

٤٥٠١ ـ عنِ ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال: «كان عاشوراءُ يَصومُهُ أهلُ الجاهلية، فلما نزلَ رمضانُ قال: مَن شاءَ صامَه، ومَن شاءَ لم يَصُمه».

٤٥٠٢ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها «كان عاشوراءُ يُصامُ قبلَ رمضانَ، فلما نزَلَ رمضانُ قال: من شاءَ صامَ، ومن شاءَ أفطر».

---

(١) كتاب الديات باب / ٣، ٤ ح ٦٨٧٦ - ٥ / ٢٤٣

٤٥٠٣ ـ عن علقمةَ عن عبدِ الله قال: دخلَ عليه الأشعثُ وهو يَطعَمُ فقال: اليوم عاشوراءُ، فقال: كان يُصامُ قبلَ أن ينزِلَ رمضانُ فلما نزل رمضان تُرِكَ، فادْن فكل».

٤٥٠٤ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «كان يومُ عاشوراءَ تصومهُ قريشٌ في الجاهلية، وكان النبيُّ ﷺ يصومهُ، فلما قدمَ المدينةَ صامَهُ وأمرَ بصيامه؛ فلما نزلَ رمضانُ كان رمضانُ الفريضةَ وتُرِك عاشوراءُ، فكانَ مَن شاء صامَه ومَن شاءَ لم يَصُمه».

قوله (باب يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) أما قوله {كتب} فمعناه فرض، والمراد بالمكتوب فيه اللوح المحفوظ، وأما قوله {كما} فاختلف في التشبيه الذي دلت عليه الكاف هل هو على الحقيقة فيكون صيام رمضان قد كتب على الذين من قبلنا؟ أو المراد مطلق الصيام دون وقته وقدره؟ فيه قولان.

القول الثاني أن التشبيه واقع على نفس الصوم وهو قول الجمهور، وأسنده ابن أبي حاتم والطبري عن معاذ وابن مسعود وغيرهما من الصحابة والتابعين، وزاد الضحاك «ولم يزل الصوم مشروعاً من زمن نوح وفي قوله {لعلكم تتقون} إشارة إلى أن من قبلنا كان فرض الصوم عليهم من قبيل الآصار والأثقال التي كلفوا بها، وأما هذه الأمة فتكليفها بالصوم ليكون سبباً لاتقاء المعاصي وحائلاً بينهم وبينها، فعلى هذا المفعول المحذوف يقدر بالمعاصي أو بالمنهيات.

واستدل بهذا الحديث على أن صيام عاشوراء كان مفترضاً قبل أن ينزل فرض رمضان ثم نسخ، وقد تقدم القول فيه مبسوطاً في أواخر كتاب الصيام، وإيراد هذا الحديث في هذه الترجمة يشعر بأن المصنف كان يميل إلى ترجيح القول الثاني، ووجهه أن رمضان لو كان مشروعاً قبلنا لصامه النبي ﷺ ولم يصم عاشوراء أولا، والظاهر أن صيامه عاشوراء ما كان إلا عن توقيف، ولا يضرنا في هذه المسألة اختلافهم هل كان صومه فرضاً أو نفلا.

٢٥ ـ باب {أياماً معدودات فمن كان منكم مَريضاً أو على سفرٍ فعدَّةٌ من أيامٍ أُخَر، وعلى الذين يُطيقونهُ فديةٌ طعامُ مِسكين، فَمن تَطوَّعَ خيراً فهو خيرٌ له، وأن تَصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون}

وقال عطاءٌ: يفطِرُ من المَرَض كله كما قال اللهُ تعالى. وقال الحسنُ وإبراهيمُ في المرضع والحامل إذا خافتا على أنفُسهما أو ولدِهما تُفطِران ثم تقضيان. وأما الشيخُ الكبيرُ إذا لم يُطِقِ الصيامَ فقد أطعمَ أنسٌ بعد ما كَبِرَ عاماً أو عامين كلَّ يوم مِسكينا خُبزاً ولحمًا وأفطرَ. قِراءةُ العامة «يطيقونَه» وهو أكثر».

٤٥٠٥ ـ عن عطاء سمعَ ابن عباسٍ يَقرأ {وعلى الذين يطوَّقُونَهُ فدية طعامُ مِسكين} قال

ابنُ عباس: ليست بمنسوخة، هو الشيخُ الكبيرُ والمرأةُ الكبيرةُ لا يستطيعانِ أن يصوما فليطعمانِ مكانَ كلِّ يومٍ مسكينا».

قوله (وقال عطاء: يفطر من المرض كله كما قال الله تعالى) وصله عبد الرزاق عن ابن جريج قال: قلت لعطاء من أي وجع أفطر في رمضان؟ قال: من المرض كله، قلت: يصوم فإذا غلب عليه أفطر؟ قال: نعم.

وقد اختلف السلف في الحد الذي إذا وجده المكلّف جاز له الفطر، والذي عليه الجمهور أنه المرض الذي يبيح له التيمم مع وجود الماء، وهو ما إذا خاف على نفسه لو تمادى على الصوم أو على عضو من أعضائه أو زيادة في المرض الذي بدأ به أو تماديه.

وعن ابن سيرين: متى حصل للإنسان حال يستحق بها اسم المرض فله الفطر، وهو نحو قول عطاء.

وعن الحسن والنخعي: إذا لم يقدر على الصلاة قائما يفطر.

قوله (يطوَّقونه) وهذه قراءة ابن مسعود أيضاً، وقد وقع عند النسائي من طريق ابن أبي نجيح عن عمرو بن دينار: يطوقونه يكلفونه، وهو تفسير حسن أي يكلفون إطاقته.

قوله (قال ابن عباس: ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبيرة والمرأة الكبيرة) هذا مذهب ابن عباس، وخالفه الأكثر، وفي هذا الحديث الذي بعده ما يدل على أنها منسوخة.

وهذه القراءة تضعف تأويل من زعم أن «لا» محذوفة من القراءة المشهورة، وأن المعنى: وعلى الذين لا يطيقونه فدية.

ويثبت هذا التأويل أن الأكثر على أن الضمير في قوله {يطيقونه} للصيام فيصير تقدير الكلام وعلى الذين يطيقون الصيام فدية، والفدية لا تجب على المطيق وإنما تجب على غيره، والجواب عن ذلك أن في الكلام حذفاً تقديره: وعلى الذين يطيقون الصيام إذا أفطروا فدية، وكان هذا في أول الأمر عند الأكثر، ثم نسخ وصارت الفدية للعاجز إذا أفطر، وقد تقدم في الصيام حديث ابن أبي ليلى قال: «حدثنا أصحاب محمد لما نزل رمضان شق عليهم فكان من أطعم كل يوم مسكينا ترك الصوم ممن يطيقه، ورخص لهم في ذلك، فنسختها: وأن تصوموا خير لكم» وأما على قراءة ابن عباس فلا نسخ لأنه يجعل الفدية على من تكلف الصوم وهو لا يقدر عليه فيفطر ويكفر، وهذا الحكم باق.

وفي الحديث حجة لقول الشافعي ومن وافقه أن الشيخ الكبير ومن ذكر معه إذا شق عليهم الصوم فأفطروا فعليهم الفدية خلافاً لمالك ومن وافقه.

واختلف في الحامل والمرضع ومن أفطر لكبر ثم قوى على القضاء بعد فقال الشافعي وأحمد: يقضون ويطعمون، وقال الأوزاعي والكوفيون: لا اطعام.

٢٦ ـ باب {فمنَ شَهِدَ منكُمُ الشهرَ فلْيَصُمهُ}

٤٥٠٦ ـ عنِ ابن عمرَ رضيَ الله عنهما أنه قرأ «فديةٌ طعامُ مَساكين» قال: هي منسوخة.

٤٥٠٧ ـ عن سلمةَ قال: «لما نزَلت {وعلى الذين يُطيقونَه فدية طعامُ مِسكين} كان من أراد أن يُفطِرَ ويَفتدِيَ، حتى نزلتِ الآيةُ التي بعدَها فنسختْها».

قوله (قال هي منسوخة) هو صريح في دعوى النسخ ورجحه ابن المنذر من جهة قوله {وأن تصوموا خير لكم} قال لأنها لو كانت في الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصيام لم يناسب أن يقال له (وأن تصوموا خير لكم) مع أنه لا يطيق الصيام.

٢٧ ـ باب {أُحلَّ لكم ليلةَ الصيام الرَفثُ إلى نسائكم هنَّ لِباسٌ لكم وأنتم لِباسٌ لهنّ، علمَ اللهُ أنكم كنتم تختانونَ أنفُسَكم فتابَ عليكم وعَفا عنكم، فالآنَ باشِروهنَّ وابتَغوا ما كتبَ اللهُ لكم}

٤٥٠٨ ـ عن أبي إسحاقَ قال: سمعت البَراءَ رضيَ الله عنه «لما نزلَ صومُ رمضان كانوا لا يقرَبونَ النساءَ رمضانَ كلَّه، وكان رجالٌ يَخونونَ أنفسَهم، فأنزَل اللهُ {علم اللهُ أنكم كنتم تَختانونَ أنفُسَكم فتابَ عليكم وعَفا عنكم}».

قوله (لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء) قد تقدم في كتاب الصيام من حديث البراء أيضاً أنهم كانوا لا يأكلون ولا يشربون إذا ناموا، وأن الآية نزلت في ذلك، وبينت هناك أن الآية نزلت في الأمرين معا، وظاهر سياق حديث الباب أن الجماع كان ممنوعا في جميع الليل والنهار، بخلاف الأكل والشرب فكان مأذونا فيه ليلا ما لم يحصل النوم، لكن بقية الأحاديث الواردة في هذا المعنى تدل على عدم الفرق كما سأذكرها بعد، فيحمل قوله «كانوا لا يقربون النساء» على الغالب جمعاً بين الأخبار.

٢٨ ـ باب {وكلوا واشربَوا حتى يَتبيَّنَ لكمُ الخيطُ الأبيضُ منَ الخيطِ الأسود منَ الفَجر، ثمَّ أتمُّوا الصيامَ إلَى الليل، ولا تُباشروهنَّ وأنتم عاكفونَ في المساجد -إلى قوله- تتَّقونَ}

العاكِف: المقيم

٤٥٠٩ ـ عن عَديٍّ قال: أخذ عديٌّ عِقالاً أبيضَ وعقالاً أسودَ، حتى كان بعضُ الليلِ نَظرَ

فلم يستبينا. فلما أصبحَ قال: يا رسولَ الله، جعلتُ تحت وسادي. قال: إنَّ وِسادك إذا لَعَريضٌ أن كان الخيطُ الأبيضُ والأسود تحتَ وِسادَتك».

٤٥١٠ - عن عديٍّ بن حاتمٍ رضيَ الله عنه قال: «قلتُ يا رسولَ الله ما الخيطُ الأبيضُ منَ الخيطِ الأسود، أهُما الخيطان؟ قال: إنك لَعَريضُ القَفا إن أبصرتَ الخيطين. ثم قال: لا، بل هوَ سَوادُ الليلِ وبياض النهار».

٤٥١١ - عن سهل بن سعدٍ قال: «أُنزِلَت {وكلوا واشرَبوا حتي يتبينَ لكم الخيطُ الأبيضُ منَ الخيطِ الأسود} ولم يَنزل {منَ الفجر} وكان رجالٌ إذا أرادوا الصومَ ربط أحدُهم في رِجلَيه الخيطَ الأبيضَ والخيطَ الأسود، ولا يزال يأكلُ حتى يَتبيَّنَ له رؤيتُهما، فأنزلَ اللهُ بعدَه {منَ الفجر} فعلموا أنما يعني الليلَ منَ النهار».

٢٩ - باب {وليسَ البرُّ بأن تأتوا البيوتَ من ظهورها، ولكنَّ البِّرَ منِ اتقى، وأتُوا البيوتَ من أبوابها، واتقوا اللهَ لعَلَّكم تُفلحون}

٤٥١٢ - عن البراءِ قال: «كانوا إذا أحرَموا في الجاهلية أتَوُا البيتَ من ظَهرهِ، فأنزلَ الله {وليس البِرُّ بأن تأتوا البيوتَ من ظُهورِها، ولكنَّ البرَّ منِ اتقى وأتوا البيوتَ مِن أبوابها}».

٣٠ - باب {وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنة، ويكونَ الدِّينُ لله فإنِ انْتَهَوا فلا عُدوانَ إلاّ عَلى الظالمين}

٤٥١٣ - عن ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما أتاهُ رجُلانِ في فتنةِ ابن الزُّبير فقالا: إنَّ الناسَ قد ضُيِّعوا وأنت ابن عمرَ وصاحبُ النبيِّ ﷺ، فما يمنعك أن تَخرُجَ؟ فقال: يمنعني أنَّ اللهَ حرَّم دمَ أخي. فقالا: ألم يَقلِ الله {وقاتِلوهم حتى لا تكونَ فتنة؟} فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تُقاتِلوا حتى تكون فتنة ويكون الدِّين لغير الله».

٤٥١٤ - عن نافع «أنَّ رجلاً أتى ابنَ عمر فقال: يا أبا عبدِ الرحمن ما حَملك على أن تحجَّ عاماً وتعتمرَ عاماً وتتركَ الجهادَ في سبيلِ الله عزَّ وجل وقد علِمتَ ما رغَّبَ الله فيه؟ قال: يا ابنَ أخي، بُنيَ الإسلامُ على خمس: إيمانٍ باللهِ ورسوله، والصلواتِ الخمس، وصيام رمضانَ وأداء الزكاة، وحجِّ البيت. قال: يا أبا عبد الرحمن. ألا تسمعُ ما ذكرَ اللهُ في كتابه {وإن طائفتانِ منَ المؤمنينَ اقتَتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بَغَت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تَبغي حتى تَفيءَ إلى أمرِ الله}، {قَاتِلوهم حتى لا تَكونَ فتنة} قال: فعلنا على عهدِ رسولِ الله ﷺ وكان الإسلامُ قليلا، فكان الرجلُ، يفتَنُ في دِينه: إما قَتلوهُ، وإما يعذبونه، حتى كثر الإسلامُ فلم تكن فتنة».

٤٥١٥ - «قال: فما قولك: في عليٍّ وعثمان؟ قال: أما عثمان فكان الله عَفا عنه، وأما أنتم فكرِهتم أن يَعفوَ عنه. وأما عليٌّ فابن عمِّ رسولِ الله ﷺ وختنه -وأشار بيده فقال-

هذا بيتُه حيث ترون».

قوله (أتاه رجلان) تقدم في مناقب عثمان أن اسم أحدهما العلاء بن عرار واسم الآخر حبان السلمي.

قوله (في فتنة ابن الزبير) في رواية سعيد بن منصور: أن ذلك عام نزول الحجاج بابن الزبير، فيكون المراد بفتنة ابن الزبير ما وقع في آخر أمره، وكان نزول الحجاج وهو ابن يوسف الثقفي من قِبَل عبد الملك بن مروان جهزه لقتال عبد الله بن الزبير وهو بمكة في أواخر سنة ثلاث وسبعين وقتل عبد الله بن الزبير في آخر تلك السنة، ومات عبد الله بن عمر في أول سنة أربع وسبعين كما تقدمت الإشارة إليه في «باب العيدين».

قوله (أن الناس قد ضُيِّعوا) أي صنعوا ما ترى من الاختلاف.

قوله (ما حملك على أن تحج عاماً وتعتمر عاماً وتترك الجهاد في سبيل الله[1]) أطلق على قتال من يخرج عن طاعة الإمام جهاداً وسوى بينه وبين جهاد الكفار بحسب اعتقاده وإن كان الصواب عند غيره خلافه، وأن الذي ورد في الترغيب في الجهاد خاص بقتال الكفار، بخلاف قتال البغاة فإنه وإن كان مشروعاً لكنه لا يصل الثواب فيه إلى ثواب من قاتل الكفار، ولا سيما إن كان الحامل إيثار الدنيا.

قوله (وختنه) قال الأصمعي: الأختان من قبل المرأة، والأحماء من قبل الزوج، والصهر جمعهما.

٣١ - باب {وأنفقوا في سبيلِ الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التَّهلُكة، وأحسِنوا إنَّ اللهَ يحبُّ المحسنين}

التهلكة والهلاك واحد

٤٥١٦ - عن حُذيفةَ «{وأنفِقوا في سبيلِ الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التَهلُكة} قال: نزلت في النفقة».

قوله (التهلكة والهلاك واحد) هو تفسير أبي عبيدة.

ثم ذكر المصنف حديث حذيفة في هذه الآية قال: نزلت في النفقة، أي في ترك النفقة في سبيل الله عز وجل، وهذا الذي قاله حذيفة جاء مفسراً في حديث أبي أيوب الذي أخرجه مسلم والنسائي وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم من طريق أسلم بن عمران قال: «كنا بالقسطنطينية، فخرج صف عظيم من الروم، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، ثم رجع مقبلا. فصاح الناس: سبحان الله، ألقى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب: أيها الناس، إنكم تؤولون هذه الآية على هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار: إنا لما أعز الله دينه وكثر ناصروه قلنا بيننا سرا: إن أموالنا قد ضاعت،

(١) رواية الباب واليونينية "في سبيل الله عز وجل".

فلو أنا أقمنا فيها وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله هذه الآية، فكانت التهلكة الإقامة التي أردناها. وصح عن ابن عباس وجماعة من التابعين نحو ذلـ في تأويل الآية.

وروى ابن جرير وابن المنذر بإسناد صحيح عن مدرك بن عوف قال: «إني لعند عمر، فقلت: إن لي جاراً رمى بنفسه في الحرب فقتل، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال عمر: كذبوا، لكنه اشترى الآخرة بالدنيا».

وأما مسألة حمل الواحد على العدد الكثير من العدو فصرح الجمهور بأنه إن كان لفرط شجاعته وظنه أنه يرهب العدو بذلك أو يجرِّىء المسلمين عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الصحيحة فهو حسن، ومتى كان مجرد تهور فممنوع، ولا سيما إن ترتب على ذلك وهن في المسلمين، والله أعلم.

٣٢ ـ باب {فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه}

٤٥١٧ ـ عن عبدِ الله بن مَعقلٍ قال: «قَعدتُ إلى كَعبِ بن عُجرةَ في هذا المسجد -يعني مسجدَ الكوفة- فسألتهُ عن «فِديةٌ من صِيام» فقال: حُملتُ إلى النبيِّ ﷺ والقملُ يَتناثرُ على وَجهي، فقال: ما كنتُ أرى أن الجَهدَ قد بلغَ بك هذا، أما تجدُ شاةً؟ قلت: لا. قال: صُم ثلاثةَ أيام، أو أطعِم ستةَ مساكينَ لكلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ من طعام، واحلِقْ رأسَك فنزلَتْ فيَّ خاصةً، وهي لكم عامَّة».

قوله (باب قوله تعالى[1]: فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه) ذكر فيه حديث كعب بن عجرة في سبب نزول هذه الآية، وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الحج[2].

٣٣ ـ باب {فمن تمتّع بالعُمرة إلى الحجّ}

٤٥١٨ ـ عن عِمرانَ بن حُصَينٍ رضيَ الله عنهما قال: «أنزلَت آيةُ المتعةِ في كتاب الله، ففعلناها مع رسولِ الله ﷺ، ولم يُنزَلْ قرآنٌ يُحرِّمه، ولم يُنهَ عنها حتى مات، قال رجلٌ برأيهِ ما شاء».

قوله (باب فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) ذكر فيه حديث عمران بن حصين «أنزلت أية المتعة في كتاب الله» يعني متعة الحج، وقد تقدم شرحه وأن المراد بالرجل في قوله هنا: «قال رجل برأيه ما شاء» هو عمر.

٣٤ ـ باب {ليس عليكم جُناحٌ أن تَبتَغوا فضلاً من ربِّكم}

٤٥١٩ ـ عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما قال: «كانت عُكاظٌ ومَجَنَّةُ وذو المَجازِ أسواقاً في الجاهلية، فتأثَّموا أن يَتَّجِروا في المواسم، فنزلَت {ليس عليكم جُناحٌ أن تَبتَغوا فضلاً من ربكم} في مواسم الحج».

---

(١) رواية المتن "باب فمن كان منكم ...." بدون ذكر "قوله تعالى" وبدون التبويب في اليونينية.

(٢) كتاب المحصر باب / ٥ ح ١٨١٤ - ٢ / ١١٢

قوله (باب ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) ذكر فيه حديث ابن عباس، وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الحج[١].

٣٥ ـ باب {ثمَّ أفيضوا من حيثُ أفاضَ الناس}

٤٥٢٠ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها «كانت قريش ومَن دانَ دِينها يَقفونَ بالمزدَلفة، وكانوا يُسمَّوْنَ الحُمْسَ؛ وكان سائرُ العرب يَقفونَ بعرفات، فلما جاء الإسلامُ أمر اللهُ نَبيَّهُ ﷺ أن يأتيَ عرفاتٍ ثم يقف بها ثم يُفيضُ منها، فذلك قوله تعالى {ثمَّ أفِيضوا من حيث أفاضَ الناس}».

٤٥٢١ ـ عن ابن عباسٍ قال: «يَطوفُ الرجلُ بالبيت ما كان حَلالاً حتى يُهلَّ بالحج، فإذا ركب إلى عرفةَ فمن تيسَّر له هَديَّةٌ منَ الإبلِ أوِ البقرِ أو الغنم ما تيسَّرَ له من ذلك أيَّ ذلك شاء، غيرَ إن لم يَتيسَّرْ له فعليه ثلاثة أيام في الحج، وذلك قبلَ يوم عرفةَ، فإن كان آخرُ يومٍ منَ الأيام الثلاثة يومَ عرفة فلا جُناحَ عليه، ثم لِيَنطلِق، حتى يقفَ بعرفاتٍ من صلاة العصرِ إلى أن يكونَ الظلامُ ثمَّ ليدفعوا من عرفاتٍ، فإذا أفاضوا منها حتى يبلُغوا جَمْعاً الذي يُتَبرَّرُ فيه، ثم لِيَذكروا اللهَ كثيرا، أو أكثِروا التكبيرَ والتهليلَ قبلَ أن تُصبِحوا، ثم أفيضوا فإن الناس كانوا يُفيضون، وقال اللهُ تعالى {ثم أفِيضوا مِن حيثُ أفاضَ الناس، واستَغفِروا اللهَ، إن اللهَ غفورٌ رَحيم} حتى تَرمُوا الجَمرةَ».

قوله (باب ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) ذكر فيه حديث عائشة «كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة» الحديث، وقد تقدم شرحه في كتاب الحج[٢] أيضاً.

قوله (يطوف الرجل بالبيت ما كان حلالاً) أي المقيم بمكة، والذي دخل بعمرة وتحلل منها.

قوله (فعليه ثلاثة أيام في الحج، وذلك قبل يوم عرفة) هو تقييد من ابن عباس لما أطلق في الآية.

قوله (ثم لينطلق) وقوله «من صلاة العصرِ إلى أن يكون الظلام» أي يحصل الظلام بغروب الشمس، وقوله «من صلاة العصر» يحتمل أن يريد من أول وقتها، وذلك عند مصير الظل مثله، وكان ذلك الوقت بعد ذهاب القائلة وتمام الراحة ليقف بنشاط، ويحتمل أن يريد من بعد صلاتها، وهي ت ﷺ عقب صلاة الظهر جمع تقديم ويقع الوقوف عقب ذلك، ففيه إشارة إلى أول مشروعية الوقوف، وأما قوله ويختلط الظلام ففيه إشارة إلى الأخذ بالأفضل، وإلا فوقت الوقوف يمتد إلى الفجر.

قوله (حتى يبلغوا جمعا) وهو المزدلفة.

قوله (يتبرر) أي يطلب فيه البر.

---

(١) كتاب المحصر باب / ٥ ح ١٨١٤ - ٢ / ١١٢.
(٢) كتاب الحج باب / ١٥٠ ح ١٧٧٠ - ٢ / ٩٧.

٣٦ ـ باب {ومنهم من يقول ربَّنا آتنا في الدُّنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً، وقنا عذابَ النار}

٤٥٢٢ ـ عن أنسٍ قال: «كان النَّبيُّ ﷺ يقولَ: اللهم {ربنا آتِنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرةِ حسنةً، وقنا عذابَ النار}».

[الحديث ٤٥٢٢ - طرفه في: ٦٣٨٩]

قوله (باب ومنهم من يقول {ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة} الآية) ذكر فيه حديث أنس في قوله ذلك، وسيأتي بأتم من هذا في كتاب الدعوات.

٣٧ ـ باب {وهوَ ألدُّ الخصام}. وقال عطاء: النسل الحيوان

٤٥٢٣ ـ عن عائشةَ ترفعهُ قال: «أبغَضُ الرِّجالِ إلى الله الألدُّ الخَصِمِ».

قوله (باب وهو ألدُّ الخصام) ألد أفعل تفضيل من اللدد وهو شدة الخصومة، والخصام جمع خصم وزن كلب وكلاب، والمعنى وهو أشد المخاصمين مخاصمة، ويحتمل أن يكون مصدراً تقول خاصم خصاماً كقاتل قتالاً، والتقدير وخاصمه أشد الخصام، أو هو أشد ذوي الخصام مخاصمة.

قوله (الألد الخصم) أي الشديد اللدد الكثير الخصومة، وسيأتي شرح الحديث في كتاب الأحكام[1].

٣٨ ـ باب {أم حَسبتم أن تدخلوا الجنةَ ولمّا يأتكم مَثَلُ الذينَ خَلَوا مِن قَبْلكُمَ مستهُم البأساءُ والضراءُ -إلى قريب}

٤٥٢٤ ـ عن ابن عبّاسٍ رضيَ الله عنهما قال: {حتى إذا استَيأسَ الرُّسُلُ وظنُّوا أنهم قد كُذِبوا} خفيفة، ذهَبَ بها هناكَ وتلا: {حتى يقولَ الرسولُ والذين آمنوا معهُ متى نصرُ الله؟ ألا إن نصرَ الله قريب} فلقيتُ عروةَ بن الزُّبير فذكرت له ذلك».

٤٥٢٥ ـ «فقال: قالت عائشةُ: مَعَاذَ الله، والله ما وعدَ اللهُ رسوله من شيءٍ قطُّ إلاّ علمَ أنهُ كائنٌ قبلَ أن يموتَ، ولكن لم يَزَلِ البَلاءُ بالرُّسُلِ حتى خافوا أن يكونَ مَن معهم يكذبونهم. فكانت تقرَؤها {وظنُّوا أنهم قد كُذِّبوا} مُثقلة».

قوله ({أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم} الآية) ذكر فيه حديث ابن أبي مليكة عن ابن عباس، وحديثه عن عروة عن عائشة في قوله {حتى إذا استيأس الرسل}، وسيأتي شرحه في تفسير سورة يوسف[2] إن شاء الله تعالى.

---

(١) كتاب الأحكام باب / ٣٤ ح ٧١٨٨ - ٥ / ٤٤٩.

(٢) كتاب التفسير "يوسف" باب ٦ ح ٤٦٩٥ - ٣ / ٥٧١.

٣٩ ـ باب
{نساؤكم حَرثٌ لكم، فأتوا حَرثَكم أنَّى شئتم، وقدِّموا لأنفُسكم} الآية

٤٥٢٦ ـ عن نافعٍ قال: «كان ابن عمرَ رضيَ الله عنهما إذا قرأ القرآنَ لم يتكلم حتى يَفرُغَ منه، فأخذتُ عليه يوماً، فقرأ سورَةَ البقرةِ حتى انتهى إلى مكانٍ قال: تدري فيمَ أنزِلت؟، قلت: لا. قال: أنزِلت في كذا وكذا. ثمَّ مضى».

[الحديث ٤٥٢٦ – طرفه في: ٤٥٢٧]

٤٥٢٧ ـ عن ابن عمرَ «{فأتوا حَرثَكم أنى شئتم} قال: يأتيها في. رواه محمدُ بن يحيى بنِ سعيدٍ عن أبيه عن عُبيدِ الله عن نافعٍ عن ابن عمرَ».

٤٥٢٨ ـ عن جابرٍ رضيَ الله عنه قال: «كانتِ اليهودُ تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولدُ أحولَ، فنزلَت {نساؤكم حرثٌ لكم، فأتوا حَرثَكم أنَّى شئتم}».

قوله (باب نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) اختلف في معنى {أنَّى} فقيل كيف، وقيل حيث وقيل متى، وبحسب هذا الاختلاف جاء الاختلاف في تأويل الآية.

قوله (فأخذت عليه يوماً) أي امسكت المصحف وهو يقرأ عن ظهر قلب.

قوله (رواه محمد بن يحيى بن سعيد) أي القطان (عن أبيه عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر) وأما رواية محمد بن يحيى بن سعيد القطان فوصلها الطبراني في «الأوسط» من طريق أبي بكر الأعين عن محمد بن يحيى المذكور بالسند المذكور إلى ابن عمر قال: «إنما نزلت على رسول الله ﷺ {نساؤكم حرث لكم} رخصة في إتيان الدبر، قال الطبراني: لم يروه عن عبد الله بن عمر إلا يحيى بن سعيد، تفرد به ابنه محمد، كذا قال، ولم يتفرد به يحيى بن سعيد فقد رواه عبد العزيز الدراوردي عن عبيد الله بن عمر أيضاً، وقد روى هذا الحديث عن نافع أيضاً جماعة غير من ذكرنا ورواياتهم بذلك ثابتة عند ابن مردويه في تفسيره.

وقد عاب الإسماعيلي صنيع البخاري فقال: جميع ما أخرج عن ابن عمر مبهم لا فائدة فيه، وقد رويناه عن عبد العزيز -يعني الدراوردي- عن مالك وعبيد الله بن عمر وابن أبي ذئب ثلاثتهم عن نافع بالتفسير، وعن مالك من عدة أوجه اهـ. كلامه.

ورواية الدراوردي المذكورة قد أخرجها الدارقطني في «غرائب مالك» من طريقه عن الثلاثة عن نافع نحو رواية ابن عون عنه ولفظه «نزلت في رجل من الأنصار أصاب امرأته في دبرها، فأعظم الناس ذلك فنزلت. قال فقلت له من دبرها في قبلها، فقال: لا إلا في دبرها». وتابع نافعاً على ذلك زيد بن أسلم عن ابن عمر وروايته عند النسائي بإسناد صحيح.

وتكلم الأزدي في بعض رواته ورد عليه ابن عبد البر فأصاب قال: ورواية ابن عمر لهذا المعنى صحيحة مشهورة من رواية نافع عنه بغير نكير أن يرويها عنه زيد بن أسلم.

قلت: وقد رواه عن عبد الله بن عبد الله بن عمر أيضاً ابنه عبد الله أخرجه النسائي أيضاً وسعيد بن يسار وسالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه مثل ما قال نافع، وروايتهما عنه عند النسائي وابن جرير ولفظه «عن عبد الرحمن بن القاسم قلت لمالك: إن ناساً يروون عن سالم: كذب العبد على أبي، فقال مالك: أشهد على زيد بن رومان أنه أخبرني عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه مثل ما قال نافع، فقلت له: إن الحارث بن يعقوب يرو عن سعيد بن يسار عن ابن عمر أنه قال: أف، أو يقول ذلك مسلم؟ فقال مالك: أشهد على ربيعة لأخبرني عن سعيد بن يسار عن ابن عمر مثل ما قال نافع. وأخرجه الدارقطني من طريق عبد الرحمن بن القاسم عن مالك وقال: هذا محفوظ عن مالك صحيح اهـ.

وروى الخطيب في «الرواة عن مالك» من طريق إسرائيل بن روح قال: سألت مالكاً عن ذلك فقال: ما أنتم قوم عرب؟ هل يكون الحرث إلا موضع الزرع؟ وعلى هذه القصة اعتمد المتأخرون من المالكية، فلعل مالكا رجع عن قوله الأول، أو كان يرى أن العمل على خلاف حديث ابن عمر فلم يعمل به، وإن كانت الرواية فيه صحيحة على قاعدته.

ولم ينفرد ابن عمر بسبب هذا النزول، فقد أخرج أبو يعلى وابن مردويه وابن جرير والطحاوي من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري «أن رجلاً أصاب امرأته في دبرها، فأنكر الناس ذلك عليه وقالوا: نعيرها، فأنزل الله عز وجل هذه الآية» وعلقه النسائي عن هشام بن سعيد عن زيد، وهذا السبب في نزول هذه الآية مشهور، وكأن حديث أبي سعيد لم يبلغ ابن عباس وبلغه حديث ابن عمر فوهمه فيه، فروى أبو داود من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: إن ابن عمر وهم والله يغفر له، إنما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يأخذون بكثير من فعلهم، وكان أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف، وذلك استر ما تكون المرأة، فأخذ ذلك الأنصار عنهم، وكان هذا الحي من قريش يتلذذون بنسائهم مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فتزوج رجل من المهاجرين امرأة من الأنصار فذهب يفعل فيها ذلك فامتنعت، فسرى أمرهما حتى بلغ رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى {نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم} مقبلات ومدبرات ومستلقيات، في الفرج» أخرجه أحمد والترمذي من وجه آخر صحيح عن ابن عباس قال: «جاء عمر فقال: يا رسول الله هلكت حولت رحلي البارحة، فنزلت هذه الآية، نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم} أقبل وأدبر، واتق الدبر والحيضة».

قال المازري: اختلف الناس في هذه المسألة وتعلق من قال بالحل بهذه الآية، وانفصل عنها من قال يحرم بأنها نزلت بالسبب الوارد في حديث جابر في الرد على اليهود، يعني كما في حديث الباب الآتي. قال: والعموم إذا خرج على سبب قصر عليه عند بعض الأصوليين، وعند الأكثر العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا يقتضي أن تكون الآية حجة في الجواز،

لكن وردت أحاديث كثيرة بالمنع فتكون مخصصة لعموم الآية، وفي تخصيص عموم القرآن ببعض خبر الآحاد خلاف اهـ.

وذهب جماعة من أئمة الحديث -كالبخاري والذهلي والبزار والنسائي وأبي علي النيسابوري- إلى أنه لا يثبت فيه شيء. قلت: لكن طرقها كثيرة فمجموعها صالح للاحتجاج به، ويؤيد القول بالتحريم أنا لو قدمنا أحاديث الإباحة للزم أنه أبيح بعد أن حرم والأصل عدمه، فمن الأحاديث الصالحة الإسناد حديث خزيمة بن ثابت أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان، وحديث أبي هريرة أخرجه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان أيضاً، وحديث ابن عباس وقد تقدمت الإشارة إليه، وأخرجه الترمذي من وجه آخر بلفظ «لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في الدبر» وصححه ابن حبان أيضاً. وإذا كان ذلك صلح أن يخصص عموم الآية ويحمل على الإتيان في غير هذا المحل بناء على أن معنى «أنى» حيث وهو المتبادر إلى السياق، ويغني ذلك عن حملها على معنى آخر غير المتبادر، والله أعلم.

٤٠ ـ باب {وإذا طلقتُمُ النساءَ فبلغنَ أجلَهُنَّ فلا تَعضُلوهُنَّ أن يَنْكحْنَ أزواجَهُنَّ}

٤٥٢٩ ـ عن الحسن «أن أختَ مَعقِلِ بنِ يسارٍ طَلَّقها زوجُها، فتركها حتى انقضَتْ عِدتُها فخطَبها فأبى معقلٌ، فنزلت {فلا تَعضُلوهُنَّ أن يَنْكِحْنَ أزواجَهُنَّ}».

[الحديث ٤٥٢٩ ـ أطرافه في: ٥١٣٠، ٥٣٣٠، ٥٣٣١]

قوله (باب وإذا طلقتم النساء فبلغن أَجَلَهُنَّ فلا تعضُلوهن أن ينكحن أزواجهن) اتفق أهل التفسير على أن المخاطب بذلك الأولياء، ذكره ابن جرير وغيره. وروى ابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هي في الرجل يطلق امرأته فتنقضي عدتها، فيبدو له أن يراجعها وتريد المرأة ذلك فيمنعه وليها. ثم ذكر المصنف حديث معقل بن يسار في سبب نزول الآية، لكنه ساقه مختصراً، وقد أورده في النكاح بتمامه وسيأتي شرحه هناك[1] إن شاء الله تعالى.

٤١ ـ باب {والذين يُتوفَونَ منكم ويَذَرونَ أزواجاً يَتربَّصْنَ بأنفسهن أربعةَ أشهر وَعشْرا -إلى- بما تعملون خبير}

يَعفُون: يَهَبْن.

٤٥٣٠ ـ عن ابنِ الزُّبيرِ قال: قلتُ لعثمانَ بن عفان {والذينَ يُتوَفَّونَ منكم ويذَرُونَ أزواجاً} قال: قد نَسختها الآيةُ الأخرى. فَلِمَ تكتُبُها أو تَدَعُها. قال: يا ابنَ أخي، لا أُغيِّرُ

(١) كتاب النكاح باب / ٣٦ ح ٥١٣٠ - ٤ / ٦٦

شيئاً منه من مكانه».

[الحديث ٤٥٣٠ - طرفه في: ٤٥٣٦]

٤٥٣١- عن مجاهدٍ {والذينَ يُتوَفون منكم ويَذَرونَ أزواجاً} قال: كانت هذهِ العدةُ، تَعتدُّ عند أهل زوجها واجبٌ. فأنزلَ الله {والذين يُتوَفون منكم ويَذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم مَتاعاً إلى الحولِ غيرَ إخراج، فإن خرَجنَ فلا جُناحَ عليكم فيما فَعلنَ في أنفسِهنَّ من مَعروف} قال: جعلَ اللهُ لها تمامَ السَّنَةِ سبعةَ أشهر وعشرين ليلةً وصيةً، إن شاءت سَكَنت في وصيتِها، وإن شاءت خَرَجت، وهو قول اللهِ تعالى {غيرَ إخراج، فإن خرَجن فلا جُناحَ عليكم} فالعدَّةُ كما هي واجبٌ عليها، زعمَ ذلك عن مجاهد. وقال عطاءٌ: قال ابن عباس: نسخت هذه الآية عدَّتها عند أهلها، فتعتد حيث شاءَت وهو قول الله تعالى {غير إخراج} قال عطاء: إن شاءت اعتدت عند أهلهِ وسَكَنت في وصيتها، وإن شاءت خرَجت، لقول الله تعالى {فلا جُناحَ عليكم فيما فعلن} قال عطاء: ثم جاء الميراثُ فنسَخَ السُّكنى، فتعتدُّ حيث شاءت ولا سُكنى لها.

[الحديث ٤٥٣١ - طرفه في: ٥٣٤٤]

٤٥٣٢ ـ عن محمدِ بن سيرين قال: «جلستُ إلى مجلسٍ فيه عُظْمٌ من الأنصار وفيهم عبد الرحمن بن أبي ليلى، فذكرتُ حديث عبدِ الله بن عُتبةَ في شأنِ سُبَيعةَ بنتِ الحارث، فقال عبدُ الرحمن: ولكن عمهُ كان لا يقولُ ذلك، فقلتُ: إني لجرئ إن كذبتُ على رجلٍ في جانب الكوفة. ورفع صوتَه. قال: ثمَّ خرجتُ فلقيتُ مالكَ بن عامر -أو مالكَ بن عوفٍ- قلت: كيفَ كان قولُ ابن مسعودٍ في المتوفى عنها زوجُها وهي حامل؟ فقال: قال ابن مسعود: أتجعلونَ عليها التغليظَ ولا تجعلونَ لها الرُّخصةَ؟ لنَزلَت سورةُ النساءِ القُصْرَى بعدَ الطُّولى».

[الحديث ٤٥٣٢ - طرفه في:٤٩١٠]

قوله (فَلِمَ تكتبها أو تدعها) كذا في الأصول بصيغة الاستفهام الإنكاري كأنه قال: لم تكتبها وقد عرفت أنها منسوخة، أو قال لم تدعها أي تتركها مكتوبة، وهو شك من الراوي أي اللفظين قال، ووقع في الرواية الآتية بعد بابين «فَلم تكتبها؟ قال تدعها يا ابن أخي» وفي رواية الإسماعيلي «لم تكتبها وقد نسختها الآية الأخرى» وهو يؤيد التقدير الذي ذكرته، وله من رواية أخرى «قلت لعثمان: هذه الآية {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج} قال: نسختها الآية الأخرى. قلت: تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير منها شيئاً عن مكانه». وهذا السياق أولى من الذي قبله. أو للتخيير لا للشك.

وفي جواب عثمان هذا دليل على أن ترتيب الآي توقيفي. وكأن عبد الله بن الزبير ظن أن

الذي ينسخ حكمه لا يكتب، فأجابه عثمان بأن ذلك ليس بلازم والمتبع فيه التوقف، وله فوائد: منها ثواب التلاوة، والامتثال، على أن من السلف من ذهب إلى أنها ليست منسوخة وإنما خص من الحول بعضه وبقي البعض وصية لها إن شاءت أقامت كما في الباب عن مجاهد، لكن الجمهور على خلافه. وهذا الموضع مما وقع فيه الناسخ مقدماً في ترتيب التلاوة على المنسوخ.

٤٢ - باب {حافظوا على الصلوات والصلاة الوُسطى}

٤٥٣٣ - عن علي رضيَ الله عنه «أنَّ النبيَّ ﷺ قال: يومَ الخندقِ: حَبَسونا عن صلاة الوسطى حتى غابتِ الشمس، مَلأَ اللهُ قبورَهم وبيوتَهم -أو أجوافهم- ناراً».

قوله (باب حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) هي تأنيث الأوسط، والأوسط: الأعدل من كل شيء.

قوله (حبسونا عن صلاة الوسطى) أي منعونا عن الصلاة الوسطى أي عن إيقاعها، زاد مسلم «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» وزاد في آخره «ثم صلاها بين المغرب والعشاء».

وقد اختلف السلف في المراد بالصلاة الوسطى، وجمع الدمياطي في ذلك جزءاً مشهوراً سماه «كشف الغطا عن الصلاة الوسطى» فبلغ تسعة عشر قولا: أحدها الصبح أو الظهر أو العصر أو المغرب أو جميع الصلوات.

والثالث قول علي بن أبي طالب فقد روى الترمذي والنسائي من طريق زر بن حبيش قال: «قلنا لعبيدة سل علياً عن الصلاة الوسطى، فسأله فقال: كنا نرى أنها الصبح، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الأحزاب «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» انتهى. وهذه الرواية تدفع دعوى من زعم أن قوله صلاة العصر مدرج من تفسير بعض الرواة وهي نص في أن كونها العصر من كلام النبي ﷺ، وأن شبهة من قال إنها الصبح قوية، لكن كونها العصر هو المعتمد، وبه قال ابن مسعود وأبو هريرة، وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة وقول أحمد والذي صار إليه معظم الشافعية لصحة الحديث فيه، قال الترمذي: هو قول أكثر علماء الصحابة. وقال الماوردي: هو قول جمهور التابعين. وقال ابن عبد البر: هو قول أكثر أهل الأثر.

٤٣ - باب {وقوموا لله قانتين} أي مُطيعين

٤٥٣٤ - عن زيدِ بن أرقمَ قال: «كنا نتكلمُ في الصلاةِ يُكلِّم أحدُنا أخاهُ في حاجتِه، حتى نزلَت هذه الآية {حافِظوا على الصلواتِ والصلاةِ الوسطى، وقوموا لله قانِتين} فأُمِرْنا بالسُّكوت».

قوله (باب وقوموا لله قانتين، أي مطيعين) هو تفسير ابن مسعود أخرجه ابن أبي حاتم

بإسناد صحيح، ونقله أيضاً عن ابن عباس وجماعة من التابعين.

وذكر من وجه آخر عن ابن عباس قال: قانتين أي مصلين.

وعن مجاهد قال: من القنوت الركوع والخشوع وطول القيام وغض البصر وخفض الجناح والرهبة لله.

وأصح ما دل عليه حديث الباب -هو حديث زيد بن أرقم- في أن المراد بالقنوت في الآية السكوت، وقد تقدم شرحه في أبواب العمل في الصلاة من أواخر كتاب الصلاة[١]، والمراد به السكوت عن كلام الناس لا مطلق الصمت، لأن الصلاة لا صمت فيها بل جميعها قرآن وذكر، والله أعلم.

٤٤ ـ باب {فإن خفْتم فرجالاً أو رُكباناً، فإذا أمنْتم فاذكروا اللهَ كماَ علَّمكَم ما لم تكونوا تعلمون}

وقال ابن جُبير: كرسيُّه: علمُهُ. يقال: بَسْطةً: زيادةً وفضلا. أفرِغْ: أنْزِل. ولا يَئودُه لا يُثقله، آدَني: أثقلني والآدُ والأيدُ: القوَّة. السِّنةُ: النعاس، لم يَتسنَّه لم يَتغير. فبُهِتَ: ذهبَت حجَّتُه. خاوِيَة: لا أنيسَ فيها. عروشُها: أبنيتها. نُنشِزُها: نخرجها، إعصار: ريح عاصف تهُبُّ من الأرض إلى السماء كعمود فيه نار. وقال ابن عباس: صَلْداً: ليس عليه شيء. وقال عِكرمة: وابلٌ: مطر شديد. الطلُّ: الندَى. وهذا مَثَلُ عمل المؤمن. يتسنه: يتغير.

٤٥٣٥ ـ عن نافع «أن عبدَ الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما كان إذا سُئلَ عن صلاةِ الخوفِ قال يتقدَّمُ الإمامُ وطائفةٌ منَ الناس، فيصلِّي بهم الإمامُ ركعةً وتكونُ طائفةٌ منهم بينهم وبينَ العدو لم يُصلُّوا فإذا صلَّى الذين معه ركعةً استأخروا مكان الذين لم يُصلُّوا ولا يسلمون، ويتقدم الذين لم يُصلُّوا فيُصلونَ معه ركعةً، ثم يَنصرفُ الإمامُ وقد صلَّى ركعتَين، فيقوم كلُّ واحدٍ من الطائفتَين فيصلون لأنفُسِهم ركعةً بعدَ أن يَنصرفَ الإمام، فيكون كل واحدٍ منَ الطائفتَينِ قد صلَّى ركعتين. فإن كان خَوف هو أشد من ذلك صلُّوا رِجالاً قياماً على أقدامِهم أو رُكباناً مُستقبِلي القبلةَ أو غيرَ مُستقبليها».

قال مالك قال نافع: لا أرَى عبدَ الله بن عمرَ ذكرَ ذلك إلا عن رسولِ الله ﷺ.

قوله (وقال ابن جبير: كرسيه علمه) وصله سفيان الثوري في تفسيره في رواية أبي حذيفة عنه بإسناد صحيح، وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من وجه آخر عن سعيد بن جبير فزاد فيه «عن ابن عباس».

وهو عند الطبراني في «كتاب السنة» من هذا الوجه مرفوعاً، وكذا، رويناه في «فوائد أبي الحسن علي بن عمر الحربي» مرفوعاً والموقوف أشبه، وقال العقيلي: إن رفعه خطأ، ثم هذا التفسير غريب، وقد روى ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباسٍ أن الكرسي موضع

(١) كتاب العمل في الصلاة باب / ٢ ح ١٢٠٠ - ١ / ٦٠٧.

القدمين. وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسى مثله.

قوله (ولا يئوده: لا يثقله) هو تفسير ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله (السِّنة النعاس) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله (لم يتسنه لم يتغير) أخرجه ابن أبي حاتم من وجهين عن ابن عباس.

وفي قراءة يعقوب «لم يتسنَّ» أي لم تمض عليه السنون الماضية كأنه ابن ليلة.

(تكملة): استدل بهذه الآية بعض أئمة الأصول على مشروعية القياس بأنها تضمنت قياس إحياء هذه القرية وأهلها وعمارتها لما فيها من الرزق بعد خرابها على إحياء هذا المار وإحياء حماره بعد موتهما بما كان مع المار من الرزق.

قوله (وقال ابن عباس صلداً: ليس عليه شيء) وروى ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس قال: فتركه يابساً لا ينبت شيئاً.

٤٥ ـ باب {والذين يُتَوفَّوْن منكم ويَذَرون أزواجاً}

٤٥٣٦ ـ قال ابن الزُبيرِ قلتُ لعثمانَ: هذه الآيةُ التي في البقرة {والذين يُتوَفون منكم ويذَرون أزواجاً -إلى قوله- غيرَ إخراج} قد نسختها الأخرى فلم تَكتُبها؟ قال: تدَعها يا ابنَ أخي، لا أغيِّر شيئاً منه من مكانه»، ذكر فيه حديث ابن الزبير مع عثمان وقد تقدم قبل بابين.

٤٦ ـ باب {وإذ قال إبراهيم ربِّ أرِني كيفَ تُحيي الموتى}

٤٥٣٧ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «نحن أحقُّ بالشكّ من إبراهيمَ إذ قال: {ربِّ أرِني كيف تحيي الموتى، قال: أوَلَم تُؤمِن؟ قال: بلى ولكن ليَطمئنَ قلبي}».

قوله (باب وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى، فصرهن: قطعهن) وقد أخرجه ابن أبي حاتم من وجهين عن ابن عباس، ومن طرق عن جماعة من التابعين، ومن وجه آخر عن ابن عباس قال: صرهن أي أوثقهن ثم اذبحهن. وقد اختلف نقلة القراآت في ضبط هذه اللفظة عن ابن عباس فقيل: بكسر أوله كقراءة حمزة، وقيل بضمه كقراءة الجمهور.

ثم ذكر حديث أبي هريرة «نحن أحق بالشك من إبراهيم» وقد تقدم شرحه مستوفى في أحاديث الأنبياء[١].

٤٧ ـ باب قوله {أيَوَدُّ أحدكم أن تكونَ لهُ جنَّة -إلى قوله- تتفكرون}

٤٥٣٨ ـ عن عبيدِ بن عميرٍ قال: «قال عمرُ رضيَ الله عنه يوماً لأصحابِ النبيِّ ﷺ: فيمَ تُرَونَ هذهِ الآيةَ نزَلت {أيودُّ أحدُكم أن تكون له جنة؟} قالوا: الله أعلم. فغضب عمرُ

(١) كتاب الأنبياء باب / ١١ ح ٣٣٧٤ - ٣ / ٢٥.

فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أميرَ المؤمنين. قال عمر: يا ابنَ أخي قل ولا تحقِر نفسَك. قال ابنُ عباس: ضُرِبت مثَلاً لعمل، قال عمرُ: أيُّ عمل؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجلٍ غنيٍّ يعمل بطاعةِ الله عزَّوجلَّ، ثمَّ بعثَ الله له الشيطانَ فعملَ بالمعاصي حتى أغرَقَ أعماله». فصرهنَّ: قطِّعْهنَّ.

قوله (حتى أغرق أعماله) أي أعماله الصالحة.

٤٨ ـ باب {لا يسألونَ الناسَ إلحافا}

يقال ألحفَ عليَّ وألحَّ وأحفاني بالمسألةِ. فيُحْفِكم: يُجهِدُكم

٤٥٣٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «قال النبيُّ ﷺ: ليسَ المسكينُ الذي تَرُدُّهُ التمرةُ والتمرتان، ولا اللقمةُ ولا اللقمتان. إنما المسكينُ الذي يَتعفف. اقرءوا إن شئتم -يعني قوله تعالى- لا يَسألونَ الناسَ إلحافا}».

قوله (باب {لا يسألون الناس إلحافاً}، يقال ألحف علي، وألح، وأحفاني بالمسألة) قال أبو عبيدة في قوله {لا يسألون الناس إلحافا} قال: إلحاحاً انتهى.

وهل المراد نفي المسألة فلا يسألون أصلاً، أو نفي السؤال بالإلحاف خاصة فلا ينتفي السؤال بغير إلحاف فيه احتمال، والثاني أكثر في الاستعمال. ويحتمل أن يكون المراد لو سألوا لم يسألوا إلحافاً فلا يستلزم الوقوع. ثم ذكر المصنف حديث أبي هريرة «ليس المسكين الذي ترده التمرة» الحديث، وقد تقدم شرحه في كتاب الزكاة[(١)].

٤٩ ـ باب {وأحلَّ اللهُ البَيعَ وحرَّمَ الرِّبا}

المسُّ الجنون.

٤٥٤٠ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «لما نَزَلتِ الآياتُ من آخرِ سورةِ البقرةِ في الرِّبا قرأها رسولِ اللهِ ﷺ على الناس. ثم حرَّم التجارةَ في الخمر».

قوله (المس الجنون) هو تفسير الفراء. قال في قوله تعالى {لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس} أي لا يقوم في الآخرة، قال: والمس الجنون، والعرب تقول ممسوس أي مجنون انتهى. وقال أبو عبيدة: المس اللمم من الجن. وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباسٍ قال: «آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا» ومن طريق ابن عبد الله بن مسعود عن أبيه «أنه كان يقرأ: إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة» وقوله تعالى {وأحل الله البيع وحرم الربا} يحتمل أن يكون من تمام اعتراض الكفار حيث قالوا {إنما البيع

---

(١) كتاب الزكاة باب / ٥٣ ح ١٤٧٦ - ١ / ٧٥٣.

مثل الربا} أي فلِم أحلَّ هذا وحَرَّم هذا؟ ويحتمل أن يكون رداً عليهم ويكون اعتراضهم بحكم العقل والرد عليهم بحكم الشرع الذي لا معقب لحكمه، وعلى الثاني أكثر المفسرين، واستبعد بعض الحذاق الأول، وليس ببعيد إلا من جهة أن جوابهم بقوله {فمن جاءه موعظة} إلى آخره يحتاج إلى تقدير، والأصل عدمه.

قوله (ثم حرم التجارة في الخمر) تقدم توجيهه في البيوع[١].

٥٠ ـ باب {يَمحقُ اللهُ الرِّبا} يُذهِبهُ

٤٥٤١ ـ عن عائشةَ أنها قالت: «لما أُنزلتِ الآياتُ الأواخر من آخرِ سورةِ البقرةِ خرَجَ رسولُ الله ﷺ فتَلاهنَّ في المسجدِ، فحرَّمَ التجارة في الخمر».

قوله (باب يمحق الله الربا: يذهبه) هو تفسير أبي عبيدة، وأخرج أحمد وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث ابن مسعود رفعه «إن الربا وإن كثر فإن عاقبته إلى قلة».

٥١ ـ باب {فأذَنوا بحربٍ منَ اللهِ ورسوله} فاعلموا

٤٥٤٢ ـ عن عائشةَ قالت: «لما أُنزلتِ الآياتُ من آخرِ سورةِ البقرةِ قرأهنَّ النبيُّ ﷺ في المسجدِ، وحرَّم التجارةَ في الخمر».

قوله (باب {فأذنوا بحرب من الله ورسوله} فاعلموا) هو تفسير {فأذنوا} على القراءة المشهورة بإسكان الهمزة وفتح الذال، قال أبو عبيدة: معنى قوله {فأذنوا: أيقنوا، وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم «فآذنوا» أي آذنوا غيركم وأعلموهم، والأول أوضح في مراد السياق.

٥٢ ـ باب {وإن كان ذو عُسْرةٍ فنَظِرةٌ إلى مَيسَرة وأنْ تَصدَّقوا خيرٌ لكم إن كُنتمَ تعلمون}

٤٥٤٣ ـ عن عائشة قالت: «لما أُنزلتِ الآياتُ منَ آخرِ سورةِ البقرةِ قام رسول اللهِ ﷺ فقرَأهن علينا ثم حرَّمَ التجارةَ في الخمر».

قوله (وإن[٢]كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة الآية) وهي خبر بمعنى الأمر. أي إن كان الذي عليه دين الربا معسراً فأنظروه إلى ميسرته.

(ا) كتاب البيوع باب / ٢٤ ح ٢٠٨٤ - ٢ / ٢٣٤.
(ب) كتاب البيوع باب / ١٠٥ ح ٢٢٢٦ - ٢ / ٢٨٨.
(ج) كتاب البيوع باب / ١١٢ ح ٢٢٣٦ - ٢ / ٢٩١.
(٢) سقط التبويب وهو ثابت في ترجمة الباب واليونينية توافق الشرح.

٥٣ ـ باب {واتقوا يوماً تُرجَعونَ فيه إلى الله}

٤٥٤٤ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: «آخِرُ آيةٍ نَزَلت على النبيِّ ﷺ آيةُ الرِّبا».

قوله (آخر آية نزلت على النبيِّ ﷺ آية الربا) كذا ترجم المصنف بقوله {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله} وأخرج هذا الحديث بهذا اللفظ، ولعله أراد أن يجمع بين قولي ابن عباس فإنه جاء عنه ذلك من هذا الوجه، وجاء عنه من وجه آخر: آخر آية نزلت على النبي {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله} أخرجه الطبري من طرق عنه.

وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن.

٥٤ ـ باب {وإن تُبْدوا ما في أنفُسكم أو تخفوهُ يُحاسبكم به الله، فَيغفِر لمن يشاءُ ويُعذِّب من يشاءُ واللهُ على كل شيءٍ قدير}

٤٥٤٥ ـ عن مروان الأصفر عن رجلٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ، هو ابنُ عمرَ «أنها قد نُسِخت {وإن تُبدوا ما في أنفُسكم أو تُخفوهُ} الآية».

[الحديث ٤٥٤٥ - طرفه في: ٤٥٤٦]

قوله (عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، وهو ابن عمر) لم يتضح لي من هو الجازم بأنه ابن عمر، فإن الرواية الآتية بعد هذه وقعت بلفظ «أحسبه ابن عمر» وعندي في ثبوت كونه ابن عمر توقف لأنه ثبت أن ابن عمر لم يكن اطلع على كون هذه الآية منسوخة، فروى أحمد من طريق مجاهد قال: دخلت على ابن عباس فقلت: كنت عند ابن عمر فقرأ {وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه} فبكى، فقال ابن عباس: إن هذه الآية لما أنزلت غمت أصحاب رسول الله ﷺ غماً شديدا وقالوا: يا رسولَ الله هلكنا، فإن قلوبنا ليست بأيدينا. فقال: قولوا سمعنا وأطعنا، فقالوا، فنسختها هذه الآية {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها} وأصله عند مسلم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس دون قصة ابن عمر، وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن الزهري أنه سمع سعيد بن مرجانة يقول: كنت عند ابن عمر فتلا هذه الآية {وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه} فقال: والله لئن وأخذنا الله بهذا لنهلكن، ثم بكى حتى سمع نَشيجَه، فقمت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما قال ابن عمر وما فعل حين تلاها، فقال: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمري لقد وجد المسلمون حين نزلت مثل ما وجد، فأنزل الله {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها}.

٥٥ ـ باب {آمنَ الرَّسولُ بما أُنزلَ إليه من ربه}

وقال ابنُ عباسٍ: إصراً: عهداً. ويقال غُفرانكَ: مَغفِرَتَك، فاغفِر لنا

٤٥٤٦ ـ عن مروانَ الأصفر عن رجلٍ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ-قال: أحسبُه ابنَ عمرَ- {إن تبدوا ما في أنفُسِكم أو تُخفوهُ} قال: نَسخَتها الآية التي بعدَها.

قوله (وقال ابن عباس: إصراً عهداً) وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {ولا تحمل علينا إصراً} أي عهداً وأصل الإصر الشيء الثقيل، ويطلق على الشديد، وتفسيره بالعهد تفسير باللازم لأن الوفاء بالعهد شديد. وروى الطبري من طريق ابن جريج في قوله {إصراً} قال: عهداً لا نطيق القيام به.

قوله (نسختها الآية التي بعدها) قد عرف بيانه من حديثي ابن عباس وأبي هريرة والمراد بقوله نسختها أي أزالت ما تضمنته من الشدة وبينت أنه وإن وقعت المحاسبة به لكنها لا تقع المؤاخذة به أشار إلي ذلك الطبري فراراً من إثبات دخول النسخ في الأخبار، وأجيب بأنه وإن كان خبراً لكنه يتضمن حكماً ومهما كان من الأخبار يتضمن الأحكام أمكن دخول النسخ فيه كسائر الأحكام وإنما الذي لا يدخله النسخ من الأخبار ما كان خبراً محضاً لا يتضمن حكماً كالإخبار عما مضى من أحاديث الأمم ونحو ذلك ويحتمل أن يكون المراد بالنسخ في الحديث التخصيص فإن المتقدمين يطلقون لفظ النسخ عليه كثيراً، والمراد بالمحاسبة بما يخفي الإنسان ما يصمم عليه ويشرع فيه دون ما يخطر له ولا يستمر عليه والله أعلم.

(٣) سورةُ آلِ عِمرانَ

تُقاةٌ وتَقيَّةٌ واحد. صِرٌّ: بردٌ. شَفا: حفرة مثلُ شَفا الرَّكيَّةِ وهو حرفُها. تبوئ: تتَّخذُ مُعسكراً. المسوّم: الذي له سيماء بعلامةٍ أو بصوفة أو بما كان. رِبِّيون: الجميع والواحد رِبِّي تَحُسُّونهم: تستأصِلونَهم قَتلاً. غُزّاً: واحدها غازٍ. سنكتب ما قالوا: سنحفظ. نزُلا: ثواباً. ويجوز ومُنزَلٌ من عند الله كقولك أنزلتُه. وقال مجاهد: والخيلُ المسوَّمة: المطهَّمة الحِسان. وقال ابنُ جُبَير: وحَصوراً: لا يأتي النساء. وقال عِكرِمة: من فورهم: من غَضبهم يوم بدر. وقال مجاهد: يُخرج الحيَّ: النطفة تخرُج مَيتةً، ويخرج منها الحيُّ. الإبكار: أول الفجر. والعَشيُّ: مَيل الشمس أراهُ إلى أن تَغرُب.

قوله (وقال سعيد[1] بن جبير: «وحصوراً» لا يأتي النساء) وقع هذا بعد ذكر المسومة، وصله الثوري في تفسيره عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير به وأصل الحصر الحبس والمنع، يقال لمن لا يأتي النساء أعم من أن يكون ذلك بطبعه كالعِنِّين أو بمجاهدة نفسه وهو الممدوح والمراد في وصف السيد يحيى عليه السلام.

١ ـ باب {منه آياتٌ مُحكَمات}

قال مجاهد: الحلال والحرام، {وأُخَرُ مُتشابهات} يصدق بعضها بعضاً كقوله تعالى {وما يُضِلُّ به إلاَّ الفاسقين} وكقوله جلَّ ذِكرُهُ {ويَجعلُ الرِّجسَ على الذين لا يعقلون} وكقوله {والذين اهتدَوا زادَهم هُدى وآتاهم تَقواهم}، زَيغٌ: شكٌّ، {ابتغاء الفِتنة} المشتبهات، {والراسخون في العلم} يعلمون تأويله و {يقولون آمنا به}.

٤٥٤٧ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «تَلا رسولُ اللهِ ﷺ هذه الآية {هو الذي أنزلَ عليكَ الكتابَ، منه آياتٌ مُحكَماتٌ هنَّ أمُّ الكِتابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ، فأما الذين في قلوبهم زَيغ فيتبِعونَ ما تشابَه منه ابتغاءَ الفِتنةِ وابتِغاءَ تأويلِهِ -إلى قولهِ- أولو الألباب} قالت: قال رسولُ الله ﷺ: فإذا رأيتِ الذين يتبعونَ ما تَشابهَ منه فأولئكَ الذين سمّى الله، فاحذَروهم».

قوله ({والراسخون في العلم} يعلمون و {يقولون آمنا به} الآية) ومن طريق قتادة قال: «قال الراسخون كما يسمعون آمنا به كل من عند ربنا المتشابه والمحكم، فآمنوا بمتشابهه وعملوا بمحكمه فأصابوا» وهذا الذي ذهب إليه مجاهد من تفسير الآية يقتضي أن تكون الواو في والراسخون عاطفة على معمول الاستثناء، وقد روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه كان يقرأ «وما يعلم تأويله إلا الله، ويقول الراسخون في العلم آمنا به» فهذا يدل على أن الواو للاستئناف لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة لكن أقل درجاتها أن تكون خبراً بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيقدم كلامه في ذلك على من دونه، ويؤيد ذلك أن الآية دلت على ذم متبعي المتشابه لوصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة، وصرح بوفق ذلك حديث الباب، ودلت الآية على مدح الذين فوضوا العلم إلى الله وسلموا إليه، كما مدح الله المؤمنين بالغيب. وحكى الفراء أن في قراءة أبيّ بن كعب مثل ذلك أعني ويقول الراسخون في العلم آمنا به.

قوله (تلا رسول الله ﷺ) أي قرأ (هذه الآية {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات} قال أبو البقاء: أصل المتشابه أن يكون بين اثنين،

---

(١) رواية الباب واليونينية "وقال ابن جبير".

فإذا اجتمعت الأشياء المتشابهة كان كل منها مشابها للآخر فصح وصفها بأنها متشابهة، وليس المراد أن الآية وحدها متشابهة في نفسها. وحاصله أنه ليس من شرط صحة الوصف في الجمع صحة انبساط مفردات الأوصاف على مفردات الموصوفات، وإن كان الأصل ذلك.

قوله (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه) قال الطبري قيل إن هذه الآية نزلت في الذين جادلوا رسول الله ﷺ في أمر عيسى، وقيل في أمر مدة هذه الأمة، والثاني أولى، لأن أمر عيسى قد بينه الله لنبيه فهو معلوم لأمته، بخلاف أمر عيسى، وقيل في أمر مدة هذه الأمة، والثاني أولى لأن أمر عيسى قد بينه الله لنبيه فهو معلوم لأمته، بخلاف أمر هذه الأمة فإن علمه خفي عن العباد.

وقال غيره: المحكم من القرآن ما وضح معناه، والمتشابه نقيضه، وسمي المحكم بذلك لوضوح مفردات كلامه وإتقان تركيبه، بخلاف المتشابه. وقيل المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور.

وقيل في تفسير المحكم والمتشابه أقوال أخر غير هذه نحو العشرة ليس هذا موضع بسطها، وما ذكرته أشهرها وأقربها إلى الصواب وذكر الأستاذ أبو منصور البغدادي أن الأخير هو الصحيح عندنا، وابن السمعاني أنه أحسن الأقوال والمختار على طريقة أهل السنة، وعلى القول الأول جرى المتأخرون والله أعلم.

قوله (فهم[١] الذين سمى الله فاحذروهم) والمراد التحذير من الإصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن، وأول ما ظهر ذلك من اليهود كما ذكره ابن إسحق في تأويلهم الحروف المقطعة وأن عددها بالجمل مقدار مدة هذه الأمة، ثم أول ما ظهر في الإسلام من الخوارج حتى جاء عن ابن عباس أنه فسر بهم الآية، وقصة عمر في إنكاره على صبيغ لما بلغه أنه يتبع المتشابه فضربه على رأسه حتى أدماه، أخرجها الدارمي وغيره.

وقال الخطابي: المتشابه على ضربين: أحدهما ما إذا رد إلى المحكم واعتبر به عرف معناه، والآخر ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ فيطلبون تأويله، ولا يبلغون كنهه، فيرتابون فيه فيفتنون، والله أعلم.

٢ ـ باب {وإني أُعيذُها بك وذُرِّيتَها من الشيطانِ الرجيم}

٤٥٤٨ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه «أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ما مِن مَولودٍ يولدُ إلاّ والشيطانُ يَمسُّهُ حينَ يولدُ، فيَستهلُّ صارخاً مِن مَسِّ الشيطان إياه، إلاّ مريمَ وابنها». ثم

(١) رواية الباب واليونينية "فأولئك الذين ....."

يقول أبو هريرةَ: واقرَءوا إن شئتم {وإني أعيذُها بك وذريتَها منَ الشيطانِ الرجيم}

قوله (باب {وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم}) أورد فيه حديث أبي هريرة «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه» الحديث، وقد تقدم الكلام على شرحه واختلاف ألفاظه في أحاديث الأنبياء. وقد طعن صاحب «الكشاف» في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته فقال: إن صح هذا الحديث فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه، إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين، وكذلك من كان في صفتهما، لقوله تعالى {إلا عبادك منهم المخلصين} قال: واستهلال الصبي صارخاً من مس الشيطان تخييل لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه. وأما صفة النخس كما يتوهمه أهل الحشو فلا، ولو ملك إبليس على الناس نخسهم لامتلأت الدنيا صراخاً انتهى.

وكلامه متعقب من وجوه، والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه، ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء، بل ظاهر الخبر أن إبليس مُمَكَّنٌ من مس كل مولود عند ولادته، لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلا، واستثنى من المخلصين مريم وابنها فإنه ذهب يمس على عادته فحيل بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص، ولا يلزم منه تسلطه على غيرهما من المخلصين.

وأما قوله «لو ملك إبليس الخ» فلا يلزم كونه جعل له ذلك عند ابتداء الوضع أن يستمر ذلك في حق كل أحد.

٣ ـ باب {إن الذينَ يَشترونَ بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئكَ لا خَلاقَ لهم} لا خيرَ

{أليم} مُؤلم مُوجِع، من الألم، وهو في موضع مُفعِل

٤٥٤٩، ٤٥٥٠ ـ عن عبدِ الله بن مسعود رضيَ اللهُ عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ: مَن حلفَ يَمينَ صَبر ليَقتَطِعَ بها مالَ امرىءٍ مسلم لقيَ اللهَ وهو عليه غضبان، فأنزَلَ اللهُ تصديقَ ذلك {إنَّ الذين يَشتَرون بعهدِ الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لا خَلاقَ لهم في الآخرةِ} إلى آخر الآية. قال فدخَل الأشعثُ بن قَيسٍ وقال: ما يحدِّثكم أبو عبدِ الرحمن؟ قلنا: كذا وكذا. قال: فيَّ أُنزلَت، كانت لي بئر في أرضِ ابن عمٍّ لي، قال النبيُّ ﷺ: بَيِّنَتُكَ أو يَمينُهُ. فقلتُ: إذاً يَحلِفُ يا رسولَ الله، فقال النبيُّ ﷺ: مَن حلفَ على يمين صَبرٍ يَقتطِعُ بها مالَ امريءٍ مُسلم وهو فيها فاجِر لقيَ اللهَ وهو عليه غضبان».

٤٥٥١ ـ عن عبدِ الله بن أبي أوفى رضيَ الله عنهما «أنَّ رجلاً أقام سِلعةً في السوقِ، فحلفَ فيها: لقد أُعطى بها ما لم يُعطَه، ليوقعَ فيها رجُلاً منَ المسلمين. فنزلَت {إن الذين يَشتَرونَ بعهدِ الله وأيمانهم ثمناً قليلا} إلى آخرِ الآية».

٤٥٥٢ ـ عن ابن أبي مُلَيكةَ «أن امرأتَين كانتا تخرزان في بيتٍ -أو في الحُجرةِ- فخرَجَت إحداهما وقد أُنفِذَ بإشفَى في كفِّها، فادَّعَت عَلَى الأخرى، فرفِعَ إلى ابن عبّاس فقال ابنُ عبّاس: قال رسولُ الله ﷺ: لو يُعطى الناسُ بدَعواهم لذَهَبَ دِماء قومٍ وأموالُهم. ذكِّروها بالله، واقرَءوا عليها {إنَّ الذين يشترون بعهدِ الله} فذكَّروها، فاعترفَت. فقال ابنُ عبّاس: قال النبيُّ ﷺ: اليمينُ على المدَّعى عليه».

قوله (باب إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لا خلاق لهم، لا خير) قال أبو عبيدة في قوله {من خلاق} أي نصيب من خير.

قوله (أليم مؤلم موجع، من الألم، وهو في موضع مفعل) ثم ذكر حديث ابن مسعود «من حلف يمين صبر» وفيه قول الأشعث أن قوله تعالى {إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا} نزلت فيه وفي خصمه حين تحاكما في البئر، وحديث عبد الله بن أبي أوفى أنها نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه، وقد تقدما جميعاً في الشهادات، وأنه لا منافاة بينهما؛ ويحمل على أن النزول كان بالسببين جميعا، ولفظ الآية أعم من ذلك.

قوله (أن امرأتين) سيأتي تسميتهما في كتاب الأيمان والنذور مع شرح الحديث، وإنما أورده هنا لقول ابن عباس «اقرءوا عليها {إن الذين يشترون بعهد الله} الآية» فإن فيه الإشارة إلى العمل بما دل عليه عموم الآية لا خصوص سبب نزولها، وفيه أن الذي تتوجه عليه اليمين يوعظ بهذه الآية ونحوها.

٤ ـ باب {قُل يا أهلَ الكتاب تَعالَوا إلى كلمةٍ سَواءٍ بَيننا وبَينَكم أن لا نَعبُدَ إلاّ اللهَ}

سَواء: قَصد

٤٥٥٣ ـ عن ابن عبّاس قال: «حدثني أبو سفيانَ من فيه إلى فيَّ قال: انطلقتُ في المدَّة التي كانت بيني وبينَ رسولِ الله ﷺ، قال قال: فبينا أنا بالشام إذ جِيءَ بكتابٍ منَ النبيِّ ﷺ إلى هِرقلَ، قال وكان دِحيَةُ الكلبيُّ جاء به فدفَعَهُ إلى عظيم بُصرَى، فدفعهُ عظيمُ بُصرَى إلى هِرَقل. قال فقال: هِرَقل: هل ها هنا أحدٌ من قومِ هذا الرَّجُل الذي يزعُم أنه نبي؟ فقالوا: نعم. قال فدُعيتُ في نفرٍ من قرَيش، فدخَلنا عَلَى هِرَقْلَ، فأجلَسَنا بينَ يدَيه، فقال: أيُّكم أقربُ نسباً من هذا الرجل الذي يزعمُ أنه نبيٌّ؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا. فأجلسوني بينَ يديه وأجلسوا أصحابي خلفي. ثم دعا بتَرْجُمانه فقال: قُل لهم إني سائلٌ هذا عن هذا الرجُل الذي يزعم أنه نبيٌّ، فإن كذَبَني فكذِّبوه. قال أبو سفيان: وأيمُ الله لولا أن يُؤْثِروا عليَّ الكذِبَ لكذبتُ. ثم قال لترجُمانه: سَلْهُ كيفَ حسَبَهُ فيكم. قال قلت: هو فينا

ذو حَسَب. قال: فهل كان من آبائه مَلِكٌ؟ قال: قلتُ لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبلَ أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: أيتَّبعهُ أشرافُ الناس أم ضُعفاؤهم؟ قال قلتُ: بل ضُعَفاؤهم. قال: يزيدون أو ينقُصون؟ قال قلت: لا، بل يَزيدون. قال: هل يَرتدُّ أحدٌ منهم عن دينهِ بعدَ أن يَدخُل فيه سَخطةً له؟ قال: قلت لا، بل يَزيدون. قال: هل يَرتدُّ أحدٌ منهم عن دينه بعدَ أن يَدخُلَ فيه سَخطةً له؟ قال: قلت: لا. قال: فهل قاتَلتموه؟ قال قلتُ: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال قلت: تكون الحربُ بيننا وبينه سِجالاً، يُصيبُ منا ونصيبُ منه. قال: فهل يَغدِر؟ قال: قلت لا، ونحنُ منه في هذه المدَّة لا ندري ما هوَ صانعٌ فيها. قال: والله ما أمكنَني من كلمة أُدخِلُ فيها شيئاً غيرَ هذه. قال: فهل قال هذا القول أحدٌ قبله؟ قلت: لا. ثم قال لترجمانه: قل له إني سألتُكَ عن حسَبهِ فيكم، فزعمتَ أنه فيكم ذو حسَب، وكذلك الرُّسل تُبعَثُ في أحسابِ قَومِها. وسألتك هل كان في آبائه مَلِك؟ فزعمتَ أن لا، فقلتُ: لو كان من آبائه ملك قلتُ رَجُلٌ يَطلُبُ ملكَ آبائه. وسألتكُ عن أتباعهِ أضُعَفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلتَ: بل ضُعَفاؤهم، وهم أتباعُ الرسُل. وسألتكَ هل كنتم تتهمونه بالكَذِب قبلَ أن يقولَ ما قال؟ فزعمتَ أن لا، فعرَفتُ أنه لم يكن لِيَدَعَ الكَذِبَ على الناس ثم يذهب فيكذِبُ على الله. وسألتكَ هل يرتدُّ أحدٌ منهم عن دينهِ بعد أن يدخُل فيه سخطةً له؟ فزعمتَ أن لا، وكذلك الإيمانُ إذا خالطَ بشاشةَ القلوب. وسألتكَ هل يزيدون أم يَنقُصون؟ فزعمتَ أنهم يَزيدون، وكذلك الإيمانُ حتى يتمّ. وسألتك هل قاتَلتموه؟ فزعمت أنكم قاتَلتموهُ فتكون الحربُ بينَكم وبينه سِجالاً يَنالُ منكم وتَنالون منه، وكذلك الرُّسل تُبتلى ثم تكون لهم العاقبة. وسألتك هل يَغدِر؟ فزعمتَ أنه لا يغدِر، وكذلِك الرُّسلُ لا تغدِر. وسألتكَ هل قال أحدٌ هذا القولَ قبلَه؟ فزعمتَ أن لا، فقلتُ لو كان قال هذ القولَ أحدٌ قبلَه قلتُ رجلٌ ائتمَّ بقول قيلَ قبله. قال ثم قال: بمَ يأمركم؟ قال قلت: يأمرُنا بالصلاةِ والزكاةِ والصِّلَة والعفاف. قال: إن يكُ ما تقولُ فيه حقاً فإنه نبيٌّ، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكُ أظنهُ منكم، ولو أني أعلمُ أني أخلُصُ إليه لأحببتُ لِقاءه، ولو كنتُ عندَهُ لغسَلتُ عن قدَميه، وليَبلُغنَّ مُلكهُ ما تحتَ قَدَميَّ. قال: ثم دَعا بكتابِ رسولِ الله ﷺ فقرأه، فإذا فيه: «بسم اللهِ الرحمن الرَّحيم. من محمدٍ رسولِ اللهِ، إلى هِرقلَ عظيم الروم. سلامٌ على من اتَّبعَ الهدَى. أما بعدُ فإني أدعوكَ بدِعاية الإسلام. أسلِم تَسلَم، وأسلِم يؤتِكَ اللهُ أجركَ مرَّتين. فإن تولَّيتَ فإن عليك إثمَ الأريسيِّين.{يا أهلَ الكتابِ تَعالَوا إلى كَلمةٍ سَواءٍ بَينَنا وبينَكم أنْ لا نعبُدَ إلاّ الله -إلى قوله-اشهَدوا بأنّا مسلمون} فلما فرغَ من قراءة الكتاب ارتَفعَتِ الأصواتُ عندَه، وكثرَ اللَّغط، وأمرَ بنا فأخرجْنا. قال: فقلتُ لأصحابي حينَ خرجنا: لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشَةَ، إنه يخافهُ ملكُ بني الأصفر. فما زلتُ موقناً بأمرِ رسولِ الله ﷺ أنهُ

سيظهرُ حتى أدخلَ الله عليَّ الإسلامَ. قال الزُّهريُّ: فدَعا هِرقْلُ عظماءَ الرُّوم فجمَعَهم في دارٍ له فقال: يا معشرَ الرُّوم، هل لكم في الفلاح والرُّشَدِ آخر الأبد، وأن يَثبتَ لكم مُلككم؟ قال: فحاصُوا حَيصةَ حُمر الوحشِ إلى الأبواب فوجدوها قد غُلِّقَت فقال: عليَّ بهم. فدَعا بهم فقال: إني إنما اختَبَرْتُ شدَّتَكم على دِينِكم، فقد رأيتُ منكمُ الذي أحببتُ: فسجَدوا له ورَضُوا عنه».

قوله (كيف حسبه) وقوله «هو فينا ذو حسب» استشكل الجواب لأنه لم يزد على ما في السؤال لأن السؤال تضمن أن له نسباً أو حسبا، والجواب كذلك. وأجيب بأن التنوين يدل على التعظيم كأنه قال: هو فينا ذو نسب كبير أو حسب رفيع. ووقع في رواية ابن إسحاق «كيف نسبه فيكم؟ قال في الذروة» أعلى ما في البعير من السنام، فكأنه قال هو من أعلانا نسباً.

قوله (سخطة له) يريد أن من دخل في الشيء على بصيرة يبعد رجوعه عنه، بخلاف من لم يكن ذلك من صميم قلبه فإنه يتزلزل بسرعة، وعلى هذا يحمل حال من ارتد من قريش، ولهذا لم يعرج أبو سفيان على ذكرهم، وفيهم صهره زوج ابنته أم حبيبة وهو عبيد الله بن جحش، فإنه كان أسلم وهاجر إلى الحبشة بزوجته ثم تنصر بالحبشة ومات على نصرانيته، وتزوج النبيُّ ﷺ أم حبيبة بعده، وكأنه ممن لم يكن دخل في الإسلام على بصيرة، وكان أبو سفيان وغيره من قريش يعرفون ذلك منه ولذلك لم يعرج عليه خشية أن يكذبوه.

قوله (فهل قاتلتموه) نسب ابتداء القتال إليهم ولم يقل قاتلكم فينسب ابتداء القتال إليه محافظة على احترامه، أو لاطلاعه على أن النبي لا يبدأ قومه بالقتال حتى يقاتلوه، أو لما عرفه من العادة من حمية من يُدعى إلى الرجوع عن دينه. وفي حديث دحية «هل ينكب إذا قاتلكم؟ قال: قد قاتله قوم فهزمهم وهزموه، قال: هذه آية».

قوله (يصيب منا ونصيب منه) وقعت المقاتلة بين النبي ﷺ وبين قريش قبل هذه القصة في ثلاثة مواطن: بدر، وأحد، والخندق، فأصاب المسلمون من المشركين في بدر وعكسه في أحد، وأصيب من الطائفتين ناس قليل في الخندق، فصح قول أبي سفيان يصيب منا ونصيب منه.

قوله (إني سألتك عن حسبه فيكم) ذكر الأسئلة والأجوبة على ترتيب ما وقعت ، وأجاب عن كل جواب بما يقتضيه الحال، وحاصل الجميع ثبوت علامات النبوة في الجميع: فالبعض مما تلقفه من الكتب، والبعض مما استقرأه بالعادة.

قوله (قلت لو كان من آبائه) أي قلت في نفسي، وأطلق على حديث النفس قولا.

قوله (وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أك أظنه منكم) أي أعلم أن نبياً يبعث في هذا الزمان، لكن لم أعلم تعيين جنسه.

قوله (لأحببت لقاءه) في بدء الوحي «لتجشمت» أي تكلفت، ورجحها عياض لكن نسبها لرواية مسلم خاصة، وهي عند البخاري أيضاً. وقال النووي: قوله «لتجشمت لقاءه» أي تكلفت الوصول إليه وارتكبت المشقة في ذلك، ولكني أخاف أن أقتطع دونه. قال: ولا عذر له في هذا لأنه عرف صفة النبي، لكنه شح بملكه ورغب في بقاء رياسته فآثرها.

قال النووي: في هذه القصة فوائد، منها جواز مكاتبة الكفار ودعاؤهم إلى الإسلام قبل القتال، وفيه تفصيل: فمن بلغته الدعوة وجب إنذارهم قبل قتالهم، وإلا استحب. ومنها وجوب العمل بخبر الواحد وإلا لم يكن في بعث الكتاب مع دحية وحده فائدة. ومنها وجوب العمل بالخط إذا قامت القرائن بصدقه.

قوله (فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم) قال النووي: فيه استحباب تصدير الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم وإن كان المبعوث إليه كافراً.

قوله (من محمد رسول الله[(١)] ﷺ) وقع في بدء الوحي وفي الجهاد «من محمد بن عبد الله ورسوله» وفيه إشارة إلى أن رسل الله وإن كانوا أكرم الخلق على الله فهم مع ذلك مقرون بأنهم عبيدٌ لله؛ وكأن فيه إشارة إلى بطلان ما تدعيه النصارى في عيسى عليه السلام. وذكر المدائني أن القارىء لما قرأ من محمد رسول الله إلى عظيم الروم غضب أخو هرقل واجتذب الكتاب، فقال له هرقل: ما لك؟ فقال: بدأ بنفسه وسماك صاحب الروم، فقال هرقل: إنك لضعيف الرأي، أتريد أن أرمي بكتاب قبل أن أعلم ما فيه؟ لئن كان رسول الله إنه لأحق أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق أنا صاحب الروم، والله مالكي ومالكهم.

قوله (إلى هرقل عظيم الروم) والمراد مَن تُعَظِّمُه الروم وتُقَدمه للرياسة عليها.

قوله (أسلم تسلم) فيه بشارة لمن دخل في الإسلام أنه يسلم من الآفات اعتباراً بأن ذلك لا يختص بهرقل، كما أنه لا يختص بالحكم الآخر وهو قوله أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، لأن ذلك عام في حق من كان مؤمنا بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ.

قوله (وأسلم يؤتك[(٢)]) فيه تقوية لأحد الاحتمالين المتقدمين في بدء الوحي، وأنه أعاد أسلم تأكيداً، ويحتمل أن يكون قوله أسلم أولاً أي لا تعتقد في المسيح ما تعتقده النصارى، وأسلم ثانياً أي ادخل في دين الإسلام، فلذلك قال بعد ذلك «يؤتك الله أجرك مرتين».

(تنبيه): لم يصرح في الكتاب بدعائه إلى الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة، لكن ذلك منطو

(١) رواية الباب واليونينية "من محمد رسول الله" بدون "ﷺ".
(٢) رواية الباب واليونينية "يؤتك الله".

في قوله «والسلام على من اتبع الهدى» وفي قوله «أدعوك بدعاية الإسلام» وفي قوله «أسلم» فإن جميع ذلك يتضمن الإقرار بالشهادتين.

قوله (إثم الإريسيين) تقدم ضبطه وشرحه في بدء الوحي[١].

وقال ابن سيده في «المحكم»: الأريس الأكار عند ثعلب، والأمين عند كراع، فكأنه من الأضداد، أي يقال للتابع والمتبوع، والمعنى في الحديث صالح على الرأيين، فإن كان المراد التابع فالمعنى إن عليك مثل إثم التابع لك على ترك الدخول في الإسلام، وإن كان المراد المتبوع فكأنه قال فإن عليك إثم المتبوعين، وإثم المتبوعين يضاعف باعتبار ما وقع لهم من عدم الإذعان إلى الحق من إضلال أتباعهم.

قوله (لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة) تقدم ضبطه في بدء الوحي.

والذي يظهر لي أن الزمخشري إنما أراد تفسير اللفظة الأولى وهي أمر بفتح ثم كسر وإن مصدرها أَمَرَ بفتحتين والأمر بفتحتين الكثرة والعظم والزيادة، ولم يرد ضبط اللفظة الثانية والله أعلم.

قوله (فجمعهم في دار له فقال) تقدم في بدء الوحي أنه جمعهم في مكان وكان هو في أعلاه فاطلع عليهم وصنع ذلك خوفاً على نفسه أن ينكروا مقالته فيبادروا إلى قتله.

قوله (آخر الأبد) أي يدوم ملككم إلى آخر الزمان، لأنه عرف من الكتب أن لا أمة بعد هذه الأمة ولا دين بعد دينها، وأن من دخل فيه آمن على نفسه فقال لهم ذلك.

قوله (فسجدوا له ورضوا عنه) يشعر بأنه كان من عادتهم السجود لملوكهم، ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى تقبيلهم الأرض حقيقة. فإن الذي يفعل ذلك ربما صار غالباً كهيئة الساجد، وأطلق أنهم رضوا عنه بناء على رجوعهم عما كانوا همّوا به عند تفرقهم عنه من الخروج والله أعلم.

وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم: البداءة باسم الكاتب قبل المكتوب إليه، وقد أخرج أحمد وأبو داود عن العلاء بن الحضرمي أنه كتب إلى النبي ﷺ وكان عامله على البحرين فبدأ بنفسه «من العلاء إلى محمد رسول الله» وقال ميمون: كانت عادة ملوك العجم إذا كتبوا إلى ملوكهم بدءوا باسم ملوكهم فتبعهم بنو أمية. قلت: وسيأتي في الأحكام أن ابن عمر كتب إلى معاوية فبدأ باسم معاوية، وإلى عبد الملك كذلك، وكذا جاء عن زيد بن ثابت إلى معاوية.

---

(١) كتاب بدء الوحي باب / ٦ ح ٧ - ١ / ٩.

٥ ـ باب {لن تَنالوا البرَّ حتى تُنفِقوا مما تُحبُّون -إلى- به عَليم}

٤٥٥٤ ـ عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ الله عنه يقول: «كان أبو طلحة أكثر أنصاريٍّ بالمدينة نخلاً، وكان أحبُّ أمواله إليه بيرحاءُ، وكانت مستقبلةَ المسجدَ، وكان رسولُ الله ﷺ يَدخُلها ويَشربُ من ماءٍ فيها طيِّب. فلما أُنزلت {لن تَنالوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تُحبون} فقام أبو طلحةَ فقال: يا رسولَ الله، إنَّ اللهَ يقول: {لن تَنالوا البرَّ حتى تُنفِقوا مما تحبُّون} وإنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بيرحاءُ، وإنها صدَقة لله أرجو برَّها وذُخرَها عندَ الله، فضَعْها يا رسولَ الله حيثُ أراكَ الله. قال رسولُ الله ﷺ: بَخٍ، ذلك مالٌ رايح، ذلك مال رايح. وقد سمعتُ ما قلتَ وإني أرَى أن تجعلَها في الأقرَبين. قال أبو طلحةَ: أفعَلُ يا رسولَ الله. فَقَسَمَها أبو طلحةَ في أقاربه وبني عمِّه».

٤٥٥٥ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «فجعَلَها لحسانَ وأُبيّ، وأنا أقرَبُ إليه ولم يَجعَلْ لي منها شيئاً».

قوله (باب لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآية) ثم ذكر المصنف حديث أنس في قصة بيرحاء، وقد تقدم ضبطها في الزكاة[1]، وشرح الحديث في الوقف.

وممن عمل بالآية ابن عمر فروى البزار من طريقه أنه قرأها، قال فلم أجد شيئاً أحب إليَّ من مرجانة جارية لي رومية فقلت: هي حرة لوجه الله، فلولا أني لا أعود في شيء جعلته لله لتزوجتها.

٦ ـ باب {قل فأتُوا بالتَّوراةِ فاتلوها إن كنتم صادقين}

٤٥٥٦ ـ عن عبد الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما «إنَّ اليهودَ جاءوا إلى النبيِّ ﷺ برجُلٍ منهم وامرأةٍ قد زَنَيا، فقال لهم: كيف تفعلونَ بمن زَنَى منكم؟ قالوا: نحَمِّمُهُما ونَضرِبُهُما. فقال: لا تجدونَ في التوراة الرَّجمَ؟ فقالوا: لا نجدُ فيها شيئاً. فقال لهم عبدُ الله بن سَلام: كذَبتم، فأتُوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضَعَ مِدراسُها الذي يُدَرِّسُها منهم كفَّهُ على آيةِ الرجم، فطفِقَ يَقرأُ ما دُونَ يدِهِ وما وراءَها ولا يَقرأُ آيةَ الرَّجم، فنزعَ يدَهُ عن آيةِ الرَّجم فقال: ما هذه؟ فلما رأَوْ ذلك قالوا: هي آيةُ الرجم، فأمرَ بهما فرُجما قريباً من حيث مَوضعُ الجنائز عند المسجد، قال فرأيتُ صاحبَها يَجنَأُ عليها، يَقيها الحجارة».

٧ ـ باب {كنتم خيرَ أمَّةٍ أُخرجَت للناس}

٤٥٥٧ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه {كنتم خيرَ أمَّةٍ أُخرجَت للناس} قال: خَيْرَ الناسِ للناس، تأتونَ بهم في السلاسلِ في أعناقِهم حتى يَدخُلوا في الإسلام».

---

(١) كتاب الزكاة باب / ٤٤ ح ١٤٦١ - ١ / ٧٤٤.

وروى عبد الرزاق وأحمد والنسائي والحاكم من حديث ابن عباس بإسناد جيد قال: «هم الذين هاجروا مع النبيِّ ﷺ».

وروى الطبري من طريق مجاهد قال: معناه على الشرط المذكور تأمرون بالمعروف الخ. وهذا أعم وهو نحو الأول. وجاء في سبب هذا الحديث ما أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق عكرمة قال: كان من قبلكم لا يأمن هذا في بلاد هذا ولا هذا في بلاد هذا، فلما كنتم أنتم أمن فيكم الأحمر والأسود. ومن وجه آخر عنه قال: لم تكن أمة دخل فيها من أصناف الناس مثل هذه الأمة. وعن أبيّ بن كعب قال: لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة. أخرجه الطبري بإسناد حسن عنه. وهذا كله يقتضي حملها على عموم الأمة، وبه جزم الفراء واستشهد بقوله {واذكروا إذ أنتم قليل} وقوله {واذكروا إذ كنتم قليلا} قال: وحذف كان في مثل هذا وإظهارها سواء. وقال غيره: المراد بقوله {كنتم في اللوح المحفوظ أو في علم الله تعالى. ورجح الطبري أيضاً حمل الآية على عموم الأمة، وأيد ذلك بحديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده «سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية {كنتم خير أمة أخرجت للناس} قال: أنتم متممون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله» وهو حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه.

وفي حديث علي عند أحمد بإسناد حسن أن النبيَّ ﷺ قال: «وجعلت أمتي خير الأمم».

٨ ـ باب {إذ هَمَّت طائفتانِ منكم أن تَفشلا}

٤٥٥٨ ـ جابرَ بن عبدِ الله رضيَ الله عنهما يقول: «فينا نَزَلت {إذ هَمَّت طائفتان منكم أن تَفشَلا واللهُ وليُّهما} قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة وبنو سَلِمة، وما نحبُّ -وقال سفيانُ مرّةً: وما يَسرُّني- أنها لم تُنزَل، لقولِ الله: واللهُ وليُّهما».

قوله (باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) ذكر فيه حديث جابر، وقد تقدم مشروحاً في غزوة أحد(١).

٩ ـ باب {ليس لك منَ الأمرِ شيء}

٤٥٥٩ ـ عن سالمٍ عن أبيه «أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ إذا رفعَ رأسَهُ من الركوع في الركعة الآخرةِ منَ الفجرِ يقول: اللهمَّ العَن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول: سمعَ اللهُ لمن حمِدَه ربَّنا ولك الحمد. فأنزَلَ اللهُ {ليس لك من الأمر شيء -إلى قوله- فإنهم ظالمون}».

٤٥٦٠ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه «أن رسولَ الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعُوَ على أحدٍ أو يدعوَ لأحد قَنَتَ بعد الرُّكوع فربّما قال إذا قال سمعَ اللهُ لمن حمده اللهمَّ ربَّنا لك الحمد: اللهمَّ أنجِ الوليدَ بن الوليد وسلمةَ بن هشام وعيّاشَ بن أبي ربيعة، اللهمَّ اشدد

(١) كتاب المغازي باب / ١٨ ح ٤٠٥١ - ٣ / ٢٩٥.

وَطأتَكَ على مُضَر، واجعَلْها سِنين كسِني يوسف. يَجهَرُ بذلك. وكان يقول في بعض صلاتهِ في صلاةِ الفجر: اللهمَّ العَنْ فلانا وفلانا -لأحياءٍ من العرب- حتى أنزلَ الله {ليس لكَ من الأمرِ شيءٌ} الآية».

قوله (الوليد بن الوليد) أي ابن المغيرة وهو أخو خالد بن الوليد وكان ممن شهد بدراً مع المشركين وأسر وفدى نفسه ثم أسلم فحبس بمكة ثم تواعد هو وسلمة وعياش المذكورين معه وهربوا من المشركين، فعلم النبي ﷺ بمخرجهم فدعا لهم، أخرجه عبد الرزاق بسند مرسل، ومات الوليد المذكور لما قدم على النبي ﷺ.

قوله (وسلمة بن هشام) أي ابن المغيرة وهو ابن عم الذي قبله، وهو أخو أبي جهل، وكان من السابقين إلى الإسلام. واستشهد في خلافة أبي بكر بالشام سنة أربع عشرة.

قوله (وعياش) أبوه أبو ربيعة اسمه عمرو بن المغيرة فهو عم الذي قبله أيضاً، وكان من السابقين إلى الإسلام أيضاً وهاجر الهجرتين، ثم خدعه أبو جهل فرجع إلى مكة فحبسه، ثم فر مع رفيقيه المذكورين وعاش إلى خلافة عمر فمات، كان سنة خمس عشرة وقيل قبل ذلك، والله أعلم.

قوله (وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر) كأنه يشير إلى أنه لا يداوم على ذلك.

قوله (اللهم العن فلانا وفلانا لأحياءٍ من العرب) وقع تسميتهم في رواية يونس عن الزهري عند مسلم بلفظ «اللهم العن رَعلا وذكوان وعُصَيَّة».

١٠ ـ باب {والرسولُ يَدعوكم في أُخراكم}

وهو تأنيثُ آخِركم: وقال ابنُ عباس: {إحدَى الحُسنَيين} فتحاً أو شهادة

٤٥٦١ ـ عن البراءِ بن عازبٍ رضيَ الله عنهما قال: «جعلَ النبيُّ ﷺ على الرَّجّالة يومَ أحدٍ عبدَ الله بن جُبير، وأقبلوا منهزمين، فذاك {إذ يَدعوهمُ الرسولُ في أُخراهم} ولم يَبقَ مع النبيِّ ﷺ غيرُ اثني عشرَ رجُلا».

١١ ـ باب {أمَنَةً نُعاسا}

٤٥٦٢ ـ عن أبى طلحةَ قال: غَشيَنا النعاسُ ونحن في مَصافِّنا يومَ أحد، قال فجعلَ سيفي يَسقُط من يدي وآخذُه، ويَسقُط وآخُذه».

تقدم في المغازي[١] من وجه آخر عن قتادة مع شرحه.

(١) كتاب المغازي باب / ٢١ ح ٤٠٦٨ - ٣ / ٣٠٠.

١٢ ـ باب {الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابَهمُ القَرحُ، للذين أحسَنَوا منَهم واتقَواْ أجرٌ عظَيم}

القَرحُ: الجِراح. استجابوا: أجابوا. يَستجيبُ: يُجيب

قوله (القرح الجراح) هو تفسير أبي عبيدة، وروى سعيد بن منصور بإسناد جيد عن ابن مسعود أنه قرأ «القرح» بالضم.

قلت: وهي قراءة أهل الكوفة.

قوله (استجابوا أجابوا، ويستجيب يجيب) هو قول أبي عبيدة، قال في قوله تعالى {فاستجاب لهم} أي أجابهم؛ تقول العرب: استجبتك أي أجبتك.

وقال في قوله تعالى {ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات} أي يجيب الذين آمنوا، وهذه في سورة الشورى وإنما أوردها المصنف استشهاداً للآية الأخرى.

(تنبيه): لم يسق البخاري في هذا الباب حديثاً، وكأنه بيض له، واللائق به حديث عائشة أنها قالت لعروة في هذه الآية «يا ابن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر» وقد تقدم في المغازي مع شرحه[١].

وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: «لما رجع المشركون عن أحد قالوا: لا محمد قتلتم، ولا الكواعب ردفتم، بئسما صنعتم، فرجعوا، فندب رسول الله ﷺ الناس فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد، فبلغ المشركين فقالوا: نرجع من قابل، فأنزل الله تعالى {الذين استجابوا لله والرسول} الآية» أخرجه النسائي وابن مردويه ورجاله رجال الصحيح.

١٣ ـ باب {الذين قال لهمُ الناسُ إنَّ الناسَ قد جَمعوا لكم} الآية

٤٥٦٣ ـ عن ابن عباسٍ: {حسبنا اللهُ ونعم الوكيل} قالها إبراهيمُ عليه السلامُ حينَ أُلقِيَ في النار، وقالَها محمدٌ ﷺ حينَ قالوا: {إنَّ الناسَ قد جَمعوا لكم فاخشَوْهم فزادَهم إيماناً، وقالوا حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيل}

[الحديث ٤٥٦٣ – طرفه في: ٤٥٦٤]

٤٥٦٤ ـ عن ابن عباسٍ قال: «كان آخرَ قولِ إبراهيمَ حينَ أُلقِيَ في النار {حَسبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيل}».

قوله (حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم) فيه إشارة إلى ما أخرجه ابن إسحق مطولاً في هذه القصة، وأن أبا سفيان رجع بقريش بعد أن توجه من أحد فلقيه معبد الخزاعي فأخبره أنه

---

(١) كتاب المغازي باب / ٢٥ ح ٤٠٧٧ – ٣ / ٣٠٤.

رأى النبي ﷺ في جمع كثير، وقد اجتمع معه من كان تخلف عن أحد وندموا، فثنى ذلك أبا سفيان وأصحابه فرجعوا، وأرسل أبو سفيان ناساً فأخبروا النبي ﷺ أن أبا سفيان وأصحابه يقصدونهم فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

١٤ ـ باب {ولا[١] يَحسبَنَّ الذين يَبخلونَ بما آتاهُم الله من فضلِهِ} الآية

{سيُطوَّقون} كقولك طوَّقتهُ بطَوق

٤٥٦٥ ـ عن أبي هريرةَ قال: «قال رسولُ اللهِ ﷺ: مَن آتاهُ الله مالاً فلم يُؤد زكاتَه مُثّلَ له مالُهُ شُجاعاً أقرَعَ له زَبيبتان يُطوَّقُهُ يومَ القيامةِ، يأخذُ بلِهْزِمَتَيْهِ يعني بشِدقَيهِ يقول: أنا مالُك، أنا كَنزُك. ثمَّ تلا هذه الآية {ولا يَحسِبَنَّ الذين يَبخَلون بما آتاهمُ الله من فضلهِ} إلى آخرِ الآية».

قوله (باب ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية) قال الواحدي: أجمع المفسرون على أنها نزلت في مانعي الزكاة، وفي صحة هذا النقل نظر، فقد قيل إنها نزلت في اليهود الذين كتموا صفة محمد، قاله ابن جريج، واختاره الزجاج. وقيل فيمن يبخل بالنفقة في الجهاد، وقيل على العيال وذي الرحم المحتاج، نعم الأول هو الراجح وإليه أشار البخاري.

قوله (سيطوّقون، كقولك طوقته بطوق) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة} أي يلزمون، كقولك طوقته بالطوق. وروى عبد الرزاق وسعيد بن منصور من طريق إبراهيم النخعي بإسناد جيد في هذه الآية {سيطوقون} قال: بطوق من النار. ثم ذكر حديث أبي هريرة فيمن لم يؤد الزكاة، وقد تقدم مع شرحه في أوائل كتاب الزكاة[٢].

١٥ ـ باب {ولتَسْمَعُنَّ من الذين أُوتوا الكتابَ من قبلِكم ومن الذين أشركوا أذًى كثيراً}

٤٥٦٦ ـ عن أسامةَ بن زيد رضيَ الله عنهما «أن رسولَ الله ﷺ ركبَ على حِمارٍ على قَطيفةٍ فَدكيَّة، وأردَفَ أسامةَ بن زيدٍ وراءَهُ، يعودُ سعدَ بنَ عُبادةَ في بني الحارثِ بن الخزرج قبلَ وَقعةِ بدر، قال: حتى مرَّ بمجلسٍ فيه عبدُ الله بن أبي ابن سَلول، وذلك قبلَ أن يُسلِمَ عبدُ الله بنُ أبيّ، فإذا في المجلسِ أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عَبَدةِ الأوثانِ واليهودِ والمسلمين، وفي المجلسِ عبدُ الله بن رَواحة، فلما غَشيَتِ المجلسَ عَجاجةُ الدابةِ خمَّرَ عبدُ الله بنُ أبي أنفَهُ بردائه ثم قال: لا تُغبِّروا علينا، فسَلم رسولُ الله ﷺ عليهم ثم

(١) قراءة حفص عن عاصم بفتح السين "ولا يَحْسَبَنَّ"
(٢) كتاب الزكاة باب / ٣ ح ١٤٠٣ - ١ / ٧٠٩

وقفَ فنزلَ، فدَعاهم إلى الله، وقرأ عليمُ القرآن، فقال عبدُ الله بن أُبيّ ابن سلول: أيُّها المرءُ، إنه لا أحسنَ مما تقولُ إن كان حقاً فلا تُؤذِينا به في مَجلِسنا، ارجع إلى رَحلِكَ فمن جاءَك فاقصُص عليه. فقال عبدُ بن رَواحة: بلى يا رسولَ الله، فاغشَنا في مجالِسنا، فإنا نحبُّ ذلك. فاستبَّ المسلمونَ والمشركون واليهودُ حتى كادوا يَتثاورون، فلم يَزَلِ النبيُّ ﷺ يُخفِّضُهم حتى سكنوا. ثمَّ ركِبَ النبيُّ ﷺ دابتهُ فسارَ حتى دَخل على سعد بن عُبادةَ، فقال له النبيُّ ﷺ: يا سعدُ ألم تَسمع ماقال أبو حُباب -يريدُ عبدَ اللهِ بنَ أُبي- قال: كذا وكذا. قال سعدُ بن عُبادة: يا رسولَ الله اعفُ عنه واصفَح عنه، فو الذي أنزَلَ عليك الكتاب، لقد جاء اللهُ بالحقِّ الذي أنزلَ عليك ولقد اصطلحَ أهلُ هذهِ البُحَيرةِ على أن يُتوِّجوهُ فيعصِّبونهُ بالعِصابة، فلما أبى ذلك بالحقِّ الذي أعطاكَ الله شَرِقَ بذلك، فذلكَ فعلَ به ما رأيت. فعفا عنه رسولُ الله ﷺ. وكان النبيُّ ﷺ وأصحابهُ يَعفُونَ عنِ المشركين وأهلِ الكتابِ كما أمرَهمُ الله، ويَصطَبِرُونَ على الأذَى، قال اللهُ عزَّ وجل: {ولَتسمَعُنَّ من الذينَ أُوتوا الكتابَ من قبلِكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا} الآية. وقال الله: {ودَّ كثيرٌ من أهلِ الكتابِ لو يُرُدُّونكم من بعدِ إيمانِكم كفاراً حسداً من عندِ أنفُسِهم} إلى آخرِ الآية. وكان النبيُّ ﷺ يتأوَّلُ العفوَ ما أمرَهُ الله به، حتى أذِنَ الله فيهم، فلما غَزا رسولُ الله ﷺ بَدراً فقتلَ اللهُ به صناديدَ كفارِ قريشٍ قال ابنُ أُبيٍّ ابنُ سَلول ومَن معهُ منَ المشرِكينَ وعبَدَةِ الأوثانِ: هذا أمرٌ قد تَوَجَّه، فبايَعوا الرسولَ ﷺ على الإسلام، فأسْلَموا».

قوله (باب ولتَسْمَعُنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) ذكر عبد الرزاق أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما كان يهجو به النبي ﷺ وأصحابه من الشعر، وقد تقدم في المغازي خبره، وفيه شرح حديث «مَن لِكعب بن الأشرف، فإنه آذى الله ورسوله» وروى ابن أبي حاتم وابن المنذر بإسناد حسن عن ابن عباس أنها نزلت فيما كان بين أبي بكر وبين فنحاص اليهودي في قوله تعالى: {إن الله فقير ونحن أغنياء} تعالى الله عن قوله، فغضب أبو بكر فنزلت.

قوله (على قطيفة فدكية) أي كساء غليظ منسوب إلى فَدَك وهي بلد مشهور على مرحلتين من المدينة.

قوله (يعود سعد بن عبادة) فيه عيادة الكبير بعض أتباعه في داره.

قوله (في بني الحارث بن الخزرج) أي في منازل بني الحارث وهم قوم سعد بن عبادة.

قوله (وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي) أي قبل أن يظهر الإسلام.

قوله (عجاجة) أي غبارها وقوله «خمر» أي غطى.

قوله (فسلم رسول الله ﷺ عليهم) يؤخذ منه جواز السلام على المسلمين إذا كان معهم كفار وينوي حينئذ بالسلام المسلمين، ويحتمل أن يكون الذي سلم به عليهم صيغة عموم فيها تخصيص كقوله السلام على من اتبع الهدى.

قوله (يتشاورون) أي يتواثبون، أي قاربوا أن يثب بعضهم على بعض فيقتتلوا، يقال ثار إذا قام بسرعة وانزعاج.

قوله (أبو حباب) وهي كنية عبد الله بن أبي، وكناه النبيُّ ﷺ في تلك الحالة لكونه كان مشهوراً بها أو لمصلحة التألف.

قوله (أهل هذه البحرة[1]) في رواية الحموي «البحيرة» بالتصغير، وهذا اللفظ يطلق على القرية وعلى البلد، والمراد به هنا المدينة النبوية، ونقل ياقوت أن البحيرة من أسماء المدينة النبوية.

قوله (على أن يُتَوِّجُوه فيعصبوه بالعصابة) يعني يرئسوه عليهم ويُسَوِّدوه، وسمي الرئيس معصباً لما يعصب برأسه من الأمور، أو لأنهم يعصبون رءوسهم بعصابة لا تنبغي لغيرهم يمتازون بها.

وعند ابن اسحق لقد جاءنا الله بك وإنا لننظم له الخرز لنُتَوِّجَه، فهذا تفسير المراد وهو أولى مما تقدم.

قوله (شرِق بذلك) أي غصَّ به، وهو كناية عن الحسد.

قوله (حتى أذن الله فيهم) أي في قتالهم، أي فترك العفو عنهم، وليس المراد أنه تركه أصلاً بل بالنسبة إلى ترك القتال أولا ووقوعه آخرا، وإلا فعفوه ﷺ عن كثير من المشركين واليهود بالمن والفداء وصفحه عن المنافقين مشهور في الأحاديث والسير.

قوله (صناديد) جمع صنديد وهو الكبير في قومه.

قوله (هذا أمر قد توجه) أي ظهر وجهه.

١٦ ـ باب {لا تَحسبنَّ الذين يَفرَحونَ بما أَتَوا}

٤٥٦٧ ـ عن أبي سعيد الخدريِّ رضيَ الله عنه «إنَّ رجالاً منَ المنافقين على عهدِ رسولِ الله ﷺ كان إذا خرَجَ رسولُ الله ﷺ إلى الغَزو تخلَّفوا عنه وفرِحوا بمقعَدِهم خلافَ رسولِ الله، فإذا قدِمَ رسولُ الله ﷺ اعتَذَروا إليه وحَلفوا، وأحبُّو أن يُحمَدوا بما لم يَفعلوا، فنزلت {لا تَحسبنَّ الذين يَفرَحون} الآية».

(١) رواية الباب واليونينية "البحيرة" بإثبات الياء.

٤٥٦٨ ـ عن علقمةَ بن وقاصٍ «أنَّ مروانَ قال لبَوَّابه: اذهَب يا رافعُ إلى ابن عباسٍ فقل: لئن كان كلُّ امرىءٍ فرحَ بما أوتيَ وأحبَّ أن يُحمَدَ بما لم يَعملْ مُعذَّبًا لنُعذَّبَنَّ أجمعون. فقال ابن عباس: ما لكم ولهذهِ؟ إنما دعا النبيُّ ﷺ يهودَ فسألهم عن شيءٍ، فكتموه إياه، وأخبَروه بغيره فأرَوْهُ أن قد استَحْمَدُوا إليه بما أخبَرُوه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتَوْ من كِتْمانِهم. ثم قرأ ابنُ عبّاس {وإذا أخذَ اللهُ مِيثاقَ الذين أُوتوا الكتابَ} كذلك حتى قولهِ {يفرَحون بما أتَواْ ويُحِبُّون أن يُحمدوا بما لم يَفعلوا}».

قوله (إن رجالاً من المنافقين) هكذا ذكره أبو سعيد الخدري في سبب نزول الآية وأن المراد من كان يعتذر عن التخلف من المنافقين، وفي حديث ابن عباس الذي بعده أن المراد من أجاب من اليهود بغير ما سئل عنه وكتموا ما عندهم من ذلك، ويمكن الجمع بأن تكون الآية نزلت في الفريقين معا، وبهذا أجاب القرطبي وغيره، وحكى الفراء أنها نزلت في قول اليهود نحن أهل الكتاب الأول والصلاة والطاعة، ومع ذلك لا يقرون بمحمد فنزلت {ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا} وروى ابن أبي حاتم من طرق أخرى عن جماعة من التابعين نحو ذلك ورجحه الطبري، ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك، أو نزلت في أشياء خاصة وعمومها يتناول كل من أتى بحسنة ففرح بها فرح إعجاب وأحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بما ليس فيه، والله أعلم.

قوله (بما أتوا) بمعنى جاءوا أي بالذي فعلوه، وللحموي «بما أتوا» بضم الهمزة بعدها واو أي أعطوا، أى من العلم الذي كتموه، كما قال تعالى {فرحوا بما عندهم من العلم} والأول أولى لموافقته التلاوة المشهوره، على أن الأخرى قراءة السلمي وسعيد بن جبير، وموافقة المشهور أولى مع موافقته لتفسير ابن عباس.

قوله {ثم قرأ ابن عباس وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب} فيه إشارة إلى أن الذين أخبر الله عنهم في الآية المسئول عنها هم المذكورون في الآية التي قبلها. وأن الله ذمهم بكتمان العلم الذي أمرهم أن لا يكتموه، وتوعدهم بالعذاب على ذلك.

١٧ ـ باب {إن في خلق السماوات والأرض} الآية

٤٥٦٩ ـ عن ابن عباس رضيَ الله عنهما قال «بتُّ عند خالتي ميمونة، فتحدَّثَ رسولُ الله ﷺ مع أهله ساعةً ثم رَقَد. فلما كان ثُلثُ الليل الآخِرِ قعدَ فنَظرَ إلى السماء فقال: {إنَّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب} ثم قام فتوضأ

واستنَّ فصلَّى إحدَى عشرةَ ركعةً، ثم أذَّن بلالٌ فصلَّى ركعتَين، ثم خرج فصلَّى الصبحَ».

قوله (باب قوله[١]إن في خلق السماوات والأرض) وذكر حديث ابن عباس في بيت ميمونة، وقد تقدم شرحه مستوفى في أبواب الوتر[٢].

١٨ - باب {الذين يَذكُرونَ الله قياماً وقُعوداً وعلى جُنوبهم ويَتفكرون في خلق السماوات والأرض} الآية

٤٥٧٠ - عن ابن عباس رضيَ الله عنهما قال: «بتُّ عندَ خالتي مَيمونة، فقلتُ لأنظرَن إلى صلاةِ رسولِ الله ﷺ، فطرَحَتْ لرسولِ الله ﷺ وِسادةً، فنام رسولُ اللهِ ﷺ في طُولها، فجعلَ يمسحُ النومَ عن وجهه، فقرأ الآياتِ العَشرَ الأواخرَ من آلِ عِمرانَ حتى خَتَمَ. ثم أتى سقاء معلَّقاً فأخذهُ فتوضأ، ثم قام يُصلِّي فقمتُ فصنَعتُ مِثلما صَنَعَ. ثم جئتُ فقمتُ إلى جَنبِه، فوضعَ يدَه على رأسي، ثم أخذَ بأذني فجعلَ يَفتِلُها. ثم صلى ركعتَين، ثم صلى ركعتَين، ثم صلَّى ركعتين، ثم صلَّى ركعتين، ثم صلَّى ركعتين، ثم أوتر».

١٩ - باب {ربنا إنَّكَ من تُدخلِ النارَ فقد أخزَيتَه، وما للظالمينَ مِن أنصار}

٤٥٧١ - عن عبد الله بن عباسٍ أنه باتَ عندَ مَيمونةَ زوج النبيِّ ﷺ -وهيَ خالته- قال: فاضطجعتُ في عَرض الوِسادة واضطَجَعَ رسولُ الله ﷺ وأهلُهُ في طولِها، فنامَ رسولُ الله ﷺ حتى انتصفَ الليلُ أو قبله بقليل أو بعده قليل، ثم استيقظَ رسولُ الله ﷺ فجعلَ يَمسحُ النومَ من وَجهه بيدَيه، ثم قرأ العشرَ الآيات الخواتَم من سورةِ آل عِمرانَ، ثم قام إلى شَنٍ مُعلقةٍ فتوضأ منها فأحسنَ وُضوءَه ثم قامَ يُصلِّي فصنَعتُ مثل ما صنعَ، ثم ذهبتُ فقمتُ إلى جَنبِهِ، فوضع رسولُ الله ﷺ يدَه اليمنى على رأسي، وأخذَ بأذني اليمنى يَفتِلُها، فصلى ركعتَين، ثم ركعتين، ثم ركعتَين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوترَ، ثم اضطجَع حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتَين خَفيفتَين، ثم خرجَ فصلى الصُّبح».

٢٠ - باب {ربَّنا إنَّنا سَمِعنا مُنادياً يُنادي للإيمان} الآية

٤٥٧٢ - عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما أنه بات عندَ ميمونة زوج النبيِّ ﷺ وهيَ خالته، قال فاضطجعْتُ في عَرضِ الوِسادة، واضطجعَ رسولُ اللهِ ﷺ وأهلُه في طولِها، فنامَ رسولُ اللهِ ﷺ، حتى إذا انتصفَ الليلُ أو قبلَه بقليل أو بعدَه بقليل، استيقظ رسولُ الله ﷺ، فجعلَ يَمسحُ النوم عن وَجههِ بيده، ثم قرأ العشرَ الآيات الخواتم من سورةِ آل عِمران، ثم قام إلى شَنٍ مُعلَّقةٍ فتوضأ منها فأحسنَ وضوءه، ثم قام يُصلِّي. قال ابن عباس: فقمتُ

---

(١) في المتن "باب إنّ في خلق ..." بدون ذكر "قوله" وبدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب الوتر با ب/ ١ ح ٩٩٢ - ١ / ٥١٦.

فصنعتُ مثل ما صنعَ، ثم ذهبت فقمتُ إلى جَنبهِ فوضعَ رسولُ اللهِ ﷺ يدَهُ اليمنى على رأسي، وأخذَ بأذني اليمنى يَفتِلُها، فصلى ركعَتين، ثم ركعتين، ثمَّ ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوترَ، ثم اضطجعَ حتى جاءه المؤذنُ فقام فصلى ركعتين خفيفتَين، ثم خرج فصلى الصبح».

(٤) سورةُ النِّساء

قال ابنُ عباس: يَستنكِف: يَستكبِر. قواما: قوامُكم من مَعايشِكم. لهنَّ سبيلا: يعني الرَّجمَ للثيِّب، والجلدَ للبِكر. وقال غيرهُ: مَثنى وثُلاث ورُباع، يعني اثنَتين وثلاثاً وأربعاً، ولا تجاوِزُ العربُ رُباعَ

قوله (قال ابن عباس: يستنكف: يستكبر) وقد وصله ابن أبي حاتم بإسناد صحيح من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى {ومن يستنكف عن عبادته} قال يستكبر، وهو عجيب، فإن في الآية عطف الاستكبار على الاستنكاف فالظاهر أنه غيره، ويمكن أن يحمل على التوكيد. وقال الطبري: معنى يستنكف يأنف.

قوله (قواما قوامكم من معايشكم) هكذا وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ووصله الطبري من هذا الوجه بلفظ {لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً} يعني قوامكم من معايشكم، يقول لا تعمد إلى مالك الذي جعله الله لك معيشة فتعطيه امرأتك ونحوها.

قوله (لهن سبيلا يعني الرجم للثيب والجلد للبكر) وهو من تفسير ابن عباس أيضاً وصله عبد بن حميد عنه بإسناد صحيح، وروى مسلم وأصحاب السنن من حديث عبادة بن الصامت «أن النبي ﷺ قال: خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» والمراد الإشارة إلى قوله تعالى {حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا} وقد روى الطبراني من حديث ابن عباس قال: فلما نزلت سورة النساء قال رسول الله ﷺ «لا حبس بعد سورة النساء» وسيأتي البحث في الجمع بين الجلد والرجم للثيب في كتاب الحدود إن شاء الله تعالى.

١ ـ باب {وإن خِفتم أن لا تقسطوا في اليتامى}

٤٥٧٣ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها «أن رجلاً كانت له يتيمةٌ فنكحها، وكان لها عَذْقٌ وكان يُمسكها عليه ولم يكن لها من نفسهِ شيء، فنزلَت فيه {وإن خفتم أن لا تُقسطوا في اليَتامى} أحسِبه قال: كانت شريكتَهُ في ذلك العَذقِ وفي ماله».

٤٥٧٤ ـ عن عروة بن الزُّبير أنه سألَ عائشةَ عن قولِ الله تعالى {وإن خفتم أن لا تُقسطوا في اليتامى} فقالت: يا ابن أُختي، هذه اليتيمة تكون في حَجر ولِيِّها تشركهُ في

ماله ويُعجبه مالُها وجَمالُها، فيريدُ وليُّها أن يتزوجَها بغير أن يُقسطَ في صَداقِها فيُعطِيَها مثلَ ما يُعطيها غيرُهُ، فَنُهُوا عن أن يَنكِحُوهُنَّ إلاّ أن يُقسِطوا لهنَّ ويبلغوا لهنّ أعلى سُنَّتِهِنَّ في الصداق، فأمِروا أن يَنكِحوا ما طاب لهم من النساءِ سِواهنَّ. قال عروة قالت عائشة: وإنَّ الناسَ استفتَوا رسولَ الله ﷺ بعدَ هذهِ الآية، فأنزَلَ الله {ويَستفتونك في النساء} قالت عائشة: وقول اللهِ تعالى في آية أخرى: {وتَرغَبون أن تنكِحوهنَّ} رغبة أحدِكم عن يتيمتهِ حين تكونُ قليلة المالِ والجمالِ، قالت: فنُهوا أن يَنْكِحُوا عن من رغبوا في مالهِ وجماله في يَتامى النساءِ إلاّ بالقِسط، من أجلِ رغبَتِهم عنهنَّ إذا كنَّ قليلاتِ المالِ والجمال».

قوله (باب وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى) ومعنى {خفتم} ظننتم، ومعنى {تقسطوا} تعدلوا، وهو من أقسط يقال قسط إذا جار، وأقسط إذا عدل.

قوله (عذق) النخلة.

قوله (وكان يمسكها عليه) أي لأجله.

قوله (اليتيمة) أي التي مات أبوها.

قوله (في حجر وليها) أي الذي يلي مالها.

قوله (فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن) أي بأي مهر توافقوا عليه، وتأويل عائشة هذا جاء عن ابن عباس مثله أخرجه الطبري، وعن مجاهد في مناسبة ترتب قوله {فانكحوا ما طاب لكم من النساء} على قوله {وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى} شيء آخر، قال: في معنى قوله تعالى {وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى} أي إذا كنتم تخافون أن لا تعدلوا في مال اليتامى فتحرجتم أن لا تلوها فتحرجوا من الزنا وانكحوا ما طاب لكم من النساء، وعلى تأويل عائشة يكون المعنى وإن خفتم أن لا تقسطوا في نكاح اليتامى.

قوله (فنهوا) أي نهوا عن نكاح المرغوب فيها لجمالها ومالها لأجل زهدهم فيها إذا كانت قليلة المال والجمال، فينبغي أن يكون نكاح اليتيمتين على السواء في العدل، وفي الحديث اعتبار مهر المثل في المحجورات وأن غيرهن يجوز نكاحها بدون ذلك، وفيه أن للولي أن يتزوج من هي تحت حجره لكن يكون العاقد غيره، وسيأتي البحث فيه في النكاح، وفيه جواز تزويج اليتامى قبل البلوغ لأنهن بعد البلوغ لا يقال لهن يتيمات إلا أن يكون أطلق استصحاباً لحالهن، وسيأتي البحث فيه أيضاً في كتاب النكاح[1].

---

(١) كتاب النكاح باب / ٤٣ ح ٥١٤٠ - ٤ / ٧٣.

٢ ـ باب {ومَن كان فقيراً فليأكل بالمعروف، فإذا دَفَعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم} الآية

وبِداراً مبادَرةً. أعتَدْنا أعددنا أفعلنا منَ العَتاد

٤٥٧٥ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها في قوله تعالى {ومَن كان غنيّاً فلْيَستعفِف، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف} أنها نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيراً أنه يأكل منه مكانَ قيامهِ عليه بمعروف».

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: {ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً}: الإسراف الإفراط، وأخرج الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال:يعني يأكل مال اليتيم ويبادر إلى أن يبلغ فيحول بينه وبين ماله.

قوله (أعتدنا) أعددنا أفعلنا من العتاد) والمراد أن أعتدنا وأعددنا بمعنى واحد، لأن العتيد هو الشيء المعد.

قوله (في مال اليتيم) في رواية الكشميهني «في والي اليتيم» والمراد بوالي اليتيم المتصرف في ماله بالوصية ونحوها.

ووقع في البيوع من طريق عثمان بن فرقد عن هشام بن عروة بلفظ «أنزلت في والي اليتيم الذي يقوم عليه ويصلح ماله، إن كان فقيراً أكل منه بالمعروف» وفي الباب حديث مرفوع أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن عندي يتيماً له مال، وليس عندي شيء، أفآكل من ماله؟ قال: بالمعروف» وإسناده قوي.

قوله (إذا كان فقيرا) مصير منه إلى أن الذي يباح له الأجرة من مال اليتيم من اتصف بالفقر وقد قدمت البحث في ذلك في كتاب الوصايا.

٢ ـ باب {وإذا حَضرَ القسمةَ أُولو القُربى واليَتامى والمساكين} الآية

٤٥٧٦ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما {وإذا حَضَرَ القِسمةَ أولوا القربى واليَتامى والمساكينُ} قال: هي مُحكمة. وليست بمنسوخة».

قوله (هي محكمة وليس بمنسوخة) زاد الإسماعيلي من وجه آخر عن الأشجعي «وكان ابن عباس إذا ولى رضخ، وإذا كان في المال قلة اعتذر إليهم، فذلك القول بالمعروف».

قوله (تابعه سعيد ابن جبير عن ابن عباس) وصله في الوصايا بلفظ «إن ناساً يزعمون أن هذه الآية نسخت، ولا والله ما نسخت، ولكنها مما تهاون الناس بها، هما واليان: وال يرث وذلك الذي يُرزق، ووال لا يرث وذلك الذي يقال له بالمعروف؛ يقول: لا أملك لك أن أعطيك» وهذان الإسنادان الصحيحان عن ابن عباس هما المعتمدان، وجاءت عنه روايات من

أوجه ضعيفة عند ابن أبي حاتم وابن مردويه أنها منسوخة، فنسختها آية الميراث، وصح ذلك عن سعيد بن المسيب، وهو قول القاسم بن محمد وعكرمة وغير واحد، وبه قال الأئمة الأربعة وأصحابهم، وجاء عن ابن عباس قول آخر أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد «أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم ميراث أبيه عبد الرحمن في حياة عائشة، فلم يدع في الدار ذا قرابة ولا مسكينا إلا أعطاه من ميراث أبيه» وتلا الآية «قال القاسم فذكرته لابن عباس فقال: ما أصاب، ليس ذلك له، إنما ذلك إلى الوصي، وإنما ذلك في العصبة أي ندب للميت أن يوصي لهم.

قلت: وهذا لا ينافي حديث الباب، وهو أن الآية محكمة وليس بمنسوخة.

وقيل معنى الآية: وإذا حضر قسمة الميراث وقرابة الميت ممن لا يرث واليتامى والمساكين فإن نفوسهم تتشوف إلى أخذ شيء منه، ولا سيما إن كان جزيلا، فأمر الله سبحانه أن يرضخ لهم بشيء على سبيل البر والإحسان. واختلف من قال بذلك هل الأمر فيه على الندب أو الوجوب؟ فقال مجاهد وطائفة: هي على الوجوب وهو قول ابن حزم أن على الوارث أن يعطي هذه الأصناف ما طابت به نفسه. ونقل ابن الجوزي عن أكثر أهل العلم أن المراد بأولي القرابة من لا يرث، وأن معنى {فارزقوهم} أعطوهم من المال. وقال آخرون: أطعموهم، وأن ذلك على سبيل الاستحباب وهو المعتمد، لأنه لو كان على الوجوب لاقتضى استحقاقاً في التركة ومشاركة في الميراث بجهة مجهولة فيفضي إلى التنازع والتقاطع.

وعن ابن سيرين وطائفة: المراد بقوله {فارزقوهم منه} اصنعوا لهم طعاماً يأكلونه، وأنها على العموم في مال المحجور وغيره، والله أعلم.

٤ ـ باب {يوصيكم اللهُ في أولادكم}

٤٥٧٧ ـ عن جابر رضيَ اللهُ عنه قال: «عادَني النبيُّ ﷺ وأبو بكرٍ في بني سَلِمة ماشيَين، فوَجدني النبيُّ ﷺ لا أعقِلُ، فدَعا بماءٍ فتوضَّأ منه ثم رشَّ عليَّ فأفَقْتُ، فقلتُ: ما تأمرُني أن أصنعَ في مالي يا رسول الله؟ فنزلَت {يُوصيكم الله في أولادِكم}.

قوله (باب يوصيكم الله في أولادكم) والمراد بالوصية هنا بيان قسمة الميراث.

قوله (ثم رش علي) بيَّنتُ في الطهارة الرد على من زعم أنه رش عليه من الذي فضل، وسيأتي في الاعتصام[1] التصريح بأنه صب عليه نفس الماء الذي توضأ به.

قوله (فقلت ما تأمرني أن أصنع في مالي) في رواية شعبة المذكورة «فقلت يا رسول الله

(١) كتاب الاعتصام باب / ٨ ح ٧٣٠٩ - ٥ / ٥١١.

لمن الميراث، إنما يرثني كلالة» وسيأتي بيان ذلك في الفرائض[١].

٥ ـ باب {ولكم نصفُ ما تركَ أزواجُكم}

٤٥٨٢ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «كان المالُ للولدِ، وكانتِ الوصيَّةُ للوالدَين، فنسخَ اللهُ من ذلك ما أحبَّ: فجعل للذكرِ مثلَ حظِّ الأنثيينِ، وجعل للأبوين لكلِّ واحد منهما السُّدُس والثلث، وجعلَ للمرأةِ الثُّمن والرُّبع، وللزَّوج الشطر والرُّبعَ».

قوله (كان المال للولد) يشير إلى ما كانوا عليه قبل، وقد روى الطبري من وجه آخر عن ابن عباس أنها «لما نزلت قالوا يا رسول الله أنعطي الجارية الصغيرة نصف الميراث وهي لا تركب الفرس ولا تدافع العدو؟ قال: وكانوا في الجاهلية لا يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم».

قوله (فنسخ الله من ذلك ما أحب) هذا يدل على أن الأمر الأول استمر إلى نزول الآية، وفيه رد على من أنكر النسخ، ولم ينقل ذلك عن أحد من المسلمين إلا عن أبي مسلم الأصبهاني صاحب التفسير فإنه أنكر النسخ مطلقا، ورد عليه بالإجماع على أن شريعة الإسلام ناسخة لجميع الشرائع، أجيب عنه بأنه يري أن الشرائع الماضية مستقرة الحكم إلى ظهور هذه الشريعة، قال فسمي ذلك تخصيصاً لا نسخا، ولهذا قال ابن السمعاني: إن كان أبو مسلم لا يعترف بوقوع الأشياء التي نسخت في هذه الشريعة فهو مكابر، وإن قال لا أسميه نسخاً كان الخلاف لفظياً، والله أعلم.

قوله (وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث) والمعنى أن لكل واحد منهما السدس في حال وللأم الثلث في حال، ووزان ذلك ما ذكره في بقية الحديث «وللزوج النصف والربع» أي كل منهما في حال.

٦ ـ باب {لا يَحِلُّ لكم أن تَرثوا النساء كَرْهاً ولا تَعْضُلُوهُن لِتَذْهَبوا ببعض ما آتيتمُوهُن} الآية

ويُذكر عن ابن عباس: لا تَعضُلوهنَّ: لا تَقْهَرُوهُن. حُوباً: إثماً. تَعُولوا: تَميلوا. نِحْلَةً: النِّحْلَة المهر

٤٥٧٩ ـ عن ابن عباسٍ {يا أيها الذين آمنوا لا يحلُّ لكم أن تَرثوا النساءَ كَرْهاً ولا تَعضُلوهُنَّ لتذهبوا ببعض ما آتيتُمُوهُنَّ} قال: كانوا إذا ماتَ الرجلُ كان أولياؤهُ أحقَّ بامرأتهِ، إن شاء بعضُهم تزوَجَها، وإن شاءوا زوَّجُوها، وإن شاءوا لم يُزوجوها وهم أحقُّ بها من أهلها، فنزَلت هذه الآية في ذلك». [الحديث ٤٥٧٩ – طرفه في: ٦٩٨٤]

---

(١) كتاب الفرائض باب/ ١٣ح ٦٧٤٣ – ٥/٥١١.

(ب) كتاب الفرائض باب/ ١ح٦٧٢٣ – ٥/١٥٧.

قوله (ويذكر عن ابن عباس: لا تعضلوهن لا تقهروهن) وهذا الأثر وصله الطبري وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {لا تعضلوهن} لا تقهروهن {لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن} يعني الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضرها لتفتدي.

وعن مجاهد أن المخاطب بذلك أولياء المرأة كالعضل المذكور في سورة البقرة، ثم ضعف ذلك ورجح الأول.

قوله (حوباً إثما) وصله ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى {إنه كان حوباً} قال: إثما عظيما.

قوله (نحلة فالنحلة[1] المهر) وصله ابن أبي حاتم والطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى {وآتوا النساء صدقاتهن نحلة} قال: النحلة المهر.

قوله (إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجوها وإن شاءوا لم يزوجوها وهم أحق بها من أهلها) روى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس «كان الرجل إذا مات وترك امرأة ألقى عليها حميمُه ثوباً فمنعها من الناس، فإن كانت جميلة تزوجها وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت ويرثها».

٧ ـ باب {ولكلٍ جعلنا مواليَ مما تركَ الوالدانِ والأقربون والذين عاقَدَتْ[2] أيمانكم فآتوهم نصيبهم، إن الله كان على كل شيءٍ شهيدا} الآية

وقال معمر: موالي أولياء ورثة، عاقدَت أيمانُكم هو مَولَى اليمين وهو الحليف والمولى أيضاً ابنُ العمّ، والمولى المنعم المعتِق، والمولى المعتَق، والمولى المليك، والمولى مولى في الدين

٤٥٨٠ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما {ولكلٍّ جَعلْنا موالي} قال: ورثة. {والذينَ عاقدَت أيمانُكم} كان المهاجِرون لما قدِموا المدينة يَرِث المهاجرُ الأنصاريَّ دونَ ذوي رَحِمِه للأخوّةِ التي آخى النبيُّ ﷺ بينهم فلما نزلَت {ولكلٍّ جَعلنا مَواليَ} نُسِخَت. ثم قال: {والذينَ عاقَدَت أيمانُكم} منَ النصرِ والرفادةِ والنُّصيحة وقد ذهبَ الميراث ويوصِي له.

قوله (فلما نزلت {ولكل جعلنا موالي} نسخت) هكذا وقع في هذه الرواية أن ناسخ ميراث الحليف هذه الآية. وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «كان الرجل يعاقد الرجل، فإذا مات ورثه الآخر، فأنزل الله عز وجل {وأولو الأرحام بعضهم

(١) رواية الباب واليونينية "نحلة النحلة المهر".
(٢) قراءة حفص عن عاصم "عقَدت" بغير ألف.

أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا} يقول إلا أن توصوا لأوليائكم الذين عاقدتم. ومن طريق قتادة: كان الرجل يعاقد الرجل في الجاهلية فيقول دمي دمك وترثني وأرثك، فلما جاء الإسلام أمروا أن يؤتوهم نصيبهم من الميراث وهو السدس، ثم نسخ بالميراث فقال: {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض}، ومن طرق شتى عن جماعة من العلماء كذلك، وهذا هو المعتمد.

قوله (ثم قال: {والذين عاقدت أيمانكم} من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له) قوله من النصر يتعلق بآتوهم لا بعاقدت ولا بأيمانكم، وهو وجه الكلام. والرفادة الإعانة بالعطية.

٨ ـ باب {إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ مثقال ذرّة}

يعني زِنَةَ ذرة.

٤٥٨١ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ الله عنه «أنَّ أناسا في زمن النبيِّ ﷺ قالوا: يا رسولَ الله، هل نرَى ربَّنا يومَ القيامة؟ قال النبيُّ ﷺ: نعم، هل تُضارُّون في رؤيةِ الشمس بالظهيرةِ، ضوءٌ ليس فيهِ سَحاب؟ قالوا: لا. قال: وهل تضارُّون في رؤية القمر ليلةَ البدر، ضوءٌ ليس فيه سحاب؟ قالوا:لا. قال النبيُّ ﷺ: ما تُضارُّون في رؤيةِ الله عزَّوجل يومَ القيامة إلا كما تضارُّون في رؤية أحدهما. إذا كان يومَ القيامة أذَّنَ مؤذِّنٌ تَتبَعُ كلُّ أمةٍ ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يَعبد غيرَ الله من الأصنام والأنصابِ إلا يَتساقَطون في النار. حتى إذا لم يَبقَ إلا مَن كانَ يعبدُ الله برٌّ أو فاجرٍ وغُبَّرات أهل الكتاب، فيُدعى اليهود فيُقال لهم: مَن كنتم تَعبدون؟ قالوا: كنا نعبدُ عُزَيْرَ ابنَ الله، فيقال لهم: كذَبتم، ما اتَّخَذَ اللهُ من صاحبةٍ ولا وَلَد، فماذا تَبغون؟ فقالوا: عَطِشنا ربنا فاسقِنا، فيشار ألا ترون؟ فيُحشَرون إلى النارِ كأنها سَرابٌ يَحطِمُ بعضُها بعضاً فيَتساقطون في النار. ثم يُدعى النصارى، فيُقالُ لهم: من كنتم تَعبدون؟ قالوا: كنّا نَعبدُ المسيح ابن الله، فيُقال لهم: كذبتم، ما اتخذ اللهُ من صاحبةٍ ولا وَلَد. فيُقال لهم: ماذا تَبغون؟ فكذلك مثلُ الأول. حتى إذا لم يَبقَ إلا من كان يَعبدُ الله من بَرٍّ أو فاجر، أتاهم ربُّ العالَمين في أدنى صورةٍ من التي رأوه فيها، فيقال: ماذا تَنتظرون؟ تَتبعُ كلُّ أمةٍ ما كانت تعبدُ. قالوا: فارقنا الناس في الدُّنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نُصاحِبهم: ونحن ننتَظِرُ ربَّنا الذي كنا نَعبد، فيقول، أنا ربُّكم، فيقولون: لا نُشركُ باللهِ شيئاً. مرَّتين أو ثلاثا».

قوله (باب قوله[١]{إن الله لا يظلم مثقال ذرة} يعني زنة ذرة) ثم ذكر المصنف حديث أبي سعيد في الشفاعة وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب الرقاق[٢]إن شاء الله تعالى.

٩ - باب {فكيفَ إذا جِئنا من كلِّ أمةٍ بشهيدٍ، وجئنا بكَ على هؤلاءِ شهيدا}

المُختال والختّال واحد. نَطمِس وجوها: نسوِّيها حتى تَعود كأقفائهم. طَمَسَ الكتاب: محاهُ. جهنم سعيرا وُقودا

٤٥٨٢ - عن عمرو بن مُرَّة قال: قال لي النبيُّ ﷺ: اقرأ عليَّ. قلتُ: آقرأُ عليكَ وعليكَ أُنزل؟ قال: فإني أحب أن أسمعهُ من غيري. فقرأتُ عليه سورة النساءِ حتى بلغتُ {فكيف إذا جِئنا من كلِّ أمةٍ بشهيد وجئنا بك على هؤلاءِ شهيداً} قال: أمسِك. فإذا عَيناهُ تَذرِفان».

١٠ - باب {وإن كنتم مَرضى أو على سَفرٍ أو جاء أحدٌ منكم من الغائط}

صعيداً: وجهَ الأرض. وقال جابرٌ كانتِ الطواغيتُ التي يَتحاكمون إليها: في جُهَينةَ واحدٌ، وفي أسلمَ واحد، وفي كلِّ حَيٍ واحد. كُهّانٌ يَنزلُ عليهمُ الشيطان. وقال عمرُ: الجِبتُ السِّحرُ، والطاغوتُ الشيطان. وقال عِكرمةُ: الجِبت بلسانِ الحبشةِ شيطان، والطاغوتُ الكاهن.

٤٥٨٣ - عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «هَلَكَت قِلادةٌ لأسماءَ، فبعثَ النبيُّ ﷺ في طلبها رِجالاً، فحضَرَتِ الصلاةُ وليسوا على وُضوءٍ ولم يَجدوا ماءً، فصلُّوا وهم على غير وُضوءٍ فأنزلَ الله. يعني آية التيمُّم».

قوله (باب قوله[٣]وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحد منكم من الغائط) هذا القدر مشترك في آيتي النساء والمائدة، وإيراد المصنف له في تفسير سورة النساء يشعر بأن آية النساء نزلت في قصة عائشة، وقد سبق ما فيه في كتاب التيمم[٤].

قوله (صعيداً وجه الأرض) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {فتيمموا صعيداً طيبا}: تيمموا أي تعمدوا قال. والصعيد وجه الأرض. قال الزجاج: لا أعلم خلافاً بين أهل اللغة أن الصعيد وجه الأرض، سواء كان عليها تراب أم لا، ومنه قوله تعالى {صعيداً جرزا} و{صعيدا زلقا} وإنما سمي صعيداً لأنها نهاية ما يصعد من الأرض. الصعيد الأرض المستوية. الصواب أن الصعيد وجه الأرض المستوية الخالية من الغرس والنبات والبناء، وأما الطيب فهو الذي

---

(١) في المتن "باب إن الله لا يظلم ...." بدون قوله ذكر وقوله" وبدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب الرقاق باب / ٥٢ ح ٦٥٧٣ - ٥ / ٨٧.
(٣) في المتن "باب وإن كنتم ...." بدون قوله وبدون التبويب في اليونينية.
(٤) كتاب التيميم باب / ١ ح ٣٣٤ - ١ / ٢٢٨.

تمسك به من اشترط في التيمم التراب، لأن الطيب هو التراب المنبت، قال الله تعالى: {والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه} وروى عبد الرزاق من طريق ابن عباس: الصعيد الطيب الحرث.

قوله (وقال عكرمة: الجبت بلسان الحبشة شيطان والطاغوت الكاهن) وصله عبد بن حميد بإسناد صحيح عنه، وروى الطبري من طريق قتادة مثله بغير ذكر الحبشة قال: كنا نتحدث أن الجبت الشيطان، والطاغوت الكاهن.ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الجبت حيي بن أخطب، والطاغوت كعب بن الأشرف. واختار الطبري أن المراد بالجبت والطاغوت جنس من كان يُعبد من دون الله سواء كان صنماً أو شيطانا جنيا أو آدميا، فيدخل فيه الساحر والكاهن، والله أعلم.

ثم أورد المصنف طرفا من حديث عائشة في سقوط عُقدها ونزول آية التيمم، وقد مضى شرحه مستوفى في كتاب التيمم[١].

١١ ـ باب {أطِيعوا الله، وأطيعوا الرسولَ، وأُولي الأمر منكم} ذوي الأمر

٤٥٨٤ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما {أطيعوا اللهَ، وأطيعوا الرسولَ، وأولي الأمر منكم} قال: «نزلت في عبد اللهِ بن حُذافةَ بن قيس بن عديّ إذ بَعثَهُ النبيُّ ﷺ في سَرِيَّة».

قوله (نزلت في عبد الله بن حذافة) كذا ذكره مختصراً، والمعنى نزلت في قصة عبد الله بن حذافة أي المقصود منها في قصته قوله {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله} الآية، وقد غفل الداودي عن هذا المراد فقال: هذا وهم على ابن عباس، فإن عبد الله بن حذافة خرج على جيش فغضب فاوقدوا ناراً وقال اقتحموها فامتنع بعض، وهمَّ بعضٌ أن يفعل. قال: فإن كانت الآية نزلت قبل فكيف يخص عبد الله بن حذافة بالطاعة دون غيره، وإن كانت نزلت بعد فإنما قيل لهم إنما الطاعة في المعروف، وما قيل لهم لِمَ لم تطيعوه؟ انتهى.

وبالحمل الذي قدمته يظهر المراد، وينتفي الإشكال الذي أبداه، لأنهم تنازعوا في امتثال ما أمرهم به، وسببه أن الذين هموا أن يطيعوه وقفوا عند امتثال الأمر بالطاعة، والذين امتنعوا عارضه عندهم الفرار من النار، فناسب أن ينزل في ذلك ما يرشدهم إلى ما يفعلونه عند التنازع وهو الرد إلى الله وإلى رسوله، أي إن تنازعتم في جواز الشيء وعدم جوازه فارجعوا إلى الكتاب والسنّة، والله أعلم.

---

(١) كتاب التيميم باب / ١ ح ٣٣٤ -١ / ٢٢٨.

وقد روى الطبري أن هذه الآية نزلت في قصة جرت لعمار بن ياسر مع خالد بن الوليد وكان خالد أميراً فأجار عمار رجلاً بغير أمره فتخاصما فنزلت، فالله أعلم.

وقد تقدم شرح حال هذه السرية والاختلاف في اسم أميرها في المغازي بعد غزوة حنين[١] بقليل، واختلف في المراد بأولي الأمر في الآية، فعن أبي هريرة قال: هم الأمراء أخرجه الطبري بإسناد صحيح، وأخرج عن ميمون بن مهران وغيره نحوه، وعن جابر بن عبد الله قال: هم أهل العلم والخير، وعن مجاهد وعطاء والحسن وأبي العالية: هم العلماء، ومن وجه آخر أصح منه عن مجاهد قال: هم الصحابة، وهذا أخص. وعن عكرمة قال: أبو بكر وعمر، وهذا أخص من الذي قبله، ورجح الشافعي الأول واحتج له بأن قريشاً كانوا لايعرفون الإمارة ولا ينقادون إلى أمير، فأمروا بالطاعة لمن ولي الأمر، ولذلك قال ﷺ: من أطاع أميري فقد أطاعني» متفق عليه. واختار الطبري حملها على العموم وإن نزلت في سبب خاص، والله أعلم.

١٢ ـ باب {فلا وربِّك لا يُؤمنونَ حتى يُحكموكَ فيما شَجَرَ بينهم}

٤٥٨٥ ـ عن عروةَ قال: «خاصمَ الزُّبيرُ رجلاً من الأنصار في شَريجٍ منَ الحَرَّة {فقال النبيُّ ﷺ: اسق يا زُبير ثم أرسِل الماء إلى جارك. فقال الأنصاريُّ يا رسولَ الله، أن كان ابنَ عمَّتك؟ فتلوَّنَ وجهه، ثم قال: اسقِ يا زبير ثم احبسِ الماءَ حتى يَرجع إلى الجَدر، ثم أرسل الماءَ إلى جارك. واستوعى النبيُّ ﷺ للزُّبير حقَّه في صَريح الحكم حين أحفَظَهُ الأنصاريُّ وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سَعة. قال الزُّبير: فما أحسِبُ هذه الآيات إلا نزلت في ذلك {فلا وربِّكَ لا يُومِنونَ حتى يُحكموكَ فيما شَجَرَ بينهم}

قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) وذكر فيه قصة الزبير مع الأنصاري الذي خاصمه في شراج الحرة، وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الشرب[٢].

١٣ ـ باب {فأولئكَ مع الذين أنعمَ اللهُ عليهم من النبيِّين}

٤٥٨٦ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ما من نبيٍّ يَمرض إلا خيِّرَ بينَ الدنيا والآخرة. وكان في شكواه الذي قُبِضَ فيه أخذَته بُحَّة شديدة، فسمعتهُ يقول: {مع الذين أنعمَ الله عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين}، فعلمتُ أنهُ خُيِّر».

قوله (باب فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) ذكر فيه حديث عائشة، وقد تقدم شرحه في الوفاة النبوية[٣] ولله الحمد.

---

(١) كتاب المغازي باب / ٥٩ ح ٤٣٤٠ - ٣ / ٣٩٩.
(٢) كتاب الشرب باب / ٦ ح ٢٣٦٠ - ٢ / ٤٣٥.
(٣) كتاب المغازي باب / ٨٣ ح ٤٤٣٥ - ٣ / ٤٣٥.

١٤ - باب قوله {وما لكم لا تُقاتِلونَ في سبيلِ الله -إلى- الظالم أهلها}

٤٥٨٧ - عن ابن عباسٍ قال: كنتُ أنا وأُمي من المستضعَفين».

٤٥٨٨ - عن ابن أبي مُلَكيةَ «أنَّ ابن عباسٍ تلا {إلا المستَضعفين من النساءِ والولدانِ} قال: كنتُ أنا وأُمي مِمَّن عَذَرَ الله» ويُذكرُ عن ابن عباس: حَصِرَت: ضاقت. تَلْوُوا ألسِنَتكم بالشهادة. وقال غيرُه: المُراغَمُ: المهاجَر، راغَمتُ هاجَرتُ قومي. مُوقوتاً: مُوَقَّتاً وقَّتَهُ عليهم.

قوله (باب وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله -إلى الظالم أهلها) ولأبي ذر {والمستضعفين من الرجال والنساء} الآية، والأظهر أن المستضعفين مجرور بالعطف على اسم الله أي وفي سبيل المستضعفين، أو على سبيل الله أي وفي خلاص المستضعفين، وجوز الزمخشري أن يكون منصوباً على الاختصاص.

قوله (ويذكر عن ابن عباس حصرت ضاقت) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى {حصرت صدورهم} قال: ضاقت.

وقال المبرد هو على الدعاء أي أحصر الله صدورهم، كذا قال والأول أولى. وقد روى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد أنها نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي، وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصده ناس من قومه فكره أن يقاتل المسلمين وكره أن يقاتل قومه.

قوله (تلووا ألسنتكم بالشهادة) وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى {وإن تلووا أو تعرضوا} قال: تلووا ألسنتكم بشهادة أو تعرضوا عنها. وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: أن تدخل في شهادتك ما يبطلها أو تعرض عنها فلا تشهدها.

قوله (موقوتاً موقتاً وقته عليهم) وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {موقوتاً} قال مفروضاً.

١٥ - باب {فما لكم في المنافِقينَ فِئتَين والله أركَسَهم}

قال ابنُ عباس: بدَّدَهم فئة جماعة

٤٥٨٩ - عن زيد بن ثابتٍ رضيَ الله عنه {فما لكم في المنافقينِ فئتين} رجعَ ناسٌ من أصحابِ النبيِّ ﷺ من أحدٍ، وكان الناسُ فيهم فِرقتَين: فريق يقول اقتُلهم، وفريق يقول لا» فنزلَت: {فما لكم في المنافقين فئتَين} وقال: إنها طَيبةُ تَنفي الخبَث كما تَنفي النارُ خَبَثَ الفِضَّة». {أذاعوا به} أفشَوه. يَستَنبِطونَه يَستَخرجونه حَسِيباً كافيا. {إلا إناثاً} يعني المَوات حَجَراً أو مدراً وما أشبَهَهُ. مَريداً: مُتمرداً. فليُبَتِّكنَّ بتَّكهُ: قطَعه، قِيلا: وقولا واحد. طَبع: خُتم.

قوله (باب فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا، قال ابن عباس: بددهم) وصله الطبري من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله {والله أركسهم بما كسبوا} قال: بددهم. ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: أوقعهم. ومن طريق قتادة قال: أهلكهم، وهو تفسير باللازم، لأن الركس الرجوع، فكأنه ردهم إلى حكمهم الأول.

قوله (رجع ناس من[1] أحد) هم عبد الله بن أبي ابن سلول ومن تبعه، وقد تقدم بيان ذلك في غزوة أحد من كتاب المغازي[2] مستوفى، وقوله في آخره {خبث الفضة في رواية الحموي «خبث الحديد» وقد تقدم بيان الاختلاف في قوله «تنفي الخبث» في فضل المدينة[3].

قوله (إلا إناثا يعني الموات حجراً أو مدراً أو ما أشبهه) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {إن يدعون من دونه إلا إناثا} إلا الموات حجراً أو مدرا أو ما أشبه ذلك، والمراد بالموات ضد الحيوان. وقال غيره قيل لها إناث لأنهم سموها مناة واللات والعزى وإساف ونائلة ونحو ذلك وعن الحسن البصري: لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمى انثى بني فلان، وسيأتي في الصافات، حكاية عنهم أنهم كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك.

١٦ ـ باب {ومن يَقتل مؤمناً مُتَعمِّداً فجزاؤهُ جهنَّم}

٤٥٩٠ ـ عن سعيدِ بن جُبَير قال: «آيةٌ اختلفَ فيها أهلُ الكوفة، فرحلتُ فيها إلى ابن عبّاس فسألته عنها فقال: نزلت هذهِ الآيةُ {ومَن يَقتُلْ مؤمناً متعمِّداً فجزاؤهُ جهنَّم} هي آخرُ ما نزَل، وما نَسخَها شيء».

قوله (باب ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) قال: نزلت في مقيس بن ضبابة. وكان أسلم هو وأخوه هشام، فقتل هشاماً رجل من الأنصار غيلة فلم يعرف، فأرسل إليهم النبي ﷺ رجلاً يأمرهم أن يدفعوا إلى مقيس دية أخيه ففعلوا، فأخذ الدية وقتل الرسول ولحق بمكة مرتداً، فنزلت فيه. وهو ممن أهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح، أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير.

١٧ ـ باب {ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلامَ لستَ مؤمنا}

السَّلَمُ والسلامُ والسِّلْمُ واحد

٤٥٩١ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما «ولا تقولوا لمن ألقى إليكمُ السلامَ لست مؤمنا} قال ابن عباس: كان رجُلٌ في غُنَيمةٍ له، فلَحِقه المسلمون، فقال: السلامُ عليكم،

---

(١) رواية الباب واليونينية "رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أحد".
(٢) كتاب المغازي باب / ١٧ ح ٤٠٥٠ – ٣ / ٢٨٨.
(٣) كتاب فضائل المدينة باب / ١٠ ح ١٨٨٤ – ٢ / ١٦٤.

فقتلوهُ وأخذوا غُنَيمتَه، فأنزلَ الله في ذلك إلى قوله {عَرَضَ الحياةِ الدنيا} تلك الغُنيمة».
قال قرأ ابنُ عباس {السلام}

قوله (فقتلوه) زاد في رواية سماك «وقالوا ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا».

قوله في آخر الحديث (قال قرأ ابن عباس السلام) هو مقول عطاء.

وفي الآية دليل على أن من أظهر شيئاً من علامات الإسلام لم يحل دمه حتى يختبر أمرُه، لأن السلام تحية المسلمين، وكانت تحيتهم في الجاهلية بخلاف ذلك، فكانت هذه علامة. وأما على قراءة السلم على اختلاف ضبطه فالمراد به الانقياد وهو علامة الإسلام لأن معنى الإسلام في اللغة الانقياد، ولا يلزم من الذي ذكرته الحكم بإسلام من اقتصر على ذلك وإجراء أحكام المسلمين عليه، بل لا بد من التلفظ بالشهادتين على تفصيل في ذلك بين أهل الكتاب وغيرهم، والله أعلم.

١٨ - باب {لا يَستوي القاعدون من المؤمنينَ والمجاهدونَ في سبيل الله}

٤٥٩٢ - عن زيدِ بن ثابتٍ «أنَّ رسولَ الله ﷺ أملى عليه {لا يَستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله} فجاءهُ ابن أمِّ مكتومٍ وهو يُملُّها عليَّ قال: يا رسولَ الله، واللهِ لو أستَطيعُ الجهادَ لجاهَدْت -وكان أعمى- فأنزلَ اللهُ على رسوله ﷺ وفخذُهُ على فخذي، فثقُلَت عليَّ حتى خفتُ أن ترُضَّ فخذِي. ثم سُرِّيَ عنه فأنزَلَ اللهُ {غيرَ أولي الضَّرَر}».

٤٥٩٣ - عن البَراء رضيَ الله عنه قال: «لما نزَلت {لا يَستوي القاعدونَ من المؤمنين} دعا رسولُ اللهِ ﷺ زيداً فكتبها، فجاء ابنُ أمِّ مكتوم فشكا ضَرارته فأنزَل اللهُ {غيرَ أولي الضَّرر}».

٤٥٩٤ - عن البراءِ قال: «لما نزلت {لا يَستوي القاعدون من المؤمنين} قال النبيُّ ﷺ: ادعو فُلاناً، فجاءهُ ومعه الدواةُ واللوحُ -أو الكتِفُ- فقال: اكتُب {لا يَستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله} وخلْفَ النبيِّ ﷺ ابنُ أمِّ مكتوم فقال: يا رسولَ الله أنا ضَرير، فنزلت مكانها {لا يَستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضَّرر والمجاهدون في سبيل الله}».

٤٥٩٥ - عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما «لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدرٍ والخارجون إلى بدر».

قوله (إنه رأى مروان بن الحكم) أي ابن أبي العاص أمير المدينة الذي صار بعد ذلك خليفة.

قوله (أن ترض فخذي) أي تدقها.

قوله (ثم سُرِّي) أي كشف.

قوله (لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون إلى بدر) كذا أورده مختصراً. وقد أخرجه الترمذي وزاد «لما نزلت غزوة بدر قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم الاعميان: يا رسول الله هل لنا رخصة؟ فنزلت {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضَّل اللهُ المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة} فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر {وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما درجات منه} على القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر، هكذا أورده سياقاً واحداً، ومن قوله «درجة الخ» مدرج في الخبر من كلام ابن جريج، بيَّنه الطبري.

وحاصل تفسير ابن جريج أن المفضل عليه غير أولي الضرر، وأما أولو الضرر فملحقون في الفضل بأهل الجهاد إذا صدقت نياتهم كما تقدم في المغازي من حديث أنس «إن بالمدينة لأقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم حبسهم العذر». ويحتمل أن يكون المراد بقوله {فضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما درجات منه} أي على القاعدين من غير أولي الضرر، ولا ينافي ذلك الحديث المذكور عن أنس، ولا ما دلت عليه الآية من استواء أولي الضرر مع المجاهدين أنها استثنت أولي الضرر من عدم الاستواء فأفهمت إدخالهم في الاستواء، إذ لا واسطة بين الاستواء وعدمه، لأن المراد منه استواؤهم في أصل الثواب لا في المضاعفة لأنها تتعلق بالفعل. ويحتمل أن يلتحق بالجهاد في ذلك سائر الأعمال الصالحة. وفي أحاديث الباب من الفوائد أيضاً اتخاذ الكاتب، وتقريبه، وتقييد العلم بالكتابة.

١٩ ـ باب إن الذين تَوفَّاهُم الملائكةُ ظالمي أنفُسهم قالوا فيم كنتم، قالوا: كنا مستضعَين في الأرض، قالوا: ألم تكن أرضُ الله واسعةً فتهاجروا فيها} الآية

٤٥٩٦ ـ عن محمدِ بن عبد الرحمن أبو الأسودِ قال: «قُطعَ على أهلِ المدينةِ بَعثٌ، فاكتُتِبتُ فيه، فلقيتُ عِكرمةَ مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاني عن ذلك أشدَّ النهي ثم قال: أخبرَني ابنُ عباس أنَّ ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يُكثرون سوادَ المشركين على رسولِ الله ﷺ يأتي السهمُ يُرمى به فيُصيبُ أحدَهم فيقتلُه، أو يُضرَبُ فيُقتَلُ، فأنزلَ الله {إنَّ الذينَ توَفَّاهُم الملائكة ظالمي أنفُسِهم} الآيةَ».

قوله (إن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين) سمى منهم في رواية أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والوليد بن عتبة بن ربيعة وعمرو بن أمية بن سفيان وعلي بن أمية بن خلف، وذكر في شأنهم أنهم خرجوا إلى بدر، فلما رأوا قلة المسلمين دخلهم شك وقالوا غرَّ هؤلاء دينُهم فقتلوا ببدر، أخرجه ابن مردويه.

قوله (فأنزل الله) هكذا جاء في سبب نزولها، وفي رواية عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس عند ابن المنذر والطبري «:كان قوم من أهل مكة قد أسلموا وكانوا يخفون الإسلام، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر فأصيب بعضهم فقال المسلمون هؤلاء كانوا مسلمين فأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت، فكتبوا بها إلى من بقي بمكة منهم وأنهم لا عذر لهم، فخرجوا فلحقهم المشركون ففتنوهم فرجعوا فنزلت {ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله} فكتب إليهم المسلمون بذلك فحزنوا، فنزلت {ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا} الآية، فكتبوا إليهم بذلك، فخرجوا فلحقوهم، فنجا من نجا وقتل من قتل.

قوله (فيم كنتم) سؤال توبيخ وتقريع، واستنبط سعيد بن جبير من هذه الآية وجوب الهجرة من الأرض التي يعمل فيها بالمعصية.

٢٠ ـ باب {إلا المستضعَفينَ من الرجالِ والنساء والوِلدانِ لا يَستطيعونَ حِيلةً ولا يَهتَدونَ سبيلاً}

٤٥٩٧ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما {إلاَّ المستضعَفين} قال كانت أمي ممَّن عَذَرَ الله».

قوله (إلا المستضعفين من الرجال والنساء الآية) فيه معذرة من اتصف بالاستضعاف من المذكورين، وقد ذكروا في الآية الأخرى في سياق الحث على القتال عنهم، وتقدم حديث ابن عباس المذكور والكلام عليه قبل ستة أبواب.

٢١- باب (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا)

٤٥٩٨ ـ عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: «بينا النبيُّ ﷺ يُصلِّي العشاءَ إذ قال: سمعَ اللهُ لمنْ حمِدَه، ثم قال: قبلَ أن يَسْجُدَ: اللهمَّ نجِّ عيَّاشَ بن أبي ربيعة، اللهمَّ نجِّ سلمةَ بنَ هشام اللهمَّ نجِّ الوليدَ بنَ الوليد، اللهمَّ نجِّ المستضعَفينَ من المؤمنين، اللهمَّ اشدُدْ وَطأتَكَ على مُضَرْ، اللهمَّ اجعَلْها سنينَ كَسِنيِّ يوسُفَ».

قوله (باب قوله[1]{فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم} الآية) كذا لأبي ذر، ولغيره

(١) في المتن باب "فأولئك عسى الله" وفي اليونينية بدون "باب قوله".

{فعسى اللهُ أن يعفوَ عنهم وكان الله عفواً غفورا}.

ثم ذكر فيه حديث أبي هريرة في الدعاء للمستضعفين، وقد تقدم الكلام عليه في أول الاستسقاء[١].

٢٢ ـ باب {ولا جُناحَ عَليكم إن كان بكم أذًى من مَطر أو كنتم مَرضى أن تَضعوا أسلحتَكم}

٤٥٩٩ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما {إن كان بكم أذىً من مَطرٍ أو كنتم مَرضى} قال «عبدُ الرحمن بن عَوفٍ وكان جريحاً».

قوله في الآية الكريمة {أن تضعوا أسلحتكم} رخص لهم في وضع السلاح لثقلها عليهم بسبب ما ذكر من المطر أو المرض، ثم أمرهم بأخذ الحذر خشية أن يغفلوا فيهجم العدو عليهم

٢٣ ـ باب {ويستفتونك في النساء قلِ اللهُ يُفتيكم فيهن وما يُتلى عليكم في الكتاب فَي يَتامى النَساء}

٤٦٠٠ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها {ويَستفتونكَ في النساءِ قُلِ الله يُفتيكم فيهن -إلى قوله- وترغَبون أن تَنكحوهن} قالت عائشة «هو الرجل تكون عندَه اليتيمة هو وليها ووارثُها فأشركَتْهُ في ماله حتى في العَذْق. فيرغبُ أن يَنكِحَها ويكرَهُ أن يُزَوِّجَها رجلاً فيَشركهُ في ماله بما شركَتْه فيعضُلُها، فنزلَت هذه الآية».

قوله (باب {ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء}) وقوله «يستفتونك» أي يطلبون الفتيا أو الفتوى وهما بمعنى واحد، أي جواب السؤال عن الحادثة التي تشكل على السائل وهي مشتقة من الفتى، ومنه الفتي وهو الشاب القوي. ثم ذكر حديث عائشة في قصة الرجل يكون عنده اليتيمة فتشركه في ماله، وقد تقدم الكلام عليه في أوائل هذه السورة[٢] مستوفى.

٢٤ ـ باب {وإنِ امرأةٌ خافَت من بَعلها نُشوزاً أو إعراضاً}

قال ابنُ عباسٍ: شِقاق تَفاسُد. {وأحضرَتِ الأنفسُ الشُحَّ} قال هواهُ في الشيء يَحرص عليه، كالمعلقة لا هيَ أيِّم ولا ذاتُ زوج. نُشوزاً بُغضا

٤٦٠١ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها {وإنِ امرأةٌ خافت من بَعلِها نُشوزاً أو إعراضاً} قالت: «الرجلُ تكون عندَه المرأةُ ليسَ بمستكثِرٍ منها يُريدُ أن يُفارقَها. فتقول: أجعلُكَ من شأني في حِل، فنزلَت هذه الآية في ذلك».

---

(١) كتاب الاستسقاء باب / ٢ ح ١٠٠٦ - ١ / ٥٢٢.
(٢) كتاب التفسير "النساء" باب / ١ ح ٤٥٧٤ - ٣ / ٤٩٨.

قوله (وقال ابن عباس: شقاق تفاسد) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقال غيره: الشقاق العداوة لأن كلا من المتعادين في شق خلاف شق صاحبه.

قوله (كالمعلقة لا هي أيِّم ولا ذات زوج) وصله ابن أبي حاتم بإسناد صحيح من طريق يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى [فتذروها كالمعلقة]: قال لا هي أيم ولا ذات زوج انتهى، والأيِّم هي التي لا زوج لها.

قوله [نشوزاً بغضا] قال الفراء: النشوز يكون من قبل المرأة والرجل، وهو هنا من قبل الرجل.

قوله (قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها أي في المحبة والمعاشرة والملازمة.

قوله (فتقول: أجعلك من شأني في حل) أي وتتركني من غير طلاق.

قوله (فنزلت[١] في ذلك) وعن علي «نزلت في المرأة تكون عند الرجل تكره مفارقته فيصطلحان على أن يجيئها كل ثلاثة أيام أو أربعة» وروى الحاكم من طريق ابن المسيِّب عن رافع بن خديج «أنه كانت تحته امرأة، فتزوج عليها شابة، فآثر البكر عليها، فنازعته فطلقها ثم قال لها: إن شئت رجعتك وصبرت، فقالت: راجعني، فراجعها، ثم لم تصبر فطلقها» قال: فذلك الصلح الذي بلغنا أن الله أنزل فيه هذه الآية. وروى الترمذي من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: «خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا تطلقني، واجعل يومي لعائشة ففعل، ونزلت هذه الآية» وقال: حسن غريب.

قلت: وله شاهد في الصحيحين من حديث عائشة بدون ذكر نزول الآية.

٢٥ ـ باب [إنَّ المنافقين في الدَّرك[٢] الأسفَلِ]

وقال ابنُ عباس: أسفلَ النار. نَفَقاً: سَرَباً

٤٦٠٢ ـ عن الأسود قال: «كُنَّا في حَلَقَة عَبْدِ الله، فَجَاءَ حُذَيْفَةُ حَتَّى قامَ عَلَيْنَا فَسلَّمَ ثُمَّ قال: لَقَدْ أُنْزِلَ النِّفَاقُ عَلَى قَوْمٍ خَيْرٍ مِنْكُمْ. قالَ الأَسْوَدُ: سُبْحَانَ الله، إِنَّ اللهَ يَقُولُ: [إِنَّ المُنَافِقِينَ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» فَتَبَسَّمَ عَبْدُ الله، وَجَلَسَ حُذَيْفَةُ في نَاحِيَةِ المَسْجِدِ، فَقَامَ عَبْدُ الله فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ، فَرَمَاني بِالحَصَا، فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: عَجِبْتُ مِن ضَحِكِه، وَقَدْ عَرَفَ ما قُلتُ، لَقد أُنزِلَ النِّفاقُ عَلَى قومٍ كانُوا خَيْراً مِنكُم ثُمَّ تابُوا، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِم.

---

(١) رواية الباب واليونينية "فنزلت هذه الآية في ذلك".
(٢) قراءة حفص عن عاصم: في الدرك" بتسكين الراء.

قوله (قال ابن عباس أسفل النار) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الدرك الأسفل أسفل النار.

قال العلماء: عذاب المنافق أشد من عذاب الكافر لاستهزائه بالدين.

قوله (نفقاً سربا) وصله ابن أبي حاتم من طريق جريج عن عطاء عن ابن عباس به، وهذه الكلمة ليست من سورة النساء، وإنما هي من سورة الأنعام ولعل مناسبة ذكرها هنا للإشارة إلى اشتقاق النفاق، لأن النفاق إظهار غير ما يبطن، كذا وجهه الكرماني، وليس ببعيد مما قالوه في اشتقاق النفاق أنه من النافقاء وهو جحر اليربوع. وقيل هو من النفق هو السرب حكاه في النهاية.

قوله (كنا في حلقة عبد الله) يعني ابن مسعود.

قوله (فجاء حذيفة) هو ابن اليمان.

قوله (لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم) أي ابتلوا به لأنهم كانوا من طبقة الصحابة فهم خير من طبقة التابعين، لكن الله ابتلاهم فارتدوا ونافقوا فذهبت الخيرية منهم، ومنهم من تاب فعادت له الخيرية، فكأن حذيفة حذر الذين خاطبهم وأشار لهم أن لا يغتروا فإن القلوب تتقلب، فحذرهم من الخروج من الإيمان لأن الأعمال بالخاتمة، وبين لهم أنهم وإن كانوا في غاية الوثوق بإيمانهم فلا ينبغي لهم أن يأمنوا مكر الله، فإن الطبقة الذين من قبلهم وهم الصحابة كانوا خيراً منهم، ومع ذلك وجد بينهم من ارتد ونافق، فالطبقة التي هي من بعدهم أمكن من الوقوع في مثل ذلك.

وقوله «فتبسم عبد الله» كأنه تبسم تعجباً من صدق مقالته.

قوله (فرماني) أي حذيفة رمى الأسود يستدعيه إليه.

قوله (عجبت من ضحكه) أي من اقتصاره على ذلك، وقد عرف ما قلت أي فهم مرادي وعرف أنه الحق.

قوله (ثم تابوا فتاب الله عليهم) أي رجعوا عن النفاق. ويستفاد من حديث حذيفة أن الكفر والإيمان والإخلاص والنفاق كل بخلق الله تعالى وتقديره وإرادته، ويستفاد من قوله تعالى {إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين} صحة توبة الزنديق وقبولها على ما عليه الجمهور، فإنها مستثناة من المنافقين من قوله {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار} وقد استدل بذلك جماعة منهم أبو بكر الرازي في أحكام القرآن، والله أعلم.

٢٦ ـ باب {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كما أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ}

٤٦٠٣ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «ما يَنْبَغِي لأحَدٍ أَنْ يَقُولَ: أنا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

٤٦٠٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ قالَ: أنا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَدْ كَذَبَ».

قوله (أن يقول أنا خير من يونس[١] يحتمل أن يكون المراد أن العبد القائل هو الذي لا ينبغي له أن يقول ذلك، ويحتمل أن يكون المراد بقوله «أنا» رسول الله ﷺ وقاله تواضعاً، ودل حديث أبي هريرة ثاني حديثي الباب على أن الاحتمال الأول أولى.

قوله (فقد كذب) أي إذا قال ذلك بغير توقيف، وقد تقدم شرح هذا الحديث في أحاديث الأنبياء[٢] بما أغنى عن إعادته هنا، والله المستعان

٢٧ ـ باب {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ ما تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَم يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ}

وَالكَلالَةُ: مَنْ لَمْ يَرِثْهُ أَبٌ أَوِ ابْنٌ، وَهُوَ مَصْدَرٌ، مِنْ تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ

٤٦٠٥ ـ عن البَراءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ: «بَراءَةٌ». وَآخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفتِيكُمْ في الكَلالَةِ».

قوله (باب يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) المراد بقوله {يستفتونك} أي عن مواريث الكلالة، وحذف لدلالة السياق عليه في قوله {قل الله يفتيكم في الكلالة}.

قوله (والكلالة من لم يرثه أب ولا ابن) هو قول أبي بكر الصديق أخرجه ابن أبي شيبة عنه وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وروى عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحق عن عمرو بن شرحبيل قال: ما رأيتهم إلا تواطئوا على ذلك وهذا إسناد صحيح.

قوله (وهو مصدر من تكلله النسب) أي تعطف النسب عليه.

وقال الأزهري: سمي الميت الذي لا والد له ولا ولد كلالة، وسمي الوارث كلالة، وسمي الأرث كلالة. وعن عطاء: الكلالة هي المال، وقيل الفريضة، وقيل الورثة والمال، ولكثرة الاختلاف فيها صح عن عمر أنه قال: لم أقل في الكلالة شيئاً.

---

(١) رواية الباب واليونينية "أن يقول أنا خير من يونس بن متى".
(٢) كتاب الأنبياء باب / ٣٥ ح ٣٤١٦ - ٣ / ٤٦.

(٥) المائدة

١- باب {حُرُمٌ}: واحِدُها حَرَامٌ. {فَبِما نَقْضِهِمْ}: بِنَقْضِهِمْ. {الَّتي كَتَبَ اللهُ}: جَعَلَ اللهُ. «تَبُوءَ»: تَحْمِلَ. {دائِرَةٌ} دَوْلَةٌ. وَقالَ غَيْرُهُ: الإِغْرَاءُ التَّسْليطُ. {أُجُورَهُنَّ}: مُهُورَهُنَّ. المهيمن: الأمين القُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ

قوله (سورة المائدة[١]) المائدة فاعلة بمعنى مفعولة أي ميد بها صاحبها.

قوله (التي كتب الله) أي جعل الله، قال أبو عبيدة في قوله تعالى {يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم} أي جعل الله لكم وقضى، وعن ابن إسحق: كتب لكم أي وهب لكم أخرجه الطبري قال الطبري: والمراد أنه قدرها لسكنى بني إسرائيل في الجملة فلا يرد كون المخاطبين بذلك لم يسكنوها لأن المراد جنسهم بل قد سكنها بعض أولئك كيوشع وهو ممن خوطب بذلك قطعاً.

قوله (تبوء: تحمل) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك} أي تحمل إثمي وإثمك

قوله (وقال سفيان[٢]: ما في القرآن آية أشد عليّ من {لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم}) يعني أن من لم يعمل بما أنزل الله في كتابه فليس على شيء؛ ومقتضاه أن من أخل ببعض الفرائض فقد أخل بالجميع، ولأجل ذلك أطلق كونها أشد من غيرها، ويحتمل أن يكون هذا مما كان على أهل الكتاب من الإصر. وقد روى ابن أبي حاتم أن الآية نزلت في سبب خاص، فأخرج بإسناد حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «جاء مالك بن الصيف وجماعة من الأحبار فقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم وتؤمن بما في التوراة وتشهد أنها حق؟ قال: بلى، ولكنكم كتمتم منها ما أمرتم ببيانه، فأنا أبرأ مما أحدثتموه. قالوا: فإنا نتمسك بما في أيدينا من الهدى والحق ولا نؤمن بك ولا بما جئت به، فأنزل الله هذ الآية. وهذا يدل على أن المراد بما أنزل إليكم من ربكم أي القرآن. ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى في الآية التي قبلها {ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا -إلى قوله- لأكلوا من فوقهم} الآية.

٢ ـ باب {اليومَ أكملتُ لكم دينكم}

وقال ابن عباس: مخمصة مجاعة.

٤٦٠٦ ـ عن طارق بن شهابٍ «قالت اليهودُ لعمرَ: إنكم تقرءون آيةً لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً. فقال عمر: إني لأعلم حيثُ أُنزلت وأين أُنزلت، وأين رسولُ الله ﷺ حينَ

(١) رواية الباب واليونينية بحذف "سورة".
(٢) قوله وقال سفيان. الخ ليس في رواية الباب واليونينة.

أنزلَت: يومَ عرفةَ، وإنّا واللهِ بعرفَة. قال سفيانُ: وأشكُّ كان يومَ الجمعة أم لا {اليومَ أكملتُ لكم دينكم}».

قوله (قال سفيان وأشك كان يوم الجمعة أم لا) قد تقدم في الإيمان من وجه آخر عن قيس بن مسلم الجزم بأن ذلك كان يوم الجمعة، وسيأتي الجزم بذلك من رواية مسعر عن قيس في كتاب الاعتصام، وقد تقدم في كتاب الإيمان بيان مطابقة جواب عمر للسؤال لأنه سأله عن اتخاذه عيداً فأجاب بنزولها بعرفة يوم الجمعة، ومحصله أن في بعض الروايات «وكلاهما بحمد الله لنا عيد» قال الكرماني: أجاب بأن النزول كان يوم عرفة، ومن المشهور أن اليوم الذي بعد عرفة هو عيد للمسلمين، فكأنه قال: جعلناه عيداً بعد إدراكنا استحقاق ذلك اليوم للتعبد فيه، قال: وإنما لم يجعله يوم النزول لأنه ثبت أن النزول كان بعد العصر، ولا يتحقق العيد إلا من أول النهار، ولهذا قال الفقهاء: إن رؤية الهلال نهاراً تكون لليلة المستقبلة انتهى.

والتنصيص على أن تسمية يوم عرفة يوم عيد يغني عن هذا التكلف. فإن العيد مشتق من العود وقيل له ذلك لأنه يعود في كل عام. وقد نقل الكرماني عن الزمخشري أن العيد هو السرور العائد وأقر ذلك، فالمعنى أن كل يوم شرع تعظيمه يسمى عيداً انتهى.

٣ ـ باب {فلم تجِدوا ماءً فتيمَّموا صَعيداً طيِّباً}

تيمَّموا تَعَمَّدوا، آمِّين عامِدين، أمَّمتُ وتيمَّمتُ واحد.

وقال ابنُ عباس: لَمستم وتمسُّوهنَّ واللاتي دَخَلتم بهن، والإفضاءُ النكاح

٤٦٠٧ ـ عن عائشة رضي الله عنها زوج النبيِّ ﷺ قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفارِه، حتى إذا كنا بالبَيداء أو بذاتِ الجيش انقطعَ عِقْدٌ لي، فأقامَ رسولُ الله ﷺ على التماسِه، وأقام الناسُ معه، وليسوا على ماءٍ وليس مَعَهم ماء. فأتى الناسُ إلى أبي بكرٍ الصديق فقالوا: ألا ترَى ما صنَعَت عائشة؟ أقامَت برسولِ الله ﷺ وبالناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء. فجاء أبو بكرٍ ورسولُ الله ﷺ واضعٌ رأسَهُ على فخذي قد نام، فقال: حَبَستِ رسولَ الله ﷺ والناسَ وليسوا على ماء وليس معهم ماء. قالت عائشةُ: فعاتَبني أبو بكرٍ وقال ما شاءَ اللهُ أن يقول، وجعلَ يَطعنُني بيدِه في خاصِرَتي، ولا يَمنعني من التحرُّك إلاّ مكانُ رسولِ الله ﷺ على فَخذي. فقام رسولُ اللهِ ﷺ حين أصبحَ على غيرِ ماء، فأنزلَ اللهُ آيةَ التيمُّم، فقال أُسيدُ بن حُضَير ما هيَ بأوَّل بركَتِكم يا آلَ أبي بكر. قالت: فَبَعَثْنا البَعيرَ الذي كنتُ عليه، فإذا العقد تحتَه».

٤٦٠٨ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها «سَقَطَت قلادةٌ لي بالبَيداء -ونحنُ داخلون المدينةَ- فأناخ النبيُّ ﷺ ونزلَ فَثَنى رأسَهُ في حَجْري راقداً، أقبلَ أبو بكرٍ فلَكَزني لَكْزةً شديدةً

وقال: حبَسْتِ الناسَ في قِلادة؟ فبِي الموتُ لمكانِ رسولِ الله ﷺ وقد أوجَعَني، ثم إنَّ النبيَّ ﷺ استيقظَ وحضَرَتِ الصُّبحُ، فالتُمِسَ الماءُ فلم يوجَد، فنزلت {يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة} الآية. فقال أُسَيدُ بن حُضَيرٍ: لقد باركَ اللهُ للناس فيكم يا آلَ أبي بكر، ما أنتم إلا بركةٌ لهم».

قوله (وقال ابن عباس لمستم وتمسوهن، واللاتي دخلتم بهن، والإفضاء النكاح) أما قوله «لمستم» فروى إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن» من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى {أو لامستم النساء} قال: هو الجماع. وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير بإسناد صحيح.

وأما قوله «والإفضاء» فروى ابن أبي حاتم من طريق بكر بن عبد الله المزني عن ابن عباس في قوله تعالى {وقد أفضى بعضكم إلى بعض} قال: الإفضاء الجماع. وروى عبد بن حميد من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: الملامسة والمباشرة والإفضاء والرفث والغشيان والجماع كله النكاح، ولكن الله يُكنّي.

٤ - باب {فاذهب أنتَ وربُّكَ فقاتلا، إنّا ها هنا قاعدون}

٤٦٠٩ - عن عبدِ الله قال: «قال المِقدادُ يومَ بدرٍ: يا رسولَ الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى {فاذهب أنت وربُّك فقاتِلا إنّا ها هنا قاعِدون} ولكن امضِ ونحنُ معَك. فكأنهُ سُرِّي عن رسولِ الله ﷺ».

٥ - باب {إنما جزاءُ الذين يُحاربونَ اللهَ ورسولَهُ ويَسعَوْن في الأرض فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصَلَّبوا -إلى قوله- أو يُنفَوا منَ الأرض} الآية

المحاربةُ للهِ: الكفرُ به.

٤٦١٠ - عن أبي قلابة أنه كان جالساً خلفَ عمر بن عبد العزيز فذكروا وذكروا، فقالوا وقالوا قد أقادتْ به الخلفاءُ، فالتفتَ إلى أبي قِلابة وهو خلف ظهرِه فقال: ما تقولُ يا عبدَ الله بن زيد -أو قال ما تقول يا أبا قلابة- ؟ قلتُ: ما علمتُ نفساً حلَّ قتلُها في الإسلام إلا رجلٌ زنى بعدَ إحصان، أو قتل نفساً بغير نفس، أو حارب اللهَ ورسوله ﷺ. فقال عَنبسةُ: حدَّثنا أنسٌ بكذا وكذا. قلتُ: إيّاي حدَّث أنس قال: قدم قومٌ على النبيِّ ﷺ فكلموه فقالوا: قدِ استَوخَمْنا هذه الأرض، فقال: هذهِ نَعَمٌ لنا تَخرُجُ لترعى، فاخرجُوا فيها فاشرَبوا من ألبانِها وأبوالها، فخرَجوا فيها فشربوا من أبوالها وألبانها واستَصحُّوا، ومالوا على الراعي فقتلوه، واطَّرَدوا النعم. فما يستبطأُ من هؤلاء؟ قَتلوا النفسَ، وحاربو اللهَ ورسوله، وخوَّفوا رسولَ اللهِ ﷺ. فقال: سبحانَ الله. فقلتُ: تتهمني؟ قال: حدَّثنا بهذا أنس. قال وقال: يا أهل كذا، إنكم لن تزالوا بخير ما أُبقيَ هذا فيكم ومثلُ هذا».

قوله (المحاربة لله الكفر به) هو قول سعيد بن جبير والحسن، ووصله ابن أبي حاتم عنهما، وفسره الجمهور هنا بالذي يقطع الطريق على الناس مسلماً أو كافراً، وقيل نزلت في النفر العُرَنيين وقد تقدم في مكانه.

قوله (فذكروا وذكروا) أي القسامة، وسيأتي ذلك واضحاً في كتاب الديات مع بقية شرح الحديث، وقوله «واستصَحُّوا» أي حصلت لهم الصحة، وقوله «واطردوا» أي أخرجوها طرداً أي سوقا.

٦ ـ باب {والجُروحُ قِصاص}

٤٦١١ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «كَسَرَتِ الرُّبَيِّعُ - وهي عمةُ أنسِ بن مالكٍ - ثَنِيَّةَ جاريةٍ من الأنصار. فطلب القومُ القِصَاصَ، فأتَوا النبيَّ ﷺ فأمرَ النبيُّ ﷺ بالقِصاص، فقال أنسُ بن النضر عمُّ أنسِ بن مالكٍ: لا واللهِ لا تُكْسَرُ سنُّها يا رسولَ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: يا أنس كتابُ اللهِ القِصاص، فرضِيَ القومُ وقَبِلوا الأَرْشَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ من عبادِ الله مَن لو أقسمَ على اللهِ لأَبَرَّه».

قوله (باب قوله[١] والجروح قصاص) وأورد فيه حديث أنس «أن الربيع كسرت ثنية جارية» الحديث، وسيأتي شرحه مستوفى في الديات[٢].

٧ ـ باب {يا أيُّها الرَّسولُ بلِّغ ما أُنزلَ إليك من ربِّك}

٤٦١٢ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «مَن حدَّثَكَ أنَّ محمداً ﷺ كتمَ شيئاً مما أُنزلَ عليه فقد كَذَب، واللهُ يقول {يا أيُّها الرسول بلِّغ ما أُنزِلَ إليك} الآية».

قوله (باب يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ذكر فيه طرفاً من حديث عائشة «من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب» وسيأتي بتمامه مع كمال شرحه في كتاب التوحيد[٣] إن شاء الله تعالى.

٨ ـ باب {لا يُؤاخذُكُم اللهُ باللغوِ في أيمانكم}

٤٦١٣ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها «أُنزِلَت هذه الآيةُ {لا يُؤاخِذُكُم الله باللغوِ في أيمانِكم} في قول الرجلِ: لا واللهِ وبَلى والله».

[الحديث ٤٦١٣ - طرفه في: ٦٦٦٣]

---

(١) في المتن "باب والجروح قصاص" وبدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب الديات باب / ١٤ - ٥ / ٢٥١
(٣) كتاب التوحيد باب / ٤٦ ح ٧٥٣١ - ٥ / ٦٠٩

٤٦١٤ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها «أنَّ أباها كان لا يَحنَثُ في يمين، حتى أنزلَ اللهُ كفّارةَ اليمين، قال أبو بكرٍ: لا أرَى يميناً أرَي غيرَها خيراً منها إلا قبلتُ رُخصةَ الله وفعلتُ الذي هو خير».

[الحديث ٤٦١٤ - طرفه في: ٦٦٢١]

قوله (باب قوله[1]{لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم}) وفسرت عائشة لغو اليمين بما يجري على لسان المكلف من غير قصد، وقيل هو الحلف على غلبة الظن، وقيل في الغضب، وقيل في المعصية وفيه خلاف آخر سيأتي بيانه في الأيمان والنذور[2]إن شاء الله تعالى.

قوله (إلا قبلت رخصة الله) أي في كفارة اليمين.

٩ ـ {لا تُحرِّموا طيِّباتِ ما أحلَّ اللهُ لكم}

٤٦١٥ ـ عن عبد اللهِ رضيَ الله عنه قال: «كنّا نَغزو مع النبيِّ ﷺ وليس مَعنا نساءٌ، فقلنا: ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك، فرخَّصَ لنا بعدَ ذلك أن نتزوَّج المرأةَ بالثوب. ثم قرأ {يا أيها الذين آمنوا لا تُحرِّموا طيباتِ ما أحلَّ الله لكم}».

[الحديث ٤٦١٥ - طرفاه في: ٥٠٧١، ٥٠٧٥]

قوله (باب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا[3] لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم) وسيأتي شرح الحديث في كتاب النكاح[4]وفي الترمذي مُحسَّنًا من حديث ابن عباس «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت، وإني حرمت عليَّ اللحم فنزلَتْ».

١٠ ـ باب {إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان}

وقال ابنُ عباسٍ: الأزلام: القِداحُ يَقتَسِمون بها في الأمور، والنُّصُبُ أنصابٌ يذبحون عليها. وقال غيرُهُ: الزُّلَم: القِدحُ لا ريشَ له، وهو واحدُ الأزلام، والاستقسامُ أن يجيلَ القِداحَ، فإن نَهته انتهى، وإن أمرته فَعلَ ما تأمُرُهُ، وقد أعلموا القِداحَ أعلاماً بضُروبٍ يَستقسمونَ بها، وفعلتُ منه قسمتُ، والقُسوم المصدر.

٤٦١٦ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال: «نَزلَ تحريمُ الخمرِ وإنَّ في المدينة يومئذٍ لخمسةَ أشربةٍ، ما فيها شراب العنبِ».

[الحديث ٤٦١٦ - طرفه في: ٥٥٧٩]

---

(١) في المتن "باب لا يؤاخذكم ...." وبدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب الأيمان والنذور باب / ١٤ ح ٦٦٦٣ - ٥ / ١٣٠
(٣) رواية الباب واليونينية بدون "قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ...." وبدون التبويب في اليونينية.
(٤) كتاب النكاح باب / ٨ ح ٥٠٧٥ - ٤ / ٤١.

٤٦١٧ - عن أنسٍ بن مالكٍ رضيَ الله عنه قال: «ما كان لنا خمرٌ غيرَ فضيخكم هذا الذي تُسمونه الفضيخ، فإني لقائمٌ أسقي أبا طلحةَ وفلانا وفلانا إذ جاء رجلٌ فقال: وهل بَلَغكم الخبرُ؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: حُرِّمَتِ الخمرُ. قالوا: أهرِق هذهِ القِلالَ يا أنس. قال فما سألوا عنها ولا راجَعوها بعدَ خبر الرَّجل».

٤٦١٨ - عن جابر قال: «صبَّح أناسٌ غَداةَ أُحدٍ الخمرَ فقُتلوا من يومهم جميعاً شهداء، وذلك قبلَ تحريمها».

٤٦١٩ - عن ابن عمرَ قال: «سمعتُ عمرَ رضيَ الله عنه عَلَى منبرِ النبيِّ ﷺ يقول: أما بعدُ أيها الناس إنه نزَلَ تحريمُ الخمر وهيَ من خمسة: منَ العِنَب، والتمر، والعسَل، والحِنطةِ، والشَّعير. والخمرُ ما خامرَ العقل».

[الحديث ٤٦١٩ - أطرافه في: ٥٥٨١، ٥٥٨٨، ٥٥٨٩، ٧٣٣٧]

قوله (وقال ابن عباس: الأزلام القداح يقتسمون بها في الأمور)، وقد تقدم في حديث الهجرة قول سراقة بن مالك لما تتبع النبي ﷺ وأبا بكر قال: «استقسمت بالأزلام هل أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره. وقال ابن جرير كانوا في الجاهلية يعمدون إلى ثلاثة سهام على أحدها مكتوب «افعل» وعلى الثاني «لا تفعل» والثالث غفل. وقال الفراء: كان على الواحد «أمرني ربي» وعلى الثاني «نهاني ربي» وعلى الثالث غفل. فإذا أراد أحدهم الأمر أخرج واحداً فإن طلع الآمر فعل، أو الناهي ترك، أو الغفل أعاد.

وروى الطبري من طريق سعيد بن جبير قال: الأزلام حصى بيض. ومن طريق مجاهد قال: حجارة مكتوب عليها. وعنه كانوا يضربون بها لكل سفر وغزو وتجارة، وهذا محمول على غير التي كانت في الكعبة. والذي تحصل من كلام أهل النقل أن الأزلام كانت عندهم على ثلاثة أنحاء: أحدها لكل أحد، وهي ثلاثة كما تقدم. وثانيها للأحكام، وهي التي عند الكعبة، وكان عند كل كاهن وحاكم للعرب مثل ذلك، وكانت سبعة مكتوب عليها: فواحد عليه «منكم» وآخر «ملصق» وآخر «فيه العقول والديات» إلى غير ذلك من الأمور التي يكثر وقوعها. وثالثها قداح الميسر وهي عشرة: سبعة مخططة وثلاثة غفل، وكانوا يضربون بها مقامرة، وفي معناها كل ما يتقامر به كالنرد والكعاب وغيرها.

قوله (والنصب أنصاب يذبحون عليها) وقال ابن قتيبة: هي حجارة كانوا ينصبونها ويذبحون عندها فينصب عليها دماء الذبائح. والأنصاب أيضاً جمع نصب وهي الأصنام.

قوله (والاستقسام أن يجيل القداح فإن نهته انتهى وإن أمرته فعل ما تأمره) قال أبو عبيدة: الاستقسام من قسمت أمري بأن أجيل القداح لتقسم لي أمري أأسافر أم أقيم وأغزو أم لا أغزو، أو نحو ذلك فتكون هي التي تأمرني وتنهاني، ولكل ذلك قدح معروف.

قال الفراء: الأزلام: سهام كانت في الكعبة يقسمون بها في أمورهم.

قوله (نزل تحريم الخمر وأن في المدينة يومئذ لخمسة أشربة، ما فيها شراب العنب) يريد بذلك أن الخمر لا يختص بماء العنب، ثم أيد ذلك بقول أنس: ما كان لنا خمر غير فضيخكم. ثم ذكر حديث جابر في الذين صبحوا الخمر ثم قتلوا بأحد وذلك قبل تحريمها، ويستفاد منه أنها كانت مباحة قبل التحريم.

١١ ـ باب {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناحٌ فيما طَعِموا -إلى قوله- واللهُ يُحبُّ المحسنين}

٤٦٢٠ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه «أنَّ الخمرَ التي أُهريقت الفضيخ» وزادني محمدٌ البيكنديُّ عن أبي النعمان قال: «كنتُ ساقِيَ القومِ في منزلِ أبي طلحةَ، فنزلَ تحريم الخمر، فأمرَ مُنادياً فنادَى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوتُ، قال فخرجتُ فقلتُ: هذا مُنادٍ ينادي: ألا إن الخمرَ قد حُرِّمَت. فقال لي: اذهَب فأهرِقها. قال فجرَت في سِكَكِ المدينة. قال وكانت خمرُهم يومئذ الفضيخُ، فقال بعض القوم: قُتلَ قومٌ وهي في بُطونهم، قال فأنزَل اللهُ {ليسَ على الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ جُناحٌ فيما طَعِموا}.

قوله (باب ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية) وذكر فيه حديث أنس «أن الخمر التي أهريقت الفضيخ» وسيأتي شرحه في الأشربة[1].

والوقت الذي وقع ذلك فيه زعم الواحدي أنه عقب قول حمزة «إنما أنتم عبيد لأبي» وحديث جابر يرد عليه. والذي يظهر أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان، لما روى أحمد من طريق عبد الرحمن بن وعلة قال: «سألت ابن عباس عن بيع الخمر فقال: «كان لرسول الله ﷺ صديق من ثقيف أو دوس فلقيه يوم الفتح براوية خمر يهديها إليه، فقال: يا فلان أما علمت أن الله حرمها؟ فأقبل الرجل على غلامه فقال: بعها. فقال: إن الذي حرم شربها حرم بيعها». وأخرجه مسلم من وجه آخر عن أبي وعلة نحوه، لكن ليس فيه تعيين الوقت.

وروى أصحاب السنن من طريق أبي ميسرة عن عمر أنه قال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافيا فنزلت الآية التي في البقرة {قل فيهما إثم كبير} فقرئت عليه، فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت التي في النساء {لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى} فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت التي في المائدة {فاجتنبوه -إلى قوله- منتهون} فقال عمر: انتهينا، انتهينا». وصححه علي بن المديني والترمذي.

قال ابن التين وغيره: في حديث أنس وجوب قبول خبر الواحد والعمل به في النسخ وغيره.

(١) كتاب الاشربة باب / ٣ ح ٥٥٨٢ - ٤ / ٢٧٥

١٢ - باب {لا تَسألوا عن أشياءَ إن تُبدَ لكم تَسُؤكم}

٤٦٢١ - عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «خطبَ رسولُ اللهِ ﷺ خطبةً ما سمعت مثلَها قطُّ، قال: لو تَعلمون ما أعلمُ لضَحِكتُم قليلاً ولَبَكَيتم كثيراً. قال فغطّى أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ وجوهَهم لهم حَنين. فقال رجلٌ مَن أبي؟ قال: أبوك فلان. فنزلَت هذه الآية {لا تسألوا عن أشياءَ إن تُبدَ لكم تُسُؤكم}».

٤٦٢٢ - عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «كان قومٌ يَسألون رسول اللهِ ﷺ استهزاءً. فيقول الرجلُ: من أبي؟ ويقول الرجلُ تَضلُّ ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل اللهُ فيهم هذهِ الآية {يا أيها الذين آمنوا لا تَسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تَسُؤكم} حتى فرغ من الآية كلها».

قوله (باب[1]قوله لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) وقال ابن العربي: اعتقد قوم من الغافلين منع أسئلة النوازل حتى تقع تعلقاً بهذه الآية، وليس كذلك، لأنها مصرحة بأن المنهي عنه ما تقع المساءة في جوابه، ومسائل النوازل ليست كذلك. وهو كما قال، إلا أنه أساء في قوله الغافلين على عادته كما نبه عليه القرطبي. وقد روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رفعه «أعظم المسلمين بالمسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسئلته، وهذا يبين المراد من الآية، وليس مما أشار إليه ابن العربي في شيء.

قوله (لهم حنين) قال الخطابي الحنين بكاء دون الانتحاب.

قوله (فقال رجل من أبي؟ قال: أبوك فلان) تقدم في العلم أنه عبد الله بن حذافة.

وروى ابن أبي حاتم من وجه آخر عن قتادة عن أنس قال: «سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة، فصعد المنبر فقال: لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به، فجعلت التفت عن يمين وشمال فإذا كل رجل لافٌ ثوبه برأسه يبكي» الحديث، وفيه قصة عبد الله بن حذافة، وقول عمر روى الطبري من طريق أبي صالح عن أبي هريرة قال: «خرج رسول الله ﷺ غضبان محمار وجهه حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجل فقال: أين أنا قال: في النار. فقام آخر فقال: من أبي؟ فقال: حذافة. فقام عمر -فذكر كلامه وزاد فيه- وبالقرآن إماما، قال فسكن غضبه ونزلت هذه الآية» وهذا شاهد جيد لحديث موسى بن أنس المذكور.

وجاء في سبب نزولها قولان آخران، فأخرج الطبري وسعيد بن منصور من طريق خصيف عن مجاهد عن ابن عباس: أن المراد بالأشياء البحيرة والوصيلة والسائبة والحام. قال فكان عكرمة يقول: إنهم كانوا يسألون عن الآيات، فنهوا عن ذلك. قال: والمراد بالآيات نحو سؤال

(١) في المتن بدون قوله وبدون التبويب في اليونينية.

قريش أن يجعل الصفا لهم ذهبا، وسؤال اليهود أن ينزل عليهم كتابًا من السماء ونحو ذلك. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عبد الكريم عن عكرمة قال: «نزلت في الذي سأل عن أبيه. وعن سعيد بن جبير في الذين سألوا عن البحيرة وغيرها، وعن مقسم فيما سأل الأمم أنبياءها عن الآيات.

قلت: وهذا الذي قاله محتمل، وكذا ما أخرج ابن أبي حاتم من طريق عطية قال: «نهوا أن يسألوا مثل ما سأل النصارى من المائدة فاصبحوا بها كافرين» وقد رجحه الماوردي.

ورجح ابن المنير نزولها في النهي عن كثرة المسائل عما كان وعما لم يكن، واستند إلى كثير مما أورده المصنف في «باب ما يكره من كثرة السؤال» في كتاب الاعتصام وهو متجه، لكن لا مانع أن تتعدد الأسباب، وما في الصحيح أصح. وفي الحديث إيثار الستر على المسلمين، وكراهة التشديد عليهم، وكراهية التنقيب عما لم يقع، وتكلف الأجوبة لمن يقصد بذلك التمرن على التفقه، فالله أعلم.

١٣ ـ باب {ما جعلَ اللهُ من بَحيرةٍ ولاسائبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ}

{وإذ قال اللهُ} يقول: قال الله، {إذ} ها هنا صلة، {المائدة} أصلها مفعولة، كعيشة راضية، وتطليقة بائنةٍ، والمعنى: مِيد بها صاحبها من خير، مادَني يَميدني. وقال ابن عباس: مُتوفِّيك: مُميتك.

٤٦٢٣ ـ عن سعيدِ بن المسيَّب قال: البَحيرةُ التي يُمنَع دَرُّها للطواغيت، فلا يَحلبها أحدٌ منَ الناس، والسائبةُ كانوا يُسَيِّبونها لآلهتهم فلا يُحمَلُ عليها شيء. قال: وقال أبو هريرةَ: قال رسولُ الله ﷺ: رأيتُ عمرَو بن عامر الخزاعيَّ يجرُّ قَصبه في النار، كان أولَ مَن سيَّبَ السوائب: والوَصيلةُ الناقةُ البِكر تُبَكر في أول نِتاج الإبل بأنثى، ثم تُثَنّي بعدُ بأنثى، وكانوا يُسَيِّبونهم لطواغيتهم أن وَصلَت إحداهُما بالأخرى ليس بينهما ذكر. والحام فحلُ الإبل يَضرِب الضرابَ المعدودَ، فإذا قضى ضِرابَهُ وَدَعوهُ للطواغيت وأعفَوه منَ الحمل فلم يُحمَل عليهِ شيء، وسمَّوه الحاميَ».

٤٦٢٤ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: «قال رسولُ الله ﷺ: رأيتُ جهنَّمَ يَحطِمُ بعضُها بعضا، ورأيتُ عَمْراً يُجرُّ قَصَبَه، وهو أولُ مَن سيَّبَ السوائب».

قوله (باب ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) أي ما حرم، ولم يرد حقيقة الجعل لأن الكل خلقه وتقديره، ولكن المراد بيان ابتداعهم ما صنعوه من ذلك.

قوله (البحيرة التي يمنع درها للطواغيت) وهي الأصنام، فلا يحلبها أحد من الناس، والبحيرة فعيلة بمعنى مفعولة، وهي التي بحرت أذنها أي خرمت.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: البحيرة من الإبل كانت الناقة إذا نتجت خمس بطون فإن كان الخامس ذكراً كان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى بتكت أذنها، ثم أرسلت فلم يَجُزُّوا لها وبراً، ولم يشرَبوا لها لبنا، ولم يركبوا لها ظهرا، وإن تكن ميتة فهم فيه شركاء الرجال والنساء.

قوله (والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء) قال أبو عبيدة: كانت السائبة من جميع الأنعام، وتكون من النذور للأصنام فتسيب فلا تحبس عن مرعى ولا عن ماء ولا يركبها أحد، قال: وقيل السائبة لا تكون إلا من الإبل، كان الرجل ينذر إن برىء من مرضه أو قدم من سفره ليسيبن بعيرا.

قوله (أن وصلت) أي من أجل.

وقال أبو عبيدة: كانت السائبة مهما ولدته فهو بمنزلة أمها إلى ستة أولاد، فإن ولدت السابع انثيين تركتا فلم تذبحا، وإن ولدت ذكرا ذبح وأكله الرجال دون النساء، وكذا إذا ولدت ذكرين، وإن أتت بتوأم ذكر وأنثى سموا الذكر وصيلة فلا يذبح لأجل أخته، وهذا كله إن لم تلد ميتاً، فإن ولدت بعد البطن السابع ميتاً أكله النساء دون الرجال.

قوله (والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود الخ) وكلام أبي عبيدة يدل على أن الحام إنما يكون من ولد السائبة، وقال أيضاً: كانوا إذا ضرب فحل من ولد البحيرة فهو عندهم حام، وقال أيضاً: الحام من فحول الإبل خاصة إذا نتجوا منه عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره، فأحموا ظهره ووبره وكل شيء منه فلم يركب ولم يطرق.

وقال الفراء: اختلف في السائبة فقيل كان الرجل يسيب من ماله ما شاء يذهب به إلى السدنة وهم الذين يقومون على الأصنام.

١٤ ـ باب {وكنتُ عليهم شهيداً ما دُمتُ فيهم، فلما تَوَفَّيتَني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم وأنتَ على كل شيء شهيد}

٤٦٢٥ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «خطبَ رسولُ الله ﷺ فقال: يا أيها الناس، إنكم محشورونَ إلى الله حُفاةً عُراةً غُرلا، ثم قال: {كما بدأنا أولَ خلقٍ نُعيدهُ وَعداً علينا إنا كنّا فاعلين} إلى آخر الآية، ثم قال: ألا وإنَّ أولَ الخلائق يُكسى يومَ القيامة إبراهيمُ، ألا وإنهُ يُجاءُ برجالٍ من أمتي فيُؤخَذُ بهم ذاتَ الشمالِ، فأقولُ: يا ربِّ أُصَيحابي، فيقال: إنكَ لا تَدري ما أحدَثوا بعدَك. فأقولُ كما قال العبدُ الصالح {وكنتُ عليهم شهيداً ما دُمتُ فيهم، فلما تَوَفيتَني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم} فيقال: إنَّ هؤلاء لم يَزالوا مرتدِّين على أعقابهم منذ فارقتَهم».

قوله (باب وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) ذكر فيه حديث ابن عباس «إنكم محشورون إلى الله حفاة» الحديث، وسيأتي شرحه في الرقاق[١]، والغرض منه «فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم».

١٥ ـ باب {إن تُعذِّبهم فإنهم عبادُك، وإن تَغفِر لهم فإنكَ أنت العزيزُ الحكيم}

٤٦٢٦ ـ عن ابن عباسٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «إنكم مَحشورون، وإنَّ ناساً يُؤخَذُ بهم ذاتَ الشمال، فأقول كما قال العبدُ الصالح {وكنتُ عليهم شهيداً ما دُمتُ فيهم -إلى قوله- العزيزُ الحكيم}».

(٦) سورةُ الأنعام

قال ابن عباس: ثم لم تكن فِتنتُهم: مَعذِرتهم، مَعروشات: ما يُعرش من الكرم وغير ذلك، حمولةً: ما يُحمل عليها، وللبسنا: لشبهنا، لأنذِركم به: أهل مكة، ينأون: يتباعدون، تُبْسَل: تُفضح، أُبسِلوا: أفضِحوا، باسطو أيديهم، البسط: الضرب، استكثرتم: أضللتم كثيرا، مما ذَرَأ من الحَرث: جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيباً، وللشيطان والأوثان نصيباً، أكنَّة: واحدها كنان، أمّا اشتملت، يعني هل تَشتمِل إلا على ذكرٍ أو أنثى؛ فلم تُحرِّمون بعضاً وتُحلّون بعضا، مسفوحاً مُهراقاً، صَدَف: أعرَضَ، أبلِسوا: أويسوا، أبسلوا:أسلموا، سرمُداً: دائماً، استهوَته: أضلته، يَمترون: يَشكون، وَقر: صمَم، وأما الوِقر فهو الحِمل، أساطيرُ: واحدُها أسطورة وإسطارة وهي التُّرَّهات، البأساء من البأس، ويكون منَ البؤس، جَهرةً: معاينةً الصُّوَر جماعة صورة كقوله سُورة وسُوَر مَلَكوت ومُلك، مثل: رهَبوتٌ خيرٌ من رَحَموت، ويقول: تُرهَب خيرٌ من أن تُرحم، جَنَّ: أظلَم... تعالى: علا وإن تعدل: تقسط لا يقبل منها في ذلك اليوم، يقال على الله حُسبانه أي حِسابه، ويقالُ حسباناً مَراميَ، ورجُوماً للشياطين، مُستَقَر في الصُّلب، ومُستودَعٌ في الرَّحِم، القِنوُ: العذق، والاثنانِ قِنوانِ، والجماعة أيضاً قِنوانٌ، مثلِ صنوٍ وصِنْوان.

قوله (مما ذرأ من الحرث جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيباً، وللشياطن والأوثان نصيبا) وصله ابن أبي حاتم أيضاً عن ابن عباس في قوله {وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا} الآية قال: جعلوا لله فذكر مثله وزاد «فإن سقط من ثمرة ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوا للشياطين في نصيب الله لقطوه.

وقد تقدم في أخبار الجاهلية قول ابن عباس: إن سرك أن تعلم جهل العرب فأشار إلى هذه الآية.

---

(١) كتاب الرقاق باب / ٤٥ ح ٦٥٢٦ - ٥ / ٦٣.

قوله (وقراً[١]صمم) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {وفي آذانهم وَقْرا} أي الثقل والصمم وإن كانوا يسمعون، لكنهم صُمٌّ عن الحق والهدى، وقال معمر عن قتادة في قوله {على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا} قال: يسمعون بآذانهم ولا يعون منها شيئاً كمثل البهيمة تسمع القول ولا تدري ما يقال لها.

١ - باب {وعندَهُ مَفاتحُ الغيبِ لا يَعلمها إلاّ هو}

٤٦٢٧ - عن سالم بن عبدِ الله عن أبيه «أن رسولَ الله ﷺ قال: مَفاتحُ الغيبِ خمسٌ {إنَّ الله عندَ علمُ الساعة، ويُنزِّلُ الغيثَ، ويَعلم ما في الأرحام، وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غداً، وما تدري نفسٌ بأيِّ أرض تموت، إنَّ الله عليمٌ خبير}».

قوله (باب وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) المفاتح جمع مفتح بكسر الميم الآلة التي يفتح بها، مثل منجل ومناجل، وهي لغة قليلة في الآلة، والمشهور مفتاح بإثبات الألف وجمعه مفاتيح بإثبات الياء، وقد قرىء بها في الشواذ، قرأ ابن السميفع {وعنده مفاتيح الغيب} وقيل بل هو جمع مفتح بفتح الميم وهو المكان، ويؤيده تفسير السدي فيما رواه الطبري قال: مفاتيح الغيب خزائن الغيب.

وروى الطبري من طريق ابن مسعود قال: أعطي نبيكم ﷺ علم كل شيء إلا مفاتح الغيب، ويطلق المفتاح على ما كان محسوساً مما يحل غلقاً كالقفل، وعلى ما كان معنوياً كما جاء في الحديث «إن من الناس مفاتيح للخير» الحديث صححه ابن حبان من حديث أنس، ثم ذكر المصنف في الباب حديث ابن عمر «مفاتح الغيب خمس» أورده مختصراً، وساقه في تفسير سورة لقمان مطولاً[٢]، وسيأتي شرحه هناك مستوفى إن شاء الله تعالى.

٢ - باب {قل هوَ القادرُ على أن يبعثَ عليكم عذاباً من فَوقِكم} الآية

يَلبِسكم: يَخلِطَكم، من الالْتباس، يَلبِسوا: يَخلِطوا. شِيَعاً: فِرَقاً

٤٦٢٨ - عن جابر رضيَ الله عنه قال: «لما نزلَت هذه الآية {قل هُوَ القادرُ على أن يبعثَ عليكم عَذاباً من فَوقكم} قال رسولُ الله ﷺ: أعوذُ بوَجهك، قال: {أو من تحتِ أرجُلِكم} قال: أعوذُ بوجهِك، {أو يَلبِسَكم شيَعاً ويُذيقَ بَعضَكم بأسَ بعض} قال رسولُ الله ﷺ: هذا أهْوَن، أو هذا أيسر».

[الحديث ٤٦٢٨ - طرفاه في: ٧٣١٣، ٧٤٠٦]

قوله (شيعاً فرقا) هو كلام أبي عبيدة أيضاً وزاد: واحدتها شيعة، وللطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبّاس في قوله {شيعا} قال الأهواء المختلفة.

---

(١) رواية الباب واليونينية "وقر صمم".

(٢) كتاب التفسير "لقمان" باب / ٢ ح ٤٧٧٨ - ٨ / ٥١٤ ص ٢٩١.

قوله (هذا أهون أو هذا أيسر) ووقع في الاعتصام «هاتان أهون أو أيسر أي خصلة الالتباس وخصلة إذاقة بعضهم بأس بعض، وقد روى ابن مردويه من حديث ابن عباس ما يفسر به حديث جابر ولفظه عن النبيِّ ﷺ قال: «دعوت الله أن يرفع عن أمتي أربعاً، فرفع عنهم ثنتين وأبى أن يرفع عنهم اثنتين: دعوت الله أن يرفع عنهم الرجم من السماء والخسف من الأرض وأن لا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم بأس بعض، فرفع الله عنهم الخسف والرجم، وأبى أن يرفع عنهم الأخريين» فيستفاد من هذه الرواية المراد بقوله {من فوقكم أو من تحت أرجلكم} ويستأنس له أيضاً بقوله تعالى {أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا} ووقع أصرح من ذلك عند ابن مردويه من حديث أبي بن كعب قال في قوله تعالى {عذاباً من فوقكم} قال الرجم {أو من تحت أرجلكم} قال الخسف.

وفي الحديث دليل على أن الخسف والرجم لا يقعان في هذه الأمة، وفيه نظر فقد روى أحمد والطبري من حديث أبي بن كعب في هذه الآية {قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم} الآية قال: «هن أربع، وكلهن وقع لا محالة، فمضت اثنتان بعد وفاة نبيهم بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض، وبقيت اثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم، وقد أعل هذا الحديث بأن أبي بن كعب لم يدرك سنة خمس وعشرين من الوفاة النبوية فكأن حديثه انتهى عند قوله لا محالة والباقي من كلام بعض الرواة، وأعل أيضاً بأنه مخالف لحديث جابر وغيره. وأجيب بأن طريق الجمع أن الإعادة المذكورة في حديث جابر وغيره مقيدة بزمان مخصوص وهو وجود الصحابة والقرون الفاضلة، وأما بعد ذلك فيجوز وقوع ذلك فيهم.

ويحتمل في طريق الجمع أيضاً أن يكون المراد أن ذلك لا يقع لجميعهم وإن وقع لأفراد منهم غير مقيد بزمان كما في خصلة العدو الكافر والسنة العامة فإنه ثبت في صحيح مسلم في حديث ثوبان رفعه في حديث بأوله «إن الله زوى لي مشارق الأرض ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها» الحديث، وفيه «وإني سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من غير أنفسهم وأن لا يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، فقال: يا محمد إني إذا قضيتُ قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من غيرهم يستبيح بيضتهم حتى يكون بعضهم يهلك بعضا.

وقد وردت الاستعاذة من خصال أخرى: منها عن ابن عباس عند ابن مردويه مرفوعاً «سألت ربي لأمتي أربعاً فأعطاني اثنتين ومنعني اثنتين: سألته أن يرفع عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض فرفعهما» الحديث، ومنها حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم مرفوعا «سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم بالسنة

فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» وعند الطبري من حديث جابر بن سمرة نحوه لكن بلفظ «أن لا يهلكوا جوعا» وهذا مما يقوي أيضاً الجمع المذكور. فإن الغرق والجوع قد يقع لبعض دون بعض، لكن الذي حصل منه الأمان أن يقع عاماً.

٣ ـ باب {ولم يَلبِسوا إيمانَهم بظلم}

٤٦٢٩ ـ عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قال: لما نزلَت {ولم يَلبِسوا إيمانَهم بظلم} قال أصحابه: وأيُّنا لم يَظلِم؟ فنزلَت {إنَّ الشركَ لظُلمٌ عظيم}

قوله (باب ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} ذكر فيه حديث ابن مسعود قال: «لما نزلت {ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} قال أصحابه» أي أصحاب النبي ﷺ. وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الإيمان[١] بما أغنى عن إعادته.

٤ ـ باب {ويونُسَ ولُوطاً وكلا فضَّلنا على العالمين}

٤٦٣٠ ـ عن ابن عمِّ نبيِّكم -يعني ابنَ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما- عنِ النبيِّ ﷺ قال: «ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونسَ بن متَّى»

٤٦٣١ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونسَ بن متى».

قوله (باب[٢] قوله ويونس ولوطا) ذكر فيه حديثي ابن عباس وأبي هريرة «ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» وقد تقدم شرحه في أحاديث الأنبياء[٣].

٥ ـ باب {أولئك الذين هَدَى الله، فبهُداهُم اقْتَدِه}

٤٦٣٢ ـ عن مُجاهد أنه «سألَ ابن عباسٍ أفي «ص» سجدةٌ؟ فقال: نعم، ثم تلا {ووهبنا له إسحاقَ ويعقوبَ -إلى قولهِ فبهُداهم اقتدِه} ثم قال: هو منهم.

قوله (باب قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) ذكر فيه حديث ابن عباس في السجود في «ص»، وسيأتي شرحه في تفسير[٤] «ص».

وقد اختلف: هل كان عليه الصلاة والسلام متعبداً بشرع من قبله حتى نزل عليه ناسخه؟ فقيل: نعم، وحجتهم هذه الآية ونحوها. وقيل: لا. وأجابوا عن الآية بأن المراد اتباعهم فيما

---

(١) كتاب الإيمان باب/ ٢٣ح ٣٢ - ١/ ٤٠.
(٢) ترجمة الباب واليونينية وبدون "قوله" وسقط التبويب في اليونينية
(٣) كتاب الأنبياء باب / ٣٥ ح ٣٤١٦ - ٣ / ٤٦
(٤) كتاب التفسير "ص" ح ٤٨٠٧ - ٣ / ٤٦

أنزل عليه وفاقه ولو على طريق الإجمال فيتبعهم في التفصيل، وهذا هو الأصح عند كثير من الشافعية، واختاره إمام الحرمين ومن تبعه، واختار الأول ابن الحاجب، والله أعلم.

٦ ـ باب {وعلى الذين هادُوا حَرَّمنا كلَّ ذِي ظُفرٍ، ومنَ البقرِ والغَنَم حرَّمنا عليهم شُحُومَها} الآية

قال ابنُ عباس: كلُّ ذي ظُفرٍ البعيرُ والنعامة. الحَوايا المبْعَر. وقال غيرهُ: هادوا صاروا يهوداً. وأما قوله هدنا تُبْنا، هائد تائب.

٤٦٣٣ ـ عن جابر بن عبد الله رضيَ الله عنهما سمعتُ النبيَّ ﷺ قال: «قاتلَ اللهُ اليهودَ، لما حرَّمَ اللهُ عليهم شُحومَها جَملوها ثم باعوها فأكلوها».

قوله (كل ذي ظفر البعير والنعامة) وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «كل ذي ظفر هو الذي ليس بمنفرج الأصابع، يعني ليس بمشقوق الأصابع، منها الإبل والنعام، وإسناده حسن.

قوله (الحوايا: المبعر) وقال سعيد بن جبير الحوايا المباعر أخرجه ابن جرير وقال: الحوايا جمع حوية وهي ما تحوي واجتمع واستدار من البطن وهي نبات اللبن وهي المباعر وفيها الأمعاء، قال: ومعنى الكلام إلا ما حملت ظهورهما وإلا ما حملت الحوايا، أي فهو حلال لهم.

ثم ذكر المصنف حديث جابر «قاتل الله اليهود حرمت عليهم شحومها» الحديث، وقد تقدم شرحه في أواخر كتاب البيوع[1].

٧ ـ باب {ولا تَقربوا الفَواحِشَ ما ظَهرَ منا وما بَطن}

٤٦٣٤ ـ عن عبد الله رضيَ الله عنه قال: «لا أحدٌ أغيرُ من الله، ولذلك حرَّمَ الفَواحش ما ظهرَ منها وما بطن. ولا شيءَ أحبُّ إليه المدحُ منَ الله ولذلك مدحَ نفسه. قلتُ: سمعتَه من عبد الله؟ قال: نعم. قلت: ورفعهُ؟ قال: نعم».

[الحديث ٤٦٣٤ - طرفاه في: ٤٦٣٧، ٧٤٠٣]

قوله (باب قوله[2] تعالى {ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن} ذكر فيه حديث ابن مسعود «لا أحد أغير من الله» وسيأتي شرحه في كتاب التوحيد[3] إن شاء الله تعالى.

٨ ـ باب وكيلٌ: حفيظٌ ومحيطٌ به. قُبُلاً: جمع قَبيل، والمعنى أنه ضُروبٍ للعذاب، كلُّ

---

(١) كتاب البيوع باب / ١١٢ ح ٢٢٣٦ - ٢ / ٢٩١.
(٢) ترجمة الباب واليونينية بدون "قوله تعالى" ..
(٣) كتاب التوحيد باب /٢٠ ح ٧٤١٦ - ٥ / ٥٦١.

ضَرْب منها قَبِيل. زُخرفَ القول: كل شيء حسَّنته ووشَّيْته وهو باطل فهو زُخرف. وحرثٌ حِجر: حرام، وكل ممنوع فهو حِجر محجور؛ والحجر كلُّ بناء بنيته، ويقال للأنثى من الخيل حِجر، ويقال للعقل حِجاً وحجر، وأما الحِجر فموضع ثمود، وما حَجرت عليه من الأرض فهو حِجرٌ، ومنه سُمي حَطيم البيت حِجراً كأنه مشتق من محطوم مثل قتيل من مقتول، وأما حَجر اليمامة فهو منزل.

قوله (قبلا جمع قبل، والمعنى أنه ضروب للعذاب كل ضرب منها قبيل) انتهى. هو من كلام أبي عبيدة أيضاً لكن بمعناه، قال في قوله تعالى {وحشرنا عليهم كل شيء قبلا} قال فمعنى حشرنا جمعنا وقبلا جمع قبيل أي صنف. وروى ابن جرير عن مجاهد قال: قبلا أي أفواجا قال ابن جرير: أي حشرنا عليهم كل شيء قبيلة قبيلة صنفا صنفا وجماعة جماعة، فيكون القبل جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة، فيكون القبل جمع الجمع.

وقد روى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {كل شيء قبلا} أي معاينة.

قال ابن جرير: ويحتمل أن يكون القبل جمع قبيل وهو الضمين والكفيل، أي وحشرنا عليهم كل شيء كفيلا يكفلون لهم أن الذي نعدهم حق، وهو بمعنى قوله في الآية الأخرى {أو تأتي بالله والملائكة قبيلا} انتهى، ولم أر من فسره بأصناف العذاب، فليحرر هذا.

٩ ـ باب {قل هَلُمَّ شُهداءكم}

لغة أهل الحجاز هلُم للواحد والإثنين والجمع.

٤٦٣٥ ـ عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ، لا تقومُ الساعةُ حتى تَطْلُعَ الشمسُ من مغربها، فإذا رآها الناسُ آمن من عليها، فذاك حينَ لا يَنفعُ نفساً إيمانُها لم تكن آمنَت من قبلُ».

١٠ ـ باب {لا يَنفع نفساً إيمانها}

٤٦٣٦ ـ عن أبي هريرةَ رضىَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ: لا تقومُ الساعةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مغرِبها، فإذا طَلَعت ورآها الناسُ آمَنوا أجمعون، وذلك حينَ لا يَنفعُ نفساً إيمانُها، ثمَّ قرأ اية».

قوله (باب لا ينفع نفساً إيمانها) ذكر فيه حديث أبي هريرة في طلوع الشمس من المغرب، وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب الرقاق[1] إن شاء الله تعالى.

(١) كتاب الرقاق باب / ٤٠ ح ٦٥٠٦ - ٥/ ٥٤

(٧) سورة الأعراف

قال ابنُ عباس: وريشاً: المال، إنه لا يحب المعتدين: في الدعاءِ وفي غيره، عَفَوا: كَثُروا وكثُرَت أموالهم، الفَتاح: القاضي افتح بيَننا: اقضِ بَيننا، نَتقنا الجبل: رفعنا، انبَجَسَت: انفجَرَت مُتَبَّر: خُسران، آسى: أحزَن، تَأسَ تَحزَن، وقال غيرهُ: ما منَعَك أن لا تَسجُد: يقول ما منعك أن تَسجُد، يَخصِفان: أخذا الخِصافَ من ورق الجنة، يُؤلِفانِ الورقَ يَخصِفان الورق بعضه إلى بعض، سَوآتهما: كناية عن فرجيهما، ومَتاعٌ إلى حين: هو ها هنا إلى يوم القيامة، والحين عند العرب من ساعة إلى ما لا يحصى عددها، الرِّياش والرِّيش واحد، وهو ما ظهر من اللباس، قبيله: جيله الذي هو منهم: ادّاركوا اجتمعوا، ومَشاقُّ الإنسان والدابةِ كلُّها يسمَّى سُموما واحدُها سَمّ، وهي عيناهُ ومَنخِراه وفمه وأذُناهُ ودُبرهُ وإحليله، غَواش: ما غُشُّوا به، نُشُراً متفرِّقة، نَكداً: قليلا: يَغنَوا: يَعيشوا، حَقيقٌ: حق، استرهَبوهم منَ الرهبةِ، تَلقَف: تَلقَم، طائرُهم حَظُّهم، طُوفان من السَّيلِ، ويقال للموت الكثير الطوفان، القمل: الحمنان، يَشبهُ صغارَ الحَلَم عُروش وعَريش بناء، سُقِط: كل مَن نَدِمَ فقد سُقِط في يده، الأسباط: قبائل بني إسرائيل، يَعدون في السبت: يَتعدُّون له، يُجاوِزون، تَعدُ تُجاوِزُ شُرَّعاً: شَوارِعَ، بئيس: شديد، أخْلَد: قعد تَقاعَس، سنستدرجهُم نأتيهم من مأمَنهم كقوله تعالى: {فأتاهم اللهُ من حيث لم يَحتَسِبوا} من جِنَّة: من جنون، أيان مرساها: متى خروجها، فمرَّت به: استمرَّ بها الحَملُ فأتَمَّه، يَنزَغنَّك: يَستخفَّنَّك، طَيف مُلِمٌّ به لَمم، ويقال طائف وهو واحد، يَمدُّونهم يُزَيِّنون، وخِيفة خَوفاً، وخُفية من الإخفاء. والآصال واحدُها أصيل وهو ما بين العصر إلى المغرب، كقولهِ بُكرةً وأصيلا.

قوله (سورة الاعراف) اختلف في المراد بالأعراف في قوله تعالى {وعلى الأعراف رجال} فقال فعن أبي مجلز هم ملائكة وكلوا بالصور ليميزوا المؤمن من الكافر، واستشكل بأن الملائكة ليسوا ذكوراً ولا إناثا فلا يقال لهم رجال، وأجيب بأنه مثل قوله في حق الجن {كانوا يعوذون برجال من الجن} كذا ذكره القرطبي في «التذكرة» وليس بواضح، لأن الجن يتوالدون فلا يمتنع أن يقال فيهم الذكور والإناث، بخلاف الملائكة.

قوله (إنه لا يحب المعتدين في الدعاء) وقد جاء نحو هذا مرفوعاً أخرجه أحمد وأبو داود من حديث سعد بن أبي وقاص أنه سمع ابنا له يدعو فقال «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء» وقرأ هذه الآية. وأخرج أيضاً ابن ماجه

من حديث عبد الله بن مغفل أنه سمع ابناً له يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة، فذكر نحوه، لكن لم يقل وقرأ الآية. والاعتداء في الدعاء يقع بزيادة الرفع فوق الحاجة أو بطلب ما يستحيل حصوله شرعاً أو بطل معصية أو بدعو بما لم يؤثر خصوصاً ما وردت كراهته كالسجع المتكلف وترك المأمور، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى.

قوله (نتقنا الجبل رفعنا. انبجست انفجرت) تقدم شرحهما في أحاديث الأنبياء[1].

قوله (ما منعك أن لا تسجد، يقول ما منعك أن تسجد)

قوله (يخصفان أخذا الخصاف من ورق الجنة، يؤلفان الورق يخصفان الورق بعضه إلى بعض) كذا لأبي عبيدة لكن باختصار. وروى ابن جرير بإسناد حسن عن ابن عباس في قوله {وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة} قال جعلا يأخذان من ورق الجنة فيجعلان على سوآتهما.

قوله (الفتاح القاضي، افتح بيننا اقض) كذا وقع هنا، والفتاح لم يقع في هذ السورة وإنما هو في سورة سبأ، وكأنه ذكره هنا توطئة لتفسير قوله في هذه السورة {ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق} ولعله وقع فيه تقديم وتأخير من النساخ، فقد قال أبو عبيدة في قوله {افتح بيننا وبين قومنا} أي احكم بيننا وبين قومنا.

وروى ابن جرير من طرق عن قتادة عن ابن عباس قال: ما كنت أدري ما معنى قوله {افتح بيننا} حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: انطلق أفاتحك.

قوله (ومشاق الإنسان والدابة كلها تسمى[2] سموماً واحدها سم، وهي عيناه ومنخراه وفمه وأذناه ودبره وإحليله) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {في سم الخياط} أي ثقب الإبرة وكل ثقب من عين أو أنف أو أذن أو غير ذلك فهو سم والجمع سموم. ووقع في بعض النسخ «مسام الإنسان» بدل مشاق وهي بمعناه.

قوله (غواش ما غشوا به) قال أبو عبيدة في قوله {ومن فوقهم غواش} واحدتها غاشية وهي ما غشاهم فغطاهم من فوقهم.

قوله (نكدا قليلا) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {والذي خبث لا يخرج إلا نكدا}: أي قليلا عسرا في شدة.

---

(١) كتاب الأنبياء باب / ٢٥ - ٣ / ٣٥.

(٢) رواية الباب واليونينية "..... يسمى سموماً .....".

قوله (طوفان من السيل ويقال للموت الكثير الطوفان) قال أبو عبيدة: الطوفان من السيل ومن الموت البالغ الذريع، كأنه مأخوذ من أطاف به إذا عمه بالهلاك.

وروى ابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: أرسل عليهم المطر حتى خافوا الهلاك، فأتوا موسى فدعا الله فرفع ثم عادوا.

قوله (عروش وعريش بناء) وقال أبو عبيدة في قوله تعالى {وما كانوا يعرشون} أي يبنون، وعرش مكة خيامها، وقد تقدم في سورة الأنعام تفسير {معروشات}.

قوله (الأسباط قبائل بني إسرائيل) هو قول أبي عبيدة وزاد: واحدها سبط، تقول من أي سبط أنت؟ أي من أي قبيلة وجنس؟ انتهى. والأسباط في ولد يعقوب كالقبائل في ولد إسماعيل.

وقيل للحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ لانتشار ذريتهما، ثم قيل لكل ابن بنت سبط.

قوله (طيف ملم به لم، ويقال طائف وهو واحد) قال أبو عبيدة في قوله {إذا مسهم طائفة} ألم انتهى. واللمم يطلق على ضرب من الجنون وعلى صغار الذنوب، واختلف القراء فمنهم من قرأ طائف ومنهم من قرأ طيف، واختار ابن جرير الأولى واحتج بأن أهل التأويل فسروه بمعنى الغضب أو الزلة، وأما الطيف فهو الخيال، ثم حكى بعض أهل العربية أن الطيف والطائف بمعنى واحد، وأسند عن ابن عباس قال: الطائف اللمة من الشيطان.

قوله (يمدونهم يزيّنون) قال أبو عبيدة في قوله {وإخوانهم يمدونهم في الغي} أي يزينون لهم الغي والكفر.

١ ـ باب {إنَّما حرَّمَ ربِّيَ الفَواحشَ ما ظَهرَ منها وما بَطَن}

٤٦٣٧ ـ عن عبد الله رضيَ الله عنه. قال: قلتُ: أنت سمعتَ هذا من عبد الله؟ قال: نعم ورفَعَهُ، قال: لا أحدَ أغيَرُ منَ الله، فلذلك حرَّمَ الفواحِشَ ما ظهرَ منها وما بَطن، ولا أحدَ أحبُّ إليه المدحةُ من الله، فلذلك مدحَ نفسَه».

قوله (باب قول الله عز وجل: قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) ذكر فيه حديث ابن مسعود «لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش» وسيأتي شرحه في كتاب التوحيد، وقد حكى ابن جرير أن أهل التأويل اختلفوا في المراد بالفواحش، فمنهم من حملها على العموم وساق ذلك عن قتادة قال: المراد سر الفواحش وعلانيتها، ومنهم من حملها على نوع خاص وساق عن ابن عباس قال: كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنا بأساً في السر ويستقبحونه في العلانية، فحرم الله الزنا في السر والعلانية.

٢ - باب {ولما جاءَ موسى لميقاتنا وكلمهُ ربُّه قال ربِّ أرني أنظر إليك، قال: لن تَراني، ولكنِ انظرَ إلى الجبلِ فإنِ استقرَّ مكانَهُ فسوفَ تراني، فلما تجلى ربُّه للجبلِ جَعلَهُ دكاً وخرَّ موسى صَعقاً، فلما أفاقَ قال سُبحانَك تُبتُ إليكَ وأنا أوَّلُ المؤمنين}

قال ابن عباس: أرِني أعطني.

٤٦٣٨ - عن أبي سعيد الخُدريِّ رضيَ الله عنه قال: «جاء رجلٌ منَ اليهود إلى النبيِّ قد لُطِمَ وجههُ وقال: يا محمد إنَّ رجلاً من أصحابِك من الأنصارِ لطَم وجهي. قال: ادعوهُ، فدعوهُ، قال: لِمَ لطمتَ وجهَه؟ قال: يا رسولَ الله، إني مررتُ باليهود، فسمعتهُ يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، فقلت: وعلى محمد؟ وأخذَتني غضبة فلطمته. قال: لا تُخيِّروني من بين الأنبياء، فإنَّ الناسَ يَصعقَون يومَ القيامة، فأكون أولَ من يُفيقُ، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائمَ العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جُزِيَ بصَعقةِ الطُّور.

قوله (باب {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك} الآية. قال ابن عباس: أرني أعطني) تواترت الأخبار النبوية بوقوع هذه الرؤية للمؤمنين في الآخرة وبإكرامهم بها في الجنة، ولا استحالة فيها فوجب الإيمان بها، وبالله التوفيق. وسيأتي مزيد لهذا في كتاب التوحيد[١] حيث ترجم المصنف {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}.

قوله (جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه) الحديث تقدم شرحه مستوفى في أحاديث الأنبياء[٢].

المنّ والسَّلوَى

٤٦٣٩ - عن سعيد بن زيد عنِ النبيِّ ﷺ قال: الكمأةُ منَ المنّ، وماؤها شِفاءُ العين».

قوله (المن والسلوى) ذكر فيه حديث سعيد بن زيد في الكمأة، وسيأتي شرحه في الطب[٣].

---

(١) كتاب التوحيد باب / ٢٤ ح ٧٤٣٤ - ٥ / ٥٦٩.
(٢) كتاب الأنبياء باب / ٣١ ح ٣٤٠٨ - ٣ / ٤١.
(٣) كتاب الطب باب / ٢٠ ح ٥٧٠٨ - ٤ / ٣٢٢.

٣ ـ باب {قل يا أيها الناسُ إني رسولُ اللهِ إليكم جميعاً الذي له مُلكُ السماوات والأرضِ، لا إله إلا هو يحيي ويميت، فآمنوا بالله ورسولِهِ النبي الأمي الَذي يؤمنُ بالله وكلماتهِ واتبعوهُ لعلكم تَهتدون}

٤٦٤٠ ـ عن أبي الدَّرداءِ قال: «كانت بينَ أبي بكرٍ وعمرَ محاورة فأغضب أبو بكر عمرَ فانصرَف عنه عمرُ مُغضباً، فاتَّبعهُ أبو بكرٍ يَسألهُ أن يَستغفرَ له، فلم يَفعل، حتى أغلقَ بابَهُ في وجههِ. فأقبلَ أبو بكر إلى رسولِ الله ﷺ -فقال أبو الدَّرداءِ: ونحنُ عندَه- فقال رسولُ الله ﷺ: أما صاحبكم هذا فقد غامرَ. قال ونَدم عمرُ على ما كان منه، فأقبلَ حتى سلَّمَ وجَلسَ إلى النبيِّ ﷺ وقصَّ على رسولِ الله ﷺ الخبرَ. قال أبو الدرداء: وغضِبَ رسول الله ﷺ وجعلَ أبو بكرٍ يقول: واللهِ يا رسولَ الله، لأنا كنتُ أظلَم. فقال رسول اللهِ ﷺ: هل أنتم تاركو لي صاحبي، هل أنتم تاركو لي صاحبي إني قلت: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا، فقلتم: كذَبتَ، وقال أبو بكرٍ: صدَقت». قال أبو عبد الله: غامر سبق بالخير.

قوله (باب قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) ذكر فيه حديث أبي الدرداء فيما كان بين أبي بكر وعمر، وقد تقدم شرحه مستوفى في مناقب أبي بكر.

٤ ـ باب {وقولوا حِطة}

٤٦٤١ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «قال رسولُ اللهِ ﷺ: قيل لبني إسرائيلَ {ادخُلوا البابَ سُجَّدا وقولوا حِطَّةٌ نَغفِر لكم خطاياكم} فبدَّلوا، فدخَلوا يَزحفون على أستاههم وقالوا: حبَّة في شَعرة».

قوله (فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حبة في شعرة) كذا للأكثر وللكشميهني والحاصل أنهم خالفوا ما أمروا به من الفعل والقول فإنهم أمروا بالسجود عند انتائهم شكراً لله تعالى وبقولهم حطة، فبدلوا السجود بالزحف وقالوا حنطة بدل حطة.أو قالوا حطة وزادوا فيها حبة في شعيرة. ويستنبط منه أن الأقوال المنصوصة إذا تعبد بلفظها لا يجوز تغييرها ولو وافق المعنى. وليست هذه مسألة الرواية بالمعنى بل هي متفرعة منها، وينبغي أن يكون ذلك قيداً في الجواز، أعني يزاد في الشرط أن لا يقع التعبد بلفظه ولا بد منه، ومن أطلق فكلامه محمول عليه.

٥ ـ باب {خُذِ العفوَ وأمُر بالعُرفِ وأعرِض عنِ الجاهلين}

العـرف: المعروف.

٤٦٤٢ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «قَدِمَ عُيينةُ بن حِصن بنُ حذيفةً فنزلَ على ابن أخيه الحرِّ بن قيس، وكان منَ النفرِ الذين يُدنيهم عمر، وكان القُرّاء أصحابَ مجالس عمرَ ومشاورتهِ كهولاً. كانوا أو شُبّانا. فقال عيينةُ لابن أخيه: يا ابنَ أخي لكَ وجه عندَ هذا الأمير، فاستأذِن لي عليه، قال: سأستأذنُ لك عليه. قال ابنُ عباسٍ: فاستأذَن الحرُّ عيينة، فأذِنَ له عمر، فلما دخل عليه قال: هِيْ يا ابن الخطّاب، فواللهِ ما تُعطينا الجَزل، ولا تَحكُم بيننا بالعدل. فغضبَ عمرُ حتى همَّ به، فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين، إن اللهَ تعالى قال لنبيِّه ﷺ {خُذِ العفوَ، وأمر بالعُرف، وأعرِض عنِ الجاهلين} وإنَّ هذا من الجاهلين. واللهِ ما جاوزَها عمر حينَ تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله».

[الحديث ٤٦٤٢ – طرفه في: ٧٢٨٦]

٤٦٤٣ ـ عن عبد اللهِ بن الزُّبير {خذِ العفو وأمُر بالعُرف} قال: ما أنزَلَ اللهُ إلاّ في أخلاق الناس.

[الحديث ٤٦٤٣ – طرفه في: ٤٦٤٤]

٤٦٤٤ ـ عن عبد الله بن الزُّبير قال: أمر اللهُ نبيَّه ﷺ أن يأخذَ العفوَ من أخلاق الناس» أو كما قال.

قوله (أمر الله نبيه[١]أن يأخذ العفو من أخلاق الناس، أو كما قال) وروى عن جعفر الصادق: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها، ووجهوه بأن الأخلاق ثلاثة بحسب القوى الإنسانية: عقلية وشهوية وغضبية، فالعقلية الحكمة ومنها الأمر بالمعروف، والشهوية العفة ومنها أخذ العفو، والغضبية الشجاعة ومنها الإعراض عن الجاهلين، وروى الطبري مرسلاً وابن مردويه موصولاً من حديث جابر وغيره «لما نزلت {خذ العفو وأمر بالعرف} سأل جبريل فقال: لا أعلم حتى أسأله ثم رجع فقال: إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك».

(٨) سورةُ الأنفال

١ ـ باب قوله {يَسألونَكَ عنِ الأنفال قل الأنفال للهِ والرَّسول فاتقوا الله وأصلِحوا ذاتَ بينِكم}

قال ابن عباس: الأنفال المغانم. قال قتادةُ: رِيحكم الحربُ. يقال: نافلةٌ عطية

(١) في المتن واليونينية "... نبيه ﷺ.

٤٦٤٥ ـ عن سعيدِ بن جبير قال: «قلتُ لابن عباسٍ رضيَ الله عنهما: سورةُ الأنفال، قال: نزَلت في بدر». الشوكةُ الحدّ. مردَفين فوجاً بعد فَوج. رَدَفَني وأردَفَني جاء بعدي. ذوقوا باشروا وجرِّبوا. وليس هذا من ذوق الفم. فيركُمه يَجمعَه. شرِّد فرِّق. وإن جَنحوا طلبوا. السِّلم والسَّلم والسلام واحد يُثخِن يَغلِب. وقال مجاهد: مُكاء إدخال أصابعهم في أفواههم وتَصْدية الصَّفير. ليُثْبِتوك ليحبِسوك

قوله (قال ابن عباس الأنفال المغانم) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «الأنفال المغانم، كانت لرسول الله ﷺ خالصة ليس لأحد فيها شيء» وروى أبو داود والنسائي وابن حبان عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: من صنع كذا فله كذا، الحديث فنزلت {يسألونك عن الأنفال}».

قوله (وإن جنحوا طلبوا) قال أبو عبيدة في قوله {وإن جنحوا للسلم} أي رجعوا إلى المسالمة وطلبوا الصلح.

قوله (وتصدية الصفير) قال أبو عبيدة: المكاء الصفير والتصدية صفق الأكف.

قوله (فيركمه يجمعه) قال أبو عبيدة في قوله {فيركمه جميعاً} أي فيجمعه بعضه فوق بعض.

والحديث المذكور سيأتي بأتم من هذا في تفسير سورة الحشر[1]، ويأتي شرحه هناك.

باب {إنَّ شرَّ الدَّوابِّ عندَ الله الصُّمُّ البُكمُ الذين لا يَعقِلون}

٤٦٤٦ ـ عن ابن عباس {إن شرَّ الدَّوابِّ عند اللهِ الصُّمُّ البُكمُ الذين لا يَعقِلون} قال: هم نفرٌ من بني عبدِ الدار

٢ ـ باب {يا أيُّها الذين آمنوا استَجيبوا لله وللرسولِ إذا دعاكم لما يُحيِيكم، واعلَموا أن اللهَ يَحولُ بينَ المرءِ وقلبه، وأنهُ إليه تُحشَرون}

استَجيبوا أجيبوا، لما يُحييكم لما يُصلِحُكم.

٤٦٤٧ ـ عن أبي سعيدِ بن المعلى رضيَ الله عنه قال: «كنتُ أصلّي، فمرَّ بي رسولُ الله ﷺ فدَعاني فلم آتِه حتى صلّيتُ، ثم أتَيتهُ فقال: ما منعَكَ أن تأتي؟ ألم يَقلِ اللهُ {يا أيُّها الذين آمنوا استَجيبوا لله وللرسولِ إذا دَعاكم} ثم قال: لأعلِّمنَّك أعظمَ سورةٍ في القرآن قبلَ أن أخرُج. فذهبَ رسولُ اللهِ ﷺ ليَخرجَ، فذكَرتُ له». وقال مُعاذٌ حدَّثنا شعبة عن خُبيب بن عبد الرحمن سمع حفصاً سمعَ أبا سعيدٍ رجلاً من أصحاب النبيِّ ﷺ وقال: «هي الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، السبعُ المثاني».

---

(١) كتاب التفسير "الحشر" باب / ١ ح ٤٨٨٢ – ٣ / ٧٠٨.

تقدم شرح الحديث في تفسير الفاتحة[1].

٣ ـ باب {وإذ قالوا اللهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندكَ فأمطرْ علينا حجارةً منَ السماء، أو ائتنا بعذابٍ أليمٍ}

قال ابنُ عُيينة: ما سمى اللهُ مَطراً في القرآن إلاّ عذاباً، وتسمِّيه العربُ الغَيثَ، وهو قوله تعالى: {وهو الذي يُنزِّلُ الغيثَ من بعدِ ما قَنَطوا}

٤٦٤٨ ـ عن عبدِ الحميدِ هو ابنُ كُرديد صاحبُ الزِّياديِّ -سمعَ أنسَ بن مالكٍ رضيَ الله عنه «قال أبو جهلٍ {اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندكَ فأمطر علينا حجارةً منَ السماء، أو ائتِنا بعذابٍ أليم} فنزلَت {وما كان اللهُ ليُعذِّبهم وأنت فيهم، وما كان اللهُ مُعذِّبَهم وهم يَستغفِرون. وما لهم أن لا يُعذِّبهم الله وهم يَصُدُّون عنِ المسجدِ الحرام} الآية».

[الحديث ٤٦٤٨ - طرفه في: ٤٦٤٩]

قوله (قال ابن عيينة الخ) كذا في تفسير ابن عيينة رواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عنه قال: يقول ناس ما سمى الله المطر في القرآن إلا عذابا، ولكن تسميه العرب الغيث يريد قوله تعالى {وهو الذي ينزل الغيث} كذا وقع في تفسير حم عسق، وقد تعقب كلام ابن عيينة بورود المطر بمعنى الغيث في القرآن في قوله تعالى {إن كان بكم أذى من مطر} فالمراد به هنا الغيث قطعاً، ومعنى التأذي به البلل الحاصل منه للثوب والرجل وغير ذلك.

قوله (قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا الخ) ظاهر في أنه القائل ذلك، وإن كان هذا القول نسب إلى جماعة فلعله بدأ به ورضي الباقون فنسب إليهم.

وروى ابن جرير من طريق يزيد بن رومان أنهم قالوا ذلك ثم لما أمسوا ندموا فقالوا غفرانك اللهم، فأنزل الله {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن معنى قوله {وهم يستغفرون} أي من سبق له من الله أنه سيؤمن، وقيل المراد من كان بين أظهرهم حينئذ من المؤمنين، قاله الضحاك وأبو مالك ويؤيده ما أخرجه الطبري من طريق ابن أبزي قال: «كان رسول الله ﷺ بمكة، فأنزل الله تعالى {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم} ثم خرج إلى المدينة فأنزل الله {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} وكان من بقي من المسلمين بمكة يستغفرون، فلما خرجوا أنزل الله {وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام} الآية، فأذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم الله تعالى. وروى الترمذي من حديث أبي موسى رفعه قال: «أنزل

---

(١) كتاب التفسير "الفاتحة باب / ١ ح ٤٤٧٤ - ٣ / ٤٤٧.

الله على أمتي أمانين» فذكر هذه الآية، قال: «فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار، وهو يقوي القول الأول والحمل عليه أولى، وأن العذاب حل بهم لما تركوا الندم على ما وقع منهم وبالغوا في معاندة المسلمين ومحاربتهم وصدهم عن المسجد الحرام، والله أعلم.

٤ ـ باب {وما كان الله ليُعذّبَهم وأنتَ فيهم، وما كان اللهُ معذّبهم وهم يستغفِرون}

٤٦٤٩ ـ عن أنس بن مالكٍ «قال أبو جَهل {اللهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطِرْ علينا حجارةً منَ السماءِ أو ائتِنا بعذابٍ أليم} فنزلَت {وما كان اللهُ ليُعذّبَهم وأنتَ فيهم، وما كان اللهُ معذّبهم وهم يستغفِرون. وما لهم أن لا يُعذّبَهم الله وهم يَصدُّونَ عن المسجدِ الحرام} الآية».

٥ ـ باب {وقاتِلوهم حتى لا تَكونَ فتنةٌ ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ}

٤٦٥٠ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما أن رجلاً جاءه فقال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمعُ ما ذكر الله في كتابه {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا} إلى آخر الآية، فما يَمنعك أن لا تُقاتلَ كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي أُعيَّر بهذه الآية ولا أُقاتل أحبُّ إليَّ من أن أُعيَّرَ بهذه الآية التي يقول الله تعالى {ومن يقتل مؤمناً متعمداً} إلى آخرها. قال: فإنَّ الله يقول: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة} قال ابنُ عمر: قد فعلنا على عهدِ رسول الله ﷺ إذ كان الإسلامُ قليلا، فكان الرجلُ يُفتَنُ في دِينه: إما يَقتلوه، وإما يوثقوه، حتى كثرَ الإسلامُ فلم تكن فتنة، فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد قال: فما قولك في عليٍّ وعثمان؟ قال ابنُ عمر: ما قولي في عليٍّ وعثمان؟ أما عثمان فكان اللهُ قد عفا عنه، فكرِهتم أن يَعفوَ عنه، وأما عليٌّ فابن عم رسولِ الله ﷺ وخَتَنه -وأشار بيده- وهذه ابنتهُ أو بنته حيث ترون».

٤٦٥١ ـ عن سعيد بن جبير قال: «خرج علينا -أو إلينا- ابنُ عمرَ، فقال رجلٌ: كيف ترَى في قتالِ الفتنة؟ فقال: وهل تدرِي ما الفتنة؟ كان محمدٌ ﷺ يُقاتلُ المشركين، وكان الدخولُ عليهم فتنةً، وليس كقِتالكم على الملك».

قوله (أعير) والحاصل أن السائل كان يرى قتال من خالف الإمام الذي يعتقد طاعته وكان ابن عمر يرى ترك القتال فيما يتعلق بالملك، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الفتن.

وأما قوله «فما قولك في علي وعثمان» فيؤيد أن السائل كان من الخوارج، فإنهم كانوا يتولون الشيخين ويحطون عثمان وعليا، فرد عليه ابن عمر بذكر مناقبهما ومنزلتهما من النبي ﷺ والاعتذار عما عابوا به عثمان من الفرار يوم أحد فإنه تعالى صرح في القرآن

بإنه عفا عنهم، وقد تقدم في مناقب عثمان سؤال السائل لابن عمر عن عثمان وأنه فر يوم أحد وغاب عن بدر وعن بيعة الرضوان، وبيان ابن عمر له عذر عثمان في ذلك، فيحتمل أن يكون هو السائل هنا، ويحتمل أن يكون غيره وهو الأرجح لأنه لم يتعرض هناك لذكر علي وكأنه كان رافضياً، وأما عدم ذكره للقتال فلا يقتضي التعدد لأن الطريق التي بعدها قد ذكر فيها القتال ولم يذكر قصة عثمان والأولى الحمل على التعدد لاختلاف الناقلين في تسمية السائلين وإن اتحد المسئول والله أعلم.

قوله (هذه ابنته أو بنته)، في رواية النسائي «ولكن انظر إلى منزلته من نبي الله ﷺ ليس في المسجد غير بيته» وهذا يدل على أنه تصحف على بعض الرواة بيته ببنته فقرأها بنته. والمعتمد أنه البيت فقط لما ذكرنا من الروايات المصرحة بذلك. وتقدم أيضاً في مناقب أبي بكر أشياء تتعلق ببيت علي واختصاصه بكونه بين بيوت أزواج النبي ﷺ.

٦ - باب {يا أيها النبيُّ حَرِّضِ المؤمنين على القتال، إن يَكُن منكم عشرونَ صابرون يَغلِبوا مائتين، وإن يكن منكم مائةٌ يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قومٌ لا يَفقَهون}

٤٦٥٢ - عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما «لما نزلَت {إن يكن منكم عشرون صابرون يَغلِبوا مائتين} فكُتبَ عليهم أن لا يَفرَّ واحدٌ من عشرة، فقال سفيانُ غيرَ مرَّة: أن لا يَفرَّ عشرون من مائتين، ثم نزلَت {الآن خففَ اللهُ عنكم} الآية، فكُتبَ أن لا يفرَّ مائةٌ من مائتين، وزاد سفيانُ مرَّةً: نزلَت {حَرِّضِ المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون} قال سفيان وقال ابنُ شُبرُمة: وأرَى الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكرِ مثل هذا.

[الحديث ٤٦٥٢ - طرفه في: ٤٦٥٣]

قوله (فكتب عليهم أن لا يفر) أي فرض عليهم، والسياق وإن كان بلفظ الخبر لكن المراد منه الأمر لأمرين أحدهما أنه لو كان خبراً محضاً للزم وقوع خلاف المخبر به وهو محال فدل على أنه أمر، والثاني لقرينة التخفيف فإنه لا يقع إلا بعد تكليف، والمراد بالتخفيف هنا التكليف بالأخف لا رفع الحكم أصلاً.

قوله (أن لا يفر واحد من عشرة، فقال سفيان غير مرة أن لا يفر عشرون من مائتين) أي أن سفيان كان يرويه بالمعنى، فتارة يقول باللفظ الذي وقع في القرآن محافظة على التلاوة وهو الأكثر، وتارة يرويه بالمعنى وهو أن لا يفر واحد من العشرة، ويحتمل أن يكون سمعه باللفظين ويكون التأويل من غيره، ويؤيده الطريق التي بعد هذه فإن ذلك ظاهر في أنه من تصرف ابن عباس.

قوله (وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا) أي أنه عنده في حكم الجهاد، لجامع ما بينهما من إعلاء كلمة الحق وإخماد كلمة الباطل.

٧ ـ باب {الآن خفَّفَ الله عنكم وعلمَ أن فيكم ضَعفا}

الآية إلى قوله {واللهُ معَ الصابرين}.

٤٦٥٣ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «لما نزلَت {إن يكن منكم عشرون صابرون يَغلِبوا مائتين} شقَّ ذلك على المسلمين حين فرضَ عليهم أن لا يَفِرَّ واحدٌ من عشرة، فجاء التخفيف فقال: {الآنَ خَفَّف اللهُ عنكم وعَلِم أنَّ فيكم ضعفا، فإن يكن منكم مائةٌ صابرة يَغلِبوا مائتين} قال فلما خَفَّف اللهُ عنهم من العِدَّة نَقَص من الصبر بقدرِ ما خُفِّف عنهم».

قوله (شق ذلك على المسلمين) واستدل بهذا الحديث على وجوب ثبات الواحد المسلم إذا قاوم رجلين من الكفار وتحريم الفرار عليه منهما، سواء طلباه أو طلبهما، سواء وقع ذلك وهو واقف في الصف مع العسكر أو لم يكن هناك عسكر، وهذا هو ظاهر تفسير ابن عباس ورجحه ابن الصباغ من الشافعية وهو المعتمد لوجود نص الشافعي عليه في الرسالة الجديدة رواية الربيع ولفظه ومن نسخة عليها خط الربيع نقلت قال بعد أن ذكر للآية آيات في كتابه أنه وضع عنهم أن يقوم الواحد بقتال العشرة وأثبت عليهم أن يقوم الواحد بقتال الإثنين، ثم ذكر حديث ابن عباس المذكور في الباب وساق الكلام عليه، لكن المنفرد لو طلباه وهو على غير أهبة جاز له التولي عنهما جزما وإن طلبهما فهل يحرم؟ وجهان أصحهما عند المتأخرين لا، لكن ظاهر هذه الآثار المتضافرة عن ابن عباس يأباه وهو ترجمان القرآن وأعرف الناس بالمراد، لكن يحتمل أن يكون ما أطلقه إنما هو في صورة ما إذا قاوم الواحد المسلم من جملة الصف في عسكر المسلمين اثنين من الكفار، أما المنفرد وحده بغير العسكر فلا، لأن الجهاد إنما عهد بالجماعة دون الشخص المنفرد، وهذا فيه نظر، فقد أرسل النبي ﷺ بعض أصحابه سرية وحده، وقد استوعب الطبري وابن مردويه طرق هذا الحديث عن ابن عباس وفي غالبها التصريح بمنع تولي الواحد عن الإثنين، واستدل ابن عباس في بعضها بقوله تعالى {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله} وبقوله تعالى {فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك}

(٩) سورةَ بَراءة

مَرْصَد: طريق. إلا: الإل القرابة والذمة والعهد

وَلِيجة كل شيء أدخلتَه في شيء. الشُّقَّةُ: السفر. الخبال: الفساد، والخَبال: الموت. ولا تَفتنِّي لا تُوَبخني كرها وكُرها واحد. مُدخلاً يُدخَلون فيه. يَجمَحون: يُسرعون. والمُؤتفِكات

ائتفكت انقَلَبت بها الأرض، أهوَى: ألقاهُ في هُوَّة. عَدْن خُلد: عَدَنْتُ بأرضٍ أي أقمتُ، ومنه مَعدِن ويقال في معدِنِ صِدق في منَبِت صدق. الخوالِف الخالف الذي خَلَفني فقعَد بعدي، ومنه يَخلُفُه في الغابرين ويجوز أن يكون النساء من الخالفة وإن كان جمع الذُكُورِ فإنه لم يوجد على تقدير جمعه إلا حرفان: فارس وفوارس، وهالك وهوالك. الخيرات واحدِها خَيرة وهي الفواضل. مُرْجَون: مُؤخَّرون. الشفا الشفير وهو حده. والجرف ما تَجرَّف من السيول والأودية. هارٍ هائر. لأوَّاهٌ شَفَقًا وفَرَقا. وقال:

إذا ما قمتُ أرحلها بليلٍ تأوَّهُ آهةَ الرجُل الحزيـنِ

قوله (سورة براءة) هي سورة التوبة وهي أشهر أسمائها، ولها أسماء أخرى تزيد على العشرة، واختلف في ترك البسملة أولها فقيل لأنها نزلت بالسيف، والبسملة أمان، وقيل لأنهم لما جمعوا القرآن شكّوا هل هي والأنفال واحدة أو ثنتان ففصلوا بينهم بسطر لا كتابة فيه ولم يكتبوا فيه البسملة. روى ذلك ابن عباس عن عثمان وهو المعتمد، وأخرجه أحمد والحاكم وبعض أصحاب السنن.

قوله (والمؤتفكات ائتفكت انقلبت بها الأرض) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {والمؤتفكات أتتهم رسلهم} هم قوم لوط ائتفكت بهم الأرض أي انقلبت بهم.

قوله (ويجوز أن يكون النساء من الخالفة، وإن كان جمع الذكور فإنه لم يوجد على تقدير جمعه إلا حرفان فارس وفوارس وهالك وهوالك) قال ابن قتيبة: الخوالف النساء ويقال خساس النساء ورذالتهم، ويقال فلان خالفة أهله إذا كان دينا فيهم، والمراد بالخوالف في الآية النساء والرجال العاجزون والصبيان فجمع جمع المؤنث تغليباً لكونهن أكثر في ذلك من غيرهن.

١ - باب {براءةٌ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتُم منَ المشركين}

أذان: إعلام. وقال ابنُ عباس: أُذنٌ يُصدِّق. تُطهرهُم وتُزكيهم بها ونحوها كثير. والزكاة الطاعة والإخلاص. لا يُؤْتون الزكاة لا يَشهَدون أن لا إلهَ إلا الله. يضاهون يشبهون.

٤٦٥٤ - عن البراء رضيَ الله عنه قال: «آخرُ ايةٍ نزلت {يَستَفتونكَ قلِ اللهُ يُفتيكم في الكلالة}، وآخر سورة نَزَلَت براءة».

قوله (تطهرهم وتزكيهم بها ونحوها كثير) وفي بعض النسخ «ومثل هذا كثير» أي في القرآن، ويقال التزكية (والزكاة الطاعة والإخلاص) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن

أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {تطهرهم وتزكيهم بها} قال: الزكاة طاعة الله والإخلاص.

قوله (لا يؤتون الزكاة لا يشهدون أن لا إله إلا الله) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى {وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة} قال: هم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله. وهذه الآية من تفسير فصلت ذكرها هنا استطراداً. وفي تفسير ابن عباس الزكاة بالطاعة والتوحيد دفع لاحتجاج من احتج بالآية على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة.

ثم ذكر حديث البراء في آخر آية نزلت وآخر سورة نزلت، فأما الآية فتقدم حديث ابن عباس في سورة البقرة وأن آخر آية نزلت آية الربا، ويجمع بأنهما لم ينقلاه وإنما ذكراه عن استقراء بحسب ما اطلعا عليه، وأولى من ذلك أن كلا منهما أراد آخرية مخصوصة، وأما السورة فالمراد بعضها أو معظمها وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، وأوضح من ذلك أن أول براءة نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر وقد نزل {اليوم أكملت لكم دينكم} وهي في المائدة في حجة الوداع سنة عشر، فالظاهر أن المراد معظمها، ولا شك أن غالبها نزل في غزوة تبوك وهي آخر غزوات النبي ﷺ، وسيأتي في تفسير {إذا جاء نصر الله} أنها آخر سورة نزلت وأذكر الجمع هناك إن شاء الله تعالى. وقد قيل في آخرية نزول براءة أن المراد بعضها، فقيل قوله {فإن تابوا وأقاموا الصلاة} الآية وقيل {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} وأصح الأقوال في آخرية الآية قوله تعالى {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله} كما تقدم في البقرة، ونقل ابن عبد السلام «آخر آية نزلت آية الكلالة، فعاش بعدها خمسين يوماً ثم نزلت آية البقرة» والله أعلم.

٢ ـ باب {فسِيحوا في الأرض أربعةَ أشهرٍ واعلموا أنكم غيرُ معجِزي الله، وأنَّ الله مُخزِي الكافرين}

فسيحوا: سِيروا

٤٦٥٥ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «بَعثني أبو بكرٍ في تلكَ الحَجَّة في مؤذنينَ بَعثَهم يومَ النحر يؤذنون بمنى أن لا يَحجَّ بعدَ العام مُشرِكٌ، ولا يَطوفَ بالبيت عُريان. قال حُميدُ بن عبد الرحمن: ثمَّ أردفَ رسولُ الله ﷺ بعليٍّ بن أبي طالبٍ وأمرهُ أن يُؤذِّنَ ببراءة. قال أبو هريرة: فأذنَ معنا عليٌّ يومَ النَّحر في أهلِ منى ببَراءة، وأن لا يَحجَّ بعدَ العام مشرك، ولا يَطوفَ بالبيتِ عُريان».

٣ - باب {وأذانٌ من الله ورسوله إلى الناس يومَ الحج الأكبر أنَّ الله بريء من المشركينَ ورَسُولُهُ فإن تُبتم فهو خيرٌ لكم، وإن توليتم فاعلموا أنكم غيرُ مُعجِزِي الله، وبَشِّر الذين كفروا بعذاب أليم}

آذَنَهم أعلَمَهُمْ.

٤٦٥٦ - عن أبي هريرةَ قال: «بَعثَني أبو بكر رضيَ الله عنه في تلك الحَجَّة في المؤذنين بَعثَهم يومَ النَّحرِ يُؤذنونَ بمِنى أن لا يَحُجَّ بعدَ العام مُشرِك، ولا يَطوفَ بالبيتِ عُريان. قال حُميدٌ: ثمَّ أردفَ النبيُّ ﷺ بعليٍّ بن أبي طالبٍ فأمرَه أن يُؤذِّنَ ببَراءة. قال أبو هريرةَ فأذَّن معنا عليٌّ في أهلِ مِنى يومَ النحرِ ببَراءة، وأن لا يَحجَّ بعدَ العامِ مشركٌ ولا يَطوفَ بالبيت عريان».

قوله (يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك) والمراد بالتأذين الإعلام، وهو اقتباس من قوله تعالى {وآذان من الله ورسوله} أي إعلام. وقد وقفت ممن سمي ممن كان مع أبي بكر في تلك الحجة على أسماء جماعة، منهم سعد بن أبي وقاص فيما أخرجه الطبري من طريق الحكم عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: «بعث رسول الله ﷺ أبا بكر، فلما انتهينا إلى ضجنان أتبعه عليا» ومنهم جابر روى الطبري من طريق عبد الله بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر «أن النبيَّ ﷺ بعث أبا بكرٍ على الحج فأقبلنا معه».

قوله (بعد العام) أي بعد الزمان الذي وقع فيه الإعلام بذلك.

وروى سعيد بن منصور والترمذي والنسائي والطبري من طريق أبي إسحق عن زيد بن يثيع قال «سألت علياً بأي شيء بعثت؟ قال: بأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع مسلم مع مشرك في الحج بعد عامهم هذا، ومن كان له عهد فعهده إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فاربعة أشهر» واستدل بهذا الكلام الأخير على أن قوله تعالى {فسيحوا في الأرض أربعة أشهر} يختص بمن لم يكن له عهد مؤقت أو لم يكن له عهد أصلا، وأما من له عهد مؤقت فهو إلى مدته، فروى الطبري من طريق ابن إسحق قال: هم صنفان، صنف كان له عهد دون أربعة أشهر فأمهل إلى تمام أربعة أشهر، وصنف كانت له مدة عهده بغير أجل فقصرت على أربعة أشهر.

قوله (وأن لا يحج بعد العام مشرك) هو منتزع من قوله تعالى {فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا} والآية صريحة في منعهم دخول المسجد الحرام ولو لم يقصدوا الحج، ولكن لما كان الحج هو المقصود الأعظم صرح لهم بالمنع منه فيكون ما وراءه أولى بالمنع، والمراد بالمسجد الحرام هنا الحرم كله.

٤ - باب {إلا الذين عاهَدتم منَ المشركين}

٤٦٥٧ - عن أبي هريرةَ أن أبا بكرٍ رضي الله عنه بَعثه في الحجةِ التي أمَّرَه رسولُ الله ﷺ عليها قبلَ حَجةِ الوَداع في رهطٍ يُؤذِّنُ في الناس أن لا يَحُجَّنَّ بعدَ العام مُشرِك ولا

يَطوفَ بالبيتِ عُريان، فكان حُميدٌ يقول: يومُ النَّحرِ يومُ الحجِّ الأكبر، من أجلِ حديثِ أبي هريرة».

قال العلماء: إن الحكمة في إرسال علي بعد أبي بكر أن عادة العرب جرت بأن لا ينقض العهد إلا من عقده أو من هو منه بسبيل من أهل بيته، فأجراهم في ذلك على عادتهم، ولهذا قال: «لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل من أهل بيتي» وروى أحمد والنسائي من طريق محرر بن أبي هريرة عن أبيه قال: «كنت مع علي حين بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ببراءة، فكنا ننادي أن لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله أربعة أشهر، فإذا مضت فإن الله بريء من المشركين ورسوله، ولا يحج بعد العام مشرك، فكنت أنادي حتى صحل صوتي» وقوله وإنما قيل الأكبر الخ في حديث ابن عمر عند أبي داود وأصله في هذا الصحيح رفعه «أي يوم هذا؟ قالوا: هذا يوم النحر، قال: هذا يوم الحج الأكبر» واختلف في المراد بالحج الأصغر فالجمهور على أنه العمرة، وصل ذلك عبد الرزاق من طريق عبد الله بن شداد أحد كبار التابعين، ووصله الطبري عن جماعة منهم عطاء والشعبي، وعن مجاهد: الحج الأكبر القِران والأصغر الإفراد، وقيل يوم الحج الأصغر يوم عرفة ويوم الحج الأكبر يوم النحر لأن فيه تتكمل بقية المناسك، وعن الثوري: أيام الحج تسمى يوم الحج الأكبر كما يقول يوم الفتح.

وفي رواية الترمذي من حديث علي مرفوعاً وموقوفا «يوم الحج الأكبر يوم النحر» ورجح الموقوف.

(تنبيه): اتفقت الروايات على أن حجة أبي بكر كانت سنة تسع، ووقع في حديث لعبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة في قوله {براءة من الله ورسوله} قال: «لما كان زمن خيبر اعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة، ثم أمر أبا بكر الصديق على تلك الحجة، قال الزهري: وكان أبو هريرة يحدث أن أبا بكر أمره أن يؤذن ببراءة، ثم أتبع النبي ﷺ علياً، الحديث، قال الشيخ عماد الدين بن كثير: هذا فيه غرابة من جهة أن الأمير في سنة عمرة الجعرانة كان عتاب بن أسيد، وأما حجة أبي بكر فكانت سنة تسع، قلت: يمكن رفع الإشكال بأن المراد بقوله «ثم أمر أبا بكر» يعني بعد أن رجع إلى المدينة وطوى ذكر من ولي الحج سنة ثمان، فإن النبي ﷺ لما رجع من العمرة إلى الجعرانة فأصبح بها توجه هو ومن معه إلى المدينة، إلى أن جاء أوان الحج فأمر أبا بكر وذلك سنة تسع، وليس المراد أنه أمر أبا بكر أن يحج في السنة التي كانت فيها عمرة الجعرانة، وقوله «على تلك الحجة» يريد الآتية بعد رجوعهم إلى المدينة.

٥ ـ باب {فقاتِلوا أئمةَ الكفرِ إنهم لا أَيمانَ لهمَ}

٤٦٥٨ ـ عن زيد بن وَهبٍ قال: «كنا عندَ حُذيفةَ فقال: ما بقيَ من أصحابِ هذهِ الآيةِ إلاّ ثلاثةٌ، ولا منَ المنافقينَ إلاّ أربعة -فقال أعرابيّ: إنكم أصحابَ محمد تُخبِروننا فلا ندري، فما بال هؤلاء الذين يَبقُرون بيوتنا ويَسرِقون أعلاقَنا؟- قال: أولئك الفُسّاق أجلْ، لم يبقَ منهم إلا أربعة، أحدُهم شيخٌ كَبير لو شَرِبَ الماءَ البارد لما وَجدَ بَردَه».

٦ ـ باب {والذين يَكنِزون الذهبَ والفضةَ ولا يُنفِقونها في سبيلِ الله فبَشِّرْهم بعذاب أليم}

٤٦٥٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «يكون كنزُ أحدِكم يومَ القيامةِ شُجاعاً أقرع».

٤٦٦٠ ـ عن زيد بن وَهبٍ قال: «مَرَرتُ على أبي ذَرٍّ بالرَّبَذةِ فقلت: ما أنزَلَكَ بهذهِ الأرض؟ قال: كنّا بالشام، فقرأت {والذين يَكنِزون الذَّهبَ والفِضة ولا يُنفِقونها في سبيلِ الله فبشِّرْهم بعذابٍ أليم} قال معاوية: ما هذه فينا، ما هذهِ إلاّ في أهل الكتاب، قال: قلتُ: إنها لَفينا وفيهم».

قوله (باب[١]قوله تعالى فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم) قرأ الجمهور بفتح الهمزة من أيمان، أي لا عهود لهم وعن الحسن البصري بكسر الهمزة وهي قراءة شاذة، وقد روى الطبري من طريق عمار بن ياسر وغيره في قوله {إنهم لا أيمان لهم} أي لا عهد لهم، وهذا يؤيد قراءة الجمهور.

وروى الطبري من طريق الضحاك قال: أئمة الكفر رءوس المشركين من أهل مكة.

قوله (إلا ثلاثة) سمى منهم في رواية أبي بشر عن مجاهد أبو سفيان بن حرب، وفي رواية معمر عن قتادة أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان وسهيل بن عمرو، وتعقب بأن أبا جهل وعتبة قتلا ببدر وإنما ينطبق التفسير على من نزلت الآية المذكورة وهو حي، فيصح في أبي سفيان وسهيل بن عمرو وقد أسلما جميعا.

قوله (ولا من المنافقين إلا أربعة) لم أقف على تسميتهم.

قوله (يبقرون) أي ينقبون.

قوله (أعلاقنا) أي نفائس أموالنا.

قوله (أولئك الفساق) أي الذين يبقرون ويسرقون، لا الكفار ولا المنافقون.

---

(١) في المتن واليونينية بدون "قوله تعالى" وبدون التبويب في اليونينية.

قوله (أحدهم شيخ كبير) لم أقف على تسميته.

قوله (لو شرب الماء البارد لما وجد برده) أي لذهاب شهوته وفساد معدته، فلا يفرق بين الألوان ولا الطعوم.

٧ ـ باب {يوم يحمى عليها في نارِ جهنمَ فتُكوى بها جِباهُهم وجُنوبُهم وظُهورُهم هذا ما كنزتم لأنفُسِكم فذُوقوا ما كنتم تَكنزون}

٤٦٦١ ـ عن خالدِ بن أسلم قال: «خَرَجنا مع عبدِ الله بن عمرَ فقال: هذا قبلَ أن تُنزَلَ الزكاةُ، فلما أنزلت جَعلَها اللهُ طُهراً للأموال».

قوله (يكون[١]كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع) كذا أورده مختصرا، وهو عند أبي نعيم في «المستخرج» من وجه آخر عن أبي اليمان وزاد «يفر منه صاحبه ويطلبه، أنا كنزك، فلا يزال به حتى يلقمه إصبعه.

وقد تقدم من وجه آخر عن أبي هريرة في كتاب الزكاة[٢]مع شرح الحديث.

٨ ـ باب {إنَّ عدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتابِ الله يوم خلق السماواتِ والأرضَ منها أربعةٌ حُرُم، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم}

القيِّم هو القائم.

٤٦٦٢ ـ عن أبي بكرة عنِ النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الزمان قد استدارَ كهيئتهِ يومَ خلقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ، السنة اثنا عشرَ شهراً منها أربعةٌ حُرُم: ثلاثةٌ مُتَواليات ذو القَعدةِ وذو الحجةِ والمحرَّم ورجبُ مُضَر الذي بينَ جُمادَى وشعبان».

قوله (باب قوله[٣]{إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض} أي إن الله سبحانه وتعالى لما ابتدأ خلق السموات والأرض جعل السنة اثني عشر شهرا.

قوله (ذلك الدين القيم) قال أبو عبيدة في قوله {ذلك الدين القيم} مجازه القائم أي المستقيم، فخرج مخرج سيد، من ساد يسود كقام يقوم.

قوله ({فلا تظلموا فيهن أنفسكم} أي في الأربعة باستحلال القتال، وقيل بارتكاب المعاصي.

قوله (إن الزمان قد استدار كهيئته) تقدم الكلام عليه في أوائل بدء الخلق[٤]،وأن المراد بالزمان السنة.

---

(١) هذا الحديث في الباب الذي قبله وأخر شرحه إلى هذا الباب.

(٢) كتاب الزكاة باب / ٣ ح ١٤٠٣ - ١ / ٧٠٩

(٣) في المتن "باب إن عدةَ الشهور ..." وفي اليونينية بدون ذكر الباب وبدون "قوله".

(٤) كتاب بدء الخلق باب / ٢ ح ٣١٩٧ - ٢ / ٧٢٠

قوله (السنة اثنا عشر شهرا) أي السنة العربية الهلالية، وذكر الطبري في سبب ذلك من طريق حصين بن عبد الرحمن عن أبي مالك: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا ومن وجه آخر كانوا يجعلون السنة اثني عشر شهرا وخمسة وعشرين يوما، فتدور الأيام والشهور كذلك.

قوله (ثلاث متواليات) هو تفسير الأربعة الحرم وفيه إشارة إلى إبطال ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من تأخير بعض الأشهر الحرم، فقيل: كانوا يجعلون المحرم صفرا ويجعلون صفراً المحرم لئلا يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يتعاطون فيها القتال، فلذلك قال: «متواليات» وكانوا في الجاهلية على أنحاء: منهم من يسمي المحرم صفرا فيحل فيه القتال» ويحرم القتال في صفر ويسميه المحرم، ومنهم من كان يجعل ذلك سنة هكذا وسنة هكذا، ومنهم من يجعله سنتين هكذا وسنتين هكذا، ومنهم من يؤخر صفرا إلى ربيع الأول وربيعاً إلى ما يليه وهكذا إلى أن يصير شوال ذا القعدة وذو القعدة ذا الحجة، ثم يعود فيعيد العدد على الأصل.

فمعنى الحديث أن الأشهر رجعت إلى ما كانت عليه وبطل النسيء.

٩ ـ باب {ثانيَ اثنينِ إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا}

معَنا: ناصِرُنا. السكينةُ: فَعيلةٌ من السكون

٤٦٦٣ ـ عن أبي بكر رضيَ الله عنه قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ في الغار، فرأيتُ آثارَ المشركين، قلتُ: يا رسولَ الله، لو أنَّ أحدَهم رفعَ قدَمَهُ رآنا، قال: ما ظَنُّكَ باثنينِ اللهُ ثالثهما».

٤٦٦٤ ـ عن ابن عباس رضيَ الله عنهما أنه قال: -حين وقعَ بَينهُ وبينَ ابن الزُّبير- قلت: «أبوهُ الزُّبير وأمُّه أسماءُ وخالته عائشَة وجدُّهُ أبو بكر وجدَّتهُ صَفية. فقلت لسفيان: إسنادُهُ؟ فقال: حدَّثنا. فشغَلَه إنسانٌ ولم يَقل «ابن جُريج».

[الحديث ٤٦٦٤ - طرفاه في: ٤٦٦٥، ٤٦٦٦]

٤٦٦٥ ـ عن ابنِ أبي مُلَيكَةَ «وكان بينهما شيءٌ، فغدَوتُ على ابن عبَّاسٍ فقلتُ: أتريدُ أن تُقاتلَ ابنَ الزُّبير فتُحلُّ ما حَرَّمَ الله؟ فقال: مَعاذَ الله. إنَّ الله كتبَ ابنَ الزُّبير وبني أمية محلِّين، وإني واللهِ لا أُحلُّه أبدا. قال: قال الناسُ بايعْ لابنِ الزُّبير، فقلت: وأينَ بهذا الأمرِ عنه، أما أبوه فحواريُّ النبيِّ ﷺ -يريد الزُّبيرَ- وأما جَدُّهُ فصاحِبُ الغار -يريدُ أبا بكر- وأما أمهُ فذاتُ النطاق، يُريدُ أسماء. وأما خالته فأمُّ المؤمنين يريد

عائشة. وأما عمتهُ فزوج النبيِّ ﷺ، يريدُ خديجة. وأما عمة النبيِّ ﷺ فجدَّته، يريد صَفية، ثم عفيف في الإسلام، قارئٌ للقرآن والله إن وَصَلوني وصلوني من قريب، وإن ربّوني ربّوني أكفاءٌ كرام. فآثرَ عليَّ التويتات والأسامات والحميدات يُريدُ أبطنًا من بني أسَد: بني تُوَيت وبني أسامة ومن أسد. أنَّ ابنَ أبي العاص برز يمشي القُدَمية، يعني عبدَ الملك ابن مروان. وإنه لوَّى ذَنَبَه، يعني ابنَ الزُّبير».

٤٦٦٦ - عن ابنِ أبي مُلَيكة «دَخلنا على ابن عبّاس فقال: ألا تَعجبونَ لابنِ الزبير قام في أمرِهِ هذا فقلتُ: لأحاسبنَّ نفسي له، ما حاسبتها لأبي بكر ولا لعمر، ولَهما كانا أولى بكلِّ خيرٍ منه، وقلتُ: ابنُ عمةِ النبيِّ ﷺ وابن الزُّبير وابن أبي بكر وابن أخي خديجة وابن أختِ عائشة، فإذا هو يَتعلى عني ولا يُريد ذلك، فقلتُ ما كنتُ أظنُّ أني أعرِضُ هذا من نفسي فيدعُه، وما أُراهُ يريدُ خيراً، وإن كان لا بدَّ لأن يَربَّني بنو عمي أحبُّ إليَّ من أن يَربَّني غيرُهم».

قوله (حين وقع بينه وبين ابن الزبير) أي بسبب البيعة، وذلك أن ابن الزبير حين مات معاوية امتنع من البيعة ليزيد بن معاوية وأصر على ذلك حتى أغرى يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة بالمدينة فكانت وقعة الحرة، ثم توجه الجيش إلى مكة فمات أميرهم مسلم بن عقبة وقام بأمر الجيش الشامي حصين بن نمير فحصر ابن الزبير بمكة، ورموا الكعبة بالمنجنيق حتى احترقت. ففجأهم الخبر بموت يزيد بن معاوية فرجعوا إلى الشام، وقام ابن الزبير في بناء الكعبة، ثم دعا إلى نفسه فبويع بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز ومصر والعراق وخراسان وكثير من أهل الشام، ثم غلب مروان على الشام وقتل الضحاك بن قيس الأمير من قبل ابن الزبير بمرج راهط، ومضى مروان إلى مصر وغلب عليها، وذلك كله في سنه أربعة وستين، وكمل بناء الكعبة في سنة خمس، ثم مات مروان في سنة خمس وستين وقام عبد الملك ابنه مقامه، وغلب المختار بن أبي عبيد على الكوفة ففر منه من كان من قبل ابن الزبير، وكان محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية وعبد الله بن عباس مقيمين بمكة منذ قتل الحسين، فدعاهما ابن الزبير وحصرهم، فبلغ المختار فجهز إليهم جيشاً فأخرجوهما واستأذنوهما في قتال ابن الزبير فامتنعا، وخرجا إلى الطائف فأقاما بها حتى مات ابن عباس سنة ثمان وستين، ورحل ابن الحنفية بعده إلى جهة رضوى جبل بينبع فأقام هناك، ثم أراد دخول الشام فتوجه إلى نحو أيلة فمات في آخر سنة ثلاث أو أول سنة أربع وسبعين، وذلك عقب قتل ابن الزبير على الصحيح، وقيل عاش إلى سنة ثمانين أو بعد ذلك.

قوله (قال ابن أبي مليكة وكان بينهما شيء) مراده ابن عباس وابن الزبير.

قوله (فتحل ما حرم الله) أي من القتال في الحرم.

قوله (كتب) أي قدر.

قوله (محلين) أي أنهم كانوا يبيحون القتال في الحرم، وإنما نسب ابن الزبير إلى ذلك وإن كان بنو أمية هم الذين ابتدؤه بالقتال وحصروه وإنما بدأ منه أولاً دفعهم عن نفسه لأنه بعد ردهم الله عنه حصر بني هاشم ليبايعوه، فشرع فيما يؤذن بإباحته القتال في الحرم، وكان بعض الناس يسمي ابن الزبير «المحل» لذلك.

وقوله لا أحله أبدا أي لا أبيح القتال فيه، وهذا مذهب ابن عباس أنه لا يقاتل في الحرم ولو قوتل فيه.

قوله (قال قال الناس) القائل هو ابن عباس وناقل ذلك عنه ابن أبي مليكة فهو متصل، والمراد بالناس من كان من جهة ابن الزبير وقوله «بايع» بصيغة الأمر وقوله «وأين بهذا الأمر» أي الخلافة أي ليست بعيدة عنه لما له من الشرف بأسلافه الذين ذكرهم ثم صفته التي أشار إليها بقوله عفيف في الإسلام قارىء للقرآن.

قوله (والله إن وصلوني وصلوني من قريب) أي بسبب القرابة.

قوله (وإن ربُّوني) من التربية.

قوله (أكفاء) أي أمثال واحدها كفء، وقوله «كرام» أي في أحسابهم، وظاهر هذا أن مراد ابن عباس بالمذكورين بنو أسد رهط ابن الزبير وكلام أبي مخنف الأخباري يدل على أنه أراد بني أمية، فإنه ذكر من طريق أخرى أن ابن عباس لما حضرته الوفاة بالطائف جمع بنيه فقال: «يا بني إن ابن الزبير لما خرج بمكة شددت أزره ودعوت الناس إلى بيعته وتركت بني عمنا من بني أمية الذين إن قبلونا قبلونا أكفاء، وإن ربونا ربونا كراما. فلما أصاب ما أصاب جفاني».

وأصرح من ذلك ما في خبر أبي مخنف فإن في آخره «أن ابن عباس قال لبنيه: فإذا دفنتموني فالحقوا ببني عمكم بني أمية».

قوله (التويتات والأسامات والحميدات يريد أبطنا من بني أسد) أما التويتان فنسبة إلى بني تويت بن أسد ويقال تويت بن الحارث ابن عبد العزى بن قصي، وأما الأسامات فنسبة إلى بني أسامة بن أسد بن عبد العزى، وأما الحميدات فنسبة إلى بني حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى.

قوله (أن ابن أبي العاص) يعني عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص.

قوله (برز) أي ظهر.

قوله (يمشي القدمية) قال الخطابي وغيره: معناها التبختر وهو مثل يريد أنه برز يطلب معالي الأمور.

قوله (وأنه لوّى ذنبه) يعني ابن الزبير، لوى بتشديد الواو وبتخفيفها أي ثناه، وكنى بذلك عن تأخره وتخلفه عن معالي الأمور، وقيل كنى به عن الجبن وإيثار الدعة كما تفعل السباع إذا أرادت النوم، والأول أولى.

وقال الداودي: المعنى أنه وقف فلم يتقدم ولم يتأخر، ولا وضع الأشياء مواضعها فأدنى الناصح وأقصى الكاشح، وقال ابن التين معني «لوى ذنبه» لم يتم له ما أراده، وفي رواية أبي مخنف المذكورة «وأن ابن الزبير يمشي القهقرى» وهو المناسب لقوله في عبد الملك، يمشي القدمية، وكان الأمر كما قال ابن عباس؛ فإن عبد الملك لم يزل في تقدم من أمره إلى أن استنقذ العراق من ابن الزبير وقتل أخاه مصعباً، ثم جهز العساكر إلى ابن الزبير بمكة فكان من الأمر ما كان، ولم يزل أمر ابن الزبير في تأخر إلى أن قتل رحمه الله تعالى.

قوله (فإذا هو يتعلى عني) أي يترفع علي متنحيا عني.

قوله (ولا يريد ذلك) أي لا يريد أن أكون من خاصته.

قوله (ما كنت أظن أني أعرض هذا من نفسي) أي أبدؤه بالخضوع له ولا يرضى مني بذلك، وقوله «وما أراه يريد خيرا» أي لا يريد أن يصنع بي خيرا.

١٠ - باب {والمؤلفةِ قلوبُهم وفي الرقاب}

قال مجاهد: يَتألفُهم بالعطية.

٤٦٦٧ - عن أبي سعيدٍ رضيَ اللهُ عنه قال: بُعثَ إلى النبيِّ ﷺ بشيءٍ، فقَسَمَهُ بين أربعةٍ وقال: أتألفهم. فقال رجلٌ: ما عدَلتَ، فقال: يَخرجُ من ضِئْضىءِ هذا قومٌ يمرُقونَ منَ الدين».

قوله (باب قوله[1]{والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب} قال مجاهد: يتألفهم بالعطية) ثم ذكر حديث أبي سعيد «بعث إلى النبي ﷺ بشيء فقسمه بين أربعة وقال أتألفهم، فقال رجل ما عدلت» أورده مختصراً جدا وأبهم الباعث والمبعوث وتسمية الأربعة والرجل القائل، وقد تقدم بيان جميع ذلك في غزوة حنين من المغازي[2].

١١ - باب {الذينَ يَلمزونَ المطوِّعينَ من المؤمنين في الصدقات}

يَلمِزون يعيبون. وجُهدُهم وجَهدُهم طاقتهم

٤٦٦٨ - عن أبي مسعودٍ قال: «لما أُمرْنا بالصدَقةِ كنّا نَتَحاملُ، فجاءَ أبو عَقيلٍ

(١) الترجمة "باب «والمؤلفة ...... الخ»" في اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) كتاب المغازي باب ٥٦ ح ٤٣٣٠ - ٣ / ٣٩٠.

بنصفِ صاعٍ وجاءَ إنسانٌ بأكثرَ منه، فقال المنافقون: إنَّ اللهَ لغَنيٌّ عن صدَقةِ هذا، وما فعلَ هذا الآخرُ إلا رِئاءً، فنزلَت {الذين يَلمِزونَ المطوِّعينَ منَ المؤمنين في الصدَقاتِ والذين لا يجدون إلا جُهدَهم} الآية».

٤٦٦٩ ـ عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ قال: «كان رسولُ اللهِ ﷺ يأمرُ بالصدقةِ، فيحتالُ أحدُنا حتى يَجيء بالمدِّ، وإن لأحدِهم اليومَ مائةَ ألفٍ. كأنهُ يُعرِّضُ بنفسه».

قوله (كنا نتحامل) أي يحمل بعضنا لبعض بالأجرة.

قوله في الحديث الثاني (فيحتال أحدنا حتي يجيء بالمد) يعني فيتصدق به.

قوله (وإن لأحدهم اليوم مائة ألف) لم يذكر مميز المائة ألف فيحتمل أن يريد الدراهم أو الدنانير أو الأمداد.

قال الأعمش: وكان أبو مسعود قد كثر ماله» قال ابن بطال: يريد أنهم كانوا في زمن الرسول يتصدقون بما يجدون، وهؤلاء مكثرون ولا يتصدقون، كذا قال وهو بعيد، وقال الزين بن المنير مراده أنهم كانوا يتصدقون مع قلة الشيء ويتكلفون ذلك، ثم وسع الله عليهم فصاروا يتصدقون من يسر ومع عدم خشية عسر. قلت: ويحتمل أن يكون مراده أن الحرص على الصدقة الآن لسهولة مأخذها بالتوسع الذي وسع عليهم أولى من الحرص عليها مع تكلفهم، أو أراد الإشارة إلى ضيق العيش في زمن الرسول وذلك لقلة ما وقع من الفتوح والغنائم في زمانه، وإلى سعة عيشهم بعده لكثرة الفتوح والغنائم.

١٢ ـ {باب استَغفِرْ لهم أو لا تَستَغفِرْ لهم، إن تستغفِرَ لهم سبعينَ مرَّةً فلن يَغفرَ اللهُ لهم}

٤٦٧٠ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال: «لما تُوُفِّيَ عبدُ الله بن أبيّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسولِ الله ﷺ فسأله أن يُعطيَهُ قميصَهُ يُكفِّنُ فيه أباه، فأعطاهُ. ثمَّ سألهُ أن يُصلِّيَ عليه، فقام رسولُ الله ﷺ ليُصلِّي عليه، فقامَ عمرُ فأخذَ بثوبِ رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أتُصلِّي عليه وقد نهاك ربُّك أن تُصلِّي عليه؟ فقال رسولُ الله ﷺ :إنما خيَّرني الله فقال: استغفر لهم أولا تَستغفِر لهم، إن تستغفِرْ لهم سبعين مرَّةً، وسأزيدُهُ على السبعين. قال: إنهُ مُنافق. قال فصلَّى عليه رسولُ الله ﷺ فأنزلَ الله {ولا تصَلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً، ولا تَقُم على قبرِه}».

٤٦٧١ ـ عن عمرَ بن الخطاب رضيَ الله عنه أنه قال: «لما مات عبدُ الله بن أبيّ ابن سَلول، دُعِيَ له رسولُ الله ﷺ ليصلِّيَ عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وَثَبْتُ إليه فقلت: يا رسولَ الله، أتصلِّي على ابن أبيّ وقد قال يوم كذا كذا وكذا؟ قال: أُعدِّدُ عليه قوله.

فتبسَّم رسولُ الله ﷺ وقال: أخِّرْ عني يا عمر. فلما أكثرتُ عليه قال: إني خُيِّرتُ فاخترت، لو أعلم أني إن زِدتُ على السبعين يغفَرْ لزِدت بها. قال فصلَّى عليه رسولُ الله ﷺ، ثمَّ انصرفَ فلم يَمكث إلاّ يسيراً حتى نزلَتِ الآيتانِ من بَراءة {ولا تُصلِّ على أحدٍ منهم مات أبدا -إلى قولِه- وهم فاسقون} قال: فعجِبتُ بعدُ من جُرأتي على رسولِ الله ﷺ، والله ورسولُهُ أعلم».

قوله (لما توفي عبد الله بن أبي) ذكر الواقدي ثم الحاكم في «الإكليل» أنه مات بعد منصرفهم من تبوك وذلك في ذي القعدة سنة تسع، وكانت مدة مرضه عشرين يوما ابتداؤها من ليال بقيت من شوال، قالوا: وكان قد تخلف هو ومن تبعه عن غزوة تبوك، وفيهم نزلت {لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا}.

قوله (جاء ابنه عبد الله بن عبد الله) وقع في رواية الطبري من طريق الشعبي: لما احتضر عبد الله جاء ابنه عبد الله إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله إن أبي قد احتضر فأحب أن تشهده وتصلي عليه، قال: ما اسمك؟ قال: الحباب -يعني بضم المهملة وموحدتين مخففا- قال: بل أنت عبد الله، الحباب اسم الشيطان، وكان عبد الله بن عبد الله ابن أبي هذا من فضلاء الصحابة وشهد بدرا وما بعدها واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق، ومن مناقبه أنه بلغه بعض مقالات أبيه فجاء إلى النبي ﷺ يستأذن في قتله، قال: بل أحسن صحبته، أخرجه ابن منده من حديث أبي هريرة بإسناد حسن، وفي الطبراني من طريق عروة بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن أبي أنه استأذن نحوه، وهذا منقطع لأن عروة لم يدركه وكأنه كان يحمل أمر أبيه على ظاهر الإسلام فلذلك التمس من النبي ﷺ أن يحضر عنده ويصلي عليه، ولا سيما وقد ورد ما يدل على أنه فعل ذلك بعهد من أبيه، ويؤيد ذلك ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر والطبري من طريق سعيد كلاهما عن قتادة قال: «أرسل عبد الله بن أبي إلى النبي ﷺ، فلما دخل عليه قال: أهلكك حب يهود، فقال: يا رسول الله إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ولم أرسل إليك لتوبخني. ثم سأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه فأجابه، وهذا مرسل مع ثقة رجاله، ويعضده ما أخرجه الطبراني من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: «لما مرض عبد الله بن أبي جاءه النبي ﷺ فكلمه فقال: قد فهمت ما تقول، فامنن علي فكفني في قميصك وصل علي ففعل» وكأن عبد الله بن أبي أراد بذلك دفع العار عن ولده وعشيرته بعد موته فأظهر الرغبة في صلاة النبي ﷺ عليه، ووقعت اجابته إلى سؤاله بحسب ما ظهر من حاله إلى أن كشف الله الغطاء عن ذلك كما سيأتي، وهذا من أحسن الأجوبة فيما يتعلق بهذه القصة.

قوله (فقال: يا رسول الله ﷺ أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه) وقد استشكل جدا حتى أقدم بعضهم فقال: هذا وهم من بعض رواته، وعاكسه غيره فزعم أن عمر اطلع على نهي خاص في ذلك، وقال القرطبي: لعل ذلك وقع في خاطر عمر فيكون من قبيل الإلهام، ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين}، قلت: الثاني يعني ما قاله القرطبي أقرب من الأول، لأنه لم يتقدم النهي عن الصلاة على المنافقين، بدليل أنه قال في آخر هذا الحديث «قال فأنزل الله ولا تصل على أحد منهم» والذي يظهر أن في رواية الباب تجوزا بينته الرواية التي في الباب بعده من وجه آخر عن عبيد الله بن عمر بلفظ «فقال تصلي عليه وقد نهاك الله أن تستغفر لهم».

قوله (قال[١]إنه منافق فصلّى عليه) أما جزم عمر بأنه منافق فجرى على ما كان يطلع عليه من أحواله: وإنما لم يأخذ النبي ﷺ بقوله وﷺ عليه إجراء له على ظاهر حكم الإسلام كما تقدم تقريره، واستصحاباً لظاهر الحكم، ولما فيه من إكرام ولده الذي تحققت صلاحيته، ومصلحة الاستئلاف لقومه ودفع المفسدة، وكان النبي ﷺ في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح، ثم أمر بقتال المشركين فاستمر صفحه وعفوه عمن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك لمصلحة الاستئلاف وعدم التنفير عنه، ولذلك قال: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» فلما حصل الفتح ودخل المشركون في الإسلام وقل أهل الكفر وذلوا أمر بمجاهرة المنافقين وحملهم على حكم مر الحق، ولا سيما وقد كان ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة على المنافقين وغير ذلك مما أمر فيه بمجاهرتهم، وبهذا التقرير يندفع الإشكال عما وقع في هذه القصة بحمد الله تعالى.

قوله (فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أخر عني) أي كلامك.

١٣ ـ باب {ولا تصلِّ على أحدٍ منهم ماتَ أبَداً ولا تَقُم على قبره}

٤٦٧٢ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال: «لما تُوفي عبدُ الله بن أُبيّ جاء ابنهُ عبدُ الله بن عبدِ الله إلى رسولِ الله ﷺ فأعطاهُ قميصَه، وأمرَهُ أن يُكفِّنَه فيه، ثمَّ قامَ يُصلّي عليه، فأخذ عمرُ بن الخطاب بثوبهِ فقال: تُصلّي عليه وهو منافق، وقد نَهاك اللهُ أن تَستغفرَ لهم؟ قال: إنما خَيَّرَني الله -أو أخبرَني الله- فقال: {استغفِر لهم أولا تَستغفِر لهم، إن تستغفِر لهم سبعين مرَّةً فلن يَغفرَ الله لهم} فقال: سأزيدهُ على سبعين، قال: فصلّى عليه رسولُ الله ﷺ وصلّينا معه، ثم أنزلَ اللهُ عليه {ولا تُصلِّ على أحدٍ منهم مات أبدا، ولا تَقُم على قبرِه، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسِقون}».

(١) رواية الباب واليونينية "قال إنه منافق، قال فصلى عليه رسول الله ﷺ.

قوله (باب ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) ظاهر الآية أنها نزلت في جميع المنافقين، لكن ورد ما يدل على أنها نزلت في عدد معين منهم، قال الواقدي «أنبأنا معمر عن الزهري قال: قال حذيفة قال لي رسول الله ﷺ:إني مسر إليك سرا فلا تذكره لأحد، إني نهيت أن أصلي على فلان وفلان رهط ذوي عدد من المنافقين؛ قال فلذلك كان عمر إذا أراد أن يصلي على أحد استتبع حذيفة، فإن مشى معه وإلا لم يصل عليه» ومن طريق أخرى عن جبير بن مطعم أنهم اثنا عشر رجلا، وقد تقدم حديث حذيفة قريبا أنه لم يبق منهم غير رجل واحد. ولعل الحكمة في اختصاص المذكورين بذلك أن الله علم أنهم يموتون على الكفر، بخلاف من سواهم فإنهم تابوا.

قال ابن المنير: ليس عند أهل البيان تردد أن التخصيص بالعدد في هذا السياق غير مراد انتهى، وأيضاً فشرط القول بمفهوم الصفة وكذا العدد عندهم مماثلة المنطوق للمسكوت وعدم فائدة أخرى وهنا للمبالغة فائدة واضحة، فأشكل قوله سأزيد على السبعين مع أن حكم ما زاد عليها حكمها، وقد أجاب بعض المتأخرين عن ذلك بأنه إنما قال: «سأزيد على السبعين» استمالة لقلوب عشيرته لا أنه أراد إن زاد على السبعين يغفر له، ويؤيده تردده في ثاني حديثي الباب حيث قال: «لو أعلم إني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت» لكن قدمنا أن الرواية ثبتت بقوله «سأزيد» ووعده صدق، ولا سيما وقد ثبت قوله «لأزيدن» بصيغة المبالغة في التأكيد، وأجاب بعضهم باحتمال أن يكون فعل ذلك استصحابا للحال، لأن جواز المغفرة بالزيادة كان ثابتاً قبل مجيء الآية فجاز أن يكون باقيا على أصله في الجواز، وهذا جواب حسن، وحاصله أن العمل بالبقاء على حكم الأصل مع فهم المبالغة لا يتنافيان، فكأنه جوز أن المغفرة تحصل بالزيادة على السبعين لا أنه جازم بذلك، ولا يخفى ما فيه. وقيل إن الاستغفار يتنزل منزلة الدعاء، والعبد إذا سأل ربه حاجة فسؤاله إياه يتنزل منزلة الذكر لكنه من حيث طلب تعجيل حصول المطلوب ليس عبادة، فإذا كان كذلك والمغفرة في نفسها ممكنة، وتعلق العلم بعدم نفعها لا بغير ذلك، فيكون طلبها لا لغرض حصولها بل لتعظيم المدعو فإذا تعذرت المغفرة عوض الداعي عنها ما يليق به من الثواب أو دفع السوء كما ثبت في الخبر، وقد يحصل بذلك عن المدعو لهم تخفيف كما في قصة أبي طالب، هذا معنى ما قاله ابن المنير، وفيه نظر لأنه يستلزم مشروعية طلب المغفرة لمن تستحيل المغفرة له شرعاً، وقد ورد إنكار ذلك في قوله تعالى {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين} ووقع في أصل هذه القصة إشكال آخر، وذلك أنه ﷺ أطلق أنه خير بين الاستغفار لهم وعدمه بقوله تعالى {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم} وأخذ بمفهوم العدد من السبعين فقال: «سأزيد عليها» مع أنه قد سبق قبل ذلك بمدة طويلة نزول قوله تعالى {ما

كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى} فإن هذه الآية كما سيأتي في تفسير هذه السورة قريباً نزلت في قصة أبي طالب حين قال ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فنزلت، وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبل الهجرة اتفاقاً، وقصة عبد الله بن أبي هذه في السنة التاسعة من الهجرة كما تقدم، فكيف يجوز مع ذلك الاستغفار للمنافقين مع الجزم بكفرهم في نفس الآية؟ وقد وقفت على جواب لبعضهم عن هذا حاصله أن المنهى عنه استغفار ترجى إجابته حتى يكون مقصوده تحصيل المغفرة لهم كما في قصة أبي طالب، بخلاف الاستغفار لمثل عبد الله بن أبي فإنه استغفار لقصد تطييب قلوب من بقي منهم، وهذا الجواب ليس بمرضي عندي، ونحوه قول الزمخشري فإنه قال: فإن قلت كيف خفي على أفصح الخلق وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته أن المراد بهذا العدد أن الاستغفار ولو كثر لا يجدي، ولا سيما وقد تلاه قوله {ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله} الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم؟ قلت: لم يخف عليه ذلك، ولكنه فعل ما فعل وقال ما قال إظهاراً لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه، وهو كقول إبراهيم عليه السلام {ومن عصاني فإنك غفور رحيم} وفي إظهار النبي ﷺ الرأفة المذكورة لطف بأمته، وباعث على رحمة بعضهم بعضا انتهى، وقد تعقبه ابن المنير وغيره وقالوا لا يجوز نسبة ما قاله إلى الرسول، لأن الله أخبر أنه لا يغفر للكفار، وإذا كان لا يغفر لهم فطلب المغفرة لهم مستحيل، وطلب المستحيل لا يقع من النبي ﷺ، ومنهم من قال: إن النهي عن الاستغفار لمن مات مشركاً لا يستلزم النهي عن الاستغفار لمن مات مظهراً للإسلام، لاحتمال أن يكون معتقده صحيحا، وهذا جواب جيد، وقد قدمت البحث في هذه الآية في كتاب الجنائز، والترجيح أن نزولها كان متراخياً عن قصة أبي طالب جداً، وأن الذي نزل في قصته {إنك لا تهدي من أحببت} وحررت دليل ذلك هناك، إلا أن في بقية هذه الآية من التصريح بأنهم كفروا بالله ورسوله ما يدل على أن نزول ذلك وقع متراخيا عن القصة، ولعل الذي نزل أولا وتمسك النبي ﷺ به قوله تعالى {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} إلى هنا خاصة، ولذلك اقتصر في جواب عمر على التخيير وعلى ذكر السبعين، فلما وقعت القصة المذكورة كشف الله عنهم الغطاء، وفضحهم على رءوس الملأ، ونادى عليهم بأنهم كفروا بالله ورسوله. ولعل هذا هو السر في اقتصار البخاري في الترجمة من هذه الآية على هذا القدر إلى قوله {فلن يغفر الله لهم} ولم يقع في شيء من نسخ كتابه تكميل الآية كما جرت به العادة من اختلاف الرواة عنه في ذلك، وإذا تأمل المتأمل المنصف وجد الحامل على من رد الحديث أو تعسف في التأويل ظنه بأن قوله {ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله} نزل مع قوله {استغفر لهم} أي

نزلت الآية كاملة، لأنه لو فرض نزولها كاملة لاقترن بالنهي العلة وهي صريحة في أن قليل الاستغفار وكثيره لا يجدي، وإلا فإذا فرض ما حررته أن هذا القدر نزل متراخيا عن صدر الآية ارتفع الإشكال، وإذا كان الأمر كذلك فحجة المتمسك من القصة بمفهوم العدد صحيح، وكون ذلك وقع من النبي ﷺ متمسكاً بالظاهر على ما هو المشروع في الأحكام إلى أن يقوم الدليل الصارف عن ذلك لا إشكال فيه، فلله الحمد على ما ألهم وعلم.

وفيه جواز الشهادة على المرء بما كان عليه حيا وميتا، لقول عمر «أن عبد الله منافق» ولم ينكر النبي ﷺ قوله. ويؤخذ أن المنهي عنه من سب الأموات ما قصد به الشتم لا التعريف، وأن المنافق تجري عليه أحكام الإسلام الظاهرة، وأن الإعلام بوفاة الميت مجرداً لا يدخل في النعي المنهي عنه، وفيه جواز سؤال الموسر من المال من ترجى بركته شيئاً من ماله لضرورة دينية،[1] وفيه رعاية الحمى المطيع بالإحسان إلى الميت العاصي، وفيه التكفين بالمخيط وجواز تأخير البيان عن وقت النزول إلى وقت الحاجة والعمل بالظاهر إذا كان النص محتملاً، وفيه جواز تنبيه المفضول للفاضل على ما يظن أنه سها عنه، وتنبيه الفاضل المفضول على ما يشكل عليه، وجواز استفسار السائل المسئول وعكسه عما يحتمل ما دار بينهما، وفيه جواز التبسم في حضور الجنازة عند وجود ما يقتضيه، وقد استحب أهل العلم عدم التبسم من أجل تمام الخشوع، فيستثنى منه ما تدعو إليه الحاجة، وبالله التوفيق.

١٤ ـ باب {سيَحلِفونَ بالله لكم إذا انقلَبتم إليهم لتُعرِضوا عنهم، فأعرِضوا عنهم إنهم رِجسٌ ومأواهم جهنمُ جَزاءً بما كانوا يَكسِبون}

٤٦٧٣ ـ عن عبدَ الله بنَ كعب قال: «سمعتُ كعبَ بن مالك حينَ تخلفَ عن تَبوك: واللهِ ما أنعمَ اللهُ عليَّ من نعمةٍ بعدَ إذ هداني أعظمَ من صِدقي رسولَ الله ﷺ أنْ لا أكونَ كذَبتُه فأهَلِكَ كما هَلَك الذين كذَبوا حينَ أُنزِلَ الوحيُ {سيَحلِفونَ بالله لكم إذا انقلبتم إليهم -إلى- الفاسقين-}».

سبق شرح الحديث بطوله في كتاب المغازي[2].

باب {يَحلِفونَ لكم لترَضوا عنهم، فإن ترَضوا عنهم -إلى قوله- الفاسقين}

١٥ ـ باب {وآخَرونَ اعترَفوا بذُنوبهم، خَلطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيِّئاً عسى اللهُ أن يَتوبَ عليهم، إنَّ اللهَ غفورٌ رحيم}

٤٦٧٤ ـ عن سَمرةُ بن جُندب رضيَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ لنا: أتاني الليلة آتيانِ فابتعثاني، فانتهَينا إلى مدينةٍ مبنيةٍ بلبِن ذَهَبٍ ولِبن فضة، فتلقَّانا رِجالٌ شطرٌ من

(١) هذا التبرك خاص بالنبي ﷺ سداً لذريعة الغلو والشرك.
(٢) كتاب المغازي باب / ٧٩ ح ٤٤١٨ - ٣ / ٤٢٦.

خَلْقهم كأحسَنِ ما أنتَ راءٍ وشطرٌ كأقبح ما أنتَ راءٍ، قالا لهم: اذهَبوا فقَعوا في ذلك النهر، فوقَعوا فيه، ثم رَجعوا إلينا قد ذهبَ ذلك السوءُ عنهم فصاروا في أحسَن صورة. قالا لي: هذهِ جَنّة عَدْنٍ، وهذاكَ منزلُك. قالا: أما القومُ الذين كانوا شرطٌ منهم حسنٌ وشطرٌ منهم قَبيح فإنهم خَلطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيِّئاً، تَجاوزَ اللهُ عنهم».

قوله (باب قوله[1]{وآخرون اعترفوا بذنوبهم} وذكر فيه طرفاً من حديث سمرة بن جندب في المنام الطويل، وسيأتي بتمامه مع شرحه في التعبير[2].

١٦ ـ باب {ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أن يَستَغفِروا للمشركين}

٤٦٧٥ ـ عن سعيد بن المسيَّب عن أبيه قال: «لما حضَرَت أبا طالبٍ الوفاةُ دَخلَ عليه النبيُّ ﷺ وعندَه أبو جهل وعبدُ الله بن أبي أمية، فقال النبيُّ ﷺ :أي عمِّ، قلْ لا إله إلاَّ الله، أحاجُّ لك بها عندَ الله. فقال أبو جهلٍ وعبدُ الله بن أبي أُميةَ: يا أبا طالب، أترغَبُ عن ملةِ عبد المطلب؟ فقال النبيُّ ﷺ :لأستَغفِرنَّ لكَ ما لم أُنهَ عنك، فنزلَت {ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أن يَستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قُربى من بعدِ ما تبيَّنَ لهم أنهم أصحابُ الجَحيم}.

قوله (باب قوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) ذكر فيه حديث سعيد بن المسيب عن أبيه في قصة وفاة أبي طالب، وقد سبق شرحه في كتاب الجنائز[3].

١٧ ـ باب {لقد تابَ اللهُ على النبيِّ والمهاجرينَ والأنصارِ الذين اتَّبعوهُ في ساعةِ العُسرةِ من بعدِ ما كاد تَزيغُ[4] قلوبُ فريقٍ منهم، ثمَّ تاب عليهم إنه بهم رَءوفٌ رحيم}

٤٦٧٦ ـ عن عبدُ الله بن كعبٍ -وكان قائدَ كعبٍ من بنيه حين عَمِي- قال: «سمعتُ كعبَ بن مالك في حديثه {وعلى الثلاثةِ الذين خُلِّفوا} قال في آخرِ حديثهِ: إنَّ من تَوبتي أن أنخَلِعَ من مالي صدقةً إلى الله ورسوله، فقال النبيُّ ﷺ :أمسكْ بعض مالك، فهو خيرٌ لك».

١٨ ـ باب {وعلى الثلاثةِ الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقَت عليهمُ الأرضُ بما رَحُبَت وضاقَت عليهم أنفُسُهم وظنُّوا أن لا ملجأَ منَ اللهِ إلاَّ إليه ثمَّ تابَ عليهم ليَتوبوا، إنَّ اللهَ هو التوابُ الرَّحيم}

٤٦٧٧ ـ عن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبي كعبَ بن مالك وهو أحدُ الثلاثةِ الذين

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "قوله" في اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) كتاب التعبير باب / ٤٨ ح ٧٠٤٧ - ٥ / ٣٥٨.
(٣) كتاب الجنائز باب ٨٠ ح ١٣٦٠ - ١ / ٦٨٤.
(٤) قراءة حفص عن عاصم "يَزيغ" بالياء.

تيبَ عليهم «أنهُ لم يتخلفْ عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غَزاها قطُّ غير غَزوَتَين: غزوةِ العُسرة وغزوةِ بدر. قال فأجمعتُ صدقَ رسولِ الله ﷺ ضُحًى، وكان قلمَّا يَقدَمُ من سَفر سافرَهُ إلا ضُحى، وكان يَبدأ بالمسجدِ فيركَعُ ركعتَين، ونَهى النبيُّ ﷺ عن كلامي وكلام صاحبيّ، ولم يَنهَ عن كلام أحدٍ منَ المتخلّفينَ غيرِنا؛ فاجتَنَب الناسُ كلامَنا، فلبِثْتُ كذلك حتى طال عليَّ الأمرُ، وما من شيء أهمُّ أن من أموتَ فلا يُصلّي عليَّ النبيُّ ﷺ، أو يموتَ رسولُ الله ﷺ فأكونَ من الناس بتلكَ المنزلة فلا يُكلمني أحدٌ منهم ولا يصلّي عليّ فأنزَلَ اللهُ توبتَنا على نبيهِ ﷺ حين بقيَ الثلُث الآخرُ من الليل ورسول اللهِ ﷺ عندَ أمِّ سلمةَ، وكانت أمُّ سلمةَ محسنةً في شأني، مَعِينةً في أمري، فقال رسولُ الله ﷺ:يا أمَّ سلمة، تِيبَ على كعبٍ. قالت: أفلا أرسِلُ إليه فأبشّرُه؟ قال: إذاً يَحطِمكُم الناسُ فيَمنَعونكم النَّومَ سائرَ الليلة. حتى إذا صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ صلاةَ الفجرِ آذَنَ بتوبةِ الله علينا، وكان إذا استبشَرَ استَنارَ وَجهُهُ حتى كأنهُ قطعةٌ منَ القَمر. وكنّا أيُّها الثلاثةُ الذين خلفوا عن الأمر الذي قبِلَ من هؤلاءِ الذين اعتَذَروا حين أنزَل اللهُ لنا التوبة، فلما ذُكِرَ الذين كذَبوا رسولَ الله ﷺ من المتخلفين فاعتذَروا بالباطل ذُكِروا بشرٍّ ما ذكرَ به أحدٌ. قال اللهُ سبحانه {يَعتَذِرونَ إليكم إذا رجَعتُم إليهم، قل لا تَعتذِروا، لن نُؤمِنَ لكم، قد نَبَّأنا الله من أخبارِكم، وسيرَى اللهُ عملكم ورسوله} الآية».

قوله (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت الآية) ثم ذكر المصنف قطعاً من قصة توبة كعب بن مالك، وقد تقدم شرحه مستوفى في المغازي(١).

١٩ - باب {يا أيها الذين آمَنوا اتقوا اللهَ وكونوا معَ الصادقين}

٤٦٧٨ - عن عبد الله بن كعب بن مالك -وكان قائدَ كعب بن مالك- قال: «سمعتُ كعبَ بن مالك يُحدِّث حين تخلف عن قصةِ تَبوك، فوالله ما أعلمُ أحداً أبلاه اللهُ في صِدقِ الحديث أحسنَ مما أبلاني، ما تعمَّدتُ منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كِذباً، وأنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ على رسولهِ ﷺ {لقد تاب اللهُ على النبيِّ والمهاجرين -إلى قوله- وكونوا معَ الصادقين}

٢٠ - باب {لقد جاءكم رسولٌ من أنفسِكم عَزيزٌ عليه ما عَنِتُّم حَريصٌ عليكم بالمؤمنينَ رَءوف رحيم} من الرأفة

٤٦٧٩ - عن زيد بن ثابتٍ الأنصاري رضيَ الله عنه -وكان ممّن يكتبُ الوَحيَ- قال: أرسلَ إلى أبو بكرٍ مَقتَلَ أهلِ اليمامةِ وعندَهُ عمرُ فقال أبو بكرٍ: إن عمرَ أتاني فقال إنَّ

(١) كتاب المغازي باب / ٧٩ ح ٤٤١٨ - ٣ / ٤٢٦

القتلَ قدِ استحرَّ يوم اليمامةِ بالناس، وإني أخشى أن يَستحرَّ القتلُ بالقُرّاءِ في المَواطِنِ فيذهبَ كثيرٌ من القرآنِ إلاّ أن تجمَعوهُ، وإني لأرى أن تجمعَ القُرآن. قال أبو بكرٍ: قلتُ لعمرَ: كيفَ أفعلُ شيئاً لم يَفعلهُ رسولُ الله ﷺ؟ فقال عمرُ: هو واللهِ خيرٌ. فلم يَزَل عمرُ يُراجعُني فيه حتى شرحَ الله لذلك صدري، ورأيتُ الذي رأى عمرُ -قال زيدُ بن ثابت: وعمر عندَهُ جالسٌ لا يتكلم- فقال أبو بكر: إنكَ رجلٌ شابٌّ عاقل، ولا نَتهمُك، وكنتَ تكتبُ الوحيَ لرسولِ الله ﷺ. فتَتبَّع القرآن فاجمَعْه، فوالله لو كلَّفَني نقلَ جبلٍ منَ الجبال ما كان أثقلَ عليَّ مما أمرَني به من جَمْع القرآن. قلتُ كيفَ تَفعلانِ شيئاً لم يفعلهُ النبيُّ ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خيرٌ. فلم أزلَ أراجعهُ حتى شرحَ اللهُ صدري للذي شرحَ اللهُ له صدرَ أبي بكر وعمر، فقمتُ فتتبَّعتُ القرآن أجمعُهُ منَ الرِّقاع والأكتاف والعُسُب وصدور الرجال، حتى وَجدتُ من سورةِ التوبةِ آيتَين معَ خُزَيمةَ الأنصاريِّ لم أجدهما معَ أحدٍ غيره {لقد جاءكم رسولٌ من أنفُسِكم عزيزٌ عليه ما عنتم حَريصٌ عليكم} إلى آخرِها. وكانتِ الصُحفُ التي جُمعَ فيها القرآن عندَ أبي بكرٍ حتى تَوَفّاه الله، ثم عندَ عمرَ حتى توفّاه الله، ثم عندَ حفصةَ بنتِ عمر».

قوله (باب قوله[1] {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) وسيأتي شرح الحديث مستوفى في فضائل القرآن[2].

(١٠) سورةُ يونُسَ

١ - **باب** وقال ابن عباس {فاختَلَط}: فنبت بالماء من كل لون. {وقالوا اتخذَ اللهُ وَلَداً سبحانه هو الغني}، وقال زيدُ بن أسلَم {أنَّ لهم قدَم صِدق}: محمدٌ ﷺ. وقال مجاهد: خير. يقال {تلك آياتُ}: يعني هذه أعلامُ القرآن. ومثله {حتى إذا كنتم في الفُلكِ وجَرَينَ بهم} المعنى بكم {دَعواهم} دعاؤهم. {أحيط بهم}: دَنَوا من الهلكةَ. {أحاطت به خَطيئته}. فاتَّبعهم وأتبَعهم واحد. {عَدْواً} من العُدوان. وقال مجاهد {ولو يُعجِّلُ اللهُ للناس الشرَّ استعجالَهم بالخير}: قول الإنسان لوَلَدِه ومالهِ إذا غَضب: اللهمَّ لا تُبارِك فيه والعَنه. {لَقُضِيَ إليهم أجَلُهم} لأهلكَ من دُعِيَ عليه ولأماته {للذين أحسَنوا الحسنى} مثلها حسنى {وزيادة}: مَغفرة ورِضوان، وقال غيره: النظرُ إلى وجهه. {الكبرياء} الملك.

قوله (وقال ابن عباس فاختلط فنبت بالماء من كل لون) وصله ابن جرير من طريق آخر عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله {إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض} قال: اختلط فنبت بالماء كل لون مما يأكل الناس كالحنطة

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "قوله" وبدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب فضائل القرآن باب / ٣ ح ٤٩٨٦ - ٤ / ٤

والشعير وسائر حبوب الأرض.

قوله (وقال زيد بن أسلم {أن لهم قدم صدق عند ربهم[١]} محمد ﷺ، وقال مجاهد خير) أما قول زيد بن أسلم فوصله ابن جرير من طريق ابن عيينة عنه بهذا الحديث.

وأما قول مجاهد فوصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى {وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق} قال: خير. وروى ابن جرير من وجه آخر عن مجاهد في قوله {قدم صدق} قال: صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم، ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى {أن لهم قدم صدق} قال سبقت لهم السعادة في الذكر الأول، ورجح ابن جرير قول مجاهد.

وروى الحاكم من طريق أنس عن أبي بن كعب في قوله {قدم صدق} قال: سلف صدق، وإسناده حسن.

قوله (وقال مجاهد: {ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير} قول الإنسان لولده وماله إذا غضب: اللهم لا تبارك فيه والعنه) وقد ورد في النهي عن ذلك حديث مرفوع أخرجه مسلم في أثناء حديث طويل وأفرده أبو داود من طريق عبادة بن الوليد عن جابر عن النبي ﷺ قال: «لا تدعوا على أنفسكم» ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم».

قوله (وقال غيره النظر إلى وجهه) أخرج الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه قال: الحسني هي الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن.

وقد ورد ذلك في حديث مرفوع أخرجه مسلم والترمذي وغيرهما من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا إن لكم عند الله وعدا، فيقولون ألم يبيض وجوهنا، ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة؟ قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم منه» ثم قرأ {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة}.

٢ ـ باب {وجاوَزْنا ببني إسرائيلَ البحرَ فأتبعهم فرعَونُ وجنودُه بَغْياً وعَدْواً، حتى إذ أدركَهُ الغرَقُ قال آمنتُ أنهُ لا إلهَ إلاَّ الذي آمَنَت به بنو إسرائيلَ وأنا منَ المسلمين}

{نُنجِّيك} نُلقيك على نَجوة من الأرض، وهو النَّشز المكان المرتفع

(١) رواية الباب واليونينية بدون "عند ربهم".

٤٦٨٠ - عن ابن عباس رضيَ الله عنهما قال: «قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ واليهودُ تصومُ عاشوراءَ؛ فقالوا: هذا يومٌ ظهرَ فيه موسى على فِرعَونَ، فقال النبيُّ ﷺ لأصحابِه: أنتم أحقُّ بموسى منهم، فصوموا».

قوله (ننجيك نلقيك على نجوة من الأرض، وهو النشز، المكان المرتفع) أي نلقيك على نجوة أي ارتفاع اهـ، والنجوة هي الربوة المرتفعة وجمعها نِجا وليس قوله ننجيك من النجاة بمعنى السلامة، وقد قيل هو بمعناها والمراد مما وقع فيه قومك من قعر البحر.

ثم ذكر المصنف حديث ابن عباس في صيام عاشوراء وقد تقدم شرحه في الصيام(١)، ومناسبته للترجمة قوله في بعض طرقه: ذاك يوم نجى الله فيه موسى وأغرق فرعون.

(١١) سورةُ هودٍ

وقال أبو ميسرةَ: الأوّاه الرحيم بالحبشية، وقال ابن عباس: باديءَ الرأي ما ظهر لنا. وقال مجاهد: الجُودي جبل بالجزيرة. وقال الحسن: إنك لأنت الحليم يستهزئون به. وقال ابن عباس: أقلعي أمسكي. عصيب شديد. لا جَرَم بلى. وفار التَّنُّور نبعَ الماء، وقال عكرمة: وجه الأرض.

١ - باب {ألا إنهم يَثنونَ صدورَهم ليَستخفوا منه، ألا حين يستَغْشون ثيابَهم، يعلم ما يسرون وما يُعلنون إنه عليم بذات الصدور}

وقال غيرُه: وحاق نزَل، يَحيق ينزل. يَئوس فعول من يَئِست. وقال مجاهد: تَبتَئِس تحزن. يَثنون صدورَهم شك وامتراء في الحق، ليَستَخفوا منه من الله إن استطاعوا

٤٦٨١ - عن محمد بن عبادِ بن جعفر أنه «سمعَ ابن عباس يَقرأ {ألا إنهم تَثنَوني صدورُهم} قال سألته عنها فقال: أُناسٌ كانوا يَستحيون أن يَتخلَّفوا فيُفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيُفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم».

[الحديث ٤٦٨١ - طرفاه في: ٤٦٨٢، ٤٦٨٣]

٤٦٨٢ - عن محمد بن عباد بن جعفر «أن ابن عباس قرأة ألا إنهم تَثنَوني صدورُهم} قلت: يا أبا العباس ما تَثنون صدورُهم؟ قال: كان الرجلُ يجامعُ امرأتَه فيستحي، أو يَتخلى فيستحي، فنزلَت {ألا إنهم يثنون صدورهم}».

٤٦٨٣ - عن عمروٌ قال: «قرأ ابن عباس {ألا إنهم يَثنونَ صدورَهم ليستخفوا منه، ألا حينَ يستَغشونَ ثيابَهم}. وقال غيرُهُ عن ابن عباس {يستغشون} يُغطُّون رءوسهم {سيء بهم}

(١) كتاب الصوم باب / ٦٩ ح ٢٠٠٤ - ٢ / ٢٠٠.

ساء ظنُّه بقومه {وضاق بهم} بأضيافه {بقطعٍ منَ الليل} بسوادٍ. {إليه أنيب} أرجع».

قوله (أناس كانوا يستخفون[١] أن يتخلوا) أي أن يقضوا الحاجة في الخلاء وهم عراة.

قوله (سيء بهم ساء ظنه بقومه وضاق بهم بأضيافه) هو تفسير ابن عباس. وصله ابن أبي حاتم من طريق الضحاك قال: ساء مكانهم لما رأي بهم من الجمال.

قوله (بقطع من الليل بسواد) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقال أبو عبيدة معناه ببعض من الليل، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بطائفة من الليل.

٢ ـ باب {وكان عرشُهُ على الماء}

٤٦٨٤ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «قال اللهُ عزَّوجل: أنفِقَ أنفِقْ عليك. وقال: يدُ اللهِ مَلأى لا تَغيضُها نَفقة، سحاءُ الليلَ والنهار. وقال: أرأيتم ما أنفَقَ منذ خلقَ السماء والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يده، وكان عرشهُ على الماءَ وبيده الميزان يَخفِضُ ويَرفع» اعتراكَ: افتَعلت من عَرَوتهُ أي أصَبته، ومنه يَعروه واعتراني. آخِذٌ بناصيَتها أي في مِلكه وسُلطانه. عَنيد وعَنود وعانِد واحِد، هو تأكيد التجبر. ويقول الأشهاد واحده شاهد مثل صاحب وأصحاب. استَعمَركم جعلكم عُماراً، أعمرْته الدارَ فهي عُمرَي جعلتها له. نَكِرَهم وأنكرهم واستنكرَهم واحد حميد مجيد كأنه فَعيل من ماجد، محمود من حَمِد. سِجِّيل الشديد الكبير، سِجِّيل وسِجِّين واحد واللام والنون أُختان، وقال تميم بن مُقبل:

ورَجلةٍ يَضرِبون البَيض ضاحيـةً ضرباً تَواصىٰ به الأبطالُ سِجِّينا

[الحديث ٤٦٨٤ – أطرافه في: ٥٣٥٢، ٧٤١١، ٧٤١٩، ٧٤٩٦]

قوله (باب قوله[٢] وكان عرشه على الماء) ذكر فيه حديث أبي هريرة، وفيه قوله «وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع» وسيأتي شرحه في كتاب التوحيد[٣] إن شاء الله تعالى.

٣ ـ باب {وإلى مَدَينَ أخاهم شُعَيبا}

إلى أهل مَدينَ، لأن مَدينَ بلد. ومثله {واسألِ القريةَ {واسألِ العيرَ} يعني أهلَ القرية والعير. {وراءكم ظِهْرِيّاً} يقول لم تَلتفتوا إليه. ويقال إذا لم يَقضِ الرجلُ حاجتَه ظَهرتُ بحاجتي، وجَعلتَني ظِهرِيّاً. والظهريُّ ها هنا أن تأخُذَ معكَ دابةً أو وعاء تَستظهرُ به،

---

(١) في الباب واليونينية "تستحيون".
(٢) رواية الباب واليونينية بدون "قوله" وبدون التبويب اليونينية.
(٣) كتاب التوحيد باب / ١٩ ح ٧٤١١ – ٥ / ٥٥٨.

أراذِلنا: سُقاطنا، إجرامي هو مصدر من أجرمت، وبعضهم يقول جَرَمتُ. الفُلك والفَلَك واحد وهي السفينة والسفن. مَجراها: مَدْفعها وهو مصدر أجرَيت. وأرسَيت: حَبَست. ويُقرأ، مَجراها من جرَت هي، مَرساها من رَسَت. ومُجرِيها ومُرسِيها من فُعِلَ بها. الراسيات ثابتات.

٤ - باب {ويقول الأشهادُ هؤلاءِ الذين كَذَبوا على ربِّهم ألا لعنةُ الله على الظالمين}

واحدُ الأشهاد شاهد، مثل صاحب وأصحاب.

٤٦٨٥ - عن صَفوانَ بن محرزٍ قال: «بَينا ابنُ عمرَ يَطوفُ إذ عرَض رجلٌ فقال: يا أبا عبد الرحمن -أو قال يا ابن عمر- هل سمعتَ النبيَّ ﷺ يقول: يُدنى المؤمنُ من ربه. وقال هشام: يدنو المؤمن حتى يَضع عليه كَنَفَه فيُقرِّره بذنوبه: تَعرِفُ ذنْبَ كذا؟ يقول: أعرف، يقول ربِّ أعرف (مرتين) فيقول) سترتُها في الدنيا، وأغفِرُها لك اليوم. ثم تُطوَى صحيفة حَسناته. وأما الآخرون -أو الكفّارة- فيُنادَى على رءوس الأشهاد: هؤلاء الذين كَذَبوا على ربهم».

قوله (وإلى مدين) أي لأهل مدين، لأن مدين بلد ومثله {واسأل القرية. والعير} أي أهل القرية وأصحاب العير.

٥ - باب {وكذلكَ أخذُ ربِّك إذا أخذَ القُرَى وهي ظالمة، إنَّ أخْذَه أليمٌ شديد}

الرِّفدُ المرفود: العون المعين. رَفَدتهُ: أعنته. تَركَنوا: تميلوا. فَلولا كان: فهلا كان. أُترِفوا: أُهلِكوا. وقال ابنُ عباس: زَفيرٌ وشَهيق: شديدٌ وصوت ضعيف.

٤٦٨٦ - عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:إنَّ اللهَ لَيُملي للظالم، حتى إذا أخذَه لم يُفلِتْه. قال ثم قرأ {وكذلكَ أخذُ ربِّكَ إذا أخذَ القُرَى وهي ظالمة، إنَّ أخذَهُ أليمٌ شديد}».

قوله (أُترفوا أهلكوا) هو تفسير باللازم أي كان الترف سبباً لإهلاكهم، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى {واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه} أي ما تجبروا وتكبروا عن أمر الله وصدوا عنه.

قوله (إن الله ليملي للظالم) أي يمهله.

قوله (حتى إذا أخذه لم يُفْلته) أي لم يخلصه، أي إذا أهلكه لم يرفع عنه الهلاك، وهذا

على تفسير الظلم بالشرك على إطلاقه، وإن فسر بما هو أعم فيحمل كل على ما يليق به.

٦ ـ باب {وأقمِ الصلاةَ طَرَفَيِ النهارِ وزُلَفاً من الليل، إنَّ الحسنات يُذهبنَ السَّيئات، ذلكَ ذِكرَى للذاكرين}

وزُلَفاً: ساعات بعدَ ساعاتٍ، ومنه سُمِّيتِ المزدَلفة، الزُّلَف: منزلةٌ بعد منزلة. وأما زُلفى فمصدرٌ من القُربى. إزدَلفوا: اجتَمعوا. أزلفنا، جمعنا.

٤٦٨٧ ـ عن ابن مسعودٍ رضيَ الله عنه «أنَّ رجلا أصاب من امرأةٍ قُبلةً، فأتى رسولَ الله ﷺ فذكرَ ذلكَ له، فأُنزِلت عليه {وأقم الصلاةَ طَرَفَيِ النهار وزُلَفاً من الليل، إن الحسَناتِ يُذهِبْنَ السَّيئات، ذلك ذِكرى للذاكِرين} قال الرجُل: أليَ هذهِ؟ قال لِمن عملَ بها من أمتي».

قوله (باب وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات الآية) واختلف في المراد بطرفي النهار فقيل الصبح والمغرب، وقيل الصبح والعصر، وعن مالك وابن حبيب الصبح طرف والظهر والعصر طرف.

قوله (وزلفاً ساعات بعد ساعات، ومنه سميت المزدلفة، الزلف منزلة بعد منزلة وأما زلفى فمصدر من القربى، ازدلفوا اجتمعوا، أزلفنا جمعنا) انتهى. قال أبو عبيدة: في قوله تعالى {وأزلفت الجنة للمتقين} أي قربت وأدنيت، وله عندي زلفى أي قربى.

واختلف في المراد بالزلف فعن مالك المغرب والعشاء، واستنبط منه بعض الحنفية وجوب الوتر لأن زلفاً جمع أقله ثلاثة فيضاف إلى المغرب والعشاء الوتر، ولا يخفى ما فيه.

قوله (أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له) في رواية معتمر بن سليمان التيمي عن أبيه عند مسلم والإسماعيلي فذكر أنه أصاب من امرأة قبلة أو مسا بيد أو شيئاً، كأنه يسأل عن كفارة ذلك. وعند عبد الرزاق عن معمر عن سليمان التيمي بإسناده «ضرب رجل على كَفَل[1] امرأة» الحديث، وفي رواية مسلم وأصحاب السنن من طريق سماك بن حرب عن إبراهيم النخعي عن علقمة والأسود عن ابن مسعود «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها، قبلتها ولزمتها، فافعل بي ما شئت» الحديث. وللطبري من طريق الأعمش عن إبراهيم النخعي قال: «جاء فلان بن معتب الأنصاري فقال: يا رسول الله دخلت عليَّ امرأة فنلت منها ما ينال الرجل من أهله إلا أني لم أجامعها» الحديث.

قوله (قال الرجل ألي هذه؟) أي الآية يعني خاصة بي بأن صلاتي مذهبة لمعصيتي، وظاهر هذا أن صاحب القصة هو السائل عن ذلك.

(١) الكَفَل هو العَجُز للإنسان والدابة.

قوله (قال لمن عمل بها من أمتي) تقدم في الصلاة من هذا الوجه بلفظ «قال لجميع أمتي كلهم» وتمسك بظاهر قوله تعالى {إن الحسنات يذهبن السيئآت} المرجئة وقالوا: إن الحسنات تكفر كل سيئة كبيرة كانت أو صغيرة، وحمل الجمهور هذا المطلق على المقيد في الحديث الصحيح «إن الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر» فقال طائفة: إن اجتنبت الكبائر كانت الحسنات كفارة لما عدا الكبائر من الذنوب، وإن لم تجتنب الكبائر لم تحط الحسنات شيئاً، وقال آخرون: إن لم تجتنب الكبار لم تَحُط الحسنات شيئاً منها وتحط الصغائر.

واستدل بهذا الحديث على عدم وجوب الحد في القبلة واللمس ونحوهما، وعلى سقوط التعزير عمن أتى شيئاً منها وجاء تائباً نادماً، واستنبط منه ابن المنذر أنه لا حد على من وجد مع امرأة أجنبية في ثوب واحد.

(١٢) سورةُ يوسُفَ

وقال فُضَيل عن حُصَين عن مجاهد: مُتكأ: الأترُجُّ. بالحبشية مُتكا. وقال ابنُ عُيينة عن رجلٍ عن مجاهد: مُتكا كلُّ شيء قُطعَ بالسكّين. وقال قتادةُ: لذو علمٍ عاملٌ بما علم. وقال سعيدُ بنُ جُبير: صُواعَ مَكُّوكُ الفارسيّ الذي يَلتقي طَرَفاهُ، كانت تَشربُ به الأعاجم. وقال ابنُ عباس: تُفنِّدون تُجَهِّلون. وقال غيره: غَيابةُ الجب كلُّ شيء غَيَّبَ عنك شيئاً فهو غَيابة، والجُبُّ الرَّكيةُ التي لم تُطو. بمؤمنٍ لنا: بمصدِّق. أشُدَّهُ قبلَ أن يأخذَ في النقصان، يقال: بلغ أشُدَّه وبلغوا أشُدَّهم، وقال بعضهم: واحدُها شَدّ. والمتكأ ما اتكأت عليه لشرابٍ أو لحديثٍ أو لطعام. وأبطلَ الذي قال الأترُجّ، وليس في كلام العرب الأترج، فلما احتُجَّ عليهم بأنه المتكأ من نَمارِق فرّوا إلى شرٍ منه فقالوا: إنما هو المتْكُ ساكنةَ التاء، وإنما المتك طَرَفُ البظر، ومن ذلك قيل لها مَتكاء وابن المتكاء، فإن كان ثَمَّ أترج فإنه بعد المتكأ: شَغَفَها يقال بلغ إلى شِغافها وهو غلافُ قلبها، وأما شَعَفَها فمنَ المشعوف. أصْبُ إليهن أميلُ إليهن حبا. أضغاثُ أحلامٍ ما لا تأويلَ له، والضِّغْث مِلءُ اليدِ من حشيشٍ وما أشبهَ، ومنه {وخُذ بيدِكَ ضِغثاً} لا من قوله {أضغاثُ أحلام} واحدُ ضِغث. {نمير} منَ الميرة. {وتَزدادُ كيلَ بعير} ما يَحملُ بعير. {أوَي إليه} ضمَّ إليه، السِّقايةُ مِكيال. {تفتأ} لا تزالُ. استيأسوا يئسوا، ولا تيأسوا من روْح الله معناه الرجاء. خلَصوا نجيا اعتزلوا نجيا والجمع أنجية يتناجون الواحد نجي والإثنان والجمع نجى وأنجية. {حَرَضا} مُحرَضاً يُذيبك الهمُّ {يَحسَّسوا} تخبَّروا {مُزجاة} قليلة. {غاشية} من عذاب الله: عامَّة مُجَلِّلة.

قوله (يقال بلغ أشده قبل أن يأخذ في النقصان) ويقال بلغوا أشدهم. واختلف النقلة في قدر الأشد الذي بلغه يوسف فلأكثر أنه الحلم، وعن سعيد ابن جبير ثمان عشرة.

وقال ابن التين: الأظهر أنه أربعون لقوله تعالى {فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما

وعلما} وكان النبي لا ينبأ حتى يبلغ أربعين، وتعقب بأن عيسى عليه السلام نبيء لدون أربعين ويحيى كذلك لقوله تعالى {وآتيناه الحكم صبيا} وسليمان لقوله تعالى {ففهمناها سليمان} إلى غير ذلك، والحق أن المراد بالأشد بلغو سن الحلم» ففي حق يوسف عليه السلام ظاهر ولهذا جاء بعده {وراودته التي هو في بيتها} وفي حق موسى عليه السلام لعله بعد ذلك كبلوغ الأربعين لما جاء بعده {واستوى} ووقع في قوله {آتيناه حكما وعلما} في الموضعين فدل على أن الأربعين ليست حداً لذلك، وأما المتكأ فقال أبو عبيدة: أعتدت أفعلت من العتاد ومعناه أعتدت لهن متكأ أي نمرقا يتكأ عليه.

قوله (ليس[١] في كلام العرب الأترج) يريد أنه ليس في كلام العرب تفسير المتكأ بالأترج.

قوله (وقال سعيد بن جبير {صواع الملك} مكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه، كانت تشرب الأعاجم به) ورواه ابن منده في «غرائب شعبة» وابن مردويه من طريق عمرو بن مرزوق عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله {صواع الملك} قال كان كهيئة المكوك من فضة يشربون فيه، وقد كان للعباس مثله في الجاهلية، وكذا أخرجه أحمد وابن أبي شيبة عن محمد بن جعفر عن شعبة وإسناده صحيح، والمكوك: هو مكيال معروف لأهل العراق.

قوله (أضغاث أحلام ما لا تأويل له، الضغث ملء اليد من حشيش وما أشبه، ومنه {وخذ بيدك ضغثا} لا من قوله أضغاثا أحلام واحدها ضغث) وتوجيهه أنه أراد أن ضغثاً في قوله تعالى {وخذ بيدك ضغثا} بمعنى ملء الكف من الحشيش لا بمعنى ما لا تأويل له.

ولأبي يعلى من حديث ابن عباس في قوله {أضغاث أحلام} قال: هي الأحلام الكاذبة.

قوله (مزجاة قليلة) واختلف في بضاعتهم فقيل: كانت من صوف ونحوه، وقيل دراهم رديئة، وروى عبد الرزاق بإسناد حسن عن ابن عباس وسئل عن قوله {ببضاعة مزجاة} قال: رثة الحبل والغرارة والشن.

قوله (غاشية من عذاب الله عامة مجللة) وهو تأكيد لقوله عامة، وقال أبو عبيدة {غاشية من عذاب الله} مجللة، أي تعمهم .

قوله (حرضا محرضا يذيبك الهم) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {حتى تكون حرضا}: الحرض الذي أذابه الحزن أو الحب.

---

(١) رواية الباب واليونينية "وليس" بزيادة الواو.

١ ـ باب {ويُتمُّ نعمتَهُ عليكَ وعلى آل يعقوبَ كما أتمها على أبوَيكَ من قبلُ إبراهيمَ وإسحاق}

٤٦٨٨ ـ عن عبد اللهِ بن عمرَ رضيَ الله عنهما عنِ النبيِّ ﷺ قال: «الكريمُ ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسفُ بن يعقوبَ بن إسحاقَ بن إبراهيم».

قوله (باب قوله[1]{ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب} الآية) ذكر فيه حديث ابن عمر «الكريم ابن الكريم» الحديث، وأخرج الحاكم مثله من حديث أبي هريرة، وهو دال على فضيلة خاصة وقعت ليوسف عليه السلام لم يشركه فيها أحد، ومعنى قوله أكرم الناس أي من جهة النسب، ولا يلزم من ذلك أن يكون أفضل من غيره مطلقا.

٢ ـ باب {لقد كان في يوسفَ وإخوته آياتٌ للسائلين}

٤٦٨٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله تعالى عنه قال: سُئلَ رسولُ الله ﷺ:أيُّ الناس أكرمُ؟ قال: أكرمُهم عند الله أتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك قال فأكرمُ الناس يوسفُ نبيُّ الله، ابن نبيِّ الله، ابن نبيِّ الله، ابن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فعن معَادنِ العرب تسألوني؟ قالوا: نعم. قال: فخياركم في الجاهليةِ خِيارُكم في الإسلام إذا فقهوا».

قوله (باب قوله[2]لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) ذكر ابن جرير وغيره أسماء إخوة يوسف وهم: روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وريالون ويشجر ودان ونيال وجاد وأشر وبنيامين، وأكبرهم أولهم. ثم ذكر المصنف فيه حديث أبي هريرة «سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم» الحديث، وقد تقدم شرحه مستوفى في أحاديث الأنبياء[3].

٣ ـ باب {قال بل سَوَّلَت لكم أنفُسُكم أمراً فصبر جميل}

سَوَّلَت: زينَت

٤٦٩٠ ـ عن عُبيدَ الله بن عبد الله عن حديث عائشة زوجِ النبيِّ ﷺ حينَ قال لها أهلُ الإفك ما قالوا فبرَأها الله، كلٌّ حدَّثني طائفةً من الحديث «قال النبيُّ ﷺ:إن كنتِ بَريئةً فسيُبرِّؤك الله، وإن كنتِ ألمتِ بذنبٍ فاستغفرِي اللهَ وتوبي إليه. قلت: إني والله لا أجدُ مثلاً إلا أبا يوسفَ فصبرٌ جَميل، والله المستَعان على ما تَصِفون. وأنزَل الله {إنَّ الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم} العشرَ الآيات».

٤٦٩١ ـ عن أم رُومانَ وهي أمُّ عائشة قالت: «بَينا أنا وعائشة أخَذَتها الحُمى، فقال النبيُّ ﷺ:لعلَّ في حديث تُحدِّثَ؟ قالت: نعم. وقَعدَت عائشة قالت: مَثَلي ومَثَلكم كيعقوبَ

---

(١) في المتن واليونينية بدون "قوله" وبدون التبويب وفي اليونينية

(٢) رواية الترجمة واليونينية بدون "قوله" ،في اليونينية بدون "باب وقوله

(٣) كتاب الأنبياء باب / ١٩ ح ٣٣٨٣ - ٣ / ٢٩

وبنيه، بل سوّلت لكم أنفُسكم أمراً فصبر جميل واللهُ المستعانُ على ما تَصفون».

قوله (باب قوله[١]{قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل} سولت زينت) قال أبو عبيدة في قوله {بل سولت لكم أنفسكم} أي زينب وحسنت ثم ذكر المصنف طرفاً من حديث الإفك، وسيأتي شرحه بتمامه في تفسير سورة النور[٢].

٤ ـ باب {وراوَدَته التي هو في بيتها عن نفسِه وغلقَتِ الأبواب وقالت هَيتَ لك}

وقال عِكرِمة: هَيتَ لك بالحورانية هلُم. وقال ابن جُبير: تَعالَه.

٤٦٩٢ ـ عن عبد الله بن مسعودٍ قال: هَيتَ لك، قال وإنما نَقرؤها كما عُلِّمناها. مَثْواهُ: مُقامُه. وألفَيا: وجدا. ألفَوا آباءهم. ألفَينا. وعنِ ابن مسعودٍ {بل عَجِبت[٣]ويَسخَرون}

٤٦٩٣ ـ عن عبد اللهِ رضيَ الله عنه «إنَّ قريشاً لما أبطئوا عن رسولِ الله ﷺ بالإسلام قال: اللهمَّ اكفِنيهم بسبع كسبع يوسفَ، فأصابَتْهم سَنَةٌ حَصَّت كلَّ شيء، حتى أكلوا العظامَ، حتى جعلَ الرجلُ ينظرُ إلى السماءِ فيرى بينَهُ وبينها مثلَ الدُّخان، قال الله: {فارتَقِبْ يومَ تأتي السماءُ بدُخان مُبين}، قال اللهُ: {إنّا كاشِفوا العذابِ قليلا إنكم عائدون. أفيُكشَف عنهمُ العذابُ يوم القيامة} وقد مضى الدخان ومَضَتِ البَطشة».

قوله (باب[٤]قوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) اسم هذه المرأة في المشهور زليخا، وقيل راعيل، واسم سيدها العزيز قطفير.

قوله (وعن ابن مسعود بل عجبت ويسخرون وقد أشكلت مناسبة إيراد هذه الآية في هذا الموضع فإنها من سورة والصافات، وليس في هذه السورة من معناها شيء. لكن أورد البخاري في الباب حديث عبد الله وهو ابن مسعود «أن قريشاً لما أبطؤا على النبي ﷺ قال: اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف» الحديث ولا تظهر مناسبته أيضاً للترجمة المذكورة هي قوله «باب قوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه» وقد تكلف لها أبو الإصبع عيسى بن سهل في شرحه فيما نقلته من رحلة أبي عبد الله بن رشيد عنه ما ملخصه: ترجم البخاري «باب قوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه» وأدخل حديث ابن مسعود «أن قريشاً لما أبطئوا» الحديث وأورد قبل ذلك في الترجمة عن ابن مسعود {بل عجبت ويسخرون} قال فانتهى إلى موضع الفائدة ولم يذكرها وهو قوله {وإذ ذكروا لا يذكرون، وإذا رأوا آية يستسخرون} قال: ويؤخذ من ذلك مناسبة التبويب المذكورة، ووجهه أنه شبه ما عرض ليوسف

---

(١) رواية الترجمة واليونينية بدون "قوله" وبدون التبويب في اليونينية

(٢) كتاب التفسير "النور" باب / ٦ ح٤٧٥٠ - ٣ / ٦١٥

(٣) قراءة حفص عن عاصم "عجبتَ" بفتح التاء.

(٤) رواية الترجمة واليونينية بدون "قوله" وبدون التبويب في اليونينية.

عليه السلام مع إخوته ومع امرأة العزيز بما عرض لمحمد ﷺ مع قومه حين أخرجوه من وطنه كما أخرجه يوسف إخوته وباعوه لمن استعبده فلم يعنف النبي ﷺ قومه لما فتح مكة كما لم يعنف يوسف إخوته حين قالوا له {تالله لقد آثرك الله علينا} ودعا النبي ﷺ بالمطر لما سأله أبو سفيان أن يستسقى لهم كما دعا يوسف لإخوته لما جاءوه نادمين فقال: {لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم} قال: فمعنى الآية بل عجبت من حلمي عنهم مع سخريتهم بك وتماديهم على غيهم، وعلى قراءة ابن مسعود بالضم بل عجبت من حلمك عن قومك إذ أتوك متوسلين بك فدعوت فكشف عنهم، وذلك كحلم يوسف عن إخوته إذ أتوه محتاجين، وكحلمه عن امرأة العزيز حيث أغرت به سيدها وكذبت عليه ثم سجنته ثم عفا عنها بعد ذلك ولم يؤاخذها. قال: فظهر تناسب هاتين الآيتين في المعنى مع بعد الظاهر بينهما. قال: ومثل هذا كثير في كتابه -مما عابه من لم يفتح الله عليه- والله المستعان.

قال الكرماني: أورد البخاري هذه الكلمة وإن كانت في الصافات هنا إشارة إلى أن ابن مسعود كان يقرؤها بالضم كما يقرأ هيت بالضم انتهى. وهي مناسبة لا بأس بها إلا أن الذي تقدم عن ابن سهل أدق والله أعلم.

٥ - باب {فلما جاءَهُ الرسولُ قال ارجعْ إلى ربِّكَ فاسألْهُ ما بالُ النِّسوةِ اللاتي قَطعن أيدَيهن إنَّ ربي بكيدِهن عليم، قال ما خَطبُكنَّ إذا راوَدْتُنَّ يوسفَ عن نفسه؟ قلن حاشى[1] لله}

وحاشَ وحاشى تَنزيهٌ واستِثناء. حَصْحَص: وَضَح

٤٦٩٤ - عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ:يرحمُ اللهُ لوطاً، لقد كان يأوِي إلى ركنٍ شديد، ولو لبِثتُ في السجن ما لبثَ يوسفُ لأجَبتُ الداعي، ونحن أحقُّ من إبراهيمَ إذ قال له: {أوَ لم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليَطمئنَّ قلبي}».

تقدم شرح حديث الباب في ترجمتي إبراهيم ولوط من أحاديث الأنبياء[2].

٦ - باب {حتى إذا استَيأسَ الرُّسُل}

٤٦٩٥ - عن عائشة رضيَ الله عنها قالت له وهو يَسألها عن قول الله تعالى {حتى إذا استيأس الرُّسل قال: قلت: أكُذِبوا أم كُذِّبوا؟ قالت عائشة: كذِّبوا. قلتُ: فقد استيقنوا أنَّ قومَهم كذَّبوهم، فما هو بالظنّ. قالت أجل لعَمري، لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وظنوا أنهم قد كُذِبوا؟ قالت: معاذ الله، لم تكن الرسلُ تَظنُّ ذلك بربِّها. قلتُ: فما هذه الآية؟

(١) قراءة حفص عن عاصم "حاش" بغير ياء.
(٢) كتاب الأنبياء باب / ١٥ ح ٣٣٧٥ - ٣ / ٢٨.

قالت: هم اتباعُ الرُّسل الذين منوا بربِّهم وصدَّقوهم، فطال عليهمُ البَلاءُ واستأخَرَ عنهمُ النصرُ، حتى إذا استَيأسَ الرسُلُ ممن كذَّبهم من قومِهم، وظنَّت الرُّسلُ أنَّ اتباعَهم قد كذَّبوهم، جاءهم نصرُ اللهِ عندَ ذلك».

٤٦٩٦ ـ عن عروة «فقلت: لعلها كُذِبوا مخففةً قالت: مَعاذَ الله» نحوَه.

قوله (فما هو بالظن؟ قالت أجل) زاد الإسماعيلي «قلت فيه مخففة، قالت معاذ الله» وهذا ظاهر في أنها أنكرت القراءة بالتخفيف بناء على أن الضمير للرسل، وليس الضمير الرسل على ما بينته ولا لإنكار القراءة بذلك معنى بعد ثبوتها ولعلها لم يبلغها ممن يرجع إليه في ذلك. وقد قرأها بالتخفيف أئمة الكوفة من القراء عاصم ويحيى بن ثابت والأعمش وحمزة والكسائي، ووافقهم من الحجازيين أبو جعفر بن القعقاع، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري وحمد بن كعب القرظي في آخرين.

وقد روى الطبري أن سعيد بن جبير سئل عن هذه الآية فقال: يئس الرسل من قومهم أن يصدقوهم، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا. فقال الضحاك بن مزاحم لما سمعه: لو رحلت إلى اليمن في هذه الكلمة لكان قليلا. فهذا سعيد بن جبير وهو من أكابر أصحاب ابن عباس العارفين بكلامه حمل الآية على الاحتمال الأخير الذي ذكرته، وعن مسلم بن يسار أنه سأل سعيد بن جبير فقال له: آية بلغت مني كل مبلغ، فقرأ هذه الآية بالتخفيف، قال في هذا ألوت أن تظن الرسل ذلك، فأجابه بنحو ذلك، فقال: فرَّجتَ عنِّي فرَّجَ اللهُ عنك، وقام إليه فاعتنقه. وجاء ذلك من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس نفسه، فعند النسائي من طريق أخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله {قد كذبوا} قال: استيأس الرسل من إيمان قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم، وإسناده حسن، فليكن هو المعتمد في تأويل ما جاء عن ابن عباس في ذلك، وهو أعلم بمراد نفسه من غيره.

(١٣) سورةُ الرَّعْد

وقال ابنُ عباس {كباسطِ كفَّيه}: مَثَلُ المشرك الذي عَبدَ مع اللهِ إلهاً غيرَه كمثَلِ العطشانِ الذي يَنظرُ إلى ظلِّ خَيالهِ في الماء من بعيد وهو يريدُ أن يَتناولَهُ ولا يَقدِر، وقال غيرُهُ: سَخَّر ذلل، {متجاورات}: مُتدانيات، {المَثلات} واحدُها مَثُلة، وهي الأشباهُ والأمثال، وقال {إلاّ مثلَ أيام الذين خَلَوا}، {بمقدار} بقدَر، {مُعقِّبات}: ملائكةٌ حفَظَة تُعقِّب الأولى منها الأخرى، ومنه قيل العَقيب، يقال عقَبت في إثرهِ. {المِحال}: العقوبة، {كباسطِ كفيْه إلى الماء} ليقبضَ عَلى الماء، {رابِياً} من ربَا يربو، {أو مَتاع زبد} المتاع: ما تمتَّعت به {جُفاء} أجفَأتِ القدرُ إذا غَلَت فعلَاها الزَّبَد ثم تَسكنُ فيذهبُ الزبدُ بلا منفعة، فكذلك

يُميزُ الحقَّ من الباطل {المِهاد}: الفِراش، {يَدرءون}: يَدفَعون، دَرَأتهُ: دَفَعتهُ،{سلام عليكم} أي يقولون سلام عليكم، {وإليهِ مَتابِ}: توبتي، {أفلم ييأس} لم يَتَبيَّن، {قارعة}: داهية، {فأمليْت}: أطلتُ، من الملى والملاوة، ومنه {مَليّاً} ويقال للواسع الطويل من الأرض: مَلَي من الأرض، {أشقُّ} أشدُّ، من المشقة، {مُعقِّب}: مغيِّر، وقال مجاهد: {متجاورات} طيبها وخبيثها السباخ {صِنوان} النخلتان أو أكثر في أصلٍ واحد، {وغيرُ صِنوان} وحدَها. {بماء واحد} كصالح بني آدمَ وخبيثهم أبوهم واحد {السَّحاب الثقال} الذي فيه الماء، {كباسط كفيه إلى الماء}: يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيدهِ فلا يأتيهِ أبدا، {سالت أوديةٌ بقدَرِها} تملأ بطنَ وادٍ، {زبَداً رابِيا}: زبدُ السيل، {زَبدٌ مثلُه}: خبَثُ الحديد والحلية.

قوله (يقال معقبات ملائكة حفظة تعقب الأولى منها الأخرى ومنه قيل العقيب أي في أثره) سقط لفظ «يقال» من رواية غير أبي ذر وهو أولى فإنه كلام أبي عبيدة أيضاً قال في قوله تعالى {له معقبات من بين يديه} أي ملائكة تعقب بعد ملائكة، حفظة بالليل تعقب بعد حفظة النهار وحفظة النهار تعقب بعد حفظة الليل، ومنه قولهم فلان عقبني وقولهم عقبت في أثره. وروى الطبري بإسناد حسن عن ابن عباس في قوله تعالى {له معقبات من بين يديه ومن خلفه} قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خلوا عنه. ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {من أمر الله} يقول بإذن الله، فالمعقبات هن من أمر الله وهي الملائكة، ومن طريق سعيد بن جبير قال: حفظهم إياه بأمر الله. ومن طريق إبراهيم النخعي قال: يحفظونه من الجن، ومن طريق كعب الاحبار قال: لو لا أن الله وكل بكم ملائكة يبدون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتم.

قوله (قارعة داهية) قال أبو عبيدة في قوله {تصيبهم بما صنعوا قارعة} أي داهية مهلكة، تقول قرعت عظمه أي صدعته، وفسره غيره بأخص من ذلك: فأخرج الطبري بإسناد حسن عن ابن عباس في قوله تعالى {ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة} قال سرية أو تحل قريباً من دارهم قال أنت يا محمد حتى يأتي وعد الله فتح مكة.

قوله (وقال مجاهد متجاورات طيبها وخبيثها السباخ) وقد وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله {وفي الأرض قطع متجاورات} قال: طيبها عذبها، وخبيثها السباخ.

ومن طريق أخرى متصلة عن ابن عباس قال: تكون هذه حلوة وهذه حامضة وتسقى بماء واحد وهن متجاورات.

١ ـ باب {اللهُ يعلم ما تحمِلُ كلُّ أنثى وما تغيضُ الأرحام}

غِيضَ: نُقص

٤٦٩٧ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَفاتيحُ الغيب خمسٌ لا يعلمها إلاّ الله: لا يَعلمُ ما في غَدٍ إلا الله، ولا يَعلمُ ما تَغيضُ الأرحامُ إلاّ الله، ولا يعلمُ متى يأتي المطرُ أحدٌ إلاّ الله، ولا تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت، ولا يعلمُ متى تقومُ الساعة إلا الله».

قوله (باب قوله[١]{ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام} غيض نقص) قال أبو عبيدة: في قوله {وغيض الماء} أي ذهب وقبل. وهذا تفسير سورة هود، وإنما ذكره هنا لتفسير قوله، تغيض الأرحام، فإنها من هذه المادة، وروى عبد بن حميد من طريق أبي بشر عن مجاهد في قوله {الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد} قال: إذا حاضت المرأة وهي حامل كان نقصانا من الولد، فإن زادت على تسعة أشهر كان تماماً لما نقص من ولدها، ثم روى من طريق منصور عن الحسن قال: الغيض ما دون تسعة أشهر، والزيادة ما زادت عليها يعني في الوضع، ثم ذكر المصنف حديث ابن عمر في مفاتيح الغيب وقد تقدم في سورة الأنعام، ويأتي في تفسير سورة لقمان[٢] ويشرح هناك إن شاء الله تعالى.

(١٤) سورةُ إبراهيمَ

قال ابنُ عباس: {هادٍ} داعٍ، وقال مجاهد: {صديد} قَيحٌ ودم، وقال ابنُ عُيَينة، {اذكُروا نعمةَ اللهِ عليكم} أياديَ اللهِ عندكم وأيامَه، وقال مجاهد: {من كلِّ ما سألتموه} رَغبتم إليه فيه. {تبغونُها عوَجاً} تلتمسونَ لها عوَجاً {وإذ تأذنَ ربُّكم} أعلمكم، آذَنَكم، {رَدُّوا أيدَيهم في أفواههم} هذا مَثَل كفوا عمّا أُمِروا به. {مَقامي} حيثُ يُقيمه اللهُ بين يدَيه. {مِن ورائهِ} قُدّامه جهنم. {لكم تَبَعاً} واحدُها تابعٍ، مثل غَيَب وغائب. {بمُصرِخكم} استصرَخني استغاثَني، يستَصرِخهُ منَ الصُّراخ. {ولا خِلال} مصدرُ خاللتهُ خِلال، ويَجوزُ أيضاً جمع خُلّة وخِلال. {اجتُثَّت} استَؤصِلَت.

قوله ([٣]وقال ابن عباس: هاد داع) وهذه الكلمة إما وقعت في السورة التي قبلها في قوله تعالى {إنما أنت منذر ولكل قوم هاد} واختلف أهل التأويل في تفسيرها بعد اتفاقهم على أن المراد بالمنذر محمد ﷺ. فروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {ولكل قوم هاد} أي داع.

قوله (وإذا تأذن ربكم: أعلمكم آذنكم) كذا للأكثر، ولأبي ذر أعلمكم ربكم، قال أبو عبيدة في قوله تعالى {وإذ تأذن ربكم} إذ زائدة، وتأذن تفعل من آذن أي أعلم، وهو قول

---

(١) في المتن واليونينية بدون "قوله"وبدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب التفسير "لقمان" باب / ٢ ح ٤٧٧٨ - ٣ / ٦٤٥.
(٣) رواية الباب واليونينية "قال ابن عباس ....".

أكثر أهل اللغة أن تأذن من الإيذان وهو الإعلام، ومعنى تفعل عزم عزماً جازما، ولهذا أجيب بما يجاب به القسم.

قوله (أيديهم في أفواههم، هذا مثل كفوا عما أمروا به) قال أبو عبيدة في قوله {فردوا أيديهم في أفواههم} مجازه مجاز المثل ومعناه كقوله عما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال رد يده في فمه إذا أمسك ولم يجب، وقد تعقبوا كلام أبي عبيدة فقيل: لم يسمع من العرب رد يده في فيه إذا ترك الشيء الذي كان يريد أن يفعله، وقد روى عبد بن حميد من طريق أبي الاحوص عن عبد الله قال: عضوا على أصابعهم، وصححه الحاكم وإسناده صحيح، ويؤيده الآية الأخرى {وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ}.

وقيل المعنى رد الكفار أيدي الرسل في أفواههم بمعنى أنهم امتنعوا من قبول كلامهم، أو المراد بالأيدي النعم أي ردوا نعمة الرسل وهي نصائحهم عليهم لأنهم إذا كذبوها كأنهم ردوها من حيث جاءت.

قوله (اجتثت استؤصلت) هو قول أبي عبيدة أيضاً أي قطعت جثثها بكمالها، وأخرجه الطبري من طريق سعيد عن قتادة مثله، ومن طريق العوفي عن ابن عباس: ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة بمثل الكافر، يقول: الكافر لا يقبل عمله ولا يصعد؛ فليس له أصل ثابت في الأرض ولا فرع في السماء ومن طريق الضحاك قال في قوله ما لها من قرار أي ما لها أصل ولا فرع ولا ثمرة ولا منفعة، كذلك الكافر ليس يعمل خيراً ولا يقول خيرا، ولم يجعل الله فيه بركة ولا منفعة.

١ ـ باب {كَشجرةٍ طَيِّبة أصلُها ثابتَ وفَرعها في السماء تُؤْتي أُكُلَها كلَّ حين}

٤٦٩٨ ـ عن ابن عمر رضيَ الله عنهما قال: «كنّا عندَ رسولِ الله ﷺ فقال: أخبروني بشجرةٍ تُشبِه أو كالرجُل المسلم لا يتحاتُّ ورقُها ولا ولا ولا، تُوْتي أكلها كل حين، قال ابنُ عمر: فوقعَ في نفسي أنها النخلة، ورأيتُ أبا بكر وعمرَ لا يتكلمان، فكرِهتُ أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسولُ الله ﷺ:هي النخلة، فلما قمنا قلت لعمرَ: يا أَبَتاه، والله لقد كان وقعَ في نفسي أنها النخلة، فقال ما منَعَكَ أن تَكلَّمَ؟ قال: لم أركم تَكلمون فكَرِهتُ أن أتكلمَ أو أقول شيئاً قال عمرُ: لأن تكونَ قلتَها أحبُّ إليَّ من كذا وكذا».

وقد تقدم شرح الحديث مستوفى في كتاب العلم، وقد تقدم هناك البيان الواضح بأن المراد بالشجرة في هذه الآية النخلة، وفيه رد على من زعم أن المراد بها شجرة الجوز الهدني.

ومعنى قوله {طيبة} أي لذيذة الثمر أو حسنة الشكل أو نافعة، فتكون طيبة بما يئول إليه

نفعها، وقوله {أصلها ثابت} أي لا ينقطع، وقوله {وفرعها في السماء} أي هي نهاية في الكمال، لأنها إذا كانت مرتفعة بعدت عن عفونات الأرض، وللحاكم من حديث أنس «الشجرة الطيبة النخلة والشجرة الخبيثة الحنظلة».

٢ ـ باب {يُثبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت}

٤٦٩٩ ـ عن البَراء بن عازب أن رسولَ الله ﷺ قال: «المسلمُ إذا سُئلَ في القبر يشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، فذلك قوله {يُثبِّتُ اللهُ الذين امَنوا بالقول الثابت في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرة}».

قوله (باب يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) ذكر فيه حديث البراء مختصراً، وقد تقدم في الجنائز[١] أتم سياقاً واستوفيت شرحه في ذلك الباب.

٣ ـ باب {ألم ترَ إلى الذين بدَّلوا نعمةَ الله كفرا}

{ألم ترَ} ألم تعلم، كقوله {ألم تر إلى الذين خرجوا}، {البوار} الهلاك، بار يبور بورا، {قوماً بُوراً} هالكين

٤٧٠٠ ـ عن ابن عباس «{ألم ترَ إلى الذين بدَّلوا نعمةَ اللهِ كفراً} قال: هم كفّار أهل مكة».

ثم ذكر حديث ابن عباس فيمن نزلت فيه الآية مختصراً، وقد تقدم مستوفى مع شرحه في غزوة بدر[٢]، وروى الطبري من طريق أخرى عن ابن عباس أنه سأل عمر عن هذه الآية فقال: من هم قال هم الأفجران من بني مخزوم وبني أمية أخوالي وأعمامك، فأما أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر، وأما أعمامك فأملى الله لهم إلى حين، ومن طريق علي قال: هم الأفجران بنو أمية وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين، وهو عند عبد الرزاق أيضاً والنسائي وصححه الحاكم، قلت: والمراد بعضهم لا جميع بني أمية وبني مخزوم، فإن بني مخزوم لم يستأصلوا يوم بدرٍ، بل المراد بعضهم كأبي جهل من بني مخزوم وأبي سفيان من بني أمية.

(١٥) سورة الحجر

وقال مجاهد {صراطٌ عليٌّ مستقيم}: الحقُّ يَرجعُ إلى الله، وعليه طريقه. {لبإمام مبين}: على الطريق، وقال ابن عباس {لعَمْرُكَ}: لَعيشُك، {قومٌ مُنكَرون} أنكرَهم لوط، وقال غيرهُ {كتاب معلوم}: أجَل، {لو ما تأتينا}: هلاّ تأتينا، {شِيَع}: أمم، والأولياء أيضاً شِيَع، وقال ابنُ عباس {يُهرَعون}: مُسرعين. {للمتوسِّمين}: للناظرين. {سكِّرَت}: غُشِّيَت، {بُروجاً}:

(١) كتاب الجنائز باب / ٨٦ ح ١٣٦٩ - ٣ / ٦٩٠.
(٢) كتاب المغازي باب / ٨ ح٣٩٧٧ - ٣ / ٢٦٣.

مَنازل للشمس والقمر، {لَواقح}: مَلاقح مُلقحة، {حَمَإٍ}: جماعةُ حَمْأَةٍ وهو الطينُ المتغيِّر، والمسنونُ: المصبوب، {تَوْجَل}: تَخَف {دابِرَ}: آخِر، {لَبِإمامٍ مبين}: الإمام كل ما ائتممتَ واهتديت به، {الصيحة}: الهلكة.

قوله {سكرت غشيت} وذكر الطبري عن ابن عمرو بن العلاء أنه كان يقول: هو مأخوذ من سكر الشراب، قال: ومعناه غشي أبصارنا مثل السكر، ومن طريق قتادة قال: سحرت.

قوله (لعمرك لعيشك) وسيأتي لهم في الأيمان والنذور[١] مع شرحه.

١ - باب {إلاّ مَنِ استرَقَ السمعَ فأتبَعَهُ شِهابٌ مبين}

٤٧٠١ - عن أبي هريرةَ يَبلغُ به النبيَّ ﷺ قال: «إذا قضى اللهُ الأمرَ في السماء ضَرَبَتِ الملائكةُ بأجنِحَتِها خُضعاناً لقوله كالسِّلسلةِ على صفوانٍ قال عليٌّ، وقال غيرهُ: صفوانٍ يَنفذُهم ذلك، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربُّكم؟ قالوا: للذي قال: الحقُّ، وهو العليُّ الكبير. فيسمعُها مُسترقو السمع، ومسترقو السمع، هكذا واحدٌ فوقَ آخر، ووَصفَ سفيانُ بيدهِ وفرَّجَ بين أصابع يدهِ اليمنى، نَصبَها بَعضَها فوق بعض، فربُما أدركَ الشهابُ المستمعَ قبل أن يرمِيَ بها إلى صاحبِه، فيُحرقَه، وربما لم يُدركهُ حتى يرميَ بها إلى الذي يَليه، إلى الذي هو أسفلَ منه، حتى يُلقوها إلى الأرض -وربما قال سفيانُ: حتى تنتهي إلى الأرض -فتُلقى على فم الساحِر، فيَكذبُ معها مائةَ كَذْبَة، فيصدقُ، فيقولون: ألم يُخبرنا يومَ كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً؟ للكلمةِ التي سمُعت من السماء».

[الحديث ٤٧٠١ - طرفاه في: ٤٨٠٠، ٧٤٨١]

قوله (باب[٢] قوله إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) ذكر فيه حديث أبي هريرة في قصة مسترقي السمع، وسيأتي شرحه في تفسير سورة سبأ[٣] ويأتي الإلمام به في أواخر الطب وفي كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى.

٢ - باب {ولقد كذَّبَ أصحابُ الحِجْرِ المرسَلين}

٤٧٠٢ - عن عبد الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما «أن رسولَ اللهِ ﷺ قال لأصحابِ الحجرِ: لا تَدخُلوا على هؤلاءِ القوم إلاّ أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابهم».

٣ - باب {ولقد آتيناكَ سبعاً منَ المثاني والقرآنَ العظيم}

٤٧٠٣ - عن أبي سعيدِ بن المعلى قال: «مَرَّ بي النبيُّ ﷺ وأنا أصلي فدَعاني، فلم آتهِ حتى صلَّيتُ، ثمَّ أتيتُ فقال: ما منعك أن تأتيَ؟ فقلتُ: كنتُ أصلِّي، فقال: ألم يَقلِ اللهُ {يا

(١) كتاب الأيمان والنذور باب / ١٣ - ٥ / ١٢٩
(٢) في المتن واليونينية بدون "قوله" في اليونينية وبدون "باب وقوله
(٣) كتاب التفسير "سبأ" باب / ١ ح ٤٨٠٠ - ٣ / ٦٦١

أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسولِ؟} ثم قال: ألا أعلّمكَ أعظمَ سورةٍ في القرآنِ قبلَ أن أخرجَ منَ المسجد؟ فذهبَ النبيُّ ﷺ لِيخرُجَ فَذكَّرْتُهُ فقال: الحمدُ لله ربِّ العالمين هي السبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ الذي أُوتيتُه».

٤٧٠٤ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ «أمُّ القرآن هي السبعُ المثاني والقرآنُ العظيم».

قوله (باب قوله[1]{ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم}) ذكر فيه حديث أبي سعيد بن المعلي في ذكر فاتحة الكتاب ، وقد سبق في أول التفسير مشروحاً، ثم ذكر حديث أبي هريرة مختصراً بلفظ «أم القرآن هي السبع المثاني» في رواية الترمذي من هذا الوجه «الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني».

وللطبري من وجه آخر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رفعه «الركعة التي لا يقرأ فيها كالخداج، قال فقلت لأبي هريرة: فإن لم يكن معي إلا أم القرآن؟، قال: هي حسبك، هي أم الكتاب وهي أم القرآن وهي السبع المثاني» قال الخطابي: وفي الحديث رد على ابن سيرين حيث قال: إن الفاتحة لا يقال لها أم القرآن وإنما يقال لها فاتحة الكتاب، ويقول أم الكتاب هو اللوح المحفوظ؛ قال: وأم الشيء أصله، وسميت الفاتحة أم القرآن لأنها أصل القرآن، وقيل لأنها متقدمة كأنها تؤمه.

وقد روى الطبري بإسنادين جيدين عن عمر ثم عن علي قال: «السبع المثاني فاتحة الكتاب» زاد عن عمر «تثنى في كل ركعة» وبإسناد حسن عن ابن عباس أنه قرأ الفاتحة ثم قال: {ولقد آتيناك سبعاً من المثاني} قال: هي فاتحة الكتاب، وبسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة، ومن طريق جماعة من التابعين: السبع المثاني هي فاتحة الكتاب، ومن طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: السبع المثاني فاتحة الكتاب، قلت للربيع: إنهم يقولون إنها السبع الطوال، قال: لقد أنزلت هذه الآية وما نزل من الطوال شيء، وهذا الذي أشار إليه هو قول آخر مشهور في السبع الطوال، وقد أسنده النسائي والطبري والحاكم عن ابن عباس أيضاً بإسناد قوي.

٤ ـ باب قوله {الذينَ جَعلوا القرآن عضِين}

{المقتِسمين} الذين حَلَفوا، ومنه {لا أُقسمُ} أي أُقسم، وتُقرأ «لأَقسِمُ». {قاسَمَهُما} حَلفَ لهما ولم يحلفا له، وقال مجاهد: تَقاسَموا تحالفوا

٤٧٠٥ ـ عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما «الذين {جَعَلوا القرآن عِضِين} قال: هم أهلُ

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".

الكتاب، جَزَّءوه أجزاء، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضِه».

٤٧٠٦ ـ عن ابن عبّاس رضيَ الله عنهما {كما أنزلنا على المقتسمين} قال: آمنوا ببعضٍ وكفروا ببعض، اليهود والنَّصارى».

قوله (باب[1]الذين جعلوا القرآن عضين) قيل إن {عضين} جمع عضو، فروى الطبري من طريق الضحاك قال في قوله {جعلوا القرآن عضين} أي جعلوه أعضاء كأعضاء الجزور، وقيل هي جمع عضة وأصلها عضهة، وروى الطبري من طريق قتادة قال: عضين عضهوه وبهتوه، ومن طريق عكرمة قال: العضه السحر بلسان قريش، تقول للساحرة العاضهة، أخرجه ابن أبي حاتم، وروى ابن أبي حاتم أيضاً من طريق عطاء مثل قول الضحاك ولفظه: عضوا القرآن أعضاء، فقال بعضهم: ساحر، وقال آخر: مجنون، وقال آخر: كاهن، فذلك العضين.

٥ ـ {واعبُدْ ربَّك حتى يأتَيك اليقين}

قال سالم اليقين: الموت

قوله (باب قوله[2]{واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} قال سالم: اليقين الموت) واستشهد الطبري لذلك بحديث أم العلاء في قصة عثمان بن مظعون «أما هو فقد جاءه اليقين، وإني لأرجو له الخير» وقد تقدم في الجنائز مشروحاً، وقد اعترض بعض الشراح على البخاري لكونه لم يخرج هنا هذا الحديث، وقال: كان ذكره أليق من هذا، قال: ولأن اليقين ليس من أسماء الموت. قلت: لا يلزم البخاري ذلك، وقد أخرج النسائي حديث بعجة عن أبي هريرة رفعه «خير ما عاش الناس به رجل ممسك بعنان فرسه» الحديث، وفي آخره «حتى يأتيه اليقين ليس هو من الناس إلا في خير» فهذا شاهد جيد لقول سالم، ومنه قوله تعالى: {وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين} واطلاق اليقين على الموت مجاز، لأن الموت لا يشك فيه.

(١٦) سورةُ النَّحل

{روحُ القدُس}: جبريل. {نزَلَ به الرُّوح الأمين}. {في ضَيْق} يقال أمرٌ ضَيق وضَيِّق مثل هَيْن وهَيِّن ولين وليِّن ومَيت ومَيِّت، قال ابن عباس: {تتفيأ ظلاله}، تتهيأ، سبل ربك ذللا لا يتوعر عليها مكان سلكته، وقال ابنُ عباس: {في تَقلبهم}: اختلافهم، وقال مجاهد: {تميدُ} تَكفَّأ، {مُفْرطون}: مَنسيُّون، وقال غيرهُ: {فإذا قرأتَ القرآن فاستَعِذ بالله من الشيطان الرجيم}: هذا مقدَّم ومؤخرِ، وذلك أنَّ الاستِعاذةَ قبلَ القراءة، ومعناها الاعتصام بالله، وقال ابن عباس: {تُسيمون}، ترعون {شاكلته} ناحيته، {قَصْدُ السبيل}: البيان، الدِّفء: ما استدفأتَ به {تريحون} بالعشي، {وتَسرَحون} بالغداة، {بشقِّ} يعني المشقة. {على تخوُّف}

---

(١) في المتن "باب قوله الذين ......" بدون التبويب وفي اليونينية.
(٢) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".

تنقص. {الأنعام لعبرة} وهي تَؤنَّث وتُذكر، وكذلك النعَم. {الأنعام جماعة النعم. {أكناناً} واحدها كن مثل حمل وأحمال {سرابيلَ} قمص {تَقيكمُ الحرَّ} وأما {سَرابيلَ تقيكم بأسكم} فإنها الدُّروع: {دَخَلاً بينكم} كلُّ شيء لم يصحَّ فهو دَخَل. قال ابنُ عباس {حَفَدة}: من وَلَد الرجلُ. {السَّكَر} ما حُرِّمَ من ثمرتِها. والرِّزقُ الحسن، ما أحلَّ الله، وقال ابن عيينة: عند صدقة {أنكاثاً} هي خرقاءُ كانت إذا أبرَمَت غزلها نَقَضته، وقال ابن مسعود: الأمة مُعلِّم الخير.

قوله (مفرطون منسيون) ومن طريق سعيد بن جبير قال: مفرطون: أي متركون في النار منسيون فيها، ومن طريق سعيد عن قتادة قال: معجلون، قال الطبري: ذهب قتادة إلى أنه من قولهم أفرطنا فلانا إذا قدموه فهو مفرط، ومنه «أنا فرطكم على الحوض»، قلت: وهذا كله على قراءة الجمهور بتخفيف الراء وفتحها، وقرأها نافع بكسرها وهو من الإفراط، وقرأها أبو جعفر بن القعقاع بفتح الفاء وتشديد الراء مكسورة أي مقصرون في أداء الواجب مبالغون في الأساءة.

قوله (الدفء ما استدفأت به) قال أبو عبيدة: الدفء ما استدفأت به من أوبارها ومنافع ما سوى ذلك.

قوله (دخلاً بينكم، كل شيء لم يصح فهو دخل) هو قول أبي عبيدة أيضاً، وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد عن قتادة قال: {دخلاً} خيانة.

قوله ([1]وقال ابن عباس: حفدة من ولد الرجل) وصله الطبري من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس في قوله {بنين وحفدة} قال: الولد وولد الولد، وإسناده صحيح.

ومن طريق عكرمة قال: الحفدة الخدام، ومن طريق الحسن قال: الحفدة البنون وبنو البنين، ومن أعانك من أهل أو خادم فقد حفدك، وهذا أجمع أقوال، وبه تجتمع.

قوله (السكر ما حرم من ثمرتها، والرزق الحسن ما أحل[2]) وصله الطبري بأسانيد من طريق عمرو بن سفيان عن ابن عباس مثله وإسناده صحيح.

١ ـ باب {ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذَلِ العُمر}

٤٧٠٧ ـ عن أنس بن مالكٍ رضيَ الله عنه «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يدعو: أعوذُ بك من البُخل، والكسَل، وأرذلِ العُمر، وعذابِ القبر، وفِتنةِ الدَّجال، وفتنةِ المَحيا والممات».

---

(١) رواية الباب واليونينية "قال ابن عباس".
(٢) رواية الباب واليونينية ".... ما أحل الله".

قوله (باب قوله تعالى[١]: ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) ذكر فيه حديث أنس في الدعاء بالاستعاذة من ذلك وغيره، وسيأتي شرحه في الدعوات[٢].

(١٧) سورةُ بني إسرائيل

١ ـ باب * ٤٧٠٨ ـ عن ابن مسعودٍ رضيَ الله عنه قال: في بني إسرائيلَ والكهفِ ومريمَ: إنهنَّ منَ العِتاقِ الأوَل، وهنَّ من تِلادي». {فَسَيُنْغِضُون إليك رءوسَهم} قال ابنُ عبّاس: يَهُزُّون. وقال غيره: نَغَضت سنُّك أي تحركت».

قوله (سمعت ابن مسعود قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: إنهن من العتاق) جمع عتيق وهو القديم أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودةِ.

وقوله «عن من تلادي» أي مما حفظ قديماً، والتلاد قديم الملك وهو بخلاف الطارف، ومراد ابن مسعود أنهن من أول ما تعلم من القرآن، وإن لهن فضلاً لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم، وسيأتي الحديث في فضائل القرآن بأتم من هذا السياق إن شاء الله تعالى.

قوله (فسينغضون إليك رؤسهم، قال ابن عباس: يهزون) قال أبو عبيدة في قوله {فيسنغضونون إليك رءوسهم} أي يحركونها استهزاء، وقال ابن قتيبة: المراد أنهم يحركون رءوسهم استبعاداً.

٢ ـ باب {وقَضَينا إلى بني إسرائيلَ}: أخبرناهم أنهم سيفسدون

والقضاء على وُجوه: {وقَضى ربُّك}: أمرَ ربك. ومنه الحُكم {إنَّ ربَّك يقضي بينهم}. ومنه: إن ربَّك الخَلْق: {فقَضاهنَّ سبعَ سماوات}: خلقهن. {نفيرا}: مَن يَنفِر مُعه. {وليُتَبِّروا}: يدمِّروا. {ما علَوا}. {حَصِيراً}: مَحبِساً مَحصَراً. {حقَّ}: وَجَب. {مَيسورا} : ليِّناً. {خِطئاً} إثماً، هو اسم من خَطِئت، والخطأ مفتوح مصدره من الإثم، خَطِئت بمعنى أخطأت. {تخرِق}: تقطع، {وإذهم نَجْوى} مصدر من ناجيت فوصفهم بها والمعنى يتناجَون. {رُفاتا} حُطاماً. {واستَفزِز} استخف {بَخَيلك}: الفرسان. {الرجل}: الرجالة واحدها راجل، مثل صاحب وصَحْب، واجر وتجْر. {حاصِباً}: الريح العاصف. والحاصبُ أيضاً ما تَرمي به الريح، ومنه: {حَصبُ جهنم} يُرمَى به في جهنم وهو حصبُها، ويقال: حَصَبَ في الأرض ذهب، والحصبُ مُشتقٌ منَ الحصباءِ والحجارة. {تارةً}: مرَّة، وجماعتهُ تِيَرةٌ وتارات. {لأحتَنِكنَّ}: لأستأصِلنهم، يقال: احتَنَك فلانٌ ما عندَ فلانٍ من علم: استقصاه، {طائره}: حظّه. قال ابنُ عباس: كل {سلطان} في القرآن فهو حجة، {وليٌّ من الذُّل} لم يُحالِف أحداً.

---

(١) في المتن واليونينية بدون "قوله" في اليونينية وبدون "باب وقوله".
(٢) كتاب الدعوات باب / ٣٨ ح ٦٣٦٧ - ٥ / ٥٩٦.
(٣) كتاب فضائل القرآن باب / ٦ ح ٤٩٩٤ -٤ / ١١.

وقال الازهري: القضاء مرجعه إلى انقطاع الشيء وتمامه، وقال أيضاً: كل ما أحكم عمله أو ختم أو أكمل أو وجب أو ألهم أو أنفذ أو مضى فقد قضى، وقال في قوله تعالى {وقضينا إلى بني إسرائيل} أي أعلمناهم علما قاطعا، انتهى.

قوله (رفاتاً حطاما) قال أبو عبيدة في قوله {رفاتا} أي حطاما أي عظاما محطمة.

٣ ـ باب {أسرَى بعبده ليلاً من المسجد الحرام}

٤٧٠٩ ـ عن أبي هريرة قال: «أُتِيَ رسولُ الله ﷺ ليلةَ أُسرِيَ به بإيلياءَ بقدَحَين من خمر ولبن، فنظر إليهما، فأخذَ اللبن، قال جبريلُ: الحمدُ لله الذي هداك للفطرة، لو أخذتَ الخمرَ غوَت أمّتُك».

٤٧١٠ ـ عن جابرِ بن عبد الله رضيَ الله عنهما قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: لما كذَّبتني قريشٌ قمتُ في الحِجْر فجلى الله لي بيتَ المقدِس فطفِقْتُ أخبرهم عن آياتهِ وأنا أنظرُ إليه».

ذكر فيه حديث أبي هريرة «أتي رسول الله ﷺ ليلة أسري به بإيلياء بقدحين» وقد تقدم شرحه في السيرة النبوية.

وأخرج النسائي من طريق زرارة بن أبي أوفى عن ابن عباس هذه القصة مطولة، وقد ذكرت طرفاً منها في أول شرح حديث الإسراء معزوا إلى أحمد والبزار ولفظ النسائي «لما كان ليلة أسري به ثم أصبحت بمكة قطعت بأمري وعرفت أن الناس مكذبي، فقعدت معتزلا حزينا، فمر بي عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزيء: هل كان من شيء؟ قال: نعم، قال: ما هو؟ قال: إني أسري بي الليلة، قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم. قال: فلم ير أن يكذبه مخافة أن يجهد ما قال أن دعا قومه، قال: إن دعوت قومك لك تحدثهم؟ قال: نعم. قال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي هلم، قال: فانقضت إليه المجالس، فجاءوا حتى جلسوا إليهما، قال: حدث قومك بما حدثتني، فحدثهم، قال فمن مصفق ومن واضع يده على رأسه متعجباً، وفي القوم من سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد قال: فهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد، قال النبيُّ ﷺ: فذهبت أنعت لهم، قال: فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت، فجيء بالمسجد حتى وضع فنعته وأنا أنظر إليه، قال فقال القوم: أما النعت فقد أصاب».

٤ ـ باب {ولقد كرّمنا بني آدمَ}

كرَّمْنا وأكرمنا واحد. {ضِعفَ الحياةِ وضعفَ المماتِ} عذابَ الحياة وعذابَ المماتِ. خِلافَك وخَلْفَك سواء. {ونأى} تباعد، {شاكلتهِ} ناحيته، وهي من شكلهِ {صرَّفنا} وجَّهْنا. {قَبيلاً}

مُعاينةً ومقابلةً، وقيل القابلة لأنها مقابلتُها وتقبلُ ولدَها. {خشيةَ الإنفاق} أنفقَ الرجلُ: أملقَ:، ونفق الشيء ذهب. {قَتوراً} مُقَتِّراً للأذقان مجتمع اللحيين والواحد ذَقَن. وقال مجاهد: {موفوراً} وافراً. {تبيعاً} ثائراً، وقال ابن عباس: نصيرا. {خَبَتْ} طَفِئتَ. وقال ابن عباس {لا تُبذِّر} لا تنفق في الباطل، {ابتِغاءَ رحمةٍ} رزق. {مثبوراً} ملعوناً. {لا تَقْفُ} لا تَقل. {فجاسوا} تيمَّموا. {يُزجي الفلكَ} يُجري الفلك. {يَخِرُّونَ للأذقان} للوجوه.

قوله (ضعف الحياة وضعف الممات عذاب الحياة وعذاب الممات) قال أبو عبيدة: في قوله {ضعف الحياة} مختصر، والتقدير ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات. وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: ضعف عذاب الدنيا والآخرة، وتوجيه ذلك أن عذاب النار يوصف بالضعف، قال: لقوله تعالى { عذاباً ضعفاً من النار } أي عذاباً مضاعفاً، فكأن الأصل لأذقناك عذاباً ضعفا في الحياة ثم حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف، فهو كما لو قيل أليم الحياة مثلاً.

قوله (شاكلته ناحيته وهي من شكلته[1]) وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {على شاكلته} قال على ناحيته، ومن طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: على طبيعته وعلى حدته، ومن طريق سعيد عن قتادة قال: يقول على ناحيته وعلى ما ينوى، وقال أبو عبيدة {قل كل يعمل على شاكلته} أي على ناحيته وخلقته، ومنها قولهم هذا من شكل هذا.

قوله (خشية الإنفاق، يقال أنفق الرجل أملق: ونفق الشيء ذهب) كذا ذكره هنا، والذي قاله أبو عبيدة في قوله {ولا تقتلوا أولادكم من إملاق} أي ذهاب مال، يقال أملق فلان ذهب ماله، وفي قوله {ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق} أي فقر.

قوله (لا تبذر لا تنفق في الباطل) وصله الطبري من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله {ولا تبذر}: لا تنفق في الباطل، والتبذير السرف في غير حق، ومن طريق عكرمة قال: المبذر المنفق في غير حق.

قوله {فجاسوا تيمموا} أخرجه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {فجاسوا خلال الديار} أي فمشوا. وقال أبو عبيدة: جاس يجوس أي نقب، وقيل نزل وقيل قتل وقيل تردد وقيل هو طلب الشيء باستقصاء وهو بمعنى نقب.

باب {وإذا أردنا أن نُهلكَ قريةً أمرنا مترَفيها}

٤٧١١ - عن عبدِ الله قال: «كنا نقول للحيِّ إذا كَثُروا في الجاهليةِ: أمِرَ بنو فلان».

(١) رواية الباب واليونينية "... وهي من شكله".

قوله (باب {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها} الآية ذكر فيه حديث عبد الله، وهو ابن مسعود «كنا نقول للحيِّ إذا كثروا في الجاهلية: أمر بنو فلان» ثم ذكره عن شيخ آخر عن سفيان يعني بسنده قال: أمر، فالأولى بكسر الميم والثانية بفتحها وكلاهما لغتان.

وقراءة الجمهور بفتح الميم، وحكى أبو جعفر عن ابن عباسٍ أنه قرأها بكسر الميم وأثبتها أبو زيد لغة وأنكرها الفراء.

وقرأ أبو عثمان النهدي كالأول لكن بتشديد الميم بمعنى الإمارة، واستشهد الطبري بما أسنده من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {أمرنا مترفيها} قال: سلطنا شرارها. ثم ساق عن أبي عثمان وأبي العالية ومجاهد أنهم قرءوا بالتشديد، وقيل التضعيف للتعدية والأصل أمرنا بالتخفيف أي كثرنا كما وقع في هذا الحديث الصحيح، ومنه حديث «خير المال مُهْرَةٌ مأمورة» أي كثيرة النتاج أخرجه أحمد، ويقال أمر بنو فلان أي كثروا وأمرهم الله كثرهم وأمروا أي كثروا، وقد تقدم قول أبي سفيان في أول هذا الشرح في قصة هرقل حيث قال: «لقد أمر أمر ابن أبي كبشة» أي عظم، واختار الطبري قراءة الجمهور، واختار في تأويلها حملها على الظاهر وقال: المعنى أمرنا مترفيها بالطاعة فعصوا، ثم أسنده عن ابن عباس ثم سعيد بن جبير.

٥ ـ باب {ذُرِّيَّةَ مَن حَمَلنا مع نوحٍ إنهُ كان عبداً شَكورا}

٤٧١٢ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «أُتِيَ رسولُ الله ﷺ بلحمٍ، فرُفِعَ إليه الذِّراع - وكانت تُعجبهُ - فنهَسَ منها نَهسةً ثم قال: أنا سيِّدُ الناس يومَ القيامة، وهل تدرونَ ممَّ ذلك؟ يُجمعُ الناس - الأولين والآخِرين - في صَعيدٍ واحد، يُسمعهمُ الداعي، ويَنفذهمُ البصر، وتدنو الشمسُ فيبلُغُ الناسَ من الغمّ والكَربِ مالا يُطيقون ولا يَحتمِلون، فيقولُ الناس: ألا ترَونَ ما قد بَلَغكم؟ ألا تنظرون من يَشفعُ لكم إلى ربكم؟ فيقولُ بعضُ الناس: لبعض: عليكم بآدمَ، فيأتون آدمَ عليهِ السلام فيقولون له: أنتَ أبو البشر، خَلقَكَ اللهُ بيدهِ، ونفخ فيكَ من رُوحه، وأمرَ الملائكةَ فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترَى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بَلَغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضبَ اليوم غضباً لم يَغضَبْ قبلَه مثله، ولن يَغضبَ بعدَهُ مثلَه، وإنهُ نهاني عنِ الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، إذهبوا إلى غيري، اذهَبوا إلى نوح، فيأتونَ نوحاً فيقولون: يا نوح، إنك أنتَ أوَّلُ الرُّسل إلى أهل الأرض، وقد سماك اللهُ عبداً شَكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا تَرَى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عزَّوجل قد غضبَ اليومَ غضباً لم يَغضَب قبلَه مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دَعوةٌ دَعَوتُها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى

غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيمُ، أنت نبيُّ الله وخليله من أهل الأرض، اشفعْ لنا إلى ربك، ألا تَرَى إلى ما نحنُ فيه؟ فيقول لهم: إنَّ ربي قد غضبَ اليومَ غضباً لم يَغضب قبله مثله، ولن يَغضبَ بعده مثله، وإني قد كنتُ كذبتُ ثلاثة كذبات - فذكرهنَّ أبو حَيان في الحديث - نفسي نفسي نفسي، اذهَبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسولُ الله، فضلك الله برسالتهِ وبكلامهِ على الناس، اشفعْ لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضبَ اليومَ غضباً لم يعضب قبله مثله، ولن يَغضبَ بعدَه مثله، وإني قد قَتلتُ نفساً لم أُومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبو إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنتَ رسولُ الله وكلمتهُ ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، وكلمتَ الناسَ في المهد صبيا، اشفع لنا، ألا ترى إلا ما نحن فيه؟ فيقول: عيسى: إن ربي قد غضبَ اليوم غضباً لم يَغضب قبلهُ مثله ولن يَغضبَ بعدهُ مثله - ولم يذكر ذَنباً - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد، أنتَ رسولُ الله، وخاتمُ الأنبياء، وقد غفرَ الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحنُ فيه؟ فأنطلقُ، فآتي تحتَ العرش فأقعُ ساجِداً لربي عزَّ وجل، ثمَّ يَفتح اللهُ عليَّ من مَحامِده وحُسن الثناءِ عليهِ شيئاً لم يَفتحهُ على أحدٍ قبلي، ثم يُقال: يا محمد، ارفَع رأسك، سَلْ تُعطَه، واشفع تُشَفَّع، فأرفعُ رأسي فأقول: أمَّتي ياربَّ، أمتي يارب، فيُقال: يا محمد، أدخِلْ من أمتكَ مَن لا حِسابَ عليهم من الباب الأيمن من أبوابِ الجنة، وهم شركاءُ الناس فيما سِوى ذلك منَ الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيدهِ إنَّ ما بينَ المصراعَين من مصاريع الجنة كما بينَ مكة وحِميَر، أو كما بين مكةَ وبُصَرى».

قوله (باب {ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا}) ذكر فيه حديث أبي هريرة في الشفاعة من طريق أبي زرعة بن عمرو عنه، وسيأتي في شرحه في الرقاق[1].

وقوله «ينفذهم[2] البصر» بفتح أوله وضم الفاء من الثلاثي أي يخرقهم وبضم أوله وكسر الفاء من الرباعي أي يحيط بهم، والذال معجمة في الرواية، وقال أبو حاتم السجستاني: أصحاب الحديث يقولونه بالمعجمة، وإنما هو بالمهملة، ومعناه يبلغ أولهم وآخرهم، وأجيب بأن المعنى يحيط بهم الرائي لا يخفى عليه منهم شيء لاستواء الأرض، فلا يكون فيها ما يستتر به أحد من الرائي، وهذا أولى من قول أبي عبيدة «يأتي عليهم بصر الرحمن» إذ رؤية الله تعالى محيطة بجميعهم في كل حال سواء الصعيد المستوي وغيره، ويقال نفذه البصر إذا

---

(١) كتاب الرقاق باب / ٥١ ح ٦٥٦٥ - ٥ / ٧٦

(٢) رواية الباب واليونينية "وينفذهم البصر" بزيادة الواو.

بلغه وجاوزه، والنفاذ الجواز والخلوص من الشيء، ومنه نفذ السهم إذا خرق الرمية وخرج منها.

٦ ـ باب {وآتينا داودَ زَبُورا}

٤٧١٣ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «خُفِّفَ على داودَ القرآنُ، فكان يأمرُ بدابَّتِه لِتُسرَجَ، فكان يَقرأ قبلَ أن يَفرُغ». يعني القرآن.

قوله (باب قوله[1]: وآتينا داود زبورا) ذكر فيه حديث أبي هريرة «خفف على داود القرآن» ووقع في رواية لأبي ذر «القراءة» والمراد بالقرآن مصدر القراءة لا القرآن المعهود لهذه الأمة، وقد تقدم إشباع القول فيه في ترجمة داود عليه السلام من أحاديث الأنبياء[2].

٧ ـ {قُلِ ادعوا الذينَ زَعمتم من دُونه فلا يَملِكونَ كشفَ الضرِّ عنكم ولا تَحويلا}

٤٧١٤ ـ عن عبد الله {إلى ربهم الوَسيلة} قال: كان ناسٌ من الإنسِ يَعبُدون ناساً من الجنِّ، فأسلَم الجنُّ، وتمسَّكَ هؤلاءِ بدينِهم.

[الحديث ٤٧١٤ - طرفه في: ٤٧١٥]

قوله (عن عبد الله {إلى ربهم الوسيلة} قال: كان ناس) المراد بالوسيلة القربة.

قوله (فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم) أي استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن، والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة. وروى الطبري من وجه آخر عن ابن مسعود فزاد فيه «والأنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم» وهذا هو المعتمد في تفسير هذه الآية.

٨ ـ باب {أولئك الذينَ يدعونَ يَبتغون إلى ربِّهم الوسيلةَ} الآية

٤٧١٥ ـ عن عبد اللهِ رضيَ الله عنه في هذهِ الآية {الذين يَدعونَ يَبتغونَ إلى ربهم الوسيلةَ} قال: ناسٌ من الجن يُعبَدون، فأسلموا.

٩ ـ باب {وما جعلنا الرُّؤيا التي أريناكَ إلا فتنةً للناس}

٤٧١٦ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما {وما جعلنا الرؤيا التي أريناكَ إلا فتنةً للناس} قال: هيَ رُؤيا عَين أُريَها رسولُ اللهِ ﷺ ليلةَ أُسريَ به {والشجرةَ الملعونةَ في القرآن} قال: شجرة الزَّقُّوم.

قوله (والشجرة الملعونة في القرآن قال: شجرة الزقوم) هذا هو الصحيح، وذكره ابن أبي

(١) رواية الباب بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) كتاب الأنبياء باب / ٣٧ ح ٣٤١٧ - ٣ / ٤٧.

حاتم عن بضعة عشر نفساً من التابعين. وأما الزقوم فقال أبو حنيفة الدينوري في «كتاب النبات»: الزقوم شجرة غبراء تنبت في السهل صغيرة الورق مدورته لا شوك لها زفرة مرة ولها نور أبيض ضعيف تجرسه النحل ورءوسها قباح جداً.

وقال السهيلي: الزقوم فعول من الزقم وهو اللقم الشديد، وفي لغة تميمية: كل طعام يتقيأ منه يقال له زقوم، وقيل: هو كل طعام ثقيل.

١٠ ـ باب {إنَّ قرآنَ الفجر كان مشهودا}

قال مجاهد: صلاةَ الفجر

٤٧١٧ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «فضلُ صلاةِ الجمع على صلاةِ الواحد خمسٌ وعشرون درجةً، وتجتمعُ ملائكة الليلِ وملائكةُ النهارِ في صلاةِ الصبح، يقول أبو هريرةَ: اقرَءوا إن شئتم {وقُرآنَ الفجر، إن قرآنَ الفجرِ كان مَشهودا}».

١١ ـ باب {عسى أن يَبعثَكَ ربُّكَ مَقاماً محموداً}

٤٧١٨ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال: «إنَّ الناسَ يَصيرونَ يومَ القيامةِ جُثاً، كل أمةٍ تَتْبَعُ نبيَّها، يقولون: يا فلانُ اشفَعْ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبيِّ ﷺ، فذلكَ يومَ يَبعثهُ اللهُ المقامَ المحمود».

٤٧١٩ ـ عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضيَ الله عنهما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «مَن قال حين يسمعُ النداءَ: اللهمَّ ربَّ هذهِ الدعوةِ التَّامَّة والصلاةِ القائمة، آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعَثْهُ مَقاماً محموداً الذي وعَدْتَه، حَلَّت له شفاعتي يومَ القيامة».

قوله (باب قوله[١]: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا) روى النسائي بإسناد صحيح من حديث حذيفة قال: «يجتمع الناس في صعيد واحد، فأول مدعو محمد فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، المهدي من هديت عبدك وابن عبديك، وبك وإليك، ولاملجأ ولا منجا منك إلا إليك، تباركت وتعاليت» فهذا قوله {عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا} وصححه الحاكم، ولا منافاة بينه وبين حديث ابن عمر في الباب لأن هذا الكلام كأنه مقدمة الشفاعة.

وقد تقدم في كتاب الزكاة أن المراد بالمقام المحمود أخذه بحلقة باب الجنة، وقيل إعطاؤه لواء الحمد، وسيأتي بيانه في كتاب الرقاق[٢] إن شاء الله تعالى.

---

(١) ترجمة الباب بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".

(٢) كتاب الرقاق باب / ٥١ ح ٦٥٦٥ - ٥ / ٧٦.

١٢ ـ باب {وقلْ جاءَ الحقُّ وزَهقَ الباطل، إنَّ الباطلَ كان زَهوقا}

يَزهَـق: يَهلِـك.

٤٧٢٠ ـ عن عبدِ الله بن مسعودٍ رضيَ الله عنه قال: «دَخلَ النبيُّ ﷺ مكةَ وحولَ البيتِ ستُّونَ وثلاثمائة نُصُبٍ، فجعلَ يَطعُنُها بعودٍ في يده ويقول {جاء الحقّ وزهقَ الباطلُ، إنَّ الباطلَ كان زَهوقا}، {جاء الحقُّ وما يُبدئُ الباطلُ وما يُعيد}».

قوله (باب {وقل جاء الحق وزهق الباطل} الآية، يزهق يهلك) قال أبو عبيدة في قوله {تزهق أنفسهم وهم كارهون} أي تخرج وتموت وتهلك، ويقال زهق ما عندك أي ذهب كله، وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس {إن الباطل كان زهوقا} أي ذاهبا.

قوله (دخل رسول الله[1] ﷺ) في حديث أبي هريرة عند مسلم والنسائي أن ذلك كان في فتح مكة وأوله في قصة فتح مكة إلى أن قال: «فجاء رسول الله ﷺ حتى طاف بالبيت، فجعل يمر بتلك الأصنام فجعل يطعنها بسية القوس ويقول: جاء الحق وزهق الباطل» الحديث بطوله، وقد تقدم شرح ذلك مستوفى في غزوة الفتح بحمد الله تعالى، وقوله «وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب» كذا للأكثر هنا بغير ألف وكذا وقع في رواية سعيد بن منصور لكن بلفظ «صنم» والأوجه نصبه على التمييز إذ لو كان مرفوعاً لكان صفة، والواحد لا يقع صفة للجمع، ويحتمل أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف والجملة صفة، أو هو منصوب لكنه كتب بغير ألف على بعض اللغات.

١٣ ـ باب {ويسألونَكَ عنِ الرُّوح}

٤٧٢١ ـ عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قال: «بَينا أنا معَ النبيِّ ﷺ في حَرثٍ -وهو متَّكئٌ على عَسيبٍ- إذ مرَّ اليهودُ، فقال بعضُهم لبعض: سَلوهُ عنِ الرُّوح، فقال ما رابكم إليه - وقال بعضُهم لا يَستقبلكم بشيء تكرهونه - فقالوا: سَلوهُ، فسألوهُ عنِ الرُّوح، فأمسكَ النبيُّ ﷺ فلم يَرُدَّ عليهم شيئاً، فعلمتُ أنه يوحى إليه، فقمتُ مَقامي. {فلما نزلَ قال: {ويَسألونَكَ عنِ الرُّوح، قلِ الرُّوحُ مِن أمرِ ربِّي، وما أُوتيتُم منَ العلم إلا قليلا}».

قوله (يتوكأ[2]) أي يعتمد.

قوله (على عسيب) وهي الجريدة التي لا خوص فيها.

قوله (ما رابكم إليه) من الريْب.

قوله (فسألوه عن الروح) قال ابن التين: اختلف الناس في المراد بالروح المسئول عنه في هذا الخبر على أقوال: الأول روح الإنسان، الثاني روح الحيوان، الثالث جبريل، الرابع

---

(١) رواية الباب واليونينية "دخل النبيّ ﷺ".
(١) رواية الباب واليونينية "وهو متكئٌ".

عيسى، الخامس القرآن، السادس الوحي، السابع ملك يقوم وحده صفا يوم القيامة، الثامن ملك له أحد عشر ألف جناح ووجه.

وهذا إنما اجتمع من كلام أهل التفسير في معنى لفظ الروح الوارد في القرآن، لا خصوص هذه الآية، فمن الذي في القرآن: {نزل به الروح الأمين}، {وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا}، {يلقي الروح من أمره}، {وأيدهم بروح منه}، {يوم يقوم الروح والملائكة صفا}، {تنزل الملائكة والروح فيها}: فالأول جبريل، والثاني القرآن، والثالث الوحي، والرابع القوة، والخامس والسادس محتمل لجبريل ولغيره، ووقع إطلاق روح الله على عيسى، وقد روى ابن إسحق في تفسيره بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: الروح من الله، وخلق من خلق الله وصور كبني آدم، لا ينزل ملك إلا ومعه واحد من الروح، وثبت عن ابن عباس أنه كان لا يفسر الروح، أي لا يعين المراد به في الآية وقال الخطابي: حكوا في المراد بالروح في الآية أقوالاً: قيل سألوه عن جبريل، وقيل عن ملك له ألسنة، وقال الأكثر: سألوه عن الروح التي تكون بها الحياة في الجسد، وقال أهل النظر: سألوه عن كيفية مسلك الروح في البدن وامتزاجه به، وهذا هو الذي استأثر الله بعلمه، وقال القرطبي: الراجح أنهم سألوه عن روح الإنسان لأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله ولا تجهل أن جبريل ملك وأن الملائكة أرواح، وقال الإمام فخر الدين الرازي: المختار أنهم سألوه عن الروح الذي هو سبب الحياة، وأن الجواب وقع على أحسن الوجوه.

قوله (من أمر ربي) قال الإسماعيلي: يحتمل أن يكون جواباً وأن الروح من جملة أمر الله وأن يكون المراد أن الله اختص بعلمه ولا سؤال لأحد عنه، وقال ابن القيم: ليس المراد هنا بالأمر الطلب اتفاقاً، وإنما المراد به المأمور، والأمر يطلق على المأمور كالخلق على المخلوق، ومنه {لما جاء أمر ربك} وقال ابن بطال: معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر، قال: والحكمة في إبهامه اختبار الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه، وقال القرطبي: الحكمة في ذلك إظهار عجز المرء، لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق من باب الأولى، وجنح ابن القيم في «كتاب الروح» إلى ترجيح أن المراد بالروح المسئول عنها في الآية ما وقع في قوله تعالى {يوم يقوم الروح والملائكة صفا} قال: وأما أرواح بني آدم فلم يقع تسميتها في القرآن إلا نفساً، كذا قال، ولا دلالة في ذلك لما رجحه، بل الراجح الأول.

ونقل ابن منده في «كتاب الروح» له عن محمد بن نصر المروزي الإمام المطلع على اختلاف الأحكام من عهد الصحابة إلى عهد فقهاء الأمصار أنه نقل الإجماع على أن الروح

مخلوقة، وإنما ينقل القول بقدمها عن بعض غلاة الرافضة والمتصوفة، واختلف هل تفني عند فناء العالم قبل البعث أو تستمر باقية؟ على قولين، والله أعلم.

وفي الحديث من الفوائد غير ما سبق جواز سؤال العالم في حال قيامه ومشيه إذا كان لا يثقل ذلك عليه، وأدب الصحابة مع النبي ﷺ، والعمل بما يغلب على الظن، والتوقف عن الجواب بالاجتهاد لمن يتوقع النص، وأن بعض المعلومات قد استأثر الله بعلمه حقيقة، وأن الأمر يرد لغير الطلب، والله أعلم.

١٤ ـ باب {ولا تَجْهَرْ بصلاتكَ ولا تُخافتْ بها}

٤٧٢٢ ـ عن ابن عبّاسٍ رضيَ الله عنهما في قولِه تعالى {ولاَ تجهَرْ بصلاتكَ ولا تُخافت بها} قال: نَزَلت ورسولُ الله ﷺ مُختَفٍ بمكة كان إذا ﷺ بأصحابهِ رفعَ صَوتَهُ بالقرآن، فإذا سمعَ المشركون سبُّوا القرآنَ ومن أنزَلَهُ ومَن جاء به، فقال اللهُ تعالى لنبيِّه ﷺ {ولا تجهَر بصلاتِك} أي بقراءتك فيسمعَ المشركون فيَسُبُّوا القرآن {ولا تُخافِت بها} عن أصحابِك فلا تُسمِعُهم {وابتَغِ بينَ ذلكَ سبيلا}».

[الحديث ٤٧٢٢ - اطرافه في: ٧٤٩٠، ٧٥٢٥، ٧٥٤٧]

٤٧٢٣ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «أُنزلَ ذلك في الدُّعاء».

[الحديث ٤٧٢٣ - طرفاه في: ٦٣٢٧، ٧٥٢٦]

قوله (نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة) يعنى في أول الإسلام.

قوله (رفع صوته بالقرآن) وللطبري من وجه آخر عن سعيد بن جبير «فقالوا له لا تجهر فتؤذي آلهتنا فنهجوا إلهك».

قوله (ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك) أي لا تعلن بقراءة القرآن إعلانا شديداً فيسمعك المشركون فيؤذونك، «ولا تخافت بها» أي لا تخفض صوتك حتى لا تسمع أذنيك «وابتغ بين ذلك سبيلا» أي طريقاً وسطا.

وقال الطبري: لولا أننا لا نستجيز مخالفة أهل التفسير فيما جاء عنهم لا حتمل أن يكون المراد {لا تجهر بصلاتك} أي بقراءتك نهاراً {ولا تخافت بها} أي ليلا، وكان ذلك وجهاً لا يبعد من الصحة، انتهى، وقد أثبته بعض المتأخرين قولا، وقيل: الآية في الدعاء، وهي منسوخة بقوله {ادعوا ربكم تضرعا وخفية}.

(١٨) سورةُ الكهْف

وقال مجاهدٌ {تقرِضُهم} تَترُكُهم، {وكان له ثمر}: ذهبٌ وفِضّةٌ، وقال غيرهُ: جماعةُ الثمر، {باخِعٌ}: مُهلِك، {أسَفاً}: نَدَماً، {الكهف}: الفتح في الجبل، {والرَّقيم}: الكتابِ،

{مرقوم}: مكتوب، من الرَّقْم. {رَبَطنا على قُلُوبهم} ألهمناهُم صَبراً. {لولا أن ربَطنا على قلبها}، {شَطَطا}: إفراطاً، {الوَصيد}: الفِناء، جمعهُ وصائد ووُصُدٌ، ويقال: الوَصيد الباب، {مُؤصَدة}: مُطبَقة، آصَدَ الباب وأوصد، {بَعَثناهم} أحييناهم، {أزكى}: أكثر، ويقال: أحلُّ، ويقال: أكثرُ رَيعاً، قال ابنُ عباسٍ: أُكُلَها، ولم {تَظلِم} لم تَنقص، وقال سعيد عن ابن عباسٍ: {الرَّقيم} اللوحُ من رَصاص، كتبَ عاملهم أسماءهم ثمَّ طرَحه في خِزانته، {فضربَ اللهُ على آذانهم}: فناموا، وقال غيرهُ: وألَت تَئل تنجو، وقال مجاهد: {مَوئِلاً} مَحرِزاً. {لا يستطيعون سمعا}: لا يَعقلون.

١ - باب {وكان الإنسانُ أكثر شيءٍ جَدَلا}

٤٧٢٤ - عن علي رضيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ طرقهُ وفاطمةَ قال: ألا تُصلِّيان». {رَجماً بالغيب}: لم يَستَبِن. {فُرُطاً} نَدَماً، {سُرادِقُها} مثلُ السُّرادقِ، والحجرةِ التي تُطيف بالفساطيط، {يُحاورُهُ} من المُحاوَرَة {لكنَّا هوَ اللهُ ربِّي} أي لكن أنا هو اللهُ ربِّي، ثم حذفَ الألف وأدغمَ إحدى النونين في الأخرى {وفجَّرنا خِلالهما نهرا} تقول بينهما نهراً، {زَلَقاً} لا يَثبتُ فيه قدم، {هنالك الوَلاَيَةُ} مصدرُ وَلي الوليَّ ولاءٍ، {عُقُباً} عاقبة، وعقبى وعُقبة واحد وهي الآخرة، {قِبَلاً} وقُبُلا وقَبَلا: استئنافاً، {ليُدحِضوا}: ليُزيلوا، الدَّحض الزَّلَق.

قوله (باب وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) ذكر فيه حديث علي مختصرا. وقد تقدم شرحه مستوفى في صلاة الليل[١].

قوله (فرطاً ندما) وقال أبو عبيدة في قوله {وكان أمره فرطا} أي تضييعا وإسرافا، وللطبري عن مجاهد قال ضياعا.

٢ - باب {وإذ قال موسى لفتاهُ لا أبرَحُ حتى أبلُغَ مجمعَ البحرَينِ أو أمضيَ حُقُبا}

زماناً، وجمعهُ أحقاب

٤٧٢٥ - عن سعيد بن جُبَيرٍ قال: «قلتُ لابن عباسٍ: إنَّ نوفاً البِكاليَّ يزعمُ أن موسى صاحبَ الخَضرِ ليس هو موسى صاحبَ بني إسرائيلَ. فقال ابنُ عباس: كذَبَ عدوُّ الله، حدَّثني أُبيُّ بن كعب أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: إنَّ موسى قام خطيباً في بني إسرائيلَ، فسُئلَ: أيُّ الناسِ أعلمُ؟ فقال: أنا، فعتَبَ اللهُ عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ إليه، فأوحى اللهُ إليه إنَّ لي عبداً بمَجمَع البحرَين هو أعلمُ منك، قال موسى: يا ربِّ فكيف لي به؟ قال: تأخذُ معك حُوتاً فتجعله في مِكتَلٍ، فحيثما فقدتَ الحوتَ فهو ثَمَّ، فأخذَ حُوتاً فجعلهُ في

(١) كتاب التهجد باب / ٥ ح ١١٢٧ - ١ / ٥٧٤.

مِكتَلٍ ثم انطلَقَ، وانطلَقَ معه بفتاهُ يوشَعَ بن نُونٍ، حتى إذا أتيا الصخرةَ وضَعا رءوسهما فناما، واضطرَبَ الحوتُ في المِكتَلِ فخرَجَ منه فسقطَ في البحر، فاتخذَ سبيلَهُ في البحرِ سرَبا، وأمسكَ اللهُ عنِ الحوتِ جِريةَ الماء فصارَ عليه مثلَ الطاقِ، فلما استيقظَ نَسيَ صاحبُهُ أن يُخبِرَهُ بالحوت، فانطلَقَا بَقيةَ يومِهما وليلَتِهما، حتى إذا كان منَ الغَدِ قال موسى لفَتاهُ: آتِنا غَداءَنا لقد لَقِينا من سفرِنا هذا نَصَباً، قال: ولم يَجد موسى النَّصَبَ حتى جاوزا المكانَ الذي أمرَ اللهُ به، فقال له فَتاهُ: أرأيتَ إذ أوَينا إلى الصخرةِ فإنيِّ نسيتُ الحوتَ وما أنسانيه إلا الشيطانُ أن أذكُرَه، واتخذَ سبيلَهُ في البحرِ عجباً، قال: فكان للحوت سَرَباً، ولموسى ولفَتاهُ عَجَباً، فقال موسى: ذلكَ ما كنّا نبغي، فارتدّا على آثارِهما قَصَصا، قال: رَجعا يَقُصّانِ آثارَهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجُلٌ مُسجّى ثَوباً، فسلَّم عليه موسى فقال الخَضِرُ: وأنّى بأرضِكَ السلامُ، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟، قال: نعم، أتيتُكَ لتُعلِّمني مما عُلِّمتَ رشدا، قال: إنك لن تستطيعَ معيَ صَبرا، يا موسى إني على علمٍ من علم الله علّمَنيه لا تعلمَهُ أنت، وأنتَ على علمٍ من علم اللهِ علّمكَ اللهُ لا أعلمهُ، فقال موسى: ستَجدُني إن شاء اللهُ صابراً ولا أعصي لك أمراً: فقال له الخَضِر: فإنْ اتَّبعتَني فلا تسألني عن شيءٍ حتى أُحدثَ لكَ منه ذِكرا، فانطلَقا يمشيان على ساحل البحر، فمرَّت سفينة، فكلموهم أن يَحمِلوهم، فعرَفوا الخَضِرَ فحملوهُ بغيرِ نَوْلٍ، فلمَّا ركِبا في السفينةِ لم يَفجأ إلا والخَضِرُ قد قَلَعَ لوحاً من ألواحِ السَّفينةِ بالقَدوم، فقال له موسى: قومٌ حَملونا بغير نولٍ، عمدتَ إلى سَفينتهم فخرَقتَها لتُغرِقَ أهلَها، لقد جئتَ شيئاً إمراً، قال: ألم أقُل لكَ إنكَ لن تَستَطيعَ معيَ صبراً؟ قال: لا تُؤاخِذني بما نسيتُ، ولا تُرهِقني من أمري عُسْراً، قال: وقال رسولُ اللهِ ﷺ: وكانتِ الأولى من موسى نِسياناً، قال: وجاء عُصفورٌ فوقعَ على حرفِ السَّفينةِ فنَقَرَ في البحر نَقرةً، فقال له الخضِرُ: ما عِلمي وعلمُك مِن علم الله إلا مثلُ ما نقصَ هذا العُصفور من هذا البحر، ثم خَرجا منَ السفينة، فبينما هما يَمشيانِ على الساحلِ إذ أبصرَ الخَضِرُ غلاماً يَلعبُ معَ الغلمانِ، فأخذ الخَضِرُ رأسَهُ بيدهِ فاقتَلَعَهُ بيدهِ فقتَلَه، فقال له موسى: أقتلتَ نفساً زاكيةً بغير نفس؟ لقد جئتَ شيئاً نُكرا، قال: ألم أقُل لكَ إنكَ لن تستطيعَ معيَ صبراً؟ قال: وهذه أشدُّ منَ الأولى، قال: إن سألتُكَ عن شيءٍ بعدَها فلا تُصاحِبْني، قد بَلغتَ من لَدُنّي عُذراً، فانطلقا، حتى إذا أتَيا أهلَ قريةٍ استَطعَما أهلها، فأبَوا أن يضيّفوهما، فوجدا فيها جِداراً يريد أن يَنقضَّ - قال: مائلٌ - فقام الخضرُ فأقامَهُ بيده، فقال موسى: قومٌ أتَيناهم فلم يُطعِمونا، ولم يُضَيِّفونا، لو شئتَ لا تخذتَ عليهِ أجراً، قال: هذا فِراقُ بَيني وبَينك - إلى قوله - ذلك تأويلُ ما لم تَسطِع عليهِ صَبراً، فقال رسولُ اللهِ

ﷺ: وددْنا أنَّ موسى كان صبرَ حتى يَقُصَّ اللهُ علينا من خبرهما، قال سعيدُ بن جبيرٍ: فكان ابن عباسٍ يَقرأ {وكان أمامهم ملكٌ يأخذ كل سفينةٍ - صالحةٍ - غَصبا} وكان يقرأ {وأما الغلامُ فكان - كافراً وكان - أبواه مؤمنَين}».

قوله (باب قوله[1]: وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين) اختلف في مكان مجمع البحرين، فروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: بحر فارس والروم.

قال ابن عطية: مجمع البحرين ذراع في أرض فارس من جهة أذربيجان يخرج من البحر المحيط من شماليه إلى جنوبيه وطرفيه مما يلي بر الشام، وقيل هما بحر الأردن والقلزم، وقال محمد بن كعب القرظي: مجمع البحرين بطنجة. كما قال السهيلي: اجتمع البحران بمجمع البحرين.

قوله (أو أمضي حقبا زمانا، وجمعه أحقاب) هو قول أبي عبيدة قال: ويقال فيه أيضاً حقبه أي بكسر أوله والجمع حقب، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: الحقب الزمان، وعن ابن عباس: الحقب الدهر.

٣ - باب {فلما بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيا حُوتَهُما، فاتخذَ سَبيلهُ في البحرِ سَرَبا}

مذهبا يُسرُبُ: يَسلك، ومنه {وساربٌ بالنهار}

٤٧٢٦ - عن سعيدِ بن جُبيرٍ قال: «إنَّا لعندَ ابن عباسٍ في بيتهِ إذ قال: سَلوني، قلتُ: أي أبا عبّاسٍ، جَعلني اللهُ فداءَك، بالكوفةِ رجلٌ قاصٌّ يقال له نَوفٌ يَزعمُ أنه ليس بموسى بني إسرائيل، أما عمروٌ فقال لي: قال: قد كذَبَ عدوُّ الله: وأما يَعلى فقال لي: قال ابنُ عباس: حدَّثني أبيُّ بن كعبٍ قال قال رسولُ الله ﷺ: موسى رسولُ الله عليه السلامُ قال: ذكَّرَ الناسَ يوماً، حتى إذا فاضتِ العيونُ ورقَّتِ القلوب ولَّى، فأدركهُ رجلٌ فقال: أي رسولَ الله، هل في الأرض أحدٌ أعلم منك؟ قال: لا، فعتَبَ عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ إلى الله، قيل: بَلى، قال: أي ربِّ فأينَ؟ قال: بمجمع البحرَين، قال: أي ربِّ اجعَلْ لي علماً أعلمُ ذلكَ منه، فقال لي عمروٌ: قال حيثُ يُفارقُكَ الحُوت، وقال لي يَعلى قال: خُذ نُوناً ميِّتاً حيث يُنفَخُ فيه الرُّوح، فأخذَ حُوتاً فجعلهُ في مِكتَل، فقال لفتاهُ: لا أكلِّفكَ إلا أن تخبرَني بحيثُ يُفارقُكَ الحوتُ، قال: ما كلَّفتَ كثيرا، فذلك قوله جلَّ ذِكرهُ {وإذ قال موسى لفَتاهُ} يُوشعَ بن نونٍ - ليست عن سعيد - قال: فبينا هوَ في ظلِّ صخرةٍ في مكان ثَرْيانَ إذا تَضرَّبَ الحوتُ وموسى نائم؛ فقال فتاهُ: لاأوقظهُ، حتى إذا استيقظ نَسِيَ أن يُخبرَه، وتَضرَّبَ الحوتُ حتى دخلَ

---

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".

البحرَ، فأمسكَ اللهُ عنه جِريةَ البحرِ حتى كأنَّ أثرَهُ في حجَر، قال لي عمروٌ: هكذا كان أثرُهُ في حجَر - وحَلَّقَ بين إبهامَيه واللَّتينِ تليانهما - {لقد لَقينا من سَفَرِنا هذا نَصَبا} قال قد قطعَ اللهُ عنكَ النَّصَبَ - ليست هذه عن سعيد - أخبرَهُ، فرجَعا، فوجَدا خَضِراً، قال لي عثمانُ بن أبي سليمانَ: على طِنْفِسةٍ خضراء عَلى كَبِدِ البحر، قال سعيدُ بن جبير: مُسَجّى بثوبِهِ قد جعلَ طَرَفَهُ تحتَ رِجلَيه وطرَفَهُ تحت رأسِه، فسلَّمَ عليهِ موسى، فكشفَ عن وجهِهِ وقال: هل بأرضي مِن سَلامٍ؟ مَن أنتَ؟ قال: أنا موسى، قال: موسى: بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: فما شأنُكَ؟ قال: جئتُ لتعلِّمني مما علِّمت رشدا، قال: أما يكفيكَ أنَّ التوراةَ بيدَيك، وأنَّ الوحيَ يأتيك؟ يا موسى، إنَّ لي علماً لا يَنبغي لكَ أن تَعلمَهُ، وإن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمهُ، فأخذ طائرٌ بمنقارِهِ من البحر، فقال: واللهِ ما علمي وما علمُك في جنب علم اللهِ إلا كما أخذَ هذا الطائرُ بمنقارِهِ من البحر، حتى إذا ركبا في السفينة وَجدا مَعابرَ صغاراً تحملُ أهلَ هذا الساحلِ إلى أهل هذا الساحلِ الآخرِ عرَفوه، فقالوا: عبدُ الله الصالح - قال قلنا لِسعيد: خَضِرٌ؟ قال: نعم - لا نحملهُ بأجر، فخرَقَها ووَتدَ فيها وَتِدا، قال موسى: أخَرَقْتَهَا لتُغرقَ أهلها؟ لقد جئتَ شيئاً إمراً - قال مجاهد: منكَراً - قال: ألم أقُل إنكَ لن تَستطيعَ معيَ صبرا؟ كانت الأولى نِسياناً والوُسطى شرطاً والثالثة عَمداً، قال لا تُؤاخذني بما نَسيتُ ولا تُرهقْني من أمري عُسرا، لقيا غلاماً فقتَلَه، قال يعلي: قال سعيد: وجدَ غِلماناً يَلعبون، فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فأضجَعَهُ ثم ذَبَحهُ بالسِّكِّين، قال: أقتلتَ نفساً زكيةً بغير نفسٍ - لم تَعمل بالحِنث، وكان ابنُ عباسٍ قرأها زكيةً زاكية مسلمة كقولكَ غُلاماً زكيّاً فانطلقا فوَجدا جِداراً يُريدُ أن يَنقَضَّ فأقامَه، قال سعيدٌ بيده هكذا ورفَعَ يدَهُ فاستَقام، قال يَعلى حَسِبتُ أن سعيداً قال: فمسحَهُ بيدِهِ فاستقام، لو شئتَ لاتخَذتَ عليه أجراً، قال سعيد: أجراً نأكلهُ، وكان وراءهم، وكان أمامَهم -قرأها ابن عباس أمامهم- مَلِكٌ، يزعمون عن غيرِ سعيد أنه هُدَد بن بُدَد، والغلامُ المقتول اسمه يَزعمون حيسور، مَلِكٌ يأخذُ كل سفينةٍ غَصباً، فأردتُ إذا هي مرَّت به أن يَدَعَها لِعَيبِها، فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها، ومنهم مَن يقول سَدُّوها بقارورةٍ، ومنهم من يقول بالقار، كان أبواهُ مؤمنَينِ وكان كافراً، فَخشينا أن يرهقهما طُغياناً وكفرا: أن يَحملَهما حبّه على أن يُتابعاهُ على دينه، فأردْنا أن يُبدِّلَهما ربُّهما خيراً منه زكاةً وأقربَ رُحما لقوله أقتلت نفساً زكيةً وأقربَ رُحماً: هما به أرحمُ منهما بالأول الذي قتلَ خَضِرٌ، وزعم غيرُ سعيد أنهما أُبدِلا جارية، وأما داودُ بن أبي عاصم فقال عن غيرِ واحد: إنها جارية».

قوله (فاتخذ سبيله في البحر سربا: مذهبا، يسرب يسلك، ومنه: وسارب بالنهار) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {فاتخذ سبيله في البحر سربا} أي مسلكا ومذهبا يسرب فيه،

وفي آية أخرى {وسارب بالنهار} وقال أيضاً في قوله {وسارب بالنهار}: سالك في سربه أي مذهبه: ومنه أصبح فلان آمنا في سربه، ومنه انسرب فلان إذا مضى.

قوله (إذ قال سلوني) فيه جواز قول العالم ذلك، ومحله إذا أمن العجب أودعت الضرورة إليه كخشية نسيان العلم.

قوله (أي أبا عباس) هي كنية عبد الله بن عباس،.

قوله (جعلني الله فداءك) فيه حجة لمن أجاز ذلك خلافاً لمن منعه، وسيأتي البحث في في كتاب الأدب[١].

قوله (إن بالكوفة رجلاً قاصا[٢]) والقاص بتشديد المهملة الذي يقص على الناس الأخبار من المواعظ وغيرها.

قوله (أما عمرو) ابن دينار (قال لي كذب عدو الله) وقوله كذب وقوله عدو الله محمولان على إرادة المبالغة في الزجر والتنفير عن تصديق تلك المقالة، وقد كانت هذه المسألة دارت أولا بين ابن عباس والحر بن قيس الفزار وسألا عن ذلك أبيّ بن كعب، لكن لم يفصح في تلك الرواية ببيان ما تنازعا فيه، وقد تقدم بيان ذلك في كتاب العلم[٣].

قوله (حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب) فيه أن الواعظ إذا أثر وعظه في السامعين فخشعوا وبكوا ينبغي أن يخفف لئلا يملوا.

قوله (أعلم ذلك به)[٤] أي المكان الذي أطلب فيه.

قوله (قال حيث يفارقك الحوت) يعني فهو ثم، وقع ذلك مفسراً في رواية سفيان عن عمرو قال: «تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل، فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم» ونحوه في قصة الحر بن قيس ولفظه «وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه».

قوله (إذا تضرب الحوت) وهو تفعل من الضرب في الأرض وهو السير، وفي رواية سفيان «واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر».

قوله {لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا} وفي رواية سفيان المذكورة «ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به».

قوله (فرجعا فوجدا خضرا) في رواية سفيان «فقال موسى {ذلك ما كنا نبغ} أي نطلب» وفي رواية للنسائي «هذه حاجتنا» وذكر موسى ما كان الله عهد إليه يعني في أمر الحوت.

---

(١) كتاب الأدب باب / ١٠٤ ح ٦١٨٥ - ٤ / ٥٠١.
(٢) رواية الباب واليونينية "بالكوفة رجل قاص".
(٣) كتاب العلم باب / ١٦ ح ٤٧ - ١ / ٩٤.
(٤) الذي في رواية الباب "أعلم ذلك منه" واليونينية توافق الشرح.

قوله (فوجدا خضرا) تقدم ذكر نسبه وشرح حاله في أحاديث الأنبياء[(١)]، وفي رواية سفيان «حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل»، وزعم الداودي أن هذه الرواية وهم وأنهما إنما وجداه في جزيرة البحر، قلت: ولا مغايرة بين الروايتين، فإن المراد أنهما لما انتهيا إلى الصخرة تتبعاه إلى أن وجداه في الجزيرة.

قوله (قال لي عثمان بن أبي سليمان على طِنْفِسَةٍ خَضراءَ) والطنفسة فرش صغير.

قوله (قال سعيد بن جبير مسجًّى بثوبه) وقد تقدم في أحاديث الأنبياء حديث أبي هريرة رفعه «إنما سمي الخَضِر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء» والمراد بالفروة وجه الأرض.

قوله (فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه) في رواية أبي إسحق عند مسلم «فقال: السلام عليكم، فكشف الثوب عن وجهه وقال: وعليكم السلام».

قوله (وقال هل بأرضي من سلام) وفي رواية سفيان «قال وأنَّى بأرضك السلام» وهي بمعنى أين أو كيف، وهو استفهام استبعاد يدل على أن أهل تلك الأرض، لم يكونوا إذ ذاك مسلمين، ويجمع بين الروايتين بأنه استفهمه بعد أن رد عليه السلام.

قوله (جئتُ لتعلّمني مما علمتَ رُشدا) قرأ أبو عمر بفتحتين والباقون كلهم بضم أوله وسكون ثانية، والجمهور على أنهما بمعنى كالبخل والبخل، وقيل بفتحتين: الدين، وبضم ثم سكون: صلاح النظر.

قوله (يا موسى إن لي علماً لا ينبغي لك أن تعلمه) أي جميعه (وإن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه) أي جميعه، وتقدير ذلك متعين لأن الخضر كان يعرف من الحكم الظاهر ما لا غنى بالمكلف عنه، وموسى كان يعرف من الحكم الباطن ما يأتيه بطريق الوحي.

قوله في رواية سفيان (قال إنك لن تستطيع معي صبرا) كذا أطلق بالصيغة الدالة على استمرار النفي لما أطلعه الله عليه من أن موسى لا يصبر على ترك الإنكار إذا رأى ما يخالف الشرع، لأن ذلك شأن عصمته ولذلك لم يسأله موسى عن شيء من أمور الديانة بل مشى معه ليشاهد منه ما اطلع به على منزلته في العلم الذي اختص به، وقوله «وكيف تصبر» استفهام عن سؤال تقديره: لم قلت إني لا أصبر وأنا سأصبر، قال: كيف تصبر؟ وقوله «ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك» قيل استثنى في الصبر فصبر ولم يستثن في العصيان فعصاه، وفيه نظر، وكأن المراد بالصبر أنه صبر عن اتباعه والمشي معه وغير ذلك، لا الإنكار عليه فيما يخالف ظاهر الشرع.

قوله (فأخذ طائر بمنقاره) تقدم شرحه في كتاب العلم، وظاهر هذه الرواية أن الطائر نقر

(١) كتاب الأنبياء باب / ٢٧ ح ٣٤٠١ - ٣ / ٥٣.

في البحر عقب قول الخضر لموسى ما يتعلق بعلمهما، ورواية سفيان تقتضي أن ذلك وقع بعد ما خرق السفينة، ولفظه «كانت الأولى من موسى نسيانا» قال: «وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر الخ» فيجمع بأن قوله فأخذ طائر بمنقاره معقب بمحذوف وهو ركوبهما السفينة لتصريح سفيان بذكر السفينة، وروى النسائي من وجه آخر عن ابن عباس أن الخضر قال لموسى: «أتدري ما يقول هذا الطائر؟ قال: لا. قال: يقول ما علمكما الذي تعلمان في علم الله إلا مثل ما أنقص بمنقاري من جميع هذا البحر».

قوله (بأجر) أي أجرة، وفي رواية سفيان «فحملوا بغير نَوْل» وهو الأجرة.

قوله (لقد جئت شيئاً إمرا، قال مجاهد: مُنْكَراً) وروى ابن أبي حاتم من طريق خالد بن قيس عن قتادة في قوله {إمرا} قال: عجبا.

وفي رواية الربيع بن أنس عند ابن أبي حاتم «أن موسى لما رأى ذلك امتلأ غضبا وشد ثيابه وقال: أردت إهلاكهم، ستعلم أنك أو هالك، فقال له يوشع: ألا تذكر العهد؟ فأقبل عليه الخضر فقال: ألم أقل لك؟ فأدرك موسى الحلم فقال: لا تؤاخذني، وإن الخضر لما خلصوا قال لصاحب السفينة: إنما أردت الخير، فحمدوا رأيه، وأصلحها الله على يده».

قوله (وجد غلمانا يلعبون، فأخذ غلاماً كافراً ظريفا) في رواية أخرى عن ابن جريج عند عبد بن حميد «غلاماً وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين» وفي رواية سفيان «فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله» وفي روايته في الباب الذي يليه «فقطعه» ويجمع بينهما بأنه ذبحه ثم اقتلع رأسه.

قوله (قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لم تعمل[1] الحنث) وقوله «لم تعمل» تفسير لقوله «زكية» والتقدير: أقتلت نفساً زكية لم تعمل الحنث بغير نفس.

قوله (فانطلقا فوجدا جدارا) في رواية سفيان «فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية» وفي رواية أبي إسحق عند مسلم «أهل قرية لئاما».

قوله (فأردت إذا هي مرت به أن يدعها لعيبها) في رواية النسائي «فاردت أن أعيبها حتى لا يأخذها».

قوله (فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها) في رواية النسائي «فإذا جاوزوه وقعوها فانتفعوا بها وبقيت لهم».

قوله (ومنهم من يقول سدوها بقارورة، ومنهم من يقول بالقار) أما القار فهو بالقاف وهو الزفت.

---

(١) رواية الباب واليونينية "..... لم تعمل بالحنث".

ووقع في رواية مسلم «وأصلحوها بخشبة» ولا إشكال فيها.

قوله (كان أبواه مؤمنين وكان كافرا) يعني الغلام المقتلول، في رواية سفيان «وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً، وكان أبواه قد عطفا عليه».

قوله (وزعم غير سعيد أنهما أبدلا جارية) هو قول ابن جريج، وللنسائي من طريق أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس «فأبدلهما ربهما خيراً منه زكاة قال: أبدلهما جارية فولدت نبياً من الأنبياء».

وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم: استحباب الحرص على الازدياد من العلم، والرحلة فيه، ولقاء المشايخ وتجشم المشاق في ذلك، والاستعانة في ذلك بالأتباع، وإطلاق الفتى على التابع، واستخدام الحر، وطواعية الخادم لمخدومه وعذر الناسي، وقبول الهبة من غير المسلم، واستدل به على أن الخضر نبي لعدة معان قد نبهت عليها فيما تقدم كقوله {وما فعلته عن أمري} وكاتباع موسى رسول الله له ليتعلم منه، وكإطلاق أنه أعلم منه، وكإقدامه على قتل النفس لما شرحه بعد وغير ذلك، وأما من استدل به على جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما، والإغضاء على بعض المنكرات مخافة أن يتولد منه ما هو أشد، وإفساد بعض المال لإصلاح معظمه كخصاء البهيمة للسمن وقطع أذنها لتتميز، ومن هذا مصالحة ولي اليتيم السلطان على بعض مال اليتيم خشية ذهابه بجميعه فصحيح، لكن فيما لا يعارض منصوص الشرع، فلا يسوغ الإقدام على قتل النفس ممن يتوقع منه أن يقتل أنفساً كثيرة قبل أن يتعاطى شيئاً من ذلك. وإنما فعل الخضر ذلك لاطلاع الله تعالى عليه.

وقال ابن بطال: قول الخضر وأما الغلام فكان كافراً هو باعتبار ما يئول إليه أمره أن لوعاش حتى يبلغ، واستحباب مثل هذا القتل لا يعلمه إلا الله، ولله أن يحكم في خلقه بما يشاء قبل البلوغ وبعده انتهى.

ويحتمل أن يكون جواز تكليف المميز قبل أن يبلغ كان في تلك الشريع فيرتفع الإشكال، وفيه جواز الإخبار بالتعب ويلحق به الألم من مرض ونحوه، ومحل ذلك إذا كان على غير سخط من المقدور، وفيه أن المتوجه إلى ربه يعان فلا يسرع إليه النصب والجوع، بخلاف المتوجه إلى غيره كما في قصة موسى في توجهه إلى ميقات ربه وذلك في طاعة ربه فلم ينقل عنه أنه تعب ولا طلب غداء ولا رافق أحدا، وأما في توجهه إلى مدين فكان في حاجة نفسه فأصابه الجوع، وفي توجهه إلى الخضر لحاجة نفسه أيضاً فتعب وجاع، وفيه جواز طلب القوت وطلب الضيافة، وفيه قيام العذر بالمرة الواحدة وقيام الحجة بالثانية.

وفيه حسن الأدب مع الله وأن لا يضاف إليه ما يستهجن لفظه وإن كان الكل بتقديره وخلقه لقول الخضر عن السفينة {فأردت أن أعيبها} وعن الجدار {فأراد ربك} ومثل هذا قوله

ﷺ «والخير بيدك، والشر ليس إليك».

٤ - باب {فلمَّا جاوَزا قال لفَتَاهُ آتنَا غَداءَنا لقد لَقينا من سَفرِنا هذا نَصَباً -إلى قوله- قصصا}

{صُنْعاً} عَمَلاً، {حِوَلاً} تَحَوُّلاً، قال: {ذلك ما كنَّا نَبْغِ، فارتدَّا على آثارِهما قَصًا}، {إمراً} {ونكراً}: داهية. {يَنقضَّ}: يَنقاضُ كما تنقاض السِّنُّ، {لَتَخذتَ} واتخذت واحد، {رُحماً} من الرُّحم وهي أشدُّ مبالغةً منَ الرحمة، ويظنُّ أنه منَ الرحيم، وتدعى مكة أمَّ رُحم، أي الرحمةُ تنزلُ بها.

باب {قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة}

٤٧٢٧ - عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ قال: «قلتُ لابن عباسٍ إنَّ نَوفاً البِكاليَّ يزعُم أن موسى بني إسرائيلَ ليس بموسى الخَضِر، فقال: كذَبَ عدوُّ الله، حدَّثنا أُبيُّ بن كعبٍ عن رسولِ الله ﷺ قال: قام موسى خطيباً في بني إسرائيلَ، فقيل له: أيُّ الناسِ أعلم؟ قال: أنا، فعتَبَ اللهُ عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ إليه، وأوحى إليه: بلى عبدٌ من عبادي بمجمع البحرَين هو أعلَمُ منك، قال أي ربِّ كيفَ السبيلُ إليه؟ قال تأخُذُ حوتاً في مِكتَل، فحيثما فقَدتَ الحوتَ فاتَّبِعهُ، قال فخرجَ موسى ومعهُ فَتاهُ يوشَعُ بن نونٍ ومعَهما الحوتُ، حتى انتهيا إلى الصخرةِ فنزَلا عندَها، قال فوضَعَ موسى رأسهُ فنام، قال سفيانُ: وفي حديث غير عمروٍ قال: وفي أصلِ الصخرةِ عينٌ يقال لها الحياةُ لا يُصيب من مائها شيءٌ إلا حَييَ فأصاب الحوتَ من ماء تلك العَين، قال: فتحرك وانسَلَّ من المِكتل فدخلَ البحر، فلما استيقَظَ موسى قال لفتاهُ: {آتنا غَداءنا}، الآية، قال: ولم يَجدِ النصب حتى جاوزَ ما أُمرَ به، قال له فتاهُ يوشَعُ بنُ نونٍ: {أرأيتَ إذ أوَينا إلى الصخرةِ فإني نَسيتُ الحوتَ}. الآية، قال: فرَجَعا يَقصَّان في آثارِهما، فوجَدا في البحرِ كالطاقِ مَمرَّ الحوت، فكانَ لفتاهُ عجباً، وللحوتِ سَرَبا، قال فلما انتهيا إلى الصخرة إذ هما برجُلٍ مُسَجَّى بثَوبٍ، فسلَّمَ عليه موسى، قال: وأنَّى بأرضكَ السلامُ؟ فقال: أنا موسى، قال موسى بني إسرائيلَ؟ قال: نعم، قال: هل أتَّبِعُكَ على أن تُعلِّمني مما عُلِّمتَ رشدا؟ قال له الخَضِرُ: يا موسى، إنكَ على علمٍ من علم الله عَلَّمكَهُ اللهُ لا أعلمهُ، وأنا على علمٍ من علم الله علمنيهِ الله لا تَعلمهُ. قال: بل أتَّبِعُك. قال: فإن اتَّبعتَني فلا تسألني عن شيءٍ حتى أُحدثَ لكَ منه ذِكرا. فانطلَقا يمشيانِ على الساحلِ، فمرَّت بهما سفينةٌ، فعُرِفَ الخَضِرُ فحملوهم في سفينتهم بغير نَولٍ - يقولُ بغير أجرٍ - فركبا السفينةَ، قال: ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقارَهُ في البحر؛ فقال الخضرُ لموسى: ما علمك وعلمي وعلم الخلائقِ في علم الله إلا مِقدار ما غَمسَ هذا

العُصفور مِنقارَه قال فلم يَفجأ موسى إذ عمدَ الخضرُ إلى قَدُومٍ فخرَق السفينةَ، فقال له موسى: قومٌ حَملونا بغيرِ نَولٍ عمدتَ إلى سفينتهم فخرَقتها لتغرِقَ أهلَها {لقد جئتَ} الآية، فانطَلقا، إذا هما بغُلام يَلعبُ معَ الغلمان، فأخذَ الخَضِرُ برأسهِ فقطَعَهُ، قال له موسى: أقتَلتَ نفساً زكيةً بغير نفس؟ لقد جئتَ شيئاً نكراً قال ألم أقل لكَ إنكَ لن تستطيعَ معيَ صَبرا - إلى قوله - فأبوا أن يُضيِّفوهما، فوجدا فيها جِداراً يُريدُ أن ينقضَّ، فقال بيدِهِ هكذا فأقامه، فقال له موسى: إنا دخلنا هذه القريةَ فلم يُضيفونا، ولم يُطعمونا، لو شئتَ لاتخذتَ عليه أجراً، قال هذا فِراقُ بيني وبينِكَ، سأُنَبِّئُكَ بتأويلِ ما لم تستَطِعْ عليه صبرا. فقال رسولُ الله ﷺ: ودِدْنا أن موسى صبرَ حتى يُقَصَّ علينا من أمرهما، قال وكان ابنُ عباسٍ يَقرَأ: وكان أمامَهم مَلِكٌ يأخذُ كلَّ سفينةٍ صالحةٍ غصباً، وأما الغلامُ فكان كافراً».

قوله (ينقض يناقض كما ينقاض السن) وهو قول أبي عبيدة قال: في قوله {يريد أن ينقض} أي يقع، يقال انقضت الدار إذا انهدمت.

٥ - باب {قُل هل نُنَبِّئُكُم بالأخسَرِينَ أعْمَالاً}

٤٧٢٨ - عن عمروٍ عن مُصعَبٍ قال: «سألتُ أبي {قل هل نُنَبِّئُكم بالأخسرينَ أعمالاً} همُ الحَرُورية؟ قال: لا همُ اليهودُ والنصارَى، أما اليهودُ فكذَّبوا محمداً ﷺ، وأما النصارى كفَروا بالجنة وقالوا لا طعامَ فيها ولا شراب، والحرورية الذين يَنقضونَ عهدَ اللهِ من بعدِ ميثاقه». وكان سعدٌ يسميهم الفاسقين.

قوله (باب قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) ذكر فيه حديث مصعب بن سعد «سألت أبي -يعني سعد بن أبي وقاص- عن هذه الآية.

قوله (هم الحرورية؟) نسبة إلى حروراء وهي القرية التي كان ابتداء خروج الخوارج على علي منها، ولابن مردويه من طريق حصين بن مصعب «لما خرجت الحرورية قلت لأبي: أهؤلاء الذين أنزل الله فيهم؟» وله من طريق القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل عن علي في هذه الآية قال: «أظن أن بعضهم الحرورية» وللحاكم من وجه آخر عن أبي الطفيل قال: «قال علي منهم أصحاب النهروان» وذلك قبل أن يخرجوا، وأصله عند عبد الرزاق بلفظ «قام ابن الكواء إلى علي فقال: ما الأخسرين أعمالا؟ قال: ويلك، منهم أهل حروراء» ولعل هذا هو السبب في سؤال مصعب أباه عن ذلك، وليس الذي قاله علي ببعيد، لأن اللفظ يتناوله وإن كان السبب مخصوصاً.

قوله (والحرورية الذين ينقضون الخ) في رواية النسائي «والحرورية الذين قال الله {ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل -إلى- الفاسقين} وقع عند ابن مردويه «أولئك هم

الفاسقون» والصواب «الخاسرون».

قوله (وكان سعد يسميهم الفاسقين) وفي رواية للحاكم «الخوارج قوم زغوا فأزاغ الله قلوبهم».

وقد روى ابن مردويه من طريق أبي عون عن مصعب قال: «نظر رجل من الخوارج إلى سعد فقال: هذا من أئمة الكفر، فقال له سعد: كذبت، أنا قاتلت أئمة الكفر، فقال له آخر: هذا من الأخسرين أعمالا، فقال له سعد: كذبت، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم» الآية، قال ابن الجوزي: وجه خسرانهم أنهم تعبدوا على غير أصل، فابتدعوا، فخسروا الأعمار والأعمال.

٦ - باب {أولئكَ الذّين كفروا بِآيَاتِ رَبِّهِم وَلِقائِه فَحَبِطَتْ أعمَالُهُم} الآية

٤٧٢٩ - عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجلُ العظيمُ السمين يوم القيامةِ لا يَزِنُ عندَ الله جناحَ بعوضة، وقال: اقرءوا {فلا نُقيمُ لهم يومَ القيامةِ وَزنا}».

قوله (الرجل العظيم السمين) في رواية ابن مردويه من وجه آخر عن أبي هريرة «الطويل العظيم الأكول الشروب».

(١٩) {كهيعص}

قال ابن عباس: {أبصِرْ بهم وأسمِعْ} اللهُ يقولهُ، وهمُ اليوم لا يَسمَعون ولا يُبصِرون. {في ضلالٍ مبين} يعني قوله {أسمِعْ بهم وأبصِرْ} الكفارُ يومئذٍ أسمعُ شيءٍ وأبصَرُهُ. {لأرجُمنَّكَ}: لأشتِمنَّك. و{رِئْياً}: مَنْظراً. وقال ابنُ عُيَينةَ {تَؤزُّهم أزاً}: تُزعِجُهم إلى المعاصي إزعاجا، وقال مجاهد: {إدّاً}: عِوَجَاً. قال ابن عباس {وِرْداً}: عِطاشاً. {أثاثاً}: مالا {إدّاً} قولاً عظيما. {رِكْزاً}: صَوتاً. {غَياً}: خُسراناً. {بُكِيّاً} جماعة باكٍ. {صِلِيّاً} صَلِيَ يَصْلَى. {نَدِيّاً} والنادي واحد: مَجْلِساً.

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم[١]- سورة كهيعص) روى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «كهيعص قسم، أقسم الله به، وهو من أسمائه» وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: هي اسم من أسماء القرآن.

قوله (وقال ابن عباس: أسمع بهم وأبصر الله يقوله، وهم اليوم لا يسمعون ولا يبصرون

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "بسملة وسورة...".

في ضلال مبين» يعني قوله {أسمع[(١)]بهم وأبصر} الكفار يومئذ أسمع شيء وأبصره) وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وعن عبد الرزاق عن قتادة {أسمع بهم وأبصر} يعني يوم القيامة، زاد الطبري من وجه آخر عن قتادة: سمعوا حين لا ينفعهم السمع، وأبصروا حين لا ينفعهم البصر.

قوله (وقال غيره بكيا جماعة باك) هو قول أبي عبيدة، وتعقب بأن قياس جمع باك بكاة مثل قاض وقضاة، وأجاب الطبري بأن أصله بكوا بالواو الثقيلة مثل قاعد وقعود فقلبت الواو ياء لمجيئها بعد كسرة.

ثم قال: يجوز أن يكون المراد بالبكي نفس البكاء، ثم أسند عن عمر أنه قرأ هذه الآية فسجد ثم قال: ويحك هذا السجود فأين البكاء؟ كذا قال، وكلام عمر يحتمل أن يريد الجماعة أيضاً أي اين القوم البكى.

١ ـ باب {وأنذِرهم يومَ الحَسْرة}

٤٧٣٠ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ «يُؤْتى بالموتِ كهيئةِ كبشٍ أملحَ، فيُنادِي منادٍ: يا أهل الجنة فيَشرئِبُّون ويَنظُرون، فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلُّهم قد رآه، ثم يُنادَي: يا أهلَ النار، فيَشرئِبون ويَنظُرون، فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلُّهم قد رآه، فيُذْبَح، ثم يقول: يا أهلَ الجنة، خُلودٌ فلا مَوت، ويا أهلَ النار، خلودٌ فلا موت، ثم قرأ {وأنذِرهم يومَ الحَسرةِ إذ قُضيَ الأمرُ وهم في غفلة -وهؤلاءِ في غفلةِ أهْلُ الدنيا- وهو لا يؤمنون}.

قوله (باب قوله عز وجل[(٢)]وأنذرهم يوم الحسرة) ذكر فيه حديث أبي سعيد في ذبح الموت، وسيأتي في الرقاق مشروحاً، وقوله فيه «فيشرئبون»، أي يمدون أعناقهم ينظرون، وقوله «أملح» قال القرطبي الحكمة في ذلك أن يجمع بني صفتي أهل الجنة والنار السواد والبياض.

٢ ـ باب {وما نَتَنَزَّلُ إلا بأمرِ ربِّك}

٤٧٣١ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ لجبريل: ما يَمنعُكَ أن تَزورَنَا أكثرَ مما تَزورُنَا؟ فنزلت {وما نتنزَّلُ إلا بأمر ربك، لهُ ما بينَ أيدِينا وما خَلفَنا}».

(١) رواية الباب واليونينية "أبصر بهم وأسمع".
(٢) رواية الباب واليونينية بدون "قوله عز وجل" وبدون التبويب في اليونينية.

قوله (باب قوله[١]: {وما نتنزل إلا بأمر ربك، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة «مابين أيدينا الآخرة، وما خلفنا الدنيا، وما بين ذلك ما بين النفختين».

قوله (قال النبي[٢] ﷺ لجبريل ما يمنعك أن زورنا) روى الطبري من طريق سماك بن حرب عن سعيد بن جبير كلاهما عن ابن عباس قال: «احتبس جبريل عن النبي ﷺ» وروى عبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق عكرمة قال: «أبطأ جبريل في النزول أربعين يوما، فقال له النبي ﷺ: يا جبريل ما نزلتَ حتى اشتقت إليك، قال: قال: أنا كنت أشوق إليك، ولكني مأمور، وأوحى الله إلى جبريل قل له {وما نتنزل إلا بأمر ربك}

(**تنبيه**): الأمر في هذه الآية معناه الإذن بدليل سبب النزول المذكور، ويحتمل الحكم أي نتنزل مصاحبين لأمر الله عباده بما أوجب عليهم أو حرم، ويحتمل أن يكون المراد ما هو أعم من ذلك عند من يجيز حمل اللفظ على جميع معانيه.

٣ ـ باب {أفرأيتَ الذي كَفَرَ بآياتنا وقال لأُوتَيَنَّ مالاً ووَلَداً}

٤٧٣٢ ـ عن مَسروقٍ قال: «سمعتُ خَبّاباً قال: جئتُ العاصَ بن وائلٍ السهميَّ أتقاضاهُ حَقّاً لي عندَه، فقال: لا أُعطِيكَ حتى تكفُرَ بمحمدٍ ﷺ. فقلتُ لا، حتى تموتَ ثم تُبعَث، قال: وإني لَميتٌ ثم مبعوث؟ قلتُ: نعم. قال: إنَّ لي هناك مالاً وولَداً فأقضيكَ، فنزلَت هذه الآية {أفرأيتَ الذي كفرَ بآياتِنا وقال: لأُوتَيَنَّ مالا وولدا}».

قوله (جئت العاص بن وائل السهمي) هو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور، وكان له قدر في الجاهلية ولم يوفق للإسلام، قال ابن الكلبي: كان من حكام قريش، وقد تقدم في ترجمة عمر بن الخطاب أنه أجار عمر بن الخطاب حين أسلم. وقد أخرج الزبير بن بكار هذه القصة مطولة وفيها «أن العاص بن وائل قال: رجل اختار لنفسه أمراً، فما لكم وله؟ فرد المشركين عنه» وكان موته بمكة قبل الهجرة، وهو أحد المستهزئين.

قوله (فقلت لا) أي لا أكفر.

قوله (حتى تموت ثم تبعث) مفهومه أنه يكفر حينئذ لكنه لم يرد ذلك لأن الكفر حينئذ لا يتصور، فكأنه قال لا أكفر أبداً. والنكتة في تعبيره بالبعث تعيير العاص بأنه لا يؤمن به.

٤ ـ باب {أطّلَعَ الغَيْبَ أمِ اتَّخذَ عنْدَ الرَّحمَن عَهْداً} قال: مَوْثقاً

٤٧٣٣ ـ عن خَبّابٍ قال: «كنتُ قَيناً بمكةَ فعملتُ للعاصي بن وائل السهميِّ سيفاً، فجئتُ أتقاضاه، فقال: لا أُعطِيكَ حتى تكفرَ بمحمدٍ، قلت لا أكفر بمحمد ﷺ حتى يُميتَكَ

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) رواية الباب واليونينية "قال رسول الله ﷺ...".

اللهُ ثم يُحيِيك. قال: إذا أماتَني الله ثم بَعثَني ولي مالٌ وولَد، فأنزلَ الله {أفرأيتَ الذي كفرَ بآياتنا وقال: لأوتَيَنَّ مالا وولدا، أطّلعَ الغيبَ، أم اتخذَ عند الرحمن عهدا} قال: مَوثقا. لم يَقل الأشجعيُّ عن سفيان «سيفاً» ولا «مَوثقاً».

٥ ـ باب {كلاَّ سَنَكْتُبُ ما يقول، ونَمُدُّ له منَ العذابِ مَدّاً}

٤٧٣٤ ـ عن خَبّابٍ قال: «كنت قَيناً في الجاهليةِ وكان لي دَين على العاص بن وائلٍ، قال فأتاهُ يتقاضاهُ فقال: لا أُعطيكَ حتى تكفرَ بمحمد ﷺ، فقال: والله لا أكفرُ حتى يُميتَكَ اللهُ ثم تُبعَثَ، قال: فذَرني حتى أموتَ ثم أبعثَ، فسوفَ أُوتى مالاً وولداً فأقضِيكَ، فنزلت هذه الآية {أفرأيت الذي كفرَ بآياتنا وقال: لأوتَيَنَّ مالا ووَلَدا}

٦ ـ باب قوله عزَّ وجلَّ {ونَرِثُهُ ما يقولُ ويأتينا فَردا}

وقال ابنُ عباس {الجبال هَدّاً}: هَدْماً

٤٧٣٥ ـ عن خَبّابٍ قال: كنتُ رجلاً قَيناً، وكان لي على العاص بن وائلٍ دَينٌ، فأتيتُه أتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلتُ: لن أكْفُرَ به حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لمبعوثٌ بعد الموت؟ فسوف أقضِيكَ إذا رجَعتُ إلى مالٍ وولدٍ، قال: فنزلَتْ {أفرأيتَ الذي كفرَ بآياتنا وقال لأوتيَنَّ مالاً وولدا. أطلعَ الغيبَ أمِ اتَّخذَ عند الرحمن عهدا، كلا سنكتب ما يقولُ ونمدُّ له من العذابِ مَدّاً، ونَرثهُ ما يقولُ ويأتينا فردا}».

(٢٠) سورة طه

قال ابنُ جُبَيرٍ: بِالنَّبَطِيَّةِ {طه} يا رجُل، يُقالُ: كلُّ ما لم يَنطق بحرفٍ أو فيه تَمتمةٌ أو فَأفأة فهي عُقدة، {أزري} ظهري، {فَيَسْحِتَكُمْ} يُهلِكَكم، {المُثلى} تأنيث الأمثل، يقول: بدِينِكم، يقال: خُذِ المثلى؛ خذِ الأمثل، {ثمَّ ائتوا صَفّاً} يقال: هل أتيتَ الصفَّ اليومَ؟ يعني المصلَّى الذي يُصلَّى فيه، {فأوجَسَ} أضمر خوفا فذهبت الواو من {خِيفةً} لكسرةِ الخاءِ، {في جُذوعِ} أي على جذوع النخل {خَطْبُكَ} بالك {مِساس} مصدر ماسَّهُ مساساً. {لَنَنْسِفَنَّهُ} لنَذْرِيَنَّهُ {قاعاً} يَعلوه الماء والصَّفْصَف المستوي منَ الأرض، وقال مجاهد {أوزاراً} أثقالاً {من زينةِ القوم} الحلْي الذي استعاروا من آل فِرعَونَ {فقذَفتها} فألقيتها {ألقى} صَنَعَ، {فنسي} موسى -هم يقولونه أخطأ الرب، {لا يرجعُ إليهم قولا} العجل، {هَمساً}: حِسُّ الأقدام، {حَشَرتني أعمي} عن حُجَّتي {وقد كنتُ بَصيرا} في الدنيا، قال ابنُ عباس: {بقَبَس} ضلوا الطريق وكانوا شاتين، فقال: إن لم أجد عليها من يهدي الطريق آتِكم بنار توقدون. قال ابنُ عيينة: {أمثَلُهم} طريقة أعدلهم، وقال ابنُ عباس {هضماً} لا يُظلم فيُهضَمُ من حسناته. {عِوَجا} واديا، {ولا أمتاً} رابية. {سيرَتَها}: حالتها الأولى، {النُّهَى} التُّقَى،

{ضنكا} الشقاء، {هوى} شقي، {بالوادي المقدس} المبارك {طُوًى}: اسم الوادي {بِمَلْكِنا} بأمرنا. {مَكانا سِوًى} مَنصَفٌ بينهم، {يَبَسا} يابسا. {على قَدَر}: على مَوعد، { تنيا}: تضعفا. {يفرط} عقوبة.

قوله (سورة طه -بسم الله الرحمن الرحيم)[1] قال عكرمة والضحاك بالنبطية أي (طه يا رجل) وأخرجه الحاكم من وجه آخر عن عكرمة عن ابن عباس في قوله طه «قال هو كقولك يا محمد بالحبشية».

قوله (من زينة القوم: الحلي الذي استعاروا من آل فرعون) وهو الأثقال، وصله الفريابي أيضاً، وقد تقدم في قصة موسى، وروى الحاكم من حديث علي قال: «عمد السامري إلى ما قدر عليه من الحلي فضربه عجلا، ثم ألقى القبضة في جوفه فإذا هو عجل له خوار» الحديث».

وروى النسائي في الحديث الطويل الذي يقال له حديث الفتون عن ابن عباس قال: «لما توجه موسى لميقات ربه خطب هارون بني إسرائيل فقال: إنكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم ودائع وعواري، وأنا أرى أن نحفر حفيرة ونلقي فيها ما كان عندكم من متاعهم فنحرقه، وكان السامري من قوم يعبدون البقر وكان من جيران بني إسرائيل فاحتمل معهم فرأى أثراً فأخذ منه قبضة فمر بهارون فقال: ألا تلقي ما في يدك؟ فقال: لا ألقيها حتى تدعو الله أن يكون ما أريد، فدعا له فألقاها فقال: أريد أن يكون عجلاً له جوف يخور، قال ابن عباس: ليس له روح، كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه فكان الصوت من ذلك، فتفرق بنو إسرائيل عند ذلك فرقا».

قوله (همسا حس الأقدام) عن قتادة قال: «صوت الأقدام».

قوله (ضنكا الشقاء) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ومن طريق قيس بن أبي حازم في قوله {معيشة ضنكا} قال: رزقاً في معصية.

١ ـ باب {واصطَنَعتُك لنفسي}

٤٧٣٦ ـ عن أبي هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «التَقى آدمُ وموسى، فقال موسى لآدمَ: أنتَ الذي أشقيتَ الناسَ وأخرجتَهم من الجنة؟ قال له آدم: أنتَ الذي اصطفاكَ الله برسالته، واصطفَاكَ لنفسه، وأنزلَ عليكَ التوراة؟ قال: نعم، قال: فوجدتَها كُتبَ عليَّ قبلَ أن يَخلُقَني؟ قال: نعم، فحجَّ آدمُ موسى». {اليمُّ}: البحر.

(١) رواية الباب واليونينية بغير البسملة.

قوله (باب واصطنعتك لنفسي) وذكر في الباب حديث أبي هريرة في محاجة موسى وآدم عليهما السلام وسيأتي شرحه في كتاب القدر[١].

٢ - باب {ولقد أوحينا إلى موسى أن أسرِ بعبادي فاضربْ لهم طريقاً في البحر يَبَساً، لا تَخافُ دَركاً ولا تخشى، فأتْبَعَهُم فِرعونُ بجنودِهُ فغَشيهم من اليَمِّ ما غشيهم، وأضلَّ فِرعونُ قَومَهُ وما هَدَى}

٤٧٣٧ - عن سعيدِ بن جُبَيرٍ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، واليهودُ تصومُ عاشوراءَ، فسألهم فقالوا: هذا اليومَ ظهرَ فيه موسى على فِرعونَ، فقال النبيُّ ﷺ: نحنُ أولى بموسى منهم فصوموه».

قوله (باب ولقد أوحينا إلى موسى الخ) وذكر حديث ابن عباس في صيام عاشوراء، وقد سبق شرحه في كتاب الصيام[٢] مستوفى.

٣ - باب {فلا يُخرجَنَّكما من الجَنَّة فتشقى}

٤٧٣٨ - عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «حاجَّ موسى آدمَ فقال له: أنتَ الذي أخرجتَ الناسَ من الجنة بذَنبكَ وأشقَيتَهم، قال: قال آدمُ: يا موسى أنتَ الذي اصطَفَاكَ اللهُ بِرسالاتهِ وبكلامهِ، أتلومُني على أمرٍ كتبهُ اللهُ عليَّ قبلَ أن يَخلُقَني، أو قدَّرَهُ عليَّ قبلَ أن يَخلُقَني؟ قال رسولُ الله ﷺ: فحج آدمُ موسى».

(٢١) سورةُ الأنبياء

٤٧٣٩ - عن عبد اللهِ قال: بني إسرائيلَ، والكهفُ، ومريمُ، وطه، والأنبياء هنَّ من العتاق الأُوَل، وهنَّ من تِلادي، وقال قَتادةُ: جُذاذاً: قَطَّعهنَّ، وقال الحسنُ: في {فَلَك}، مثل فَلْكةِ المِغزَل، {يَسبَحون} يَدُورون، قال ابن عباس نَفَشت: رَعَت ليلاً، {يُصحَبون} يُمنَعون، {أمَّتُكم أمةٌ واحدة} قال دِينُكم دِين واحد، وقال عِكرمة: {حَصَب جهنم} حطَب بالحبشة، وقال غيرهُ: {أحَسُّوا} تَوقَّعوا، من أحسست، {خامِدين} هامدين، {حَصيد} مستأصَل، يقع على الواحد والاثنين والجميع، لا يَستحسِرون: لا يَعيُون، ومنه {حَسير} وحسرتُ بعيري، {عميق} بعيد {نُكِسوا} رُدّوا، {صَنعةَ لَبوسٍ} الدُّروع {تقطعوا أمرهم} اختلفوا، الحَسيس والحس والجَرْس والهمس واحد وهو الصوت الخفي، {آذنَّاك} أعلمناك، {آذنتُكم} إذا أعلمتَهُ، فأنت وهو {على سواء} لم تَغدِر، وقال مُجاهد: {لعلكم تُسألون} تُفهمون، ارتضى رَضِي، {التماثيل} الأصنام، {السِّجِلّ} الصحيفة.

قوله (صنعة لبوس الدروع) قال أبو عبيدة: اللبوس السلاح كله من درع إلى رمح، وروى

---

(١) كتاب القدر باب / ١١ ح ٦٦١٤ - ٥ / ١٠٦.
(٢) كتاب الصوم باب / ٦٩ ح ٢٠٠٤ - ٢ / ٢٠.

عبد الرزاق عن معمر عن قتادة اللبوس الدروع كانت صفائح، وأول من سردها وحلقها داود.

قوله (السجل الصحيفة) وصله الفريابي من طريقه وجزم به الفراء، وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {كطي السجل} يقول كطي الصحيفة على الكتاب، قال الطبري: معناه كطي السجل على ما فيه من الكتاب وقيل على بمعنى من أي من أجل الكتاب لأن الصحيفة تطوى حسناته لما فيها من الكتابة، وجاء عن ابن عباس أن السجل اسم كاتب كان للنبي ﷺ أخرجه أبو داود والنسائي والطبري من طريق عمرو بن مالك عن أبو الجوزاء عن ابن عباس بهذا.

٢ - باب {كما بدَأْنا أوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا}

٤٧٤٠ - عنِ ابن عبّاسٍ رضيَ الله عنهما قال: خطبَ النبيُّ ﷺ فقال: إنكم مَحْشورونَ إلى اللهُ حفاةً عراةً غُرلاً {كما بدأنا أوَّلَ خلقٍ نعيدُه، وَعداً علينا، إنّا كنّا فاعلين}، ثم إن أوَّلَ مَن يُكسى يومَ القيامة إبراهيم، ثم يجاءُ برجال من أمتي فيؤخَذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربِّ أصحابي، فيقال: لا تَدري ما أحدَثوا بعدك فأقول كما قال العبدُ الصالح {وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم - إلى قولهِ - شهيد} فيقال: إنَّ هؤلاء لم يَزالوا مُرتدِّين على أعقابهم منذ فارقتهم».

ثم ذكر المصنف حديث ابن عباس «إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة» الحديث، وسيأتي شرحه في كتاب الرقاق[1] إن شاء الله تعالى.

(٢٢) سورةُ الحج

وقال ابنُ عيينةَ المخبِتين: المطمئنين وقال ابن عباسٍ في {إذا تمنَّى ألقى الشيطانُ في أمنيَّته}: إذا حدَّث ألقى الشيطانُ في حديثه، فيُبطِلُ اللهُ ما يلقي الشيطانُ ويُحكِمُ آياته، ويقال {أمنيته}: قراءته، {إلا أمانيَّ} يقرءون ولا يكتبون، وقال مجاهد {مَشيد} بالقَصَّة، جص، وقال غيرُهُ {يَسطون} يَفرُطون، منَ السطوة: ويقال: يَسطون يَبطِشون {وهُدوا إلى الطَّيبِ منَ القول} ألهموا إلى القرآن، {وهُدوا إلى صراطِ الحميد} الإسلام، وقال ابنُ عباس {بسببٍ}: بحبلٍ إلى سقفِ البيت، {ثانيَ عِطفهِ} مستكبِر {تذهَل}: تُشغل.

قوله (وقال ابن عباس[2] {إذا تمنى ألقي الشيطان في أمنيته} إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، فيبطل الله ما يلقى الشيطان ويحكم آياته)، وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مقطعاً.

قوله (ويقال أمنيته قراءته، إلا أماني: يقرؤن ولا يكتبون) هو قول الفراء قال: التمني

---

(١) كتاب الرقاق باب / ٤٥ ح ٦٥٢٦ - ٥ / ٦٣.
(٢) رواية الباب واليونينية "وقال ابن عباس في ....".

التلاوة قال وقوله {لا يعلمون الكتاب إلا أماني} قال: الأماني أن يفتعل الأحاديث، وكانت أحاديث يسمعونها من كبرائهم وليست من كتاب الله، قال ومن شواهد ذلك قول الشاعر:

تمنى كتاب الله أول ليلة تمني داود الزبور على رسل

قال الفراء: والتمني أيضاً حديث النفس انتهى.

قال أبو جعفر النحاس في كتاب «معاني القرآن» له بعد أن ساق رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تأويل الآية: هذا من أحسن ما قيل في تأويل الآية وأعلاه وأجله، ثم أسند عن أحمد بن حنبل قال: بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً انتهى، وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهي عند البخاري عن أبي صالح وقد اعتمد عليها في صحيحه هذا كثيراً على ما بيناه في أماكنه وهي عند الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر بوسائط بينهم وبين أبي صالح انتهى، وعلى تأويل ابن عباس هذا يحمل ما جاء عن سعيد بن جبير، وقد أخرجه ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن أبي بشر عنه قال: «قرأ رسول الله ﷺ بمكة والنجم، فلما بلغ {أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى} ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فقال المشركون ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا، فنزلت هذه الآية.

وقد سلك العلماء في ذلك مسالك، فقيل جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته، وهذا أخرجه الطبري عن قتادة، ورده عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ﷺ ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم، وقيل إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره، ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان {وما كان لي عليكم من سلطان} الآية قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة في طاعة، وقيل: إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك، فعلق ذلك بحفظه ﷺ فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا، وقد رد ذلك عياض فأجاد، وقيل لعله قالها توبيخاً للكفار، قال عياض: وهذا جائز إذا كانت هناك قرينة تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزاً، وإلى هذا نحا الباقلاني، وقيل إنه لما وصل إلى قوله «ومناة الثالثة الأخرى» خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به فبادروا إلى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عامتهم في قولهم {لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه} ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك، أو المراد بالشيطان

شيطان الإنس، وقيل: المراد بالغرانيق العلى الملائكة وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله ويعبدونها، فسيق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله تعالى {ألكم الذكر وله الأنثى} فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا: قد عظم آلهتنا، ورضوا بذلك، فنسخ الله تلك الكلمتين وأحكم آياته، وقيل: كان النبي ﷺ يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها، قال: وهذا أحسن الوجوه، ويؤيده ما تقدم في صدر الكلام عن ابن عباس من تفسير {تمنى} بتلا، وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال قبله أن هذه الآية نص في مذهبنا في براءة النبي ﷺ مما نسب إليه، قال: ومعنى قوله {في أمنيته} أي في تلاوته، فأخبر تعالى في هذه الآية أن سنته في رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص في أن الشيطان زاده في قول النبي ﷺ لا أن النبي ﷺ قاله قال: وقد سبق إلى ذلك الطبري لجلالة قدره وسعه علمه وشدة ساعده في النظر فصوب على هذا المعنى وحوم عليه.

قوله (وقال غيره: {يسطون} يفرطون من السطوة، ويقال يسطون يبطشون) قال أبو عبيدة في قوله {يكادون يسطون} أي يفرطون عليه من السطوة، وقال الفراء كان مشركو قريش إذا سمعوا المسلم يتلو القرآن كادوا يبطشون به وتقدم في تفسير طه.

وروى ابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {يسطون} فقال يبطشون.

قوله (وقال ابن عباس {بسبب} بحبل إلى سقف البيت) وصله عبد بن حميد من طريق أبي إسحق عن التميمي عن ابن عباس بلفظ «من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب بحبل إلى سماء بينه فليختنق به».

قوله (وهدوا إلى الطيب من القول: ألهموا إلى القرآن) ووقع في رواية النسفي «وهدوا إلى الطيب: ألهموا» وقال ابن أبي خالد «إلى القرآن، وهدوا إلى صراط الحميد: الإسلام» وهذا هو التحرير، وقد أخرج الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {وهدوا إلى الطيب من القول} قال: ألهموا، وروى ابن المنذر من طريق سفيان عن إسماعيل ابن أبي خالد في قوله {إلى الطيب من القول} قال: القرآن، وفي قوله {وهدوا إلى صراط الحميد}: الإسلام.

قوله (تذهل تشغل) قال أبو عبيدة في قوله {تذهل كل مرضعة} أي تسلو، وقيل: الذهول الاشتغال عن الشيء مع دهش.

١ ـ باب {وتَرَى الناسَ سُكارَى}

٤٧٤١ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال: قال النبيُّ ﷺ: «يَقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامة: يا آدم، فيقول: لَبَّيك ربَّنا وسَعدَيك، فيُنادَى بصوت: إنَّ اللهَ يأمُرُك أن تُخرِجَ من ذرِّيتكَ بَعثا إلى النار، قال: يا ربِّ وما بَعثُ النار؟ قال: من كلِّ ألفٍ - أُراهُ قال:- تِسعَمائةٍ وتسعةً وتِسعين. فحينئذٍ تَضعُ الحاملُ حَملَها، ويَشيبُ الوليدُ، وترَى الناسَ سُكارَى وما هم بسُكارى ولكنَّ عذابَ الله شديد، فشقَّ ذلك على الناس حتى تغيَّرت وُجوهُهم، فقال النبيُّ ﷺ: من يأجوجَ ومأجوجَ تسعمائة وتسعةً وتسعين، ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرةِ السوداء في جَنبِ الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا رُبعَ أهلِ الجنةِ، فكبَّرنا، ثم قال: ثُلثَ أهلِ الجنة فكبَّرنا، ثمَّ قال: شطرَ أهل الجنة، فكبَّرنا».

وسيأتي شرح الحديث الموصول في كتاب الرقاق[١]إن شاء الله تعالى.

٢ ـ باب {ومنَ الناسِ من يَعبُدُ اللهَ على حَرف}

شك، {فإن أصابَهُ خيرٌ اطمأنَّ به، وإن أصابَتْهُ فتنةٌ انقلَبَ على وَجهِهِ خَسِرَ الدنيا والآخِرة - إلى قوله - ذلكَ هو الضلال البَعيد} أترفْناهم: وسَّعناهم.

٤٧٤٢ ـ عن سعيدِ بن جبيرٍ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: {ومن الناس مَن يَعبُد اللهَ على حَرف} قال: كان الرجل يَقدَمُ المدينةَ، فإن ولدتِ امرأتهُ غلاماً ونتجت خيلهُ قال: هذا دِينٌ صالح، وإن لم تَلِدِ امرأتهُ ولم تُنتَجْ خيلهُ قال: هذا دِينُ سوء.

قوله (باب ومن الناس من يعبد الله على حرف: شك) وهو تفسير مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم من طريقه، وقال أبو عبيدة: كل شاك في شيء فهو على حرف لا يثبت ولا يدوم، وزاد غير أبي ذر بعد حرف {فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة - إلى قوله - ذلك هو الضلال البعيد}.

قوله (أترفناهم وسعناهم) وهو تفسير أبو عبيدة، قال في قوله تعالى {وأترفناهم في الحياة الدنيا}: مجازه وسعنا عليهم، وأترفوا بغوا وكفروا.

قوله (كان الرجل يقدم المدينة فيسلم[٢]) في رواية جعفر «كان ناس من الأعراب يأتون النبي ﷺ يسلمون».

قوله (وإن لم تلد الخ) في رواية جعفر «وإن وجدوا عام جدب وقحط وولاد سوء قالوا ما في ديننا هذا خير».

---

(١) كتاب الرقاق باب / ٤٦ ح ٦٥٣٠ - ٥ / ٦٦.

(٢) رواية الباب واليونينية بدون "..... فيسلم".

وذكر الفراء أنها نزلت في أعاريب من بني أسد انتقلوا إلى المدينة بذراريهم وامتنوا بذلك على النبي ﷺ، ثم ذكر نحو ما تقدم.

٣ - باب {هذانِ خَصمانِ اختَصَموا في ربِّهم}

٤٧٤٣ - عن أبي ذَرٍّ رضيَ الله عنه أنه كان يُقسِمُ فيها قَسَماً: إنَّ هذه الآية {هذانِ خَصمانِ اختَصموا في ربِّهم} نزلَت في حمزةَ وصاحبَيه وعُتبةَ وصاحبيهِ يومَ بَرزوا في يوم بدر».

٤٧٤٤ - عن عليٍّ بن أبي طالبٍ رضيَ الله عنه قال: «أنا أوَّلُ من يجثو بينَ يدَيِ الرحمنِ للخُصومةِ يومَ القيامة» قال قَيسٌ: وفيهم نَزَلَت {هذانِ خَصمانِ اختصموا في ربهم} قال: همُ الذين بارَزوا يومَ بدرٍ: عليٌّ وحمزةُ وعُبيدةُ وشَيبةُ بن ربيعةَ وعُتبة بن ربيعة والوَليدُ بن عُتبةَ.

قوله (باب هذان خصمان اختصموا في ربهم) الخصمان تثنية خصم، وهو من تقع منه المخاصمة.

قوله (نزلت في حمزة) أي ابن عبد المطلب، وقد تقدم مشروحاً في غزوة بدر[١] مستوفى.

وقد روى الطبري من طريق الحسن قال: هم الكفار والمؤمنون، ومن طريق مجاهد هو اختصام المؤمن والكافر في البعث، واختار الطبري هذه الأقوال في تعميم الآية قال: ولا يخالف المروي عن علي وأبي ذر لأن الذين تبارزوا ببدر كانوا فريقين مؤمنين وكفار، إلا أن الآية إذا نزلت في سبب من الأسباب لا يمتنع أن تكون عامة في نظير ذلك السبب.

(٢٣) سورةُ المؤمنون

قال ابنُ عيينة {سبعُ طرائقَ}: سبعُ سماوات، {لها سابقون}: سبقَت لهمُ السعادة. {قلوبُهم وَجِلة}: خائفين، وقال ابنُ عباس {هَيهاتَ هَيهات}: بَعيدٌ بعيدٌ، {فاسألِ العادِّين}: الملائكة، {لَناكِبون}: لعادِلون، {كالِحون} عابِسون، وقال غيره: {مِن سُلالةٍ}: الوَلَدُ، والنُّطفة السُّلالة، والجِنَّة والجنون واحد، والغُثاءُ: الزَّبَد، وما ارتفعَ عنِ الماءِ، وما لا يُنتفَعُ به، {يَجأرون}: يرفعونَ أصواتهم كما تجأرُ البقرة {على أعقابكم}: رجعَ على عَقبيه، {سامِراً} منَ السَّمَرُ، والجمعُ السُّمار، والسامرُ ها هنا في موضع الجمع، {تُسحَرون}: تعمون من السِّحر.

قوله (قلوبهم وجلة خائفين) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباسٍ في قوله {وقلوبهم وجلة} قال: يعملون خائفين، وللطبري من طريق يزيد النحوي عن عكرمة مثله، وفي الباب «عن عائشة قالت: يا رسول الله في قوله تعالى {وقلوبهم وجلة} أهو الرجل يزني ويسرق وهو مع ذلك يخاف الله؟ قال: لا، بل هو الرجل يصوم ويصلي وهو

---

(١) كتاب المغازي باب / ٨ ح ٣٩٦٥ - ٣ / ٢٦٣.

مع ذلك يخاف الله» أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه وصححه الحاكم.

قوله (كالحون عابسون) وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مثله، ومن طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود قال: مثل كلوح الرأس النضيخ، وكشر عن ثغره، وأخرجه الحاكم وصححه من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً «تشويه النار فتقلص شفته العليا وتسترخي السفلى».

(٢٤) سورةُ النُّور

{من خلاله} من بين أضعافِ السحاب: {سَنا بَرقه}: وهو الضياء {مُذعنين}: يقال للمستخذي مذعن {أشتاتاً} وشَتَّى وشتات وشَتٌّ واحد، وقال ابنُ عباس {سورةٌ أنزلْناها}: بَيَّناها، وقال غيرُه: سُمي القرآنُ لجماعة السُّوَر، وسميت السورة لأنها مقطوعة منَ الأخرى، فلما قُرِنَ بعضُها إلى بعض سمي قرآنا، وقال سعدُ بن عياضٍ الثُّمالي المشكاةُ الكوَّةُ بلسانِ الحبشة وقوله تعالى {إنَّ علينا جَمعَهُ وقرآنَه} تأليفُ بعضهِ إلى بعض {فإذا قَرَأْناهُ فاتَّبِعْ قُرآنَه} فإذا جمعناه وألفناه فاتَّبِع قرآنه أي ما جمع فيه، فاعملْ بما أمَرَك وانتهِ عما نَهاك ويقال ليس لشعرهِ قرآن أي تأليف وسمي الفرقان لأنه يفرِّق بين الحقِّ والباطل؛ ويقال للمرأة: ما قَرأت بِسَلاً قطُّ أي لم تجمع في بطنها ولداً، وقال {فرَّضناها}: أنزلنا فيها فَرائضَ مختلفة ومن قرأ {فَرَضناها} يقول: فرضنا عليكم وعلى مَن بعدكم، قال مجاهد: {أو الطفلِ الذين لم يَظهَروا} لم يَدروا، لما بهم منَ الصغر، وقال الشَّعبي {أولى الإِربة} مَن ليسَ لهُ أرَب، وقال مجاهد: لا يَهمه إلا بطنه، ولا يُخاف على النساء وقال طاوس: هو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء.

١ ـ باب {والذين يَرمونَ أزواجَهم ولم يكن لهم شُهداءُ إلا أنفُسهم فشهادة أحدِهم أربعُ شهاداتٍ بالله إنهُ لَمنَ الصادقين}

٤٧٤٥ ـ عن سهلِ بن سعدٍ «أن عُويَمراً أتى عاصمَ بن عَديٍّ وكانَ سيِّدَ بني عَجلانَ فقال: كيفَ تقولون في رجلٍ وَجدَ مع امرأتهِ رجلاً، أيَقتله فتقتلونه، أم كيفَ يَصنَعُ؟ سلْ لي رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فأتى عاصمٌ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، فكَرِهَ رسولُ الله ﷺ المسائلَ، فسألهُ عُوَيمرٌ، فقال: إن رسولَ الله ﷺ كرهَ المسائلَ وعابها قال عُويمرٌ: والله لا أنتهي حتى أسأل رسولَ الله ﷺ عن ذلك فجاء عُويمرٌ فقال: يا رسولَ الله، رجلٌ وجدَ مع امرأتهِ رجلا، أيَقتله فتقتلونه أم كيف يَصنَع؟ فقال رسول الله ﷺ: قد أنزَلَ اللهُ القرآنَ فيك وفي صاحبتِك فأمَرَهما رسولُ الله بالملاعنة بما سمَّى اللهُ في كتابه فلا عنَها ثم قال: يا رسولَ الله، إن حَبستُها فقد ظلمتها فطلَّقها، فكانت سُنَّةً لمن كان بعدَهما في المتلاعنَين، ثم قال رسولُ الله: انظُروا فإن جاءت به أسحمَ أدعجَ العينَين عظيمَ الأليتَين خَدَلَّج الساقَين فلا

احسب عُوَيمراً إلا قد صَدق عليها، وإن جاءت به أُحيمرَ كأنه وَحَرَة فلا أحسبُ عويمراً إلا قد كَذَبَ عليها فجاءت بهِ على النعتِ الذي نعتَ رسولُ الله ﷺ من تصديق عُوَيمر، فكان بعدُ ينسَبُ إلى أمه».

٢ ـ باب {والخامسة أنَّ لعنةَ الله عليه إن كان منَ الكاذبين}

٤٧٤٦ ـ عن سهلِ بن سعدٍ «أنَّ رجلاً أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أرأيتَ رجُلاً رأى مع امرأته رجلاً أيَقتله فتقتُلونَه، أم كيفَ يفعل؟ فأنزلَ اللهُ فيهما ما ذكرَ في القرآنِ منَ التَّلاعُن، فقال له رسولُ الله ﷺ: قد قُضيَ فيك وفي امرأتك، قال: فتَلاعَنا -وأنا شاهدٌ عندَ رسولِ الله ﷺ- ففارَقَها، فكانت سُنَّةً أن يُفرِّقَ بينَ المتلاعنَين، وكانت حاملاً فأنكرَ حملَها وكان ابنُها يُدعى إليها، ثمَّ جَرَتِ السنةُ في الميراث أن يَرِثها وتَرِثَ منه ما فرَضَ الله لها».

قوله (باب قوله عز وجل[1]{والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء} الآية) ذكر فيه حديث سهل بن سعد مطولاً وفي الباب الذي بعده مختصراً، وسيأتي شرحه في كتاب اللعان[2].

٣ ـ باب {ويَدرأُ عنها العذابَ أن تَشهدَ أربعَ شهاداتٍ بالله إنه لَمنَ الكاذبين}

٤٧٤٧ ـ عن ابن عباسٍ أن هِلالَ بن أُميَّةَ قَذَفَ امرأتَهُ عندَ النبيِّ ﷺ بشَريكِ بن سَحماء، فقال النبيُّ ﷺ: البَيِّنةُ أو حَدٌّ في ظَهرك فقال: يا رسولَ الله، إذا رأى أحدُنا على امرأته رجلا يَنطلقُ يَلتمسُ البَيِّنة؟ فجعلَ النبيُّ ﷺ يقول البيِّنةَ وإلا حَدٌّ في ظهرك، فقال هلالٌ: والذي بَعثكَ بالحق إني لَصادق، فَلَينزلَنَّ اللهُ ما يُبرِّئُ ظهري منَ الحد، فنَزلَ جبريلُ وأنزَلَ عليه {والذينَ يَرمونَ أزواجَهم} فقرأ حتى بلغَ {إن كان من الصادقين} فانصرفَ النبيُّ ﷺ فأرسلَ إليها، فجاءَ هلالٌ فشَهِدَ، والنبيُّ ﷺ يقول: إنَّ اللهَ يعلمُ أنَّ أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟ ثم قامَت فشَهِدَت، فلما كانت عندَ الخامسة وقَّفوها وقالوا: إنها موجبة، قال ابنُ عباس: فتَلَكَّأَت ونَكصَت حتى ظَنَنا أنها ترجِع، ثمَّ قالت: لا أفضحُ قومي سائرَ اليوم، فمَضت، فقال النبيُّ ﷺ: أبصروها، فإن جاءت به أكحلَ العَينين سابغَ الأليتَين خَدَلَّجِ الساقين فهو لشَريك بن سحماء؛ فجاءت به كذلك، فقال النبيُّ ﷺ: لولا ما مَضى من كتابِ الله لكان لي ولها شأن».

قوله (فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد،

---

(١) في المتن بدون "قوله عز وجل" وفي اليونينية بدون "باب قوله".
(٢) كتاب الطلاق باب / ٢٩ ح ٥٣٠٨ - ٤ / ١٧٠.

فنزل جبريل وأنزل عليه: والذين يرمون أزواجهم) كذا في هذه الرواية أن آيات اللعان نزلت في قصة هلال بن أمية، وفي حديث سعد الماضي أنها نزلت في عويمر لفظه «فجاء عويمر فقال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك، فأمرهما بالملاعنة» وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع: فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنهما معا في وقت واحد، وقد جنح النووي إلى هذا، وسبقه الخطيب فقال: لعلهما اتفق كونهما جاءا في وقت واحد، ويؤيد التعدد أن القائل في قصة هلال سعد بن عبادة كما أخرجه أبو داود والطبري من طريق عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس مثل رواية هشام بن حسان بزيادة في أوله «لما نزلت {والذين يرمون أزواجهم} الآية قال سعد بن عبادة: «لو رأيت لكاعاً قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه حتى آتى بأربعة شهداء، ما كنت لآتي بهم حتى يفرغ من حاجته، قال: فما لبثوا إلا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية» الحديث.

والقائل في قصة عويمر عاصم بن عدي كما في حديث سهل بن سعد في الباب الذي قبله، وأخرج الطبري من طريق الشعبي مرسلا قال: «لما نزلت {والذين يرمون أزواجهم} الآية قال عاصم بن عدي: إن أنا رأيت فتكلمت جلدت، وإن سكت سكت على غيظ» الحديث، ولا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول.

٤ ـ باب {والخامسةَ أنَّ غَضبَ الله عليها إن كان من الصادقين}

٤٧٤٨ ـ عنِ ابن عمرَ رضيَ الله عنهما «أنَّ رجُلاً رمى امرأتَهُ فانتَفى من ولَدِها في زمانِ رسولِ الله ﷺ، فأمرَ بهما رسولُ الله ﷺ فَتَلاعنا كما قال الله، ثم قضى بالوَلَدِ للمرأةِ وفرَّقَ بينَ المتلاعنَين».

[الحديث ٤٧٤٨ - أطرافه في: ٥٣٠٦، ٥٣١٣، ٥٣١٤، ٥٣١٥، ٦٧٤٨]

قوله (إن رجلاً رمى امرأته فانتفى من ولدها) سيأتي البحث فيه مفصلاً في كتاب اللعان[1] إن شاء الله تعالى.

١(أ) كتاب الطلاق باب / ٢٧ ح ٥٣٠٦ - ٤ / ١٦٨.
١(ب) كتاب الطلاق باب / ٣٤ ح ٥٣١٤ - ٤ / ١٧٤.
١(ج) كتاب الطلاق باب / ٣٥ ح ٥٣١٥ - ٤ / ١٧٤.

٥ - باب {إنَّ الذينَ جاءوا بالإفكِ عصبةٌ منكم لا تحسبوهُ شراً لكم بل هوَ خيرٌ لكم لكلِّ امرئٍ منكم ما اكتسبَ منَ الإثم، والذي تَولى كِبرَهُ منهم لهُ عذابٌ عظيم}

أفاك: كذّاب.

٤٧٤٩ - عن عائشة رضيَ الله عنها «{والذي تولى كِبرَه} قالت: عبد الله بن سَلول».

قوله (قالت عبد الله بن أبيّ بن سلول) أي هو عبد الله، وتقدمت ترجمته قريباً في سورة براءة، وهذا هو المعروف أن المراد بقوله {والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم} وهو عبد الله بن أبي، وبه تظاهرت الروايات عن عائشة من قصة الإفك المطولة كما في الباب الذي بعد هذا.

٦ - باب {لولا إذ سَمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانَكَ هذا بهتانٌ عظيم لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء، فإذ لم يأتُوا بالشُّهداءِ فأولئكَ عندَ اللهِ همُ الكاذبون}

٤٧٥٠ - عن ابن شهابٍ قال: أخبرَني عروةُ بن الزُّبير وسعيد بن المسيِّب وعلقمة بن وَقاص وعُبيَدُ الله بن عبد الله بن عتبةَ بن مسعود عن حديث عائشةَ رضيَ الله عنها زوج النبيِّ ﷺ حينَ قال لها أهلُ الإفكِ ما قالوا، فبرَّأها الله مما قالوا -وكلٌّ حدَّثني طائفةً من الحديث، وبعض حديثهم يصدِّقُ بعضا، وإن كان بعضُهم أوعى له من بعض- الذي حدَّثني عروةُ عن عائشةَ رضيَ الله عنها أن عائشة رضيَ الله عنها زوجَ النبيِّ ﷺ قالت: «كان رسولُ الله ﷺ إذا أراد أن يَخرُجَ أقرعَ بينَ أزواجه، فأيتُهنَّ خرج سهمها خرجَ بها رسولُ اللهِ ﷺ معهُ، قالت عائشة: فأقرعَ بيننا في غَزوةٍ غَزاها فخرجَ سهمي، فخرجتُ مع رسولِ الله ﷺ بعدَ ما نزلَ الحجابُ، فأنا أُحمَلُ في هَودَجي وأُنزَلُ فيه، فسِرنا حتى إذا فرَغَ رسولُ الله ﷺ من غَزوته تلك وقفل ودَنونا من المدينةِ قافلين آذَن ليلةً بالرَّحيل، فقمتُ حينَ آذنوا بالرَّحيل فمشَيتُ حتى جاوَزتُ الجيشَ، فلما قَضيتُ شأني أقبَلتُ إلى رحلي، فإذا عِقدٌ لي من جَزعِ أظفارٍ قد انقطع، فالتمستُ عِقدي وحبَسَني ابتغاؤه، وأقبلَ الرَّهطُ الذين كانوا يَرحَلونَ فاحتَملوا هودَجي، فَرحلوهُ على بَعيري، الذي كنتُ ركبتُ وهم يحسبونَ أنّي فيه، وكان النساءُ إذ ذاك خِفافاً لم يُثْقِلهُنَّ اللحم، إنما يأكلنَ العلقةَ من الطعام، فلم يَستنكِرِ القومُ خِفةَ الهودج حين رَفعوه، وكنتُ جاريةً حديثةَ السن، فَبعَثوا الجملَ وساروا، فوَجَدتُ عِقدي بعدَ ما استمرَّ الجيشُ، فجئتُ منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب، فأممتُ منزلي الذي كنتُ به، وظَنَنتُ أنهم سيفقِدوني فيرجعونَ إليَّ فبينا أنا جالسٌ في منزلي غلَبتني عيني

فنمت، وكان صفوانُ بن المعطل السُّلَميُّ ثم الذَّكوانيُّ من وراءِ الجيش، فأدلج، فأصبحَ عندَ منزلي، فرأى سَوادَ إنسانٍ نائم، فأتاني فعرَفني حينَ رآني، وكان يُراني قبلَ الحجاب، فاستَيقظتُ باسترجاعهِ حينَ عرَفَني، فخمّرتُ وَجهي بجلبابي، واللهِ ما كلمني كلمةً ولا سمعتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعه، حتى أناخَ راحلتَهُ فوطئَ على يدَيها فركبتُها، فانطلقَ يَقودُ بي الراحلة حتى أتَينا الجيشَ بعدَ ما نزلوا مُوغرينَ في نحر الظهيرة، فهلكَ من هلك، وكان الذي توَلى الإفك عبدَ الله بن أبيٍّ بن سلول؛ فقَدِمنا المدينة، فاشتكيتُ حينَ قدمتُ شهراً، والناسُ يفيضون في قولِ أصحابِ الإفك، ولا أشعُرُ بشيء من ذلك، وهو يَريبُني في وَجَعي أني لا أعرفُ من رسولِ الله ﷺ اللطفَ الذي كنتُ أرى منه حينَ أشتكي، إنما يدخُلُ عليَّ رسولُ الله ﷺ فيُسلّمُ ثم يقول: كيفَ تِيكم، ثمَّ ينصرفُ، فذاكَ الذي يريبني ولا أشعُرُ بالشرِّ، حتى خَرَجتُ بعدَ ما نقهتُ، فخرَجتَ معي أمُّ مِسْطح قِبلَ المَناصِعِ، وهو مُتبرزنا وكنا لا نخرُجُ إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبلَ أن تتَّخذَ الكُنفَ قريباً من بُيوتنا، وأمرُنا أمرُ العرب الأوّل في التبرُّز قبلَ الغائط، فكنا نتأذى بالكُنف أن نتخذَها عندَ بيوتنا، فانطلقتُ أنا وأمُّ مسطح - وهي ابنة أبي رُهم بن عبد مَناف، وأمُّها بنتُ صخرِ بن عامر خالةُ أبي بكرٍ الصديق، وابنها مسطحُ بن أثاثة - فأقبلتُ أنا وأمُّ مسطح قبل بيتي وقد فرَغنا من شأننا، فَعثَرت أمُّ مسطحٍ في مِرطِها، فقالت: تَعِسَ مسطح، فقلت لها: بئس ما قلتِ، أتَسُبِّينَ رجلاً شهدَ بدراً؟ قالت: أي هَنْتاه، أوَ لم تسمعي ما قال؟ قالت قلت: وما قال؟ فأخبرَتني بقولِ أهلِ الإفك، فازددتُ مرضاً عَلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ تعني سلم ثم قال: كيفَ تيكم؟ فقلت: أتأذَنُ لي أن آتي أبويَّ - قالت: وأنا حينئذ أريدُ أن استيقَنَ الخبرَ من قِبَلهما - قالت: فأذِنَ لي رسولُ الله ﷺ، فجئتُ أبويَّ، فقلتُ لأمي: يا أمَّتاهُ ما يتحدَّث الناس؟ قالت: يا بُنَيَّة هَوِّني عليك، فو اللهِ لَقلّما كانت امرأةٌ قط وَضيئةٌ عندَ رجلٍ يُحبُّها ولها ضَرائر إلا أكثَرنَ عليها، قالت فقلتُ: سبحانَ الله؛ أو لقد تحدَّث الناس بهذا؟ قالت: فبكَيتُ تلكَ الليلةَ حتى أصبحتُ لا يَرقَأُ لي دمع، ولا أكتَحِلِ بنوم حتى أصبحتُ أبكي، فدعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ وأسامةَ بن زيد رضيَ الله عنهما حينَ استلبَثَ الوَحيُ يَستأمِرُهما في فراقِ أهله، قالت: فأما أسامةُ بن زيد فأشار على رسولِ الله ﷺ بالذي يعلم من بَراءةِ أهله، وبالذي يعلمُ لهم في نفسهِ من الوُدِّ فقال: يا رسولَ الله، أهلَكَ، وما نعلمُ إلا خَيرا، وأما عليُّ بن أبي طالب فقال: يا رسولَ الله، لم يضيِّقِ اللهُ عليك والنساء سِواها كثير، وإن تسألِ الجاريةَ تَصدُقْكَ، قالت: فدَعا رسولُ اللهِ ﷺ بريرة، فقال أي بريرة هل رأيتِ من شيءٍ يَريبُكِ؟ قالت بَريرة: لا والذي

بَعثَك بالحق، إن رأيتُ عليها أمراً أغمِصُهُ عليها أكثرَ من أنها جاريةٌ حديثةُ السنِّ تنام عن عَجينِ أهلها فتأتي الداجنُ فتأكله، فقام رسولُ الله ﷺ فاستعذَرَ يومئذٍ من عبدِ الله بن أُبيِّ ابنِ سَلول، فقال رسولُ الله ﷺ وهو عَلَى المنبر: يا معشر المسلمين، من يَعذِرُني من رجلٍ قد بَلغني أذاهُ في أهل بيتي؟ فو الله ما علمتُ على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجُلاً ما علمتُ عليه إلا خيرا، وما كان يدخلُ على أهلي إلا معي، فقام سعدُ بن مُعاذٍ الأنصاريُّ فقال: يا رسولَ الله، أنا أعذرُك منه، إن كان منَ الأوس ضربتُ عُنقَهُ، وإن كان من إخواننا منَ الخزرَج أمرتَنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعدُ بن عبادةَ - وهو سيِّد الخزرج، وكان قبلَ ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملتْه الحمية - فقال لسعدٍ: كذبتَ لَعمرُ الله، لا تقتلهُ ولا تقدرُ على قتله، فقام أُسَيدُ بن حُضَير -وهو ابن عمِّ سعدِ بن مُعاذ- فقال لسعدِ بن عبادة: كَذبتَ لعمرُ الله لنقتُلَنَّه، فإنك منافقٌ تجادلُ عن المنافقين، فَتَساوَرَ الحيَّانِ الأوسُ والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسولُ الله ﷺ قائمٌ على المنبر، فلم يزل رسولُ الله ﷺ يُخفِّضُهم حتى سَكتوا وسكت، قالت: فمكثتُ يومي ذلك لا يَرقَأُ لي دَمعٌ ولا أكتحِلُ بنوم، قالت: فأصبحَ أَبوايَ عندي وقد بكَيتُ ليلتَين ويوما لا أكتحِلُ بنوم ولا يرقأُ لي دمع يَظُنَّان أنَّ البكاءَ فالقٌ كِبدي، قالت: فبينما هما جالِسانِ عندي وأنا أبكي فاستأذنتْ عليَّ امرأةٌ منَ الأنصار فأذنتُ لها، فجلستْ تبكي معي، قالت: فبينا نحن على ذلك دخلَ علينا رسولُ الله ﷺ فسلَّمَ ثم جلس، قالت: ولم يَجلِسْ عندي منذ قيلَ ما قيل قبلها، وقد لَبثَ شهراً لا يُوحى إليه في شأني قالت: فتشهَّدَ رسولُ اللهِ ﷺ حينَ جلسَ ثم قال: أما بعدُ، يا عائشة فإنه قد بلَغني عنكِ كذا وكذا، فإن كنتِ بَريئةً فسيُبرِّؤكِ الله، وإن كنت أَلمتِ بذَنب فاستغفري اللهَ وتُوبي إليه، فإنَّ العبدَ إذا اعترَفَ بذنبه ثم تابَ إلى الله تابَ اللهُ عليه، قالت: فلما قضى رسولُ الله مَقالتَهُ قَلصَ دَمعي حتى ما أُحِسُّ منه قَطرة، فقلت لأبي: أجِبْ رسولَ الله ﷺ فيما قال، قال: واللهِ ما أدري ما أقول لرسولِ الله ﷺ، فقلتُ لأمي: أجيبي رسولَ الله قالت ما أدري ما أقولُ لرسولِ الله ﷺ، قالت فقلت -وأنا جارية حديثة السنِّ لا أقرأ كثيراً منَ القرآن-: إني واللهِ لقد علمتُ لقد سَمعتم هذا الحديثَ حتى استقرَّ في أنفُسِكم وصدَّقتم به، فلَئِن قلتُ لكم إني بَريئة - والله يَعلمُ أني بريئة - لا تُصدِّقونني بذلك، ولئن اعترَفتُ لكم بأمر - واللهُ يعلم أني منه بريئة - لتصدِّقنِّي، واللهِ ما أجدُ لكم مثلاً إلا قولَ أبي يوسف، قال: {فصبرٌ جميل، واللهُ المستَعانُ على ما تَصِفون} قالت: ثم تحوَّلت فاضطَجعتُ على فِراشي، قالت: وأنا حينئذٍ أعلم أني بريئةٌ وأنَّ الله مُبرِّئي ببراءتي، ولكنْ والله ما كنت أظنُّ أنَّ اللهَ منزلٌ في شأني وَحياً يُتلى ولشأني في نفسي كان أحقرَ

من أن يتكلم اللهُ فيَّ بأمر يُتلى ولكن كنتُ أرجو أن يرى رسولُ الله ﷺ في النوم رؤيا يبرِّؤني اللهُ بها، قالت: فو الله ما رامَ رسولُ الله ﷺ ولا خرَجَ أحدٌ من أهلِ البيت حتى أُنزلَ عليه، فأخذَه ما كان يأخذُه من البُرَحاء، حتى إنه ليتحدَّرُ منه مثلُ الجُمان من العَرق وهو في يومٍ شاتٍ من ثِقَل القول الذي يُنزلَ عليه، قالت: فلما سُرِّيَ عن رسولِ الله ﷺ سُرِّي عنه وهو يضحَك، فكانت أولُ كلمةٍ تكلمَ بها: يا عائشة، أما الله عزَّ وجل فقد برَّأك، فقالت أمي: قومي إليه قالت فقلت: واللهِ لا أقومُ إليهِ، ولا أحمدُ إلا اللهَ عزَّ وجل، وأنزلَ الله {إنَّ الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم لا تحسبوه...} العشرَ الآياتِ كلها، فلما أنزلَ اللهُ في بَراءتي قال أبو بكرٍ الصديقُ رضيَ الله عنه وكان يُنفِقُ على مِسطح بن أُثاثةَ لِقَرابته منه وفقره: والله لا أنفقُ على مسطحٍ شيئاً أبدا بعدَ الذي قال لعائشةَ ما قال فأنزَلَ الله {ولا يأتَلِ أولو الفضلِ منكم والسَّعة أن يُؤتوا أولي القُربى والمساكينَ والمهاجرينَ في سبيل الله، ولْيعفوا ولْيَصفَحوا، ألا تحِبُّون أن يغفرَ الله لكم واللهُ غفورٌ رحيم} قال أبو بكر: بلى والله، إني أحبُّ أن يغفرَ اللهُ لي، فرجَعَ إلى النفقةِ التي كان يُنفق عليه وقال: واللهِ لا أنزعُها منه أبداً، قالت عائشة وكان رسولُ اللهِ ﷺ يسأل زينب ابنة جحشٍ عن أمري فقال: يا زينبُ، ماذا علمتُ أو رأيتِ؟ فقالت: يا رسولَ الله، أحمي سمعي وبصَري، ما علمتُ إلا خيرا، قالت -وهيَ التي كانت تساميني من أزواج رسولِ الله ﷺ فعصَمَها الله بالوَرَع، وطفِقَت أختُها حَمنةُ تحاربُ لها، فهلكَت فيمن هلكَ من أصحابِ الإفك».

قوله (أقرع بين أزواجه) فيه مشروعة القرعة والرد على من منع منها، وقد تقدم التعريف بها وحكمها في أواخر كتاب الشهادات[1] في «باب القرعة في المشكلات».

قوله (في غزوة غزاها) هي غزوة بني المصطلق.

قوله (بعد ما نزل الحجاب) أي بعد ما نزل الأمر بالحجاب، والمراد حجاب النساء عن رؤية الرجال لهن، وكن قبل ذلك لا يمنعن، وهذا قالته كالتوطئة للسبب في كونها كانت مستترة في الهودج حتى أفضى ذلك إلى تحميله وهي ليست فيه وهم يظنون أنها فيه، بخلاف ما كان قبل الحجاب، فلعل النساء حينئذ كن يركبن ظهور الرواحل بغير هوادج، أو يركبن الهوادج غير مستترات، فما كان يقع لها الذي يقع، بل كان يعرف الذي كان يخدم بعيرها إن كانت ركبت أم لا.

قوله (وقفل) أي رجع من غزوته.

قوله (ودنونا من المدينة قافلين) أي راجعين، أي إن قصتها وقعت حال رجوعهم من الغزوة قرب دخولهم المدينة.

---

(١) كتاب الشهادات باب / ٣٠ ح ٢٦٨٩ - ٢ / ٤٩٠.

قوله (آذن) بمعنى أعلم بالرحيل.

قوله (فمشيت حتى جاوزت الجيش) أي لتقضي حاجتها منفردة.

قوله (فلما قضيت شأني) الذي توجهت بسببه.

قوله (عِقْد) قلادة تعلق في العنق للتزين بها.

قوله (من جزع) خزر معروف في سواده بياض كالعروق.

قوله (جزع أظفار) حكى ابن التين أن قيمته كانت اثني عشر درهماً.

قوله (فلما قضيت شأني) أي فرغت من قضاء حاجتي (أقبلت) أي رجعت إلى المكان الذي كانت نازلة فيه.

قوله (والعُلْقة) أي القليل، قال القرطبي: كأن المراد الشيء القليل الذي يسكن الرمق.

قوله (فلم يستنكر القوم خفة الهودج) المراد لم يستنكروا الثقل الذي اعتادوه، لأن ثقله في الأصل إنما هو مما ركب الهودج منه من خشب وحبال وستور وغير ذلك، وأما هي فلشدة نحافتها كان لا يظهر بوجودها فيه زيادة ثقل، والحاصل أن الثقل والخفة من الأمور الإضافية فيتفاوتان بالنسبة، ويستفاد من ذلك أيضاً أن الذين كانوا يرحلون بعيرها كانوا في غاية الأدب معها والمبالغة في ترك التنقيب عما في الهودج بحيث أنها لم تكن فيه وهم يظنون أنها فيه، وكأنهم جوزوا أنها نائمة.

قوله (وكنت جارية حديثة السن) هو كما قالت، لأنها أدخلت على النبي ﷺ بعد الهجرة في شوال ولها تسع سنين.

وقد أشرت إلى فائدة ذكرها قبل ذلك، ويحتمل أن تكون أشارت بذلك إلى بيان عذرها فيما فعلته من الحرص على العقد الذي انقطع، ومن استقلالها بالتفتيش عليه في تلك الحال وترك إعلام أهلها بذلك وذلك لصغر سنها وعدم تجاربها للأمور بخلاف ما لو كانت ليس صغيرة لكانت تتفطن لعاقبة ذلك، وقد وقع لها بعد ذلك في ضياع العقد أيضاً أنا أعلمت النبي ﷺ بأمره فأقام بالناس على غير ماء حتى وجدته ونزلت آية التيمم بسبب ذلك، فظهر تفاوت حال من جرب الشيء ومن لم يجربه، وقد تقدم إيضاحه في كتاب التيمم.

قوله (بعد ما استمر الجيش) أي ذهب ماضيا.

قوله (فجئت منازلهم وليس بهاد داع ولا مجيب) في رواية فليح «وليس فيها أحد» فإن قيل لم لم تستصحب عائشة معها غيرها فكان أدعى لأمنها مما يقع للمنفرد ولكانت لما تأخرت للبحث عن العقد ترسل من رافقها لينتظروها إن أرادوا الرحيل؟ والجواب أن هذا من جملة ما يستفاد من قوله حديثة السن، لأنها لم يقع لها تجربة مثل ذلك، وقد صارت بعد

ذلك إذا خرجت لحاجتها تستصحب كما سيأتي في قصتها مع أم مسطح، وقوله فأممت منزلي بالتخفيف أي قصدت.

قوله (فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت)، يحتمل أن يكون سبب النوم شدة الغم الذي حصل لها في تلك الحالة، ومن شأن الغم - وهو وقوع ما يكره - غلبة النوم، بخلاف الهم وهو توقع ما يكره فإنه يقتضي السهر، أو لما وقع من برد السحر لها مع رطوبة بدنها وصغر سنها، وعند ابن إسحق «فتلففت بجلباب ثم اضطجعت في مكاني، أو أن الله سبحانه وتعالى لطف بها فألقى عليها النوم لتستريح من وحشة الإنفراد في البرية بالليل.

قوله (وكان صفوان بن المعطل) وكان صحابياً فاضلا، وسيأتي في أثناء شرح هذا الحديث ما يدل على تقدم إسلامه، ويأتي أيضاً بعد خمسة أبواب قول عائشة إنه قتل شهيداً في سبيل الله، ومرادها أنه قتل بعد ذلك لا أنه في تلك الأيام، وقد ذكر ابن إسحق أنه استشهد في غزاة أرمينية في خلافة عمر سنة تسع عشرة.

قوله (فأدلج فأصبح عند منزلي) أدلج سار من أوله.

قوله (فرأى سواد إنسان نائم) السواد بلفظ ضد البياض يطلق على الشخص أي شخص كان، فكأنها قالت رأى شخص آدمي، لكن لا يظهر أهو رجل أو امرأة.

قوله (فعرفني حين رآني) هذا يشعر بأن وجهها انكشف لما نامت لأنه تقدم أنها تلففت بجلبابها ونامت، فلما انتبهت باسترجاع صفوان بادرت إلى تغطية وجهها.

قوله (وكان يراني قبل الحجاب) أي قبل نزول آية الحجاب، وهذا يدل على قدم إسلام صفوان، فإن الحجاب كان في قول أبي عبيدة وطائفة في ذي القعدة سنة ثلاث.

قوله (فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني) أي بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون، وصرح بها ابن إسحق في روايته، وكأنه شق عليه ما جرى لعائشة أو خشي أن يقع ما وقع، أو أنه اكتفى بالاسترجاع رافعاً به صوته عن مخاطبتها بكلام آخر صيانة لها عن المخاطبة في الجملة، وقد كان عمر يستعمل التكبير عند إرادة الإيقاظ، وفيه دلالة على فطنة صفوان وحسن أدبه.

قوله (فخمرت) أي غطيت (وجهي بجلبابي) أي الثوب الذي كان عليها.

قوله (فوطئ على يدها) أي ليكون أسهل لركوبها ولا يحتاج إلى مسها عند ركوبها، وفي حديث أبي هريرة «فغطى وجهه عنها ثم أدنى بعيره منها».

قوله (بعد ما نزلوا موغرين) أي نالين في وقت الوْغرة وهي شد الحر لما تكون الشمس في كبد السماء.

قوله (فهلك من هلك) أشارت بذلك إلى الذين تكلموا بالإفك وخاضوا في ذلك، وأما أسماؤهم فالمشهور في الروايات الصحيحه: عبد الله بن أبيّ، ومسطح بن أثاثة؛ وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش.

قوله (وكان الذي تولى كبره[١]) أي تصدى لذلك وتقلده، وكبره أي كبر الإفك وكبر الشيء معظمه وهو قراءة الجمهور بكسر الكاف.

قوله (فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك) ووقع في حديث ابن عمر: فشاع ذلك في العسكر فبلغ النبي ﷺ، فلما قدموا المدينة أشاع عبد الله بن أبي ذلك في الناس فاشتد على رسول الله ﷺ، وقوله «والناس يفيضون» أي يخوضون، من أفاض في قول إذا كثر منه.

قوله (الذي كنت أرى منه حين أشتكي) أي حين أمرض.

قوله (إنما يدخل[٢]فيسلم ثم يقول كيف تيكم) واستدلت عائشة بهذه الحالة على أنها استشعرت منه بعض جفاء، ولكنها لما لم تكن تدري السبب، لم تبالغ في التنقيب عن ذلك حتى عرفته.

قوله (نقهت) والناقة الذي أفاض من مرضه ولم تتكامل صحته.

قوله (فقالت تعس مسطح) أي كُبَّ لوجهه أو هلك ولزمه الشر أو بَعُد.

قوله (فقلت لها بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرا) قال أبو محمد بن أبي جمرة: يحتمل أن يكون قول أم مسطح هذا عمداً لتتوصل إلى إخبار عائشة بما قيل فيها وهي غافلة، ويحتمل أن يكون اتفاقاً أجراه الله على لسانها لتستيقظ عائشة من غفلتها عما قيل فيها.

قوله (قالت أي هَنْتاه) وهنتاه قيل امرأة وقيل بلْهَى، كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكائد الناس، وإذا خوطب المذكر قيل ياهنة.

قوله (وضيئة) من الوضاءة أي حسنة جميلة.

قوله (ضرائر) جمع ضرة قيل للزوجات ضرائر لأن كل واحد يحصل لها الضرر من الأخرى بالغيرة.

قوله (أكثرن عليها) وفي هذا الكلام من فطنة أمها وحسن تأتيها في تربيتها مالا مزيد عليه، فإنها علمت أن ذلك يعظم عليها فهونت عليها الأمر بإعلامها بأنها لم تنفرد بذلك، لأن المرء يتأسى بغيره فيما يقع له، وأدمجت في ذلك ما تطيب به خاطرها من أنها فائقة

---

(١) رواية الباب واليونينية "وكان الذي تولى الإفك".
(٢) رواية الباب واليونينية "إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ....." .

في الجمال والحظوة، وذلك مما يعجب المرأة أن توصف به، مع ما فيه من الإشارة إلى ما وقع من حمنة بنت جحش، وأن الحامل لها على ذلك كون عائشة ضرة أختها زينب بنت جحش، وعرف من هذا أن الاستثناء في قولها إلا أكثرن عليها متصل لأنها لم تقصد قصتها بعينها بل ذكرت شأن الضرائر وأما ضرائرها هي فإنهن وإن كن لم يصدر منهن في حقها شيء مما يصدر من الضرائر لكن لم يعدم ذلك ممن هو منهن بسبيل كما وقع من حمنة لأن ورع أختها منعها من القول في عائشة كما منع بقية أمهات المؤمنات، وإنما اختصت زينب بالذكر لأنها التي كانت تضاهي عائشة في المنزلة.

قوله (فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا؟) وفي رواية هشام بن عروة «فاستعبرت فبكيت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فقال لأمي: ما شأنها؟ فقالت: بلغها الذي ذكر من شأنها، ففاضت عيناه فقال: أقسمت عليك يا بنية إلا رجعت إلى بيتك، فرجعت».

قوله (فقلت سبحان الله) استغاثت بالله متعجبة من وقوع مثل ذلك في حقها مع براءتها المحققة عندها.

قوله (لا يرقأ لي دمع) أي لا ينقطع.

قوله (ولا أكتحل بنوم) استعارة للسهر.

قوله (علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد[(١)]) في حديث ابن عمر «وكان إذا أراد أن يستشير أحداً في أمر أهله لم يعْد علياً وأسامة».

قوله (حين استلبث الوحي) بالرفع أي طال لبث نزوله، وبالنصب أي استبطأ النبي ﷺ نزوله.

قوله (أهلك) بالرفع فإن في رواية معمر «هم أهلك» ولو لم تقع هذه الرواية لجاز النصب أي أمسك ومعناه هم أهلك أي العفيفة اللائقة بك، ثم لم يكتف بذلك حتى أخبر بما عنده فقال: «ولا نعلم إلا خيرا».

قوله (وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير) وهذا الكلام الذي قاله عليّ حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ لما رأى عنه من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان ﷺ شديد الغيرة، فرأى علي أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما، وقال النووي: رأى علي أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ

---

(١) في المتن واليو نينية "... علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما".

واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة لإرادة راحة خاطره ﷺ، وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: لم يجزم علي بالإشارة بفراقها لأنه عقب ذلك بقوله «وسل الجارية تصدقك» ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ﷺ، فكأنه قال: إن أردت تعجيل الراحة ففارقها، وإن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطلع على براءتها، لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته، وهي لم تعلم من عائشة إلى البراءة المحضة، والعلة في اختصاص علي وأسامة بالمشاورة أن علياً كان عنده كالولد لأنه رباه من حال صغره ثم لم يفارقه، بل وازداد اتصاله بتزويج فاطمة فلذلك كان مخصوصا بالمشاورة فيما يتعلق بأهله لمزيد اطلاعه على أحواله أكثر من غيره، وكان أهل مشورته فيما يتعلق بالأمور العامة أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر، وأما أسامة فهو كعلي في طول الملازمة ومزيد الاختصاص والمحبة، ولذلك كانوا يطلقون عليه أنه حبُّ رسول الله ﷺ؛ وخصه دون أبيه وأمه لكونه كان شاباً كعلي، وإن كان علي أسن منه، وذلك أن للشاب من صفاء الذهن ما ليس لغيره، ولأنه أكثر جرأة على الجواب بما يظهر له من المسن، لأن المسن غالباً يحسب العاقبة فربما أخفى بعض ما يظهر له رعاية للقائل تارة والمسؤول عنه أخرى، مع ما ورد في بعض الأخبار أنه استشار غيرهما.

قوله (إن رأيت عليها أمراً) أي ما رأيت فيها مما تسألون عنه شيئاً أصلاً وأما من غيره ففيها ما ذكرت من غلبة النوم لصغر سنها ورطوبة بدنها.

قوله (أغمصه) أي أعيبه.

قوله (سوى[1]أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها) في رواية ابن إسحق «ما كنت أعيب عليها إلا أني كنت أعجن عجيني وآمرها أن تحفظه فتنام عنه» وفي رواية مقسم «مارأيت منها مذ كنت عندها إلا أني عجنت عجينا لي فقلت: احفظي هذه العجينة حتى أقتبس ناراً لاخبزها، فغفلت، فجاءت الشاة فأكلتها» وهو يفسر المراد بقوله في رواية الباب «حتى تأتي الداجن» الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى، وقيل هي كل ما يألف البيوت مطلقاً شاة أو طيرا، قال ابن المنير في الحاشية: هذا من الاستثناء البديع الذي يراد به المبالغة في نفي العيب، فغفلتها عن عجينها أبعد لها من مثل الذي رميت به وأقرب إلى أن تكون من الغافلات المؤمنات، وكذا في قولها في رواية هشام بن عروة «ما علمت منها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر» أي كما لا يعلم الصائغ من الذهب الأحمر إلا الخلوص من العيب فكذلك أنا لا أعلم منها إلا الخلوص من العيب.

قوله (فاستعذر من عبد الله بن أبي[2]) أي طلب من يعذره منه، أي ينصفه، قال

(١) رواية الباب واليونينية بدون "سوى"
(٢) رواية الباب واليونينية "فاستعذر يومئذٍ من عبد الله بن أبي ابن سلول"

الخطابي: يحتمل أن يكون معناه من يقوم بعذره فيما رمى أهلي به من المكروه، ومن يقوم بعذري إذا عاقبته على سوء ما صدر منه؟ ورجح النووي هذا الثاني.

قوله (بلغني أذاه في أهل بيتي) قال ابن الجوزي: المراد رموا أهلي بالقبيح.

قوله (ولقد ذكروا رجلاً) زاد الطبري في روايته «صالحا» وزاد أبو أويس في روايته «وكان صفوان بن المعطل قعد لحسان فضربه ضربة بالسيف وهو يقول:

تلق ذباب السيف مني فإنني غلام إذا هوجئت لست بشاعر

فصاح حسان، ففر صفوان، فاستوهب النبي ﷺ من حسان ضربة صفوان فوهبها له.

قوله (وكان قبل ذلك رجلاً صالحا) أي كامل الصلاح، في رواية الواقدي «وكان صالحاً لكن الغضب بلغ منه ومع ذلك لم يغمص عليه في دينه».

قوله (ولكن احتملته الحمية) أي أغضبته.

قوله (ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل) ونقل ابن التين عن الداودي أن معنى قوله كذبت لا تقتله أن النبي ﷺ لا يجعل حكمه إليك فلذلك لا تقدر على قتله، وهو حمل جيد.

ولم يرد سعد بن عبادة الرضا بما نقل عن عبد الله بن أبي، وإنما معنى قول عائشة «وكان قبل ذلك رجلاً صالحا» أي لم يتقدم منه ما يتعلق بالوقوف مع أنفة الحمية، ولم ترد أنه ناضل عن المنافقين.

قوله (فتثاروا) أي نهض بعضهم إلى بعض من الغضب.

قوله (وقد بكيت ليلتين ويوما) أي الليلة التي أخبرتها فيها أم مسطح الخبر واليوم الذي خطب فيه النبي ﷺ الناس والليلة التي تليه.

قوله (فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه) قال الداودي: أمرها بالاعتراف ولم يندبها إلى الكتمان للفرق بين أزواج النبي ﷺ وغيرهن، فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن ولا يكتمنه إياه، لأنه لا يحل لنبي إمساك من يقع منها ذلك، بخلاف نساء الناس فإنهن ندبن إلى الستر، وتعقب عياض بأنه ليس في الحديث ما يدل على ذلك، ولافيه أنه أمرها بالاعتراف، وإنما أمرها أن تستغفر الله وتتوب إليه أي فيما بينها وبين ربها، فليس صريحاً في الأمر لها بأن تعترف عند الناس بذلك، وسياق جواب عائشة يشعر بما قاله الداودي، لكن المعترف عنده ليس إطلاقه فليتأمل، ويؤيد ما قال عياض أن في رواية حاطب «قالت فقال أبي: إن كنت صنعت شيئاً فاستغفري الله وإلا فأخبري رسول الله ﷺ بعذرك».

قوله (قلص دمعي) أي استمسك نزوله فانقطع، قال القرطبي: سببه أن الحزن والغضب إذا أخذ أحدهما فقد الدمع لفرط حرارة المصيبة.

قوله (فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول) قيل إنما قالت عائشة لأبيها ذلك مع أن السؤال إنما وقع عما في باطن الأمر وهو لا اطلاع له على ذلك، لكن قالته إشارة إلى أنها لم يقع منها شيء في الباطن يخالف الظاهر الذي هو يطلع عليه فكأنها قالت له: برئني بما شئت وأنت على ثقة من الصدق فيما تقول، وإنما أجابها أبو بكر بقوله لا أدري لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ، فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى، ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يزكي ولده، وكذا الجواب عن قول أمها لا أدري، ووقع في رواية هشام بن عروة الآتية «فقال ماذا أقول «وفي رواية أبي أويس «فقلت لأبي أجب، فقال: لا أفعل، هو رسول الله والوحي يأتيه».

قوله (قالت قلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن) قالت هذه توطئة لعذرها لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عليه السلام كما سيأتي.

قوله (لا تصدقونني بذلك) أي لا تقطعون بصدقي.

قوله (فو الله ما رام رسول الله ﷺ) أي فارق، أي ما فارق مجلسه.

قوله (ولا خرج أحد من أهل البيت) أي الذين كانوا حينئذ حضورا.

قوله (فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء) هي شدة الحمي، وقيل شدة الكرب، وقيل شدة الحر، ومنه برح بي الهم إذا بلغ مني غايته.

قوله (حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي[١]من ثقل القول الذي ينزل عليه) الجمان اللؤلؤ، وفي رواية ابن إسحق «فأما أنا فو الله ما فزعت قد عرفت أني بريئة، وأن الله غير ظالمي، وأما أبواي فما سري عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً منه أن يأتي من الله تحقيق ما يقول الناس».

قوله (فلما سُرِّي) أي كشف.

قوله (فكان أول كلمة تكلم بها: يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك) وفي رواية فليح «أن قال لي: يا عائشة احمدي الله، فقد برأك» زاد في رواية معمر، أبشري».

قوله (أما الله[٢]فقد برأك) أي بما أنزل من القرآن.

قوله (فرجع[٣]إلى مسطح النفقة) أي ردها إليه.

قوله (يسأل زينب بنت[٤]جحش) أي أم المؤمنين، (أحمى سمعي وبصري) أي من الحماية

(١) رواية الباب واليونينية "... في يوم شات من ثقل القول ..." .
(٢) رواية الباب واليونينية "أمّا الله عز وجل ....".
(٣) رواية الباب "فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه" ورواية الشارح توافق اليونينية.
(٤) رواية الباب واليونينية ".... ابنة جحش".

فلا أنسب إليهما مالم أسمع وأبصر.

قوله (وهي التي كانت تساميني) أي تعاليني من السمو وهو العلو والارتفاع أي تطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي ﷺ ما أطلب، أو تعتقد أن الذي لها عنده مثل الذي لي عنده.

قوله (فعصمها الله) أي حفظها ومنعها.

قوله (بالورع) أي بالمحافظة على دينها ومجانبة ما تخشى سوء عاقبته.

قوله (وطفقت) أي جعلت أو شرعت، وحمنة كانت تحت طلحة بن عبيد الله.

قوله (تحارب لها) أي تجادل لها وتتعصب وتحكي ما قال أهل الإفك لتنخفض منزلة عائشة وتعلو مرتبة أختها زينب.

قوله (فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك) أي حدثت فيمن حديث أو أثمت مع من أثم.

وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم: جواز الحديث عن جماعة ملفقاً مجملاً، وقد تقدم البحث فيه، وفيه مشروعية القرعة حتى بين النساء وفي المسافرة بهن والسفر بالنساء حتى في الغزو، وجوزا حكاية ما وقع للمرء من الفضل ولو كان فيه مدح ناس وذم ناس إذا تضمن ذلك إزالة توهم النقص عن الحاكي إذا كان بريئاً عند قصد نصح من يبلغه ذلك لئلا يقع فيما وقع فيه من سبق وأن الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم أولى من تركه يقع في الإثم وتحصيل الأجر للموقوع فيه، وفيه استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من الكلام، وأن الهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة، وجواز ركوب المرأة الهودج على ظهر البعير ولو كان ذلك مما يشق عليه حيث يكون مطيقا لذلك، وفيه خدمة الأجانب للمرأة من وراء الحجاب، وجواز تستر المرأة بالشيء المنفصل عن البدن، وتوجه المرأة لقضاء حاجتها وحدها وبغير إذن خاص من زوجها بل اعتماداً على الإذن العام المستند إلى العرف العام، وجواز تحلي المرأة في السفر بالقلادة ونحوها، وصيانة المال ولو قل للنهي عن إضاعة المال، فإن عقد عائشة لم يكن من ذهب ولا جوهر، وفيه شؤم الحرص على المال لأنها لو لم تطل في التفتيش لرجعت بسرعة فلما زاد على قدر الحاجة أثر ما جرى، وقريب منه قصة المتخاصمين حيث رفع علم ليلة القدر بسببهما فإنهما لم يقتصرا على ما لا بد منه بل زادا في الخصام حتى ارتفعت أصواتهما فأثر ذلك بالرفع المذكور، وتوقف رحيل العسكر على إذن الأمير، واستعمال بعض الجيش ساقه يكون أميناً ليحمل الضعيف ويحفظ ما يسقط وغير ذلك من المصالح، والاسترجاع عند المصيبة، وتغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي، وإغاثة

الملهوف، وعون المنقطع، وانقاذ الضائع، وإكرام ذوي القدر وإيثارهم بالركوب وتجشم المشقة لأجل ذلك، وحسن الأدب مع الأجانب خصوصاً النساء لا سيما في الخلوة، والمشي أمام المرأة ليستقر خاطرها وتأمن مما يتوهم من نظره لما عساه ينكشف منها في حركة المشي، وفيه ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص وإن لم يتحقق، وفائدة ذلك أن تتفطن لتغيير الحال فتعتذر أو تعترف، وأنه لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤذي باطنه لئلا يزيد ذلك في مرضه، وفيه السؤال عن المريض وإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة، فإذا كان السبب محققاً فيترك أصلا، وإن كان مظنونا فيخفف، وإن كان مشكوكاً فيه أو محتملاً فيحسن التقليل منه لا للعمل بما قيل بل لئلا يظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حقه، لأن ذلك من خوارم المروءة، وفيه أن المرأة إذا خرجت لحاجة تستصحب من يؤنسها أو يخدمها ممن يؤمن عليها وفيه ذب المسلم عن المسلم خصوصاً من كان من أهل الفضل، وردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل، وبيان مزيد فضيلة أهل بدر.

وفيه مشروعية التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذب، وتوجيهه هنا أنه سبحانه وتعالى ينزه أن يحصل لقرابة رسول الله ﷺ تدنيس، فيشرع شكره بالتنزيه في مثل هذا، نبه عليه أبو بكر بن العربي، وفيه توقف خروج المرأة من بيتها على إذن زوجها ولو كانت إلى بيت أبويها.

وفيه استشارة المرء أهل بطانته ممن يلوذ به بقرابة وغيرها، وتخصيص من جربت صحة رأيه منهم بذلك ولو كان غيره أقرب، والبحث عن حال من اتهم بشيء، وحكاية ذلك للكشف عن أمره ولا يعد ذلك غيبة، وفيه استعمال «لا نعلم إلا خيرا» في التزكية، وأن ذلك كاف في حق ما سبقت عدالته ممن يطلع على خفي أمره، وفيه التثبت في الشهادة .

وفيه أن النبي ﷺ كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي لأنه ﷺ لم يجزم في القصة بشيء قبل نزول الوحي، وأن الحمية لله ورسوله لا تذم، وفيه فضائل جمة لعائشة ولأبويها ولصفوان ولعلي بن أبي طالب وأسامة وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وفيه أن التعصب لأهل الباطل يخرج عن اسم الصلاح، وجواز سب من يتعرض للباطل ونسبته إلى ما يسوءه وإن لم يكن ذلك في الحقيقة فيه، لكن إذا وقع منه ما يشبه ذلك جاز إطلاق ذلك عليه تغليظاً له.

وفيه الندب إلى قطع الخصومة، وتسكين ثائرة الفتنة، وسد ذريعة ذلك، واحتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما، وفضل احتمال الأذى، وفيه مباعدة من خالف الرسول ولو كان

قريباً حميما، وفيه أن من آذى النبي ﷺ بقول أو فعل يقتل لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك ولم ينكره النبي ﷺ، وفيه تثبت أبي بكر الصديق في الأمور.

وفيه مشروعية التوبة وأنها تقبل من المعترف المقلع المخلص، وأن مجرد الاعتراف لا يجزئ فيها، وأن الاعتراف بما لم يقع لا يجوز ولو كان عرف أنه يصدق في ذلك، ولا يؤاخذ على ما يترتب على اعترافه، بل عليه أن يقول الحق أو يسكت، وأن الصبر تحمد عاقبته ويغبط صاحبه، وفيه تقديم الكبير في الكلام وتوقف من اشتبه عليه الأمر في الكلام، وفيه تبشير من تجددت له نعمة أو اندفعت عنه نقمة، وفيه الضحك والفرح والاستبشار عند ذلك، ومعذرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه، وتدريج من وقع في معصية فزالت عنه لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلة فيهلكه، يؤخذ ذلك من ابتداء النبي ﷺ بعد نزول الوحي ببراءة عائشة بالضحك ثم تبشيرها ثم إعلامها ببراءتها مجملة ثم تلاوته الآيات على وجهها.

وفيه أن الشدة إذا اشتدت أعقبها الفَرَج، وفضل من يفوض الأمر لربه.

وفيه الحث على الإنفاق في سبيل الخير خصوصاً في صلة الرحم، ووقوع المغفرة لمن أحسن إلى من أساء إليه أو صفح عنه، وأن من حلف أن لا يفعل شيئاً من الخير استحب له الحِنث.

وفيه التسبيح عند التعجب واستعظام الأمر، وذم الغيبة وذم سماعها وزجر من يتعاطاها لا سيما إن تضمنت تهمة المؤمن بما لم يقع منه، وذم إشاعة الفاحشة، وتحريم الشك في براءة عائشة.

٧ ـ باب {ولولا فضلُ الله عليكم ورحمتهُ في الدُّنيا والآخرة لَمَسَّكم فيما أفَضتم فيه عذابٌ عظيم}

وقال مجاهد {تَلَقَّونَهُ}: يَرويهِ بعضكم عن بعض، {تُفِيضونَ}: تقولون.

٤٧٥١ ـ عن أُمِّ رومان - أمِّ عائشةَ - أنها قالت: «لما رُمِيَت عائشةُ خَرَّت مَغشِيّا عليها».

قوله (وقال مجاهد تلقونه يرويه بعضكم عن بعض) وصله الفريابي من طريقه وقال: معناه من التلقي للشيء وهو أخذه وقبوله، وهو على القراءة المشهورة، وبذلك جزم أبو عبيدة وغيره، وتلقونه بحذف إحدى التاءين، وقرأ ابن مسعود بإثباتها، وقراءة عائشة ويحيى بن يعمر «تلقونه» بكسر اللام وتخفيف القاف من الولق بسكون اللام وهو الكذب، وقال الفراء: الولق الاستمرار في السير وفي الكذب، ويقال الذي أدمن الكذب الالق بسكون اللام وبفتحها أيضاً، وقد تقدم في غزوة المريسيع التصريح بأن عائشة قرأته كذلك،

وأن ابن أبي مليكة قال: هي أعلم من غيرها بذلك لكونه نزل فيها.

٨ - باب {إذ تَلَقَّونَهُ بألسنَتِكم وتقولونَ بأفواهِكم ماليس لكم به علم وتَحسَبونَه هَيِّناً وهو عندَ اللهِ عظيم}

٤٧٥٢ - عن ابنِ أبي مُلَيكةَ قال: «سمعتُ عائشةَ تَقرأ {إذ تَلِقُونَهُ بألسنَتِكم}».

باب {ولولا إذ سَمِعتُموه قلتم ما يكونُ لنا أن نَتكلمَ بهذا، سبحانَكَ هذا بهتانٌ عظيم}

٤٧٥٣ - عن ابنِ أبي مُلَيكةَ قال: «استأذَنَ ابنُ عباسٍ - قُبيل موتها - على عائشةَ وهي مَغلوبةٌ، قالت: أخشى أن يُثني عليّ، فقيل: ابنُ عمِّ رسولِ الله ومِن وُجوهِ المسلمين، قالت: ائذَنو له، فقال: كيفَ تجدِينَكِ؟ قالت: بخيرٍ إن اتقيتُ، قال: فأنتِ بخير إن شاء الله تعالى، زوجةُ رسولِ الله ﷺ؛ ولم يَنكِحْ بِكراً غيركِ، ونزَلَ عُذرُكِ من السماء، ودَخلَ ابنُ الزُّبيرِ خِلافَه فقالت: دخلَ ابنُ عباسٍ فأثنى عليَّ، وَدِدْتُ أني كنت نَسياً مَنْسيّاً».

٤٧٥٤ - عن القاسم «أن ابنَ عبّاسٍ رضيَ الله عنه استأذَنَ على عائشةَ.. نحوه» ولم يذكر «نسياً مَنسيا».

قوله (وهي مغلوبة) أي من شدة كرب الموت.

قوله (كيف تجدينك) في رواية ابن ذكون «فلما جلس قال: أبشري، قالت: وأيضاً قال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد.

قوله (بخير إن اتقيت) أي إن كنت من أهل التقوى.

قوله (فأنت بخير إن شاء الله تعالى، زوجة رسول الله ﷺ ولم ينكح بكراً غيرك) في رواية ذكون «كنت أحب نساء رسول الله ﷺ، ولم يكن يحب إلا طيباً».

قوله (ونزل عذرك من السماء) يشير إلى قصة الإفك.

قوله (وددت الخ) هو علي عادة أهل الورع في شدة الخوف على أنفسهم.

وفي هذه القصة دلالة على سعة علم ابن عباس وعظيم منزلته بين الصحابة والتابعين، وتواضع عائشة وفضلها وتشديدها في أمر دينها، وأن الصحابة كانوا لا يدخلون على أمهات المؤمنين إلا بإذن، ومشورة الصغير على الكبير إذا رآه عدل إلى ما الاولى خلافه، والتنبيه على رعاية جانب الأكابر من أهل العلم والدين، وأن لا يترك ما يستحقونه من ذلك لمعارض دون ذلك في المصلحة.

باب- {يَعظُكُم الله أن تَعودوا لمثله أبدا} الآية

٤٧٥٥ - عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «جاء حسّانُ بن ثابتٍ يَستأذِنُ عليها، قلتُ

أتأذنِينَ لهذا؟ قالت: أوَليسَ قد أصابه عذاب عظيم؟ قال سفيانُ: تَعني ذهاب بَصَره، فقال:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ وتُصبِحُ غَرثى من لحوم الغَوافل

قالت: لكن أنت...».

١٠ - باب {ويُبيِّنُ اللهُ لكم الآياتِ، واللهُ عليمٌ حكيم}.

٤٧٥٦ - عن مَسروق قال: دَخلَ حسّانُ بن ثابتٍ على عائشةَ فشَبَّبَ وقال:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ وتُصبِحُ غَرثى من لحوم الغَوافل

قالت عائشة: لستَ كذاك، قلتُ: تَدَعِينَ مثلَ هذا يَدخُلُ عليك وقد أنزلَ الله {والذي تولّى كِبرَهُ منهم} فقالت: وأيُّ عذابٍ أشدُّ من العَمى، وقالت: وقد كان يَرُدُّ عن رسولِ الله ﷺ».

قوله (حصان) يراد به الامتناع على الرجال ومن نظرهم إليها، وقوله «رزان» من الرزانة يراد قلة الحركة، «وتزن» أي ترمي، وقوله «غرثى» أي خميصة البطن أي لا تغتاب أحداً، وهي استعارة فيها تلميح بقوله تعالى في المغتاب {أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً}، و«الغوافل» جمع غافلة وهي العفيفة الغافلة عن الشر، والمراد تبرئتها من اغتياب الناس بأكل لحومهم من الغيبة، ومناسبة تسمية «الغيبة» بأكل اللحم أن اللحم ستر على العظم، فكأن المغتاب يكشف ما على من اغتابه من ستر.

قوله (قالت: لكن أنت) في رواية شعيب «قالت: لست كذاك» وزاد في آخره «وقالت: قد كان يرد عن رسول الله ﷺ وتقدم في المغازي من وجه آخر عن شعبة بلفظ «أنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ» ودل قول عائشة «لكن أنت لست كذلك» على أن حسان كان ممن تكلم في ذلك.

«قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء».

١١ - باب {إنَّ الذين يُحبُّونَ أن تَشيعَ الفاحشةُ في الذين آمَنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدُّنيا والآخرة واللهُ يَعلمُ وأنتم لا تَعلمون، ولولا فضلُ الله عليكم ورحمتهُ وأنَّ اللهَ رءوفٌ رَحيم، ولا يَأتَلِ أولو الفضلِ مَنكم والسَّعة أن يُؤتُوا أولي القُربى والمساكينَ والمهاجرينَ في سبيل اللهَ وليَعفوا وليَصفحوا، ألا تُحبُّونَ أن يَغفرَ الله لكَم، واللهُ غَفورٌ رحيم}.

٤٧٥٧ - عن عائشة قالت: «لما ذُكِرَ من شأني الذي ذكر وما عَلمتُ به، قامَ رسولُ اللهِ ﷺ فيَّ خطيباً فتشهَّدَ فحمدَ اللهَ وأثنى عليه بما هوَ أهلهُ ثم قال: أما بعدُ أشيروا عليَّ في

أُناسٍ أَبَنُوا أهلي، وايمُ اللهِ ما علمتُ على أهلي من سُوءٍ، وأَبَنُوهم بمن واللهِ ما علمتُ عليهِ من سُوءٍ قطُّ ولا يدخل بيتي قطُّ إلاّ وأنا حاضِر، ولا غِبتُ في سَفَرٍ إلا غابَ معي، فقام سعدُ بن مُعاذ فقال: ائذَنْ لي يا رسولَ الله أن نَضربَ أعناقَهم، وقام رجلٌ من بني الخزرج - وكان أمُّ حسانَ بن ثابتٍ من رهطِ ذلك الرجل - فقال: كَذَبْتَ، أما واللهِ أنْ لو كانوا منَ الأوسِ ما أحبَبت أن تُضرَبَ أعناقهم، حتى كادَ أن يكونَ بينَ الأوسِ والخزرج شرٌّ في المسجد وما علمتُ، فلما كان مَساءُ ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أمُّ مِسطحٍ، فعثَرَت وقالت: تَعِسَ مِسطح فقلت: أي أم، تسبِّينَ ابنَكِ؟ وسكَتَت، ثم عثَرَت الثانيةَ فقالت: تعِسَ مسطح، فقلت لها: تسبين ابنك؟ ثم عثرت الثالثة، فقالت: تعس مسطح فانتهرتها، فقالت: والله ما أسبُّه إلا فيك، فقلت: في أيِّ شأني؟ قالت فبقرَت لي الحديثَ، فقلت: وقد كان هذا؟ قالت: نعم واللهِ، فرجَعتُ إلى بيتي كأنَّ الذي خرَجت له لا أجدُ منه قليلا ولا كثيرا، ووَعِكت، فقلتُ لرسولِ الله ﷺ: أرسِلْني إلى بيت أبي، فأرسلَ معي الغُلامَ، فدخلتُ الدار فوجدتُ أمَّ رومان في السُّفلِ وأبا بكرٍ فوق البيتَ يقرأ، فقالت أمِّي ما جاء بكِ يا بُنَيَّة؟ فأخبرتها وذكرت لها الحديثَ، وإذا هوَ لم يَبلُغ منها مثلَ ما بلغَ مني، فقالت: يا بنيَّة، خَفِّضي عليكِ الشأنَ، فإنهُ واللهِ لقلَّما كانت امرأةٌ قط حسناءُ عند رجل يحبُّها لها ضَرائر إلاّ حَسَدْنها وقيلَ فيها، وإذا هوَ لم يَبلغْ منها ما بلغ مني، قلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم، قلت: ورسول الله ﷺ؟ قالت: نعم ورسول اللهِ ﷺ، واستَعبَرتُ وبَكيتُ، فسمعَ أبو بكرٍ صوتي وهو فوقَ البيتَ يَقرَأ، فنزَلَ فقال لأمي: ما شأنُها؟ قالت: بلغَها الذي ذُكِرَ من شأنِها، ففاضَت عَيناه، قال: أقسمتُ عليكِ أي بُنيَّة إلا رَجَعت إلى بيتِك فرجَعت، ولقد جاء رسولُ الله ﷺ بيتي فسألَ عني خادمتي، فقالت: لا واللهِ ما علمت عليها عَيباً إلا أنها كانت ترقد حتى تدخلَ الشاة فتأكل خَميرَها، أو عجينها، فانتَهرَها بعض أصحابهِ فقال: اصدقي رسولَ الله ﷺ حتى أسقَطوا لها به، فقالت: سبحانَ الله، واللهِ ما علمتُ عليها إلا ما يعلم الصائغ على تِبرِ الذَّهبِ الأحمر، وبلغَ الأمر إلى ذلك الرجلِ الذي قيل له، فقال: سبحانَ الله، واللهِ ما كشَفَت كَنَف أنثى قطُّ، قالت عائشة: فقتلَ شهيداً في سبيلِ الله، قالت: و أصبحَ أبواي عندي، فلم يزالا حتى دخل رسول الله ﷺ وقد ﷺ العصر، ثم دخل وقد اكتَنفَني أبواي عن يميني وعن شِمالي فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: أما بعدُ يا عائشة، إن كنتِ قارفْتِ سوءاً أو ظلمتِ فتُوبي إلى الله، فإنَّ اللهَ يقبلَ التوبةَ من عِباده، قالت: وقد جاءتِ امرأةٌ منَ الأنصار فهيَ جالسةٌ بالباب فقلت: ألا تَستَحْيي من هذهِ المرأة أن تَذكُرَ شيئاً، فوَعظَ رسول الله ﷺ، فالتفتُّ إلى أبي

فقلتُ: أجِبْه، قال: فماذا أقول؟ فالتفتُّ إلى أمي فقلت: أجيبيه، فقالت: أقولُ ماذا؟ فلما لم يُجيباهُ، تَشهَّدتُ فحمِدتُ الله وأثنيتُ عليه بما هو أهله ثم قلت: أما بعد، فو الله لئن قلت لكم إني لم أفعَلْ - واللهُ عزَّ وجل يَشهدُ إني لصادقة - ماذاكَ بنافِعي عندكم، لقد تكلمتم به وأُشرِبَتْهُ قلوبُكم، وإن قلت إني فعلت -واللهُ يعلمُ أني لم أفعَل- لَتَقولنَّ قد باءت به على نفسِها، وإني واللهِ ما أجدُ لي ولكم مَثَلاً - والتَمستُ اسمَ يعقوبَ فلم أقدر عليه - إلا أبا يوسفَ حين قال: {فصبرٌ جميل، واللهُ المستعانُ على ما تصفون}، وأُنزلَ على رسولِ الله ﷺ مِن ساعته، فسكتنا، فرُفِعَ عنه، وإني لأتبيَّنُ السُّرورَ في وَجهِه وهو يمسحُ جَبينَه ويقول: أبشِري يا عائشة، فقد أنزَلَ اللهُ براءَتكِ قالت: وكنتُ أشدُّ ما كنتُ غضباً، فقال لي أبوايَ: قومي إليه، فقلت: واللهِ لا أقومُ إليه، ولا أحمده ولا أحَمدكما، ولكن أحمدُ اللهَ الذي أنزَلَ براءتي، لقد سمعتموهُ فما أنكرتموه ولا غيَّرتموه، وكانت عائشة تقول: أما زينب ابنة جحش فعصَمها اللهُ بدينها فلم تَقل إلا خيراً، وأما أختُها حَمنةُ فهَلَكَتْ فيمن هَلَك، وكان الذي يَتكلمُ فيه مِسطحٌ وحَسّانُ بن ثابتٍ والمنافقُ عبدُ اللهِ بن أُبيّ وهو الذي كان يَستَوشيه ويجمعُه، وهو الذي تولَّى كِبرَهُ منهم، هوَ وَحمنة، قالت: فحلفَ أبو بكرٍ أن لا يَنفعَ مِسطَحاً بنافعةٍ أبدا، فأنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ {ولا يَأتَلِ أولو الفضل منكم} إلى آخر الآية يعني أبا بكرٍ {والسعةِ أن يُؤتوا أولي القربى والمساكينَ} يعني مِسطحاً إلى قولهِ {ألا تُحبُّونَ أن يَغفرَ اللهُ لكم، واللهُ غفورٌ رحيم} حتى قال أبو بكر: بلى والله يا ربَّنا، إنّا لَنُحبُّ أن تَغفرَ لنا، وعادَ له بما كانَ يصنع».

قوله ({ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين -إلى قوله- والله غفور رحيم}) فقال أبو عبيدة: معناه لا يفتعل من آليت أي أقسمت.

وقد روى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {ولا يأتل} يقول لا يقسم.

١٢ - باب {ولْيَضرِبنَ بِخُمُرهنَّ على جُيوبهنَّ}

٤٧٥٨ - عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «يَرحَمُ اللهُ نِساءَ المهاجراتِ الأوَل، لما أنزلَ اللهُ {وليَضرِبنَ بخُمرِهنَّ على جُيوبهنَّ} شَقَقْنَ مُروطَهنَّ فاختمرنَ بها».

[الحديث ٤٧٥٨ - طرفه في: ٤٧٥٩]

٤٧٥٩ - عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها كانت تقول: «لما نزلَت هذهِ الآية {وليضرِبنَ بخمرِهنَّ على جَيوبهنَّ} أخَذنَ أُزرَهنَّ فشقَقنَها من قِبَلِ الحواشي فاختمرنَ بها».

قوله (باب وليضربن بخمرهن على جيوبهن) كأنه يضربن ضمن معنى يلقين فلذلك عدي بعلى.

قوله (مروطهن) جمع مرط وهو الإزار.

قوله (فاختمرن) أي غطين وجوههن؛ وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنع، قال البراء: كانوا في الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما قدامها، فأمرن بالاستتار، والخمار للمرأة كالعمامة للرجل.

قوله (لما نزلت هذه الآية {وليضربن بخمرهن على جيوبهن} أخذن أزرهن) وأخرجه الحاكم من طريق زيد بن الحباب عن إبراهيم بن نافع بلفظ «أخذ نساء الأنصار» ولابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عثمان بن خيثم عن صفية ما يوضح ذلك، ولفظه «ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن، فقالت: إن نساء قريش لفضلاء، ولكني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار: أشد تصديقاً بكتاب الله ولا إيمانا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور {وليضربن بخمرهن على جيوبهن} فانقلب رجالهن إليهم يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها أصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن رءوسهن الغربان» ويمكن الجمع بين الروايتين بأن نساء الأنصار بادرن إلى ذلك.

(٢٥) سورة الفرقان

قال ابنُ عباسٍ {هَباءً مَنثورا}: ما تَسفِي به الرِّيح، {مدَّ الظلَّ}: ما بينَ طلوعِ الفجرِ إلى طُلوعِ الشمس، {ساكناً}: دائماً، {عليه دليلا}: طُلوع الشمس، {خِلفة}: من فاتهُ منَ الليل عملٌ أدركهُ بالنهار، أو فاتهُ بالنهارِ أدركهُ بالليل، وقال الحسنُ: {هَبْ لنا من أزواجِنا وذرِّياتِنا قرَّة أعين}: في طاعة الله، وما شيءٌ أقرَّ لعينِ المؤمنِ من أن يَرَى حبيبَهُ في طاعةِ الله، وقال ابنُ عباس {ثُبورا} وَيْلاً، وقال غيره السعير مذكر، والتَّسَعُّرُ والاضطِرام: التوقد الشديد، {تملى عليه}: تُقرأُ عليه، من أمليتُ وأمللتُ، {الرَّسِّ}: المعدِن، جمعه رِساس، {ما يَعبأ} يقال ما عَبأت به شيئاً: لا يُعتَدُّ به، {غراما}: هلاكا، وقال مجاهد: {وعَتَوا} طَغَوا، وقال ابن عيينة {عاتية}: عَتَت عَلَى الخُزَّان.

قوله (سورة الفرقان -بسم الله الرحمن الرحيم[1]: وقال ابن عباس هباء منثورا ما يسفي به الريح) قال أبو عبيدة في قوله {هباء منثورا}: هو الذي يدخل البيت من الكوة، يدخل مثل الغبار مع الشمس، وليس له مس ولا يرى في الظل.

قوله (هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين: في طاعة الله) وصله سعيد بن منصور «حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن وسأله رجل عن قوله {هب لنا من أزواجنا}: ما القرة، أفي الدنيا أم في الآخرة؟ قال: بل في الدنيا، هي والله أن يرى العبد من ولده طاعة الله الخ».

(١) رواية الباب واليونينية بدون البسملة.

قوله (وقال ابن عباس: ثبورا ويلا) وقال أبو عبيدة في قوله {دعو هنالك ثبورا} أي هلكة.

قوله (الرس المعدن جمعه رساس) قال أبو عبيدة في قوله {وأصحاب الرس} أي المعدن، وقال الخليل الرس كل بئر تكون غير مطوية.

قوله (ما يعبأ يقال ما عبأت به شيئاً لا يعتد به) قال أبو عبيدة في قوله {قال ما يعبأ بكم ربي} هو من قولهم ما عبأت بك شيئاً أي ما عددتك شيئا.

١ ـ باب {الذين يُحشَرون على وُجوههم إلى جهنَّم، أولئك شَرٌّ مكاناً وأضلُّ سبيلا}

٤٧٦٠ ـ عن أنس بن مالكٍ رضيَ الله عنه «أنَّ رجلاً قال: يا نبيَّ الله يُحشَرُ الكافرُ على وَجهِهِ يومَ القيامةِ؟ قال: أليسَ الذي أمشاهُ على الرِّجلَين في الدنيا قادراً على أن يُمشِيَهِ على وجههِ يومَ القيامة، قال قَتادةُ: بلى وعزَّةِ ربِّنا».

قوله (أن رجلاً قال: يا نبي الله يحشر الكافر) سيأتي شرح الحديث مستوفى في كتاب الرقاق[1] إن شاء الله تعالى، وفي حديث أبي هريرة عند البزار «يحشر الناس على ثلاثة أصناف: صنف على الدواب، وصنف على أقدامهم، وصنف على وجوههم، فقيل فكيف يمشون على وجوههم» الحديث، ويؤخذ من مجموع الأحاديث أن المقربين يحشرون ركبانا، ومن دونهم من المسلمين على أقدامهم، وأما الكفار فيحشرون على وجوههم.

٢ ـ باب {والذينَ لا يَدعونَ مع اللهِ إلهاً آخرَ ولا يَقتلونَ النفسَ التي حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ، ولا يزنُونَ، ومَن يَفعلْ ذلك يَلْقَ أثاما} العقوبة

٤٧٦١ ـ عن عبدِ الله رضيَ اللهُ عنه قال: «سَألتُ -أو سُئلَ- رسولُ الله ﷺ أيُّ الذنبِ عندَ الله أكبرُ؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خَلقَك، قلتُ: ثم أيُّ؟ قال: ثم أن تَقتلَ ولدكَ خشيةَ أن يطعمَ معك، قلتُ: ثم أيُّ؟ قال: أن تُزاني بحليلةِ جارك، قال ونزلَتْ هذه الآية تصديقاً لقولِ رسولِ الله ﷺ {والذينَ لا يدعونَ مع الله إلهاً آخر، ولا يَقتلونَ النفسَ التي حرَّمَ اللهُ إلا بالحقِّ ولا يزنون}.

٤٧٦٢ ـ عن القاسم بن أبي بَزَّةَ أنه «سألَ سعيدَ بن جُبيرٍ: هل لمن قتل مؤمناً متعمِّداً من توبة؟ فقرأتُ عليه {ولا يَقتلونَ النفسَ التي حرَّمَ الله إلا بالحق} فقال سعيدٌ: قرأتها على ابنِ عباسٍ كما قرأتها عليَّ فقال: هذهِ مكيةٌ نسَخَتْها آيةٌ مدنية التي في سورةِ النساء».

---

(١) كتاب الرقاق باب / ٤٥ ح ٦٥٢٣ - ٥ / ٦٣.

٤٧٦٣ ـ عن سعيدِ بن جبيرٍ قال: «اختَلفَ أهلُ الكوفةِ في قتلِ المؤمن، فدخَلتُ فيه إلى ابن عباسٍ فقال: نَزَلت في آخرِ ما نزَلَ، ولم يَنسَخْها شيء».

٤٧٦٤ ـ عن سعيدِ بن جُبير قال: ابن عباس سألتُ رضيَ اللهُ عنهما عن قوله تعالى {فجزاؤهُ جهنَّم} قال: لا توبةَ له، وعن قوله جلَّ ذِكرُه {لا يَدْعونَ مع اللهِ إلهاً آخر} قال: كانت هذه في الجاهلية».

قوله (يلق أثاما: العقوبة) قال أبو عبيدة في قوله {ومن يفعل ذلك يلق أثاما} أي عقوبة وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة {يلق أثاما} قال: نكالا، قال: ويقال إنه واد في النار، وهذا الأخير أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو وعكرمة وغيرهما.

قوله (أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك) أي من جهة إيثار نفسه عليه عند عدم ما يكفي، أو من جهة البخل مع الوجدان.

قوله (أن تزاني بحليلة) والمراد الزوجة، وهي مأخوذة من الحل لأنها تحل له فهي فعيلة بمعنى فاعلة.

قوله (ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر -إلى- ولا يزنون} هكذا قال ابن مسعود: والقتل والزنا في الآية مطلقان، وفي الحديث مقيدان: أما القتل فبالولد خشية الأكل معه، وأما الزنا فبزوجة الجار، والاستدلال لذلك بالآية سائغ لأنها وإن وردت في مطلق الزنا والقتل لكن قتل هذا والزنا بهذه أكبر وأفحش، وقد روى أحمد من حديث المقداد بن الأسود قال: «قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في الزنا؟ قالوا: حرام، قال: لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره».

قوله (هل لمن قتل مؤمنا متعمداً من توبة) في رواية عن سعيد بن جبير في آخر الباب «قال لا توبة له».

قوله في رواية عن شعبة (اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن) كذا وقع مختصرا، وأخصر منه رواية آدم في تفسير النساء، وقد أخرجه مسلم وغيره من طريق عن شعبة منه عن غندر بلفظ: اختلف أهل الكوفة في هذه الآية {ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم}.

٣ ـ باب {يُضاعَفْ له العذابُ يومَ القيامة ويَخلد فيه مُهانا}

٤٧٦٥ ـ عن سعيد بن جُبيرٍ قال: قال ابنُ أبزَى: «سُئلَ ابنُ عباسٍ عن قوله تعالى {ومن يَقتلْ مؤمناً متعمِّداً فجزاؤهُ جهنَّم} وقوله {ولا يَقتلونَ النفسَ التي حرَّمَ الله إلا بالحق - حتى بلغ - إلا من تابَ وآمن} فسألتهُ فقال: لما نزلَت قال أهلُ مكة: فقد عدَلْنا بالله، وقَتَلْنا النفسَ التي حرَّمَ الله إلا بالحق، وأتينا الفواحشَ، فأنزلَ الله {إلا من تاب وآمن وعملَ عملاً صالحا - إلى قوله - غفوراً رحيما}».

٤ ـ باب {إلا مَن تاب وآمنَ وعملَ عملاً صالحاً فأولئكَ يُبدِّل اللهُ سيِّئاتهم حَسَنات، وكان الله غفوراً رحيما}

٤٧٦٦ ـ عن سعيدِ بن جُبيرٍ قال: «أمرَني عبدُ الرحمن بن أبزَى أن أسألَ ابنَ عباسٍ عن هاتَين الآيَتين {ومَن يقتل مؤمناً متعمِّداً} فسألته فقال: لم ينسَخها شيء، وعن {والذين لا يَدعونَ معَ اللهِ إلهاً آخرَ} قال: نزلَت في أهلِ الشرك».

قوله (عن هاتين الآيتين {ومن يقتل مؤمنا متعمداً} فسألته فقال: لم ينسخها شيء، وعن {والذين يدعون مع الله إلهاً آخر} قال: نزلت في أهل الشرك) هكذا أورده مختصراً، وسياق مسلم من هذا الوجه أتم، وأتم منهما ما تقدم في المبعث من رواية جرير بلفظ «هاتين الآيتين ما أمرهما؟ التي في سورة الفرقان {والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر} والتي في سورة النساء {ومن يقتل مؤمنا متعمداً} قال: سألت ابن عباس فقال: لما أنزلت التي في سورة الفرقان قال مشركو مكة: قد قتلنا النفس ودعونا مع الله إلهاً آخر وأتينا الفواحش، قال فنزلت {إلا من تاب} الآية، قال: فهذه لأولئك، قال: وأما التي في سورة النساء فهو الذي قد عرف الإسلام ثم قتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم لا توبة له، قال فذكرت ذلك لمجاهد فقال: إلا من ندم» وحاصل ما في هذه الروايات أن ابن عباس كان تارة يجعل الآيتين في محل واحد فلذلك يجزم بنسخ إحداهما، وتارة يجعل محلهما مختلفا، ويمكن الجمع بين كلاميه بأن عموم التي في الفرقان خص منها مباشرة المؤمن القتل متعمداً، وكثير من السلف يطلقون النسخ على التخصيص، وهذا أولى من حمل كلامه على التناقض، وأولى من دعوي أنه قال بالنسخ ثم رجع عنه، وقول ابن عباس بأن المؤمن إذا قتل مؤمنا متعمداً لا توبة له مشهور عنه، وقد جاء عنه في ذلك ما هو أصرح مما تقدم: فروى أحمد والطبري من طريق يحيى الجابر والنسائي وابن ماجه من طريق عمار الذهبي كلاهما عن سالم بن أبي الجعد قال: «كنت عند ابن عباس بعد ما كف بصره، فأتاه رجل فقال: ما ترى في رجل قتل مؤمنا متعمداً؟ قال جزاؤه جهنم خالداً فيها، وساق الآية إلى {عظيما} قال: لقد نزلت في آخر ما نزل، وما نسخها شيء حتى قبض رسول الله ﷺ، وما نزل وحي بعد رسول الله ﷺ، قال: أفريت إن تاب وآمن وعمل عملا صالحا ثم اهتدى؟ قال: وأنى له التوبة والهدى».

وجاء على وفق ما ذهب إليه ابن عباس في ذلك أحاديث كثيرة: منها ما أخرجه أحمد والنسائي من طريق أبي أدريس الخولاني عن معاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، والرجل يقتل مؤمنا متعمداً» وقد حمل جمهور السلف وجميع أهل السنة ما ورد من ذلك عن التغليظ، وصححوا توبة القاتل كغيره، وقالوا: معنى قوله {فجزاؤه جهنم} أي إن شاء الله أن يجازيه تمسكاً بقوله تعالى في سورة النساء أيضاً {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} ومن الحجة في ذلك

حديث الاسرائيلي الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ثم أتى تمام المائة فقال له: لا توبة، فقتله فأكمل به مائة، ثم جاء آخر فقال: «ومن يحول بينك وبين التوبة» الحديث، وهو مشهور، وسيأتي في الرقاق واضحاً، وإذ ثبت ذلك لمن قبل من غير هذه الأمة فمثله لهم أولى لما خفف الله عنهم، من الاثقال التي كانت على من قبلهم.

٥ ـ باب {فسوفَ يكونُ لِزاماً} هَلَكة

٤٧٦٧ ـ عن مسروقٍ قال «قال عبدُ الله: خمسٌ قد مَضَينَ: الدُّخانُ، والقمرُ، والرُّومُ، والبَطشة، واللِّزام {فسوف يكونُ لِزاما}».

قوله (باب قوله[1] {فسوف يكون لزاما} هلكة) قال أبو عبيدة في قوله {فسوف يكون لزاما}: أي جزاء يلزم كل عامل بما عمل، وله معنى آخر يكون هلاكا.

(٢٦) سورةُ الشُّعَراء

وقال مجاهد: {تَعبَثون}: تبنون، {هَضيم} يتفتَّت إذ مُسَّ، {مُسحَّرين}: مَسحورين، {اللَّيكة} و{الأيكة}: جمع أيكة وهي جمع الشجر، {يوم الظلَّة}: إظلال العذاب إياهم، {مَوزون}: معلوم، {كالطود}: كالجبل، وقال غيرهُ {لَشرذِمة}: الشرذمة طائفة قليلة، {في الساجدين} المصلِّين، قال ابنُ عباس {لعلَّكم تخلدون} كأنكم، {الريع}: الأيفاع منَ الأرض، وجمعهُ رِيعة، وأرياع واحدة الرِّيَعة، {مَصانِع} كلُّ بناء فهو مَصنَعة، {فَرِهين}: مرحين، فارِهين بمعناه، ويقال فارِهين: حاذقين، {تَعثَوا} هو أشدُّ الفساد؛ وعاثَ يَعيث عيثاً، {الجِبِلَّة}: الخَلق، جُبِلَ: خُلِقَ، ومنه: جُبُلا وجِبِلا وجُبْلا يعني الخَلق قاله ابنُ عباس.

قوله (مسحرين: مسحورين) وصله الفريابي في قوله إنما أنت من المسحرين} أي من المسحورين وقال أبو عبيدة: كل من أكل فهو مسحر، وذلك أن له سحراً يفري ما أكل فيه انتهى، والسَّحْر: الرئة، وقال الفراء: المعنى إنك تأكل الطعام والشراب وتسحر به فأنت بشر مثلنا لا تفضلنا في شيء.

قوله (وقال غيره {لشرذمة}: الشرذمة طائفة قليلة) هو تفسير أبي عبيدة قال في قوله تعالى {إن هؤلاء لشرذمة قليلون} أي طائفة قليلة، والذي أورده الفريابي وغيره عن مجاهد في هذا أنه قال في قوله {إن هؤلاء لشر ذمة قليلون} قال: هم يومئذ ستمائة ألف، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون، وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: ذكر لنا أن بني إسرائيل الذين يقطع بهم موسى البحر كانوا ستمائة ألف مقاتل بني عشرين سنة فصاعدا.

قوله (مصانع كل بناء فهو مصنعة) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: المصانع القصور والحصون، وقال عبد الرزاق: المصانع عندنا بلغة اليمن القصور العادية.

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "قوله" وسقط التبويب في اليو نينية.

قوله (تعشَوا هو أشد الفساد، وعاث يعيث عيثا) مراده أن اللفظين بمعنى واحد.

وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد عن قتادة {ولا تعثوا} أي لا تسيروا {في الأرض مفسدين}.

١ ـ باب {ولا تخزِني يومَ يُبعَثون}

٤٧٦٨ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلام يرَى أباهُ يومَ القيامة عليه الغَبَرةُ والقتَرة» والغَبرة هي القَترة.

٤٧٦٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «يَلقى إبراهيمُ أباه فيقول: يا ربِّ إنكَ وَعَدتني أن لا تخزني يومَ يبعَثون، فيقولُ الله: إني حرَّمتُ الجنةَ على الكافرين».

قوله (إن إبراهيم[١] يرى أباه يوم القيامة وعليه الغبرة والقترة، والغبرة هي القترة) قال ابن التين: وعلى هذا فقوله في سورة عبس {غبرة ترهقها قترة} تأكيد لفظي، كأنه قال غبرة فوقها غبرة، وقال غير هؤلاء: القترة ما يغشي الوجه من الكرب، والغبرة ما يعلوه من الغبار، وأحدهما حسي والآخر معنوي، وقيل القترة شدة الغبرة بحيث يسود الوجه، وقيل القترة سواد الدخان فاستعير هنا.

قوله (وعلى وجه آزر قترة وغبرة) هذا موافق لظاهر {وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة} أي يغشاها قترة، فالذي يظهر أن الغبرة الغبار من التراب، والقترة السواد الكائن عن الكآبة.

قوله (فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد) وصف نفسه بالأبعد على طريق الفرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه، وقيل الأبعد صفة أبيه أي أنه شديد البعد من رحمة الله لأن الفاسق بعيد منها فالكافر أبعد، وقيل الأبعد بمعنى البعيد والمراد الهالك، ويؤيد الأول أن في رواية إبراهيم بن طهمان «وإن أخزيت أبي فقد أخزيت الأبعد» وفي رواية أيوب «يلقي رجل أباه يوم القيامة فيقول له: أي ابن كنت لك؟ فيقول: خير ابن، فيقول: هل أنت مطيعي اليوم؟ فيقول: نعم، فيقول: خذ بازرتي، فيأخذ بازرته، ثم ينطلق حتى يأتي ربه وهو يعرض الخلق، فيقول الله: يا عبدي ادخل من أي أبواب الجنة شئت، فقيول: أي رب أبي معي، فإنك وعدتين أن لا تخزني».

قوله (فيقول الله إني حرمت الجنة على الكافرين) في حديث أبي سعيد «فينادي: أن الجنة لا يدخلها مشرك».

---

(١) رواية الباب واليونينية إبراهيم عليه السلام.

٢ ـ باب {وأنذِر عَشِيرتَك الأقرَبِين}

واخفِضْ جَناحَكَ: ألن جانبَك

٤٧٧٠ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «لما نزلَت {وأنذِر عَشِيرَتَكَ الأقرَبِين} صَعِدَ النبيُّ ﷺ على الصفَا فجعل يُنادي: يا بني فِهر، يا بني عَديّ -لبطونِ قُرَيش- حتى اجتمعوا، فجعلَ الرجلُ إذا لم يَستطع أن يَخرجَ أرسل رسولاً لِيَنظرَ ما هو فجاء أبو لهبٍ وقريشٌ، فقال: أرأيتَكم لو أخبرتُكم أنَّ خيلاً بالوادي تريدُ أن تُغيرَ عليكم أكنتم مُصَدِّقيَّ؟ قالوا: نعم، ما جرَّبْنا عليكَ إلاَّ صِدقاً، قال: فإني نَذيرٌ لكم بينَ يدَي عذابٍ شديد، فقال أبو لهب: تَباً لك سائرَ اليوم، ألهذا جمعتَنا؟ فنزلَت {تَبَّتْ يدا أبي لهبٍ وتَبَّ، ما أغنى عنه ماله وما كَسَب}».

٤٧٧١ ـ عن أبي هريرةَ قال: «قام رسولُ الله ﷺ حينَ أنزلَ اللهُ {وأنذِرْ عَشيرتَك الأقرَبين} قال: يا مَعشرَ قريش -أو كلمةً نحوها- اشتَروا أنفُسَكم، لا أُغني عنكم منَ الله شيئا، يا بني عبدِ مَناف، لا أُغني عنكم من اللهِ شيئاً، يا عباسُ بنَ عبد المطلب، لا أغني عنكَ من الله شيئاً، ويا صفيةُ عمة رسولِ الله ﷺ، لا أُغني عنكِ منَ اللهِ شيئاً، ويا فاطمةُ بنتُ محمدٍ ﷺ، سَلِيني ما شئتِ من مالي، لا أُغني عنكِ من الله شيئاً».

قوله (قال فإني نذير لكم) أي منذر.

قوله في حديث أبي هريرة {اشتروا أنفسكم من الله}[1]أي باعتبار تخليصها من النار، كأنه قال أسلموا تسلموا من العذاب، فكان ذلك كالشراء، كأنهم جعلوا الطاعة ثمن النجاة، وأما قوله تعالى {إن الله اشترى من المؤمنون أنفسهم} فهناك المؤمن بائع باعتبار تحصيل الثواب والثمن الجنة، وفيه إشارة إلى أن النفوس كلها ملك لله تعالى، وأن من أطاعه حق طاعته في امتثال أوامره واجتناب نواهيه وفي ما عليه من الثمن، وبالله التوفيق.

وفي الحديث أن الأقرب للرجل من كان يجمعه هو وجد أعلى، وكل من اجتمع معه في جد دون ذلك كان أقرب إليه، وقد تقدم البحث في المراد بالإقربين والأقارب في الوصايا[2]، والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولا أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وأن لا يأخذه القريب للقريب من العطف والرأفة فيحابيهم في الدعوة والتخويف، فلذلك نص له على إنذارهم، وفيه جواز تكنية الكافر.

(٢٧) سورةُ النَّمل

{الخَبْءُ} ما خبأتَ، {لاقِبلَ} لا طاقةَ، {الصَّرحُ}: كلُّ مَلاطٍ اتُّخذَ من القَوارير، والصَّرحُ القصرُ وجماعتهُ صُروح، وقال ابن عباس {ولها عَرشٌ}: سرير، {كريم}: حُسْنُ الصنعة وغلاءُ

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "من الله".

(٢) كتاب الوصايا باب / ١٠ ح ٢٧٥٢ - ٢ / ٥٣١.

الثمن، {مُسْلمين}: طائعين، {رَدِفَ} اقترب، {جامدةً} قائمة، {أوزعني}: اجعلني، وقال مجاهد: {نَكِّروا} غيِّروا، {والقَبَس: ما اقتبَسَت منه النار، {وأوتينا العلم} يقولهُ سليمانُ، {الصَّرح}: بِركةُ ماء ضربَ عليها سُليمانُ قواريرَ ألبَسها إيّاه.

قوله (الخبء ما خبأت) وهذا قول ابن عباس أخرجه الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عنه قال: {يخرج الخبء}: يعلم كل خفية في السماوات والأرض، وقال الفراء في قوله {يخرج الخبء} أي الغيث من السماء والنبات من الأرض.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: الخبء السر، ومن طريق مجاهد قال: الغيث، ومن طريق سعيد بن المسيَّب قال: الماء.

قوله (الصرح كل ملاط اتخذ من القوارير) والملاط بالميم المسكورة الطين الذي يوضع بين ساقتي البناء، وقيل الحصر، وقيل كل بناء عال منفرد، وبالموحدة المفتوحة ما كسيت به الأرض من حجارة أو رخام أو كلس، وقد قال أبو عبيدة: الصرح كل بلاط اتخذ من قوارير، والصرح القصر، وأخرج الطبري من طريق وهب بن منبه قال: أمر سليمان الشياطين فعملت له الصرح من زجاج كأنه الماء بياضاً، ثم أرسل الماء تحته ووضع سريره فيه فجلس عليه، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، ليريها مُلكا هو أعز من مُلكها، فلما رأت ذلك بلقيس حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لتخوضه.

(٢٨) سورةُ القَصَص

{كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وَجهَه} إلا مُلكه، ويقال: إلا ما أُريدَ به وجهُ الله وقال مجاهد: فعمِيَت عليهمُ الأنباء: الحجج

١ - باب {إنكَ لا تَهدي من أحبَبْت، ولكنَّ اللهَ يَهدي من يشاء}

٤٧٧٢ - عن سعيد بن المسيَّب عن أبيهِ قال: «لما حَضَرَت أبا طالبٍ الوفاةُ جاءَهُ رسولُ الله ﷺ فوجَدَ عندَهُ أباجهلٍ وعبدَ الله بن أبي أُميةَ بن المغيرة فقال: أي عمِّ قل لا إله إلا الله كلمةً أحاجُّ لك بها عندَ الله، فقال أبو جهل وعبدُ الله بن أبي أمية: أترغب عن ملةِ عبدِ المطلب؟ فلم يَزَل رسولُ الله ﷺ يَعرِضُها عليه ويُعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلمهم: على مِلةِ عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إلهَ إلا الله، قال: قال رسولُ الله ﷺ: لأستغفِرَنَّ لك ما لم أُنهَ عنك، فأنزلَ اللهُ {ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أن يَستغفروا للمشركين} وأنزلَ الله في أبي طالب فقال لرسولِ الله ﷺ {إنكَ لا تهدي مَن أحببت، ولكنَّ اللهَ يَهدي من يشاء}».

قال ابن عباس {أولي القوَّة} لا يرفعها العصبة منَ الرجال، {لَتَنوءُ} لتثقل، {فارغاً} إلا من ذِكر موسى، {الفرحين} المَرِحين، {قُصِّيه} اتَّبعي أثرَه، وقد يكون أن يَقصَّ الكلام {نحنُ نَقصُّ عليك} عن جُنُبٍ عن بُعدٍ، وعن جَنابةٍ واحد، وعن اجتِنابٍ أيضاً، ويَبْطِشُ وَيَبْطُش،

{يأتمرون}: يَتَشاورون العُدوان والعَداء والتعدِّي واحد، {آنَسَ}: أبصَرَ، الجِذْوة: قطعةٌ غليظة من الخشب ليس فيها لَهب، والشهاب فيه لهب، والحَيَّات أجناس: الجانُّ والأفاعي والأوساد، {رِدءاً}: مُعينا، قال ابن عباس: يُصدِّقني وقال: غيرهُ {سنشدُّ} سنُعينك، كلما عزَّزتَ شيئاً فقد جعلتَ له عَضُداً، {مَقبوحين} مُهلكين، {وصَّلنا} بيَنّاهُ وأتممناهُ، {يجبى}: يُجلَب، {بطرَت} أشرَت، {في أمها رسولاً}: أمّ القرى وما حَولَها، {تُكِنُّ}: تخفي، أكنَنْت الشيءَ أخفَيتهُ، وكننته أخفيته وأظهرتهُ، {وَيكأنَّ الله} مثل {ألم تَر أنَّ الله يَبسُطَ الرِّزقَ لمن يشاءُ ويَقدر}: يوسِّعُ عليه، ويضيِّق عليه.

قوله (باب إنك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي يشاء) لم تختلف النقلة في أنها نزلت في أبي طالب واختلفوا في المراد بمتعلق «أحببت» فقيل: المراد أحببت هدايته، وقيل أحببته هو قرابته منك.

قوله (لما حضرت أبا طالب الوفاة) قال الكرماني المراد حضرت علامات الوفاة، وإلا فلو كان انتهى إلى المعاينة لم ينفعه الإيمان لو آمن، ويدل على الأول ما وقع من المراجعة بينه وبينهم انتهى، ويحتمل أن يكون انتهى إلى تلك الحالة لكن رجا النبي ﷺ أنه إذا أقر بالتوحيد ولو في تلك الحالة أن ذلك ينفعه بخصوصه وتسوغ شفاعته ﷺ لمكانه منه، ولهذا قال: «أجادل لك بها وأشفع لك» وسيأتي بيانه، ويؤيد الخصوصية أنه بعد أن امتنع من الإقرار بالتوحيد وقال هو «على ملة عبد المطلب» ومات على ذلك أن النبي ﷺ لم يترك الشفاعة له، بل شفع له حتى خفف عنه العذاب بالنسبة لغيره، وكان ذلك من الخصائص في حقه، وقد تقدمت الرواية بذلك في السيرة النبوية[١].

قوله (جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية[٢]) يحتمل أن يكون المسيب حضر هذه القصة، فإن المذكورين من بني مخزوم وهو من بني مخزوم أيضاً، وكان الثلاثة يومئذ كفاراً فمات أبو جهل على كفره وأسلم الآخران.

قوله (أحاجّ) من المحاجة وهي مفاعلة من الحجة، جواب الأمر، والتقدير إن تقل أحاج.

قوله (ويعيدانه بتلك المقالة) أي ويعيدانه إلى الكفر بتلك المقالة، كأنه قال كان قارب أن يقولها فيردانه.

قوله (آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب) خبر مبتدأ محذوف أي هو على ملة، وفي

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٤٠ ح ٣٨٨٣ - ٣ / ٢٢٠.
(٢) رواية الباب "قال قال رسول الله ﷺ لأستغفرن لك" بدون "والله" واليونينية توافق الشرح.

رواية معمر «هو على ملة عبد المطلب» وأراد بذلك نفسه، ويحتمل أن يكون قال: «أنا فغيرها الراوي أنفة أن يحكى كلام أبي طالب استقباحاً للفظ المذكور؛ وهي من التصرفات الحسنة.

ووقع في حديث أبي حازم عن أبي هريرة عند مسلم والترمذي والطبري «قال لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حمله عليه إلا جزع الموت لأقررت بها عينك».

قوله (وأبى أن يقول لا إله إلا الله) هو تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب.

قوله (و الله[١] لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) قال الزين بن المنير: ليس المراد طلب المغفرة العامة والمسامحة بذنب الشرك، وإنما المراد تخفيف العذاب عنه كما جاء مبيناً في حديث آخر، قلت: وهي غفلة شديدة منه، فإن الشفاعة لأبي طالب في تخفيف العذاب لم تردْ، وطلبها لم ينه عنه، وإنما وقع النهي عن طلب المغفرة العامة، وإنما ساغ ذلك للنبي ﷺ اقتداء بإبراهيم في ذلك، ثم ورد نسخ ذلك كما سيأتي بيانه واضحاً.

قوله (فأنزل الله: ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) أي ما ينبغي لهم ذلك، وهو خبر بمعنى النهي.

وفي الحديث أن من لم يعمل خيراً قط إذا ختم عمره بشهادة أن لا إله إلا الله حكم بإسلامه وأجريت عليه أحكام المسلمين، فإن قارن نطق لسانه عقد قلبه نفعه ذلك عند الله تعالى، بشرط أن يكون[٢] وصل إلى حد الانقطاع الأمل من الحياة وعجز عن فهم الخطاب ورد الجواب وهو وقت المعاينة، وإليه الإشارة بقوله تعالى {وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن} والله أعلم.

قوله (بطرت أشرت) قال أبو عبيدة في قوله {وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها} أي أشرت وطغت وبغت، والمعنى بطرت في معيشتها، فانتصب بنزع الخافض، وقال الفراء: المعنى أبطرتها معيشتُها.

قوله (ويكأن الله مثل {ألم تر أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر} يوسع عليه ويضيق) وهو قول أبي عبيدة قال في قوله تعالى {ويكأن الله} أي ألم تر أن الله، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله {ويكأن الله} أي أولا يعلم أن الله.

٢ - باب {إنَّ الذي فَرض عليك القرآنَ} الآية

٤٧٧٣ - عن عِكرمةَ عنَ ابن عباسٍ {لرادُّكَ إلى معاد} قال: إلى مكة.

---

(١) رواية الباب "قال قال رسول الله ﷺ لأستغفرن لك" بدون "والله" واليونينية توافق الشرح. ص ٥٠٧
(٢) كذا في الأصل ولعل الصواب ألاَّ يكون.

(٢٩) سورةُ العَنْكَبُوت

قال مجاهد {مُستبصرِين} ضَلَلة، وقال غيرهُ: الحيوانُ والحيُّ واحد، {فليعلمنَّ اللهُ}: عَلِمَ اللهُ ذلك، إنما هي بمنزلةِ فلِيَميزَ الله، كقوله {ليميزَ اللهُ الخبيثَ}، {أثقالاً مع أثقالهم}: أوزاراً مع أوزارِهم.

قوله (وقال مجاهد: وكانوا مستبصرين ضللة[١]) وصله ابن أبي حاتم من طريق شبل بن عباد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بهذا، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: معجبين بضلالتهم، وأخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن قتادة قال: كانوا مستبصرين في ضلالتهم معجبين بها.

قوله (وقال غيره: الحيوان والحي واحد) وللطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله «لهي الحيوان» قال: لا موت فيها.

قوله (فليعلمن الله علم الله ذلك إنما هي منزلة فليميز الله كقوله ليميز الله الخبث من الطيب) وقال أبو عبيدة في قوله تعالى {فليعلمن الله الذين آمنوا} أي فليميزن الله لأن الله قد علم ذلك من قبل.

قوله (أثقالاً مع أثقالهم أوزاراً مع أوزارهم) هو قول أبي عبيدة أيضاً، وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في هذه الآية قال: من دعا قوماً إلى ضلالة فعليه مثل أوزارهم، ولابن أبي حاتم من وجه آخر عن قتادة قال: {وليحملن أثقالهم} أي أوزارهم {وأثقالاً مع أثقالهم} أوزار من أضلوا.

(٣٠) سورةُ الرُّوم

{فلا يربو} مَن أعطى يبتغي أفضلَ فلا أجرَ له فيها، قال مجاهد {يُحبَرون يُنَعَّمُونَ، {يَمهَدون} يُسَوُّون المضاجع، {الوَدْق} المطر، قال ابن عباس {هل لكم مما مَلَكَت أيمانكم} في الآلهة، وفيه تخافونهم أن يَرِثوكم كما يَرِث بعضُكم بعضا، {يَصَّدَّعونَ}: يتفرَّقون، فاصدَع، وقال غيرُهُ: ضُعف وضَعف لغتان، وقال مجاهد: {السُّوأى}: الإساءة، جزاء المسيئين.

٤٧٧٤ ـ عن مَسروقٍ قال: «بينما رجلٌ يُحدِّث في كِندةَ فقال: يجيء دُخانٌ يومَ القيامة فيأخذُ بأسماع المنافقين وأبصارِهم يأخذُ المؤمنَ كهيئةِ الزُكام، ففَزِعنا، فأتيتُ ابنَ مسعودٍ وكان متَّكئاً، فغضِبَ فجلسَ فقال: منَ علم فليَقُل، ومن لم يعلم فليَقُل: اللهُ أعلم؛ فإن منَ العلم أن يقول لما لا يَعلم: لا أعلم، فإنَّ الله قال لنبيِّهِ {قل ما أسألكم عليهِ مِن أجرٍ وما

(١) رواية الباب "قال مجاهد: مستبصرين" واليونينية توافق الشرح.

أنا منَ المتكلّفين}، وإنَّ قُرَيشاً أبطئوا عنِ الإسلام، فدعا عليهم النبيُّ ﷺ فقال: اللهمَّ أعِنِّي عليهم بسبْعٍ كسبع يوسفَ؛ فأخذَتهم سَنَةٌ حتى هَلَكوا فيها وأكلوا الميتةَ والعظامَ، ويرَى الرجلُ ما بينَ السماءِ والأرض كهيئةِ الدُّخان، فجاءَهُ أبو سفيانَ فقال: يا محمدُ، جئتَ تأمُرُنا بِصلةِ الرَّحم، وإنَّ قومكَ قد هلكوا، فادعُ اللهَ، فقرأ {فارتقب يومَ تأتي السماءُ بدُخانٍ مبين -إلى قوله- عائدون} أفيُكشَفُ عنهم عذابُ الآخرةِ إذا جاء، ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قولهُ تعالى {يومَ نبطِشُ البطشَةَ الكبرى} يومَ بدر، {ولِزاماً} يوم بدر، {الم غُلبِت الروم -إلى سيغلِبون} والرُّوم قد مضى.

قوله (فلا يربو من أعطى يبتغي أفضلا فلا أجر له فيها) وصله الطبري من طريق ابن نجيح عن مجاهد في قوله {وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس} قال يعطي ماله يبتغي أفضل منه، وقال عبد الرزاق عن عبد العزيز بن أبي رواد عن الضحاك في هذه الآية قال: هذا هو الربا الحلال يهدي الشيء ليثاب أفضل منه، ذاك لا له ولا عليه.

ومن طريق الشعبي قال: هو الرجل يلصق بالرجل يخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح بعض ما يتجر فيه، وإنما أعطاه التماس عونه ولم يرد به وجه الله.

قوله (قال ابن عباس {هل لكم مما ملكت أيمانكم} في الآلهة وفيه تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا) ولابن أبي حاتم من طريق سعيد عن قتادة قال: هذا مثل ضربه الله لمن عدل به شيئاً من خلقه يقول أكان أحد منكم مشاركاً مملوكه في فراشه وزوجته؟ وكذلك لا يرضى الله أن يعدل به أحد من خلقه.

قوله {يصدعون يتفرقون، فاصدع} المراد بقوله أصدع أي فرق بين الحق والباطل بدعائك إلى الله عز وجل وافصل بينهما.

قوله (أن[1] من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم) أي أن تمييز المعلوم من المجهول نوع من العلم، وهذا مناسب لما اشتهر من أن لا أدري نصف العلم، ولأن القول فيما لا يعلم قسم من التكلف.

باب {لا تَبديلَ لخلقِ لله}

لدين الله، {خَلقُ الأوَّلين}: دِين الأوَّلين، والفِطرة: الإسلام

٤٧٧٥ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «قال رسولَ الله ﷺ: ما من مولودٍ إلا يُولَدُ على الفطرةِ، فأبواه يُهوِّدانهِ أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمةً جمعاءَ، هل تحِسُّونَ فيها من جَدعاء؟ ثم يقول: {فطرة اللهِ التي فَطرَ الناسَ عليها، لا تبديلَ لخلقِ الله، ذلكَ الدِّينُ القَيِّم}.

---

(١) رواية الباب واليونينية "فإن من العلم ......".

ثم ذكر حديث أبي هريرة «ما من مولود إلا يولد على الفطرة» وقد تقدم بسنده ومتنه في كتاب الجنائز[١] مع شرحه في «باب ما قيل في أولاد المشركين».

(٣١) سورةُ لقمانَ

١ ـ باب {لا تشركْ بالله، إنَّ الشركَ لَظلمٌ عظيم}

٤٧٧٦ ـ عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قال: «لما نَزَلَتْ هذه الآية {الذين آمنوا ولم يَلبِسوا إيمانهم بظلم} شقَّ ذلكَ على أصحابِ رسولِ الله ﷺ وقالوا: أيُّنا لم يَلبِس إيمانَهُ بظلم؟ قال: رسولُ الله ﷺ: إنهُ ليس بذاك، ألا تسمعُ إلى قول لقمانَ لابنهِ {إنَّ الشركَ لَظلمٌ عظيم}».

قوله ([٢]لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) ذكر فيه حديث ابن مسعود في تفسير قوله تعالى {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الإيمان[٣].

٢ ـ باب {إنَّ اللهَ عندَهُ علمُ الساعة}

٤٧٧٧ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاهُ رجلٌ يَمشي، فقال: يا رسولَ الله، ما الإيمان، قال: الإيمانُ أن تُؤمِنَ بالله، ومَلائكته، ورُسله، ولقائه، وتؤمنَ بالبَعثِ الآخر، قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلامُ أن تَعبُدَ الله ولا تُشرِكَ به شيئاً، وتُقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاةَ المفروضةَ، وتَصومَ رمضانَ، قال: يا رسولَ الله، ما الإحسان؟ قال: الإحسان أن تَعبُدَ اللهَ كأنكَ تراه، فإن لم تَكنْ تراه فإنه يراك، قال: يا رسولَ اللهَ، متى الساعة؟ قال: ما المسئولُ عنها بأعلم منَ السائل، ولكنْ سأحدِّثكَ عن أشراطِها: إذا وَلَدتِ المرأةُ ربَّها فذاكَ من أشراطها، وإذا كان الحُفاةُ العُراة رُءوسَ الناس فذاك من أشراطِها، في خمسٍ لا يَعلمهنَّ إلا الله {إنَّ اللهَ عندَهُ علم الساعة، ويُنزِّلُ الغَيثَ، ويَعلمُ ما في الأرحام}، ثم انصرفَ الرجلُ، فقال: رُدُّوا عَليَّ، فأخَذوا لِيرُدُّوا فلم يَروا شيئاً، فقال: هذا جِبريلُ جاء ليعلِّمَ الناسَ دينَهم».

٤٧٧٨ ـ عن عبدَ الله بن عمر رضيَ اللهُ عنهما قال: «قال النبيُّ ﷺ: مفاتيحُ الغيبِ خمسٌ، ثمَّ قرأ {إنَّ اللهَ عندَهُ علم الساعة...}

قوله (باب[٣] قوله إن الله عنده علم الساعة) ذكر فيه حديث أبي هريرة في سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام وغير ذلك، وفيه خمس لا يعلمهن إلا الله وقد تقدم شرح الحديث

---

(١) كتاب الجنائز باب / ٩٢ ح ١٣٨٥ - ١ / ٦٩٨.
(٢) كتاب الإيمان باب / ٢٣ ح ٣٢ - ١ / ٤٠.
(٣) في المتن بدون "قوله" وبدون التبويب في اليونينينة.

مستوفى في كتاب الإيمان[١].

(٣٢) سُورةُ السجدة

وقال مجاهد {مَهين}: ضعيف، نُطفة الرَّجل، {ضَلَلنا} هَلَكنا، وقال ابنُ عباس {الجُرُز} التي لا تمطِر إلا مطراً لا يُغني عنها شيئاً، {يَهد} نبيِّن.

قوله (وقال ابن عباس الجرز التي لا تمطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً) من طريق ابن أبي نجيح عن رجل عن ابن عباس كذلك زاد إبراهيم، وعن مجاهد قال: هي أرضُ أبْين، وأنكر ذلك الحربي وقال: أبين مدينة معروفة باليمن فلعل مجاهداً قال: ذلك في وقت لم تكن أبين تنبت فيه شيئاً. وقال أبو عبيدة: الأرض الجرز اليابسة الغليظة التي لم يصبها مطر.

١ ـ باب {فلا تَعلمُ نفسٌ ما أُخفِيَ لهم مِن قُرَّةِ أعيُن}

٤٧٧٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال: «قال اللهُ تَبارك وتعالى: أعدَدتُ لعبادي الصالحين مالا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطرَ على قلبِ بشر، قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم {فلا تَعلمُ نفسٌ ما أُخفيَ لهم من قرَّةِ أعيُن}.

٤٧٨٠ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ «يقولُ اللهُ تعالى: أعدَدتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خَطرَ على قلبِ بشر، ذُخراً من بَلْهِ ما أُطلِعتم عليه، ثم قرأ {فلا تَعلمُ نفسٌ ما أُخفِيَ لهم من قُرَّةِ أعين، جَزاءً بما كانوا يعملون}».

قوله (يقول الله تعالى أعددت لعبادي[٢]) ووقع في حديث آخر «أن سبب هذا الحديث أن موسى عليه السلام سأل ربه من أعظم أهل الجنة منزلة؟ فقال: غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أخرجه مسلم والترمذي من طريق الشعبي سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبي ﷺ «أن موسى سأل ربه» فذكر الحديث بطوله وفيه هذا، وفي آخره: قال ومصداق ذلك في كتاب الله {فلا تعلم، نفس ما أخفي لهم من قرة أعين}.

قوله (ولا خطر على قلب بشر) زاد ابن مسعود في حديثه «ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل» أخرجه ابن أبي حاتم، وهو يدفع قول من قال: إنما قيل البشر لأنه يخطر بقلوب الملائكة، والأولى حمل النفي فيه على عمومه فإنه أعظم في النفس.

قوله (دخرا) أي جعلت ذلك لهم مدخورا.

قوله (من بله ما أطلعتم عليه) قال الخطابي: كأنه يقول دع ما أطلعتم عليه فإنه سهل

---

(١) كتاب الإيمان باب / ٣٧ ح ٥٠ - ١ / ٥٧.
(٢) في المتن واليونينية "عبادي الصالحين.

في جنب ما أدخر لهم، قلت: وهذا لائق بشرح «بله» بغير تقدم «من» عليها، وأما إذا تقدمت من عليها فقد قيل هي بمعنى كيف ويقال بمعنى أجل ويقال بمعنى غير أو سوى وقيل بمعنى فضل.

قلت: وأصح التوجيهات لخصوص سياق حديث الباب حيث وقع فيه «ولا خطر على قلب بشر دخراً من بله ما أطلعتم» أنها بمعنى غير وذلك بين لمن تأمله، والله أعلم.

(٣٣) سورةُ الأحزاب

وقال مجاهد: صَياصِيهم قصورُهم، معروفاً في الكتاب

١ ـ باب * ٤٧٨١ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «ما مِن مؤمنٍ إلاّ وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، أقرءوا إن شئتم {النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفُسِهم} فأيُّما مؤمن تركَ مالاً فليَرِثهْ عَصَبتُه مَن كانوا، فإن ترك دَيْنًا أو ضَياعاً فليأتني وأنا مولاه».

قوله (معروفا في الكتاب) ثبت هذا للنسفي وحده، وقد أخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتاد عن ابن جريج قال: قلت لعطاء في هذه الآية {إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا} فقال: هو إعطاء المسلم الكافر بينهما قرابة صلة له.

قوله {النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم} وذكر فيه حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى به» الحديث، وسيأتي الكلام عليه في الفرائض[١] إن شاء الله تعالى.

٢ ـ باب {ادعُوهم لآبائهم هو أقسَطُ عندَ الله}

٤٧٨٢ ـ عن عبدِ الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما «أن زيدَ بن حارثةَ مولى رسولِ الله ﷺ ما كنا ندعوهُ إلا زيدَ بن محمد، حتى نزلَ القرآنُ {ادعُوهم لآبائهم هو أقسَطُ عندَ الله}».

٣ ـ باب {فمنهم من قَضى نحبَهُ ومنهم مَن يَنتظرُ، وما بَدَّلوا تَبديلا}

نَحبَهُ: عهدَه، أقطارِها جَوانبها، الفتنةَ لآتَوها: لأعطَوْها.

٤٧٨٣ ـ عن أنس بن مالكٍ رضيَ الله عنه قال: «نرَى هذهِ الآية نَزَلَت في أنسِ بن النَّضر {من المؤمنينَ رجالٌ صَدَقوا ما عاهَدوا اللهَ عليه}».

٤٧٨٤ ـ عن زيدَ بن ثابتٍ قال: «لما نَسَخْنَا الصُّحفَ في المصاحف فَقَدتُ آيةً من سورةِ الأحزاب كنتُ كثيراً أسمعُ رسولَ اللهِ ﷺ يقرأها لم أجِدْها عندَ أحدٍ إلاّ معَ خُزَيمةَ الأنصاري الذي جعلَ رسولُ الله ﷺ شهادتهُ شهادةَ رجلين {منَ المؤمنينَ رجالٌ صَدَقوا ما عاهدوا اللهَ عليه}».

---

(١) كتاب الفرائض باب / ٤ ح ٦٧٣١ - ٥ / ١٦٠.

قوله (باب {فمنهم من قضى نحبه} عهده) قال أبو عبيدة في قوله {فمنهم من قضى نحبه}: أي نذره، والنحب النذر والنحب أيضاً النفس والنحب أيضاً الخطر العظيم، وقال غيره النحب في الأصل النذر ثم استعمل في آخر كل شيء، وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحسن في قوله {فمنهم من قضى نحبه} قال: قضى أجله على الوفاء والتصديق وهذا مخالف لما قاله غيره، بل ثبت عن عائشة «أن طلحة دخل على النبي ﷺ فقال: أنت يا طلحة ممن قضى نحبه» أخرجه ابن ماجه والحاكم، ويمكن أن يجمع بحمل حديث عائشة على المجاز، وقضى بمعنى يقضي، ووقع في تفسير ابن أبي حاتم: منهم عمار بن ياسر، وفي تفسير يحيى بن سلام: منهم حمزة وأصحابه، وقد تقدم في قصة أنس بن النضر قول أنس بن مالك: منهم أنس بن النضر، وعند الحاكم من حديث أبي هريرة: منهم مصعب بن عمير.

قوله (الفتنة لآتوها لأعطوها) ثم ذكر طرفاً من حديث أنس في قصة أنس بن النضر، وقد تقدم شرحه مستوفى في أوائل الجهاد[1].

قوله (فقدت آية من سورة الأحزاب كنت كثيراً أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها[2]) هذا يدل على أن زيداً لم يكن يعتمد في جمع القرآن على علمه، ولا يقتصر على حفظه، لكن فيه إشكال لأن ظاهره أنه اكتفى مع ذلك بخزيمة وحده والقرآن إنما يثبت بالتواتر، والذي يظهر في الجواب أن الذي أشار إليه أن فقده فقد وجودها مكتوبة، لا فقد وجودها محفوظة، بل كانت محفوظة عنده وعند غيره، ويدل على هذا قوله في حديث جمع القرآن «فأخذت أتتبعه من الرقاع والعسب» كما سيأتي مبسوطاً في فضائل القرآن، وقوله «خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين» يشير إلى قصة خزيمة المذكورة وهو خزيمة بن ثابت، وأما قصته المذكورة في الشهادة فأخرجها أبو داود والنسائي.

«أن النبي ﷺ ابتاع من أعرابي فرساً، فاستتبعه ليقضيه ثمن الفرس فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي يساومونه في الفرس حتى زادوه على ثمنه -فذكر الحديث- قال فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدا يشهد أني قد بعتك، فمن جاء من المسلمين يقول: ويلك إن النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا الحق، حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة فقال: أنا أشهد أنك قد بايعته، فقال له النبي ﷺ بم تشهد؟ قال: بتصديقك، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين».

قال الخطابي: هذا الحديث حمله كثير من الناس على غير محمله، وتذرع به قوم من أهل البدع إلى استحلال الشهادة لمن عرف عندهم بالصدق على كل شيء ادعاه، وإنما وجه الحديث أن النبي ﷺ حكم على الأعرابي بعلمه وجرت شهادة خزيمة مجرى التوكيد لقوله والاستظهار

---

(١) كتاب الجهاد باب / ١٢ ح ٢٨٠٥ - ٢ / ٥٩٩.
(٢) رواية الباب "..... يقرأها" واليونينية توافق الشرح.

على خصمه فصار في التقدير كشهادة الاثنين في غيرها من القضايا انتهى، وفيه فضيلة الفطنة في الأمور وأنها ترفع منزلة صاحبها، لأن السبب الذي أبداه خزيمة حاصل في نفس الأمر يعرفه غيره من الصحابة، وإنما هو لما اختص بتفطنه لما غفل عنه غيره مع وضوحه جوزي على ذلك بأن خص بفضيلة من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه.

٤ - باب {قل لأزواجكَ إن كُنتنَّ تُرِدْنَ الحياةَ الدُّنيا وزينَتَها فتعالَينَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جميلا}

التبرُّج: أن تُخرِجَ مَحاسنَها، سُنَّة الله استنَّها جَعلَها.

٤٧٨٥ - عن عائشة رضيَ الله عنها -زوج النبيِّ ﷺ- أن رسول الله ﷺ جاءها حينَ أمَرَ اللهُ أن يخيِّرَ أزواجَه، فبدأ بي رسولُ الله ﷺ فقال: إني ذاكرٌ لكِ أمراً، فلا عليكِ أن تستعجِلي حتى تستأمِري أبوَيك، وقد علم أن أبويَّ لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت ثم قال: إنَّ الله قال: {يا أيُّها النبيُّ قل لأزواجِكَ} إلى تَمام الآيتَين، فقلتُ له: ففي أيِّ هذا أستأمِرُ أبويَّ؟ فإني أُريدُ اللهَ ورسولَهُ والدارَ الآخرة».

[الحديث ٤٧٨٥ - طرفه في: ٤٧٨٦]

قوله (التبرج أن تخرج زينتها[١]) وعند ابن أبي حاتم من طريق شيبان عن قتادة قال: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج إذا خرجن من البيوت فنهين عن ذلك، ومن طريق عكرمة أن ابن عباس قال قال عمر: ما كانت إلا جاهلية واحدة، فقال له ابن عباس هل سمعت بأولى إلا ولها آخرة؟ ومن وجه آخر عن ابن عباس قال: تكون الجاهلية أخرى، ومن وجه آخر عنه قال: كانت الجاهلية الأولى ألف سنة فيما بين نوح وإدريس، وإسناده قوي.

٥ - باب {وإن كنتنَّ تُردنَ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة فإنَّ اللهَ أعدَّ للمحسنات منكنَّ أجراً عظيما}

وقال قَتادة {واذكُرنَ ما يُتلى في بيُوتِكنَّ منَ آياتِ الله والحكمة}: القرآنِ والسنَّة.

٤٧٨٦ - عن عائشة زوج النبيِّ ﷺ قالت: «لما أُمِرَ رسولُ الله ﷺ بتخيير أزواجه بَدأَ بي فقال: إني ذاكرٌ لكِ أمراً فلا عليكِ أن لا تَعجَلي حتى تستأمري أبويكَ، قالت: وقد علمَ أنَّ أبويَّ لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إنَ اللهَ جلَّ ثناؤُه قال: {يا أيها النبيُّ قل لأزواجِك أن كنتنَّ تُردن الحياة الدُّنيا وزينتها -إلى- أجراً عظيما}، قالت فقلت: ففي أيِّ هذا أستأمِرُ أبويَّ؟ فإني أريدُ اللهَ ورسوله والدارَ الآخرةَ، قالت: ثم فعلَ أزواجُ رسولُ اللهِ ﷺ مِثلَ ما فعلتُ».

---

(١) في الباب واليونينية "محاسنها".

قوله (لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه) ورد في سبب هذا التخيير ما أخرجه مسلم من حديث جابر قال: «دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ» الحديث في قوله ﷺ «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» يعني نساءه، وفيه أنه اعتزلهن شهراً ثم نزلت عليه هذه الآية {يا أيها النبي قل لأزواجك -حتى بلغ- أجراً عظيما} قال فبدأ بعائشة فذكر نحو حديث الباب، وقد تقدم في المظالم من طريق عقيل ويأتي في النكاح أيضاً من طريق شعيب كلاهما عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس عن عمر في قصة المرأتين اللتين تظاهرتا بطوله وفي آخره «حين أفشته حفصة إلى عائشة» وكان قد قال: ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت له: إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا، وقد أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عداً، فقال النبي ﷺ: الشهر تسع وعشرون، وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين، قالت عائشة: «فأنزلت آية التخيير، فبدأ بي أول امرأة فقال: إن ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي» الحديث.

وقال الماوردي: اختلف هل كان التخيير بين الدنيا والآخرة أو بين الطلاق والإقامة عنده؟ على قولين للعلماء أشبههما بقول الشافعي الثاني، ثم قال: إنه الصحيح، وكذا قال القرطبي: اختلف في التخيير هل كان في البقاء والطلاق أو كان بين الدنيا والآخرة إنتهى، والذي يظهر الجمع بين القولين، لأن أحد الأمرين ملزوم للآخر، وكأنهن خيرن بين الدنيا فيطلقهن وبين الآخرة فيمسكهن وهو مقتضى سياق الآية، ثم ظهر لي أن محل القولين هل فوض إليهن الطلاق أم لا؟ ولهذا أخرج أحمد عن علي قال: «لم يخير رسول الله ﷺ نساءه إلا بين الدنيا والآخرة».

قوله (فلا عليك أن لا تعجلي) أي فلا بأس عليك في التأني وعدم العجلة حتى تشاوري أبويك.

قوله (حتى تستأمري أبويك) أي تطلبي منهما أن يبينا لك رأيهما في ذلك، ووقع في حديث جابر «حتى تستشيري أبويك».

وفي الحديث ملاطفة النبي ﷺ لأزواجه وحلمه عنهن وصبره على ما كان يصدر منهن من إدلال وغيره مما يبعثه عليهن الغيرة، وفيه فضل عائشة لبداءته بها، كذا قرره النووي.

وفيه أن صغر السن مظنة لنقص الرأي، قال العلماء: إنما أمر النبي ﷺ عائشة أن تستأمر أبويها خشية أن يحملها صغر السن على اختيار الشق الآخر لاحتمال أن لا يكون عندها من الملكة ما يدفع ذلك العارض، فإذا استشارت أبويها أوضحا لها ما في ذلك من المفسدة وما في مقابله من المصلحة، ولهذا لما فطنت عائشة لذلك قالت «قد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه».

وفيه منقبة عظيمة لعائشة وبيان كمال عقلها وصحة رأيها مع صغر سنها، وأن الغيرة تحمل المرأة الكاملة الرأي والعقل على ارتكاب مالا يليق بحالها لسؤالها النبي ﷺ أن لا يخبر أحداً من أزواجه بفعلها، ولكنه ﷺ لما علم أن الحامل لها على ذلك ما طبع عليه النساء من الغيرة ومحبة الاستبداد دون ضرائرها لم يسعفها بما طلبت من ذلك.

٦ - باب {وتُخفي في نَفسِكَ ما اللهُ مُبديه، وتَخشى الناسَ واللهُ أحقُّ أن تَخشاه}

٤٧٨٧ - عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ الله عنه «أنَّ هذه الآية {وتخفي في نَفسكَ ما اللهُ مُبدِيه} نزلَت في شأنِ زينبَ بنت جَحش وزيدِ بن حارثةً».

[الحديث ٤٧٨٧ - طرفه في: ٧٤٢٠]

قوله (باب وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) لم تختلف الروايات أنها نزلت في قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش.

قوله (أن هذه الآية {وتخفي في نفسك ما الله مبديه} نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة) هكذا اقتصر على هذا القدر من هذه القصة، وقد أخرجه في التوحيد من وجه آخر عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال: «جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية» قال: «وكانت تفتخر على أزواج النبي ﷺ» الحديث، وأخرجه أحمد بلفظ «أتى رسول الله ﷺ منزل زيد بن حارثة فجاءه زيد يشكوها إليه، فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، فنزلت إلى قوله {زوجناكها} قال: يعني زينب بنت جحش ، وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها سياقاً واضحاً حسنا ولفظه «بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك، ثم أنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه ﷺ بعد أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيداً».

والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابنا، ووقع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم، وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية والله أعلم.

وروى أحمد ومسلم والنسائي من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: «لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد اذكرها عليَّ، قال فانطلقت فقلت: يا زينب، أبشري، أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن» وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه، وفيه أيضاً اختبار ما كان عنده منها هل بقي منه شيء أم لا؟ وفيه استحباب فعل امرأة الاستخارة ودعائها عند الخِطبة قبل الإجابة، وأن من وكَلَ أمرَه إلى الله عز وجل يسَّر اللهُ له ما هو الأحظّ له والأنفع دنيا وأخرى.

٧ ـ باب {ترجئُ[١] من تَشاءُ منهنَّ وتُؤوِي إليكَ مَن تشاء، ومَنِ ابتغَيتَ مِمَّن عَزلت فَلا جُناحَ عليك}

قال ابن عباس: ترجئ تُؤخِّرُ، أرجئهُ أخِّره

٤٧٨٨ ـ عن عائشة رضيَ اللهُ عنها قالت: «كنتُ أغارُ على اللاتي وَهَبنَ أنفُسَهنَّ لرسولِ الله ﷺ وأقول: أتهبُ المرأةُ نفسها؟ فلما أنزَلَ الله تعالى {تُرجئُ مَن تشاءَ منهنَّ وتُؤوي إليك من تشاء، ومَن ابتغَيتَ ممن عَزلتَ فلا جُناحَ عليك} قلتُ: ما أرَى ربَّك إلا يُسارعُ في هَواك».

[الحديث ٤٧٨٨ - طرفه في: ٥١١٣]

٤٧٨٩ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَستَأذنُ في يوم المرأة منا بعدَ أن أنزلت هذهِ الآية {ترجِئُ مَن تشاء منهن وتؤوي إليكَ من تشاء، ومَن ابتغَيتَ ممن عزَلت فلا جاحَ عليك} فقلتُ لها: ما كنتِ تقولين؟ قالت: كنتُ أقولُ له: إن كان ذاكَ إليَّ

---

(١) قراءة حفص عن عاصم "ترجي".

فإني لا أريدُ يا رسولَ الله أن أوثِرَ عليك أحداً».

قوله (باب قوله[١] ترجئ من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) حكى الواحدي عن المفسرين أن هذه الآية نزلت عقب نزول آية التخيير، وذلك أن التخيير لما وقع أشفق بعض الأزواج أن يطلقهن ففوضن أمر القسم إليه، فأنزلت {ترجئ من تشاء} الآية.

قوله (وهبن أنفسهن) هذا ظاهر في أن الواهبة أكثر من واحدة، ويأتي في النكاح حديث سهل بن سعد «أن امرأة قالت: يا رسول الله، إني وهبت نفسي لك» الحديث، وفيه قصة الرجل الذي طلبها قال: «التمس ولو خاتماً من حديد» ومن حديث أنس «أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت له: أن لي ابنة -فذكرت من جمالها- فآثرتك بها، فقال: قد قبلتها، فلم تزل تذكر حتى قالت: لم تصدع قط، فقال: لاحاجة لي في ابنتك» وأخرجه أحمد أيضاً، وهذ امرأة أخرى بلا شك، وعند ابن أبي حاتم من حديث عائشة: التي وهبت نفسها للنبي ﷺ هي خولة بنت حكيم، وسيأتي الكلام عليه في كتاب النكاح، فإن البخاري أشار إليه معلقاً، ومن طريق الشعبي قال: من الواهبات أم شريك، وأخرجه النسائي من طريق عروة، وعند أبي عبيدة معمر بن المثنى أن من الواهبات فاطمة بنت شريح، وقيل إن ليلى بن الحطيم ممن وهبت نفسها له.

عن عكرمة عن ابن عباس «لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له» أخرجه الطبري وإسناده حسن، والمراد أنه لم يدخل بواحدة ممن وهبت نفسها له وإن كان مباحاً له لأنه راجع إلى إرادته لقوله تعالى {إن أراد النبي أن يستنكحها}، وقد بينت عائشة في هذا الحديث سبب نزول قوله تعالى {ترجئ من تشاء منهن} وأشارت إلى قوله تعالى {وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي} وقوله تعالى {قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم} وروى ابن مردويه من حديث ابن عمر ومن حديث ابن عباس أيضاً قال فرض عليهم أن لا نكاح إلا بولي وشاهدين.

قوله (ما أرى ربك إلا يسارع في هواك) أي ما أرى الله إلا موجداً لما تريد بلا تأخير، منزلاً لما تحب وتختار، وقوله {ترجي[٢] من تشاء منهن} أي تؤخرهن بغير قسم، وهذا قول الجمهور، وأخرجه الطبري أن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي رزين وغيرهم، وأخرج الطبري أيضاً عن الشعبي في قوله {ترجي من تشاء منهن} قال: كن نساء وهبن أنفسهن

---

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) رواية الباب واليونينية "ترجيء" بخلاف الشرح.

للنبي ﷺ، فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن لم ينكحهن، وهذا شاذ والمحفوظ إنه لم يدخل بأحد من الواهبات كما تقدم وقيل المراد بقوله {ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء} أنه كان هم بطلاق بعضهن، فقلن له لا تطلقنا واقسم لنا ما شئت، فكان يقسم لبعضهن قسماً مستويا، وهن اللاتي آواهن، ويقسم للباقي ما شاء وهن اللاتي أرجأهن، فحاصل ما نقل في تأويل {ترجي} أقوال: أحدها تطلق وتمسك، ثانيها تعتزل من شئت منهن بغير طلاق وتقسم لغيرها، ثالثها تقبل من شئت من الواهبات وترد من شئت، وحديث الباب يؤيد هذا والذي قبله، واللفظ محتمل للاقوال الثلاثة، وظاهر ما حكته عائشة من استئذانه أنه لم يرج أحداً منهن، بمعنى أنه لم يعتزل، وهو قول الزهري «ما أعلم أنه أرجأ أحداً من نسائه» أخرجه ابن أبي حاتم، وعن قتادة أطلق له أن يقسم كيف شاء فلم يقسم إلا بالسوية.

قوله ([١]يستأذن المرأة في اليوم) أي الذي يكون فيه نوبتها إذا أراد أن يتوجه إلى الأخرى.

(تكميل): اختلف في المنفي في قوله تعالى في الآية التي تلي هذه الآية وهي قوله {لا تحل لك النساء من بعد} هل المراد بعد الأوصاف المذكورة فكان يحل له صنف دون صنف؟ أو بعد النساء الموجودات عند التخيير؟ على قولين، وإلى الأول ذهب أبيّ بن كعب ومن وافقه أخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند، وإلى الثاني ذهب ابن عباس ومن وافقه وأن ذلك وقع مجازاة لهن على اختيارهن إياه، نعم الواقع أنه ﷺ لم يتجدد له تزوج امرأة بعد القصة المذكورة، لكن ذلك لا يرفع الخلاف، وقد روى الترمذي والنسائي عن عائشة «ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء» وأخرج ابن أبي حاتم عن أم سلمة رضيَ الله عنها مثله.

٨ - باب {لا تَدخُلوا بيوتَ النبيِّ إلاّ أنَ يُؤْذَنَ لكم إلى طعامٍ غيرَ ناظرينَ إناهُ، ولكنْ إذا دُعيتم فادخُلوا، وإذا طَعِمتم فانتشروا، ولاَ مُستأنسينَ لحديث، إنَّ ذلكم كان يُؤذي النبيَّ فيَستَحيي منكم واللهُ لا يَستَحيي من الحقِّ، وإذا سألتموهنَّ مَتاعاً فسألوهنَّ من وراء حجاب، ذلكم أطهرُ لقلوبِكم وقلوبهنَّ، وما كان لكم أن تَنكحوا أزْوَاجَهُ من بَعدهِ أبدا، إنَّ ذلكم كان عندَ الله عظيماً}

يقال إناهُ: إدراكهُ، أنى يأني أناةً، {لعلَّ الساعة تَكونُ قريبا} إذا وَصَفتَ صفةَ المؤنث قلتَ: قريبة، وإذا جعلتَهُ ظرفاً وبدَلا ولم تُرِدِ الصفة نزَعتَ الهاءَ منَ المؤنث، وكذلك لفظها في الواحدِ والاثنين والجميع للذكر والأنثى.

٤٧٩٠ - عن أنسٍ قال: «قال عمرُ رضيَ الله عنه: قلتُ يا رسولَ الله يَدخُلَ عليكَ البَرُّ والفاجر، فلو أمَرتَ أمهاتِ المؤمنين بالحِجاب، فأنزل اللهُ آيةَ الحجاب».

---

(١) رواية الباب واليونينية "كان يستأذن في يوم المرأة".

٤٧٩١ ـ عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ الله عنه قال: «لما تزوّج} رسولُ الله ﷺ زينب ابنة جحش دعا القوم فَطَعِموا، ثمَّ جلسوا يتحدَّثون، وإذا هو يتأهَّبُ للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقَعدَ ثلاثةُ نفرٍ، فجاء النبيُّ ﷺ ليدخُلَ فإذا القومُ جُلوسٌ، ثم إنهم قاموا، فانطَلَقتُ فجئتُ فأخبرتُ النبيَّ ﷺ أنهم قد انطلَقوا فجاء حتى دخَل، فذهبت أدخلُ فألقى الحجابَ بيني وبينَه، فأنزلَ الله {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتَ النبيِّ} الآية».

[الحديث ٤٧٩١ - أطرافه في: ٤٧٩٢، ٤٧٩٣، ٤٧٩٤، ٥١٥٤، ٥١٦٣، ٥١٦٦، ٥١٦٨، ٥١٧٠، ٥١٧١، ٥٤٦٦، ٦٢٣٨، ٦٢٣٩، ٦٢٧١، ٧٤٢١]

٤٧٩٢ ـ عن أبي قِلابةَ قال أنسُ بن مالكٍ «أنا أعلمُ الناسِ بهذهِ الآية آيةِ الحجاب: لما أُهديَتْ زينبُ إلى رسولِ الله ﷺ كانت معهُ في البيتِ، صنعَ طعاماً ودَعا القومَ، فقَعَدوا يتحدَّثون، فجعلَ النبيُّ ﷺ يَخرُجُ ثم يَرجعُ، وهم قعودٌ يتحدَّثون، فأنزلَ الله تعالى {يا أيها الذين آمنوا لا تدخُلوا بيوتَ النبيِّ إلاَّ أن يُؤذَنَ لكم إلى طعامٍ غيرَ ناظِرينَ إناهُ -إلى قوله- من وراءِ حِجاب} فضُرِبَ الحجابُ، وقامَ القومُ».

٤٧٩٣ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «بُنِيَ عَلَى النبيِّ ﷺ بزينب بنتِ جحش بخبزٍ ولحم، فأُرسلتُ عَلَى الطعام داعياً، فيَجيء قوم، فيأكلونَ ويَخرجون ثم يَجيءُ قومٌ فيأكلونَ ويخرجون، فدَعوتُ حتى ما أجد أحداً أدعو، فقلتُ: يا نبيَّ الله ما أجدُ أحداً أدعوه، فقال: فارفعوا طعامَكم، وبقيَ ثلاثة رَهطٍ يَتحدَّثونَ في البيت، فخرجَ النبيُّ ﷺ فانطلَقَ إلى حُجرةِ عائشةَ فقال: السلامُ عليكم أهلَ البيتِ ورحمةُ الله، فقالت: وعليكَ السلامُ ورحمةُ الله، كيفَ وَجَدتَ أهلكَ، باركَ اللهُ لك، فتقرَّى حُجَرَ نسائه كلِّهن، يقول لهنَّ كما يقول لعائشةَ، ويَقُلنَ له كما قالت عائشة، ثم رجعَ النبيُّ ﷺ فإذا ثلاثةٌ من رهط في البيتِ يتحدَّثون -وكان النبيُّ ﷺ شديدَ الحياء- فخرجَ مُنطَلقاً نحوَ حجرة عائشةَ، فما أدري آخبرَته أو أُخبِرَ أنَّ القوم خرجوا، فرجعَ حتى إذا وضعَ رِجلَهُ في أسكُفَّةِ الباب داخلةً وأخرى خارجة أرخى السترَ بيني وبينَه، وأُنزِلَت آيةَ الحجاب».

٤٧٩٤ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «أولَم رسولُ اللهِ ﷺ -حينَ بَنى بزينبَ بنتِ جَحش- فأشبعَ الناسَ خُبزاً ولحما، ثم خرجَ إلى حُجَر أُمَّهات المؤمنين كما كان يَصنَعُ صبيحةَ بنائه فيُسلِّم عليهنَّ ويَدعو لهن، ويُسلمنَ عليه ويدعونَ له، فلما رجعَ إلى بيته رأى رجُلَين جرَى بهما الحديث، فلما رآهما رجعَ عن بيتهِ، فلما رأى الرجلانِ نبيَّ الله ﷺ رجعَ عن بيتهِ وثَبا مُسرعَين، فما أدري أنا أخبرتُهُ بخروجهما أم أُخبِرَ، فرجعَ حتى دَخلَ البيت، وأرخى الستر بيني وبينه، وأُنزِلت آيةُ الحجاب».

٤٧٩٥ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: «خرجَت سَودةُ -بعدَما ضُرِبَ الحجابُ-

لحاجَتها، وكانتِ امرأةً جسيمةً لا تَخفى على من يَعرفُها فرآها عمرُ بن الخطاب فقال: يا سَودة، أما والله ما تخفَين علينا، فانظرُي كيفَ تخرُجين، قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه لَيتعَشَّى وفي يده عرَقٌ، فدخَلَت فقالت : يا رسولَ الله، إني خرجتُ لبعض حاجتي فقال لي عمرُ: كذا وكذا، قالت: فأوحى اللهُ إليه، ثم رُفِعَ عنه وإنَّ العَرْقَ في يده ما وضعَه فقال: إنه قد أُذِنَ لكنَّ أن تُخرُجن لحاجَتِكنّ».

قوله (فتقرّى) أي تتبع الحجرات واحدة واحدة.

قوله (وكان النبي ﷺ شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة) في رواية حميد، رأى رجلين جرى بهما الحديث فلما رآهما رجع عن بيته، فلما رأى الرجلان نبي الله ﷺ رجع عن بيته وثبا مسرعين» ومحصل القصة أن الذين حضروا الوليمة جلسوا يتحدثون، واستحيى النبي ﷺ أن يأمرهم بالخروج فتهيأ للقيام ليفطنوا لمراده فيقوموا بقيامه، فلما ألهاهم الحديث عن ذلك قام وخرج فخرجوا بخروجه، إلا الثلاثة الذين لم يفطنوا لذلك لشدة شغل بالهم بما كانوا فيه من الحديث، وفي غضون ذلك كان النبي ﷺ يريد أن يقوموا من غير مواجهتهم بالأمر بالخروج لشدة حيائه فيطيل الغيبة عنهم بالتشاغل بالسلام على نسائه، وهم في شغل بالهم، وكان أحدهم في أثناء ذلك أفاق من غفلته فخرج وبقي الاثنان، فلما طال ذلك ووصل النبي ﷺ إلى منزله فرآهما فرجع فرأياه لما رجع، فحينئذ فطنا فخرجا، فدخل النبي ﷺ، وأنزلت الآية، فارخى الستر بينه وبين أنس خادمه أيضاً ولم يكن له عهد بذلك.

وفي الحديث من الفوائد مشروعية الحجاب لأمهات المؤمنين، قال عياض: فرض الحجاب مما اختصصن به فهو فرض عليه، بلا خلاف في الوجه والكفين، فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها ولا إظهار شخوصهن وإن كن مستترات إلا ما دعت إليه ضرورة من براز، ثم استدل «الموطأ» أن حفصة لما توفي عمر سترها النساء عن أن يرى شخصها، وأن زينب بنت جحش جعلت لها القبة فوق نعشها ليستر شخصها» انتهى.

وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه من فرض ذلك عليهن، وقد كن بعد النبي ﷺ يحججن ويطفن، وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون منهن الحديث وهن مستترات الأبدان لا الاشخاص، وقد تقدم في الحج قول ابن جريج لعطاء لما ذكر له طوافق عائشة: أقبلَ الحجابِ أو بعده؟ قال: قد أدركت ذلك بعد الحجاب.

الحديث الثالث حديث عائشة «خرج سودة -أي بنت زمعة أم المؤمنين- بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها» وقد تقدم في كتاب الطهارة[١].

والحاصل أن عمر رضيَ الله عنه وقع في قلبه نفرة من اطلاع الأجانب على الحريم النبوي، حتى صرح بقوله له عليه الصلاة والسلام «احجب نساءك» وأكد ذلك إلى أن نزلت آية الحجاب، ثم قصد بعد ذلك أن لا يبدين أشخاصهن اصلاً ولو كن مستترات، فبالغ في ذلك، فمنع منه، وأذن لهن في الخروج لحاجتهن دفعاً للمشقة ورفعاً للحرج.

٩ ـ باب {إن تُبدوا شيئاً أو تُخفوهُ فإنَّ اللهَ كان بكلِّ شيءٍ عليما، لا جُناحَ عليهنَّ في آبائهِنَّ ولا أبنائهنَّ، ولا إخوانهنَّ، ولا أبناءِ إخوانهنَّ، ولا أبناء أخواتهنَّ، ولا نسائهنَّ، ولا ماملَكَت أيمانهنَّ، واتقِينَ الله، إنَّ الله كان عَلَى كلِ شيءٍ شهيدا}

٤٧٩٦ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: «استأذَن عليَّ أفلحُ أخو أبي القُعَيس بعدَما أُنزِلَ الحجاب، فقلتُ: لا آذَنُ له حتى أستأذِنَ فيه النبيَّ ﷺ، فإنَّ أخاهُ أبا القُعَيس ليسَ هوَ أرضَعَني، ولكن أرضَعَتني امرأةُ أبي القعَيس، فدخلَ عليَّ النبيُّ ﷺ فقلتُ له: يا رسولَ اللهَ إنَّ أفلحَ أخا أبي القُعَيس استأذَنَ فأبيتُ أن آذَنَ له حتى أستأذِنكَ، فقال النبيُّ ﷺ: وما منعك أن تأذنين؟ عمُّك، قلتُ: يا رسولَ إنَّ الرجلَ ليس هو أرضعني، ولكن أرضعَتْني امرأةُ أبي القَعيس، فقال: ائذَني له فإنه عمُّك تربَتْ يَمينُك، قال عروة: فلذلك كانت عائشةُ تقولُ: حَرِّموا من الرَّضاعةِ ما تحرِّمونُ منَ النسب».

قوله (باب قوله[٢]إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان -إلى قوله- شهيدا) جميعاً ثم ذكر حديث عائشة في قصة أفلح أخي أبي القعيس، وسيأتي شرح الحديث مستوفى في الرضاع[٣].

وقوله في الحديث «ائذني له فإنه عمك» مع قوله في الحديث الآخر «العم صنو الأب» وبهذا يندفع اعتراض من زعم أنه ليس في الحديث مطابقة للترجمة أصلاً، وكأن البخاري رمز بإيراد هذا الحديث إلى الرد على من كره للمرأة أن تضع خمارها عند عمها أو خالها،

---

(١) كتاب الوضوء باب / ١٣ ح ١٤٦ - ١ / ١٣٦.
(٢) في المتن بدون "قوله" واليونينية توافق الشرح ولكن بدون التبويب في اليونينية.
(٣) كتاب النكاح باب / ٢٢ ح ٥١٠٣ - ٤ / ٥٥.

كما أخرجه الطبري من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة والشعبي إنه قيل لهما: لِمَ لَمْ يذكر العم والخال في هذه الآية؟ فقالا: لأنهما ينعتاها لأبنائهما، وكرما لذلك أن تضع خمارها عند عمها أو خالها، وحديث عائشة في قصة أفلح يرد عليهما، وهذا من دقائق ما في تراجم البخاري.

١٠ ـ باب {إنَّ الله وملائكتَهُ يُصلُّونَ على النبيِّ، يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما}

قال أبو العالية: صلاةُ الله ثَناؤُه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدُّعاء

قال ابن عباس: يُصلُّون يُبرِّكون، لَنُغرِينَّكَ: لنسلِّطنَّك

٤٧٩٧ ـ عن كعبِ بن عُجْرَةَ رضيَ اللهُ عنه «قيلَ يا رسولَ الله، أما السلامُ عليك فقد عرفناه، فكيفَ الصلاة عليك؟ قال: قولوا اللهمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صلَّيت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللهمَّ بارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مَجيد».

٤٧٩٨ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال: «قلنا يا رسولَ الله هذا التسليم، فكيفَ نصلّي عليك؟ قال: قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمدٍ عبدِكَ ورسولكَ، كما صلَّيتَ على آل إبراهيم، وبارِكَ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما باركت على آل إبراهيمَ».

[الحديث ٤٧٩٨ – طرفه في: ٦٣٥٨]

قوله (وقال ابن عباس: يصلون يبركون) وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {يصلون على النبي} قال: يبركون على النبي، أي يدعون له بالبركة، فيوافق قول أبي العالية، لكنه أخص منه، وقد سئلت عن إضافة الصلاة إلى الله دون السلام وأمر المؤنين بها وبالسلام، فقلت: يحتمل أن يكون السلام له معنيان التحية والإنقياد، فأمر به المؤمنون لصحتهما منهم، والله وملائكته لا يجوز منهم الانقياد فلم يضف إليهم دفعاً للإيهام والعلم عند الله.

قوله (كما صليت على ال إبراهيم) أي تقدمت منك الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فنسأل منك الصلاة على محمد وعلى آل محمد بطريق الأولى، لأن الذي يثبت للفاضل يثبت للأفضل بطريق الأولى، وبهذا يحصل الإنفصال عن الإيراد المشهور من أن شرط التشبيه أن

يكون المشبه به أقوى، ومحصل الجواب أن التشبيه ليس من باب إلحاق الكامل بالأكمل بل من باب النهييج ونحوه، أو من بيان حال ما لا يعرف بما يعرف، لأنه فيما يستقبل، والذي يحصل لمحمد ﷺ من ذلك أقوى وأكمل، وأجابوا بجواب آخر على تقدير أنه من باب الإلحاق، وحاصل الجواب أن التشبيه وقع للمجموع بالمجموع، لأن مجموع آل إبراهيم أفضل من مجموع آل محمد، لأن في آل إبراهيم الأنبياء بخلاف آل محمد، ويعكر على هذا الجواب التفصيل الواقع في غالب طرق الحديث، وقيل في الجواب أيضاً: إن ذلك كان قبل أن يعلم الله تعالى نبيه ﷺ أنه أفضل من إبراهيم وغيره من الأنبياء، وهو مثل ما وقع عند مسلم عن أنس «إن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا خير البرية، قال ذاك إبراهيم».

واستدل بهذا الحديث على جواز الصلاة على غير النبي ﷺ من أجل قوله فيه «وعلى آل محمد» وأجاب من منع بأن الجواز مقيد بما إذا وقع تبعاً، والمنع إذا وقع مستقلاً، والحجة فيه أنه صار شعاراً للنبي ﷺ فلا يشاركه غيره فيه، فلا يقال قال أبو بكر ﷺ وإن كان معناه صحيحاً، ويقال ﷺ الله على النبي وعلى صدّيقه أو خليفته ونحو ذلك، وقريب من هذا أنه لا يقال قال محمد عز وجل وإن كان معناه صحيحاً، لأن هذا الثناء صار شعاراً لله سبحانه فلا يشارك غيره فيه، ولا حجة لمن أجاز ذلك منفرداً فيما وقع من قوله تعالى {وصلِّ عليهم} ولا في قوله «اللهم صل على آل أبي أوفى» ولا في قول امرأة جابر «صل عليَّ وعلى زوجي، فقال: اللهم صل عليهما، فإن ذلك كله وقع من النبي ﷺ، ولصاحب الحق أن يتفضل من حقه بما شاء، وليس لغيره أن يتصرف إلا بإذنه، ولم يثبت عنه إذن في ذلك، ويقوي المنع بأن الصلاة على غير النبي ﷺ صار شعاراً لأهل الأهواء يصلون على من يعظمونه من أهل البيت وغيرهم، وهل المنع في ذلك حرام أو مكروه أو خلاف الأولى؟ حكى الأوجه الثلاثة النووي في «الأذكار» وصحح الثاني، وقد روى إسماعيل بن إسحاق في كتاب «أحكام القرآن» له بإسناد حسن عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب «أما بعد فإن ناساً من الناس التمسوا عمل الدنيا بعمل الآخرة، وإن ناساً من القصاص أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي، فإذا جاءك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين، ودعاؤهم للمسلمين، ويدَعوا ما سوى ذلك» ثم أخرج عن ابن عباس بإسناد صحيح قال: «لا تصلح الصلاة على أحد إلا على النبي ﷺ، ولكن للمسلمين والمسلمات الاستغفار» وذكر أبو ذر أن الأمر بالصلاة على النبي ﷺ كان في السنة الثانية من الهجرة، وقيل من ليلة الأسراء.

١١ ـ باب {لا تكونوا كالذين آذَوا موسى}

٤٧٩٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ: إنَّ موسى كان رجلاً حَيِيّاً، وذلك قولهُ تعالى {يا أيها الذينَ آمنوا لا تكون كالذين آذَوا موسى فبرَّأهُ اللهُ مما قالوا، وكان عندَ اللهِ وَجيها}».

قوله (باب {لا تكونوا كالذين آذوا موسى} ذكر فيه طرفاً من قصة موسى مع بني إسرائيل، وقد تقدم بسنده مطولاً في أحاديث الأنبياء مع شرحه مستوفى، وقد روى «أحمد بن منيع في مسنده» والطبري وابن أبي حاتم بإسناد قوي عن ابن عباس عن علي قال: «صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون، فقال بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلته، كان ألين لنا منك وأشد حباً فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته فمرت به على مجالس بني إسرائل، فعلموا بموته» قال الطبري: يحتمل أن يكون هذا المراد بالأذى في قوله {لا تكونوا كالذين آذوا موسى}، قلت: وما في الصحيح أصح من هذا، لكن لا مانع أن يكون للشيء سببان فأكثر كما تقدم تقريره غير مرة.

(٣٤) سورةُ سَبَأ

يُقال مُعاجزِين: مُسابقِين، بمعجِزين: بفائتين، معاجِزِيَّ: مُسابقيَّ، سَبَقوا: فاتوا، لا يُعجزون: لا يفوتون يَسبِقونا: يُعجِزونا، قوله بُمعجِزين: بفائتين، ومعنى معاجزين مغالبين يُريد كل واحدٍ منهما أن يُظهِرَ عجزَ صاحبه، معِشارٌ: عُشرٌ يقال الأُكُلُ الثمرةُ، باعِد وبعِّد واحد، وقال مجاهد: لا يَعزُبُ لا يغيب، سَيلُ العَرِم: السُّدُّ ماء أحمر، أرسلهُ الله في السُّدِّ فشَقَّهُ وهدمَهُ وحَفَرَ الوادي فارتفعتا عنِ الجَنْبتَين وغاب عنهما الماء فيَبِستا، ولم يَكُنِ الماءُ الأحمرُ من السُّد ولكن كان عذاباً أرسلَهُ اللهُ عليهم من حيث شاء، وقال عمروُ بن شُرَحبيل: العَرِمُ المُسَنّاةِ بلَحن أهلِ اليمن، وقال غيرُهُ: العَرِم الوادي، السابغاتُ: الدروع، وقال مجاهد يُجازَى: يعاقَب أعِظكم بواحدة: بطاعةِ الله، مَثنى وفرُادَى: واحد واثنين، التَّناوُش: الردُّ من الآخرةِ إلى الدنيا، وبينَ ما يشتَهون: من مالٍ أو ولد أو زهرةٍ، بأشياعهم: بأمثالهم، وقال ابنُ عباس كالجوابي: كالجوبةِ منَ الأرض، الخَمط: الأراك، والأَثَل: الطرفاء، العَرِم: الشديد.

قال ابن إسحق وغيره: هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ووقع عند الترمذي وحسنه من حديث فروة بن مسيك قال: «أنزل في سبأ ما أنزل، فقال رجل: يا رسول الله وما سبأ، أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، فتيامن ستة

وتشاءم أربعة» الحديث، قال: «وفي الباب عن ابن عباس». قلت: حديث ابن عباس وفروة صححهما الحاكم.

قوله (معشار: عشر) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {وما بلغوا معشار ما آتيناهم أي عشر ما أعطيناهم، وقال الفراء: المعنى وما بلغ أهل مكة معشار الذين أهلكناهم من قبلهم من القوة والجسم والولد والعدد، والمعشار العشر.

قوله (فشقه) وذكر عياض أن في رواية أبي ذر «فبثقه» قال: وهو الوجه، تقول بثقت النهر إذا كسرته لتصرفه عن مجراه.

قوله (وقال عمرو بن شرحبيل: العرم المسناة بلحن أهل اليمن، وقال غيره: العرم الوادي) قال ابن التين: المراد بها ما يبنى في عرض الوادي ليرتفع السيل ويفيض على الأرض «وكأنه أخذ من عرامة الماء وهو ذهابه كل مذهب، وقال الفراء: العرم المسناة وهي مسناة كانت تحبس الماء على ثلاثة أبواب منها، فيسيبون من ذلك الماء من الباب الأول ثم الثاني ثم الآخر، ولا ينفذ حتى يرجع الماء السنة المقبلة، وكانوا أنعم قوم، فلما أعرضوا عن تصديق الرسل وكفروا بثق الله عليهم تلك المسناة، فغرقت أرضهم ودقت الرمل بيوتهم ومزقوا كل ممزق، حتى صار تمزيقهم عند العرب مثلاً يقولون: «تفرقوا أيدي سبأ».

قوله (السابغات الدروع) قال أبو عبيدة في قوله {أن اعمل سابغات} أي دروعاً واسعة طويلة.

قوله (وقال مجاهد: (يجازى يعاقب) وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عنه، ومن طريق طاوس قال: هو المناقشة في الحساب، ومن نوقش الحساب عذب وهو الكافر لا يغفر له.

(تنبيه) قيل إن هذا الآية أرجى آية في كتاب الله من جهة الحصر في الكفر، فمفهومه أن غير الكفر بخلاف ذلك، ومثله {إن العذاب على من كذب وتولى} وقيل {ولسوف يعطيك ربك فترضى}، وقيل {فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير}، وقيل {كل يعمل على شاكلته} وقيل {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم} وقيل {ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة} وهذا الأخير نقله مسلم في صحيحه عن عبد الله بن المبارك عقب حديث الإفك.

قوله (وقال ابن عباس كالجوابي كالجوبة من الأرض) قيل الجوابي في اللغة جمع جابية وهو الحوض الذي يجبى فيه الشيء أي يجمع، وأما الجوبة من الأرض فهي الموضع المطمئن فلا يستقيم تفسير الجوابي بها، وأجيب باحتمال أن يكون فسر الجابية بالجوبة ول

١ ـ باب {حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربُّكم؟ قالوا: الحقَّ، وهو العليُّ الكبير}

٤٨٠٠ ـ عن أبي هريرة قال: «إنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: إذا قَضى اللهُ الأمرَ في السماء ضرَبَتِ الملائكة بأجنحَتِها خُضعاناً لقولهِ كأنه سِلْسلةٌ على صَفْوان، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحقَّ وهو العليُّ الكبير، فيسمعُها مسترقُ السَّمْع ومسترقُ السمع هكذا بعضهُ فوقَ بعض -ووصف سفيانُ بكفِّه فحرَّفَها وبدَّدَ بين أصابعه- فيسمعُ الكلمةَ فيُلقيها إلى مَن تحتَه، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان السَّاحرِ أو الكاهن، فربَّما أدركَ الشِّهابُ قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبلَ أن يدرِكَهُ فيكذبُ معَها مائةَ كذْبة، فيقال: أليس قد قال لنا يومَ كذا، وكذا كذا وكذا، فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سمعَ من السماء».

قوله (إذا قضى الله الأمر في السماء) في حديث النواس بن سمعان عند الطبراني مرفوعاً «إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع أهل السماء بذلك صعقوا وخروا سجدا، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه، بما أراد، فينتهي به على الملائكة، كلما مر بسماء سأله أهله ماذا قال ربنا؟ قال الحق، فينتهي به حيث أمر».

قوله (على صفوان) وعند مسلم والترمذي من طريق علي بن الحسين بن علي عن ابن عباس عن رجال من الأنصار أنهم كانوا عند النبي ﷺ، فرمى بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون لهذا إذا رمى به في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول مات عظيم أو يولد عظيم، فقال: إنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح سماء الدنيا، ثم يقولون لحملة العرش: ماذا قال ربكم» الحديث.

٢ ـ باب {إن هوَ إلاّ نذيرٌ لكم بينَ يدَيْ عذابٍ شديد}

٤٨٠١ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «صَعِدَ النبيُّ ﷺ الصَّفا ذاتَ يوم فقال: يا صباحاه، فاجتمعَت إليه قريش، قالوا: مالك؟ قال: أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ العدوَّ يصبِّحكم أو يمسِّيكم أما كنتم تصدِّقونني؟ قالوا: بلى قال: فإني نَذيرٌ لكم بينَ يدَي عذابٍ شديد، فقال أبو لهب: تبًّا لكَ ألهذا جمعتَنا؟ فأنزلَ الله {تَبَّت يدا أبي لهب}

قوله (باب قوله[١] إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) ذكر فيه طرفاً من حديث ابن عباس في نزول قوله تعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين} وقد تقدم شرحه مستوفى في سورة الشعراء[٢].

---

(١) في المتن بدون "قوله" واليونينية توافق الشرح ولكن بدون التبويب.
(٢) كتاب التفسير "الشعراء" باب / ٢ ح ٤٧٧٠ - ٣ / ٦٣٩.

(٣٥) سورةُ الملائكة

قال مجاهد: القِطْمير لِفافةُ النَّواة، مُثْقَلةٌ مُثَقَّلةٌ، وقال ابنُ عباس: الحَرُوْرَ بالليل والسَّمُوْم بالنهار، وقال غيره: الحرور بالنهار مع الشمس، وغرابيب سُود: أشدُّ سواداً الغِربيب.

قوله (القطمير لفافة النواة) وروي سعيد بن منصور من طريق عكرمة عن ابن عباس: القطمير القشر الذي يكون على النواة.

(٣٦) سورةُ يس

وقال مجاهد: فعزَّزْنا شدَّدنا، يا حَسرةً على العباد، وكان حَسرةً عليهم استهزاؤهم بالرُّسل، أن تدركَ القمر، لا يَسْتُرُ ضوءُ أحدهما ضوءَ الآخر، ولا ينبغي لهما ذلك، سابق النهار يتطالبان حَثيثين، نَسلَخُ نُخرِجُ أحدَهُما من الآخر، ويَجري كل واحد منهما من مثله من الأنعام، فكهون[1]مُعجَبون، جندٌ مُحضَرون عندَ الحساب، ويذكر عن عِكرِمة المشحون المُوقَر، وقال ابنُ عباس طائركم مَصائبكم، ينسِلون يَخرُجون مرقدنا مَخرَجنا، أحصَيناهُ حَفظناه، مكانتكم ومكانكم واحد.

قوله (من مثله من الأنعام) وصله الفريابي أيضاً من طريق مجاهد، وعن ابن عباس قال: المراد بالمثل هنا السفن، ورجح لقوله بعد {وإن نشأ نغرقهم} إذ الغرق لا يكون في الأنعام.

قوله (فكهون معجبون) وقد وصله الفريابي من طريق مجاهد: فاكهون معجبون، قال أبو عبيدة: من قرأها فاكهون جعله كثير الفاكهة.

وأما فكهون فهي قراءة أبي جعفر وشيبة وهي بوزن فرحون، ومعناه مأخوذ من الفاكهة وهي التلذذ والتنعم.

قوله (وقال ابن عباس: طائركم عند الله مصائبكم) وتقدم في أحاديث الأنبياء ، وللطبري من وجه آخر عن ابن عباس قال: طائركم أعمالكم، وقال أبو عبيدة: طائركم أي حظكم من الخير والشر.

١ - باب {والشَّمسُ تَجرِي لمستَقَرٍّ لها ذلك تقديرُ العزيزِ العَليمِ}

٤٨٠٢ - عن أبي ذَرّ رضيَ الله عنه قال: «كنتُ مع النبيِّ ﷺ في المَسجدِ عندَ غروبِ الشمسِ فقال: يا أبا ذرّ، أتدري أينَ تَغرُبُ الشمس؟ قلتُ: اللهُ ورسولهُ أعلم، قال: فإنها تَذهَبُ حتى تَسجُدَ تحتَ العرش، فذلك قوله تعالى {والشمسُ تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقديرُ العزيز العلم}».

٤٨٠٣ - عن أبي ذرٍ قال: «سألتُ النبيَّ ﷺ عن قولهِ تعالى {والشمسُ تجرِي لمستَقَرٍّ

(١) قراءة حفص عن عاصم "فاكهون".

لها} قال: مُستقرُّها تحت العَرش».

وروى عبد الرزاق من طريق وهب عن جابر عن عبد الله بن عمرو في هذه الآية قال: مستقرها أن تطلع فيردها ذنوب بني آدم، فإذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها، فتقول: إن السير بعد، وإني إن لا يؤذن لي لا أبلغ، فتحبس ما شاء الله، ثم يقال: اطلعي من حيث غربت، قال: فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفساً إيمانها، وأما قوله «حتى العرش» فقيل هو حين محاذاتها، ولا يخالف هذا قوله {وجدها تغرب في عين حمئة} فإن المراد بها نهاية مدرك البصر إليها حال الغروب، وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب، وفي الحديث رد على من زعم أن المراد بمستقرها غاية ما تنتهي إليه في الارتفاع، وذلك أطول يوم في السنة، وقيل إلى منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا.

قلت: وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري، والله أعلم.

(٣٧) سورة الصَّافَات

وقال مجاهد: {ويَقْذِفونَ بالغيب من مكانٍ بعيد}: من كلِّ مكان، ويُقْذَفُون من كل جانب، دُحورا يُرمَون، واصِبٌ دائم، لازب لازم، تأتوننا عنِ اليمين يعني الحقَّ، الكفّارُ تقوله للشياطين، غَولٌ وَجعُ بطن يُنزَفون لا تَذهَبُ عقولهم، قرين شيطان، يُهرَعون كهيئة الهرولة يَزِفُّون النسلان في المشي، وبينَ الجِنَّةِ نَسباً، قال كفارُ قريش: الملائكة بناتُ الله، وأمهاتهم بناتُ سَرَواتِ الجنّ، وقال اللهُ تعالى: {ولقد علمتِ الجِنَّة إنهم لمحضرون} سيُحضَرون للحساب، وقال ابنُ عباس {لنحن الصافُّون} الملائكة، {صِراطِ الجحيم} ووسَط الجحيم، لَشَوباً: يُخلَطُ طعامهم ويساط بالحميم، مدحورا: مطرودا، بَيْضٌ مَكْنونٌ: اللؤلؤ المكنون، {وتركنا عليه في الآخرين} يُذكَرُ بخير، يَستَسْخِرون: يَسخَرون، بَعْلاً: ربّاً، الأسباب: السماء.

قوله (وقال مجاهد ويقذفون بالغيب من مكان بعيد من كل مكان، ويقذفون من كل جانب، دحوراً يرمون، واصب دائم، لازب لازم) وروى الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله {ويقذفون بالغيب من مكان} يقولون هو ساحر هو كاهن هو شاعر.

قوله (تأتوننا عن اليمين، يعني الحق، الكفار تقوله للشياطين) وقد وصله الفريابي عن مجاهد بلفظ «إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قال الكفار تقوله للشياطين» ولم يذكر الزيادة، فدل على أنه شرح من المصنف، ولكن من الروايتين وجه، فمن قال: «يعني الجن» أراد بيان المقول له وهم الشياطين، ومن قال: «الحق» بالمهملة والقاف أراد تفسير لفظ اليمين أي كنتم تأتوننا من جهة الحق فتلبسوه علينا، ويؤيده تفسير قتادة قال: يقول الإنس للجن: كنتم تأتوننا عن اليمين، أي من طريق الجنة تصدوننا عنها.

قوله (يزفون النسلان في المشي) والنسلان بفتحتين الإسراع مع تقارب الخطأ، وهو دون السعي.

قوله (بعلا ربا) ثبت هذا للنسفي وحده، وقد وصله ابن أبي حاتم من طريق عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس أنه أبصر رجلاً يسوق بقرة فقال: من بعل هذه؟ قال فدعاه فقال: من أنت؟ فقال من أهل اليمن، قال: هي لغة {أتدعون بعلا} أي ربا.

١ - باب {وإنَّ يونُسَ لَمنَ المُرسَلين}

٤٨٠٤ - عن عبدِ الله رضيَ الله عنهُ قال: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ما يَنبغي لأحدٍ أن يكونَ خيراً منِ ابن مَتَّى».

٤٨٠٥ - عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «مَن قال أنا خيرٌ من يونُسَ بن مَتَّى فقد كَذَب».

قوله (باب قوله[١]: وإن يونس لمن المرسلين) ذكر فيه حديث ابن مسعود «لا ينبغي لأحد أن يكون خيراً من يونس بن متى» وحديث أبي هريرة «من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب» وقد تقدم شرحه في أحاديث الأنبياء[٢] ولله الحمد.

(٣٨) سورةُ ص

٤٨٠٦ - عن العَوَام قال: «سألتُ مجاهداً عنِ السجدة في ص قال: سُئلَ ابنُ عباس فقال: {أولئك الذين هَدَى اللهُ فبهُداهمُ اقتَدِه}[١] وكان ابنُ عباس يسجدُ فيها».

٤٨٠٧ - عن العَوَام قال: «سألتُ مجاهداً عن سجدة ص فقال: سألتُ ابن عباس من أينَ سجدتَ؟ فقال: أو ما تَقرأ {ومن ذريَّته داودَ وسليمانَ أولئك الذينَ هَدَى الله فبهُداهُم اقتَدِه} فكان داودُ ممن أمرَ نبيُّكم ﷺ أن يَقتديَ به، فسجَدَها داودُ فسجدَها رسولُ الله ﷺ» عُجاب: عجيب، القِطُّ: الصحيفة، وهو ها هنا صحيفة الحسنات، وقال مجاهد: في عزَّةٍ مُعازِّين، المِلَّة الآخرة: مِلَّةُ قريش، الاختلاق: الكذب، الأسباب طُرُق السماء في أبوابها {جندٌ ما هنالك مَهزوم} يعني قريشاً، أولئك الأحزاب: القرون الماضية، فَواق: رُجوع، قِطَّنا: عذابَنا، {اتَّخذناهم سِخْرِيًّا} أحَطْنا بهم، أتراب: أمثال، وقال ابنُ عباس: الأيد القوةَ في العبادة، الأبصار: البصرُ في أمر الله، {حبَّ الخير عن ذِكر ربي} من ذِكر، طَفق مَسحاً: يَمَسحُ أعرافَ الخيل وعراقِيبها، الأصفاد: الوَثاق.

قوله (سورة ص- بسم الله الرحمن الرحيم[٣]) وحكمها حكم الحروف المقطعة أوائل السور، وسيأتي مزيد بيان أسماء السورة في أول غافر.

قوله (فسجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ) وقد تقدم الكلام على ما يتعلق بالسجود في ص في كتاب سجود[٤] التلاوة مستوفى.

قوله (فواق رجوع) وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي ما لها من فواق يقول ليس لهم

---

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) كتاب الأنبياء باب / ٣٥ ح ٣٤١٦ - ٣ / ٤٦.
(٣) في المتن واليونينية بدون البسملة.
(٤) كتاب سجود القرآن باب / ٣ ح ١٠٦٩ - ١ / ٥٥٣.

إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا.

قوله (قطنا عذابنا) ولا منافاة بينه وبين ما تقدم فإنه محمول على أن المراد بقولهم قطنا أي نصيبنا من العذاب.

قوله (اتخذناهم سخريا أَحَطْنَا بهم) وقد أخرجه ابن أبي حاتم من طريق مجاهد بلفظ أخطأناهم أم هم في النار لا نعلم مكانهم، وقال ابن عطية المعنى ليسوا معنا أم هم معنا لكن أبصارنا تميل عنهم.

قوله (أتراب أمثال) قال أبو عبيدة الأتراب جمع تِرْب، من يولد في زمن واحد.

٢ ـ باب {هَبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، إنَكَ أنتَ الوهّاب}

٤٨٠٨ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ عِفريتاً منَ الجنِّ تَفلَّتَ عَلَيَّ البارحةَ -أو كلمةً نحوَها- ليقطعَ عَلَيَّ الصلاة، فأمكنَني اللهُ منه، وأردتُ أن أربطهُ إلى ساريةٍ من سَواري المسجد، حتى تُصبحوا وتَنظروا إليه كلكم، فذكرتُ قولَ أخي سليمانَ {ربِّ هب لي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي} قال: رَوحٌ: فردَّهُ خاسِئاً».

قوله (باب قوله[١] هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب) تقدم شرحه في ترجمة سليمان عليه السلام من أحاديث الأنبياء[٢].

٣ ـ باب {وما أنا منَ المتكلّفين}

٤٨٠٩ ـ عن مسروقٍ قال: «دَخلنا على عبدِ الله بن مسعودٍ قال: يا أيها الناسُ مَن علمَ شيئاً فليَقُل به، ومن لم يَعلم فليَقل اللهُ أعلم، فإنَّ من العلم أن يقولَ لما لا يعلمُ: اللهُ أعلم، قال اللهُ عزَّ وجلَّ لنبيِّهِ ﷺ {قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا منَ المتكلفين} وسأحدِّثكم عنِ الدُّخان، إنَّ رسولَ الله ﷺ دَعا قريشاً إلى الإسلام، فأبطئوا عليه، فقال: اللهمَّ أعنِّي عليهم بسَبعٍ كسَبعِ يوسُف، فأخَذَتهم سَنةٌ فحصَّتْ كلَّ شيءٍ، حتى أكلوا الميتةَ والجلودَ، حتى جعلَ الرجلَ يَرى بينَهُ وبين السماء دُخاناً منَ الجوع، قال اللهُ عزَّ وجل {فارتَقِبْ يوم تَأتي السماءُ بدُخانٍ مُبين، يَغشى الناسَ هذا عذابٌ أليم} قال فدعَوا {ربَّنا اكشفْ عنا العذابَ إنا مؤمنون، أنى لهمُ الذِّكرَى وقد جاءهم رسولٌ مبين، ثمَّ تولوا عنه وقالوا معلَّمٌ مجنون، إنّا كاشِفوا العذابِ قليلا، إنكم عائدون}، أفيُكشَفُ العذاب يومَ القيامة؟ قال: فكُشِفَ، ثم عادوا في كفرِهم، فأخذَهم اللهُ يومَ بدرٍ، قال اللهُ تعالى: {يومَ نَبطِشُ البَطشةَ الكبرَى إنّا منتَقِمون}.

قوله (باب قوله[٣] وما أنا من المتكلفين) ذكر فيه حديث ابن مسعود في قصة الدخان وقد تقدم قريباً في تفسير سورة الروم ويأتي في تفسير الدخان[٤] وتقدم ما يتعلق منه بالاستسقاء في بابه.

---

(١) في المتن وفي اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) كتاب الأنبياء باب / ٤٠ ح٣٤٣٢ - ٣ / ٤٩.
(٣) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".
(٤) كتاب التفسير الدخان باب /٣- ٣ / ٦٧٩.

(٣٩) سورةُ الزُّمر

وقال مجاهد: {أفَمن يَتَّقي بوَجهِه} يُجَرُّ عَلَى وجهِهِ في لنار، وهو قوله تعالى {أفَمن يُلقى في النار خيرٌ أم مَن يأتي آمِناً يوم لقيامة}، {ذي عِوَج} لَبْسٍ، {رجُلاً سَلَماً لرجُل}: صالحاً؛ مثلٌ لآلهتهم الباطل والإله الحقّ، {ويخوِّفونك بالذينَ من دونه}: بالأوثان، {خَوَّلْنا}: أعطينا، {والذي جاء بالصِّدق}: القرآن، {وصدَّق به}: المؤمن يجيءُ يومَ القيامة يقول: هذا الذي أعطيتَني عملتُ بما فيه، {مُتَشاكِسون}: الرجلُ الشَّكِسُ العَسِرِ الذي لا يرضى بالإنصاف، {ورجُلاً سلماً} ويقال «سالماً»: صالحاً، {اشمأزَّت}: نَفَرت، {بِمفازَتهم} من الفَوز، {حافِّين}: أطافوا به، مُطِيفِين، {بِحفافَيه}: بجَوانبِه، {مُتشابهاً} ليس من الاشتباه، ولكن يُشبِهُ بعضهُ بعضاً في التصديق.

قوله (وقال مجاهد[١] يتقي وجهه يجر على وجه في النار، وهو قوله أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة) وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن عيينة عن بشر بن تميم قال: نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر، أفمن يلقى في النار أبو جهل خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة عمار.

قوله (والذي جاء بالصدق القرآن وصدق به المؤمن يجيء به[٢] يوم القيامة) ووصله ابن المبارك في «الزهد» عن مسعر عن منصور عن مجاهد في قوله عز وجل {والذي جاء بالصدق وصدق به} قال: هم الذين يجيئون بالقرآن قد اتبعوه، أو قال: اتبعوا ما فيه، وأما قتادة فقال: الذي جاء بالصدق النبي، والذي صدق به المؤمنون، أخرجه عبد الرزاق عن معمر عنه، وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الذي جاء بالصدق لا إله إلا الله، وصدق به أي صدق بالرسول.

قوله (ويخوفونك بالذين من دونه: بالأوثان) وقال عبد الرزاق عن معمر قال لي رجل «قالوا للنبي ﷺ: لتكفن عن شتم آلهتنا ولنأمرنها فلتخبلنك، فنزلت: ويخوفونك».

١ - باب {يا عبادِيَ الذين أسرَفوا عَلَى أنفُسهم لا تَقنَطوا من رَحمةِ الله، إنَّ اللهَ يغفرُ الذُّنوب جميعاً، إنهُ هَوَ الغَفورُ الرحيم}

٤٨١٠ - عن ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما «إنَّ ناساً من أهل الشِّركِ كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتَوا محمداً ﷺ فقالوا: إنَّ الذي تقولُ وتَدعوا إليه لَحسَن، لو تُخبِرُنا أنَّ لما عملنا كفّارة، فنزل {والذين لا يَدعونَ معَ الله إلهاً آخَرَ، ولا يَقتلونَ النَّفسَ التي حرَّمَ الله إلا بالحق، ولا يزنون} ونزلَ {قل يا عبادي الذين أسرَفوا عَلَى أنفسهم لا تَقنَطوا من رحمةِ الله}».

---

(١) رواية الباب واليونينية "وقال مجاهد: أفمن يتقي بوجهه" ص ٥٤٨.
(٢) في المتن واليونينية "يجيء" فقط ..." ص ٥٤٨.

قوله (باب قوله[١]{يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله} الآية) ذكر فيه حديث ابن عباس «إن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا».

قوله (لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة) في رواية الطبراني من وجه آخر عن ابن عباس أن السائل عن ذلك هو وحشي بن حرب قاتل حمزة وأنه لما قال ذلك نزلت {إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحا} الآية فقال: هذا شرط شديد، فنزلت {قل يا عبادي} الآية، وروى ابن إسحق في «السيرة» قال: حدثني نافع عن ابن عمر عن عمر قال: «اتعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص أن نهاجر إلى المدينة» فذكر الحديث في قصتهم ورجوع رفيقه فنزلت {قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم} الآية قال فكتبت بها إلى هشام.

قوله (ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) في رواية الطبراني «فقال الناس: يا رسول الله إنا أصبنا ما أصاب وحشي، فقال هي للمسلمين عامة» وروى أحمد الطبراني في «الأوسط» من حديث ثوبان قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أحب أن لي بهذه الآية الدنيا وما فيها {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم} الآية، فقال رجل: ومن أشرك؟ فسكت ساعة ثم قال: ومن أشرك ثلاث مرات» واستدل بعموم هذه الآية على غفران جميع الذنوب كبيرها وصغيرها سواء تعلقت بحق الآدميين أم لا؛ والمشهور عند أهل السنة أن الذنوب كلها تغفر بالتوبة، وأنها تغفر لمن شاء الله ولو مات على غير توبة، لكن حقوق الآدميين إذا تاب صاحبها من العود إلى شيء من ذلك تنفعه التوبة من العود، وأما خصوص ما وقع منه فلا بد له من رده لصاحبه أو محاللته منه.

٢ ـ باب {وما قَدَروا الله حقَّ قَدْرِه}

٤٨١١ ـ عن عبد الله رضيَ الله عنه قال: «جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمدُ، إنّا نجدُ أنَّ اللهَ يجعلُ السماواتِ عَلَى إصبْع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماءَ والثرَى على إصبع، وسائرَ الخلائقِ على إصبع، فيقول: أنا الملِك، فضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتى بدَتْ نواجِذهُ تصديقا لقول الحَبر، ثمَّ قرأ رسولُ اللهِ ﷺ {وما قَدَروا الله حقَّ قدرِه والأرضُ جميعاً قبضَتُه يومَ القيامة، والسماوات مَطويّاتٌ بيمينه، سبحانَهُ وتعالى عما يُشركون}».

[الحديث ٤٨١١ - أطرافه في: ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣]

قوله (إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع الحديث) يأتي شرحه في كتاب التوحيد[٢] إن شاء الله تعالى.

---

(١) في المتن بدون "قوله" بدون التبويب في اليونينية.
(٢) كتاب التوحيد باب١٩/ ح ٤٧١٤ - ٥ / ٥٥٨.

قال النووي: وظاهر السياق أنه ضحك تصديقاً له بدليل قراءته الآية التي تدل على صدق ما قال الحبر، والأولى في هذه الأشياء الكف عن التأويل مع اعتقاد التنزيه، فإن كل ما يستلزم النقص من ظاهرها غير مراد.

٣ - باب {والأرضُ جميعاً قَبضَتُهُ يومَ القِيامةِ، والسماوات مَطْويات بيمينِه}

٤٨١٢ - عن أبي سَلمةَ أنّ أبا هريرةَ قال: «سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يَقبِضُ اللهُ الأرضَ، ويَطوِي السماوات بيمينِهِ ثم يقول: أنا الملِك، أين مُلوكُ الأرضِ؟»».

[الحديث ٤٨١٢ - أطرافه في: ٦٥١٩، ٧٣٨٢، ٧٤١٣]

قوله (باب قوله[1]: والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه) ثم ذكر فيه حديث أبي هريرة، وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى.

٤ - باب {ونُفِخَ في الصُّور، فصَعِقَ مَن في السماوات ومَن في الأرض، إلا مَن شاءَ الله، ثمَّ نُفخَ فيه أخرى فإذا هم قِيامٌ ينظرون}

٤٨١٣ - عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: إني أولُ مَن يَرفعُ رأسَهُ بعدَ النفخةِ الآخرة، فإذا أنا بموسى مُتعلِّقٌ بالعرش، فلا أدرِي، أكذلكَ كان، أم بعدَ النفخة؟».

٤٨١٤ - عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرةَ، أربعونَ يوماً؟ قال: أبَيتُ، قال: أربعون سنة؟ قال: أبَيتُ، قال: أربعونَ شهراً؟ قال: أبَيتُ، ويَبلى كلُّ شيءٍ من الإنسان، إلا عَجْبَ ذَنَبه، فيه يُركَّبُ الخَلق».

[الحديث ٤٨١٤ - طرفه في: ٤٩٣٥]

قوله (إني من أول من يرفع رأسه) تقدم شرحه مستوفى في ترجمة موسى من أحاديث الأنبياء[2].

قوله (أبيت) بموحدة أي امتنعت عن القول بتعيين ذلك لأنه ليس عندي في ذلك توقيف.

قوله (ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، فيه يركب الخلق) في رواية مسلم «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحدا، وهو عظم لطيف في أصل الصلب، وهو رأس العصعص، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع.

قال ابن الجوزي قال ابن عقيل: لله في هذا سر لا يعلمه إلا الله، لأن من يظهر الوجود من العدم لا يحتاج إلى شيء يبني عليه، ويحتمل أن يكون ذلك جعل علامة للملائكة على إحياء كل إنسان بجوهره، ولا يحصل العلم للملائكة بذلك إلا بإبقاء عظم كل شخص ليعلم

---

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) كتاب الأنبياء باب / ٣٥ ح ٣٤١٤ - ٣ / ٤٦.

أنه إنّما أراد بذلك إعادة الأرواح إلى تلك الأعيان التي هي جزء منها، ولولا إبقاء شيء منها لجوزت الملائكة أن الإعادة إلى أمثال الأجساد لا إلى نفس الاجساد.

وقال العلماء: هذا عام يخص منه الأنبياء، لأن الأرض لا تأكل أجسادهم، والحق ابن عبد البر بهم الشهداء والقرطبي الموذن المحتسب، قال عياض فتأويل الخبر وهو كل ابن آدم يأكله التراب أي كل ابن آدم مما يأكله التراب وإن كان التراب لا يأكل أجساداً كثيرة كالأنبياء.

قوله (إلا عجب ذنبه) أخذ بظاهره الجمهور فقالوا: لا يبلى عجب الذنب ولا يأكله التراب.

(٤٠) سورةُ المؤمنُ

قال مجاهد: مَجازُها مجازُ أوائل السُّوَر، ويقال: بل هو اسم، لقول شُرَيح بن أبي أوفى العَبسي:

يُذكِّرُني حاميمَ الرُّمحُ شاجِر فهلاَّ تلا حاميمَ قبلَ التَّقدُّم

الطَّول: التفضُّل، داخِرين خاضعين، وقال مجاهد {إلى النَّجاة}: الإيمان، ليس لهُ دَعوة يعني الوَثن، {يُسجَرون} تُوقدُ بهم النار، {تَمرَحون} تَبطَرون، وكان العلاء بن زياد يَذكر النارَ، فقال رجل: لَم تقنِّط الناسَ؟ قال: وأنا أقدرُ أن أقنِّط الناس؟ والله عزَّ وجلَّ يقول {يا عِبادِيَ الذين أسرَفوا على أنفسهم لا تَقنَطوا من رحمةِ الله} ويقول {وإنَّ المسرفِينَ هم أصحابُ النار} ولكنَّكم تحبُّونَ أن تُبشروا بالجنة عَلَى مَسَاوِئ أعمالكم، وإنما بَعثَ اللهُ محمداً ﷺ مُبشراً بالجنةِ لمن أطاعه، ومُنذراً بالنارِ لِمن عصاه».

٤٨١٥ ـ عن عروةَ بن الزبير قال: «قلتُ لعبدِ الله بن عمرِو بن العاص: أخبِرني بأشدِّ ما صنعَ المشركونَ برسولِ الله ﷺ، قال: بينا رسولُ الله ﷺ يُصلّي بِفناءِ الكعبة إذ أقبلَ عُقبةُ بن أبي معُيط فأخذَ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبَهُ في عُنقه فخنَقَهُ خَنقاً شديداً، فأقبلَ أبو بكرٍ فأخذَ بَمَنكِبِهِ ودفعَ عن رسولِ الله ﷺ وقال: {أتقتُلون رجلاً أن يقولَ ربيَ الله، وقد جاءكم بالبيِّناتِ مِن ربِّكم}».

قوله (الطَّول التفضُّل) هو قول أبي عبيدة وزاد تقول العرب للرجل إنه لذو طول على قومه أي ذو فضل عليهم، وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {ذي الطول} قال: ذي السعة والغنى، ومن طريق عكرمة قال: ذي المتن، ومن طريق قتادة قال: ذي النعماء.

قوله (تُقنِّط) أراد بذكر هذه الآية الإشارة إلى الآية الأخرى {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا} فنهاهم عن القنوط من رحمته مع قوله {أن المسرفين هم أصحاب النار} استدعاء منهم الرجوع عن الإسراف والمبادرة إلى التوبة قبل الموت.

• ثم ذكر حديث عروة بن الزبير «قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنعه المشركون» وقد تقدم شرحه في أوائل السيرة النبوية[١].

(٤١) سورة حم السَّجدة

وقال طاوسٌ عنِ ابن عباس {ائتيا طوعاً أو كَرهاً}: أعطِيا، {قالتا: أتينا طائعين} أعطينا، وقال المنهال: عن سعيد قال: قال رجلٌ لابن عباس: إني أجدُ في القرآن أشياء تختلفُ عليَّ، قال: {فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يَتَساءلون}، {وأقبلَ بعضهم على بعض يَتَساءلون}، {ولا يَكتُمونَ اللهَ حديثاً -ربَّنا ما كنّا مشركين} فقد كتَموا في هذه الآية، وقال {أم السماء بناها -إلى قوله- دَحاها} فذكرَ خَلْقَ السماء قبلَ خلق الأرض، ثم قال: {أإنَّكم لتكفُرون بالذي خلقَ الأرضَ في يَومَين -إلى- طائعين} فذكرَ في هذه خلقَ الأرض قبل السماء، وقال تعالى {وكان اللهُ غفوراً رحيما -عزيزاً حكيما- سميعاً بصيرا} فكأنه كان ثم مَضى، فقال: {فلا أنسابَ بينهم} في النفخة الأولى، ثمَّ ينفخ في الصُّور فصَعِقَ مَن في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله فلا أنسابَ بينهم عند ذلك ولا يَتساءلون ثم في النفخة الآخِرة {أقبلَ بعضُهم عَلَى بعضٍ يَتَساءلون}، وأما قوله {ما كنا مشركين -ولا يَكتمونَ الله} فإن الله يَغفرُ لأهل الإخلاص ذنوبَهم، وقال المشركون: تعالوا نقول لم نكن مشركين، فخُتِمَ على أفواهِم فتنطقُ أيديهم، فعندَ ذلك عُرِفَ أنَّ اللهَ لا يُكتَمُ حديثاً، وعندَهُ {يَوَدُّ الذين كفَروا} الآية، وخلقَ الأرض في يومين ثم خلقَ السماء، ثم استوى إلي السماء فسوَّاهنَّ في يومين آخرين ثم دَحا الأرضَ، ودَحوُها أن أخرجَ منها الماء والمرعى وخلقَ الجبال والجمالَ والآكام وما بينهما في يومين آخرَين فذلك قوله {دحاها} وقوله {خلق الأرضَ في يومين} فجعلَتِ الأرضُ وما فيها من شيء في أربعه أيام، وخُلقتِ السماواتُ في يومين، {وكان الله غفوراً} سمى نفسَه ذلكَ، وذلكَ قوله، أي لم يَزلْ كذلك، فإن اللهَ لم يُرِدِ شيئاً إلا أصابَ به الذي أراد، فلا يَختلِفْ عليك القرآن، فإنَّ كلاً من عندِ الله» قال أبو عبد الله: حدَّثنيه يوسفُ بن عَديٍّ حدثنا عُبيدُ الله بن عمرو عن زيد بن أبي أُنيسة عن المنهال بهذا.

وقال مجاهد: {لهم أجرٌ غير مُمنون}: محسوب، أقواتَها: أرزاقَها، في كل سماء أمرَها: مما أمر به، نَحِسات مشائيم، وقَيَّضنا لهم قُرَناء تتنزَّل عليهم الملائكة عندَ الموت، اهتزَّت: بالنبات، وربَت: ارتفعتَ، وقال غيرهُ من أكمامها حين تَطلعُ، لَيقولَنَّ هذا لي: أي بعلمي، أنا محقوقٌ بهذا، سواء للسائلين: قدَّرَها سواءً، فهديناهم دَللناهم على الخير والشر كقوله {وهدَيناه النَّجدَين}، وكقوله هدَيناهُ السبيل، والهدَى الذي هو الإرشاد بمنزلة أسعدناه، من

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٢٩ ح ٣٨٥٦ - ٣ / ٢٠٨.

ذلك قوله {أولئك الذين هَدى الله فبهُداهم اقتَدِه}، يُوزَعون: يُكَفُّون، من أكمامها: قِشْرُ الكفُرّى، هي الكُم، وليٌّ حَميم: القَريب، مِنَ مَحيص: حاصَ عنه، حادَ عنه، مِرية ومُرية واحد أي امتراء، وقال مجاهد: اعمَلوا ما شئتم} الوَعيدُ، وقال ابن عباس {ادفع بالتي هي أحسَنُ}: الصبرُ عند الغضب والعفو عندَ الإساءة، فإذا فعلوه عصمَهُمُ الله وخَضعَ لهم عدوُّهم {كأنه وليٌّ حميم}.

قوله (وقال طاوس عن ابن عباس {ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين} أعطينا) وصله الطبري وابن أبي حاتم بإسناد على شرط البخاري في الصحة، ولفظ الطبري في قوله {ائتيا} قال أعطيا وفي قوله {قالتا أتينا} قالتا أعطينا، وقال عياض: ليس أتى هنا بمعنى أعطى، وإنما هو من الأتيان وهو المجيء بمعنى الإنفعال للوجود، بدليل الآية، نفسها، وبهذا فسره المفسرون أن معناه جيئاً بما خلقت فيكما وأظهراه، قالتا أجبنا، وروى ذلك عن ابن عباس قال وقد روى عن سعيد بن جبير نحو ما ذكره المصنف، ولكنه يخرج على تقريب المعنى أنهما لما أمرتا باخراج ما فيهما من شمس وقمر ونهر ونبات وغير ذلك وأجابتا إلى ذلك كان كالإعطاء، فعبر بالإعطاء عن المجيء بما أودعتاه.

قوله (قال رجل لا بن عباس) كأنه هذا الرجل هو نافع بن الأزرق الذي صار بعد ذلك رأس الأزراقة من الخوارج وكان يجالس ابن عباس بمكة ويسأله ويعارضه.

وروى الطبراني من حديث الضحاك بن مزاحم قال: «قدم نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر في نفر من رءوس الخوارج مكة» فإذا هم بابن عباس قاعدا قريباً من زمزم والناس قياماً يسألونه، فقال له نافع بن الأزرق: أتيتك لأسألك، فسأله عن أشياء كثيرة من التفسير، ساقها في ورقتين، وأخرج الطبري من هذا الوجه بعض القصة ولفظه «أن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال: قول الله {ولا يكتمون الله حديثاً} وقوله {والله ربنا ما كنا مشركين} فقال: إني أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت لهم أين ابن عباس فألقي عليه متشابه القرآن؟ فأخبرهم أن الله تعالى إذا جمع الناس يوم القيامة قال المشركون: إن الله لا يقبل إلا من وحده، فيسألهم فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، قال يختم على أفواههم ويستنطق جوارحهم» انتهى.

قوله (إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ) أي تشكل وتضطرب، لأن بين ظواهرها تدافعا، زاد عبد الرزاق في روايته عن معمر عن رجل عن المنهال بسنده «فقال ابن عباس: ما هو، أشكٌّ في القرآن قال: ليس بشك ولكنه اختلاف، فقال: هات ما اختلف عليك من ذلك، قال: أسمع الله يقول، وحاصل ما وقع السؤال في حديث الباب أربعة مواضع: الأول نفي المسائلة يوم القيامة وإثباتها، الثاني كتمان المشركين حالهم وافشاؤه الثالث خلق السماوات والأرض أيهما تقدم، الرابع الإتيان بحرف «كان» الدال على الماضي مع أن الصفة

لازمة وحاصل جواب ابن عباس عن الأول أن نفي المسائلة فيما قبل النفخة الثانية وإثباتها فيما بعد ذلك، وعن الثاني أنهم يكتمون بألسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم، وعن الثالث أنه بدأ خلق الأرض في يومين غير مدحوة ثم خلق السماء فسوها في يومين ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين فتلك أربعة أيام للأرض، فهذا الذي جمع به ابن عباس بين قوله تعالى في هذه الآية وبين قوله {والأرض بعد ذلك دحاها} هو المعتمد.

وعن الرابع بأن «كان» وإن كانت للماضي لكنها لا تستلزم الإنقطاع؛ بل المراد أنه لم يزل كذلك، وقد تأول ابن مسعود نفي المسائلة على معنى آخر وهو طلب بعضهم من بعض العفو، فأخرج الطبري من طريق زاذان قال: «أتيت ابن مسعود فقال: أن يثبت لها حق على أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون».

قوله (وقيضنا لهم قرناء تتنزل عليهم الملائكة عند الموت) وعند الأصيلي «وقيضنا لهم قرناء قرناهم بهم تتنزل عليهم الملائكة عند الموت» وهذا هو وجه الكلام وصوابه، وليس تتنزل عليهم تفسيراً لقيضنا.

ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: تتنزل عليهم الملائكة وذلك في الآخرة.

قلت: ويحتمل الجمع بين التأويلين فإن حالة الموت أول أحوال الآخرة في حق الميت، والحاصل من التأويلين أنه ليس المراد تتنزل عليهم في حال تصرفهم في الدنيا.

١ ـ باب {وما كنتم تَستَتِرون أن يَشهَدَ عليكم سمعُكم ولا أبصارُكم ولا جُلودكم، ولكن ظَنَنتُم أن الله لا يعلمُ كثيراً مما تعمَلون}

٤٨١٦ ـ عن ابن مسعودٍ {وما كنتم تستترون أن يشهدَ عليكم سمعكم} الآية، كان رجلانِ من قُرَيش وخَتَن لهما من ثقيف -أو رجلان من ثقيف وخَتَنٌ لهما من قُرَيش- في بيت، فقال بعضُهم لبعضٍ أتَرَونَ أنَّ الله يسمعُ حديثنا ؟ قال بعضهم: يسمع بعضَه، وقال بعضهم: لئن كان يسمعُ بعضه لقد يسمع كله، فأنزلت {وما كنتم تَستَتِرون أن يشهدَ عليكم سمعُكم ولا أبصارُكم} الآية».

[الحديث ٤٨١٦ - طرفاه في: ٤٨١٧، ٧٥٢١]

قوله (باب قوله {وما كنتم تَسْتَتِرون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم} الآية) قال الطبري: اختلف في معنى قوله «تستترون» ثم أخرج من طريق السدي قال: تستخفون ومن طريق مجاهد قال: تتقون، ومن طريق شعبة عن قتادة قال: «ما كنتم تظنون أن يشهد عليكم الخ.

قوله (عن ابن مسعود: وما كنتم تستترون) أي قال في تفسير قوله تعالى {وما كنتم تستترون}.

٢ ـ باب {وذلكمُ ظنُّكُم الذي ظننتُم بربكم أَرْدَاكُمْ فأصبحتُم منَ الخاسرين}

٤٨١٧ ـ عن عبدِ اللهِ رضيَ الله عنه قال: «اجتمعَ عندَ البيت قرشيان وثقفيٌّ -أو ثقفيان وقرَشي- كثيرةٌ شَحْمُ بُطونهم، قليلةٌ فقهُ قلوبهم، فقال أحدُهم: أَتُرونَ أنَّ اللهَ يسمعُ ما نقول؟ قال الآخرُ: يسمعُ إن جَهَرنا ولا يسمع إن أخفَينا، وقال الآخر إن كان يَسمعُ إذا جَهَرنا فإنه يَسمعُ إذا أخفَينا، فأنزَلَ اللهُ عزَّ وجل {وما كنتم تَستَتِرون أن يشهَد عليكم سمعُكم ولا أبصارُكم ولا جُلودُكم} الآية».

قوله (باب وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) الإشارة في قوله {وذلكم} لما تقدم من صنيع الاستتار ظناً منهم أنهم يخفى عملهم عند الله، وهو مبتدأ والخبر أرداكم، وظنكم يدل من ذلكم، ثم ذكر فيه الحديث الذي قبله من طريق أخرى.

قوله (اجتمع عند البيت) أي عند الكعبة.

قوله (لئن كان[٢] يسمع بعضه لقد سمع كله) أي لأن نسبة جميع المسموعات إليه واحدة فالتخصيص تحكم، وهذا يشعر بأن قائل ذلك كان أفطن أصحابه.

(٤٢) سورة حم عسق

ويُذكَرُ عنِ ابن عباس: عَقيماً لا تَلِدُ، رُوحاً من أمرنا: القرآنُ، وقال مجاهدٌ: يذرؤكم فيه نَسلٌ بعدَ نسل، لا حُجَّةَ بيننا: لا خُصومة بيننا وبينكم، من طَرْفٍ خَفِيٍّ: ذليل، وقال غيرُهُ: فيَظللن رَواكِدَ على ظهرِهِ يَتَحَرَّكن ولا يَجرينَ في الحبر، شَرَعوا: ابتدَعوا.

١ ـ باب {إلا المودَّةَ في القُربى}

٤٨١٨ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما أنه سُئِلَ عن قوله {إلاّ المودَّةَ في القربى} فقال سعيدُ بن جُبَير: قُربى آلِ محمدٍ ﷺ ، فقال ابن عباسٍ: عجلتَ، إنَّ النبيَّ ﷺ لم يكن بَطنٌ من قُريش إلا كان له فيهم قَرابة، فقال: إلا أن تَصِلوا ما بيني وبينكم منَ القرابة».

قوله (باب قوله[١] إلا المودة في القربى) ذكر فيه حديث طاوس «عن ابن عباس «سئل عن تفسيرها، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد، فقال ابن عباس: عجلت» أي أسرعت في التفسير.

والمعنى إلا أن تودوني لقرابتي فتحفظوني، والخطاب لقريش خاصة، والقربى قرابة العصوبة والرحم، فكأنه قال احفظوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوة.

والحاصل أن سعيد بن جبير ومن وافقه كعلي بن الحسين والسدي وعمرو بن شعيب فيما أخرجه الطبري عنهم حملوا الآية على أمر المخاطبين بأن يوادوا أقارب النبي ﷺ، وابن عباس حملها على أن يوادوا النبي ﷺ من أجل القرابة التي بينهم وبينه، فعلى الأول

---

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".
(٢) رواية الباب واليونينية "إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا".

الخطاب عام لجميع المكلفين، وعلى الثاني الخطاب خاص بقريش، ويويد ذلك أن السورة مكية.

(٤٣) سُورةُ الزُّخرُف

وقال مجاهد {على أمة}: على إمام، {وقِيلَهُ يا ربِّ} تفسيرُه: أيَحسبون أنّا لا نَسمعُ سِرَّهم ونجواهم ولا نسمعُ قِيلَهم، وقال ابنُ عباس: {ولولا أن يكونَ الناسُ أمةً واحدة}: لولا أن جعلَ الناسَ كلهم كفّاراً لجعلت لبيوت الكفّار سَقفاً من فضة ومَعارِجَ من فضة -وهي دَرَجٌ- وسُرُرَ فضة: مُقرِنين: مطيقين، آسَفونا: أسخَطونا، يَعْشُ: يعمى، وقال مجاهد: {أفنَضربُ عنكم الذِّكر} أي تُكذِّبون بالقرآن ثمَّ لا تُعاقَبون عليه؟ {ومضى مثَل الأوَّلين} سُنَّةُ الأولين، مقرنين يعني الإبل والخيلَ والبغال والحمير {يُنَشَّأُ في الحِلية} الجواري جعلتموهن للرحمن ولَدا {فكيف تحكمون}، {لو شاء الرحمنُ ما عبدْناهم} يَعنونَ الأوثانَ، يقول اللهُ تعالى {مالهم بذلك من علم} الأوثان، إنهم لا يعلمونَ، في عَقِبه: وَلَده، مقترنين: يَمشونَ معاً سَلَفاً قوم فرعونَ سلفاً لكفّارِ أمةِ محمد ﷺ، ومَثَلا: عبرة، يَصِدُّون: يضِجُّون، مُبرِمون: مَجمعون، أولُ العابدين: أول المؤمنين، {إنني بَراءٌ مما تعبُدون} العرب تقول: نحنُ منكَ البَراء والخلاء، والواحدُ والاثنان والجميع منَ المذكر والمؤنث يقال فيه براء لأنه مصدر، ولو قال: «بريء» لقيلَ في الاثنين بريئان وفي الجميع بريئون، وقرَ عبدُ الله «إنني بريء» بالياء، والزُّخرُف: الذهب، ملائكة يخلفون: يَخلُف بعضهم بعضاً.

قوله (على أمة على إمام) وهو قول أبي عبيدة وروى عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله {على أمة} قال: على ملة، وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {على أمة} أي على دين.

قال الطبري: وقراءة الكوفيين وقيله بالجر على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله، قال: وهما قراءتان صحيحتا المعنى.

قوله (وقال ابن عباس: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة الخ) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: أمة واحدة كفاراً، وروى الطبري من طريق عوف عن الحسن في قوله {ولولا أن يكون الناس أمة واحدة} قال: كفاراً يميلون إلى الدنيا، قال: وقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل، فكيف. لو فعل.

قوله (أو من ينشأ[1] في الحلية الجواري، يقول جعلتموهن للرحمن ولداً فكيف تحكمون) والمعنى أنه تعالى أنكر على الكفرة الذين زعموا أن الملائكة بنات الله فقال {أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين} وأنتم تمقتون البنات وتنفرون منهن حتى بالغتم في ذلك فوأدتموهن، فكيف تؤثرون أنفسكم بأعلى الجزأين وتدعون له الجزء الأدنى مع أن صفة هذا

(١) رواية الباب واليونينية بدون "أو من".

الصنف الذي هو البنات أنها تنشأ في الحلية والزينة المفضية إلى نقص العقل وعدم القيام بالحجة، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله {أو من ينشأ في الحلية} قال: البنات {وهو في الخصام غير مبين} قالم فما تكلمت المرأة تريد أن تكلم بحجة لها إلا تكلمت بحجة عليها.

قوله (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم، يعنون الأوثان، يقول الله تعالى: ما لهم بذلك من علم الأوثان إنهم لا يعلمون) وصله الفريابي من طريق مجاهد في قوله { وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم} قال: الأوثان، قال الله {ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون} ما تعلمون قدرة الله على ذلك والضمير في قوله ما لهم بذلك من علم للكفار أي ليس لهم علم بما ذكروه من المشيئة ولا برهان معهم على ذلك إنما يقولونه ظناً وحسبانا، أو الضمير للأوثان ونزلهم منزلة من يعقل ونفى عنهم علم ما يصنع المشركون من عبادتهم.

قوله (أول العابدين أول المؤمنين) وصله الفريابي عن مجاهد بفلظ «أول المؤمنين بالله فقولوا ما شئتم» وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قوله {فإنا أول العابدين} يقول: فإنا أول من عبد الله وحده وكفر بما تقولون.

١ ـ باب {ونادَوا يامالكُ ليَقْضِ علينا ربُّك} الآية

٤٨١٩ ـ عن صَفوانَ بن يَعلى عن أبيه قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقرَأ على المِنبر {ونادَوا يا مالكُ ليَقْضِ علينا ربك}، وقال قتادةُ {مَثَلاً للآخرين}: عظةً لمن بعدَهم، وقال غيرُهُ {مقرنين}: ضابطين، يقال فلانٌ مقرن لفلان: ضابطٌ له، والأكواب: الأباريقُ التي لا خَراطيمَ لها، وقال قتادة {في أمِّ الكتاب}: جُملة الكتاب، أصل الكتاب {أوَّلُ العابدين}: أي ما كان فأنا أوَّلُ الآنِفين، وهما لُغتان: رجلٌ عابدٌ وعَبِد، وقرأ عبدُ الله {وقال الرسول يا ربِّ}، ويقال أول العابدين الجاحدين، من عبِدَ يَعبَد.

قوله (باب قوله[1] ونادوا يا مالك) ظاهرها أنهم بعدما طال إبلاسهم تكلموا، والمبلس الساكت بعد اليأس من الفرج، فكان فائدة الكلام بعد ذلك حصول بعض فرج لطول العهد.

قوله (أول العابدين أي ما كان فإنا أول الآنفين، وهما لغتان رجل عابد وعبد) وأخرج الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يقول لم يكن للرحمن ولد، ومن طريق سعيد عن قتادة قال: هذه كلمة في كلام العرب، إن كان للرحمن ولد أي إن ذلك لم يكن، ومن طريق زيد بن أسلم قال: هذا معروف من قول العرب: إن كان هذا الأمر قط، أي ما كان.

وقال أبو عبيدة: إن بمعنى ما في قول، والفاء بمعنى الواو، أي ما كان للرحمن ولد وأنا أول العابدين، وقال آخرون: معناه إن كان للرحمن في قولكم ولد فإنا أول العابدين أي

(١) وفي المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".

الكافرين بذلك والجاحدين لما قلتم.

٢ ـ باب {أفنَضرب عنكم الذِّكرَ صَفحاً أن كنتم قوماً مُسرِفين}

مشركين، واللهِ لو أنَّ هذا القرآنَ رُفِعَ حيث ردَّه أوائل هذهِ الأمة لهلكوا

{فأهلكْنا أشدَّ منهم بَطشاً، ومضى مَثَل الأوَّلين} عقوبة الأولين، {جزْءاً} عَدلا

قوله ({أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين}: مشركين، والله لو أن هذا القرآن رفع حيث رده أوائل هذه الأمة لهلكوا) وصله ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن أبي عروة عن قتادة بلفظه وزاد: ولكن الله عاد عليهم بعائدته ورحمته فكرره عليهم ودعاهم إليه.

(٤٤) سُورةُ حم الدُّخان

وقال مُجاهد{رَهواً}: طريقاً يابساً، ويقال رهواً: سا كناً، {على عِلمٍ العالمين}: على من بين ظهرَيه، {فاعتُلوه}: ادفَعوه، {وزوَّجناهم بحُورٍ عين}: أنكحناهم حُوراً عينا يُحارُ فيها الطرف، ويقال أن تَرجُمون: القتل، ورَهواً: ساكناً. وقال ابن عباس {كالمُهل}: أسود كمهل الزَّيت، وقال غيرهُ {تُبَّع} ملوك اليمن، كلُّ واحدٍ منهم يُسمى تُبَّعاً لأنه يَتبعُ صاحبَه، والظِّلُّ يسمى تبَعاً لأنه يَتبعُ الشمس.

قوله (وقال مجاهد: رهواً طريقاً يابساً، ويقال رهواً ساكنا) أما قول مجاهد فوصله الفريابي من طريقه بلفظه وزاد كهيئته يوم ضرب يقول لا تأمره أن يرجع بل اتركه حتى يدخل آخره، وأخرجه عبد بن حميد من وجه آخر عن مجاهد في قوله «رهوا» قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عطف موسى ليضرب البحر ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده فقيل له اترك البحر رهواً، يقول كما هو طريقاً يابساً إنهم جند مغرقون، وأما القول الآخر فهو قول أبي عبيدة قال في قوله «واترك البحر رهوا» أي ساكنا، يقال جاءت الخيل رهوا أي ساكنة.

قوله (على علم على العالمين على من بين ظهريه) هو قول مجاهد أيضاً، وصله الفريابي عنه بلفظ فضلناهم على من هم بين ظهريه أي على أهل عصرهم.

قوله (وزوجناهم بحورٍ عين: أنكحناهم حوراً عينا يحار فيها الطرف) وصله الفريابي من طريق مجاهد بلفظ: أنكحناهم الحور التي يحار فيها الطرف، بيان مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون.

قوله (ويقال أن ترجمون: القتل) واختار ابن جرير حمل الرجم هنا على جميع معانيه.

قوله (وقال ابن عباس كالمهل أسود كمهل الزيت) وقال الليث: المهل ضرب من القطران، إلا أنه رقيق شبيه بالزيت يضرب إلى الصفرة.

وقيل في تفسير المهل أقوال أخرى: وقيل الرصاص المذاب أو الحديد أو الفضة، وقيل

السم، وقيل خشار الزيت، وعند أحمد من حديث أبي سعيد في قوله تعالى {كالمهل} قال كعكر الزيت إذا قربه إليه سقطت فروة وجهه فيه.

قوله (وقال غيره: تبع ملوك اليمن، كل واحد منهم يسمى تبعاً لأنه يتبع صاحبه، والظل يسمى تبعاً لأنه يتبع الشمس) هو قول أبي عبيدة بلفظه وزاد: وموضع تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الإسلام، وهم ملوك العرب الأعاظم، وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قالت عائشة كان تبع رجلاً صالحا، قال معمر وأخبرني تميم بن عبد الرحمن أنه سمع سعيد بن جبير يقول إنه كسا البيت، ونهى عن سبه، وقال عبد الرزاق أنبأنا بكار بن عبد الرحمن سمعت وهب بن منبه يقول: «نهى النبي ﷺ عن سب أسعد وهو تبع» قال وهب: وكان على دين إبراهيم، وروى أحمد من حديث سهل بن سعد رفعه «لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم».

١ ـ باب {فارتقِبْ يومَ تأتي السماء بدُخانٍ مُبينٍ}

فارتَقِب: فانتَظر

٤٨٢٠ ـ عن عبد الله قال: «مضى خمسٌ: الدُّخانُ والرومُ والقمرُ والبطشة واللزام».

٢ ـ باب {يَغشى الناس هذا عَذابٌ أليم}

٤٨٢١ ـ عن مَسروقٍ قال: «قال عبدُ الله: إنما كان هذا لأنَّ قُريشاً لما استعصَوا على النبيِّ ﷺ دَعا عليهم بِسنين كسِنِي يوسفَ، فأصابهم قَحطٌ وجهدٌ حتى أكلوا العظامَ، فجعلَ الرجلُ يَنظرُ إلى السماءِ فيرَى ما بينَهُ وبينها كهيئةِ الدُّخانِ منَ الجهد، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ {فارتَقِبْ يومَ تأتي السماءُ بدُخانٍ مُبين، يَغشى الناسَ، هذا عَذابٌ أليم} قال فأُتى رسولُ الله ﷺ فقيل له: يا رسولَ الله استَسْقِ اللهَ لِمضَرَ فإنها قد هَلَكت، قال لمضرَ؟ إنكَ لجريء، فاستسقى، فسُقوا، فنزلت {إنكم عائدون} فلما أصابتهمُ الرَّفاهية عادُوا إلى حالِهم حينَ أصابتهمُ الرفاهية، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَ {يومَ نَبطِشُ البَطشةَ الكبرَى إنا مُنتقِمون} قال: يعني يوم بدر».

قوله (فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت) إنما قال: «لمضر» لأن غالبهم كان بالقرب من مياه الحجاز، وكان الدعاء بالقحط على قريش وهم سكان مكة فسرى القحط إلى من حولهم فحسن أن يطلب الدعاء لهم، ولعل السائل عدل عن التعبير بقريش لئلا يذكرهم فيذكر بجرمهم، فقال لمضر: ليندرجوا فيهم، ويشير أيضاً إلى أن غير المدعو عليهم قد هلكوا بجريرتهم، وقد وقع في الرواية الأخيرة «وإن قومك هلكوا» ولا منافاة بينهما لأن مضر أيضاً قومه، وقد تقدم في المناقب أنه ﷺ كان من مضر.

قوله (فقال رسول الله ﷺ[1] لمضر: إنك لجريء) أي أتأمرني أن استسقي لمضر مع ما هم عليه من المعصية والإشراك به؟ ووقع في «شرح الكرماني» قوله «فقال رسول الله ﷺ لمضر» أي لأبي سفيان فإنه كان كبيرهم في ذلك الوقت وهو كان الآتي إلى رسول الله ﷺ المستدعي منه الاستسقاء.

٣ - باب {ربَّنا اكشفْ عنا العذابَ إنا مُؤمنون}

٤٨٢٢ - عن مَسروقٍ قال: «دخلتُ على عبد الله فقال: إنَّ من العلم أن تقول لما لا تَعلم: اللهُ أعلم، إنَّ الله قال لنبيِّه ﷺ: قل ما أسألكم عليه من أجرٍ، وما أنا من المتكلفين}، إنَّ قَريشاً لما غَلَبوا النبيَّ ﷺ واستَعصَوا عليه قال: اللّهم أعِنِّي عليهم بسبعٍ كسبع يوسفَ فأخذَتهم سَنةٌ أكلوا فيها العظامَ والميتةَ من الجهد، حتى جَعلَ أحدُهم يَرَى ما بينَهُ وبين السماء كهيئةِ الدُّخانِ منَ الجوع {قالوا ربَّنا اكشِفْ عنا العذابَ إنّا مؤمنون} فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا، فدَعا ربَّه، فكشفَ عنهم فعادوا، فانتقمَ اللهُ منهم يوم بدر، فذلكَ قولهُ تعالى {يومَ تأتي السماء بدخانٍ مبين -إلي قولهِ جلَّ ذِكرَه- إنّا مُنتقمون}

قوله في الباب الثاني (عن مسروق قال دخلت على عبد الله) أي ابن مسعود.

قوله (إن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم) تقدم سبب قول ابن مسعود هذا في سورة الروم من وجه آخر عن الأعمش ولفظه «عن مسروقٍ قال: بينما رجل يحدث في كندة فقال: يجيء دخان يومَ القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ففزعنا، فأتيت ابن مسعود وكان متكئاً فغضب فجلس فقال: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، وقد جرى البخاري على عادته في إيثار الخفي على الواضح، فإن هذه السورة كانت أولى بإيراد هذا السياق من سورة الروم لما تضمنته من ذكر الدخان، لكن هذه طريقته يذكر الحديث في موضع ثم يذكره في الموضع اللائق به عاريا عن الزيادة اكتفاء بذكرها في الموضع الآخر، شحذا للأذهان وبعثا على مزيد الاستحضار، وهذا الذي أنكره ابن مسعود قد جاء عن علي، فأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم من طريق الحارث عن علي قال: «آية الدخان لم تمض بعد، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وينفخ الكافر حتى ينفد»، ثم أخرج عبد الرزاق من طريق ابن أبي مليكة قال: «دخلت على ابن عباس يوماً قال لي: لم أنم البارحة حتى أصبحت، قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب فخشينا الدخان قد خرج» وهذا أخشى أن يكون تصحيفاً وإنما هو الدجال.

ويؤيد كون آية الدخان لم تمض ما أخرجه مسلم من حديث أبي شريحة رفعه «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة» الحديث.

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون "رسول الله ﷺ.

٤ ـ باب {أنّى لهمُ الذِّكرَى وقد جاءهم رسولٌ مبين}

الذِّكرُ والذِّكرَى واحد

٤٨٢٣ ـ عن مَسروقٍ قال: «دخلتُ على عبد الله، ثم قال: إن رسول الله ﷺ لما دَعا قُرَيشاً كَذَّبوه واستعصَوا عليه، فقال: اللهمَّ أعِنِّي عليهم بسَبع كسَبع يوسف، فأصابَتهم سَنةٌ حَصَّت كلَّ شيء، حتى كانوا يأكلونَ الميتة، وكان يقومُ أحدُهم فكان يَرَى بينَهُ وبينَ السماء مثلَ الدُّخان من الجَهد والجوع، ثم قرأ {فارتَقِب يوم تأتي السماء بدُخانٍ مُبين يغشي الناس، هذا عذابٌ أليم -حتى بَلغَ- إنّا كاشِفوا العذابِ قليلا، إنكم عائدون} قال عبدُ الله أفيُكشَفُ عنهم العذابُ يومَ القيامة؟ قال: والبَطشة الكبرَى يومَ بَدر».

٥ ـ باب {ثمَّ تَولَّوا عنهُ وقالوا معلَّمٌ مَجنون}

٤٨٢٤ ـ عن مَسروقٍ قال: «قال عبدُ الله: إنَّ الله بعثَ محمداً ﷺ وقال {قل ما أسألكم عليه مِن أجرٍ، وما أنا منَ المتكلفين} فإن رسولَ الله ﷺ لما رأى قريشاً استعصَوا عليه فقال: اللهمَّ أعنِّي عليهم بسبع كسبعِ يوسفَ، فأخَذَتهمُ السَّنَةُ حتى حَصَّتْ كلَّ شيء، حتى أكلوا العظامَ والجلودَ، وقال أحدهم: حتى أكلوا الجلودَ والميتة، وجَعلَ يَخرج من الأرض كهيئةِ الدُّخان، فأتاه أبو سفيانَ فقال: أي محمد، إنَّ قومكَ قد هلكوا، فادعُ الله أن يَكشفَ عنهم، فدعا، ثم قال: تعودوا بعدَ هذا، في حديث منصور: ثم قرأ {فارتَقِبْ يوم تأتي السماء بدخانٍ مبين -إلى- عائدون} أيُكشف عنهم عذابُ الآخرة؟ فقد مضى الدخانُ والبَطشة واللِّزام -وقال أحدهم: القمر وقال الآخر: الروم».

٦ ـ باب {يومَ نَبطشُ البَطشةَ الكبرى، إنا منتقمون}

٤٨٢٥ ـ عن عبدِ الله قال: «خَمسٌ قد مَضَينَ: اللزام، والرُّوم، والبطشةُ، والقمرُ، والدُّخان».

قوله (حتى حصت) أي جردت وأذهبت، يقال سنة حصا، أي جرداء لا غيث فيها.

قوله (وجعل يخرج من الأرض كهيئة الدخان) وقع في الرواية التي قبلها «فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجوع» ولا تدافع بينهما لأنه يحمل على أنه كان مبدؤه من الأرض ومنتهاه ما بين السماء والأرض، ولا معارضة أيضاً بين قوله «يخرج من الأرض» وبين قوله «كهيئة الدخان» لاحتمال وجود الأمرين بأن يخرج من الأرض بخار كهيئة الدخان من شدة حرارة الأرض ووهجها من عدم الغيث، وكانوا يرون بينهم وبين السماء مثل الدخان من فرط حرارة الجوع، والذي كان يخرج من الأرض بحسب تخيلهم ذلك من غشاوة أبصارهم من فرط الجوع.

(٤٥) سورة الجاثية

جاثية: مُستوفزين على الرُكب، وقال مجاهد: نستنسخ نكتب، ننساكم نترُككم

٤٨٢٦ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ: قال اللهُ عزَّ وجلَّ يُؤْذيني ابنُ آدمَ يَسُبُّ الدَّهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أُقلِّبُ الليلَ والنهار».

[الحديث ٤٨٢٦ - طرفاه في: ٦١٨١، ٧٤٩١]

قوله (وأنا الدهر) قال الخطابي: معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان جعل ظرفاً لمواقع الأمور، وكانت عادتهم إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر فقالوا: بؤساً للدهر، وتباً للدهر، وقال النووي: قوله «أنا الدهر» بالرفع في ضبط الاكثرين والمحققين، ويقال بالنصب على الظرف أي أنا باق أبداً، والموافق لقوله «أن الله هو الدهر» الرفع وهو مجاز، وذلك أن العرب كانوا يسبون الدهر عند الحوادث فقال: لا تسبو فإن فاعلها هو الله، فكأنه قال: لا تسبوا الفاعل فإنكم إذا سببتموه سببتموني.

(٤٦) سورةُ الأحقاف

وقال مجاهد: {تُفيضون} تقولون، وقال بعضهم: أثرة وأُثْرة وأثارة بقية من علم، وقال ابن عباس {بدعا من الرُسل}: لستُ بأوّل الرُسُل، وقال غيرهُ {أرأيتم} هذه الألف إنما هي توعُدٌ، إن صحَّ ما تدّعون لا يستحقُّ أن يُعبَدَ، وليس قولهم {أرأيتم} بروية العين، إنما هو: أتعلمون أبلغَكم أن ما تدعونَ من دون الله خَلقوا شيئاً؟.

وأخرج الطبري من طريق أبي سلمة عن ابن عباس في قوله {أو أثارة[1] من علم} قال: خط كانت تخطه العرب في الأرض، وأخرجه أحمد والحاكم وإسناده صحيح.

وحمل بعض المالكية الخط هنا على المكتوب، وزعم أنه أراد الشهادة على الخط إذا عرفه، والأول هو الذي عليه الجمهور.

١ ـ باب {والذي قال لوالدَيه أفٍّ لكما، أتعدانني أن أُخرجَ وقد خلت القُرونُ من قبلَي، وهما يستغيثان اَلله: وَيلكَ آمنْ، إنَّ وعَدَ الله حق، فيقول: ما هذا إلا أساطيرُ الأوّلين}

٤٨٢٧ ـ عن يوسفَ بن ماهَكَ قال: «كان مروانُ على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيدَ بن معاويةَ لكي يبايعَ له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال خذوه فدخل بيتَ عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروانُ إنَّ هذا الذي أنزل اللهُ

(١) رواية الباب واليونينية "وأثارة بقيّة علم".

فيه {والذي قال لوالدَيْه أفٍّ لكما أتَعِدانني} فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلاّ أنّ اللهَ أنزل عُذري».

قوله (كان مروان على الحجاز) أي أميراً على المدينة من قبل معاوية.

قوله (فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً) والذي في رواية الإسماعيلي: فقال عبد الرحمن ما هي إلا هرقلية، وله من طريق شعبة عن محمد بن زياد: فقال مروان سنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن: سنة هرقل وقيصر، ولابن المنذر من هذا الوجه: اجئتم بها هرقلية تبايعون لأبنائكم؟ ولأبي يعلى وابن أبي حاتم من طريق اسماعيل بن أبي خالد «حدثني عبد الله المدني قال: كنت في المسجد حين خطب مروان فقال: إن الله قد أرى أمير المؤمنين رأيا حسنا في يزيد، وإن يستخلفه فقد استخلفت أبو بكر وعمر، فقال عبد الرحمن: هرقلية، إن أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ولا في أهل بيته، وما جعلها معاوية إلا كرامة لولده».

قوله (فقال خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا) أي امتنعوا من الدخول خلفه إعظاماً لعائشة.

قوله (فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه) في رواية أبي يعلى «فقال مروان: اسكت، ألست الذي قال الله فيه.. فذكر الآية، فقال عبد الرحمن: ألست ابن اللعين الذي لعنه رسول الله ﷺ».

قوله (فقالت عائشة) في رواية محمد بن زياد: فقالت كذب مروان.

قوله (ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري) أي الآية التي في سورة النور في قصة أهل الإفك وبراءتها مما رموها به.

٢ ـ باب {فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارضٌ ممطرنا بل هو ما استعجلتم به، ريح فيها عذاب أليم}

قال ابن عباس: عارض السحاب.

٤٨٢٨ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها زوجِ النبي ﷺ قالت: «ما رأيت رسولَ الله ﷺ ضاحكاً حتى أرَى منهُ لَهَواتِهِ، إنما كان يَبتسَّم».

[الحديث ٤٨٢٨ - طرفه في: ٦٠٩٢]

٤٨٢٩ ـ قالت وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرف في وجهه، قالت: يا رسولَ الله إن الناسَ إذا رأوا الغيمَ فرِحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيتهُ عرِف في وَجهكَ الكراهية؟ فقال: يا عائشةَ ما يُؤْمنّي أن يكون فيه عذاب؟ عُذّبَ قومٌ بالرِّيح، وقد رأى قومٌ العذابَ، فقالوا {هذا عارض ممْطرنا}

قوله (حتى أرى منه لهواته) وهي اللحمة المتعلقة في أعلى الحنك.

قوله (عرفت الكراهية في وجهه) عبرت عن الشيء الظاهر في الوجه بالكراهة لأنه ثمرتها، ووقع في رواية عطاء عن عائشة في أول هذا الحديث «كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به، وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سرى عنه» الحديث أخرجه مسلم بطوله.

(٤٧) سورة محمد ﷺ

أوزارها: آثامها، حتى لا يبقى إلا مسلم، عرَّفها: بيَّنها، وقال مجاهد: {مولى الذين آمنوا}: وليُّهمْ، عَزَمَ الأمر: جدَّ الأمر، فلا تَهنوا: لاَ تَضْعُفُوا، وقال ابن عباس: أَضْغَانَهُمْ: حَسَدهم، آسِن: متغيِّر

قوله (أوزارها آثامها حتى لا يبقى إلا مسلم) قال عبد الرزاق عن عمر عن قتادة في قوله {حتى تضع الحرب أوزارها) قال: حتى لا يكون شرك، قال: والحرب من كان يقاتله، سماهم حرباً، قال ابن التين: لم يقل هذا أحد غير البخاري، والمعروف أن المراد بأوزارها السلاح، وقيل حتى ينزل عيسى بن مريم انتهى، وما نفاه قد علمه غيره؛ قال ابن قرقول: هذا التفسير يحتاج إلى تفسير، وذلك لأن الحرب لا آثام لها، فلعله كما قال الفراء آثام أهلها، ثم حذف وأبقى المضاف إليه، أو كما قال النحاس: حتى تضع أهل الآثام فلا يبقى مشرك انتهى.

قوله (عرَّفها: بيَّنها) قال أبو عبيدة في قوله {عرفها [1]لهم} بينها لهم وعرفهم منازلهم.

١ ـ باب {وتقطِّعوا أرحامكم}

٤٨٣٠ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «خلقَ اللهُ الخلقَ، فلما فرغَ منه قامتِ الرَّحِمُ فأخذَت بَحقْوِ الرحمنِ، فقال له: مَهْ، قالت: هذا مَقامُ العائذِ بك منَ القَطيعة، قال: ألا تَرضَيْنَ أن أَصِلَ من وَصَلَكِ وأقطعَ من قطَعَك؟ قالت: بلى يارب، قال فذاك، قال أبو هريرة: اقرَءوا إن شئتم {فهل عسيتمُ إن تَوَلَّيتُم أن تُفسِدوا في الأرض وتُقطِّعوا أرحامكم}».

[الحديث ٤٨٣٠ – أطرافه في: ٤٨٣١، ٤٨٣٢، ٥٩٨٧، ٧٥٠٢]

٤٨٣١ ـ عن أبي هريرةَ بهذا... ثم قال رسولُ الله ﷺ «اقرَءُوا إن شئتم {فهل عَسَيتُم}».

٤٨٣٢ ـ عن معاويةُ بن أبي المزَرِّد بهذا.. قال رسولُ الله ﷺ: «واقرَءوا إن شِئتُم {فهل عَسَيتم}».

قوله (خلق الله الخلق فلما فرغ منه) أي قضاه وأتمه.

---

(١) رواية الباب واليونينية "عرفها" بدون لهم.

قوله (قامت الرحم) يحتمل أن يكون على الحقيقة[١]، والأعراض يجوز أن تتجسد وتتكلم بإذن الله، والمراد تعظيم شأنها وفضل وأصلها وإثم قاطعها.

قوله (فقال له مه) هو اسم فعل معناه الزجر أي اكفف.

(تنبيه): اختلف في تأويل قوله {إن توليتم} فالأكثر على أنها من الولاية والمعنى أن وليتم الحكم، وقيل بمعنى الإعراض، والمعنى لعلكم إن أعرضتم عن قبول الحق أن يقع منكم ما ذكر، والأول أشهر، ويشهد له ما أخرج الطبري في تهذيبه من حديث عبد الله بن مغفل قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: {فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض} قال هم هذا الحي من قريش، أخذ الله عليهم إن ولوا الناس أن لا يفسدوا في الأرض ولا يقطعوا أرحامهم».

(٤٨) سورةُ الفَتح

وقال مُجاهدٌ: بوراً هالكين، وقال مجاهدٌ: {سِيماهم في وجوهِهِم} السَّحنة، وقال منصور عن مجاهد: التواضع، شَطْأه: فراخَه، فاستَغلَظَ: غَلظ، سُوقه: الساق حاملة الشجرة، ويقال دائرةُ السَّوءِ كقولك رجُل السَّوء دائرة السوء العذاب، يعزِّروه يَنصُروه، شَطْأهُ: شَطء السنبُل، تُنبِتُ الحبةُ عَشراً أو ثمانياً وسَبعاً فيَقوَى بعضهُ ببعض، فذاك قولهُ تعالى {فآزَرَه} قَوّاه، ولو كانت واحدةً لم تقم على ساق، وهو مَثَلٌ ضربَهُ الله للنبيِّ ﷺ إذ خَرَجَ وَحدَه، ثمَّ قوّاه بأصحابه كما قوّى الحَبَّةَ بما يَنبتُ منها.

قوله (يعزروه ينصروه) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله {ويعزروه} قال: ينصروه، وقد تقدم في الأعراف {فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه} وهذه ينبغي تفسيرها بالتوقير فراراً من التكرار، والتعزير يأتي بمعنى التعظيم والإعانة والمنع من الأعداء، ومن هنا يجيء التعزير بمعنى التأديب لأنه يمنع الجاني من الوقوع في الجناية، وهذا التفسير على قراءة الجمهور.

١ ـ باب {إنّا فَتَحنا لك فَتحاً مُبينا}

٤٨٣٣ ـ عن زيدِ بن أسلمَ عن أبيه أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يسير في بعضِ أسفارِه وعمرُ ابنُ الخطّابِ يسيرُ معهُ ليلاً فسأله عمرُ بن الخطاب عن شيءٍ فلم يَجِبْهُ رسولُ الله ﷺ، ثم سأله فلم يُجبه ثم سأله فلم يجبه، فقالَ عمرُ بن الخطاب: ثَكِلَتْ أمُّ عمرَ، نزرْتَ رسولَ الله ﷺ ثلاثَ مراتٍ كلُّ ذلك لا يجيبكَ، قال عمر: فحركْتُ بَعيري ثم تقدَّمتُ أمامَ الناس وخشيتُ أنْ ينزَل فيَّ القرآنُ فما نَشِبْتُ أن سمعتُ صارخاً يصرُخُ بي، فقلت: لقد خَشيت أن

(٢) نعم هي على الحقيقة، وما كان السلف يفرقون بين الحقيقة والمجاز من بيان صفات الله عز وجل قال الشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهذا الحديث في الجملة من أحاديث الصفات، التي نص الأئمة على أن يمر كما جاء.

يكون نزلَ فيَّ قرآنٌ، فجئتُ رسولَ الله ﷺ فسلَّمتُ عليه، فقال: لقد أُنزِلَت عليَّ الليلةَ سُورةٌ لَهيَ أحبُّ إليَّ مما طلَعَتْ عليه الشمسُ، ثم قرأ: {إنَّا فتحنا لك فتحاً مبينا}».

٤٨٣٤ - «عن أنسٍ رضيَ الله عنه {إنَّا فَتحنا لك فتْحاً مبيناً} قال: الحديْبيَةُ».

٤٨٣٥ - عن عبدِ الله بن مغَفَّل قال: «قرأ النبيُّ ﷺ يومَ فتح مكةَ سورةَ الفَتح فَرَجَّعَ فيها، قال معاويةُ لو شئتُ أن أحْكِيَ لكم قراءةَ النبيِّ ﷺ لَفَعلْتُ».

قوله (فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه) يستفاد منه أنه ليس لكل كلام جواب، بل السكوت قد يكون جواباً لبعض الكلام، وتكرير عمر السؤال إلا لكونه خشي أن النبي ﷺ لم يسمعه أو لأن الأمر الذي كان يسأله عنه كان مهما عنده، ولعل النبي ﷺ أجابه بعد ذلك، وإنما ترك إجابته أولا لشغله بما كان فيه من نزول الوحي.

قوله (ثكلت) والثكل فقدان المرأة ولدها، دعا عمر على نفسه بسبب ما وقع منه الإلحاح، ويحتمل أن يكون لم يرد الدعاء على نفسه حقيقة وإنما هي من الألفاظ التي تقال عند الغضب من غير قصد معناها.

قوله (نزرت) أي ألححت عليه قاله ابن فارس والخطابي.

قوله (لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس) أي لما فيها من البشارة بالمغفرة والفتح.

قوله (سمعت قتادة عن أنس {إنا فتحنا لك فتحاً مبينا} قال: الحديبية) وسمي ما وقع في الحديبية فتحاً لأنه كان مقدمة الفتح وأول أسبابه، وقد تقدم شرح ذلك مبيناً في كتاب المغازي(١) لي.

قوله (فرجع فيها) أي ردد صوته بالقراءة.

وسأذكر تحرير هذه المسألة في شرح حديث «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

٢ - باب {ليغفرَ لك اللهُ ما تقدَّمَ من ذَنْبكَ وما تأخَّر ويُتمَّ نعمَتَهُ عليك ويَهديَك صراطاً مستقيما}

٤٨٣٦ - عن المغيرةَ قال: «قَام النبيُّ ﷺ حتى تَورَّمتَ قدماه، فقيل له غفرَ الله لكَ ما تقدَّمَ مِن ذَنبك وما تأخرَّ، قال: أفلا أكونُ عبداً شَكورا».

٤٨٣٧ - عن عائشةَ رضيَ الله عنها «أن نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقومُ من الليلِ حتى تتَفطَّرَ قَدَماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنعُ هذا يا رسولَ الله وقد غفرَ الله لك ما تقدَّم من ذَنْبك وما تأخَّر؟ قال: أفلا أحبُّ أن أكونَ عبداً شكورا، فلما كثرَ لحمهُ صلى جالِساً، فإذا أرادَ أن يركعَ قام فقرأ ثم ركعَ».

قوله (فلما كثر لحمه) أنكره الداودي وقال: المحفوظ «فلما بدن» أي كبر، فكأن الراوي تأوله على كثرة اللحم انتهى، وتعقبه أيضاً ابن الجوزي فقال: لم يصفه أحد بالسمن أصلا، ولقد مات ﷺ وما شبع من خبز الشعير في يوم مرتين، وأحسب بعض الرواة لما رأى «بدن» ظنه كثر لحمه، وليس كذلك وإنما هو بدن تبدينا أي أسن.

---

(١) كتاب المغازي باب / ٣٥ ح ٤١٥٠ - ٣ / ٣٣٥.

قوله (ﷺ جالساً، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع) وقد تقدم في آخر أبواب تقصير الصلاة[(١)].

٣ ـ باب {إنا أرسلناكَ شاهداً ومُبَشِّراً ونَذيرا}

٤٨٣٨ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضيَ الله عنهما «أنَّ هذهِ الآيةَ التي في القرآن: {يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومُبَشِّراً ونذيرا} قال في التَّوْراة: يأيها النبيُّ إنَّآ أرسلناكَ شاهداً ومُبشراً ونَذيراً وحِرْزاً للأميِّينَ، أنت عبدي ورسولي، سَمَّيْتَك المتوكلَ، ليس بفظٌ ولا غَليظ ولا سَخَّابٍ بالأسواق، ولا يدفع السَّيِّئةَ بالسَّيِّئة، ولكن يعفُو ويصفح، ولن يقبضَه الله حتى يقيمَ به المِلةَ العَوْجاءَ بأنْ يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتَحَ بها أعْيناً عمْياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً».

قوله (إن هذه الآية التي في القرآن {يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا} قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشرا) أي شاهداً على الأمة ومبشراً للمطيعين بالجنة وللعصاة بالنار، أو شاهداً للرسل قبله بالإبلاغ.

قوله (وحرزا) أي حصنا، والأميين هم العرب.

قوله (سميتك المتوكل) أي على الله لقناعته باليسير، والصبر على ما كان يكره.

قوله (بفظ ولا غليظ) هو موافق لقوله تعالى {فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) ولا يعارض قوله تعالى {واغلظ عليهم} لأن النفي محمول على طبعه الذي جبل عليه والأمر محمول على المعالجة، أو النفي بالنسبة للمؤمنين والأمر بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو مصرح به في نفس الآية.

قوله (ولا سخَّاب) كذا فيه بالسين المهملة وهي لغة أثبتها الفراء وغيره، وبالصاد أشهر.

قوله (ولا يدفع السيئة بالسيئة) هو مثل قوله تعالى {أدفع بالتي هي أحسن}.

قوله (ولن يقبضه[(٢)]) أي يمته.

قوله (حتى يقيم به) أي حتى ينفي الشرك ويثبت التوحيد، والملة العوجاء ملة الكفر.

قوله (فيفتح بها) أي بكلمة التوحيد) أعينا عميا) أي عن الحق وليس هو على حقيقته.

٤ ـ باب {هوَ الذي أنْزلَ السَّكينَةَ}

٤٨٣٩ ـ عن البَراء رضيَ الله عنه قال: «بينما رَجُلٌ من أصْحاب النبيِّ ﷺ يقرأ، وفرسٌ له مرْبوطٌ في الدَّار، فَجعل يَنفر، فخرج الرجلُ فنظر فلم يَر شيئاً، وجعل ينفرُ، فلما

---

(١) كتاب تقصير الصلاة باب / ٢٠ ح ١١١٨ - ١ / ٥٧٠.
(٢) رواية الباب واليونينية "ولن يقبضه الله".

أصبح ذكرَ ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: تلك السَّكينةُ تنزلَّتْ بالقرآن».

قوله (باب هو الذي أنزل السكينة) ذكر فيه حديث البراء في نزول السكينة «وسيأتي بتمامه في فضائل القرآن[1] مع شرحه إن شاء الله تعالى.

٥ ـ باب {إذ يُبايعونَكَ تحتَ الشجَرة}

٤٨٤٠ ـ عن جابرٍ قال: «كنّا يوم الحُدَيبيَةِ ألفاً وأربَعمائةٍ».

٤٨٤١ ـ عن عبد الله بن مُغَفَّل المزَنيِّ ممَّن شهِد الشجرة، نَهَى النبيُّ ﷺ عن الخَذْفِ».

[الحديث ٤٨٤١ – طرفاه في: ٥٤٧٩، ٦٢٢٠]

٤٨٤٢ ـ وعن عُقبةَ بن صُهبان قال: «سمعتُ عبد الله بن المغَفَّل المزَنِيَّ في البَولِ في المغْتَسَل».

٤٨٤٣ ـ عن ثابت بن الضَّحَّاك رضيَ الله عنه، وكان من أصحابِ الشجرَة».

٤٨٤٤ ـ عن حَبيبِ بن ثابتٍ قال: أتيْتُ أبا وائلٍ أسأله فقال: «كنا بِصفِّينَ، فقال رجلٌ: ألم تَرَ إلى الذين يُدعَونَ إلى كتاب الله، فقال عَليٌّ: نَعَمْ، فقال سَهْل بنُ حُنَيفٍ: اتَّهمُوا أنْفسكُم، فلقد رأيتُنا يومَ الحديبية -يعني الصُلحَ الذي كانَ بين النبيِّ ﷺ والمشركين- ولو نرى قتال لقاتَلْنا، فجاءَ عمرُ فقال: ألَسنا على الحقِّ، وهم على الباطل؟ أليس قَتْلانا في الجنَّة، وقتلاهم في النّار؟ قال: بَلَى، فقال: ففيم أعطي الدَّنيَّةَ في دِيننا، ونرجِع ولما يحكمِ اللهُ بَيْننا؟ فقال: يا ابنَ الخَطاب: إني رسولُ الله، ولن يُضَيِّعني الله أبداً، فرجعَ مُتَغيِّظاً فلم يصبِرْ حتى جاء أبا بكر، فقال: يا أبا بكرٍ ألَسنا على الحقِّ وهم على الباطِل؟ قال: يا ابن الخطّاب إنه رسولُ الله ﷺ، ولنْ يُضيِّعهُ اللهُ أبداً، فنزلَتَ سُورةُ الفتْح».

قوله (باب قوله[2] إذ يبايعونك تحت الشجرة) ذكر فيه أربعة أحاديث: أحدها حديث جابر (كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة) وقد تقدم الكلام عليه مستوفى في كتاب المغازي[3].

قوله (عن عبد الله بن المغفل المزني ممن شهد الشجرة قال: نهى رسول الله ﷺ عن الخذف) أي الرمي بالحصى بين اصبعين، وسيأتي الكلام عليه في الأدب[4].

قوله (فقال كنا بصفين) هي مدينة قديمة على شاطيء الفرات بين الرقة ومنبج كانت بها الواقعة المشهورة بين علي ومعاوية.

قوله (فقال رجل: ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله) ساق أحمد إلى آخر الآية،

---

(١) كتاب فضائل القرآن باب / ١٥ ح ٥٠١٨ – ٤ / ١٨.
(٢) في المتن بدون قوله" في اليونينية وبدون "باب وقوله".
(٣) كتاب المغازي باب / ٣٥ ح ٤١٤٥ – ٣ / ٣٣٥.
(٤) كتاب الأدب باب / ١٢٢ ح ٦٢٢٠ – ٤ / ٥١٥.

هذا الرجل هو عبد الله بن الكواء، ذكره الطبري، وكان سبب ذلك أن أهل الشام لما كاد أهل العراق يغلبونهم أشار عليهم عمرو بن العاص برفع المصاحف والدعاء إلى العمل بما فيها، وأراد بذلك أن تقع المطاولة فيستريحوا من الشدة التي وقعوا فيها فكان كما ظن، فلما رفعوها وقالوا بيننا وبينكم كتاب الله، وسمع من بعسكر علي وغالبهم ممن يتدين، قال قائلهم ما ذكر؛ فأذعن علي إلى التحكيم موافقة لهم واثقاً بأن الحق بيده، وقد أخرج النسائي هذا الحديث عن أحمد بن سليمان عن يعلى بن عبيد بالإسناد الذي أخرجه البخاري فذكر الزيادة نحو ما أخرجها أحمد، وزاد بعد قوله كنا بصفين «قال فلما استحر القتل بأهل الشام قال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل المصحف إلى علي فادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك، فأتى به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله، فقال علي: أنا أولى بذلك بيننا كتاب الله، فجاءته الخوارج -ونحن يومئذ نسميهم القراء- وسيوفهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ما ننتظر بهؤلاء القوم، ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف».

قوله (وقال[١] سهل بن حنيف اتهموا أنفسكم) أي في هذا الرأي لأن كثيراً منهم أنكروا التحكيم وقالوا لا حكم إلا لله، فقال علي كلمة حق أريد بها باطل، وأشار عليهم كبار الصحابة بمطاوعة علي وأن لا يخالف ما يشير به لكونه أعلم المصلحة، وذكر لهم سهل بن حنيف ما وقع لهم بالحديبية وأنهم رأوا يومئذ أن يستمروا على القتال ويخالفوا ما دعوا إليه من الصلح ثم ظهر أن الاصلح هو الذي كان شرع النبي ﷺ فيه، وسيأتي ما يتعلق بهذه القصة في كتاب استتابة المرتدين إن شاء الله تعالى، وسبق ما يتعلق بالحديبية مستوفى في كتاب الشروط[٢].

(٤٩) سُورةُ الحجرات

وقال مُجاهدٌ: لا تقدِّموا لا تَفْتاتوا على رسولِ الله ﷺ حتى يَقْضِيَ اللهُ على لسانه، امتَحن: أخلَص، ولا تَنابَزُوا: يُدعى بالكفر بعدَ الإسلام، يِلِتْكم: يَنقُصْكُم، أَلَتْنا: نَقَصنا.

قوله (سورة الحجرات، بسم الله الرحمن الرحيم)[٣] والمراد بيوت أزواج النبي ﷺ.

قوله (امتحن أخلص) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: أخلص الله قلوبهم فيما أحب.

قوله (ولا تنابزوا: يدعى بالكفر بعد الإسلام) وصله الفريابي عن مجاهد بلفظ «لا يدعو الرجل بالكفر هو مسلم» وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله {ولا

---

(١) رواية الباب واليونينية "فقال سهل بن حنيف..."
(٢) كتاب الشروط باب / ١٥ ح ٢٧٣٢ - ٢ / ٥٠٩.
(٣) رواية الباب واليونينية بدون بسملة.

تلمزوا أنفسكم} قال: لا يطعن بعضكم على بعض {ولا تنابزوا بالألقاب} قال: لا تقل لأخيك المسلم: يا فاسق يا منافق، وعن الحسن قال: كان اليهودي يسلم فيقال له يا يهودي، فنهوا عن ذلك.

١ ـ باب {لا ترفَعوا أصواتَكم فوقَ صوتِ النبيِّ} الآية

تشعُرون: تَعلمون، ومنه «الشاعر».

٤٨٤٥ ـ عن ابن أبي مُلَيكةَ قال: «كاد الخَيِّرانِ أن يَهلِكا أبو بكرٍ وعمرُ رضيَ اللهُ عنهما، رَفَعا أصواتهما عندَ النبيِّ ﷺ حينَ قدمَ عليه ركبُ بني تميم، فأشار أحدُهما بالأقرَع بن حابسٍ أخي بن مُجاشع، وأشار الآخرُ برجُلٍ آخر -قال نافعٌ لا أحفَظُ اسمه- فقال أبو بكر لعمرَ: ما أردتَ إلاّ خِلافي، قال: ما أردتُ خِلافَك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزلَ اللهُ {يا أيُّها الذين آمنوا لا تَرفَعوا أصواتكم} الآية، قال ابن الزّبير: فما كان عمرُ يُسمِعُ رسولَ الله ﷺ بعدَ هذهِ الآية حتى يستفهمَهَ، ولم يَذكرْ ذلكَ عن أبيه، يعني أبا بكر».

٤٨٤٦ ـ عن أنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنه «أنَّ النبيَّ ﷺ افتَقَد ثابتَ بن قيْس، فقال رجُلٌ يا رسولَ الله أنا أعلمُ لكَ علمَهُ، فأتاهُ فوجَده جالساً في بيتِهِ منُكّساً رأسَه، فقال له: ما شأنكَ؟ فقال: شرٌّ، كانَ يَرفع صَوته فوقَ صَوْتِ النبيِّ ﷺ فقد حَبطَ عَمله وهو من أهل النار، فأتى الرَّجل النبيَّ ﷺ فأخبرَه أنَّ قال كذا وكذا، فقال موسى، فرجع إليه المرَّةَ الآخِرةَ ببشارَةٍ عظيمة، فقال اذهبْ إليه فقلْ له: [illegible] ـْتَ من أهل النّار، ولكنَّ: من أهلِ الجنَّة».

قوله (رفعا أصواتهما[١] حين قدم عليه ركب بني تميم) في رواية أحمد «وفد بني تميم» وكان قدومهم سنة تسع بعد أن أوقع عيينة بن حصن ببني العنبر وهم بطن من بني تميم.

قوله (فأشار أحدهما) هو عمر.

قوله (افتقد ثابت بن قيس) تقدم شرحه مستوفى في أواخر علامات النبوة[٢].

قوله (أنا أعلم لك علمه) أي أعلم لأجلك علماً متعلقاً به.

٢ ـ باب {إنَّ الذين ينادونك من وراء الحُجُرات أكثرهم لا يعقلونَ}

٤٨٤٧ ـ عن عبدَ الله بن الزُّبير أنه «قَدمَ رَكْبٌ من بَني تَميم على النبيِّ ﷺ، فقال أبو بكر: أمِّرِ القعقاعَ بن مَعْبَد، وقال عُمرَ بل أمِّرِ الأقْرَع بن حابس، فقال أبو بكر ما أردْت إلى -أو إلا- خِلافي؛ فقال عُمر: ما أردْتُ خلافك، فتَماريَا حتى ارتفعتْ أصواتُهما، فنزلَ في ذلك: {يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بيْنَ يَدَيِ اللهِ ورسولهِ}، حتى انقضتِ الآية».

(١) رواية الباب واليونينية "رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ".
(٢) كتاب المناقب باب / ٢٥ ح ٣٦١٣ - ٣ / ١٠٣.

باب {ولو أنَّهُمْ صبَروا حتى تخرُجَ إليهم لَكَانَ خيراً لهُم}

(٥٠) سُورةُ ق

رَجعٌ بَعيدٌ: رَدٌّ، فُروجٍ: فُتوقٍ، واحِدُها فَرْجٌ، من حَبلِ الوَريد: وَريداه في حلقهِ والحَبل حبْل العاتِق، وقال مُجاهد: ما تنقص الأرضُ من عِظامهم، تَبْصِرَة: بصيرةٌ، حَبٌّ الحصيد: الحنْطَة، باسقاتٍ: الطوالُ، أفعَيينا أفأعيْا عَلَيْنا، وقال قَرينُهُ: الشيْطان الذي قيِّضَ له، فنقَّبُوا: ضَرَبوا، أوْ ألقى السَّمْعَ: لا يحدِّث نفسَه بِغيْره، حين أنشأكم وأنشأ خَلْقكم، رَقيبٌ عَتيدٌ: رَصَدٌ، سائقٌ وَشهيد: الملكَان، كاتبٌ وشهيد: شهيد شاهدٌ بالغيب، لُغُوب: النَّصَب، وقال غيرُهُ نَضيد: الكُفُرى ما دام في أكمامِهِ، ومعناه مَنْضودٌ بعضه على بعْض، فإذا خَرَجَ من أكمامه فليس بنَضيد، في أدْبار النُّجوم وأدْبار السُّجود، كان عاصم يفتَحُ التي في "ق" ويكسر التي في الطُّور، ويُكْسَران جميعاً وينْصَبان، وقال ابن عبّاس: يومَ الخروج: يوم يَخرجون إلى البعث من القبور.

قوله (فنقبوا ضربوا) وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قول {فنقبوا في البلاد} قال: أثروا، وقال أبو عبيدة في قوله {فنقبوا} طافوا وتباعدوا.

قوله (أو ألقى السمع لا يحدث نفس بغيره) روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادفي هذه الآية قال: هو رجل من أهل الكتاب ألقى السمع أي استمع للقرآن وهو شهيد على ما في يديه من كتاب الله أنه يجد النبي محمداً ﷺ مكتوباً، قال معمر وقال الحسن: هو منافق استمع ولم ينتفع.

قوله (وما مسنا[١] من لغوب من نصب) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: قالت اليهود إن الله خلق الخلق في ستة أيام وفرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السبت، فأكذبهم الله فقال: {وما مسنا من لغوب}.

قوله (وأدبار النجوم) وأدبار السجود كان عاصم يفتح التي في "ق" التي في الطور ويكسران جميعاً وينصبان) هو كما قال.

١ ـ باب {وتقولُ هلْ من مَزيد}

٤٨٤٨ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: يُلْقَى في النّار وتقول هل من مزيدٌ، حتى يضَعَ قَدَمَه فتقول: قَطْ قَطْ».

[الحديث ٤٨٤٨ - طرفاه في: ٦٦٦١، ٧٣٨٤]

٤٨٤٩ ـ عن أبي هريرةَ رَفعهُ -وأكثرُ ما كان يوقِفُهُ أبو سفيان- «يقال لجهَنَّمَ هل امتلأتِ؟ وتقول: هل من مَزيد؟ فَيَضَعُ الربُّ تباركَ وتعالى قدَمَهُ عَلَيها فتقول:

(١) رواية الباب واليونينية بدون "مامسنا" فقط.

قطْ قطْ».

[الحديث ٤٨٤٩ - طرفاه في: ٤٨٥٠، ٧٤٤٩]

٤٨٥٠ - عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «قال النبيُّ ﷺ تحاجَّتِ الجنّة والنّار، فقالت النّار: أُوثِرْتُ بالمتكبِّرين والمتجبِّرين، وقالت الجنّة: مالي لا يَدخُلُني إلا ضُعَفاء الناس وسقَطُهم، قال الله تبارك وتعالى للجنّة: أنت رَحْمَتي أرحَمُ بك من أشاءُ من عبادي، وقال للنّار: إنما أنتِ عذابٌ أعذِّبُ بك من أشاء من عبادي، ولكلٍّ واحدةٍ منهما ملؤُها، فأما النار فلا تمتَلئُ، حتى يضع رجلهُ فتقولُ قطْ قطْ قطْ فهنالك تمتلئُ ويزْوَى بعضها إلي بعض، ولا يَظلمُ اللهُ عزَّ وجلّ من خَلقهِ أحداً، وأمّا الجنة فإنّ الله عزَّ وجلَّ ينشىءُ لها خلقاً».

قوله (باب قوله[١] وتقول هل من مزيد) اختلف النقل عن قول جهنم {هل من مزيد} فظاهر أحاديث الباب أن هذا القول منها لطلب المزيد، وجاء عن بعض السلف أنه استفهام انكار كأنها تقول ما بقي فيّ موضع للزيادة، فروى الطبري من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله {هل من مزيد} أي هل من مدخل قد امتلأت؟ ورجح الطبري أنه لطلب الزيادة على ما دلت عليه الاحاديث المرفوع.

قوله (فتقول قطْ قطْ) وفي رواية سليمان التيمي عن قتادة «فتقول قد قد»، وهي لغة أيضاً، وكلها بمعنى يكفي، وقيل قط صوت جهنم، والأول هو الصواب عند الجمهور.

واختلف في المراد بالقدم فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة وهو أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله[١].

قوله (ضعفاء[٢] الناس وسقطهم) بفتحتين أي المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم، هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر من الناس، وبالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفعاء الدرجات، لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له في غاية التواضع لله والذلة في عباده، فوصْفُهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح أو المراد بالحصر في قول الجنة «إلا ضعفاء الناس» الأغلب، قال النووي: هذا الحديث على ظاهره، وأن الله يخلق في الجنة والنار تمييزاً يدركان به ويقدران على المراجعة والاحتجاج.

٢ - باب {وسبِّح بحمدِ ربِّك قبْلَ طلوعِ الشمْس وقبل الغروب}

٤٨٥١ - عن جرير بن عبد الله قال: «كنا جلوساً ليْلةً مع النبيِّ ﷺ فنظر إلى القمر ليلةَ أربعَ عشرةَ، فقال: إنكُم ستَرَوْن، ربكم كما ترون هذا لا تُضامُون في رُؤْيَتهِ، فإنِ

(١) "فالقدم" صفة لله تعالى حقيقة على مايليق بعظمته.

(٢) رواية الباب واليونينية "الاضعفاء الناس وسقطهم".

استطعتم أنْ لا تغلبُوا على صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمْسِ، وقبل غروبها فافْعلوا، ثم قرأ: {وسَبِّح بحمدِ ربِّك قبلَ طلوع الشمس وقبلَ الغروب}».

٤٨٥٢ ـ عن مجاهدٍ قال: قال ابن عباس: «أمرَهُ أنْ يُسَبِّحَ في أدْبار الصَّلوات كلِّها، يعني قوله {وَأَدْبارَ السُّجُود}».

قوله (عن مجاهد قال قال ابن عباس: أمره أن يسبح) يعني أمر الله نبيه.

وأخرجه الطبري من طريق ابن علية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: «قال ابن عباس في قوله {فسبحه وأدبار السجود} قال: هو التسبيح بعد الصلاة».

(٥١) سُورَةُ والذّاريات

قال عَليٌّ عليهِ السَّلامُ: الذارياتُ الرِّياحُ، وقال غيرُهُ: تذرُوه تُفرِّقُهُ، وفي أنْفسكم أفلا تبصرون: تأكل وتشرب في مدخلٍ واحد ويخرُجُ من مَوضعَين، فراغَ: فرجع، فَصَكَّتْ: فجمعَت أصابعها، فضرَبَت به جبهتْها، والرميم نَبَات الأرض إذا يبسَ وديسَ، لموسِعونَ أي لذوسَعةٍ، وكذلك على الموسعِ قَدَرُهُ: يعني القويَّ، زَوْجين: الذكر والأنثى، واختلافُ الألوان: حلوٌ وحامضٌ، فهما زوْجانِ، فَفرُّوا إلى الله: منَ الله إليه، إلا ليعبُدون: ما خلقتُ أهلَ السعادةِ منْ أهل الفريقين إلا ليوحِّدونِ، وقال بعضُهم: خَلَقُهم ليفْعلوا، ففعَل بعضٌ، وترك بعضٌ، وليْس فيه حجَّةٌ لإهل القدَر، والذَّنوب الدَّلْوُ العظيمُ، وقال مجاهدٌ: ذنوباً: سَبيلاً، صَرَّةٍ: صَيحةٍ، العقيمُ: التي لا تَلدُ، وقال ابن عبَّاس والحبُك: استواؤها وحُسْنها، في غمرةٍ: في ضلالتهم يتمادَوْن، وقال غيرُهُ: تواصَوا تواطَؤا، وقال غيره مسوَّمة: معلَّمة، من السِّيما، قتل الإنسان: لعن.

قوله (قال على الرياح) وأخرجه ابن عيينة في تفسيره أتم من هذا عن ابن أبي الحسين «سمعت أبا الطفيل قال: سمعت ابن الكواء يسأل علي بن أبي طالب عن الذاريات ذروا قال: الرياح، وعن الحاملات وقرا، قال: السحاب، وعن الجاريات يسرا، قال: السفن، وعن المدبرات أمراً قال: الملائكة، وصححه الحاكم من وجه آخر عن أبي الطفيل.

قوله (وفي أنفسكم أفلا تبصرون: تأكل وتشرب في مدخل واحد ويخرج من موضعين) أي القبل والدبر، وهو قول الفراء.

قوله (قتل الخراصون[1]) أي لعنوا، وأخرج الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {قتل الخراصون} قال: لعن الكذابون.

قوله (ففروا إلى الله: من الله إليه) أي من معصيته إلى طاعته أو من عذابه إلى رحمته.

قوله (إلا ليعبدون) في رواية أبي ذر {ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} ما خلقت أهل السعادة من أهل الفريقين إلا ليوحدون، هو قول الفراء، وسبب الحمل على التخصيص وجود

من لا يعبده، فلو حمل على ظاهره لوقع التنافي بين العلة والمعلول.

قوله (وقال بعضهم خلقهم ليفعلوا ففعل بعض وترك بعض، وليس فيه حجة لأهل القدر) هو كلام الفراء أيضاً، وحاصل التأويلين أن الأول محمول على أن اللفظ العام مراد به الخصوص، وأن المراد أهل السعادة من الجن والإنس، والثاني باق على عمومه لكن بمعني الاستعداد، أي خلقهم معدين لذلك لكن منهم من أطاع ومنهم من عصى، وهو كقولهم الإبل مخلوقة للحرث أي قابلة لذلك، لأنه قد يكون فيها ما لا يحرث، وأما قوله «وليس فيه حجة لأهل القدر» فيريد المعتزلة، لأن محصل الجواب أن المراد بالحق خلق التكليف لا خلق الجبلة، فمن وفقه عمل لما خلق له ومن خذله خالف، والمعتزلة احتجوا بالآية المذكورة على أن إرادة الله لا تتعلق به، والجواب أنه لا يلزم من كون الشيء معللاً بشيء أن يكون ذلك الشيء مراداً وأن لا يكون غيره مراداً، ويحتمل أن يكون مراده بقوله «وليس فيه حجة لأهل القدر» أنهم يحتجون بها على أن أفعال لا بد وأن تكون معلولة فقال: لا يلزم من وقع التعليل في موضع وجوب التعليل في كل موضع، ونحن نقول بجواز التعليل لا بوجوبه.

قوله (والذنوب الدلو العظيم) هو قول الفراء لكن قال: «العظيمة» وزاد: ولكن العرب تذهب بها إلى الحظ والنصيب، وقال أبو عبيدة: الذنوب النصيب، وأصله من الدلو، والذنوب السَّجْل واحد.

قوله (وقال مجاهد ذنوباً سبيلا) وقد وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله {ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم} قال: سجلاً من العذاب مثل عذاب أصحابهم.

قوله (العقيم التي لا تلد) زاد أبو ذر «ولا تلقح شيئاً» وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: العقيم التي لا تنبت.

قوله (وقال ابن عباس: والحبك استواؤها وحسنها) وأخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله {ذات الحبك} قال: ذات الخلق الحسن وللطبري من طريق عوف عن الحسن قال: حبكت بالنجوم، ومن طريق عمران بن جدير: سئل عكرمة عن قوله {ذات الحبك} قال: ذات الخلق الحسن، ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب قال: ما أحسن ما حبكه.

قوله (وقال غيره تواصوا به تواطئوا) وقد أخرجه ابن المنذر من طريق أبي عبيدة في قوله {أتواصوا به} تواطئوا عليه وأخذه بعضهم عن بعض، وإذا كانت شيمة غالبة على قوم قيل كأنما تواصوا به، وروى الطبري من طرق عن قتادة قال: هل أوصى الأول الآخر منهم كذيب؟.

(٥٢) سُورةُ والطُّور

وقال قتادةُ: مَسْطورٍ: مكتوبٍ، وقال مجاهدٌ: الطُّور الجبَلُ بالسُّريانيَّة، رَقٍّ منْشورٍ: صحيفة، والسَّقفِ المرْفوع: سماء، المسْجور: الموقد، وقال الحسَن تُسْجَرُ حتى يذهبَ ماؤها فلا يبْقى فيها قطرَةٌ، وقال مجاهد أَلتْنَاهم نقصنْا؟ وقال غيره: تمور تدور، أحلامهم: العقول، وقال ابن عباس: البَرُّ اللطيف، كِسفاً: قِطعا، المَنون: الموت، وقال غيره: يتَنازعون يتعاطون.

قوله (والمسجور[١] الموقد) وأخرج الطبري من طريق سعيد بن المسيب قال: قال علي لرجل من اليهود أين جهنم؟ قال: البحر، قال ما أراه إلا صادقاً، ثم تلا {والبحر المسجور وإذا البحار سجرت} وعن زيد بن أسلم قال: {البحر المسجور} الموقد {وإذا البحار سجرت} أوقدت.

١ - باب * ٤٨٥٣ - عن أمِّ سلمة قالت: «شكَوْت إلى رسولِ اللهِ ﷺ أنيِّ أشْتكي فقال طوفي مِن وراءِ الناس وأنتِ راكِبةٌ، فطفْتُ ورسولُ الله ﷺ يُصلِّي إلى جَنْب البيْت يقرأ بالطُّور وكِتاب مسطور».

٤٨٥٤ - عن جُبَير بن مُطْعِم عن أبيه رضيَ اللهُ عنه قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يَقرأ في المَغرِب بالطُّور، فلما بلغَ هذهِ الآية: {أمْ خُلقوا مِن غير شيءٍ أمْ هُمُ الخالِقون؟ أمْ خلَقوا السَّماواتِ والأرضَ؟ بَلْ لا يوقنون، أمْ عِندهم خَزائنُ ربِّك:، أمْ هم المُسَيْطرون؟} كادَ قَلبي أنْ يَطيرَ».

قوله (عن أمِّ سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي) أي أنها كانت ضعيفة لا تقدر على الطواف ماشية، وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الحج[٢].

قوله (كاد[٣] قلبي يطير) قال الخطابي: كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه، وذلك من قوله تعالى {أم خلقوا من غير شيء} قيل معناه ليسوا أشد خلقاً من خلق السموات والأرض لأنهما خلقتا من غير شيء، أي هل خلقوا باطلاً لا يؤمرون ولا ينهون؟ وقيل المعنى أم خلقوا من غير خالق؟ وذلك لا يجوز فلا بد لهم من خالق، وإذا أنكروا الخالق فهم الخالقون لأنفسهم؛ وذلك في الفساد والبطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق، وإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا، ثم قال: {أم خلقوا السموات والأرض} أي إن جاز لهم أن يدعوا خلق أنفسهم فليدعوا

---

(١) رواية الباب واليونينية "المسجور الموقد" بغير الواو.
(٢) كتاب الحج باب / ٧٤ ح ١٦٣٢ - ٢ / ٥٠.
(٣) رواية الباب واليونينية "كاد قلبي أن يطير".

خلق السموات والأرض، وذلك لا يمكنهم، فقامت الحجة، ثم قال: {بل لا يوقنون} فذكر العلة التي عاقتهم عن الإيمان وهو عدم اليقين الذي هو موهبة من الله ولا يحصل إلا بتوفيقه، فلهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير، ومال إلى الإسلام، انتهى.

(٥٣) سورةُ والنَّجم

وقال مُجاهِدٌ: ذو مِرَّة قُوَّةٍ، قابَ قَوسَين: حيث الوتَرُ مِنَ القَوْس، ضِيزَى: عَوْجَاء، وأَكْدَى: قَطع عَطَاءَهُ، رَبُّ الشِّعْرَى هو مِرْزَمُ الجَوزاءِ، الذي وَفَى وَفى ما فُرِضَ عَلَيْه، أَزِفَتِ الآزِفة: اقْتَرَبَتِ السَّاعة، سامِدون: البَرْطَمَة، وقال عِكرِمَة: يَتغنُّوْن بالحِمْيَريَّة، وقال إبراهيم: أَفَتمارُونَهُ؟ أفتُجادِلونَه؟ ومن قَرَأَ «أَفتَمْرونه» يعني أفتَجْحَدونه؟ مازاغَ البصَرُ: بَصَرُ محمَّدٍ ﷺ، وما طَغى: وَما جاوَزَ ما رأى، فَتماروا: كذبوا، وقال الحسَنُ إذا هَوى: غابَ، وقال ابن عبَّاس: أغنى وأقنى أعطى فأرضى.

قوله (وقال مجاهد: ذو مرة ذو قوة) وصله الفريابي بلفظ {شديد القوة ذو مرة} قوة جبريل، وقال أبو عبيدة ذو مرة أي شدة وإحكام، وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {ذو مرة} قال: ذو خلق حسن.

قوله (قاب قوسين حيث الوتر من القوس) وقال أبو عبيدة قاب قوسين أي قدر قوسين أو أدنى أو أقرب.

قوله (ضيزى: عوجاء) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: ضيزى جائرة.

قوله (رب الشعرى هو مرزم الجوزاء) وأخرج الطبري من طريق خصيف عن مجاهد قال: الشعرى الكوكب الذي خلف الجوزاء كانوا يعبدونه.

وقال ابن التين: المِرْزَم نجم يقابل الشعرى من جهة القبلة لا يفارقها وهو الهنعة.

قوله (وقال ابن عباس: أغنى وأقنى أعطى فأرضى) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي ابن أبي طلحة عنه، وأخرج الفريابي من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: أقنى قنع، ومن طريق أبي رجاء عن الحسن قال: أخدم، وقال أبو عبيدة: أقنى جعل له قنية أي أصول مال، قال وقالوا: أقنى أرضى، يشير إلى تفسير ابن عباس، وتحقيقه أنه حصل له قنية من الرضا.

١ - باب * ٤٨٥٥ - عن مسروقٍ قال: «قلتُ لعائشةَ رضيَ الله عنها: يا أُمَّتاهُ، هل رأى محمدٌ ﷺ ربَّه؟ فقالت: لقد قفَّ شعري مما قُلتَ، أينَ أنتَ من ثلاثٍ من حدَّثكهنَّ فقد كَذَب: من حدَّثكَ أنَّ محمداً ﷺ رأى ربَّه فقد كذَب، ثم قرأت {لا تُدرِكه الأبصارُ، وهو يُدركُ الأبصارَ، وهو اللطيفُ الخبير، وما كان لِبشرٍ أن يكلمَهُ اللهُ إلاّ وَحياً أو مِن وَراءِ

حِجاب}، ومن حدَّثكَ أنهُ يَعلم ما في غدٍ فقد كَذَب، ثم قرأت {وما تدرِي نفسٌ ماذا تكسِبُ غداً}، ومن حدَّثك أنه كَتمَ فقد كَذب، ثمَّ قرَأت {يا أيُّها الرسولُ بلِّغْ ما أُنزلَ إليك من ربك} الآية، ولكن رأى جبريلَ عليه السلام في صُورتهِ مرَّتين».

قوله (عن مسروق) في رواية الترمذي زيادة قصة في سياقه، فأخرج من طريق مجالد عن الشعبي قال: «لقي ابن عباس كعباً بعرفة فسأله عن شيء فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم، فقال له كعب إن الله قسم رؤيته وكلامه».

وعند عبد الرزاق من هذا الوجه «قال ابن عباس: إنا بنو هاشم نقول إن محمداً رأى ربه مرتين، فكبر كعب وقال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد، فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين، قال مسروق: فدخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه» الحديث.

قوله (هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قالت: لقد قف شعري) أي قام من الفزع، لما حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك.

قوله (أين أنت من ثلاث؟) أي كيف يغيب فهمك عن هذه الثلاث؟ وكان ينبغي لك أن تكون مستحضرها ومعتقداً كذب من يدعي وقوعها.

قوله (ثم قرأت: لا تدركه الأبصار) قال النووي تبعاً لغيره: لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته، وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية، وقد خالفها غيرها من الصحابة، والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقاً والمراد بالإدراك في الآية الإحاطة، وذلك لا ينافي الرؤية، انتهى.

وجزمه بأن عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة فإنه قال في كتاب التوحيد في صحيحه: النفي لا يوجب علمًا، ولم تحك عائشة أن النبي ﷺ أخبرها أنه لم ير ربه، وإنما تأولت الآية، انتهى.

وهو عجيب، فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ، فعنده من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق في الطريق المذكورة قال مسروق: «وكنت متكئاً فجلست فقلت: ألم يقل الله {ولقد رآه نزلة أخرى} فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: إنما هو جبريل».

نعم احتجاج عائشة بالآية المذكورة خالفها فيه ابن عباس، فأخرج الترمذي من طريق الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: «رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول {لا تدركه الأبصار؟} قال: ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين» وحاصله أن المراد بالآية نفي الاحاطة به عند رؤياه لا نفي أصل رؤياه.

وقال عياض: رؤية الله سبحانه وتعالى جائزة عقلاً، وثبتت الاخبار الصحيحة المشهورة بوقوعها للمؤمنين في الآخرة، وأما في الدنيا فقال مالك: إنما لم ير سبحانه في الدنيا لأنه باق، والباقي لا يرى بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقية رأوا الباقي بالباقي، قال عياض: وليس في هذا الكلام استحالة الرؤية إلا من حيث القدرة، فإذا قدر الله من شاء من عباده عليها لم يمتنع.

قلت: ووقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» وأخرجه ابن خزيمة أيضاً من حديث أبي أمامة.

وقد اختلف السلف في رؤية النبي ﷺ ربه فذهبت عائشة وابن مسعود إلى إنكارها، وذهب جماعة إلى إثباتها، وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمداً رأى ربه، وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها، وكان يشتد عليه إذا ذكر له إنكار عائشة، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس، وجزم به كعب الأحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون، ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه؟ وعن أحمد كالقولين.

قلت: جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة، فيجب حمل مطلقها على مقيدها، فمن ذلك ما أخرجه النسائي بإسناد صحيح وصححه الحاكم أيضاً من طريق عكرمة عن ابن عباس، قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد؟ وأخرجه ابن خزيمة بلفظ «أن الله اصطفى إبراهيم بالخلة» الحديث.

وأخرج ابن اسحق من طريق عبد الله بن أبي سلمة أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس: هل رأى محمد ربه؟ فأرسل إليه أن نعم.

ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى {ما كذب الفؤاد ما رأى، ولقد رآه نزلة أخرى} قال: رأى ربه بفؤاده مرتين، وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال: رآه بقلبه وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء أيضاً عن ابن عباس قال: لم يره رسول الله ﷺ بعينه، إنما رآه بقلبه، وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب، ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم، لأنه ﷺ كان عالماً بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره، والرؤية لا يشترط لها شيء، مخصوص عقلاً ولو جرت العادة بخلقها في العين، وروى ابن خزيمة بإسناد قوي عن أنس قال: «رأى محمد ربه»، وعند مسلم من حديث أبي ذر أنه سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال «نور أنى أراه» ولأحمد عنه، قال: «رأيت نورا» ولابن خزيمة عنه قال: «رآه بقلبه ولم يره بعينه»، وبهذا يتبين مراد أبي ذر بذكره

النور أي النور حال بين رؤيته له ببصره، وقد رجح القرطبي في «المفهم» قول الوقف في هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل، قال وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية، وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعي وجنح ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» إلى ترجيح الإثبات وأطنب في الاستدلال له بما يطول ذكره، وحمل ما ورد عن ابن عباس على أن الرؤيا وقعت مرتين مرة بعينه ومرة بقلبه، وفيما أوردته من ذلك مقنع، وممن أثبت الرؤية لنبينا ﷺ الإمام أحمد فروى الخلال في «كتاب السنة» عن المروزي قلت لأحمد إنهم يقولون إن عائشة قالت «من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية» فبأي شيء يدفع قولها؟ قال: بقول النبي ﷺ رأيت ربي، قول النبي ﷺ أكبر من قولها، وقد أنكر صاحب «الهدى» على من زعم أن أحمد قال رأى ربه بعيني رأسه قال: وإنما قال مرة رأى محمد ربه وقال مرة بفؤاده.

ثم قال ينبغي أن يعلم الفرق بين قولهم كان الإسراء مناما وبين قولهم كان بروحه دون جسده فإن بينهما فرقاً، فإن الذي يراه النائم قد يكون حقيقة بأن تصعد الروح مثلاً إلى السماء، وقد يكون من ضرب المثل أن يرى النائم ذلك وروحه لم تصعد أصلاً، فيحتمل من قال أسري بروحه ولم يصعد جسده أراد أن روحه عرج بها حقيقة فصعدت ثم رجعت وجسده باق في مكانه خرقاً للعادة، كما أنه في تلك الليلة شق صدره والتأم وهو حي يقظان لا يجد بذلك ألما انتهى.

وظاهر الأخبار الواردة في الإسراء تأبى الحمل على ذلك، بل أسري بجسده وروحه وعرج بهما حقيقة في اليقظة لا مناما ولا استغراقا، والله أعلم.

باب {فكان قابَ قوسَين أو أدنى}

حيثُ الوَتَرُ من القَوس.

٤٨٥٦ - «عن عبدِ الله {فكان قابَ قوسَينِ أو أدنى، فأوحى إلى عبدِهِ ما أوحى» قال حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جَناح

قوله (باب فكان قاب قوسين أو أدنى حيث الوتر من القوس) والقاب ما بين القبضة والسية من القوس، قال الواحدي: هذا قول جمهور المفسرين أن المراد القوس التي يرمى بها، قال: وقيل المراد بها الذراع لأنه يقاس بها الشيء.

قلت: وينبغي أن يكون هذا القول هو الراجح، فقد أخرج ابن مردويه بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: القاب القدر، والقوسين الذراعان، ويؤيده أنه لوكان المراد به القوس التي

يرمى بها لم يمثل بذلك ليحتاج إلى التثنية، فكان يقال مثلاً: قاب رمح أو نحو ذلك.

باب {فأوحى إلى عبدهِ ما أوحى}

٤٨٥٧ ـ عن الشَّيباني قال: «سألتُ زِراً عن قوله {فكان قابَ قَوسَين أو أدنى، فأوحى إلى عبدِهِ ما أوحى} قال: أخبرَنا عبدُ الله أنه محمد ﷺ رأى جِبريلَ له ستُّمائةِ جَناح».

قوله (أنه محمد[1]) الضمير للعبد المذكور في قوله تعالى {إلى عبده} ووقع عند أبي ذر «أن محمداً رأى جبريل» وهذا أوضح في المراد، والحاصل أن ابن مسعود كان يذهب في ذلك إلى أن الذي رآه النبي ﷺ هو جبريل كما ذهبت إلى ذلك عائشة؛ والتقدير على رأيه فأوحى أي جبريل إلى عبده أي عبد الله محمد لأنه يرى أن الذي دنا فتدلى هو جبريل، وأنه هو الذي أوحى إلى محمد، وكلام أكثر المفسرين من السلف يدل على أن الذي أوحى هو الله، أوحى إلى عبده محمد، ومنهم من قال: إلى جبريل.

باب {لقد رأى من آياتِ ربِّهِ الكبرى}

٤٨٥٨ ـ عن عبدِ الله بن مسعودٍ رضيَ الله عنه {لقد رأى من آيات ربِّه الكبرى} قال: رأى رَفْرَفاً أخضرَ قد سدَّ الأفق».

قوله (باب لقد رأى من آيات ربه الكبرى) واختلف في الآيات المذكورة فقيل: المراد بها جميع ما رأى ﷺ ليلة الإسراء، وحديث الباب يدل على أن المراد صفة جبريل.

قوله (رأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق) هذا ظاهره يغاير التفسير السابق أنه رأى جبريل، ولكن يوضح المراد ما أخرجه النسائي والحاكم من طريق عبدالرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال: «أبصر نبي الله ﷺ جبريل عليه السلام على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض» فيجتمع من الحديثين أن الموصوف جبريل والصفة التي كان عليها.

وأصل الرفرف ما كان من الديباج رقيقاً حسن الصنعة، ثم اشتهر استعماله في الستر.

٢ ـ باب {أفرأيتمُ اللاتَ والعزَّى}

٤٨٥٩ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما في قولهِ {اللاتَ والعزَّى}: كان اللاتُ رجلاً يَلُتُّ سَويقَ الحاجِّ».

٤٨٦٠ ـ عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ: من حَلف فقال في حَلفه: واللاتِ والعُزَّى، فليَقل: لا إلهَ إلاَّ الله، ومن قال لصاحبِه: تعال أقامِرك، فليتصدَّق».

[الحديث ٤٨٦٠ - أطرافه في: ٦١٠٧، ٦٣٠١، ٦٦٥٠]

(١)في المتن واليونينية "أنه محمد ﷺ"

قوله (فقال في حلفه) أي يمينه.

قال الخطابي: اليمين إنما تكون بالمعبود المعظم، فإذا حلف باللات ونحوها فقد ضاهى الكفار، فأمر أن يتدارك بكلمة التوحيد.

وقال ابن العربي: من حلف بها جاداً فهو كافر، ومن قالها جاهلاً أو ذاهلاً يقول لا إله إلا الله يكفر الله عنه ويرد قلبه عن السهو إلى الذكر ولسانه إلى الحق وينفي عنه ما جرى به من اللغو.

قوله (ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فيتصدق[١]) قال الخطابي: أي بالمال الذي كان يريد أن يقامر به، وقيل بصدقة ما لتكفر عنه القول الذي جرى على لسانه.

قال النووي: وهذا هو الصواب، وعليه يدل ما في رواية مسلم «فليتصدق بشيء» وزعم بعض الحنفية أنه يلزمه كفارة يمين، وفيه ما فيه.

قال عياض: في هذا الحديث حجة للجمهور أن العزم على المعصية إذا استقر في القلب كان ذنباً يكتب عليه، بخلاف الخاطر الذي لا يستمر.

قلت: ولا أدري من أين أخذ ذلك مع التصريح في الحديث بصدور القول حديث نطق بقوله «تعال أقامرك» فدعاه إلى المعصية، والقمار حرام باتفاق، فالدعاء إلى فعله حرام، فليس هنا عزم مجرد، وسيأتي بقية شرحه في كتاب الأيمان والنذور[٢].

٣ ـ باب {ومَناةَ الثالثةَ الأخرى}

٤٨٦١ ـ عن عُروةَ «قلت: لعائشةَ رضيَ الله عنها، فقالت: إنما كان من أهلَّ لمناة الطاغيةِ التي بالمشَلَّل لا يطوفون بينَ الصَّفا والمروة، فأنزل اللهُ تعالى {إنَّ الصَّفا والمروةَ من شعائرِ الله} فطافَ رسولُ الله ﷺ والمسلمون».

قوله (من أهلَّ لمناة) أي لأجل مناة.

قوله (قال سفيان مناة بالمشلل) وهو موضع من قديد من ناحية البحر، وهو الجبل الذي يهبط منه إليها.

قوله (من قديد) هو مكان معروف بين مكة والمدينة.

٤ ـ باب {فاسجُدوا للهِ واعبدُوا}

٤٨٦٢ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: سَجدَ النبيُّ ﷺ بالنَّجم، وسجدَ معهُ المسلمونَ والمشركونَ والجنُّ والإنس».

---

(١) رواية الباب واليونينية "..... فليتصدق".
(٢) كتاب الإيمان والنذور باب / ٥ ح ٦٦٥٠ - ٥ / ١٢٣.

٤٨٦٣ ـ عن عبدِ الله رضيَ اللهُ عنه قال: «أولُ سورةٍ أُنزلتَ فيها سجدةٌ والنَّجم، قال فسجدَ رسولُ الله ﷺ وسجدَ مَن خلفه، إلاّ رجُلاً رأيته أخذَ كفا من تُرابٍ فسجدَ عليه، فرأيته بعد ذلك قُتلَ كافراً، وهو أُمَيَّةُ بن خَلَف».

قوله (والجن والإنس) إنما أعاد الجن والإنس مع دخولهم في المسلمين لنفي توهم اختصاص ذلك بالإنس.

قوله (أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم، قال فسجد رسول الله ﷺ) أي لما فرغ من قراءتها، وقد قدمت في تفسير الحج من حديث ابن عباس بيان ذلك والسبب فيه.

(٥٤) سورةُ اقتَرَبَتِ الساعة

قال مجاهد مُستمر: ذاهب، مُزدجَر: مُتَناه، وازدُجِر: فاستُطِيرَ جُنونا، دُسُر: أضلاعُ السفينة، لمن كان كُفر: يقول كُفِرَ له جزاءَ من الله، محتَضَر: يَحضُرونَ الماء، وقال ابنُ جبير مُهطعين: النسَلان، الخَبَب: السراع، وقال غيره: فتعاطى: فعاطى بيدهِ فعقَرها، المحتَظِر: كحِظار من الشجر محترق، وازدُجِر: افتُعل من زَجرتُ: كُفِر: فعلنا به وبهم ما فعَلنا جَزاءً لما صُنِعَ بنوح وأصحابه، مستقرّ: عَذابٌ حَقّ، يقال الأشر: المَرَح والتَّجبرُ.

قوله (دسر أضلاع السفينة) وروى ابن المنذر وإبراهيم الحربي في «الغريب» من طريق حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال: الألواح ألواح السفينة، والدسر معاريضها التي تشد بها السفينة، ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {ودسر} قال: المسامير، وبهذا جزم أبو عبيدة.

قوله (وقال ابن جبير مهطعين النَّسَلان، الخبب السراع) وروى ابن المنذر من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله مهطعين قال: ناظرين، وقال أبو عبيدة: المهطع المسرع.

قوله (مستقر عذاب حق) هو قول الفراء، وعند عبد بن حميد عن قتادة في قوله {عذاب مستقر} استقر بهم إلى نار جهنم، ولابن أبي حاتم من طريق مجاهد قال: {وكل أمر مستقر} قال يوم القيامة، ومن طريق ابن جريج قال: مستقر بأهله.

قوله {ويقال الأشر المرح والتجبر} قال أبو عبيدة في قوله {سيعلمون غداً من الكذاب الأشر} قال: الأشر المرح والتجبر، وربما كان من النشاط، والمراد بقوله غدا يوم القيامة.

١ ـ باب {وانشَقَّ القمر، وإن يَرَوا آيةً يُعرضوا}

٤٨٦٤ ـ عن ابن مسعودٍ قال: «انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فِرقتين: فِرقةٌ فوقَ الجبَل، وفرقةٌ دُونَه، فقال رسولُ الله ﷺ: اشهَدوا».

٤٨٦٥ ـ عن عبد الله قال: «انشقَّ القمرُ ونحنُ معَ النبيِّ ﷺ فصار فرقَتين، فقال لنا: اشهَدوا، اشهدَوا».

٤٨٦٦ ـ عن ابن عبّاسٍ رضيَ الله عنهما قال: «انشقَّ القمرُ في زَمانِ النبيِّ ﷺ».

٤٨٦٧ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه قال: «سألَ أهلُ مكةَ أنْ يُرِيَهُم آيةً فأراهمُ انشقاقَ القمر».

٤٨٦٨- عن أنس قال: انشق القمر فرقتين.

قوله (باب وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا) وقد تقدم الكلام عليه مستوفى في أوائل السيرة النبوية[١].

٢ ـ باب {تَجري بأعيُننا جَزاءً لِمَن كان كُفِرَ، ولقد تركناها آيةً فهلْ منْ مدَّكر}

قال قتادةُ: «أبْقى اللهُ سفينَةَ نوحٍ حتى أدركها أوائلُ هذه الأمةِ».

٤٨٦٩ ـ عن عبد الله قال: «كان النبيُّ ﷺ يقرأ {فَهَل من مُدَّكِر}».

باب {ولقد يَسَّرْنا القرآنَ للذكر فهل من مدكر}، قال مجاهد: يَسَّرْنا: هوَّنا قراءَتَهُ

٤٨٧٠ ـ عن عبدِ الله رضيَ الله عنه «عن النبيِّ ﷺ أنه كان يقرأ {فهل منْ مدكِر}».

باب {أعْجَازُ نَخلٍ مُنقعر، فكيف كان عذابي ونُذُر}

٤٨٧١ ـ عن أبي إسحاقَ أنه «سَمِعَ رَجلاً سأل الأسودَ: فهل من مُدكِر، أو مذكِر؟ فقال: سمعت عبدَ الله يقرؤها {فهل مِن مدكِر}، قال: وسمعتُ النبيَّ ﷺ يقرؤها {فهل مِن مدكِر} دالاً».

٣ ـ باب {فكانوا كهَشيم المُحْتَظِر، ولقد يَسَّرْنا القرآن للذِّكْر فهل مِن مَدَّكر}

٤٨٧٢ ـ عن عبد الله رضيَ الله عنه «عن النبيِّ ﷺ قرأ {فهل من مُدَّكِر} الآية».

٤ ـ باب {ولقد صَبَّحَهمُ بُكْرَةً عذابٌ مستقرٌ، فَذُوقوا عذابي ونُذُر}

٤٨٧٣ ـ عن عبد الله «عن النبيِّ ﷺ أنَّه قرأ {فهل من مدكِر، ولقد أهلكنا أشياعَكم فَهَلْ من مُدَّكِر}».

٤٨٧٤ ـ عن عبد الله قال: «قرأتُ على النبيِّ ﷺ {هل من مذكِر} فقال النبيُّ ﷺ: {فهل من مُدَّكِر}».

---

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٣٦ ح ٣٨٦٨ - ٣ / ٢١٥.

٥ ـ باب قوله {سيُهزَم الجَمعُ ويُوَلُّون الدُّبر}

٤٨٧٥ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما «أن رسولَ الله ﷺ قال: -وهو في قبَّةٍ يومَ بَدرٍ- اللهم إنِّي أنشدُكَ عهدك ووعدك، اللهم إنْ تَشأ لا تُعبد بعدَ اليوم، فأخَذ أبو بكر بيدَهِ فقال: حَسبُكَ يا رسولَ الله، ألححْتَ عَلَى ربِّك -وهو يَثبُ في الدِّرع، فخرج وهو يقول: {سيُهْزَم الجمعُ ويولُّون الدُّبر}».

٦ ـ باب قوله {بل الساعة موعِدُهم، والساعةُ أدْهىَ وأمرُّ}

يعني من المَرارة

٤٨٧٦ ـ عن يوسفَ بن ماهَك قال: «إني عند عائشةَ أمِّ المؤمنين قالت: لقد أُنزِلَ على محمدٍ ﷺ بمكة، وإني لَجارية ألعَبُ: بل الساعةُ موعِدُهم، والساعةُ أدْهىَ وأمرُّ}».

[الحديث ٤٨٧٦- طرفه في: ٤٩٩٣]

٤٨٧٧ ـ عن ابن عباسٍ «أن النبيَّ ﷺ قال: -وهو في قُبَّةٍ له يومَ بدرٍ- أنشُدُكَ عهدكَ ووَعدكَ، اللهم إن شِئتَ لم تُعبَدْ بعدَ اليوم أبدا، فأخذَ أبو بكر بيدهِ وقال: حَسْبكَ يا رسولَ الله، فقد ألححْتَ على ربِّك -وهو في الدِّرع- فخرجَ وهو يقول: {سيُهزَمُ الجمعُ ويولون الدُّبر، بل الساعةُ مَوعدُهم، والساعةُ أدْهىَ وأمرُّ}».

قوله (باب قوله {بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر} يعني من المرارة) هو قول الفراء، قال في هذه الآية: معناه أشد عليهم من عذاب يوم بدر، وأمر من المرارة.

(٥٥) سُورةُ الرَّحمن

وقال مجاهد {بحسبان} كحسبان الرحى، وقال غيره {وأقيموا الوَزن} يريدُ لسانَ الميزان، {والعَصف} بَقلُ الزَّرع إذ قطع منه شيء قبل أن يُدرِكَ فذلك العَصْفُ، {والرَّيْحان} رزقه، {والحَبُّ} الذي يُؤكل منه، والريحانُ في كلام العرب: الرزق، وقال بعضهم: {والعصفُ} يريدُ المأكول من الحبِّ؛ والرَّيحان النَّضيجُ الذي لم يؤكل، وقال غيره: العصف ورقُ الحِنطة، وقال الضحاك، العصفُ التِبْنُ، وقال أبو مالك: العصف أول ما يَنْبُتُ، تسمِّيه النَّبط هَبُوراً، وقال مجاهد: العصف ورق الحِنطة، والرَّيحان الرِّزق، والمارج اللهبُ الاصفر والأخضر الذي يعلوا النارَ إذا أوقِدت، وقال بعضهم عن مجاهد: {ربُّ المشرقين} للشمس في الشّتاء مشرق، ومشرق في الصيف، {وربُّ المغربَين} مغربُها في الشتاء والصيف، {لا يبغيان} لا يختلطان، {المنشآتُ} ما رُفع قلْعُهُ من السُّفُن، فأما ما لم يُرفع قلْعُهُ فليس بمنشآت، وقال

مجاهد: {كالفَخَّار} كما يُصنَع الفخار، {الشُّواظ} لهبٌ من نار، وقال مجاهد {ونحاس} النحاس الصُّفْر يُصَبُّ على رءوسِهم يُعذَّبون به، {خاف مقام ربه} يهمّ بالمعصية فيَذكر اللهَ عزَّ وجلَّ فيَترُكها، {مُدْهامَّتان} سوداوان منَ الرِّيّ، {صلصال} طينٌ خلط برملٍ فصَلْصَل كما يُصلصل الفَخّار، ويقال مُنتِنٌ يريدون به صَلّ، يقال صلصال كما يقال صَرَّ البابُ عندَ الإغلاق وصَرْصَر، مثل كَبْكَبْتُهُ يعني كَبَبته، {فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورُمّان} قال بعضهم: ليس الرُّمان والنخل بالفاكهة، وأما العرب فإنهما تَعُدُّهما فاكهة كقوله عزَّ وجل {حافظوا على الصلواتِ والصلاةِ الوُسطى} فأمرَهم بالمحافظة على كلِّ الصلوات، ثم أعاد العصرَ تشديداً لها كما أُعيد النخلُ والرُّمان، ومثلها {ألم ترَ أنَّ الله يَسجدُ له مَن في السماوات ومن في الأرض} ثم قال: {وكثيرٌ منَ الناس، وكثيرٌ حقَّ عليه العذاب} وقد ذكرَهم في أول قوله {مَن في السماوات ومن في الأرض}، وقال غيره {أفنان} أغصان، {وجَنَى الجنَّتَين دان} ما يُجْتَنَى قريبٌ، وقال الحسن {فبأيِّ آلاء}: نعمه، وقال قَتادةُ: {ربِّكما تكذِّبان} يعني الجنَّ والإنس، وقال أبو الدرداء {كلَّ يوم هو في شأن}: يغفِرُ ذنباً، ويكشِفُ كَرباً، ويرفعُ قوماً ويضعُ آخرين، وقال ابن عباس {برزَخ}: حاجز، {الأنام}: الخَلْق، {نَضّاخَتان}: فيّاضتان، {ذوالجلال}: ذو العظمة، وقال غيره {مارج}: خالصٌ من النار، ويقال: مَرَجَ الأميرُ رعيته إذا خَلّاهم يَعدُو بعضُهم على بعض، مَرَج أمرُ الناس {مَريج} مُلتبِس، {مَرَجَ} اختلَط {البحران} من مرجتَ دابتَك: تركتها، {سنَفرُغُ لكم}: سنُحاسبكم، لا يَشغَله شيء عن شيء، وهو معروف في كلام العرب يقال: لأتفرَّغَنَّ لك، وما به شُغل، يقول: لآخذَنَّ: على غِرَّتك.

قوله (وقال بعضهم عن مجاهد رب المشرقين الخ) وأخرج ابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة، وسعيد بن منصور من طريق أبي ظبيان كلاهما عن ابن عباس قال: للشمس مطلع في الشتاء ومغرب، ومطلع في الصيف ومغرب، وأخرج عبد الرزاق من طريق عكرمة مثله وزاد قوله {ورب المشارق والمغارب} لها في كل يوم مشرق ومغرب.

قوله (لا يبغيان لا يختلطان) وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بينهما من البعد ما لا يبغي كل واحد منهما على صاحبه، وتقدير قوله على هذا: يلتقيان، أي أن يلتقيا، وحذف «أن» سائغ، هو كقوله ومن آياته يريكم البرق، وهذا يقوي قول من قال: إن المراد بالبحرين بحر فارس وبحر الروم لأن مسافة ما بينهما ممتدة، والحلو -وهو بحر النيل أو الفرات مثلاً- يصب في الملح، فكيف يسوغ نفي اختلاطهما أو يقال بينهما بعد؟ لكن قوله تعالى {وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج} يرد على هذا، فلعل المراد بالبحرين في الموضعين مختلف، ويؤيده قول ابن

عباس هنا: قوله تعالى في هذا الموضع {يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان} فإن اللؤلؤ يخرج من بحر فارس والمرجان يخرج من بحر الروم، وأما النيل فلا يخرج منه لا هذا ولا هذا.قوله (سنفرغ لكم سنحاسبكم، لا يشغله شيء عن شيء) هو كلام أبي عبيدة أخرجه ابن المنذر من طريقه، وأخرج من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال هو وعيد من الله لعباده وليس بالله شغل، وهو معروف في كلام العرب يقال: لأتفرغن لك، وما به شغل، كأنه يقول لآخذنك على غرة.

١ - باب {ومن دونِهما جنَّتان}

٤٨٧٨ - عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه «أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: جنَّتانِ من فِضةٍ آنيتُهما وما فيهما، وجنَّتانِ من ذهبٍ آنيتهما وما فيهما، وما بينَ القوم وبين أن يَنظروا إلى ربهم إلا رِداءُ الكبرِ على وَجهِهِ في جنةِ عَدْنٍ».

[الحديث ٤٨٧٨ - طرفاه في: ٤٨٨٠، ٧٤٤٤]

قوله (باب قوله[١] ومن دونهما جنتان) قال الترمذي الحكيم: المراد بالدون هنا القرب، أي وقربهما جنتان أي هما أدنى إلى العرش وأقرب، وزعم أنهما أفضل من اللتين قبلهما، وقال غيره: معنى دونهما يقربهما، وليس فيه تفضيل.

وقد روى ابن مردويه من طريق حماد عن أبي عمران في هذا الحديث قال: من ذهب للسابقين ومن فضة للتابعين، وفي رواية ثابت عن أبي بكر: من ذهب للمقربين ومن فضة لأصحاب اليمين.

قوله (وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الخ) يأتي البحث فيه في كتاب التوحيد[٢] إن شاء الله تعالى.

٢ - باب {حُورٌ مَقصوراتٌ في الخِيام}

وقال ابنُ عباس: حورٌ سودُ الحدَق، وقال مجاهد: مقصورات محبوسات، قُصِر طرفُهنَّ وأنفُسُهنَّ على أزواجهن، قاصِراتٌ لا يبغين غيرَ أزواجهنَّ

٤٨٧٩ - عن أبي بكر بن عبد الله بن قَيس عن أبيه «أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: إنَّ في الجنَّةِ خيمةً من لؤلؤةٍ مجوَّفة عَرضُها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهلٌ ما يَرَون الآخرين، يطوفُ عليهمُ المؤمنون».

٤٨٨٠ - «وجَنَّتانِ من فِضةٍ آنيتهما وما فيهما، وجنَّتانِ من كذا آنيتهما وما فيهما،

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله.
(٢) كتاب التوحيد باب / ٢٤ ح ٧٤٤٤ - ٥ / ٥٦٩.

وما بينَ القوم وبينَ أن يَنظروا إلى ربهم إلا رِداءُ الكبرِ على وجههِ في جنَّةِ عَدْن».

قوله (باب حور مقصورات في الخيام) أي محبوسات، ومن ثم سموا البيت الكبير قصراً لأنه يحبس من فيه.

قوله (وقال ابن عباس حور سود الحدق) في رواية ابن المنذر من طريق عطاء عن ابن عباس: الحور سواد الحدقة.

قوله (في كل زاوية منها أهل) في رواية مسلم «أهل للمؤمن».

قوله (يطوف عليهم المؤمنون) قال الدمياطي: صوابه المؤمن بالإفراد وأجيب بجواز أن يكون من مقابلة المجموع بالمجموع.

(٥٦) سورةُ الواقعة

وقال مجاهد {رُجَّت}: زُلزِلت، {بُسَّت}: فُتَّت ولتَّت كما يُلَتُّ السويق، {المخضود}: لا شَوكَ له، {مَنْضود}: الموز، والعرُب المحبَّباتُ إلى أزواجهن، {ثُلَّة}: أمة، {يَحموم}: دخانٌ أسود، {يُصِرُّون}: يديمون، {الهيم}: الإبلُ الظماء، {لَمغرَمون}: لَملزَمون، {مَدِينين}: محاسَبين، {رَوحٌ}: جَنَّة ورخاء، {وريحانٌ}: الرزق، {ونُنشِئكم فيما لا تعلمون} أي في أيِّ خَلق نَشاء، وقال غيره {تَفكَّهون}: تعجبون، {عُرُبا} مثقلةٌ واحدها عروب -مثلُ صَبور وصُبر- يسميها أهل مكة: العَرِبة، وأهل المدينة، الغَنِجة، وأهلُ العراق: الشكلة، وقال في {خافضة}: لقوم إلى النار، و {رافعة}: إلى الجنَّة، {مَوْضونة}: منسوجة ومنه وَضِين الناقة، والكوب لا آذانَ له ولا عروة، والأباريق: ذوات الآذان والعُرَى، {مَسكوب}: جارٍ {وفُرُشٌ مرفوعة} بعضها فوق بعض، {مترَفين}: متمتِّعين، {ما تُمنُون} هي النُّطفة في أرحام النساء، {للمقوين} للمسافرين، والقِيُّ: القفر، {بمواقع النُّجوم}: بُمحكم القرآن، ويقال بَمسْقِط النجوم إذا سَقطنَ ومواقع وموقِع واحد، {مُدهِنون} مُكذِّبون مثلُ {لوتُدهِنُ فيُدهِنون}، {فسَلامٌ لك} أي مُسلم لك، إنكَ {من أصحابِ اليمين} وألغيت «أنَّ» وهو معناها، كما تقول: أنتَ مصدَّق، ومسافرٌ عن قليل إذا كان قد قال: إني مسافر عن قليل، وقد يكون كالدُّعاءِ له، كقولك فَسَقْياً منَ الرجال إن رفعتَ السلام فهو من الدُّعاء، {تُورُون} تستخرِجون، أوريتُ أوقَدتُ، {لغواً} باطلاً، {تأثيماً} كذبا.

قوله (سورة الواقعة) والمراد بالواقعة القيامة.

قوله (لمغرمون: لملزمون) وعند الفريابي من طريق مجاهد: ملقون للشر.

قوله (وقال في {خافضة} لقوم إلى النار و{رافعة} لقوم إلى الجنة} وعن محمد بن كعب: خفضت أقوماً كانوا في الدنيا مرتفعين، ورفعت أقواماً كانوا في الدنيا منخفضين.

١ ـ باب {وظِلٍّ مَمدود}

٤٨٨١ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه يَبلغُ به النبيَّ ﷺ قا : «إن في الجنة شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مائةَ عامٍ لا يَقطعها، واقرءوا إن شئتم {وظِلٍّ مدود}».

قوله (باب قوله[1]{وظل ممدود}) ذكر فيه حديث أبي هريرة «أن في الجنة شجرة» وقد تقدم شرحه في صفة الجنة من بدء الخلق[2].

(٥٧) سورةُ الحديد

قال مجاهد: {جعَلَكم مستَخلَفين}: معمَّرين فيه {منَ الظُّلمات إلى النُّور} من الضلالةِ إلى الهدَى {فيه بأسٌ شديدٌ ومَنافعُ للناس} جُنَّةٌ وسلاح {مَولاكم} أولى بكم، {لئلا يَعلمَ أهلُ الكتاب} ليعلم أهل الكتاب، يقال الظاهر على كل شيء علماً، والباطنُ على كلِّ شيءٍ علماً، أنظرونا: انتظرونا

قوله (وقال[3]مجاهد: جعلكم مستخلفين معمرين فيه) وقال الفراء {مستخلفين فيه}: يريد مملكين فيه، وهو رزقه وعطيته.

قوله (فيه بأس شديد ومنافع للناس: جُنَّة وسلاح) وجُنَّة أي ستر.

(٥٨) سورةُ المجادِلة

وقال مجاهد: {يحادُّون}: يُشاقون الله، {كبتوا} أُخزِيوا، من الخِزي، {استَحْوَذَ}: غلبَ

قوله (استحوذ غلب) أي غلبهم الشيطان.

(تنبيه): لم يذكر في تفسير الحديد حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيه حديث ابن مسعود «لم يكن بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله} إلا أربع سنين» أخرجه مسلم من طريق عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبيه عن عمه، وكذا سورة المجادلة ولم يخرج فيها حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيها حديث التي ظاهر منها زوجها، وقد أخرجه النسائي، وأورد منه البخاري طرفاً في كتاب التوحيد معلقاً.

(٥٩) سورةُ الحشر

الجلاء: الإخراج من أرضٍ إلى أرض.

١ ـ باب * ٤٨٨٢ ـ عن سعيدِ بن جُبَيرٍ قال: «قلتُ لابن عباس: سورةُ التوبة؟ قال: التوبةُ هي الفاضحة، ما زالت تَنزِل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنُّوا أنها لم تُبقِ أحداً منهم إلاّ

---

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية ودون "باب وقوله".

(٢) في رواية الباب واليونينية بدون الواو.

(٣) كتاب بدء الوحي باب / ٨ ح ٣٢٥٢ - ١ / ٢٣.

ذُكِرَ فيها، قال: قلت سورةُ الأنفال؟ قال: نَزَلت في بَدر، قال: قلت: سورةُ الحشر؟ قال: نَزلت في بني النَّضير».

٤٨٨٣ ـ عن سعيدٍ قال: «قلتُ لابن عباس رضيَ الله عنهما: سورةُ الحَشر؟ قال: قُل سورة بني النضير».

قوله (سورة الحشر؟ قال قل سورة النضير[1]) كأنه كره تسميتها بالحشر لئلا يظن أن المراد يوم القيامة، وإنما المراد به هنا إخراج بني النضير.

٢ ـ باب {ما قَطعتم من لِينَة}

نخلة، ما لم تكن عجوةً أو بَرْنية

٤٨٨٤ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما «أن رسولَ الله ﷺ حرَّق نخلَ بني النَّضير وقَطَعَ، وهي البُوَيرة، فأنزَلَ اللهُ تعالى: {ما قَطعتم من لِينَةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولها فبإذنِ الله؛ وليُخزيَ الفاسقين}».

قوله (باب قوله[2]{ما قطعتم من لينة} نخلة ما لم تكن عجوة أو برنية) وعند الترمذي من حديث ابن عباس «اللينة النخلة» في أثناء حديث، وروى سعيد بن منصور من طريق عكرمة قال: اللينة ما دون العجوة، وقال سفيان: هي شديدة الصفرة تنشق عن النوى.

٣ ـ باب قوله {ما أفاءَ اللهُ على رسوله}

٤٨٨٥ ـ عن عمرَ رضيَ الله عنه قال: «كانت أموالُ بني النَّضير مما أفاءَ اللهُ على رسولهِ ﷺ مما لم يوجِفِ المسلمونَ عليه بَخيلٍ ولا رِكاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصةً، يُنفِقُ على أهله منها نَفقةَ سَنَته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكُراع عُدَّةً في سَبيل الله».

قوله (باب قوله ما أفاء الله على رسوله) تقدم في تفسير الفيء والفرق بينه وبين الغنيمة في أواخر الجهاد.

٤ ـ باب {وما آتاكم الرسول فخذوه}

٤٨٨٦ ـ عن عبدِ الله قال: «لَعنَ اللهُ الواشِماتِ والموتشِمات والمتَنمِّصات والمتفَلِّجات للحُسن، المغيِّراتِ خَلقَ الله، فبلغَ ذلك امرأةً من بني أسدٍ يقال لها أمّ يعقوبَ، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنكَ لَعنتَ كيتَ وكيت، فقال: وماليَ لا ألعنُ من لَعنَ رسولُ الله ﷺ ومن هوَ في كتاب الله، فقالت: لقد قرأتُ ما بينَ اللوحين، فما وَجدتُ فيه ما تقول، قال: لئن كنتِ قرأتيهِ لقد وَجَدتيه، أما قرأتِ {وما آتاكم الرسولُ فُخذوه، وما نهاكم عنه

(١) رواية الباب "..... سورة بني النضير" واليونينية توافق الشرح.
(٢) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون "باب وقوله".

فانتَهوا ؟} قالت: بَلى، قال: فإنه قد نهى عنه، قالت: فإني أرى أهلكَ يَفعلونه، قال: فاذهبي فانظري، فذَهبتْ فنَظرَت فلم تَرَ من حاجَتَها شيئاً، فقال: لو كانت كذلك ما جامَعتُها».

[الحديث ٤٨٨٦ - أطرافه في: ٤٨٨٧، ٥٩٣١، ٥٩٣٩، ٥٩٤٣، ٥٩٤٨]

٤٨٨٧ ـ عن عبد الله رضيَ الله عنه قال: لَعنَ رسولُ الله ﷺ الواصلةَ، فقال: سَمعتهُ من امرأةٍ يقال: لها أمُّ يَعقوبَ عن عبدِ الله مثلَ حديث منصور».

قوله (باب وما آتاكم الرسول فخذوه) أي وما أمركم به فافعلوه، لأنه قابله بقوله {وما نهاكم عنه فانتهوا}.

قوله (عن عبد الله) هو ابن مسعود قال: «لعن الله الواشمات» سيأتي شرحه في كتاب اللباس[١].

قوله (أهلك يفعلونه) هي زينب بنت عبد الله الثقفية.

قوله (فلم تر من حاجتها شيئاً) أي من الذي ظنت أن زوج ابن مسعود تفعله، وقيل كانت المرأة رأت ذلك حقيقة وإنما ابن مسعود أنكر عليها فازالته، فلهذا لما دخلت المرأة لم تر ما كانت رأت قبل ذلك.

قوله (ما جامعتها) يحتمل أن يكون المراد بالجماع الوطء، أو الإجتماع وهو أبلغ.

واستدل بالحديث على جواز لعن من اتصف بصفة لعن رسول الله ﷺ من اتصف بها لأنه لا يطلق ذلك إلى على من يستحقه، وأما الحديث الذي أخرجه مسلم فإنه قيد فيه بقوله «ليس بأهل» أي عندك، لأنه إنما لعنه لما ظهر له من استحقاقه، وقد يكون عند الله بخلاف ذلك، فعلى الأول يحمل قوله «فاجعلها له زكاة ورحمة» وعلى الثاني فيكون لعنه زيادة في شقوته، وفيه أن المعين على المعصية يشارك فاعلها في الإثم.

٥ ـ باب {والذين تبوَّءوا الدارَ والإيمان}

٤٨٨٨ ـ عن عمرو بن مَيمون قال: «قال عمرُ رضيَ الله عنه أُوصي الخليفةَ بالمهاجرينَ الأولين، أن يعرفَ لهم حقهم، وأُوصي الخليفةَ بالأنصارِ الذين تَبَوَّءوا الدار والإيمان من قبلِ أن يُهاجرَ النبيُّ ﷺ، أن يقبلَ من محسنِهم، ويعفو عن مُسيئهم».

قوله (باب والذين تبوءوا الدار والإيمان) أي استوطنوا المدينة، وقيل نزلوا، فعلى الأول يختص بالأنصار وهو ظاهر قول عمر، وعلى الثاني يشملهم ويشمل المهاجرين السابقين، ذكر فيه طرفاً من قصة عمر عند مقتله وقد تقدم في المناقب[٢].

(١) كتاب اللباس باب / ٨٢ ح ٥٩٣١ - ٤ / ٤٠٤.
(٢) كتاب فضائل الصحابة باب / ٨ ح ٣٧٠٠ - ٣ / ١٤٩.

٦ ـ باب {ويؤثرونَ على أنفسِهم}

الآية، الخصاصة: الفاقة، المفلِحون: الفائزون بالخلود، الفَلاح: البقاء، حَيَّ على الفلاح: عَجِّلْ، وقال الحسن: حاجةً حَسَدا

٤٨٨٩ ـ عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: «أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أصابني الجَهدُ، فأرسلَ إلى نسائه فلم يجد عندهنَّ شيئاً، فقال رسولُ الله ﷺ: ألا رجلٌ يُضيفهُ الليلة يرحمهُ الله؟ فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأتهِ: ضيفُ رسول الله ﷺ لا تَدَّخريه شيئاً، فقالت: واللهِ ما عندي إلا قُوتُ الصِّبية، قال: فإذا أراد الصِّبية العَشاءَ فنوِّميهم، وتعالَيْ فأطفِئي السِّراجَ ونَطوي بُطونَنا الليلةَ، ففعلَت، ثم غدا الرجل على رسولِ الله ﷺ فقال: لقد عَجِبَ اللهُ عزَّ وجل -أو ضحِكَ- من فلانٍ وفلانةَ فأنزلَ اللهُ عز وجل {ويُؤْثِرونَ على أنفُسِهم ولو كان بهم خَصاصة}».

قوله (حي على الفلاح: عجل) هو تفسير حي، أو معنى «حي على الفلاح» أي عجل إلى الفلاح قال ابن التين: لم يذكره أحد من أهل اللغة، وإنما قالوا معناه هلم وأقبل.

قلت: وهو كما قال، لكن فيه إشعار بطلب الإعجال، فالمعنى أقبل مسرعاً.

(٦٠) سُورةُ الممتَحِنة

وقال مجاهد {لا تجعلنا فِتنةً}: لا تُعذِّبنا بأيديهم، فيقولون: لو كان هؤلاءِ على الحقِّ ما أصابهم هذا، {بِعِصَم الكوافِرِ} أُمِرَ أصحابُ النبيِّ ﷺ بفراق نسائهم، كنَّ كوافرَ بمكة.

قوله (بعصم الكوافر، أمر أصحاب النبي ﷺ بفراق نسائهم كن كوافر بمكة) وأخرجه الطبري من طريقه أيضاً ولفظه «أمر أصحاب محمد ﷺ بطلاق نسائهم كوافر بمكة قعدن مع الكفار» ولسعيد بن منصور من طريق إبراهيم النخعي قال: نزلت في المرأة من المسلمين تلحق بالمشركين فتكفر فلا يمسك زوجها بعصمتها قد بريء منها انتهى، والكوافر جمع كافرة والعصم جمع عصمة.

١ ـ باب {لا تتَّخِذوا عَدُوِّي وعدوكم أولياء}

٤٨٩٠ ـ عن الحسنِ بن محمد بن عليٍّ أنه سمع عُبيدَ الله بن أبي رافعٍ كاتِب عليٍّ يقول: سمعتُ علياً رضيَ الله عنه يقول: «بعثَني رسول الله ﷺ أنا والزُّبير والمقداد قال: انطَلِقوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ، فإنَّ بها ظَعينة معها كتابٌ فخذوهُ منها، فذهَبْنا تَعادَى بنا خيلُنا حتى أتينا الرَّوضةَ، فإذا نحنُ بالظعينةِ، فقلنا: أخرجي الكتابَ، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتُخرِجنَّ الكتابَ أو لنُلقِيَنَّ الثياب، فأخرجَتْهُ من عِقاصها، فأتينا به النبيَّ

ﷺ، فإذا فيه مِن حاطِب بن أبي بَلْتعةَ إلى أناس من المشركين ممن بمكةَ يُخبِرُهم ببعض أمرِ النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: ما هذا يا حاطِبُ؟ قال: لا تعجَلْ عليَّ يا رسولَ الله، إني كنتُ امرءاً من قُريش ولم أكن من أنفُسِهم، وكان مَن معكَ من المهاجرين لهم قَرابات يَحمُون بها أهليهم وأموالَهم بمكة، فأحبَبتُ إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطنعِ إليهم يَداً يحمون قَرابتي، وما فعلتُ ذلك كُفراً ولا ارتداداً عن دِيني، فقال النبيُّ ﷺ: إنهُ قد صدَقكم، فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عُنقَه، فقال: إنهُ شهد بدراً، وما يُدريك لعلَّ الله عزَّ وجل اطَّلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شِئتم فقد غَفَرتُ لكم»، قال عمروٌ ونزلت فيه {يا أيها الذين آمَنوا لا تتَّخِذوا عدُوِّي وعدُوَّكم أولياء، قال: لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو.

قوله (الحسن بن محمد بن علي) أي ابن أبي طالب.

قوله (كنت امرءاً من قريش) أي بالحلف، لقوله بعد ذلك «ولم أكن من أنفسهم».

قوله (فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه) إنما قال ذلك عمر مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض من ينسب إلى النفاق، وظن أن من خالف ما أمره به رسول الله ﷺ استحق القتل، لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله، وأطلق عليه منافقاً لكونه أبطن خلاف ما أظهر، وعذر حاطب ما ذكره، فإنه صنع ذلك متأولاً لأن لا ضرر فيه.

قوله (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) المراد غفران ذنوبهم في الآخرة، وإلا فلو وجب على أحدهم حد مثلاً لم يسقط في الدنيا، وقال ابن الجوزي: ليس هذا على الاستقبال، وإنما هو على الماضي، تقديره اعملوا ما شئتم أي عمل كان لكم فقد غفر، قال: لأنه لو كان للمستقبل كان جوابه فسأغفر لكم، ولو كان كذلك لكان إطلاقاً في الذنوب ولا يصح، ويبطله أن القوم خافوا من العقوبة بعد حتى كان عمر يقول: يا حذيفة، بالله هل أنا منهم؟ وتعقبه القرطبي بأن «اعملوا» صيغة أمر وهي موضوعة للاستقبال، ولم تضع العرب صيغة الأمر للماضي لا بقرينة ولا بغيرها لأنهما بمعنى الإنشاء والإبتداء، وقوله «اعملوا ما شئتم» يحمل على طلب الفعل، ولا يصح أن يكون بمعنى الماضي، ولا يمكن أن يحمل على الإيجاب فتعين للإباحة، قال: وقد ظهر لي أن هذا الخطاب خطاب إكرام وتشريف، تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة، وتأهلوا أن يغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة، ولا يلزم من وجود الصلاحية الشيء وقوعه، وقد أظهر الله صدق رسوله في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك، فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا، ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة ولازم الطريق المثلي، ويعلم ذلك من أحوالهم

بالقطع من اطلع على سيرهم انتهى.

ويحتمل أن يكون المراد بقوله «فقد غفرت لكم» أي ذنوبكم تقع مغفورة، لا أن المراد أنه لا يصدر منهم ذنب.

وقد شهد مسطح بدراً ووقع في حق عائشة كما تقدم في تفسير سورة النور، فكأن الله لكرامتهم عليه بشرهم على لسان نبيه أنهم مغفور لهم ولو وقع منهم ما وقع، وقد تقدم بعض مباحث هذه المسألة في أواخر كتاب الصيام في الكلام على ليلة القدر، ونذكر بقية شرح هذا الحديث في كتاب الديات إن شاء الله تعالى.

واستدل باستئذان عمر على قتل حاطب لمشروعية قتل الجاسوس ولو كان مسلماً وهو قول مالك ومن وافقه، ووجه الدلالة أنه ﷺ أقر عمر على إرادة القتل لولا المانع، وبين المانع هو كون حاطب شهد بدراً، وهذا منتف في غير حاطب، فلو كان الإسلام مانعاًمن قتله لما علل بأخص منه.

٢ ـ باب {إذا جاءكُم المؤمناتُ مُهاجرات}

٤٨٩١ ـ عن عروةَ أنَّ عائشةَ رضيَ الله عنها زوجَ النبيِّ ﷺ أخبَرَتْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَمتَحنُ مَن هاجرَ إليه من المؤمناتِ بهذهِ الآية بقول الله تعالى {يا أيها النبيُّ إذا جاءكَ المؤمناتُ يُبايعنَك -إلى قوله- غَفورٌ رَحيم} قال عروة: قالت عائشة: فمن أقرَّ بهذا الشَّرطِ من المؤمناتِ قال لها رسولُ الله ﷺ: قد بايعتكِ، كلاماً، ولا والله ما مَسَّت يدُه يدَ امرأةٍ قطُّ في المبايعة، ما يُبايعهنَّ إلاّ بقوله: قد بايعتكِ على ذلكِ».

قوله (باب إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) اتفقوا على نزولها بعد الحديبية، وأن سببها ما تقدم من الصلح بين قريش والمسلمين على أن من جاء من قريش إلى المسلمين يردونه إلى قريش، ثم استثنى الله من ذلك النساء بشرط الامتحان.

قوله (قد بايعتكِ، كلاماً) أي يقول ذلك كلاماً فقط، لا مصافحة باليد كما جرت العادة بمصافحة الرجال عند المبايعة.

وروى النسائي والطبري من طريق محمد بن المنكدر «أن أمية بنت رقيقة أخبرته أنها دخلت في نسوة تبايع، فقلن يا رسول الله أبسط يدك نصافحك، قال: إني لا أصافح النساء، ولكن سآخذ عليكن، فأخذ علينا حتى بلغ: ولا يعصينك في معروف، فقال: فيما طقتن واستطعتن، فقلن: الله وسروله أرحم بنا من أنفسنا» وفي رواية الطبري «ما قولي لمائة امرأة إلا كقولي لامرأة واحدة».

وفي هذا الحديث أن المحنة المذكورة في قوله «فامتحنوهن» هي أن يبايعهن بما تضمنته الآية المذكورة، وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أنه ﷺ كان «يمتحن من هاجر من النساء: بالله ما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحباً لله ورسوله».

٣ ـ باب {إذا جاءكَ المؤمناتُ يُبايعْنَكَ}

٤٨٩٢ ـ عن أمِّ عطيةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «بايعنا رسولَ الله ﷺ، فقرأ علينا {أنْ لا يُشركنَ باللهِ شيئاً}، ونهانا عن النِّياحة، فقبَضتِ امرأةٌ يدَها فقالت: أسعدَتْني فُلانةُ فأريدُ أن أجزيَها، فما قال لها النبيُّ ﷺ شيئاً، فانطَلَقتْ ورجَعت، فبايَعَها}».

٤٨٩٣ ـ عن ابن عباسٍ في قوله تعالى {ولا يَعصينَك في معروف} قال: إنما هو شرطٌ شرطَهُ اللهُ للنساء».

٤٨٩٤ ـ عن عُبادةَ بن الصامتِ رضيَ الله عنه قال: «كنا عند النبيِّ ﷺ فقال: أتُبايعوني على أن لا تُشركوا باللهِ شيئاً ولا تزنوا ولا تَسرقوا؟ وقرأ آيةَ النساءِ -وأكثرُ لفظ سفيان: قرأ الآية- فمن وَفى منكم فأجرُهُ على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو كفَّارةٌ له، ومن أصاب منها شيئاً من ذلك فستَرهُ الله فهو إلى الله: إن شاءَ عذَّبهُ، وإن شاءَ غَفَرَ له».

٤٨٩٥ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: «شهدتُ الصلاةَ يومَ الفِطرِ معَ رسولِ الله ﷺ وأبي بكرٍ وعمرَ وعثمان رضي الله عنهم، فكلُّهم يُصلِّيها قبلَ الخطبة ثمَّ يَخطُبُ بَعدُ، فنزَلَ نبيُّ ﷺ، فكأني أنظرُ إليه حينَ يُجلِّس الرِّجالَ بيدِه، ثم أقبَلَ يَشُقُّهم حتى أتى النساءَ معَ بلال فقال: {يا أيها النبيُّ إذا جاءكَ المؤمناتُ يُبايعنَكَ على أن لا يُشركنَ بالله شيئا ولا يَسرقن ولا يزنينَ ولا يقتُلن أولادهنَّ ولا يأتينَ ببُهتانٍ يَفترينَهُ بين أيْديهنَّ وأرجُلِهن} حتى فرَغَ من الآيةِ كلِّها، ثم قال حينَ فرَغ: أنتُنَّ على ذلك؟ وقالت امرأةٌ واحدة لم يجبهُ غيرها: نعم يا رسولَ الله، لا يَدري الحَسَنُ من هي، قال: فتصدَّقْنَ وبَسطَ بلالٌ ثَوبَه، فجعلن يُلقينَ الفَتَخَ والخواتيم في ثوبِ بلال».

قوله (أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها) وللنسائي في رواية أيوب «فأذهب فأسعدها ثم أجيئك فأبايعك» والاسعاد قيام المرأة مع الأخرى في النياحة تراسلها، وهو خاص بهذا المعنى، ولا يستعمل إلا في البكاء والمساعدة عليه.

قوله (فانطلقتْ ورجعتْ، فبايعها) وفي رواية النسائي «قال فاذهبي فأسعديها، قالت: فذهبت فساعدتُها ثم جئت فبايعت».

قال النووي: واستشكل القاضي عياض وغيره هذا الحديث وقالوا فيه أقولاً عجيبة، ومقصودي التحذير من الاغترار بها، فإن بعض المالكية قال: النياحة ليست بحرام، لهذا الحديث، وإنما المحرم ما كان معه شيء من أفعال الجاهلية من شق جيب وخمش خد ونحو ذلك، قال: والصواب ما ذكرناه أولا وأن النياحة حرام مطلقاً وهو مذهب العلماء كافة انتهى.

وقد تقدم في الجنائز النقل عن غير هذا المالكي أيضاً أن النياحة ليست بحرام، وهو شاذ مردود، وقد أبداه القرطبي احتمالاً ورده بالاحاديث الواردة في الوعيد على النياحة، وهو دال على شدة التحريم، لكن لا يمتنع أن يكون النهي أولا ورد بكراهة التنزيه، ثم لما تمت مبايعة النساء وقع التحريم فيكون الإذن لمن ذكر وقع في الحالة الأولى لبيان الجواز ثم وقع التحريم فورد حينئذ الوعيد الشديد.

قوله (في قوله {ولا يعصينك في معروف} قال: إنما هو شرط شرطه الله للنساء) أي على النساء. فإن اشترطن ذلك على أنفسهن فبايعن.

واختلف في الشرط فالأكثر على أنه النياحة كما سبق، وقد تقدم عند مسلم ما يدل لذلك، وأخرج الطبري من طريق زهير بن محمد قال في قوله {ولا يعصينك في معروف}: لا يخلوا الرجل بامرأة، وقد جمع بينهما قتادة.

(٦١) سُورةُ الصَّفْ بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهدٌ: {مَنْ أنصاري إلى الله} مَن يَتبَعُني إلى الله

وقال ابن عباس {مَرصوص}: مُلصَقٌ بعضهُ إلى بعض، وقال يحيى: بالرُّصاص

١ - باب {يأتي من بعدي اسمه أحمد}

٤٨٩٦ - عن محمد بن جُبير بن مُطعم عن أبيه رضيَ الله عنه قال: سمعتُ رسول اللهُ ﷺ يقول: إنَّ لي أسماءَ، أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو اللهُ بي الكفرَ، وأنا الحاشرُ الذي يُحشَرُ الناسُ على قَدَمي، وأنا العاقب».

قوله (سورة الصف - بسم الله الرحمن الرحيم) ويقال لها أيضاً سورة الحواريين.

وأخرج الطبري من طريق معمر عن قتادة أن الحواريين من أصحاب النبي ﷺ كلهم من قريش، فسمي العشرة المشهورين إلا سعيد بن زيد وحده وحمزة وجعفر بن أبي طالب وعثمان ابن مظعون.

قوله (وقال ابن عباس مرصوص ملصق بعضه إلى بعض) وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله {كأنهم بنيان مرصوص}: مثبت لا يزول ملصق بعضه ببعض فعلى تفسير ابن عباس هو من التراص أي التضام مثل تراص الإسنان أو من الملاتم الأجزاء المستوى.

قوله (وقال يحيى بالرصاص) وجزم أبو ذر بأنه الفراء وهو كلامه في «معاني القرآن» ولفظه في قوله {كأنهم بنيان مرصوص}: يريد بالرصاص حثهم على القتال.

٦٢- سورةُ الجُمُعَة، بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ باب قوله {وآخَرِين منهم لـمّا يَلْحَقوا بهم}

وقرأ عمرُ «فامضوا إلى ذِكْرِ الله»

٤٨٩٧ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «كنّا جلوساً عندَ النبيِّ ﷺ، فأنزلت عليه سورةُ الجمعة {وآخَرينَ منهم لـمّاً يَلحقوا بهم} قال قلت: مَن هم يا رسولَ الله؟ فلم يُراجعْهُ حتى سألَ ثلاثاً -وفينا سَلمانُ الفارسيُّ، وَضعَ رسولُ الله ﷺ يدَهُ على سلمانَ- ثمَّ قال: لو كان الإيمانُ عند الثُّريّا لنالهُ رجالٌ -أو رجلٌ- من هؤلاء».

[الحديث ٤٨٩٧ - طرفه في: ٤٨٩٨]

٤٨٩٨ ـ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ «لنا لَهُ رجالٌ من هؤلاء».

قوله (وقرأ عمر: فامضوا إلى ذكر الله) وقال أبو عبيدة: معنى فاسعوا أجيبوا وليس من العدو.

٢ ـ باب {وإذا رأوا تِجارةً أو لهواً}

٤٨٩٩ ـ عن جابر بن عبد الله رضيَ الله عنهما قال: «أقبَلَت عِيرٌ يومَ الجمعةِ -ونحنُ معَ النبيِّ ﷺ- فثارَ الناسُ إلاّ اثنا عشرَ رجلاً، فأنزَلَ اللهُ {وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفَضُّوا إليها}

قوله (أقبلت عير) تقدم الكلام عليها في كتاب الجمعة[1] مع بقية شرح هذا الحديث ولله الحمد.

(٦٣) سورةُ المنافقين، بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ باب قوله {إذا جاءكَ المنافقونَ قالوا نشهد إنكَ لرسولُ الله -إلى- لكاذبون}

٤٩٠٠ ـ عن زيدِ بن أرقم قال: «كنتُ في غَزاةٍ فسمعت عبدَ الله بنَ أُبيٍّ يقول: لا تُنفِقوا على مَن عندَ رسولِ الله حتى ينفَضُّوا من حَوله، ولئن رجعنا من عنده ليُخرجنَّ الأعزُّ

(١) كتاب الجمعة باب / ٣٨ ح ٩٣٦ - ١ / ٤٨٨.

منها الأذلَّ، فذكرتُ ذلك لعمِّي -أو لعمرَ- فذكرَه للنبيِّ ﷺ، فدَعاني فحدَّثته، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى عبدِ الله بن أبيّ وأصحابه فحَلفوا ما قالوا، فكذَّبني رسولُ الله ﷺ وصَدَّقَه، فأصابَني همٌّ لم يُصبني مثلُهُ قطُّ، فجلستُ في البيت، فقال لي عمِّي: ما أردتَ إلى أن كذَّبك رسولُ الله ﷺ ومَقتَك، فأنزلَ الله تعالى {إذا جاءكَ المنافقونَ} فبعث إليَّ النبيُّ ﷺ فقرأ فقال: إنَّ الله قد صدَّقكَ يا زيد».

[الحديث ٤٩٠٠ - أطرافه في: ٤٩٠١، ٤٩٠٢، ٤٩٠٣، ٤٩٠٤]

قوله (يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله) هو كلام عبد الله بن أبيّ، ولم يقصد الراوي بسياقه التلاوة.

قوله (فذكرت ذلك لعمي -أو لعمر-) كذا بالشك، وفي سائر الروايات الآتية لعمي بلا شك، ووقع عند الطبراني وابن مردويه أن المراد بعمه سعد بن عبادة وليس عمه حقيقة وإنما هو سيد قومه الخزرج، وعم زيد بن أرقم الحقيقي ثابت بن قيس له صحبة، وعمه زوج أمه عبد الله بن رواحة خزرجي أيضاً.

قوله (فكذَّبني) وفي رواية ابن أبي ليلى عن زيد عند النسائي «فجعل الناس يقولون: أتى زيدٌ رسولَ الله بالكذب».

وفي الحديث من الفوائد ترك مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات لئلا ينفر أتباعهم والاقتصار على معاتباتهم وقبول أعذارهم وتصديق أيمانهم وإن كانت القرائن ترشد إلى خلاف ذلك، لما في ذلك من التأنيس والتأليف، وفيه جواز تبليغ ما لا يجوز للمقول فيه، ولا يعد نميمة مذمومة إلا إن قصد بذلك الإفساد المطلق، وأما إذا كانت فيه مصلحة ترجح على المفسدة فلا.

٢ ـ باب {اتَّخَذوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً يجتَنُّونَ بها}

٤٩٠١ ـ عن زَيد بن أرْقمَ رضي الله عنه قال: «كنتُ مع عَمي، فسمعتُ عبدَ الله بن أُبَيٍّ ابنَ سَلولَ يقول: لا تُنفقوا عَلَى من عندَ رسولِ الله حتى ينفَضُّوا، وقال أيضاً: لئن رجَعنا إلى المدينةِ ليُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ، فذكرتُ ذلك لعمي، فذكر عمي لرسولِ الله ﷺ، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيّ وأصحابه فحلّفوا ما قالوا، فصدّقهم رسولُ الله ﷺ وكذّبني، فأصابني همٌّ لم يُصبْني مثله، فجلَسْتُ في بيتي، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: {إذا جاءكَ المنافِقون -إلى قوله- هم الَّذين يقولون لا تُنفِقُوا على مَن عندَ رسولِ الله -إلى

قوله- ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ} فأرسلَ إليَّ رسولُ اللهِ فقرأها عَلَيَّ، ثم قال: إنَّ الله قد صَدَّقَكَ».

تقدم شرحه في الذي قبله مستوفى.

٣ ـ باب قوله {ذلك بأنَّهم آمنوا ثمَّ كفروا، فَطُبِعَ على قلوبهم فهم لا يَفقهون}

٤٩٠٢ ـ عن زيدَ بن أرقمَ رضيَ الله عنه قال: «لما قال عبدُ الله بن أبيٍّ: لا تُنفِقوا على مَن عندِ رسولِ الله، وقال أيضاً: لئن رجعنا إلى المدينة، أخْبرتُ به النبيَّ ﷺ فلامَني الأنصارُ، وحَلَفَ عبدُ الله بنُ أبيٍّ ما قال ذلك، فرجَعْتُ إلى المنزلِ فنِمْتُ، فدعاني رسولُ الله ﷺ فأتَيتُه، فقال: إنَّ اللهَ قد صدَّقك، ونزلَ {همُ الذين يقولون لا تُنفِقوا} الآية».

باب {وإذا رأيتَهمْ تُعجِبُكَ أجسامُهم، وإنْ يَقولوا تَسمعْ لقولهم كأنَّهم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحسَبون كلَّ صَيحة عليهم، همُ العدُوُّ فاحذَرْهم، قاتَلَهُمُ الله أنَّى يؤْفَكُون}

٤٩٠٣ ـ عن زيد بن أرقم قال: «خرجنا مع النبيِّ ﷺ في سَفَرٍ أصابَ الناسَ فيه شدَّةٌ، فقال عبدُ الله بن أبيٍّ لأصحابه: لا تنفقوا على من عندَ رسولَ الله حتى ينفَضُّوا من حولِهِ، وقال: لئن رَجعْنا إلى المدينة ليُخرِجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتهُ؛ فأرسل إلى عبدِ الله بن أبيٍّ فسألَه، فاجتهدَ يمينَه ما فعل، قالوا: كَذَبَ زيدٌ رسولَ الله ﷺ، فوَقع في نفسي ممَّا قالوا شدَّةٌ، حتى أنزلَ الله عز وجل تصديقي في: {إذا جاءَكَ المنافقون}، فدَعاهم النبيُّ ﷺ لِيستغفِرَ لهم فلَوَّوا رُءوسَهُم، وقولهُ {خُشُبٌ مُسَنَّدَة} قال: كانوا رجالاً أجْمَلَ شيءٍ».

٤ ـ باب قوله {وإذا قيلَ لهم تعالَوا يَستغْفِرْ لَكم رسولُ الله لوَّوْا رءوسَهُم ورأيتَهم يَصُدُّونَ وهم مُستكْبِرون}

حرَّكوا: استهزَءوا بالنبيِّ ﷺ، ويُقرأ بالتخفيف مِن لوَيْتُ.

٤٩٠٤ ـ عن زَيدِ بن أرقَم قال: «كنتُ مع عمي فسمعتُ عبدَ الله بن أبيِّ بن سَلول يقول: لا تُنفقوا عَلَى من عندَ رسولِ الله حتى ينفَضُّوا، ولئن رجعنا إلي المدينةِ ليُخرِجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فذكرتُ ذلك لِعمِّي، فذكره عَمِّي للنبيِّ ﷺ وصدقهم، فدَعاني، فحدثتهُ، فأرسل إلى عبد الله بن أبيّ وأصحابه فحلَفوا ما قالوا، وكذَّبني النبيُّ ﷺ، فأصابني غمٌّ لم يُصبْني مِثلهُ قطُّ، فجلست في بَيْتي، وقال عمّي: ما أردتَ إلى أنْ كذَّبك النبيُّ ﷺ

ومَقتك؟ فأنزَلَ الله تعالى: {إذا جاءك المنافقون قالوا نشهَدُ إنكَ لَرَسولُ الله}، وأرسلَ إليَّ النبيُّ ﷺ فقرأها وقال: إنَّ اللهَ قد صَدَّقك».

قوله (باب قوله وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم -إلى قوله- مستكبرون) في مرسل سعيد بن جبير «وجاء عبد الله بن أبيّ فجعل يعتذر، فقال له النبي ﷺ: تب فجعل يلوي رأسه فنزلت».

٥ ـ باب قوله {سَواءٌ عليهم أستغْفَرتَ لهم أمْ لم تستغْفِرْ لهم، لَنْ يَغفِرَ اللهُ لهم، إنَّ الله لا يَهدِي القومَ الفاسِقِين}

٤٩٠٥ ـ عن جابرِ بن عبدِ الله رضيَ اللهُ عنهما قال: «كنّا في غَزاةٍ -قال سفيان مَرة في جيش- فكَسَعَ رجلٌ مِن المهاجرينَ رجلاً منَ الأنصار، فقال الأنصاريُّ: يالَلأنصار، وقال المهاجريُّ: يا لَلمهاجرين، فسمع ذاك رسولُ الله ﷺ فقال: ما بالُ دعوى جاهلية؟ قالوا: يا رسولَ الله كَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دَعُوهَا فإنها مُنْتِنَةٌ، فسمع بذلك عبدُ الله بن أبيّ فقال: فعَلوها؟ أما والله لئن رَجَعْنا إلى المدينة ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذل، فبلغ النبيَّ ﷺ فقامَ عُمرُ فقال: يا رسولَ الله دَعني أضربْ عُنقَ هذا المنافق، فقال النبيُّ ﷺ: دَعْهُ، لا يتحدَّثُ الناسُ أنَّ محمداً يقتلُ أصحابَهُ وكانت الأنصار أكثرَ من المهاجرينَ حينَ قَدموا المدينة، ثم إنَّ المهاجرين كثرُوا بَعْدُ».

قوله (باب قوله سواء عليهم أستغفرت لهم الآية) وأخرج الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس قال «أنزلت هذه الآية بعد التي في التوبة: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، أن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم».

قوله (فكسع رجل) الكسع يأتي تفسيره بعد باب، والمشهور فيه أنه ضرب الدبر باليد أو بالرجل، ووقع عند الطبري من وجه آخر عن عمرو بن دينار عن جابر «أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار برجله» وذلك عند أهل اليمن شديد.

قوله (يا للانصار) وهي للاستغاثة أي أغيثوني، وكذا قول الآخر ياللمهاجرين.

قوله (دعوها فإنها منتنة) أي دعوة الجاهلية.

قوله (فعلوها؟) هو استفهام بحذف الاداة أي أفعلوها؟ أي الاثرة، أي شركناهم فيما نحن فيه فأرادوا الاستبداد به علينا، وفي مرسل قتادة «فقال رجل منهم عظيم النفاق: ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك».

قوله (دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) أي أتباعه.

٦ ـ باب قوله {همُ الذينَ يقولون لا تُنْفقوا على مَن عندَ رسولِ الله حتى يَنْفَضّوا}

ينفضوا: يَتَفَرقوا

باب {ولله خَزائنُ السماوات والأرض ولكنَّ المنافقينَ لا يَفْقهون}

٤٩٠٦ ـ عن أنس بن مالكٍ قال: «حَزِنْتُ على مَن أصيبَ بالحَرَّة، فكتب إليَّ زيدُ بن أرقَم -وبلَغَه شدَّةُ حُزْني- يذكرُ أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: اللّهُمّ اغفِر للأنصار ولابناء الأنصار، وشك ابنُ الفَضْل في أبناءِ أبناءِ الأنصار، فسألَ أنساً بعضُ مَن كان عندَه فقال: هو الذي يقولُ رسولُ الله ﷺ، هذا الذي أوْفَى اللهُ له بأذُنِه».

قوله (حَزِنْتُ على من أصيب بالحرة) وكانت وقعة الحرة في سنة ثلاث وستين، وسببها أن أهل المدنية خلعوا بيعة يزيد بن معاوية لما بلغهم ما يتعمده من الفساد(١)فأمر الأنصار عليهم عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر وأمر المهاجرون عليهم عبد الله بن مطيع العدوي، وأرسل إليهم يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المري في جيش كثير فهزمهم واستباحوا المدينة وقتلوا ابن حنظلة وقتل من الأنصار شيء كثير جدا، وكان أنس يومئذ بالبصرة فبلغه ذلك فحزن على من أصيب من الأنصار، فكتب إليه زيد بن أرقم وكان يومئذ بالكوفة يسليه، ومحصل ذلك أن الذي يصير إلى مغفرة الله لا يشتد الحزن عليه، فكان ذلك تعزية لأنس فيهم.

قوله (أو فى الله له بأذنه) أي بسمعه، والمعنى أو فى صدقه.

وقد تقدم في الكلام على حديث جابر أن في مرسل الحسن «أن النبي ﷺ، أخذ بأذنه فقال: وفى الله بإذنك يا غلام».

(تكميل): وقع في رواية الإسماعيلي في آخر هذا الحديث من رواية محمد بن فليح عن موسى بن عقبة «قال ابن شهاب سمع زيد بن أرقم رجلاً من المنافقين يقول والنبي ﷺ يخطب: لئن كان هذا صادقاً لنحن شر من الحمير، فقال زيد: قد والله صدق، ولأنت شر من الحمار، ورفع ذلك إلى النبي ﷺ فجحده القائل، فأنزل الله على رسوله {يحلفون بالله ما قالوا} الآية، فكان مما أنزل الله في هذه الآية تصديقاً لزيد انتهى، وهذا مرسل جيد.

---

(١) بلغهم ذلك من الدعاة الذين بثهم عبد الله بن مطيع داعية عبد الله بن الزبير، وهذه الدعايات كانت مغرضة ولا جل المزاحمة على الملك، كما صارحهم بذلك عبد الله بن عمر ومحمد بن علي بن أبي طالب وزين العابدين علي بن الحسين، ونصحوهم بالكف عن ذلك لما يترتب عليه من سوء العواقب، وأخبروهم أن ذلك مخالف لآداب الإسلام وسننه. (الشيخ محب الدين الخطيب).

٧ ـ باب {يقولون لئنْ رجَعْنا إلى المدينَة ليُخرجنَّ الأعز منها الأذلَّ، ولله العزَّةُ ولرسوله وللمؤمنين، ولكنَّ المنافقين لا يعلَمون}

٤٩٠٧ ـ عن جابرِ بن عبد اللهِ رضيَ الله عنهما قال: «كنا في غَزاةٍ فكَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رجلاً منَ الأنصار، فقال الأنصاريُّ: ياللأنصار، وقال المهاجريُّ: يا للمهاجرين، فسمَّعَها اللهُ رسولَهُ ﷺ، قال: ما هذا؟ فقالوا كَسَعَ رجلٌ منَ المهاجرين رجلاً منَ الأنصار، فقال الأنصاريُّ: يا لَلأنصار، وقال المهاجريُّ: يا لَلمهاجرين، فقال النبيُّ ﷺ: دَعوها فإنها مُنْتِنة، قال جابرٌ: وكانتِ الأنصارُ حينَ قَدِمَ النبيُّ ﷺ أكثرَ ثم كثر المهاجرونَ بعدُ، فقال: عبد اللهِ بنُ أبيٍّ: أوقد فَعَلوا؟ واللهِ لئن رَجَعنا إلى المدينةِ ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلَّ، فقال عمرُ ابن الخطاب رضيَ الله عنه: دَعني يا رسولَ الله أَضرِبْ عُنُقَ هذا المنافقِ، قال النبيُّ ﷺ، دعه، لا يَتحدَّثُ الناسُ أنَّ محمداً يَقتُلُ أصحابَهُ».

قوله (باب يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل الآية) وقد تقدم شرحه قبل بباب.

«وقال غير عمرو: فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبيّ: والله لا ينقلب أبي إلى المدينة حتى تقول إنك أنت الذليل ورسول الله ﷺ العزيز، ففعل» وهذه الزيادة أخرجها ابن إسحاق في المغازي عن شيوخه، وذكرها أيضاً الطبري من طريق عكرمة.

(٦٤) سورةُ التَّغابُن، بسم الله الرحمن الرحيم

وقال عَلقمةُ عن عبدِ الله {ومَنْ يُؤمنْ باللهِ يَهدِ قَلبَه}: هو الذي إذا أصابَتْهُ مصيبةٌ رضيَ بها وعرَفَ أنها منَ الله.

وقال مجاهد: التغابن غبن أهل الجنة أهل النار، إن ارتبتم: إن لم تعلموا أتحيض، أم لا تحيض، فاللائي قعدن عن المحيض واللائي لم يحضن بعد فعدتهن ثلاثة أشهر.

قوله (وقال علقمة عن عبد الله: ومن يؤمن بالله يهد قلبه الخ) أي يهتدي إلى التسليم فيصبر ويشكر.

«عن علقمة قال: شهدنا عنده -يعني عند عبد الله- عرض المصاحف، فأتى على هذه الآية {ومن يؤمن بالله يهد قلبه} قال: هي المصيبات تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم ويرضي» وعند الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المعنى يهدي قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قوله (وقال مجاهد: التغابن غبن أهل الجنة أهل النار) وللطبري من طريق شعبة عن قتادة: يوم التغابن يوم غبن أهل الجنة أهل النار، أي لكون أهل الجنة بايعوا على الإسلام بالجنة فربحوا وأهل النار امتنعوا من الإسلام فخسروا، فشبهوا بالمتبايعين يغبن أحدهما الآخر في بيعه، ويؤيد ذلك ما سيأتي في الرقاق من طريق الأعرج عن أبي هريرة رفعه «لا

يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا، ولا يدخل أحد النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة».

(٦١) سُورةَ الطلاق

وقال مجاهدٌ: {وبالَ أمرها} جَزاءَ أمرها

١ - باب * ٤٩٠٨ - عن ابن شِهابٍ قال: أخبَرَني سالم «أنّ عبدَ الله بن عُمرَ رضيَ الله عنهما أخبرَه أن طلّق امرأته وهي حائض، فذكرَ عمرُ لرسولِ الله ﷺ، فتغَيَّظ فيه رسولُ الله ﷺ ثم قال: لِيُراجعْها، ثم يمسكْها حتى تَطهُر، ثم تحيض فتطهُر، فإن بدا له أن يُطلّقها فليطلّقْها طاهراً قبل أن يَمسَّها، فتلكَ العدّةُ كما أمرَهُ الله».

[الحديث ٤٩٠٨ - أطرافه في: ٥٢٥١، ٥٢٥٢، ٥٢٥٣، ٥٢٥٨، ٥٢٦٤، ٥٣٣٢، ٥٣٣٣، ٧١٦٠]

قوله (أنه طلق امرأته) وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب الطلاق[1] إن شاء الله تعالى.

٢ - باب {وأُولاتُ الأحمال أجلُهُنَّ أن يَضَعْن حَمْلَهُنَّ، ومن يَتَّقِ اللهَ يَجعَلْ له من أمره يُسْرا}

٤٩٠٩ - عن أبي سَلَمَة قال: «جاءَ رجُل إلى ابن عبّاس وأبو هُريرةَ جالسٌ عنده فقال: أفتني في امرأةٍ وَلَدت بعدَ زوجها بأربعين ليلة، فقال ابن عبّاس: آخر الأجلين، قُلت أنا {وأُولاتُ الأحمال أجلُهُنَّ أن يَضَعْن حَمْلَهُنَّ} قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي، يعني أبا سَلَمَةَ، فأرسل ابنُ عبّاس غُلامَه كُرَيْباً إلى أ‌ يَسألُها، فقالت: قُتل زَوْجُ سُبَيعَةَ الأسْلَمية وهي حُبْلى، فوضَعَتْ بعد مَوته بأربعين ليلةً، فُخطبت فأنكَحَها رسولُ الله ﷺ، وكان أبو السَّنابل فيمَن خَطَبَها».

[الحديث ٤٩٠٩ - طرفه في: ٥٣١٨]

٤٩١٠ - عن محمَّدٍ قال: «كنتُ في حلقة فيها عبد الرحمن بنُ أبي ليلى وكان أصحابهُ يُعظّمونَه، فذكَرَ آخرَ الأجَلَيْن، فحدَّثْتُ بحديثِ سبيعة بنتِ الحارث عن عبدِ الله بن عُتبة قال فضمَزَ لي بعض أصحابه، قال محمد ففطنت له فقلت: إني إذاً لجريء إن كذبت على عبد الله ابن عتبه وهُوَ في ناحيةِ الكوفَة، فاسْتَحيَا وقال: لكنَّ عمَّهُ لم يقلْ ذاك، فلقيتُ أبا عطِية مالكَ بن عامرٍ فسألْتُهُ فذهَبَ يحدّثني حديثَ سُبيْعة، فقلتُ هلْ سمعتَ عن عبد الله فيها شيئاً؟ فقال: كنّا عند عبد الله، فقال: أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرُّخصَةَ؟ لَنزَلَتْ سورةُ النساءِ القصرى بعدَ الطُّولى {وأُولاتُ الأحمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يضعنَ حملَهُنَّ}».

---

(١) كتاب الطلاق باب/ ١ح ٥٢٥١ - ٤/ ١٣٠.

(ب) كتاب الطلاق باب/٢ح ٥٢٥٢ - ٤/ ١٣٢.

قوله (وأولات[١] واحدها ذات حمل) هو قول أبي عبيدة.

قوله (آخر الأجلين) أي يتربصن أربعة أشهر وعشرا ولو وضعت قبل ذلك، فإن مضت ولم تضع تتربص إلى أن تضع، وقد قال بقول ابن عباس هذا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ونقل عن سحنون أيضاً، ووقع عند الإسماعيلي قيل لابن عباس في امرأة وضعت بعد وفاة زوجها بعشرين ليلة أيصلح أن تتزوج؟ قال: لا، إلى آخر الأجلين، قال أبو سلمة: فقلت قال الله {وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن} قال إنما ذاك في الطلاق، وهذا السياق أوضح لمقصود الترجمة، لكن البخاري على عادته في إيثار الأخفي على الأجلي، وقد أخرج الطبري وابن أبي حاتم بطرق متعددة إلى أبيّ بن كعب أنه «قال للنبي ﷺ {وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن} المطلقة ثلاثًا أو المتوفى عنها زوجها؟ قال: هي للمطلقة ثلاثاً أو المتوفى عنها» وهذا المرفوع وإن كان لا يخلو شيء من أسانيده عن مقال لكن كثرة طرقه تشعر بأن له أصلا، ويعضده قصة سبيعة المذكورة.

قوله (قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي، يعني أبا سلمة) أي وافقه فيما قال.

قوله (فذكروا له[٢] و فذكر آخر الاجلين) أي ذكروا له الحامل تضع بعد وفاة زوجها.

قوله (فضمز) ومعناه أشار إليه أن اسكت، ضمز الرجل إذا عض على شفتيه.

قوله (إني إذا لجريء) إني لحريص على الكذب.

قوله (إن كذبت على عبد الله بن عتبة وهو في ناحية الكوفة) هذا يشعر بأن هذه القصة وقعت له وعبد الله بن عتبة حي.

قوله (فاستحيا) أي مما وقع منه.

قوله (لكن عمه) يعني عبد الله بن مسعود (لم يقل ذاك) كذا نقل عبد الرحمن بن أبي ليلى عنه، والمشهور عن ابن مسعود أنه كان يقول خلاف ما نقله ابن أبي ليلى، فلعله كان يقول ذلك ثم رجع، أو وهم الناقل عنه.

قوله (فقال: أتجعلون عليها) في رواية أبي نعيم من طريق الحارث بن عمير عن أيوب «فقال أبو عطية ذكر ذلك عند ابن مسعود فقال: أرأيتم لو مضت أربعة أشهر وعشر ولم تضع حملها كانت قد حلت؟ قالوا: لا، قال: فتجعلون عليها التغليظ» الحديث.

قوله (سورة النساء القصرى بعد الطولى)أي سورة الطلاق بعد سورة البقرة، والمراد بعض كل، فمن البقرة قوله {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا} ومن الطلاق قوله {وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن} ومراد ابن مسعود إن كان هناك نسخ فالمتأخر هو الناسخ، وإلا فالتحقيق أن لا نسخ هناك بل عموم آية البقرة

---

(١) رواية الباب واليونينية "وأولات الأحمال واحدها ذات حمل".

(٢) رواية الباب واليونينية بدون "فذكروا له".

مخصوص بآية الطلاق، وقد أخرج أبو داود وابن أبي حاتم من طريق مسروق قال: بلغ ابن مسعود أن علياً يقول تعتد آخر الأجلين، فقال: من شاء لاعنته أن التي في النساء القصرى أنزلت بعد سورة البقرة، ثم قرأ {وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن} وعرف بهذا مراده بسورة النساء القصرى، وفيه جواز وصف السورة بذلك.

(٦٦) سُورةُ التحريم، بسم الله الرحمن الرحيم

١ - باب {يا أيها النبيُّ لِمَ تُحرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغي مرضاةَ أزواجِكَ واللهُ غفورٌ رَحيم}

٤٩١١ - عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: في الحرام يُكَفِّرُ، وقال ابن عباسٍ: {لقد كان لكم في رسولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَة}».

[الحديث ٤٩١١ - طرفه في: [٦٦٢٥]

٤٩١٢ - عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: «كان رسولُ الله ﷺ يشربُ عَسَلاً عند زينبَ ابنة جَحْش ويمكُثُ عندها فواطأتُ أنا وحفصةُ عن أيَّتُنا دخلَ عليها فلتقلْ له أكلتَ مَغافير؟ إني أجدُ منكَ ريحَ مغافير، قال: لا، ولكنّي كنتُ أشربُ عَسَلاً عندَ زينبَ ابنةِ جحْش فلن أعودَ له، وقد حلفتُ لا تُخبري بذلك أحداً».

[الحديث ٤٩١٢ - أطرافه في: ٥٢١٦، ٥٢٦٧، ٥٢٦٨، ٥٤٣١، ٥٥٩٩، ٥٦١٤، ٥٦٨٢، ٦٦٩١، ٦٩٧٢]

(في الحرام يُكَفِّرُ) أي إذا قال لامرأته أنت علي حرام لا تطلق وعليه كفارة يمين، وسيأتي البحث في ذلك في كتاب الطلاق(١).

والغرض من حديث ابن عباس قوله فيه {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} فإن فيه إشارة إلى سبب نزول أول هذه السورة، وإلى قوله فيها {قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم}

٢ - باب {تبْتغي مَرضاةَ أزواجِكَ قد فَرضَ اللهُ لكم تَحلّةَ أيمانكم}

٤٩١٣ - عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما أنه قال: «مكثْتُ سنةً أريدُ أن أسأل عُمرَ بن الخطاب عن آيةٍ فما أستطيع أن أسأله هيبةً له، حتى خرج حاجًا فخرجتُ معه، فلما رجعتُ وكنّا ببعضِ الطريق، عدَل إلى الأراكِ لحاجَةٍ لهُ قال: فوقَفتُ له حتى فَرَغ، ثم سِرْتُ معه فقلت له: يا أميرَ المؤمنينَ من اللتانِ تظاهرتا عَلَى النبيِّ ﷺ مِن أزواجه، فقال: تلك حفصةُ وعائشةُ، قال فقلتُ: والله إنْ كنتُ لأريدُ أن أسألك عن هذا مُنذ سَنَةٍ فما أستطيعُ هيبةً لكَ، قال: فلا تفعلْ، ما ظَنَنْتَ أن عندي من علم فاسألني، فإن كان لي علمٌ خبَّرتُكَ به، قال: ثم قال عُمَرُ: والله إنْ كنّا في الجاهليةِ ما نَعُدُّ للنساءِ أمراً، حتى أنزلَ الله فيهن ما أنزلَ وقَسَمَ لهنَّ ما قَسَم، قال: فبيْنا أنا في أمرٍ أتأمَّرُهُ إذ قالتِ امرأتي: لو صنعْتَ كذا

---

(١) كتاب الطلاق باب/ ٨ح ٥٤٦٦ - ٤/١٤١.

وكذا، قال فقلت لها: ما لك ولما ها هُنا، فيما تَكلُّفكِ في أمر أريدُهُ؟ فقالت لي عَجَباً لكَ يا ابن الخطاب، ما تريد أنْ تراجَعَ أنت، وأن ابنتَكَ لتراجعُ رسولَ الله ﷺ حتى يظلَّ يومَهُ غضبان، فقام عُمرُ فأخذَ رِداءَهُ مكانهُ حتى دخلَ على حفصةَ، فقال لها: يا بُنية إنكِ لَتراجعين رسولَ الله ﷺ حتى يظلَّ يومَه غَضبانَ؟ فقالت حفصة: والله إنّا لنراجعه. فقلتُ: تَعلمين أنّي أحذِّرك عُقوبةَ الله: وَغضَبَ رسولهِ ﷺ، يا بُنيةُ لا يَغرَّنكِ هذه التي أعْجَبها حُسنُها حبُّ رسولِ الله ﷺ إياها -يريدُ عائشةَ- قال: ثم خرجتُ حتى دَخلتُ على أمِّ سلمةَ لِقرابَتي منها فكلمتها، فقالت أمُّ سلمةَ: عَجَباً لكَ يا ابن الخطاب، دخلتَ في كل شيء حتى تبتغي أن تدْخلَ بين رسولِ الله ﷺ وأزواجه، فأخذتني والله أخذاً كَسَرتني عن بعضِ ما كُنت أجِد فخرجتُ من عندها، وكان لي صاحبٌ من الأنصار إذا غِبتُ أتاني بالخَبَر، وإذا غَاب كنُت أنا آتيه بالخَبَر، ونحن نتَخوَّف مَلِكاً من مُلوكِ غسّانَ ذُكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأتْ صدورُنا منه، فإذا صاحبي الأنصاريُّ يدُقُّ البابَ، فقالَ افتحْ افتحْ، فقلت: جاء الغسّانيُّ؟ فقال: بل أشدُّ من ذلك، اعتزَلَ رسولُ الله ﷺ أزواجَهُ، فقلتُ رَغِمَ أنفُ حفصةَ وعائشة، فأخذتُ ثوبيَ فأخرُجُ حتى جئتُ، فإذا رسولُ الله ﷺ في مشرُبةٍ له يُرْقَى عليها بعَجَلةٍ، وغلامٌ لرسولِ الله ﷺ أسودُ على رأسِ الدَّرَجة، فَقلتُ له: قلْ هذا عُمربنُ الخطاب، فأذِنَ لِي، قال عُمر: فَقَصَصْتُ على رسولِ الله ﷺ هذا الحديث، فلما بلغتُ حديثَ أمِّ سَلَمة تَبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ وإنه لَعلى حصير ما بينه وبينه شيءٌ، وتحت رأسه وسادةٌ من أدَمٍ حَشْوُها ليف، وإنَّ عندَ رجليه قَرَظاً مصبُوراً، وعند رأسه أَهَبٌ مُعلقَةٌ، فرأيتُ أثرَ الحصير في جَنبِهِ فبَكَيْتُ، فقال: ما يُبْكيكَ؟ فقلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ كِسْرى وقَيصرَ فيما هما فيه، وأنت رسولُ اللهِ، فقال: أما ترضى أن تكون لهمُ الدنيا ولنا الآخرة؟».

٣ - باب {وإذا أسَرَّ النبيُّ إلى بعضِ أزواجه حديثاً فلما نَبَّأتْ به وأظْهَرَهُ الله عليه عرَّفَ بعضَهُ وأعْرَضَ عن بعضٍ

فلما نبأها به قالت مَن أنبأك هذا؟ قال: نَبأني العليمُ الخبيرُ}

فيه عائشة عنِ النبيِّ ﷺ.

٤١٩٤ - عن ابن عبّاس رضيَ الله عنهما قال: «أردتُ أن أسألَ عمرَ رضيَ الله عنه فقلتُ: يا أمير المؤمنين، مَنِ المرأتانِ اللتانِ تظاهَرَتا على رسولِ الله ﷺ؟ فما أتممتُ كلامي حتى قال: عائشةُ وحفصة».

٤ - باب {إن تَتوبا إلى الله فقد صَغَت قُلوبُكما}

صغوتُ وأصغيتُ: ملتُ، لِتَصغى: لتَميل، {وإنْ تَظاهرا عليه فإنَّ اللهَ هو مولاهُ وجبريل وصالحُ المؤمنين والملائكةُ بعد ذلك ظَهير}: عَون، تَظاهَرون تَعاوَنون، وقال مجاهد {قُوا

أنفسكم وأهليكم} أوصوا أنفُسكم وأهلِيكم بتقوى الله وأدِّبوهم.

٤٩١٥ - عن ابن عباسٍ قال: أردت أن أسألَ عمرَ عن المرأتَين اللتَين تَظاهَرَتا على رسولِ ﷺ، فمكثتُ سنةً فلم أجِد لهُ مَوضِعاً، حتى خرجتُ معهُ حاجًا، فلما كنّا بظَهرانَ ذَهبَ عمرُ لحاجَتِه فقال: أدرِكْني بالوَضوء، فأدركْتُهُ بالإداوة، فجعلتُ أسكُبُ عليه، ورأيتُ مَوضِعاً فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، مَنِ المرأتانِ اللتانِ تَظاهَرَتا؟ قال ابنُ عباس: فما أتمتُ كلامي حتى قال: عائشةُ وحَفصة».

٥ - باب {عَسى ربُّه إن طلَّقكنَّ أن يُبَدِّله[١] أزواجاً خيراً منكُنَّ مُسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ صائماتٍ ثيباتٍ وأبكارا}

٤٩١٦ - عنّ أنسٍ قال: «قال عُمرُ رضيَ الله عنه: اجتمعَ نساءُ النبيِّ ﷺ في الغَيرةِ عليه، فقلتُ لهنَّ: عسى ربُّهُ إن طلقكنَّ أن يُبدِّلَهُ أزواجاً خَيراً منكنَّ، فنزلَتْ هذهِ الآية».

وسيأتي ما يتعلق بالغيرة في كتاب النكاح[٢] إن شاء الله تعالى.

(٦٧) سورةُ {تَبارَكَ الذي بيده المُلك}

التَّفاوُتُ: الاختلاف، والتفاوت والتفوُّتُ واحد، تمَيَّزُ، تَقَطَّعُ، مَناكِبها: جوانبها، تَدَّعون وتَدْعون واحد، مثلُ تَذَكَّرُون وتَذْكُرُون، ويَقبضنَ: يَضرِبنَ بأجنِحَتهنَّ، وقال مجاهد: {صافّاتٍ} بَسطُ أجنحَتهنَّ، ونُفور: الكُفور.

(٦٨) سورةُ {ن والقلَم}، بسم الله الرحمن الرحيم

وقال قتادة: حَرْدٍ جِدٍ في أنفسهم، وقال ابن عباس: يَتَخافتون يَنْتَجُون السِّرارَ والكلامَ الخفيَّ، وقال ابنُ عباس إنّا لَضالُّون: أضللنا مكان جَنَّتنا، وقال غيره كالصَّريم: كالصبح انصرَمَ من الليل والليل انصرَمَ من النهار، وهو أيضاً كل رَملةٍ انصرَمَت من مُعظمِ الرَّمل، والصريم أيضاً المصروم مثل قتيل ومقتول.

قوله (سورة {ن والقلم} بسم الله الرحمن الرحيم) والمشهور في "ن" أن حكمها حكم أوائل السور في الحروف المتقطعة، وبه جزم الفراء، وقيل بل المراد بها الحوت، وجاء ذلك في حديث ابن عباس أخرجه الطبراني مرفوعاً قال: «أول ما خلق الله القلم والحوت، قال أكتب قال ما أكتب؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة، ثم قرأ {ن والقلم}، فالنون الحوت والقلم القلم».

قوله (وقال قتادة حرد جد في أنفسهم) هو الاجتهاد والمبالغة في الأمر.

قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: كانت الجنة لشيخ، وكان يمسك قوته سنة ويتصدق بالفضل، وكان بنوه ينهونه عن الصدقة، فلما مات أبوهم غدوا عليها فقالوا لا يدخلنها

(١) قراءة حفص عن عاصم "يُبْدله" بتسكين الباء.
(٢) كتاب النكاح باب/ ١٠٨ح ٥٢٢٨- ٤/ ١١٩.

اليوم عليكم مسكين {وغدوا على حرد قادرين} يقول: على جد من أمرهم.

١ ـ باب {عُتُلٍّ بعدَ ذلك زَنيم}

٤٩١٧ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما {عُتُلٍّ بعدَ ذلكَ زَنيم} قال: رجُلٌ من قُريش له زَنَمة مثل زَنَمةِ الشاةِ».

٤٩١٨ ـ عن حارثةَ بن وَهبٍ الخُزاعيَ قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: ألا أخبرُكم بأهل الجنّة؟ كلُّ ضعيفٍ مُتضعِّف لو أقسَمَ على الله لأبرَّه، ألا أخبركم بأهل النار؟ كلُّ عُتُلّ جَوّاظٍ مُستكبر».

[الحديث ٤٩١٨ – طرفاه في: ٦٠٧١، ٦٦٥٧]

قوله (باب عتل بعد ذلك زنيم) اختلف في الذي نزلت فيه، فقيل هو الوليد بن المغيرة وذكره يحيى بن سلام في تفسيره، وقيل الأسود بن عبد يغوث ذكره سنيد بن داود في تفسيره، وقيل الاخنس بن شريق وذكره السهيلي عن القتيبي، وحكى هذين القولين الطبري فقال: يقال هو الاخنس، وزعم قوم أنه الأسود وليس به.

قوله (ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف) وفي رواية الإسماعيلي «مستضعف».

ولاحمد من حديث حذيفة: الضعيف المستضعف ذو الطمرين لايؤبه له، والمراد بالضعيف مَنْ نفسُه ضعيفةٌ لتواضعه وضعف حاله في الدنيا، والمستضعف المحتقر لخموله في الدنيا.

قوله (عتل) قال الفراء: الشديد الخصومة، وقيل الجافي عن الموعظة، وقال أبو عبيدة: العتل الفظ الشديد من كل شيء، وهو هنا الكافر، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن: العتل الفاحش الآثم.

قوله (جواظ) الكثير اللحم المختال في مشيه حكاه الخطابي.

٢ ـ باب {يومَ يُكشَفُ عن ساق}

٤٩١٩ ـ عن أبي سعيدٍ رضيَ الله عنه قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: يُكشِفُ ربُّنا عن ساقِهِ، فيسجُدُ له كلُّ مُؤمنٍ ومُؤمنَةٍ، ويَبْقى من كان يَسْجُد في الدنيا رِئاءً وسُمعةً، فيذهَبُ ليسجُدَ، فيعودَ ظهرهُ طَبَقاً واحداً».

(٦٩) سُورةُ الحاقّة، بسم الله الرحمن الرحيم

عِيَشةٍ راضِيَةٍ: يريد فيها الرِّضا، القَاضِيَةَ المَوْتَةَ الأولى التي مُتُّها، ثمّ أحْيا بعدَها، من أحَدٍ عنْه حاجِزين أحَدٌ يكون للجَمْع وللواحد، وقالَ ابن عبّاس: الوَتين نِياط القَلْب، قالَ ابن عباسٍ: طَغَى كَثُر، ويقال بالطاغِية بطغْيانهم، ويُقال طَغَتْ عَلى الخزّان كما طَغى الماء عَلى قَوْم نوحٍ.

قوله (قال ابن عباس: طغى كثر) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: بلغنا أنه طغى

فوق كل شيء خمسة عشر ذراعاً.

(تنبيه): لم يذكر في تفسير الحاقة حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيه حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» أخرجه أبو داود وابن أبي حاتم، وإسناده على شرط الصحيح.

(٧٠) سُورَةُ {سَأَلَ سائلٌ}

الفَصيلةُ أصغَر آبائهِ القُربى إليه يَنْتَمي من انتَمى، للشَّوَى اليَدَان والرِّجلانِ والأطْرفُ، وجلْدةُ الرَّأس يُقَالُ لها شَوَاةٌ، وما كانَ غيْرَ مَقتَلٍ فهوَ شَوَى، عِزين والعُزُون الحَلَق والجماعات، واحِدها عِزَةٌ.

قوله (الفصيلة أصغر آبائه القربى إليه ينتمي) هو قول الفراء، وقال أبو عبيدة: الفصيلة دون القبيلة، ثم الفصيلة فخذه التي تؤويه، وقال عبد الرزاق عن معمر: بلغني أن فصيلته أمه التي أرضعته.

(٧١) سُورَةُ نُوحٍ

أطواراً: طَوْراً كذا وطَوْرا كذا، يُقال عدا طَوْرَه أيْ قدْرَه، والكُبَّار أشَدُّ من الكبار، وكذلك جُمَّال وجَميل لأنها أشدُّ مُبالغة وكذلك كُبَارٌ الكبير، وكبار أيضاً بالتَّخفيف، والعرب تقول رجُل حُسَّانٌ وجُمَّال، وحُسَان مُخفف وجُمال مُخفف، دَيَّاراً من دَور، ولكنَّهُ فيْعَال من الدوْران كما قرأ عُمر الحيُّ القيَّام وهْيَ من قُمْت، وقال غيره ديَّاراً أحَداً، تَباراً هَلاكاً، وقال ابن عبَّاس: مِدْرَارا يَتبع بَعضُها بَعْضا، وقاراً عَظَمةٌ.

١ - باب {وَدّاً ولا سُواعاً ولا يُغوثَ ويَعوق}

٤٩٢٠ - عن ابن عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما «صارتِ الأوثانُ التي كانت في قَومِ نُوح في العرب بعد، وأما وَدٌّ فكانت لكلْب بدومَهِ الجنْدَل، وأمّا سُواعٌ فكانتُ لهذَيل، وأمَّا يَغوُث فكانت لمرادٍ، ثم لبني غُطيف بالجرف عند سَبأ، وأمَّا يَعوق فكانت لهمْدانَ، وأمَّا نَسْرٌ فكانت لحمير، لآلِ ذِي الكَلاع، أسماءُ رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلمَّآ هَلكوا أوْحَى الشَّيطانُ إلى قومهم أنِ انصِبُوا إلى مَجالسِهِم التي كانوا يَجلِسون أنْصاباً وسَمُّوها بأسمائِهم فَفَعلوا، فلم تُعْبَدْ، حتى إذا هَلَكَ أولئك وَتنسَّخ العلم عُبِدت».

قوله (فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم) كذا لهم، ولابي ذر والكشميهني «ونسخ العلم» أي علم تلك الصور بخصوصها، وأخرج الفاكهي من طريق عبيد الله بن عبيد بن عمير قال: أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح، وكانت الأبناء تبر الأبا، فمات رجل منهم فجزع عليه فجعل لا يصبر عنه؛ فاتخذ مثلاً على صورته فكلما اشتاق إليه نظره ثم مات ففعل به كما فعل حتى تتابعوا على ذلك فمات آلاباء، فقال الأبناء: ما اتخذ آباؤنا هذه إلا أنها كانت آلهتهم، فعبدوها.

(٧٢)سُورة {قُلْ أُوحيَ إليَّ}

قال ابنُ عباس: لِبَداً أعْواناً

١ ـ باب * ٤٩٢١ ـ عن ابن عباسٍ قال: انْطَلَقَ رسولُ الله ﷺ في طائفةٍ من أصحابه عامِدِين إلى سُوقِ عُكاظٍ، وقد حِيلَ بينَ الشَّياطين وبين خَبَرِ السماء، وأُرسِلَت عليهمُ الشُهب، فرَجَعَت الشياطين، فقالوا: ما لَكُم؟ فقالوا: حِيلَ بينَنَا وبين خَبر السَّماء، وأُرسِلَت علَيْنا الشُهُب، قال: ما حالَ بينكُم وبين خبر السماءِ إلا ما حدث، فاضربوا مشارقَ الأرضِ ومغارِبَها فانظُروا ما هذا الأمرُ الذي حدَث؟ فانطَلَقوا فضرَبوا مَشارِقَ الأرض ومغارِبَها ينظرونَ ما هذا الأمرُ الذي حال بينَهم وبين خبرِ السماءِ؟ قال: فانطلق الذين توجَّهوا نحْوَ تِهامَةَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ بنخْلَة وهو عامِدٌ إلى سوقِ عُكاظٍ وهو يُصَلِّي بأصحابه صلاةَ الفَجْر، فَلما سَمِعوا القرآن تَسَمَّعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبينَ خبر السماء، فهنالِكَ رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومَنا إنا سمِعْنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرُّشد فآمنَّا به، ولَنْ نُشرِكَ بربنا أحداً، وأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ على نبيِّه ﷺ {قُل أوحيَ إليَّ أنه استَمعَ نفرٌ مِنَ الجن} وإنَّما أُوحيَ إليه قولُ الجنِّ».

قوله (إلى سوق عكاظ) وهو موسم معروف للعرب، بل كان من أعظم مواسمهم.

قوله (وقد حيل) أي حجز ومنع على البناء للمجهول.

قوله (بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب) بضمتين جمع شهاب، وظاهر هذا أن الحيلولة وارسال الشهب وقع في هذا الزمان المقدم ذكره، والذي تضافرت به الأخبار أن ذلك وقع لهم من أول البعثة النبوية، وهذا مما يؤيد تغاير زمن القصتين، وأن مجيء الجن لاستماع القرآن كان قبل خروجه ﷺ إلى الطائف بسنتين، ولا يعكر على ذلك إلا قوله في هذا الخبر إنهم رأوه يصلي بأصحابه صلاة الفجر، لأنه يحتمل أن يكون ذلك قبل فرض الصلوات ليلة الإسراء فإنه ﷺ كان قبل الإسراء يصلي قطعاً، وكذلك أصحابه، ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شيء من الصلاة أم لا؟ فيصح على هذا قول من قال: إن الفرض أولا كان صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها، والحجة فيه قوله تعالى {فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها} ونحوها من الآيات، فيكون إطلاق صلاة الفجرة في حديث الباب باعتبار الزمان لا لكونها إحدى الخمس المفترضة ليلة الإسراء، فتكون قصة الجن متقدمة من أول المبعث، وهذا الموضع مما لم ينبه عليه أحد ممن وقفت على كلامهم في شرح هذا الحديث.

فقال عياض: ظاهر الحديث أن الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعث النبي ﷺ لإنكار الشياطين له وطلبهم سببه، ولهذا كانت الكهانة فاشية في العرب ومرجوعاً إليها في حكمهم، حتى قطع سببها بأن حيل بين الشياطين وبين استراق السمع، كما قال تعالى في هذه السورة {وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً، وإنا كنا نقعد منها مقاعد

للسمع، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا} وقوله {إنهم عن السمع لمعزولون} وقد جاءت أشعار العرب باستغراب رميها وإنكاره إذ لم يعهدوه قبل المبعث، وكان ذلك أحد دلائل نبوته ﷺ، ويؤيده ما ذكر في الحديث من إنكار الشياطين، قال وقال بعضهم: لم تزل الشهب يرمي بها مذ كانت الدنيا، واحتجوا بما جاء في أشعار العرب من ذلك قال: وهذا مروي عن ابن عباس والزهري، ورفع فيه ابن عباس حديثاً عن النبي ﷺ، وقال الزهري لمن اعترض عليه بقوله {فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا} قال: غلظ أمرها وشدد انتهى، وهذا الحديث الذي أشار إليه أخرجه مسلم من طريق الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن رجال من الأنصار قالوا «كنا عند النبي ﷺ إذ رمى بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون لهذا إذا رمي به في الجاهلية؟» الحديث، وأخرجه عبد الرزاق عن معمر قال: سئل الزهري عن النجوم أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنه إذ جاء الإسلام غلظ وشدد، وهذا جمع حسن.

وقال القرطبي: يجمع بأنها لم تكن يرمي بها قبل المبعث رمياً يقطع الشياطين عن استراق السمع، ولكن كانت ترمي تارة ولا ترمي أخرى، وترمي من جانب ولا ترمي من جميع الجوانب، ولعل الإشارة إلى ذلك بقوله تعالى {ويقذفون من كل جانب دحوراً} انتهى.

وقال الزين بن المنير: ظاهر الخبر أن الشهب لم تكن يرمى بها، وليس كذلك؛ لما دل عليه حديث مسلم، وأما قوله تعالى: {فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا} فمعناه أن الشهب كانت ترمي فتصيب تارة ولا تصيب أخرى، وبعد البعثة أصابتهم إصابة مستمرة فوصفوها لذلك بالرصد، لأن الذي يرصد الشيء لا يخطئه، فيكون المتجدد دوام الإصابة لا أصلها.

قوله (فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها) أي سيروا فيها كلها.

قوله (فانطلق الذين توجهوا) قيل كان هؤلاء المذكورون من الجن على دين اليهود، ولهذا قالوا «أنزل من بعد موسى».

قوله (نحو تهامة) اسم لكل مكان غير عال من بلاد الحجاز.

قوله (بنخلة) موضع بين مكة والطائف.

قوله (رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا) قال الماوردي: ظاهر هذا أنهم آمنوا عند سماع القرآن، قال: والإيمان يقع بأحد أمرين: إما بأن يعلم حقيقة الإعجاز وشروط المعجزة فيقع له العلم بصدق الرسول، أو يكون عنده علم من الكتب الأولى فيها دلائل على أنه النبي المبشر به، وكلا الأمرين في الجن محتمل، والله أعلم.

وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن وأنهما لمسمى واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان، وفيه أن الصلاة في الجماعة شرعت قبل الهجرة، وفيه مشروعيتها في السفر، والجهر بالقراءة في صلاة الصبح وأن الاعتبار بما قضى

الله للعبد من حسن الخاتمة لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ، لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر ما اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك فغلب عليهم ما قضى لهم من السعادة بحسن الخاتمة، ونحو ذلك قصة سحرة فرعون، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب القدر إن شاء الله تعالى.

(٧٣) سُوْرَةُ المُزَّمِّلِ

وقال مُجاهدٌ وَتَبَتَّل: أخْلصْ، وقال الحسنُ أنكالاً: قيوداً، مُنْفَطِرٌ به: مُثقَلَةٌ به، وقال ابن عبّاس كَثِيباً مَهِيلاً: الرَّمْل السائل، وبِيلاً: شديداً.

(تنبيه): لم يورد المصنف في سورة المزمل حديثاً مرفوعاً، وقد أخرج مسلم حديث سعيد ابن هشام عن عائشة فيما يتعلق منها قيام الليل وقولها فيه «فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضته» ويمكن أن يدخل في قوله تعالى في آخرها {وما تقدموا لأنفسكم} حديث ابن مسعود «إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر» وسيأتي في الرقاق.

(٧٤) سُوْرَةُ المدَّثر، بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن عباس عَسِيرٌ: شديدٌ، قَسْوَرَةٌ رِكزُ الناس وأصواتهم، وكل شديد قَسْوَرَةٌ، وقال أبو هرَيرة: القسورةُ قسورُ الأسَد، الركزُ: الصوت، مُسْتَنْفِرة، نافِرةٌ مذْعورة.

قوله (وقال أبو هريرة: القسورة قسور الأسد، الركز الصوت) وقد أخرجه من وجهين آخرين عن زيد بن أسلم عن ابن سيلان عن أبي هريرة وهو متصل، ومن هذا الوجه أخرجه البزار، وجاء عن ابن عباس أنه بالحبشية، أخرجه ابن جرير من طريق يوسف بن مهران عنه قال: القسورة الأسد بالعربية، وبالفارسية شير، وبالحبشية قسورة.

١ ـ باب * ٤٩٢٢ ـ عن يحيى بن أبي كَثير «سألت أبا سَلَمَةَ بنَ عبد الرحمن عن أولِ ما نزلَ مِن القُرآنِ قال: {يا أيُّها المدثر} قلتُ: يقولون {اقرأ باسْمِ ربِّك الذي خَلقَ} فقال أبو سلمة، سألتُ جابرَ بن عبد الله رضيَ الله عنهما عن ذلك وقلتُ له مثل الذي قلتَ، فقال جابر: لا أحَدِّثُك إلا ما حدَّثَنا رسولُ الله ﷺ: جاورْتُ بحراء، فلما قَضَيْتُ جِواري هبطتُ، فُنوديت، فَنظَرتُ عن يَميني فلَم أرَ شيئاً، ونظرتُ عن شِمالي فلم أرَ شيئاً، ونظرت أمامي فلم أرَ شيئاً، ونظرتُ خَلفي فلم أرَ شيئاً، فرفعْتُ رأسي فرأيتُ شيئاً، فأتيْتُ خديجَةَ فقلتُ: دَثِّروني وصبُّوا عليَّ ماءَ بارداً، قال فدَثروني وصبُّوا عليَّ ماءَ بارداً، قال فنزلت: {يا أيُّها المدَّثر، قُمْ فأنذِر، ورَبَّ: فكبِّر}

٢ - باب {قُمْ فأَنْذِرْ}

٤٩٢٣ - عن يحيى بن أبي كَثير «عن أبي سلمَةَ عن جابرِ بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: جاوَرتُ بِحراء».

٣ - باب {وربَّكَ فكبِّر}

٤٩٢٤ - عن يحيى قال: «سألتُ أبا سلمة أيُّ القرآنِ أنزلَ أوَّلَ؟ فقال: {يا أيها المدَّثر}، فقلتُ أُنبِئْت أنهُ {اقرأ باسم ربِّك الذي خَلَق} فقال أبو سلمةَ سألتُ جابرَ بن عبدِ الله: أيُّ القرآن أنزلَ أوَّلَ؟ فقال: {يا أيُّها المدَّثر} فقلتُ أُنبِئْتُ أنه {اقرأ باسم ربكَ الذي خلق} فقال: لا أخبرُك إلا بما قال رسولُ الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ جاوَرتُ في حِراء، فلما قضيتُ جِواري هَبَطت فاستَبطَنتُ الواديَ، فنُوديتُ، فنظرتُ أمامي وخَلفي وعن يميني وعن شمالي، فإذا هو جالسٌ على عرشٍ بينَ السماءِ والأرض، فأتيتُ خديجةَ فقلتُ دَثِّروني وصُبُّوا عليَّ ماءً بارداً، وأُنزلَ عليَّ {يا أيها المدَّثر، قُم فأنذِر، وربَّكَ فكبِّر}».

قوله (فقلت أنبئت أنه اقرأ باسم ربك) المراد بالأولية في قوله «أول ما نزل سورة المدثر» أولية مخصوص بما بعد فترة الوحي، أو مخصوصة بالأمر بالإنذار، لأن المراد أنها أولية مطلقة، فكأن من قال أول ما نزل اقرأ أراد أولية مطلقة ومن قال إنها المدثر أراد بقيد التصريح بالإرسال.

٤ - باب {وثِيابَكَ فطهِّر}

٤٩٢٥ - عن جابر بن عبدِ الله رضيَ الله عنهما قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ وهو يحدِّث عن فَترةِ الوَحي فقال في حديثهِ: فبينا أنا أمشي إذ سمعتُ صَوتاً من السماء، فرفعتُ رأسي فإذا الملك جاءني بِحراءِ جالسٌ على كُرسيٍ بين السماءِ والأرض، فجئثتُ منه رعباً، فرجَعتُ فقلت زَمِّلوني زملوني، فدَثِّروني، فأنزَلَ الله تعالى {يا أيها المدَّثِّر -إلى- والرُّجْزَ فاهجُر} قبلَ أن تُفرَضَ الصلاة، وهي الأوثانُ».

قوله (وثيابك[1] فطهر) ذكر فيه حديث جابر المذكور، ووقع في آخر الحديث {وثيابك فطهر والرجز فاهجر} قبل أن تفرض الصلاة، وكأنه أشار بقوله «قبل أن تفرض الصلاة» إلى أن تطهير الثياب كان مأمورا به قبل أن تفرض الصلاة، وأخرج ابن المنذر من طريق محمد بن سيرين قال: اغسلها بالماء، وعلى هذا حمله ابن عباس فيما أخرجه ابن أبي حاتم، وأخرج من وجه آخر عنه قال: فطهر من الإثم.

وأخرج ابن المنذر من طريق الحسن قال: خلقك فحسنه، وقال الشافعي رحمه الله: قيل في **قوله** {وثيابك فطهر} صل في ثياب طاهره، وقيل غير ذلك، والأول أشبه، انتهى.

---

(١) في المتن "باب وثيابك فطهر" واليونينية توافق الشرح.

٥ ـ باب {والرِّجز فاهجر}

يقال الرِّجز والرِّجس: العذاب.

٤٩٢٦ ـ عن أبي سلمةَ قال: «أخبرَني جابر بن عبدُ الله أنهُ سمعَ رسولَ الله ﷺ يُحدِّثُ عن فَترةِ الوَحي: فبَينْا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعتُ بصري قِبلَ السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراءِ قاعدٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض، فجئثتُ منه حتى هَوَيْتُ إلى الأرض، فجئتُ أهلي فقلت: زمِّلوني زملوني فزمَّلوني، فأنزل اللهُ تعالى {يا أيها المُدثر قُم فأنذر -إلى قوله- فاهْجُر}، قال أبو سَلَمة، والرِّجز الأوْثان، ثم حَميَ الوَحيُ وتتابع».

قوله (والرجز فاهجر، يقال الرجز والرجس العذاب) هو قول أبي عبيدة، وقد تقدم في الذي قبله أن الرجز الأوثان، وهو تفسير معنى، أي أهجر أسباب الرجز أي العذاب وهي الأوثان.

(٧٥) سُوْرَةُ القيامة

١ ـ باب {لا تُحَرِّكْ به لسانَك لِتعجَلَ به}

وقال ابنُ عباس {ليفجُرَ أمامَه}: سوف أتوب، سَوفَ أعمَل، {لا وَزَر}: لاحِصْن، {سُدىً}: هَملاً.

٤٩٢٧ ـ عن ابن عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا نزل عليه الوحْي حرك به لسانَه -ووصَف سفيانُ يُريدُ أن يحفَظَه- فأنزلَ الله: {لا تُحَرِّك به لسانَكَ لِتَعجَل به}».

قوله {لا[1] تحرك به لسانك لتعجل به} لم يختلف السلف أن المخاطب بذلك النبي ﷺ في شأن نزول الوحي كما دل عليه حديث الباب.

وقد ذكر الأئمة لها مناسبات: منها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر القيامة، وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حب العاجلة، وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجل منه وهو الإصغاء إلى الوحي وتفهم ما يرد منه، والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك، فأمر أن لا يبادر إلى التحفظ لأن تحفيظه مضمون على ربه، وليصغ إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه، ثم لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام إلى ما يتعلق بالإنسان المبدأ بذكره ومن هو من جنسه فقال: {كلا} وهو كلمة ردع، كأنه قال: بل أنتم يا بني آدم لكونكم خلقتم من عجل تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة.

ومنها أن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الاحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً

(١) في المتن "باب لا تحرك به..." واليونينية توافق الشرح.

وتركاً كما قال في الكهف {ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه -إلى أن قال- ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل، وكان الإنسان أكثر شيء جدلا} وقال تعالى في سبحان {فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم -إلي أن قال- ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن} الآية.

ومنها أن أول السورة لما نزل إلى قوله {ولو ألقى معاذيره} صادف أنه ﷺ في تلك الحالة بادر إلى تحفظ الذي نزل، وحرك به لسانه من عجلته خشية من تفلته، فنزلت {لا تحرك به لسانك -إلى قوله- ثم إن علينا بيانه} ثم عاد الكلام إلى تكملة ما ابتدأ به.

ومنها أن النفس لما تقدم ذكرها في أول السورة عدل إلى ذكر نفس المصطفى كأنه قيل: هذا شأن النفوس، وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس فلتأخذ بأكمل الأحوال.

قوله (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) يعني الأمل، يقول: اعمل ثم أتوب.

باب {إنَّ علينا جَمعَه وقُرآنَه}

٤٩٢٨ - عن موسى بن أبي عائشة أنه «سأل سعيدَ بن جُبير عن قوله تعالى {لا تُحَرِّك به لِسانَكَ} قال وقال ابن عباس: كان يحرك شَفَتَيْه إذا أنزلَ عليه، فقيل له لا تحرِّك به لِسانك -يخشى أن يَنفَلت منه- إنَّ علينا جَمعَه: أن نَجمعه في صَدرِك، وقرآنَهْ أن تقرأه، {فإذا قرأناه -يقول أُنزلَ عليه- فاتَّبِع قرآنَه، ثم إن علينا بيانَه} أن نبيِّنه على لِسانِكَ».

٢ - باب {فَإذا قَرأناه فاتَّبِعْ قُرآنَه}

قال ابن عباس: قرأناه بيَّنَّاه، فاتبع، اعمل به.

٤٩٢٩ - عن ابن عباسٍ في قوله {لا تحرِّك به لسانكَ لِتَعجَلَ به} قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا نَزَل جُبريلُ عليه بالوحيِ وكان مِمَّا يحرِّك بهِ لسانَهُ وشَفَتَيْه فَيَشْتَدُّ عليه، وكان يُعرَف منه، فأنزلَ اللهُ الآيةَ التي في {لا أقسم بيوم القيامَة: لا تحرِّكْ به لسانَكَ لتعْجَلَ به إنَّ علينا جمعَهُ وقُرآنه} قال علينا أن نجمعَهُ في صَدرِكَ وقرآنه {فإذا قرأناهُ فاتَّبِع قُرآنه} فإذا أنزلْناه فاستمع {ثم إنَّ علينا بيانَه} علينا أن نَبيِّنه بلِسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريلُ أطرق فإذا ذَهَبَ قرأه كما وَعَدَهُ اللهُ. {أولى لك فأولى} تَوَعُّدٌ.

قوله (إذا نزل جبريل عليه) في رواية أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة كما تقدم في بدء الوحي «كان يعالج من التنزيل شدة» وهذه الجملة توطئة لبيان السبب في النزول، وكانت الشدة تحصل له عند نزول الوحي لثقل القول كما تقدم في بدء الوحي من حديث عائشة، وتقدم من حديثها في قصة الإفك «فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء» وفي حديثها في بدء الوحي أيضاً «وهو أشده عليَّ» لأنه يقتضي الشدة في الحالتين المذكورتين لكن إحداهما أشد من الأخرى.

قوله (فيشتد عليه) ظاهر هذا السياق أن السبب في المبادرة حصول المشقة التي يجدها

عند النزول، فكان يتعجل بأخذه لتزول المشقة سريعاً، وبين في رواية إسرائيل أن ذلك كان خشية أن ينساه حيث قال: «فقيل له لا تحرك به لسانك تخشى أن ينفلت».

قوله (فأنزل الله) أي بسبب ذلك، واحتج بهذا من جوز اجتهاد النبي ﷺ.

قوله (فإذا قرأناه) أي قرأه عليك الملك.

(٧٦) سُورةُ {هل أتى عَلى الإنسان} بسم الله الرحمن الرحيم

يُقال معناهُ أتى على الإنسان، و «هل» تكون جَحْداً وتكونُ خبرا، وهذا من الخبَر، يقول: كان شيْئاً فلم يكن مَذكورا، وذلك مِن حين خَلقَهُ من طِين إلى أن يُنفَخَ فيه الرُّوحُ أمْشاجٍ: الأخلاطُ، ماء المرأةِ وماء الرجل، الدَّم والعَلَقَةُ، ويُقال إذا خُلط مَشيجٌ، كقولك: خَليط، ومَمْشوجٌ مثلُ مخلوطٍ، ويقال سَلاسِلاً وأغلالاً، ولم يُجْزِ بَعضُهم، مُسْتَطيراً: مُمتَدّاً البلاء، والقَمْطَرير: الشَّديد، يقال يومٌ قَمطَرير ويوم قُماطِر، والعَبوسُ والقمطَرير والقماطِرُ والعَصيبُ أشدُّ ما يكون مِنَ الأيام في البَلاء، وقال الحسن النُّضْرةُ في الوجهِ، والسرورُ في القلب، وقال ابن عباس: الأرائك: السُّرُر، وقال مقاتل: السُّرُر الحِجال من الدر والياقوت، وقال البراء: وذُلّلت قُطوفُها: يَقطِفونَ كيف شاءوا، وقال مجاهد: سَلْسَبيلا: حديدَ الجرية وقال مَعمرٌ: أسْرَهم شدَّة الخلق، وكل شيءٍ شَدَدتَه مِن قَتَب وغَبيط فَهو مَأسورٌ.

قوله (وقال البراء: وذللت قطوفها يقطفون كيف شاءوا) وقد وصله سعيد بن منصور عن شريك عن أبي إسحق عن البراء في قوله {وذللت قطوفها تذليلاً(١)} قال: إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين وعلى أي حال شاءوا، ومن طريق مجاهد: إن قام ارتفعت وإن قعد تدلت، ومن طريق قتادة: لا يرد أيديهم شوك ولا بُعْد.

(٧٧) سُورة والْمُرْسَلات

وقال مُجاهدٍ جِمالاَتٌ: حِبالٌ، اركعوا: صلُّوا، لا يَركعون: لاَ يُصلُّون، وسُئِلَ ابن عباس لا ينطقون، والله ربِّنَا ما كنا مُشركين، واليوم نَختم على أفواههم، فقال: إنه ذو ألْوانٍ، مَرَّةً ينطقون، ومرَّةً يُختم عليهم.

١ ـ باب * ٤٩٣٠ ـ عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قال: «كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ وأُنزلت عليه {والمُرسَلات} وإنَّا لَنَتلقَّاها من فيه، فَخَرَجَت حيَّةٌ فابتدَرناها، فسبَقَتْنا فدَخَلتْ جُحرَها، فقال رسولُ الله ﷺ: وُقِيَتْ شرَّكُم كما وُقيتم شرَّها».

٤٩٣١ ـ عن عبد الله قال: «بينا نحن مع رَسولِ الله ﷺ في غارٍ، إذا نَزَلت عليه {والمُرسَلاتِ} فتلَقَّيْناها من فِيه، وإنَّ فَاهُ لَرَطبٌ بها، إذا خَرَجَت حَيَّةٌ، فقال رسُولُ الله

---

(١) رواية ابباب بدون "تذليلاً" واليونينية ما ذكر هذه الرواية.
(٢) هذه الرواية ليس في الباب واليونينية.

ﷺ: عَلَيكم، اقتُلوها، قال فابتَدرناها فسَبَقتْنا، قال: فقال: وُقِيَتْ شرَّكم كما وُقيتم شرَّها».

قوله (سورة والمرسلات) أخرج الحاكم بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال: «المرسلات عرفاً الملائكة أرسلت بالمعروف»، وقال مجاهد: {كفاتا} أحياء يكونون فيها وأمواتاً يدفنون فيها، {فراتا} عذبا، {جمالات} حبال الجسور، وهذا الأخير وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بهذا، ووقع عند ابن التين: قول مجاهد جمالات جمال يريد بكسر الجيم وقيل بضمها إبل سود واحدها جمالة، وجمالة جمع جمل مثل حجارة وحجر، ومن قرأ جمالات ذهب به إلى الحبال الغلاظ، وقد قال مجاهد في قوله {حتى[1] يلج الجمل في سم الخياط}: هو حبل السفينة، وعن الفراء: الجمالات ما جمع من الحبال.

وأخرج عبد بن حميد من طريق علي بن زيد عن أبي الضحى أن نافع بن الأزرق وعطية أتيا ابن عباس فقالا: يا ابن عباس، أخبرنا عن قول الله تعالى {هذا يوم لا ينطقون} وقوله {ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون} وقوله {والله ربنا ما كنا مشركين} وقوله {ولا يكتمون الله حديثا} قال: ويحك يا ابن الأزرق إنه يوم طويل وفيه مواقف، تأتي عليهم ساعة لا ينقطون، ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يكون ما شاء الله يحلفون ويجحدون، فإذا فعلوا ذلك ختم الله على أفواههم، وتؤمر جوارحهم فتشهد على أعمالهم بما صنعوا ثم تنطق ألسنتهم فيشهدون على أنفسهم بما صنعوا، وذلك قوله {ولا يكتمون الله حديثا}.

قوله (فابتدرناها) في رواية الأسود «فقال رسول الله ﷺ اقتلوها، فابتدرناها».

قوله (فسبقتنا) أي باعتبار ما آل إليه أمرها، والحاصل أنهم أرادوا أن يسبقوها فسبقتهم، وقوله «فابدرناها» أي تسابقنا أينا يدركها، فسبقتنا كلنا، وهذا هو الوجه والأول احتمال بعيد.

٢ ـ باب قوله {إنها تَرمي بشَرَرٍ كالْقَصْر}

٤٩٣٢ ـ عن عبدِ الرّحمن بن عابِس قال: «سمعتُ ابن عبّاسٍ يقول: {إنها ترمي بشررٍ كالقصر} قال: كُنا نرفَع الخشَب بِقِصَرٍ ثلاثةَ أذرعٍ أو أقَلّ، فَنرفَعه للشتاء، فنُسَمّيه القَصَر».

[احديث ٤٩٣٢ - طرفه في: ٤٩٣٣]

قوله (باب قوله إنها ترمي بشرر كالقصر) أي قدر القطر.

قوله (كنا نرفع الخشب بِقِصَرٍ) وهو بمعنى الغاية والقدر، تقول قصرك وقصاراك من كذا ما اقتصرت عليه.

(١) هذه الرواية ليس في الباب واليونينية.

قوله (فنرفعه للشتاء فنسميه القَصْر) وهو على الثاني جمع قصرة أي كأعناق الإبل ويؤيده قراءة ابن عباس كالقَصَر بفتحتين، وقيل هو أصول الشجر، وقيل أعناق النخل.

٣ ـ باب {كأنهُ جمالاتٌ صُفْرٌ}

٤٩٣٣ ـ عن عبدِ الرحمن بن عابس «سمعتُ ابنَ عباس رضيَ الله عنه {ترمي بشررٍ كالقصر} كُنا نَعمدُ إلى الخَشَبَةِ ثلاثَةَ أذرُعٍ وفوق ذَلك فنرفَعُه للشتاء فنسمِّيه القصر، {كأنه جِمالاتٌ صُفْرٌ} حِبالُ السُّفُن، تَجمع حتَّى تكونَ كأوساطِ الرِّجال».

٤ ـ باب {هَذا يومُ لا يَنْطِقونَ}

٤٩٣٤ ـ عن عبدِ الله قال: بينما نحنُ مع النبيِّ ﷺ في غارٍ، إذ نزلَت عليه {والمرسَلاتِ} فإنه ليتْلوها وإني لأتلقَّاها من فِيه، وإن فاهُ لَرطبٌ بها، أذ وَثَبتْ علينا حيَّة، فقال: النبيُّ ﷺ: اقتُلوها، فابتَدرْناها فذَهَبت، فقال النبيُّ ﷺ: وُقيَتْ شرَّكم كما وُقيتم شرَّها»، قال عمرُ: حفظته من أبي «في غارٍ بمنى».

(٧٨) سُورَةَ {عَمَّ يَتساءلون}

قال مجاهد: لا يرجون حساباً: لا يخافونه، لا يَملكونَ منه خِطاباً: لا يكلمونه إلا أن يأذَنَ لهم، صَواباً: حقاً في الدنيا وعملٌ به، وقال ابنُ عباس وَهاجاً: مُضيئاً، وقال غيره: غَسَّاقا: غَسقتْ عينه، ويَغسَقُ الجرحُ: يَسيلُ كأنَّ الغسَّاق والغَسِيق واحد، عطاءً حساباً: جَزاءً كافيا، أعطاني ما أحسَبَني: أي كفاني.

١ ـ باب {يومَ يُنفَخُ في الصور فتَأتون أفواجاً} زُمراً

٤٩٣٥ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما بين النَّفْختَين أربَعون، قال: أربعون يوماً؟ قال: أبَيْتُ، قال: أربعونَ شهراً وقال: أبيْتُ، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ، قال: ثم يُنزلُ اللهُ من السماءِ ماءً، فيَنبُتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ، ليس منَ الإنْسان شيءٌ إلا يَبْلى، إلا عَظْماً واحِداً وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، ومنه يُركبُ الخَلْقُ يومَ القيامة».

قوله (باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً: زمرا) ذكر فيه حديث أبي هريرة «ما بين النفختين أربعون» وقد تقدم شرحه في تفسير الزمر.

(٧٩) سُورةُ {والنَّازعات}

وقال مُجاهدٌ: الآيةَ الكبرى عَصاهُ ويدُهُ، يُقال النَّاخِرَة والنَّخِرةُ سَواءٌ، مثلُ الطامِعِ والطَّمِع، والباخِل والبَخيل، وقال بعضُهم: والنَّخرة البالية والناخرةَ العَظْمُ المجوفُ الذي تَمرُّ فيه الرِّيح فَيَنْخَرُ، وقال ابن عباس: الحافرَة إلى أمرنا الأول إلى الحياةِ، وقال غيرُه: أيان مُرْساها متى مُنتَهاها، ومُرْسى السَّفينةِ حيثُ تَنتهي.

قوله (وقال ابن عباس: الحافرة إلى أمرنا الأول، إلى الحياة) وصله ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {الحافرة} يقول: الحياة، وقال الفراء: الحافرة يقول إلى أمرنا الأول، إلى الحياة، والعرب تقول أتيت فلاناً ثم رجعت على حافري أي من حيث جئت، قال: وقال بعضهم الحافرة الأرض التي تحفر فيها قبورهم، فسماها الحافرة أي المحفورة، كماء دافق أي مدفوق.

١ ـ باب *

٤٩٣٦ ـ عن سَهلِ بن سعدٍ رضيَ الله عنه قال: «رأيْتُ رسولَ الله ﷺ قال: بإصبَعَيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبْهام: بُعثْتُ والساعةَ كَهاتَين». الطامَّة: تَطُم على كلِّ شيء.

[الحديث ٤٩٣٦ - طرفاه في: ٥٣٠١، ٦٥٠٣]

(٨٠) سُورَةُ {عَبَسَ}، بسم الله الرحمن الرحيم

{عَبَسَ وتولَّى: كَلَحَ وأعْرَضَ، وقال غيرهُ مُطَهَّرة لا يَمسُّها إلا المطَّهرون وهم الملائكةُ، وهذا مِثلُ قوله {فالمدَبِّراتِ أمراً} جَعَل الملائكةَ والصُّحفَ مطهَّرَةً لأنَّ الصُّحف يَقعُ عليها التَّطهيرُ، فَجعل التطهير لِمَنَ حَمَلَها أيضاً. سَفَرة: الملائكةُ، واحِدُهم سافرٌ، سَفَرْتُ أصَلَحْتُ بينهم، وجُعلَت الملائكةُ إذا نَزَلَت بوحْي الله وتأديته كالسفير الذي يُصْلِح بين القوم، وقال غيره: تَصدَّى تَغافَل عنه، وقال مُجاهد {لما يقض} لا يقضي أحدٌ ما أُمِرَ به، وقال ابن عبّاسٍ ترهَقها {قَترة} تَغشاها شِدَّةٌ، مُسْفِرةٌ: مُشْرِقَةٌ، بأيدي سَفَرة، وقال ابن عباسٍ كتبةٍ، أسفاراً كُتُباً، تَلَهى تَشاغَل، يُقال واحد الأسفارِ سِفْرٌ

٤٩٣٧ ـ عن عائشة عن النبيِّ ﷺ قال: «مَثَلُ الذي يقرأ القرآنَ وهو حافظٌ له مع السَّفَرة الكِرام البَرَرة، ومثَل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهَده وهْوَ عليه شَديدٌ فلَه أجْران».

قوله (عبس وتولى: كلح وأعرض) أما تفسير عبس فهو لأبي عبيدة، وأما تفسير تولى فهو في حديث عائشة الذي سأذكره بعد، ولم يختلف السلف في أن فاعل عبس هو النبي ﷺ.

وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت: «نزلت في ابن أم مكتوم الأعمى فقال: يا رسول الله أرشدني -وعند النبي ﷺ رجل من عظماء المشركين- فجعل النبي ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر فيقول له: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، فنزلت عبس وتولى» قال الترمذي: حسن غريب.

قوله (سفرة الملائكة واحدهم سافر، سفرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم) وقد تمسك به من قال إن جميع الملائكة رسل الله، وللعلماء في ذلك قولان، الصحيح أن فيهم الرسل وغير الرسل، وقد ثبت أن منهم الساجد فلا يقوم والراكع فلا يعتدل، الحديث، واحتج الأول بقوله تعالى {جاعل الملائكة

رسلا} وأجيب بقول الله تعالى {الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس}.

قوله (تصدى تغافل عنه) في رواية النسفي «وقال غيره الخ» وسقط منه شيء، والذي قال أبو عبيدة في قوله تعالى {فأنت له تصدى} أي تتعرض له، تلهى تغافل عنه، فالساقط لفظ تتعرض له ولفظ تلهى، وقد تعقب أبو ذر ما وقع في البخاري فقال: إنما يقال تصدى للأمر إذا رفع رأسه إليه، فأما تغافل فهو تفسير تلهى.

قوله (مثل) أي صفته، وهو كقوله تعالى {مثل الجنة}.

قوله (وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة) قال ابن التين: معناه كأنه مع السفرة فيما يستحقه من الثواب.

قوله (ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران) قال ابن التين اختلف هل له ضعف أجر الذي يقرأ القرآن حافظاً أو يضاعف له أجره وأجر الأول أعظم؟ قال: وهذا أظهر، ولمن رجح الأول أن يقول: الأجر على قدر المشقة.

(٨١) باب سورة {إذا الشمسُ كُوِّرَتْ}

انْكَدَرت: انتَثَرت، وقال الحسَنُ سُجرتْ: يذهب ماؤها فلا يَبقى قَطرةٌ، وقال مُجاهد المَسْجور: المملوء، وقال غيرهُ سُجِرت أفضى بعضها إلى بعض فصارت بْحراً واحداً، والخُنَّسُ تخنس في مُجراها ترْجِع، وتكنِس تستر في بيوتِها كما تَكنس الظباء، تنَفسَ: ارْتَفع النَّهار، والظنين المتهَم، والضَّنين يَضنُّ به، وقال عُمر: النُّفُوس زوِّجتْ يزَوجُ نَظيرَهُ من أهْل الجَنَّة والنَّار، ثمّ قَرَأ رضيَ الله عنه: {احْشُروا الذين ظَلَموا وَأَزْواجَهُم} عَسْعَس: أدبَرَ

قوله (سورة {إذا الشمس كورت}) ويقال لها أيضاً سورة التكوير.

قوله (انكدرت) انتثرت) قال الفراء: في قوله تعالى {وإذا النجوم انكدرت} يريد انتثرت، وقعت في وجه الأرض.

قوله (والخنس تخنس في مجراها ترجع، وتكنس تستتر في بيوتها كما تكنس الظباء) قال الفراء في قوله {فلا أقسم بالخنس}: وهي النجوم الخمسة تخنس في مجراها ترجع، وتكنس تستتر في بيوتها كما تكنس الظباء في المغاير وهي الكناس، قال: والمراد بالنجوم الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري.

(تنبيه): لم يورد فيها حديثاً مرفوعاً، وفيها حديث جيد أخرجه أحمد والترمذي والطبراني وصححه الحاكم من حديث ابن عمر رفعه «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ «إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت» لفظ أحمد.

(٨٢) سُوْرَةَ {إذا السَّماء انفَطَرتْ} بسم الله الرحمن الرحيم

وقال الرَّبيعُ بن خُثَيمٍ فُجِّرت فاضت، وقرأ الأعمش وعاصِم {فعَدَلك} بالتَّخفيف، وقرأهُ أهل الحجاز بالتْشديد، وأرادَ معتَدِلَ الخَلقِ، ومن خفف يعني في أيِّ صورة شاءَ: إمَّا حَسَنَ

وإمّا قبيح، أو طويل أو قَصير.

(تنبيه): لم يورد فيها حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيها حديث ابن عمر المنبه عليه في التي قبلها.

(٨٣) سورة {وَيْلٌ للمَطَفِّفِين}، بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مُجاهد رانَ: ثَبْتُ الخَطايا، ثُوِّبَ: جُوزِيَ، الرَّحيقُ: الخمر، {ختامُهُ مسك} طينه، التسنيم: يعلو شرابَ أهلِ الجنة، وقال غيرهُ: المُطفِّف لا يُوَفِّي غيرَه يوم يقوم الناسُ لربِّ العالَمين.

قوله (وقال مجاهد: بل ران وثبت الخطايا) والران والرين الغشاوة، وهو كالصدى على الشيء الصقيل، وروى ابن حبان والحاكم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه، فإن هو نزع واستغفر صقلت، فإن هو عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، فهو الران الذي ذكر الله تعالى {كلا بل ران على قلوبهم}.

باب {يومَ يقوم النأسُ لربِّ العالمين}

٤٩٣٨ ـ عن عبدِ الله بن عمَر رضيَ الله عنهما «أنَّ النبيَ ﷺ قال: {يومَ يقومُ الناس لِربِّ العالمين} حتى يغيب أحدُهم في رَشْحه إلى أنصَافِ أذنيه».

[الحديث ٤٩٣٨ - طرفه في: ٦٥٣١]

قوله (في رَشَحه) أي عرقه لأنه يخرج من البدن شيئاً بعد شيء كما يرشح الإناء المتحلل الأجزاء.

وقد روى مسلم من حديث المقداد بن الأسود عن النبي ﷺ «تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق» فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً».

(٨٤) سُورةَ {إذا السَّماء انشقَّتْ}

قال مجاهد كتابَهُ بِشمالهِ: يأخُذُ كتابه من وَراءِ ظَهره، وَسَقَ: جَمع من دابَّة، ظَنَّ أنْ لنْ يَحور: لا يرْجِع إلينا.

قوله (سورة إذا السماء انشقت) ويقال لها أيضاً سورة الإنشقاق وسورة الشفق.

١ ـ باب {فسوفَ يُحاسَب حساباً يسيرا}

٤٩٣٩ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «ليس أحدَ يحاسَب إلا هَلَكَ، قالت قلت يا رسولَ اللهَ جَعلني الله فِداءَك، أليس يقول الله عزَّ وجلَّ، {فأمَّا من أوتيَ كتابَه بيمينِه فسوفَ يحاسَب حساباً يَسيرا}، قال: ذاكِ العَرْض يُعْرَضون، ومن نوقش الحسابَ هلَك».

٢ ـ باب {لتركَبُنَّ طبقاً عن طَبق}

٤٩٤٠ ـ عن ابن عبّاسٍ {لتَركَبُنَّ طبقاً عن طَبق}: حالاً بعدَ حال، قال هذا نَبيُّكم ﷺ».

قوله (قال ابن عباس {لتركبن طبقاً عن طبق} حالاً بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ) أي الخطاب له.

وأخرج الطبري أيضاً والحاكم من حديث ابن مسعود إلى قوله {لتركبن طبقاً عن طبق} قال: السماء، وفي لفظ للطبري عن ابن مسعود قال: المراد أن السماء تصير مرة كالدهان، ومرة تشقق ثم تحمر ثم تنفطر، ورجح الطبري الأول وأصل الطبق الشدة، والمراد بها هنا ما يقع من الشدائد يوم القيامة، والطبق ما طابق غيره، يقال ما هذا بطبق كذا أي لا يطابقه، ومعنى قوله حالاً بعد حال» أي حال مطابقة للتي قبلها في الشدة، أو هو جمع طبقة وهي المرتبة، أي هي طبقات بعضها أشد من بعض، وقيل المراد اختلاف أحوال المولود منذ يكون جنينا إلى أن يصير إلى أقصى العمر، فهو قبل أن يولد جنين، ثم إذا ولد صبي، فإذا فطم غلام، فإذا بلغ سبعاً يافع، فإذا بلغ عشرا حزور، فإذا بلغ خمس عشرة قمد، فإذا بلغ خمساً وعشرين عنطنط، فإذا بلغ ثلاثين صمل، فإذا بلغ أربعين كهل، فإذا بلغ خمسين شيخ، فإذا بلغ ثمانين هم، فإذا بلغ تسعين فان.

(٨٥) سُورةَ البُروج

وقال مجاهد الأخدود شَقٌّ في الأرض، فتَنوا عذبوا، وقال ابن عباس: الوَدود الحبيب، المجيد الكريم.

قوله (سورة البروج) تقدم في أواخر الفرقان تفسير البروج.

قوله (وقال مجاهد: الأخدود شق في الأرض) وصله الفريابي بلفظ «شق بنجران كانوا يعذبون الناس فيه» وأخرج مسلم والترمذي وغيرهما من حديث صهيب قصة أصحاب الأخدود مطولة، وفيه قصة الغلام الذي كان يتعلم من الساحر، فمر بالراهب فتابعه على دينه، فأراد الملك قتل الغلام لمخالفته دينه فقال: إنك لن تقدر على قتلي حتى تقول إذا رميتني بسم الله رب الغلام، ففعل فقال الناس: آمنا برب الغلام، فحدَّ لهم الملك الأخاديد في السكك وأضرم فيها النيران ليرجعوا إلى دينه، وفيه قصة الصبي الذي قال لأمه: اصبري فإنك على الحق.

قوله فتنوا عذبوا) وهذا أحد معاني الفتنة، ومثله {يوم هم على النار يفتنون} أي يعذبون.

(٨٦) سُورةُ الطارِق

هو النجم، وما أتاك ليلاً فهو طارق، النجم الثاقب: المضيء، وقال مجاهد: ذاتِ الرَّجعَ سَحابٌ يَرجع بالمَطر، وذاتِ الصَّدْع الأرض تتصدَّع بالنَّبات قال ابن عباس {لقولٌ فَصل}:

لحق، {لمّا عليها حافظ}: إلا عليها حافظ.

(تنبيه): لم يورد في الطارق حديثاً مرفوعاً، وقد وقع حديث جابر في قصة معاذ «فقال النبي ﷺ: أفتان يا معاذ؟ يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها»، الحديث أخرجه النسائي هكذا، ووصله في الصحيحين.

(٨٧) سُورةُ {سَبِّح اسمَ ربِّكَ الأعلى}

وقال مجاهد {قدَّر فهدَى}: قدَّر للإنسان الشقاء والسعادة، {وهدى} الأنعام لمراتعها

٤٩٤١ - عن البَراء رضيَ الله عنه قال: «أول من قَدِمَ علينا من أصحابِ النبيِّ ﷺ مُصعَبُ بن عُمير وابنُ أمِّ مَكتوم، فَجعلا يُقرِئاننا القرآنَ، ثم جاء عمّار وبلالٌ وسعدٌ، ثم جاء عُمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبيُّ ﷺ، فما رأيت أهلَ المدينة فرحوا بِشيء فرحَهم به، حتى رأيتُ الولائدَ والصبْيانَ يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت {سَبِّحِ اسْمَ ربِّكَ الأعلى} في سُوَر مثلِها».

قوله (سورة سبح اسم ربك الأعلى) ويقال لها سورة الأعلى، وأخرج سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير «سمعت ابن عمر يقرأ سبحان ربي الأعلى الذي خلق فسوى» وهي قراءة أبيّ بن كعب.

ثم ذكر المصنف حديث البراء في أول من قدم المدينة من المهاجرين، وقد تقدم شرحه في أوائل الهجرة(١).

(٨٨) سورة {هل أتاكَ حديث الغاشيَة} بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابنُ عباس: {عاملةٌ ناصبةٌ} النصارَى، وقال مجاهد: {عَينٌ آنية} بلغ إناها وحانَ شُربها، {حَميمٍ آنٍ} بَلغ إناهُ، {لا تَسْمَعُ فيها لاغيَة} شَتْماً، ويقال: الضَّريعُ نَبتٌ يُقال له الشِّبْرِقُ، يُسمِّيه أهلُ الحِجاز الضَّريعَ إذا يَبسَ وهو سُمٌّ، {بِمُسَيطر}: بِمسلَّط، ويُقرأ بالصّاد والسِّين، وقال ابن عباس: {إيابَهم} مرجِعَهم.

قوله (سورة هل أتاك - بسم الله الرحمن الرحيم) ويقال لها أيضاً سورة الغاشية، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الغاشية من أسماء يوم القيامة.

قوله (لا تسمع فيها لاغية: شتماً) وصله الفريابي أيضاً عن مجاهد، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: لا تسمع فيها باطلاً ولا مأثماً.

قوله (ويقال الضريع نبت يقال له الشبرق، تسميه(٢) أهل الحجاز الضريع إذا يبس، وهو

---

(١) كتاب مناقب الأنصار باب/ ٤٦ ح ٣٩٢٤ - ٣/٢٤٧.
(٢) في رواية الباب واليونينية "يسمّيه" بالياء.

سم) والشبرق، قال الخليل بن أحمد: هو نبت أخضر منتن الريح يرمي به البحر.

قوله (بمسيطر بمسلط) قال أبو عبيدة في قوله {لست عليهم بمسيطر}: بمسلط، قال ابن التين: أصله السطر، والمعنى أنه لا يتجاوز ما هو فيه، قال وإنما كان ذلك وهو بمكة قبل أن يهاجر ويؤذن له في القتال.

(تنبيه): لم يذكر فيها حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيها حديث جابر رفعه «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» الحديث وفي آخره «وحسابهم على الله» ثم قرأ {إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر} إلى آخر السورة، أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم وإسناده صحيح.

(٨٩) سُورةُ والفَجْرِ

وقال مُجاهد: {إِرَمَ ذاتِ العماد} يعني القديمة، والعِماد: أهلُ عَمود لا يُقيمون، {سوطَ عذاب}: الذي عُذِّبوا به، {أكلاً لمّاً}: السفُّ، وجَمّاً: الكثير، وقال مجاهد: كلُّ شيء خَلَقه فهو شَفع، السماء شَفع، والوَتر: اللهُ تبارك وتعالى، وقال غيره {سَوط عذاب} كلمة تقولها العربُ لكلِّ نوعٍ من العذاب يدخلُ فيه السوط، {لبالمِرصاد}: إليه المصير، {تَحاضُّون}: تُحافِظون، وتَحُضُّون: تأمرون بإطعامه، {المطمئنة} المصدّقة بالثواب، وقال الحسن {يا أيتُها النفسُ المطمئنة} إذا أراد اللهُ عزَّ وجلَّ قبضها اطمأنت إلى الله واطمأن اللهُ إليها، ورضِيَت عن الله ورضيَ اللهُ عنها، فأمرَ بقبض روحها وأدخله الله الجنة وجعلَه من عباده الصالحين، وقال غيره {جابوا} نَقبوا، من جِيبَ القميص قُطعَ له جَيب، يَجوبُ الفلاةَ: يَقطعُها، {لما} لَممتُه أجمعَ: أتيتُ على آخره.

قوله (سورة والفجر - وقال مجاهد: إرم ذات العماد يعني القديمة، والعماد أهل عمود لا يقيمون) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: إرم قبيلة من عاد، قال: والعماد كانوا أهل عمود أي خيام، انتهى، وإرم هو ابن سام بن نوح، وعاد ابن عوص ابن إرم.

(تنبيه): قرأ الجمهور الوتر بفتح الواو، وقرأها الكوفيون سوى عاصم بكسر الواو واختارها أبو عبيد.

قوله (المطمئنة المصدقة بالثواب) قال الفراء {يا أيتها النفس المطمئنة} بالإيمان، المصدقة بالثواب والبعث.

(تنبيه): لم يذكر في الفجر حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيه حديث ابن مسعود رفعه في قوله تعالى {وجيء يومئذ بجهنم} قال: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»، أخرجه مسلم والترمذي.

(٩٠) سورة {لا أُقسمُ}

وقال مجاهد {وأنت حِل بهذا البلد}: مكة، ليس عليكَ ما على الناس فيه من الإثم، {ووالدٍ} آدم {وما ولَدَ}، {لِبَداً}: كثيرا، والنجدين: الخير والشرّ، مَسغَبة: مجاعة، مَترَبَة: الساقط في التراب، يقال {فلا اقتَحم العقبةَ}: فلم يقتحم العقبة في الدنيا، ثم فسَّر العقبة فقال: {وما أدراك ما العقبة؟ فكٌّ رقبة، أو إطعامٌ في يوم ذي مَسغَبة}، {في كَبَد}: في شدَّة.

قوله (سورة لا أقسم) ويقال لها أيضاً سورة البلد، واتفقوا على أن المراد بالبلد مكة شرفها الله تعالى.

قوله (وقال مجاهد {وأنت حل بهذا البلد} مكة، ليس عليك ما على الناس فيه من الأثم) وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: يقول لا تؤاخذ بما عملت فيه وليس عليك فيه ما على الناس، وقد أخرجه الحاكم من طريق منصور عن مجاهد فزاد فيه عن ابن عباس بلفظ: أحل الله له أن يصنع فيه ما شاء، ولابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس: يحل لك أن تقاتل فيه، وعلى هذا فالصيغة للوقت الحاضر والمراد الآتي لتحقق وقوعه، لأن السورة مكية والفتح بعد الهجرة بثمان سنين.

(تنبيه): لم يذكر في سورة البلد حديثاً مرفوعاً ويدخل فيها حديث البراء قال: «جاء أعرابي فقال: يا رسولَ الله علمني عملاً يدخلني الجنة، قال: لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة أو فك الرقبة، قال: أو ليستا بواحدة؟ قال: لا، إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها»، أخرجه أحمد وابن مردويه، وصححه ابن حبان.

(٩١) سُورةُ {والشمسِ وضُحاها}

وقال مجاهد: ضُحاها ضَوءُها، إذا تَلاها: تَبِعَها، وطَحاها: دحاها، ودَسَّاها: أغواها، فألهمها: عرَّفها الشقاء والسعادة، وقال مجاهد بطَغواها: بمعاصيها، ولا يَخاف عُقباها: عُقبى أحد.

٤٩٤٢ ـ عن عبدِ الله بن زَمْعَةَ أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يَخطبُ وذكر الناقةَ والذي عَقر، فقال رسولُ الله ﷺ {إذا انبَعَث أشقاها} انبعثَ لها رجل عزيزٌ عارِم مَنيع في رَهطِه مثلُ أبي زَمعة، وذكرَ النساء فقال: يَعمِد أحدُكم يَجلدُ امرأتَه جَلدَ العبد، فلعله يضاجعها من آخر يومِه، ثم وَعظهم في ضحكِهم من الضرطة وقال: لم يَضحك أحدُكم مما يَفعل؟». وقال أبو معاوية : حدثنا......إلى عم الزبير بن العوام.

قوله (ولا يخاف عقابها: عقبى أحد) وصله الفريابي من طريق مجاهد في قوله {ولا يخاف عقباها}: الله لا يخاف عقبى أحد.

والضمير في عقباها للدمدمة أو لثمود أو للنفس المقدم ذكرها، والدمدمة الهلاك العام.

قوله (بطغواها: معاصيها[(١)]) أو المعنى كذبت بالعذاب الناشيء عن طغيانها.

قوله (وذكر الناقة) أي ناقة صالح.

قوله (والذي عقر) أي الناقة.

قوله (إذا انبعث) تقدم في أحاديث الأنبياء بلفظ انتدب، تقول ندبته إلى كذا فانتدب له أي أمرته فامتثل.

قوله (عزيز) أي قليل المثل.

قوله (عارم) أي صعب على من يرومه كثير الشهامة والشر.

قوله (منيع) أي قوي ذو منعة أي رهط يمنعونه من الضيم.

قوله (وذكر النساء) أي وذكر في خطبته النساء استطراداً إلى ما يقع من أزواجهن.

قوله (يعمِد) وسيأتي شرحه في كتاب النكاح.

قوله (ثم وعظهم في ضحكهم) وقال: لم يضحك أحدكم مما يفعل؟ يأتي الكلام عليه في كتاب الأدب إن شاء الله تعالى.

قوله (عم الزبير بن العوام) هو عم الزبير مجازاً لأنه الأسود بن المطلب بن أسد، والعوام بن خويلد بن أسد، فنزل ابن العم منزلة الأخ فأطلق عليه عما بهذا الاعتبار، كذا جزم الدمياطي باسم أبي زمعة هنا وهو المعتمد، وقال القرطبي في «المفهم»: يحتمل أن المراد بأبي زمعة الصحابي الذي بايع تحت الشجرة يعني وهو عبيد البلوى، قال: ووجه تشبيهه به إن كان كذلك أنه كان في عزة ومنعة في قومه كما كان ذلك الكافر، قال: ويحتمل أن يريد غيره ممن يكنى أبا زمعة من الكفار.

قلت: وهذا الثاني هو المعتمد، والغير المذكور هو الأسود، وهو جد عبد الله بن زمعة راوي هذا الخبر.

(٩٢) سُورةُ {والليل إذا يَغشى}، بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابنُ عباس {وكذَّبَ بالحسنى}: بالخَلف، وقال مجاهد: تردَّى مات، وتلظَّى: تَوَهجَ، وقرأ عُبيد بن عُمير: تَتَلظَّى.

قوله (وقال ابن عباس: وكذب بالحسنى بالخلف) وصله ابن أبي حاتم من طريق حصين عن عكرمة عنه وإسناده صحيح.

١ ـ باب {والنهار إذا تَجلَّى}

٤٩٤٣ ـ عن علقمةَ قال: دخلتُ في نفرٍ من أصحابِ عبدِ الله الشامَ، فسمعَ بنا أبو الدَّرداءِ فأتانا فقال: أفيكم من يَقرأ؟ فقلنا: نعم، قال: فأيُّكم أقرأ؟ فأشاروا إليَّ، فقال:

(١) رواية الباب واليونينية "بطغواها بمعاصيها".

اقرأ. فقرأتُ {والليلِ إذا يَغشى، والنهارِ إذا تَجلى، والذكرِ والأنثى} قال: آنت سمعتها من في صاحِبك؟ قلتُ: نعم، قال: وأنا سمعتها من في النبيِّ ﷺ، وهؤلاءِ يأبَونَ علينا».

٢ - باب {وما خَلقَ الذكرَ والأنثى}

٤٩٤٤ - عن إبراهيم قال: «قدمَ أصحابُ عبد الله على أبي الدَّرداء، فطلبهم فوجَدهم فقال: أيُّكم يَقرأ على قراءة عبد الله؟ قال: كلُّنا، قال: فأيُّكم يحفَظُ؟ وأشاروا إلى علقمةَ، قال: كيف سمعتَهُ يَقرأ {والليلِ إذا يَغشى} قال علقمةُ {والذكرِ والأنثى} قال أشهدُ إني سمعتُ النبيَّ ﷺ يَقرأ هكذا، وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ {وما خَلقَ الذكر والأنثى} واللهِ لا أُتابِعُهم»

قوله (قدم أصحاب عبد الله) أي ابن مسعود.

قوله (وهؤلاء) أي أهل الشام (يريدونني على أن أقرأ وما خلق الذكر والأنثى، والله لا أتابعهم) هذا أبين من الرواية التي قبلها حيث قال: «وهؤلاء يأبون عليّ» ثم هذه القراءة لم تنقل إلا عمن ذكر هنا، ومن عداهم قرءوا «وما خلق الذكر والأنثى» وعليها استقر الأمر مع قوة إسناد ذلك إلى أبي الدرداء ومن ذكر معه، ولعل هذا مما نسخت تلاوته ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء ومن ذكر معه، والعجب من نقل الحفاظ من الكوفيين هذه القراءة عن علقمة وعن ابن مسعود وإليهما تنتهي القراءة بالكوفة ثم لم يقرأ بها أحد منهم، وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء ولم يقرأ أحد منهم بهذا، فهذا مما يقوي أن التلاوة بها نسخت.

٣ - باب {فأمّا مَن أعطى واتقى}

٤٩٤٥ - «عن عليٍّ رضيَ الله عنه قال: كنّا مع النبيِّ ﷺ في بَقيع الغَرقَد في جَنازةٍ، فقال: ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتبَ مَقعدُهُ من الجنةِ ومَقعَدُهُ من النار، فقالوا: يا رسولَ الله أفلا نَتَّكِل؟ فقال: اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ، ثم قرأ {فأما من أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى -إلى قوله- للعُسرى}».

قوله (باب قوله[1] فأما من أعطى واتقى) ذكر فيه حديث علي، وسيأتي شرحه مستوفى في كتاب القدر[2] إن شاء الله تعالى.

باب {وصدَّقَ بالحسنى}

عن علي رضيَ الله عنه قال: كنّا قعوداً عند النبيِّ ﷺ...» فذكَرَ الحديث.

٤ - باب {فَسنُيَسِّرُهُ لليُسرى}

٤٩٤٦ - عن عَليٍّ رضيَ الله عنه «عن النبيِّ ﷺ أنه كان في جَنازة، فأخَذَ عُوداً ينكتُ

---

(١) في المتن بدون "قوله" وفي اليونينية بدون التبويب".
(٢) كتاب القدر باب/ ٤ح ٥/١٠٠.

في الأرضِ فقال: ما مِنكم من أحَدٍ إلا وقدْ كُتبَ مَقعدُهُ من النّار، أو من الجنة، قالوا: يا رسولَ الله أفَلا نتّكِل؟ قال: اعملوا فكلٌّ مُيسَّرٌ {فأمّا من أعطى واتّقى وصدّقَ بالحُسنى} الآية».

٥ ـ باب {وأما مَن بَخِلَ واستَغنى}

٤٩٤٧ ـ عن عَلي رضيَ اللهُ عنه قال: «كنا جُلوساً عندَ النبيِّ ﷺ فقال: ما منكم مِن أحدٍ إلا وقد كُتبَ مَقعَدُهُ من الجنةِ ومقعدُهُ من النّار، فقلْنا: يا رسولَ الله أفَلا نتكلِ، قال: لا، اعْمَلوا فكلٌّ مُيسَّر، ثم قَرأ {فأما مَن أعطى واتّقى وصدّق بالحُسنى فسَنُيسِّره لليسْرى -إلى قوله- فسنُيسِّرُهُ للعُسْرى}».

٦ ـ باب {وكذَّبَ بالحُسنى}

٤٩٤٨ ـ عن علي رضيَ الله عنه قال: «كُنا في جَنازة في بَقيع الغَرْقَد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعَد وقَعدْنا حولَه، ومعهُ مِخصَرَةٌ، فنَكّس فَجعل ينكتُ بمِخصرته، ثم قال: ما منكُم من أحَدٍ، وَما من نَفْس منْفُوسة، إلا كُتِب مكانُها من الجنة والنار، وإلا قد كُتبت شقيةً أو سَعيدة، قال رجُلٌ: يا رسولَ الله أفلا نتكلُ على كتابنا ونَدَعُ العمَل، فمنْ كان منا من أهل السَعادة فَسَيصيرُ إلى أهل السعادة، ومن كان منّا من أهل الشّقاء فسيصير إلى عمل أهل الشقاوَةِ؟ قال: أما أهلُ السعادة فَيُيسَّرون لَعمل أهل السعادة، وأما أهلُ الشقاوةِ فييسّرون لِعمل أهلِ الشقاءِ، ثم قَرأ {فأما من أعْطى واتّقى وصدّق بالحُسنَى} الآية».

٧ ـ باب {فَسنُيسّرُهُ للعسرَى}

٤٩٤٩ ـ عن علي رضيَ الله عنه قال: «كان النبيُّ ﷺ في جَنازَةٍ، فأخذ شيئاً فجعل ينكُتُ به الأرضَ، فقال: ما مِنكُم مِن أحَدٍ إلا وقد كُتب مَقعدُهُ من النّار، ومقعدُهُ من الجَنة، قالوا: يا رسولَ اللهِ أفَلا نتكلُ على كتابنا ونَدعُ العَمَل؟ قال اعملوا فكلٌّ مُيسَّر لِمَا خُلقَ له، أما من كان من أهلِ السعادة فييسَّر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهلِ الشقاءِ فَيُيسّر لِعملِ أهل الشقاوةِ، ثم قرأ {فأمّا من أعْطى واتقى وصدّق بالحُسنى} الآية».

(٩٣) سُورةُ والضُّحَى، بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مُجاهِد: إذا سَجَى استوَى، وقال غيرُهُ: سَجى أظلَم وسكَن، عائلاً: ذو عيال

قوله (عائلاً ذو عيال) هو قول أبي عبيدة، وقال الفراء: معناه فقيراً، وقد وجدتها في مصحف عبد الله «عديماً»، والمراد أنه أغناه بما أرضاه، لا بكثرة المال.

١ - باب {ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلى}

٤٩٥٠ - عن جُندبِ بن سُفيانَ رضيَ الله عنه قال: «اشتكى رسولُ الله ﷺ، فلم يَقم ليلتَين أو ثلاثاً، فجاءَت امرأةٌ فقالت: يا محمدُ إنّي لأرجو أن يكون شيطانُكَ قد تركَك، لم أره قَرِبَكَ مُنذ ليْلتين أو ثلاثاً، فأنزل اللهُ عز وجلّ: {والضُّحَى والليلِ إذا سَجى ما ودَّعَك ربُّك وما قَلى}».

قوله (باب ما ودعك ربك وما قلى) وذكر في سبب نزولها حديث جندب، وأن ذلك سبب شكواه ﷺ، وقد تقدمت في صلاة الليل أن الشكوى المذكورة لم ترد بعينها، وأن من فسرها بأصبعه التي دميت لم يصب، ووجدت الآن في الطبراني باسناد فيه من لا يعرف أن سبب نزولها وجود جرو كلب تحت سريره ﷺ لم يشعر به فأبطأ عنه جبريل لذلك، وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ، مردود بما في الصحيح والله أعلم.

٢ - باب {ما وَدَّعَكَ رَبُّك وما قَلى}

تقرأُ بالتّشديد والتخفيف بمعنى واحِد: ما تركَكَ ربك، وقال ابن عباس: ما تركَكَ وما أبغَضَك

٤٩٥١ - عن جُندب البَجلي «قالت امرأة: يا رسولَ الله ما أرَى صاحِبَك إلا أبطأك، فنزلتْ: {ما ودعك ربك وما قَلى}».

قوله في الرواية الأخيرة: (قالت امرأة: يا رسول الله ما أرى صاحبك إلا أبطأك) هذا السياق يصلح أن يكون خطاب خديجة، دون الخطاب الأول فإنه يصلح أن يكون خطاب حمالة الحطب لتعبيرها بالشيطان والترك ومخاطبتها بمحمد، بخلاف هذه فقالت: صاحبك، وقالت: أبطأ، وقالت: يا رسول الله، وجوز الكرماني أن يكون من تصرف الرواة، وهو موجه لأن مخرج الطريقين واحد، وقوله «أبطأك» أي صيرك بطيئا في القراءة، لأن بطأه في الاقراء يستلزم بطء الآخر في القراءة، ووقع في رواية أحمد عن محمد بن جعفر عن شعبة «إلا أبطأ عنك».

(٩٤) سُورةُ {أَلَمْ نَشرَح لكَ}، بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مُجاهد: وِزركَ في الجاهلية، أنْقَضَ: أثقل؛ مع العسرُ يسرا: قال ابنُ عُيَينة أي إنَّ مع ذلك العُسر يسراً آخر، كقوله: {هَلْ تَرَبَّصُون بِنا إلا إحدى الحُسنَيين} ولَن يغلبَ عُسرٌ يُسرَين، وقال مجاهد: فانْصب في حاجتك إلى ربّك، ويُذكَر عن ابن عباس: {أَلم نشرح لك صدرك} شَرَح الله صدرَهُ للإسلام.

قوله (وقال مجاهد: وزرك في الجاهلية) و«في الجاهلية» متعلق بالوزر، أي الكائن في الجاهلية وليس متعلقاً بوضع.

قوله (مع العسر يسرا قال ابن عيينة: أي أن مع ذلك العسر يسراً آخر، كقوله هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) وهذا مصير من ابن عيينة إلى اتباع النحاة في قولهم إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى، وموقع التشبيه أنه كما ثبت للمؤمنين تعدد الحسنى كذا ثبت لهم تعدد اليسر، أو أنه ذهب إلى أن المراد بأحد اليسرين الظفر وبالآخر الثواب فلا بد للمؤمن من أحدهما.

قوله (ولن يغلب عسر يسرين) وأخرجه عبد بن حميد عن ابن مسعود باسناد جيد من طريق قتادة قال: «ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال: لن يغلب عسر يسرين إن شاء الله».

قوله (وقال مجاهد: فانصب في حاجتك إلى ربك) وصله ابن المبارك في الزهد عن سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله {فإذا فرغت فانصب} في صلاتك {وإلى ربك فارغب} قال: اجعل نيتك ورغبتك إلى ربك، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق زيد بن أسلم: إذا فرغت من الجهاد فتعبد.

تنبيه: لم يذكر في سورة {ألم نشرح} حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيها حديث أخرجه الطبري وصححه ابن حبان من حديث أبي سعيد رفعه «أتاني جبريل فقال: يقول ربك أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: إذا ذكرتُ ذكرتَ معي».

(٩٥) {سورةُ والتِّين}

وقال مجاهد: هو التِّين والزَّيتونُ الذي يأكلُ الناسُ، يُقال فما يكذِّبكَ؟ فما الذي يكذبك بأن الناسَ يُدانون بأعمالهم؟ كأنه قال: ومن يقدِر على تكذيبك بالثوابِ والعقاب؟

١ ـ باب * ٤٩٥٢ ـ عن البَراءِ رضيَ اللهُ عنه «أنَّ النبيَّ ﷺ كان في سَفَرٍ فقرأَ في العشاءِ في إحْدَى الرَّكعتَين بالتِّين والزَّيتُون» تقويم: الخَلْق.

قوله (سورة والتين) وقال مجاهد: هو التين والزيتون الذي يأكل الناس) وصله الفريابي من طريق مجاهد في قوله {والتين والزيتون} قال: الفاكهة التي تأكل الناس.

قوله (تقويم: خلق) كذا ثبت لابي نعيم، وقد وصله الفريابي من طريق مجاهد في قوله {أحسن تقويم} قال: أحسن خَلْق، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس بإسناد حسن قال: أعدل خلق.

(٩٦) سُورةُ {اقرأ باسم ربِّكَ الذي خَلَق}

عن الحَسن قال: اكتُب في المصحف في أول الإمام «بِسْمِ اللهِ الرحمن الرحيم» واجْعل بين السُورَتَين خَطًا، وقال مُجاهِد: نادِيَهُ عَشيرَتَهُ، الزَّبانية الملائكة، وقال مَعْمر الرُّجعى المَرجِع، لنسفَعَنْ قال: لنأخُذَن، ولنسفَعن بالنون وهي الخفيفة، سَفَعتُ بيدِهِ أخذتُ.

قوله (سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق) قال صاحب الكشاف: ذهب ابن عباس ومجاهد

إلى أنها أول سورة نزلت، وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب، كذا قال، والذي ذهب أكثر الأئمة إليه هو الأول، وأما الذي نسبه إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول.

قوله (في أول الإمام) أي أم الكتاب، وقوله «خطا» قال الداودي: إن أراد خطاً فقط بغير بسملة فليس بصواب لاتفاق الصحابة على كتابة البسملة بين كل سورتين إلا براءة، وإن أراد بالإمام أمام كل سورة فيجعل الخط مع البسملة فحسن، فكان ينبغي أن يستثنى براءة، وقال الكرماني: معناه اجعل البسملة في أوله فقط، واجعل بين كل سورتين علامة للفاصلة، وهو مذهب حمزة من القراءة السبعة.

قلت: المنقول ذلك عن حمزة في القراءة لا في الكتابة، قال: وكأن البخاري أشار إلى أن هذه السورة لما كان أولها مبتدأً بقوله تعالى {اقرأ باسم ربك} أراد أن يبين أنه لا تجب البسملة في أول كل سورة، بل من قرأ البسملة في أول القرآن كفاه في امتثال هذا الأمر، نعم استنبط السهيلي من هذا الأمر ثبوت البسملة في أول الفاتحة لأن هذا الأمر هو أول شيء نزل من القرآن فأولى مواضع امتثاله أول القرآن.

١ ـ باب * ٤٩٥٣ ـ عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: «كان أوّلُ ما بُدِىءَ به رسولُ الله ﷺ الرؤيا الصَّادقة في النوم، فكان لا يرَى رُؤْيا إلا جاءَت مثلَ فَلَق الصبْح، ثم حُبِّبَ إليه الخَلاء فكانَ يَلحقُ بغارِ حِراءٍ فيتَحنَّثُ فيه، قال: والتحنث: التَعبد الليالي ذَواتِ العَدَد، قبْل أن يرجع إلى أهلِه، ويتزوَّدَ لذلك، ثم يرجع إلى خَديجةَ، فيتزَوّدُ بِمثْلها، حتى فَجِئَهُ الحقُّ وهو في غارِ حِراءٍ، فجاءَهُ الملَك فقال: اقرأ، فقال رسولُ الله ﷺ: ما أنا بِقاريءٍ، قال: فأخذَني فَغطَّني حتى بلغَ مني الجُهدُ، ثم أرسَلني فقال: اقرأ، قلتُ: ما أنا بقاريءٍ، فأخذَني فَغطني الثانية حتى بلغ مِني الجُهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلتُ: ما أنا بقاريءٍ، فأخذَني فغطني الثالثةَ حتى بلغ مِني الجهد، ثم أرْسَلني فقال: {اقرأ باسْم ربِّكَ الذي خَلقَ خلق الإنسانَ من عَلق، اقرأ وربُّكَ الأكرمُ الذي علَّم بالقلم} لآياتٍ إلى قوله {علم الإنسانَ ما لم يَعْلم}، فرجع بها رسولُ الله ﷺ تَرْجُف بوادرُه، حتى دخل على خَديجَة فقال: زَمِّلوني زَمِّلوني، فزَمَّلوه حتىٌ ذَهَب عنه الرَوْعُ ، قال لخديجه: أيْ خديجة، مالِي لقد خَشيتُ عَلَى نفسي؟ فأخبرها الخبر، قالت: خديجةُ: كلاً أبشر، فَوَ الله لا يُخزيكَ اللهُ أبدا، فَوَ الله إنك لَتَصِلُ الرَّحِم، وتَصدُقُ الحديثَ، وتحملُ الكَلَّ، وتكْسِبُ المعدُومَ، وتَقري الضيْف، وتُعين على نوائب الحق، فانطَلَقتْ به خديجَةُ حتى أتَتْ به ورَقَةَ بن نَوفلٍ، وهو ابنُ عمِّ خديجة أخي أبيها، وكان امرءاً تنصَّر في الجاهلية؛ وكان يكتبُ الكتابَ العَربي، ويكتُبُ مِن الإنْجيل بالعربية ما شاء الله أنْ يَكتُب، وكان شيْخاً كبيراً قد عَميَ، فقالت خديجة يا عم، اسمَعْ من ابن أخيك، قال ورَقَة يا ابن أخي ما ذا ترَى؟ فأخبرَهُ النبيُّ ﷺ خَبرَ ما

رأى، فقال ورقة: هذا الناموسُ الذي أُنزلَ على موسى، لَيتني فَيها جَذَعاً، ليتني أكونُ حيًّا -ذكَر حرفا- قال رسول الله ﷺ: أوَ مُخرِجيّ هم؟ قال ورَقةُ: نعم، لم يأتِ رجُل بما جئْتَ به إلا أُوذيَ، وإنْ يُدركني يومُك حيا أنصُرْك نصراً مُؤزَّراً، ثم لم يَنشَبْ ورقةُ أن تُوفيَ وفتَر الوحْي فترْةً حتى حَزِنَ رسولُ الله ﷺ».

٤٩٥٤ - عن أبي سَلَمَة أنَّ جابر بن عبد الله الأنصاري رضيَ الله عنهما قال: «قال رسولُ الله ﷺ وهو يُحدِّث عن فترْةِ الوحي، قال في حديثه: بيْنا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماءِ، فرفعْتُ بصري فإذا الملَكُ الذي جاءني بِحراءٍ جالسٌ على كرسيٍّ بين السماءِ والأرض، ففرقت منه، فرَجعْت فقلت: زملوني زملوني، فدثروه، فأنزَل الله تعالى {يا أيها المدثر، قُم فأنذر، وربَّكَ فكبر، وثيابَك فطهر، والرُّجزَ فاهْجُر}، قال أبو سلَمَة: وهي الأوثان التي كان أهلُ الجاهليةَ يَعبُدون، قال: ثم تتابع الوحي».

قوله (أول ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة) زاد في رواية عقيل كما تقدم في بدء الوحي «من الوحي» أي في أول المبتدآت من إيجاد الوحي الرؤيا، وأما مطلق ما يدل على نبوته فتقدمت له أشياء مثل تسليم الحجر كما ثبت في صحيح مسلم وغير ذلك.

قوله (الصالحة)(١) قال ابن المرابط هي التي ليست صغثاً ولا من تلبيس الشيطان.

قوله (ثم حبب إليه الخلاء) هذا ظاهر في أن الرؤيا الصادقة كانت قبل أن يجيب إليه الخلاء، ويحتمل أن تكون لترتيب الأخبار، فيكون يحبب الخلوة سابقاً على الرؤيا الصادقة، والأول أظهر.

قوله (الخلاء) بالمد المكان الخالي، ويطلق على الخلوة، وهو المراد هنا.

قوله (قال والتحنث التعبد) هذا ظاهر في الإدراج، إذ لو كان من بقية كلام عائشة لجاء فيه قالت، ولم يأت التصريح بصفة تعمده، لكن في رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحق «فيطعم من يرد عليه من المساكين» وجاء عن بعض المشايخ أنه كان يتعبد بالتفكر، ويحتمل أن تكون عائشة أطلقت على الخلوة بمجردها تعبداً، فإن الانعزال عن الناس ولا سيما من كان على باطل من جملة العبادة كما وقع للخليل عليه السلام حيث قال: {إني ذاهب إلى ربي}، وهذا يلتفت إلى مسألة أصولية، وهو أنه ﷺ هل كان قبل أن يوحي إليه متعبداً بشريعة نبي قبله؟ قال الجمهور: لا، لأنه لو كان تابعاً لاستبعد أن يكون متبوعاً، ولأنه لو كان لنقل من كان ينسب إليه، وقيل نعم، واختاره ابن الحاجب، واختلفوا في تعيينه على ثمانية أقوال: أحدها آدم حكاه ابن برهان، الثاني نوح حكاه الآمدي، الثالث إبراهيم ذهب إليه جماعة واستدلوا بقوله تعالى {أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً}، الرابع موسى، الخامس

(١) رواية الباب واليونينية "الصادقة".

عيسى، السادس بكل شيء بلغه عن شرع نبي من الأنبياء وحجته {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}، السابع الوقف واختاره الآمدي، ولا يخفى قوة الثالث ولا سيما مع ما نقل من ملازمته للحج والطواف ونحو ذلك مما بقي عندهم من شريعة إبراهيم والله أعلم، وهذا كله قبل النبوة، وأما بعد النبوة فقد تقدم القول فيه في تفسير سورة الأنعام.

قوله (فغطني) تقدم بيانه في بدء الوحي، ووقع في «السيرة لابن إسحق» فغتني وهما بمعنى، المراد غمني.

والحكمة في هذا الغط شغله عن الالتفات لشيء آخر أو لإظهار الشدة والجد في الأمر تنبيها على ثقل القول الذي سيلقي إليه، فلما ظهر أنه صبر على ذلك ألقى إليه، وهذا وإن كان بالنسبة إلى علم الله حاصل لكن لعل المراد إبرازه للظاهر بالنسبة إليه ﷺ، وقيل ليختبر هل يقول من قبل نفسه شيئاً فلما لم يأت بشيء دل على أنه لا يقدر عليه وقيل أراد أن يعلمه أن القراءة ليست من قدرته ولو أكره عليها، وقيل: الحكمة فيه أن التخيل والوهم والوسوسة ليست من صفات الجسم؛ فلما وقع ذلك لجسمه علم أنه من أمر الله، وذكر بعض من لقيناه أن هذا من خصائص النبي ﷺ، إذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء أنه جرى له عند ابتداء الوحي مثل ذلك.

قوله {فغطني الثالثة} يؤخذ منه أن من يريد التأكيد في أمر وإيضاح البيان فيه أن يكرره ثلاثاً وقد كان ﷺ يفعل ذلك كما سبق في كتاب العلم.

قوله (زملوني زملوني) والتزميل التلفيف؛ وقال ذلك لشدة ما لحقه من هول الأمر، وجرت العادة بسكون الرعدة بالتلفيف.

قوله (كلا أبشر) وفي مرسل عبيد بن عمير «فقالت أبشر يا ابن عم واثبت فو الذي نفسي بيده إني لأرجوا أن تكون نبي هذه الأمة».

قوله (أنزل على موسى) ووقع في مرسل أبي ميسرة «أبشر فأنا أشهد إنك الذي بشر به ابن مريم، وإنك على مثل ناموس موسى، وإنك نبي مرسل، وإنك ستؤمر بالجهاد» وهذا أصرح ما جاء في إسلام ورقة أخرجه ابن إسحاق.

قوله (يومك) أي وقت الإخراج، أو وقت إظهار الدعوة، أو وقت الجهاد.

قوله (ثم تتابع الوحي) أي استمر نزوله.

٢ ـ باب قوله {خَلَقَ الإنسانَ من عَلَق}

٤٩٥٥ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: «أولُ ما بُدِىءَ به رسولُ الله ﷺ الرُّؤْيا الصالحة، فجاءَهُ الملَكُ فقال: {اقرأ باسم ربِّك الذي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقَ، اقرأ وربُّكَ الأكرمُ}».

٣ ـ باب قوله {اقرأ وربُّكَ الأكرمُ}

٤٩٥٦ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها «أولُ ما بُدىءَ به رسولُ الله ﷺ الرُّؤيا الصادقةُ، جاءَهُ الملك فقال: {اقرأ باسم ربِّك الذي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ، اقرأ وربُّكَ الإكرمُ الذي عَلَّم بالقلم}».

باب {الذي عَلَّمَ بالقلم}

٤٩٥٧ ـ عن عُرْوَةَ قالت عائشةَ رضيَ الله عنها: «فرجع النبيُّ ﷺ إلى خديجةَ، فقال: زَمِّلوني زَمِّلوني» فذكَر الحديث.

٤ ـ باب {كلاَّ لَئنْ لم يَنتَه لنَسْفَعنْ بالناصية، ناصية، كاذبة خاطئة}

٤٩٥٨ ـ عن عِكرمةَ قال ابنُ عباس: «قال أبو جهل لئن رأيتُ محمداً يُصلي عندَ الكعبةِ لأطأنَّ على عُنقِه، فبلغَ النبيَّ ﷺ فقال: لو فَعلهُ لأخذَتهُ الملائكة».

قوله (لو فعله لأخذته الملائكة) وقع عند البلاذري «نزل اثنا عشر ملكاً من الزبانية رءوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض.

وأخرج النسائي من طريق أبي حازم عن أبي هريرة نحو حديث ابن عباس وزاد في آخره «فلم يفجأهم منه إلا وهو -أي أبو جهل- ينكص على عقبيه ويتقي بيده، فقيل له، فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهو لا وأجنحة، فقال النبيُّ ﷺ: لودنا لاختطفته الملائكة عضواً عضوا» وإنما شدد الأمر في حق أبي جهل، ولم يقع مثل ذلك لعقبة بن أبي معيط حيث طرح سلي الجزور على ظهره ﷺ وهو يصلي كما تقدم شرحه في الطهارة لأنهما وإن اشتركا في مطلق الأذية حالة صلاته لكن زاد أبو جهل بالتهديد وبدعوى أهل طاعته وبارادة وطء العنق الشريف، وفي ذلك من المبالغة ما اقتضى تعجيل العقوبة لو فعل ذلك، ولأن سلي الجزور لم يتحقق نجاستها، وقد عوقب عقبة بدعائه ﷺ عليه وعلى من شاركه في فعله فقتلوا يوم بدر.

(٩٧) سُورةُ إنّا أنزلْناهُ

يُقال المطْلع هو الطلوع، والمطلِع الموضع الذي يُطلعُ منه، أنزلْناهُ الهاء كنايةٌ عن القرآن؛ إنا أنزلناه خرج مَخرج الجميع، والمُنزِل هو الله تعالى، والعرب تُؤكد فِعل الواحد فتجعله بلفظ الجميع ليكُون أثبتَ وأوكد.

(تنبيه): لم يذكر في سورة القدر حديثاً مرفوعاً، ويدخل فيها حديث «من قام ليلة القدر» وقد تقدم في أواخر الصيام[١].

---

(١) كتاب فضل ليلة القدر باب/ ١ح ٢٠١٤ - ٢/٢٠٥.

(٩٨) سورة {لَمْ يَكُنْ}، بسم الله الرحمن الرحيم

مُنفكين: زائلين، قيِّمة: القائمة، دِين القيِّمة أضاف الدين إلى المؤنث

١ - باب * ٤٩٥٩ - عن أنَس بن مالكٍ رضيَ الله عنه «قال النبيُّ ﷺ لأُبيّ: إنّ الله أمرني أنْ اقرأ عليك {لم يكنِ الذين كفروا} قال: وسماني؟ قال: نعم، فبكى».

٢ - باب * ٤٩٦٠ - عن أنَسٍ رضيَ الله عنه قال: «قال النبيُّ ﷺ لأُبَيّ: إنّ الله أمرَني أنْ اقرأ عليكَ القرآن، قال أُبيٌّ: آللهُ سمّاني لك؟ قال: اللهُ سمّاك لي، فَجعَل أُبيّ يبكي».

فقيل: الحكمة في تخصيصها بالذكر لأن فيها {يتلو صحفاً مطهرة}، وفي تخصيص أُبيّ ابن كعب التنويه به في أنه أقرأ الصحابة، فإذا قرأ عليه النبي ﷺ مع عظيم من كان غيره بطريق التبع له، وقد تقدم في المناقب مزيد كلام في ذلك.

٣ - باب * ٤٩٦١ - عن أنسٍ بن مالكٍ «أنّ نبيَّ اللهِ ﷺ قال لأُبيّ بن كعب: إنّ اللهَ أمرَني أن أقرِئَكَ القرآن، قال: آللهُ سماني لك؟ قال: نعم، قال: وقد ذُكِرْتُ عندَ ربِّ العالمين؟ قال: نعم، فذرَفَت عيناه».

قوله (أن أقرئك[١]) أي أعلمك بقراءتي عليك كيف تقرأ حتى لا تتخالف الروايتان، وقيل: الحكمة فيه لتحقق قوله تعالى فيها {رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة}.

قوله (فذرفت) أي تساقطت بالدموع، وقد تقدم شرح الحديث في مناقب أُبيّ بن كعب[٢].

(٩٩) سورة {إذا زلزلت الأرضُ زِلْزالَها} بسم الله الرحمن الرحيم

١ - باب قوله {فَمن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ}

يقال: أوحى لها وأَوْحىَ إليها، ووَحىَ لها ووَحى إليها واحدٌ

٤٩٦٢ - عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «الخيلُ لثلاثةٍ: لرجل أجرٌ، ولرجل سِترٌ، وعلى رجلٍ وِزر، فأمّا الذي له أجرٌ، فرجلٌ ربطها في سَبيل الله، فأطال لها في مَرْجٍ أو روضة، فما أصابت في طِيَلها ذلك في المرْج والروضةِ كان له حسنَاتٍ، ولو أنها قَطَعَتِ طيلتها فاستنَّت شرَفاً أو شرَفين، كانت آثارُهما وأرواثها حسناتٍ له، ولو أنها مَرتْ بِنهر فشربت منه -ولم يُرد أن يَسقيَ به- كان ذلك حسناتٍ له، فهيَ لذلك الرجل أجر. ورجل رَبطها تغَنّياً وتعفُّفاً ولم يَنسَ حقَّ الله في رِقابها ولا ظُهُورها فهي له سِتْر، ورَجل رَبطها فخراً ورِئاء ونِواءً فهي على ذلك وِزْر، فسُئلَ رسولُ الله ﷺ عن الحُمر، قال: ما أنزِلَ عَلَيَّ فيها إلا هذه الآية الفاذة الجامعة {فمن يَعملْ مِثقال ذَرَّةٍ خيراً يَرَه، ومَن

(١) رواية الباب واليونينية " أن أقرئك القرآن".
(٢) كتاب الجهاد باب/ ٤٨ح ٢٨٦٠ - ٢/٥٨٠.

يعملْ مِثقال ذرَّة شراً يَره}».

٢ - باب {ومن يَعملْ مثقال ذَرَّة شَرَّاً يره}

٤٩٦٣ - عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه «سُئلَ النبيُّ ﷺ عن الحُمر، فقال: لم يُنزَلْ عليَّ فيها شيءٌ إلا هذه الآيةُ الجامعةُ الفاذَّة {فمن يَعملْ مِثقالَ ذَرةٍ خيراً يرَه}، ومن يَعملْ مِثقال ذرة شراً يرهُ}».

قوله (أوحى لها يقال أوحى لها وأوحى إليها ووحى لها ووحى إليها واحد) قال أبو عبيدة في قوله {بأن ربك أوحى لها}: قال العجاج: أوحى لها القرار فاستقرت.

ثم ذكر فيه حديث أبي هريرة «الخيل لثلاثة» وقد تقدم شرح الحديث مستوفى في كتاب الجهاد.

(١٠٠) سُورَةُ والعاديات، والقارعة

وقال مُجاهِد: الكُنود الكَفُور، يُقال فأثَرْنَ به نَقْعا: رفَعْن به غُباراً، لُحبِّ الخَيْر: من أجل حب الخير، لَشَديد، لَبَخيل، ويقال للبخيل شديد، حُصِّل: مُيِّز.

قوله (والعاديات والقارعة) والمراد بالعاديات الخيل، وقيل الإبل.

وروى الطبراني من حديث أبي أمامة رفعه «الكنود الذي يأكل وحده، ويمنع رِفده، ويضرب عبده».

قوله (يقال فأثرن به نقعا: رفعن به غباراً) هو قول أبي عبيدة، والمعنى أن الخيل التي أغارت صباحاً أثرن به غباراً.

روى ابن مردويه بإسناد أحسن منه عن ابن عباس قال: «سألني رجل عن العاديات، فقلت: الخيل، قال: فذهب إلى علي فسأله فأخبره بما قلت، فدعاني فقال لي: إنما العاديات الإبل من عرفة إلى مزدلفة» الحديث، وعند سعيد بن منصور من طريق حارثة بن مضرب قال: كان علي يقول هي الإبل، وابن عباس يقول هي الخيل، ومن طريق عكرمة عنهما نحوه بلفظ «الإبل في الحج والخيل في الجهاد» وبإسناد حسن عن عبد الله بن مسعود قال: هي الإبل، وبإسناد صحيح عن ابن عباس: ما ضبحت دابة قط إلا كلب أو فرس.

(١٠١) سورةُ القارعة

كالفَراشِ المبْثوث: كغَوغاءِ الجراد يَركَبُ بعضُهُ بَعضاً، كذلك الناس يَجُول بعضُهم في بعض.

كالعِهْن: كألوانِ العهْن، وقرأ عبدُ الله «كالصُّوف».

قوله (كالفراش المبثوث كغوعاء الجراد يركب بعضه بعضا، كذلك الناس يجول بعضهم في بعض) وفي تشبيه الناس يوم البعث بالفراش مناسبات كثيرة بليغة، كالطيش والانتشار والكثرة والضعف والذلة والمجيء بغير رجوع والقصد إلى الداعي والاسراع وركوب بعضهم

بعضاً والتطاير إلى النار.

(١٠٢) سُورةُ {أَلْهَاكُمُ}، بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابنُ عباس: {التكاثُر} من الأمْوال والأوْلاد

(١٠٣) سُورة {وَالعصْر}

وقال يحيى: {العصر} الدهر، أقسم به.

(تنبيه) لم أر في تفسير هذه السورة حديثاً مرفوعاً صحيحاً، لكن ذكر بعض المفسرين فيها حديث ابن عمر «من فاتته صلاة العصر» وقد تقدم في صفة الصلاة مشروحاً[١].

(١٠٤) سورة {وَيلٌ لِكلِّ هُمَزَة}، بسم الله الرحمن الرحيم

الحطمة اسم النار مثل سقر ولظى.

قوله (الحطمة اسم النار، مثل سقر ولظى) هو قول الفراء، قال في قوله {لينبذن} أي الرجل وماله، {في الحطمة} اسم من اسماء النار، كقوله جهنم وسقر ولظى.

(١٠٥) سورة {ألم تر}

قال مجاهد: {ألم ترَ} ألم تعلم، وقال مجاهد: {أبابيل} مُتَتابِعة مجتَمعة

وقال ابن عباس {من سِجِّيل} هِيَ سَنْك وكِلْ

قوله (سورة ألم تر) ويقال لها أيضاً سورة الفيل.

قوله ({ألم تر} ألم تعلم) وقال الفراء: ألم تخبر عن الحبشة والفيل، وإنما قال ذلك لأنه ﷺ لم يدرك قصة أصحاب الفيل لأنه ولد في تلك السنة.

قوله (وقال ابن عباس: من سجيل هي سنك وكل) وصله الطبري من طريق السدي عن عكرمة عن ابن عباس قال: سنك وكل، طين وحجارة، وقد تقدم في تفسير سورة هود.

(١٠٦) سورة {لإِيلاف قُرَيش}

قوله (سورة لإيلاف) قيل اللام متعلقة بالقصة التي في السورة التي قبلها، وقيل متعلقة بشيء مقدر أي أعجب لنعمتي على قريش.

وقال الخليل بن أحمد: دخلت الفاء في قوله {فليعبدوا} لما في السياق من معنى الشرط، أي فإن لم يعبدوا رب هذا البيت لنعمته السالفة فليعبدوه للائتلاف المذكور.

(١٠٧) سُورةُ {أَرأَيتَ}

قال ابن عُيَيْنة: لإِيلاف لِنعمتي على قُريشٍ، وقال مجاهد: يَدُعُّ يدفَعُ عن حقه، يقال هو من دَععت، يُدَعُّون يُدفعون، سَاهون لا هُون، والماعون المعرُوف كلُّه، وقال بعضُ العَرَب: المَاعُون الماء، وقال عِكرمَة: أعلاها الزكاةُ المَفروضةُ، وأدْناها عاريَّة المَتاع.

---

(١) كتاب مواقيت الصلاة باب/ ١٤ح ٥٥٢- ١/ ٣٣٩.

قوله (سورة أريت) ويقال لها أيضاً سورة الماعون.

(١٠٨) سورة {إنّا أعطيْناكَ الكَوْثر}

وقال ابنُ عباس: شانئَك: عَدوُّكَ.

١ - باب * ٤٩٦٤ - عن أنس رضيَ الله عنه قال: «لمّا عُرج بالنبيِّ ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاهُ قِبابُ اللُّؤلؤ مُجوَّفَ، فقلْتُ ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثرُ».

٤٩٦٥ - عن عائشة رضيَ الله عنهما قال: سألتها عن قوله تعالى {إنَّ أعطيْناكَ الكوثر} قالت: هو نَهرٌ أعطيَهُ نَبيُّكم ﷺ، شاطئاهُ عليه دُرٌّ مجوَّف آنيتهُ كَعَدَدِ النُّجوم».

٤٩٦٦ - عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخيرُ الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلتُ لسعيد بن جبير: فإنَّ الناس يزعمون أنه نهرٌ في الجنةِ، فقال سعيد: النهر الذي في الجنةِ من الخير الذي أعطاهُ اللهُ إيّاه».

[الحديث ٤٩٦٦ - طرفه في: ٦٥٧٨]

قوله (سورة إنا أعطيناك الكوثر) هي سورة الكوثر.

والكوثر فوعل من الكثرة سمي بها النهر لكثرة مائه وآنيته وعظم قدره وخيره.

قوله (شانئك عدوك) واختلف الناقلون في تعيين الشانيء المذكور فقيل هو العاصي بن وائل، وقيل أبو جهل، وقيل عقبة بن أبي معيط، ثم ذكر المصنف في الباب ثلاثة أحاديث: الأول حديث أنس وقد تقدم شرحه في أوائل المبعث في قصة الإسراء في أواخرها، ويأتي بأوضح من ذلك في أواخر كتاب الرقاق(١).

قوله (درمجوف) أي القباب التي على جوانبه.

وفي صحيح مسلم من طريق المختار بن فلفل عن أنس «بينما نحن عند النبي ﷺ إذ غفا إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت عليَّ سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، إنا أعطيناك الكوثر إلى آخرها، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة» الحديث، وحاصل ما قاله سعيد بن جبير أن قول ابن عباس إنه الخير الكثير لا يخالف قول غيره إن المراد به نهر في الجنة، لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير، ولعل سعيداً أومأ إلى أن تأويل ابن عباس أولى لعمومه، لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي ﷺ فلا معدل عنه.

---

(١) كتاب الرقاق باب/ ٥٣ح ٦٥٨٠، ٦٥٨١، ٦٥٨٢ - ٩٢/٥.

(١٠٩) سُورَةُ {قُلْ يا أيها الكافرون}

يقال {لكم دينكُم} الكفر {وليَ دين} الإسلام، ولم يَقُل ديني لأنَّ الآيات بالنُّون فحَذفت الياءُ كما قال: يَهدِين ويشفين، وقال غيرُهُ {لا أعبُدُ ما تعبُدون} الآن؛ ولا أجيبكُم فيما بقي من عمري {ولا أنتم عابدون ما أعبُد} وهمُ الذين قال [٤٦ المائدة]: {وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربِّك طُغيانا وكفرا}

قوله (سورة قل يا أيها الكافرون) وهي سورة الكافرين، ويقال لها أيضاً المقشقشة أي المبرئة من النفاق.

(١١٠) سورة {إذا جاءَ نَصْرُ الله}، بسم الله الرحمن الرحيم

١ - باب * ٤٩٦٧ - عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: ما ﷺ النبيُّ ﷺ صلاةً بعدَ أن نزلت عليه {إذا جاءَ نصرُ الله والفتحُ} إلا يقول فيها: سبحانكَ ربَّنا وبحمْدِك، اللهُم اغفرْ لي».

٢ - باب * ٤٩٦٨ - عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُكثر أن يقولَ في ركوعِهِ وسجودِهِ: سُبحانَك اللهُم ربَنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يَتَأوَّل القُرآن».

قوله (سورة إذا جاء نصر الله) وهي سورة النصر.

وقد أخرج النسائي من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت من القرآن، وقد تقدم في تفسير براءة أنها آخر سورة نزلت، والجمع بينهما أن آخرية سورة النصر نزولها كاملة، بخلاف براءة كما تقدم توجيهه، ويقال إن {إذا جاء نصر الله} نزلت يوم النحر وهو بمنى في حجة الوداع، وقيل عاش بعدها أحداً وثمانين يوماً، وليس منافياً للذي قبله بناء على بعض الأقوال في وقت الوفاة النبوية.

ثم ذكر المصنف حديث عائشة في مواظبته ﷺ على التسبيح والتحميد والاستغفار وغيره في ركوعه وسجوده، أورده من طريقين، وفي الأولى التصريح بالمواظبة على ذلك بعد نزول السورة، وفي الثانية يتأول القرآن، وقد تقدم شرحه في صفة الصلاة، ومعنى قوله يتأول القرآن يجعل ما أمر به من التسبيح والتحميد والاستغفار في أشرف الأوقات والأحوال، وقد أخرجه ابن مردويه من طريق أخرى عن مسروق عن عائشة فزاد فيه «علامة في أمتي أمرني ربي إذا رأيتها أكثر من قول سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيت جاء نصر الله، والفتح فتح مكة، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا» وقال ابن القيم في الهدى: كأنه أخذه من قوله تعالى {واستغفره} لأنه كان يجعل الاستغفار في خواتم الأمور، فيقول إذا سلم من الصلاة: أستغفر الله ثلاثاً وإذا خرج من الخلاء قال: غفرانك، وورد الأمر بالاستغفار عند انقضاء المناسك {ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله} الآية.

قلت: ويؤخذ أيضاً من قوله تعالى {إنه كان توابا} فقد كان يقول عند انقضاء الوضوء «اللهم اجعلني من التوابين».

٣ ـ باب قوله {ورأيتَ الناسَ يَدخُلونَ في دِينِ الله أفْواجاً}

٤٩٦٩ ـ عن ابن عباس «أنَّ عُمرَ رضيَ الله عنه سألهم عنَ قوله تعالى: {إذا جاء نَصْرُ الله والفتح}، قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجل، أو مَثَلٌ ضُرِب لمحمد ﷺ، نُعيَتْ له نفسُهُ».

٤ ـ باب قوله {فسبِّح بحمد ربِّكَ واستغْفِره إنه كان تَوَّاباً}

توّابٌ على العباد، والتوابُ مِن الناس التَّائب من الذنب

٤٩٧٠ ـ عن ابن عباسٍ قال: كانَ عُمرُ يُدخِلُني مع أشياخِ بدر، فكأنَّ بعضَهم وَجَدَ في نفسه فقال: لِمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناءٌ مثلُه؟ فقال عُمر: إنه مِن حيث عَلِمتم، فَدَعا ذاتَ يومٍ فأدْخَلَه مَعهم فما رئيت أنه دعاني يومئذٍ إلاّ لُيريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى {إذا جاء نَصْرُ الله والفتحُ} فقال بعضُهم: أُمِرنا نحمدُ الله ونستَغْفره، إذا نصرنا وفتح عَلَيْنا، وسَكَت بعضُهم فلم يقُل شيئاً، فقال لي: أكذاك تَقُول يا ابنَ عبّاس؟ فقلتُ: لا، قال: فما تقول؟ قُلت: هو أَجَل رسولِ الله ﷺ أعْلَمه لَهُ، قال: إذا جاء نصرُ الله والفَتْحُ -وذلك عَلامَةُ أَجَلِكَ- فسبِّح بحمدِ ربكَ واستغفرْه إنه كان توابا، فقال عُمر: ما أعلمَ منها إلا ما تقول».

قوله (كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر) أي من شهد بدراً من المهاجرين والأنصار، وكانت عادة عمر إذا جلس للناس أن يدخلوا عليه على قدر منازلهم في السابقة، وكان ربما أدخل مع أهل المدينة من ليس منهم إذا كان فيه مزية تجبر ما فاته من ذلك.

قوله (فكأن بعضهم وجد) أي غضب.

وفيه فضيلة ظاهرة لابن عباس وتأثيره لاجابة دعوة النبي ﷺ أن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين، كما تقدم في كتاب العلم، وفيه جواز تحديث المرء عن نفسه بمثل هذا لاظهار نعمة الله عليه، وإعلام من لا يعرف قدره لينزله منزلته، وغير ذلك من المقاصد الصالحة، لا للمفاخرة والمباهاة.

(١١١) سورة {تَبَّتْ يَدا أبي لهبٍ وتَبَّ}، بسم الله الرحمن الرحيم

تَباب: خُسران، تتبيب: تَدمير

١ ـ باب * ٤٩٧١ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: لما نَزلت {وأَنذِر عشيرتَكَ الأقربين، ورهطك منهمُ المخلصين} خرج رسولُ الله ﷺ حتى صَعدَ الصفا فَهتَفَ: يا صباحَاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتَم إن أخبرتُكم أنَّ خيلاً تخرُجُ من سَفح هذا الجَبل أكنتم مُصدِّقيَّ؟ قالوا: ما جرَّبنا عليك كِذباً، قال: فإنِّي نَذيرٌ لكم بين يدَيْ عذابٍ

شَديد، قال أبو لهب: تبًا لك، ما جَمعتَنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلَت: {تبت يَدا أبي لهب وتَبّ} وقد تبَّ».

قوله (سورة تبت يدا أبي لهب، بسم الله الرحمن الرحيم)وأبو لهب هو ابن عبد المطلب واسمه عبد العزى، وأمه خزاعية، وكنى أبا لهب إما بابنه لهب، وإما بشدة حمرة وجنته.

ووافق ذلك ما آل إليه أمره من أنه سي ﷺ ناراً ذات لهب، ولهذا ذكر في القرآن بكنيته دون اسمه، ولكونه بها أشهر، ولأن في اسمه إضافة إلى الصنم، ولا حجة فيه لمن قال بجواز تكنية المشرك على الإطلاق، بل محل الجواز إذا لم يقتض ذلك التعظيم له أو دعت الحاجة إليه. قال الواقدي: كان من اشد الناس عداوة للنبي ﷺ.

ومات أبو لهب بعد وقعة بدر، ولم يحضرها بل أرسل عنه بديلاً، فلما بلغه ما جرى لقريش مات غماً.

٢ ـ باب {وتب، ما أغنى عنه ماله وما كَسب}

٤٩٧٢ ـ عن ابن عباسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ خرَجَ إلى البَطْحاء، فصعدَ إلى الجَبل فنادَى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قُريشٌ فقال: أرأيتم إن حَدَّثتُكم أنَّ العدوَّ مُصبِّحُكم أو مُمسِّيكم، أكنتم تصدِّقوني؟ قالوا: نعم، قال: فإني نَذيرٌ لكم بين يديْ عذابٍ شديد، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا تبّاً لك، فأنزل الله عزَّ وجل {تبت يدا أبي لهب} إلى آخرها».

قوله (باب قوله[1]{وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب} ذكر فيه الحديث الذي قبله من وجه آخر، وقوله فيه «فهتف» أي صاح، وقوله «يا صباحاه» أي هجموا عليكم صباحاً.

٣ ـ باب قوله {سيَصْلى ناراً ذاتَ لهب}

٤٩٧٣ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما: قال أبو لهبٍ تبّاً لك أَلِهذا جَمعتنا؟ فنزلت {تبّت يدا أبي لهب}».

٤ ـ باب {وامْرأتُه حمَّالةَ الحطب}

وقال مُجاهد: حمالةُ الحطَب تمشي بالنَّميمة

{في جِيدِها حبلٌ من مَسَد} يُقال: من مَسَد لِيف المقْل، وهي السِّلسِلةُ التي في النار

قوله (باب وامرأته حمالة الحطب) واسم امرأة أبي لهب العوراء وتكنى أم جميل، وهي بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، والد معاوية، و نقدم لها ذكر في تفسير «والضحى»، يقال إن اسمها أروى والعوراء لقب، ويقال لم تكن عوراء وإنما قيل لها ذلك لجمالها.

---

(١) في المتن بدون"قوله" في اليونينية وبدون "باب قوله".

(١١٢) سورة {قُل هو اللهُ أحد}، بسم الله الرحمن الرحيم

يقال: لا يُنَوَّنُ، {أَحَدٌ} أي واحِدَ

١ ـ باب * ٤٩٧٤ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه «عن النبيِّ ﷺ قال: قال الله تعالى كذَّبني ابنُ آدمَ ولم يَكُن له ذلك، وشتَمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إيايَ، فقوله: لن يُعيدَني كما بدأني، وليسَ أولُ الخلق بأهوَنَ عليَّ من إعادتهِ، وأما شَتمُهُ إيايَ فقوله: اتَّخَذَ اللهُ ولداً وأنا الأحدُ الصمدُ، لم ألِدْ ولم أولَدْ، ولم يكُن لي كُفواً أحدٌ».

قوله (سورة {قل هو الله أحد}، بسم الله الرحمن الرحيم) ويقال لها أيضاً سورة الإخلاص، وجاء في سبب نزولها من طريق أبي العالية عن أبيّ بن كعب «أن المشركين قالوا للنبيِّ ﷺ: انسب لنا ربك، فنزلت» أخرجه الترمذي والطبري وفي آخره قال: «لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ولا شيء يموت إلا يورث، وربنا لايموت ولا يورث ولم يكن له كفواً أحد، شبه ولا عدل» وأخرجه الترمذي.

٢ ـ باب قوله {الله الصَّمَد}

والعرَبُ تُسمّي أشرافَها الصمد، قال أبوا وائل: هو السيِّدُ الذي انتهى سُوْدَدُه

٤٩٧٥ ـ عن أبي هريرةَ قال: «قال رسولُ الله ﷺ: كَذَّبني ابنُ آدمَ ولم يكن له ذلك، وشَتمني ولم يكن له ذلك، أما تكذيبُهُ إيايَ أن يقولَ إني لن أُعيدَهُ كما بَدَأتُه، وأما شَتمه إيايَ أن يقول اتخذَ اللهُ ولداً، وأنا الصمدُ الذي لم ألِدْ ولم أولَدْ ولم يكن لي كُفواً أحد» {لم يَلِد ولم يُولَد ولم يكن له كُفواً أحد} كفواً وكَفيئاً وكِفاءً واحد

قوله (ولم يكن لي كفواً أحد) لما كان الرب سبحانه واجب الوجود لذاته قديماً موجوداً قبل وجود الأشياء وكان كل مولود محدثاً انتفت عنه الوالدية، ولما كان لا يشبهه أحد من خلقه ولا يجانسه حتى يكون له من جنسه صاحبة فتتوالد انتفت عنه الولدية، ومن هذا قوله تعالى {أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة}.

(١١٣) سُورَةُ {قُل أعوذُ بربِّ الفَلَق}

وقال مجاهدٌ: الفلق: الصُّبح، وغاسق: الليل، إذا وَقَب: غروبُ الشمس

يقال: أبيَنُ من فَرق وفَلَق الصبح، وَقَبَ: إذا دخلَ في كلِّ شيءٍ وأظلم

٤٩٧٦ ـ عن زِرِّ بن حُبيش قال: «سألتُ أبيَّ بن كعبٍ عن المعوِّذَتين فقالَ سألتُ النبيَّ ﷺ فقال: قِيلَ لي فقلتُ، فنحن نقول كما قال رسولُ الله ﷺ».

[الحديث ٤٩٧٦ – طرفه في: ٤٩٧٧]

قوله (سورة {قل أعوذ برب الفلق} بسم الله الرحمن الرحيم[١]) وتسمى أيضاً سورة الفلق.

---

(١)رواية الباب واليونينية بدون البسملة.

قوله (وقب إذا دخل في كل شيء وأظلم) هو كلام الفراء أيضاً، وجاء في حديث مرفوع أن الغاسق القمر؛ أخرجه الترمذي والحاكم من طريق أبي سلمة عن عائشة «أن النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال: يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، قال: هذا الغاسق إذا وقب» إسناده حسن.

(١١٤) سُوْرَةُ {قل أعوذ بربِّ الناس}

وقال ابنُ عباس: الوَسواس: إذا ولد خنسهُ الشيطان، فإذا ذُكرَ اللهُ عزَّ وجلَّ ذَهب، وإذا لم يُذكرِ الله ثبت على قلبِه.

٤٩٧٧ - عن زِرٍّ قال: «سألتُ أُبيَّ بن كعبٍ قلتُ: أبا المنذر إنَّ أخاكَ ابن مسعودٍ يقول كذا وكذا، فقال أُبيٌّ: سألتُ رسولَ الله ﷺ فقال لي: قِيلَ لي، فقلت، قال: فنحنُ نقولُ كما قال رسولُ اللهِ ﷺ».

قوله (سورة قل أعوذ برب الناس) وتسمى سورة الناس.

قوله (يقول كذا وكذا) هكذا وقع هذا اللفظ مبهماً، وكأن بعض الرواة أبهمه استعظاماً له.

وقد أخرجه أحمد أيضاً وابن حبان من رواية حماد بن سلمة عن عاصم بلفظ «أن عبد الله بن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه».

قال البزار: ولم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأهما في الصلاة.

قلت: هو في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر وزاد فيه ابن حبان من وجه آخر عن عقبة بن عامر «فإن استطعت أن لا تفوتك قراءتهما في صلاة فافعل» وأخرج أحمد من طريق أبي العلاء بن الشخير عن رجل من الصحابة «أن النبي ﷺ أقرأه المعوذتين وقال له: إذا أنت صليت فاقرأ بهما» وإسناده صحيح ولسعيد بن منصور من حديث معاذ بن جبل «أن النبي ﷺ صلى الصبح فقرأ فيهما بالمعوذتين».

وأما قول النووي في شرح المهذب: أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد منهما شيئاً كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح، ففيه نظر، وقد سبقه لنحو ذلك أبو محمد بن حزم فقال في أوائل «المحلى»: ما نقل عن ابن مسعود من انكار قرآنية المعوذتين فهو كذب باطل، وكذا قال الفخر الرازي في أوائل تفسيره: الأغلب على الظن أن هذا النقل عن ابن مسعود كذب، باطل، والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل، بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل.

تم بحمد الله الجزء الثالث من إتحاف القاري

فهرس الجزء الثالث

(٦١ - كتاب المناقب)

رقم ٣٤٨٩ - ٣٦٤٨